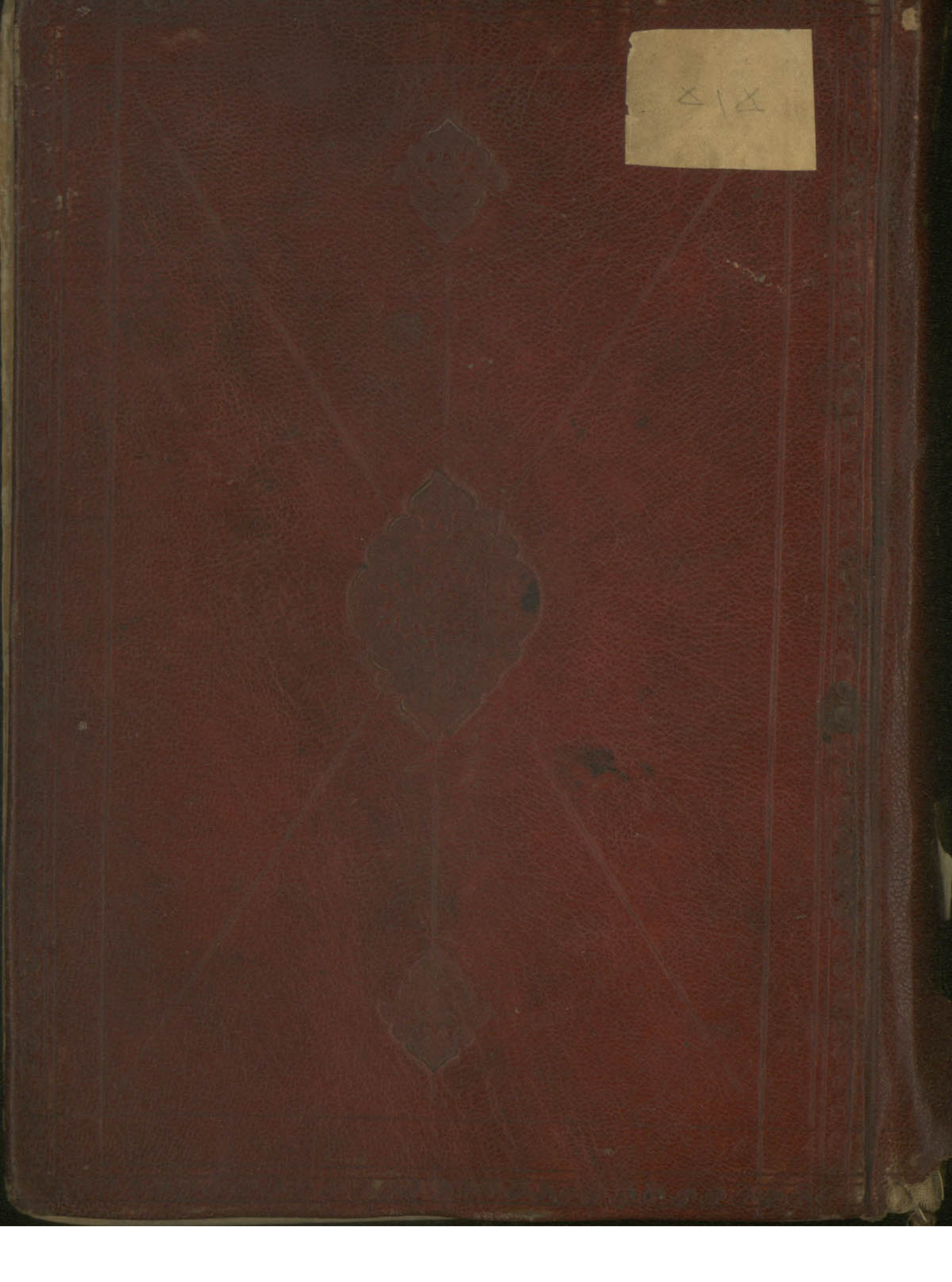
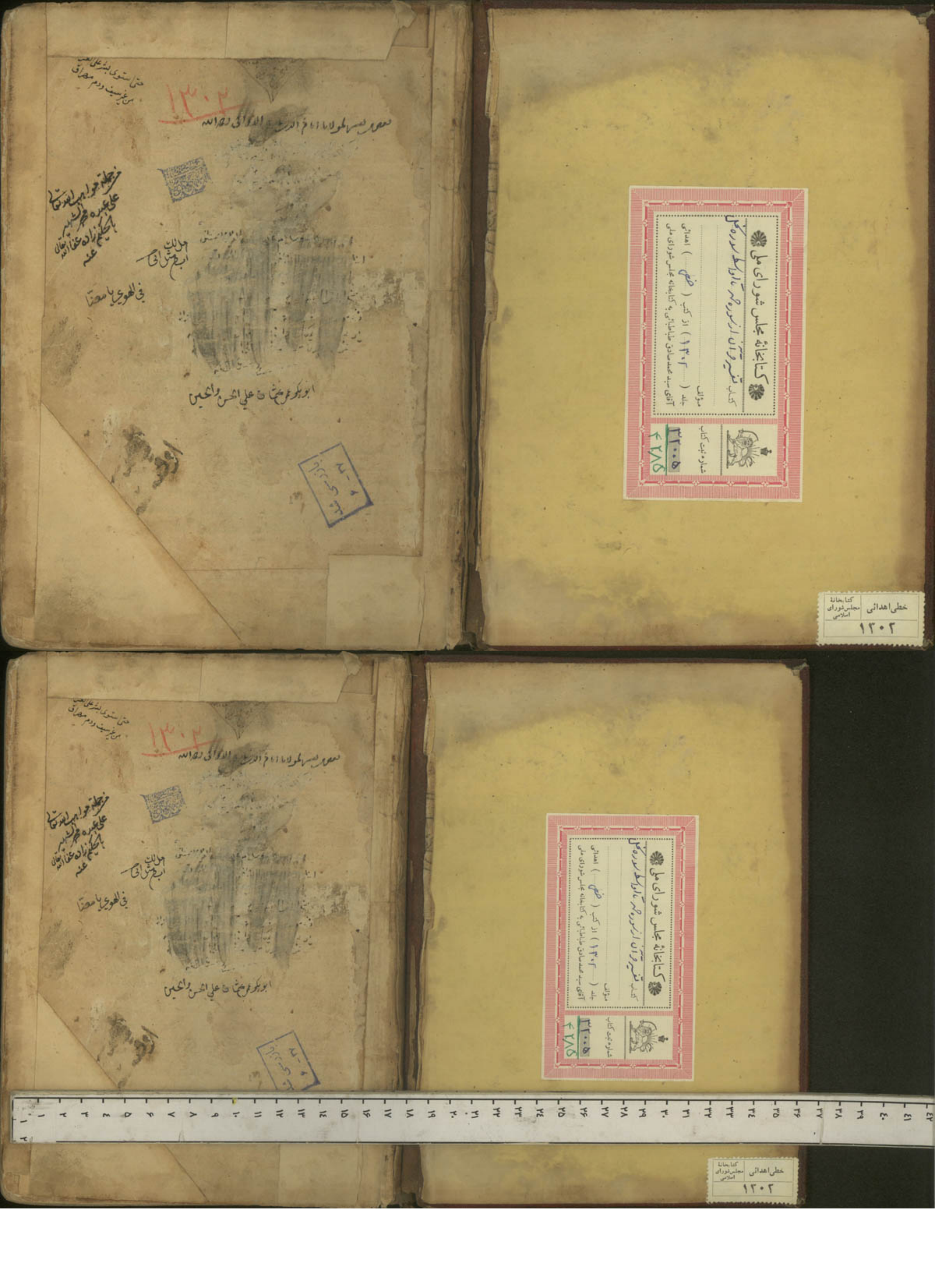

۵۱۵



خطی اهدائی
کتابخانه مجلس شورای اسلامی
۱۳۰۲


کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
کتاب
مؤلف
جلد ( ) از کتب ( ) اهدائی
آقای سید محمد صادق طباطبائی به کتابخانهٔ مجلس شورای ملی
شمارهٔ ثبت کتاب
خطی اهدائی
کتابخانهٔ مجلس شورای اسلامی
۱۳۰۲

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وتمم بالخير

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على محمد سيد المرسلين وآله وصحبه والتابعين الى يوم الدين اما بعد فان جدي الشهيد امام عرفار وقته ابا يزيد قد الف كتابا جامعا من اقوال السلف في التفسير والتاويل واشارات الخلف واهل المعاني في التنزيل ولما كان فيه نحض البسط نعس على طالبيه فاستخرت الله تعالى والتقطت منه ما لم يذكر في تفسير القاضي الامام ناصر الاسلام وحواشيه واستغنيت في هذا الجمع غالبا عن ذكر ما ذكر فيه وبسط وشرح في توابعه مضيفا اليه ما لا يسع تركه في هذا الباب ولا ينبغي ان تخلو عنه مثل هذا الكتاب منها ما لفريق عليه من صحاح الاخبار المنقول عن النبي المختار والآثار الماثورة والقصص الغرايبة المروية عن الايمة الاخبار فان احسن طرق التفسير على ما اشار اليه الشيخ عماد الدين اسمعيل بن الكثير ان يفسر القرآن بالقرآن فما اجمل في مكان فانه قد فسر في موضع آخر وما اختصر في مكان فانه قد بسط في مكان آخر ثم بالسنة فانها شارحة للقرآن وموضحة له قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين بعثه الى اليمن بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد قال اجتهد برايي قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره فقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم لما يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بل قد قال الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي رضي الله عنه كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن قال الله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله وقال تعالى وتقدس وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا لم يوجد التفسير في القرآن ولا في السنة ان يرجع في ذلك الى اقوال الصحابة فانهم ادرى بذلك لما شاهدوا من القراين والاحوال التي اختصوا بها ولما اوتوا من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح منهم الحبر البحر عبد الله بن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وترجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم له حيث قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ومنهم عبد الله ابن مسعود قال والذي لا اله غيره ما نزلت آية في كتاب الله الا وانا اعلم فيمن نزلت واين نزلت ولو اعلم مكان احد اعلم بكتاب الله مني تنالـه المطايا لاتيته وقال كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن فاذا لم يوجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا عن الصحابة فقد رجع كثير من الايمة في ذلك الى اقوال التابعين كمجاهد بن جبير فانه كان آية في التفسير قرا على ابن عباس وكسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن ابي رباح والحسن البصري ومسروق بن الاجدع وسعيد بن المسيب وابي العالية والربيع بن انس وقتادة والضحاك وغيرهم من التابعين وقد يقع في عباراتهم تباين في الالفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافا فيحكيها اقوالا وليس كذلك فان منهم من يعبر عن الشيء بلازمه او بنظيره ومنهم من ينص على الشيء بعينه والكل بمعنى واحد في كثير من الاماكن فليتفطن اللبيب لذلك والله الهادي والمعين

وقال شعبة بن الحجاج وغيره اقوال التابعين في الفروع ليست حجة فكيف يكون حجة في التفسير قال الشيخ يعني انها لا يكون حجة على غيرهم ممن خالفهم وهذا صحيح واما اذا اجتمعوا على الشيء فلا يرتاب في كونه حجة فان اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم ويرجع في ذلك الى لغة القرآن او السنة او عموم لغة العرب او اقوال الصحابة في ذلك والله اسال ان ينفعني وساير الطالبين ويجعله سببا للنجاة والفوز يوم الدين ولنذكر في مبدء الكتاب فصولا لا بد من بيانها في الباب

فصل في فضايل القرآن والاحاديث فيها كثيرة نتبرك بذكر بعضها عن البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا اعطاه الله من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة وعن الترمذي والدارمي عن الحارث الاعور قال مررت في المسجد فاذا الناس يخوضون في الحديث فدخلت على علي رضي الله عنه فاخبرته فقلت يا امير المؤمنين الا ترى ان الناس قد خاضوا في الاحاديث قال اوقد فعلوها قلت نعم قال اما اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا انها ستكون فتنة قلت فما المخرج منها يا رسول الله قال كتاب الله نبا ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى في غيره اضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة ولا يشبع منه العلماء ولا يخلق عن كثرة الرد ولا ينقضي عجايبه هو الذي لم تنته الجن اذ سمعته حتى قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به من قال به صدق ومن عمل به اجر ومن حكم به عدل ومن دعا اليه هدى الى صراط مستقيم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر يوشك ان ياتي رسول ربي فاجيب واني تارك فيكم ثقلين اولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي وعن الدارمي عن عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال القرآن احب الى الله من السموات والارض ومن فيهن وعن عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من كلام اعظم عند الله من كلامه وما رد العباد الى الله كلاما احب اليه من كلامه وفي شرح السنة عن ابن عباس رضي الله عنهما جمع الله في هذا الكتاب علم الاولين وعلم الآخرين وعلم ما كان وعلم ما يكون والعلم بالخالق جل جلاله وامره وخلقه وعن الترمذي والدارمي عن ابن عباس قال رجل يا رسول الله اي الاعمال احب الى الله قال الحال المرتحل قال وما الحال المرتحل قال صاحب القرآن يضرب من اول القرآن الى آخره كلما حل ارتحل وعن الترمذي وابي داود عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن اقرا وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ان منزلك عند آخر آية تقرؤها

فصل منقول من معالم التنزيل في وعيد من قال في القرآن برايه روى الشيخ الامام محيي السنة باسناده واسنادنا بحمد الله تعالى متصل باسناده لكن ذكر الاسناد لا يحتمله اهل العصر

وهذا الكتاب فيكتفى بالاشارة اليه عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برايه فليتبوا مقعده من النار وقال من قال في القرآن بغير علم فليتبوا مقعده من النار وباسناده عن جندب بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال في القرآن برايه فاصاب فقد اخطا وسئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن قول الله تعالى وفاكهة وابا فقال اي سماء تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم قال ابو الدرداء رضي الله عنه لا يفقه كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة قال حماد قلت لايوب ما معنى قول ابي الدرداء فجعل يتفكر فقلت هو ان يرى له وجوها فيتهاب الاقدام عليه فقال هو ذاك هو ذاك قال الشيخ الامام رحمه الله قد جاء الوعيد في حق من قال في القرآن برايه وذلك فيمن قال من قبل نفسه شيئا من غير علم فاما التاويل وهو صرف الآية الى معنى محتمل موافق لما قبلها وما بعدها غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط فقد رخص فيه لاهل العلم اما التفسير وهو الكلام في اسباب نزول الآية وشانها وقصتها فلا يجوز الا بالسماع بعد ثبوته من طريق النقل واصل التفسير من التفسرة وهي الدليل من الماء الذي ينظر فيه الطبيب فيكشف عن علة المريض كذلك المفسر يكشف عن شان الآية وقصتها واشتقاق التاويل من الاول وهو الرجوع يقال اولته فآل اي صرفته فانصرف وباسناده روي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان القرآن انزل على سبعة احرف لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حد مطلع انتهى كلام محيي السنة في قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه الظاهر التلاوة والباطن الفهم والحد هو احكام الحلال والحرام والمطلع هو مراد الله من العبد بها

فصل في بيان انطواء كلام الله تعالى على الحكم كلها علميها وعمليها منقول من تفسير الامام ابي القاسم الراغب الاصفهاني كتاب الله منطو على ذلك بدليل قوله تعالى وكل شيء احصيناه في امام مبين وقوله ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وقوله تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقوله تعالى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولكن ليس يظهر ذلك الا للراسخين في العلم

فصل في تفسير قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا المعني به تفسير القرآن ثم منازل العلماء يتفاوت في تفهمه ولذلك قال تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم واعظم ما تقصر عنهم الاكثرين عن ادراك حقايقه شيآن احدهما راجع الى اللفظ والآخر الى المعنى فالراجع الى اللفظ شيآن احدهما ما اختص به اللغة العربية من الايجاز والحذف والاستعارات والاشارات اللطيفة واللمحات الغامضة مما ليس في سوى هذه اللغة والآخر ما وجد في القرآن خاصة من الايجاز والحذف مما ليس في غيره من الكلام ولما فيه من اللفظ اليسير المنطوي على المعنى الكثير قال صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم فمن منازل الايجاز قوله تعالى في وصف ارتفاع الاسباب المكروهة عن اوليائه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فنفى بذلك كل منغص اذ كان جميعه في حصول مكروه وفوت محبوب وقد نفاهما بذلك وقال في فاكهة اهل الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة فنفى بذلك جميع الآفات العارضة لمطاعم الدنيا وقال في صفة خمرهم لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون فنفى بذلك

كل مكروه يعرض فيها واما الراجع الى المعنى فذكره تعالى اصولا منطوية على فروع بعضها بينه النبي صلى الله عليه وسلم وبعضها فوض استنباطه الى الراسخين في العلم تشريفا لهم وتعظيما لمكانتهم وللاختصاص بهذه الامة بهذه المنزلة الشريفة قال عليه السلام كادت امتي يكون انبياء وعلى ذلك قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقال تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله الآية فجعلهم في ذلك بمنزلة الانبياء

فصل في شرف علم التفسير وانه ايضا اشرف صناعة يتعاطاها الانسان تفسير القرآن وتاويله وذلك ان الصناعات للحقيقة انما تشرف باحد ثلثة اشياء اما بشرف موضوعاتها وهي المعمول فيها نحو ان يقال الصياغة اشرف من الدباغة لان موضوعها وهو الذهب والفضة اشرف من جلد الميتة الذي هو موضوع الدباغة واما بشرف صورها نحو ان يقال طبع السيوف اشرف من طبع القيود واما بشرف اغراضها وكمالها نحو صناعة الطب التي غرضها افادة الصحة فانها افضل من الكناسة التي غرضها تنظيف المستراح فاذا ثبت ذلك فصناعة التفسير قد حصل لها الشرف من الجهات الثلث وهو ان موضوع التفسير كلام الله الذي هو ينبوع كل حكمة ومعدن كل فضيلة وصورة فعله اظهار خفيات ما اودعه منزله من اسراره ليدبروا آياته وليتذكر اولو الالباب وغرضه التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والوصول الى السعادة الحقيقية التي لا فناء لها ولهذا اعظم الله محله فقال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا قيل هي تفسير القرآن

سورة فاتحة الكتاب

عن ابي سعيد بن المعلى رضي الله عنه قال كنت اصلي فدعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم اجبه حتى صليت واتيته فقال ما منعك ان تاتيني قال قلت يا رسول الله اني كنت اصلي قال الم يقل الله يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم ثم قال لاعلمنك اعظم سورة في القرآن قبل ان تخرج من المسجد قال فاخذ بيدي فلما اراد ان يخرج من المسجد قلت يا رسول الله انك قلت لاعلمنك اعظم سورة في القرآن قال نعم الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته رواه البخاري وعن ابي سعيد الخدري قال كنا في مسير لنا فنزلنا فجاءت جارية فقالت ان سيد الحي سليم وان نفرنا غيب فهل منكم راق فقام معها رجل ما كنا نابنه برقية فرقاه فبرا فامر له بثلثين شاة وسقانا لبنا فلما رجع قلنا له اكنت تحسن رقية او كنت ترقي قال لا ما رقيت الا بام الكتاب قلنا لا تحدثوا شيئا حتى ناتي او نسال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي صلى الله عليه وسلم فقال وما كان يدريه انها رقية اقسموا واضربوا لي بسهم رواه البخاري والمراد بالسليم اللديغ يسمونه بذلك تفاؤلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبرئيل اذ سمع نقيضا فوقه فرفع جبرئيل بصره الى السماء فقال هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابشر بنورين قد اوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة

لن يتراحم فاسمنا الا اوتيته رواه مسلم في صحيحه والنسائي في سننه واللفظ له وعن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلوة لم يقرا فيها بام القرآن فهي خداج ثلثاً
غير تام وعن ابي السايب انه قال قلت لابي هريرة انا نكون وراء الامام قال اقرءها في نفسك
فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل قسمت الصلوة بيني وبين عبدي
نصفين ولعبدي ما سال فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي واذا قال
الرحمن الرحيم قال الله اثنى علي عبدي فاذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي وقال مرة فوض
الي عبدي فاذا قال اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سال
فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين
قال هذا لعبدي ولعبدي ما سال رواه النسائي قال الامام النواوي رضي الله عنه الاحاديث المروية عن
ابي بن كعب رضي الله عنه سورة سورة موضوعة وقد اخطاء ذكره من المفسرين قال الصغاني وضعها رجل
من عبادان فلما قيل له في ذلك اعتذر بان الناس قد اشتغلوا بالاشعار وفقه ابي حنيفة وغير ذلك
ونبذوا القرآن وراء ظهورهم بسم الله الرحمن الرحيم اي متبركا باسم المعبود الحقيقي
الذي هو معطي النعم كلها عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها اقرء واتلو فالباء للملابسة والمصاحبة وهذا احسن
من حمل الباء على الاستعانة لان استعمال الباء في المصاحبة اكثر من الاستعانة ولدلالتها على تلبس اجزاء
الفعل بالتبرك لظهوره ولان في التبرك باسم الله من التادب ما ليس في جعله بمنزلة الآلة التي لا يكون مقصوداً
وذكر الاسم حيث قال باسم الله ولم يقل بالله لان التبرك والاستعانة بذكر اسمه ولفوايد آخر ذكرت
في موضعها ولفظ الله مخصوص بالمعبود بالحق واختلفوا فيه أسرياني هو ام عربي اسم او صفة مشتق
او غير مشتق علم او غير علم واشتقاقه من اله بمعنى عبد او اله بمعنى تحير لان العقول تتحير في معرفة ذاته
وصفاته او من اله الى فلان اي سكنت اليه لان القلوب تطمئن بذكره والارواح تسكن الى معرفته
او من اله الفصيل اذا ولع بامه اذ العباد مولعون بالتضرع اليه في الشدايد الى غير ذلك كانه انعكس
اليهم من انوار عظمة ذاته وصفاته اشعة بهرت اعين المستبصرين قال الكاشف عن اشارات الفرقان
الشيخ ابو محمد روزبهان عليه من الله الرحمة والغفران واما الله فانه اسم الجمع لا ينكشف الا لاهل
الجمع وكل اسم يتعلق بصفة من صفاته الا الله فانه يتعلق بذاته وصفاته للجل ذلك هو اسم الجمع والكل حين
الرحيم صفتان مشتقتان من الرحمة للمبالغة والرحمن ابلغ من الرحيم اما باعتبار الكمية اي كمية افراد
الرحمة وذلك باعتبار كثرة المرحومين واما باعتبار الكيفية اي كيفية دقة وجلالة وعلى الاول قيل
يا رحمن الدنيا لانه يعم المؤمن والكافر ورحيم الآخرة لانه يخص المؤمن وعلى الثاني قيل يا رحمن
الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية فجليل وحقير وهذا اقول

على السنة العباد وكذلك قوله تعالى الحمد لله رب العالمين واهدنا الصراط المستقيم وكثير من القرآن
ليعلموا كيف يتبركون باسمه في الافعال ويحمدون على نعمه في الاحوال ويلبسالونه الاحسان والافضال
عن ابن عباس ان اول ما نزل به جبرئيل على محمد صلى الله عليه وسلم قال قل يا محمد استعذ بالسميع العليم من الشيطان
الرجيم ثم قال قل بسم الله الرحمن الرحيم يقول اقرء بذكر الله وقم واقعد بذكر الله قال الامام احمد بن حنبل
في مسنده باسناده عن رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عثر بالنبي صلى الله عليه وسلم فقلت تعس الشيطان
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تقل تعس الشيطان فانك اذا قلت تعس الشيطان تعاظم وقال بقوتي صرعته واذا قلت
بسم الله الرحمن الرحيم تصاغر حتى يصير مثل الذباب انتهى فهذا تاثير بسم الله فلهذا يستحب في اول كل عمل
وقول وروى الشيخ ابن الكثير باسناده عن ابن عباس ان عثمان رضي الله عنه سال رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال هو اسم من اسماء الله ما بينه وبين اسم الله الاكبر كما بين سواد العينين
وبياضهما من القرب قال الكاشف عن الاشارات حكى عن الجنيد انه قال ان اهل المعرفة نفوا عن قلوبهم
سوى الله تعالى فقال لهم قولوا بسم الله الرحمن الرحيم اي في قسمتها ودعوا الشايكم الى آدم وقيل من قال
بالحروف فانه لم يقل الله لانه خارج عن الحروف والحسوس والاوهام والافهام ولكن رضي منا بذلك لانه
لا سبيل الى توحيده من حيث لا حال ولا قال وحكى ان ابا الحسين النوري بقي في منزله سبعة ايام لم ياكل ولم
يشرب ولم ينم ويقول في وطهه ودهشته الله وهو قايم يدور فاخبر الجنيد فقال انظروا المحفوظ عليه
اوقاته فقيل انه يصلي الفرايض فقال الحمد لله الذي لم يجعل الشيطان اليه سبيلا ثم قال حتى يروا اما
ان يستفيد منه او يفيد فدخل عليه وهو في وطهه فقال يا ابا الحسين ما الذي وطهك قال اقول الله الله
زيدوا علي فقال له الجنيد انظر هل قولك الله الله ام قولك قولك ان كنت القايل الله الله فلست القايل
وان كنت تقول بنفسك فانت مع نفسك فما معنى الوله قال نعم المودب كنت وسكن عن ولهه الحمد لله رب
العالمين الحمد هو الثناء على الجميل الاختياري من نعمة وغيرها وهو باللسان واما الشكر فعلى النعمة خاصة
وهو بالقلب واللسان والجوارح فهو احدى شعب الشكر بهذا الاعتبار لكنه اشيع للنعمة وادل على مكانها
من الاعتقاد واتعاب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال ومستلزم لعمل القلب فانه اذا
كان خاليا عن مواطاة القلب كان كذبا واستهزاء فلذا قال عليه الصلوة والسلام الحمد راس الشكر ما شكر
الله عبد لم يحمده قيل المعنى ان حمد جميع الحامدين من لدن خلق آدم الى انتهاء دهرهم وآخر دعويهم ان
الحمد لله رب العالمين لله تعالى فهو حينئذ على ما هو انعام من الله تعالى بتعليم عباده حمده وثناء ذاته
بالالهية والايجاد والربوبية والتربية وصفات جماله وجلاله في نوادر الاصول عن انس رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان الدنيا كلها بحذافيرها في يد رجل من امتي ثم قال الحمد لله لكان
الحمد لله افضل من ذلك قال القرطبي وغيره لكان الحامد الحمد اكثر نعمة عليه من نعم الدنيا لان ثواب

الحمد لا يفنى ونعم الدنيا لا يبقى قال الله المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات
خير عند ربك ثوابا وخير املا حكى القرطبي عن طايفة انهم قالوا قول العبد الحمد لله رب العالمين
افضل من قول لا اله الا الله لاشتمال الحمد لله رب العالمين على التوحيد مع الحمد وقال آخرون بل
لا اله الا الله افضل لانها الفصل بين الايمان والكفر وعليها يقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
كما ثبت في الحديث المتفق عليه وفي الحديث الآخر في السنن افضل ما قلت انا والنبيون من قبلي لا اله
الا الله وحده لا شريك له وفي حديث الترمذي افضل الذكر لا اله الا الله وافضل الدعاء الحمد لله قال
في بيان قوله صلى الله عليه وسلم افضل الدعاء الحمد لله وجهه انه صلى الله عليه وسلم قال عن الله تعالى
من شغله ذكري عن مسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين ويوضح ما ذكرنا يعلم من تفسير قوله
تعالى اهدنا الصراط المستقيم على ما سيجيء الراغب قال بعضهم كل ثناء اثنى الله على نفسه فهو في
الحقيقة اظهار لفعله فحمده لنفسه هو بث آلايه واظهار نعمايه بمحكمات افعاله المقتضية لحمده فكان
قوله الحمد لله تنبيه للحمد لله ظاهر بآلايه وعلى ذلك شهد الله انه لا اله الا هو فان شهادته لنفسه
ايجاده الاشياء دالة على وحدانيته ناطقة بالشهادة له وعلى ذلك وان من شيء الا يسبح بحمده
وقوله يسبح له ما في السموات والارض تعالى الكاشف عن اشارات الفرقان شكر نفسه للعباد لانه
علم عجزهم عن شكره وللسان الحمد ثلث اللسان الانساني واللسان الروحاني واللسان الرباني
اما اللسان الانساني فهو للعوام وشكرهم به التحدث بانعام الله واكرامه مع تصديق القلب واما
اللسان الروحاني فهو للخواص وذكر القلب لطايف اصطناع الحق في تربية الاحوال وتزكية
الافعال واما اللسان الرباني فهو للعارفين وهو ذكر السر بقصد شكر الحق جل جلاله بعد ادراك
لطايف المعارف وغرايب الكواشف بعد المشاهدة والغيبة في الوجه واجتناء ثمرة الانس
وخوض الروح في بحر القدس وذوق الاسرار مباشرة الانوار لتباينهم في مقاماتهم ومقاصدهم
وقيل الحمد لله اي لا حامد لله الا الله وذكر عن جعفر الصادق في قوله تعالى الحمد لله من حمده بصفاته
كما وصف نفسه فقد حمده لان الحمد حاء وميم ودال فالحاء من الوحدانية والميم من الملك والدال من
الديمومية فمن عرفه بالوحدانية والديمومية والملك فقد عرفه قال رجل بين يدي الجنيد الحمد لله
فقال الجنيد اتمها كما قال الله قل رب العالمين فقال له الرجل من العالمون حتى تذكرهم مع الحق فقال قله يا اخي فان
الحدث اذا قارن بالقديم لا يبقى له اثر والرب في الاصل مصدر من التربية ربه وربّاه وقيل
لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن وهي تبليغ الشيء الى كماله شياً فشياً
ثم وصف به للمبالغة كالصوم والعدل ثم سمي به المالك لانه يحفظ ما يملكه ويربيه وقد قيل انه
اياه نعم هو الاسم الاعظم والعالم اسم لما يعلم به قال الراغب الفاعل كثيرا ما يجيء في اسم الآلة التي يفعل بها الشيء

كالخاتم والطابع والقالب فجعل بناءه على هذه الصيغة لكونه كالآلة في الدلالة على صانعه واختلفوا
في العالمين قال قتادة ومجاهد والحسن جمع المخلوقين قال الله تعالى قال فرعون وما رب العالمين
قال رب السموات والارض وما بينهما وعليه ما روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما الحمد لله رب العالمين
الحمد لله الذي له الخلق كله السموات والارضون ومن فيهن وما بينهن مما يعلم ومما لا يعلم وقال ابن عباس
برواية عكرمة وسعيد بن جبير وروى عن امير المومنين علي رضي الله عنه مثله هم الانس والجن لانهم
مكلفون بالخطاب قال الله تعالى ليكون للعالمين نذيرا وقال ابو عبيدة هم اربع امم الملائكة والانس و
الجن والشياطين واختلفوا في مبلغهم قال سعيد بن المسيب لله الف عالم ستماية في البحر واربعماية في البر
وقال مقاتل بن حيان ثمانون الف عالم اربعون الفا في البحر واربعون الفا في البر وقال وهب لله ثمانية
عشر الف عالم الدنيا عالم منها وما العمران في الخراب الا كفسطاط في الصحراء وقال كعب الاحبار لا يحصي عدد
العالمين واحدا الا الله عز وجل قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال الكاشف عن اشارات الفرقان
رب العالمين لانه اظهر نفسه عليهم حتى تلالا من بركاته ما هداهم الى معرفته فرباهم بها على قدر مقاماتهم
فربى المريدين بشعشعة انواره ولوايح اسراره وربى المحبين بحلاوة مناجاته ولذة خطابه ورؤية
المشتاقين بحسن وصاله وربى العاشقين بكشف جماله وربى العارفين بمشاهدة بقايه وحقايق انبساطه
وربى الموحدين برؤية الوحدانية والانانية في عين الجمع وجمع الجمع وقال محمد بن علي الترمذي
علم الله تواتر نعمه على عباده وغفلتهم عن القيام لشكره فاوجب عليهم في العبادة التي تكرر عليهم في اليوم
والليلة قراءة الحمد لله ليكون ذلك قياما بشكره وان تغفلوا عنه وابوا ذلك وقال بعضهم ذكر باسم الله
ثم قال الحمد لله ليعلم ان منه المبدء واليه المنتهى وقال الاستاذ ربي الاشباح بوجود النعم وربي
الارواح بشهود الكرم الرحمن الرحيم كرر ليكون اشارة الى اثباته تعالى بصفات الجمال كما ان قوله
تعالى مالك يوم الدين اشارة الى اثباته بصفات الجلال على ما اشير اليه قال الامام الرازي ليعلم
ان العناية بالرحمة اكثر منه بساير الامور كانه قيل اذكر اني اله ورب مرة واحدة واذكر اني رحمن
رحيم مرتين ثم لما بين الرحمة المضاعفة فكانه قال لا تغتروا بذلك فاني مالك يوم الدين ونظيره غافر
الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه الرحمن الرحيم
نفي بهما القنوط عن خلقه فله الحمد مالك يوم الدين قرأ بعض القراء مالك وقرأ آخرون ملك
فالمالك هو المتصرف في الاعيان المملوكة كيف شاء من الملك قال تعالى يوم لا تملك نفس لنفس
شيئا والامر يومئذ لله والملك هو المتصرف بالامر والنهي في المامورين من الملك قال تعالى
لمن الملك اليوم لله الواحد القهار الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوما على الكافرين عسيرا او
تخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه لانه قد تقدم الاخبار بانه رب العالمين وذلك

عام فى الدنيا فى الآخرة وانما اضيف الى يوم الدين لانه لايدعى احد هنالك شيأ ولايتكلم احد الا باذنه
كما قال يوم يقوم الروح والملايكة صفا لايتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا وقال يوم يأت لا تكلم
نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد قال الضحاك عن ابن عباس مالك يوم الدين يقول لايملك احد فى
ذلك اليوم معه حكما كملكهم فى الدنيا قال ويوم الدين يوم الحساب للخلايق يدينهم باعمالهم ان كان خيرا
فخير وان شرا فشر الا من عفا عنه والدين الجزاء والحساب فى الصحيحين عن ابى هريرة رضى الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقبض الله الارض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول انا الملك
اين ملوك الارض اين الجبارون اين المتكبرون قال الكاشف عن اشارات القرآن فى اسم الملك
رجاء المتقين وتخويف الهالكين يجازى مقاسات المفراق العاشقين بمشاهدته ونفايس كرامته
ويجازى هموم المحبين بكشف جماله وجلاله ويجازى معاملة الصادقين بادخالهم فى جنانه واسكانهم
فى جواره ايّاك نعبد وايّاك نستعين ما من صدق صفاته والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل
وهى ابلغ من العبودية التى هى اظهار التذلل والضمير فى الفعلين للقارى وساير الموحدين ادرج
عبادته فى عبادتهم وخلط حاجته بحاجتهم لعلها تقبل ببركتها ويجاب اليها فكانه قد ذكر عبادة نفسه و
عبادة جميع المومنين شرقا وغربا وكانه سعى فى اصلاح مهمات ساير المؤمنين قال عليه الصلوة والسلام
من قضى لمسلم حاجة قضى الله جميع حاجاته ولهذا شرعت الجماعة وتقديم ايّاك للتعظيم والاهتمام به
والدلالة على الحصر ولذلك قال ابن عباس معناه نعبدك ولانعبد غيرك وللتنبيه على ان العابد
ينبغى ان يكون نظره الى المعبود اوّلا وبالذات ومنه الى العبادة لا من حيث انها عبادة صدرت عنه
بل من حيث انها نسبة شريفة اليه ووصلة بينه وبين الحق فان العارف انما يحق وصوله اذا استغرق
فى ملاحظة جناب القدس وغاب عما عداه حتى انه لا يلاحظ نفسه ولا حالا من احوالها الا من حيث
انها ملاحظة له ومنتسبة اليه ولذلك فضل ما حكى الله عن حبيبه حين قال لاتحزن ان الله معنا
وقدم ذكر الله وادرج نفسه فى الرحمن فنظر الى المعبود بالاصالة والى نفسه بالتبع على ما حكاه
عن كليمه حيث قال انّ معى ربّى سيهدين قال بعض المحققين من كان نظره فى وقت النعمة على
المنعم لا على النعمة كان نظره فى وقت البلاء على المبلى لا على البلاء فيكون فى جميع الاحوال غريقا فى
معرفة الحق وهو اعلى مراتب السعادة ومن كان بالعكس كان فى الشقاوة فيكون فى وقت النعمة
خايفا من الزوال وفى وقت فواتها مبتلى بالنكال وتكرير الضمير للتنصيص على انه المستعان لاغير
وحذف متعلق قوله نستعين للدلالة على التعميم وانه المستعان فى الامور كلها وقد يقال المراد
نستعين فى اداء العبادات قال الضحاك عن ابن عباس ايّاك نستعين على طاعتك وعلى امورنا
كلها وفوايد العدول فى ايّاك من الغيبة الى الخطاب قد بسطت فى الحواشى منها ان العبادة

المستطابة والاستعانة المستجابة انما يكونان فى مقام الاحسان الذى هو ان يعبد ربك كانك تراه
ومخاطبة والاعلام بان الحمد والثناء ينبغى ان يكون على وجه يوجب ترقى الحامدين من حضيض
بعد الحجاب والمغايبة الى ذروة قرب المشاهدة والمخاطبة قال الكاشف عن اشارات القرآن
ايّاك نعبد اى بمعونتك نعبدك لا بحولنا وقوتنا وايّاك نستعين فى تمام عبوديتك ودام شرك
علينا حتى نرى تفضلك ولانظر الى اعمالنا وايّاك اى ايّاك نعبد لا برؤية المعاملات وطلب المكافات
وايّاك نستعين اى نستعينك بمزيد العناية بنعت العصمة من القطيعة وايضا ايّاك نعبد بالمراقبة
وايّاك نستعين بكشف المشاهدة وايضا ايّاك نعبد بعلم اليقين وايّاك نستعين بحق اليقين
قال بعض السلف الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة ايّاك نعبد وايّاك نستعين فالاول
تبرّئ من الشرك والثانى تبرّئ من الحول والقوة والتفويض الى الله عز وجل وهذا المعنى فى غير آية
من القرآن كما قال تعالى فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون قل هو الرحمن آمنّا به وعليه
توكلنا ربّ المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ لما قدم الثناء
على المسئول تبارك وتعالى ناسب ان يعقب بالسؤال كما قال فنصفها لى ونصفها لعبدى ما سأل
وهذا اكمل احوال السائل ان يمدح مسئوله ثم يسأل حاجته لانه انجح للحاجة ولهذا ارشد
الله تعالى اليه لانه الاكمل وقد يكون السؤال بالاخبار عن حال السائل واحتياجه كما قال
موسى ربّ انّى لما انزلت الىّ من خير فقير وقد يتقدمه مع ذلك وصف المسئول كقول
ذى النون لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين وقد يكون بمجرد الثناء على المسئول
كقول الشاعر شعر اذكر حاجتى ام قد كفانى، حياؤك انّ شيمتك الحياء، اذا اثنى عليك المرء يوما
كفاه من تعرضه الثناء، ثم اختلف عبارات المفسرين من السلف والخلف فى تفسير الصراط المستقيم
وان كان يرجع حاصلها الى شئ واحد وهو المتابعة لله وللرسول فروى عن علىّ وعبد الله
انه القرآن وقد تقدم فى فضايل القرآن عن علىّ رضى الله عنه هو حبل الله المتين وهو
الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وقيل هو الاسلام قال الضحاك عن ابن عباس قال جبرئيل
لمحمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد اهدنا الصراط المستقيم يقول الهمنا الطريق الهادى وهو الدين
الذى لا عوج فيه فى مسند الامام احمد وغيره عن النواس بن سمعان عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتى الصراط سوران فيهما ابواب مفتحة
وعلى الابواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول يا ايها الناس ادخلوا الصراط
ولا تعوجوا وداع يدعو من فوق الصراط فاذا اراد الانسان ان يفتح شيأ من تلك الابواب
قال ويحك لا تفتحه فانك ان فتحته تلجه فالصراط الاسلام والسوران حدود الله و

والابواب المفتحة محارم الله وذلك الداعى على رأس الصراط كتاب الله والداعى من فوق
واعظ الله فى قلب كل مسلم وهذا الدعاء من المؤمنين مع كونهم على الهداية بمعنى التثبيت
كما يقال للقايم قم حتى اعود اليك اى دم على ما انت عليه قال على وابى ابن كعب رضى الله عنهما
اهدنا ثبّتنا وبمعنى طلب المزيد لان الالطاف والهدايات من الله تعالى لا يتناهى قال الكاشف عن
الاشارات اهدنا الى معرفتك حتى نستريح من معاملتنا بنسيم انسك وحقايق حسنك وقيل اهدنا
هدى العيان بعد البيان ليستقيم لك على حسب ارادتك وقيل اهدنا الصراط المستقيم بالغيبوبة
عن الصراط لئلا يكون مربوطا بالصراط صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بدل من الاول وفايدته التوكيد
والتنصيص على ان طريق المسلمين هو المشهود عليه بالاستقامة لانه جعل كالتفسير والبيان
له فكانه من البيّن الذى لا خفاء فيه ان الطريق المستقيم ما يكون طريق المؤمنين قال
الكاشف اى منازل الذين انعمت عليهم بالمعرفة والمحبة وحسن الادب فى الخدمة وايضا
انعمت عليهم باليقين التام والصدق على الدوام واطلاعهم على مكايد النفس والشيطان و
كشف غرايب الصفات وعجايب انوار الذات والاستقامة فى جميع الاحوال وسعادة الهداية
الى القربة بالعناية الازلية وهم الانبياء والصديقون والمقربون والعارفون والامناء
والنجباء وقال جعفر بن محمد صراط الذين انعمت عليهم بالعلم بك والفهم منك وقيل صراط الذين
انعمت عليهم بمشاهدة المنعم دون النعمة وقيل صراط من انعمت عليهم بان حفظت عليهم اداء
الشريعة واحكامها عند غلبات بوادى الحقايق حتى لم يخرجوا عن حد العلم ولم يخلوا بشئ من احكام
الشرع غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ اى غير صراط الذين غضب عليهم وصراط الضالين
عن الهدى قيل المغضوب عليهم اليهود لقوله تعالى منهم من لعنه الله وغضب عليه والضالين
النصارى لقوله قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا وقد روى مرفوعا قال الكاشف يعنى المطرودين
عن باب العبودية والمفلسين عن نفايس المعرفة عن ابى هريرة رضى الله عنه ان النبىّ
صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الامام غير المغضوب عليهم ولا الضالين فقولوا آمين فان الملايكة
تقول آمين وان الامام يقول آمين فمن وافق تأمينه تأمين الملايكة غفر له ما تقدم من ذنبه
قال الامام محيى السنة صحيح اخرجه الترمذى وغيره عن سمرة ابن جندب انه حفظ سكتتين عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم سكتة اذا كبر وسكتة اذا فرغ من قراءة غير المغضوب عليهم ولا الضالين
فالسنة كما ذكره الايمة ان يقال آمين بعد سكتة لطيفة وفى صحيح مسلم عن ابى موسى مرفوعا اذا
قال يعنى الامام ولا الضالين فقولوا آمين يجبكم روى الشيخ ابن الكثير باسناده عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل من لا يقول آمين كمثل رجل غزا مع قوم فاقترعوا

فخرجت سهامهم ولم يخرج سهمه فقال لم يخرج سهمى فقيل انك لم تقل آمين عن ابن عباس
قال قلت يا رسول الله ما معنى آمين قال رب افعل قال ابن عطاء اى كذلك فافعل ولا
تكلنى الى نفسى طرفة عين سُورَةُ الْبَقَرَة ذكر ما ورد فى فضلها روى الدارمى فى مسنده
عن ابن مسعود قال ما من بيت يقرء فيه سورة البقرة الا خرج منه الشيطان وله ضراط
وقال ان لكل شئ سناما وان سنام القرآن سورة البقرة وان لكل شئ لبابا وان لباب القرآن الطوال
المفصل وروى ايضا من طريق الشعبى قال قال عبد الله بن مسعود من قرء عشر آيات من سورة
البقرة فى ليلة لم يدخل الشيطان ذلك البيت فى تلك الليلة اربع من اولها وآية الكرسى وآيتان
بعدها وثلث آيات فى آخرها وفى رواية لم يقربه ولا اهله يومئذ شيطان ولا شئ يكرهه
ولا تقرأن على مجنون الا افاق قال المغيرة بن سبيع وكان من اصحابه من قرأ هؤلاء الآيات
عند منامه لم ينس القرآن وسهيل بن سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ
سناما وان سنام القرآن البقرة من قرأها فى بيته ليلة لم يدخل عليه شيطان ثلث ليال ومن قرأها
فى بيته نهارا لم يدخله شيطان ثلثة ايام رواه ابو القسم الطبرانى وابو حاتم بن حبان فى صحيحه
وقد روى الترمذى والنسايى وابن ماجة عن ابى هريرة رضى الله عنه قال بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد فاستقرأ كل واحد منهم يعنى ما معه من القرآن فاتى على
رجل من احدثهم سنا فقال ما معك يا فلان قال معى كذا وكذا وسورة البقرة فقال امعك
سورة البقرة قال نعم قال اذهب فانت اميرهم فقال رجل من اشرافهم والله ما منعنى ان اتعلم
البقرة الا انى خشيت ان لا اقوم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا القرآن واقرؤه
فان مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب اوكى على مسك هذا لفظ رواية الترمذى
ثم قال هذا حديث حسن وفى صحيح البخارى عن اسيد بن الحضير قال بينما هو يقرأ من الليل سورة
البقرة وفرسه مربوطة عنده اذ جالت الفرس فسكت فسكنت فقرأ فجالت الفرس فسكت فسكنت
ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فاشفق ان تصيبه فلما اخذه رفع رأسه
الى السماء حتى ما يراها فلما اصبح حدث النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابن حضير قال فاشفقت يا رسول
الله ان تطأ يحيى وكان منها قريبا فرفعت رأسى وانصرفت اليه فرفعت رأسى الى السماء فاذا
مثل الظلة فيها امثال المصابيح فخرجت حتى لا اراها قال وتدرى ما ذاك قال لا قال تلك الملايكة دنت
لصوتك ولو قرأت لاصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم وقد روى من وجوه آخر عن اسيد بن
حضير وروى الشيخ ابن الكثير باسناده من سلام بن يزيد ان اشياخ اهل المدينة حدثوه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل له الم تر ثابت بن قيس بن شماس لم يزل داره البارحة
تزهر مصابيح قال فلعله قرأ سورة البقرة قال فسئل ثابت فقال قرأت سورة البقرة وفى مسند احمد
البقرة سنام القرآن وذروته نزل مع كل آية ثمانون ملكا ما ورد فى فضلها مع آل عمران فى صحيح

عن ابى امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اقرؤا القرآن فانه شافع لا
صحابه يوم القيمة اقرؤا الزهراوين البقرة وآل عمران فانهما تاتيان يوم القيمة كانهما غمامتان
او كانهما غيايتان او كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن اهلهما ثم قال اقرؤا البقرة فان اخذها
بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة الزهراوان المنيرتان والغيايه ما اظلك من فوقك
والفرق القطعة من الشئ والصواف المصطفة المتضامة والبطلة السحرة ومعنى لا يستطيعها
اى لا يمكنهم حفظها وقيل لا يستطيع النفوذ فى قارئها والله اعلم وزاد فى رواية مام عبد
لقراءتها فى ركعة قبل ان يسجد ثم يسال الله شيئا الا اعطاه وروى الشيخ ابن الكثير باسناده
عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان من قرء البقرة وآل عمران كان او كتب من القانتين وفيه
انقطاع ولكن ثبت فى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرءهما فى ركعة واحدة وروى باسناده
ايضا ان رجلا قرأ البقرة وآل عمران ولما قضى صلوته قال له كعب اقرأت البقرة وآل عمران قال
نعم قال فو الذى نفسى بيده ان فيهما اسم الله تعالى الذى اذا دعى به استجاب **فصل**
منقول من تفسير الشيخ ابن الكثير البقرة جميعها مدنية بلا خلاف قال بعض العلماء وهى مشتملة على
الف خبر والف امر والف نهى قال العادون آياتها مائتان وثمانون وسبع آيات وكلماتها
ستة الاف كلمة ومائة واحدى وعشرون كلمة وحروفها خمسة وعشرون الفا وخمسمائة حرف
روى مسندا عن انس بن مالك عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقولوا
سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذا القرآن كله ولكن قولوا السورة التى
يذكر فيها البقرة والتى يذكر فيها آل عمران وكذا القرآن كله قال وهذا حديث غريب لا يصح رفعه
وفى رواية عيسى بن ميمون ابو سلمة الخواص وهو ضعيف الرواية لا يحتج به وقد ثبت فى الصحيح
عن ابن مسعود انه رمى الجمرة من بطن الوادى فجعل البيت عن يساره ومنى عن يمينه ثم قال هذا
مكان الذى انزلت عليه سورة البقرة وروى باسناده عن عتيبة بن مرثد قال راى النبى صلى الله
عليه وسلم فى اصحابه تاخرا فقال يا اصحاب سورة البقرة واظن ان هذا كان يوم حنين حين تولوا
مدبرين امر العباس فناداهم يا اصحاب الشجرة يعنى اهل بيعة الرضوان وفى رواية يا اصحاب
سورة البقرة ينشطهم بذلك فجعلوا يقبلون من كل وجه وكذلك يوم اليمامة مع اصحاب مسيلمة جعل
الصحابة يفرون لكثافة جيش بنى حنيفة فجعل المهاجرون والانصار يتنادون يا اصحاب سورة
البقرة حتى فتح الله عليهم رضى الله تعالى عنهم اجمعين **بسم الله الرحمن الرحيم**
الم **قال** جماعة الم وساير حروف الهجاء فى اوائل السور من المتشابه الذى استاثر الله تعالى
بعلمه وهى سر القرآن فنحن نؤمن بظاهرها ونكل العلم فيها الى الله تعالى قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه
فى كل كتاب سر وسر الله فى القرآن اوائل السور قال داود بن وهب بن ابى هند كنت اسئل الشعبى
عن فواتح السور فقال يا داود ان لكل كتاب سرا وان سر القرآن فواتح السور

فدحها لا تسئل عن ذلك وانكر طائفة من المتكلمين هذا القول وقالوا لا يجوز ان يرد فى كتاب الله ما لا يكون
مفهوما للخلق واحتجوا فى الاحتجاج عليه والجواب عنه قال الامام الرازى الافعال التى كلفنا بها
قسمان منها ما يعرف وجه الحكمة فيها على الجملة بعقولنا كالصلوة والزكوة والصوم فان الصلوة
تضرع وتواضع والزكوة سعى فى دفع حاجة الفقير والصوم سعى فى كسر الشهوة ومنها ما لا يعرف
وجه الحكمة فيه كافعال الحج فانا لا نعرف بعقولنا وجه الحكمة فى رمى الجمرات والسعى بين الصفا
والمروة والرمل والاضطباع ثم اتفق المحققون على انه كما يحسن من الحكيم تعالى ان يامر عباده بالنوع
الاول فكذا يحسن الامر بالنوع الثانى لان الطاعة فى النوع الاول لا تدل على كمال الانقياد لاحتمال
ان المامور انما اتى به لما عرف بعقله من وجه المصلحة فيه اما الطاعة فى النوع الثانى فانه يدل على كمال
الانقياد ونهاية التسليم لانه لما لم يعرف فيه وجه مصلحة البتة لم يكن اتيانه الا لمحض الانقياد والتسليم
فاذا كان الامر كذلك فى الافعال فلم لا يجوز ايضا ان يكون الامر كذلك فى الاقوال وهو ان يامرنا الله تعالى
تارة بان نتكلم بما نقف على معناه وتارة بما لا نقف على معناه والمقصود من ذلك ظهور الانقياد والتسليم
من المامور للامر بل فيه فائدة اخرى وهى ان الانسان اذا وقف على المعنى واحاط به سقط
وقعه عن القلب واذا لم يقف على المقصود مع قطعه بان المتكلم بذلك احكم الحاكمين فانه يبقى
قلبه ملتفتا اليه ابدا ولباب التكليف اشتغال السر بذكر الله والتفكر فى كلامه وقيل هو سر الحق
الى حبيبه صلوات الله عليه والتسليم ولو علم سر الحبيب غيره لا اساء نقول لو يعلمون ما اعلم اى من حقائق
سر الحق وهو الحروف المفردة فى الكتاب وقال على المرتضى رضى الله عنه ان لكل كتاب صفوة وصفوة
هذا الكتاب حروف التهجى وقال جعفر الصادق الم رمز واشارة بينه وبين حبيبه صلى الله عليه وسلم
اراد ان لا يطلع عليه سواهما اخرجه بحروف بعدت عن درك الاغيار وقال بعض العارفين العلم
بمنزلة البحر فاجرى منه واد ثم اجرى من الوادى نهر ثم اجرى من النهر ساقية فلو اجرى الى الجدول
ذلك الوادى لاغرقه وافسده ولو سال البحر الى الوادى لافسده وهو المراد من قوله تعالى انزل من السماء
ماء فسالت اودية بقدرها فبحور العلم عند الله تعالى فاعطى الرسل منها اودية ثم اعطت الرسل
من اوديتهم انهارا الى العلماء ثم اعطت العلماء الى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ثم اجرت
العامة الى اهاليهم بقدر طاقتهم وعلى هذا ما روى فى الخبر للعلماء سر وللخلفاء سر وللانبياء سر ولله تعالى
من ذلك كله سر فلو اطلع الجهال على سر العلماء لابادوهم ولو اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ولو
اطلع الخلفاء على سر الانبياء لخالفوهم ولو اطلع الانبياء على سر الملائكة لاتهموهم ولو اطلع الملائكة على
سر الله لطاحوا حائرين ونادوا بائرين والسبب فى ذلك ان العقول الضعيفة لا تحتمل الاسرار القوية
كما لا تحتمل نور الشمس ابصار الخفافيش فلما زيدت الانبياء فى عقولهم قدروا على احتمال اسرار النبوة
كما زيدت العلماء فى عقولهم فقدروا على احتمال ما عجزت العامة وكذلك علماء الباطن وهم الحكماء زيدت
عقولهم فقدروا على احتمال ما عجزت عنه علماء الظاهر **وقال** جماعة هى معلومة المعانى واختلف

هؤلاء فى معناها فالاكثر على انها اسماء السور وهو اختيار الخليل وسيبويه ويؤيد هذا ما ورد
فى الصحيحين عن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى صلوة الصبح يوم
الجمعة الم السجدة وهل اتى على الانسان وقال المبرد ان الله تعالى انما ذكرها احتجاجا على الكفار
وذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم لما تحدى بمثل القرآن او بعشر سور او بسورة واحدة فعجزوا عنه
انزلت هذه الاحرف تنبيها على ان القرآن ليس الا من هذه الحروف وانتم قادرون عليها وعارفون
بقوانين الفصاحة فكان يجب ان ياتوا بمثل هذا القرآن فلما عجزتم عنه دل ذلك على انه من عند الله
لا من البشر ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فقيها الانتصار للقرآن وبيان اعجازه وعظمته وهذا
معلوم بالاستقراء قال تعالى الم ذلك الكتاب لا ريب فيه الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك
الكتاب بالحق المص كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس
من الظلمات الى النور باذن ربهم الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين حم تنزيل من الرحمن الرحيم
حم عسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم وهذا مختار جمع عظيم من المحققين
وقال بعضهم ان التكلم بهذه الحروف وان كان معتادا لكل احد الا ان كونها مسماة بهذه الاسماء لا يعرفه
الا من اشتغل بالتعلم والاستفادة فلما اخبر الرسول عنها من غير سبق تعلم واستفادة كان ذلك اخبارا
عن الغيب فلهذا السبب قدم الله تعالى ذكرها ليكون اول ما يسمع من هذه الحروف معجزة دالة على صدقه
وقال سالم بن عبد الله وغيره انها اسماء الله تعالى روى عن على رضى الله عنه كان يقول يا كهيعص يا
حم عسق وقال سعيد بن جبير انها ابعاض اسماء الله تعالى والرحمن مجموعها هو اسم الرحمن ولكنا
لا نقدر على كيفية تركيبها فى البواقى وقال السدى وقتادة والكلبى انها اسماء القرآن وقال بعضهم عن
ابن عباس كل واحد منها دال على اسم من اسماء الله وصفة من صفاته فالالف اشارة الى انه تعالى
احد اول آخر ازلى واللام اشارة الى انه لطيف والميم الى انه ملك مجيد منان وقال كهيعص انه
ثناء من الله تعالى على نفسه فالكاف يدل على كونه كافيا والهاء على كونه هاديا والعين على العالم والصاد
على الصادق وذكر ابن جرير عن ابن عباس انه حمل الكاف على الكبير والكريم والياء على انه يجير
والعين على العزيز والعدل وقال ابو صالح وسعيد بن جبير عن ابن عباس بعضها دال على اسماء الذات
وبعضها على اسماء الصفات قال فى الم انا الله اعلم وفى المص انا الله اعلم وافصل وفى الر انا الله ارى
قال السدى عن ابن عباس هى اسم الله الاعظم وقال محمد بن كعب القرظى كل واحد منها يدل على صفات
الافعال فالالف آلاؤه واللام لطفه والميم مجده وقال الضحاك بعضها يدل على اسماء الله وبعضها يدل
على اسماء غير الله فالالف من الله واللام من جبرئيل والميم من محمد اى انزل الله الكتاب على لسان جبرئيل
على محمد عليهما الصلوة والسلام وقال الاخفش ان الله تعالى اقسم بالحروف المعجمة لشرفها وفضلها ولانه
مبانى كتبه المنزلة بالالسنة المختلفة ومبانى اسماء الله الحسنى وصفاته العلى واصول كلام بها يتعارفون
ويذكرون الله ويوحدون ثم انه تعالى اقتصر على ذكر البعض وان كان المراد هو الكل كما تقول قرأت

الحمد وتريد السورة بالكلية فكانه تعالى اقسم بهذه الحروف ان هذا الكتاب هو ذلك الكتاب المثبت
فى اللوح المحفوظ وقال بعض العارفين تحيرت عقول الخلق فى ابتداء خطابه وهو محل الفهم ليعلموا
ان لا سبيل الى معرفة حقائق خطابه وقال ابو العالية انه اشارة الى مدد آجال اقوام بحساب الجمل
متمسكا بما روى انه صلى الله عليه وسلم لما اتاه اليهود تلا عليهم الم البقرة فحسبوه وقالوا كيف ندخل فى
دين مدته احدى وسبعون سنة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا فهل غيره فقال
المص والر والمر فقالوا خلطت علينا فلا ندرى بايها ناخذ وقال ابو جعفر الرازى عن الربيع بن انس
عن ابى العالية فى قوله الم قال هذه الاحرف الثلثة من التسعة والعشرين حرفا دارت فيها الالسن
كلها ليس منها حرف الا وهى مفتاح اسم من اسمائه وليس منها حرف الا وهو من آلائه وبلائه و
ليس منها حرف الا وهو فى مدة اقوام وآجالهم قال وللمانع من دلالة الحرف على اسم من اسماء الله
وعلى صفة من صفاته وعلى مدة وغير ذلك لان الكلمة الواحدة يطلق على معان كثيرة كلفظ امة
تطلق على الدين كقوله تعالى انا وجدنا آباءنا على امة وعلى الرجل المطيع ان ابراهيم كان امة قانتا
وعلى الحين وادكر بعد امة اى بعد حين على اصح القولين قال الشيخ ابن الكثير وليس هذا كما ذكر
ابو العالية فان ابا العالية على ان الحرف دل على هذا وعلى هذا معا ولفظ الامة وما اشبهه من
الالفاظ المشتركة فى الاصطلاح انما دل فى القرآن فى كل موطن على معنى واحد دل عليه سياق الكلام
فاما حمله على مجموع محامله اذا امكن فمسئلة مختلف فيها بين علماء الاصول ليس هذا موضع البحث
فيها انتهى كلام الشيخ ولعل مذهب ابى العالية رضى الله عنه يوافق ما ذهب اليه الشافعى رضى الله عنه
من جواز حمل اللفظ المشترك على معانيه الغير المتضادة ورأى انه المناسب فى الكلمات الجامعة القرآنيه
لعلام الغيوب لكونه اشمل ويكون الاقوال المتنوعة المتكثرة للائمة المفسرين كلها مرادة ثم الانسب
فى الجمع بين الاقوال المنقولة فى الحروف المقطعة ان يقال انها سر استاثر الله تعالى بها وسترها
على الغير على ما اشار اليه الصديق رضى الله عنه لكن خص رسوله المصطفى صلى الله عليه وسلم ببعض
تلك الاسرار رمزا واشارة بينه وبين حبيبه خارجا عن درك الاغيار على ما اشار اليه المرتضى والامام
صلى الله على النبى وعليهم وسلم وفيها تنبيه على اعجاز القرآن على ما نقل من المحققين وعلى صدق
النبى الامى على ما اشار اليهم بعضهم منهم صاحب الكشاف رحمة الله عليه فهو اشارة الى مجموع ما ذكروه وما
لم يذكروه من الاشارات على وجه يعجز عنه الاديب على ما بسط فى الكشاف ومختصراته ومحل
الكلام فى بعضها انه اورد فى فواتح السور نصف حروف المعجم اربعة عشر وهى الالف واللام
والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون
فى تسع وعشرين سورة بعدد حروف المعجم اذا عدت الالف مشتملة على انصاف اجناس الحروف

من المهموسه والمجهوره من الشديده والرخوه ومن المطبقه والمنفتحه ومن المستعليه والمنخفضه
ومن القلقلة وغيرها ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رايت الحروف التى التى الله ذكرها من هذه
الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذى دقت فى كل شئ حكمته وقد علمت ان معظم
الشئ وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكان الله تعالى عدد على
العرب الالفاظ التى فيها تراكيب كلامهم اشاره الى من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما كانه ورود
الالف واللام جاثيا فى معظم هذه الفواتح مكررتين وهى فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت
ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر قال صاحب الكشاف
فهلا عددت باجمعها فى اول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور قلت لان اعادة التنبيه على
ان المتحدى له مؤلف منها لا غير وتجديده فى غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر فى الاسماع
والقلوب من ان تفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء فى القرآن فمطلوب به تمكين المكرر فى
النفوس وتقريره قال العلامة التفتازانى بعد ما قرر ان العدول عن الظواهر على ما يدعيها
الملاحدة المسماة بالباطنيه من ان النصوص ليست على ظواهرها بل لها معان باطنة لا يعرفها الا المعلم
القاصدين بذلك نفى الشريعه بالكليه الحاد وكفر لكونه تكذيبا للنبى صلى الله عليه وسلم فيما علم مجيئه بالضرورة
واما ما يذهب اليه بعض المحققين من ان النصوص على ظواهرها ومع ذلك ففيها اشارة خفيه
الى دقائق ينكشف على ارباب السلوك يمكن التطبيق بينها وبين الظواهر المراده فهو من كمال الايمان ومحض
العرفان قال الكاشف قيل الالف الف الوحدانية واللام لام اللطف والميم ميم الملك معناه من وحدنى على
الحقيقة باسقاط العلائق والاعراض بلطفت له فاخرجته من العبوديه الى الملك الاعلى وهو الاتصال
بمالك الملك دون الاشتغال بشئ من الملك وقال ابن مسعود عرضت الاحرف المعجمة على الرحمن وهى
تسعه وعشرون حرفا فتواضع الالف من بين الحروف فشكر الله تعالى له تواضعه فجعله قائما وجعل مفتاح
كل اسم من اسمائه ذلك الكتاب قال ابن عباس ذلك الكتاب هذا الكتاب وهذا اشاره منه الى ان ذلك
وضع موضع هذا للتعظيم والكتاب القرآن لا ريب فيه عن ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم
لا شك فيه ومعناه انه بحيث لا يرتاب العاقل بعد النظر الصحيح فى كونه وحيا منزلا من عند الله كما قال
فى السجدة الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين لا ان احدا لا يرتاب فيه الا ترى الى قوله تعالى
وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الآية قال الكاشف من اشارات العرفان اى لا تهمة فيما كشفت لك
اسرار الانبياء والاولياء من لطائف خطابى وغرائب اسرارى وايضا لا معارضه للنفس فيما عاينت
الروح من سر الملكوت وقيل لا ريب فيه لمن طهرت سره بنور الاطلاع على لطائف معاينه هدى لا
يكتنه كنهه والهدى ما يهتدى به الانسان للمتقين قال ابن عباس المتقى ما يتقى الشرك والكبائر و

فالتقوى فى اللغه

قال عمر بن الخطاب لكعب الاحبار رضى الله عنهما حدثنى عن التقوى فقال هل اخذت طريقا ذا شوك
قال نعم قال فما عملت فيه قال حذرت فتشمرت قال كعب ذلك التقوى وقال ابن عمر التقوى ان لا
ترى نفسك خيرا من احد وسئل عن الحسن البصرى قوله للمتقين فقال اتقوا ما حرم عليهم وادوا
ما افترض عليهم وفى الحديث جماع التقوى فى قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء
ذى القربى الآيه وفى الترمذى لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا باس به حذرا
لما به الباس قال الكاشف اى هاديا للعارفين الى نفسى وايضا بيانا لعجائبى وبين عبادى من
اسرار الربوبيه والعبوديه وايضا مرشدا للمريدين الى احسن الآداب وهاديا للمحبين الى احسن
الثواب ومفسرا للعارفين حقايق الخطاب قال ابن عطاء طريقه لمن اراد قربى وقال ابو يزيد المتقى
من اذا قال قال لله واذا عمل عمل لله وقيل المتقى من اتقى تقواه ولم ير نجاته الا بفضل مولاه وقال
سهل بيانا لمن تبرا من حوله وقوته والمتقى الذى وصفه الله تعالى هو الذى عزل عن الاكوان
والحدثان تورعا عن اغوار الشيطان وتخلقا بخلق الرحمن الذين يؤمنون بالغيب قال ابن
عباس الغيب ههنا كل ما امرت بالايمان به مما غاب عن بصرك من الملائكه والبعث والجنه والنار والصراط
والميزان وقال الحسن الآخرة وقال ابن كيسان بالقدر وقال عبد الرحمن بن يزيد كنا عند
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما سبقونا به فقال عبد الله رضى الله عنه ان امر محمد صلى الله عليه
وسلم كان بينا لمن رآه والذى لا اله غيره ما آمن احد قط ايمانا افضل من ايمان بغيب ثم قرا الم ذلك
الكتاب لا ريب فيه الى قوله المفلحون قال الشيخ ابن الكثير نقلا عن الحاكم الحديث صحيح على شرط الشيخين
ونحو هذا الحديث الذى رواه الامام احمد باسناده عن ابن محيريز قال قلت لابى جمعة حدثنا حديثا
سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم احدثك حديثا جيدا تغدينا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ومعنا ابو عبيده بن الجراح فقال يا رسول الله احد خير منا اسلمنا معك وجاهدنا معك قال نعم
قوم من بعدكم يؤمنون بى ولم يرونى طريق اخرى عن صالح بن جبير قال قدم ابو جمعة الانصارى
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس ليصلى فيه ومعنا يومئذ رجاء بن حيوة فلما انصرف
خرجنا نشيعه فلما اراد الانصراف قال ان لكم جائزة وحقا احدثكم بحديث سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم قلنا هات رحمك الله قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعنا معاذ بن جبل
عاشر عشرة فقلنا يا رسول الله هل من قوم اعظم اجرا منا آمنا بك واتبعناك قال ما يمنعكم من ذلك
ورسول الله بين اظهركم ياتيكم بالوحى من السماء بل قوم من بعدكم ياتيهم كتاب بين لوحين يؤمنون به
ويعملون بما فيه اولئك اعظم منكم اجرا مرتين قال وهذا الحديث فيه دليل على العمل بالوجادة التى
اختلف فيها اهل الحديث وذكر انهم اعظم اجرا من هذه الحيثية لا مطلقا ولذلك الحديث الآخر انه

عبد الله بن مسعود فذكرنا اصحاب صح

حدثنا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الخلق اعجب اليكم ايمانا قالوا الملائكة قال وما لهم لا يؤمنون وهم
عند ربهم قالوا فالنبيون قال وما لهم والوحى ينزل عليهم قالوا فنحن قال وما لكم لا تؤمنون وانا بين اظهركم
قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان اعجب الخلق الى ايمانا القوم يكونون من بعدكم يجدون
صحفا فيها كتاب يؤمنون بما فيها قال الكاشف الغيب ما غاب عن الابصار منكشفا بنعت الانوار لعيون
الاسرار والايمان بالغيب هو تفرس الروح بنور اليقين مشاهدة الحق سبحانه وتعالى وايضا الايمان
تصديق القلب وجدان الروح رؤية الرب جل وعلا والمؤمنون هم الذين صدقوا مواعيد الغيوب
بعد ادراكهم مواجيد قلوبهم من دونها ومواجيد قلوبهم لا تكون الا من رؤية ابصار بصائرهم انوار غيب
الغيب وترائى الغيب لا تكون لروح الناطقه الا بعد ان يؤيدها الحق بتبين البراهين واستكشاف
حقائق الاستدلال بشهود الحال رؤية المدلول واستحكام انوار البصيرة فاذا اكملت هذه الاوصاف
للروح ابصرت مجارى الغيب وتمكنت تحت دكوم انوار اليقين وستار قدس الحق بنعت بروزه
فى لباس حق اليقين وحقيقة حق اليقين لا يحصل بالتحقيق الا بعد انسلاخ السر عن الاستشهاد و
الاستدلال فاذا فرغ منها اوصله التاييد الى مراتب الكشوف وايضاح العرفان واذا عاين مكشوفات
الغيب ببصر العرفان دخل فى سجوف انوار عز الحق واغناه الحق بلوائح البيان عن طلب المشاهدة بالفكر
فى الحدثان ويطلع له شموس انوار القدم وتخلصه بجمالها عن اقباس مصابيح البراهين واذا برق البرق
بهذه المعانى اشرق له حق الغيب باوصافه وصار فى كل حال شاهد المشاهدة يرى فى جميع الانفاس
عالم الملكوت وجمال الجبروت وهذا صفه قلب النبى صلى الله عليه وسلم قال الشبلى لما صفت ارواحهم
وشرقت هوميهم اشرفوا على اسرار الغيب لعظم اماناتهم وقال الاستاد حقيقة الايمان التصديق ثم التحقيق
وموجب الامرين التوفيق فالتصديق بالعقل والتحقيق ببذل الجهد فى حفظ العهد وفرسان اهل الغيب
خمس طوائف النفوس والارواح والعقول والقلوب والاسرار ومشاربهم متفاوتة وقايده التوفيق
يقود طائفة السعادة الى مناهل القربه وسائق الخذلان يسوق طائفة الشقاوة الى موارد الشهوة
والزهاد هم اصحاب العقول ومشربهم الطاعات والعبادات والمحبون هم اصحاب القلوب ومشربهم
الوجود والحالات والعارفون هم اصحاب الارواح ومشربهم المراقبات والانس فى الخلوات والموحدون
هم اصحاب الاسرار ومشربهم التفرد عن الاكوان والتجرد عن الحدثان والبطالون هم اصحاب النفوس
ومشربهم الدعاوى والاباطيل والترهات والمزخرفات قال ابو يزيد لا يؤمن بالغيب من لم يكن
معه سراج من الغيب وقال بعض العراقيين الغيب هو مشاهدة الكل بعين الحق ويقيمون الصلوة
قال ابن عباس اى يتمون الصلوة بفروضها وقال الضحاك عن ابن عباس اقامة الصلوة اتمام
الركوع والسجود والتلاوة والخشوع والاقبال عليه فيها وقال قتادة اقامة الصلوة المحافظة على مواقيتها

رحم الشئ بركه او احجه والكمه الطين المجوع والركام الرمل المتراكم

الترهات الطرق الصغار عن الجاده استعير فى الباطل والزخرف الذهب ثم شبه به كل مموه ومزور والمزخرف المزين

ووضوئها

ووضوئها وركوعها وسجودها قال الكاشف اقامة الصلوة حفظ اداب العبوديه فى جناب
الربوبيه بنعت الافتقار الى مشاهدة الملك الجبار لان فى الصلوة قرة عيون العارفين ومناجات
المحققين ومشاهدة الحق للسابقين وقال ابن عطاء اقامة الصلوة حفظ حدودها مع حفظ السر
مع الله ان لا يختلج بسره سواه ومما رزقناهم ينفقون يتصدقون عن ابن عباس زكوة اموالهم
وعنه وعن ابن مسعود وناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الرجل على اهله و
قال قتادة ينفقون فى طاعة الله وسبيله قال الكاشف اى يطلبون قرب الرازق بخروجهم عن
الارزاق وايضا يتقربون اليه بما نالوا منه وايضا يتخلقون بخلقه فى الاكرام والاعطاء وايضا يتحدثون
بما وجدوا من انوار الكواشف وكرائم المعارف عند السالكين والصادقين والذين يؤمنون بما انزل
اليك يعنى القرآن وما انزل من قبلك من التوريه والانجيل وساير الكتب المنزلة على الانبياء عليهم
السلام وبالآخرة وبالدار الآخرة سميت الآخرة آخرة لتاخرها وكونها بعد الدنيا كما سميت
الدنيا دنيا لدنوها من الآخرة هم يوقنون اى يستيقنون انها كائنة عن ابن عباس رضى الله عنه
وابن مسعود وناس من الصحابة رضى الله عنهم اجمعين ان الموصوفين بهذا مؤمنوا اهل الكتاب و
اختاره ابن جرير لمثل قوله تعالى وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم
خاشعين لله الآية وقوله تعالى الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به
انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة
السيئة ومما رزقناهم ينفقون ثبت فى الصحيحين عن ابى موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ثلثة يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بى ورجل مملوك ادى حق الله
وحق مواليه ورجل ادب جاريته فاحسن تاديبها ثم اعتقها وتزوجها وقال مجاهد وابو العالية و
الربيع ابن انس وقتادة الموصوفون بهذا هم الموصوفون اولا وهم كل مؤمن مؤمنوا اهل
العرب واهل الكتاب وغيرهم قال الشيخ ابن الكثير لكن لمؤمنى اهل الكتاب خصوصية وذلك انهم
يؤمنون بما بايديهم مفصلا فاذا دخلوا فى الاسلام وآمنوا به مفصلا كان لهم على ذلك الاجر مرتين
واما غيرهم فانما يحصل له الايمان بما تقدم مجملا كما جاء فى الصحيح اذا حدثكم اهل الكتاب فلا تصدقوهم
ولا تكذبوهم ولكن قولوا آمنا بما انزل الينا وما انزل اليكم ولكن قد يكون ايمان كثير من العرب بالاسلام
الذى بعث به محمد صلى الله عليه وسلم اتم واكمل واعم واشمل من ايمان من دخل منهم فى الاسلام فهم
وان حصل لهم اجران من تلك الحيثية فغيرهم قد يحصل لهم من التصديق ما ينيف على الاجرين
اللذين حصلا لهم والله اعلم اولئك المتصفون بما تقدم من الايمان بالغيب واقام الصلوة
والانفاق من الذى رزقهم الله والايمان بما انزل الى الرسول ومن قبله من الرسل والايقان

السيف الرباد

من ربهم

بالدار الآخرة عَلَى هُدًى ورشد لايكتنه كنهه وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الفايزون بالمطلوب
والفلاح الظفر وادراك المطلوب وذلك ضربان دنيوى واخروى فالدنيوى الظفر بالسعادات
التى بها يطيب حيوة الدنيا وهو البقاء والغناء والعز والاخروى اربعة اشياء بقاء بلا فناء
وغنى بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل ولذلك قيل لاعيش الا عيش الآخرة وقال وان الدار
الآخرة لهى الحيوان قال الكاشف اى اولئك على حقيقة تعين متصله بانوار المعرفة
من الله بلا معارضة النفس وريب الشيطان مفلحون من مكايدهما ووسواسهما وايضا مفلحون
من الله بالله وقيل اولئك لزموا المواصلة بالانفصال عما سوى الحق فافلحوا فانقطع الحجب عن
قلوبهم فشاهدوا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا نزلت فى قوم حقت عليهم الشقاوة فى سابق علم الله قيل هم
مشركوا العرب وقال الكلبى هم اليهود قال على ابن ابى طلحة عن ابن عباس انه قال كان رسول
صلى الله عليه وسلم يحرص ان يومن جميع الناس ويتابعوه على الهدى فاخبره الله تعالى انه لا يومن
الا من سبق له من الله السعادة فى الذكر الاول سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ متساوية عليهم وضع السواء بمعنى
الاستواء الذى هو المصدر موضع اسم الفاعل للمبالغة أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ انذارك اياهم
وعدمه يعنى انذارك وعدمه سيان عليهم والانذار الاعلام مع التخويف والتحذير والكفر فى اللغة
ستر النعمة وفى الشرع انكار ما علم بالضرورة مجى الرسول به وعدم تصديقه فى ذلك كما ان الايمان
تصديقه بما ذكر وهو على اربعة اقسام كفر انكار وكفر جحود وكفر عناد وكفر نفاق فكفر الانكار
هو ان لايعرف الله به وكفر الجحود وهو ان يعرف الله بقلبه ولا يعترف باللسان ككفر ابليس وكفر اليهود
قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وكفر العناد وهو ان يعرف بقلبه ويعترف بلسانه ولا يدين
ككفر ابى طالب حيث يقول ولقد علمت ان دين محمد من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة
لوجدتنى سمحا بذاك مبينا واما كفر النفاق فهو ان يقر باللسان ولا يعتقد بالقلب لَا يُؤْمِنُونَ
جملة مبينة لاجمال ما قبلها فيما فيه الاستواء قال الكاشف اى ان الذين احتجبوا عنا بحظوظ البشرية
سواء عليهم انذارك بقطيعتنا عنهم وتخويفك بعقوبتنا عليهم لانهم فى تيه الغفلة عن مباشرة المعرفة
لا يعرفون باللقاء والمشاهدة لاستغراقهم فى بحار الشهوة ثم ذكر سبب ترك الايمان خَتَمَ اللَّهُ طبع
الله عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فلا يفقهون خيرا وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ فلا يسمعون الحق ولا ينتفعون به وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ
غِشَاوَةٌ غطاء فلا يرون الحق وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ الاسر والقتل فى الدنيا والعذاب الدايم
فى العقبى والعذاب الايجاع الشديد قال الخليل العذاب ما يمنع الانسان عن مراده ومعنى
وصفه بالعظيم انه اذا قويس بساير ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالاضافة اليه قال الكاشف
عذابهم بعدهم عن قرب مولاهم حتى لم يدركوا بركات كراماته وقيل اهل النظر نظروا من الله

ولا يصل الا من سبق له من الله السعادة فى ذكره الاول مع

اصلا ولا يعترف مع

الى الاشياء

الى الاشياء فشاهدوها فى اسرار القدرة واهل الاستدلال استدلوا بالاشياء على الله
فحجبهم عقولهم واستدلالاتهم عن بلوغ كنه المعرفة تامة قال امير المومنين على ابن ابى طالب
رضى الله عنه طبع الله على قلوبهم برويتها افعالهم بمعاونة النفوس حتى كفروا سرا وآمنوا
علانية وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ اى يوم القيمة وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ نزلت
فى المنافقين واكثرهم من اليهود والنفاق هو اظهار الخير واسرار الشر وهو انواع اعتقادى
هو الذى يخلد صاحبه فى النار وعملى وهو من اكبر الذنوب وانما نزلت صفات المنافقين فى السور
المدنية لان مكة لم يكن فيها نفاق بل كان خلافه من الناس من كان يظهر الكفر مستكرها وهو فى الباطن
مومن فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان بها الانصار من الاوس والخزرج
وكانوا فى جاهليتهم يعبدون الاصنام على طريقة مشركى العرب وبها اليهود من اهل الكتاب على
طريقة اسلافهم وكانوا ثلث قبايل بنو قينقاع حلفاء الخزرج وبنو النضير وبنو قريظة حلفاء الاوس
فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واسلم من اسلم من الانصار من قبيلتى الاوس والخزرج
وقل من اسلم من اليهود الا عبد الله بن سلام رضى الله عنه ولم يكن اذ ذاك نفاق ايضا لانه لم يكن للمسلمين
بعد شوكة تخاف بل كان عليه الصلوة والسلام وادع اليهود وقبايل كثيرة من احياء العرب حوالى المدينة
فلما كانت وقعة بدر العظمى واظهر الله كلمته واعلى الاسلام واهله قال عبد الله بن ابى سلول و
كان راسا فى المدينة وهو من الخزرج وكان سيد الطايفتين فى الجاهلية وكانوا قد عزموا على ان
يملكوه عليهم فجاءهم الخير واسلموا واشتغلوا عنه فبقى فى نفسه من الاسلام واهله فلما كانت وقعة
بدر قال هذا امر قد توجه فاظهر الدخول فى الاسلام ودخل معه طوايف ممن هو على طريقته و
آخرون من اهل الكتاب فمن ثم وجد النفاق فى اهل المدينة ومن حولها من الاعراب فاما المهاجرون
فلم يكن فيهم احد يهاجر مكرها بل يهاجر ويترك ماله وولده وارضه رغبة فيما عند الله قال الكاشف
هولاء اهل الدعوى الذين يزينون ظواهرهم بشعار المخلصين ويخزون بواطنهم بسوء اخلاق المنافقين
كلامهم كلام الصديقين وافعالهم افعال المكذبين يُخَادِعُونَ اللَّهَ اى رسول الله كما قال وَمَن
يطع الرسول فقد اطاع الله الذين يبايعونك انما يبايعون الله وَالَّذِينَ آمَنُوا اى ويخادعون المومنين
بقولهم اذا راوهم آمنا وهم غير مومنين وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ لان وبال خداعهم راجع اليهم لان الله
تعالى يطلع نبيه صلى الله عليه وسلم على نفاقهم فيفتضحوا فى الدنيا ويستوجبون العقاب فى العقبى وَمَا يَشْعُرُونَ
وما يحسون لتمادى غفلتهم قال الكاشف اى يخادعون اولياء الله من حيث اقرار الايمان بالقلوب
واخفاء البداعة فى النفوس وما يخدعون الا انفسهم حتى لا يعلمون فراسة اهل الولاية فيفتضحون
عندهم فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ نفاق فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا لان الآيات كانت تنزل تترى آية بعد آية كلما

كفروا باية ازدادوا كفرا ونفاقا وذلك معنى قوله تعالى واما الذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا
الى رجسهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مولم بما كانوا يكذبون اى بتكذيبهم الله ورسوله فى السر قال
الكاشف فى قلوبهم مرض اى رعونة يشغلها عن قبول الحق ويلهيها بقبول الخلق وايضا فى قلوبهم
مرض اى غفلة عن ذكر العقبى وهمة مشغولة بحب الدنيا وقال سهل المرض هو العجب وقلة الخلاء
وذلك مرض لا يداوى الا بالجوع والقطع وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ يعنى للمنافقين لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ
عن ابن عباس وابن مسعود وناس من الصحابة رضى الله عنهم ان الفساد هو الكفر والمعصية
قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ اى نريد ان نداوى الفريقين من المومنين والكافرين ونصلح مع هولاء
وهولاء كذا نقله محمد بن اسحاق باسناده عن ابن عباس أَلَا كلمة تنبيه ينبه بها إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ
انفسهم بالكفر والناس بالتعويق عن الايمان وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ انهم مفسدون لما فى قلوبهم من
المرض قال الكاشف واذا قيل لهم لا يخربوا مزارع الايمان فى قلوبكم بالورود الى الدنيا ولذاتها قالوا
انما نحن مصلحون فاحتجبوا عن المعنى وخرجوا بالدعوى ويحسبون انهم يحسنون صنعا فى ترك نصيحة
العلماء ومصادقة الاولياء ولكن لا يشعرون انهم محجوبون عن طريقة الابانة والهداية وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا
كَمَا آمَنَ النَّاسُ عبد الله بن سلام وغيره من مومنى اهل الكتاب وقيل كما آمن المهاجرون والانصار
قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ فان قيل كيف يصح النفاق مع المجاهرة بقولهم انومن كما آمن السفهاء
قيل انهم كانوا يظهرون هذا القول فيما بينهم فاخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك فرد الله عليهم
فقال أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ والسفهاء جمع سفيه كما ان الحكماء جمع حكيم والسفيه
هو الجاهل الضعيف الراى القليل المعرفة بمواضع المصالح والمضار ولهذا سمى الله النساء والصبيان
سفهاء فى قوله ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا يعنى
هولاء المنافقين اذا لقوا المهاجرين والانصار قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا مضوا ورجعوا إِلَىٰ
شَيَاطِينِهِمْ رؤساءهم وكهنتهم قال ابن عباس وهم خمسة نفر من اليهود كعب بن الاشرف بالمدينة
وابو بردة فى بنى اسلم وعبد الدار فى جهينة وعوف ابن عامر فى بنى اسد وعبد الله بن السوداء
بالشام ولا يكون كاهن الا ومعه شيطان تابع له والشيطان المتمرد العاتى من الجن والانس
من كل شئ واصله البعد يقال بئر شطون اى بعيدة العمق سمى الشيطان شيطانا لامتداده فى الشر
وبعده من الخير قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه بما نظهر من الاسلام
اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ اى يجازيهم جزاء استهزائهم سمى الجزاء باسمه كما فى قوله تعالى وجزاء سيئة
سيئة مثلها قال ابن عباس هو ان يفتح باب من الجنة فاذا انتهوا اليه سد عنهم وردوا الى
النار وَيَمُدُّهُمْ يتركهم ويمهلهم والمد والامداد واحد واصله الزيادة الا ان المد اكثر ما ياتى

الخاطب م

النور

فى الشر

فى الشر والامداد فى الخير قال الله تعالى فى المد ونمد له من العذاب مدا وقال فى الامداد
وامددناكم باموال وبنين وامددناهم بفاكهة فِي طُغْيَانِهِمْ اى فى ضلالتهم البالغة واصله
مجاوزة الحد ومنه طغى الماء يَعْمَهُونَ اى يتحيرون أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ
استبدلوا الكفر بالايمان فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ لطرق النجاة مَثَلُهُمْ لما بين حقيقة
حالهم عقبها بضرب المثل زيادة فى التوضيح والتقرير فانه اوقع فى القلب واقمع للخصم والمثل فى
الاصل بمعنى النظير يقال مثل ومثل ومثيل ثم قيل للقول السائر المشبه مضربه بمورده ثم استعير لكل
حال او قصة او صفة لها حال وشان وفيها غرابة مثل قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون وقوله
ولله المثل الاعلى والمعنى حالهم العجيبة الشان كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا بمعنى اوقد والسين للتاكيد
فَلَمَّا أَضَاءَتْ النار مَا حَوْلَهُ اى حول المستوقد واضاء يجئ لازما ومتعديا يقال اضاء الشئ بنفسه و
واضاء غيره والظاهر انه ههنا متعد ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ قال ابن عباس
وغيره نزول مثلهم فى نفاقهم كمثل رجل اوقد نارا فى ليلة مظلمة فى مفازة فاستدفأ وراى ما حوله
فاتقى ما يخاف فبينا هو كذلك اذ طفئت ناره فبقى فى ظلمة خايفا متحيرا فكذلك المنافقون باظهار كلمة
الايمان امنوا على اموالهم واولادهم وناكحوا المومنين ووارثوهم وقاسموهم الغنايم فذلك نورهم
فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة والخوف وقال عطاء ومحمد بن كعب نزلت فى اليهود وانتظارهم خروج
النبى صلى الله عليه وسلم واستفتاحهم به على مشركى العرب فلما خرج كفروا به فعلى هذا السين للطلب
ثم وصفهم الله تعالى فقال صُمٌّ اى هم صم عن الحق لا يقبلونه واذا لم يقبلوا فكانهم لم يسمعوا بُكْمٌ
خرس عن الحق لا يقولونه عُمْيٌ لا بصاير لهم فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ عن الضلالة الى الحق قال ابو الحسن
الوراق هذا مثل ضربه الله لمن لم يصح له احوال الارادة فارتقى من تلك الاحوال بالدعاوى الى احوال
الاكابر فكان يضئ عليه انوار الارادة لو صححها بملازمة ادابها فلما خرجها بالدعاوى اذهب الله عنه تلك
الانوار وبقى فى ظلمات دعاويه لا يبصر طريق الخروج منها وقال الجنيد صموا عن فهم ما سمعوا وبكموا
عن عبادة ما عرفوا وعموا عن البصيرة فيما اليه دعوتهم أَوْ كَصَيِّبٍ اى كاصحاب صيب وهذا مثل اخر ضربه
الله للمنافقين معناه ان شئت فمثلهم بالمستوقد وان شئت باهل الصيب والصيب المطر قاله ابن مسعود
وابن عباس وناس من الصحابة والتابعين وقال الضحاك هو السحاب مِّنَ السَّمَاءِ والسماء كل ما
علاك فاظلك فِيهِ اى فى الصيب ظُلُمَاتٌ جمع ظلمة وَرَعْدٌ وهو الصوت يسمع من السحاب وَبَرْقٌ
وهو النار التى تخرج منه يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ من اجل الصواعق وهى جمع
صاعقة وهى الصيحة التى يموت من يسمعها او يغشى عليه ويقال لكل عذاب مهلك صاعقة والجملة
استيناف فكانه لما ذكر ما يوذن بالشدة والهول فقيل فكيف حالهم مع ذلك فاجيب بها وانما اطلق

الاصابع موضع الانامل للمبالغة روى عن سالم ابن عبد الله بن عمر عن ابيه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا سمع صوت الرعد والصاعقة قال اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا
بعذابك وعافنا قبل ذلك حَذَرَ الْمَوْتِ اى مخافة الهلاك وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ لا يفوتونه كما
لا يفوت المحاط به المحيط لا يخلصهم الخداع والحيل يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ استيناف ثان
كانه جواب لمن يقول ما حالهم مع تلك الصواعق فقال قارب البرق اختلاس ابصارهم بسرعة والخطف
استلاب بسرعة كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ استيناف ثالث كانه قيل ما يفعلون فى هذه الحالة فاجيب
وقيل كلما اضاء لهم مشوا فيه وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا اي وقفوا متحيرين فالله شبههم فى كفرهم و
نفاقهم بقوم كانوا فى مفازة فى ليلة مظلمة اصابهم مطر فيه ظلمات من صفتها ان الساري لا يمكنه
المشي فيها ورعد من صفته ان يضم السامعون اصابعهم الى آذانهم من هوله وبرق من صفته ان يقرب
من ان يخطف ابصارهم ويعميها من شدة توقده وقيل المطر الاسلام والظلمات ما فيه من البلاء
والمحن والرعد ما فيه من الوعيد والمخاوف فى الآخرة والبرق ما فيه الوعد يجعلون اصابعهم فى اذانهم
يعنى ان المنافقين اذا رأوا فى الاسلام بلاء وشدة هربوا حذرا من الهلاك والله محيط بالكافرين
جامعهم يعنى لا ينفعهم هربهم لان الله تعالى من ورائهم يجمعهم فيعذبهم يكاد البرق يعنى دلايل
الاسلام تزعجهم الى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة كلما اضاء لهم مشوا فيه يعنى ان المنافقين
اذا اظهروا كلمة الايمان آمنوا فاذا ماتوا عادوا الى الظلمة وقيل معناه كلما نالوا غنيمة وراحة
فى الاسلام ثبتوا وقالوا انا معكم واذا اظلم عليهم يعنى رأوا شدة وبلاء تاخروا وقاموا اي وقفوا
كما قال الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ
الظاهرة كما ذهب باسماعهم وابصارهم الباطنة وقيل لذهب بما استفادوا من العز والامان
الذى لهم بمنزلة السمع والبصر إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فعال لما يشاء على ما يشاء روى ابن
ابى حاتم باسناده عن ابن عباس انه قال ليس لاحد من اهل التوحيد الا يعطى نورا يوم القيمة فاما المنافق
فيطفى نوره فالمؤمن مشفق مما يرى من اطفاء نور المنافقين فهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا وروى امام
احمد عن ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القلوب اربعة قلب اجرد فيه مثل السراج
يزهر وقلب اغلف مربوط على غلافه وقلب منكوس وقلب مُصْفَحٌ فاما القلب الاجرد فقلب المؤمن
فسراجه نوره واما القلب الاغلف فقلب الكافر عرف ثم انكر واما قلب المصفح فقلب فيه ايمان ونفاق
ومثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق كمثل القرحة يمدها القيح والدم فاى المادتين
غلبت الاخرى غلبت عليه قالت الكاشف عن الاشارات وفى قوله تعالى واذا اظلم عليهم قاموا اي
اذا وجدوا من طاعاتهم حلاوة وعوضا عاجلا سرعوا فيها واذا احتبس عليهم طريق الكرامات تركوا

المصفح المائل

جميع الطاعات يَا أَيُّهَا النَّاسُ لما وصف الكتاب على وجه انجر الى ذكر المكلفين وعدد فرقهم وذكر
خواصهم ومصارف امورهم اقبل عليهم بالخطاب وامرهم بما خلقوا له ليستعدوا به ابدا من عبادة المعبود
الحقيقى وتوحيده مبينا الوحيد واسباغ نعمه عليهم وقباحة الاشراك به فقال يا ايها الناس اعْبُدُوا رَبَّكُمُ
وحدوا قال ابن عباس كل ما ورد فى القرآن من العبادة فمعناه التوحيد هذا وما روى عنه وعن علقمة
والحسن ان يا ايها الناس خطاب اهل مكة ويا ايها الذين آمنوا خطاب اهل المدينة لا يوجب ان تخصيص
امر العبادة بالكفار فان المامور به هو المشترك بين بدء العبادة والموحد فيهما وفى التنزيد الَّذِي خَلَقَكُمْ
الخلق اصله التقدير المستقيم ويستعمل فى ابداع الشيء من غير اصل ولا احتذاء على تقدير واستواء
قال عز وجل خلق السموات والارض اى ابدعهما ويستعمل فى ايجاد الشيء من الشيء وليس الخلق الذى هو
الابداع الا لله تعالى ولهذا قال فى الفصل بينه وبين غيره افمن يخلق كمن لا يخلق واما الذى يكون بالاستحالة
فقد جعله الله تعالى لغيره فى بعض الاحوال كعيسى عليه السلام حيث قال واذ تخلق من الطين كهيئة الطير
والخلق لا يستعمل فى كافة الناس الا على وجهين احدهما فى معنى التقدير والثانى فى الكذب وَالَّذِينَ مِنْ
قَبْلِكُمْ اى وخلق الذين من قبلكم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ راجين اي تنخرطوا فى سلك المتقين الفايزين با
بالهدى والفلاح المستوجبين لجوار الله تعالى نبه به على ان التقوى منتهى درجات السالكين
وهو التبرء من كل شيء سوى الله الى الله تعالى قال جعفر الصادق تبينوا ربوبيته ثم اعبدوه على
حد الهيبة والاجلال وعاينوا اول تربيتكم لتعلموا خصوصيته اياكم من بين ساير خلقه الَّذِي جَعَلَ
لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا بساطا مهيأ لان تقعدوا وتناموا عليها مع ما فى طبعها من الاستدارة الحقيقية
والغور فى الماء واحاطة الماء بها انه لم يجعلها فى غاية الصلابة كالحجر فان النوم عليه والمشى مما يولم البدن
ولا فى غاية اللين كالماء الذى يغوص فيه الرجل ولم يجعلها فى غاية اللطافة والشفافة فان الشفاف لا يستقر
النور عليه وما كان كذلك فانه لا يسخن من الكواكب والشمس فكان يبرد جدا فجعل الله تعالى لونه اغبر
ليستقر النور عليه فيسخن فيصلح ان يكون فراشا للحيوانات وَالسَّمَاءَ بِنَاءً قبة مضروبة عليكم وَأَنْزَلَ
مِنَ السَّمَاءِ اى من السحاب مَاءً هو المطر فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ الثمرات لكل ما ينتفع
من لحال الشجر الواحدة ثمرة وقال لكل نفع يصدر عن شيء ثمرته نقال ثمرة العلم العمل الصالح قال
اهل المعانى بين للعباد امر رزقهم انه ليس من عند غير الله حتى لا يشتغلوا عن عبادة ربهم باهتمام
الرزق قال الامام انما خص الله تعالى هذا النوع من الدلالة بالايراد فى اول كتابه لوجهين
الاول ان هذا الطريق لما كان اقرب الى الافهام واشدها التصديق بالعقول فكانت الادلة
المذكورة فى القرآن يجب ان تكون ابعدها عن الدقة واقربها الى الافهام لينتفع به كل احد من الخواص
والعوام لاجرم ذكره الله تعالى فى اول كتابه ذلك الثانى انه ليس الغرض من الدلايل القرآنيه

والكلام

ثبتت النبي علمه جنا

المجادلة بل الغرض منها تحصيل العقايد الحقة فى القلوب وهذا النوع من الاستدلال اقوى
من ساير الطرق فى هذا الباب لان هذا النوع من الدلايل كما يفيد العلم بوجود الخالق فهى تذكر
نعم الخالق علينا فان الوجود والحيوة من النعم العظيمة علينا وتذكر النعم مما يوجب المحبة وترك المنازعة
وحصول الانقياد فلهذا السبب كان ذكر هذا النوع من الادلة اولى من ساير الانواع فَلَا تَجْعَلُوا
لِلَّهِ أَنْدَادًا امثالا لما كانت هذه امورا لا يقدر عليها غيره شهدت على وحدانيته ورتب النهى عن
الاشراك والند المثل المعادى وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله اندادا وما زعموا انها
يساويه فى ذاته وصفاته ولا انها تخالفه فى افعاله لانهم لما تركوا عبادته الى عبادتها وسموها آلهة
شابهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات قادرة على ان يدفع عنهم باس الله تعالى
ويمنحهم ما لم يرد الله بهم من خير قال سهل فلا تجعلوا لله اضدادا واكبر الاضداد النفس الامارة
وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ انها لا تماثله ولا تقدر على مثل ما يفعله كما قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم
من شيء والمقصود من قوله تعالى وانتم تعلمون التوبيخ لا تقييد الحكم وقصره عليه فان العالم والجاهل
المكن من العلم سواء فى التكليف فى الصحيحين عن ابن مسعود قال قلت يا رسول الله اي الذنب
اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك وفى الحديث الاخر لا تقولن احدكم ما شاء الله وشاء فلان
ولكن ليقل ما شاء الله ثم شاء فلان وقال حماد بن سلمة باسناده عن الطفيل بن سخبرة اخى عايشة ام
المومنين لامها قال رايت فيما يرى النايم كانى اتيت على نفر من اليهود فقلت من انتم قالوا نحن اليهود
قلت انكم لانتم القوم لولا انكم تقولون عزير ابن الله قالوا لانتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله
وشاء محمد ثم قال مررت بنفر من النصارى فقلت من انتم فقالوا نحن نصارى قلت انكم لانتم القوم
لولا انكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وانكم لانتم القوم لولا انكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد فلما اصبحت
اخبرت بها من اخبرت ثم اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال هل اخبرت بها احدا قلت نعم
فقام فحمد الله عز وجل واثنى عليه ثم قال اما بعد فان طفيلا رأى رؤيا اخبر بها من اخبر منكم وانكم قلتم
كلمة كان يمنعنى كذا وكذا ان انهاكم عنها فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا ما شاء الله وحده
رواه ابن مردويه فى تفسير هذه الآية من حديث حماد وعن ابن عباس فى قول الله تعالى فلا تجعلوا
لله اندادا قال الانداد هو الشرك الخفى اخفى من دبيب النمل على صفا سوداء فى ظلمة الليل وهو ان تقول
وحياتك وحياتى وتقول لولا كلبة هذا لاتانا اللصوص ولولا البط فى الدار لاتى اللصوص وقول
الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت وقول الرجل لولا الله وفلان لا تجعل فيها فلان هذا كله شرك
وفى الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله وشئت فقال اجعلتنى لله ندا
وفى الحديث الاخر نعم القوم انتم لولا انكم تندّدون تقولون ما شاء الله وشاء فلان وروى الامام احمد

تقولون م

باسناده عن الحارث الاشعرى ان نبى الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل امر يحيى بن زكريا
عليهما السلام بخمس كلمات ان يعمل بهن ويامر بنى اسرائيل ان يعملوا بهن وكان يبطئ فقال له عيسى
عليه السلام انك قد امرت بخمس كلمات ان تعمل بهن وتامر بنى اسرائيل ان يعملوا بهن فاما ان يبلغهن و
اما ان ابلغهن فقال يا اخى انى اخشى ان سبقتنى ان اعذب او يخسف بى قال فجمع يحيى بن زكريا بنى اسرائيل
فى بيت المقدس حتى امتلاء المسجد فقعد على الشرف فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان الله امرنى بخمس
كلمات ان اعمل بهن وامركم بهن اولهن ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا فان مثل ذلك مثل رجل اشترى
عبدا من خالص ماله بورق او ذهب فجعل يعمل ويودى غلته الى غير سيده فايكم يسره ان يكون عبده كذلك
وان الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا وامركم بالصلوة فان الله ينصب وجهه ما لم يلتفت فاذا
صليتم فلا تلتفتوا وامركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل معه صرة من مسك فى عصابة كلهم يجد ريح المسك
وان خلوف فم الصايم اطيب عند الله من ريح المسك وامركم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل اسره العدو
فشدوا يديه الى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال لهم هل لكم ان تفتدى نفسى منكم فجعل يفتدى نفسه منهم بالقليل
والكثير حتى فك نفسه وامركم بذكر الله كثيرا وان مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدو سراعا فى اثره فاتى
حصنا حصينا فتحصن فيه وان العبد احصن ما يكون من الشيطان اذا كان فى ذكر الله قال ثم قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانا امركم بخمس الله امرنى بهن الجماعة والسمع والطاعة والهجرة والجهاد فى سبيل
الله فانه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع رِبْقَةَ الاسلام من عنقه الا ان يراجع ومن
دعا بدعوى جاهلية فهو جثى جهنم قالوا يا رسول الله وان صام وصلى وزعم انه مسلم فادعوا المسلمين باسمائهم
على ما سماهم الله عز وجل المسلمين المومنين عباد الله ثم لما قرر وحدانيته وبين الطريق الموصل الى العلم
بها ذكر عقيبه ما هو الحجة على نبوة محمد عليه الصلوة والسلام وهو القرآن المعجز بسورة منه فقال وَإِنْ
كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ يعنى من مثل القرآن قاله مجاهد وقتادة
قال بعضهم من مثل محمد صلى الله عليه وسلم يعنى من رجل امى مثله والسورة قطعة من القرآن معلومة الاول
والآخر ملقبة وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ قال ابن عباس اعوانكم وعن السدى شركاءكم وقال مجاهد اناسا
يشهدون لكم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ان محمدا تقوله من تلقاء نفسه فى الصحيحين عن ابى هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبى الا قد اعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذى
اوتيت وحيا اوحاه الله الى وارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة ثم لما بين لهم ما يعرفون به امر الرسول
وما جاء به وميز لهم الحق عن الباطل رتب عليه ما هو كالفذلكة له وهو انكم اذا اجتهدتم فى المعارضة
وعجزتم عن المقابلة ظهر انه معجز والتصديق به واجب فآمنوا واتقوا العذاب المعد للكافرين الاشقياء
وبين حال معادهم فقال فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فيما مضى وَلَنْ تَفْعَلُوا ابدا فيما بقى وهذه ايضا معجزة اخرى

التنوف الاقراو

اعجاز القرآن بوجوه منها انه فى غاية البلاغة ومنها انه مشتمل على اصول جميع العلوم ومنها انه فيه اخبار الانبياء من احوال السابقين واللاحقين المعجزة تحدى به ... الكلام فى بيان وجوه اعجازه فى كتب الكلام فليرجع اليها

انه اعجز جاذ ما قاطعا غير خايف ان هذا القرآن لا يعارض بمثله ابدا وكذلك وقع الامر فَاتَّقُوا النَّارَ اى فامنوا واتقوا بالايمان النار الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ قال ابن عباس واكثر المفسرين يعنى حجارة الكبريت لانها اكثر إلتهابا وقيل جميع الحجارة وهو دليل على عظم تلك النار قال القاضى لعل تخصيص ان الاحجار كلها لتلك النار كحجارة الكبريت لساير النيران أُعِدَّتْ هيئت لِلْكَافِرِينَ ثم لما ذكر تعالى ما اعده لاعدائه من الاشقياء الكافرين عقبه بذكر ما اعد لاوليائه من السعداء المومنين وبين حال معادهم فقال وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ اى الفعلات الصالحات قال عثمان رضى الله عنه وعملوا الصالحات اى اخلصوا الاعمال كما قال فليعمل عملا صالحا اى خالصا عن الريا قال معاذ العمل الصالح الذى فيه اربعة اشياء العلم والنية والصبر والاخلاص أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي جمع جنة والجنة البستان الذى فيه اشجار مثمرة قال الفراء الجنة ما فيه النخل والفردوس ما فيه الكرم مِنْ تَحْتِهَا اى من تحت اشجارها ومساكنها الْأَنْهَارُ المياه فى الانهار فاسند الفعل الى المكان مجازا للمبالغة وقيل من تحتها اى بامرهم كقوله تعالى حكاية عن فرعون وهذه الانهار تجرى من تحتى اى بامرى وفى الحديث انهار الجنة تجرى فى غير اخدود وقال الكاشف ان لاهل المعرفة جنانا جنة العبودية وجنة الربوبية وجنة المعرفة وجنة المحبة وجنة القربة وجنة المشاهدة وجنة المدانات وجنة المواصلة وجنة التوحيد وجنة البقاء وجنة البسط وجنة الانبساط وجنة السكر وجنة الصحو وجنة الملكوت وجنة المكاشفة وجنة الحقيقة وجنة العلم ولكل جنة منها نهر يجرى تحتها فجنة العبودية الكرامات ونهرها حقائق الحكمة وجنة الربوبية مشاهدة صرف القدرة ونهرها تجلى الحق فى مرات الآيات وجنة المعرفة ادراك نوادر الالوهية ونهرها صفاء الاخلاص وجنة المحبة مشاهدة الآلاء ونهرها الرضاء بمراد المحبوب وجنة القربة مباشرة انوار الصفة ونهرها خاصة المحبة وجنة المشاهدة الدهشة فى جمال الحقيقة ونهرها لطايف الاشارة وجنة المدانات الاستيناس برؤية الوصال والتبرى من الحدثان ونهرها كشف غرايب تجلى الصفات وجنة المواصلة اللذة فى العشق ونهرها المحبة وجنة التوحيد التلبس بلباس الربانى ونهرها الانسلاخ عن لباس الانسانى وجنة البقاء التمكين ونهرها السكينة وجنة البسط الفرح بالمشاهدة ونهرها الطمانينة وجنة الانبساط الاتحاد ونهرها العربدة والحكم فى الحضرة وجنة السكر حلاوة الفناء ونهرها صفاء عيش الروح فى المشاهدة وجنة الصحو المعجزات وتقليب الاعيان ونهرها العلم اللدنى وجنة الملكوت رؤية تصاوير الاشخاص والارواح ونهرها مزيد اليقين وجنة المكاشفة المراقبة بنعت وجدان المعرفة ونهرها اسرار الفراسات وجنة الحقيقة وجد الروح فى مقام الجمع والتفرقة ونهرها التلوين والتمكين وجنة العلم المجهول الراحة فى الشطحيات ونهرها غوص الروح فى بحر الحقيقة كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا من الجنة مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ فى الدنيا وقيل الثمار فى الجنة متشابهة فى اللون مختلفة فى الطعم فاذا رزقوا

ثمرة بعد اخرى ظنوا انها الاولى وَأُتُوا بِهِ بالرزق مُتَشَابِهًا قال ابن عباس وغيره متشابها فى الالوان مختلفا فى الطعوم قال الحسن وقتادة متشابها اى يشبه بعضها بعضا فى الجودة اى كلها خيار لا رذالة فيها قال محمد بن الكعب يشبه ثمر الدنيا غير ان ثمرها اطيب قال ابن عباس ليس فى الدنيا مما فى الجنة الا الاسامى عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة ياكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ويعرقون يلهمون الحمد والتسبيح كما يلهمون النفس طعامهم جشاء ورشحهم المسك قال الكاشف اذا تمكن اهل المشاهدة فى الجنة غدا ورأوا ربهم تعالى وجدوه على الصفة التى اظهر نفسه جل وعلا لاهل المكاشفة فى دار الدنيا فيقولون هذا الذى رزقنا من قبل اى ما نحن كنا فيه من مشاهدته فى العاجل نجدها بتلك الصفات فى الآجل لان وجوده تعالى لا يتغير بتغير الازمان والمكان اوله فى الربوبية آخره فى الالوهية وآخره فى الصمدية اوله فى الازلية وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ نساء وجوار يعنى من الحور العين مُطَهَّرَةٌ من الغايط والبول والحيض والنفاس والبصاق والمخاط والمنى والولد وكل قذر قال ابراهيم النخعى فى الجنة جماع ما شئت ولا ولد وقال الحسن هن عجايزكم الغمص العمش طهرن من قذارات الدنيا وقيل مطهرة من مساوى الاخلاق وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ دايمون لا يموتون ولا يخرجون منها روى فى المعالم باسناده عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة يدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على اشد كوكب درى فى السماء اضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يمتخطون امشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الالوة وازواجهم الحور العين على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم ستون ذراعا فى السماء وعنه ايضا انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الجنة جرد مرد كحلى لا يفنى شبابهم ولا يبلى ثيابهم وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول زمرة تدخل الجنة يوم القيمة صورة وجوههم مثل صورة القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على لون احسن الكوكب فى السماء لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقهن دون لحومها ودمائها وحللها وعن انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان امراة من نساء اهل الجنة اطلعت على الارض اضاءت ما بينهما ولملأت ما بينهما ريحا ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها وعنه ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فى الجنة لسوقا ياتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو فى وجوههم وثيابهم فيزدادون حسنا وجمالا فيرجعون الى اهليهم وقد ازدادوا حسنا وجمالا فيقول لهم اهلوهم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا وعن امير المومنين على رضى الله عنه قال ان فى الجنة لسوقا ليس فيها بيع ولا شرى الا الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهى الرجل صورة دخلها وان فيها لمجمع الحور العين ينادين بصوت لم يسمع الخلايق بمثله نحن الخالدات فلا نبيد ابدا ونحن الناعمات فلا نباس ابدا ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له او نحن له قال القاضى فان قيل فائدة المطعوم سد التغذى ودفع ضرر الجوع

التمحص فى العين ما سال من الرمد والعمش فى العين ضعف الرؤية مع سيلان دمعها فى اكثر اوقاتها

فى الجنان

وفايدة المنكوح التوالد وحفظ النوع وهى مستغنى عنها فى الجنة قلت مطاعم الجنة ومناكحها وساير احوالها انما تشارك نظايرها الدنيوية فى بعض الصفات والاعتبارات ويسمى باسمايها على الاستعارة والتمثيل ولا تشاركها فى تمام حقيقتها حتى يستلزم جميع ما يلزمها ويفيد عين فايدتها ولما كانت الآيات السابقة متضمنة لانواع من التمثيل عقب ذلك ببيان حسنه وما هو الحق له والشرط فيه وهو ان يكون على وفق الممثل له من الجهة التى تعلق بها التمثيل فى العظم والصغر والخسة والشرف دون الممثل فان التمثيل انما يصار اليه لكشف المعنى الممثل له ورفع الحجاب عنه وابرازه فى صورة المشاهد المحسوس قال الامام لما بين بالدليل كون القران معجزا اورد هنا شبهة اوردها الكفار قدحا فى ذلك واجاب عنها فقال إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا اى ان الله لا يستحى ضرب المثل بالبعوض فضلا عما هو اكبر منه قال محيى السنة وغيره سبب نزول هذه الآية ان الله تعالى لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت فقال ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا وقال مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا قال اليهود ما اراد الله بذكر هذه الاشياء فانزل الله تعالى ان الله لا يستحيى ان يضرب مثلا والبعوض صغار البق سميت بعوضة لانها بعض البق وقال ابو عبيدة اى فما دونها كما يقال فلان جاهل فيقال وفوق ذلك اى واجهل فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقران فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ يعنى المثل الْحَقُّ الصدق مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا اى بهذا المثل يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا جواب ماذا اى اضلال كثير بكذبونه فيزدادون ضلالة عن مصعب بن سعد عن سعيد يعنى الخوارج وَيَهْدِي بِهِ اى بهذا المثل كَثِيرًا من المومنين يصدقونه والاضلال هو الصرف عن الحق الى الباطل وقيل هو الاهلاك يقال ضل اللبن فى الماء اذا اهلك وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ الكافرين واصل الفسق الخروج يقال فسقت الرطبة اذا خرجت عن قشرها قال الله تعالى ففسق عن امر ربه اى خرج قال الكاشف القرآن بحر عجايب الربوبية واخبار غرايب اسرار صفة القدسية فمن كحل الله بكحل نور الحقيقة يرى بعض السر عرايس مشاهدات الصفات وتعشق بها ويسعى فى طلب مزيد حقيقة علومها ويتدرج بهجتها تحت احكامها برسم العبودية ومتابعة الفاطرة ومن اعمى الله قلبه عن مشاهدة تجلى كتابه يضل فى طريق النكرة ويغرق فى بحر الضلالة ثم وصف الفاسقين المذكورين فقال الَّذِينَ يَنْقُضُونَ يخالفون ويتركون واصل النقض الكسر عَهْدَ اللَّهِ العهد حفظ الشئ ومراعاته حالا بعد حال وسمى الموثق الذى يلزم مراعاته عهدا كاليمين والوصية وهذا العهد اما العهد الماخوذ بسبب العقل والحجة القايمة على عبادة الدالة على توحيده وصدق رسوله وعليه اول قوله تعالى واشهدهم على انفسهم او العهد الماخوذ بالرسل على الامم بانهم اذا بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصدق بالمعجزات صدقوه واتبعوه ولم يكتموا امره ولم يخالفوا حكمه واليه اشار بقوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب ونظايره وقيل المراد به العهد الذى عهد اليهم

كانهام

فى التورية ان يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويبينوا نعته وقيل عهود الله ثلثة عهد اخذه على جميع ذرية آدم بان يقروا بربوبيته وعهد اخذه على النبيين بان يقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وعهد اخذه على العلماء بان يبينوا الحق ولا يكتموه مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ الميثاق اسم لما تقع به الوثاقة وهى الاحكام والمراد ما وثق الله به عهده من الآيات والكتب او ما وثقوه به من الالتزام والقبول وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ يندرج فيه كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى والاعراض عن موالاة المومنين والتفرقة بين الانبياء عليهم السلام والكتب فى التصديق وترك الجماعات وساير ما فيه رفض خير او تعاطى شر وذلك ان التقاطع بين الناس يحصل من رفض المحبة والعداوة ورفضها سبب كل فساد فان القوم اذا اجتمعوا وعدلوا تواصلوا واذا تواصلوا تعاونوا واذا تعاونوا عمروا واذا عمروا عمروا واثروا وبالعكس اذا تقاطعوا تدابروا واذا تدابروا تجادلوا واذا تجادلوا لم يعمل بعضهم لبعض فهلكوا ولهذا قال عليه الصلوة والسلام لا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا كما امركم وقال المومن الف ولا خير فيمن لا يولف ولا يالف ولذلك حث على الاجتماعات فى الجماعات والجمعات لكون ذلك سببا الى الالفة بل لذلك عظم الله تعالى المنة على المومنين بايقاع الالفة بين المومنين فقال تعالى لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم وقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا وليس فى الانسان فقط بل لولا ان الله تعالى الف بين الاركان المتضادة لما استقام العالم ولذلك قال عليه الصلوة والسلام بالعدل قامت السموات والارض قال الامام الراغب واذا تصور هذه الجملة علم ان الآية فى نهاية الذم لهم وقول قتادة انه امر بصلة الارحام وقول غيره انه ذم لهم بقطعهم النبى صلى الله عليه وسلم اشارة منهم الى ابعاض ما تقتضيه عموم الآية وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ بالمنع عن الايمان والاستهزاء بالحق وقطع الوصل التى بها نظام العالم وصلاحه أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ المغبونون قال الكاشف الاشارة فيه الى حال اهل الفترة الذين سلكوا الطريق ثم رجعوا الى ما عليه عادة العوام من الرخص والتاويل فمن هذا ساءه وقد راح محجة المشاهدة وتحير فى اودية العقل وتيهم فى سراب الفقدان محجوبا عن مشاهدة الرحمن ثم قال لمشركى العرب على وجه التعجيب كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ اى على اى حال تكفرون بعد نصب الدلايل ووضوح البراهين ثم ذكر الدلايل فقال وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا نطفا فى اصلاب ابائكم فَأَحْيَاكُمْ فى الارحام والدنيا ثُمَّ يُمِيتُكُمْ عند انقضاء آجالكم ثُمَّ يُحْيِيكُمْ للبعث ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ثم تردون فى الآخرة فيجزيكم باعمالكم قال الامام الآية مشتملة على امور الاول انها مشتملة على وجوه ما يدل على وجود الصانع الثانى يدل على انه لا قدرة على الاحياء والاماتة الا لله تعالى فيبطل به قول اهل الطبايع من ان المؤثر فى الحيوة والموت كذا وكذا من الكواكب والافلاك والاركان والطبايعات كما يحكى عن قوم وقالوا ان هى الا حيوتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر الثالث انه يدل على صحة الحشر والنشر بعد البعث على الدليل العقلى الدال عليه لانه تعالى بين انه احيى

كقطع الرحم

هذه الاشياء بعد موتها فى المرة الاولى يوجب ان يصح ذلك فى المرة الثانية قال الكاشف اى كنتم فى قبور العدم فاحياكم بانوار القدم وايضا كنتم امواتا فى غطاء الغفلة فاحياكم بروح المعرفة وقال الشبلي وكنتم امواتا عنه فاحياكم به وقال ابن عطاء كنتم امواتا بالظاهر فاحياكم بمكاشفة الاسرار ثم يميتكم عن اوصاف العبودية ثم يحييكم باوصاف الربوبية ثم اليه ترجعون عند تحيركم عند ادراككم الذات والصفات عن شواهد المعرفة فى طلب الحقيقة هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا لكي تعتبروا ويستدلوا وقد يقال لكي تنتفعوا ذكر فى الآية الاولى انهم خلقهم احياء قادرين ثم يعيدهم لذلك وهي نعمة اخرى مترتبة على الاولى وهي خلق ما سوف عليه بقاءهم وتتم به معاشهم قال ابن عطاء خلق لكم ما فى الارض جميعا ليكون الكون كله لك وتكون لله فلا تشتغل عما لك عن انت له ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ قصد اليها بارادته فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ اى خلقهن مستويات لا فطور فيها ولا صدع وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ولذا خلق ما خلق على هذا النمط الاكمل والوجه الانفع قال الكاشف قوله ثم استوى الى السماء اى كما زين ملكوت الارض بانوار القدرة للمؤمنين قصد الى تزيين ملكوت السماء بسناء العزة للعارفين قال الشيخ ابن الكثير قد ذكر ابن ابي حاتم فى تفسير هذه الآية الحديث الذى رواه مسلم والنسائي فى التفسير ايضا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق الجبال يوم الاحد وخلق الشجر فيها يوم الاثنين وخلق المكروه فيها يوم الثلثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة من آخر ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم وقد تكلم عليه علي بن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ وجعلوه من كلام كعب الاحبار وانما اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعا وقد حرر ذلك البيهقي رضي الله عنه وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ تعداد لنعمة ثالثة تعم الناس كلهم فان خلق آدم واكرامه وتفضيله على ملائكته بان امرهم بالسجود انعام يعم ذريته قيل اصله وقال ربك اذ صلة وقيل معناه واذكر اذ قال ربك وكذلك كل ما ورد فى القرآن من هذا النحو فهذا سبيله لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قال محيي السنة وكلامه ماخوذ عن ابن عباس اراد بهم الملائكة الذين كانوا فى الارض وذلك ان الله خلق السماء والارض وخلق الملائكة والجن واسكن الملائكة السماء واسكن الجن الارض فبقوا دهرا طويلا فى الارض ثم ظهر فيهم الحسد والبغي فافسدوا واقتتلوا فبعث الله اليهم جندا من الملائكة يقال لهم الجن وهم خزان الجنان اسبق لهم الجنة راسهم ابليس فكان رئيسهم ومرشدهم واكثرهم علما فهبطوا الى الارض وطردوا الجن الى شعوب الجبال وجزائر البحور وسكنوا الارض وخفف الله عنهم العبادة واعطى الله ابليس ملك الارض وملك السماء الدنيا وخزانة الجنة وكان يعبد الله تارة فى الارض وتارة فى السماء وتارة فى الجنة فدخله العجب فقال فى نفسه ما اعطاني الله هذا الملك الا لاني اكرم الملائكة عليه فقال الله تعالى له

ولجنده انى جاعل فى الارض خليفة خالق فى الارض خليفة اى بدلا منكم ورافعكم الىّ والمراد بالخليفة ههنا آدم عليه السلام سماه خليفة لانه خلف الجن اى جاء بعدهم والصحيح انه خليفة الله فى ارضه لاقامة احكامه وتنفيذ قضاياه قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا بالمعاصي وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ بغير حق كما فعل بنو الجان وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ قال الحسن يقول سبحان الله وبحمده وهو صلوة الخلق وصلوة البهائم وغيرها سوى الآدميين عن ابي ذر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل اي الكلام افضل قال ما اصطفى الله لملائكته ولعباده سبحان الله وبحمده وقيل نحن نصلي بامرك قال ابن عباس كل ما فى القرآن من التسبيح فالمراد منه الصلوة وَنُقَدِّسُ لَكَ اى نثني عليك بالقدس والطهارة ولم يكن هذا من الملائكة على طريق الاعتراض والعجب بالعمل بل على سبيل التعجب وطلب وجه الحكمة قَالَ الله تعالى إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ من المصلحة فيه وقيل انى اعلم ان فى ذريته من يطيعني ويعبدني من الانبياء والاولياء والصلحاء وقيل انى اعلم انهم يذنبون وانا اغفر لهم قال بعض اهل الاشارات لما شاهدوا افعالهم وافتخروا بها رد الله تعالى وجوههم عنه الى آدم وامرهم بالسجود له اعلاما بان العبادة لا يزن عنده شيئا وقال بعضهم من استكبر بعلمه واستكبر بطاعته كان للجهل وطء الالزام لما قالوا نحن نسبح بحمدك ونقدس لك الزمهم الى ان قالوا لا علم لنا وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا قال ابن عباس وغيره علمه اسم كل شيء قيل اسم ما كان وما يكون الى يوم القيمة وقيل صنعة كل شيء وقيل ان الله تعالى علم آدم جميع اللغات ثم تكلم كل واحد من اولاده بلغة فتفرقوا فى البلاد واختص كل فرقة منهم بلغة قال القاضي الحكمة معرفة ذوات الاشياء وخواصها واسمائها واصول العلوم وقوانين الصناعات وكيفية آلاتها قال الكاشف علمه اسماء الصفات الخاصة التي عرف بها حقائق جميع الصفات واهتدى بانوارها طرائق معارف الذات ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ اى ثم عرض المسميات على الملائكة قال مقاتل خلق الله كل شيء الحيوان والجماد ثم عرض تلك الشخوص على الملائكة فالكناية راجعة الى الشخوص فلذلك قال عرضهم فَقَالَ أَنْبِئُونِي اخبروني بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى زعمكم انكم احقاء بالخلافة بعصمتكم قَالُوا اى قالت الملائكة اقرارا بالعجز سُبْحَانَكَ تنزيها لك لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا انك اجل من ان نحيط بشيء من علمك الا ما علمتنا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ بخلقك الْحَكِيمُ فى امرك لا يتطرق اليه شيء من الفساد واصل الحكمة فى اللغة المنع فهي تمنع صاحبها من الباطل ومنه حكمة الدابة لانها تمنعها من الاعوجاج فلما ظهر عجزهم قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فسمى كل شيء باسمه وذكر الحكمة التي لاجلها خلق فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ يا ملائكتي إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ما كان فيهما وما يكون لانه قد قال لهم انى اعلم ما لا تعلمون وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ قال الحسن وقتادة يعني قولهم اتجعل فيها من يفسد فيها وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ قولهم لن يخلق الله خلقا اكرم عليه منا قال ابن عباس هو ان ابليس مر على جسد آدم وهو ملقى

بين مكة والطائف لا روح فيه فقال لامر ما خلق هذا ثم دخل فى فيه وخرج من دبره وقال انه خلق لا يتماسك لانه اجوف ثم قال للملائكة الذين معه ارايتم ان فضل هذا عليكم وامرتم بطاعته ماذا تصنعون قالوا نطيع امر ربنا فقال ابليس فى نفسه والله لئن سلطت عليه لاهلكنه ولئن سلط عليّ لاعصينه فقال الله واعلم ما تبدون يعني ما تبديه الملائكة من الطاعة وما كنتم تكتمون يعني ابليس من المعصية ثم اشار الى نعمة اخرى عامة لجميع البشر فقال وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ اختلفوا فى ان هذا الخطاب مع اي الملائكة فقال بعضهم مع الذين كانوا سكان الارض وقال بعضهم مع جميع الملائكة لقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون وقوله اسجدوا فيه قولان الاصح ان السجود كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله عز وجل بامتثال امره ولم يكن فيه وضع الوجه على الارض انما كان الانحناء فلما جاء الاسلام ابطل ذلك بالسلام وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود عبادة كسجود اخوة يوسف له فى قوله وخروا له سجدا وقيل معنى قوله اسجدوا لآدم اى الى آدم وكان آدم قبلة والسجود لله كما جعلت القبلة كعبة للصلوة والصلوة لله فَسَجَدُوا يعني الملائكة إِلَّا إِبْلِيسَ وكان اسمه عزازيل بالسريانية والحارث بالعربية فلما عصى غير اسمه وصورته فقيل ابليس لانه ابلس من رحمة الله اى يئس واختلفوا فيه فقال ابن عباس واكثر المفسرين كان ابليس من الملائكة وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة لقوله تعالى الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه فهو اصل الجن كما ان آدم اصل الانس ولانه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولان له ذرية ولا ذرية للملائكة وقيل ان فرقة من الملائكة خلقوا من النار سموا جنا لاستتارهم عن الاعين وابليس كان منهم والدليل عليه قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا وهو قولهم الملائكة بنات الله ولما اخرجه الله من الملائكة جعل له ذرية أَبَى امتنع فلم يسجد وَاسْتَكْبَرَ تكبر عن السجود له وَكَانَ التكبر ان يرى الرجل نفسه اكبر من غيره والاستكبار طلب ذلك بالتشبع وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ قال اكثر المفسرين وكان فى سابق علم الله من الكافرين الذين وجبت لهم الشقاوة وقيل وصار من الكافرين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويله امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار قال الكاشف لما خلقه بخلقه وصوره بصورته والبسه انواره ونفخ فيه من روحه واسكنه جنته واجلسه على سرير مملكته فاسجد له ملائكته حتى اكمل له فى العبودية صفات الربوبية فلما سجد الملائكة لآدم فابى ابليس عن السجود لان الملائكة راوا فيه سر الله وعليه لباس الله مصبوغا بصبغ الله ولم ير ابليس ما كشف لهم فابى واستكبر من غضب الله وكان من الكافرين اي فى سابق علمه من المطرودين وقال ابن عطاء لما استعظموا تسبيحهم وتقديسهم امرهم بالسجود لغيره ليريهم به استغناءه عنهم وعن عبادتهم وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ عن ابن مسعود وعن ناس من الصحابة اخرج ابليس

من الجنة واسكن آدم الجنة فكان يمشي فيها وحشا وليس له زوج يسكن اليها فنام نومة فخلق الله تعالى زوجته حواء من قصيرى شقه الايسر سميت حواء لانها خلقت من حي خلقها الله من غير ان احس به آدم ولو وجد له الما لما عطف رجل على امراة قط فلما هب من نومه راها جالسة عند راسه كاحسن ما خلق الله فقال من انت قالت زوجتك خلقني الله لك تسكن الي واسكن اليك وقد اختلف فى الجنة التي اسكنها آدم اهي فى السماء ام فى الارض والاكثرون على الاول وسياتي تقرير ذلك فى سورة الاعراف قال الشيخ ابن الكثير وسياق الآية يقتضي ان حواء خلقت قبل دخول آدم الجنة وقد صرح بذلك محمد بن اسحق حيث قال لما فرغ الله تعالى من معاتبة ابليس اقبل على آدم وقد علمه الاسماء كلها فقال يا آدم انبئهم باسمائهم الى قوله انك انت العليم الحكيم قال ثم القيت السنة على آدم فيما بلغنا عن اهل الكتاب من اهل التورية وغيرهم من اهل العلم عن ابن عباس وغيره من اهل العلم ثم اخذ ضلعا من اضلاعه من شقه الايسر ولأم مكانه لحما وآدم نائم لم يهب من نومه حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امراة ليسكن اليها فلما كشفت عنه السنة وهب من نومه راها الى جنبه فسكن اليها فلما زوجه الله وجعل له سكنا فى نفسه قال له يا آدم اسكن انت وزوجك فى الجنة وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا واسعا كثيرا حَيْثُ شِئْتُمَا اي مكان من الجنة شئتما قال الكاشف اراد الله ان يعصيا فوكلهما الى انفسهما وعزلهما عن القربة بادخالهما فى الجنة لان آدم وحواء طفلا الزمان لا يستقران فى جبروت الرحمن فالجاهما الى اكل ثمار اشجار الجنان لافراد القدم عن الحدثان وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ قد اختلف فى هذه الشجرة ما هي قال السدي عمن حدثه عن ابن عباس الشجرة التي نهى عنها آدم عليه السلام هي الكرم وروى عن ابن مسعود وناس من الصحابة مثله وعن ابن عباس ايضا هي البر قال ابن جرير كتب ابن عباس الى ابي الجلد يسال عن الشجرة التي اكل منها آدم والشجرة التي تاب عندها آدم فكتب اليه ابو الجلد سالتني عن الشجرة التي نهى عنها آدم وهي السنبلة وسالتني عن الشجرة التي تاب عندها آدم وهي الزيتونة وكذلك فسره الحسن البصري قال ابن جرير والصواب فى ذلك ان يقال ان الله جل ثناؤه نهى آدم وزوجته عن اكل شجرة بعينها من اشجار الجنة دون سائر اشجارها فاكلا منها ولا علم عندنا باي شجرة كانت على التعيين لان الله تعالى لم يضع لعباده دليلا فى القرآن ولا من السنة الصحيحة وذلك علم اذا علم لم ينفع العالم به علمه وان جهله جاهل لم يضره جهله به فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ من الضارين بانفسكما بالمعصية واصل الظلم وضع الشيء فى غير موضعه فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ حملهما على الزلة بسببها ودعاهما اليها الشيطان فيعال من شطن اى بعد سمي به لبعده عن الخير وعن الرحمة عَنْهَا عن الجنة فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ من النعيم وتوصل الى اخراجهما بعد ما قيل له اخرج فانك رجيم قيل فى فم الحية حتى دخلت به وقيل

الناهما اليهما على طريق الوسوسة وقلنا اهبطوا انزلوا الى الارض يعنى آدم وحواء وابليس
والحية عن ابن عباس قال الله عز وجل لآدم الم يكن فيما ابحتك من الجنة مندوحة عن الشجرة قال بلى
وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لاهبطنك الى الارض ثم لا تنال العيش
الا كدا فاهبط من الجنة وكانا يأكلان فيها رغدا فعلم صنعة الحديد وامر بالحرث فحرث وزرع ثم سقى
حتى اذا بلغ حصد ثم داسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه ثم اكله فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله قال
ابن عطاء نهى عن جنس الشجرة فظن آدم ان النهي عن المشار اليه فساول على حد النسيان وترك
المحافظة للعلى التعهد والمخالفة قال الله تعالى فنسي ولم نجد له عزما وعن ابن عباس ما اسكن آدم الجنة
الا ما بين صلوة العصر الى غروب الشمس وعن الحسن قال لبث آدم في الجنة ساعة من نهار تلك الساعة
ثلثون ومائة سنة من ايام الدنيا قال ابن ابي حاتم عن ابن عباس اهبط آدم الى ارض يقال له
دحنا بين مكة والطايف وعن الحسن البصري قال اهبط آدم بالهند وحواء بجدة وابليس ب
دستميسان من البصرة على اميال واهبطت الحية باصبهان رواه ابن ابي حاتم عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه
اخرج منها رواه مسلم قال بعض من اهل الاشارات نهاهما عن قرب الشجرة وقضى عليهما ما قضى ليريهما
عجزهما وان العصمة هي التي تقويهما لا جهدهما وطاقتهما بعضكم لبعض عدو اراد العداوة التي بين
المؤمنين من ذرية آدم وبين ابليس وبين ذرية آدم والحية روى محي السنة باسناده عن ابن عباس
انه كان يامر بقتل الحيات وقال من تركهن خشية او مخافة ثار فليس منا قال وزاد مسلم بن مسلم
عن عكرمة في الحديث ما سالمناهن منذ حاربناهن وروى انه نهى عن ذوات البيوت وروى عن
ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان بالمدينة جنا قد اسلموا فان رايتم منهم شيا فاذنوه ثلثة
ايام فان بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه فانما هو شيطان قال الكاشف في الآية اشارة الى ان المريد يحق
ان يتشدد بكل احد فربما يقع بكلام اهل الخداع في هاوية الهلاك والمريد قد غلب عليه الارادة وحلاوة
المعاملة فكل من يدعوه الى شيء من المعاملة يسمع كلامه وان كان مدعيا لانه لا يعرف تغير الاحوال فيسقط
عن درجة الارادة بشوم صحبة الاضداد وايضا من سلك طريق الشهوة احتجبت عن مشاهدة القربة
لان سوء الادب يوجب سقوط المريد عن درجة الحرمة ولكم في الارض مستقر موضع استقرار
او استقرار وقرار ومتاع بلغة ومستمتع او تمتع الى حين الى وقت موقت ومقدار معين
ثم تقوم الساعة قال الكاشف اى مشهد اشباحكم في ملكوت الارض ومستقر ارواحكم في ملكوت
الحضرة ومتاع الى حين متاعهم متاع انوار تجلي الحق متوارد على قلوبهم ليعيشوا بها تسليا عن
فقدان المشاهدة فتلقى تلقن والتلقي هو قبول عن فطنة وفهم آدم من ربه كلمات وكانت سبب قبول توبته

واختلفوا في تلك الكلمات قال سعيد ابن جبير ومجاهد والحسن هي قوله ربنا ظلمنا انفسنا الآية وقال
محمد بن كعب القرظي هي قوله لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي انك انت
الغفور الرحيم لا اله الا انت سبحانك وبحمدك رب عملت سوءا وظلمت نفسي فارحمني انك ارحم الراحمين
وقال عبيد بن عمير هي ان آدم قال يا رب ارايت ما اتيت اشيء ابتدعته من تلقاء نفسي ام شيء قدرته
على قبل ان تخلقني قال لا بل شيء قدرته عليك قبل ان اخلقك قال يا رب فكما قدرته علي قبل ان تخلقني
فاغفر لي وقيل هي ثلثة اشياء الحياء والدعاء والبكاء قال ابن عباس بكى آدم وحواء على ما فاتهما
من نعيم الجنة مائتي سنة ولم ياكلا ولم يشربا اربعين يوما ولم يقرب آدم حواء مائة سنة وروى المسعودي
عن يونس بن خباب وعلقمة بن مرثد قالا لو ان دموع اهل الارض جمعت لكان دموع آدم اكثر
حيث اخرجه الله من الجنة وقال شهر بن حوشب بلغني ان آدم لما اهبط الى الارض مكث ثلثمائة
سنة لا يرفع راسه حياء من الله عز وجل قال جعفر بن محمد في قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات
قال آدم يا رب ما خدعت الا بك فتاب عليه رجع عليه بالرحمة وقبول التوبة وبسط الكلام في
التوبة في كتب الحديث والتصوف منها كتاب التوبة من كتاب احياء علوم الدين انه هو التواب
الرجاع على عباده بالمغفرة الرحيم المبالغ في الرحمة قلنا اهبطوا منها جميعا هولاء الاربعة
فاما ياتينكم مني هدى فان ياتكم مني هدي اي بيان شريعة يقول الله تعالى انه سينزل
الكتب ويبعث الانبياء والرسل قال ابو العالية الهدى الانبيا والرسل والبيان وقال مقاتل
الهدى محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن الهدى القرآن وهذان القولان صحيحان وقول ابي
العالية اعم فمن تبع هداي اي من اقبل على ما انزلت به الكتب وارسلت به الرسل فلا خوف عليهم
فيما استقبلهم ولا هم يحزنون على ما خلفوا وقيل لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة ثم لما وعد
متبع الهدى بالامن من العذاب والحزن عقبه بذكر من اعد له العذاب فقال والذين كفروا اي
جحدوا ما كانه قال ومن لم يتبع بل كفروا وكذبوا باياتنا بالقرآن اولئك اصحاب النار يوم القيمة
هم فيها خالدون لا يخرجون منها ولا يموتون يا بني اسرائيل يا اولاد يعقوب ومعنى اسرائيل
عبد الله وا بل هو اسم الله عز وجل اذكروا احفظوا والذكر يكون بالقلب ويكون باللسان و — اسم عبد الله
قيل اراد به الشكر وذكر بلفظ الذكر لان في الشكر ذكرا وفي الكفر به نسيانا قال الحسن ذكر
النعمة شكرها نعمتي اي نعمي لقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والنعمة المنعم المسؤل
عليه من الاحسان التي انعمت عليكم اي على اجدادكم واسلافكم قال قتادة هي النعم التي خصت
بها بنو اسرائيل من فلق البحر وانجاهم من فرعون بلوا قمره وتظليل الغمام عليهم في التيه و
انزال المن والسلوى وانزال التورية في نعم كثيرة لا تحصى وقال غيره هي جميع النعم التي لله عز وجل

على عباده واوفوا بعهدي بامتثال امري اوف بعهدكم بالقبول والثواب قال الحسن هو قوله
واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة فهو شريعة التورية وقال الكلبي عهد الله الى
بني اسرائيل على لسان موسى عليه السلام اني باعث من بني اسمعيل نبيا اميا فمن اتبعه وصدق بالنور الذي
ياتي به غفرت له ذنبه وادخلته الجنة وجعلت له اجرين اثنين وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب لتبيننه للناس يعني امر محمد صلى الله عليه وسلم واياي فارهبون فيما ياتون ويذرون
خصوصا في نقض العهد قال الكاشف في قوله تعالى اذكروا نعمتي اي اذكروا معونتي في طلعتكم وهدايتي
قبل مجاهدتكم وما كشفت لكم من اسرار معرفتي حتى لا تغتروا باعمالكم قال بعضهم ربط بني اسرائيل
بذكر النعمة واسقط عن امة محمد صلى الله عليه وسلم ذلك فدعاهم الى ذكره فقال اذكروني اذكركم ليكون نظر
الامة من النعمة الى المنعم ونظر امة محمد صلى الله عليه وسلم من المنعم الى النعمة قال سهل بن عبد الله اراد
الله ان يخص امة محمد صلى الله عليه وسلم بزيادة على الامم كما خص نبيهم عليه السلام بزيادة على الانبياء
قطع م — فقال للخليل وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض ولم يرد محمد عليه الصلوة والسلام ونزهه
عما سواه فقال الم تر الى ربك كيف وقال في قوله تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم اي اوفوا بما
نعتت في قلوبكم من حقايق الهامي وخطابي في جميع الاحوال بامتثال امري اوف بكشف جمالي لكم
حين احتجبتم عن وصالي وقربي وقال ابو عثمان اوفوا بعهدي في التوكل اوف بعهدكم بكفايتي مهماتكم
وقال ابو سعيد القرشي اوفوا بعهدي في حفظ اداب الظاهر اوف بعهدكم بتزيين اسراركم وقال
في قوله واياي فارهبون هذا خطاب الخاص من الخاص الى الخاص امرهم باجلال نفسه بخصايص
مع لب اليقين خوفا منه به لا للعقبة فاتصل وعرفوه بنفسه لا عن نفسه وقال سهل بن عبد الله اياي
فارهبون موضع اليقين ومعرفته واياي فاتقون موضع العلم السابق وموضع المكر والاستدراج
وآمنوا بما انزلت يعني القرآن مصدقا لما معكم من التورية من حيث انه نازل حسب ما نعت فيها
موافق له في التوحيد والنبوة والعدل بين الناس والنهي عن المعاصي ونعت النبي صلى الله عليه وسلم
نزلت في كعب بن اشرف واصحابه من علماء اليهود ورؤسائهم ولا تكونوا اول كافر به اي بالقرآن
يريد من اهل الكتاب لان قريشا كفرت قبل اليهود بمكة معناه ولا تكونوا اول من كفر بالقرآن
فتتابعكم اليهود على ذلك فتبوءوا باثامكم واثامهم ولا تشتروا باياتي اي لا تستبدلوا باياتي تبيان
صفة محمد صلى الله عليه وسلم ثمنا قليلا اي عرضا يسيرا من الدنيا وذلك ان رؤساء اليهود وعلماءهم
كانت لهم ماكل يصيبونها من سفلتهم وجهالهم ياخذون كل عام منهم شيا معلوما من زروعهم وضروعهم
ونقودهم فخافوا انهم ان بينوا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وتابعوه ان تفوتهم تلك الماكل فغيروا نعته
وكتموا اسمه فاختاروا الدنيا على الآخرة فسئل سهل عن الحسن البصري عن قوله تعالى ثمنا قليلا قال

الثمن القليل الدنيا بحذافيرها وقيل اي لا تاخذوا عليه اجرا قيل مكتوب عندهم في الكتاب الاول علم مجانا كما
علمت مجانا واياي فاتقون فاخشوني في تبوعدهم فيما يعتمدونه من كتمان الحق واظهار خلافه ومخالفتهم
الرسول صلى الله عليه وسلم قال الكاشف اي بي اتقوا مني وبداية التقوى التبري من الناسوت للاهوت
ومن الكون الى الملكوت حتى يبلغ حقيقة التقوى فاتقى منه به له فرجا الله وخاف منه وقال بعضهم التقوى على
اربعة اوجه للعامة تقوى الشرك وللخاص ترك المعاصي وللعارفين ترك التوسل ولاهل الصفوة تقوى
منه اليه وقال عبد الرحمن السلمي التقوى النظر الى الكون بعين النقص ولا تلبسوا الحق بالباطل
اي لا تخلطوا يقال لبس الثوب يلبس لبسا ولبس عليه الامر يلبس لبسا اي خلط يقول لا تخلطوا الحق
الذي انزلت عليكم من صفة محمد صلى الله عليه وسلم بالباطل الذي يكتبونه بايديكم من تغيير صفة محمد
صلى الله عليه وسلم والاكثرون على انه اراد لا تلبسوا الاسلام باليهودية والنصرانية قال مقاتل ان اليهود
اقروا ببعض صفة محمد صلى الله عليه وسلم وكتموا بعضا ليصدقوا في ذلك فقال ولا تلبسوا الحق الذي
يقرون به بالباطل يعني بما يكتمونه فالحق بيانهم والباطل كتمانهم وتكتموا الحق اي لا تكتموه يعني نعت
محمد صلى الله عليه وسلم امروا بالايمان وترك الضلال ونهوا عن الاضلال بالتلبيس على من سمع الحق
والاخفاء على من لم يسمعه ويجوز ان يكون الواو للجمع اي لا تجمعوا بين لبس الحق بالباطل وكتمانه ويعضده
انه في مصحف ابن مسعود وتكتمون اي وانتم تكتمون وانتم تعلمون انكم لابسون كاتمون فانه اقبح اذ الجاهل
قد يعذر وارتكاب الذنب مع العلم نقيصة لعظم عقوبته ولهذا قال بعض الحكماء لان ادع الحق جهلا
احب الي من ان ادعه زهدا فيه ولان اترك الخير جهلا به احب الي من ان افعل اقل شر بعد العلم — جمع م
بقبحه وفي الآية حث على تجنب الشر والنهي على كل تلبيس وتمويه وان كانت الآية واردة فيمن آمن
ببعض الكتاب وكفروا بالبعض وجحدوا صفة النبي صلى الله عليه وسلم وقول ابن عباس لا تخلطوا الصدق
بالكذب وقول ابن زيد لا تخلطوا الحق الذي هو التورية بالباطل الذي كتبتموه بايديكم فاشارة الى بعض
ما تقتضيه عموم الآية قال الكاشف لا تخلطوا الكشف بالخيال والفهم بالوهم والفراسة بالحس والالهام
بالوسواس واليقين بالشك والعبودية بالربوبية والحقيقة بالرسم والاخلاص بالريا والكرامات بالمكر
وقال سهل لا تخلطوا امر الدنيا بامر الآخرة واقيموا الصلوة واتوا الزكوة يعني صلوة المومنين وزكوتهم
فان غيرهما كلا صلوة ولا زكوة امرهم بفروع الاسلام بعد ما امرهم باصوله والزكوة ماخوذة من زكا الزرع
اذا نما فان اخراجها يستجلب بركة في المال وتثمر للنفس فضيلة الكرم او من الزكاء بمعنى الطهارة
فانها يطهر المال من الخبث والنفس من البخل واركعوا مع الراكعين اي في جماعتهم فان صلوة الجماعة
تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة لما فيها من تظاهر النفوس وذكر بلفظ الركوع لان الركوع ركن
من اركان الصلوة لم يكن في صلوة اليهود فكانه قال صلوا صلوة ذات ركوع في جماعة المسلمين السابقين

أتأمرون الناس بالبر نزلت في علماء اليهود وذلك ان الرجل منهم كان يقول لقريبه وخليفه من المسلمين
اذا سأله عن امر محمد صلى الله عليه وسلم اثبت على دينه فان امره حق وقوله صدق وقيل هو خطاب
لاحبارهم حيث امروا اتباعهم بالتمسك بالتورية ثم خالفوا وغيروا نعت محمد صلى الله عليه وسلم والبر
التوسع في فعل الخير يتناول كل الخير من البر وهو الفضاء الواسع وينسب ذلك الى الله تعالى تارة نحو
انه هو البر الرحيم والى العبد تارة فيقال بر العبد ربه اي توسع في طاعته فمن الله الثواب ومن العبد الطاعة
وذلك ضربان ضرب في الاعتقاد وضرب في الاعمال وقد اشتمل عليه قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم
الآية وعلى هذا ما روي انه سئل عليه السلام عن البر فتلا هذه الآية فان الآية متضمنة للاعتقاد والاعمال
الفرائض والنوافل وبر الوالدين التوسع في الاحسان اليهما ويستعمل البر في الصدق لكونه بعض الخيرات
المتوسع فيها والهمزة للتقرير والتوبيخ والتعجيب من حالهم وتنسون انفسكم تتركونها من البر كالمنسيات
وأنتم تتلون الكتاب اي تتلون التورية وفيها الوعيد على العناد وترك البر ومخالفة القول العمل
أفلا تعقلون قبح صنيعكم فيصدكم عنه او افلا عقل لكم يمنعكم عما تعملون وخامة عاقبته قال الراغب
العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم ويقال للعلم الذي يستفيده الانسان عقلا ولهذا قال امير المؤمنين
علي كرم الله وجهه العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء
العين ممنوع والى الاول اشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ما خلق الله خلقا اكرم عليه من العقل والى
الثاني اشار بقوله ما كسب احد شيئا افضل من عقل يهديه الى هدى او يرده عن ردى وهذا العقل هو المعني
بقوله وما يعقلها الا العالمون وكل موضع ذم الله تعالى الكفار بعدم العقل فالاشارة الى الثاني دون الاول
نحو قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون ونحو ذلك من الآيات وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل
فاشارة الى الاول واصل العقل الامساك والاستمساك كعقل البعير بالعقال وعقل الدواء البطن ومنه
قيل للحصن معقل وجمعه معاقل في معالم التنزيل وغيره عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رأيت ليلة اسري بي رجالا تقرض شفاههم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء
خطباء من امتك يأمرون الناس بالبر وينسون انفسهم وهم يتلون الكتاب وعن ابي وائل قال
قال اسامة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق
اقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع اهل النار عليه فيقولون اي فلان ما شأنك اليس
كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وانهاكم عن المنكر
وآتيه قال شعبة عن الاعمش فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه وروى الشيخ ابن الكثير عن انس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يعافي الاميين يوم القيمة ما لا يعافي العلماء وقد ورد في
بعض الآثار يغفر للجاهل سبعين مرة حتى يغفر للعالم مرة ليس من يعلم كمن لا يعلم وروى ابن عساكر

عن النبي عليه السلام

فقال نشي وزخم وخيم اي وبي وعرخ وخم و وخيم اذا لم توافق ساكنيها صح

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ناسا من اهل الجنة يطلعون الى اناس من اهل النار فيقولون
بم دخلتم النار فوالله ما دخلنا الجنة الا بما تعلمنا منكم فيقولون انا كنا نقول ولا نفعل ثم انه ليس المراد ذمهم
على امرهم بالبر مع تركهم له بل على تركهم له فان الامر بالمعروف معروف وهو واجب على العالم يجب عليه
كما يجب على ان يفعل ما يأمر به من الواجبات ولا يتخلف عنهم كما قال شعيب عليه السلام وما اريد ان اخالفكم
الى ما انهاكم عنه وكل من الامر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط احدهما بترك الآخر على اصح قولي العلماء
من السلف والخلف وذهب بعضهم الى ان مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها وهذا ضعيف واضعف
منه تمسكهم بهذه الآية فانه لا حجة لهم فيها والحاصل انه يجب عليه الامر بالواجب وفعله يعاقب على ترك
كل منهما فاذا اتى باحدهما سقط عنه احد العقابين لكن عقابه بترك الفعل وهو عالم اشد من عقاب
من ترك الفعل وهو جاهل وان كان مثابا بالامر به روى الامام ابو القاسم الطبري في معجم الكبير
عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل العالم الذي يعلم
الناس الخير ولا يعمل به كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه قال الشيخ ابن الكثير هذا حديث
غريب من هذا الوجه واستعينوا بالصبر والصلوة لما امروا بما شق عليهم لما فيه من الكلفة وترك
الرياسة والاعراض عن المال عولجوا بذلك والمعنى استعينوا على مطالبكم بالصبر والتوسل بالصلوة
اما الصبر فلانه مفتاح الفرج وانكشاف الغم والظفر والفوز بالحوائج وهو حبس النفس على ما يقتضيه
العقل او الشرع او عما يقتضيان حبسها عنه وهو في الاصل بمعنى الامساك في ضيق يقال صبرت الدابة
حبستها بلا علف وهو عام يشمل الكف عن المعاصي وقد فسر به كثير من المفسرين والصوم كما فسر
به بعضهم والصبر عن محارم الله وغير ذلك عن عمر بن الخطاب والحسن البصري رضي الله عنهما الصبر صبران
صبر عند المصيبة حسن واحسن منه الصبر عن محارم الله واما الصلوة فانها من اكثر العون على الثبات
في الامر كما قال الله تعالى اتل ما اوحي اليك من الكتاب واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء و
المنكر ولذكر الله اكبر قال الكاشفي الصلوة الوقوف بحسن الادب مع الله عن ابي داود وغيره
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر صلى روى الشيخ ابن الكثير باسناده عن علي رضي الله عنه
انه قال لقد رأيتنا ليلة بدر وما فينا الا نائم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى ويدعو حتى اصبح قال
ابن جرير وروي عنه عليه الصلوة والسلام انه مر بابي هريرة وهو منبطح على بطنه فقال له اشكنب درد قال
نعم قال قم فصل فان الصلوة شفاء وروى ابن جرير باسناده ان ابن عباس نعي اليه اخوه قثم وهو في
سفر فاسترجع ثم تنحى عن الطريق فاناخ فصلى ركعتين اطال فيهما الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته
وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين اي الاستعانة بهما
او الصلوة وتخصيصها برد الضمير اليها لعظم شأنها واستجماعها ضروبا من الصبر فان الشخص

اذا كان في الصلوة يكف جميع المشتهيات عن نفسه فيكون انواعا من الصبر او جملة ما امروا بها و
نهوا عنها من قوله وآمنوا الى الآخر لكبيرة لثقيلة شاقة كما قال تعالى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه
الا على الخاشعين المؤمنين وقال الحسن الخائفين المطيعين وقال مقاتل بن حبان المتواضعين و
اصل الخشوع السكون قال عز وجل وخشعت الاصوات للرحمن فالخاشع ساكن الى طاعة الله قال
الكاشفي وانها لكبيرة الا على الخاشعين لان في صوم الرجال الامساك عما سوى الله وفي صلوة اهل
الكمال عدوية القلب من طيب مناجاة الرب تعالى لا يستعملها الا من خشع نفسه بالعبودية وعشق
قلبه بالربوبية قال ابو عثمن لمن خشع قلبه وروحه وسره بموارد الهيبة وطوالع الاجلال وقال ابن
عطاء انها لكبيرة الا على من يحقق في ايمانه وخشع سره لعظمتي واحترق احشاؤه خوفا من قطيعتي
الذين يظنون يستيقنون ويتوقعون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون اي لقاء الله ونيل ما عنده
وانهم يصيرون الى الله فيجازيهم فان نفوسهم مرتاضة بامثالها متوقعة في مقابلتها ما يستحقر لاجلها مشاقها
ويتلذذ بسببه متاعبها قال عليه الصلوة والسلام جعلت قرة عيني في الصلوة يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين اي على عالمي زمانكم وذلك التفضيل
وان كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للابناء واتقوا يوما واخشوا عقاب يوم لا تجزي
نفس لا تغني نفس عن نفس شيئا حقا لزمها وقيل لا تغني وقيل لا تكفي شيئا من الشدائد ولا
يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اي فداء وسمي به لانه مثل المعدل والعدل المثل ولاهم ينصرون
واذ نجيناكم يعني اسلافكم واجدادكم فاعتد هاهنا عليهم لانهم نجوا بنجاتهم من آل فرعون اتباعه
واهل دينه وفرعون علم لكل من ملك مصر كافرا كما ان قيصر علم لكل من ملك الروم مع الشام كافرا
وكذلك كسرى لكل من ملك الفرس وتبع لمن ملك اليمن والنجاشي لمن ملك الحبشة وبطليموس لمن
ملك الهند ويقال كان اسم فرعون الذي كان في زمن موسى عليه السلام الوليد بن مصعب بن الريان ذكره
صاحب المعالم والشيخ قال صاحب المعالم وعمر اكثر من اربعمائة سنة قال القاضي وكان فرعون
موسى مصعب بن ريان وقيل ابنه وليد من بقايا عاد وفرعون يوسف عليه السلام ريان وبينهما اكثر من
اربعمائة سنة وقال ابو محمد عبد الله النيسابوري في قصص القرآن كان في زمن يوسف فعاش الى
وقت موسى عليه السلام اعلم ان قصة موسى وغيره من الانبياء عليهم السلام ذكرت في الكلام المجيد
متفرقة على حسب مقتضى الحال ونذكرها اول ما بلغنا اليه بجملة ثم نفصلها في مواضعها المذكورة فيها
وان كان فيها نوع خروج عما نحن فيه للضبط والعلم بترتيب واقعاتهم وزوال الابهام عنها وتمكنها
في اذهان المعتبرين اما قصة موسى عليه السلام على ما ذكره عبد الله النيسابوري بعد تلخيصه
فهي انه لما دخل سنة ولادة موسى عليه السلام اخبر الكهنة فرعون ان في هذه السنة يولد لهم ولد يذهب

ملكا على

مع انشراح الصدر

ملكك على يديه فامر بقتل النساء الحبالى فشكى خدمه من قلة النساء فسلط بعد ذلك على كل عشرة من الحبالى
امرأة حتى ان من يلد منهن بابن قتل وان تلد بنتا تركوها حتى حملت ام موسى ولم يعلم احد بحملها
فلما ولدت ام موسى ذهبت الى نجار فقالت انحت لي صندوقا فقال اي شيء تصنعين به فقالت ان
لي ابنا اريد ان ادخله فيه واطرحه في البحر كيلا يعلم الملك فقال النجار امكثي ساعة لكي ارجع واراد ان يخبر
فرعون فلما مشى النجار وقع في بئر فذهب بصره ويبس اعضاؤه فعلم ان هذا من اجل ما اراد فنذر
مع نفسه ان نجاني الله تعالى من هذا انحت له صندوقا ولا اخبر فرعون فنجاه الله تعالى منه فرجع
فرجع ونحت الصندوق فادخلت موسى فيه واسلمت الى الله تعالى وضربت بالقفل ثم طرحته في
البحر وكان في النيل ثم قالت لاخته ينبغي ان تمشي خلفه وانظري اين يدخل فسلط الله تعالى بجاحي تمشي
سوده على الصندوق فمشى على الماء حتى بلغ الى بستان فرعون فدخل في بستانه فاخذه خدم الملك
فارادوا كسر الصندوق فلم يقدروا عليه فذهبوا به الى فرعون فامر بخرقه فلم يقدروا عليه فاخبروا
آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وكانت مسلمة فذهبت بالصندوق ووضعت بين يديها فلما
وضعت بين يديها انفتح الصندوق وضحك موسى في وجه آسية فجعل الله حبه في قلبها كما قال تعالى والقيت
عليك محبة مني قالت آسية قرة عين لي ولك ثم قال لخدمه لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فلما اصبح وقع الخبر في القصر ان
للملك له ابن فطلبوا ظئرا فلم يقبل موسى ثدي احد فجاءت اخته فقالت الا ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم
وهم له ناصحون فقال هامان ان كان هكذا فهو ولدهم فقالت نعم للملك ناصحون فجاءت امه فادخلت ثديها في
فيه فقبله وارضعته واحسنوا الى امه لاجله ونشأ موسى في النعيم فمتى ركب موسى ركب معه ثلثون الف
غلام في السن مثله فدخل موسى يوما في المدينة ووجد رجلا من القبط قد اخذ السامري ليذهب به الى العمل
وكان رسمهم ان يأخذوهم بالظلم ويستعملوهم العمل فاستغاث السامري بموسى وكان من قرابة موسى فوكزه
وكزة فوقع عليه الموت فمات القبطي وقال موسى هذا من عمل الشيطان فلم يرجع بالعشاء الى منزله من
مخافة فرعون ثم جاء يوما آخر فرأى رجلا قد اخذ السامري فمر به موسى فاستغاث له مرة اخرى قال
قال موسى يا سامري انك لغوي مبين لم لا تجلس في مكان حتى لا يراك احد فلما اراد موسى ان يبطش بالذي
هو عدو لهما فظن السامري انه اراد قتله قال السامري اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس الآية فتركه
هذا القبطي فاتى فرعون فاخبره ان موسى قتل ذلك الرجل قال وزراؤه علامة ذلك هو انه لم يرجع الى
الملك ليلة امس ثم قال لوزرائه اقتله ام لا فقالوا اقتله وان كان ابنك فلما اتفقوا على قتل موسى جاء يوشع فاخبره
فقال يا موسى ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج فخرج منها خائفا وتوجه تلقاء مدين كما قص الله تعالى
في كتابه فلما جاء الى شعيب واخبره بالقصة قال له شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين فزوجه
ابنته ودفع اليه العصا ثم بعد عشر سنين قصد الى مصر كما قال الله تعالى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله

آنس من جانب الطور نارا فجن عليه الليل وهو كان مع اهله وغنمه وصار الليل مظلما فاخذ المراة الطلق
فتحير موسى وقد وجد جلده حار ميت فالتوى على رجليه لان رجله اصابت مضرة وكانت الليلة باردة
مطيرة فراى موسى نارا فقال لاهله امكثوا اني آنست نارا الآية فلما دنى موسى من الشجرة فكلما ازداد النور
ازداد الشجرة للخضرة فبلغ حذاه وقام عند الشجرة هل يقع شيء من شعلتها فلم يقع منها شيء حتى نودي يا موسى
اني انا الله رب العالمين ثم قال له وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي الآية ثم قال اذهب الى فرعون
انه طغى وقل له لست بالآلهة ما عبد الله واترك بني اسرائيل فانهم احرار قال موسى يا رب اني قتلت منهم نفسا
فاخاف ان يقتلون فقال هذان حجتان لك اليد والعصا فلا يقدرون ان يفعلوا بك شيئا قال موسى واحلل
عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي اشدد به ازري ثم قال موسى يا رب
ان لفرعون وقومه آلاتا وسلاحا كيف اقوى معهم فقال الله تعالى اني البست عليك سلطان هيبتي ولا يراك
احد الا يخاف منك فمضى موسى وترك امراته على تلك الحال فقال اذا استقبلك عملا الله وكل الخلق فاصنع الذي
لله وكان فرعون جعل على باب القصر عبيدا اكبرا واقام على كل ميدان الدلم والرمح وفي ميدان الخاص
السباع مثل الاسد والخنزير فمن دخل بغير الترجمان وبغير احد من الخاص اهلكوه على مكانه في الساعة
فلما راوا هيبة موسى خافوا وهربوا كلهم فدخل على قصر فرعون فقال فرعون ايش وقع اغلقوا الابواب
فاغلقوا الابواب فجاء موسى واخذ بحلقة الباب فبلغ الخبر الى فرعون ان هذا كان هيبة موسى فدخل
موسى وبلغ اليه الرسالة فقال لموسى الم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي
الآية فقال موسى اسكت استعبدت بني اسرائيل وتمن بها علي فقال هات العلامة فالقى عصاه فاذا هي حية
فاتحة فاها سبعين ذراعا فاراد ان يبتلع فرعون فقال فرعون الامان يا موسى وصارت عصا كما
كان وقال فرعون هل عندك غير هذا قال نعم واخذ يده تحت ابطه واخرج فقلب شعله شعاع الشمس فقال
اشراف فرعون ان هذا لساحر عليم قال فرعون بلى كما كنتم تقولون يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره فماذا تامرون
قالوا ارجه واخاه وابعث في المداين حاشرين لكي يجمع السحرة فوعد موسى مع فرعون يوم النيروز فلما جاء
سحرة فرعون وجاؤا بحبالهم وعصيهم وكانوا سبعين الف رجل مع كل واحد منهم وقر من العصا ووقر من
الحبال فاجتمع الناس كلهم فسحروا اعين الناس كما قص الله تعالى فراى الناس حبالا وحيات ميلا في ميل فخاف
موسى فاوحى الله تعالى ان الق عصاك فالقاها فاذا هي حية تسعى عظيمة فاتحة فاها فابتلع عصيهم وحبا لهم
ثم التوى ذنبها حول منظر فرعون فارادت ان تبتلع فرعون مع خدمه وحشمه فقال الامان يا موسى
فاخذها موسى فقال السحرة هذا عمل سماوي فخروا له سجدا فقال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم انه لكبيركم
الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولاصلبنكم فقتلهم فرعون جميعا قال
فرعون الآن نقدد القتل على ابنائهم والاستخدام على نسائهم فقعد وعليهم على ما قص الله تعالى علينا في الآية

التي نحن

التي نحن في تفسيرها قال موسى ان لم تؤمنوا بي نزل عليكم العذاب قالوا واي عذاب كما قال الله تعالى فارسلنا
عليهم الطوفان والجراد وقال في موضع آخر ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات وفي موضع آخر فارسلنا عليهم
الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقصة كتابه فلم يؤمنوا فدعا موسى حينئذ فقال يا رب اهلكهم فانهم
لا يريدون ان يؤمنوا قال الله تعالى اني اغرقهم في البحر فقل يا موسى لبني اسرائيل حتى ياخذوا من نساء القبط
حليهم وحللهم بالعارية ويقولوا ان لنا غدا عيدا فلما جن الليل خرج موسى مع قومه فاخبر جاسوس
فرعون ان موسى هرب فامر فرعون بضرب الناقوس الاكبر فخرج عسكر فرعون على اثرهم فوجد عسكر
موسى على ساحل البحر فلم يدروا كيف يصنعون فحبس الله عسكر فرعون في الضباب حتى ظنوا ان الصبح لم
ينفجر من الظلمة والشمس طالعة فلما تحير موسى اوحى الله تعالى اليه ان يامر قومه حتى يعبروا على الماء
فقال موسى لقومه ان الله يامركم ان تعبروا على الماء فخاف كلهم الا يوشع بن نون وكالوب بن يوفنا
تلميذان لموسى وقالا لموسى يامرنا ربنا قال نعم فالقيا فرسيهما في البحر فلما راوهما دخلوا كلهم فلما دخل ساقة
عسكر موسى بلغ مقدمة عسكر فرعون فلما دنى فرعون الى البحر وراى الماء على تلك الحال قال انا ربكم الاعلى
فصار الماء من هيبتي هكذا ثم استقبله الوكيل وقال يا ايها الملك ما رأينا هذا الماء على هذا الحال فارجع حتى
اذهب بك على الطريق الآخر فتدرك موسى وقومه بثلثة ايام فقصد بالرجوع فارسل الله جبرئيل على فرس
بلقاء من افراس الجنة فمر بين يدي فرس فرعون فقد شمها او وجد ريح الجنة وريح فرس انثى فرفع فرعون
والقى نفسه في البحر فلم يقدر على امساكه وكان يستحي ان يدعي الربوبية ثم ينهزم بلا حد فلما دخل فرعون
وكان مع جبرئيل تسع وثلثون ملكا يعدون القبط وقالوا ادركوا الملك ولما شاقر عسكر موسى من البحر — خرج م
ودخل ساقة عسكر فرعون البحر فارسل الله الماء عليهم وسمع موسى جرجر الماء فقال لقومه البشارة لكم
فان الله تعالى اهلك عدوكم فرجعوا ونظروا الى الماء ولم يروا احدا فقالوا نحن لا نراهم ولا ندري اغرقهم — يقال اسبات الصدرقان موت الجوع والعدق
ام لا فلفظهم الماء حتى راوهم فاستقوا منه ودفعوا الآثم وسلاحهم وحليهم ثم ان قوما قالوا ان موسى
لم يرجع الى مصر وقصد الى ارض الميراث وقال قوم دخل مصر قالوا وهذا اجود امر الله تعالى موسى بعد ان — دخول المصر م
ان اذهبوا الى ارض ميراثكم فان ارض مصر ليس بارض الانبياء وارض ميراثكم هي اردن وفلسطين
وبعض من دمشق التي وهب الله تعالى لابراهيم ميراثا فامر الله تعالى موسى بالذهاب الى تلك البلاد
فاشتغل العجايب في ذلك الطريق فمر على اهل الرقيم وكانوا يعبدون العجل فقالوا يا موسى اجعل لنا الها
كما لهم آلهة فقال لهم موسى عليه السلام يا اولاد العفاريت ان الله اهلك عدوكم وانجاكم من الغرق واعطاكم
من النعمة كذا وكذا ثم تقولون لنا اله سواه فانتم قوم جاهلون فغيرهم على ذلك ومشى ونظر السامري
الى ذلك العجل الذي صاغوه فصاغ ذلك ثم وجدوا القتيل في الطريق الذي ذكر قصته في آية واذ قتلتم نفسا
الآية فامر الله تعالى موسى عليه السلام ان اذهب الى ارض فلسطين وانجاوادعهم الى التوحيد

تقاتلوا معهم فارسل اثني عشر جاسوسا اليهم ليطلعوا من امرهم لانهم كانوا جبارين فدخلوا يوما
كرم رجل فجاء صاحب الكرم ليجتني الفاكهة فراهم واحدهم فوضع ستة في كم وستة في كم اخرى ثم
جنى الفاكهة واتى بهم الى الملك والقاهم بين يدي الملك مع الفاكهة فقال ان هؤلاء جاؤا يريدون
ان ياخذوا ملكنا وبلادنا فامر الملك بضرب اعناقهم وقالت امراته ما ترجع من قتلهم اتركوهم ليرجعوا
الى عسكرهم ويخبروهم من حالنا وقوتنا فلم يخبروا العسكر ولكن قالوها للنساء يعني الا يوشع وكالوب
فلم يقولا فعاش الخبر في العسكر وقالوا لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فغضب
موسى وقال فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال الله تعالى فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون
في الارض فبقوا في التيه بدعاء موسى ويقال بدعاء بلعم وقصة التيه مذكورة في موضعها ولما جاء
الى مصر بعد هلاك فرعون قالوا يا موسى نريد الكتاب الذي وعدتنا وكان موسى وعدهم ان الله يعطي
اذا اهلك فرعون وقومه نعطيهم كتابا يكون فيه امر ونهي ووعد ووعيد وحلال وحرام فاجتمعوا وقالوا
ائتنا بالذي وعدتنا وقال موسى انت تعلم ما يريدون مني فاوحى الله تعالى اليه ان اختر من قومك سبعين
شيخا من صلحائهم وائت بهم الى طور سيناء لاعطيكم التورية فاختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا
وقصته مذكورة في محلها ثم لما رجع من الطور صار قومه كفارا عبدوا العجل وذلك لان السامري غرهم
وقال ان موسى اخلف الوعد وذلك انه وعد عشرين يوما وعشرين ليلة ثم قال ايتوني بالحلي الذي
رفعتم من قوم فرعون فانه لا يحل لكم والغنايم كان عليهم حراما حتى ذابوها بالنار وكان صايغا فاتخذ
العجل على ما ذكر في موضعه وانما فعل ذلك السامري لانه راى ميل قلوبهم اليه حين مروا على اهل الرقيم فعبده
الاسباط واحدا مع هرون فلما دنوا قالوا نسمع صوت القتال فقال موسى هو صوت الفتنة ان الله تعالى
اخبره به حين كان على الجبل فقال موسى يا رب من جعل العجل قال السامري قال من نفخ فيها الروح قال
انا قال انت وثبت قومي يا رب قال له صدقت يا صاحب الهداية والاضلال فلما دنا ورآهم يرقصون حول العجل
فطرح الالواح عن يده وانكسرت حتى صعدت عامة كلامه الى السماء قال الله تعالى كذا اعلمتك عند الجبل
بهذا فلم غضبت ههنا قال ليس الخبر كالمعاينة ثم اخذ شعر لحيته على ما قص في مكانه فلما ندموا على ما صنعوا
قالوا يا موسى ندمنا على ما صنعنا فدعا موسى فقال يا رب ان عبادك قد ندموا فبتي توبتهم ان يقتل
من لا يعبد العجل الذي عبد العجل فعند ذلك اخذوا الذين لم يعبدوا العجل السيوف وامر موسى الذين
عبدوا حتى خرجوا وجلسوا على باب دارهم محتبين على ما قص في محله وصعد موسى وهرون الجبل
ويدعوان وارتفعت الاصوات من بين القاتل والمقتول فقتلوا الى نصف النهار ثم اوحى الله تعالى
الى موسى ان قل ارفعوا سيوفكم فرفعوا وصار القتيل سبعين الفا وقال موسى عليه السلام من
بلغه القتل صار شهيدا ومن جلس بنية القتل صار مغفورا ومن هرب الى علية دل الجزية ومن مات

قبل ذلك الوقت

قبل ذلك الوقت وجبت له النار ابد الآبدين ثم رد التورية الى موسى في لوحين فلما جاءهم موسى
بالتورية فنظروا فيها فراوا فيها التغليظ والتشديد قالوا يا موسى ان العجل الذي عبدنا احب الينا
من الكتاب الذي جئتنا به فوالله لا نقبله فعند ذلك امر جبرئيل ان يقلع الجبال حتى انقطع من اصله وقال
امر جبرئيل عليه السلام حتى قطع من اصل الجبل فرسخا في فرسخ والعسكر مثل ذلك فجعله فوق رؤسهم
فقال لهم موسى ان قبلتم التورية بما فيها والا رميت عليكم الجبل فرضيتكم فسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل
بابصارهم فمن ثم ان اليهود يسجدون على انصاف وجوههم فقبلوها ولو وجدوا بدا ما قبلوها
فعند ذلك دفع عنهم الجبل ولما بلغ آخر عمره قد ضعف ورجع الوحي الى يوشع وكالوب واقبل موسى
على العبادة وذهب الى صومعة في الجبل ويرجع كل اربعين يوما الى اهله واولاده وكان يوما في
الصلوة فجاء ملك الموت فسلم عليه فرد سلامه فقال من الذي اقشعر جلدي من تسليمه وقام شعري على
بدني قال انا ملك الموت فقال موسى باي شيء جئت قال لقبض روحك ولكن باذنك قال اصبر ساعة
حتى اذهب واودع والدتي واهلي وولدي ثم ذهب الى الام وقرع الباب فقالت من هذا قال
انا موسى قالت ليس هذا وقت رجوعك يا موسى قال افتحي بابك لا تفتحين غير هذا ففتحت وودعها و
قالت ما بي لا تطاول على رسول الله فذهب الى امراته وقرع الباب وقالت مثله وقال مثل ما قال
لامه ففتحت ودخل موسى وقال ائتني الاولاد فاتيتهم وودعهم فقالت عجل فان رسول الله ينتظرك
فخرج فجاء ملك الموت باترج وقال شمه يا موسى فلما شمه دخل عليه دهشة وقال ملك الموت اسكران
انت يا موسى قال لا وما وجدت طعاما منذ ايام قال افرح حتى انظر اسكران انت ام لا فنفخ موسى
فقبض روحه في ذلك يسومونكم يكلفونكم ويذيقونكم سوء العذاب اشد العذاب واسوأ •
وقيل يصرفونكم في العذاب مرة هكذا ومرة هكذا كالابل السايمة في البرية وذلك ان فرعون جعل
بني اسرائيل خدما وخولا وصنفهم في الاعمال وصنف يبنون وصنف يحرثون ويزرعون وصنف
يخدمونه ومن لم يكن منهم في عمل وضع عليه الجزية يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم يتركونهن
احياء وذلك ان فرعون راى في منامه كان نارا اقبلت من بيت المقدس واحاطت بمصر واحرقت
كل قبطي فيها ولم يتعرض لبني اسرائيل فهاله ذلك وسال الكهنة عن رؤياه فقالوا يولد في بني اسرائيل
غلام على يده هلاكك وزوال ملكك فامر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني اسرائيل على ما مر شرحه حتى — قيل انه م
قتل في طلب موسى عليه السلام اثني عشر الف صبي وقال وهب بلغني انه ذبح في طلب موسى تسعين
الف وليد ثم اسرع الموت في مشيخة بني اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا ان الموت
قد وقع في بني اسرائيل فيذبح صغارهم ويموت كبارهم فيوشك ان يقع العمل علينا فامر فرعون
ان يذبحوا سنة ويتركوا سنة فولد هرون في السنة التي لا يذبحون فيها وولد موسى في السنة التي

يذبحون فيها وفي ذلكم بلاء محنة ان اشير بذلكم الى صنيعهم ونعمة ان اشير الى الانجاء واصل الاختبار
والحلق عليهما لان الله تعالى قد يختبر على النعمة بالشكر وعلى الشدة بالصبر قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير
فتنة من ربكم بتسليطهم عليكم وببعث موسى وتوفيقه لتخليصكم عظيم صفة بلاء وفي الآية تنبيه على
ان ما يصيب العبد من خير او شر اختبار من الله تعالى فعليه ان يشكر مساره ويصبر على مضاره ليكون
من خير المختبرين واذ فرقنا فلقنا بكم البحر حتى حصلت فيه مسالك لسلوككم فيه فانجيناكم واغرقنا
آل فرعون اراد به فرعون وقومه واقتصر على ذكرهم للعلم بانه كان اولى به عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال كان اصحاب موسى ستمائة وسبعين الفا وانتم تنظرون غرقهم واذ واعدنا موسى ان نعطيه التورية
بعد هلاك فرعون اربعين ليلة ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعبر عنها بالليالي لانها غرر الشهور قال
الكاشف اراد الله ان يقدس موسى عن العادة والطبيعة ورسم البشرية بصفاء الخلوة ونور الحق
ليتهيأ له استعداد تجلي انوار المشاهدة والخطاب فصار سنة لاوليائه من طلاب المعرفة والمشاهدة
تلك الاربعين وايضا اراد ان يربيه في كنف قربه حتى يقدر ان يسمع كلامه القديم لان محل الحقائق
لا يكون للحدث حتى يستقيم في الواردات والصادرات من التجلي والتدلي ثم اتخذتم العجل الها
ومعبودا من بعده من بعد مضيه ومغيبه وانتم ظالمون ضارون لانفسكم بالمعصية واضعون العبادة
في غير موضعها ثم عفونا عنكم محونا ذنوبكم من بعد ذلك من بعد عبادتكم العجل لعلكم تشكرون
عفوي عنكم وصنيعي اليكم واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان يعني التورية الجامع بين كونه كتابا و
حجة يفرق بين الحق والباطل لعلكم تهتدون بتدبر الكتاب والتفكر في الآيات واذ قال موسى لقومه
يا قوم الذين عبدوا العجل انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فارجعوا الى خالق الخلق قال
الكاشف اي آثرتم تمثال الشيطان على مشاهدة الرحمن وايضا حملتم صنع الخالق من صنع المخلوق
وقيل فيه مجاز كل انسان نفسه فمن اسقط وخالف مراده وهواه فقد برئ من ظلمه فاقتلوا انفسكم
ليقتل البرئ منكم المجرم ذلكم اي القتل خير لكم عند بارئكم من حيث انه طهرة من الشرك ووصلة الى
الحيوة الابدية والبهجة السرمدية فلما امرهم موسى بالقتل قالوا نصبر لامر الله فجلسوا بالافنية محتبين
وقيل لهم من حل حبوته او مد طرفه الى قاتله او اتقاه بيد او رجل فهو ملعون مردود توبته واصلتت
القوم عليهم الخناجر فكان الرجل يرى ابنه واباه واخاه وقريبه وصديقه وجاره فلم يمكنهم المضي لامر الله
قالوا يا موسى كيف نفعل فارسل الله عليهم ضبابة وسحابة سوداء لا يبصر بعضهم بعضا وكانوا يقتلونهم
الى المساء فلما كثر القتل دعا موسى وهرون فبكيا وتضرعا وقالا يا رب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية
فكشف الله السحابة وامرهم ان يكفوا عن القتل فانكشف عن الوف من القتلى روي عن علي رضي الله عنه
انه قال كان عدد القتلى سبعين الفا فاشتد ذلك على موسى فاوحى الله اليه اما يرضيك ان ادخل القاتل

والمقتول في الجنة وكان من قتل منهم شهيدا ومن بقي مكفرا عنه ذنوبه فذلك قوله فتاب عليكم
ففعلتم ما امرتم به فتاب عليكم فتجاوز عنكم انه هو التواب الرحيم الذي يكثر توفيق التوبة او
قبولها من المذنبين ويبالغ في الانعام عليهم قال الكاشف فاقتلوا انفسكم اي فارجعوا عن
رؤية مواهبه الى معرفة نفسه وايضا توبوا من ذنوبه توبتكم برؤية توبة ربكم عليكم واقتلوا انفسكم
بعوفتكم عليها حق يوصلكم معرفتها وبمخالفتها الى معرفة ربكم وقال الواسطي كان توبة بني اسرائيل
افناء انفسهم ولهذه الامة اشد وهو افناء نفوسهم عن مرادها مع بقاء رسوم الهياكل وقال
الفارسي التوبة محو البشرية باثبات الالهية واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
قال ابن عباس علانية وذلك ان الله امر موسى عليه السلام ان ياتيه في ناس من بني اسرائيل يعتذرون
اليه من عبادة العجل فاختار موسى سبعين رجلا من قومه من خيارهم وقال لهم صوموا وتطهروا
وطهروا ثيابكم ففعلوا فخرج بهم موسى الى طور سيناء لميقات ربه فقالوا لموسى اطلب لنا نسمع كلام ربنا
فقال افعل فلما دنى موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام ويغشى الجبل كله فدخل في الغمام وقال للقوم
ادنوا فدنا القوم حتى دخلوا في الغمام وخروا سجدا وكان موسى اذا كلمه ربه وقع على وجهه نور ساطع
لا يستطيع احد من بني اسرائيل ان ينظر اليه فضرب دونه الحجاب وسمعوه وهو يكلم موسى يامره و
ينهاه واسمعهم الله اني انا الله لا اله الا انا ذو بكة اخرجتكم من ارض مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا
تعبدوا غيري فلما فرغ موسى وانكشف الغمام اقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتكم الصاعقة الموت وقيل نار جاءت من السماء وقيل صيحة من السماء وانتم تنظرون
اي ينظر بعضكم الى بعض حين اخذكم الموت ثم بعثناكم من بعد موتكم احييناكم قال قتادة احياهم ليستوفوا
بقية آجالهم وارزاقهم ولو ماتوا بآجالهم لم يبعثوا الى يوم القيمة لعلكم تشكرون نعمة الاحياء روي عن
الكلبي انه قال لهم موسى خذوا كتاب الله فقالوا لا فقال اي شيء اصابكم قالوا اصابنا انا متنا ثم حيينا
قال خذوا كتاب الله قالوا لا فبعث الله ملائكة فنتقت الجبل فوقهم وهذا السياق يدل على انهم كلفوا
بعد ما احيوا وقد حكى الماوردي في ذلك قولين احدهما انه سقط التكليف عنهم لمعاينتهم الامر جهرة حتى
صاروا مضطرين الى التصديق والثاني انهم مكلفون لئلا يخلو عاقل من تكليف قال القرطبي وهذا
هو الصحيح لان معاينتهم الامور العظيمة لا يمنع تكليفهم لان بني اسرائيل قد شاهدوا امورا عظاما من
خوارق العادات وهم في ذلك مكلفون وهذا اصح قال الكاشف اي طلبتم رؤيتي ومطالعتي بتقليد
موسى وليس لكم مقام المشاهدة فلما برز لكم ذرة من انوار ذاتي فنيتم فيها واحترقتم لانكم في البداية
وموسى في النهاية وايضا افنيتكم في سطوات عظمتي وابقيتكم بانوار جمالي وجلالي ثم بعثناكم من بعد
موتكم ثم لما ذكر تعالى ما دفع عنهم من النقم شرع يذكرهم ايضا بما اسبغ عليهم من النعم فقال وظللنا عليكم

الغمام في التيه تقيكم حر الشمس وذلك انه لم يكن في التيه كن يسترهم فشكوا الى موسى فارسل الله غماما ابيض
رقيقا اطيب من غمام المطر وجعل لهم عمودا من نور يضيء لهم الليل اذا لم يكن قمر وانزلنا عليكم المن
والسلوى اي في التيه والمن الترنجبين عند الاكثرين قال الزجاج جملة المن ما يمن الله به من غير
تعب عن سعيد بن زيد قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الكماة من المن وماؤها شفاء للعين
فكان هذا المن يقع كل ليلة على اشجارهم مثل الثلج لكل انسان منهم صاع فقالوا يا موسى قتلنا هذا المن
بحلاوته فادع لنا ربك ان يطعمنا اللحم فانزل الله تعالى عليهم السلوى وهو طائر يشبه السماني
بعث الله سحابة فمطرت السماني في عرض ميل وطول رمح في السماء بعضه على بعض وكان الله ينزل
عليهم المن والسلوى كل صباح من طلوع الفجر الى طلوع الشمس فياخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليوم وليلة
واذا كان يوم الجمعة ياخذ كل واحد منهم ما يكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل يوم السبت قال الكاشف ظللناهم
بغيم القدرة وانزل منها على قلوبهم وبل المعرفة ولحم الحكمة وايضا لما وقعهم في تيه الغربة حللهم باردية
الكرامة وانزل عليهم مائدة الحضرة بلا كلفة الاكتساب وكد المعاملات كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا
تدخروا لغد ففعلوا فقطع الله ذلك عنهم ودود وفسد ما ادخروه فقال تعالى وما ظلمونا ولكن كانوا
انفسهم يظلمون باستيجابهم عذابي وقطع مادة الرزق الذي كان ينزل عليهم بلا مؤنة في الدنيا ولا حساب
في العقبى عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخبث الطعام ولم يخنز اللحم ولولا
حواء لم تخن انثى زوجها الدهر واذ قلنا ادخلوا هذه القرية قال ابن عباس هي اريحا وهي قرية الجبارين
كان فيها قوم من بقية عاد يقال لهم العمالقة ورأسهم عوج بن عنق وقيل بلقاء وقال مجاهد بيت المقدس
وقال الضحاك هي الرملة والاردن وفلسطين وتدمر وقال مقاتل ايلياء وقال ابن كيسان الشام فكلوا
منها حيث شئتم رغدا واسعا عليكم وادخلوا الباب يعني بابا من ابواب القرية وكان لها سبعة ابواب
سجدا اي خضعا منحنين قال وهب اذا دخلتموه فاسجدوا شكرا لله وقولوا حطة قال قتادة حط عنا
خطايانا امروا بالاستغفار وقال ابن عباس لا اله الا الله لانها تحط الذنوب ورفعها على تقدير قولوا
مسالتنا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين ثوابا من فضلنا فبدل فغير الذين ظلموا
انفسهم وقالوا قولا غير الذي قيل لهم وذلك انهم بدلوا قول الحطة بالحنطة فقالوا بلسانهم حنطا سمقاثا
اي حنطة حمراء استخفافا بامر الله تعالى وقال مجاهد طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فابوا ان يدخلوها
سجدا فدخلوا يزحفون على استاههم مخالفة في الفعل كما بدلوا القول وقالوا قولا غير الذي قيل لهم
عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجدا وقولوا
حطة فبدلوا فدخلوا يزحفون على استاههم وقالوا حبة في شعيرة فانزلنا على الذين ظلموا رجزا
عذابا قال الضحاك عن ابن عباس كل شيء في كتاب الله من الرجز يعني العذاب وقال الشعبي الرجز

اما الطاعون واما البرد وروى النيسابوري باسناده عن اسامة بن زيد وغيره انهم قالوا قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الطاعون رجز عذاب عذب به من كان قبلكم وفي الصحيحين عن اسامة
بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان هذا الوجع او السقم رجز عذب به بعض الامم
قبلكم من السماء قيل ارسل الله عليهم طاعونا فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون الفا بما كانوا
يفسقون يعصون ويخرجون من امر الله واذ استسقى موسى طلب السقيا لقومه وذلك
انهم عطشوا في التيه فسالوا موسى ان يستسقي لهم ففعل فاوحى الله اليه كما قال فقلنا اضرب
بعصاك وكانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع على طول موسى ولها شعبتان تتقدان في الظلم
نورا واسمها عليق حملها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء حتى وصلت الى شعيب فاعطاها موسى
الحجر اختلفوا فيه قال وهب لم يكن حجرا معينا بل كان يضرب اي حجر كان من عرض الحجارة فينبع
عيونا لكل سبط عين وكانوا اثني عشر سبطا ثم تسيل كل عين في جدول الى السبط الذي امر ان
يسقيهم وقال الآخرون كان حجرا معينا بدليل انه عرفه بالالف واللام فقال ابن عباس كان حجرا
مربعا على قدر راس الرجل كان يضعه في مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء وضعه وضربه بعصاه فانفجرت
اي سالت منه اثنتا عشرة عينا على عدد الاسباط قد علم كل اناس مشربهم موضع شربهم لا يدخل
سبط على غيره في شربه قال الامام فان قيل كيف يعقل خروج المياه العظيمة من الحجر الصغير الجواب
ان هذا السائل اما ان يسلم وجود الفاعل المختار او ينكره فان سلم فقد زال السؤال لانه قادر على ان
يخلق الجسم كيف شاء كما خلق البحار وغيرها وان نازع فلا فايدة له في البحث عن معنى القرآن والنظر
في تفسيره وهذا هو الجواب عن كل ما يستبعد من المعجزات التي حكاها الله تعالى في القرآن من احياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص وايضا فالفلاسفة لا يمكنهم القطع بفساد ذلك لان العناصر الاربعة لها
هيولى مشتركة عندهم وقالوا انه يصح انقلاب الهواء ماء وبالعكس فثبت ان ذلك ممكن في الجملة والحوادث
السفلية مطيعة للاتصالات الفلكية ولم يكن مستبعدا ان يحدث ايصال فلكي يقتضي وقوع هذا الامر الغريب
في هذا العالم فثبت ان الفلاسفة لا يمكنهم الجزم بفساد ذلك واعلم ان الكلام في هذا كالكلام فيما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الغزوات وقد ضاق بهم الماء فوضع يده في ميضاة فنار الماء
من بين اصابعه فان قيل معجزة موسى في هذا المعنى اعظم ام معجزة محمد صلى الله عليه وسلم الجواب
ان كلا منهما معجز باهر قاهر لكن الذي لمحمد صلى الله عليه وسلم اقوى لان نبوع الماء من الحجر معهود في الجملة
اما نبوعه من الاصابع فغير معتاد البتة فكان ذلك اقوى كلوا واشربوا من رزق الله اي وقلنا
لهم كلوا من المن والسلوى واشربوا من الماء فهذا كله من رزق الله الذي ياتيكم بلا مشقة قال
الكاشف للارواح الخاص مشارب المعارف في بحار الذات والصفات تعرف كل واحد منها موردها

من الحق سبحانه وتعالى ومشربها بالتفاوت فبعضها في مقام الحيرة وبعضها في مقام المنة وبعضها
في مقام الوصلة وبعضها في مقام الفناء وبعضها في مقام البقاء وبعضها في مقام الجلال وبعضها في حرف
الجبروت وبعضها في عالم الملكوت وبعضها في مشاهدة القدس وبعضها في رياض الانس على قدر
مقامها وتفاوت سرها وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ لا تعتدوا حالة افسادكم والعثى اشد الفساد
وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ وذلك انهم اجموا وسئموا من اكل المن والسلوى
فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا
وَبَصَلِهَا قال ابن عباس الفوم الخبز وقال عطاء الحنطة قال الزجاج الحبوب التي يوكل كلها وقال
الكلبي الثوم قال الكاشف لم يصبروا على اكل طعام الروحانيين لانهم اهل الطباع وايضا من لم يشكر
الله على نعمائه غيّرها عليه حتى لم يصبروا على بلائه قيل الناس رجلان رجل انزل عند تدبيره فهو مستريح
في ميادين الرضا راض باحكام القضاء فيه ساء او سر فهو في الزيادة ابدا وآخر رد الى تدبيره واختياره
سخط في تدبيره واختياره الى ان يهلك قَالَ لهم موسى أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ اخس واردا
بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اشرف وافضل وجعل الحنطة ادنى باعتبار القيمة او اراد انها اسهل وجودا في العادة
ويجوز ان يكون الخير راجعا الى اختيار الله لهم واختيارهم لانفسهم قال الكاشف اتستبدلون طعام
اهل القربة بطعام اهل الشهوة وقيل معناه اتعارضون حسن اختياري لكم في الازل بمخالفة السوال و
الدعاء وما يدل القول لدي اهْبِطُوا مِصْرًا يعني فان ابيتم الا ذلك فانزلوا مصرا من الامصار وقال
الضحاك هو مصر موسى وفرعون والاول اصح لانه لو اراده لم يصرفه فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ من نبات الارض
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ اي جعلت عليهم الذلة والزموها والذلة الهوان قيل بالجزية وقيل بالزنار وزي
اليهودية وَالْمَسْكَنَةُ الفقر سمي من لا مال له مسكينا لان الفقر اسكنه واقعده عن الحركة فترى اليهود وان
كان مياسير كانهم فقراء وقيل الذلة هي فقر القلب فلا يرى في اهل الملل اذل واحرص على المال من اليهود
قال الكاشف ضرب الله عليهم ذلة الطغيان وقهرهم بلطمة المسكنة في قيد الشيطان وقيل الذل الشح
والمسكنة الحرص وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ رجعوا ولا يقال باء الا بالشر ذَٰلِكَ الغضب بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ بصفة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التورية ويكفرون بالانجيل والقرآن وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ
بِغَيْرِ الْحَقِّ روي ان اليهود قتل سبعين نبيا في اول النهار وقامت سوق بقلها في آخر النهار ذَٰلِكَ بِمَا
عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ اي جرهم العصيان والتمادي والاعتداء الى الكفر بالآيات وقتل النبيين
فان صغار الذنوب سبب يودي الى ارتكاب كبارها كما ان صغار الطاعات اسباب مودية الى تحري
كبارها في الحديث المتفق على صحته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الكبر بطر الحق وغمط الناس
وفي مسند الامام احمد بن حنبل باسناده قال قال ابن مسعود كنت لا احجب عن النجوى ولا عن كذا

ولا عن كذا قال فاتيته وعنده مالك بن مراوة فادركته من آخر حديثه وهو يقول يا رسول الله قد قسم لي
من الجمال ما ترى فما احب ان احدا من الناس فضلني بشراكين فما فوقهما اليس ذلك هو البغي فقال لا ليس
ذلك من البغي ولكن البغي من بطر او قال سفه الحق وغمط الناس يعني رد الحق وانتقاص الناس و
الازدراء بهم والتعاظم عليهم وروى ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اشد الناس عذابا
يوم القيمة رجل قتله نبي او قتل نبيا وامام ضلالة وممثل من الممثلين ثم لما بين الله تعالى حال من خالف اوامره
وارتكب زواجره بمنه تعالى على ان من احسن من الامم السالفة واطاع فان له جزاء الحسنى وكذلك الامر
الى قيام الساعة ثم لما ذكر الوعيد عقبه بذكر الوعد فقال إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا تهودوا
وَالنَّصَارَىٰ سموا به لقول الحواريين نحن انصار الله وَالصَّابِئِينَ قال عمر بن الخطاب وابن عباس
هم قوم من اهل الكتاب قال مقاتل هم قبيلة نحو الشام بين اليهود والمجوس وقال قتادة هم قوم يقرؤن
الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون الى الكعبة اخذوا من كل دين شيئا قال الشيخ ابن الكثير واظهر الاقوال
قول مجاهد ومتابعيه ووهب ابن منبه انهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين
وانما باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ولهذا كان المشركون ينبزون من اسلم بالصابي
اي انه قد خرج عن سائر اديان اهل الارض اذ ذاك والله اعلم مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا
من آمن من هؤلاء ايمانا خالصا ودخل الاسلام دخولا صادقا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ اي الذي وعدلهم
على ايمانهم وعملهم وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ حين يخاف الكفار عن العقاب ويحزن المقصر على
تضييع العمر وتفويت الثواب روى ابن حاتم باسناده عن مجاهد قال قال سلمان سالت النبي صلى الله
عليه وسلم عن اهل دين كنت معهم فذكرت من صلاتهم وعبادتهم فنزلت ان الذين آمنوا والذين هادوا
الآية ثم لما ذكر الوعد عقيب الوعيد ذكر انعاما آخر عليهم وهو الانعام العاشر فقال وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ عهودكم
يا معشر اليهود وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ وهو الجبل بالسريانية وهو قول مجاهد قيل ما من لغة في الدنيا الا و
هي في القرآن وقال الاكثرون ليس في القرآن الا لغة العرب لقوله تعالى قرآنا عربيا وانما هذا او اشباهه وفاق
بين اللغتين قال ابن عباس امر الله جبلا من جبال فلسطين فانقلع من اصله حتى قام على رؤسهم وذلك
ان الله انزل التورية على موسى عليه السلام فامر موسى قومه ان يقبلوها ويعملوا باحكامها فابوا ان يقبلوها
للآصار والاغلال التي فيها وكانت شريعة ثقيلة فامر الله جبريل عليه السلام يقلع جبلا على قدر عسكرهم
وكان فرسخا في فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مقدار قامة الرجل كالظلة وقال لهم ان لم تقبلوا التورية ارسلت
هذا الجبل عليكم خُذُوا اي وقلنا لهم خذوا مَا آتَيْنَاكُم اعطيناكم بِقُوَّةٍ بجد واجتهاد وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ احفظوا
واعملوا به لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ لكي تنجوا من الهلاك فان قبلتم والا رضختكم بهذا الجبل فلما راوا ان لا مهرب لهم منها
قبلوا وسجدوا وجعلوا يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا يسجدون الا على انصاف وجوههم

ويقولون بهذا السجود دفع العذاب عنا ثُمَّ تَوَلَّيْتُم اي اعرضتم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ من بعد ما قبلتم التورية
فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ بالامهال وتاخير العذاب عنكم لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ من المغبونين بالعقوبة
وذهاب الدنيا والآخرة وقيل من المعذبين في الحال كانه رحمهم بالامهال ثم لما عدد وجوه انعامه عليهم اولا
ختم ذلك بشرح بعض ما وجه اليهم من التشديدات فقال تعالى وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ
اي جاوزوا الحد واصل السبت القطع قيل سمي بذلك يوم السبت لان الله تعالى قطع فيه الخلق وقيل لان
اليهود امروا فيه بقطع الاعمال والقصة انهم كانوا في زمن داود عليه السلام بارض يقال لها ايلة حرم الله تعالى
عليهم صيد السمك يوم السبت فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت في البحر الا اجتمع هناك حتى يخرجن
خراطيمهن من الماء لامنهن حتى لا يرى الماء من كثرتها واذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقل البحر
فلا يرى منهن شيء فذلك قوله تعالى اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم ثم ان
الشيطان وسوس اليهم وقال انما نهيتم عن اخذها يوم السبت فعمد رجال فحفروا الحياض حول
البحر وشرعوا منه اليها الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فاقبل الموج بالحيتان الى
فلا يقدرون على الخروج لبعد عمقها وقلة مائها فاذا كان يوم الاحد ياخذونها وقيل كانوا ينصبون الحبائل
يوم الجمعة ويخرجون بها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ولم تنزل عليهم عقوبة فتجرؤا على الذنب وقالوا ما
نرى السبت الا قد احل لنا فاخذوا واكلوا وملحوا وباعوا واشتروا وكثر مالهم فلما فعلوا ذلك صار اهل القرية
وكانوا نحوا من سبعين الفا ثلاثة اصناف صنف امسك ونهى وصنف امسك ولم ينه وصنف انتهك الحرمة وكان
الناهون اثني عشر الفا فلما ابى المجرمون قبول نصيحتهم قالوا والله لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية
بجدار وعبروا بذلك سنين فلعنهم داود وغضب الله عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات
يوم من بابهم ولم يخرج من المجرمين احد ولم يفتحوا بابهم فلما ابطاؤا تسوروا عليهم الحائط فاذا هم جميعا
قردة لها اذناب يتعاوون قال قتادة صار الشباب قردة والشيوخ خنازير فمكثوا ثلاثة ايام ثم هلكوا ولم
يمكث مسخ فوق ثلثة ايام ولم يتوالدوا فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً امر تكوين وتحويل خَاسِئِينَ باعدين
مطرودين قال الامام وعن مجاهد انه تعالى مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم لا انه مسخ صورهم وهو
مثل قوله تعالى كمثل الحمار يحمل اسفارا ونظيره ان يقول الاستاذ للمتعلم البليد الذي لا ينجع فيه تعليمه كن حمارا
واحتج على امتناعه بامرين الاول ان الانسان هو هذا الهيكل المشاهد والبنية المحسوسة فاذا ابطلها و
خلق في تلك الاجسام تركيب القرد وشكله كان ذلك اعداما للانسان وايجادا للقرد فيرجع حاصل المسخ على
هذا القول انه تعالى اعدم الاعراض التي باعتبارها كانت تلك الاجسام انسانا وخلق الاعراض التي كانت
باعتبارها قردا فهذا يكون اعداما وايجادا لا انه يكون مسخا الثاني انا لو جوزنا ذلك لما امنا في كل ما نراه
قردا وكلبا انه كان انسانا عاقلا وذلك يفضي الى الشك في المشاهدات واجيب عن الاول بان الانسان

ليس هو هذا الهيكل فانه يتبدل بل الانسان امر وراء هذا الهيكل المحسوس وذلك اما جسماني سار
في البدن او جزء في جانب من البدن كقلب او دماغ او موجود مجرد على ما يقوله الفلاسفة وعلى جميع التقادير
فلا امتناع في بقاء ذلك الشيء مع تطرق التغير الى هذا الهيكل وهذا هو المسخ وبهذا التقدير يجوز في الملك
الذي يكون جثته في غاية العظم ان يدخل حجرة الرسول وعن الثاني ان الامان يحصل باجماع الامة اي لا
من الانسان الا الخلقة والصورة والعقل والفهم باق فانهم يعرفون ما نالهم بشوم المعصية من تغير الخلقة
وتشويه الصورة وعدم القدرة على النطق وسائر الخواص الانسانية فيتالمون بذلك ويتعذبون قال
فثبت بما قررنا من جواز المسخ اجراء الآية على ظاهرها ولم يكن بنا حاجة الى التاويل الذي ذكره مجاهد وان
كان ما ذكره غير مستبعد جدا فَجَعَلْنَاهَا اي جعلنا عقوبتهم بالمسخ نَكَالًا اي عقوبة وعبرة والنكال اسم
لكل عقوبة ينكل الناظر من فعل ما جعلت العقوبة جزاء عليه ومنه النكول عن اليمين وهو الامتناع و
اصله من النكل وهو القيد لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا لما يحضرها من القرى وما تباعد عنها وَمَوْعِظَةً
لِّلْمُتَّقِينَ روى الشيخ ابن الكثير باسناده الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود ليستحلوا محارم الله بادنى الحيل وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن
تَذْبَحُوا بَقَرَةً يقول الله تعالى واذكروا يا بني اسرائيل نعمتي عليكم في خرق العادة لكم في شان البقرة وبيان
القاتل من هو بسببها واحياء الله المقتول ونصه على من قتله منهم والقصة فيها اختلاف قال الشيخ
ابن الكثير والظاهر انها ماخوذة من كتب بني اسرائيل وهي مما يجوز نقله ولكن لا يصدق ولا يكذب فلهذا
لا يعتمد عليها الا ما وافق الحق عندنا والله اعلم قال محي السنة والقصة فيها انه كان في بني اسرائيل رجل غني
وله ابن عم فقير لا وارث له سواه فلما طال عليه موته قتله ليرثه وحمله الى قرية اخرى والقاه بفنائهم ثم
اصبح يطلب ثاره وجاء بناس الى موسى يدعي القتل عليهم فسالهم موسى فجحدوا فاشتبه امر القتيل
على موسى عليه السلام قال الكلبي وكان ذلك قبل نزول القسامة في التورية فسالوا موسى ان يدعو الله
ليبين لهم بدعائه فدعا فامرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا اي اتستهزئ بنا نحن نسالك عن امر القتيل وتامرنا بذبح البقرة في العالم وانما قالوا ذلك لبعد ما بين
الامرين في الظاهر ولبعدهم واما الحكمة فيه قال الامام قال بعضهم ان اولئك القوم كفروا بقولهم لموسى
عليه السلام اتتخذنا هزوا لانهم ان قالوا ذلك لانهم شكوا في قدرة الله تعالى على احياء الموتى فهو كفر
وان شكوا في ان الذي امرهم به موسى عليه السلام هل هو بامر الله تعالى فقد جوزوا الخيانة على موسى
في الوحي وذلك ايضا كفر واجيب بانه لا يوجب الكفر لان المداعبة على الانبياء جايز فلعلهم ظنوا انه
ظنوا انه يداعبهم مداعبة حقة او المراد ما اعجب هذا الجواب كانك تستهزئ بنا لا انهم حققوا على موسى
الاستهزاء قَالَ موسى أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ اي من المستهزئين بالمؤمنين وقيل

للجاهلين بالجواب للاعلى وفق السؤال لان الجواب للاعلى وفق السؤال جهل فلما علم القوم ان ذبح البقرة عزم
من الله تعالى استوصفوها ولو انهم عمدوا الى ادنى بقرة فذبحوها للاجزأت عنهم ولكنهم شددوا على انفسهم
فشدد الله عليهم وكانت تحته حكم منها انه كان في بنى اسرائيل رجل صالح له ابن طفل وكان له عجلة اتى بها
الى غيضة وقال اللهم انى استودعك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ومات الرجل فصارت العجلة في الغيضة
عوانا وكانت تهرب من كل من راها فلما كبر الابن كان بارا بوالدته وكان يقسم الليلة ثلاثة اثلاث يصلى
ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق فاحتطب على ظهره فياتى به الى السوق فيبيعه
بما شاء الله تعالى ثم يتصدق بثلثه وياكل ثلثه ويعطى والدته ثلثه فقالت له امه يوما ان اباك ورثك عجلة استودعها
الله في غيضة كذا فانطلق وادع اله ابراهيم واسمعيل واسحق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت
اليها يخيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تلك البقرة تسمى المذهبة لحسنها وصفرتها فاتى
الفتى الغيضة فراها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب فاقبلت
تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت ايها الفتى البار
بوالدته اركبنى فان ذلك اهون عليك فقال الفتى ان امى لم تامرنى بذلك ولكن قالت خذ بعنقها فقالت
البقرة باله بنى اسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر على ابدا فانطلق فانك لو امرت الجبل ان ينقلع من اصله وينطلق
معك لفعل لبرك بامك فسار الفتى بها الى امه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار
والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة قال بكم ابيعها قالت بثلثة دنانير ولا تبع بغير مشورتى وكان ثمن البقرة
ثلثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله عز وجل ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بامه و
كان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة قال بثلثة دنانير واشترط عليك رضى والدتى فقال الملك
لك ستة دنانير ولا تستامر والدتك فقال الفتى لو اعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا امى فردها الى امه
واخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضى منى فانطلق بها الى السوق واتى الملك فقال
استامرت امك فقال الفتى انها امرتنى ان لا انقصها من ستة على ان استامرها فقال الملك انى اعطيك
اثنى عشر على ان لا تستامرها فابى الفتى ورجع الى امه واخبرها بذلك فقالت ان الذى ياتيك ملك ياتيك
في صورة ادمى ليختبرك فاذا اتى فقل له اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا ففعل فقال له الملك اذهب الى
امك وقل لها امسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران عليه السلام يشتريها منكم لقتيل يقتل في بنى اسرائيل
فلا تبيعوها الا بملء مسكها دنانير فامسكوها وقدر الله تعالى على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها فما
زالوا يستوصفونها حتى وصف لهم تلك البقرة بعينها مكافاة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله
تعالى قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ اى ما صفتها قال موسى إِنَّهُ يَقُولُ يعنى الله تعالى إِنَّهَا بَقَرَةٌ
لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ اى لا كبيرة ولا صغيرة فالفارض المسنة التى لا تلد والبكر الصغيرة التى لم تلد قط

عَوَانٌ نصف بَيْنَ ذَلِكَ اى ما ذكر من الفارض والبكر فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ من ذبح البقرة ولا تكرروا
السؤال قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا قال ابن عباس
شديدة الصفرة تَسُرُّ النَّاظِرِينَ تعجبهم حسنها وصفاء لونها قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ تكرير للسؤال
الاول وزيادة استكشاف إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا اى ان البقر الموصوف بالعوان والصفرة كثير فاشتبه
علينا اخبر الله تعالى عن تعنت بنى اسرائيل وكثرة سؤالهم ضيقوا على انفسهم فضيق الله عليهم ولو انهم ذبحوا
اى بقرة كانت لوقعت الموقع عنهم وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما بينت لهم اخر الابد قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ مذللة بالعمل يقال
رجل ذلول بين الذل ودابة ذلول بينة الذل تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ اى لم يذلل لقلب الارض
للزراعة وسقى الحرث مُسَلَّمَةٌ بريئة من العيوب سلمها الله تعالى عنها لَا شِيَةَ فِيهَا اى لا لون فيها يخالف
لون جلدها قال عطاء لا عيب فيها قال مجاهد لا بياض فيها ولا سواد قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ اى بالبيان التام
الذى لا اشكال فيه فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها الا مع الفتى فاشتروها بملء مسكها ذهبا فَذَبَحُوهَا وَمَا
كَادُوا يَفْعَلُونَ من غلاء ثمنها وقال محمد بن كعب وما كادوا يجدونها باجتماع اوصافها وقيل وما كادوا يفعلون
من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها قال الامام الاية يدل على انه تعالى عالم بجميع المعلومات والا لما قدر على اظهار
ما كتموه قال الكاشف البقرة النفس الطائفة امروا بقتلها عن الحيوة الفانية حتى وصلوا الى الحيوة الباقية
وادركوا بمخالفتها درجة احياء الموتى ومطالع الغيوب وتفرس القلوب قوله لا فارض ولا بكر ليست في الفتور
ولا ذات غرور في الشرود ولكنها ذات شوكة وصولة في شباب العقل والشهوة قوله فاقع لونها تسر الناظرين اى
تخرج بزى العبودية رياء وسمعة وهو لباس واحد ظاهره سلامة وباطنه خيانة خدعت به الناظرين من
الجاهلين قوله لا ذلول تثير الارض ولا تسقى الحرث مسلمة من فنون عوارض الخلاف لا شية فيها لا اثر عليه
لاحد بالسكون اليه والاعتماد عليه فهو القائم والناظر الى والمعتمد على وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا هذا اول القصة وان
كان مؤخرا في التلاوة اسم القتيل عاميل مقدر. اذكروا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا قال ابن عباس ومجاهد معناه فاختلفتم
وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مظهر مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فان القاتل كان يكتم القتل روى ابن ابى حاتم باسناده عن المسيب بن رافع يقول
ما عمل رجل حسنة في سبعة ابيات الا اظهرها الله وما عمل رجل سيئة في سبعة ابيات الا اظهرها الله تعالى و
تصديق ذلك في كلام الله تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا يعنى القتيل ببعض البقرة اى
شئ كان من اعضاء هذه البقرة فالمعجزة حاصلة به وخرق العادة به كاين وقد كان معينا في نفس الامر قال
الشيخ ابن الكثير لو كان في تعيينه فايدة تعود علينا في امر الدين او الدنيا لبينه الله تعالى لنا ولكن ابهمه
لم يجئ من طريق صحيح عن معصوم بيانه فنحن نبهمه كما ابهمه الله تعالى قال ابن ابى حاتم عن ابن عباس قال
ان اصحاب بنى اسرائيل طلبوها اربعين سنة حتى وجدوها فجعلوا يعطونه بها فيابى حتى اعطوه ملء مسكها

دنانير فذبحوها فضربوه ببعض منها فقام تشخب اوداجه فقالوا من قتلك فقال قتلنى فلان وكذا
قال الحسن وغيره من العلماء قال محيى السنة ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث وفى الخبر ما ورث
قاتل بعد صاحب البقرة كَذَلِكَ كما احيى عاميل يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى يدل على ما حذف وهو فضربوه فقتل
حى والخطاب مع من حضر حيوة القتيل وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ دلايل على كمال قدرته لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ لكى يكمل عقلكم
وتعلموا ان من قدر على احياء نفس او تعلموا على قضيته قال الشيخ ابن الكثير قد ذكر في هذه السورة ما فعله
من احياء الموتى في خمسة مواضع ثم بعثناكم من بعد موتكم وهذه القصة وقصة الذين خرجوا من ديارهم
وهم الوف حذر الموت وقصة الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها وقصة ابرهيم والطيور الاربعة
ونبه تعالى باحياء الارض بعد موتها على اعادة الاجسام بعد صيرورتها رميما كما قال ابو داود الطيالسى
باسناده قلت يا رسول الله كيف يحيى الله الموتى قال اما مررت بواد محل ثم مررت به خضراء قال بلى قال كذلك الموتى م
النشور او قال كذلك يحيى الله الموتى قال ارباب المعانى فيه اشارة الى ان من اراد ان يعرف اعدى عدوه
الساعى في اماتته الموت الحقيقى فطريقه ان يذبح بقرة نفسه التى هى القوة الشهوية حين زال عنها شره الصبى
ولم يلحقها ضعف الكبر وكان معجبة رايقة المنظر غير مذللة في طلب الدنيا مسلمة عن دنسها لا سمة بها من
دنسها يتصل اثره الى نفسه فيحيى حيوة طيبة ويعرب عما به ينكشف الحال ويرتفع ما بين العقل والوهم من التدارء و م
النزاع ويصل الى الحيوة الباقية بل يدرك بمخالفتها درجة احياء الموتى وتفرس القلوب ومطالع الغيوب
وان في قتل النفس احياء القلب وفى حيوة القلب حيوة الروح واذا صفت الروح بصفاء حيوة القلب عن كدورات
النفس يحيى جميع الاموات بانفاسها واثارها كما احيى عيسى عليه السلام الموتى لانه صفا بصفائها من صفات
النفس فظهرت منه الآيات والمعجزات نقل الكاشف عن بعضهم انه قال في قوله تعالى لا ذلول تثير الارض
الآية لا يصلح لكرامتى وظهارة ولا يتى عليه الا من لم يذلل نفسه بالسكون الى شئ من الالوان ولم يسع في طلب
الحوادث بحال مسلمة من فنون عوارض الخلاف لا شية فيها لا اثر عليه بالسكون اليه والاعتماد عليه فهو القائم
بى والناظر الى والمعتمد على اظهرت عليه آيات قدرتى وجعلته احد شواهد عزتى فمن شاهده استوفى
في مشاهدته لانه قد البس رداء العز واشد على اثره اذا فانظر الدنيا بعينى واسمع باذنى فيها وانطق
بلسانى ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ غلظت وصلبت وثم للدلالة على استبعاد القسوة مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ يعنى احياء القتيل
او جميع ما عدد من الآيات فانها مما يوجب لين القلب قال الكلبى قالوا بعد ذلك نحن لم نقتله فلم يكونوا قط
اعمى قلبا ولا اشد تكذيبا لنبيهم منهم عند ذلك قال عليه الصلوة والسلام ان ابعد الناس من الله تعالى القلب
القاسى على ما رواه الترمذى عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تكثروا الكلام بغير
ذكر الله قسوة للقلب وان ابعد الناس من الله تعالى القلب القاسى فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً بل فان كثرة الكلام بغير ذكر الله م
اشد قسوة لقوله تعالى مائة الف او يزيدون اى بل يزيدون وانما لم يشبهها بالحديد مع انه اصلب من

الحجارة لان الحديد قابل للتليين فانه يلين بالنار وقد لان لداود عليه السلام والحجارة لا تلين قط ثم فضل
الحجارة على القلب القاسى فقال وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ النهر النفخ بسعة وكثرة وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا
يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ اراد به عيونا دون الانهار وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ ينزل من اعلى الجبل الى اسفله مِنْ
خَشْيَةِ اللَّهِ وقلوبكم لا تلين ولا تخشع يا معشر اليهود والخشية مجاز عن الانقياد قال محيى السنة مذهب اهل
السنة ان لله تعالى علما في الجمادات وساير الحيوانات سوى العقلاء لا يقف عليه غيره فلها صلوة وتسبيح و
خشية كما قال جل ذكره وان من شئ الا يسبح بحمده وقال والطير صافات كل قد علم صلوته وتسبيحه وقال الم
تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر الآية فيجب على المرء الايمان به ويكل
علمه الى الله سبحانه وتعالى وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان على ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل
انزل عنى فانى اخاف ان يؤخذ علىّ فيعاقبنى الله بذلك فقال له جبل حراء الىّ الىّ يا رسول الله الى غير ذلك
من الاخبار وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وعيد وتهديد ولما ذكر الله سبحانه وتعالى قبايح اسلاف اليهود شرح
قبايح افعال اليهود الذين كانوا في زمن محمد صلى الله عليه وسلم فقال أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ يصدقكم اليهود
بما تخبرونهم به وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ يعنى التورية ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ فيغيرونه بما يشتهون
فيغيرون ما فيها كما غيروا صفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ فهموه بعقولهم ولم يبق لهم
فيه ريبة وَهُمْ يَعْلَمُونَ انهم كاذبون هذا قول جماعة وقال ابن عباس ومقاتل نزلت في السبعين الذين
اختارهم موسى عليه السلام لميقات ربه وذلك انهم لما رجعوا بعد ما سمعوا كلام الله الى قومهم اما الصادقون منهم
فادوا كما سمعوا وقالت طايفة منهم سمعنا الله يقول في آخر كلامه ان استطعتم ان تفعلوا فافعلوا وان
شئتم فلا تفعلوا فهذا تحريفهم وهم يعلمون انه الحق وقال ابن وهب قال ابن زيد التورية التى انزلها الله عليهم
يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا اذا جاءهم المحق
برشوة اخرجوا له كتاب الله واذا جاءهم المبطل برشوة اخرجوا له ذلك الكتاب وان جاءهم احد يسألهم ليس فيه
حق ولا رشوة ولا شئ امروه بالحق فقال الله تعالى لهم أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ
تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قال ابن عباس والحسن وقتادة يعنى منافقى اليهود
الذين آمنوا بالسنتهم اذا لقوا المؤمنين المخلصين قَالُوا آمَنَّا كايمانكم وَإِذَا خَلَا رجع بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ
كعب بن الاشرف وكعب بن اسد ووهب بن يهوذا وغيرهم من رؤساء اليهود لاموهم على ذلك قَالُوا
أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بما قضى الله عليكم في كتابكم ان محمدا حق وقوله صدق والفتاح القاضى لِيُحَاجُّوكُمْ
ليخاصموكم يعنى اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحتجوا بقولكم عليكم ويقولوا قد اقررتم انه نبى حق في كتابكم
ثم لا تتبعونه وذلك انهم قالوا لاهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد صلى الله عليه وسلم آمنوا به فانه حق
ثم قال بعضهم لبعض اتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم حجة عليكم عند ربكم في الدنيا والآخرة بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ

في كتابه وحكمه فبروا الكرامة لانفسهم علمكم عند الله وقال مجاهد هو قول يهود قريظة بعضهم لبعض
حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يا اخوان القردة والخنازير فقالوا من اخبر محمدا بهذا ما خرج هذا
الا منكم افلا تعقلون انهم يحاجوكم به فيحجوكم اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون اي يخفون وما يعلنون وما
يظهرون يعني اليهود ومنهم اميون لا يحسنون القراءة والكتاب جمع امي منسوب الى الام كانه باق على
ما انفصل من الام لم يتعلم كتابة ولا قراءة لا يعلمون الكتاب الا اماني الاماني الاحاديث المختلقة من
تمنيت بمعنى كذبت قال عثمان رضي الله عنه ما تمنيت منذ اسلمت اي ما كذبت وتلك الاحاديث الا
شياء التي كتبها علماؤهم من عند انفسهم مما اضافوها الى الله تعالى من تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم
وغيره وان هم وما هم الا يظنون لا علم لهم قال مجاهد يكذبون فويل قال ابن عباس شدة العذاب
وفي المعالم والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر اربعين خريفا
قبل ان يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي فهو كذلك للذين يكتبون
الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا وذلك ان احبار اليهود خافوا ذهاب
مأكلتهم وزوال رياستهم حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فاحتالوا في تعويق اليهود عن الايمان
به فعمدوا الى صفته في التورية فغيروها فويل لهم مما كتبت ايديهم يعني كتبوه بانفسهم اختراعا من تغيير
نعته صلى الله عليه وسلم وويل لهم مما يكسبون من المآكل ويقال من المعاصي وقالوا يعني اليهود
لن تمسنا النار لن تصيبنا النار الا اياما معدودة محصورة قليلة ثم يزول عنا العذاب واختلفوا في
هذه الايام فقال ابن عباس رضي الله عنه ومجاهد كانت اليهود يقولون مدة الدنيا سبعة الآف سنة وانما
نعذب بكل الف سنة يوما واحدا ثم ينقطع العذاب بعد سبعة ايام وقال قتادة وعطاء يعنون اربعين
يوما التي عبد آباؤهم العجل وقال الحسن وابو العالية قالت اليهود ان ربنا عتب علينا في امر واقسم
ليعذبنا اربعين يوما فلن تمسنا النار الا اربعين يوما تحلة القسم فقال الله تعالى تكذيبا لهم قل يا محمد
اتخذتم عند الله عهدا ان لا يعذبكم الا هذه المدة فلن يخلف الله عهده ووعده قال ابن مسعود
عهدا بالتوحيد يدل عليه قوله تعالى الا من اتخذ عند الرحمن عهدا يعني قول لا اله الا الله ام تقولون
على الله ما لا تعلمون بلى اثبات لما نفوه من مساس النار لهم زمانا مديدا على وجه اعم ليكون الدليل
على بطلان قولهم من كسب سيئة واحاطت به خطيئته قال ابن عباس وغيره هي الشرك يموت عليه
قال الكاشف عن الاشارات اي من عبدني لاجل الجزاء والعوض وسكن بالعطاء عن المعطي ولحظ
به رؤية افعاله واعواضه فاولئك اهل البعد لم ينالوا قرب وصالي وحقيقة جمالي وقيل بلى من كسب سيئة
رؤية افعاله واحاطت به خطيئته بظنه ان افعاله واعماله ينجيه فهم المبعدون عني وعما يعودوا به الي
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم

اي من اليهود م

فيها خالدون قال الامام اعلم انه سبحانه وتعالى ما ذكر في القرآن آية في الوعيد الا وذكر بجنبها آية في الوعد
وذلك لفوائد احديها ليظهر بذلك عدله سبحانه وتعالى لانه لما حكم بالعذاب الدائم على المصرين على الكفر وجب
ان يحكم بالنعيم الدائم على المصرين بالايمان وثانيها ان المؤمن لا بد وان يعتدل خوفه ورجاؤه على ما قال عليه السلام
لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وذلك الاعتدال لا يحصل الا بهذا الطريق وثالثها انه يظهر بوعده
كمال رحمته وبوعيده كمال حكمته فيصير ذلك سببا للعرفان قال الكاشف اي الذين شاهدوا الله برسم الارواح في فضاء
الازليات وخرجوا من الكاينات تجريدا للاشباح اولئك اصحاب القرب ومشاهدات الصفات وسبحات جلال الذات
وقيل آمنوا اي ايقنوا ان النجاة في سعادة الازل وانه ليس في الطاعات الا اتباع الامر وانفصلوا عن صالح اعمالهم
بتصورها عن حقه اولئك هم الواصلون الى الرضوان الاكبر ثم ذكر تكاليف كلفهم بها واخذ عليهم الميثاق ففصل
العهد فقال واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل في التورية والميثاق العهد الشديد لا تعبدون الا الله اي لا تعبدوا
فوضع الخبر موضع الطلب والنهي وبالوالدين احسانا برا بهما وعطفا عليهما ونزولا عند امرهما فيما
لا يخالف امر الله تعالى قال ومن الاحسان دعوتهما الى الايمان ان كانا كافرين وامرهما بالمعروف على سبيل
الرفق ان كانا فاسقين وذي القربى وبذي القرابة والقربى مصدر كالحسنى في الصحيحين عن ابن مسعود
قلت يا رسول الله اي العمل افضل قال الصلوة على وقتها قلت ثم اي قال بر الوالدين قلت ثم اي قال الجهاد في
سبيل الله وفي الحديث الصحيح ان رجلا قال يا رسول الله من ابر قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال
اباك ثم ادناك ادناك واليتامى جمع يتيم وهو الطفل الذي لا اب له والمساكين المسكين مفعيل من السكون
كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا صدقا وحقا في شان محمد صلى الله عليه وسلم فمن سألكم عنه فاصدقوا و
بينوا صفته ولا تكتموا امره هذا قول ابن عباس وجماعة وقال سفيان الثوري مروهم بالمعروف وانهوهم عن
المنكر وقيل هو اللين في القول والمعاشرة بحسن الخلق وقرئ حسنا بفتحتين ومن قرأ حسنا فهو للمبالغة قال
الشيخ ابن الكثير ومن النقول الغريبة ما ذكره ابن ابي حاتم في تفسيره ان اسد بن وداعة كان يخرج من منزله فلا يلقى
يهوديا ولا نصرانيا الا سلم عليه فقيل له ما شانك تسلم على اليهودي والنصراني فقال ان الله تبارك وتعالى يقول وقولوا
للناس حسنا وهو السلام قال وروي عن عطاء الخراساني نحوه قال الشيخ ونعت السنة انهم لا يبدؤن بالسلام
والله اعلم واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة ثم توليتم اعرضتم عن العهد والميثاق الا قليلا منكم وذلك ان قوما منهم آمنوا
وانتم معرضون قوم عادتكم الاعراض عن الوفاء والطاعة واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم اي لا تريقون
دماءكم اي لا يسفك بعضكم دماء بعض وانما جعل قتل الرجل غيره قتل نفسه لاتصاله به نسبا او دينا قال عليه الصلوة
والسلام مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتواصلهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد
بالحمى والسهر او لانه يوجبه قصاصا ولا تخرجون انفسكم من دياركم اي لا يخرج بعضكم بعضا عن داره و
قيل لا تسيئوا جوار من جاوركم فيلجئوهم الى الخروج بسوء جواركم قال اهل المعاني لا تفعلوا ما يهلككم و

ويصرفكم عن الحيوة الابدية فانه القتل في الحقيقة ولا تقترفوا ما يمنعون به عن الجنة التي هي داركم فانه الجلاء
الحقيقي ثم اقررتم بهذا العهد انه حق وقبلتم وانتم تشهدون اليوم على ذلك يا معشر اليهود وتعترفون
بالقبول ثم انتم هؤلاء يا هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم
والعدوان تتعاونون عليهم بالمعصية والظلم وان يأتوكم اسارى جمع اسير تفادوهم بالمال ومعنى الآية ان الله تعالى
اخذ على بني اسرائيل في التورية ان لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم وايما عبد او امة وجدتموه
من بني اسرائيل فاشتروه بما قام من ثمنه واعتقوه فكانت قريظة حلفاء الاوس والنضير منهم حلفاء الخزرج والاوس
والخزرج اهل شرك يعبدون الاوثان وكانوا يقتتلون في حرب سنين فيقاتل بنو قريظة وحلفاؤهم والنضير وحلفاؤهم
واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم منها واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه وان كان الاسير من
عدوهم فتعيرهم العرب وتقول كيف تقاتلونهم وتفدونهم قالوا انا امرنا ان نفديهم فيقولون فلم تقاتلونهم قالوا انا
نستحيي ان تستذل حلفاؤنا فعيرهم الله تعالى فقال ثم انتم يا هؤلاء تقتلون انفسكم الآية وهو محرم عليكم اخراجهم
متعلق بقوله تخرجون فريقا منكم من ديارهم وما بينهما جملة معترضة افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون
ببعض قال مجاهد يقول ان وجدته في يد غيرك فديته وانت تقتله بيدك فما جزاء من يفعل ذلك منكم يا معشر اليهود
الا خزي عذاب وهوان في الحيوة الدنيا وكان خزي قريظة القتل والسبي وخزي بني النضير الجلاء والنفي
عن منازلهم الى اذرعات واريحا من الشام ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب وهو عذاب النار وما
الله بغافل عما تعملون اولئك الذين اشتروا استبدلوا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف فلا يهون عنهم
العذاب ولا هم ينصرون لا يمنعون من عذاب الله ثم بين الله تعالى انعمه عليهم بارسال الرسل واتمام الكتب ثم
انهم قابلوه بالكفران في الافعال القبيحة فقال ولقد آتينا موسى الكتاب اعطيناه التورية جملة واحدة وقفينا
واتبعنا من بعده بالرسل رسولا بعد رسول وآتينا عيسى ابن مريم البينات الدلالات الواضحات
وهي ما ذكره الله تعالى في سورة آل عمران والمائدة وقيل اراد الانجيل وايدناه قويناه بروح القدس
اختلفوا في روح القدس فقال الربيع وغيره اراد الروح الذي نفخ فيه والقدس هو الله اضافه الى نفسه
تكريما وتخصيصا نحو بيت الله وناقة الله كما قال وروح منه ونفخنا فيه من روحنا وقيل اراد بالقدس الطهارة
يعني الروح الطاهرة تسمى روحه قدسا لطهارته عن مس الشيطان او لكرامته على الله تعالى ولذلك اضافها الى
نفسه او لانه لم يضمها الاصلاب ولا الارحام الطوامث وقال قتادة والسدي والضحاك روح القدس
جبرئيل عليه السلام وصف بالقدس اي بالطهارة لانه لم يقترف ذنبا وقال الحسن القدس هو الله وروحه جبرئيل
قال الله تعالى قل نزله روح القدس من ربك بالحق وتاييد عيسى بجبرئيل عليهما السلام انه امر ان يسير معه
حيث سار حتى صعد به الى السماء وقال ابن عباس وسعيد بن جبير روح القدس هو اسم الاعظم الذي
كان يحيي الموتى ويري الناس العجائب وقيل هو الانجيل جعله له روحا كما جعل القرآن روحا لمحمد صلى الله عليه وسلم

لانه سبب لحيوة القلوب فقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا فلما سمعت اليهود ذكر
عيسى عليه السلام قالوا يا محمد لا مثل عيسى كما تزعم عملت ولا كما تقص من الانبياء فعلت فائتنا بما اتى به عيسى
ان كنت صادقا فقال الله عز وجل افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه استكبرتم تعظمتم عن
الايمان واتباع الرسل ففريقا كذبتم كموسى وعيسى وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى وقالوا يعني اليهود
قلوبنا غلف جمع الاغلف وهو الذي عليه غشاوة فلا تعي ولا تفقه ما تقول قاله مجاهد وقتادة نظيره قوله
تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة وقرأ ابن عباس غلف بضم اللام وهي قراءة الاعرج وهو جمع غلاف اي قلوبنا اوعية لكل
علم فلا تحتاج الى علمك قاله ابن عباس وعطاء قال الكلبي معناه اوعية لكل علم فهي لا تسمع حديثا الا تعيه
الا حديثك لا تعقله ولا تعيه ولو كان فيه خير لوعته وفهمته قال تعالى بل لعنهم الله بكفرهم اي ليس الامر
كما زعموا بل قلوبهم ملعونة مطبوع عليها كما قال في سورة النساء وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم
فلا يؤمنون الا قليلا فقليلا ما يؤمنون قال قتادة معناه لا يؤمن منهم الا قليل لان من آمن من المشركين
اكثر ممن آمن من اليهود ثم بين انواعا اخر من قبائح اعمال اليهود فقال ولما جاءهم كتاب من عند الله يعني
القرآن مصدق لما معهم من التورية وكانوا يعني اليهود من قبل من قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم يستفتحون
يستنصرون على الذين كفروا على مشركي العرب وذلك انهم كانوا يقولون اذا حزبهم امر ودهمهم عدو اللهم
انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد صفته في التورية وكانوا يقولون لاعدائهم من المشركين
قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وثمود وارم فلما جاءهم ما عرفوا يعني محمدا
صلى الله عليه وسلم من غير بني اسرائيل وعرفوا نعته وصفته كفروا به بغيا وحسدا فلعنة الله على الكافرين
بئسما اشتروا به انفسهم بئس الذي اختاروا لانفسهم حين استبدلوا الباطل بالحق ان يكفروا بما انزل الله
يعني القرآن بغيا طلبا لما ليس لهم وحسدا ان ينزل الله من فضله النبوة والكتاب على من يشاء من عباده
محمد صلى الله عليه وسلم فباءوا رجعوا بغضب على غضب قال ابن عباس ومجاهد الغضب الاول بتضييعهم
التورية وتبديلهم والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن قال قتادة الاول بكفرهم بعيسى عليه السلام والانجيل
والثاني بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن وللكافرين والجاحدين نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من الناس
كلهم عذاب مهين يراد به اذلالهم بخلاف عذاب العاصي فانه طهرة لذنوبه واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله
يعم الكتب المنزلة قالوا نؤمن بما انزل علينا يعني التورية ويكفرون بما وراءه اي بما سواه من الكتب و
قال ابو عبيدة بما بعده وهو الحق اي ما وراءه الحق مصدقا لما معهم قل يا محمد فلم تقتلون انبياء الله من
قبل ان كنتم مؤمنين بالتورية وقد نهيتم فيها عن قتل الانبياء وانما اسند القتل اليهم لانه فعل آبائهم وانهم
راضون به عازمون عليه ولقد جاءكم موسى بالبينات على انه رسول الله وانه لا اله الا الله قال الله تعالى
ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد

وفلق البحر وتظليلهم بالغمام والمن والسلوى والحجر ثم اتخذتم العجل من بعده بعد مجي موسى او ذهابه الي
الطور وانتم ظالمون وانتم قوم عادتكم الظلم واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة
واسمعوا اي وقلنا لهم خذوا ما امرتم به في التورية بجد واسمعوا سماع طاعة قالوا سمعنا قولك
وعصينا امرك ولم يقولوا هذا بالسنتهم ولكن لما سمعوا وتلقوه بالعصيان نسب ذلك الى القول
اتساعا قال الامام وفي تكرار هذا كما في تكرار امثاله وجوه منها انه للتاكيد وايجاب الحجة على الخصم على
عادة العرب ومنها انه اعاده مع زيادة وهي قولهم سمعنا وعصينا وذلك يدل على نهاية لجاجهم واشربوا
في قلوبهم العجل اي حب العجل معناه أدخل في قلوبهم حب العجل كما شرب اللون الثوب روى ابن ابي حاتم
باسناده عن علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه قال عمد موسى عليه السلام الى العجل فوضع عليه المبارد فبرده
بها وهو على شاطئ نهر فما شرب احد من ذلك الماء ممن كان يعبد العجل الا اصفر وجهه مثل الذهب وروى
في مسند الامام احمد وغيره عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حبك الشيء يعمي ويصم بكفرهم
بسبب كفرهم قل بئسما يامركم به ايمانكم بالتورية والمخصوص بالذم محذوف نحو ان تعبدوا العجل من
دون الله او ما يعم وغيره من قبائحهم المعدودة في الآيات الثلث ان كنتم مؤمنين بزعمكم وذلك لانهم
قالوا نؤمن بما انزل علينا فكذبهم الله عز وجل قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة وذلك
ان اليهود ادعوا دعاوي باطلة مثل قولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقولهم نحن ابناء
الله واحباؤه وقولهم لن تمسنا النار الا اياما معدودة فكذبهم الله عز وجل والزمهم الحجة واورد ها في جملتها بحجتهم
فقال قل يا محمد ان كانت لكم الدار الآخرة يعني الجنة عند الله خالصة اي خاصة من دون الناس فتمنوا
الموت وسلوه ان كنتم صادقين في قولكم لان من علم ان الجنة ماواه حن اليها واحب التخلص اليها من
الدار ذات الشوائب ولا سبيل الى دخولها الا بعد الموت فليستعجلوه بالتمني كما قال علي رضي الله عنه
لا ابالي سقطت على الموت او سقط الموت علي وقال عمار رضي الله عنه بصفين الآن الاقي الاحبة محمدا
صلى الله عليه وسلم وحزبه وقال حذيفة رضي الله عنه حين احتضر جاء حبيب على فاقة لا افلح من ندم اي
على التمني سيما اذا علم انها شاملة لا تشاركه فيها غيره روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لو تمنوا الموت لغص كل انسان منهم بريقه وما بقي على وجه الارض يهودي الا مات
قال الله تعالى ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم لعلمهم انهم في دعواهم كاذبون واراد بما قدمت
ايديهم ما قدموه من الاعمال واضاف الى اليد لان اكثر جنايات الانسان يكون باليد فاضيف الى
اليد اعماله وان لم يكن لليد فيها عمل والله عليم بالظالمين تهديد لهم وتنبيه على انهم ظالمون في دعوى
ما ليس لهم ونفيه عن هو لهم ولتجدنهم تقديره والله لتجدنهم يا محمد يعني اليهود احرص الناس على
حيوة اي من الناس ومن الذين اشركوا اراد بالذين اشركوا المجوس قاله ابو العالية سموا مشركين

لانهم يقولون بالنور والظلمة يود احدهم لو يعمر الف سنة يعني ان يعمر الف سنة وهو تحية
المجوس فيما بينهم عش الف سنة وكل الف نيروز ومهرجان يقول الله تعالى اليهود احرص على حيوة
من المجوس الذين يقولون ذلك وما هو بمزحزحه بمبعده من العذاب من النار ان يعمر اي
طول عمره لا يبعده من العذاب والزحزحة مجاز لازما ومتعديا يقال زحزحته فتزحزح وزحزحته
فزحزح والله بصير بما يعملون فيجازيهم قاله الكاشف عن الاشارات ولتجدنهم احرص الناس على
حيوة لانهم محجوبون عن مشاهد الآخرة ومكاشفة الحضرة بغطاء الغفلة والشهوة قال محمد بن الفضل
لعلمهم بما قدموا من الآثام والخلاف وهذا حال الكفار فواجب على المؤمن ان يكون حاله ضد هذا
مشتاقا الى الموت لمكاشفة الغيوب ودفع حجاب الوحشة والوصول الى محل الانس الا ترى ان النبي
صلى الله عليه وسلم يقول من احب لقاء الله احب الله لقاءه روي ان بلالا لما حضر قالت امراته واحزناه
فقال بل واطرباه يلقى الاحبة ثم ذكر نوعا آخر من قبائح اليهود ومنكرات اقوالهم وافعالهم قل من كان
عدوا لجبريل عن ابن عباس ان حبرا من الاحبار يقال له عبد الله بن صوريا قال للنبي صلى الله عليه
وسلم اي ملك ياتيك من السماء قال جبريل قال ذاك عدونا من الملائكة ولو كان ميكائيل لآمنا بك ان
جبريل ينزل بالعذاب والقتال والشدة وانه عادانا مرارا وكان اشد ذلك علينا ان الله انزل على نبينا
ان بيت المقدس سيخرب على يد رجل يقال له بخت نصر واخبرنا بالحين الذي يخرب فيه فلما كان وقته
بعثنا رجلا من اقوياء بني اسرائيل في طلبه ليقتله فانطلق حتى لقيه ببابل غلاما مسكينا فاخذه ليقتله فدفع
عنه جبريل وكبر بخت نصر وقوي وغزانا وخرب بيت المقدس فلهذا نتخذه عدوا فانزل الله هذه
الآية وعنه ايضا انه قال حضرت عصابة من اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا ابا القسم حدثنا
عن خلال نسالك عنهن لا يعلمهن الا نبي فقال سلوا عم شئتم ولكن اجعلوا لي ذمة وما اخذ يعقوب
على بنيه لئن انا حدثتكم شيئا فعرفتموه لتتابعني على الاسلام فقالوا ذلك لك فقال صلى الله عليه وسلم
سلوني عم شئتم فقالوا اخبرنا عن اربع خلال نسالك عنهن اخبرنا اي الطعام حرم اسرائيل على نفسه
من قبل ان ينزل التورية واخبرنا كيف ماء المراة وماء الرجل وكيف الذكر والانثى واخبرنا بهذا النبي
الامي في التورية ووليه من الملائكة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم عهد الله لئن انباتكم لتتابعني
فاعطوه ما شاء من عهد وميثاق فقال انشدكم بالذي انزل التورية على موسى هل تعلمون ان اسرائيل يعقوب
مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن احب الطعام والشراب
اليه وكان احب الطعام اليه لحمان الابل واحب الشراب اليه البانها فقالوا اللهم نعم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم اشهد عليهم وانشدكم بالله الذي لا اله غيره الذي انزل التورية على موسى هل تعلمون
ان ماء الرجل ابيض غليظ وان ماء المراة اصفر رقيق فايهما علا كان له الولد والشبه باذن الله واذا علا

اي وما احدهم

ماء الرجل ماء المراة كان الولد ذكرا باذن الله واذا علا ماء المراة ماء الرجل كان الولد انثى باذن الله قالوا
اللهم نعم قال اللهم اشهد وقال وانشدكم بالله الذي انزل التورية على موسى هل تعلمون ان هذا النبي الامي
تنام عيناه ولا ينام قلبه قالوا نعم قال اللهم اشهد قالوا انت الآن حدثنا من وليك من الملائكة فعندها نجامعك
او نفارقك قال فان وليي جبريل ولم يبعث الله نبيا قط الا وهو وليه قالوا فعندها نفارقك لو كان وليك
من سواه من الملائكة لتابعناك وصدقناك قال فما منعكم ان تصدقوه قالوا انه عدونا فانزل الله عز وجل من
كان عدوا لجبريل وقال مقاتل قالت اليهود ان جبريل عدونا لانه امر ان يجعل النبوة فينا فجعلها في
غيرنا وقال قتادة وعكرمة والسدي كان لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وممرها على
مدارس اليهود وكان اذا اتى ارضه ياتيهم ويسمع منهم فقالوا له ما في اصحاب محمد احد احب الينا منك انهم
يمرون بنا فيؤذوننا وانت لا تؤذينا وانا لنطمع فيك فقال عمر والله ما آتيكم لحبكم ولا اسالكم لاني شاك
في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى آثاره في كتابكم فقالوا من صاحب
محمد الذي ياتيه من الملائكة قال جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على سرنا وهو صاحب كل عذاب وخسف
وسنة وشدة وان ميكائيل اذا جاء جاء بالخصب والسلم فقال لهم عمر تعرفون جبريل وتنكرون محمدا قالوا نعم
قال فاخبروني عن منزلة جبريل وميكائيل من الله عز وجل قالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل
عدو لجبريل قال عمر فاني اشهد ان من كان عدوا لجبريل عليه السلام فهو عدو لميكائيل عليه السلام ومن كان عدوا لميكائيل
فهو عدو لجبريل ومن كان عدوا لهما فان الله عدو له ثم رجع عمر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات وقال ولقد وافقك ربك يا
عمر فقال عمر والله لقد رايتني بعد ذلك في دين الله اصلب من الحجر قال الله تعالى قل من كان عدوا لجبريل فانه
نزله على قلبك باذن الله اي من عادى جبريل فليعلم انه الروح الامين الذي نزل بالقرآن الذي هو الذكر
الحكيم على قلبك من الله باذنه له في ذلك فهو رسول من رسله ومن عادى رسولا فقد عادى جميع الرسل كما ان
من كفر برسول فانه يلزمه الكفر بجميع الرسل قال تعالى ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا
بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك
هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا فحكم عليهم بالكفر المحقق اذ آمنوا ببعض الرسل وكفروا
ببعض وكذلك من عادى جبريل فانه عدوه لان جبريل لا ينزل بالامر من تلقاء نفسه وانما ينزل بامر ربه
كما قال وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا وقال تعالى وانه
لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين وعن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من عادى لي وليا فقد بارزني بالحرب فلهذا غضب الله تعالى لجبريل على من عاداه
فقال من كان عدوا لجبريل الآية مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين لحال من مفعول نزله

اي مصدقا لما بين يديه من الكتب المتقدمة وهدى لقلوب المؤمنين وبشرى لهم بالجنة وليس ذلك الا
للمؤمنين كما قال تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم
عمى اولئك ينادون من مكان بعيد وقال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين
الا خسارا ثم قال تعالى من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين
يقول الله تعالى من عاداني وملائكتي ورسلي ورسله تشمل رسله من الملائكة والبشر كما قال الله الله يصطفي
من الملائكة رسلا ومن الناس وجبريل وميكائيل وهذا من باب عطف الخاص على العام فانهما دخلا في الملائكة في
عموم الرسل ثم خصصا بالذكر لان السياق في الانتصار لجبريل وهو السفير بين الله وانبيائه وقرن معه
ميكائيل في اللفظ لان اليهود زعموا ان جبريل عدوهم وميكائيل وليهم فاعلمهم الله تعالى انه من عادى واحدا
منهما فقد عادى الآخر وعادى الله ايضا ولانه ايضا ينزل على الانبياء بعض الاحيان كما نزل على رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ابتداء الامر ولكن جبريل اكبر وهي وظيفته وميكائيل موكل بالقطر والنبات ذاك بالهدى
وهذا بالرزق كما ان اسرافيل موكل بالصور للنفخ للبعث في يوم القيمة ولهذا جاء في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان اذا قام من الليل يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب
والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء
الى صراط مستقيم روى البخاري وابن جرير وغيره عن عكرمة انه قال جبر وميك واسراف عبد وايل الله
فان الله عدو للكافرين وضع الظاهر موضع المضمر ولم يقل فانه عدو لهم للدلالة على انه تعالى عاداهم لكفرهم
ان عداوة الملائكة والرسل كفر ولقد انزلنا اليك آيات بينات قال الامام ابو جعفر بن جرير اي انزلنا اليك
يا محمد علامات واضحات على نبوتك وتلك الآيات هي ما حواه كتاب الله من خبايا علوم اليهود ومكنونات سرائر
اخبارهم واخبار اوائلهم من بني اسرائيل والنبا عما تضمنته كتبهم التي لم يكن يعلمها الا احبارهم وعلماؤهم وما حرفه
اوائلهم واواخرهم وبدلوه من احكامهم التي كانت في التورية فاطلع الله في كتابه الذي انزله على نبيه محمد
صلى الله عليه وسلم وكان في ذلك من امره الآيات البينات لمن انصف نفسه ولم يدعه الى هلاكها الحسد
والبغي وكان باقيا على الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها وما يكفر بها الا الفاسقون اي المتمردون من
الكفرة والفسق اذا استعمل في نوع من المعاصي دل على عظمه كانه متجاوز عن حده او كلما عاهدوا عهدا
اي اكفروا بالآيات وكلما عاهدوا عهدا فان اليهود عاهدوا لئن خرج محمد لنؤمنن به فلما خرج كفروا به
قال ابن عباس لما ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اخذ الله عليهم وعهد اليهم في محمد ان يؤمنوا به قال
مالك ابن الصيف والله ما عهد الينا عهد في محمد فانزل الله هذه الآية وقال عطاء هي العهود التي كانت بين رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبين اليهود ان لا يعاونوا المشركين على قتاله فنقضوها كفعل بني قريظة والنضير دليله
قوله تعالى الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم نبذه نقضه وطرحه فريق منهم من اليهود بل اكثرهم

لايؤمنون رد لما يتوهم ان الفريق هم الاقلون وان من لم ينبذ جهارا انهم يؤمنون به خفاء وَلَمَّا جَاءَهُمْ
رَسُولٌ كعيسى ومحمد عليهما الصلوة والسلام مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ يعني التوريه وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ مثل لاعراضهم عنه راسا بالاعراض عما يرمى به
وراء الظهر لعدم الالتفات اليه كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ قال الشعبي كانوا يقراؤن التورية ولا يعملون بما فيها
وقال سفين بن عيينه ادرجوها في الحرير وحلوها بالذهب والفضة ولم يعملوا بما فذلك نبذهم ثم ذكر نوعا
آخر من قبائح افعالهم وهو اشتغالهم بالسحر واقبالهم عليه ودعائهم الناس اليه فقال وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا
الشَّيَاطِينُ قال ابن عباس تتلوا اي تتبع وتعمل به وقال عطاء تحدث وتكلم به عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ اى عهده
وملكه قصة الاية على ما في معالم التنزيل ان الشياطين كتبوا السحر على لسان آصف بن برخيا وزير سليمان
هذا ما علم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه حتى نزع الله الملك عنه ولم يشعر بذلك سليمان
فلما مات استخرجوها وقالوا للناس انما ملككم سليمان بهذا فتعلموه فاما علماء بني اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا
معاذ الله ان يكون هذا من علم سليمان واما السفلة فقالوا هذا علم سليمان واقبلوا على تعلمه ورفضوا
كتب انبيائهم وفشت الملامة لسليمان فلم تزل هذه حالهم حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم وانزل
عليه براءة سليمان هذا قول الكلبي وقال السدي كان الشياطين يصعدون الى السماء فيستمعون كلام الملائكة
فيما يكون في الارض من موت وغيره ويأتون الكهنة ويخلطون بما سمعوا في كل كلمة سبعين كذبة ويخبرونهم بها
فاكتتب الناس ذلك وفشا في بني اسرائيل ان الجن تعلم الغيب وبعث سليمان في الناس وجمع الكتب في صندوق
ودفنه تحت كرسيه وقال لا اسمع احدا يقول ان الشيطان يعلم الغيب الا ضربت عنقه فلما مات سليمان وذهب
العلماء الذين كانوا يعرفون امر سليمان ودفنه الكتب وخلف من بعدهم خلف تمثل الشيطان على صورة انسان فاتى
نفرا من بني اسرائيل فقال هل ادلكم على كنز لا تأكلونه ابدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت الكرسي وذهب معهم فاراهم
المكان وقام ناحيه وقالوا ادن قال لا ولكني ههنا فان لم تجدوه فاقتلوني وذلك انه لم يكن احد من الشياطين
يدنو من الكرسي الا احترق فحفروا واخرجوا تلك الكتب قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس
والشياطين والطير بهذه ثم طار الشيطان وفشا في الناس ان سليمان كان ساحرا واخذ بنو اسرائيل تلك
الكتب فلذلك اكثر ما يوجد من السحر في اليهود فلما جاء محمد صلى الله عليه وسلم برأ الله سليمان من ذلك
وانزل في عذر سليمان واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ عبر عن السحر بالكفر ليدل
على انه كفر وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ من الجن والانس او منهما كَفَرُوا باستعماله يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ السحر
يقال على معان الاول الخداع وتخييلات لا حقيقة لها نحو ما يفعله المشعبذ من صرف الابصار عما يفعله لخفة
يده وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للاسماع وعلى ذلك مثل قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى والثاني
استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب اليه وعلى ذلك الآية التي نحن فيها والثالث ما يذهب اليه جماعة

من الاشراف انه اسم لفعل من قوة يغير الطبايع والصور فيجعل الانسان حيوانا آخر وذكروا من
ذلك خرافات واحاديث لذلك وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ اى ويعلمون الذى انزل على الملكين اي
الهاما وعلما ابتلاء من الله للناس وتمييزا بينه وبين المعجزة وقرا ابن عباس والحسن الملكين بكسر اللام
قال ابن عباس هما رجلان ساحران كانا ببابل وقال الحسن كانا علجين لان الملائكة لا يعلمون السحر وبابل
هي بابل العراق سميت بابل لتبلبل الالسنة بها عند سقوط صرح نمرود اي تفرقها قال ابن مسعود بابل ارض
الكوفة وقيل جبل دباوند هَارُوتَ وَمَارُوتَ اسمان سريانيان ومحلهما الخفض على تفسير الكلبي وكان
قصتهما على ما ذكره ابن عباس والمفسرون ان الملائكة رأوا ما يصعد الى السماء من اعمال بني آدم الخبيثة في زمن ان م
ادريس عليه السلام فعيروهم وقالوا ان هؤلاء الذين جعلتهم في الارض واخترتهم يعصونك فقال الله تعالى
لو انزلتكم الى الارض وركبت فيكم ما ركبت فيهم لارتكبتم مثل ما ارتكبوا فقالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان
نعصيك قال الله فاختاروا ملكين من خياركم اهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من اصلح
الملائكة واعبدهم وقال الكلبي قال الله لهم اختاروا ثلثة فاختاروا عزا وهو هاروت وعزايا وهو ماروت وعزائيل
اسمهما لما قارفا الذنب وعزائيل فركب الله فيهم الشهوة واهبطهم الى الارض وامرهم ان يحكموا بين الناس
بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فاما عزائيل فانه لما وقعت الشهوة في قلبه استقال
ربه وساله ان يرفعه الى السماء فاقاله فسجد اربعين سنة ثم رفع راسه وطلب فسخ الشهوة منه فلم يزل
بعد ذلك مطاطيا راسه حياء من الله عز وجل واما الآخران فانهما ثبتا على ذلك وكانا يقضيان بين الناس
يومهما فاذا امسيا ذكرا اسم الله الاعظم وصعدا به الى السماء قال قتادة فامر عليهما شهر حتى افتتنا قالوا جميعا
وذلك انه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من اجمل الناس قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكانت
من اهل فارس وكانت ملكة بلدها فلما رآياها اخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم
عادت في اليوم الثاني ففعلا مثل ذلك فابت وقالت لا الا ان تعبدا ما اعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا وتشربا
الخمر فقالا لا سبيل الى هذه الاشياء فان الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت في اليوم الثالث ومعها قدح من
الخمر وفي انفسهما من الميل اليها ما فيها فراوداها عن نفسها فعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلوة لغير
الله عظيم وقتل النفس عظيم واهون الثلثة شرب الخمر فشربا الخمر وانتشيا ووقعا بالمراة فزنيا فلما فرغا رآهما
انسان فقتلاه قال الربيع بن انس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا فذهب بعضهم الى انها هي الزهرة
بعينها وانكر الآخرون هذا وقالوا ان الزهرة من الكواكب السبعة السيارة التي اقسم الله بها فقال فلا اقسم
بالخنس الجوار والتي فتنت هاروت وماروت امراة كانت تسمى زهرة لجمالها فلما بغت مسخها الله شهابا قالوا
فلما امسى هاروت وماروت بعدما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم يطاوعهما اجنحتهما فعلما ما حل
بهما فقصدا ادريس النبي صلى الله عليه وسلم واخبراه بامرهما وسالاه ان يشفع لهما الى الله عز وجل وقالا له

انا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع اهل الارض فاستشفع لنا الى ربك ففعل ذلك
ادريس عليه السلام فخيرهما الله عز وجل بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا اذ علما
انه ينقطع فهما ببابل يعذبان واختلفوا في كيفية عذابهما فقال عبد الله ابن مسعود هما معلقان بشعورهما
الى قيام الساعة وقال مجاهد جعلا في جب ملئت نارا وقال عمير بن سعد منكوسان يضربان بسياط
الحديد وروى ان رجلا قصد هاروت وماروت ليتعلم السحر فوجدهما معلقين بارجلهما مزرقة
اعينهما مسودة جلودهما ليس بين السنتهما وبين الماء الا اربع اصابع وهما يعذبان بالعطش فلما راى
ذلك هاله مكانهما فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا له من انت قال رجل من الناس قالا من اي
امة قال من امة محمد صلى الله عليه وسلم قالا او قد بعث محمد قال نعم قالا الحمد لله واظهرا الاستبشار
فقال الرجل وبم استبشاركما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا قال الشيخ ابن الكثير حاصل
القصة راجع في تفصيلها الى اخبار بني اسرائيل اذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الاسناد الى الصادق
المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وسلم وظاهر سياق القرآن اجمال القصة
من غير بسط ولا اطناب فنحن نؤمن بما ورد في القرآن على ما اراده الله تعالى والله اعلم بحقيقة الحال
وَمَا يُعَلِّمَانِ يعني الملكين مِنْ أَحَدٍ احد من مزيدة للتاكيد حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ ابتلاء من الله
واختبار وامتحان وهي مصدر فتنت الذهب والفضة اذا اذبتهما لتميز الجيد من الرديء فَلَا تَكْفُرْ
اي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ مع ما بينهما من الخلطة
والائتلاف في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان
يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فاقربهم عنده منزلة اعظمهم عنده فتنة يجيء احدهم فيقول ما زلت
بفلان حتى تركته وهو يقول كذا وكذا فيقول ابليس لا والله ما صنعت شيئا ويجيء احدهم فيقول
ما تركته حتى فرقت بينه وبين اهله قال فيقربه ويدنيه ويلتزمه ويقول نعم انت قال الامام الرازي
انواع السحر ثمانية الاول سحر الكلدانيين والكشدانيين الذين كانوا يعبدون الكواكب السبعة السيارة
وكانوا يعتقدون انها مدبرة العالم وانها تاتي بالخير والشر وهم الذين بعث الله اليهم ابراهيم الخليل مبطلا
لمقالتهم ورادا لمذهبهم وقد استقصى في كتاب السر المكتوم في مخاطبة الشمس والنجوم المنسوب اليه كما
ذكره القاضي ابن خلكان وغيره ويقال انه تاب منه وقيل صنعه على وجه اظهار الفضيلة لا على سبيل الاعتقاد
هذا هو المظنون به الا انه ذكر فيه طريقتهم في مخاطبة كل من هذه الكواكب السبعة وكيفية ما يفعلون وما يلبسون
والنوع الثاني سحر اصحاب الاوهام والنفوس القوية ثم استدل على ان الوهم له تاثير بوجوه الاول ان الجذع
يتمكن الانسان من المشي عليه لو كان موضوعا على الارض ولا يمكن من المشي عليه لو كان ممدودا على نهر او
نحوه وما ذاك الا لان تخيل السقوط متى قوي اوجبه وثانيها اجمعت الاطباء على نهي المرعوف عن النظر

الى الاشياء الحمر والمصروع عن النظر الى الاشياء القوية اللمعان او الدوران وما ذاك الا لان النفوس خلقت مطيعة
للاوهام وثالثها حكى ابو علي عن ارسطو في طبايع الحيوان ان الدجاجة اذا تشبهت كثيرا بالديكة في الضرب
وفي الحراب مع الديكة نبت على ساقها مثل الشيء النابت على ساق الديكة وهذا يدل على ان الاحوال
الجسمانية تابعة للاحوال النفسانية ورابعها اجمعت الامم على ان الدعاء مظنة الاجابة واجمعوا على ان
الدعاء اللساني الخالي عن الطلب النفساني قليل الاثر فدل ذلك على ان للهمم والنفوس اثارا وهذا الاثار
غير مختص بسلسلة معينة ومحل مخصوص وخامسها انك لو انصفت لعلمت ان المبادي القريبة للافعال الحيوانية
ليست الا التصورات النفسانية لان القوة المحركة التي في العضلات صالحة للفعل وتركه ولن يترجح احد الطرفين
على الآخر الا لمرجح وما ذاك الا تصور كون الفعل جميلا او لذيذا او تصور كونه قبيحا او مولما فتلك التصورات
هي المبادي لصيرورة القوة العضلية مبادي بالفعل لوجود الافعال بعد ان كانت كذلك بالقوة واذا كانت
هذه التصورات هي المبادي لمبادي هذه الافعال فاي استبعاد في كونها مبادي للافعال انفسها والغاء الواسطة
عن درجة الاعتبار وسادسها التجربة والعيان شاهدان بان هذه التصورات مبادي قريبة لحدوث الكيفيات
في الابدان فان الغضبان تشتد سخونة مزاجه حتى انه يفيد سخونة قوية يحكى ان بعض الملوك عرض له فالج فاعيى
الاطباء مداواته وعلاجه فدخل عليه بعض الحذاق منهم على حين غفلة منه وشافهه بالشتم والقدح فاشتد غضب
الملك وقعد من مرقده قعدة اضطرارية لما ناله من شدة ذلك الكلام فزالت تلك العلة المزمنة المهلكة واذا
جاز كون التصورات مبادي لحدوث الحوادث في البدن فاي استبعاد من كونها مبادي لحدوث الحوادث خارج
البدن وسابعها ان الاصابة بالعين امر قد اتفق عليه العقلاء وذلك ايضا يحقق امكان ما قلناه قال اذا عرفت
هذا فنقول النفوس التي تفعل هذه الافاعيل قد تكون قوية جدا فتستغني في هذه الافعال عن الاستعانة بالآلات لات
والادوات وقد تكون ضعيفة فتحتاج الى الاستعانة بهذه الآلات وتحقيقه ان النفس اذا كانت مستعلية على
البدن شديدة الانجذاب الى عالم السموات كانت كانها روح من الارواح السماوية فكانت قوية على التاثير
في مواد هذا العالم اما اذا كانت ضعيفة شديدة التعلق بهذه اللذات البدنية فحينئذ لا يكون لها تصرف البتة
الا في هذا البدن ثم ارشد الى مداواة هذا الداء بتقليل الغذاء والانقطاع عن الناس والرياضة واما
الرقى فان كانت معلومة فالامر فيها ظاهر لان الغرض منها ان حس البصر كما شغلناه بالامور المناسبة
لذلك الغرض فحس السمع نشغله ايضا بالامور المناسبة لذلك الغرض فان الحواس متى تطابقت نحو التوجه
الى الغرض الواحد كان توجه النفس اليه حينئذ اقوى واما اذا كانت بالالفاظ غير معلومة حصلت للنفس
هناك حالة شبيهة بالحيرة فان الانسان اذا اعتقد ان هذه الكلمات انما تقرا للاستعانة بشيء من الامور
الروحانية ولا يدري كيفية الاستعانة حصلت للنفس هناك حالة شبيهة بالحيرة والدهشة ويحصل
للنفس في اثناء ذلك انقطاع عن المحسوسات واقبال على ذلك الفعل وجد عظيم فيقوى التاثير النفساني

فيحصل الغرض وهكذا القول في الدخن قالوا فقد ثبت ان هذا القدر من القوة النفسانية مستقل بالتاثير فانضم اليه النوع الاول من السحر وهو الاستعانة بالكواكب وتاثيراتها اعظم التاثير قال الشيخ ابن الكثير وهذا الذي يشير اليه هو التصرف بالحال وهو على قسمين تارة تكون حالا صحيحة شرعية يتصرف بها فيما امر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وترك ما نهى الله عنه ورسوله صلى الله عليه وسلم وهذه الاحوال مواهب من الله تعالى وكرامات الصالحين من هذه الامة ولا يسمى هذا سحرا في الشرع وتارة يكون الحال فاسدة لا يمتثل صاحبها ما امر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا يتصرف بها في ذلك فهذه حال الاشقياء المخالفين للشريعة ولا يدل اعطاء الله اياهم هذه الاحوال على محبته لهم كما ان الدجال لعنه الله له من الخوارق للعادات ما دلت عليه الاحاديث الكثيرة مع انه مذموم شرعا لعنه الله وكذلك من شابهه من مخالفي الشريعة المحمدية على صاحبها افضل الصلوة والسلام وبسط هذا يطول جدا وليس هذا موضعه النوع الثالث من السحر الاستعانة بالارواح الارضية المسماة بالجن واتصال النفوس الناطقة بها اسهل من اتصالها بالارواح السماوية الا ان القوة الحاصلة للنفوس الناطقة بسبب اتصالها بهذه الارواح الارضية اضعف من القوة الحاصلة لها بسبب اتصالها بتلك الارواح السماوية اما ان الاتصال بها اسهل وبين هذه الارواح الارضية اتم واشد من المشاكلة بينها وبين الارواح السماوية واما ان القوة الحاصلة بسبب الاتصال بالارواح السماوية اقوى فلان الارواح السماوية بالنسبة الى الارواح الارضية كالشمس بالنسبة الى الشعلة والبحر بالنسبة الى القطرة والسلطان بالنسبة الى الرعية ثم ان اصحاب الصنعة وارباب التجربة يشاهدون ان الاتصال بهذه الارواح الارضية يحصل باعمال قليلة من الرقى والدخن فهذا النوع هو المسمى بالعزائم وعمل تسخير الجن النوع الرابع من السحر التخيلات والاخذ بالعيون وهذا النوع مبني على مقدمات احدها ان اغلاط البصر كثيرة وثانيها ان القوة الباصرة انما تقف على المحسوس وقوفا تاما اذا ادركت المحسوس في زمان قليل جدا ثم ادرك بعده محسوسا آخر وهكذا فانه تختلط البعض بالبعض ولا تتميز بعض المحسوسات عن البعض فان الرحى اذا اخرجت من مركزها الى محيطها خطوطا كثيرة بالوان مختلفة ثم استدارت فان الحس يرى لونا واحدا كانه مركب من كل تلك الالوان وثالثها ان النفس اذا كانت مشغولة بشيء فربما حضر عند الحس شيء آخر فلا يشعر الحس به البتة كما ان الانسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه انسان ويتكلم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه لما ان قلبه مشغول بشيء آخر اذا عرف هذه المقدمات سهل عند ذلك تصور كيفية هذا النوع من السحر وذلك لان المشعبذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل اذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم اليه حتى اذا استفرغهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه عمل شيئا آخر عملا بسرعة شديدة فيبقى ذلك العمل خفيا وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه فيتعجبون منه جدا ولو انه سكت ولم يتكلم بما يصرف الخواطر الى ضد ما يريد ان يعمله ولم تتحرك النفوس والاوهام الى غير ما يريد اخراجه لفطن الناظرون لكل ما يفعله فهذا هو

فلان المشابهة والمشاكلة بين نفوسنا م

المراد من

المراد من قولهم ان المشعبذ يأخذ العيون لانه بالحقيقة يأخذ بالعيون الى غير الجهة التي يحتال وكلما كان اخذه بالعيون والخواطر وجذبه لها الى سوى مقصوده اقوى كان احذق في عمله وكلما كانت الاحوال التي تفيد حس البصر نوعا من انواع الخلل اشد كان هذا العمل احسن مثل ان يجلس المشعبذ في موضع مضيء جدا فان الضوء الشديد يفيد البصر كلالا واختلالا وكذا الظلمة الشديدة وكذلك الالوان المشرقة القوية تفيد البصر كلالا واختلالا والالوان المظلمة قلما تقف القوة الباصرة على احوالها فهذه مجامع القول في هذا النوع من السحر قال ابن الكثير وقد قال بعض المفسرين ان سحر السحرة بين يدي فرعون انما كان من باب الشعبذة ولهذا قال تعالى فلما القوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاؤوا بسحر عظيم وقال تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى قالوا ولم تكن تسعى في نفس الامر والله اعلم النوع الخامس من السحر الاعمال العجيبة التي تظهر من تركيب الالات المركبة على النسبة الهندسية تارة وعلى ضرورة الخلاء اخرى مثل فارسين يقتتلان فيقتل احدهما الآخر وكفارس على فرس في يده بوق كلما مضت ساعة من النهار ضرب البوق من غير ان يمسه احد ومنها الصور التي يصورها الروم والهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين الانسان حتى يصورونها ضاحكة وباكية حتى يفرق فيها بين ضحك السرور وضحك الخجل فهذه الوجوه من لطيف امور المخاييل وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات ويندرج في هذا الباب علم جر الاثقال وهو ان يجر ثقلا عظيما بآلة خفيفة سهلة وهذا في الحقيقة لا ينبغي ان يعد من باب السحر لان لها اسبابا معلومة نفيسة من اطلع عليها قدر عليها لما كان عسرا لا يصل اليه الا الفرد بعد الفرد لا جرم عد اهل الظاهر ذلك من باب السحر قال الشيخ ابن الكثير ومن هذا القبيل حيل النصارى على عامتهم بما يرونهم اياه من الانوار وما يحتالون به من ادخال النار خفية الى الكنيسة واشتعال ذلك بصنعة لطيفة تروج على العوام منهم واما الخواص فهم معترفون بذلك ولكن يتأولون انهم يجمعون شمل اصحابهم على دينهم فيرون ذلك سائغا لهم وفيه شبه للجهلة الاغبياء من متعبدي الكرامية الذين يرون جواز وضع الاحاديث في الترغيب والترهيب فيدخلون في عداد من قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار وقوله حدثوا عني ولا تكذبوا علي فانه من يكذب علي يلج النار النوع السادس من السحر الاستعانة بخواص الادوية مثل ان يجعل في طعامه بعض الادوية المبلدة المزيلة للعقل نحو دماغ الحمار اذا تناوله الانسان تبلد عقله وقلت فطنته واعلم انه لا سبيل الى انكار الخواص فان اثر المغناطيس مشاهد الا ان الانسان قد اكثروا فيه وخلطوا الصدق بالكذب والباطل بالحق النوع السابع من السحر تعليق القلب وهو ان يدعي الساحر انه قد عرف الاسم الاعظم وان الجن يطيعونه وينقادون له في اكثر الامور فان اتفق ان كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التمييز اعتقد انه حق وتعلق قلبه بذلك وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة واذا حصل الخوف ضعفت القوى الحاسة

الا ان الاطلاع عليها م

فحينئذ يتمكن الساحر من ان يفعل حينئذ ما شاء وان من جرب الامور وعرف احوال العالم علم ان لتعليق القلب اثرا عظيما في تنفيذ الاعمال واخفاء الاسرار وقال الشيخ ابن الكثير هذا النمط يقال له التنبل وانما يروج على الضعفاء العقول من بني آدم وفي علم الفراسة ما يرشد الى معرفة كامل العقل من ناقصه فاذا كان المتنبل حاذقا في علم الفراسة عرف من ينقاد له من الناس وغيره النوع الثامن من السحر السعي في النميمة والتضريب من وجوه خفية لطيفة وذلك شائع في الناس قال الشيخ النميمة على قسمين تارة تكون على وجه التحريش بين الناس وتفريق قلوب المؤمنين فهذا حرام متفق عليه فاما ان كانت على وجه الاصلاح بين الناس وائتلاف كلمة المسلمين كما جاء في الحديث ليس بالكذاب من ينم خيرا او يكون على وجه التخذيل والتفريق بين جموع الكفرة فهذا امر مطلوب كما جاء في الحديث الحرب خدعة فهذه جملة اقسام السحر واختلف المسلمون في ان هذه الانواع هل هي ممكنة ام لا اما المعتزلة فقد اتفقوا على انكارها الا النوع المنسوب الى التخييل والمنسوب الى اطعام بعض الادوية المبلدة والمنسوب الى التضريب والنميمة فاما الاقسام الخمسة الاول التي ذكرناها فلعلهم كفروا من قال بها وجوز وجودها واما اهل السنة فقد جوزوا ان يقدر الساحر على ان يطير في الهواء ويقلب الانسان حمارا والحمار انسانا الا انهم قالوا ان الله تعالى هو الخالق لهذه الاشياء عندما يقرأ الساحر رقى مخصوصة وكلمات معينة واما ان يكون المؤثر في ذلك هو الفلك والنجوم فلا وقد ذكر الوزير ابو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة رحمه الله عليه في كتابه الاشراف على مذهب الاشراف بابا في السحر فقال اجمعوا على ان السحر له حقيقة الا ابا حنيفة رحمه الله عليه فانه قال لا حقيقة له عنده واختلفوا فيمن يتعلم السحر ويستعمله فقال ابو حنيفة ومالك واحمد يكفر بذلك ومن اصحاب ابي حنيفة رحمه الله من قال ان تعلمه ليتقيه او ليجتنبه فلا يكفر ومن يتعلمه معتقدا لجوازه او انه ينفعه كفر وكذا من اعتقد ان الشياطين يفعلون له ما يشاء فهو كافر وقال الشافعي رضي الله عنه اذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرك فان وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده اهل بابل من التقرب الى الكواكب السبعة وانها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر وان كان لا يوجب الكفر فان اعتقد اباحته فهو كافر وقال ابن هبيرة وهل يقتل بمجرد فعله واستعماله فقال مالك واحمد نعم وقال الشافعي وابو حنيفة رحمهما الله لا فاما ان قتل بسحره انسانا فانه يقتل عند مالك والشافعي واحمد وقال ابو حنيفة رحمه الله لا يقتل حتى يتكرر منه ذلك او يقر في حق شخص معين واذا قتل فانه يقتل حدا عندهم الا الشافعي رحمه الله فانه قال يقتل والحالة هذه قصاصا وهل اذا تاب الساحر تقبل توبته فقال مالك وابو حنيفة واحمد رحمهم الله في المشهور عنهم لا تقبل وقال الشافعي واحمد في الرواية الاخرى تقبل واما ساحر اهل الكتاب فعند ابي حنيفة انه يقتل كما يقتل الساحر المسلم وقال مالك والشافعي واحمد لا يقتل لقصة لبيد بن الاعصم واختلفوا في المسلمة الساحرة فعند ابي حنيفة انها لا تقتل ولكن تحبس وقال الثلاثة حكمها حكم الرجل والله اعلم وما هم اي السحرة او الشياطين بضارين به بالسحر من احد اي احدا الا باذن الله اي بعلمه وتكوينه فالساحر يسحر والله

يكون وقال

يكون وقال سفيان الثوري معناه الا بقضائه وقدره ومشيئته ويتعلمون ما يضرهم يعني السحر يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا يعني اليهود لمن اشتراه اي اختار السحر ما له في الآخرة اي في الجنة من خلاق نصيب ولبئس ما شروا به باعوا به انفسهم حظ انفسهم حيث اختاروا السحر والكفر على الدين والحق لو كانوا يعلمون ولو انهم آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن واتقوا اليهودية والسحر لمثوبة من عند الله خير لشيء من الثواب خير وسمي الجزاء ثوابا لان المحسن يثوب اليه لو كانوا يعلمون ان ثواب الله خير جعلهم جاهلين حيث تركوا التدبر ولم يعملوا بعلمهم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا كان المسلمون يقولون راعنا يا رسول الله من المراعاة اي ارعنا سمعك لكلامنا وتأن بنا فيما تلقننا حتى نفهم من الرعي وهو حفظ الغير لمصلحته وكانت هذه اللفظة سبا قبيحا بلغة اليهود وقيل كان معناه عندهم اسمع لا سمعت وقيل هي من الرعونة كانوا اذا ارادوا ان يحمقوا انسانا قالوا راعنا اي يا احمق فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم كنا نسب محمدا سرا فاعلنوا به الآن وكانوا يأتونه ويقولون راعنا يا محمد ويضحكون فيما بينهم فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها وكان يعرف لغتهم فقال لليهود لئن سمعت من احد منكم يقولها لرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فانزل الله تعالى لا تقولوا راعنا كيلا يجد اليهود بذلك سبيلا الى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولوا انظرنا اي انتظرنا وتأن بنا يقال نظرت فلانا وانتظرته ومنه قوله تعالى انظرونا نقتبس من نوركم قال مجاهد معناه فهمنا واسمعوا ما تؤمرون به واطيعوا وللكافرين يعني اليهود عذاب اليم ثم لما بين حال اليهود والكفار في العداوة والعناد حذر للمؤمنين بوصفهم بما يوجب الحذر فقال ما يود الذين كفروا من اهل الكتاب اذا قال المسلمون لحلفائهم من اليهود آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قالوا ما هذا الذي يدعونا اليه بخير مما نحن فيه ولوددنا لو كان خيرا فانزل الله تكذيبا لهم ما يود الذين كفروا اي ما يحب ويتمنى الذين كفروا من اهل الكتاب يعني اليهود ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم اي خير ونبوة ومن مزيدة للاستغراق والله يختص برحمته بنبوته من يشاء والله ذو الفضل العظيم الفضل ابتداء احسان بلا علة وقيل المراد بالرحمة الاسلام والهداية ما ننسخ من آية او ننسها نزلت لما قال المشركون او اليهود طعنا في الاسلام الا ترون الى محمد يأمر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمر بخلافه ما يقوله الا من تلقاء نفسه يقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا عن ابن عباس يقول ما نبدل من آية او نتركها لا نبدلها نأت بخير منها اي بما هو انفع لكم واسهل عليكم واكثر لثوابكم او مثلها في المنفعة والثواب فكل ما نسخ الى الايسر فهو اسهل في العمل وما نسخ الى الاشق فهو في الثواب اكثر قال علي ابن ابي طالب اي في الحكم بالنسبة الى مصلحة المكلفين الم تعلم ان الله على كل شيء قدير الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم يا معشر الكفار عند نزول العذاب من دون الله

ثم ان الله تعالى لما شرح قبائح اعمالهم قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم اراد من هنا ان يشرح قبائح افعالهم عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وجدهم واجتهادهم في القدح فيه والطعن في دينه فقال م

منهم م

ماسوى الله مِنْ وَلِيٍّ قريب وصديق وَلَا نَصِيرٍ ناصر يمنعكم من العذاب يرشد بهذا الى انه المتصرف
في خلقه بما يشاء فله الخلق والامر فكما يخلقهم كما يشاء يسعد من يشاء ويشقي من يشاء ويصح من يشاء
ويمرض من يشاء ويوفق من يشاء ويخذل من يشاء كذلك يحكم في عباده بما يشاء فيحل ما يشاء ويحرم
ويبيح ما يشاء ويختبر عباده بالنسخ فيامر بالشي لما فيه المصلحة التي يعلمها تعالى ثم ينهى عنه بما يعلمه
تعالى فالطاعة كل الطاعة في امتثال امره واتباع رسله في تصديق ما اخبروا وامتثال ما امروا وترك
ما عنه زجروا قال ابو جعفر بن جرير رحمه الله فتاويل الآية الم تعلم يا محمد ان لي ملك السموات والارض
وسلطانهما دون غيري احكم فيهما وما فيهما بما اشاء وانهى عما اشاء وانسخ وابدل واغير من احكامي
التي احكم بها في عبادي ما اشاء اذا اشاء واقر فيهما ما اشاء ثم قال وهذا الخبر وان كان من الله تعالى
خطابا لنبيه صلى الله عليه وسلم على وجه الخبر من عظمته فانه تكذيب لليهود الذين انكروا نسخ احكام التورية
وجحدوا نبوة عيسى ومحمد عليهما السلام لمجيئهما بما جاء به من عند الله بتغيير ما غير الله من حكم التورية
فاخبرهم الله ان له ملك السموات والارض وسلطانهما وان الخلق اهل مملكته وطاعته وعليهم السمع والطاعة
لامره ونهيه وان له امرهم بما يشاء ونهيهم عما يشاء ونسخ ما يشاء واقرار ما يشاء قال الشيخ ابن الكثير الذي
يحمل اليهود على البحث في مسئلة النسخ انما هو الكفر والضلال فانه ليس في العقل ما يدل على امتناع النسخ في حكم
الله تعالى لانه يحكم ما يشاء كما يفعل ما يريد مع انه قد وقع ذلك في كتبه المتقدمة وشرائعه الماضية كما احل لآدم
تزويج بناته من بنيه ثم حرم ذلك وكما اباح لنوح بعد خروجه من السفينة اكل جميع الحيوانات ثم نسخ حل
بعضها وكان نكاح الاختين مباحا لاسرائيل وبنيه وحرم ذلك في شريعة التورية وما بعدها واشباه ذلك مما
يطول ذكرها وهم يعترفون بذلك ويصدقون عنه أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ نزلت في اليهود حين
قالوا يا محمد ائتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى موسى بالتورية فقال تعالى ام تريدون يعني اتريد وقيل بل
تريدون ان تسألوا رسولكم محمدا صلى الله عليه وسلم كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ سأله قومه ارنا الله جهرة ذم الله تعالى من
سال الرسول صلى الله عليه وسلم من شيء على وجه التعنت والاقتراح كما سالت بنو اسرائيل موسى عليه السلام
تعنتا وتكذيبا وعنادا كما قال وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ وسط الطريق
اي ومن ترك الثقة بالآيات البينات واقترح غيرها فقد ضل الطريق المستقيم وَدَّ كَثِيرٌ الآية نزلت
في نفر من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة احد لو كنتم على الحق ما هزمتم
فارجعا الى ديننا فنحن اهدى سبيلا منكم فقال لهم عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فاني عاهدت
ان لا اكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة اما انا فقد رضيت
بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخبراه بذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصبتما الخير وافلحتما فانزل الله تعالى وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ

وامورهما وفيما فيهما بما اشاء م

اهل الكتاب

اهل الكتاب اي تمنى واراد كثير مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ من اليهود لَوْ يَرُدُّونَكُمْ يا معشر المسلمين مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ
كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ من اصل نفوسهم لم يامرهم الله بذلك والكلام في ذم الحسد وحقيقته
ومراتبه واسبابه واسباب كثرته وقلته وضعفه وقوته مذكور في مواضعه وهو مجموع مبسوطا حق بسطه في كتاب
احياء علوم الدين قال الامام الرازي والسبب الحقيقي فيه ان الكمال محبوب بالذات وضد المحبوب مكروه ومن
جملة انواع الكمال التفرد بالكمال فلاجرم كان الشريك في الكمال مبغوضا لكونه منازعا في الفردانية التي هي من اعظم
ابواب الكمال الا ان هذا النوع من الكمال لما امتنع حصوله الا لله سبحانه وتعالى وقع الناس عنه فاختص
الحسد بالامور الدنيوية وذلك لان الدنيا لا تفي بالمتزاحمين واما الآخرة فلا ضيق فيها وانما مثال الآخرة
نعمة العلم فلاجرم من يحب معرفة الله ومعرفة صفاته وملائكته فلا يحسد غيره اذا عرف ذلك لان المعرفة لا تضيق
عن العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا ينقص لذة احد بسبب غيره
بل يحصل بكثرة العارفين زيادة الانس فلذلك لا يكون بين علماء الدين محاسدة لان مقصدهم معرفة الله وهي
بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله ولا ضيق فيها نعم اذا قصد العلماء بالعلم الجاه والمال تحاسدوا
لان المال اعيان اذا وقعت في يد واحد فقد خلت عنها يد الآخر ومعنى الجاه ملك القلوب ومهما امتلأ قلب
شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر اما اذا امتلأ قلبه بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب
غيره وان يفرح به فلذلك وصفهم الله تعالى بعدم الحسد فقال وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى
سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ في التورية اي ان قول محمد صلى الله عليه وسلم صدق ودينه حق
فَاعْفُوا اتركوا عقوبتهم وَاصْفَحُوا وتجاوزوا فالعفو المحو والصفح الاعراض وكان هذا قبل آية القتال
حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ بعذابه القتل والسبي لبني قريظة والجلاء والنفي لبني النضير قاله ابن عباس وقال
قتادة هو امره تعالى لهم في قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الى قوله وهم صاغرون
إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ثم لما امر بالعفو والصفح عن اليهود عقبه بالامر بالصلوة وايتاء الزكوة وغيرهما
من الطاعات منبها على انه كما الزمهم لحظ غيرهم وصلاحهم العفو والصفح فكذلك الزمهم لحظ انفسهم الطاعات
فقال وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ طاعة وعمل صالح تَجِدُوهُ تجدوا
ثوابه عِنْدَ اللَّهِ وقيل اراد بالخير المال كقوله تعالى ان ترك خيرا واراد من زكوة او صدقة تجدوه حتى الله
التمرة واللقمة مثل احد إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى وذلك
ان اليهود قالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا ولا دين الا اليهودية وقالت النصارى لن يدخل الجنة
الا من كان نصرانيا ولا دين الا النصرانية وهذا تخليط اليهود والقاء الشبهة في قلوب المؤمنين وقيل
نزلت في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اليهود فكذب
بعضهم بعضا فقال الله تعالى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ اي شهواتهم الباطلة التي يمنوها على الله بغير الحق قُلْ يا محمد

هَاتُوا احضروا بُرْهَانَكُمْ حجتكم على ما زعمتم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ثم قال ردا عليهم بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ
اي ليس كما قالوا وانما يدخل الجنة من اخلص نفسه لله والاخلاص مذكور في مواضعه وقد بسطه الامام
حجة الاسلام في كتاب النية والاخلاص من الاحياء وَهُوَ مُحْسِنٌ في عمله لانه لا بد وان يكون تواضعه لله
بفعل حسن لا بفعل قبيح فان الهند يتواضعون لله تعالى بافعال قبيحة فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قال الكاشف اي من بذل وجهه لله لا لما من الله وهو محسن بلا رؤية المعاملة ولا طلب
المعاوضة بل برؤية الحق بنعت فناء الخلق فله بمجالسة البقاء عند ربه بزوال خوف الفراق وحزن الحجاب
ثم لما جمع الله اليهود والنصارى في الخبر الاول فصلهم في هذه الآية وبين قول كل فريق منهم في الآخر فقال
وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ ونزلت الآية في يهود المدينة ونصارى اهل نجران لما قدموا
على النبي صلى الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت اصواتهم فقالت لهم اليهود ما انتم على
شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت لهم النصارى ما انتم على شيء من الدين وكفروا بموسى
والتورية كما قال الله تعالى وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ وكلا الفريقين يقرؤن
الكتاب ويعلمون ان دين كل واحد منهم حق قبل معناه ليس في كتابهم هذا الاختلاف فدل تلاوتهم الكتاب
ومخالفتهم ما فيه على كونهم على الباطل كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ يعني آباءهم الذين مضوا مِثْلَ قَوْلِهِمْ قال
مجاهد يعني عوام النصارى وقال مقاتل يعني مشركي العرب كذلك قالوا في نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه
انهم ليسوا على شيء من الدين وقال عطاء امم كانت قبل اليهود والنصارى مثل قوم نوح وهود وصالح ولوط
وشعيب عليهم السلام قالوا لنبيهم انه ليس على شيء فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يقضي بين المحق والمبطل
فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ من الدين وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ الآية نزلت
في ططوس بن اسبيانوس الرومي واصحابه وذلك انهم غزوا بني اسرائيل فقتلوا مقاتلهم وسبوا ذراريهم
وحرقوا التورية وخربوا بيت المقدس وقذفوا فيه الجيف وذبحوا فيه الخنازير وكان خرابا الى ان
بناه المسلمون في ايام عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قتادة والسدي هو بخت نصر واصحابه غزوا اليهود
وخربوا بيت المقدس واعانهم على ذلك ططوس الرومي واصحابه من اهل الروم وانما اعانه الروم على خرابه
من ان بني اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا عليهما السلام وروى نحوه عن الحسن البصري وقال قتادة حملهم بغض
اليهود على معاونة بخت نصر البابلي المجوسي فانزل الله تعالى ومن اظلم اي اكفر واعتى ممن منع مساجد
الله يعني بيت المقدس ومحاريبه ان يذكر فيها اسمه وَسَعَى عمل فِي خَرَابِهَا والوجه في كيفية اتصال
هذه الآية بما قبلها وجوه فاما من حملها على النصارى وخراب بيت المقدس قال تتصل بما قبلها من حيث ان
النصارى ادعوا انهم من اهل الجنة فقط فقيل لهم كيف يكونون كذلك مع معاملتكم في تخريب المساجد
والسعي في خرابها هكذا واما من حمله على المسجد الحرام او ساير المساجد قال جرى ذكر مشركي العرب في قوله

وقيل اخلص قصده والكلام في م

فكلما

كذلك قال الذين لا يعلمون وقيل جرى ذكر جميع الكفار وذمهم فمرة وجه الذم الى اليهود والنصارى
ومرة الى المشركين أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ اي ما ينبغي لهم أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ وذلك ان بيت المقدس
موضع حج النصارى ومحل زيارتهم قال ابن عباس لم يدخلها بعد عمارتها رومي الا خائفا وقيل هذا خبر
بمعنى الامر اي اضطروهم بالجهاد حتى لا يدخلها احد منهم الا خائفا من القتل والسبي لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ
عذاب وهوان قال قتادة هو القتل للحربي والجزية للذمي قال مقاتل يفتح مدائنهم الثلث قسطنطينية ورومية
وعمورية وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ هو النار روى الامام احمد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه كان يدعو اللهم احسن عاقبتنا في الامور كلها واجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وقال عطاء
وعبد الرحمن بن زيد نزلت في مشركي مكة واراد بالمساجد المسجد الحرام منعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم واصحابه من حجه والصلوة فيه عام الحديبية واذا منعوا من يعمره بذكر الله فقد سعوا في خرابه
اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين يعني اهل مكة يقول الله تعالى افتحها عليكم حتى يدخلوها ويكونوا
اولى بها منهم ففتحها عليهم وامر النبي مناديا ينادي الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك فهذا خوفهم وثبت الشرع
بان لا يمكن مشرك من دخول الحرم لهم في الدنيا خزي الذل والهوان والقتل والسبي والنفي وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ
وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ قال ابن عباس خرج نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في
سفر قبل تحويل القبلة الى الكعبة فاصابهم الضباب وحضرت الصلوة فتحروا القبلة وصلوا فلما ذهب
الضباب استبان لهم انهم لم يصيبوا فلما قدموا سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فنزلت هذه
الآية وقال عبد الله بن عمر نزلت في المسافر يصلي التطوع حيث ما توجهت به راحلته قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصلي على راحلته في السفر حيث ما توجهت به وقال عكرمة نزلت في تحويل القبلة
قال ابو العالية لما صرفت القبلة الى الكعبة عيرت اليهود المؤمنين وقالوا ليست لهم قبلة معلومة فتارة
يستقبلون هكذا وتارة هكذا فانزل الله تعالى هذه الآية ومنهم من جعل وجه ربط الآية وقيل المعنى ان هؤلاء
الذين ظلموا بمنع مساجدي ان يذكر فيها اسمي وسعوا في خرابها اولئك لهم كذا وكذا ثم انهم اين ولوا هاربين
عني وعن سلطاني فان سلطاني يلحقهم وقدرتي تسبقهم وانا عليم بهم لا يخفى علي مكانهم وفي ذلك
تحذير من المعاصي وزجر عن ارتكابها وقال مجاهد والحسن لما نزلت وقال ربكم ادعوني استجب لكم
قالوا اين ندعوه فانزل الله عز وجل ولله المشرق والمغرب ملكا وخلقا فاينما تولوا فثم وجه الله يعني
اينما تحولوا وجوهكم فثم اي هناك وجه الله قال الكلبي فثم الله يعلم ويرى والوجه صلة لقوله تعالى كل شيء
هالك الا وجهه اي الا هو وقال الحسن ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان فثم قبلة الله والوجه والوجهة
والجهة القبلة وقيل رضا الله قال الكاشف فاينما تولوا بعيون الاسرار فثم مكاشفة الانوار وايضا اشار
بهذه الآية الى مشاهدة المشهود في الشواهد إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ اي غني يعطي من السعة قال الفراء الجواد

العام م

قدس سره ورضي عنه

الذى يسع عطاؤه كل شئ قال الكلبى واسع المغفرة عليم بنياتهم حيثما صلوا ودعوا روى الدارقطنى باسناد
ضعيف عن جابر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسير فاصابنا غيم فتحيرنا فاختلفنا فى القبلة
فصلى كل رجل منا على حدة وجعل احدنا يخط بين يديه لنعلم امكنتنا فذكرنا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يأمرنا
بالاعادة وقال اجزأت صلوتكم وروى ابن مردويه ايضا باسناد ضعيف عن ابن عباس ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث سرية فاخذتهم ضبابة فلم يهتدوا الى القبلة فصلوا لغير القبلة ثم استبان لهم بعدما
طلعت الشمس انهم صلوا لغير القبلة فلما جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثوه فانزل الله عز وجل
هذه الآية وقد اورد الحافظ ابو بكر بن مردويه فى تفسير هذه الآية حديثا رواه الترمذى وابن ماجه عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة لاهل المدينة واهل الشام واهل
العراق وله مناسبة ههنا قال الترمذى وقد روى عن غير واحد من الصحابة ما بين المشرق والمغرب
قبلة منهم عمر بن الخطاب وعلى وابن عباس وقال ابن عمر اذا جعلت المغرب عن يمينك والمشرق عن يسارك
فما بينهما قبلة اذا استقبلت القبلة وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا نزلت فى يهود المدينة حيث قالوا عزير ابن الله
وفى نصارى نجران حيث قالوا المسيح ابن الله وفى مشركى العرب حيث قالوا الملائكة بنات الله سُبْحَانَهُ
تنزيه عن اتخاذ الولد فى صحيح البخارى عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال قال الله كذبنى ابن
آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياى فيزعم انى لا اقدر ان اعيده كما كان واما شتمه
اياى فقوله لى ولد فسبحانى ان اتخذ صاحبة او ولدا وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال لا احد اصبر على اذى سمعه من الله انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ اى ليس الامر كما افتروا وانما له ملك السموات والارض ومن فيهن وهو
المتصرف فيهم والجميع ملك له وعبيد له مذللون مسخرون لما خلقوا له وقد روى ابن ابى حاتم باسناده
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كل حرف من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة وقد رواه
الامام احمد ايضا لكن باسناد ضعيف وقد يكون من كلام الصحابى او من دونه وكثيرا ما ياتى بالاسناد
الضعيف تفاسير فلا تغتر بها فان السند ضعيف والله اعلم بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اى مبدعهما
ومنشئهما من غير مثال سبق وفاعل لهما ولكل ما فيهما على الاطلاق فكيف يكون منفعلا بانفصال
مادة الولد عنه انى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وخلق كل شئ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا اى اراد شيئا
والقضاء اتمام الشئ قولا كقوله تعالى وقضى ربك اى امر وفعلا كقوله فقضيهن ومنه قضاء الله ومنه
قيل لمن مات قضى عليه واطلق على تعلق الارادة الالهية بوجود الشئ من حيث انه يوجبه فَإِنَّمَا يَقُولُ
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ اى احدث فيحدث وليس المراد حقيقة امر وامتثال بل تمثيل حصول ما تعلقت به ارادته
بلا مهلة بطاعة المامور المطيع بلا توقف وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ قال ابن عباس اليهود وقال مجاهد

النصارى

النصارى وقال قتادة مشركوا العرب فالآية من قبائح افعال اليهود والنصارى والمشركين لَوْلَا
يُكَلِّمُنَا اللَّهُ عيانا بانك رسوله وكل ما فى القرآن لولا فهو بمعنى هلا الا واحدا وهو قوله فلولا انه كان
من المسبحين معناه لو لم يكن أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ دلالة وعلامة على صدقك قال الله عز وجل كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ اى كفار الامم الماضية مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ اى قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى والعناد
قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ اى قد اوضحنا الدلالات على صدق الرسل لقوم يطلبون اليقين وفيه
اشارة الى انهم ما قالوا ذلك لخفاء فى الآيات او لطلب مزيد يقين وانما قالوه عتوا وعنادا ثم لما بين ان
القوم اصروا على العناد واللجاج الباطل واقترحوا المعجزات على سبيل التعنت بين تعالى لرسوله انه لا
مزيد على ما فعله فى مصالح دينهم فقال إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ قال ابن عباس بالقرآن دليله بل كذبوا بالحق لما
جاءهم وقال ابن كيسان بالاسلام وشرايعه دليله قوله تعالى قل جاء الحق وقال مقاتل لم نرسلك عبثا انما
ارسلناك بالحق كما قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق بَشِيرًا مبشرا بالجنة وَنَذِيرًا منذرا من النار
وَلَا تُسْأَلُ ولست بمسئول عنهم كما قال فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ الجحيم معظم النار وروى
الامام احمد باسناده عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرنى عن صفة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى التورية فقال اجل والله انه لموصوف فى التورية بصفته فى القرآن يا ايها النبى انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين وانت عبدى ورسولى سميتك المتوكل لا فظ ولا غليظ ولا
سخاب فى الاسواق ولا تدفع بالسيئة السيئة ولكن تعفو وتغفر ولن نقبضه حتى نقيم به الملة العوجاء بان
يقولوا لا اله الا الله فيفتح به اعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا ورواه البخارى فى البيوع وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ
الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ كانوا يسألون النبى صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعونه فانزل الله
هذه الآية معناه انك وان هادنتهم فلا يرضون بها وانما يطلبون ذلك تعللا ولا يرضون منك الا اتباع ملتهم
وطريقتهم وقال ابن عباس هذا فى القبلة وذلك ان يهود المدينة ونصارى نجران كانوا يرجون النبى صلى الله
عليه وسلم حين كان يصلى الى قبلتهم فلما صرف الله القبلة ايسوا منه ان يوافقهم على دينهم فانزل الله ولن ترضى
عنك اليهود الا باليهودية ولا النصارى الا بالنصرانية قُلْ يا محمد إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى اى هدى الله الذى
هو الاسلام هو الهدى الى الحق لا ما تدعون اليه وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ آراءهم الزايغة عن الحق قيل
الخطاب مع النبى صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة كقوله لئن اشركت ليحبطن عملك بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ
بان دين الله هو الاسلام والقبلة قبلة ابرهيم عليه السلام وهى الكعبة مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ يدفع عنك
عقابه فى الصحيح عن عبد الله بن عمر ولا تزال طائفة من امتى يقاتلون على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم
حتى ياتى امر الله الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ قال ابن عباس نزلت فى اهل السفينة الذين قدموا مع جعفر بن
ابى طالب وكانوا اربعين رجلا اثنان وثلثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام منهم بحيرا وقال الضحاك

كذا فى المعالم التنزيل ومعنى قوله سلى لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم مع

النار

ثم لما صبّر رسوله بما تقدم من الآية وانه لا عذر لهم فى الثبات على التكذيب عقب ذلك بان القوم بلغ حالهم فى تشددهم فى باطلهم وثباتهم على كفرهم انهم يريدون مع ذلك ان تتبع ملتهم ولا يرضون منك بالكتاب فقال مع

هم من آمن من اليهود عبد الله بن سلام وسعيد بن عمرو وتمام بن يهوذا واسيد واسد ابنا
كعب وابن يامين وعبد الله بن صوريا قال قتادة وعكرمة هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم
المؤمنون عامة يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ قال الكلبى يصفونه فى كتبهم حق صفته لمن سألهم من الناس و
الهاء راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال آخرون هى عائدة الى الكتاب واختلفوا فى معناه فقال ابن
مسعود يقرؤنه كما انزل ولا يحرفونه ويحلون حلاله ويحرمون حرامه وقال الحسن يعملون بمحكمه ويؤمنون
بمتشابهه ويكلون علم ما اشكل عليهم الى عالمه وقال مجاهد يتبعونه حق اتباعه أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ
وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ
قد تقدم نظير هذه الآية فى صدر السورة وكررت ههنا للتاكيد والحث على اتباع الرسول النبى الامى الذى
يجدون صفته فى كتبهم اسمه وامره وامته فحذرهم من كتمان هذا وكتمان ما انعم عليهم وامرهم ان يذكروا
نعم الله عليهم وختم قصتهم بما بدأ به ثم انه تعالى لما استقصى فى شرح وجوه نعمه على بنى اسرائيل ثم فى قبائحهم
فى اديانهم واعمالهم وختم الفصل بما به بدأ شرع فى نوع آخر من البيان وهو ان ذكر قصة ابراهيم عليه السلام م
وكيفية احواله والحكمة فيه ان ابراهيم عليه السلام شخص يعترف بفضله جميع الطوايف والملل والاديان
والمشركون كانوا معترفين بفضله متشرفين بانهم من اولاده ومن ساكنى حرمه وخادمى بيته وفى قصته امور
توجب الاعتراف بدين محمد صلى الله عليه وسلم والانقياد لشرعه منها انه امر ببعض التكاليف ثم وفى بها
فنال منصب الامامة والاقتداء به فيعلم ان الخيرات كلها لا تحصل الا بترك التمرد والانقياد لحكم الله والتزام تكاليفه ومنها
انه طلب الامامة لذريته فقيل له لا ينال عهدى الظالمين فعلم ان طالب الحق يجب ان يترك التعصب و
المراد ووضح ان من ظلم الله لينال رياسة الدارين ومنها ان القبلة لما حولت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فبين
الله تعالى لهم بان هذا البيت قبلة ابراهيم الذى اعترفوا بتعظيمه والاقتداء به ومنها انه دعا بارسال نبى
من ذريته وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما يجى فيجب على من يعترف بابراهيم ان يعترف بمحمد صلى الله عليه وسلم
وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ اى واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين واهل الكتاب الذين ينتحلون
ملة ابراهيم وليسوا عليها وقت ابتلاء الله ابراهيم اى اختباره له بما كلفه به من الاوامر والنواهى فاتمهن
اى قام بهن كلهن قال عكرمة عن ابن عباس هى ثلثون سهما هن شرايع الاسلام لم يبتل احد بهذا الدين فاقامها
الا ابراهيم فكتب له البراءة فقال وابرهيم الذى وفى عشر فى سورة براءة التائبون العابدون الى آخرها وعشر
فى سورة المؤمنين وسأل سائل قد افلح المؤمنون وقوله الا المصلين فى سأل سائل وقال طاوس
عن ابن عباس ابتلاه الله بعشرة اشياء وهى الفطرة خمس فى الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق
والسواك وفرق الرأس وخمس فى البدن تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء بالماء

عشر فى الاحزاب ان المسلمين والمسلمات الى آخرها مع

وفى الخبر

وفى الخبر ان ابراهيم اول من قص الشارب واول من اختتن واول من قلم الاظفار واول من رأى الشيب
فلما رآه قال يا رب ما هذا قال الوقار قال يا رب زدنى وقارا قال مجاهد هى الآيات التى بعدها فى قوله
عز وجل انى جاعلك للناس اماما الى آخر القصة قال الربيع وقتادة مناسك الحج قال الحسن ابتلاه الله
بسبعة اشياء بالكوكب وبالقمر والشمس فاحسن فيها النظر وعلم ان ربه دائم لا يزول وبالنار فصبر عليها
وبالهجرة وبذبح ابنه وبالختان فصبر عليها قال ابو جعفر بن جرير يجوز ان يكون المراد بالكلمات جميع ما
ذكر وجائز ان يكون بعض ذلك ولا يجوز الجزم بشئ منها انه المراد على التعيين الا بحديث او اجماع ولم
يصح فى ذلك خبر قال الكاشف نقلا عن بعضهم اشد ما ابتلى الله به ابرهيم ان حمله امانة الخلة ثم طالبه
بتصحيح شرايطها وتصحيح شرايط الخلة التخلى عما سواه ظاهرا وباطنا قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا
لما اتم الكلمات قال له ربه انى جاعلك للناس اماما يقتدى بك فى الخير فلم يبعث بعده نبى الا كان من
ذريته مامورا باتباعه قال ابو عثمان الامام الذى يعاشر على الظاهر ولا يؤثر فلك فيما بينه وبين ربه
بسبب كالنبى عليه الصلوة والسلام كان قائما مع الخلق على الابلاغ وقائما مع الله على حد المشاهدة قَالَ
وَمِنْ ذُرِّيَّتِي اى ومن اولادى ايضا فاجعل ائمة يقتدى بهم قَالَ الله عز وجل لَا يَنَالُ لا يصيب عَهْدِي
الظَّالِمِينَ اى لا ينال ما عهدت اليك من النبوة والامامة من كان ظالما منهم ولذلك قال الكاشف قطع
الانساب والاسباب عن مراتب الانبياء والاولياء لانه اصطفاهم بالآيات والمعجزات من العلات وقطع
قطع بهذه ان يصل اليه احد بسبب اونسب الا برضا الازل وسبق العناية وقال الصادق لا سال بحقيقة
ومشاهدة ربى من شكى الى احد سواى وقال لا ينال قربتى من بعد ستر عنى ثم لما بين حال ابرهيم
عليه السلام ذكر تكليفه بتطهير حرم الاوثان وسائر الادناس فقال وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ
مرجعا لهم وقال مجاهد وسعيد بن جبير يثوبون اليه من كل جانب ويحجون قال ابن عباس معاذا
وملجأ وقال قتادة وعكرمة مجمعا وَأَمْنًا اى مأمنا يامنون فيه من ايذاء المشركين فانهم ما كانوا يتعرضون
لاهل مكة ويقولون هم اهل الله ويتعرضون لمن حوله كما قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا
ويتخطف الناس من حولهم عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة ان هذا
البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده
ولا تلتقط لقطته الا من عرفها ولا يختلى خلاه فقال العباس الا الاذخر فانه لقينهم ولبيوتهم فقال صلى الله
عليه وسلم الا الاذخر وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى قال يمان المسجد كله مقام ابراهيم وقال
ابراهيم النخعى الحرم كله مقام ابرهيم وقيل اراد بمقام ابراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة وسائر
المشاهد والصحيح ان مقام ابرهيم هو الحجر الذى فى المسجد يصلى اليه الائمة وذلك الحجر الذى قام عليه
ابرهيم عليه السلام عند بناء المسجد وقيل كان اثر اصابع رجليه فيه فاندرس من كثرة المسح بالايدى

صيده ٥٠

قال قتادة ومقاتل والسدى امروا بالصلوة عند مقام ابرهيم ولم يومروا بمسحه وتقبيله في صحيح البخاري
عن انس قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وافقت الله ربي في ثلث ووافقني ربي في ثلث قلت يا
رسول الله لو اتخذت مقام ابراهيم مصلى فانزل الله واتخذوا من مقام ابرهيم مصلى وقلت يا رسول
الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المؤمنين بالحجاب فانزل الله تعالى وتقدس اية الحجاب
وقال بلغني معاتبة النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه فدخلت عليهن فقلت ان انتهيتن او ليبدلن
الله رسوله خيرا منكن فانزل الله تعالى عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن مسلمات الاية
واما بدو قصة المقام على ما في المعالم فقد روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما اتى ابرهيم باسمعيل
وهاجر ووضعهما بمكة واتت على ذلك مدة ونزلها الجرهميون وتزوج اسمعيل منهم امراة وماتت
هاجر استاذن ابرهيم سارة ان تاتي هاجر فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فقدم ابرهيم وقد ماتت
هاجر فذهب الى بيت اسمعيل فقال لامراته اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من
الحرم فيصيد فقال لها ابرهيم هل عندك ضيافة فقالت ليس عندي وسالها عن عيشهم فقالت نحن في
ضيق وشدة فشكت اليه فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له فليغير عتبة بابه وذهب ابرهيم
فجاء اسمعيل ووجد ريح ابيه فقال لامراته هل جاءك احد قالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة
لشانه وقال فما قال لك قال اقرئي زوجك السلام وقولي فليغير عتبة بابه قال ذاك ابي وقد امرني ان
افارقك الحقي باهلك فطلقها وتزوج منهم اخرى فلبث ابرهيم ما شاء الله ان يلبث ثم استاذن سارة ان
يزور اسمعيل فاذنت له وشرطت عليه ان لا ينزل فجاء ابراهيم حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامراته
اين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن ان شاء الله فانزل رحمك الله قال هل عندك ضيافة قالت نعم
فجاءت باللبن واللحم وسالها عن عيشهم فقالت نحن في خير وسعة فدعا لهما بالبركة ولو جاءت يومئذ
بخبز بر او شعير او تمر فكانت اكثر ارض الله برا او شعيرا او تمرا وقالت له انزل حتى اغسل راسك
فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه فغسلت شق راسه الايمن ثم حولته الى
شقه الايسر فغسلت شق راسه الايسر فبقي اثر قدميه عليه وقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام
وقولي قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح ابيه فقال لامراته هل جاءك احد قالت نعم
شيخ احسن الناس وجها واطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت راسه وهذا موضع
قدميه فقال ابراهيم ذاك ابرهيم وانت العتبة امرني ان امسكك وروى عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسمعيل يبري نبلا تحت دوحة قريبة من زمزم فلما راه
قام اليه فصنع كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد ثم قال يا اسمعيل ان الله امرني بامر اتعينني عليه
قال ان الله امرني ان ابني ههنا بيتا فعند ذلك رفعا القواعد من البيت فجعل اسمعيل ياتي بالحجارة و

ابرهيم

قال اعنك عليه م

[illegible]

وابرهيم يبني فلما ارتفع البناء جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام ابراهيم على حجر المقام وهو يبني واسمعيل
يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وعهدنا الى ابرهيم واسمعيل اي امرنا
هما واوصينا اليهما قيل سمي اسمعيل لان ابرهيم كان يدعو الله ان يرزقه ويقول اسمع يا ايل وايل
هو الله فلما رزق سماه به ان طهرا بيتي يعني الكعبة اضافه اليه تخصيصا وتفضيلا اي ابنياه على الطهارة
والتوحيد وقال سعيد بن جبير وعطاء طهراه من الاوثان والريب وقول الزور للطائفين الدائرين
حوله والعاكفين المقيمين المجاورين والركع جمع راكع السجود جمع ساجد وهم المصلون قال الكلبي
ومقاتل الطائفين هم الغرباء والعاكفين اهل مكة قال عطاء ومجاهد الطواف للغرباء افضل والصلاة
لاهل مكة افضل قال الكاشف اي ان طهرا قلبكما لانه موضع نظري ومحل زيادتي للطائفين اي لسفرة
الانوار والعاكفين اي لسكان الاسرار والركع السجود اي لعرايس الغيب لان القلب قبلة الله يزوره اهل
الغيب ثم لما بين تكليف ابراهيم بتطهير البيت ذكر بعضا آخر من احواله فقال واذ قال ابرهيم رب اجعل
هذا يعني مكة وقيل الحرم بلدا آمنا اي ذا امن يامن فيه اهله وارزق اهله من الثمرات انما دعا بذلك
لانه كان بواد غير ذي زرع من آمن منهم بالله واليوم الآخر دعا للمؤمنين خاصة قال الله تعالى ومن
كفر فامتعه قليلا اي سارزق الكافر ايضا قليلا الى منتهى اجله وذلك ان الله تعالى وعد الرزق للخلق
كافة مؤمنهم وكافرهم وانما قيد بالقلة لان متاع الدنيا قليل ثم اضطره اي الجيه في الآخرة الى عذاب
النار وبئس المصير اي المرجع يصير اليه قال مجاهد وجد عند المقام كتاب فيه انا الله ذو بكة صنعتها
يوم خلقت الشمس والقمر وحرمتها يوم خلقت السموات والارض وحففتها بسبعة املاك حنفاء
يباركها من ثلثة سبل ويبارك لها في اللحم والماء واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل
اول من بنى الكعبة آدم واندرس زمن الطوفان ثم اظهره الله لابراهيم حتى بناه روى ابن جرير
باسناده ان رجلا قام الى علي رضي الله عنه فقال الا تخبرني عن البيت اهو اول بيت وضع في الارض
فقال لا ولكنه اول بيت وضع في البركة وان شئت انباتك كيف بني ان الله اوحى الى ابرهيم ان ابن
لي بيتا في الارض قال فضاق ابرهيم بذلك ذرعا فارسل الله السكينة وهي ريح خجوج شديدة تلتوي
عند هوبها ولها راسان فاتبع احدهما صاحبه حتى انتهت الى مكة فتطوت على موضع البيت كطي الحجفة
وفي المعالم قال ابن عباس حج آدم اربعين حجة من الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى
ايام الطوفان فرفعه الله تعالى الى السماء الرابعة يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم لا يعودون
اليه وبعث جبرئيل عليه السلام حتى خبا الحجر الاسود في جبل ابي قبيس صيانة له من الغرق وكان
موضع البيت خاليا الى زمن ابرهيم ثم ان الله تعالى امر ابرهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق
ببناء بيت يذكر فيه فسال الله عز وجل ان يبين له موضعه فبعث الله السكينة لتدله على موضع البيت

وهي ريح الى آخره وفي رواية ابن جرير بنى ابرهيم وبقي حجر فقال ابرهيم ابغني حجرا كما امرك فانطلق
الغلام يلتمس له حجرا فاتاه به فوجده قد ركب الحجر الاسود في مكانه فقال يا ابه من اتاك بهذا الحجر
فقال جاء به جبرئيل من السماء وبناها ابن الزبير على قواعد ابراهيم عليه السلام وادخل فيها الحجر
وجعل لها بابا شرقيا وبابا غربيا ملتصقين بالارض كما سمع ذلك من خالته عائشة قال اني سمعت عائشة
رضي الله عنها تقول ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ان الناس حديث عهدهم بكفر وليس عندي
من النفقة ما يقوي على بنائه لكنت ادخلت من الحجر خمسة اذرع ولجعلت لها بابا يدخل منه وبابا يخرجون
منه قال فانا اجد ما انفق ولست اخاف الناس قال فزاد فيه خمس اذرع من الحجر حتى ابدى اسا نظر
الناس اليه فبنى عليه البناء وكان طول الكعبة ثمانية عشر ذراعا فلما زاد فيه استقصره فزاد في طوله عشر
اذرع وجعل له بابين احدهما يدخل منه والآخر يخرج منه فلما قتل ابن الزبير كتب الحجاج الى عبد الملك يخبره
بذلك ويخبره بذلك ويخبره ان ابن الزبير قد وضع البناء على اس نظر اليه العدول من اهل مكة فكتب اليه
عبد الملك انا لسنا من تلطيخ ابن الزبير في شيء اما ما زاد في طوله فاقره واما ما زاد فيه من الحجر فرده الى
بنائه وسد الباب الذي فتحه فنقضه واعاده الى بنائه قال الشيخ عماد الدين وقد كانت السنة اقرار ما فعله
عبد الله بن زبير لانه هو الذي وده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن خشي ان ينكر قلوب بعض الناس
لحداثة عهدهم بالاسلام وقرب عهدهم بالكفر ولكن خفيت هذه السنة على عبد الملك ولهذا لما تحقق عن
عائشة انها روت ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وددنا انا تركناه في صحيح مسلم مسندا قال ابن الزبير
حدثتني خالتي عائشة رضي الله عنها قالت قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عائشة لولا قومك حديث عهد بشرك
لهدمت الكعبة فالزقتها بالارض ولجعلت لها بابا شرقيا وبابا غربيا وزدت فيه ستة اذرع من الحجر فان
قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة وفيه ايضا بناء الكعبة بعد بناء ابراهيم عليه السلام كان بعد طويل وقبل
مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقد نقل معهم الحجارة وله من العمر خمس وثلثون سنة صلوات
الله وسلامه عليه الى يوم الدين قال محمد بن اسحق بن يسار في السيرة ولما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
خمسا وثلثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها وانما
كانت رضما فوق القامة فارادوا رفعها وتسقيفها وذلك ان نفرا سرقوا كنز الكعبة وانما كان في بير في
جوف الكعبة وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدوه
لتسقيفها وكان بمكة رجل قبطي نجار فهيا لهم في انفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بير الكعبة التي
كانت يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتتشرق على جدار الكعبة وكانت مما يهابون وذلك انه كان لا يدنو
منها احد الا احزالت وكشت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينا هي يوما تتشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله
اليها طايرا فاختطفها فذهب بها فقالت قريش انا لنرجوا ان يكون الله قد رضي ما اردنا عندنا عامل رفيق

الرضم والرضام صخور عظام يرضم بعضها فوق بعض [illegible]

وعندنا

وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية فلما اجمعوا امرهم في هدمها وبنيانها قام ابو وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران
ابن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانها
من كسبكم الا طيبا لا يدخل فيها مهر بغي ولا بيع ربوا ولا مظلمة احد من الناس قال ابن اسحق ثم ان القبائل
من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة يجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان في موضع الركن يعني
الحجر الاسود فاختصموا كل قبيلة يريد ان يرفعه الى موضعه دون الاخرى تحاوروا وتحالفوا واعدوا القتال
فقربت بنوا عبد الدار جفنة مملوة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب بن لوي على الموت وادخلوا
ايديهم في ذلك الدم في تلك الجفنة فسموا لعقة الدم فمكث قريش على ذلك اربع ليال او خمسا ثم انهم اجتمعوا
في المسجد فتشاوروا وتناصفوا وقال اسنهم ابو امية بن المغيرة يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون
فيه اول من يدخل من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه ففعلوا وكان اول داخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما راوه قالوا هذا الامين رضينا هذا محمد صلى الله عليه وسلم فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر
قال صلى الله عليه وسلم هلم الي ثوبا فاتي فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لياخذ كل قبيلة بناحية من
الثوب ثم ارفعوا جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه ووضعه هو بيده صلى الله عليه وسلم وكانت
قريش يسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان ينزل الوحي الامين قال ابن اسحق وكانت الكعبة
على عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثماني عشر ذراعا وكانت تكسى القباطي ثم كسيت بعد البرود واول من كساها
الديباج الحجاج قال الشيخ ذكر هرون الرشيد او ابنه المهدي انه سال الامام مالكا عن هدم الكعبة
وردها الى ما فعله ابن الزبير فقال له مالك يا امير المومنين لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء احد
ان يهدمها الا هدمها فترك ذلك الرشيد نقله عياض والنووي ولا تزال والله اعلم هكذا الى آخر الزمان
الى ان يخربها ذو السويقتين من الحبشة كما ثبت ذلك في الصحيحين عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلى الله عليه وسلم كاني به اسود افحج يقلعها حجرا حجرا رواه البخاري وهذا والله اعلم انما يكون
بعد خروج ياجوج وماجوج لما جاء في صحيح البخاري عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج ياجوج وماجوج ربنا تقبل منا اي ويقولان
ربنا تقبل منا بناء البيت انك انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك
مخلصين لك من اسلم وجهه او خاضعين لك يقال اسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى
زدنا اخلاصا واذعانا لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك الامة اتباع الانبياء وهذا الدعاء من ابراهيم
واسمعيل عليهما السلام كما اخبر الله تعالى عن عباده المتقين في قوله والذين يقولون ربنا هب لنا
من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما وهذا القدر مرغوب فيه شرعا فان من تمام

المؤمنين م

محبة [الله] عباده الله ان يحب ان يكون من صلبه من يعبد الله وحده ولهذا لما قال تعالى لابراهيم عليه السلام
انى جاعلك للناس اماما قال ومن ذريتى وقوله واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام وقد ثبت فى صحيح مسلم
عن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلث صدقة
جارية او علم ينتفع به او ولد صالح يدعو له وَأَرِنَا علمنا وعرفنا مَنَاسِكَنَا متعبداتنا فى الحج والنسك فى
الاصل العبادة وشاع فى الحج لما فيه الكلفة والبعد عن العادة عن مجاهد اتاه جبرئيل فاتى به البيت فقال
ارفع القواعد من البيت فرفع القواعد من البيت واتم البنيان ثم اخذ بيده فاخرجه وانطلق به الى الصفا
قال هذا من شعاير الله ثم انطلق به الى المروة فقال هذا من شعاير الله ثم انطلق به نحو منى فلما كان من العقبة
اذا ابليس قايم عند الشجرة فقال كبر وارمه فكبر ورماه ثم انطلق ابليس عند الجمرة الوسطى فلما حاذى به
جبرئيل وابراهيم عليهما السلام قال له كبر وارمه فكبر ورماه فذهب ابليس وكان الخبيث اراد ان يدخل
فى الحج شيا فلم استطع فاخذ بيد ابرهيم حتى اتى به المشعر الحرام فقال هذا المشعر الحرام فاخذ بيد ابرهيم حتى
اتى به عرفات قال قد عرفت ما اريتك قالها ثلث مرات فقال نعم وَتُبْ عَلَيْنَا وتجاوز عنا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ
الرَّحِيمُ لمن تاب رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ اى فى الامة المسلمة من ذرية ابرهيم واسمعيل وقيل فى اهل مكة
رَسُولًا مِنْهُمْ ولم يبعث من ذريتهما غير محمد صلى الله عليه وسلم فهو المجاب به دعوتهما قال ابن عباس رضى الله عنهما
كل الانبياء من بنى اسرائيل الا عشرة نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب
ومحمد صلوات الله عليه وعليهم اجمعين كذا فى معالم التنزيل وفيه تامل فى مسند الامام احمد وغيره عن
العرباض بن سارية رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى عبد الله مكتوب خاتم النبيين
وان آدم لمنجدل فى طينته وساخبركم باول امرى دعوة ابرهيم وبشارة عيسى ورويا امى التى رات
حين وضعتنى وكذلك امهات النبيين يرين وقد خرج منها نور اضاءت له منه قصور الشام قال
الشيخ والمراد ان اول من نوه بذكره وشهره فى الناس ابرهيم عليه الصلوة والسلام ولم يزل ذكره فى
الناس مشهورا سايرا حتى افصح باسمه خاتم انبياء بنى اسرائيل نسبا وهو عيسى ابن مريم عليه الصلوة
والسلام حيث قام فى بنى اسرائيل خطيبا وقال انى رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التورية
ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد ولهذا قال فى ابتداء الحديث انا دعوة ابراهيم وبشرى
عيسى بن مريم وقوله رات انه خرج منها نور اضاءت له قصور الشام قيل كان مناما راته حين
حملت به وقصته على قومها فشاع فيهم واشتهر بينهم وتخصيص الشام بظهور نوره اشارة الى استقرار
دينه وثبوته ببلاد الشام ولهذا يكون فى اخر الزمان معقلا للاسلام واهله وبها ينزل عيسى ابن مريم
اذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها ولهذا جاء فى الصحيحين لا تزال طايفة من امتى
ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى ياتى امر الله وهم كذلك وفى صحيح البخارى

الشام م

وهم بالشام يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ تقرا عليهم وتبلغهم ما توحى اليه من دلايل التوحيد والنبوة وَيُعَلِّمُهُمُ
الْكِتَابَ اى القرآن وَالْحِكْمَةَ قال الحسن يعنى السنة قال مجاهد فهم القران قال على بن ابى طلحة عن
ابن عباس طاعة الله والاخلاص وقيل الحكمة الفقه قال ابو بكر بن دريد كل كلمة وعظتك او دعتك
الى مكرمة او نهتك عن قبيح فهى حكمة وَيُزَكِّيهِمْ يطهرهم من الشرك والذنوب وقال ابن كيسان يشهد
لهم يوم القيمة بالعدالة اذا شهدوا لهم للانبياء بالبلاغ من التزكية والتعديل إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ عن ابن عباس
العزيز الذى لا يوجد مثله وقيل القوى الذى لا يعجزه شئ والعزة القوة قال الله تعالى فعززنا بثالث
اى قوينا وقيل الغالب قال الله تعالى اخبارا وعزنى فى الخطاب اى غلبنى ويقال من عزبز اى من غلب
سلب الْحَكِيمُ فى افعاله واقواله فيضع الاشيا فى محالها لعلمه وحكمته وعدله ثم ان الله تعالى بعد ان ذكر
ابرهيم عليه الصلوة والسلام وما اجراه على يده من شرايف شرايعه التى ابتلاه بها ومن بناء بيته لحج عباده
الله اليه وما جعله الله عليه من الحرص على مصالح عباده ودعايه ولغيرهم وغير ذلك من الامور التى
سلف بيانها فى هذه الآيات عجب الناس فقال وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وذلك ان عبد الله بن سلام
دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله عز وجل قال فى التورية انى باعث
من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى
مهاجر ان يسلم فانزل الله عز وجل ومن يرغب عن ملة ابراهيم اى يترك دينه وشريعته يقال رغب
فى الشئ اذا اراده ورغب عنه اذا تركه إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ قال ابن عباس رضى الله عنهما خسر
نفسه وقال ابو عبيدة اهلك نفسه قال ابن كيسان والزجاج معناه جهل نفسه والسفاهة الجهل وضعف
الراى وكل سفيه جاهل وذلك ان من عبد غير الله فقد جهل نفسه لانه لم يعرف الله خالقها وقد جاء من
عرف نفسه فقد عرف ربه وفى الاخبار ان الله تعالى اوحى الى داود عليه السلام اعرف نفسك واعرفنى
فقال يا رب كيف اعرف نفسى وكيف اعرفك فاوحى الله تعالى اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء واعرفنى
بالقوة والقدرة والبقاء وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ اخترناه فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ اى مع
الانبياء فى الجنة إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ اى اخترناه فى ذلك الوقت أَسْلِمْ اى استقم على الاسلام واثبت عليه
لانه كان مسلما قال ابن عباس قال حين خرج من السرب قال عطاء اسلم نفسك الى الله عز وجل
وفوض امورك اليه وقال الكلبى اخلص دينك وعبادتك لله قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ اى فوضت
قال ابن عباس وقد حقق ذلك حيث لم يستعن باحد من الملائكة حين القى فى النار قال الشيخ ابو
عبد الرحمن النصرابادى يقول سمعت الروذبادى يقول سلامة النفس فى التسليم وبلاؤها فى
التدبير وَوَصَّى بِهَا اى باسلمت على تاويل الكلمة قال الكلبى ومقاتل يعنى بكلمة الاخلاص لا اله
الا الله قال ابو عبيدة ان شيت رددت الكناية الى الملة لانه ذكر ملة ابرهيم وان شيت رددتها

الى الوصية إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ الثمانية اسمعيل وامه هاجر القبطية واسحق وامه سارة وستة امها قنطورا
بنت يقطن الكنعانية يزوجها ابراهيم بعد وفات سارة وَيَعْقُوبُ قيل سمى بذلك لانه والعيص كانا
توامين فتقدم عيص فى الخروج من بطن امه وخرج يعقوب على اثره آخذا بعقبه قاله ابن عباس
وقيل يعقوب لكثرة عقبه يعنى ووصى يعقوب ايضا بنيه الاثنى عشر يَا بَنِيَّ معناه ان يا بنى إِنَّ اللَّهَ
اصْطَفَى اختار لَكُمُ الدِّينَ اى دين الاسلام فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ مؤمنون مخلصون
مفوضون فان المرء يموت غالبا على ما كان عليه ويبعث على ما مات عليه وقد اجرى الله الكريم
بان من قصد الخير وفق له ويسر عليه ومن نوى صالحا ثبت عليه وهذا لا يعارض ما جاء فى الحديث
الصحيح فان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا باع او ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل
بعمل اهل النار فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا باع او ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها لانه قد جاء فى بعض روايات هذا الحديث ليعمل بعمل اهل الجنة
فيما يبدو للناس ويعمل اهل النار فيما يبدو قد قال الله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره
لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى فى المعالم وغيره مسند الى جابر بن
عبد الله رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل موته بثلاثة ايام يقول لا يموتن
احدكم الا وهو يحسن الظن بالله عز وجل ثم لما حكى عن ابراهيم عليه الصلوة والسلام انه بالغ فى وصية
بنيه بالدين والاسلام ذكر عقيبه ان يعقوب وصى بنيه بمثل ذلك تاكيدا للحجة على اليهود والنصارى و
مبالغة فى البيان فقال أَمْ كُنْتُمْ بل كنتم يعنى ما كنتم شُهَدَاءَ حضورا إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ اى حين
قرب يعقوب الموت قيل نزلت فى اليهود حين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم الست تعلم ان يعقوب يوم
مات اوصى بنيه باليهودية وقال الكلبى لما دخل يعقوب مصر رآهم يعبدون الاوثان والنيران فجمع ولده
وخاف عليهم ذلك فقال عز وجل إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قال عطاء ان الله لم يقبض نبيا حتى يخيره
بين الموت والحيوة فلما خير يعقوب قال انظرنى حتى اسال ولدى واوصيهم ففعل الله ذلك به فجمع ولده
وولد ولده قال لهم قد حضر اجلى فما تعبدون من بعدى قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وكان اسمعيل عما لهم والعرب يسمى العم ابا كما يسمى الخالة اما قال النبى صلى الله عليه وسلم عم الرجل
صنو ابيه وقال فى عمه العباس ردوا على ابى فانى اخشى ان يفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة
ابن مسعود وذلك انهم قتلوه إِلَٰهًا وَاحِدًا بدل من اله آبائك وفايدته التصريح بالتوحيد وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ فالاسلام هو ملة الانبيا قاطبة وان تنوعت شرايعهم واختلف مناهجهم كما قال تعالى وما
ارسلنا قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا انا فاعبدون والآيات فى هذا كثيرة واما الاحاديث
فمنها قوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء اولاد علات ديننا واحد تِلْكَ أُمَّةٌ جماعة قَدْ خَلَتْ قد مضت

لَهَا مَا كَسَبَتْ من العمل وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ اى ان السلف الماضين من آبايكم من الانبياء والصالحين لا
ينفعكم انتسابكم اليهم اذا لم تفعلوا خيرا يعود نفعه عليكم فان لهم اعمالهم التى عملوها ولكم اعمالكم فى الخير من
بطا به عمله لم يسرع به نسبه وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ولا يواخذون بسيآتهم كما لا يثابون بحسناتهم ثم
لما بين الدلايل التى دلت على صحة دين الاسلام حكى بعدها انواعا من شبه المخالفين الطاعنين فى الاسلام
فقال وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا قال ابن عباس نزلت فى رؤس يهود المدينة كعب بن الاشرف
ومالك بن الضيف ووهب بن يهودا وابى ياسر بن اخطب وفى نصارى اهل نجران السيد والعاقب واصحابهما
وذلك انهم خاصموا المسلمين فى الدين كل فرقة تزعم انها احق بدين الله فقالت اليهود نبينا موسى افضل
الانبياء وكتابنا التورية افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بعيسى والانجيل ومحمد والقران و
قالت النصارى نبينا عيسى افضل الانبياء وكتابنا الانجيل افضل الكتب وديننا افضل الاديان وكفرت بمحمد
والقرآن وقال كل واحد من الفريقين كونوا على ديننا فلا دين الا ذلك قال الله تعالى قُلْ يا محمد بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا قال ابن عباس الحنيف المايل عن الاديان كلها الا دين الاسلام واصله من الحنف وهو ميل وعوج
يكون فى القدم قال الضحاك اذا كان مع الحنيف المسلم فهو الحاج واذا لم يكن معه المسلم فهو المسلم وَمَا كَانَ
مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثم انهم لما اصروا على التقليد فرد فى الجواب انه ان كان طريق الدين التقليد فالاولى فى ذلك اتباع
ملة ابرهيم لان هولاء المختلفين اتفقوا على صحة دين ابرهيم والاخذ بالمتفق اولى من الاخذ بالمختلف ان كان
المعول فى الدين على التقليد فكانه قال سبحانه ان كان المعول فى الدين على الاستدلال والنظر فقد قدمنا
الدلايل وان كان المعول على التقليد فالرجوع الى دين ابراهيم عليه الصلوة والسلام وترك اليهودية
والنصرانية اولى فان قيل اليس كل واحد من اليهود والنصارى يدعى انه على دين ابرهيم قلنا لما ثبت
ان ابرهيم عليه السلام كان قايلا بالتوحيد وثبت ان النصارى يقولون بالتثليث واليهود يقولون بالتشبيه
والتشريك ثبت انهم ليسوا على دين ابرهيم وان محمدا صلى الله عليه وسلم لما دعى الى التوحيد كان هو على دين
ابرهيم ثم علم المؤمنين طريق الايمان فقال جل ذكره قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا يعنى القرآن وَمَا أُنْزِلَ
إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ عشر صحف وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ يعنى اولاد يعقوب وهم اثنى عشر سبطا واحدهم
سبط وسبط الرجل حافده ومنه قيل للحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط
من بنى اسرائيل كالقبايل من العرب من بنى اسمعيل والشعوب من العجم وكان فى الاسباط انبيا ولذلك
قال وما انزل اليهم وقيل هم بنو يعقوب من صلبه صاروا كلهم انبيا وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ يعنى التورية وَعِيسَىٰ
يعنى الانجيل وَمَا أُوتِيَ اعطى النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ اى نؤمن بالكل لا نفرق بين
احد منهم فنؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ فى البخارى
كان اهل الكتاب يقرؤن التورية بالعبرانية ويفسرونه بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

وَإِسْحَاقَ م

عليه سلم

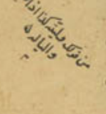
لاتصدقوا اهل الكتاب ولاتكذبوا وقولوا آمنا بالله الآية وفي صحيح مسلم وغيره عن ابن عباس قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر ما يصلي الركعتين اللتين قبل الفجر بآمنا بالله وما انزل الينا الآية
والاخرى بآمنا واشهد بانا مسلمون ثم لما بين الطريق الواضح في الدين وهو ان يعترف الانسان
بنبوة كل من قامت الدلالة على نبوته وان يحترز في ذلك عن المناقضة وغيهم في مثل هذا الايمان فقال
فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ اي بما آمنتم به ولذلك كان يقراها ابن عباس رضي الله عنهما فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ
تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ قال ابن عباس وعطا اي في خلاف ومنازعة فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ يا محمد اي يكفيك
شر اليهود والنصارى وقد كفى باجلاء بني النضير وقتل بني قريظة وضرب الجزية على اليهود والنصارى
وَهُوَ السَّمِيعُ لاقوالهم الْعَلِيمُ باحوالهم فيكون اللاحساد بحر للمعجزات روى ابن ابي حاتم باسناده عن نافع
ابن ابي نعيم انه قال ارسل الى بعض الخلفاء مصحف عثمان بن عفان ليصلحه فقيل ان الناس يقولون
ان مصحفه كان في حجره حين قتل فوقع الدم على فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم قال نافع لقد رايت
بالدم على هذه الآية وقد تقدم صِبْغَةَ اللَّهِ قال ابن عباس في رواية الكلبي وقتادة والحسن دين الله
وانما سماه صبغة لانه يظهر اثر الدين على المتدين كما يظهر اثر الصبغ على الثوب وقيل لان المتدين يلزمه
ولايفارقه كالصبغ يلزم الثوب وقال مجاهد فطرة الله قال ابن عباس هي ان النصارى اذا ولد لاحدهم
ولد فاتت عليه سبعة ايام غمسوه في ماء لهم اصفر يقال له المعمودي وصبغوه ليطهروه بذلك الماء مكان
الختان فاذا فعلوا به ذلك قالوا الآن صار نصرانيا حقا فاخبر الله ان دينه الاسلام لا ما يفعله النصارى
والمعنى الزموا دين الله وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً دينا وقيل تطهيرا وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ مطيعون
قال الكاشف صبغة الله صفته الخاصة التي خلق آدم على تلك الصفة وذلك قوله تعالى خلقته بيدي
وقال سدد الصوفيه وديس البريه صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم على صورته وهذا اصبغ الظاهر التي
البسها صورة آدم واما صبغ الباطن فهو الذي كسا الله تعالى قلب آدم عليه الصلوة والسلام ولهذا
سجدت الملايكة بين يديه واورث الله تعالى تلك ارواح ذريته من الانبياء والاولياء اذا ارادها جماله
وجلاله وكماله والهمها خصايص علوم الربوبيه ونورها بانوار الوحدانيه وسقاها من شراب الزلفه
بكاس المنة وطابت توجهه وطارت في ملكوته فاكتسب سنا المحبة واستنارت بنور المعرفة و
خاضت في بحر الربوبيه وخرجت منها على اسرار الوحدانية وتلونت بصبغ الصفات وانصبغت
بصبغ نور الذات فهذه حقيقة صبغ الله تعالى الذي ذكر في كتابه ولاجل ذلك قال ولقد كرمنا بني آدم
قُلْ يا محمد لليهود والنصارى أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ اي في دين الله والمحاجة المجادلة لاظهار الحجة وذلك
بانهم قالوا ان الانبياء كانوا منا وعلى ديننا وديننا اقدم فنحن اولى بالله منكم فقال الله تعالى قل اتحاجوننا
في الله وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ اي نحن وانتم سواء في الله لا اختصاص له بقوم يصيب برحمته من يشاء

وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ اي لكل واحد جزاء عمله فكيف يدعون انكم اولى بالله وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ
وانتم به مشركون قال سعيد بن جبير الاخلاص ان تخلص العبد دينه وعمله لله فلا يشرك به في دينه
ولا يرائي بعمله من اجل الناس قال الفضيل ترك العمل من اجل الناس رياء والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص
ان يعافيك الله عنهما أَمْ تَقُولُونَ يعني بل اتقولون ومعناه التوبيخ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَ
يَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ يا محمد أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ بدينهم أَمِ اللَّهُ وقد اخبر الله تعالى
ان ابرهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ اخفى شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ
اللَّهِ وهي علمهم بان ابرهيم وبنيه كانوا مسلمين وان محمدا حق ورسول اشهدهم الله عليه في كتبهم وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ تكرير للمبالغة
في التحذير والزجر عما استحكم في الطباع من الافتخار بالآباء والاتكال عليهم ثم ذكر شبهة اخرى من شبههم
التي ذكرها اليهود والنصارى طعنا في الاسلام سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ صرفهم وحولهم عَنْ
قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا يعني بيت المقدس نزلت في اليهود ومشركي مكة طعنوا في تحويل القبلة من
بيت المقدس الى مكة فقالوا المشركي مكة قد تردد على محمد امره واشتاق الى مولده وقد توجه نحو بلدكم
وهو راجع الى دينكم قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ لا يختص به مكان دون مكان وانما الطاعة بامتثال امره
فحيث وجهنا توجهنا ولو وجهنا في كل يوم مرات الى جهات متعددة فنحن عبيده وفي تصرفه يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يرضيه ويقتضيه الحكمة والمصلحة من التوجه الى بيت المقدس تارة والكعبة اخرى
روى الامام احمد باسناده عن عايشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اهل
الكتاب انهم لا يحسدونا على شيء كما يحسدونا على يوم الجمعة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى
القبلة التي هدانا الله لها وضلوا عنها وعلى قولنا خلف الامام آمين وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
نزلت في رؤسا اليهود قالوا لمعاذ بن جبل ما ترك محمد قبلتنا الا حسدا وان قبلتنا قبلة الانبياء ولقد علم
محمد انا عدل بين الناس قال معاذ انا على حق وعدل فانزل الله وكذلك جعلناكم اي كما جعلنا قبلتكم
افضل القبل جعلناكم امة خيارا عدولا كما قال تعالى قال اوسطهم اي خيرهم واعدلهم روى محي السنة با
سناده عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بعد العصر
فما ترك شيئا الى يوم القيمة الا ذكره في مقامه ذلك حتى اذا كانت الشمس على روس النخل واطراف
الحيطان قال اما انه لم يبق من الدنيا فيما مضى منها الا كما بقي من يومكم هذا الا وان هذه الامة
توفي سبعين امة هي اخيرها واكرمها على الله عز وجل لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ يوم القيمة ان
الرسل قد بلغتهم قال ابن جريج قلت لعطا ما معنى قوله لتكونوا شهداء على الناس قال امة محمد شهداء
على من يترك الحق من الناس في البخاري وغيره انه مرت بعمر جنازة فاثنى على صاحبها خير فقال وجبت

الجزء الثاني

ثم مر باخرى فاثني شر فقال عمر وجبت فقال ابو الاسود ما وجبت يا امير المومنين قال قلت كما قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ايما مسلم شهد له اربعة بخير ادخله الله تعالى الجنة قال فقلت وثلثة قال وثلثة فقلنا
واثنان قال واثنان ثم لم نسئله عن الواحد وروى ابن مردويه باسناده عن ابي بكر بن ابي زهير الثقفي عن
ابيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوشك ان تعلموا خياركم من شراركم قالوا بم
يا رسول الله قال بالثناء الحسن والثناء السيء انتم شهداء الله في الارض وَيَكُونَ الرَّسُولُ محمد
صلى الله عليه وسلم عَلَيْكُمْ شَهِيدًا معدلا مزكيا لكم وذلك ان الله تعالى يجمع الاولين والآخرين في صعيد
واحد ثم يقول لكفار الامم الماضية الم ياتكم نذير فينكرون فيقولون ما جاءنا من بشير ولا نذير فيسال
الانبياء عن ذلك فيقولون قد بلغناهم فيسالهم البينة وهو اعلم اقامة للحجة فيوتي بامة محمد صلى الله عليه وسلم
فيشهدون لهم انهم قد بلغوا فيقول الامم الماضية من اين علموا وانهم اتوا بعدنا فيسال هذه الامة فيقولون
ارسلت الينا رسولا وانزلت عليه كتابا اخبرنا فيه بتبليغ الرسل وانت صادق فيما اخبرت ثم يوتى
بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسال عن حال امته فيزكيهم ويشهد بصدقهم في صحيح البخاري عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بنوح يوم القيمة فيقال له هل بلغت فيقول نعم يا رب
فيسال امته هل بلغكم فيقولون ما جاءنا من نذير فيقال من شهودك فيقول محمد وامته قال محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيجاء بكم فتشهدون ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك جعلناكم امة وسطا قال
عدلا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الجهة الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا
وهي صخرة بيت المقدس لقول ابن عباس رضي الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة
بينه وبينها او الكعبة فانه عليه الصلوة والسلام يصلي اليها بمكة ثم لما هاجر امر الصلوة الى الصخرة قالوا الليهود
إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ اي لنميز الثابت عن المتزلزل لقوله تعالى ليميز الله الخبيث من الطيب وقيل معناه
لنعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى
عَقِبَيْهِ فيرتد وفي الحديث ان القبلة لما حولت ارتد قوم من المسلمين الى اليهودية وقالوا رجع محمد الى
دين ابائه وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً اي وان كانت التحويلة لثقيلة شديدة إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ الى حكمة الاحكام
الثابتين على الايمان وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ وذلك ان حيي بن اخطب واصحابه من اليهود قالوا للمسلمين
اخبرونا عن صلوتكم نحو بيت المقدس ان كانت هدى فقد تحولتم عنها وان كانت ضلالة فقد دنتم الله
بها ومن مات منكم على الضلالة فقال المسلمون انما الهدي ما امر الله به والضلالة ما نهى عنه قالوا فما
شهادتكم على من مات منكم على قبلتنا وكان قد مات قبل ان تحول القبلة من المسلمين اسعد بن زرارة
من بني النجار والبراء بن معرور من بني سلمة وكانا من النقباء ورجال آخرون فانطلق عشايرهم الى
النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله قد صرفك الله الى قبلة ابرهيم فكيف باخواننا الذين ماتوا

وهم يصلون الى بيت المقدس فانزل الله عز وجل وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلوتكم الى بيت
المقدس إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ والرافة اشد الرحمة في الصحيح ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم راى امراة من السبي قد فرق بينها وبين ولدها فلما وجدته ضمته اليها والقمته ثديها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترون هذه طارحة ولدها في النار وهي ان لا تقدر على ان
لا تطرحه قالوا لا يا رسول الله قال فوالله لله ارحم بعباده من هذه بولدها قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ
فِي السَّمَاءِ هذه الآية وان كانت متاخرة في التلاوة فهي متقدمة في المعنى فانها راس القصة وامر القبلة
اول ما نسخ من امور الشرع وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا يصلون بمكة الى
الكعبة فلما هاجر الى المدينة امره الله ان يصلي نحو صخرة بيت المقدس ليكون اقرب الى تصديق اليهود اياه
اذا صلى الى قبلتهم مع ما يجدون من نعته في التوريه فصلى بعد الهجرة ستة عشر او سبعة عشر شهرا
الى بيت المقدس وكان يحب ان يوجه الى الكعبة لانها كانت قبلة ابيه ابرهيم عليه السلام وقال مجاهد كان
يحب ذلك من اجل اليهود لانهم كانوا يقولون يخالفنا محمد في ديننا ويتبع قبلتنا فقال لجبريل وددت لو حولني
الله الى الكعبة فانها قبلة ابي ابرهيم فقال جبريل عليه السلام انما انا عبد مثلك وانت كريم على ربك فسل ربك
فانك عند الله بمكان فعرج جبريل وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يديم النظر الى السماء رجاء ان ينزل
جبريل بما يحب من امر القبلة فانزل الله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً فلنمكننك
من استقبالها تَرْضَاهَا تحبها وتشوق اليها لمقاصد دينية الراغب لم يقصد بقوله ترضيها انك ساخط
للقبلة التي كنت عليها بل انه صلى الله عليه وسلم القي في روعه ان الله يريد تغير القبلة وكان متشوقا ومحبا
وهذه منزلة تشير اليها اولو الحقايق ويذكرون انها فوق التوكل لان قضية المتوكل الاستسلام لما يجري
عليه من القضا كالاعمى يقوده بصير وهذه المنزلة ان يحرك الحق سره بما يريد فعله ودعا يكون ذلك بعد
من خارج وربما كان ذلك بالهام من باطن كما اوحى الى ام موسى فَوَلِّ وَجْهَكَ اصرف وجهك شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ نحوه وجانبه والحرام المحرم وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ من بر او بحر شرق او غرب فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ
عند الصلوة ذكر اصحاب الشافعي رضي الله عنهم ان له في المسئلة قولان احدهما ان الفرض اصابة عين
القبلة والقول الآخر وعليه الاكثرون ان المراد الجهة لما رواه الحاكم باسناده عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه في قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام انه قال شطره قبله ثم قال صحيح الاسناد وهذا قول
ابي العاليه ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وقتادة والربيع بن انس ولما تقدم من الحديث الآخر
ما بين المشرق والمغرب قبلة قال محي السنة في المعالم وشرح السنة هو في حق اهل المشرق واراد بالمشرق
مشرق الشتاء في اقصر يوم من السنة وبالمغرب مغرب الصيف في اطول يوم من السنة فمن جعل مغرب
الصيف في هذا الوقت على يمينه ومشرق الشتاء على يساره كان وجهه الى القبلة وروى ابو نعيم



الفضل بن دكين باسناده على ما نقله الشيخ ابن الكثير عن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى قبل بيت المقدس
ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا وكان يعجبه ان يكون قبلته قبل البيت وانه صلى صلوة العصر وصلى معه قوم
فخرج رجل ممن كان يصلي معه فمر على اهل المسجد وهم راكعون فقال اشهد بالله لقد صليت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت والمشهور ان اول صلوة صلاها الى الكعبة صلوة العصر و
لهذا لم يأت الخبر عن اهل قبا الى صلوة الفجر حتى عبد الله بن عمر باسناد مذكور في المعالم وغيره بينا الناس
بقبا في صلوة الصبح اذ جاءهم آت وقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انزل عليه الليلة قرآن وقد
امر ان يستقبل الكعبة فاستقبلوها وكانت وجوههم الى الشام فاستداروا الى الكعبة فلما تحولت القبلة
قالت اليهود ما هو الاشي تبتدعه من تلقاء نفسك فتارة تصلي الى بيت المقدس وتارة الى الكعبة ولو
ثبتت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذي ننتظره فانزل الله تعالى وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ اي ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله صلى الله
عليه وسلم انه يصلي القبلتين مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ثم لما بين ان الذين اوتوا الكتاب
يعلمون ان هذه القبلة حق بين بعد ذلك ان صفتهم لا تتغير في الاستمرار على المعاندة وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ يعني اليهود والنصارى قالوا ايتنا باية على ما تقول فقال الله تعالى ولئن اتيت الذين
اوتوا الكتاب بِكُلِّ آيَةٍ معجزة مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ يعني الكعبة وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ
بَعْضٍ لان اليهود يستقبل بيت المقدس وهو المغرب والنصارى يستقبل المشرق وقبلة المسلمين
الكعبة وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الامة مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ
مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يعني مؤمني اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
واصحابه يَعْرِفُونَهُ يعرفون محمدا صلى الله عليه وسلم كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ من الصبيان والعرب
كانت تضرب المثل في الصحة الشيء بهذا كما جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل
معه صغير ابنك هذا قال نعم يا رسول الله اشهد قال اما انه لا يخفى عليك ولا يخفى عليه وروى انه قال
عمر بن الخطاب لعبد الله بن سلام ان الله قد انزل على نبيه اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
فكيف هذه المعرفة قال عبد الله يا عمر لقد عرفته حين رايته كما اعرف ابني ومعرفتي بمحمد صلى الله عليه وسلم
اشد من معرفتي بابني فقال عمر وكيف ذلك فقال اشهد انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد نعته
في كتابنا ولا ادري ما تصنع النساء فقال عمر وفقك يا ابن سلام فقد صدقت وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ
يعني صفة محمد صلى الله عليه وسلم وامر الكعبة وَهُمْ يَعْلَمُونَ ثم قال الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ اي الحق جاءك من ربك
فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ امر للامة باكتساب المعارف المزيلة للشك بابلغ وجه وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ الوجهة اسم
للمتوجه اليه هُوَ مُوَلِّيهَا اي مستقبلها ومقبل فقال وليته ووليت اليه اذا اقبلت عليه ووليت عنه اذا ادبرت
عليها م

قال مجاهد

قال مجاهد هو موليها وجهه وقال اخفش هو كناية عن الله تعالى يعني الله تعالى مولى الامم الى قبلتهم
فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ بادروا بالطاعات والمراد المبادرة الى القبول أَيْنَ مَا تَكُونُوا انتم واهل الكتاب
يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا يوم القيمة فيجزيكم باعمالكم إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ
شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وانما كرر لتاكيد النسخ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ
إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ اختلفوا في تاويل هذه الآية ووجه قوله الا فقال بعضهم معناه حولت القبلة الى الكعبة
لئلا يكون للناس عليكم حجة اذا توجهتم الى غيرها فيقولون ليست لكم قبلة الا الذين ظلموا وهم قريش واليهود
فاما قريش فيقول رجع الى الكعبة لانه علم انها الحق وانها قبلة آبائه فكذلك يرجع الى ديننا واما اليهود فيقول
لم ينصرف عن بيت المقدس مع علمه بانه حق الا انه يعمل برايه وقال قوم لئلا يكون للناس عليكم حجة يعني
اليهود وكانت حجتهم على طريق المخاصمة على المؤمنين في صلوتهم الى بيت المقدس انهم كانوا يقولون ما درى
محمد واصحابه اين قبلتهم حتى هديناهم نحن وقوله الا الذين ظلموا هم مشركوا مكة وحجتهم انهم قالوا لما صرفت القبلة
الى الكعبة ان محمدا قد تحير في دينه فَلَا تَخْشَوْهُمْ في انصرافكم الى الكعبة وفي تظاهرهم عليكم بالمجادلة فاني
مليكم اظهركم عليهم بالحجة والنصرة وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ قال علي بن ابي طالب تمام النعمة الموت على
الاسلام وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ لكي تهتدوا من الضلالة كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا قال بعضهم يرجع الى ما قبلها
معناه واخشوني لاحفظكم عنهم ولاتم نعمتي عليكم في الآخرة كما اتممتها بارسال رسول منكم وقال مجاهد هي متعلقة
بما بعدها وهو قوله فاذكروني اذكركم معناه كما ارسلنا فيكم رسولا منكم فاذكروني يعني كما ارسلنا يا معشر العرب
رَسُولًا مِنْكُمْ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا يعني القرآن وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ
من الاحكام وشرائع الاسلام فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ قال الامام الذكر قد يكون باللسان وقد يكون بالقلب وقد
يكون بالجوارح فذكرهم اياه باللسان ان يحمدوه ويسبحوه ويمجدوه ويقروا كتابه وذكرهم بقلوبهم على ثلثة انواع
احدها ان يتفكروا في الدلائل الدالة على ذاته وصفاته وفي الاجوبة عن شبهة الطاعنين فيها والثاني ان
يتفكروا في الدلائل على كيفية تكاليفه واحكامه واوامره ونواهيه ووعده ووعيده فاذا عرفوا كيفية التكليف
وعرفوا ما في الفعل من الوعد وما في الترك من الوعيد سهل فعله عليهم والثالث ان يتفكروا في اسرار مخلوقات
الله تعالى حتى يصير كل ذرة من ذرات المخلوقات كالمرآت المجلوة المحاذية لعالم القدس فاذا نظر العبد
اليها انعكس شعاع بصره منها الى عالم الجلال وهذا المقام مقام لا نهاية له واما ذكرهم اياه تعالى بجوارحهم
فهو ان تكون جوارحهم مستغرقة في الاعمال التي امروا بها وخالية عن الاعمال التي نهوا عنها وعلى هذا الوجه
سمى الله تعالى الصلوة ذكرا بقوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله فصار الامر بقوله فاذكروني متضمنة جميع
الطاعات قال ابن عباس اذكروني بطاعتي اذكركم بمعونتي وقيل اذكروني في النعمة والرخاء اذكركم في

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ قيل الحكمة
السنة ويعلمكم
صح

الشدة والبلاء بيانه فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون في صحيح البخاري عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل انا عند ظن عبدي بي وانا
معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملاء ذكرته في ملاء خير منهم وان تقرب الي
بشبر تقربت اليه ذراعا وان تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا وان اتاني يمشي اتيته هرولة وعن ابي
هريرة رضي الله عنه يقول الله عز وجل انا مع عبدي ما ذكرني وما تحركت بي شفتاه وعن عبد الله بن بسر المازني
قال جاء اعرابي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اي الاعمال افضل قال ان تفارق الدنيا
ولسانك رطب من ذكر الله قال اهل الاشارات حقيقة الذكر ان ينسى كل شيء سوى مذكوره لاستغراقه
فيه فتكون اوقاته كلها ذكرا قيل اذكروني على الدوام لتطمئن قلوبكم بي لانه يقول الا بذكر الله تطمئن القلوب
وقال بعضهم اتم الذكر ان تشهد ذكر المذكور لك بدوام ذكرك له قال الله تعالى فاذكروني اذكركم وَاشْكُرُوا لِي
وَلَا تَكْفُرُونِ يعني واشكروا لي بالطاعة ولا تكفرون بالمعصية فان من اطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد
كفره روى الامام احمد باسناده عن ابي رجاء العطاردي قال خرج علينا عمران بن حصين وعليه مطرف من
خز لم نره عليه قبل ذلك ولا بعده فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من انعم الله عليه نعمة فان الله
يحب ان يرى اثر نعمته على خلقه يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ لما امر بالذكر والشكر ارشد
الى الاستعانة بالصبر والالتجاء الى الصلوة فالصبر صبران صبر على ترك المحارم والمآثم وصبر على فعل الطاعات
والقربات والثاني اكثر ثوابا لانه المقصود قال علي بن الحسين زين العابدين اذا جمع الله الاولين والآخرين
ينادي مناد اين الصابرون ليدخلوا الجنة قبل الحساب قال فيقوم عنق من الناس فيتلقاهم الملئكة فيقولون
الى اين يا بني آدم فيقولون الى الجنة فيقولون وقبل الحساب قالوا نعم قالوا ومن انتم قالوا الصابرون قالوا
وما صبركم قالوا صبرنا على طاعة الله وصبرنا عن معصية الله حتى توفانا الله قالوا انتم كما قلتم ادخلوا الجنة
فنعم اجر العاملين ويشهد لهذا قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب والصلوة ام العبادات
جامعة لانواعها على ما مر وهي معراج المؤمنين ومناجاة رب العالمين في الحديث كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا حزبه امر صلى قال ارباب المعاني استعينوا على طلب الحق وترك الباطل بالصبر عن شهوات
النفس ومتابعة هواها والصلوة اي دوام الوقوف والتزام القلوب على باب الغيب وحضرة الرب
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ بالعون والنصرة واجابة الدعوة ولم يقل مع المصلين لان الصبر اعم من الصلوة
لان كل مصلي صابر من غير عكس فاذا كان مع من اتى بمجرد الصبر فما ظنك بالمصلين وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ نزلت في قتلى بدر من المسلمين وكانوا اربعة عشر
رجلا ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار وكان الناس يقولون لمن يقتل في سبيل الله مات
فلان وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها فانزل الله تعالى ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء


ولكن لا تشعرون

ولكن لا تشعرون كما قال في شهداء احد ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم
يرزقون قال الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح
كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشية فيصل اليهم الوجع قال الامام ووجه تعلق هذه الآية
بما قبلها كانه قال استعينوا بالصبر والصلوة في اقامة ديني فان احتجتم في تلك الاقامة الى مجاهدة عدوي
باموالكم وابدانكم ففعلتم ذلك وتلفت نفوسكم فلا تحسبوا انكم ضيعتم انفسكم بل اعلموا ان قتلاكم
احياء عندي جاء في صحيح مسلم ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت
ثم تاوي الى قناديل معلقة تحت العرش فاطلع عليهم ربك اطلاعة فقال ماذا تبغون فقالوا يا ربنا واي شيء
نبغي وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك ثم عاد اليهم بمثل هذا فلما راوا انهم لا يتركون من ان سالوا
قالوا نريد ان تردنا الى الدنيا فنقاتل في سبيلك حتى نقتل فيك مرة اخرى لما يرون من ثواب الشهادة فيقول
الرب جل جلاله اني كتبت انهم لا يرجعون وجاء في خبر مر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد على مصعب
بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرا من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم قال
صلى الله عليه وسلم ان رسول الله يشهد ان هولاء شهداء عند الله يوم القيمة فاتوهم وزوروهم
وسلموا عليهم فو الذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيمة الا ردوا عليه يرزقون من ثمار الجنة
وتحفها وفي الحديث الذي رواه الامام احمد عن الشافعي عن الامام مالك رضي الله عنهم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نسمة المؤمن طاير فعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه دلالة لعموم المؤمنين
ايضا وان كان الشهداء قد خصصوا بالذكر في القرآن تشريفا لهم وتكريما وتعظيما قال المرشد الرازي لا تحسبوا
ان من يقتل من اهل الجهاد الاكبر بسيف جلال الله في سبيل الفناء في الله اموات وان فنيت اوصاف وجودهم
فانهم احياء بشهود موجدهم ومن كان فناؤه في الله كان بقاؤه بالله فتارة يفنيهم سطوات تجلي صفات الجلال
وتارة يحييهم نفحات الطاف الجمال فهم بين روضة وغدير يسرحون في رياض الجمال والجلال ولكن لا تشعرون
احوالهم ولا تطلعون على ما لهم ثم ذكر ما يتعلق بقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلوة فقال
وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ تقديره والله لنبلونكم اي لنختبرنكم ونمتحنكم هل تصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء
كما قال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم وانما اخبرهم قبل وقوعه ليوطنوا
عليه نفوسهم بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ اي بقليل والخوف توقع المكروه والجوع استدعاء البدن عوض
ما تحلل منه وانما قلله بالاضافة الى ما وقاهم عنه ليخفف عليهم ويريهم رحمته وانما لا تفارقهم قال ابن عباس
يعني خوف العدو والقحط وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ اراد الزكوة والصدقات وَالْأَنْفُسِ الامراض وَالثَّمَرَاتِ
موت الاولاد عن ابي سنان قال دفنت ابني سنانا وابو طلحة الخولاني على شفير القبر فلما اردت الخروج اخذ
بيدي واخرجني فقال الا ابشرك حدثني الضحاك عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى لملكه اقبضتم ولد عبدى فالوا نعم قال اقبضتم ثمرة فواده فالوا نعم قال فماذا قال قالوا استرجع وحمدك قال ابنوا له بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد رواه صاحب المعالم وغيره والعبارة لصاحب المعالم قال الكاشف عن اسرار القرآن الخوف هنهنا على سبعة اقسام خوف من النفس خوف من الشيطان وخوف من الكفار وخوف من النار وخوف الفراق والقطيعة وخوف الحجاب وخوف التعظيم والاجلال اما خوف النفس فهو حين الطبيعة ممزوج بضعف البشرية يهيجه قهر الحق تعالى لامتحان العبد فى محل العبودية ليظهر صدق محبته من رعونات بشريته ولا يزول هذا الخوف من العبد اصلا فى جميع عمره لان هذا صفة نفسه والنفس مطبوعة بالجهل وقلة عرفانها بصدق مواعيد مولاها الا فى اشراق شمس اليقين بنعت التمكن وغالب هذا المقام خطرات وان كان اصله وطبات ونفصل هذا الخوف من النفس خوف فقدان الرزق وتمورها عن المجاهدة واضطرابها فى تصديق وعد الله فى الآخرة واما الذى من الشيطان فهو تخويف العدو مريد الحق فى ترك الدنيا بالفقر الدايم والامراض والاوجاع وفقدان المقامات وهذا امتحان الله تعالى لاوليائه لتثبت جزاء مجاهدتهم على عدوهم ويظهر صدق نياتهم فى معاملاتهم واما خوف الكفار فهو قطع الحيوة وتعال الصورة فى القتل والضرب لان الانسان يحب حيوته ويبغض موته فيبتلى الله بخوف الكفار ليستدل صفاء صدق حب لقاء الله من حب حيوته كما قال تعالى فتمنوا الموت واما خوف النار فهو لجام النفس الامارة ليلجمها بطش قهر الحق حتى تمتنع من سوء الادب والافعال والاخلاق المذمومة والعوارض البشرية ودرس الطبيعة وفرط الشهوات واقتحامها فى الكبيرات وايضا امتحنه الله بخوف النار حتى ينظر هل سكن قلبه عن طلب الوصول اليه من خوف النار من جملة الحجاب بين العبد والرب تبارك وتعالى واما خوف الفراق فهو دايم فى قلوب العباد ماداموا فى الدنيا وهو اعظم الامتحان ليجتهدوا فى طلب المراد ببذل المهج والانفراد عن جميع الكون حتى يصلوا الى مقام الامن بلا صفات النفسانية وزحمة البشرية واما خوف الحجاب فهو يهيج العامة بنعت الرعاية اسرار اهل المحبة حتى يفرحوا منه اليه لانهم يعلمون انهم مسلمون منه به واما خوف التعظيم والاجلال فهو امتحان منه لاهل المكاشفة فى مقام المشاهدة ليبطن هل يمتنعون من التماس مقام الانبساط بعد هيبة العظمة وقهر الكبرياء بنعت العزة واما خوف الجوع فهو ابتلاء من الله تعالى لاوليائه لتصفيتهم به عن كدورات المزاج وخبث الطبيعة واحراق حجب النفسانية بين قلوبهم وبين اسرار الاخرة المحجوبة عن روية الابصار الظاهرة والزم هذا عليهم ليعلم منهم حقيقة طلبهم مرضاته فى عنوان نياتهم واما نقص الاموال فهو نقص ما حصل لهم من متاجرتهم مع سيدهم من الدرجات والمقامات والحالات لان هذه اموال رجال المعارف واما نقص الانفس فهو نقص الانفس المطمئنة عن حقيقة اعمال الوصول الى مشاهدة القربة بنعت الفتح فى معاملة الاخرة واما الثمرات فهى ثمرات اشجار المقامات والحالات السنية والكرامات العالية وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ على البلايا والرزايا بحصول مقصودهم من بعد خروجهم عن امتحانى والخطاب لرسول الله صلى الله عليه

او لكل من يأتى منه البشارة ثم بين تعالى من الصابرون الذين شكرهم فقال الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ عبيدا وملكا يصنع بنا وفى اموالنا ما يشاء وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ فى الآخرة لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيمة قال اهل المعانى فروا من قهرى الى حجر لطفى وسلموا انفسهم الى حتى افعل بهم ما شاء عن عكرمة طفى سراج النبى صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل أمصيبة هى قال نعم كل شىء يوذى المومنين فهو له مصيبة قال سعيد بن جبير ما اعطى احد فى المصيبة ما اعطى هذه الامة يعنى الاسترجاع أُولَٰئِكَ اهل هذه الصفة عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ الصلوة فى الاصل الدعاء ومن الله تعالى التزكية والمغفرة وجمعها للتنبيه على كثرتها وتنوعها والرحمة اللطف والاحسان اى رحمة واى رحمة وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ الى الحق والصواب حيث استرجعوا وسلموا لقضاء الله تعالى قال اهل المعانى واولئك هم المهتدون الى مقام الامن بعد غيبوبتهم فى صرف نور القدس وصفا جمال الانس قال عمر نعم العدلان ونعم العلاوة فالعدلان الصلوة والرحمة والعلاوة الهداية والعلاوة ما توضع بين العدلين وهى زيادة فى الحمل وقد ورد فى ثواب الاسترجاع وهو قوله انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة وثواب اهل البلاء والصبر احاديث كثيرة فمنها حديث ابى سنان وقد ذكر ومنها ما رواه الامام احمد وغيره عن ام سلمة قالت اتانى ابو سلمة يوما من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا سررت به قال لا تصيب احدا من المسلمين مصيبة فيسترجع عند مصيبته ثم يقول اللهم اجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها الا فعل ذلك وقالت ام سلمة فحفظت ذلك منه فلما توفى ابو سلمة استرجعت وقلت اللهم اجرنى فى مصيبتى واخلف لى خيرا منها ثم رجعت الى نفسى فقلت من اين لى خير من ابى سلمة فلما انقضت عدتى استأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا ادبغ اهابا لى فغسلت يدى من القرظ واذنت له فوضعت له وسادة ادم حشوها ليف فقعد عليها فخطبنى الى نفسى فلما فرغ من مقالته قلت يا رسول الله ما بى ان لا يكون بك الرغبة ولكنى امراة فى غيرة شديدة فاخاف ان ترى منى شيئا يعذبنى الله به وانا امراة قد دخلت فى السن وانا ذات عيال فقال اما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل عنك واما ما ذكرت من السن فقد اصابنى مثل الذى اصابك واما ما ذكرت من العيال فانما عيالك عيالى قالت فقد سلمت لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ام سلمة فقد ابدلنى الله بابى سلمة خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الامام احمد باسناده عن الحسين بن على عن النبى صلى الله عليه وسلم ما من مسلم ولا مسلمة يصاب بمصيبة فذكرها وان طال عهدها وقال عباد قدم عهدها فيحدث لذلك استرجاعا الا جدد الله له عند ذلك فاعطاه مثل اجرها يوم اصيب ومنها ما رواه محيى السنة باسناده فى المعالم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يرد الله به خيرا يصب منه وعنه ايضا رضى الله عنه عن النبى

صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وعنه ايضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال جاءت امراة بها لمم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ادع الله ان يشفينى قال ان شئت دعوت الله ان يشفيك وان شئت فاصبرى ولا حساب عليك قالت بل اصبر ولا حساب على وعنه ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال البلاء بالمومن او المومنة فى نفسه وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المومن كمثل الزرع لا تزال الريح تفيئه ولا يزال المومن يصيبه البلاء ومثل المنافق كمثل الارزة لا تهتز حتى تستحصد وعن مصعب بن سعد رضى الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشد الناس بلاء قال الانبياء والامثل فالامثل يبتلى الرجل على دينه فان كان فى دينه صلبا ابتلى على قدر ذلك وان كان فى دينه رقة هون عليه فما زال كذلك حتى يمشى على الارض ما له ذنب وعن انس بن مالك رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط وعن سعد بن ابى وقاص عن ابيه رضى الله عنهما قال قال النبى صلى الله عليه وسلم عجب للمومن ان اصابه خير حمد الله وشكر وان اصابته مصيبة حمد الله وصبر فالمومن يوجر فى كل امره حتى يوجر فى اللقمة يرفعها الى فى امراته وبسط الكلام فى الصبر فى كتب الحديث والتصوف وقد بسط الامام حجة الاسلام حق البسط فى كتاب الاحياء قال الامام الرازى وختم تفسير هذه الآية ببيان الرضا بالقضاء فنقول العبد لا يصير راضيا بقضاء الله سبحانه وتعالى الا بطريقين اما بطريق الصرف او بطريق الجذب اما طريق الصرف فمن وجوه احدها انه متى مال قلبه الى شىء والتفت خاطره الى شىء جعل ذلك الشىء محنة للافات فحينئذ ينصرف وجه القلب عن عالم الحدوث الى جناب القدس وثانيها ان لا يجعل ذلك الشىء بلاء ولكن يرفعه من البين حتى لا يبقى لا البلاء ولا الراحة فحينئذ يرجع العبد الى الله تعالى وثالثها ان العبد متى يرفع من جانب سعيا فاعطاه الله تعالى ذلك بلا واسطة فيستحيى العبد فيرجع الى الله تعالى واما الجذب فجذبة من جذبات الرحمن توازى عمل الثقلين ومن جذبه الحق الى نفسه صار مغلوبا لان الحق غالب فيصير الربوبية غالبة على العبودية والحقيقة مستعلية على المجاز كالعبد الداخل على السلطان المهيب ينصرف فكره اليه ويشتغل عن سواه ويصير فانيا عن نفسه وعن حظوظها فحصل ثمة مرتبة الرضا باقضية الحق سبحانه وتعالى من غير ان يبقى فى طاعته شبهة المنازعة إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ الصفا هى الحجر العظيم الاملس تقال صفاة وصفا مثل حصاة وحصى ونواة ونوى والمروة الحجر الرخو وجمعها مروات ومرو واراد بهما تعالى بهما الجبلين المعروفين بمكة فى طرفى المسعى ولذلك ادخل فيهما الالف واللام وشعائر الله اعلام دينه من الاشعار وهو الاعلام واحدتها شعيرة وكل ما كان معلما لقربان يتقرب به الى الله عبده من صلوة

وذبح فهو شعيرة فالمطاف والموقف والمذبح كلها شعاير ومثلها المشاعر والمراد بالشعائر ههنا المناسك التى جعلها الله اعلاما لطاعته والصفا والمروة منها حتى يطاف بهما وفى تعلق الآية بما قبلها وجوه منها ان السعى بين الصفا والمروة من شرايع ابراهيم كما مر فى قصة هاجر فذكر عقيب تحويل القبلة الى قبلة ابراهيم شرع ابراهيم ومنها انه من اثار هاجر واسمعيل وفيه تذكير لما جرى عليهما من البلوى وحسن عاقبتها فناسب ان يردف آية الابتلاء بها ليعلم ان من صبر على البلوى نال الدرجة العليا فى الدنيا والعقبى ومنها ان اقسام التكاليف ثلثة اولها ما يهتدى العقل الى حسنه كشكر المنعم وذكره فان كل عاقل يعلم ان ذكر المنعم بالمدح والثناء والمواظبة على شكره امر مستحسن فى العقول فيحمد والنفرة عنه كالالام والفقر والمحن فانه تعالى لا ينتفع به والعبد يتالم منه الا ان الشرع لما ورد به وبين الحكمة فيه الابتلاء والامتحان على ما قال ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع فحينئذ تعتقد المسلم حسنه وكونه حكمة وصوابا واشار بقوله ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع الآية وثالثها الامر الذى لا يهتدى لا الى حسنه ولا الى قبحه بل يراها كالعبث الخالى عن المنفعة والمضرة وهو اكثر افعال الحج من السعى ورمى الجمار ونحوهما فذكر تعالى هذا القسم عقيب القسمين الاولين ليكون قد نبه على جميع اقسام التكاليف ذاكرا لكلها على سبيل الاستيفاء والاستقصاء فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ والحج فى اللغة القصد والعمرة الزيارة وفى الحج والعمرة المشروعين قصد وزيارة فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ اى لا اثم عليه واصله من جنح اى مال عن القصد أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا اى يدور بهما وسبب نزول هذه الآية انه كان على الصفا والمروة صنمان اساف ونايلة وكان اهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين ويتمسحون بهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاصنام كان المسلمون يتحرجون عن السعى بين الصفا والمروة لاجل الصنمين فاذن الله واخبر انه من شعاير الله والسعى بين الصفا والمروة ركن فى الحج والعمرة على مذهب الشافعى ومالك وجماعة من الصحابة وقيل انه واجب وليس بركن وقيل انه مستحب وفى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من طوافه بالبيت عاد الى الركن فاستلمه ثم خرج من باب الصفا وهو يقول ان الصفا والمروة من شعاير الله ثم قال أبدأ بما بدأ الله به وفى رواية النسائى ابدأوا بما بدأ الله به وروى الامام احمد باسناده عن حبيبة قالت رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف بين الصفا والمروة والناس بين يديه وهو وراءهم وهو يسعى حتى ارى ركبتيه من شدة السعى يدور به ازاره وهو يقول اسعوا فان الله كتب عليكم السعى وروى عن صفية بنت شيبة ان امراة اخبرتها انها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم بين الصفا والمروة يقول كتب عليكم السعى فاسعوا وروى محيى السنة رضى الله عنه باسناده عن جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف على الصفا يكبر ثلاثا ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير يصنع ذلك ثلث مرات ويدعو ويصنع على المروة مثل ذلك قال مجاهد حج موسى عليه السلام

بالخير الذى عليه ناذكر وما ينكرونه (?) ما تكفرون وانما ما ذكر فى العقول

على جمل احمر وعليه عباءتان فطاف بالبيت ثم صعد الصفا ودعا ثم هبط الى السعي وهو يلبي ويقول
لبيك اللهم لبيك فقال الله تعالى لبيك عبدي وانا معك فخر ته موسى ساجدا وفي حديث ابن عباس رضي
الله عنه ان اصل ذلك من تطوف هاجر وترددها بين الصفا والمروة في طلب الماء لولدها لما نفد
ماؤها وزادها حين تركها ابرهيم عليه الصلوة والسلام هنالك ليس عندها احد من الناس فلما خافت
الضيعة على ولدها هنالك ونفد ما عندها قامت تطلب الغوث من الله عز وجل فلم تزل تردد في
هذه البقعة المشرفة بين الصفا والمروة متذللة خائفة وجلة مضطرة فقيرة الى الله عز وجل حتى كشف
الله غربتها وفرج شدتها وانبع لها زمزم التي ماؤها طعام طعم وشفاء سقم فالساعي بينهما ينبغي ان
يستحضر فقره وذلته وحاجته الى الله في هداية قلبه وصلاح حاله وغفران ذنبه وان يلتجي الى الله
عز وجل ليزيح ما هو من النقايص والعيوب وان يهديه الى صراط المستقيم وان يثبته عليه الى مماته
وان يحوله من حاله الذي هو عليه من الذنوب والمعاصي الى حال الكمال والغفران والسداد والا
ستقامة كما فعل بهاجر عليها السلام قال الكاشف عن اشارات القران الصفا والمروة مخصوصان
بانوار التجلي لقوله صلى الله عليه وسلم جاء الله من سينا واستعلن بساعير واشرق من جبال فاران
وهما ملتبسان بصفا اشراق شمس القربة ومن صعد اليهما فينبغي ان يرى فيهما ضياء القدرة مستغرقا في   لباس م
نور المشاهدة وتقدس بنظره اليهما عن كدورات البشرية ويظهر فيه الاخلاق المحمودة بنعت صفاء
المعرفة وعن جعفر الصادق انه قال الصفا الروح لصفائها عن درن المخالفات والمروة النفس
لاستعمالها المروة في القيام بخدمة سيدها وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا قال مجاهد معناه فمن تطوع بالطواف
بالصفا والمروة وقال مقاتل والكلبي فمن تطوع اي زاد في الطواف بعد الواجب وقيل من تطوع بالحج
والعمرة بعد اداء الحج الواجب عليه وقال الحسن وغيره اراد ساير الاعمال يعني فعل غير المفترض عليه
من صلوة وزكوة وطواف وغيرها من انواع الطاعات فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ مجاز بعمله عَلِيمٌ بنيته والشكر
من الله تعالى ان يعطي فوق ما يستحق يشكر اليسير ويعطي الكثير إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ
الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ في الْكِتَابِ اي التورية نزلت في علماء اليهود كتموا صفة محمد صلى الله   للناس م
عليه وسلم وآية الرجم وغيرها من الاحكام التي كانت في التورية فالآية من تتمة بيان احوال اهل الكتاب
ووقع في البين ما يتصل بما سبق في هذا الباب لكنها شاملة لهم ولغيرهم اعتبارا بعموم اللفظ لا بخصوص
السبب أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ واللعن طرد وابعاد على طريق السخط وذلك من الله تعالى في الآخرة
عقوبة في الدنيا انقطاع من قبول فيضه وتوفيقه ومن الانسان دعاء على غيره وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ
اخبر انه يلعنهم كل شيء على صنيعهم ذلك فكما ان العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في الماء والطير
في الهواء فهو لا يخالف العلماء وقد ورد في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سئل عن

مح

علم فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار وفي الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال لولا انه في كتاب
الله ما حدثت احدا شيئا ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى الآية وروى الشيخ ابن الكثير
باسناده عن البراء بن عازب قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فقال ان الكافر يضرب
ضربة بين عينيه يسمعها كل دابة غير الثقلين فيلعنه كل دابة سمعت صوته فذلك قول الله تعالى اولئك يلعنهم
الله ويلعنهم اللاعنون وقال مجاهد اذا اجدبت الارض قالت البهايم هذا من اجل عصاة بني آدم لعن
الله عصاة بني آدم ثم استثنى الله تعالى من هؤلاء الا من تاب اليه فقال إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا من الكفر
وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا اي اصلحوا الاعمال فيما بينهم وبين ربهم وبينوا ما كتموا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ اتجاوز عنهم
واقبل توبتهم وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ الرجاع بقلوب عبادي المنصرفة عني الي والرحيم بهم بعد اقبالهم
علي وفي هذا دلالة على ان الداعيه الى كفر او بدعة اذا تاب الى الله تاب الله عليه وقد ورد ان الامم
السالفة لم يكن التوبة تقبل من مثل هؤلاء منهم ولكن هذا من شريعة نبي التوبة ونبي الرحمة صلوات الله
وسلامه عليه ثم اخبر تعالى عمن استمر به هذه الحال الى مماته فقال إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ
أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ قال ابو العالية هذا يوم القيمة فيوقف الكافر
فيلعنه الله ثم يلعنه الملائكة ثم يلعنه الناس فان قيل فقد قال والناس اجمعين والملعون من
جملة الناس فكيف يلعن نفسه في القيمة وقيل انهم يلعنون الظالمين والكافرين ومن لعن
الظالمين والكافرين وهو منهم فقد لعن نفسه خَالِدِينَ فِيهَا مقيمين في اللعنة وقيل في النار لَا
يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ لا يمهلون ولا يؤجلون وقال ابو العالية لا ينظرون فيعتذروا
كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون ثم ذكر ما هو المقصد الاصلي من الخلق وهو توحيده وتنزيهه
فقال وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ سبب نزول هذه الآية ان كفار قريش قالوا
يا محمد صف وانسب لنا ربك فانزل الله تعالى هذه الآية وسورة الاخلاص وفي المعالم عن شهر بن حوشب
عن اسماء بنت زيد انها قالت سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان في هاتين الآيتين الاسم الاعظم والهكم   الاسم م
اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم والله لا اله الا هو الحي القيوم قال ابو الضحى لما نزلت هذه الآية قال
المشركون ان محمدا يقول الهكم اله واحد فليأتنا باية ان كان من الصادقين فانزل الله عز وجل ان في
خلق السموات والارض ثم لما حكم بالفردانية ذكر ثمانية انواع من الدلايل التي يمكن ان يستدل بها
على وجوده سبحانه وتعالى اولا وعلى توحيده وبراءته من الاضداد والانداد ثانيا فقال إِنَّ فِي
خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ في ارتفاعها واتساعها وما فيهما من الشمس وارتفاعها وانحطاطها و
حركتها وساير كواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها اما ارتفاع الشمس وانحطاطها فقد
جعله الله تعالى سببا لاقامة الفصول الاربعة ففي الشتاء يعود الحرارة في الشجر والنبات فيتولد منهم

مواد الثمار ويستطيب الهواء ويكثر السحاب والمطر ويقوى ابدان الحيوان بسبب احتقان الحرارة الغريزية
في البواطن وفي الربيع يتحرك الطبايع ويظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات وينور الشجر ويهيج الحيوان
للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء فينضج الثمار ويتحلل فضول الابدان ويجف وجه الارض ويتهيأ للبناء
والعمارة وفي الخريف يظهر اليبس والبرد فينتقل الابدان قليلا قليلا الى الشتاء فانه لو وقع الانتقال دفعة
هلكت الابدان وفسدت واما حركة الشمس فاصل في منافعها منها انه لو كانت واقفة في موضع واحد لاشتدت
السخونة في ذلك الموضع واشتدت البرودة في ساير المواضع لكنها يطلع في اول النهار من المشرق فيقع على ما يحاذيها   البرد م
من وجه المغرب ثم لا تزال يدور ويغشى جهة بعد جهة حتى ينتهي الى الغروب فيشرق جانب الشرقية فلا
يبقى موضع مكشوف الا ويأخذ حظا من شعاع الشمس واما الكلام في طلوعها وغروبها وساير احوالها
فنذكره في موضعها وكذا في ساير الكواكب ثم النجوم على ثلثة اقسام غاربة لا تطلع كالكواكب الجنوبية
وطالعة لا تغرب كالشمالية ومنها ما تطلع تارة وتغرب تارة والكلام فيها طويل وهذه الارض في الطول
وجبالها وبحارها وتفاوت هذه الحدود وعمرانها وما فيها من المنافع والمعادن والنبات والحيوان وَاخْتِلَافِ
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ اي تعاقبهما في الذهاب والمجي يخلف احدهما صاحبه اذا ذهب احدهما جاء الآخر خلفه اي بعده
وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة وقال عطاء اختلافهما في النور والظلمة والزيادة والنقصان وَالْفُلْكِ
الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يعني السفن واحده وجمعه سواء فاذا اريد به الجمع يؤنث والواحد يذكر والآية
في الفلك تسخيرها وجريانها على وجه الماء وهي مملوة لا ترسب تحت الماء قال الامام ان السفن وان
كانت من تراكيب الناس الا انه تعالى هو الذي خلق الآلات التي يمكن بها تركيب هذه السفن فلولا خلقه
لها لما امكن ذلك وايضا لولا رقة الماء والرياح المعينة وعدم عصفها وتقويته قلوب من يركب هذه لما
سلمت وما تم الغرض والكلام في البحر وعجايبه طويل ولهذا قيل حدث عن البحر ولا حرج وسئل بعض
العقلاء ما رايت من عجايب البحر قال سلامتي منه ونذكر بعضا منها في مواضعها ان شاء الله تعالى
بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ يعني ركوبها والحمل عليها في التجارات والمكاسب وانواع المطالب وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ يعني المطر يخلق الماء في السحاب ثم من السحاب ينزل فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ   اى بالماء صح
مَوْتِهَا اي بعد يبسها وجدوبتها وَبَثَّ فِيهَا اي فرق فيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وتصريفها
انها تنصرف الى الجنوب والشمال والقبول والدبور والنكباء وقيل تصريفها انها تارة تكون حارة
وتارة يكون باردة قال ابن عباس رضي الله عنهما اعظم جنود الله الريح والماء وسميت الريح ريحا
لانها تريح النفوس وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ اي الغيم المذلل سمي سحابا لانه ينسحب اي يسرع سرعة كانه يسحب
اي يجر بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يتفكرون فيها وينظرون اليها بعيون عقولهم و
عنه عليه الصلوة والسلام ويل لمن قرا هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها قال الكاشف اي ان في ابداع

السموات

السموات والارض كشف نور الصفات في نور الافعال وظهور نور الافعال في شرح الآيات وفي
نقصان الليل والنهار وزيادتهما وذهابهما ومجيئهما اعتبارا بطلوع شمس المعرفة من مشرق القربة
وغروبها من مغرب النكرة في وقت الغيبة عن مشاهدة وظهور ظلم ليالي الهجر في ذهاب نور الوصل
وزوالها باشراق انوار تجلي الحق في قلوب اهل المحبة وللعارفين في جريان القلب في بحار القدم
والابد وفي بحر الصفات لطلب در المعرفة من قعر بحر الذات لمنافع المريدين رؤية الصفات الجبروتية
في الآيات الملكوتية ولهم ايضا في تفكر انزال الله تعالى بيقا القربة مزن رشاش المشاهدة واحيائه به
القلب الميت من فقد نيل القربة رويتهما بعض المنة وايصالهم في ادراك النعرف وسيات سيارات
عالم الملكوت في قلوبهم لطايف الخطاب ولهم في رؤية تصريف الرياح وتسخير السحاب بين السماء والارض
وجدان تصريف رياح وتسخير سحاب الشفقة من نور الروح ونار القلب اذا كان الرياح يحرك السحاب
ويعصرها حتى يمطر قطرات مياه الخطاب على نيران القلب ليسكن بها ساعة عن الاحتراق بالتهاب نار
الوجد لآيات لقوم يعقلون اي لاولي النهى علامات صفات القدرة بادراك بصاير عقولهم ثم انه سبحانه
وتعالى لما قرر التوحيد بالدلايل القاهرة القاطعة اردف ذلك بتقبيح ما يضاد التوحيد لان تقبيح ضد
الشيء مما يوكد حسن الشيء ولذلك قال الشاعر وبضدها يتبين الاشياء فقال وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ
دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا اصناما يعبدونها يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ اي يحبون آلهتهم كحب المؤمنين الله وَالَّذِينَ
آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ اي اثبت وادوم على حبه لانهم لا يختارون على الله ما سواه والمشركون اذا اتخذوا
صنما ثم راوا احسن منه طرحوا الاول واختاروا الثاني قال قتادة ان الكافر يعرض عن معبوده في وقت
البلاء ويقبل على الله كما اخبرهم الله عنهم فقال اذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والمؤمن
لا يعرض عن الله تعالى في السراء والضراء والشدة والرخاء وبسط الكلام في المحبة في كتاب الاحياء و
غيره من كتب المعقول والتصوف وقد صنف فيها القاضي ابو المعالي كتابا مفردا يشتمل على كثير من كلام
الصوفية وحكاياتهم وابيات المجنون وغيره سماه لوامع انوار القلوب قال الكاشف الانداد تقع على
كل شيء يمنع العبد على خدمة سيده ومن جملتها النفس والهواء كما قال تعالى افرايت من اتخذ الهه
هواه ومنها الخلق لاجل الرياسة ومنها الدنيا والشيطان يحبونهم كحب الله لانهم لا يذوقون طعم
معرفة الله ولذة محبته ولا يرون نور مشاهدته وحقايق وصله وقربه والذين آمنوا اشد حبا لله
لان اهل الايمان والتوحيد سمعوا خطاب قوله الست بربكم بالسمع الخاص في سابق الدهر وراوا
مشاهدة جلاله قبل وقوع البلايا فبقي في قلوبهم لذة المشاهدة والخطاب فلا يجدون مرارة بلائه وغصص
امتحانه وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا جواب لو محذوف ومثله كثير في القرآن كقوله ولو ان قرآنا سيرت
به الجبال او قطعت الآية يعني لكان هذا القرآن فحذفه ولو يرى يا محمد الذين ظلموا انفسهم عند رؤية العذاب

شدة عذاب الله وعقوبته لعرفوا مضرة الكفر وان ما اتخذوا من الاصنام لا تنفعهم اذ يرون العذاب
اذا عاينوه يوم القيمة ان القوة لله جميعا ان القدرة لله جميعا وان الله شديد العذاب وقرى بكسر
الهمزة في ان الله وان القوة على الاستيناف فالكلام تام عند قوله اذ يرون العذاب مع اضمار الجواب
اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب هذا في القيمة حين يجمع الله القادة والاتباع
فيتبرا بعضهم من بعض هذا قول اكثر المفسرين وقال السدى هم الشياطين تبرؤا من الانس وتقطعت
بهم اى عنهم الاسباب اى الوصلات التى كانت بينهم في الدنيا من القربات والصداقات وصارت محبتهم
عداوة قال ابن جريج الارحام كما قال تعالى فلا انساب بينهم يومئذ وقال السدى يعنى الاعمال التى كانوا
يعملونها في الدنيا كما قال الله تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا واصل السبب ما يوصل
به الى شئ من ذريعة او قرابة او مودة ومنه يقال للحبل سبب وللطريق سبب وقال الذين اتبعوا
يعنى الاتباع لو ان لنا كرة اى رجعة الى الدنيا فنتبرا منهم من المتبرعين كما تبرؤا منا اليوم
كذلك يريهم الله اى كما اريهم العذاب كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ندامات جمع حسرة قيل
يريهم ما ارتكبوا من السيات فيتحسرون لما عملوا وقيل يريهم ما تركوا من الحسنات فيندمون على
تضييعها وما هم بخارجين من النار يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا نزلت في ثقيف و
خزاعة وعامر بن صعصعة وبنى مدلج فيما حرموا على انفسهم من الحرث والانعام والبحيرة والسايبة
والوصيلة والحام والاية مسوقة لتقرير طرف من جهالات المشركين المتخذين من دون الله اندادا
والحلال ما احل الشرع والطيب ما يستطاب ويستلذ ويجى بمعنى الحلال ولا تتبعوا خطوات الشيطان
الخطوة ما بين قدمى الخاطى والمراد بخطوات الشيطان طرايقه ومسالكه فيما اضل اتباعه فيه انه لكم عدو
مبين بين العداوة انما يامركم بالسوء والفحشاء اصل السوء ما يسوء صاحبه وهو مصدر ساءه
يسوءه سوءا ومساءة اى احزنه والفحشاء والفاحشة ما عظم قبحه من الاقوال والافعال عن ابن عباس
انه قال الفحشاء من المعاصى ما يجب فيه حد والسوء من الذنوب ما لا حد فيه وقيل هى الزنا وقيل هي
البخل وان تقولوا على الله ما لا تعلمون من تحريم الحرث والانعام وكل قول على الله بلا علم قال الشيخ
ابن الكثير فيدخل في هذا كل كافر ومبتدع ايضا في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال
يقول الله تعالى ان كل مال منحته عبادى فهو لهم حلال وفيه واني خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين
فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم وروى ابن مردويه باسناده عن ابن عباس انه قال
تليت هذه الاية عند النبى صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا طيبا فقام سعد بن ابي
وقاص فقال يا رسول ادع الله ان يجعلنى مستجاب الدعوة فقال يا سعد اطب مطعمك تكن مستجاب
الدعوة والذى نفس محمد بيده ان الرجل ليقذف اللقمة الحرام في جوفه ما يتقبل منه اربعين يوما وانما

عبد نبت لحمه من السحت والربا والنار اولى به قال ابن عباس ما كان من يمين او نذر في غضب
فهو من خطوات الشيطان وكفارته كفارة يمين واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله يعنى قوله تعالى
واذا قيل لهم لهؤلاء الكفرة من المشركين اتبعوا ما انزل الله على رسوله واتركوا ما انتم عليه من
الضلال والجهل قالوا في جواب ذلك بل نتبع ما الفينا وجدنا عليه اباءنا من عبادة الاصنام وقيل معناه
واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله في تحليل ما حرموه على انفسهم من الحرث والانعام والسايبة اولو
كان اباؤهم لا يعقلون شيئا من امر الدين لانهم كانوا يعقلون امر الدنيا ولا يهتدون الى الحق
لا تبعوهم ثم ضرب لهم مثلا فقال جل ذكره ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع النعيق
والنعق صوت الراعى بالغنم مثل واعظ الكفار وداعيهم معهم كمثل الراعى ينعق الغنم وهى لا يسمع الا
دعاء صوتا ونداء لا يفهم معناه صم من سماع الحق بكم لا ينطقون به عمى عن رؤية طريقه
ومسلكه فهم لا يعقلون ثم انه سبحانه وتعالى لما تكلم من اول السورة الى ههنا في دلايل التوحيد
والنبوة واستقصى شرح اهل النفاق والشقاق من المشركين واهل الكتاب وذيل كلا من ذلك
بما يناسبه شرع في بيان الاحكام الشرعية فقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات حلالات ما
رزقناكم واشكروا لله على نعمه ان كنتم اياه تعبدون فان العبادة لا يتم الا بالشكر عن ابى هريرة
رضى الله عنه قال قال رسول الله يا ايها الناس ان الله طيب لا يقبل الا الطيب وان الله امر
المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين
امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر يمد يديه الى السماء يا رب يا رب اشعث
اغبر مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذى بالحرام فانى يستجاب بذلك قال الكاشف
الطيبات التى يهيج المؤمن الى ما يرضيه الله تعالى من المعاملات والاخلاق المحمودة وترك حظوظ
النفس ومتابعة الشهوة وايضا الطيبات ما يحصل من الغيب بلا تصنع الادميين لان ما تصنع
البشر لا يخلو من العلامات وايضا الطيبات ما لم يوكل بالشهوة ويورث الحكمة والعبادة والطيبات
ايضا ما يوكل بالسنة ولا يوكل بالبدعة وايضا الطيبات اشارة الى ذكر الحق اذا لم يشب بذكر الخلق
وهو رؤية المذكور بنعت طيران الارواح بقوة المواجيد في بستان الصفات وقال الشيخ ابو عبد الرحمن
السلمى طيبات الرزق هو المتناول في اوقات الاضطرار مقدار استبقاء المهجة لاداء الفرايض وهو
الذى لا تبعة في اكله بحال ثم بين المحرمات فقال انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
اراد به جميع اجزائه وعبر باللحم عن ذلك لانه مطعمه وما اهل به لغير الله اى ما ذبح للاصنام
واصل الاهلال رفع وكانوا اذا ذبحوا لالهتهم يرفعون اصواتهم بذكرها فمن اضطر الى اكل ~~~ م الضرر
الميتة واحوج والجئ اليه غير باغ ولا عاد اصل البغى قصد الفساد يقال بغى الجرح اذا سرى الى

الفساد واصل العدوان الظلم ومجاوزة يقال عدا عليه عدوا وعدوانا اذا ظلم واختلفوا في معنى ~~~ الحد
قوله غير باغ ولا عاد فقال بعضهم غير باغ غير خارج على السلطان ولا عاد اى متعد عاص بسفره
بان خرج لقطع الطريق او لفساد في الارض وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقالوا
لا يجوز لسفره ان ياكل الميتة اذا اضطر اليها ولا ان يرخص برخص المسافرين حتى يتوب وبه ~~~ للعاصي م
قال الشافعى رحمه الله لان في اباحته له اعانة على الفساد وذهب جماعة الى ان البغى والعدوان لا يتعلقا
الى الاكل واختلفوا في تفصيله وقال الحسن وقتادة وغير باغ باكله من غير اضطرار ولا عاد اى لا
شبعه وقيل غير باغ اى غير طالبها ويجد هو غيرها ولا عاد اى غير متعد ما حد له فياكل حتى يشبع ولكن
ياكل منها قوتا وما يمسك رمقه واختلف العلماء في مقدار ما يحل للمضطر اكله من الميتة فقال بعضهم
مقدار ما يمسك رمقه وهو قول ابى حنيفة رضى الله عنه واحد قولى الشافعى رضى الله عنه والقول الاخر
يجوز ان ياكل حتى يشبع وبه قال مالك وقال سهيل بن عبد الله غير باغ مفارق للجماعة ولا عاد مبتدع
مخالف للسنة ولم يرخص للمبتدع في تناول المحرم عند الضرورة فلا اثم عليه في اكلها ان الله
غفور بما اكل في حال الاضطرار رحيم حيث رخص للعباد في ذلك قال الكاشف اى من سار في بيداء
الحقيقة بنعت سياحة الروح الناطقة في بحار الازلية عند بدو ارادة المعرفة واحتراق جسم النفس
الامارة في نيران المجيد ويخاف ان يتلاشى في سطوات بسط العظمة فيجوز له بعد اضطراره بهذه
الصفة في مهمة الوحدانية ان يتناول من الطعام الدنيوية لبقاء الصورة لا جرم على العارف ما دام
في مقام العبودية وعجز البشرية ان يستانس بمستحسنات المحدثات ملتفتا بنعت التباس انوار
اللقية من عالم الشواهد فان الله غفور ساتر تهمة الحدثية بنور الازلية لاهل المعرفة رحيم
بهم بان يخرجهم من ظلمات الانسانية الى نور الصمدية ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب
نزلت في رؤساء اليهود وعلمائهم كانوا يصيبون من سفلتهم الهدايا والماكل وكانوا يرجون ان
يكون النبى المبعوث منهم فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم من غيرهم خافوا ذهاب ماكلهم وزوال رياستهم
فعمدوا الى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فغيروها ثم اخرجوها اليهم فلما نظرت السفلة الى
النعت المغير وجدوه مخالفا لصفة محمد صلى الله عليه وسلم فلم يتبعوه فانزل الله تعالى ان الذين يكتمون
ما انزل الله من الكتاب يعنى صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته ويشترون به اى بالمكتوم ثمنا قليلا
عوضا يسيرا يعنى الماكل التى يصيبونها من سفلتهم اولئك ما ياكلون في بطونهم الا النار يعنى ما يؤديهم ~~~ في بطونهم اى ملء بطونهم م
الى النار وهو الرشوة والحرام وثمن الدين فلما كان يفضى ذلك بهم الى النار فكانهم اكلوا النار ولا
يكلمهم الله يوم القيمة اى لا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم انما يكلمهم بالتوبيخ وقيل اراد انه يكون عليهم
غضبان كما يقال فلان لا يكلم فلانا اذا كان عليه غضبان ولا يزكيهم ولا يطهرهم من دنس الذنوب

ولهم عذاب اليم اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار
تعجيب من حالهم وما اصبر فعل التعجب قال الكسائى فما اصبرهم على عمل اهل النار اى ادومهم عليه
وقال الحسن وقتادة والله ما لهم عليها من صبر ولكن ما اجراهم على العمل الذى يقربهم الى النار
قال عطاء والسدى ما الذى صبرهم على النار واى شئ صبرهم حتى تركوا الحق واتبعوا الباطل
ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اى ذلك العذاب بسبب ان الله نزل الكتاب بالحق فرفضوه بالتكذيب
والكتمان وان الذين اختلفوا في الكتاب فامنوا ببعض وكفروا ببعض لفى شقاق بعيد اى خلاف ~~~ يعني م
وضلال بعيد ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب البر كل عمل خير يفضى بصاحبه الى
الجنة واختلفوا في المخاطبين بهذه الاية فقال قوم عنى به اليهود والنصارى وذلك ان اليهود كانت
تصلى قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وزعم كل فريق منهم ان البر في ذلك
فاخبر الله تعالى ان البر غير دينهم وعملهم ولكنه ما بينه في هذه الاية هذا قول قتادة ومقاتل وقال
الاخرون المراد بها المؤمنون وذلك ان الرجل كان في ابتداء الاسلام قبل نزول الفرايض اذا اتى
بالشهادتين وصلى الصلوات الى اى جهة كانت ثم مات على ذلك وجبت له الجنة فلما هاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونزلت الفرايض وحدت الحدود وصرفت القبلة الى الكعبة انزل الله تعالى هذه الاية
فقال ليس البر ان تصلوا قبل المشرق والمغرب ولا تعملوا غير ذلك ولكن البر ما ذكر في هذه الاية
وهذا قول ابن عباس ومجاهد وعطاء والضحاك ولكن البر من امن بالله اى ولكن البر بر من
امن بالله كما يقال الجود حاتم اى الجود جود حاتم وقيل معناه ولكن ذا البر من امن بالله كقوله تعالى هم
درجات عند الله وقيل معناه ولكن البار من امن بالله كقوله تعالى والعاقبة للتقوى اى للمتقى والمراد
من البر الايمان والتقوى واليوم الاخر والملئكة والكتاب يعنى الكتب المنزلة والنبيين اجمع و
اتى المال اى اعطى المال على حبه اختلفوا في هذه الكناية فقال اكثر اهل التفسير انها راجعة الى المال
اى اعطى المال في حال صحته ومحبته المال قال ابن مسعود ان تعطيه وانت صحيح شحيح تامل العيش
وتخشى الفقر عن ابى هريرة رضى الله عنه قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله اى الصدقة اعظم اجرا قال ان تصدق وانت صحيح شحيح تخشى الفقر وتامل الغنى ولا تمهل حتى
اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقيل هى عايدة الى الله اى على حبه
ذوي القربى اهل القربى عن سليمان بن عامر يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم قال الصدقة على المسكين
صدقة وعلى ذى الرحم ثنتان صدقة وصلة واليتامى والمساكين في الصحيحين عن ابى هريرة
رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس المسكين بهذا الطواف الذى يرده
التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان ولكن المسكين الذى لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له فيتصدق

وَابْنَ السَّبِيلِ قال مجاهد يعنى المسافر و المنقطع عن اهله يمر عليك ويقال للمسافر ابن السبيل لملازمته الطريق و قيل هو الضيف ينزل بالرجل قال النبى صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله و اليوم الآخر فليكرم ضيفه وَالسَّائِلِينَ يعنى الطالبين روى صاحب المعالم باسناده عن ام بجيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ردوا السايل ولو بظلف محرق و فى روايه قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لم تجدى شيئا الا ظلفا محرقا فادفعيه اليه روى ابو داود انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسايل حق وان جاء على فرس وَفِي الرِّقَابِ يعنى المكاتبين قاله اكثر المفسرين و قيل عتق النسمه و فك الرقبه و قيل فداء الاسارى وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ واعطى الزكوة وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا فيما بينهم و بين الله عز وجل و فيما بينهم و بين الناس اذا وعدوا انجزوا و اذا حلفوا او نذروا اوفوا و اذا قالوا صدقوا و اذا ائتمنوا ادّوا و اختلفوا فى رفع قوله والموفون قيل هو عطف على خبر لكن و هو من آمن و قيل رفع على انه خبر مبتدا محذوف معناه وهم الموفون وَالصَّابِرِينَ قال الخليل نصب على المدح و العرب تنصب الكلام على المدح و الذم كانهم يريدون افراد الممدوح و المذموم فلا يتبعونه اول الكلام و ينصبونه فالمدح كقوله و المقيمين الصلوة و الذم كقوله ملعونين اينما ثقفوا ففى نصبه اشارة الى تفضيل الصبر على ساير الاعمال فِي الْبَأْسَاءِ الشدة و الفقر وَالضَّرَّاءِ المرض و الزمانه وَحِينَ الْبَأْسِ اى القتال و الحرب عن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال كنا اذا احمر البأس و لقى القوم اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه يعنى اذا اشتدت الحرب أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا فى ايمانهم لانهم حققوا الايمان القلبى بالاقوال و الافعال وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لانهم اتقوا المحارم و فعلوا الطاعات قال الكاشف اى الموفون بعهد الازل بترك المعارضه فى العبوديه و الاعراض عما سوى الحق فى مقام المعرفه و قال بعضهم الوفاء بالعهد لزوم الحدود و الرضا بالموجود و الصبر عن المفقود و الصابرين فى دفع صولة صدمات النفوس عند معارضتها كشوف الحقايق و صبرها عند لقاء الخطرات فى ديوان المكاشفات بنعت ترغيبها و ترهيبها و تطرق طوارقات القهر ابواب خزاين القلب لسودها بمخايل عوارض البشريه فالسكون فى دفع الخطرات صبر خص به الصادقون فى طلب مرضات الحق عند نزول احجار البليات من منجنيق الامتحان يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى قال الشعبى و الكلبى و قتاده نزلت هذه الآية فى حيين من احياء العرب اقتتلوا فى الجاهليه قبل الاسلام بقليل و كانت بينهما قتلى و جراحات لم ياخذها بعضهم من بعض حتى جاء الاسلام قال مقاتل بن حيان كانت بين قريظه و النضير و قال سعيد بن جبير كانت بين الاوس و الخزرج قالوا جميعا و كان لاحد الحيين على الآخر طول فى الكثرة و الشرف و كانوا ينكحون نساءهم بغير مهور فاقسموا لنقتلن بالعبد منا الحر منهم و بالمرأة منا الرجل منهم و بالرجل منا

القوم ح

الرجلين منهم

الرجلين منهم و جعلوا جراحاتهم ضعفى جراحات اولئك فرفعوا امرهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فانزل الله هذه الآيه و امر بالمساواة فرضوا و سلموا و القصاص من قص الاثر اذا اتبعه و المراد منه المساواة و المماثلة فى الجراحات و الديات الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى عن انس رضى الله عنه ان الربيع عمته كسرت ثنيه جاريه فطلبوا اليها العفو فابوا فعرضوا الارش فابوا فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم و ابوا الا القصاص فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقصاص فقال انس بن النضر يا رسول الله اتكسر ثنيه الربيع لا و الذى بعثك بالحق لا تكسر ثنيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انس كتاب الله القصاص فرضى القوم فعفوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من عباد الله عز وجل من لو اقسم على الله لابره و قول اكثر اهل العلم من الصحابه و من بعدهم انه لا يقتل مؤمن بكافر و لا حر بعبد و لا والد بولد عن ابى جحيفه قال سألت عليا رضى الله عنه هل عندكم من النبى صلى الله عليه وسلم شئ سوى القرآن فقال لا و الذى فلق الحبه و برأ النسمة الا ان يوتى الله عبدا فهما فى القرآن و ما فى هذه الصحيفة قلت و ما فى الصحيفه قال العقل و فكاك الاسير و لا يقتل مومن بكافر و روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقام الحدود فى المساجد و لا يقاد بالولد الوالد فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ اى ترك له و صفح عنه من الواجب عليه و هو القصاص فى قتل العمد و رضى بالديه هذا قول اكثر المفسرين قالوا العفو ان تقبل الدية فى قتل العمد و قوله من اخيه شئ دليل على ان بعض الاولياء اذا عفا سقط القود لان شيئا من الدم قد بطل فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ اى على الطالب للدية ان يتبع بالمعروف فلا يطالب باكثر من حقه وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ اى على المطلوب منه اداء الدية بالاحسان من غير مماطلة امر كل واحد منهما بالاحسان فيما له و عليه عن ابن شريح الكعبى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ثم انتم يا خزاعة قد قتلتم هذا القتيل من هذيل و انا و الله عاقله من قتل بعده قتيلا فاهله بين خيرتين ان احبوا اخذوا العقل ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ اى ذلك الذى ذكرت من العفو عن القصاص فى النفس و الجراح و اخذ الديه تخفيف من ربكم و ذلك ان القصاص فى النفس و الجراح كان حتما فى التوريه على اليهود و لم يكن لهم اخذ الديه و كان فى شرع النصارى الديه و لم يكن لهم القصاص فخير الله تعالى هذه الامة بين القصاص و بين العفو على الدية تخفيفا منه و رحمة فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فقتل الجانى بعد العفو و قبول الديه فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ و هو ان يقتل قصاصا قال ابن جريج يتحتم قتله حتى لا يقبل بعد العفو و لما اوجب الله سبحانه و تعالى فى الآية المتقدمة القصاص و كان من باب الآلام ذكر عقيبه حكمة شرعه وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ بقاء و ذلك ان القاصد للقتل اذا علم انه اذا قتل يقتل يمتنع عن القتل فيكون فيه بقاءه و بقاء من هم بقتله قال على رضى الله عنه القتل انفى للقتل و قيل معنى الحيوة سلامته من قصاص الآخره فانه اذا اقتص منه حيى فى الآخره و اذا لم يقتص منه فى الدنيا اقتص منه فى الآخرة

اى من دم اخيه و اراد بالاخ المقتول يعنى الاخوة اللحمة فى الدين و فى قوله شئ ، نم

قتلوا و ان احبوا م

بَعْدَ م

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ تنتهون عن القتل مخافة القود قال الكاشف اى لكم فى قتل النفوس بعد خروجها على القلوب و اقتصاصها حيوة الارواح المقدسة فاذا شرعتم فى اخذ ديات جنايات النفوس تفوزون من مهلكات القهر قال الجنيد للصابرين ثلاث علامات يعرف فى نفسه ضبط نفسه عند وجود النفس حظها و الثانى الدخول فى الطاعات عند مطالبه النفس بالتخلف و الكسل و الثالث سكون القلب عند نزول الحكم كُتِبَ عَلَيْكُمْ فرض عليكم إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ اى جاءه اسباب الموت و آثاره من العلل و الامراض إِنْ تَرَكَ خَيْرًا اى مالا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ كانت الوصيه فريضة فى ابتداء الاسلام للوالدين و الاقربين ثم نسخت بآيه الميراث عن عمرو بن خارجة قال كنت آخذ بزمام ناقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد اعطى كل ذى حق حقه فلا وصيه لوارث فذهب جماعة الى ان وجوبها صار منسوخا فى حق الذين يرثون و بقى وجوبها فى حق الذين لا يرثون و هو قول ابن عباس و طاووس و قتاده و الحسن و قال طاووس من اوصى لقوم سماهم و ترك ذوى قرابته محتاجين انتزعت منهم و ردت فى ذوى قرابته و ذهب الاكثرون الى ان الوجوب صار منسوخا فى حق الكافة و هى مستحبه فى الذين لا يرثون عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما حق امرئ مسلم له شئ يوصى فيه و يبيت ليلة او ليلتين الا و وصيته مكتوبة عند راسه بِالْمَعْرُوفِ يريد يوصى بالمعروف و لا يزيد على الثلث و لا يوصى للغنى و يدع الفقير قال ابن مسعود للاخل فالاخل اى الاحوج فالاحوج عن سعد بن مالك قال جاءنى النبى صلى الله عليه وسلم يعودنى فقلت يا رسول الله اوصى بمالى كله قال لا قلت فالشطر قال لا قلت فالثلث قال الثلث و الثلث كثير انك ان تدع ورثتك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس اى يسألون الناس صدقه باكفهم و عن ابن ابى مليكة ان رجلا قال لعايشه انى اريد ان اوصى قالت كم مالك قال ثلثة آلاف قالت كم عيالك قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا و ان هذا شئ يسير فاتركه لعيالك و قال على رضى الله عنه لان اوصى بالخمس احب الىّ من ان اوصى بالربع و لان اوصى بالربع احب الىّ من ان اوصى بالثلث فمن اوصى بالثلث فلم يترك حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ المومنين ثم لما ذكر امر الوصية و وجوبها و عظم امرها اتبعها بما يجرى مجرى الوعيد فى تغيرها فقال فَمَنْ بَدَّلَهُ اى غير الوصيه من الاوصياء او الاولياء او الشهود بَعْدَ مَا سَمِعَهُ اى بعد ما سمع قول الموصى و تحقق عنده فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ و الميت برئ منه إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ و عيد للمبدل بغير حق ثم بعد التوعد على تبديل الوصية بين ان المراد بذلك ان يبدله عن الحق الى الباطل اما اذا غيره من باطل الى حق على طريق الاصلاح فقد احسن فقال فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا اى توقع و علم لقوله تعالى فان خفتم الا يقيما حدود الله اى علمتم جَنَفًا أَوْ إِثْمًا قال السدى و عكرمة و الربيع الجنف الخطاء و الاثم العمد فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ و اختلفوا فى معنى الآية فقال مجاهد معناها ان الرجل اذا حضر مريضا و هو يوصى فرآه يميل اما بتقصير او اسراف او وضع الوصية فى غير موضعها فلا حرج على

ان م

من حضره

من حضره ان يامره بالعدل و ينهاه عن الجنف فينظر للموصى له و للورثة و قال الآخرون اراد به انه اذا اخطأ الميت فى وصيته او حاف متعمدا فلا حرج على وليه او وصيه او والى المسلمين ان يصلح بعد موته بين ورثته و بين الموصى لهم و يرد الوصية الى العدل و الحق فلا اثم عليه اى لا حرج عليه إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ قال الكلبى كان الاولياء و الاوصياء يمضون وصيه الميت بعد نزول قوله تعالى فمن بدله بعد ما سمعه الآيه و ان استغرق المال كله و لم يبق للورثة شئ ثم نسخها قوله تعالى فمن خاف من موص جنفا الآيه قال ابن زيد فعجز الموصى ان يوصى للوالدين و الاقربين كما امره الله و عجز الوصى ان يصلح فانتزع الله ذلك منهم و فرض الفرايض روى ابن مردويه باسناده عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الجنف فى الوصية من الكباير قال الشيخ ابن الكثير و هذا فى رفعه ايضا نظر و احسن ما ورد فى هذا ما قال عبد الرزاق باسناده عن ابى هريره رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الخير سبعين سنة فاذا اوصى حاف فى وصيته فيختم بشر عمله فيدخل النار و ان الرجل ليعمل بعمل اهل الشر سبعين سنه فيعدل فى وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة قال ابو هريره اقرأوا ان شئتم تلك حدود الله فلا تعتدوها يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ من الانبياء و الامم و اختلفوا فى هذه التشبيه فقال سعيد ابن جبير كان صوم من قبلنا من العتمة الى الليلة القابله كما كان فى ابتداء الاسلام و قال جماعة من اهل العلم اراد ان صيام رمضان كان واجبا على النصارى كما فرض علينا فربما كان يقع فى الحر الشديد و البرد الشديد و كان يشق عليهم فى اسفارهم و يضرهم فى معايشهم فاجمع رأى علمائهم و رؤسائهم على ان يجعلوا صيامهم فى فصل من السنة بين الشتاء و الصيف فجعلوه فى الربيع و زادوا فيه عشرة ايام كفارة لما صنعوا فصار اربعين ثم ان ملكهم اشتكى فمه فجعل الله عليه ان هو برئ من مرضه ان يزيد فى صومهم اسبوعا فبرئ فزاد فيه اسبوعا ثم مات ذلك الملك و وليهم ملك آخر فقال اتموه خمسين يوما لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ بالصوم لان الصوم وصلة الى التقوى لما فيه من قهر النفس و كسر الشهوات و قيل لعلكم تحذرون عن الشهوات من الاكل و الشرب و الجماع قال الكاشف هذا نداء لاصحاب القلوب و خطاب مع طلاب وصال المشاهدة فى اقطار سموات الغيوب اى يا اهل النفس فرض عليكم الامساك عن الكون اصلا لانكم فى طلب المشاهده فوجب عليكم ان تصوموا من مالوفات الطبيعة فى مقام العبوديه كما كتب على المرسلين و النبيين و العارفين و المحبين من قبلكم لكى تخلصوا عن رجس البشرية و تصلوا مقام الامن و القربة أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ قيل كان بدء الاسلام صوم ثلثة ايام من كل شهر واجبا و صوم عاشورا فصاموا كذلك من الربيع الى شهر رمضان سبعة عشر شهرا ثم نسخ بصوم رمضان قال ابن عباس اول ما نسخ بعد الهجرة امر القبله و الصوم و يقال نزل صوم

فمن بدله ح

يعنم

شهر رمضان قبل بدر بشهر و ايام قال محمد بن اسحق كانت غزوة بدر يوم الجمعة لسبع عشرة ليلة
خلت من شهر رمضان على راس ثمانية عشر شهرا من الهجرة عن عايشة رضى الله عنها قالت كان يوم
عاشورا يوما يصومه قريش في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وامر الناس بصيامه فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك
يوم عاشورا فمن شاء صامه ومن شاء تركه وقيل المراد بقوله اياما معدودات شهر رمضان فهى غير منسوخة
قال الكاشف اياما معدودات ايام زمان الدنيا يعزى بهذا الخطاب اولياءه بترك المطايب والمناكح
والمباشرة والموانسة والملاعبة ولذايذ العيش في اكل الوان الشهوات وشرب المياه الباردات
ولبس الناعمات اى اصبروا يا اوليائى عن شهوات الدنيا فانها ايام سينقرض عن قريب حتى تفطروا
بلقائى القديم وتعيشوا في جوارى الكريم فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ اى فافطر فَعِدَّةٌ مِنْ
أَيَّامٍ أُخَرَ اى فعليه عدة والعدة والعدد واحد من ايام اخر غير ايام مرضه وسفره قال
الكاشف اى من يكون من المنقطعين مريضا من فراقى او في سفر الوحشة عن وصلى فعليه تدارك
ايام الفترة بعد ادراك مقام القربة والمشاهدة وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ واختلف العلماء في تاويل
هذه الاية وحكمها فذهب اكثرهم الى ان الآية منسوخة وهو قول ابن عمر وسلمة ابن الاكوع وذلك انهم
كانوا في ابتداء الاسلام مخيرين بين ان يصوموا وبين ان يفطروا ويفدوا واخبرهم الله تعالى لئلا يشق
عليهم لانهم كانوا لم يتعودوا الصوم ثم نسخ التخيير ونزلت العزيمة بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه
وقال قتادة هى خاصة في الشيخ الكبير الذى يطيق الصوم ولكن يشق عليه رخص له في ان يفطر ويفدى
ثم نسخ وقال الحسن هذا في المريض الذى به ما يقع عليه اسم المرض وهو مستطيع للصوم خير بين
ان يصوم وبين ان يفطر ويفدى ثم نسخ بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وبقيت الرخصة للذين
لا يطيقون وذهب جماعة الى ان الآية محكمة غير منسوخة ومعناه وعلى الذين كانوا يطيقونه في حال
الشباب فعجزوا عنه بعد الكبر فعليهم الفدية بدل الصوم وقرا ابن عباس وعلى الذين يطوقونه بضم الياء
وفتح الطاء وتخفيفها وفتح الواو وتشديدها اى يكلفون الصوم وتاوله على الشيخ الكبير والمراة الكبيرة
لا يستطيعان الصوم والمريض الذى لا يرجى زوال مرضه فهم يكلفون الصوم ولا يطيقونه فلهم ان
ان يفطروا ويطعموا مكان كل يوم مسكينا وهذا قول سعيد بن مسيب وجعل الآية محكمة طَعَامُ مِسْكِينٍ
قال ابن عباس يعطى كل مسكين عشاءه وسحوره قال الكاشف وعلى الذين يطيقون الامساك عن
الكون بنعت الزهد عن الدنيا ايام حيوته ولم يعملوا عمل اهل الطاقة لعلة توفيقهم وهدايتهم فدية
وهو خدمة اولياء الله تعالى ببذل النفس والمال من الذين تركوا الدنيا لاهلها وذلك قوله تعالى طعام
مسكين والمساكين الذين صادفوا مقام التلوين ولم يبلغوا مقام التمكين فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ
ارضاء

خَيْرٌ لَهُ اى زاد على مسكين واحد فاطعم مكان كل يوم مسكينين فاكثر قاله المجاهد وعطاء و
طاوس وقيل من زاد على القدر الواجب عليه فاعطى صاعا وعليه مد فهو خير له وَأَنْ تَصُومُوا
خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ من ذهب الى النسخ قال معناه الصوم خير من الفدية وقيل هذا في
الشيخ الكبير لو تكلف الصوم وان شق عليه خير له من ان يفطر ويفدى قال الكاشف اى ان تمسكوا
عما يشتغل به اهل الدنيا فهو خير لكم في ثبات حالكم وقوة ارادتكم ان كنتم تعلمون اى ان كنتم تعرفون
ما للصايمين من الفرح فرحة في الدنيا بالمكاشفه وفرحة في الآخرة بصرف المشاهدة ثم بين الله تعالى
ايام الصيام فقال شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ سيل ابن عباس عن قوله عز وجل شهر
رمضان الذى انزل فيه القرآن وقوله انا انزلناه في ليلة القدر وقوله انا انزلناه في ليلة مباركة وقد
نزل في ساير الشهور وقال عز وجل وقرآنا فرقناه فقال انزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ
في ليلة القدر من شهر رمضان الى بيت العزة في السماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام على رسول
الله صلى الله عليه وسلم نجوما في عشرين سنة فذلك قوله تعالى مواقع النجوم قال داود بن ابى هند
قلت للشعبى شهر رمضان الذى انزل القرآن اما كان ينزل في ساير شهور السنة قال بلى ولكن جبريل
كان يعارض النبى صلى الله عليه وسلم في رمضان ما نزل الله تعالى فيحكم الله تعالى ما يشاء ويثبت ما يشاء
وينسيه ما يشاء وروى عن ابى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال انزل صحف ابرهيم
في ثلث ليال مضين من رمضان ويروى في اول ليلة من رمضان وانزلت التورية موسى في ست
ليال من رمضان وانزل الانجيل في ثلث عشرة مضت من رمضان وانزل زبور داود في ثمان عشرة
ليلة من رمضان وانزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في الرابعة والعشرين لست بقين
بعدها رواه احمد بن حنبل قال الشيخ ابن الكثير وقد روى من حديث جابر بن عبد الله وفيه ان
الزبور نزل لثنتى عشرة خلت من رمضان رواه ابن مردويه اما الصحف والتورية والزبور والانجيل
فنزل كل منها على النبى الذى انزل عليه جملة واحدة واما القرآن فانما نزل جملة واحدة الى بيت العزة
من السماء الدنيا وكان ذلك في شهر رمضان في ليلة القدر كما قال تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وقال
انا انزلناه في ليلة مباركة ثم نزل بعد متفرقا بحسب الوقايع على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الكاشف شهر فيه احتراق اكباد اهل العيان من شوق مشاهدة الرحمن لذلك انزل فيه القرآن
لرقة قلوب المخاطبين من نيران المجاهدة وكشف انوار المشاهده فيه هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ
مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ اى انزل وهو هداية للناس باعجازه وآيات واضحات مما يهدى الى الحق
ويفرق بينه وبين الباطل بما فيه من الحكم والاحكام فَمَنْ شَهِدَ حضر مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ما
شهد منه والدليل عليه ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيه ٢

خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم افطر وافطر الناس معه وكانوا ياخذون
بالاحدث فالاحدث من امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرجه صاحبا الصحيح قال الكاشف
من حضر فيه مقام الطلب فليفطم نفسه عن رضاع الطبيعة لمقام الطرب وايضا من شهد منكم
الشهر فليصمه عن الشراب والطعام ومن شهدنى فليصم عن المخالفات والاثام ومن شهد في
وشاهد امرى فليصم اوقاته كلها عن المخالفات ومن شهد على روية فعله وصومه فليس لله
حاجة في ترك طعامه وشرابه وهو كما اخبر النبى صلى الله عليه وسلم رب صايم حظه من الصوم
الجوع وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ تخصص لما قبله لان المسافر والمريض
ممن شهد الشهر ولعل تكريره لاجل التخصيص ولئلا يتوهم نسخه لما نسخ قرينه وهو قوله تعالى وعلى
الذين يطيقونه فدية طعام مسكين واختلفوا في المرض الذى يبيح الفطر فذهب اهل الظاهر الى
ان ما يطلق عليه اسم المرض يبيح الفطر وهو قول ابن سيرين قال طريف بن تمام دخلت على
ابن سيرين في رمضان وهو ياكل فقال انه وجعت اصبعى هذه وقال الحسن هو المرض الذي
يجوز معه الصلوة قاعدا وذهب الاكثرون الى انه مرض يخاف معه من الصوم زيادة علة
غير محتملة واما السفر فالفطر فيه مباح والصوم جايز عند عامة اهل العلم الا ما روي عن ابن عباس
وابى هريرة وعروة بن الزبير وعلى بن الحسين انهم قالوا لا يجوز الصوم في السفر ومن صام فعليه
القضاء واحتجوا بقول النبى صلى الله عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر وذلك عند الاكثرين
في حق من يجهده الصوم فالاولى له ان يفطر عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم في سفر فراى زحاما ورجلا قد ظلل عليه فقال ما هذا قالوا صايم فقال ليس من البر الصيام
في السفر وعن ابى سعيد قال كنا نسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان فلا يعيب الصايم
على المفطر ولا المفطر على الصايم
ومن اصبح مقيما صايما ثم سافر في اثناء النهار فلا يجوز له ان يفطر ذلك عند اكثر اهل العلم اما المسافر
اذا اصبح صايما فيجوز له ان يفطر بالاتفاق والدليل عليه ما روي عن جابر رضى الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم خرج الى مكة عام الفتح في رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس معه
فقيل له يا رسول الله ان الناس قد شق عليهم الصيام فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب والناس
ينظرون فافطر بعض الناس وصام البعض فبلغه ان ناسا صاموا فقال اولئك العصاة قال الشيخ
ان دعت عن السنة وراى ان الفطر مكروه عليه فهذا يتعين عليه الافطار ويحرم عليه الصيام والحالة
هذه لما جاء في مسند الامام احمد وغيره عن ابن عمر وجابر وغيرهما من لم يقبل رخصة الله كان عليه
من الاثم مثل جبال عرفة يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ قال الشعبى ما خير رجل بين امرين
فاختار ايسرهما الا كان ذلك احبهما الى الله عز وجل روى الامام احمد باسناده عن ابى قتادة عن الاعرابي

الذى سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان خير دينكم ايسره وروى باسناده عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان دين الله في يسر وفي الصحيحين عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يسروا
ولا تعسروا سكنوا ولا تنفروا وفي الصحيحين ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ وابى
موسى حين بعثهما الى اليمن بشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا وتطاوعا ولا تختلفا وفي السنن والمسانيد
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت بالحنيفية السمحة وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ اى ما رخص لكم في الافطار للمرض
والسفر ونحوهما من الاعذار الا ارادة بكم اليسر وانما امركم بالقضاء لتكملوا عدة شهركم وَرُخِّصَ لكم وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ
وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ اى لتعظموا الله عَلَى مَا هَدَاكُمْ ارشدكم الى ما رضى به قال ابن عباس هو تكبيرات ليلة الفطر
روى الشافعى عن ابن المسيب وعروة وابن سلمة انهم كانوا يكبرون ليلة الفطر يجهرون بها وشبه ليلة النحر
بها الا من كان حاجا فذكره التلبية قال تعالى وتقدس فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد
ذكرا وقال تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم
تفلحون ولهذا جاءت السنة باستحباب التسبيح والتحميد والتكبير بعد الصلوات المكتوبات وقال ابن
عباس ما كنا نعرف انقضاء صلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا بالتكبير وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ اى اذا
قمتم بما امركم الله من طاعاته باداء فرايضه وترك محارمه وحفظ حدوده فلعلكم ان تكونوا من الشاكرين
بذلك الاخبار الواردة في شهر رمضان وثواب الصايمين كثيرة مذكورة في كتب الحديث منها ما روى محي السنة
باسناده عن سلمان قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في اخر يوم من شعبان فقال يا ايها الناس قد اظلكم
شهر عظيم شهر مبارك شهر فيه ليلة القدر خير من الف شهر جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعا
ومن تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن ادى فريضة فيما سواه ومن ادى فيه فريضة كان كمن
ادى سبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فيه
الرزق من فطر صايما كان مغفرة له وعتق رقبته من النار وكان له مثل اجره من غير ان ينقص
من اجره شئ قال يا رسول الله ليس كلنا نجد ما يفطر به الصايم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعطى الله هذا الثواب لمن فطر صايما على مذقة لبن او تمر او شربة ماء ومن اشبع صايما سقاه الله
عز وجل من حوضى شربة لا يظما حتى يدخل الجنة وهو شهر اوله رحمة واوسطه مغفرة واخره عتق من
النار فاستكثروا فيه من اربع خصال خصلتين ترضون بهما ربكم وخصلتين لا غنى بكم عنهما اما
الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم فشهادة ان لا اله الا الله وتستغفرونه واما اللتان لا غنى بكم عنهما
فتسئلون الله الجنة وتعوذون به من النار ثم انه تعالى لما قال بعد ايجاب فرض الصوم وبيان
احكامه ولتكبروا الله على ما هديكم ولعلكم تشكرون فامر العبد بالتكبير الذى هو الذكر وبالشكر
بين انه سبحانه بلطفه ورحمته قريب من العبد مطلع على ذكره وعلى شكره ويسمع نداءه ويجيب جعله

وَلِتُكْمِلُوا

الناس

ولا يخيب رجاءه فقال وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ عن ابن
عباس رضي الله عنهما قال قال يهود اهل المدينة يا محمد كيف يسمع ربنا دعاءنا وانت تزعم ان بيننا وبين
السماء مسيرة خمسمائة عام وان غلظ كل سماء مثل ذلك فنزلت هذه الآية وقال الضحاك سأل بعض الصحابة
النبي صلى الله عليه وسلم فقال اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فانزل الله تعالى واذا سألك عبادي عني
فاني قريب وفيه اضمار كانه قال فقل لهم اني قريب بالعلم لا يخفى علي شيء كما قال ونحن اقرب اليه من
حبل الوريد عن ابي موسى الاشعري قال لما غزى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبرا وقال لما توجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خيبر اشرف الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير لا اله الا
الله والله اكبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعوا على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غايبا انكم
تدعون سميعا قريبا وهو معكم فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي الاستجابة بمعنى الاجابة اي فليجيبوا لي بالطاعة و
الاجابة في اللغة الطاعة واعطاء ما سيل فالاجابة من الله تعالى العطاء ومن العبد الطاعة وَلْيُؤْمِنُوا بِي
لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ لكي يهتدوا وروى الامام احمد عن ابي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من
مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه الله بها احدى ثلث خصال ان
يعجل دعوته واما ان يدخرها له في الآخرة واما ان يصرف عنه من السوء مثلها قالوا اذا نكثر قال الله
اكثر وروى الحافظ ابو بكر البزار باسناده عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى يا ابن
آدم واحدة لك وواحدة لي وواحدة فيما بيني وبينك فاما التي لي فتعبدوني لا تشرك بي شيئا واما
التي بيني وبينك الدعاء وعلي الاجابة قال الشيخ وفي ذكره تعالى هذه الآية عند اكمال العدة ورد عند كل فطر
كما رواه الامام ابو داود الطيالسي عن عبد الله بن عمرو قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول للصائم عند افطاره دعوة مستجابة فكان عبد الله بن عمرو اذا افطر دعا اهله وولده ودعا
وفي مسند الامام احمد وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حين يفطر ودعوة المظلوم يرفعها دون الغمام
يوم القيمة وتفتح لها ابواب السماء ويقول بعزتي لانصرنك ولو بعد حين قال الكاشف اي اذا سألك
اهل محبتي وتوحيدي عن دنوي منهم فاقرب منهم اليهم وانا مباشر اسرارهم فوادهم بصفة الخاص فاتجلى
نفسي من نفوسهم لنفوسهم لا انظهور للعموم وان لم يروني الا اهل الخصوص وفي ضمن الآية اشارة
الى تنزيه الحق عن البينية والاينية لانهم اشاروا الى قرب البين وبعد الاين فقال تعالى فاني قريب
من عبادي بلا اين ولا بين اجيب دعوة المخلصين اذا دعوني من قرع قلوبهم بلسان اسرارهم
وان لم يعلموا اجابتي لهم فليستجيبوا لي اذا دعوتهم باصوات الوصلة عند خطرات كلماتي في قلوبهم
الى مائدة مشاهدتي في زوايا صدورهم بنعت اعراضهم عن غيري وليؤمنوا فيما كشف لهم من اسرار ملكوتي

واما التي لك فما عملت من شيء او من عمل وفيتكه

وانوار جبروتي ولا يسمعوا حديث العدو لعلهم يرشدون الى مقام الطمانينة وحقايق التمكين بشرط
المعرفة قال الشبلي اذا اوجد الحق العبد لذاته قربه ارتضاه لنفسه وتولى سياسته لنفسه وادبه
باخلاقه واعطاه ثلثة من اوصاف ذاته حيوة لا موت فيها وقدرة لا يزول بعز وملكا في جوار ملكه
فذلك قربه أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ الرفث كناية عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من رفث
وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه قال ابن عباس ان الله تعالى حيي كريم يكنى كما ذكر في القرآن
من المباشرة والملامسة والافضاء والدخول والرفث قال اهل التفسير كان في ابتداء الامر اذا افطر
الرجل حل له الطعام والشراب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة او يرقد قبلها فاذا صلى العشاء
الآخرة او رقد قبلها حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى الليلة القابلة ثم ان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه واقع اهله بعد ما صلى العشاء فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول اني اعتذر الى الله تعالى واليك من نفسي هذه الخاطئة اني رجعت الى اهلي بعد ما
صليت فوجدت رائحة طيبة فسولت لي نفسي فجامعت اهلي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما كنت
جديرا بذلك يا عمر فاعترفوا بمثله فنزل في عمر واصحابه احل لكم ابيح ليلة الصيام الرفث الى نسايكم هُنَّ
لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم يعني هن سكن لكم وانتم سكن
لهن دليله قوله تعالى وجعل منها زوجها ليسكن اليها وقيل لا يسكن شيء الى شيء كسكون احد الزوجين
الى الآخر وقال الربيع بن انس هن فراش لكم وانتم لحاف لهن وقيل اللباس اسم لما يواري الشيء
فيجوز ان يكون كل واحد منهما سترا لصاحبه عما لا يحل كما جاء في الحديث من تزوج فقد احرز ثلثي دينه
عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ اي تخونونها وتظلمونها بالمجامعة بعد العشاء قال البراء لما نزل
صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون انفسهم فانزل الله تعالى
علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم قال الكاشف علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم بترككم مجاهدتها
وتعليمها اسرار الادب والوقوف على مرادها واستماع كلامها على شرط التقبل منها والصبر على
انطلاقها عن رق العبودية واقحامها في نيران الشهوة وقال ابن عطاء خيانة النفس الوقوف
معها حيث ما وقعت فَتَابَ عَلَيْكُمْ تجاوز عنكم وَعَفَا عَنْكُمْ محا ذنوبكم فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ جامعوهن
حلالا سميت المجامعة مباشرة لالتصاق بشرة كل واحد منهما بصاحبه وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ اي
اطلبوا ما قضى الله لكم وقيل ما كتب الله في اللوح المحفوظ يعني الولد قاله اكثر المفسرين قال مجاهد
ان لم تلد هذه فهذه قال قتادة وابتغوا الرخصة التي كتب الله باباحة الاكل والشرب والجماع وَكُلُوا
وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ نزلت في رجل من الانصار اسمه ابو صرمة بن قيس وقيل
صرمة وذلك انه ظل نهاره يعمل في ارض له وهو صائم فلما امسى رجع الى اهله بتمر وقال قدمي الطعام

لكم م

فارادت المرأة ان تطعمه شيئا سخينا فاخذت تعمل له سخينة وكان في الابتداء من صلى العشاء او نام حرم
عليه الطعام والشراب فاذا هو قد نام وكان قد اعيى وكل فايقظته فكره ان يعصي الله ورسوله وابى
ان ياكل واصبح صائما مجهودا فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه فلما افاق ابو صرمة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا قيس ما لك امسيت طليحا فذكر له حاله فاغتم لذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وكلوا واشربوا يعني في ليالي الصيام حتى يتبين لكم الخيط الابيض مِنَ
الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ يعني بياض النهار من سواد الليل لان كل واحد منهما اذا بدا في الابتداء كان ممتدا كالخيط
عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال انزلت وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
ولم ينزل قوله مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجليه
الخيط الابيض والخيط الاسود ولا يزال ياكل حتى يتبين له رؤيتهما فانزل الله تعالى بعد من الفجر فعلموا
انه انما يعني بهما الليل والنهار وعن عدي ابن حاتم قال لما نزلت حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود
عمدت الى عقال اسود والى عقال ابيض فجعلتهما تحت وسادتي وجعلت انظر في الليل فلا يستبين لي
فغدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال انما ذلك سواد الليل وبياض النهار
وفي رواية رواها الامام احمد فاخبرته بالذي صنعت فقال ان وسادتك العريض اي ان كانت تسع
لوضع الخيط الابيض والاسود المرادين من هذه تحتها فانهما بياض النهار وسواد الليل فيقتضي ان
يكون كعرض المشرق والمغرب وجاء في بعض الالفاظ انك لعريض القفا ففسره بعضهم بالبلادة وهو
ضعيف بل يرجع الى هذا لانه اذا كان وساده عريضا فقفاه ايضا عريضا والله اعلم ثم لما بين حكم الصوم
وبين ان حكمه تحريم المباشرة كان يجوز ان يظن في الاعتكاف ان حاله كحال الصوم في ان الجماع يحرم
فيه نهارا لا ليلا فبين تعالى تحريم المباشرة فيه نهارا وليلا فقال وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ
فِي الْمَسَاجِدِ العكوف هو الاقامة على الشيء والاعتكاف في الشرع هو الاقامة في المسجد على قصد
عبادة الله وهو سنة ولا يجوز في غير المسجد ويجوز في جميع المساجد وعن عائشة زوج النبي صلى
الله عليه وسلم ورضي عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه
الله تعالى ثم اعتكف ازواجه من بعده اخرجه الشيخان والآية نزلت في نفر من الصحابة كانوا يعتكفون
في المسجد فاذا عرضت لرجل منهم الحاجة الى اهله خرج اليها فجامعها ثم اغتسل فرجع الى المسجد فنهوا
عن ذلك ليلا ونهارا حتى يفرغوا عن اعتكافهم فالجماع حرام في حال الاعتكاف ويفسد به الاعتكاف
اما ما دون الجماع من المباشرات كالقبلة واللمس بالشهوة فمكروه ولا يفسد بها الاعتكاف عند اكثر اهل
العلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اعتكف ادنى الي راسه فارجله
وكان لا يدخل البيت الا لحاجة الانسان وفي ذكره تعالى الاعتكاف بعد الصيام ارشاد وتنبيه على الاعتكاف

يعد كلام

في الصيام او في اواخر شهر رمضان كما ثبت السنة وفي الصحيحين ايضا ان صفية بنت حيي كانت
تزور النبي صلى الله عليه وسلم وهو معتكف في المسجد فتحدثت عنده ساعة ثم قامت لترجع
الى منزلها وكان ذلك ليلا فقام النبي صلى الله عليه وسلم ليمشي معها حتى تبلغ دارها وكان منزلها في دار
اسامة بن زيد في جانب المدينة فلما كان ببعض الطريق لقيه رجلان من الانصار فلما رايا النبي صلى الله
عليه وسلم اسرعا وفي رواية تواريا اي حياء من النبي صلى الله عليه وسلم لكون معه اهله فقال لهما النبي صلى الله
عليه وسلم على رسلكما انها صفية بنت حيي اي لا تسرعا واعلما انها صفية بنت حيي اي زوجتي فقالا
سبحان الله يا رسول فقال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم واني خشيت
ان يقذف في قلوبكما شيئا او شرا قال الشافعي رضي الله عنه اراد اعلمه الصلوة والسلام ان يعلم امته
التبري من التهمة في محلها لئلا يقعوا في محذور وهما كانا اتقى لله ان يظنا بالنبي صلى الله عليه وسلم قال
الكاشف اي اذا اعتكفتم في مساجد القربة لطلب المشاهدة فلا تميلوا الى حظوظ البشرية وهذا من احسن
الادب ورد من الله تعالى ادب به اولياءه في مجالستهم حضرته وايضا الاعتكاف وقوف الارواح على
بساط الفردانية لاستغراقها عن الحدوثية بنعت فنائها في انوار الازلية وقال الواسطي الاعتكاف حبس النفس
وزم الجوارح ومراعاة الوقت ثم انما كنت فانت معتكف وقال بعضهم اهل الصفوة معتكفون باسرارهم
عند الحق لا يؤثر عليهم من جريان الحوادث شيء لاستغراقهم في المشاهدة تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يعني تلك الاحكام
التي ذكرت في الصيام والاعتكاف حدود الله اي ما منع الله عنها وقال سهل بن حوشب فرائض الله
واصل الحد في اللغة المنع ومنه يقال للبواب حداد لانه يمنع الناس من الدخول وحدود الله ما منع الله
من مخالفتها فلا تقربوها فلا تاتوها قال الكاشف اي فلا تقربوا حدود الحقائق الا بشرط آدابها بنعت المعرفة
وحسن حقيقة الادب وايضا شرع الحق احكام الربوبية حدودا في مقام العبودية ليحجز العباد بها عن
هتك استار القربة لان في بداية الحدود اسرار العبودية وفي نهايتها اسرار الربوبية منع الخلق بها عن
الاطلاع على اسرار الازلية لبقاء الاحكام والشريعة كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ كذلك
يبين ساير الاحكام على لسان عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم للناس لعلهم يتقون اي يعرفون
كيف يهتدون وكيف يطيعون كما قال تعالى هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات
الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم قال الكاشف اظهر الله سر القدم بوصف الجبروت في النعوت
والآيات لعل عباده يبصرون بسطوات عظمته ويخافون من عقوبته ويتركون اوصاف البشرية
في ديوان الحقيقة ثم لما بين بعض احكام الاكل والماكولات والقصاص والوصية والصيام ذكر بعضا
آخر من احكام الاكل والاموال لان الصوم لان الصوم منتهيه الى الافطار والافطار يتضمن الاكل
فقال وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ قيل نزلت هذه الآية في امرئ القيس بن عابس الكندي

النفس

ثم

الزم ممارسة حين ...

الترشيح ان ترشح الام ولدها باللبن القليل تحليله في فيه شيئا بعد شيء الى ان تقوى على المص

ادعى عليه ربيعة بن عبدان الحضرمي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ارضا انه غلبني عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للحضرمي الك بينة قال لا قال فلك يمينه فانطلق ليحلف فقال رسول الله اما ان حلف على ماله لياكله ظلما ليلقين الله وهو عنه معرض فانزل تعالى ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل اى لا ياكل بعضكم مال بعض بالباطل اي من غير الوجه الذي اباحه الله واصل الباطل الشئ الذاهب والاكل بالباطل انواع قد يكون بطريق الغصب والنهب وقد يكون بطريق اللهو كالقمار ولعب الملاهي ونحوهما وقد يكون بطريق الرشوة والخيانة وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ اى تلقون امور تلك الاموال بينكم وبين اربابها الى الحكام واصل الادلاء ارسال الدلو والقاءها في البئر قال ابن عباس هذا في الرجل يكون عليه مال وليس عليه بينة فيجحد المال ويخاصم به الى الحاكم وهو يعرف ان الحق عليه وانه اثم بمنعه وقال قتادة لا تدل بمال اخيك الى الحاكم وانت تعلم انك ظالم فان قضاءه لا يحل حراما وقال شريح يقول انى لاقضى لك وانى لاظنك ظالما ولكن لا يسعنى الا ان اقضى بما يحضرني من البينة وان قضائى لا يحل لك حراما عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال انما انا بشر مثلكم لتختصمون الى ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشئ من حق اخيه فلا ياخذه فانما اقطع له قطعة من النار لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا طائفة مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ بالظلم قال ابن عباس باليمين الكاذبة تقتطع بها مال اخيه وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ انكم مبطلون دلت هذه الآية الكريمة والحديث على ان حكم الحاكم لا يغير الشئ في نفس الامر فلا يحل في نفس الامر حراما هو حرام ولا يحرم حلالا هو حلال وانما هو ملزم في الظاهر فان طابق ما في نفس الامر فذاك والا فللحاكم اجره وعلى المحتال وزره قال قتادة ايضا انما يقضى القاضى بنحو ما يرى وتشهد به الشهود والقاضى بشر يخطى ويصيب وقال ايضا واعلموا ان من قضى له بباطل ان خصومته لم تنقض حتى يجمع الله بينهما يوم القيمة فيقضى على المبطل للمحق باجود ما قضى به للمبطل على المحق في الدنيا ثم لما كان الصوم والفطر منوطين برؤية الهلال عقبا بذكر السؤال عن حال الاهلة فقال يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ نزلت في معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاريين قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا ثم يزيد حتى يمتلئ نورا ثم يعود دقيقا كما بدا ولا يكون على حال فانزل الله يسئلونك عن الاهلة قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ المواقيت جمع الميقات اى فعلنا ذلك ليعلم الناس اوقات الحج والعمرة والصوم والافطار وآجال الديون وعدة النساء وغيرها فلهذا خالف بينه وبين الشمس التى هى دائمة على حالة واحدة قال الكاشف اى يسألونك عن نقصان هلال اهل المشاهدة عند الفترة وزيادتها عند الكشوف بحيث تجلى الاسرار لانهم اذا غابوا في اوصاف احكام العبودية احتجبوا بها عن روية مشهود الغيب واذا خرجوا من ظلمات ادمنة الابتلاء دارا في سماء اليقين نوادر انوار اقمار الصفات فتاهوا عند ذهاب عقولهم في مجلس الخاص تحت حنيف شعاع الكبرياء فتحيروا بين المنزلين واستفتوا من اشرف خلق الله حسام حكم الله رايس البرية

ان يكون م

فلا يحل في نفس الامر م

ارى ادمنة

محمد صالح ...

محمد صلى الله عليه في رسوم هذه الاوصاف كى يخلصوا عن اركان الشواهد بعد جمع الجمع في قلوبهم فامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم وقال قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ اي هذه الاحوال المتبتة في كشوف عين السرمدية وذات الابدية عيانا وغيبا المواقيت الارواح في طيرانها الى اعلى المقامات على ترتيبها وظهور اوقات المواجد وقصودها الى عالم الصفات نسق الله تعالى كشف القربة على قدر شوق الشائقين حتى علموا احكام العبودية في الربوبية والربوبية في العبودية على قدر بدو الاحوال وكشف الصفات لان العارف محتاج الى الحقيقة علم الاصول والآداب ليستعملها بقدر وجدان انوار القربة وصفات المشاهدة وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا قال اهل التفسير كان في الجاهلية وفي اول الاسلام اذا احرم الرجل منهم بالحج او العمرة لم يدخل حايطا ولا بيتا ولا دارا من بابه فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته يدخل منه ويخرج او يتخذ سلما فيصعد منه وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخيمة والفسطاط ولا يدخل ولا يخرج من الباب حتى يحل من احرامه ويرون ذلك برا الا ان يكون من الحمس وهم قريش وكنانة وخزاعة وخثعم وبنو عامر بن صعصعة وبنو نضر بن معاوية سموا حمسا لتشددهم في دينهم والحماسة الشدة والصلابة قالوا فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم بيتا لبعض الانصار فدخل رجل من الانصار يقال له رفاعة بن تابوت على اثره من الباب وهو محرم فانكروا عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لم دخلت من الباب وانت محرم قال رايتك دخلت فدخلت على اثرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى احمس فقال الرجل ان كنت احمس فانا احمس رضيت بهديك وسمتك ودينك فانزل الله عز وجل وليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى اى البر بر من اتقى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا في حال الاحرام وغيره وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ اى اتقوا الله وافعلوا ما امركم به واتركوا ما نهاكم عنه لعلكم تفلحون غدا اذا وقفتم بين يديه فيجازيكم على التمام والكمال ثم لما امر بالاستقامة في طريق معرفة الله تعالى قال ليس البر بان تاتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وامر بالتقوى امر ببعض اقسام التقوى وان كان اشقها على النفس وهو قتل اعداء الله فقال وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اى في طاعة الله تعالى الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ كان في ابتداء الاسلام امر الله تعالى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكف عن قتل المشركين ثم لما هاجر الى المدينة امره بقتال من قاتله منهم بهذه الآية قال الربيع ابن انس هذه اول آية نزلت في القتال ثم امر بقتال المشركين كافة قاتلوا او لم يقاتلوا بقوله تعالى اقتلوا المشركين فصارت هذه الآية منسوخة بها قيل نسخ بقوله اقتلوا المشركين من سبعين آية قال الكاشف امر الله تعالى اهل عرفان الحقيقة بقتال النفس على السرمدية وقلع بنية دواعى البشرية لسلامة صدورهم عند اجتماع همومهم بين يديه وترك تجاوز الحد باحمالها والوقوف على حظوظها وَلَا تَعْتَدُوا اى لا تبتدؤا هم بالقتال وقيل هذه الآية محكمة غير منسوخة امر النبى صلى الله عليه وسلم بقتال المقاتلين ومعنى قوله تعالى لا تعتدوا

من موسوم

الله م

اى لا تقتلوا النساء والصبيان والشيخ الكبير والرهبان ولا من القى اليكم السلم هذا قول ابن عباس ومجاهد في صحيح مسلم عن بريدة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اغزوا في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا وعن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث جيوشه قال اخرجوا بسم الله قاتلوا في سبيل الله من كفر بالله لا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا اصحاب الصوامع رواه الامام احمد وغيره وفي الصحيحين عن ابن عمر قال وجدت امراة في بعض مغازى النبى صلى الله عليه وسلم مقتولة فانكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ لا يريد بهم الخير وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ اصل الثقافة الحذق والبصر بالامر معناه واقتلوهم حيث ابصرتم مقاتلتهم وتمكنتم من قتلهم وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وذلك انهم اخرجوا المسلمين من مكة فقال اخرجوهم من ديارهم كما اخرجوكم من دياركم وَالْفِتْنَةُ يعنى شركهم بالله عز وجل أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ واعظم من قتلكم اياهم في الحرم والاحرام وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فَإِنِ انْتَهَوْا عن القتال والكفر فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لما سلف رَحِيمٌ بعباده وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ اى شرك يعنى قاتلوهم حتى يسلموا فلا يقبل من الوثنى الا الاسلام فان ابى قتل وَيَكُونَ الدِّينُ اى الطاعة والعبادة لِلَّهِ وحده ولا يعبد شئ من دونه قال نافع جاء رجل الى ابن عمر في فتنة ابن الزبير رضى الله عنهم فقال ما يمنعك ان تخرج قال يمنعنى ان الله تعالى حرم دم اخى قال الا تسمع ما ذكر الله تعالى وان طائفتان من المومنين اقتتلوا فقال يا ابن اخى لئن اعتبر بهذه الآية ولا اقاتل احب الى من ان اعتبر بالآية التى يقول الله فيها ومن يقتل مومنا متعمدا قال الم يقل الله وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة قال فعلنا اذ كان الاسلام قليلا وكان الرجل يفتن في دينه اما يقتلوه او يعذبوه حتى كثر الاسلام فلم تكن فتنة وكان الدين لله وانتم تريدون تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله وعن سعيد بن جبير قال قال رجل لابن عمر كيف ترى في قتال الفتنة فقال هل تدرى ما الفتنة كان محمد يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة وليس بقتالهم على الملك قال الكاشف اى حاربوا انفسكم على دوام الرعاية لا وقاتكم بنعت تصفية احوالكم عن دنس الطبيعة وخبث الجبلة وانانية اوصاف البشرية حتى لا تكون وقوع خطرات العدو في ديوان الاسرار يعنى الصدور الصافية والقلوب النقية المنورة بنور الاحدية ويكون بعد جمع الهم اسراركم وظنات مكاشفات القربة وحقايق الايمان يستولى على بواطن حقيقة النفوس بنعت انفراد الاسرار بين يدى العزيز الغفار فَإِنِ انْتَهَوْا عن الكفر واسلموا فَلَا عُدْوَانَ فلا سبيل إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ قال ابن عباس يدل عليه قوله تعالى ايما الاجلين قضيت فلا عدوان على يعنى فلا سبيل على معناه فان اسلموا فلا نهب ولا اسراء ولا قتل الا على الظالمين الذين بقوا على الشرك فسمى جزاء

العدوان

العدوان عدوانا كما في قوله تعالى فان اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم وقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ نزلت الآية في عمرة القضاء وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم خرج معتمرا في ذى القعدة فصده المشركون عن البيت بالحديبية فصالح اهل مكة على ان ينصرف عامه ذلك ويرجع العام القابل فيقضى عمرته فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عامه ذلك ورجع في العام القابل في ذى القعدة وقضى عمرته سنة سبع من الهجرة فذلك معنى قوله تعالى الشهر الحرام يعنى ذا القعدة الذى دخلتم فيه مكة وقضيتم عمرتكم سنة سبع بالشهر الحرام ذى القعدة الذى صدوكم فيه عن البيت سنة ست وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ جمع حرمة وانما جمعها لانه اراد حرمة الشهر الحرام وبلد الحرام وحرمة الاحرام والقصاص والمساواة والمماثلة وهو ان يفعل بالفاعل مثل ما فعل وقيل هذا في امر القتل والقتال معناه ان بدؤكم بالقتال في الشهر الحرام فقاتلوهم فيه فانه قصاص بما فعلوا فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ امرهم بطاعة الله وتقواه واخبار بانه تعالى مع الذين اتقوا بالصبر والتاييد في الدنيا والآخرة وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اراد به الجهاد وكل خير هو سبيل الله ولكن اطلاقه ينصرف الى الجهاد وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ قيل الباء في بايديكم صلة وعبر بالايدى عن الانفس كقوله تعالى بما كسبت ايديكم اى بما كسبتم والمعنى ولا تلقوا انفسكم الى التهلكة وقيل الباء في موضعها وفيه حذف اى لا تلقوا انفسكم بايديكم الى التهلكة اي الهلاك وقيل التهلكة كل شئ يصير عاقبته الى الهلاك وقيل الهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه قال ابن عباس في هذه الآية انفق في سبيل الله وان لم يكن لك الا سهم او مشقص ولا يقولن احدكم انى لا اجد شيئا روى البخارى باسناده ان الآية نزلت في النفقة وقال الحسن البصرى هو البخل وقال سعيد بن المسيب ومقاتل لما امر الله بالانفاق قال رجل امرنا بالنفقة في سبيل الله ولو انفقنا اموالنا بقينا فقراء فانزل الله تعالى هذه الآية روى محيى السنة باسناده عن عياض بن عصف قال اتينا ابا عبيدة نعوده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة ومن انفق نفقة على اهله فحسنة بعشر امثالها وقال زيد بن اسلم كان رجال يخرجون في البعوث بغير نفقة فاما ان يقطع بهم واما ان كانوا عيالا فامرهم الله عز وجل بالانفاق على انفسهم في سبيل الله ومن لم يكن عنده شئ ينفقه فلا يخرج بغير نفقة ولا قوة فيلقى بيده الى التهلكة فالتهلكة ان يهلك من الجوع والعطش او من المشى وقيل نزلت الآية في ترك الجهاد قال ابو ايوب الانصارى نزل فينا معشر الانصار وذلك ان الله تعالى لما اعز دينه ونصر رسوله قلنا فيما بيننا انا قد تركنا اهلنا واموالنا حتى فشا الاسلام ونصر الله نبيه فلو رجعنا الى اهلنا واموالنا فاقمنا فيها واصلحنا ما ضاع منها فانزل الله تعالى وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة والتهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد فما زال

سلام

ابو ايوب يجاهد في سبيل الله حتى كان اخر غزوة غزاها بقسطنطنية في زمن معاوية فتوفي هنالك ودفن
في اصل سور قسطنطنية وهم يستسقون به وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من النفاق وقال
محمد بن سيرين الالقاء الى التهلكة هو القنوط من رحمة الله قال ابو قلابة هو الرجل يصيب الذنب فيقول
قد هلكت ليس لي توبة فييأس من رحمة الله وينهمك في المعاصي فنهاهم الله عن ذلك قال الله تعالى
انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ لما امر بالانفاق
في سبيل الله ووجوه الطاعات وخاصة صرف الاموال في قتال الاعداء وبذلها فيما تقوى به المسلمون
على عدوهم والاخبار عن ترك ذلك هلاك ودمار لمن لزمه واعتاده امر بالاحسان وهو اعلى مقام الطاعة
فقال واحسنوا ان الله يحب المحسنين قال الكاشف الانفاق على ثلثة احوال نفقة الزاهدين ونفقة
المحبين ونفقة العارفين اما نفقة الزاهدين فهو ترك جميع الدنيا لذاتها لاهلها حتى استمتع بها الا تام
وبذل نفوسهم لله في ايام الله واما نفقة المحبين فاعطاء ما نالوه من الحق لاهل الحق واما نفقة العارفين
فبذل الارواح في مقام الفناء من وجدان غير الحق في اسرارهم امرهم الله تعالى بالاعراض عن الكون
مع استطابة احوالهم بلذائذ المحبة والدخول في مقام الاحسان لان الاحسان اعلى المراتب من مرتبة اهل
المشاهدة اعلمهم الله تعالى ان لا ينالوا حقيقة المشاهدة الا ببذل حيوتهم لاهل خالصة للحق واخبر ان مقام
الاحسان مقرون بالمحبة لاجل ذلك قال واحسنوا ان الله يحب المحسنين ومن فاته الاحسان احتجب عن
المشاهدة وهلك في قبضة بطش النفس متحيرا في هاوية هواها مصروعة في ورطة هوساتها وَأَتِمُّوا الْحَجَّ
وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ لما ذكر الله تعالى احكام الصيام وعطف بذكر الجهاد شرع في بيان المناسك فامر باتمام الحج
والعمرة قال ابن عباس وغيره تمامهما ان يحرم من اهلك لا تريد الا الحج والعمرة تهل من الميقات ليس ان
تخرج لتجارة ولا لحاجة حتى اذا كنت قريبا من مكة قلت لو حججت او اعتمرت وذلك يجزي ولكن التمام
ان تخرج له ولا تخرج لغيره قال الشيخ ابن الكثير قال عبد الرزاق عن الزهري قال بلغنا ان عمر قال في قول
الله تعالى واتموا الحج والعمرة لله من تمامهما ان يفرد كل واحد منهما عن الآخر وان يعتمر في غير اشهر
الحج ان الله تعالى يقول الحج اشهر معلومات وقال هشيم عن ابن عون سمعت القسم بن محمد يقول ان
العمرة في اشهر الحج ليس بتامه فقيل له فالعمرة في المحرم قال كانوا يرونها تامه وكذا روى عن قتادة بن دعامة
وهذا القول فيه نظر لانه قد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر اربع عمر كلها في ذي القعدة
عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ست وعمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع وعمرة الجعرانة في ذي القعدة
سنة ثمان وعمرته مع حجته احرم بهما معا في ذي القعدة سنة عشر ولا اعتمر قط في غير ذلك بعد هجرته التم
ولكن قال لتلك المراة عمرة في رمضان تعدل حجة معي وما ذاك الا لانها كانت قد عزمت على الحج معه

فاعتاقت صلى الله عليه وسلم

فاعتاقت عن ذلك بسبب الطهر كما هو مبسوط في الحديث عند البخاري ونص سعيد بن جبير على انه
من خصايصهما والله اعلم وقد وردت احاديث كثيرة من طرق متعددة عن انس وجماعة من الصحابة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع في احرامه بحج وعمرة وثبت عنه في الصحيح انه قال لاصحابه من كان معه
هدي فليهل بحج وعمرة وقال في الصحيح دخلت العمرة في الحج الى يوم القيمة وقال الضحاك اتمامهما ان يكون النفقة
حلالا وينتهي عما نهى الله تعالى عنه واتفقت الامة على وجوب الحج على من استطاع اليه سبيلا واختلفوا
في وجوب العمرة فذهب اكثر اهل العلم الى وجوبها وهو قول عمر وعلي وابن عمر عن ابن عباس رضي الله عنهما
انه قال والله ان العمرة لقرينة الحج في كتاب الله تعالى واتموا الحج والعمرة لله واصح قولي الشافعي رضي الله عنه
وذهب قوم الى انها سنة واليه ذهب مالك واهل العراق روى محيي السنة باسناده عن عبد الله بن مسعود
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة فانهما ينفيان الفقر والذنوب كما
ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة جزاء الا الجنة واتفقت الامة على انه يجوز
اداء الحج والعمرة على ثلثة اوجه الافراد والتمتع والقران فصورة الافراد ان يفرد الحج ثم بعد الفراغ منه
يعتمر وصورة التمتع ان يعتمر في اشهر الحج ثم بعد الفراغ من اعمال العمرة يحرم بالحج من مكة فيحج في هذا العام مكة مع
وصورة القران ان يحرم بالحج والعمرة معا او يحرم بالعمرة ثم يدخل عليها الحج قبل ان يفتتح الطواف فيصير
قارنا قال الكاشف في قوله تعالى واتموا الحج والعمرة لله اوجب الحق سبحانه وتعالى على وفد اهل
الحقيقة اتمام مقاصدهم الى بساط القربة بان يتجردوا عن الكائنات في توجههم الى مزار القدم وان يخرجوا
من الحوادث بنعت التجريد والتفريد طلبا لفناءهم ببقاءه في تحقيق التوحيد وان يغتسلوا من شوائب
البشرية واوساخ الطبيعة في انهار المعرفة وان يلبسوا احرام العبودية لقصدهم عرفان الربوبية ويتموا
اجابة الحق باداء ما افترض عليهم من بذل النفوس في العبودية والارواح في سلطنة الربوبية ليقرن
اجابة الظاهر باجابة الباطن لانهم اجابوا الحق في بدو امرهم اذ قالوا بلى فيستدعي الله عنهم اتمام
ميثاق الاول ويذكرهم عهد الاول من تعريف نفسه اليهم ليتاهبوا في امر الظاهر اتمام حقيقة
الاجابة بان يقولوا لبيك فالحج لاهل التمكين والعمرة لاهل التلوين واتمام الحج البلوغ الى رؤية الربوبية
واتمام العمرة الوصول الى حقيقة العبودية قوله لله اي اخلصوا في اتمامها لله حتى تجدوا اما مولكم
في الله فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ اي منعتم يقال حصره العدو واحصره اذا حبسه ومنعه عن المضي ذكروا
ان هذه الآية نزلت في سنة ست اي عام الحديبية حين حال المشركون بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين الوصول الى البيت وانزل الله في ذلك سورة الفتح بكمالها وانزل لهم رخصة ان يذبحوا ما معهم
من الهدي وكان سبعين بدنة وان يتحللوا من احرامهم فعند ذلك امرهم عليه الصلوة
والسلام بان يحلقوا رؤسهم ويتحللوا فلم يفعلوا انتظارا للنسخ حتى خرج فحلق راسه ففعل

الناس وكان منهم من قصر راسه ولم يحلقه فلذلك قال صلى الله عليه وسلم رحم الله المحلقين قالوا
والمقصرين يا رسول الله فقال في الثالثة والمقصرين وقد كانوا اشتركوا في هديهم ذلك كل سبعة في
بدنة وكانوا الفا واربعماية وكان منزلهم بالحديبية خارج الحرم وقيل بل كانوا على طرف الحرم والله اعلم
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ اي فعليكم ما تيسر من الهدي والهدى جمع هديه وهي اسم لكل ما يهدي
الى بيت الله عز وجل تقربا اليه وما استيسر من الهدي شاة قاله علي بن ابي طالب وابن عباس رضي الله
عنهم لانه اقرب الى اليسر قال الحسن وقتادة اعلاه بدنة واوسطه بقرة وادناه شاة وعن ابن عباس
الهدي من الازواج الثمانية من الابل والبقر والمعز والضان واختلف العلماء في الاحصار الذي
يبيح للمحرم التحلل من احرامه فذهب جماعة الى ان كل مانع منعه من الوصول الى البيت الحرام والمضي
في احرامه من عدو او مرض او جرح او ذهاب نفقة او ضلال راحلة يبيح له التحلل وبه قال ابن
مسعود والحسن وجماعة وعليه قول ابي حنيفة رضي الله عنه وذهب جماعة الى انه لا يباح له التحلل
الا بحبس العدو وهو قول ابن عباس لا حصر الا حصر العدو واما من اصابه مرض او وجع او ضلال
فليس له شئ وروى معناه عن ابن عمر وعليه الشافعي رضي الله عنه واحمد والآية نزلت في قصة الحديبية
وكان حبسا من جهة العدو ويدل على ما ذهبوا اليه قوله تعالى في سياق الآية فاذا امنتم والامن يكون
من الخوف وضعفوا هولاء حديث الحجاج بن عمرو انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كسر او مرض
فقد حل وعليه الحج من قابل وتاوله بعضهم وقال انما يحل بالكسر والعرج اذا كان قد شرط في عقد الاحرام
لما روي ان ضباعة بنت الزبير كانت وجعة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجي واشترطي وقولي
اللهم محلي حيث حبستني وقد علق الامام الشافعي القول بصحة الاشتراط على صحة هذا الحديث قال البيهقي
وغيره من الحفاظ وقد صح قال الكاشف اي ان منعكم اوصاف البشرية عن الطيران في هواء الحقيقة
وحبسكم حب الابتداء في امتحان الطبيعة فلا تملوا عن حقيقة الطريقة والشوق في المشاهدة وابذلوا طلبهم
انفسكم هديا لله ليرشدكم بشفقته عليكم الى اوطان المشاهدات ويبلغكم حقيقة القربات وايضا فان
حبستكم غيرة الحق عن الوصول اليه بسبب ما فتحللوا من قبل انفسكم حيث اوقفكم واشتغلوا بالعبودية
عن الربوبية لان في غيرة الحق امارات منع اولياء الله عن السير في قربة الحق وذلك بان القلوب اذا امرضت
وسقمت عن الجد في طلب الحقيقة وسكنت بحظوظ البشرية فاثابها بالاحصار في ورطات الطبيعة
وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ حيث يحل ذبحه فيه وهو الموضع الذي احصر فيه
سواء كان في الحل او الحرم وقال بعضهم محل هدى المحصر الحرم فان كان حاجا فمحله يوم النحر وان كان
معتمرا فمحله يوم يبلغ هديه الحرم فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ معناه لا تحلقوا
رؤسكم في حال الاحرام الا ان يضطروا الى حلقه لمرض او اذى في الراس من هوام او صداع

ففدية

فَفِدْيَةٌ فيه اضمار اي فحلق فعليه فدية نزلت في كعب بن عجرة روى عنه الامام احمد وغيره ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم راه وقمله يسقط على وجهه فقال اتوذيك هوامك قال نعم فامره رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يحلق وهو بالحديبية لم يتبين لهم انهم يحلقون بها وهم على طمع ان يدخلوا
مكة فانزل الله تعالى الفدية فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يطعم فرقا بين ستة مساكين او يهدي
شاة او يصوم ثلثة ايام مِنْ صِيَامٍ اي ثلثة ايام أَوْ صَدَقَةٍ اي ثلثة آصع على ستة مساكين لكل مسكين نصف
صاع أَوْ نُسُكٍ واحدتها نسيكة اي ذبيحة اعلاها بدنة واوسطها بقرة وادناها شاة واسها شاة فهذه الفدية
على التخيير يتخير بين ان يذبح او يصوم او يتصدق وكل هدي او طعام يلزم المحرم يكون بمكة ويتصدق به
على مساكين الحرم الا الهدي يلزم المحصر فانه يذبحه حيث احصر اما الصوم فله ان يصوم حيث يشاء فَإِذَا
أَمِنْتُمْ اي من خوفكم وبرئتم من مرضكم فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ قال ابن عباس
وجماعة هو الرجل يقدم معتمرا من افق من الآفاق في اشهر الحج فقضى عمرته واقام حلالا بمكة حتى انشا منها
الحج فحج من عامه ذلك فيكون مستمتعا بالاحلال من العمرة الى احرامه بالحج فمعنى التمتع هو الاستمتاع بعد
الخروج من العمرة بما كان محظورا عليه في الاحرام الى احرامه بالحج ولوجوب دم التمتع اربع شرايط احدها
ان يحرم بالعمرة في اشهر الحج والثاني ان يحج بعد الفراغ من العمرة في هذه السنة والثالث ان يحرم بالحج في مكة
ولا يعود الى الميقات لاحرامه والرابع ان لا يكون من حاضري المسجد الحرام ومتى وجدت هذه الشرايط
فعليه ما استيسر من الهدي وهو دم شاة يذبحها يوم النحر فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ في ايام
الاشتغال به بعد الاحرام وقبل التحلل والاحب ان يصوم سابع ذي الحجة وثامنه وتاسعه ولا يجوز
يوم النحر وايام التشريق عند عامة اهل العلم وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ الى اهلكم وبلدكم فلو صام قبل
الرجوع الى اهله لم يجز وهو قول اكثر اهل العلم وقيل يجوز ان يصومها بعد فراغه من اعمال الحج وهو
المراد من الرجوع المذكور في الآية تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ فيما اريد به من اقامة الصوم بدل الهدي وقيل كاملة
في الثواب والاجر وقيل كاملة بشروطها وحدودها وقيل لفظه خبر ومعناه امر اي فاكملوها ولا تنقصوها
وقيل تاكيد كما تقول العرب رايت بعيني ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ واختلفوا في
حاضري المسجد الحرام فذهب قوم الى انهم اهل مكة وهو قول مالك وقيل اهل الحرم وهو قول طاوس
وقال الشافعي رحمه الله كل من كان وطنه من مكة على اقل من مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام
وقيل هم من اهل الميقات فما دونه وهو قول اصحاب الراي قال عكرمة سئل ابن عباس رضي الله عنه
عن متعة الحج فقال اهل المهاجرون والانصار وازواج النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع واهللنا
فلما قدمنا مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدي فطفنا
بالبيت وبالصفا والمروة واتينا النساء ولبسنا الثياب ثم امرنا عشية التروية ان نهل بالحج فاذا فرغنا

فقد حجنا وعلينا الهدى فجمع المسكين فى عام بين الحج والعمرة فانزله فى كتابه وسنة نبيه واباحه
للناس غير اهل مكة قال الله ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام فعند ابن عباس ذلك
اشارة الى التمتع كما هو عند ابى حنيفة رضى الله عنه لانه لامتعة ولا قران لحاضرى المسجد الحرام
عنده فمن فعل ذلك منهم فعليه دم جناية وَاتَّقُوا اللّٰهَ فى اداء الاوامر وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
على ارتكاب النواهى الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ اى وقت الحج اشهر معلومات وهى شوال وذو القعدة
وتسع من ذى الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر ويروى عن ابن عمر شوال وذو القعدة وعشر من
ذى الحجة قال محيي السنة وكل واحد من اللفظين صحيح غير مختلف فمن قال عشر عبر به عن الليالى
ومن قال تسع عبر به عن الايام فان اخر ايامها يوم عرفة وهو اليوم التاسع قال الكاشف بين
الله مواقيت العباد لئلا يستام عباده عن خدمته ويتقوا بقصورهم فى معه وانضاحى سكن اهل
المعرفة عن اعمال العبودية فى بسطهم برؤية الربوبية واستقالهم عشاهدة الرحمن عن زحمة الامتحان
وقت الحق لاهل خالصيه فى سلوكهم واشارتهم بساط القربة اماكن الصفا والوفا والطمانينة فى التمكين
وجمع الطهر ليعرفوا ان القصد لاينتهيا الى بساطه الا فى هذه الاوقات المعلومة قال النصرابادى وقت
الله العبادات باوقات ليتأهب لها قبل اوانها باداء الطهارة ولم يوقت المعرفة لئلا يخلى العبد سر
عن مراقبة المشاهدة بحال فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ اى فمن اوجب على نفسه بالاحرام والتلبية وفيه دليل
على من احرم بالحج فى غير اشهر الحج لا ينعقد احرامه بالحج وهو قول ابن عباس وجماعة واليه ذهب
الشافعى رحمه الله وقال ينعقد بالعمرة لان الله تعالى خص هذه الاشهر بفرض الحج فيها فلو انعقد فى غيرها
لم يكن لهذا التخصيص فائدة كما انه علق الصلوات بالمواقيت ثم من احرم بفرض الصلوة قبل دخول
وقته لم ينعقد احرامه عن الفرض وذهب جماعة الى انه ينعقد احرامه بالحج وهو قول مالك وابى حنيفة
رضى الله عنهما اما العمرة فجميع السنة وقت لها الا ان يكون متلبسا بالحج روى عن انس انه كان بمكة فكان اذا
حمم راسه خرج واعتمر فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ قال علي ابى طلحة عن ابن عباس الرفث غشيان النساء
والقبل والغمز وان يعرض لها بالفحش من الكلام قال طاوس الرفث التعريض للنساء بالجماع وذكره بين
ايديهن وَلَا فُسُوقَ فقد قال ابن عباس ومجاهد هو المعاصى كلها وقال ابن عمر هو ما نهى عنه المحرم فى حال
الاحرام من قتل الصيد وتقليم الاظفار واخذ الشعور وما اشبهها وقال مجاهد وعطاء وغيرهما هو السباب
بدليل قوله صلى الله عليه وسلم سباب المسلم فسوق وقال الضحاك هو التنابز بالالقاب بدليل قوله تعالى ولا
تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان عن ابى هريرة سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول من
حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته امه وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ قال ابن مسعود وابن عباس رضى
الله عنهما الجدال ان يمارى صاحبه ويخاصمه حتى يغضبه وقال القاسم بن محمد هو ان يقول بعضهم الحج اليوم

امام

ويقول بعضهم

ويقول بعضهم الحج غدا وقال القرطبى كانت قريش اذا اجتمعت بمنى قال هولاء حجنا اتم من حجكم
وقال هولاء حجنا اتم وقال مقاتل هو ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم فى حجة الوداع وقد احرموا
بالحج اجعلوا اهلالكم بالحج عمرة الا من قلد الهدى قالوا كيف نجعلها عمرة وقد سمينا الحج فهذا جدالهم وقال
ابن زيد كانوا يقفون مواقف مختلفة كلهم يزعم ان موقفه موقف ابراهيم يتجادلون فيه وقيل
هو ما كان عليه اهل الجاهلية كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بمزدلفة وكان بعضهم يحج فى ذى القعدة
وبعضهم فى ذى الحجة وكل يقول ما فعلته هو الصواب فقال جل ذكره ولا جدال فى الحج اى استقر امر الحج
على ما فعله الرسول صلى الله عليه وسلم فلا اختلاف فيه من بعد وذلك معنى قول النبى صلى الله عليه
وسلم الا ان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والارض وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ
اللّٰهُ اى لا يخفى عليه فيجازيكم به وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ نزلت فى ناس من اهل اليمن
كانوا يخرجون الى الحج بغير زاد ويقولون نحن متوكلون ويقولون نحج بيت الله فلا يطعمنا واذا قدموا
مكة سالوا الناس وربما يفضى الحال بهم الى النهب والغصب فقال جل ذكره وتزودوا ما تبلغون به فان
خير الزاد التقوى من السؤال والنهب والكف عن الناس قال الكاشف اى اجتنبوا عن الالتفات الى
غيرى فى استقبالكم الى فانى زادكم فى جميع الاحوال ولا يحتاجون الى احد سواى وايضا اذا اردتم
ان تقطعوا مفازة العبودية وفلوات الازلية فتزودوا على مراكب القلوب نور الانانية للارواح
العاشقة فى سير الغيوب وخافوا عن فقدى فان خير الزاد فى طلب وصلى الافتقاد الى مخافة فقدان
قربى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ باذوى العقول لانكم اهل الخصوص بانوار العقول فمن تعقلنى بنعت
العظمة لا يسكن روعته فى دار امتحانى وتزودوا فان خير الزاد التقوى هو خطاب للخاص لانه لا زاد للعارف
سوى معروفه ولا للمحب سوى محبوبه وانشد اذا نحن ادلجنا فانت امامنا كفى لمطايانا بلقياك هاديا
لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ عن ابن عباس قال كانت اسواقا فى الجاهلية عكاظ ومجنة
وذو المجاز فلما كان الاسلام تأثموا من التجارة فيها فانزل الله تعالى ليس عليكم جناح اى فى مواسم الحج فَإِذَا
أَفَضْتُمْ اى دفعتم انفسكم والافاضة دفع بكثرة واصله من قول العرب افاض الرجل ماءه اى صبه مِنْ
عَرَفَاتٍ اختلفوا فى المعنى الذى لاجله سمى الموقف عرفات واليوم عرفة فقال عطاء كان جبرئيل عليه السلام
يرى ابرهيم المناسك فيقول عرفت فسمى لاجل ذلك المكان عرفات واليوم عرفة وقال الضحاك ان آدم لما
اهبط الى الارض وقع بالهند وحوا بجدة فجعل كل واحد يطلب صاحبه فاجتمعا بعرفات يوم عرفة وتعارفا
فسمى اليوم عرفة والموضع عرفات وقال السدى لما اذن ابرهيم فى الناس بالحج واجابوه بالتلبية واتاه
من اتاه امره الله ان يخرج الى عرفات ونعتها له فخرج فلما بلغ الشجرة عند العقبة استقبله الشيطان يرده
فرماه بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة فطار فوقع على الجمرة الثانية فرماه وكبر فطار فوقع على الجمرة

الثالثة فرماه وكبر فلما راى الشيطان انه لا يطيعه ذهب فانطلق ابرهيم حتى اتى ذا المجاز فلما نظر اليه لم
يعرفه فجاز فسمى ذو المجاز ثم انطلق حتى وقف بعرفات فعرفها بالنعت فسمى عرفة والموضع عرفات
حتى اذا امسى ازدلف اى جمع فسمى المزدلفة وروى عن ابى صالح عن ابن عباس ان ابرهيم عليه السلام
راى ليلة التروية فى منامه انه يؤمر بذبح ابنه فلما اصبح روى يومه اجمع اى فكر امن الله ام من الشيطان
فسمى اليوم يوم التروية ثم راى ذلك ليلة عرفة ثانيا فلما اصبح عرف ان ذلك من الله فسمى اليوم عرفة وقيل
سمى بذلك لان الناس يعترفون فى ذلك اليوم بذنوبهم وقيل سمى بذلك لانه من العرف وهو الطيب وسمى
منى لانه يمنى فيه الدم اى يصب فيكون فيه الفروث والدماء فلا يكون الموضع طيبا وعرفات طاهرة عنها
فيكون طيبة فَاذْكُرُوا اللّٰهَ بالدعاء والتلبية عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ عن الزهرى عن سالم قال قال ابن عمر
المشعر الحرام المزدلفة كلها وسمى مشعرا لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لانه داخل الحرم قال القاضى
المشعر الحرام جبل يقف عليه الامام ويسمى قزح ومعنى عند المشعر الحرام مما يليه ويقرب منه فانه افضل
والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادى محسر وفى حديث جابر بن عبد الله الطويل الذى فى صحيح مسلم ولم يزل
واقفا يعنى بعرفة حتى غربت الشمس وبدت الصفرة قليلا حتى غابت القرص واردف اسامة خلفه ودفع
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد شنق للقصوى الزمام حتى ان راسها ليصيب مورك رحله ويقول
بيده اليمنى ايها الناس السكينة السكينة كلما اتى جبلا من الجبال ارخى لها قليلا حتى تصعد حتى اتى المزدلفة
فصلى بها المغرب والعشاء باذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيئا ثم اضطجع حتى طلع الفجر حتى
تبين له الصبح باذان واقامة ثم ركب القصوى حتى اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة فدعا الله وكبره
وهلله ووحده فلم يزل واقفا حتى اسفر جدا فدفع قبل ان تطلع الشمس قال الشيخ ابن الكثير وقال عبد
الرزاق انا معمر عن المغيرة عن ابرهيم قال رآهم ابن عمر يزدحمون على قزح فقال على ما يزدحم هولاء
كل ما ههنا مشعر وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد والحسن وغيرهم انهم قالوا ما بين
الجبلين اى ما بين جبل المزدلفة وقال ابن جريج قلت لعطاء اين المزدلفة قال اذا انصببت من مازمى
عرفة فذلك الى محسر قال وليس المازمان مازما عرفة من المزدلفة لكن مفضاهما قال نقف بينهما ان شئت
واحب ان تقف دون قزح هلم الينا من اجل طريق الناس روى محيي السنة باسناده عن ابن عباس رضى الله
عنهما ان اسامة بن زيد كان ردف النبى صلى الله عليه وسلم من عرفة الى مزدلفة ثم اردف الفضل بن عباس
من المزدلفة الى منى قال وكلاهما قالا لم يزل النبى صلى الله عليه وسلم يلبى حتى رمى جمرة العقبة وَاذْكُرُوهُ
بالتوحيد والتعظيم كَمَا هَدَاكُمْ كما علمكم مناسك حجه وامور دينه قال الكاشف اى اذكروه بلسان عرفان
نعم تعريف نفسه لكم كما هديكم الى معرفته وخصايص قربته وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ الجاهلين
بالايمان والطاعة ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ قال اهل التفسير كانت قريش وحلفاؤها ومن

الوقت م

هذه الرويا م

شنق البعير اشنقه اذا كففته بزمامه وانت راكبه صحاح

فصلى الجوام

دان بدينها

دان بدينها وهم الحمس يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخلف الحرم ولا
نخرج منها ويتعظمون ان يقفوا مع سائر العرب بعرفات وسائر الناس كانوا يقفون بعرفات فاذا افاض
الناس من عرفات الحمس من المزدلفة فامرهم الله تعالى ان يقفوا بعرفات ويفيضوا منها الى جمع
مع سائر الناس واخبرهم الله تعالى انه سنة ابرهيم واسمعيل عليهما السلام قال الكاشف اى اذا بلغتم
مقام مشاهدة المذكور بعد احتراقكم بانوار ذكره اشتغلوا عما اشتغل به العوام من رسم العبادات لكيلا
تغرقوا فى بحار الوجد وَاسْتَغْفِرُوا اللّٰهَ إِنَّ اللّٰهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ كثيرا ما يامر الله بذكره بعد قضاء العبادات
ثبت فى صحيح مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا فرغ من الصلوة يستغفر ثلثا وقد روى
ابن جرير ههنا حديث العباس بن مرداس السلمى فى استغفاره لامته عشية عرفة وفى الصحيحين عن
عبد الله بن عمرو ان ابا بكر رضى الله عنه قال يا رسول الله علمنى دعاء ادعو به فى صلوتى قال قل اللهم
انى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى انك انت الغفور
الرحيم واورد ابن مردويه ههنا الحديث الذى رواه البخارى عن شداد بن اوس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار ان تقول اللهم انت ربى لا اله الا انت خلقتنى وانا عبدك
وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك على وابوء بذنبى فاغفر لى
فانه لا يغفر الذنوب الا انت من قالها فى ليلة فمات من ليلته دخل الجنة ومن قالها فى يومه فمات دخل الجنة
قال الكاشف واستغفروا الله من فترتكم من الاحوال واشتغالكم بالاعمال ان الله غفور رحيم تقصيركم
فما وجب عليكم من حق معرفته رحيم بان يزيدكم الى حالاتكم ومقاماتكم وقال الاستاد ابو القسم القشيرى
الاشارة فيه ان لا تعلم نفسك بما تمتاز عن اشكالك فى الظاهر لا بلبسة ولا بخرقة وصبغة بل تكون كواحد
من الناس واذا خطر ببالك انك فعلت شيئا راو بك اولك او منك شئ فاستغفر الله عز وجل وجدد ايمانك
لك فانه شرك خاطر قلبك فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ اى فرغتم من حجكم فَاذْكُرُوا اللّٰهَ بالتكبير والتحميد و
الثناء عليه كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ وذلك ان العرب كانت اذا فرغت من الحج وقفت عند البيت فذكرت مفاخر
آبائها فامرهم الله بذكره وقال فاذكرونى فانا الذى فعلت ذلك بكم وبابائكم واحسنت اليكم واليهم
قال ابن عباس وعطاء معناه فاذكروا الله كذكر الصبيان الصغار الآباء وذلك ان الصبى اول ما يتكلم يلهج
بذكر ابيه لا يذكر غيره فيقول الله تعالى فاذكروا الله لا غير كذكر الصبى اباه أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا سئل ابن عباس
عن قوله فاذكروا الله كذكركم اباكم فقيل قد ياتى على الرجل اليوم لا يذكر فيه اباه فقال ابن عباس ليس كذلك
ولكن ان يغضب لله عز وجل اذا عصى اشد من غضبك لوالديك اذا شتما وقوله او اشد ذكرا يعنى بل
اشد واكثر قال الكاشف فاذكرونى كذكر الطفل اباه فى جميع ما اراد لانه ياوى اليه فى جميع مراده ولانه
يعلم انه لا ملجا الا اليه فادب الله تعالى بهذه الآية شرائط العبودية بنعت الذكر وايضا وبخ الله تعالى

على م

عباده بذكرهم غير ربهم و هذا المعنى مبهم على اكثر الفهوم و قيل معناه انك تذكر احسان ابيك اليك فتذكره بذلك ابدا او احسانى اليك اقدم و اكثر فاذكرونى كما تذكر اباك سئل ابو يعقوب المكى كيف يذكر الحق كذكر الاب فقال اعلم انه اذا ضربك فانه اذبك لحبه لك و اذا سلبك فاعلم انه اعطاك لقربه منك و ليس سوء الظن به لشفقته عليك فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا اراد به المشركين كانوا يسئلون الله فى الحج الا الدنيا فيقولون اللهم اعطنا غنما و ابلا و بقرا و عبيدا و كان الرجل يقوم فيقول اللهم ان ابى عظيم القبة كثير الجفنة كثير المال فاعطنى مثل ما اعطيته وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ حظ و نصيب وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ يعنى المؤمنين و اختلفوا فى معنى الحسنتين فقال على ابن ابى طالب رضى الله عنه فى الدنيا امرأة صالحة و فى الاخرة الجنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا كلها متاع و خير متاعها المرأة الصالحة و قال الحسن فى الدنيا حسنة العلم و العبادة و فى الاخرة حسنة المغفرة و الثواب عن ابى امامة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اغبط اوليائى عندى لمؤمن خفيف الحاذ ذو حظ من الصلوة احسن عبادة ربه و اطاعه فى السر و كان غامضا فى الناس لا يشار اليه بالاصابع و كان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نقد بيده فقال هكذا عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه عن انس قال يا رسول الله كنت اقول اللهم ما كنت معاقبى به فى الآخرة فعجله فى الدنيا فقال سبحان الله لا يستطيعه او لا يطيقه هلا قلت اللهم آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار و عن انس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الاخرة حسنة و قنا عذاب النار عن عبد الله بن السائب على ما رواه الامام احمد و غيره انه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول فيما بين ركن بنى جمح و الركن الاسود ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الاخرة حسنة و قنا عذاب [النار] و روى الامام احمد باسناده انه سئل قتاده اى دعوة كانت اكثر يدعو بها النبى صلى الله عليه وسلم قال كان اكثر دعوة يدعو بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار و كان انس اذا اراد ان يدعو بدعوة دعا بها و اذا اراد ان يدعو بدعاء دعا بها فيه و رواه مسلم و روى ابن مردويه باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مررت على الركن الا رأيت عليه ملكا يقول آمين فاذا مررتم عليه فقولوا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار قال الكاشف حسنة الدنيا معرفة الله و طلب مرضاته بترك الاشتغال بالدنيا و حسنة الاخرة مشاهدة الله تعالى و الاشتغال به عن نعيم الاخرة و قنا عذاب النار اى و قنا عذاب الحجاب باحتراقنا فى نيران شهوات نعيم الدنيا و نعيم الآخرة و ايضا حسنة الدنيا اليقين و حسنة الاخرة الكشف و ايضا حسنة الدنيا الذكر الصافى فى خاطر صاف على دوام المراقبة بلا غبار الكدورة و حسنة الآخرة الغيبة عن الذكر بمشاهدة المذكور و قيل حسنة الدنيا الاعراض

خفیف الحاذ ای خفیف الظهر صح

قال رای رسول الله صلی الله علیه وسلم رجلا قد صار مثل الفرخ فقال هل کنت تدعو الله بشیء او تساله ایاه صح

النار صح

عنها و حسنة الآخرة ترك الاشتغال بها و قنا عذاب النار و قنا نيران شهواتها فان ما شغل عنك فهو مشئوم و قال ابن عطاء القناعة بالرزق و الرضا بالقضا و قيل آتنا فى الدنيا محبة و فى الآخرة قربة و قنا نيران القطيعة و الفرقة أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا اى من اجل ما كسبوا من الخير و الدعا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ قال الحسن اسرع من لمح البصر و قيل معناه اتيان القيمة قريب لان ما هو كاين لا محالة فهو قريب قال الله تعالى و ما يدريك لعل الساعة قريب فبادروا الى الطاعات و اكتساب الحسنات وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ قال ابن عباس الايام المعدودات ايام التشريق و الايام المعلومات ايام العشر و قال عكرمة و اذكروا الله فى ايام معدودات يعنى التكبير ايام التشريق بعد الصلوات المكتوبات الله اكبر الله اكبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام التشريق ايام اكل و شرب و ذكر الله و لفظ التكبير كان سعيد بن جبير و الحسن يقولان الله اكبر الله اكبر الله اكبر ثلثا نسقا قال محيى السنة و هو قول اهل المدينة و الىه ذهب الشافعى و ما زاد من ذكر الله فهو حسن و عند اهل العراق يكبر اثنين و يروى ذلك عن ابن مسعود فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ اراد ان من يفر من الحاج فى اليوم الثانى من ايام التشريق فلا اثم عليه و ذلك ان على الحاج ان يبيت بمنا الليلة الاولى و الثانية من ايام التشريق و يرمى كل يوم بعد الزوال احدا و عشرين حصاة عند كل جمرة سبع حصيات و رخص فى ترك البيتوتة لرعاء الابل و اهل سقاية الحاج ثم كل من رمى اليوم الثانى من ايام التشريق و اراد ان ينفر فيدع البيتوتة الليلة الثالثة و رمى يومها فذلك له واسع لقوله تعالى فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه و من لم ينفر حتى غربت الشمس فعليه ان يبيت حتى يرمى اليوم الثالث ثم ينفر وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ فمن تاخر فى النفر حتى رمى اليوم الثالث بعد الزوال فلا اثم عليه فى تاخره و قال ابو حنيفة رضى الله عنه يجوز تقديم رميه على الزوال و معنى نفى الاثم بالتعجيل و التاخر التخيير بينهما و الرد على اهل الجاهلية فان منهم من اثم المتعجل و منهم من اثم المتاخر قيل معناه رجع مغفورا لا ذنب عليه تعجل او تاخر لما روينا من حج فلم يرفث رجع كيوم ولدته امه هذا قول على و ابن مسعود لِمَنِ اتَّقَى اى لمن اتقى ان يصيب فى حجه شيئا نهاه الله تعالى عنه كما قال عليه السلام من حج و لم يرفث و لم يفسق قال ابن مسعود انما جعلت مغفرة الذنوب لمن اتقى فى حجه و قال ابو العالية ذهب اثمه كله ان اتقى فيما بقى من عمره وَاتَّقُوا اللَّهَ فى مجامع اموركم لتعبايكم وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ للجزاء بعد الاحياء ثم لما بين ان الذين يشهدون مشاعر الحج فريقان كافر و هو الذى يقول ربنا آتنا فى الدنيا و مسلم و هو الذى يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة و فى الاخرة حسنة و قنا [عذاب النار بقى] المنافق فذكره و شرح صفاته و افعاله فقال وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قال الكلبى و مقاتل و عطاء و غيرهم نزلت فى الاخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة و اسمه ابى و سمى الاخنس يوم بدر بتلك خنس من بنى زهرة عن قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم و كان رجلا حلو

لانه خنس صح

اسمه صح

الكلام و حلو المنظر و كان ياتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجالسه و يقول انى لاحبك و يحلف بالله على ذلك و كان منافقا و كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدنى مجلسه فنزل قوله تعالى و من الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا و عن ابن عباس انها نزلت فى نفر من المنافقين تكلموا فى خبيب و اصحابه الذين قتلوا بالرجيع و عابوهم فانزل الله تعالى ذم المنافقين و مدح خبيب و اصحابه و من الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله و قيل بل ذلك عام فى المنافقين كلهم و فى المؤمنين كلهم و هذا قول قتاده و مجاهد و الربيع ابن انس و غير واحد و هو صحيح روى ابن جرير باسناده عن نوف البكالى و كان ممن يقرأ الكتب قال انى لاجد صفة ناس من هذه الامة فى كتاب الله المنزل قوم يحتالون الدنيا بالدين السنتهم احلى من العسل و قلوبهم امر من الصبر يلبسون لباس مسوك الضان و قلوبهم قلوب الذياب فعلى يجترؤن و بى يغترون حلفت بنفسى لابعثن عليهم فتنة تترك الحليم فيهم حيران قال القرظى تدبرت فى القرآن فاذا هم المنافقون فوجدتها و من الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا و يشهد الله على ما فى قلبه الآية و قوله و من الناس من يعبد الله على حرف الآية قوله تعالى يعجبك قوله اى يستحسنه و يعظم فى قلبك فعال فى الاستحسان اعجبنى كذا و فى الانكار و الكراهية عجبت من كذا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ يعنى قول المنافق و الله انى بك مؤمن و لك محب وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ اى شديد الخصومة فى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان ابغض الرجال الى الله عز و جل الالد الخصم وَإِذَا تَوَلَّى اى ادبر و اعرض عنك سَعَى فِي الْأَرْضِ اى عمل فيها و قيل سار فيها و مشى لِيُفْسِدَ فِيهَا قال ابن جريج قطع الرحم و سفك الدماء وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ و ذلك ان الاخنس كانت بينه و بين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا فاحرق زروعهم و اهلك مواشيهم قال مقاتل خرج الى الطايف مقتضيا مالا له على غريم فاحرق له كدسا و عقر له اتانا و النسل نسل كل دابة و الناس منهم و قال الضحاك و اذا تولى اى ملك الامر و صار واليا سعى فى الارض و قال مجاهد فى قوله تعالى و اذا تولى سعى قال اذا ولى فعمل بالعدوان و الظلم امسك المطر و اهلك الحرث و النسل وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ اى لا يرضى بالفساد قال الكاشف هولاء اهل البدع و الاهواء يفتنون هذه الامة و يحجزونهم عن طريق الحق و ينكرون اهل الاصابة و يعيرون اهل الارادة و يصدونهم عن الطريقة اخبر سبحانه و تعالى ان هولاء القوم اذا خرجوا بزينة الابرار و الاتقياء لصرف وجوه الناس اليهم شدوا او سلطهم فى جذب الاموال و جر المنافع حتى فاتوا على الناس كلهم فادخلوا الى اهل العزة و العقيدة القوا بذر الكفر و النفاق و الاهواء المختلفة فى قلوبهم و حصدوا و ازرع الايمان عن صدور ضعفاء المريدين و قطعوا وسيلة الالفة بين السالكين فى الله و الله لا يحب الفساد لا ينصر اهله و يخذلهم فى كل موطن حتى لا تطيقوا ان يطفئوا نور الله بافواههم عن شرح قلوب المؤمنين و قال الاستاد ابو القسم القشيرى الاشارة

اى اذا کان لا یحب الفساد صح



الى اهل

الى اهل الظاهر الذين لم يساعدهم انوار البصيرة فهم مربوطون باحكام الظاهر لا لهم بهذا الحديث ايمان و لا الهذع لهذا استبصار فالواجب صون الاسرار عنهم وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ اى خف الله أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ اى اخذته العزة و حمية الجاهلية على الفعل الذى امر باتقائه لجاجا من قولهم اخذته بكذا اذا حملته و الزمته اياه بالاثم اى بالظلم و العزة التكبر و المنعة و قيل معناه اخذته العزة للاثم الذى فى قلبه فاقام الباء مقام اللام فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ اى كافيه وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ الفراش قال عبد الله بن مسعود ان من اكبر الذنب عند الله ان يقال للعبد اتق الله فيقول عليك بنفسك و روى انه قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه اتق الله فوضع خده على الارض تواضعا لله ثم لما وصف تعالى فى الآية المتقدمة حال من يبذل دينه لطلب الدنيا ذكر حال من يبذل دينه و نفسه و ماله لطلب الدين فقال وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ اى يطلب رضى الله وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ و قد سبق عن ابن عباس ان هذه الآية نزلت فى سرية الرجيع و ذلك ان كفار قريش بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو بالمدينة انا قد اسلمنا فابعث الينا نفرا من علماء اصحابك يعلموننا دينك و كان ذلك مكرا منهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خبيب بن عدى الانصارى و مرثد بن ابى مرثد الغنوى و خالد بن بكير و عبد الله بن طارق بن شهاب البلوى و زيد بن الدثنة و امّر عليهم عاصم بن ثابت الانصارى قال ابو هريرة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة عينا و امّر عليهم عاصم بن ثابت الانصارى فساروا فنزلوا ببطن الرجيع بين مكة و المدينة و معهم تمر عجوة فاكلوا فمرت عجوز فابصرت النوى فرجعت الى قومها بمكة و قالت قد سلك هذا الطريق اهل يثرب من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فركب سبعون رجلا معهم الرماح حتى احاطوا بهم و قال ابو هريرة رضى الله عنه ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا لهم قريبا من مائة رجل رام فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا ماكلهم التمر فى منزل نزلوه فقالوا تمر يثرب فاتبعوا آثارهم فلما احس بهم عاصم و اصحابه لجأوا الى فدفد فاحاط بهم القوم فقتلوا مرثدا و خالدا و عبد الله بن طارق و نثر عاصم بن ثابت كنانته فيها سبعة اسهم فقتل بكل سهم رجلا من عظماء المشركين ثم قال اللهم انى حميت دينك صدر النهار فاحم لحمى آخر النهار ثم احاط به المشركون فقتلوه فلما قتلوه ارادوا جز راسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد بن سهيل و كانت قد نذرت حين اصاب ابنها يوم احد لئن قدرت على راس عاصم لتشربن فى قحفه الخمر فارسل الله عز و جل رجلا من الدبر و هى الزنابير فحمت عاصم [بن] ثابت فلم يقدروا عليه فسمى حمى الدبر فقالوا دعوه حتى يمسى فيذهب عنه فناخذه فجاءت سحابة سوداء فمطرت مطرا كالعزالى فبعث الله الوادى فاحتمل عاصما فذهب به الى الجنة و حمل خمسين من المشركين الى النار و كان عاصم قد اعطى الله عهدا ان لا يمسه مشرك و لا يمس مشركا ابدا و كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول حين بلغه ان الدبر منعته عجبا لحفظ الله العبد المؤمن كان عاصم نذر ان لا يمسه مشرك و لا يمس مشركا

ابدا فبعد اسه بعد وفاته كما متع في حيوته واسر المشركون خبيب بن عدي و زيد الدثنه فذهبوا بهما
الى مكه فاما خبيب فابتاعه بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف ليقتلوه بابيهم وكان خبيب هو قتل
الحارث يوم بدر فلبث خبيب عندهم اسيرا حتى اجمعوا على قتله فاستعار من بعض بنات الحارث
موسى ليستحد بها فاعارت فدرج بني لها وهي غافلة فراعت المرأة الا بخبيب قد اجلس الصبي على فخذه
والموسى بيده فصاحت المرأة فقال خبيب اتخشين ان اقتله ما كنت لافعل ذلك ان الغدر ليس من شاننا
فقالت المراة بعد والله ما رايت اسيرا خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما ياكل قطفا من عنب في يده
وانه لموثق بالحديد وما بمكة من ثمرة ان كان الا رزق رزقه الله خبيبا ثم انهم خرجوا به من الحرم
ليقتلوه في الحل وارادوا ان يصلبوه فقال لهم خبيب دعوني اصلي ركعتين فتركوه وكان خبيب هو سن
لكل مسلم قتل صبرا الصلوة فركع ركعتين ثم قال لولا ان يحسبوا ان ما بي جزع لزدت اللهم احصهم
عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم احدا وانشا يقول ولست ابالي حين اقتل مسلما على اي شق كان
في الله مصرعي وذلك في ذات الاله وان يشا يبارك في اوصال شلو ممزع فصلبوه حيا فقال اللهم انك
تعلم انه ليس احد حولي يبلغ سلامي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فابلغه سلامي ثم قام ابو سروعة
عقبة بن الحارث فقتله ويقال كان رجل من المشركين يقال له سلامان ابو ميسرة فجاء معه رمح فوضعه
بين يدي خبيب فقال له خبيب اتق الله فما زاده ذلك الا عتوا فطعنه فانفذه فذلك قوله عز وجل واذا
قيل له اتق الله يعني سلامان واما زيد بن الدثنه فابتاعه صفوان بن اميه ليقتله بابيه امية بن خلف
فبعثه مع مولى له يسمى نسطاس الى التنعيم ليقتله واجتمع رهط من قريش فيهم ابو سفيان بن حرب
فقال له ابو سفيان حين قدم ليقتل انشدك الله يا زيد اتحب ان محمدا الآن مكانك فضرب عنقه وانك
في اهلك فقال والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني جالس
في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا ثم قتله نسطاس
فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم هذا الخبر قال لاصحابه ايكم يحتزل خبيبا عن خشبته وله الجنة فقال الزبير
انا يا رسول الله وصاحبي المقداد بن الاسود فخرجا يمشيان بالليل ويكمنان بالنهار حتى اتيا التنعيم ليلا
فاذا حول الخشبة اربعون من المشركين نيام نشاوى فانزلاه فاذا هو رطب يتثنى لم يتغير منه
شيء بعد اربعين يوما ويده على جراحته وهي تبض دما اللون لون الدم والريح ريح المسك فحمله
الزبير على فرسه وسارا فانتبه الكفار وقد فقدوا خبيبا فاخبروا قريشا فركب منهم سبعون فلما
لحقوهما قذف الزبير خبيبا فابتلعته الارض فسمي بليع الارض فقال الزبير ما جراكم علينا يا معشر قريش
ثم رفع العمامة عن راسه وقال انا الزبير بن العوام وامي صفية بنت عبد المطلب وصاحبي المقداد
ابن الاسود اسدان رابضان يدفعان عن شبليهما فان شئتم ناضلتكم وان شئتم نازلتكم وان شئتم

انصرفتم

انصرفتم فانصرفوا الى مكة وقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبريل عنده فقال ان الملائكة
لتباهي بهذين من اصحابك فنزل في الزبير والمقداد ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله
حين شريا انفسهما لانزال خبيب من خشبته وقال اكثر المفسرين نزلت في صهيب بن سنان الرومي اخذه
المشركون في رهط من المومنين فعذبوهم فقال لهم صهيب اني شيخ كبير لا اضركم امنكم كنت ام من غيركم
فهل لكم ان تاخذوا مالي وتذروني وديني ففعلوا وكان شرط عليهم راحلة ونفقة فاقام بمكة ما شاء
الله ثم خرج الى المدينة فتلقاه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما في رجال فقال ابو بكر ربح بيعك ابا يحيى فقال و
بيعك فلا يخسر ما ذاك فقال انزل الله تعالى فيك وقرا عليه هذه الآية وقال سعيد بن المسيب وعطاء
اقبل صهيب مهاجرا نحو النبي صلى الله عليه وسلم فاتبعه نفر من مشركي قريش فنزل عن راحلته ونثل ما في كنانته
ثم قال يا معشر لقد علمتم اني من ارماكم رجلا والله لا اضع سهما مما في كنانتي الا في قلب رجل وايم الله لا يصلون
الي حتى ارمي بكل سهم في كنانتي ثم اضرب بسيفي ما بقي في يدي ثم افعلوا ما شئتم وان شئتم دللتكم على مالي
بمكة وخليتم سبيلي قالوا نعم ففعل ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الحسن اتدرون فيم نزلت هذه الآية
نزلت في المسلم يلقى الكافر فيقول له قل لا اله الا الله فابى ان يقولها فقال المسلم والله لاشرين نفسي
لله فتقدم وقاتل وحده حتى قتل وقيل نزلت الآية في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سمع عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انسانا يقرا هذه الآية ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله فقال عمر انا لله
وانا اليه راجعون قام رجل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فقتل قال الشيخ ابن الكثير الاكثرون على انها
نزلت في كل مجاهد في سبيل الله كما قال تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة
يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوريه والانجيل والقرآن ومن اوفى بعهده
من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم وعن امامه رضي الله عنه انه جلا
قال يا رسول الله اي الجهاد افضل قال افضل الجهاد من قال كلمة حق عند سلطان جائر ثم امر المسلمين
بما يضاد حال المنافقين فقال يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة عن ابن عباس رضي الله عنهما
برواية العوفي ومجاهد وطاوس وغيرهم في احكام اهل الاسلام واعمالهم كافة اي جميعا وعنه
برواية الضحاك يعني الطاعه وقال قتادة الموادعة وعن عكرمة انها نزلت في نفر ممن اسلم من اليهود
غيرهم استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان يسبتوا وان يقوموا بالتوريه ليلا فامرهم الله
باقامة شعائر الاسلام والاستغال بها عما عداها قال حذيفة بن اليمان في هذه الآية الاسلام ثمانية
اسهم فعد الصلوة والصوم والزكوة والحج والجهاد والعمرة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر قال
وقد خاب من لا سهم له قال الكاشف اي ادخلوا في قباب اعتصام الحق بنعت الاستغناء حتى
تصيروا ساكنين تحت مجاري الاقدار راضين في حمة الاضداد معرضين عن الكائنات مبصرين

غيوبات الملكوت شاهدين انوار الجبروت منقادين للحكامه القديمه ماحين لذبح النفوس
لطلب المرضاة وشوقا الى لقائه وقيل السلم هو الرضا بالقضاء قاله الجنيد وقال ابو عثمان السلم هو الجود
تحت مجاري القدرة كل وعلك ولا تتبعوا خطوات الشيطان اي آثاره فيما زين لكم من تحريم السبت
ولحوم الابل وغيره انه لكم عدو مبين عن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم حين اتاه
عمر فقال انا نسمع احاديث من يهود فيعجبنا افترى ان نكتب بعضها فقال امتهوكون انتم كما تهوكت
اليهود والنصارى لقد جئتكم بها بيضاء نقيه ولو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعي فان زللتم
ضللتم وقيل ملتم يقال زل قدمه تزل زللا اذا دحضت قال ابن عباس يعني الشرك قال قتادة
قد علم الله انه سيزل زالون من الناس فتقدم في ذلك واوعد فيه ليكون له به الحجة من بعد ما جاءتكم
البينات اي الدلالات الواضحات فاعلموا ان الله عزيز في نقمته حكيم في امره والعزيز الغالب
الذي لا تفوته شيء والحكيم ذو الاصابه في الامر قال الكاشف الاشارة فيه ان من عرف الحق بنعت
الالوهية ورجع من قربه الى ظلمات نفسه فقد اشرك وعقوبته ان يحجبه الحق عن وصله ومشاهدته
ولم يومنه غيرة الحق على اسراره ما عاش وان كان في العبودية طاش هل ينظرون اي هل
ينتظر التاركون الدخول في السلم والمتبعون خطوات الشيطان نظره وانتظره بمعنى واحد الا
ان ياتيهم الله اي امره وباسه كقوله او ياتي امر ربك فجاءهم باسنا في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك من
الغمام السحاب الابيض وانما ياتيهم العذاب فيه لانه مظنة الرحمة فاذا جاءهم منه العذاب كان اشد قال الحسن
في سترة من الغمام فلا ينظر اليهم اهل الارض والملائكة وقضي الامر اي امر هلاكهم وفرغ منه والى الله
ترجع الامور وقد ذكر الامام ابو جعفر ابن جرير هيهنا حديث الصور بطوله من اوله وعن ابي هريرة
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث مشهور ساقه غير واحد من اصحاب المسانيد وغيرهم
وفيه ان الناس اذا اهتموا لموقفهم في العرصات تشفعوا الى ربهم بالانبياء واحدا واحدا من ادم فمن
بعده وكلهم يحيد عنها حتى ينتهوا الى محمد صلى الله عليه وسلم جاؤا اليه قال انا لها انا لها فيذهب فيسجد
لله تحت العرش ويشفع عند الله في ان ياتي لفصل القضاء بين العباد فيشفعه الله تعالى وياتي في ظلل
من الغمام بعد ما تنشق السماء الدنيا وينزل من فيها من الملائكة ثم الثانيه ثم الثالثه الى السابعه وينزل
حملة العرش والكروبيون قال وينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة ولهم زجل في تسبيحهم يقولون
سبحان ذي الملك والملكوت سبحان ذي العرش وذي الجبروت سبحان الحي الذي لا يموت سبحان الذي
يميت الخلائق ولا يموت سبوح قدوس رب الملائكة والروح قدوس قدوس سبحان ربنا الاعلى سبحان
ذي السلطان والعظمة سبحانه ابدا ابدا قال جعفر هل ينظرون الا اقبال الله عليهم بالعصمة والتوفيق
فيكشف عنهم استار الغفلة فيشهدون بره ولطفه بل يشاهدون البار اللطيف وقضي الامر قيل

وصلوا الى

وصلوا الى ما سبق لهم في الازل من احدي المنزلتين ثم انه سبحانه وتعالى لما امر بالسلم ونهى عن مقابلها
ثم هددهم بقوله تعالى فان زللتم الآية ثم ثنى ذلك التهديد بقوله هل ينظرون الآية ثلث التهديد بقوله
سل يا محمد بني اسرائيل يعني يهود المدينة كم آتيناهم اعطينا اباءهم واسلافهم من آية بينة معجزة
ظاهرة مثل العصا واليد البيضاء وفلق البحر وغيرها وقيل معناه الدلالات التي آتاهم في التوريه و
الانجيل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ومن يبدل نعمة الله اي آيات الله بعد معرفتها فانها سبب
الهدى الذي هو اجل النعم يجعلها سبب الضلالة وازدياد الرجس من بعد ما جاءته بعد ما وصلت اليه
وتمكن من معرفتها وفيه تعريض بانهم بدلوها بعد ما عقلوها فان الله شديد العقاب فيعاقبه اشد عقوبة
كما ارتكب اشد جريمة قال الله تعالى الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا واحلوا قومهم دار البوار جهنم
يصلونها وبئس القرار ثم لما ذكر حال الكفار الذين كذبوا بالادلة والانبياء وعدلوا عنها اتبعه بذكر السبب
الذي لاجله كانت هذه طريقتهم فقال زين للذين كفروا الحيوة الدنيا زينه الله تعالى بخلق الاشياء الحسنة
والمناظر العجيبة فنظر الخلق اليها باكثر من قدرها فاعجبهم فعبدوا بها وقال الزجاج زين لهم الشيطان قال القاضي
والمزين على الحقيقة هو الله تعالى اذ ما من شيء الا وهو فاعله وكل من الشيطان والقوة الحيوانيه وما خلق
من الامور البهية والاشياء الشهية مزين بالعرض قيل نزلت الآية في مشركي العرب ابي جهل واصحابه وكانوا
يتنعمون بما بسط لهم في الدنيا من المال ويكذبون بالمعاد ويسخرون من الذين آمنوا اي ويستهزؤن
بالفقراء من المومنين قال ابن عباس اراد بالذين آمنوا عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وصهيبا و
بلالا وخبابا وامثالهم وقال جعفر زين للذين جهدوا التوكل زينة الحيوة الدنيا حتى جمعوها وافتخروا بها
ويسخرون من الذين توكلوا على الله في جميع امورهم ونبذوا تدابيرهم وما يظهرونه واعرضوا عنها
وهم الفقراء الصبر الراضون والذين اتقوا يعني هولاء الفقراء فوقهم يوم القيمة لانهم في اعلى عليين
وهم في اسفل السافلين عن اسامة بن زيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفت
على باب الجنة فرايت اكثر اهلها المساكين ووقفت على باب النار فرايت اكثر اهلها النساء واذا اهل الجد
محبوسون الا من كان منهم من اهل النار فقد امر به الى النار وعن سهل بن سعد الساعدي انه قال مر
رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل عنده جالس ما رايك في هذا فقال رجل من اشراف الناس
هذا والله حري ان خطب ان ينكح وان شفع ان يشفع فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر رجل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رايك في هذا فقال يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين هذا
حري ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال لا يسمع لقوله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا خير من ملء الارض مثل هذا والله يرزق من يشاء بغير حساب قال ابن عباس كثيرا بغير مقدار لان
كل ما دخل عليه الحساب فهو قليل يريد يوسع على من يشاء من عباده جاء في الحديث ابن آدم انفق انفق

هذا خير

عليك وقال النبي صلى الله عليه وسلم انفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا وفي الصحيحين ان ملكين
ينزلان من السماء صبيحة كل يوم فيقول اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط ممسكا تلفا
وفي الصحيح يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت وما لبست فابليت و
ما تصدقت فامضيت وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس وفي مسند الامام احمد عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ثم اشار
الى ان التباغي والتحاسد والتنازع في طلب الدنيا وطلبها بها لا يختص بهذا الزمان وانما ذلك داء قديم
في الانسان فقال كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّينَ قال قتادة وعكرمة كان الناس من
وقت آدم الى مبعث نوح وكان بينهما عشرة قرون كلهم على شريعة واحدة من الحق والهدى ثم اختلفوا
في زمن نوح عليه السلام فبعث الله اليهم نوحا وكان اول نبي بعث ثم بعث بعده النبيين وقال الحسن
وعطاء كان الناس من وقت وفاة آدم الى مبعث نوح امة واحدة على ملة الكفر امثال البهائم فبعث
الله نوحا والنبيين قال الشيخ ابن الكثير والاول اصح سندا عن ابن عباس ومعنى لان الناس كانوا
على ملة آدم حتى عبدوا الاصنام فبعث الله اليهم نوحا عليه السلام وكان اول رسول بعث الله تعالى
الى اهل الارض ونظير الآية في سورة يونس وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا فبعث الله النبيين
فلا يحصى العدد وجملتهم مائة الف واربعة وعشرون الفا والمرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر والمذكورون
في القرآن باسم العلم ثمانية وعشرون نبيا مُبَشِّرِينَ بالثواب من آمن واطاع وَمُنذِرِينَ بالعقاب
من كفر وعصى وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ جنس الكتاب لِيَحْكُمَ الله او النبي المبعوث او كتابه بَيْنَ
ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ في الحق الذي اختلفوا فيه وفيما التبس عليهم وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ في الحق او
ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ اي الكتاب المنزل لازاحة الخلاف اي عكسوا الامر فجعلوا ما انزل الله مزيحا
للاختلاف سببا لاستحكامه مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ظلما وحسدا بينهم لحرصهم على الدنيا
فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بيان لما اختلفوا فيه بِإِذْنِهِۦ بارادته ولطفه
وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ عن ابي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى فهدى الله الذين
آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون الاولون
يوم القيمة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتينا من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق
فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وقال
ابن وهب واختلفوا في القبلة واستقبلت النصارى المشرق واليهود بيت المقدس فهدى الله امة
محمد صلى الله عليه وسلم للقبلة واختلفوا في الصلوة فمنهم من يركع ولا يسجد ومنهم من يسجد ولا يركع
ومنهم من يصلي وهو يتكلم ومنهم من يصلي وهو يمشي فهدى الله امة محمد صلى الله عليه وسلم

بالحق م

الحق من ذلك واختلفوا في ابراهيم فقالت اليهود كان يهوديا وقالت النصارى كان نصرانيا وجعله الله
حنيفا مسلما فهدى الله امة محمد صلى الله عليه وسلم للحق من ذلك واختلفوا في عيسى عليه السلام فكذبت
به اليهود وقالوا لامه بهتانا عظيما وجعلته النصارى الها وولدا وجعله الله روحه وكلمته فهدى الله تعالى
لامة محمد صلى الله عليه وسلم للحق من ذلك قال الربيع ابن انس انهم على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف
اقاموا على الاخلاص لله عز وجل وحده وعبادته لا شريك له واقام الصلوة وايتاء الزكوة فاقاموا على
الامر الاول الذي كان قبل الاختلاف واعتزلوا الاختلاف في صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يصلي يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل
فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما
اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم وفي الدعاء المأثور اللهم ارنا الحق
حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه ولا تجعله ملتبسا علينا فنضل واجعلنا
للمتقين اماما ثم لما قال في الآية السابقة والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم بين ان ذلك لا يتم
ولا يكمل الا باحتمال الشدائد في التكليف فقال أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ قال قتادة والسدي
نزلت هذه الآية في غزوة الخندق حين اصاب المسلمين ما اصابهم من الجهد وشدة الخوف والبرد
وضيق العيش وانواع الاذى كما قال الله تعالى وبلغت القلوب الحناجر وقيل نزلت في حرب احد
وقال عطاء لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه المدينة اشتد عليهم الضر لانهم خرجوا
بلا مال وتركوا ديارهم واموالهم بايدي المشركين وآثروا رضا الله ورسوله واظهرت اليهود العداوة
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واسر قوم النفاق فانزل الله تعالى تطييبا لقلوبهم ام حسبتم معناه
بل حسبتم قال الفراء والزجاج بل حسبتم ومعنى الآية اظننتم ايها المؤمنون ان تدخلوا الجنة و
لَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم شبه الذين مضوا من قبلكم من النبيين والمؤمنين مَّسَّتْهُمُ
اصابتهم ٱلْبَأْسَآءُ الفقر والشدة والبلاء وَٱلضَّرَّآءُ المرض والزمانة وَزُلْزِلُوا۟ اي حركوا بانواع
البلايا والرزايا وخوفوا حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ما زال البلاء بهم حتى
استبطاوا النصر قال الله تعالى أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ كما قال فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وفي الحديث
الصحيح عن خباب بن الارت قال قلنا يا رسول الله الا تستنصر لنا الا تدعو الله لنا فقال ان من كان
قبلكم كان احدهم يوضع المنشار على مفرق راسه فيخلص الى قدميه لا يصرفه ذلك عن دينه و
يمشط بامشاط الحديد ما بين عظمه ولحمه لا يصرفه ذلك عن دينه ثم قال والله ليتمن الله هذا
هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه و
لكنكم تستعجلون ولما سال هرقل ابا سفيان هل قاتلتموه قال نعم قال فكيف كانت الحرب بينكم

قال سجالا يدال علينا ويدال عليه قال كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة ثم انه سبحانه وتعالى
لما بالغ في بيان انه يجب على كل مكلف ان يكون معرضا عن طلب العاجل وان يكون مشتغلا بطلب
الآجل وان يكون بحيث يبذل النفس والمال في ذلك شرع في بيان الاحكام فقال يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا
يُنفِقُونَ نزلت في عمرو بن الجموح وكان شيخا كبيرا ذا مال فقال يا رسول الله بماذا نتصدق وعلى
من ننفق فانزل الله تعالى يسألونك ماذا ينفقون قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ من مال فَلِلْوَٰلِدَيْنِ
وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ اي اصرفوه في هذه الوجوه كما جاء في الحديث
امك واباك واختك واخاك ثم ادناك ادناك تلا ميمون ابن مهران هذه الآية ثم قال هذه مواضع النفقة
ما ذكر فيها طبلا ولا مزمارا ولا تصاوير الخشب ولا كسوة الحيطان وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ
بِهِۦ عَلِيمٌ اي مهما صدر منكم من فعل معروف فان الله يعلمه وسيجزيكم على ذلك اوفر الجزاء فانه
لا يظلم مثقال ذرة كُتِبَ عَلَيْكُمُ فرض عليكم ٱلْقِتَالُ الجهاد اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال
عطاء الجهاد تطوع والمراد من الآية اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون غيرهم واليه
ذهب الثوري وقال بعضهم نظرا الى ظاهر الآية الجهاد فرض على كافة المسلمين الى قيام الساعة و
قال الجمهور ان الجهاد فرض على الكفاية اذا قام به البعض يسقط عن الباقين الفرض مثل صلوة
الجنازة ورد السلام قال الزهري والاوزاعي كتب الله الجهاد على الناس غزوا او قعدوا فمن
غزا فيها ونعمت ومن قعد فهو عدة ان استعين به اعان وان استنفر نفر وان استغني عنه
قعد وقد ثبت في الحديث الصحيح من مات ولم يغز مات ميتة جاهلية وقال عليه الصلوة والسلام
يوم الفتح لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية فاذا استنفرتم فانفروا وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ اي شاق
عليكم قال بعضهم هذا الكره من حيث نفور الطبع عنه لما فيه من مؤنة المال ومشقة النفس و
خطر الروح لا ان قلوبهم كرهت امر الله وقال عكرمة نسخها قوله سمعنا واطعنا يعني انهم كرهوه
ثم احبوه فقالوا سمعنا واطعنا وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لان في الغزو احدى
الحسنيين اما الظفر على الاعداء والغنيمة من اموالهم وذراريهم واما الشهادة والجنة وَ
عَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وهذا عام في الامور كلها قد يحب المرء شيئا وليس فيه خير
ولا مصلحة ومن ذلك القعود عن القتال قد يعقبه استيلاء العدو على البلاد وفوت الاجر
وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ اي هو اعلم بعواقب الامور منكم واخبر بما فيه صلاحكم في دنياكم
واخراكم فانقادوا لامره لعلكم ترشدون يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ سبب نزول
هذه الآية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن جحش وهو ابن عمة النبي صلى الله عليه
وسلم اخت ابيه في جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين على راس سبعة عشر شهرا من مقدمه المدينة

[illegible]

وبعث معه ثمانية رهط من المهاجرين سعد بن ابي وقاص الزهري وعكاشة بن محصن الاسدي وعتبة
بن غزوان السلمي وابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسهيل بن بيضا وعامر بن ربيعة وواقد بن عبد الله
وخالد بن بكر وكتب لاميرهم عبد الله بن جحش كتابا وقال سر على اسم الله ولا تنظر في الكتاب حتى تسير
يومين فاذا نزلت فافتح الكتاب واقراه على اصحابك ثم امض لما امرتك ولا تستكرهن احدا من اصحابك
على السير معك فسار عبد الله يومين ثم نزل وفتح الكتاب فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم اما بعد
فسر على بركة الله بمن تبعك من اصحابك حتى تنزل بطن نخلة وترصد بها عير قريش لعلك ان تاتينا منه
بخبر فلما نظر في الكتاب قال سمعا وطاعة ثم قال لاصحابه ذلك قال انه نهاني ان استكره احدا منكم فمن
كان يريد الشهادة فلينطلق ومن كره فليرجع ثم مضى معه اصحابه لم يتخلف عنه منهم احد حتى اذا كان بمعدن فوق
الفرع بموضع من الحجاز يقال له بحران اضل سعد بن ابي وقاص وعتبة بن غزوان بعيرا لهما يعتقبانه
فتخلفا في طلبه ومضى ببقية اصحابه حتى نزلوا بطن نخلة بين مكة والطائف فبيناهم كذلك مرت عير
لقريش تحمل زبيبا وادما وتجارة من تجارة الطائف فيهم عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان مولى هشام
ابن المغيرة وعثمان بن عبد الله بن المغيرة واخوه نوفل بن عبد الله المخزوميان فلما راوا اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم هابوهم فقال عبد الله بن جحش ان القوم قد ذعروا منكم فاحلقوا راس رجل منكم
فليتعرض لهم فحلقوا راس عكاشة ثم اشرف عليهم فقالوا قوم عمار لا باس عليكم فامنوهم وكان
ذلك في اخر يوم من جمادى الاخرة وكانوا يرونه انه من جمادى وهو من رجب فتشاور القوم وقالوا
لئن تركتموهم الليلة ليدخلن الحرم فليمتنعن منكم فاجمعوا امرهم في مواقعة القوم فرمى واقد بن عبد الله
السهمي عمرو بن الحضرمي بسهم فقتله وكان اول قتيل من المشركين وهو اول قتل في الهجرة وادى النبي صلى الله
عليه وسلم دية ابن الحضرمي الى ورثته من قريش قال مجاهد وغيره لان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين قريش عهدا وادع اهل مكة سنتين ان لا يقاتلهم ولا يقاتلوه واستاسر الحكم وعثمان وكانا اول
اسيرين في الاسلام وافلت نوفل فاعجزهم واستاق المؤمنون العير والاسيرين حتى قدموا على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام فسفك فيه الدماء و
اخذ الحرائب وعير بذلك اهل مكة من كان بها من المسلمين وقالوا يا معشر الصباة استحللتم الشهر الحرام
وقاتلتم فيه وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لابن جحش واصحابه ما امرتكم بالقتال
في الشهر الحرام ووقف العير والاسيرين وابى ان ياخذ شيئا من ذلك فعظم ذلك على اصحاب السرية
وظنوا ان قد هلكوا وسقط في ايديهم وقالوا يا رسول الله انا قتلنا ابن الحضرمي ثم امسينا فنظرنا
الى هلال رجب فلا ندري افي رجب اصبناه ام في جمادى واكثر الناس في ذلك فانزل الله تعالى هذه
الآية فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العير فعزل منها الخمس وكان اول خمس في الاسلام و

انا م

وقسم الباقي بين اصحاب السرية وكان اول غنيمة في الاسلام وبعث اهل مكة في فداء اسيريهم فقال بل
نقفهما حتى يقدم سعد وعتبة وان لم يقدما قتلناهما بهما فلما قدما فاداهما فاما الحكم بن كيسان فاسلم واقام مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقتل يوم بير معونة شهيدا واما عثمان بن عبد الله فرجع الى مكة فمات بها كافرا
واما نوفل فضرب بطن فرسه يوم الاحزاب ليدخل الخندق فوقع في الخندق مع فرسه فتحطما جميعا فقتله
الله وطلب المشركون جيفته بالثمن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوه فانه خبيث الجيفة خبيث
الدية فهذا سبب نزول الآية قوله يسالونك عن الشهر الحرام يعني رجبا سمي بذلك لتحريم القتال وقوله
قتال فيه اي عن قتال فيه قل يا محمد قتال فيه كبير عظيم وتم الكلام ههنا ثم ابتدا فقال وصد عن سبيل
الله اي وصدكم المسلمين عن الاسلام وكفر به اي وكفركم بالله والمسجد الحرام اي بالمسجد الحرام
وقيل وصدكم عن المسجد الحرام واخراج اهله اي اخراج اهل المسجد الحرام منه اكبر اعظم وزرا
عند الله والفتنة اي الشرك الذي انتم عليه اكبر من القتل من قتل ابن الحضرمي في الشهر الحرام فلما نزلت
هذه الآية كتب عبد الله بن انيس الى مؤمني مكة اذا عيركم المشركون بالقتال في الشهر الحرام فعيروهم
انتم بالكفر واخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت ثم قال ولا يزالون
يعني مشركي مكة يقاتلونكم يا معشر المؤمنين حتى يردوكم عن دينكم يصرفونكم عن دينكم ان استطاعوا
والاشارة فيه من الله تعالى لاوليائه انه يحذرهم عن عرض العدو لانه يحسد بهم نفاسة عليهم بوجدان
مشاهدة حضرته ونوال قربته ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت بطلت
اعمالهم حسناتهم في الدنيا والآخرة واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فقال اصحاب السرية يا رسول
الله هل نوجر على وجهنا هذا وهل نطمع ان يكون سفرنا هذا غزوا فانزل الله تعالى ان الذين آمنوا
والذين هاجروا فارقوا عشائرهم ومنازلهم واموالهم وجاهدوا المشركين في سبيل الله طاعة الله فجعلها
جهادا اولئك يرجون رحمة الله اخبر انهم على رجاء الرحمة والله غفور رحيم يسالونك عن الخمر
والميسر الآية نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومعاذ بن جبل ونفر من الصحابة والانصار اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله افتنا في الخمر والميسر فانه مذهبة للعقل مسلبة
للمال فانزل الله تعالى هذه الآية وجملة القول في تحريم الخمر على ما قال المفسرون ان الله تعالى انزل
في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا وكان المسلمون
يشربونها وهي لهم حلال يومئذ ثم نزلت في مسالة عمر ومعاذ بن جبل يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما
اثم كبير فلما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تقدم في تحريم الخمر
فتركها قوم لقوله اثم كبير وشربها قوم لقوله ومنافع للناس الى ان صنع عبد الرحمن بن عوف
طعاما فدعا ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واتاهم بخمر فشربوا وسكروا فحضرت صلوة المغرب

فقدموا بعضهم ليصلي بهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون هكذا الى آخر السورة بحذف لا فانزل
الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فحرم السكر في اوقات
الصلوة فلما نزلت هذه الآية تركها قوم وقالوا لا خير في شيء يحول بيننا وبين الصلوة وتركها قوم في اوقات
الصلوات وشربوها في غير حين الصلوة حتى كان الرجل يشرب بعد صلوة العشاء فيصبح وقد زال عنه السكر
ويشرب بعد الصبح فيصحو اذا جاء وقت الظهر واتخذ عتبان بن مالك صنيعا ودعا رجالا من المسلمين منهم سعد
بن ابي وقاص وكان قد شوى لهم راس بعير فاكلوا منه وشربوا الخمر حتى سكروا منها ثم انهم افتخروا عند ذلك
وانتسبوا وتناشدوا الاشعار فانشد سعد قصيدة فيها هجاء الانصار وفخر لقومه فاخذ رجل من الانصار
لحي البعير فضرب به راس سعد فشجه موضحة فانطلق سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى اليه
من الانصاري فقال عمر اللهم بين لنا رايك في الخمر بيانا شافيا فانزل الله تعالى تحريم الخمر في سورة المائدة يا ايها الذين
آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون الى قوله فهل
انتم منتهون وذلك بعد غزوة الاحزاب بايام فقال عمر انتهينا يا رب قال انس حرمت الخمر ولم يكن يومئذ
للعرب عيش اعجب منها وما حرم عليهم شيء اشد من الخمر وعن ابن عمر لما نزلت الآية التي في سورة المائدة حرمت
الخمر فخرجنا بالحباب الى الطريق فمنا من كسر حبه ومنا من غسله بالماء والطين ولقد غودرت ازقة المدينة
بعد ذلك حينا كلما مطرت استبان فيها لون الخمر وفاحت منها ريحها وعن انس رضي الله عنه سميت خمر الاثم
كانوا يدعونها في الدنان حتى تختمر وتتغير وعنه في صحيح البخاري ما كان لنا خمر غير فضيخكم واني لقائم اسقي
ابا طلحة وفلانا وفلانا اذ جاء رجل فقال حرمت الخمر فقالوا اهرقوا هذه القلال يا انس قال فما سالوا عنها
ولا راجعوها بعد خبر الرجل وقد ذهب اكثر اهل العلم الى ان كل شراب اسكر كثيره فهو خمر وقليله حرام
يحد شاربه واحتجوا بما رواه محيي السنة وغيره باسانيدهم عن عائشة رضي الله عنها انها قالت سئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البتع فقال كل شراب اسكر فهو حرام وعن جابر بن عبد الله ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اسكر كثيره فقليله حرام وعن ابن عمر انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل مسكر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا فمات وهو مدمنها ولم يتب لم يشربها في
الآخرة وعن ابن عمر قال خطب عمر رضي الله عنهما على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انه قد
نزل تحريم الخمر وهي من خمسة اشياء العنب والتمر والحنطة والشعير والعسل والخمر ما خامر العقل وذهب
قوم الى انها عصير العنب او الرطب الذي اشتد وغلا من غير عمل النار وذهب سفيان الثوري وابو حنيفة
وجماعة رضي الله عنهم الى ان التحريم لا يتعدى هذا ولا يحرم ما يتخذ من غيرها الا ان يسكر فيحرم وقالوا اذا طبخ
عصير العنب والرطب حتى ذهب نصفه فهو مكروه وان طبخ حتى ذهب ثلثاه فهو حلال الا ان المسكر منه حرام
ويحتجون بما روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى بعض عماله ان ارزق المسلمين من الطلاء

النضح شراب يتخذ من البسر المفضوخ اي المدقوق ٣

البتع نبيذ العسل ٣

ما ذهب ثلثاه وبقي ثلثه ورآى ابو عبيدة ومعاذ رضي الله عنهما شرب الطلاء على الثلث واجاب الاولون
عنه بان ما روي هو فيما طبخ حتى خرج عن ان يكون مسكرا والميسر هو القمار قال ابن عباس كان
الرجل في الجاهلية يخاطر الرجل على اهله وماله فايهما قمر صاحبه ذهب باهله وماله فانزل الله تعالى
هذه الآية وكان اصل الميسر في الجزور وذلك ان اهل الثروة من العرب كانوا يشترون جزورا فينحرونها
ويجزؤنها عشرة اجزاء ثم يسهمون عليها بعشرة قداح يقال لها الازلام والاقلام لسبعة منها انصباء وهي الفذ
له نصيب واحد والتوام وله نصيبان والرقيب وله ثلثة والحلس وله اربعة والنافس وله خمسة والمسبل
وله ستة والمعلى وله سبعة وثلثة منها لا انصباء لها وهي المنيح والسفيح والوغد يجعلون القداح في
خريطة يسمى الربابة ويضعونها في يدي رجل عدل عندهم يسمى المجيل والمفيض ثم يجيلها ويخرج قدحا منها
باسم رجل منهم فايهم خرج سهمه اخذ نصيبه على قدر ما خرج فان خرج له واحد من هذه الثلثة التي لا انصباء لها
كان لا ياخذ شيئا ويغرم ثمن الجزور كله وقال بعضهم كان لا ياخذ ولا يغرم ويكون ذلك القدح لغوا ثم يدفعون
ذلك الجزور الى الفقراء ولا ياكلون منه شيئا وكانوا يفتخرون بذلك ويذمون من لم يفعل ذلك و
يسمونه البرم فهو اصل القمار الذي كان العرب يفعله والمراد من الآية انواع القمار كلها قال طاوس
وعطاء ومجاهد كل شيء فيه قمار فهو من الميسر حتى لعب الصبيان بالجوز والكعاب وروي عن علي
رضي الله عنه في النرد والشطرنج انهما من الميسر قوله عز وجل قل فيهما اثم كبير وزر عظيم من المخاصمة
والمشاتمة وقول الفحش على ما ذكره الله تعالى في سورة المائدة انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة
والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل انتم منتهون ومنافع للناس فمنفعة
الخمر اللذة عند شربها والفرح واستمراء الطعام وما يصيبون من الربح بالتجارة فيها ومنفعة الميسر اصابة
المال من غير كد ولا تعب وارتفاق الفقراء والاثم فيه انه اذا ذهب ماله من غير عوض ساءه ذلك
فعادى صاحبه وقصده بالسوء واثمهما اكبر من نفعهما قال الضحاك وغيره اثمهما بعد التحريم اكبر من
نفعهما قبل التحريم وقيل اثمهما اكبر من نفعهما قبل التحريم وهو ما يحصل به من العداوة والبغضاء
قال الكاشف الخمر ما يستر الحق لان تزيغ بصر السر عن مشاهدة الحضرة الى الكون بنعت استحسان
حجاب لعقل الكل واذا خامر النفس سر القلب باسره الغفلة وسكرت بادراك اهويتها وحظوظها و
وسقطت عن مباشرة العبودية وتاثيرها احتجب الروح عن معاينة الآخرة ويغيب في حجاب النفس
عن الوصال والمداناة والمشاهدة والميسر حيل الشيطان والنفس مع القلب فاذا مال القلب الى خداعهم
وتمثيلاته صار مقهورا مسلوب الايمان والعرفان قل فيهما اثم كبير لان خلطة الخمر تطفي نور العقل
وتقوي النفس الامارة ومنافع للناس اي معرفة آفاتهما وسوء عاقبة من يشتغل بهما فثم اثم كبير
في تناولهما ومنافع للناس في تركهما ويسالونك ماذا ينفقون وقد تقدم ذكر هذا السوال واجيب

اسهمه

لما

البرم الذي لا يدخل مع القوم في الميسر ٣

٧

عنه بذكر المصرف واعيد ههنا فاجيب بذكر الكمية وذلك ان الناس لما داوا الله ورسوله
محضا على الانفاق وينبهان على عظم ثوابه سالوا عن مقدار ما كلفوا به هل هو كل المال او بعضه
قل يا محمد العفو اي انفقوا العفو او الذي ينفقون هو العفو لما حث رسول الله صلى الله عليه
وسلم على الصدقة فقالوا ماذا ننفق قال قل العفو واختلفوا في معنى العفو فقال قتادة وعطاء و
السدي هو ما فضل عن الحاجة وكان الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون
بالفضل بحكم هذه الآية ثم نسخ باية الزكوة وقال مجاهد معناه التصدق عن ظهر غنى حتى لا يبقى كلا
على الناس عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الصدقة ما كان
عن ظهر غنى واليد العليا خير من اليد السفلى وابدا بمن تعول رواه مسلم وقال عمرو بن دينار الوسط
من غير اسراف ولا اقتار قال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وقال طاووس ما تيسر
والعفو اليسر من كل شيء ومنه قوله تعالى خذ العفو اي الميسور من اخلاق الناس عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله عندي دينار قال انفقه على نفسك
قال عندي آخر قال انفقه على ولدك قال عندي آخر قال انفقه على اهلك قال عندي آخر قال انفقه
على خادمك قال عندي آخر قال انت اعلم وفي رواية فانت ابصر رواه مسلم في صحيحه واخرج مسلم عن
جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل ابدا بنفسك فتصدق عليها فان فضل شيء فلاهلك فان
فضل شيء عن اهلك فلذي قرابتك فان فضل شيء عن ذي قرابتك فهكذا وهكذا وفي الحديث ايضا يا ابن
آدم انك ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف قال الكاشف العفو عند العارفين
ما سوى الحق من الكونين يعني اتركوا الى ما يشغلكم عني وان كان لكم فيها خصاصة حتى يكون لكم ذخرا
في جميع انفاسكم عوضا لما تركتم كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة قيل
معناه يبين لكم الآيات في امر النفقة لعلكم تتفكرون في الدنيا فتحبسون من اموالكم ما يصلحكم في
معاش الدنيا وتنفقون الباقي فيما ينفعكم في العقبى قال اكثر المفسرين معناه كذلك يبين الله لكم الآيات
في امر الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون وقيل معناه يبين الله لكم الآيات في امر النفقة لعلكم تتفكرون في
زوال الدنيا وفنائها فتزهدوا فيها وفي اقبال الآخرة فترغبوا فيها ويسالونك عن اليتامى قال ابن عباس
وقتادة لما نزل قوله تعالى ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن وقوله ان الذين ياكلون اموال
اليتامى ظلما الآية تحرج المسلمون من اموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا من اموال اليتامى حتى كان
يصنع لليتيم طعام فيفضل منه شيء فيتركونه ولا ياكلونه حتى يفسد واشتد ذلك عليهم وسالوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وتقدس هذه الآية قل اصلاح لهم خير اي الاصلاح لاموالهم
من غير اجرة ولا اخذ عوض خير واعظم اجرا لما لكم في ذلك من الثواب وخير لهم لما في ذلك من توفير

اموالهم عليهم قال مجاهد يوسع عليه من طعام نفسه ولا يتوسع من طعام في مال اليتيم وَإِنْ
تُخَالِطُوهُمْ هذا اباحة المخالطة اى يشاركوهم ويخلطوها باموالكم في نفقاتكم ومساكنكم وخدمكم
ودوابكم فتصيبوا من اموالهم عوضا من قيامكم بامورهم او تكافئوهم على ما تصيبون من اموالهم
فَإِخْوَانُكُمْ اى فهم اخوانكم والاخوان يعين بعضهم بعضا ويصيب بعضهم من مال بعض على وجه الاصلاح
والرضا وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ لاموالهم مِنَ الْمُصْلِحِ لها يعني الذي يقصد بالمخالطة الخيانة وافساد مال
اليتيم واكله بغير حق من الذي يقصد الاصلاح وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ اى لضيق عليكم وما اباح لكم
مخالطتهم وقال ابن عباس ولو شاء لجعل ما اصبتم من اموال اليتامى موبقا لكم واصل العنت الشدة
والمشقة ومعناه كلفكم في كل شئ ما يشق عليكم إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ في سلطانه وقدرته على الاعنات وقيل
العزيز الذي يامر بعزة سهل على العباد او شق عليهم حَكِيمٌ فيما صنع من تدبيره وترك الاعنات وَلَا
تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ سبب نزول هذه الآية ان مرثد بن ابي مرثد الغنوي وكان شجاعا بعثه
النبي صلى الله عليه وسلم الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين سرا فلما قدمها سمعت امراة مشركة يقال لها
عناق وكانت خليلته في الجاهلية فاتته وقالت يا مرثد الا تخلو فقال لها ويحك يا عناق ان الاسلام قد
حال بيننا وبين ذلك قالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاستامره فقالت انى تتبرم ثم استغاثت عليه فجاءه مشركوا قريش فضربوه ضربا شديدا ثم خلوا سبيله فلما
قضى حاجته بمكة وانصرف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه بالذي كان من امره وامر عناق
وقال يا رسول الله أتحل لي ان اتزوجها فانزل الله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن وقيل الآية منسوخة
في حق الكتابيات بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب وبخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالاجماع
الامة روى الحسن عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نتزوج نساء اهل الكتاب
ولا يتزوجون نساءنا وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ جمالها ومالها نزلت في خنساء وليدة
سوداء وكانت لحذيفة ابن اليمان قال حذيفة يا خنساء قد ذكرت في الملاء الاعلى سوادك ودمامتك فاعتقها
وتزوجها وقال السدي نزلت في عبد الله بن رواحة كانت له امة سوداء فغضب عليها ولطمها ثم فزع
فاتى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بذلك فقال له صلى الله عليه وسلم وما هي يا عبد الله فقال هي
تشهد ان لا اله الا الله وتصوم رمضان وتحسن الوضوء وتصلي فقال هذه مؤمنة قال عبد الله فو
الذي بعثك بالحق لاعتقنها ولاتزوجنها ففعل فطعن عليه ناس من المسلمين وقالوا اتنكح امة وعرضوا
عليه حرة مشركة فانزل الله تعالى هذه الآية في الصحيحين عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال تنكح المراة لمالها وحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك ولمسلم عن جابر مثله
وله عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المراة الصالحة

ولا تنكحوا

وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا هذا اجماع ولا يجوز للمسلمة ان تنكح المشرك وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ
مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يعني المشركين يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ اى الى الاعمال الموجبة للنار
وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ بتوفيقه وتيسيره او بقضائه وارادته وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ اوامره
ونواهيه لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ يتعظون وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قال جمع الله في هذا الموضع ستة
من الاسولة فذكر الثلاثة الاول بغير الواو وذكر الثلثة الاخيرة بالواو والسبب ان سوالهم عن تلك
الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يوت فيها بحرف العطف وسالوا عن المسايل الثلثة الاخيرة في
وقت واحد فجيء بحرف لذلك كانه قيل يجمعون بين السوال عن الخمر والميسر والسوال عن كذا والسوال
عن كذا روى الامام احمد ومسلم باسنادهم عن انس رضي الله عنه ان اليهود كانت اذا حاضت المراة
منهم لم يواكلوها ولم يجامعوها في البيوت فسال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله عز وجل وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى
يَطْهُرْنَ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصنعوا كل شئ الا النكاح فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد
هذا الرجل ان يدع من امرنا شيئا الا خالفنا فيه فجاء اسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا يا رسول
الله ان اليهود قالت كذا وكذا فلا نجامعهن فتغير وجه رسول الله صلى حتى ظننا ان قد وجد عليهما
فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل في آثارهما فسقاهما
فعرفا ان لم يجد عليهما قل هو اذى قذر والاذى ما يكره من كل شئ فاعتزلوا النساء في المحيض اجتنبوا
مجامعتهن في المحيض والمحيض بمعنى الحيض كالمسير بمعنى السير وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ اي
لا تجامعوهن الطهر من المحيض انقطاع دمائهن فهو بيان لغاية الحكم فمن وطي الحايض فقد عصى
الله ورسوله ويعزره الامام ان علم ذلك باعتراف على نفسه واما المضاجعة والملامسة والمخالطة
ففي صحيح البخاري عن عايشة رضي الله عنها قالت كنت اغتسل انا والنبي صلى الله عليه وسلم من اناء
واحد كلانا جنب وكان يامرني فاتزر فيباشرني وانا حايض وكان يخرج راسه الي وهو معتكف
واغسله وانا حايض وعن ام سلمة قالت حضت وانا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الخميلة فانسللت
فخرجت منها فاخذت ثياب حيضتي فلبستها فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم انفست قلت
نعم فدعاني فادخلني معه في الخميلة فَإِذَا تَطَهَّرْنَ يعني اغتسلن فَأْتُوهُنَّ فجامعوهن مِنْ حَيْثُ
أَمَرَكُمُ اللَّهُ به وحلله قال ابن عباس طاوهن في الفرج ولا تعتدوا الى غيره من الادبار إِنَّ
اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ يحب التوابين من الذنوب والمتطهرين المتنزهين عن الفواحش
والاقذار كمجامعة الحايض والاتيان في غير المأتى وقال مجاهد التوابين من الذنوب لا يعودون
فيها والمتطهرين منها لم يصيبوها والتواب الذي كلما اذنب تاب نظيره قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا

الامام

امره عليه وسلم

قال الكاشف اى يحب التوابين عن وقوعهم في المعاصات ويحب المتطهرين سور المعرفة عن غبار
الكائنات وقال جعفر يحب التوابين عن سوء الاتهم والمتطهرين عن ارادتهم وايضا قال التوابين
من توبتهم والمتطهرين من طهارتهم قال ابو يزيد التوبة من الذنب واحد ومن الطاعة الف نِسَاؤُكُمْ
حَرْثٌ لَكُمْ مواضع حرث وولد لكم فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ من اى جهة شئتم عن سعيد بن جبير
عن ابن عباس قال جاء عمر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
هلكت قال فما الذي اهلكك قال حولت رحلي البارحة فلم يرد عليه شيئا فاوحى الله عز وجل نساؤكم
حرث لكم فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وروى مجاهد عن ابن عباس قال كان من شان اهل الكتاب
ان لا ياتوا النساء الا على حرف وذلك استر ما يكون المراة وكان هذا الحي من الانصار قد اخذوا بين
ذلك من فعلهم وكان الحي من قريش يتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات فلما قدم المهاجرون
المدينة تزوج رجل منهم امراة من الانصار فذهب يصنع بها ذلك فانكرت عليه وقالت انما كنا نؤتى على
حرف فان شئت فاصنع ذلك والا فاجتنبني حتى شري امرهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فانزل الله تعالى نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم مقبلات ومدبرات ومستلقيات و
عن ابن المنكدر سمع عن جابر بن عبد الله يقول كانت اليهود تقول في الذي ياتي امراته من دبرها
في قبلها ان الولد يكون احول فنزلت نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم وفي الآية دليل على
تحريم الادبار لان محل الحرث والزرع هو القبل لا الدبر وروى عن مالك عن نافع قال كنت امسك
على ابن عمر المصحف فقرء هذه الآية نساؤكم حرث لكم قال تدري فيما نزلت هذه الآية قلت لا قال نزلت
في الرجل ياتي امراته في الدبر فشق ذلك عليه فنزلت هذه ويحكى عن مالك اباحة ذلك وانكر ذلك
اصحابه روى عن عبد الله بن الحسن انه لقي سالم بن عبد الله فقال له يا ابا عمر ما حديث يحدث
نافع عن عبد الله انه لم يكن يرى باسا باتيان النساء في ادبارهن قال كذب العبد واخطا انما قال
عبد الله يؤتون في فروجهن من ادبارهن والدليل على تحريم الادبار ما روى عن ابي هريرة انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون من اتى امراته في دبرها قال الشيخ ابن الكثير والسلف
انكروا ذلك اشد الانكار ومنهم من يطلق على فعله الكفر وقال سعيد بن المسيب هذا في العزل
يعني ان شئتم فاعزلوا وان شئتم فلا تعزلوا وسئل ابن عباس عن العزل فقال حرثك ان شئت
عطش وان شئت فارو وروى عنه انه قال تستامر الحرة في العزل ولا تستامر الجارية وكره جماعة
العزل وقالوا هو الوادي الخفي وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ من فعل الطاعات مع امساك ما نهاكم من ترك
المحرمات قال الواسطي قدموا نية صادقة في جماعكم وفيما احرم عليكم فان في ركوب الشهوة من
غير نية صادقة غفلة عظيمة وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ فيحاسبكم على اعمالكم جميعا

وبشر المؤمنين

وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ اى المطيعين لله فيما امرهم التاركين ما عنه زجرهم وقال مجاهد في تفسير قوله تعالى
وقدموا لانفسكم يعني اذا اتى اهله فليدع وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو ان احدكم
اذا اراد ان ياتي اهله قال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه ان يقدر بينهما
ولد في ذلك لم يضره الشيطان ابدا وقيل قدموا لانفسكم طلب الولد عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلثة صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد
صالح يدعو له قال الكاشف علم الله عباده ادب المباشرة بشرط التقوي وصدق النية في ترك
ومطالبة النفس حتى لا ينسوه في جميع احوالهم ويكون محبتهم لله لا باجتماع الشهوة وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً
لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ هذا هو الحكم الناسخ من الاحكام
المذكورة والعرضة اصلها الشدة والقوة ومنه للدابة التي تتخذ للسفر عرضة لقوتها عليه ثم لكل ما صلح
لشئ ويكون معرضا لذلك الشئ هو عرضة له حتى قالوا للمراة هي عرضة النكاح اذا اصلحت له والعرضة
كل ما يعترض فيمنع عن الشئ ومعنى الآية لا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى
والاصلاح بين الناس يدعى احدكم الى صلة رحم او بر فيقول حلفت بالله ان لا افعله فيعتل بيمينه
في ترك البر قال ابن جريج نزلت فالمعنى ولا تجعلوا الله معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به وان
تبروا علة النهي اى انهاكم عنه ارادة بركم وتقواكم واصلاحكم بين الناس او لا تجعلوا الله حاجزا
لما حلفتم عليه من انواع الخير فيكون المراد بالايمان الامور المحلوف عليها وان مع صلتها عطف بيان للامور
قال ابن جريج نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين حلف ان لا ينفق على مسطح حين خاض في حديث
الافك وقال غيره نزلت في عبد الله بن رواحة كان بينه وبين ختنه على اخته بشير بن النعمان الانصاري
شئ فحلف عبد الله ان لا يدخل عليه ولا يكلمه ولا يصلح بينه وبين خصمه فاذا قيل له فيه قال قد حلفت
بالله ان لا افعل فلا يحل لي الا ان ببر يميني فانزل الله تعالى هذه الآية في الصحيحين عن ابي موسى
الاشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني والله ان شاء الله لا احلف على
يمين فارى غيرها خيرا منها الا اتيت الذي هو خير وتحللتها وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليفعل الذي
هو خير وعن همام ابن منبه والله لان يلج احدكم بيمينه من اهله اثم له عند الله من ان يعطي كفارته
التي افترض الله عليه وروى الامام احمد عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فتركها كفارتها لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ
اللغو كل مطرح من الكلام لا يعتد به واختلف اهل العلم فيه فقال قوم ما سبق الى اللسان على عجلة
لصلة كلام من غير قصد وعقد كقول القايل لا والله وبلى والله وكلا والله وبه قال الشافعي رحمه الله

روي ابو داود ومحي السنة عن عايشة رضي الله عنها انها قالت لغو اليمين قول الانسان لا والله وبلى
والله وعنها ايضا ايمان اللغو ما كانت في الهزل والمراء والخصومة والحديث الذي لا يعقد عليه القلب
قال علي وطاوس هو اليمين في الغضب وروى ابن جرير باسناده عن الحسن بن ابي الحسن قال رسول مر
الله صلى الله عليه وسلم بقوم ينتضلون يعني يرمون ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اصحابه
فرمى رجل من القوم فقال اصبت والله واخطأت والله فقال الذي مع النبي صلى الله عليه وسلم حنث الرجل
يا رسول الله قال كلا ايمان الرماة لغو لا كفارة ولا عقوبة في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف فقال في حلفه باللات والعزى فليقل لا اله الا الله قال الشيخ ابن الكثير
فهذا لقوم حديثي عهد بجاهلية قد اسلموا والسنتهم قد الفت ما كانت عليه من الحلف باللات من غير قصد
فامروا ان يتلفظوا بكلمة الاخلاص كما تلفظوا بتلك الكلمة من غير قصد ليكون هذا بهذا ولهذا قال تعالى
ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور رحيم كما قال في الآية الاخرى في المائدة ولكن يؤاخذكم بما عقدتم
الايمان وقال قوم هو ان يحلف على شيء يرى انه صادق فيه ثم يتبين له خلاف ذلك وبه قال ابو حنيفة وغيره
قالوا لا كفارة فيه ولا اثم وقال سعيد بن جبير هو اليمين في المعصية لا يؤاخذه الله بالحنث فيها بل يحنث ويكفر
وقال زيد بن اسلم هو دعاء الرجل على نفسه كقول الانسان اعمى الله بصري ان لم افعل كذا اخرجني الله
من مالي ان لم آتك غدا فهذا كله لغو لا يؤاخذ الله به ولو آخذهم به لعجل لهم العقوبة قال تعالى ويدع الانسان
بالشر دعاءه بالخير وقال ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم للذين يؤلون من نسائهم
تربص اربعة اشهر يؤلون يحلفون والالية اليمين والمراد من الآية اليمين على ترك وطي المرأة قال قتادة
كان الايلاء طلاقا لاهل الجاهلية وقال سعيد بن المسيب كان ذلك من ضرار اهل الجاهلية كان الرجل لا يحب امرأته
ولا يريد ان يتزوجها غيره فيحلف ان لا يقربها ابدا فيتركها لا ايما ولا ذات بعل وكانوا عليه في ابتداء الاسلام
فضرب الله له اجلا في الاسلام فقال له تربص اربعة اشهر والتربص التثبت والتوقف فان فاؤوا رجعوا
عن اليمين بالوطي فان الله غفور رحيم قال اكثر اهل العلم اذا وطي خرج من الايلاء ويجب عليه كفارة
اليمين وقال الحسن وقتادة لا كفارة عليه لان الله تعالى وعد المغفرة فقال ان الله غفور رحيم وذلك
عند الاكثرين في اسقاط العقوبة لا في الكفارة وان عزموا الطلاق حققوه بالايقاع فان الله سميع لقولهم
عليم بنياتهم وفيه دليل على انها لا تطلق بعد مضي المدة ما لم يطلقها زوجها لانه شرط فيه العزم وقال
فان الله سميع عليم فدل على انه يقتضي مسموعا والقول هو الذي يسمع روى ابن جرير باسناده عن
سهيل بن ابي صالح عن ابيه قال سالت اثني عشر رجلا من الصحابة عن الرجل يولي امرأته وكلهم يقول
ليس عليه شيء حتى تمضي اربعة اشهر فيوقف فان فاء والا طلق ورواه الدارقطني من طريق سهيل
قال الشيخ ابن الكثير وهو مروي عن عمر وعثمان وعلي وابي الدرداء وعايشة ام المؤمنين وابن عمر

وابن عباس

وابن عباس رضي الله عنهم وبه قال جماعة من التابعين وهو مذهب مالك والشافعي واحمد بن حنبل واصحابهم
وجمهور المتاخرين وذهب آخرون الى انه يقع بمضي اربعة اشهر تطليقة وهو مروي عن عمر وعثمان
وعلي وابن مسعود وابن عباس وابن عمر وزيد بن ثابت وجماعة من التابعين وبه يقول ابو حنيفة
رحمه الله والمطلقات المدخول بهن من ذوات الاقراء يتربصن ينتظرن بانفسهن ثلثة قروء
فلا يتزوجن والقروء جمع القرء واختلفوا فيه فذهب جماعة الى انها الحيض وهو قول عمر وعلي وابن
مسعود وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم واليه ذهب اصحاب الراي واحتجوا بان النبي صلى الله
عليه وسلم قال للمستحاضة دعي الصلوة ايام اقرائك وانما تدع المرأة الصلوة ايام حيضها وذهب
جماعة الى انها الاطهار وهو قول زيد بن ثابت وعبد الله بن عمر وعايشة وهو قول فقهاء
السبعة وبه قال مالك والشافعي رحمهما الله واحتجا بان ابن عمر لما طلق امرأته وهي حايض قال النبي صلى
الله عليه وسلم لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم ان شاء امسكها وان شاء طلق قبل ان يمس فتلك العدة
التي امر الله ان تطلق لها النساء فاخبر ان زمان العدة هو الطهر وقد اخرج الايمة الاربعة من هذا العموم م
الامة اذا طلقت فانها تعتد عندهم بقرئين لانها على النصف من الحرة والقرء لا يتبعض فكملت لها قرآن
ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن قال عكرمة يعني الحيض وهو ان يريد الرجل مراجعتها
فتقول قد حضت الثالثة وقال ابن عباس وقتادة يعني الحبل فمعنى الآية لا يحل للمرأة كتمان ما خلق الله
في رحمها من الحيض والحبل ليبطل حق الزوج من الرجعة والولد ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر
معناه ان هذا من فعل المؤمنات وان كانت والكافرة في هذا الحكم سواء يقول ادّ حقي ان كنت المؤمنة م
مؤمنا يعني اداء الحقوق من فعل المؤمنين وبعولتهن يعني ازواجهن جمع بعل كالفحولة جمع فحل
سمي الزوج بعلا لقيامه بامر زوجته واصل البعل السيد والمالك احق بردهن اولى برجعتهن
اليهم في ذلك اي في حال العدة ان ارادوا اصلاحا اي ارادوا بالرجعة الاصلاح وحسن العشرة
لا الاضرار كما كانوا يفعلونه في الجاهلية كان الرجل يطلق امرأته فاذا قرب انقضاء عدتها راجعها
ثم تركها مدة ثم طلقها فاذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم بعد مدة طلقها يقصد بذلك تطويل العدة
عليها ولهن اي للنساء على الازواج مثل الذي عليهن بالمعروف قال ابن عباس اني احب ان
اتزين لامرأتي كما تحب امرأتي ان تتزين لي لان الله تعالى قال ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف
في صحيح مسلم عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته في حجة الوداع فاتقوا الله
في النساء فانكم اخذتموهن بامان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن ان لا يوطئن
فرشكم احدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف
وفي حديث بهز بن حكيم انه قال يا رسول الله ما حق زوجة احدنا قال ان تطعمها اذا طعمت و

تكسوها اذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا في البيت روى محي السنة وغيره عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكمل المؤمنين ايمانا احسنهم خلقا
وخياركم خياركم لنسائهم وللرجال عليهن درجة قال ابن عباس بما ساق اليها من المهر وانفق عليها
من المال وقيل بالعقل وقيل بالطلاق لان الطلاق بيد الرجل وقيل بالرجعة قال سفيان بالامارة
والله عزيز في انتقامه حكيم في امره وشرعه روى محي السنة وغيره ان معاذ بن جبل رضي الله عنه
خرج في غزاة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ثم رجع فراى رجالا يسجد بعضهم لبعض
فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا ان يسجد
لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها الطلاق مرتان روى عروة ابن الزبير رضي الله عنه كان
الناس في الابتداء يطلقون من غير حصر ولا عدد كان الرجل يطلق امرأته فاذا قاربت انقضاء
عدتها راجعها ثم طلقها كذلك ثم راجعها يقصد مضارتها فنزل الطلاق مرتان يعني الطلاق الذي
يملك الرجعة عقيبه مرتان فاذا طلق ثلاثا لم يحل له الا بعد نكاح زوج آخر قال الكاشفي الطلاق
مرتان احديهما طلاق النفس وشهواتها الدنيوية وما فيها والثانية طلاق الآخرة وما فيها فينبغي
للعارف ان يطلقها لان عروس الحق غار عن قلوب المحبين والعاشقين والمشتاقين ان يكون لهم
شيء دون الله مشاهد. وقيل ندب الى تفريق الطلاق لئلا يسارع الى تمام الفراق فامساك بمعروف
يعني اذا راجعها بعد الطلقة الثانية فعليه ان يمسكها بالمعروف والمعروف كل ما يعرف في الشرع من
اداء حقوق النكاح وحسن الصحبة او تسريح باحسان هو ان يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها
او يطلقها الطلقة الثالثة روى الامام احمد وغيره عن ابي رزين انه قال قال رجل يا رسول الله ارأيت
قول الله الطلاق مرتان فاين الثالثة قال التسريح باحسان ولا يحل لكم ان تاخذوا مما آتيتموهن
اعطيتموهن شيئا من المهور وغيره الا ان يخافا الا يقيما حدود الله يخاف المرأة ان تعصي الله
في امر زوجها ويخاف الزوج اذا لم تطعه امرأته ان يعتدي عليها نزلت في جميلة بنت عبد الله بن ابي
اوفى وقيل في حبيبة بنت سهل كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها
وكان بينهما كلام فاتت اباها فشكت اليه زوجها وقالت انه يسيء الي ويضربني فقال ارجعي الى زوجك
فاني اكره للمرأة ان لا تزال رافعة يديها تشكو زوجها قال فرجعت اليه الثانية وبها اثر الضرب فقال لها
ارجعي الى زوجك فلما رات ان اباها لا يشكيها اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت اليه زوجها
وارته آثارا بها من ضربه وقالت يا رسول الله لا انا ولا هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى ثابت فقال ما لك ولاهلك قال والذي بعثك بالحق ما على وجه الارض احب الي منها غيرك فقال لها
ما تقولين فكرهت ان تكذب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألها فقالت صدق يا رسول الله



ولكن خشيت ان يهلكني فاخرجني منه وقالت يا رسول الله ما كنت احدثك حديثا ينزل عليك خلافه
وهو من اكرم الناس حبه لزوجته ولكن ابغضه فلا انا ولا هو قال ثابت قد اعطيتها حديقة فقل
لها فلترد علي واخلي سبيلها فقال لها تردين عليه حديقته وتملكين بامرك قالت نعم فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ثابت خذ منها ما اعطيتها وخل سبيلها في البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان امرأة ثابت بن قيس اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ثابت قيس
ما اعتب عليه في خلق ولا دين ولكني اكره الكفر في الاسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتردين
حديقته قالت نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة رواه النسائي وغيره
فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به واعطت المال لانها ممنوعة من اتلاف
المال بغير حق ولا على الزوج فيما اخذ منها من المال اذا اعطته طائعة ويجوز الخلع في غير حال النشوز
غير انه يكره لما فيه من قطع الوصلة بلا سبب عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان من ابغض الحلال الى الله الطلاق وعن ثوبان رفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ايما امرأة
سالت زوجها الطلاق في غير ما باس فحرام عليها رائحة الجنة رواه ابو داود وغيره وقال طاوس
الخلع يختص بحال خوف النشوز لظاهر الآية والآية خرجت على وفق العادة في ان الخلع لا يكون
الا في حال خوف النشوز غالبا تلك حدود الله اي هذه اوامر الله ونواهيه وحدود الله ما منع الشرع
من المجاوزة عنه فلا تعتدوها فلا تجاوزوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون فان
طلقها يعني الطلقة الثالثة فلا تحل له من بعد اي من بعد الطلقة الثالثة حتى تنكح زوجا غيره اي
غير المطلق نزلت في تميمة وقيل في عايشة بنت عبد الرحمن بن عتيك القرظي كانت تحت ابن عمها رفاعة
ابن وهب بن عتيك القرظي فطلقها ثلاثا عن عروة عن عايشة رضي الله عنها انه سمعها تقول جاءت
امرأة رفاعة القرظي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني كنت عند رفاعة فطلقني فبت
طلاقي فتزوجت بعده عبد الرحمن بن الزبير وان ما معه مثل هدبة الثوب فتبسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال اتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى يذوق عسيلتك وتذوقي عسيلته وروي انها
لبثت ما شاء الله ثم رجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي قد مسني فقال لها
رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت بقولك الاول فلن نصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض النبي
صلى الله عليه وسلم فاتت ابا بكر رضي الله عنه فقالت يا خليفة رسول الله ارجع الى زوجي الاول
فان زوجي الآخر قد مسني وطلقني فقال لها ابو بكر رضي الله عنه قد شهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين اتيته وقال لك ما قال لا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر رضي الله عنه اتت عمر رضي الله عنه وقالت له مثل
ذلك فقال عمر رضي الله عنه لئن رجعت اليه لارجمنك رواه محي السنة وغيره ليس المراد بالعسيلة المني دون

الامام احمد والنسائي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا ان العسيلة الجماع فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا يعني فان طلقها الزوج الثاني بعد ما جامعها فلا جناح عليهما يعني على المراة وعلى الزوج الاول ان يتراجعا يعني بنكاح جديد ان ظنا اي علما وقيل رجوا لان احدا لا يعلم ما هو كائن الا الله ان يقيما حدود الله ان يكون بينهما الصلاح وحسن الصحبة وقال مجاهد معناه ان علما ان نكاحهما على غير دلسة واراد بالدلسة التحليل وهو مذهب سفيان والاوزاعي ومالك واحمد واسحق قالوا اذا تزوجت المطلقة ثلاثا زوجا آخر ليحللها للزوج الاول ان النكاح فاسد وذهبت جماعة الى انه اذا لم يشترط في النكاح مع الثاني انه يفارقها فالنكاح صحيح ويحصل به التحليل ولها صداق مثلها غير انه يكره اذا كان في عزمهما ذلك روى محيي السنة وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له قال نافع اتى رجل ابن عمر رضي الله عنهما فقال ان رجلا طلق امراته ثلاثا فانطلق اخ له من غير مؤامرة فتزوجها ليحللها للاول فقال لا الا نكاح رغبة كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله المحلل والمحلل له وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون ما امرهم الله ويعملون بمقتضى العلم واذا طلقتم النساء الآية نزلت في رجل من الانصار يدعى ثابت ابن يسار طلق امراته حتى اذا قرب انقضاء عدتها راجعها ثم طلقها بقصد مضارتها فبلغن اجلهن اي اشرفن على ان يبن بانقضاء العدة ولم يرد حقيقة انقضاء العدة لان العدة اذا انقضت لم يكن للزوج امساكها فامسكوهن بمعروف اي راجعوهن بمعروف قيل المراجعة بالمعروف ان يشهد على رجعتها وان يراجعها بالقول لا بالوطي او سرحوهن بمعروف اي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيكن املك بانفسهن ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا اي لا تقصدوا بالرجعة المضارة بتطويل الحبس ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه اي اضر بنفسه بمخالفة امر الله تعالى ولا تتخذوا آيات الله هزوا قال الكلبي قوله فامساك بمعروف او تسريح باحسان وكل من خالف امر الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا قال ابو الدرداء على ما رواه ابن مردويه وغيره هو ان الرجل كان يطلق امراته ثم يقول كنت لاعبا ويعتق ويقول مثل ذلك وينكح ويقول مثل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من قالهن لاعبا او غير لاعب فهن جائزات عليه الطلاق والعتاق والنكاح والمشهور في هذا الحديث الذي رواه ابوداود والترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والرجعة وقال الترمذي حديث حسن غريب واذكروا نعمة الله عليكم بالايمان وما انزل عليكم من الكتاب يعني القرآن والحكمة يعني السنة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء الآية نزلت في جميلة بنت يسار اخت معقل بن يسار المزني كانت تحت ابي البداح بن عاصم بن عدي بن عجلان فطلقها

في صحيح

في صحيح البخاري عن معقل بن يسار انه قال زوجت اختا لي من رجل فطلقها حتى اذا انقضت عدتها جاء يخطبها فقلت له زوجتك وفرشتك واكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها لا والله لا تعود اليك ابدا وكان رجلا لا باس به وكانت المراة تريد ان ترجع اليه فانزل الله تعالى الآية فقلت الآن افعل يا رسول الله قال فزوجها اياه فبلغن اجلهن انقضت عدتهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اي لا تمنعوهن عن النكاح والعضل المنع واصله الضيق والشدة يقال عضلت المراة اذا نشب ولدها في بطنها فضاق عليه الخروج والداء العضال الذي لا يطاق علاجه وفي الآية دليل على ان المراة لا تلي عقد النكاح اذ لو كانت تملك ذلك لم يكن هناك عضل ولا لنهي الولي عن العضل معنى وقيل الآية خطاب مع الازواج منعهم من الا ضرار لان ابتداء الآية خطاب معهم ونزول الآية في شان معقل بن يسار يرجح الاول وحينئذ فالخطاب للناس كلهم والمعنى لا يوجد فيما بينكم هذا الامر وعلى الوجه الثاني فالخطاب للازواج اذا تراضوا بينهم بالمعروف بعقد حلال ومهر جائز ذلك اي ذلك الذي ذكر من النهي يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر لانه المنتفع به والمنتفع به ذلكم ازكى لكم انفع لكم واطهر من دنس الآثام وذلك انه اذا كان في نفس كل واحد منهما علاقة حب لم يؤمن من الاولياء ان تسري الى قلوبهم منهما ما لعلهما ان يكونا بريئين من ذلك فياثمون والله يعلم المصالح فيما يامر به وينهى عنه وانتم لا تعلمون الخير فيما تاتون ولا فيما تذرون والوالدات يرضعن اولادهن يعم المطلقات وغيرهن وقيل يختص بهن اذ الكلام فيهن والكلام خبر بمعنى الامر للاستحباب لانه لا يجب عليهن الارضاع اذا كان يوجد من يرضع الولد لقوله تعالى في سورة الطلاق فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهن فان رغبت فهي اولى حولين كاملين ذكر الكمال للتاكيد لقوله تعالى تلك عشرة كاملة وقيل انما قال كاملين لان العرب قد يسمي بعض الحول حولا وبعض الشهر شهرا قال تعالى الحج اشهر معلومات وانما هي شهران وبعض الثالث عن ابن عباس وغيره هو حد لكل مولود باي وقت ولد لا ينقص رضاعه عن حولين الا باتفاق الوالدين فايهما اراد الفطام قبل تمام الحولين فليس له ذلك الا ان يجتمعا عليه لقوله تعالى فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور وقيل المراد بيان ان الرضاع الذي يثبت به الحرمة ما يكون في الحولين ولا يحرم ما يكون بعد الحولين عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحرم من الرضاع الا ما كان في الحولين رواه مالك وغيره لمن اراد ان يتم الرضاعة اي هذا منتهى الرضاع وليس فيما دون ذلك حد محدود وانما هو على مقدار صلاح الصبي وما يعيش به وعلى المولود له يعني الاب رزقهن طعامهن وكسوتهن لباسهن بالمعروف بما يعرفه الشرع وتستحسنه المروة لا تكلف نفس الا وسعها اي طاقتها لا تضار والدة بولدها فينزع الولد منها الى غيرها بعد ان رضيت بارضاعه ولا مولود له بولده اي لا تلقيه المراة الى ابيه بعد ما الفها تضاره بذلك وقيل معناه لا يضار والدة فيكره على ارضاعه اذا كرهت

سكم

هي ارضاعه وقبل الصبي من غيرها لان ذلك ليس بواجب عليها ولا مولود له بولده فيحمل على ان يعطي الام اكثر مما يجب لها اذا لم يرضع المولود من غيرها وعلى الوارث مثل ذلك اختلفوا في هذا الوارث فقال قوم هو وارث الصبي معناه وعلى وارث الصبي الذي لو مات الصبي وله مال ورثه مثل الذي كان على ابيه في حال حيوته ثم اختلفوا في انه اي وارث هو من ورثته فقال قوم هو وارث الصبي من الرجال والنساء وهو مذهب احمد وقالوا يجبر على نفقته كل وارث على قدر ميراثه عصبة كانوا او غيرهم وقال بعضهم هو من كان ذا رحم محرم من ورثة المولود فمن ليس بمحرم مثل ابن العم والمولى فغير مراد بالآية وهو قول ابي حنيفة وذهبت جماعة الى ان المراد بالوارث هو الصبي نفسه الذي هو وارث ابيه المتوفى يكون اجرة رضاعه ونفقته في ماله فان لم يكن له مال فعلى الام ولا يجبر على نفقة الصبي الا الوالدان وهو قول مالك والشافعي فان ارادا فصالا اي فطاما قبل الحولين عن تراض منهما اي اتفاق من الوالدين وتشاور اي يشاورون اهل العلم به حتى يخبروا ان الفطام في ذلك الوقت لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الراي فلا جناح عليهما اي لا حرج عليهما في الفطام قبل الحولين وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم اي لاولادكم مراضع غير امهاتهم ان ابت امهاتهم ان ترضعهم او تعذر لعلة بهن او انقطاع لبن او اردن النكاح فلا جناح عليكم اذا سلمتم الى امهاتهم ما آتيتم ما سميتم لهن من اجرة الرضاع بقدر ما ارضعن وقيل اذا سلمتم اجور المراضع اليهن بالمعروف واتقوا الله في جميع احوالكم واعلموا ان الله بما تعملون بصير فلا يخفى عليه شيء من احوالكم وافعالكم والذين يتوفون منكم اي يموتون ويتوفون آجالهم وتوفى واستوفى بمعنى واحد ومعنى التوفي اخذ الشيء وافيا ويذرون ويتركون ازواجا يتربصن ينتظرن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي تعتددن بترك الزينة والطيب والنقلة على فراق ازواجهن هذه المدة الا ان يكن حوامل فعدتهن بوضع الحمل قال سعيد بن المسيب الحكمة في هذه المدة ان فيها ينفخ الروح في الولد ويقال ان الولد يركض اي يتحرك في البطن لنصف مدة الحمل واربعة اشهر وعشر ومدة من نصف مدة الحمل وفي الصحيحين وغيرهما ان خلق احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله الملك فينفخ فيه الروح فهذه ثلث اربعينات باربعة اشهر والاحتياط بعشر بعدها لما قد ينقص بعض الشهور ثم لظهور الحركة بعد نفخ الروح فيه وعامة الفقهاء خصوا الآية بحديث سبيعة وهي ما رواه محيي السنة وغيره عن المسور بن مخرمة ان سبيعة نفست بعد وفاة زوجها بليال فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستاذنته ان تنكح فاذن لها فنكحت فاذا بلغن اجلهن اي انقضت عدتهن فلا جناح عليكم خاطب الاولياء فيما فعلن في انفسهن من التعرض للخطاب واختيار الازواج وقيل فيما فعلن من التزين وساير ما حرم عليهن للعدة والاحداد واجب على المراة في عدة الوفاة اما المعتدة عن الطلاق فان كانت رجعية

يعني الوالدين مع

فلا احداد

فلا احداد عليها في العدة ولها ان تصنع ما يشوق قلب الزوج اليها ليراجعها وان كانت باينة بالخلع او بالطلقات الثلاث فقيل لا احداد عليها وبه قال مالك والثاني عليها الاحداد كالمتوفى عنها زوجها وبه قال ابو حنيفة رضي الله عنه بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع فلو فعلن ما ينكره فعليهم ان يمنعوهن فان قصروا فعليهم الجناح والله بما تعملون خبير فيجازيكم عليه ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء اي النساء المعتدات واصل التعريض هو التلويح بالشيء والتعريض في الكلام ما يفهم به السامع مراده من غير تصريح والخطبة بالكسر التماس النكاح قال الاخفش الخطبة الذكر والخطبة التشهد والتعريض بالخطبة مثل ان يقول رب راغب فيك من يجد مثلك انك لجميلة وانك علي لكريمة روي ان سكينة بنت حنظلة تاملت من زوجها فدخل عليها ابو جعفر محمد بن علي الباقر في عدتها وقال يا بنت حنظلة انا من قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقالت سكينة اتخطبني وانا في العدة وانت يوخذ عنك فقال انا اخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ام سلمة وهي في عدة زوجها ابي سلمة فذكر لها منزلته من الله عز وجل وهو متحامل على يده حتى اثر الحصير في يده من شدة تحامله على يده فالمراة ان كانت خلية غير معتدة جاز خطبتها تصريحا وتعريضا وان كانت معتدة حرمت لغير صاحب العدة تصريحا مطلقا وتعريضا ان كانت رجعية ولا يحرم تعريضا ان كانت باينة او في عدة الوفاة او اكننتم اضمرتم في انفسكم من نكاحهن فلم تذكروه تصريحا ولا تعريضا علم الله انكم ستذكرونهن ولا تصبرون على السكوت عنهن وعن الرغبة فيهن وفيه نوع توبيخ ولكن لا تواعدوهن سرا في السر قال الحسن وقتادة وعطاء عن ابن عباس كان الرجل يدخل على المراة من اجل الزينة وهو يعرض بالنكاح ويقول لها دعيني فاذا وفيت عدتك اظهرت نكاحك ويعبر بالسر عن الوطي لانه يسر به عن العقد لانه سبب فيه فقال الشافعي السر هو الجماع قال امرؤ القيس الا زعمت بسباسة اليوم انني كبرت وان لا يحسن السر امثالي وقال الكلبي اي لا تصفوا انفسكم لهن بكثرة الجماع فيقول آتيك الاربعة والخمسة وامثال ذلك وقال مجاهد هو قول الرجل لا تفوتيني بنفسك فاني ناكحك الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ما ذكر من التعريض بالخطبة ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله اي لا تحققوا العزم على عقدة النكاح حتى تنقضي العدة وسماها كتابا لانها فرض من الله عز وجل لقوله تعالى كتب عليكم اي فرض عليكم واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه اي فخافوا الله توعدهم على ما يقع في ضمائرهم من امور النساء وارشدهم على اضمار الخير والاجتناب عن اضمار الشر ثم لم يؤيسهم من رحمته ولم يقنطهم من عائدته فقال واعلموا ان الله غفور حليم لا يعجل بالعقوبة لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا اي ولم تمسوهن ولم تفرضوا نزلت في رجل من الانصار تزوج امراة من بني حنيفة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها فنزلت هذه الآية فقال له رسول الله

صلى الله عليه وسلم متعها ولو بقلنسوتك لهن فريضة اى توجبوا لهن صداقا كان النبي صلى الله عليه
وسلم ينهى عن الطلاق ويقول ابغض الحلال الى الله الطلاق لانه سبب قطع الوصلة فظن ان فيه
حرجا فنفى الجناح عنه وقيل معناه لا سبيل للنساء عليكم ان طلقتموهن قبل المسيس والفرض بصداق
ولا تبعة وقيل لا جناح عليكم في تطليقهن قبل المسيس اى في اى وقت شئتم كانت المرأة حائضا او طاهرا
لا سنة ولا بدعة في طلاقهن قبل الدخول بخلاف المدخول بها لا يجوز تطليقها في حال الحيض ومتعوهن
اى اعطوهن من مالكم ما يتمتعن به والمتاع والمتعة ما يتبلغ به من الزاد على الموسع اى الغنى قدره
وعلى المقتر اى الفقير قدره اى امكانه وطاقته متاعا تمتيعا بالمعروف بالوجه الذى يستحسنه الشرع
والمروءة حقا على المحسنين الذين يحسنون انفسهم بالمسارعة الى الامتثال وبيان حكم الآية ان من تزوج
بامرأة ولم يفرض لها مهرا ثم طلقها قبل المسيس عليه المتعة بالاتفاق وان طلقها بعد الفرض وقبل المسيس
فلا متعة لها على قول الاكثرين ولها نصف المهر المفروض واختلفوا في المطلقة بعد الدخول بها فذهبت جماعة
الى انه لا متعة لها لانها تستحق المهر وهو قول اصحاب الرأى وذهبت جماعة الى انها تستحق المتعة لقوله تعالى
وللمطلقات متاع بالمعروف وهو قول عبد الله بن عمر وعطاء ومجاهد والقاسم بن محمد واليه ذهب الشافعي
رحمه الله لان استحقاقها المهر بمقابلة ما اتلف عليها من منفعة البضع وطأ المتعة على وحشة الفراق
فعلى القول الاول لا متعة الا لواحدة وهي المطلقة قبل الفرض والمسيس وعلى القول الثاني لكل مطلقة
متعة الا لواحدة وهي المطلقة بعد الفرض وقبل المسيس وقال بعضهم المتعة غير واجبة والامر بها امر
ندب واستحباب روى ان رجلا طلق امرأته وقد دخل بها فخاصمته الى شريح في المتعة فقال شريح لا تأب
ان تكون من المحسنين ولا تأب ان تكون من المتقين ولم يجبره على ذلك واختلفوا في قدر المتعة فروى
عن ابن عباس اعلاها خادم واوسطها ثلاثة اثواب درع وخمار وازار ودون ذلك وقاية او شيء من الورق
وبه قال الشعبي والزهري وهذا مذهب الشافعي قال اعلاها على الموسع خادم واوسطها ثوب واقلها
اقل ماله ثمن وحسن ثلثون درهما ومتع الحسن بن علي امرأة له بعشرة آلاف درهم فقال متاع قليل من
حبيب مفارق وقال ابو حنيفة مبلغها اذا اختلف الزوجان قدر نصف مهر مثلها لا يجاوز ذكره في المعالم
وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم هذا في المطلقة بعد
الفرض وقبل المسيس فلها نصف المفروض وان مات احدهما قبل المسيس فلها كمال المهر المفروض والمراد
من المسيس المذكور في الآية الجماع الا ان يعفون يعني النساء اى الا ان تترك المرأة نصيبها فيعود جميع الصداق
الى الزوج او يعفو الذي بيده عقدة النكاح اختلفوا فيه فذهب بعضهم الى ان الذي بيده عقدة النكاح
هو الولي وبه قال ابن عباس معناه الا ان يعفو المرأة بترك نصيبها الى الزوج ان كان ثيبا من اهل العفو
او يعفو وليها وقال بعضهم الذي بيده عقدة النكاح هو الزوج وهو قول علي وبه قال سعيد بن المسيب

د سعيدي

وسعيد بن جبير والشعبي وشريح ومجاهد وقتادة وقالوا لا يجوز لوليها ترك شيء من صداقها بكرا كانت
او ثيبا كما لا يجوز ان يهب شيئا من مالها وقالوا معنى الآية الا ان يعفو المرأة بترك نصيبها فيعود جميع
الصداق الى الزوج او يعفو الزوج بترك نصيبه فيكون لها جميع الصداق وان تعفوا اقرب للتقوى
اى والعفو اقرب للتقوى والخطاب للرجال والنساء جميعا عن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها
قبل الدخول فاكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو ولا تنسوا الفضل بينكم على بعض حثهما جميعا
على الاحسان روى ابن مردويه باسناده عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ليأتين على الناس زمان عضوض يعض المؤمن على ما في يديه وينسى الفضل
وقد قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير لا يضيع تفضلكم واحسانكم ثم
انه سبحانه وتعالى لما بين للمكلفين ما بين من معالم دينه واوضح لهم من شرائع شرعه امرهم بعد ذلك
بالمحافظة على الصلوات لوجوه احدها ان الصلوة لما فيها من القيام والقعود والركوع والسجود و
الخضوع والخشوع تفيد انكسار القلب من هيبة الله تعالى وزوال التمرد عن الطبع وحصول الانقياد
لاوامر الله والانتهاء عن مناهيه كما قال تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر والثاني ان الصلوة
تذكر العبد جلال الربوبية وذل العبودية وامر الثواب والعقاب فعند ذلك يسهل عليه الانقياد للطاعة
ولذلك قال واستعينوا بالصبر والصلوة والثالث ان كل ما تقدم من بيان النكاح والطلاق والعدة
اشتغال بمصالح الدنيا فاتبع ذلك بذكر الصلوة التي هي من مصالح الآخرة فقال حافظوا على الصلوات
اى واظبوا وداوموا على الصلوات المكتوبات بمواقيتها وحدودها واتمام اركانها في الصحيحين عن
ابن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى العمل افضل قال الصلوة لوقتها قلت ثم اى قال
الجهاد في سبيل الله قلت ثم اى قال بر الوالدين قال حدثني بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر
الاعمال فقال ان احب الاعمال الى الله تعجيل الصلوة لاول وقتها رواه ابو داود والترمذي قال الكاشف
المحافظة شهود السر مقام الغيب وخمود النفس عن دواعي الريب ومراقبة القلب انوار الكشف وروية
الروح مشاهدة الوصل ومراعاة الادب ظاهرا وباطنا اما الظاهر فاقامة الحدود في اركانها واما الباطن
فدفع الخواطر المذمومة الشاغلة عن روية الآخرة ثم الغيبة عن الاركان والرسوم برؤية الحق
جل جلاله في صلوته ثم الفناء في حقائق المشاهدة عن ملاحظة وجوده لغلبة سكر الوجود ومن هذا
حاله فهو غايب في سر الاصطلام ولا يعلم كيفية لغلبة الوقت ولا عيب عليه لانه قد بلغ مقام المشاهدة
وهذا مقصود الصلوة وهو اشارة النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه
يراك لكن صورة الاحكام يجرى على العارف ويحفظها عليه وان لم يعلم شانه فيها فهؤلاء القوم يغيبون
عن الظاهر لشغل الباطن والعامة يغيبون عن الباطن شغلا بالظاهر فشان ما بين الطايفتين والعوام

لو ذلك قبل الطلاق بالاتفاق كما لا يجوز م

اى ولا تنسوا ان يتفضل م

سألت م

الاصطلام
الاستيصال

طاحوا في اودية الغفلات فرتبوا احكام الظاهر واهل المعرفة طاروا في عالم المشاهدات فهم في عدمه
عن رسوم الاحكام استغراقا في بحار انوار مشاهدة ذى الجلال والاكرام والصلوة الوسطى خص من بينها
الصلوة الوسطى بالمحافظة عليها دلالة على فضلها والوسطى تانيث الاوسط ووسط الشيء خيره واعدله
واختلف العلماء من الصحابة ومن بعدهم في الصلوة الوسطى فقال قوم هي صلوة الفجر وهو قول عمر بن عمر وابن
عباس واليه ذهب مالك والشافعي لان الله تعالى قال وقوموا لله قانتين والقنوت طول القيام وصلوة
الصبح مخصوصة بطول القيام فيها والقنوت ولان الله تعالى خصها في اية اخرى من بين الصلوات فقال
وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا يعني تشهدها ملايكة الليل وملايكة النهار فهي مكتوبة في ديوان
الليل وديوان النهار وذهب قوم الى انها صلوة الظهر وهو قول زيد بن ثابت وابي سعيد الخدري واسامة
ابن زيد لانها في وسط النهار روى محيي السنة وغيره عن زيد بن ثابت قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يصلي الظهر بالهاجرة ولم يكن يصلي صلوة اشد على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منها فنزلت حافظوا على
الصلوات والصلوة الوسطى وذهب الاكثرون الى انها صلوة العصر رواه جماعة عن رسول الله صلى الله
وهو قول علي وعبد الله بن مسعود وابي ايوب وابي هريرة وعايشة رضي الله عنهم اجمعين وبه قال ابراهيم
النخعي وقتادة والحسن وهو مذهب احمد بن حنبل قال ابن المنذر وهو الصحيح عن ابي حنيفة وابي يوسف
ومحمد واختاره ابن حبيب المالكي رحمه الله روى الامام احمد عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله
يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارا ثم صلاها بين
العشائين بين المغرب والعشاء وكذا رواه مسلم روى ابن ابي حاتم ومحيي السنة عن زر بن حبيش قال
قلت لعبيدة سل عليا رضي الله عنه عن الصلوة الوسطى فسأله فقال كنا نرى انها صلوة الفجر حتى سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم الخندق شغلونا عن الصلوة الوسطى صلوة العصر ملأ الله
اجوافهم وقبورهم نارا وقطع القاضي الماوردي بان مذهب الشافعي ان صلوة الوسطى صلوة العصر وان
كان قد نص في الجديد وغيره انها الصبح لصحة الاحاديث قال الربيع والزعفراني قال الشافعي كلما قلت
وكان عن النبي صلى الله عليه وسلم اولى ولا تقلدوني وقال موسى بن ابي الجارود وعن الشافعي رضي الله عنه
اذا صح الحديث وقلت قولا فانا راجع عن قولي وقايل بذلك وهذا من سيادته وامانته وقال قبيصة بن
ذويب هي صلوة المغرب لانها وسط ليست باقلها ولا اكثرها ولم ينقل عن احد من السلف انها صلوة العشاء
وذكره بعض المتاخرين لانها بين صلوتين لا تقصران وقيل الصلوة الوسطى مجموع الصلوات الخمس
ورواه ابن ابي حاتم وابن عمر قال الشيخ ابن الكثير وفي صحته نظر وقال بعضهم هي احدى الصلوات
الخمس لا بعينها ابهمها الله تعالى تحريضا للعباد على المحافظة على اداء جميعها كما اخفى ليلة القدر في
شهر رمضان وساعة اجابة الدعوة في يوم الجمعة واخفى اسمه الاعظم في الاسماء ليحافظوا على جميعها

خلاف قول صاحبه في حديث النبي صلى الله عليه وسلم م

واختاره

واختاره امام الحرمين وقيل هي صلوة الجماعة وقيل صلوة الجمعة وقيل صلوة الخوف وقيل بل صلوة الفطر
وقيل بل صلوة عيد الاضحى وقيل الوتر وقيل الضحى ولم يقع اللجاج على قول واحد بل لم يزل النزاع فيها موجودا
في زمن الصحابة والى الآن وانما المدار ومعترك النزاع في الصبح والعصر قال الكاشف ابهم الصلوة الوسطى
لمراعاة جميع الاوقات ومراقبة احايين المكاشفات وقوموا لله قانتين القنوت لزوم الطاعة مع الخضوع
وفسرها بكل واحد من الطاعة والخضوع قال الشعبي وعطاء والحسن وغيرهم القنوت الطاعة قال
الكلبي لكل اهل دين صلوة يقومون فيها عاصين فقوموا انتم في صلوتكم مطيعين وقال مجاهد خاشعين
قال ومن القنوت طول الركوع وغض البصر والركود وخفض الجناح كان العلماء اذا قام احدهم يصلي
يهاب الرحمن ان يلتفت او يقلب الحصا او يعبث بشيء او يحدث نفسه بشيء من امر الدنيا الا ناسيا وقيل ساكتين لانه
يعني به كل السكوت وانما عني به ما قاله عليه الصلوة والسلام ان هذه الصلوة لا يصلح فيها كلام الادميين
انما هي قرآن وتسبيح وعلى هذا قيل اى الصلوة افضل فقال طول القنوت اى الاشتغال بالعبادة ورفض
كل ما سواه عن زيد بن ارقم قال كنا نتكلم خلف رسول الله صلى الله عليه في الصلوة تكلم الرجل منا صاحبه
الى جنبه حتى نزلت وقوموا لله قانتين فامرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام رواه الجماعة سوى ابن ماجة
وروى الحافظ ابو يعلى وغيره عن ابن مسعود قال كنا نسلم بعضنا على بعض في الصلوة فمررت برسول الله
صلى الله عليه وسلم فسلمت عليه فلم يرد علي فوقع في نفسي انه نزل في شيء فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم
صلوته قال وعليك السلام ايها المسلم ورحمة الله ان الله عز وجل يحدث من امره ما يشاء فاذا كنتم في الصلوة فاقنتوا
ولا تكلموا فان خفتم فرجالا او ركبانا رجال راجل ورجال مثل صاحب وصحاب وقايم وقيام ونايم ونيام
والركبان جمع راكب معناه ان لم يمكنكم ان تصلوا قانتين موفين للصلوة حقها لخوف فصلوا مشاة على ارجلكم
او ركبانا على ظهور دوابكم وهذا في حال المقاتلة والمسايفة يصلي حيث كان وجهه راجلا او راكبا مستقبل
القبلة وغير مستقبل القبلة يومي بالركوع والسجود ويجعل السجود اخفض من الركوع وكذلك اذا قصده سبع
او غشيه سيل يخاف منه على نفسه والصلوة في حال الخوف على اقسام فهذه صلوة شدة الخوف وساير
الاقسام سيأتي بيانها في سورة النساء ان شاء الله تعالى ولا ينتقص عدد الركعات بالخوف عند اكثر اهل العلم
وذهب الامام احمد الى ان صلوة الخوف يفعل في بعض الاحيان ركعة واحدة اذا تلاحم الجيشان وعلى هذا
يتنزل الحديث الذى رواه مسلم والنسائي وغيرهما عن ابن عباس قال فرض الصلوة على لسان نبيكم صلى
الله عليه وسلم في الحضر اربعا وفي السفر ركعتين وفي الخوف ركعة وبه قال الحسن البصري وقتادة والضحاك
وغيرهم قال البخاري في باب الصلوة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو وقال الاوزاعي ان كان تهيأ
الفتح ولم تقدروا على الصلوة صلوا ايماء كل امرء لنفسه فان لم تقدروا على الايماء اخروا الصلوة حتى
ينكشف القتال او تامنوا وبه قال مكحول وقال انس بن مالك حضرت مناهضة حصن تستر عند

عبيد م

الله تعالى م

عند اضاءة الفجر واشتد اشتعال القتال فلم يقدروا على الصلوة فلم يصل الا بعد ارتفاع النهار فصليناها ونحن مع ابي موسى ففتح لنا قال انس وما سرني بتلك الصلوة الدنيا وما فيها هذا لفظ البخاري ثم استشهد على ذلك بحديث تاخيره صلى الله عليه وسلم صلوة العصر يوم الخندق بعذر المحاربة الى بعد غيبوبة الشمس وبقوله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لاصحابه لما جهزهم الى بني قريظة لا يصلين احد منكم العصر الا في بني قريظة فمنهم من ادركته الصلوة في الطريق فصلوا وقال لم يرد منا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تعجيل السير ومنهم من ادركته الصلوة فلم يصل الى ان غربت الشمس في بني قريظة فلم يعنف واحدا من الفريقين وقال سعيد بن جبير اذا كنت في القتال وضرب الناس بعضهم بعضا فقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر واذكر الله فتلك صلوتك فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ اي فصلوا الصلوات الخمس تامة بحقوقها كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ اي مثل ما انعم عليكم وهداكم للايمان وعلمكم ما ينفعكم في الدنيا والآخرة فقابلوه بالذكر والشكر ثم اشار الى بعض آخر من الاحكام فقال وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا اي يتركون زوجات وَصِيَّةً اي فليوصوا وصية لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا تمتيعا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ من الدار ومن قرا وصية بالرفع فالتقدير كتب او عليهم وصية ومعنى الآية انه يجب على الذين يتوفون ان يوصوا قبل ان يحتضروا لازواجهم بان يمتعن بعدهم حولا بالسكنى وكان ذلك اول الاسلام ثم نسخ المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا فَإِنْ خَرَجْنَ من قبل انفسهن قبل الحول من غير اخراج الورثة فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ يا اولياء الميت فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ يعني التزين للنكاح مِن مَّعْرُوفٍ ما لم ينكره الشرع ولرفع الجناح وجهان احدهما لا جناح عليكم في قطع النفقة عنهن اذا خرجن قبل انقضاء الحول والاخر لا جناح عليكم في ترك منعهن عن الخروج لان مقامها حولا في بيت زوجها غير واجب عليها خيرها الله تعالى بين ان تقيم حولا ولها النفقة والسكنى وبين ان تخرج الى ان نسخه باربعة اشهر وعشرا وَاللَّهُ عَزِيزٌ ينتقم ممن خالفه حَكِيمٌ راع مصالحهم قال الاكثرون هذه الآية منسوخة بالتي قبلها وهي قوله يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا وروى ابن ابي حاتم باسناده عن ابن عباس رضي الله عنهما في الآية كان للمتوفى عنها زوجها نفقتها وسكناها في الدار سنة فنسختها آية المواريث فجعل لهن الربع والثمن مما ترك الزوج وفي البخاري قال ابن الزبير لعثمان بن عفان رضي الله عنهما والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا قد نسختها الآية الاخرى فلم تكتبها قال يا ابن اخي لا اغير شيئا من مكانه وفيه عن مجاهد والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا قال كانت هذه العدة تعتد عند اهل زوجها واجب فانزل الله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن من معروف قال جعل الله لها تمام السنة سبعة اشهر وعشرين ليلة وصية ان شاءت سكنت في وصيتها وان شاءت خرجت وهو قول الله غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فالعدة كما هي واجب عليها وقال عطاء ان شاءت اعتدت عند اهلها وسكنت في وصيتها وان شاءت خرجت

لقول الله تعالى

لقول الله تعالى فلا جناح عليكم فيما فعلن قال عطاء ثم جاء الميراث فنسخ السكنى فتعتد حيث شاءت ولا سكنى لها وقد استدل الشافعي وغيره على وجوب اربعة اشهر والعشر في منزل الزوج بما رواه مالك في موطاه عن سعد بن اسحق بن كعب عن عمته زينب بنت كعب ان الفريعة بنت مالك بن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري رضي الله عنهما اخبرتها انها جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله ان ترجع الى اهلها في بني خدرة فان زوجها في طلب اعبد له ابقوا حتى اذا كان بطرف القدوم لحقهم فقتلوه قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ارجع الى اهلي في بني خدرة فان زوجي لم يتركني في مسكن يملكه ولا نفقة قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت فانصرفت حتى اذا كنت في الحجرة ناداني رسول الله صلى الله عليه وسلم او امر بي فنوديت له فقال كيف قلت فرددت عليه القصة التي ذكرت له من شأن زوجي فقال امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله قالت فاعتددت فيه اربعة اشهر وعشرا قالت فلما كان عثمان بن عفان ارسل الي فسألني عن ذلك فاخبرته فاتبعه وقضى به ولذا رواه ابو داود والترمذي والنسائي من حديث مالك ورواه النسائي ايضا وابن ماجة من طرق عن سعد بن اسحق وقال الترمذي حديث حسن صحيح وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ انما اعاد ذكر المتعة ههنا لزيادة معنى وذلك ان في غيرها بيان حكم غير الممسوسة وفي هذه الآية بيان حكم جميع المطلقات في المتعة وقيل لانه لما نزل قوله ومتعوهن على الموسع قدره الى قوله حقا على المحسنين قال رجل من المسلمين ان احسنت فعلت وان اردت ذلك لم افعل فقال الله تعالى وللمطلقات متاع جعل المتعة لهن بلام التمليك وقال حقا على المتقين يعني المؤمنين المتقين الشرك قال الكاشف جعل لهن المتاع تسلية لقلوبهن لانهن مستاءات بالفراق لئلا تتضاعف لهن البلايا بلاء الهجران وبلاء الحرمان كَذَٰلِكَ اشارة الى ما سبق من احكام الطلاق والعدد يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ في احلاله وتحريمه وفروضه وحدوده فيما امركم به ونهاكم عنه بحسب ما تحتاجون اليه معاشا ومعادا في وقت احتياجكم لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ تفهمون وتتدبرون ثم اعلم ان عادته تعالى وتقدس في القرآن ان يذكر بعد بيان الاحكام القصص ليفيد الاعتبار للسامع ويحمله ذلك الاعتبار على ترك التمرد والعناد ومزيد الخضوع والانقياد فقال أَلَمْ تَرَ الآية وقد قال لما اراد الله سبحانه وتعالى الامر بالقتال ذكر الذين خرجوا من ديارهم لئلا ينكص عن امر الله بحب الحياة بسبب خوف الموت وليعلم كل احد ان ترك القتال انه لا يثق بالسلامة من الموت كما قال قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل واذا لا تمتعون الا قليلا فقال الم تر تعجيب وتقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب وارباب التواريخ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ قال اكثر اهل التفسير كانت قرية يقال لها داوردان قبل واسط وقع بها الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فهلك اكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا اصحابنا كانوا احزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن الى ارض لا وباء بها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة اهلها وخرجوا حتى نزلوا

وادياافيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناديهم ملك من اسفل الوادي واخر من اعلاه ان موتوا
فماتوا جميعا في الصحيحين وغيرهما ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى الشام فلما جاء سرغ بلغه ان
الوباء بالشام فاخبر عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم به بارض
فلا تقدموا عليها واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه فرجع عمر من سرغ وقال الكلبي ومقاتل و
الضحاك انما فروا من الجهاد وذلك ان ملكا من ملوك بني اسرائيل امرهم ان يخرجوا الى قتال عدوهم فعسكروا
ثم جبنوا وكرهوا الموت فاعتلوا وقالوا لملكهم ان الارض التي نأتيها بها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع منها الوباء
فارسل الله عليهم الموت فلما راوا ان الموت كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما راى الملك ذلك قال
اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم آية في انفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار
منك فلما خرجوا قال لهم الله موتوا عقوبة لهم فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموت رجل واحد فاتت عليهم ثمانية ايام
حتى انتفخوا واروحت اجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع
وتركوهم فيها فاتى على ذلك مدة وقد بليت اجسادهم وعريت عظامهم فمر عليهم نبي من الانبياء يقال له حزقيل
بن بوذي ثالث خلفاء بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام وذلك ان القيم بعد موسى بامر بني اسرائيل كان
يوشع بن نون ثم كالب بن يوفنا ثم حزقيل وكان يقال له ابن العجوز لان امه كانت عجوزا فسالت الله
الولد بعد ما كبرت وعقمت فوهبه الله لها قال الحسن ومقاتل هو ذو الكفل وسمي حزقيل ذا الكفل لانه كفل الموتى م
سبعين نبيا وانجاهم من القتل فلما مر حزقيل على اولئك وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم متعجبا فاوحى الله تعالى اليه
تريد ان اريك آية قال نعم فاحياهم الله تعالى وقال مقاتل والكلبي كانوا قوم حزقيل احياهم الله بعد ثمانية
ايام وذلك انه لما اصابهم ذلك خرج حزقيل في طلبهم فوجدهم موتى فبكى وقال يا رب كنت في قوم يحمدونك
ويسبحونك ويقدسونك ويكبرونك ويهللونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فاوحى الله اليه اني جعلت حياتهم
اليك فقال حزقيل احيوا باذن الله فعاشوا قال مجاهد انهم قالوا حين احيوا سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله
الا انت فرجعوا الى قومهم وعاشوا دهرا سحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد دسما مثل الكفن
حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم قال ابن عباس انها لتوجد اليوم في ذلك السبط من اليهود تلك الريح
وَهُمْ أُلُوفٌ جمع الف وقيل مؤتلفة قلوبهم جمع آلف مثل قاعد وقعود والصحيح ان المراد منه العدد
واختلفوا في مبلغه فقال عطاء الخراساني كانوا ثلاثة آلاف وقال وهب اربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي
ثمانية آلاف وقال ابو روق عشرة آلاف وقال السدي بضعة وثلاثين الفا وقال ابن جريج اربعين الفا
وقال عطاء بن ابي رباح سبعين الفا قال محيي السنة واولى الاقاويل قول من قال كانوا زيادة على عشرة
آلاف لان الله تعالى قال وَهُمْ أُلُوفٌ والالوف جمع الكثرة وجمع القليل آلاف ولا يقال لما دون عشرة آلاف
الوف حَذَرَ الْمَوْتِ اي من خوف الموت فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا امر تحويل كقوله تعالى كونوا قردة خاسئين

ثم احياهم

ثُمَّ أَحْيَاهُمْ بعد موتهم إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ فيما يريهم من الآيات الباهرة والحجج القاطعة والدلالات
اللامعة وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ كما ينبغي ولا يعتبرون ولا يستبصرون ثم لما بين انه لا يغني حذر عن
قدر وانه لا ملجأ من الله الا اليه وان المقدر كائن امرهم بالقتال فلو جاء اجلهم في سبيل الله والا فالفضل
والثواب وقال وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ في طاعة الله اعداء الله وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ سميع لما يقوله المتخلف
والسابق عليم بما يضمرانه وهو من وراء الجزاء عن سيف الله المسلول ابي سليمان خالد بن الوليد انه قال وجوه
في سياق الموت لقد شهدت كذا وكذا موقعا وما من عضو من اعضائي الا وفيه رمية او طعنة او
ضربة وها انا اموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت اعين الجبناء مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا القرض في
اللغة القطع سمي به لانه يقطع من ماله شيئا يعطيه ليرجع اليه مثله فسمى الله تعالى عمل المؤمنين له على رجاء
ما وعد لهم من الثواب قرضا لانه يقتضي وعده كالقرض الواجب اداء عوضه فاقراض الله تقديم العمل الذي
تطلب ثوابه وقيل معنى الآية من ذا الذي يقرض عباد الله والمحتاجين من خلقه لقوله ان الذين يؤذون الله
اي يؤذون عباد الله وبيان ربط الآية على هذا الوجه انه تعالى لما امر بالجهاد ندب العاجز عنه ان ينفق على
الفقير القادر عليه وامر القادر عليه ان ينفق على نفسه في طريقه على وجه يعم امرهما ايضا بالاقراض
والانفاق جار في الحديث على ما روي محيي السنة وغيره عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله يقول يوم القيمة ابن آدم استطعمك فلم تطعمني قال يا رب كيف اطعمك وانت
رب العالمين قال استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه اما علمت انك لو اطعمته لوجدت ذلك عندي قَرْضًا حَسَنًا
عن عمرو وغيره من السلف هو الانفاق في سبيل الله وقيل على القتال وقيل هو التسبيح والتقديس وقال الحسين
بن علي الواقدي يعني محتسبا طيبة بها نفسه وقال ابن المبارك من مال حلال وقيل لا يمن ولا يؤذي به فَيُضَاعِفَهُ
لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً فيضاعف جزاءه اضعافا كثيرة لا يقدرها الا الله روى الامام احمد عن ابي عثمان النهدي انه قال
اتيت ابا هريرة فقلت له بلغني انك تقول ان الحسنة تضاعف الف الف حسنة فقال وما اعجب من ذلك لقد
سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يضاعف الحسنة الفي الف حسنة قال الشيخ ابن الكثير هذا
حديث غريب وعلي بن زيد بن جدعان عنده مناكير لكن رواه ابن ابي حاتم من وجه آخر فروى باسناده عن
ابي عثمان النهدي قال لم يكن احد اكثر مجالسة لابي هريرة مني فقدم قبلي حاجا قال وقدمت بعده فاذا اهل
البصرة يأثرون عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يضاعف الحسنة الف الف
حسنة فقلت ويحكم والله ما كان احد اكثر مجالسة لابي هريرة مني ما سمعت هذا الحديث فتحملت اريد ان
الحقه فوجدته قد انطلق حاجا فانطلقت الى الحج ان القاه في هذا الحديث فلقيته فقلت يا ابا هريرة ما حديث
سمعت اهل البصرة يأثرون عنك قال وما هو قلت زعموا انك تقول ان الله يضاعف الحسنة الف الف حسنة
قال يا ابا عثمان وما تعجب من ذا والله يقول من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة و

لا نكون مع الساجدين وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا اي اي عرض لنا في ترك القتال وقد عرض لنا ما يوجبه
من الاطراح عن الاوطان والبلاد وسبي الابناء والاولاد فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا اعرضوا عن الجهاد
وضيعوا امر الله إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وهم الذين عبروا النهر مع طالوت واقتصروا على الغرفة على ما سياتي وهم
الذين عرفوا ان الله مع اوليائه براية النصر والظفر وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ وعيد لهم على ظلمهم في ترك
الجهاد قال فارسي لا يتجرد للحق من هو قائم مع الحق بسبب او علاقة او سكون او مسكن ثم لما بين في الآية
الاولى انه لجأهم الى ما سالوا ثم انهم تولوا فبين ان اول ما تولوا انكارهم امر طالوت فقال وَقَالَ لَهُمْ قدم
نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا وذلك ان اشمويل سال الله تعالى ان يبعث لهم ملكا فاتي بعصا
وقرن دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا يكون طوله طول هذه العصا وانظر القرن
الذي فيه الدهن فاذا دخل عليك رجل ونش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن به راسه
ومكنه عليهم وكان طالوت اسمه بالعبرانية شاول بن قيس من اولاد بنيامين بن يعقوب سمي طالوت
لطوله وكان اطول من كل احد براسه ومنكبيه وكان رجلا دباغا يعمل الادم قال وهب والسدي كان
سقايا يسقي على حمار له من النيل فضل حماره فخرج في طلبه وقال وهب بل ضلت حمر لابي طالوت فارسله
وغلاما في طلبها فمرا ببيت اشمويل فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسالناه عن امر الحمر ليرشدنا
ويدعو لنا فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له شان الحمر اذ نش الدهن الذي في القرن فقام اشمويل فقاس
طالوت بالعصا فكان على طولها فقال لطالوت قرب راسك فقربه فدهنه بدهن القدس ثم قال له انت ملك
بني اسرائيل الذي امرني الله ان املكه عليهم فقال طالوت اما علمت ان سبطي ادنى سبط بني اسرائيل قال
بلى قال فباي آية فقال بآية انك ترجع وقد وجد ابوك حمره فكان كذلك ثم قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث
لكم طالوت ملكا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وانما قالوا ذلك لانه كان في
بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة وكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنه
كان موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهودا بن يعقوب ومنه كان داود وسليمان ولم يكن
طالوت من احدهما انما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون
اي يجامعون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع الملك والنبوة عنهم وكانوا يسمونه
سبط الاثم فلما قال لهم نبيهم ذلك انكروا لانه لم يكن من سبط المملكة ومع ذلك انكروا فقالوا هو فقير
وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ اختاره عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فضيلة فِي الْعِلْمِ
وَالْجِسْمِ وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل في وقته وقيل انه اتاه الوحي حين اوتي الملك وقال الكلبي
وزاده بسطة في علم الحرب والجسم بالطول وقيل والجسم يعني بالجمال وكان طالوت اجمل رجل في بني
اسرائيل واعلمهم وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ اي هو الحاكم الذي ما يشاء فعل ولا يسال عما يفعل

وهم يسالون

وهم يسالون لعلمه وحكمته ورأفته بخلقه ولهذا قال وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ اي هو واسع الفضل يختص برحمته
من يشاء عليم بمن يستحق الملك ممن لا يستحقه وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ لما قيل له فما آية ملكه إِنَّ آيَةَ ان م
مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ وقصة التابوت ان الله تبارك وتعالى انزل تابوتا على آدم عليه السلام فيه صور الانبياء
وكان من عود الشمشاد نحوا من ثلثة اذرع في ذراعين فكان عند آدم الى ان مات ثم بعد ذلك عند شيث
ثم توارثه اولاد آدم الى ان بلغ ابراهيم ثم كان عند اسمعيل لانه كان اكبر ولده ثم عند يعقوب ثم كان
في بني اسرائيل الى ان وصل الى موسى عليه السلام ثم كان موسى يضع فيه التورية ومتاعا من متاعه فكان
عنده الى ان مات ثم تداولته انبياء بني اسرائيل الى وقت اشمويل فكان فيه ما ذكر الله تعالى فقال فِيهِ
سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ اي وقار كذا رواه العوفي عن ابن عباس وقال ابن جريج سالت عطاء عن قوله فيه
سكينة من ربكم قال ما يعرفون من آيات الله فيسكنون اليه وكذا قال الحسن البصري وقيل السكينة طست
من ذهب كانت يغسل فيه قلوب الانبياء اعطاها موسى فوضع فيها الالواح رواه السدي عن ابي مالك
عن ابن عباس وعن علي رضي الله عنهم انه قال السكينة لها وجه كوجه الانسان ثم هي ريح هفافة وعنه قال
السكينة ريح خجوج ولها راسان وعن وهب بن منبه هي روح من الله تعالى يتكلم اذا اختلفوا في شيء
يخبرهم ببيان ما يريدون وقال قتادة والكلبي السكينة فعيلة من السكون اي طمانينة من ربكم يعني اي
مكان كان التابوت اطمانوا او سكنوا اليه وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ يعني موسى وهرون
انفسهما كان فيه لوحان من التورية ورضاض الالواح التي تكسرت وكان فيه عصا موسى ونعلاه
وعمامة هرون وعصاه وقفيز من المن الذي كان ينزل على بني اسرائيل وكان التابوت عند بني اسرائيل
وكانوا اذا اختلفوا في شيء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال قدموه بين ايديهم يستفتحون به على عدوهم
فلما عصوا وفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وكان السبب في ذلك انه كان
الذي ربى اشمويل ابنان شابان وكان علي حبرهم وصاحب قربانهم فاحدث ابناه في القربان شيئا لم يكن
فيه وذلك انه كان مسوط القربان الذي كانوا يسوطونه به كلابين فما اخرجا كان للكاهن الذي يسوطه
فجعل ابناه كلاليب وكان النساء يصلين في القدس فيتشبثان بهن فاوحى الله الى اشمويل انطلق الى علي
فقل له منعك حب الولد من ان يزجر ابنيك ان يحدثا في قرباني وقدسي وان يعصياني فلانزعن منك
الكهانة ومن ولدك ولاهلكنك واياهما فاخبر اشمويل عليا بذلك ففزع فزعا شديدا فسار اليهم عدو
ممن حولهم وامر ابنيه ان يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا واخرجا معهما التابوت فلما تهيأوا للقتال
جعل علي يتوقع الخبر ماذا صنعوا فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه وقال ان الناس قد انهزموا و
ان ابنيك قد قتلا قال فما فعل التابوت قال ذهب به العدو فشهق ووقع على قفاه من كرسيه فمات
فمرج امر بني اسرائيل وتفرقوا الى ان بعث الله تعالى طالوت ملكا فسالوا البينة فقال لهم نبيهم ان

ويقول وما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة الا قليل والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان الله يضاعف الحسنة الفي الف حسنة وفي معنى هذا الحديث ما رواه الترمذي وغيره عن سالم بن
عبد الله بن عمر بن الخطاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل سوقا من الاسواق فقال لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحى عنه الف الف
سيئة روى ابن ابي حاتم عن ابن عمر انه قال لما نزلت مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت
سبع سنابل الى آخرها فقال رسول الله صلى الله رب زد امتي فنزل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب
وروى ابن حاتم عن كعب الاحبار انه جاء رجل فقال سمعت رجلا يقول من قرا قل هو الله احد مرة واحدة
بنى الله تعالى له عشرة آلاف الف غرفة من در وياقوت في الجنة افاصدق بذلك قال نعم او عجبت من ذلك
وعشرين الف الف وثلثين الف الف وما لا يحصي ذلك الا الله ثم قرا من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
فيضاعفه له اضعافا كثيرة فالكثير من الله عز وجل لا يحصى قال الكاشف القرض الحسن بذل المجهود مع الحياء
والخجل معرفة على تقصيره وفناء اطماع الاعواض والفرح بمخاطبة الحق معه وانما استقرض من عباده
ما العالم ليزيدهم ويزيد فضله على فضله وقيل سال القرض لرتبة الفقراء وقيل القرض الحسن
ما لا يطالع عليه الجزاء ولا يطالب بسببه العوض والله يقبض ويبصط يضيق على من يشاء من عباده الرزق
ويوسعه على اخرين وله الحكمة البالغة فهو الرزاق فلا يبخلوا عليه بما وسع الله عليكم وقيل هذا في القلوب
لما امرهم الله بالصدقة اخبر انهم لا يمكنهم ذلك الا بتوفيقه قال يقبض بعض القلوب فلا يبسط لخير ويبسط
بعضها فيقدم لنفسه خيرا كما في الحديث القلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء قال
الكاشف يقبض ارواح الموحدين بقبضة الجبروتية في نور الازلية ويبسط اسرار العارفين من قبضة
الكبرياء ويبسطها في مشاهدة سناء الابدية وايضا يقبض المشتاقين في دقائق التوحيد فيتجلى لهم مشاهدة
العظمة ويبسط العاشقين في جمال الانس فيتجلى لهم مشاهدة الجمال وصرف القربة ويقال القبض للمريدين
والبسط للمرادين ويقال القبض للمشتاقين والبسط للعارفين ويقال القبض لمن تولى عن الحق والبسط
لمن تجلى له الحق واليه ترجعون اي الى الله تعودون فيجزيكم باعمالكم وقال قتادة الطار راجعة الى
التراب كناية عن غير مذكور اي من التراب خلقهم واليه تعودون ثم ذكر قصة ثانية وهي قصة الطالوت
فقال الم تر الى الملا من بني اسرائيل الملا من القوم وجوههم واشرافهم واصل الملا الجماعة من الناس
لا واحد له من لفظه كالقوم والرهط والابل والخيل والجيش وجمعه املاء من بعد موسى من بعد موت
موسى اذ قالوا لنبي لهم اختلفوا في ذلك النبي فقال قتادة هو يوشع ابن نون ابن افرايم بن يوسف وقال
النبي بن الكثر وهذا القول بعيد لان هذا كان بعد موسى بدهر طويل وكان ذلك في زمن داود عليه السلام
كما هو مصرح به في القصة وقد كان بين داود وموسى ما ينيف عن الف سنة والله اعلم وقال السدي اسمه

شمعون

شمعون وانما سمي شمعون لان امه دعت الله ان يرزقها غلاما فاستجاب الله تعالى دعاءها فولدت
غلاما فسمته شمعون تقول سمع الله دعائي والسين يصير شينا بالعبرانية وهو شمعون ابن صفية بنت
علقمة بن ولد لاوي بن يعقوب وقال سائر المفسرين هو اشمويل وهو بالعربية اسمعيل بن يال بن علقمة قال
مقاتل هو من نسل هرون وقال مجاهد هو اشمويل بن هلفاقا قال وهب وابن اسحق والكلبي وغيرهم
كان سبب مسئلتهم اياه ذلك انه لما مات موسى خلف بعده في بني اسرائيل يوشع يقيم فيهم التورية وامر الله تعالى
حتى قبضه الله ثم خلف فيهم كالب بن يوقنا كذلك حتى قبضه الله تعالى ثم حزقيل حتى قبضه الله ثم عظمت الاحداث
في بني اسرائيل ونسوا عهد الله حتى عبدوا الاوثان فبعث الله اليهم الياس نبيا عليه السلام فدعاهم الى الله وكانت
الانبياء من بني اسرائيل بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا من التورية ثم خلف بعد الياس اليسع فكان
فيهم ما شاء الله ثم قبضه الله وخلفت فيهم الخلوف وعظمت الخطايا وظهر لهم عدو يقال له البلثاثا وهم قوم
جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين وهم العمالقة فظهروا على بني اسرائيل وغلبوا
على كثير من ارضهم وسبوا ذراريهم واسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة واربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية و
اخذوا توريتهم ولقي بنو اسرائيل منهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر امرهم وكان سبط النبوة قد هلكوا فلم
يبق منهم الا امراة حبلى فحبسوها في بيت رهبة ان تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل
في ولدها وجعلت المراة تدعو الله ان يرزقها غلاما فولدت غلاما فسمته اشمويل تقول سمع الله دعائي فكبر
الغلام فاسلمته ليتعلم التورية في بيت المقدس وكفله شيخ من علمائهم وتبناه فلما بلغ الغلام اتاه جبريل وهو نائم
الى جنب الشيخ وكان لا يأتمن عليه احدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ يا اشمويل فقام الغلام فزعا الى الشيخ فقال
يا ابتاه دعوتني فكره الشيخ ان يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه الثانية فقال
دعوتني فقال ارجع فنم فان دعوتك الثالثة فلا تجبني فلما كان الثالثة ظهر له جبريل فقال اذهب الى قومك
فبلغهم رسالة ربك فان الله قد بعثك فيهم نبيا فلما اتاهم كذبوه وقالوا استعجلت بالنبوة ولم يان لك و
قالوا ان كنت صادقا فابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله آية من نبوتك وانما كان قوام امر بني اسرائيل بالاجتماع
على الملوك وطاعة الملوك انبياءهم فكان الملك هو الذي يسير بالجموع والنبي يقيم امره ويشير عليه برشده ويأتيه
بالخبر من ربه وقال وهب بعث الله اشمويل نبيا فلبثوا اربعين سنة باحسن حال ثم كان من امر جالوت
والعمالقة ما كان فقالوا لاشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله جزم على جواب الامر فلما قالوا له
ذلك قال لهم هل عسيتم استفهام تقرير ان كتب فرض عليكم القتال مع ذلك الملك ان لا تقاتلوا ان لا تفون
وان لا تقاتلوا معه قالوا وما لنا ان لا نقاتل في سبيل الله قال الكسائي معناه وما لنا في ان لا نقاتل في سبيل
الله فحذف في وقال الفراء وما منعنا ان لا نقاتل في سبيل الله لقوله تعالى وما منعك الا تسجد وقال الاخفش
ان هنا صلة معناه لا نقاتل وبالجملة فقد جاء الحذف لقوله تعالى وما لكم لا تؤمنون والاثبات كقوله ما لك ان

آية ملكه ان يأتيكم التابوت وكان قصة التابوت ان الذين اسروا التابوت اتوا به قرية من قرى فلسطين يقال
لها ازدود وجعلوه في بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد والصنم تحته فاخذوه
ووضعوه فوقه وسمروا قدمي الصنم على التابوت فاصبحوا وقد قطعت يد الصنم ورجلاه واصبح ملقى تحت
التابوت واصبحت اصنامهم منكسة فاخرجوه من بيت الصنم ووضعوه في ناحية من مدينتهم فاخذ اهل تلك
الناحية وجع في اعناقهم حتى هلك اكثرهم فقال بعضهم لبعض اليس قد علمتم ان اله بني اسرائيل لا يقوم له شيء
فاخرجوه الى قرية اخرى فبعث الله على اهل تلك القرية فارا تبيت الفارة الرجل فيصبح ميتا قد اكلت ما في
جوفه فاخرجوه الى الصحراء فدفنوه في مخراة لهم فكان كل من تبرز هنالك اخذه الناسور والقولنج فتحيروا
فقالت لهم امراة كانت عندهم من سبي بني اسرائيل من اولاد الانبياء لا تزالون ترون ما تكرهون ما دام هذا
التابوت فيكم فاخرجوه عنكم فاتوا بعجلة باشارة تلك المراة وحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا
جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما اربعة من الملائكة يسوقونهما فاقبلا حتى وقفا على ارض بني اسرائيل
فكسر نيريهما وقطعا حبالهما ووضع التابوت في ارض فيها حصاد لبني اسرائيل ورجعا الى ارضهما فلم يرع بني اسرائيل
الا بالتابوت فكبروا وحمدوا الله فذلك قوله تحمله الملائكة اي تسوقه وقال ابن عباس جاءت الملائكة بالتابوت
تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته عند طالوت وقال الحسن كان التابوت مع الملائكة في
السماء فلما ولي طالوت الملك حملته الملائكة ووضعته بينهم وقال قتادة بل كان التابوت في التيه خلفه موسى
عند يوشع بن نون فبقي هناك فحملته الملائكة حتى وضعته في دار طالوت فاقروا بملكه ان في ذلك لآية لكم
ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس ان التابوت وعصا موسى في بحيرة الطبرية وانهما يخرجان قبل
يوم القيمة فلما فصل طالوت بالجنود اي خرج بهم واصل الفصل القطع يعني قطع مستقره شاخصا الى غيره
فخرج طالوت من بيت المقدس بالجنود وهم يومئذ سبعون الف مقاتل وقيل ثمانون الفا لم يتخلف عنه الا
كبير لهرمه او مريض لمرضه او معذور لعذره وذلك انهم لما راوا التابوت لم يشكوا في النصر فتسارعوا
الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لي في كل ما ارى لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة
مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج امراة ولم يبن بها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ
فاجتمع ثمانون الفا ممن شرطه وكانوا في حر شديد فشكوا قلة الماء بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا
تحملنا فادع الله ان يجري لنا نهرا فذلك قوله تعالى قال طالوت قال ان الله مبتليكم بنهر مختبركم ليرى
طاعتكم وهو اعلم بهم قال ابن عباس والسدي هو نهر فلسطين وقال قتادة نهر بين الاردن وفلسطين
عذب فمن شرب منه فليس مني اي من اهل ديني وطاعتي ومن لم يطعمه لم يشربه فانه مني الا
من اغترف غرفة بيده الغرفة بضم العين وفتحها لغتان قال الكسائي الغرفة بالضم الذي يحصل بالكف
من الماء اذا اغترف والغرفة الاغتراف فالضم اسم والفتح مصدر قال الكاشف امتحنهم بمجاهدة نفوسهم

النير الخشبة المعترضة في عنق ثورين ح

قبل مجاهدة

قبل مجاهدة عدوهم لينظر كيف يكون خلوصهم من الجهاد الاكبر قبل شروعهم في الجهاد الاصغر لان من يعجز عن
مجاهدة نفسه لا يصلح لمجاهدة غيره وتصديق ذلك في حق المبتلين الذين تجاوزوا عن الحد الذي سن لهم وشربوا
من النهر اكثر ما امرهم قولهم لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده والذين اخرجوا عن محاسبة نفوسهم وصرعوها
في ميادين الذل والاهانة فيصلحون لجهاد الكفار كما قال الله تعالى والذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة
قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فشربوا منه الا قليلا منهم واختلفوا في القليل الذي لم
يشربوا فقال السدي كانوا اربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وهو الصحيح روى محي السنة
وابن جرير باسنادهما عن البراء قال كنا اصحاب محمد نتحدث ان عدة اصحاب بدر على عدة اصحاب طالوت
الذين جاوزوا معه النهر ولم يجاوز معه الا مؤمن بضعة عشر وثلثمائة او ثلثة عشر فلما وصلوا الى النهر و
قد القى عليهم العطش وشرب منه الكل الا هذا العدد القليل فمن اغترف غرفة كما امره الله قوي قلبه
وصح ايمانه وعبر النهر سالما وكفيته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا امر
الله اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شط النهر وجبنوا عن لقاء العدو فلم يجاوزوا
ولم يشهدوا الفتح وقيل كلهم جاوزوا لكن لم يحضر القتال الا القليل الذين لم يشربوا الا الغرفة قال
الكاشف هذا مثل ضربه الله للدنيا ومن يطلبها لان الدنيا نهر الشهوات اجرى الله تعالى بين الخلائق
لامتحان العباد يضل بها قوما ويهدي بها قوما من شرب منها بقدر الضرورة لقوة العباد ويعبرها بشرط
الانفراد فانه من اهل الايقان والعرفان ويهتدي الى مشاهدة الرحمن ومن شرب منها بشرط الحرص
للمعاصي الغفلة قوة للمعصية يضل عن سبيل الرشاد ولا يرجع ابدا حتى يدخل النيران فلما جاوزه
يعني النهر هو يعني طالوت والذين آمنوا معه يعني القليل الذين لم يشربوا قالوا يعني الذين شربوا
وخالفوا امر الله وكانوا اهل شك ونفاق لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال ابن عباس والسدي
فانحرفوا ولم يجاوزوا قال الذين يظنون يستيقنون انهم ملاقوا الله ويتوقعون ثوابه وهم الذين
ثبتوا مع طالوت كم من فئة جماعة وهي جمع لا واحد له من لفظه وجمعه فئات وفئون غلبت فئة
كثيرة باذن الله بقضائه وارادته والله مع الصابرين بالنصر والمعونة ولما برزوا يعني طالوت
وجنوده المؤمنين لجالوت وجنوده المشركين ومعنى برزوا صاروا بالبراز من الارض وهو ما ظهر
واستوى قالوا ربنا افرغ انزل واصبب علينا صبرا وثبت اقدامنا قو قلوبنا عند لقاء العدو وانصرنا
على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وصفة قتله قال اهل التفسير عبر النهر
مع طالوت فيمن عبر ايشا ابو داود في ثلثة عشر ابنا له وكان داود اصغرهم وكان يرمي بالقذافة
فقال لابيه يوما يا ابتاه ما ارمي بقذافتي شيئا الا صرعته فقال ابشر يا بني فان الله عز وجل جعل
رزقك في قذافتك ثم اتاه مرة اخرى فقال يا ابتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت اسدا رابضا فركبته

ويروى ثلثمائة ح

قليلة ح

فاخذت باذنيه لم يجبني فقال ابشر يا بني فان هذا خير يريد الله بك ثم اتاه يوما آخر فقال يا ابتاه اني لا امشي بين الجبال فاسبح فما يبقى جبل الا سبح معي فقال ابشر يا بني فان هذا خير لعطاكه الله تعالى ثم ارسل جالوت الى طالوت انه ابرز الي او ابرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته ملكي فهاب الناس جالوت فلم يجب احد فسال طالوت نبيهم ان يدعو فدعا الله تعالى في ذلك فاتي بقرن فيه دهن القدس وتنور من حديد فقيل ان صاحبكم الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على راسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه راسه ولا يسال على وجهه يكون على راسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه لا يتقلقل فيه فدعا طالوت بني اسرائيل فجربهم فلم يوافقه منهم احد فاوحى الله الى نبيهم ان في ولد ايشا من يقتل الله به جالوت فدعا طالوت ايشا فقال له اعرض علي بنيك فاخرج اثني عشر رجلا امثال السوادي فجعل يعرضهم على القرن فلا يرى شيئا فقال لايشا هل بقي لك ولد غيرهم قال لا فقال النبي يا رب انه زعم انه لا ولد له غيرهم فقال كذب فقال النبي لايشا ان ربي كذبك قال صدق الله يا نبي الله ان لي بنيا صغيرا يقال له داود استحييت ان يراه الناس لقصر قامته وحقارته فخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكان داود رجلا قصيرا مسقاما مصفارا ازرق امعر فدعاه طالوت ويقال بل خرج اليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين الزريبة التي كان يريح اليها الغنم فوجده يحمل شاتين شاتين يجيز بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما رآه قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو بالناس ارحم فدعاه ووضع القرن على راسه ففاض فقال طالوت هل لك ان تقتل جالوت وازوجك ابنتي واجري حكمك في ملكي قال نعم قال وهل آنست من نفسك شيئا تتقوى به على قتله قال نعم انا ارعى فيجيء الاسد او النمر او الذئب فياخذ شاة فاقوم اليه فافتح لحييه عنها واخرقها الى قفاه فرده الى عسكره فمر داود في الطريق بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هرون الذي قتل بي ملك كذا فحمله في مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملني فاني حجر موسى الذي قتل بي ملك كذا فحمله في مخلاته ثم بحجر آخر فقال احملني فاني حجرك الذي تقتل بي جالوت فوضعه في مخلاته فلما اصطفوا للقتال وبرز جالوت وسال المبارزة انتدب له داود فاعطاه طالوت فرسا ودرعا وسلاحا فلبس السلاح وركب الفرس فسار قريبا ثم انصرف الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فوقف على الملك فقال ما شانك فقال ان الله ان لم ينصرني لم يغن عني هذا السلاح شيئا فدعني اقاتل كما اريد قال نعم فاخذ داود مخلاته فتقلدها واخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من اشد الناس واقواهم كان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة فيها ثلثمائة رطل حديد فلما نظر الى داود القي في قلبه الرعب فقال له انت تبرز لي قال نعم وكان جالوت على فرس ابلق عليه السلاح التام قال وانتني بالمقلاع والحجر كما يوتى الكلب قال نعم وانت شر من الكلب قال لاجرم

الاكليل شبه عصابة تزين بالجوهر ه

الزريبة الموضع الذي يبيت فيه الغنم ه

لاقسمن

٧

لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء قال داود او يقسم الله لحمك فقال داود باسم اله ابراهيم واخرج حجرا ثم اخرج الاخر وقال باسم اله اسحق ووضعه في مقلاعه ثم اخرج ثالثا وقال باسم اله يعقوب ووضعه في مقلاعه فصار كلها حجرا واحدا ودور المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى اصاب الحجر انف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من وراءه ثلثين رجلا وهزم الله تعالى الجيش وخر جالوت قتيلا فاخذه يجره حتى القاه بين يدي طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين والناس يذكرون داود فجاء داود طالوت وقال انجز لي ما وعدتني فقال اتريد ابنة الملك بغير صداق فقال داود ما شرطت علي صداقا وليس لي شيء فقال لا اكلفك الا ما تطيق انت رجل جريء وفي جبالنا اعداء لنا غلف فاذا قتلت منهم مائتي رجل وجئتني بغلفهم زوجتك ابنتي فاتاهم فجعل كلما قتل منهم رجلا نظم غلفته في خيط حتى نظم غلفهم فجاء بها الى طالوت فالقاها اليه وقال ادفع الي امراتي فزوجه ابنته واجرى خاتمه في ملكه فمال الناس الى داود واحبوه واكثروا ذكره فحسده طالوت واراد قتله فاخبر بذلك ابنة طالوت رجل يقال له ذو العينين فقالت لداود انك مقتول الليلة قال ومن يقتلني قالت ابي قال وهل اجرمت جرما قالت حدثني من لا يكذب ولا عليك ان تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان اراد ذلك ما استطيع خروجا ولكن ايتيني بزق خمر فاتته به فوضعه في مضجعه على السرير وسجاه ودخل تحت السرير فدخل طالوت نصف الليل فقال لها اين بعلك فقالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف ضربة فسالت الخمر فلما وجد ريح الشراب قال يرحم الله داود ما اكثر شربه الخمر وخرج فلما اصبح علم انه لم يفعل شيئا فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق ان لا يدعني حتى يدرك مني ثاره فاشتد حجابه وحراسه واغلق دونه ابوابه ثم ان داود اتاه ليلة وقد هدات العيون فاعمى الله الحجبة وفتح له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند راسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن يساره ثم خرج فلما استيقظ طالوت بصر بالسهام فعرفها فقال يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني ولو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وما انا بالذي آمنه فلما كانت القابلة اتاه ثانيا واعمى الله الحجاب فدخل عليه وهو نائم فاخذ ابريق طالوت الذي يتوضا منه وكوزه الذي كان يشرب منه وقطع شعرات من لحيته وشيئا من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى فلما اصبح طالوت وراى ذلك سلط على داود العيون وطلبه اشد الطلب فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب يوما فوجد داود يمشي في البرية فقال اليوم اقتله فركض على اثره فاشتد داود وكان اذا فزع لم يدرك فدخل غارا فاوحى الله تعالى الى العنكبوت فنسج عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان دخل هاهنا لخرق بناء العنكبوت فتركه ومضى وانطلق داود واتى الجبل مع المتعبدين يتعبد فيه وطعن العلماء والعباد على طالوت في شان داود فجعل طالوت لا ينهاه احد عن قتل داود الا قتله واغرى بقتل العلماء فلم يكن يقدر على عالم من بني اسرائيل يطيق قتله الا قتله

الاغلف الذي لم يختن م

حتى بامراة تعلم اسم الله الاعظم فامر خبازه بقتلها فرحمها الخباز و قال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها فوقع
في قلب طالوت التوبه و ندم على ما فعل و اقبل على البكا حتى رحمه الناس و كان كل ليلة يخرج الى القبور
فيبكي و ينادي انشد الله عبدا يعلم ان لي توبه الا اخبرني بها فلما اكثر عليهم ناداه مناد من القبور يا طالوت
اما رضيت ان قتلتنا حتى تؤذينا امواتا فازداد بكاء و حزنا فرحمه الخباز فقال مالك ايها الملك قال هل تعلم
لي في الارض عالما اساله هل لي من توبه فقال الخباز انما مثلك مثل ملك نزل قريه عشاء فصاح الديك
فتطير منه فقال لا تتركوا في القريه ديكا الا ذبحتموه فلما اراد ان ينام قال لاصحابه اذا صاح الديك فايقظونا
حتى ندلج فقالوا والله وهل تركت ديكا يسمع صوته وهل تركت عالما في الارض فازداد حزنا وبكاء فلما راى
الخباز ذلك قال له ارايتك ان دللتك على عالم لعلك ان تقتله قال فتوثق عليه الخباز فاخبره ان المراة العالمة
عنده قال انطلق بي اليها اسالها هل لي من توبه وكان تعلم ذلك الاسم اهل بيت فاذا فنيت رجالهم علمت
نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال الخباز انها اذا راتك فزعت فخلفه خلفه ثم دخل عليها فقال لها الست اعظم
الناس منة عليك انجيتك من القتل وآويتك قالت بلى فقال فان لي اليك حاجه هذا طالوت يسال هل لي
من توبه فغشي عليها من الفرق فقال لها انه لا يريد قتلك ولكن يسالك هل له من توبه قالت لا والله لا اعلم
لطالوت توبه ولكن هل تعلمون مكان قبر نبي فانطلق بها الى قبر اشمويل فصلت ودعت ثم نادت صاحب
القبر فخرج اشمويل من القبر ينفض راسه من التراب فلما نظر اليهم ثلاثتهم قال ما لكم اقامت القيامة قالت
لا ولكن طالوت يسالك هل له من توبه قال اشمويل يا طالوت ما فعلت بعدي قال لم ادع من الشر شيا
الا اتيته وجئت لطلب التوبه قال كم لك من الولد قال عشرة رجال قال ما اعلم لك من توبه الا ان تتخلى من ملكك
وتخرج انت واولادك في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى تقتلوا بين يديك ثم تقاتل انت حتى تقتل آخرهم
ثم رجع اشمويل الى القبر وسقط وخر ميتا ورجع طالوت احزن ما كان رهبة ان لا يتابعه اولاده وقد
بكى حتى سقطت اشفار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه اولاده فقال لهم ارايتم لو دفعت الى النار هل كنتم
تفدونني قالوا بلى نفديك بما قدرنا عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما اقول لكم قالوا ما عرض علينا فذكر
لهم القصه قالوا وانك لمقتول قال نعم قالوا فلا خير لنا في الحيوة بعدك قد طابت انفسنا بالذي سالت
فتجهز بماله وولده فتقدم ولده وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد هو بعدهم حتى قتل فجاء
قاتله الى داود ليبشره وقال قتلت عدوك فقال داود ما انت بالذي يحيى بعده فضرب عنقه فكان ملك
طالوت الى ان قتل اربعين سنه واتى بنو اسرائيل بداود واعطوه خزاين طالوت وملكوه على انفسهم
قال الضحاك والكلبي ملك داود بعد قتل جالوت سبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد الا
على داود فذلك قوله وَآتَيهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ يعني النبوة جمع الله لداود بين الملك والنبوة ولم يكن
من قبل بل كان الملك في سبط والنبوه في سبط وقيل الملك والحكمه هو العلم والعمل وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ

قال الكلبي

قال الكلبي وغيره يعني صنعة الدروع فكان يصنعها و يبيعها وكان لا ياكل الا من عمل يده و قيل منطق
الطير وكلام الحكل و النمل و قيل هو الزبور و قيل الصوت الطيب و الالحان فلم يعط الله احدا من خلقه
مثل صوته كان اذا قرا الزبور يدنو الوحوش حتى يوخذ باعناقها و يظله الطير مصيخة له و يركد الماء
الجاري و يسكن الريح و روي الضحاك عن ابن عباس هو ان الله تعالى اعطاه سلسله موصوله بالمجرة
وراسها عند صومعته قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصله بالجواهر مدسرة
بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في الهوا حدث الا صلصلت السلسله فعلم داود عليه السلام ذلك
الحدث ولا يمسها ذو عاهه الا برء وكانوا يتحاكمون اليها بعد داود الى ان رفعت فمن تعدى على صاحبه او
انكر له حقا اتى السلسلة فمن كان صادقا مد يده الى السلسله فنالها ومن كان كاذبا لم ينلها فكانت كذلك الى
ان ظهر فيهم المكر والخديعه قال الكاشفه الطالوت هيها الروح وهو ملك الباطن ومثل داود نبي الله
العقل وجنوده القلب وملك الالهام والعلم والفهم والادراك والحواس ومثل جالوت عدو الله الشيطان
وجنده مثل الخيال واعوان الشهوات فامر الله تعالى الروح بالمجاهده مع اجناد النفس الامارة اى فلما
فصل الروح قال ان الله مبتليكم بنهر يعني بنهر الشهوه الذي يشرب منه النفس بكاس الغفله واصاف
اليهم المشرب لان الروح مقدسه عن رجس البشريه فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني اى
من نور القدس وعالم الانس الا من اغترف غرفة بيده اى القلب والحواس والنفس يغترفون بقدر
الوعه حتى لا يحترقوا في جهاد الروح بغيرات المحبه والمواجد التي يحصل منه نور المعرفه فشربوا منه يعني
النفس واعوانها لانهم من ملكوت الارض لاجل ذلك مالوا الى طعم الطبيعه الا قليلا منهم اى العقل والملك
لانها من ملكوت السماء وليس لها الا لذه القربه اما شرب القلب قدر الكفايه لانه ممزوج بخلاصة الجسم
فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه اى الروح والعقل والملكه والقلب والحواس قالوا لا طاقة لنا اليوم
بجالوت وجنوده يعني اوباش الطبيعه وقت محاربة النفس واعوانها لانهم جبنوا اسكرتهم مياه الشهوة
من نهر الغفله فصاروا وجلس عن الجهاد وقال الذين يظنون انهم ملاقوا الله اى يقول اعوان الروح
الذين يوقنون كشف العيان بعد مجاهدة الشيطان كم من فئة قليلة بالعدد معها نور النفس غلبت
فئة كثيرة ليس معها النصر من عند الله والله مع الصابرين الذين وقفوا على مراد الحق بنعت الرضا
والتسليم ورويه كرمه القديم وتسليمهم من مباشرتهم حظ مشاهده الحق ولما برزوا الجالوت وجنوده
اى برز الروح وجنده للشيطان وجنده قالوا اى الذين عاينوا نور الايمان جمال المشاهده ربنا افرغ علينا
صبرا اى احبسنا بلذه المحبة حتى يقف في بساط الرحمه ونشرب حرارة المحبه بجمال المشاهده وثبت اقدامنا
في صدمة القهر وانصرنا على القوم الكافرين على الشيطان وآتاه الله الملك يعني سلطنة في ولايه القلب
على جميع جنود النفس واعوانها والحكمه يعني المعرفه على احكام المحبه والقربة والمشاهدة والمكاشفه

الحكل ما لا ينطق له
م

قال عبد العزيز تعالى ان داود عليه الصلوة والسلام رمى بثلثة احجار وفي الاشارة رمى بالنفس وطلق الدنيا وخالف الهوا فهزم الله جالوت وقيل وعلمه مما يشاء اى من علوم الغيب حتى صارت منفرده برويه مشاهدة الغيب وعجايبه ثم لما بين ان الشاد الواقع لجالوت وجنوده زال بما كان من طالوت وجنوده وربما كان من داود من قبل جالوت بين من عقيب ذلك جملة يشتمل على كل تفصيل في هذا الباب وهو انه تعالى يدفع الناس بعضهم لكيلا يفسد الارض فقال وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ قال ابن عباس ومجاهد لولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الارض فقتلوا المومنين وخربوا المساجد والبلاد وقال ساير المفسرين لولا دفع الله بالمومنين والابرار عن الكفار والفجار لهلكت الارض عن فيها ولكن يدفع بالمومن عن الكافر وبالصالح عن الفاجر روى محي السنة وابن جرير باسنادهما عن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليدفع بالمسلم الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرا ابن عمر ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض قال الشيخ ابن الكثير وهذا اسناد ضعيف فان يحيى ابن سعيد هذا هو العطار الحمصي وهو ضعيف جدا ثم روى ابن جرير عن جابر بن عبد الله انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده واهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله عز وجل ما دام فيهم قال الشيخ وهذا ايضا غريب ضعيف لما تقدم ايضا وروى ابو بكر بن مردويه عن ثوبان مرفوعا انه قال لا يزال فيكم سبعة بهم تنصرون وبهم تمطرون وبهم ترزقون حتى ياتي امر الله وروى عن عبادة بن الصامت انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الابدال في امتي ثلاثون بهم تقوم الارض وبهم تمطرون وبهم تنصرون قال قتادة انى لارجوا ان يكون الحسن منهم وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ اى من فضله عليهم ورحمته بهم يدفع عنهم بعضهم ببعض وله الحكم والحكمة والحجة على خلقه قال الكاشف لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اى دفعه بجنود الملكوتيه جنود الانسانيه لفسدت الارض يعنى بطون الاولياء والمعرفه في سد بطلاب المشاهدة والقربه ولكن الله ذو فضل على العالمين بتجلى العالم الارواح فتعلى على النفوس الاماره والشياطين المتمردة وايضا يتجلى بمشاهدة القهر لعالم النفوس والشياطين حتى سرقوا اعطاهم بعض حقائق القلوب من علم الارواح ويحرقوا دوان العقل في عالم الغيب تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ اى ما قصصنا من حديث الالوف وتملك طالوت واتيان التابوت وانهزام الجبابرة وقتل داود جالوت آيات الله نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ بالوجه الذي كان الامر عليه ولا يشك فيه اهل الكتاب وارباب التواريخ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ لما اخبرت بها من غير تعرف واستماع تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ كلمه الله وهو موسى ليلة الحيرة وفي الطور ومحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج حين كان قاب قوسين او ادنى وكذلك آدم كما وردت في الحديث المروي في صحيح ابن حبان عن ابي ذر رضي الله عنه وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ كما ثبت في حديث الاسرا حين راى النبي صلى الله عليه وسلم الانبياء في السموات بحسب تفاوت منازلهم عند الله

اشاره الى الجماعه المذكوره قصتهم في السوره او جماعة الرسل واللام للاستغراق م

ابني

عز وجل قال الامام محي السنه وما اوتي نبي اية الا اوتي نبينا مثل تلك الاية وفضل على غيره بايات مثل انشقاق القمر باشارته وحنين الجذع على مفارقته وتسليم الحجر والشجر عليه وكلام البهايم والشهاده برسالته ونبع الماء من بين اصابعه وغير ذلك من المعجزات والآيات التي لا تحصى واظهرها القرآن الذي عجز اهل السما والارض عن الاتيان بمثله عن ابي هريره رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من نبي من الانبيا الا وقد اعطي من الآيات ما امن على مثله البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي فارجوا ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمه وعن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي واعطيت الشفاعه وكل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضلت على الانبياء بست اوتيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب واحلت لي الغنايم وجعلت لي الارض مسجدا وطهورا وارسلت الى الخلق كافة وختم بي النبيون قال الكاشف فضل انبيائه بعضهم على بعض ليلا يسكنوا عن طلب المقامات والدرجات وقال ابو بكر الفارسي الصوفي ما خلق الله شيا الا متفاضلا متفاوتا اقدارهم حتى الرسل قال الله عز وجل تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض ليعلم بذلك نقص الخلق وكماله جل وعلا وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ اى الدلايل القاطعات على صحة ما جاء به بني اسرايل من انه عبد الله ورسوله اليهم وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ بجبريل عليه السلام وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ من بعد الرسل مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ ثبت على ايمانه بفضل الله وتوفيقه وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ بخذلانه قال الامام فيه سوالات الاول انه تعالى قال في اول الآيه فضلنا بعضهم على بعض ثم عدل عن هذا النوع من الكلام الى المغايبه فقال منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ثم عدل من المغايبه الى النوع الاول فقال وآتينا عيسى ابن مريم فما الفايده في العدول عن المخاطبه الى المغايبه ثم عنها الى المخاطبه مرة اخرى فالجواب ان قوله منهم من كلم الله اهيب واكثر وقعا من ان نقال منهم من كلمنا ولذلك قال وكلم الله موسى تكليما واختار لفظ الغيبه واما قوله تعالى وآتينا عيسى ابن مريم البينات فانما اختار لفظ المخاطبه لان الضمير في قوله تعالى وآتينا ضمير التعظيم وتعظيم الموتى يدل على عظم الايتاء السوال الثاني لم خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر وهل يدل ذلك على انهما افضل من غيرهما فالجواب سبب التخصيص ان معجزاتهما ابهر واقوى من معجزات غيرهما وايضا فامتهما موجودون حاضرون في هذا الزمان وامم ساير الانبياء ليسوا موجودين فتخصيصهما بالذكر تنبيه على الطعن في امتهما كانه قيل هذان الرسولان مع علو درجتهما وكثرة معجزاتهما لم يحصل الانقياد من امتهما كانه لهما بل نازعوا وخالفوا وعن الواجب عليهم في طاعتهما اعرضوا السوال الثالث تخصيص عيسى ابن مريم بايتاء البينات يدل او يوهم ان ايتاء البينات ما حصل في غيره ومعلوم ان ذلك

م ورابها

المظلومين وقوله لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ اى له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا فهو تقرير لقيوميته واحتجاج على تفرده في الالوهية دال على انه مالك الملك والملكوت مبدع الاصول والفروع قال الكاشف ازال حلاوة زهرة الكونين والعالمين عن قلوب اهل المعرفة بقوله له ما في السموات اى الحوادث لي استاصلها عن مرار وحدانيتي وهي اسرار الموحدين ودعهم بعنايتهم عن الاسباب والعلات وفتح من التفت سر عنده الى ماله لان الالتفات من المنعم الى النعماء شرك بالمنعم مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ بيان لكبرياء شانه انه لا احد يستقل بان يدفع ما يريده شفاعة واستكانه فضلا ان يعاوقه عنادا ومناصبه قال الكاشف ادب الخلق بهذه الآيه حتى لا ينبسط اليه الا من غلب عليه السكر والانبساط والاذن في مقام الهيبه عند سرادق العظمة والحكم حال الانبساط في بساط الالفة والخايفون يراقبون الاذن والعاشقون يعربدون ويتيهون في الحكم لان صاحب الحكم في هيجانه ملتبس باسرار التوحيد معزل الاشباح بنعت التفريد اسكر به مشاهدة الحق واضطربه مكاشفة القدس الى البسط والانبساط وهذان الوصفان يكونان في العارف من الانبياء والاولياء والاول نعت ابدي والاخر نعت ازلي وقيل جذب به قلوب عباده اليه في العاجل والآجل قال الواسطي لو جعل الى نفسه وسيلة غير نفسه كان معلولا ومن تزين باخلاصه محبته ورضاه توسل بصفاته الى من لا وسيلة له قال الله عز وجل من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ قال مجاهد وعطاء والسدي ما بين ايديهم من امر الدنيا وما خلفهم من امر الاخره وقال الكلبي ما بين ايديهم يعنى الآخره لانهم يقدمون عليها وما خلفهم الدنيا لانهم يخلفونها وراء ظهورهم وقال ابن جريج ما بين ايديهم ما مضى امامهم وما خلفهم ما يكون بعدهم وقيل ما بين ايديهم ما قدموه من خير وشر وما خلفهم ما هم فاعلوه فقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم يدل على انه عالم بالاشياء كلها جليها وخفيها كليها وجزئيها وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ مما اخبر به الرسل كما قال فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول وعطفه على ما قبله يدل على تفرده بالعلم التام الذاتي الدال على وحدانيته قال الواسطي يعنى من معلوماته واذا تقاصرت العلوم عن الاحاطة بمعلوماته الا باذنه فاى طمع في الاحاطه بذاته وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ تصوير لعظمته كقوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمه والسموات مطويات بيمينه دال على سعة ملكه قال الحسن الكرسي هو العرش نفسه وقال ابو هريرة الكرسي موضوع امام العرش وفي الخبر ان السموات والارض في جنب الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة ويروى عن ابن عباس ان السموات السبع في جنب الكرسي كدراهم سبعة القيت في ترس رواها ابن جرير ومحي السنة وفي بعض الاخبار ان ما بين حملة العرش وحملة الكرسي سبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور

غلظ كل

غلظ كل حجاب مسيرة خمس مائة سنة لولا ذلك لاحترقت حملة الكرسي من نور حملة العرش وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اراد بالكرسي علمه وهو قول ومنه قيل لصحيفة العلم كراسة وقيل كرسيه ملكه وسلطانه والعرب تسمي الملك القديم كرسيا قال الكاشف كرسيه قلب العارف وهو اوسع من السموات والارض لانه معدن العلوم الالهيه والعلم اللدني الذي لا نهاية له ولا حد له وقال ابو القسم خاطبهم على قدر فهمهم والا فان خطر الاكوان عند صفاته وجلال قدرته عن التعلق بعرش او كرسي او التحلي بحجى او اشى وَلَا يَئُودُهُ اى لا يثقله يقال آد في الشيء اى اثقلني ماخوذ من الاود وهو الاعوجاج حِفْظُهُمَا اى حفظه السموات والارض فهو واسع الملك والقدره كل ما يعجز ان يملك ويقدر عليه لا يوده شاق ولا يشغله شان قال الكاشف قامت السموات والارض به ولا علة في صنعه ولا آلة في فعله منه ظهرت وبه قامت وقيل لا يوازيان في عظمته خردلة لانهما في ملكه وسلطانه اقل من ذرة وَهُوَ الْعَلِيُّ المتعالي عن الانداد والاشباه الْعَظِيمُ المستحقر بالاضافه اليه كل ما سواه وهو المتعالي عن ادراك الاوهام العظيم الذي لا يحيط به الافهام في الصحيح عن ابي موسى قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم باربع كلمات فقال ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل النهار قبل الليل وعمل الليل قبل النهار حجابه النور او النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وعن عكرمة مولى ابن عباس في قوله لا تاخذه سنة ولا نوم ان موسى عليه السلام سال الملايكة هل ينام الله عز وجل فاوحى الله الى الملايكة وامرهم ان يورقوه ثلثا فلا يتركوه ينام ففعلوا ثم اعطوه قارورتين فامسكهما ثم تركوه وحذروه ان يكسرهما قال فجعل ينعس وتنبه وينعس وتنبه حتى نعس نعسه فضرب احديهما بالاخرى فكسرهما قال معمر انما هو مثل ضربه الله عز وجل يقول فكذلك السموات والارض في يديه هكذا رواه ابن جرير قال الشيخ ابن الكثير وهو من اخبار بني اسرايل وهو مما يعلم ان موسى عليه السلام لا يخفى عليه مثل هذا من امر الله عز وجل وانه منزه عنه لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ اذ الاكراه في الحقيقه الزام الغير فعلا لا يرى ذلك الغير في ذلك الفعل خيرا يحمله عليه ولكن قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ تميز الايمان من الكفر بالايات الواضحة ودلت الدلايل على ان الايمان رشد يوصل الى السعادة الابديه والكفر غي يودي الى الشقاوة السرمديه والعاقل متى تبين له ذلك بادرت نفسه الى الايمان طلبا للفوز بالسعادة والنجاة ولم يحتج الى الاكراه والالجاء وقيل اخبار في معنى النهي اى لا تكرهوا في الدين وهو اما عام كان في ابتداء الاسلام قبل ان يومر بالقتال فصارت منسوخة باية السيف وهو قول ابن مسعود او عام مخصص باهل الكتاب قال قتادة وعطاء نزلت في اهل الكتاب اذا قبلوا الجزية وذلك ان العرب كانت امة امية لم يكن لهم كتاب فلم يقبل منهم الا الاسلام فلما اسلموا طوعا او كرها انزل الله تعالى لا اكراه في الدين فامر بقتال اهل الكتاب الى ان يسلموا او يقروا

قال فجعل ينعس وهما في يده كل واحده منهما في يد م

غير جايز فان قلتم انما خصهما بالذكر لان تلك البينات اقوى فنقول ان بينات موسى عليه السلام كانت
اقوى من بينات عيسى عليه السلام فان لم يكن اقوى فلا اقل من المساوات والجواب المقصود منه التنبيه على
قبح افعال اليهود حيث انكروا نبوة عيسى عليه السلام مع ما ظهر على يديه من البينات اللايحة وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا اقْتَتَلُوا اى بل كان ذلك من قضاء الله وقدره ولهذا قال وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ يوفق من يشاء فضلا
ويخذل من يشاء عدلا سال رجل امير المؤمنين على ابن ابى طالب رضى الله عنه فقال يا امير المؤمنين اخبرنى
عن القدر فقال طريق مظلم فلا تسلكه فاعاد السوال فقال بحر عميق فلا تلجه فاعاد السوال فقال سر الله فى
الارض قد خفى عليك فلا تفتشه ثم اعلم ان اضعف الاشياء على الانسان بذل النفس فى القتال وبذل
المال فى الانفاق فلما قدم الامر بالقتال عقبه بالامر بالانفاق فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ
قال السدي اراد به الزكوة المفروضة وقال غيره اراد به صدقة التطوع والنفقة فى الخير مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ
يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ اى لا فداء فيه سماه بيعا لان الفداء شرى نفسه وَلَا خُلَّةٌ ولا صداقة وَلَا شَفَاعَةٌ الا باذن
الله وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ لا ظلم اظلم ممن وافى الله يومئذ كافرا روى ابن ابى حاتم عن عطاء بن دينار
انه قال الحمد لله الذى قال والكافرون هم الظالمون ولم يقل والظالمون هم الكافرون ثم اعلم ان من عادته
سبحانه وتعالى فى هذا الكتاب الكريم انه يخلط هذه الانواع الثلاثة بعضها بالبعض اعنى علم التوحيد وعلم
الاحكام وعلم القصص ولما ذكر فيما تقدم من علم الاحكام ومن علم القصص ما راه مصلحة ذكر الآن ما يتعلق
بعلم التوحيد فقال اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وهذه آية الكرسى ولها شان عظيم قد صح الحديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بانها افضل آية من كتاب الله فى صحيح مسلم ومسند الامام احمد عن ابى ابن كعب ان
النبي صلى الله عليه وسلم ساله اى آية فى كتاب الله اعظم قال الله ورسوله اعلم فرددها مرارا ثم قال ابى
آية الكرسى قال ليهنك العلم ابا المنذر والذى نفسى بيده ان لها لسانا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش
وفى صحيح البخارى وغيره عن ابى هريرة رضى الله عنه قال وكلنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظ
زكوة رمضان فاتانى آت فجعل يحثو من الطعام فاخذته وقلت لارفعنك الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال انى محتاج وعلى عيال ولى حاجة شديدة قال فخليت سبيله فاصبحت فقال النبى صلى الله عليه و
سلم فقال يا ابا هريرة ما فعل اسيرك البارحة قلت يا رسول الله شكا حاجة شديدة وعيالا فرحمته وخليت
سبيله قال اما انه قد كذبك وسيعود فرصدته فجاء يحثو من الطعام فاخذته فقلت لارفعنك الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال دعنى فانى محتاج وعلى عيال لا اعود فرحمته وخليت سبيله فاصبحت فقال لى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة ما فعل اسيرك قلت يا رسول الله شكا حاجة وعيالا فرحمته وخليت
سبيله قال اما انه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فاخذته فقلت لارفعنك الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا آخر ثلث مرات انك تزعم لا تعود ثم تعود قال دعنى اعلمك كلمات ينفعك الله بها

قلت ما هى قال اذا اويت الى فراشك فاقرا آية الكرسى من اولها حتى تختم الآية الله لا اله الا هو الحى القيوم
وقال لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح وكانوا احرص شئ على الخير فقال
اى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم
النبى صلى الله عليه وسلم اما انه قد صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلث ليال يا ابا هريرة قلت
لا قال ذاك شيطان وفى مسند الامام احمد عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سال رجلا من صحابته فقال اى فلان هل تزوجت قال لا وليس عندى ما اتزوج به قال اوليس معك
قل هو الله احد قال بلى قال ربع القرآن قال اليس معك قل يا ايها الكافرون قال بلى قال ربع القرآن اليس
معك اذا زلزلت قال بلى قال ربع القرآن اليس معك اذا جاء نصر الله والفتح قال بلى قال ربع القرآن قال
اليس معك آية الكرسى الله لا اله الا هو قال بلى قال ربع القرآن وفيه ايضا عن اسماء بنت يزيد ابن
السكن قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى هاتين الآيتين الله لا اله الا هو الحى القيوم
والم الله لا اله الا هو ان فيهما اسم الله الاعظم وفى كتاب عمل اليوم والليلة للنسائى وغيره عن ابى امامة
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا دبر كل صلوة مكتوبة آية الكرسى لم يمنعه من دخول
الجنة الا ان يموت وفى سنن الترمذى عن ابى هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا حم المؤمن الى اليه المصير وآية الكرسى حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ومن قرأهما حين يمسى
حفظ بهما حتى يصبح قال الترمذى هذا حديث غريب فقوله الله لا اله الا هو اخبار بانه المنفرد بالالهية
فهو دال على التوحيد قال الكاشف ضرب سرادق التنزيه على سواحل بحار التوحيد وانشاد شيخ انجاد
المحبة فى سواقى اسرار اهل المحبة بذكر المحبة قبل كل شئ ثم ذكر لا اصرهم فى شراب العدم ثم كشف
عن جمال القدم قال ابن عطاء صدق فقول لا اله الا الله السير به ثبت على ايمانه والصدق وبه اجتهد
فى الطاعات لربه فى سره واعلانه وانفاق من ماله مبتغيا به رضاه حتى لا يبقى لنفسه مدخرا غير
خالقه والخلوة بربه فى الاسحار واظهار الافتقار بلسان الاستغفار نادما على عصيانه خايفا من هجرانه
وقوله الْحَيُّ الْقَيُّومُ الحى فى نفسه الذى لا يموت ابدا المقيم لغيره وكان يقرأ القيام قال الكاشف
الحى الذى قامت به الاحيا والقيوم الذى يحيى بقيوميته الاموات والحى الذى البس حيوته ارواح
الموحدين فبقصده وابدله والقيوم الذى يربى بتجلى الصفات وكشف الذات ارواح العارفين
فغنوا فى ذاته واحترقوا بنور كبريائه قال الخواص من عرفه بانه الحى القيوم الزمه موقفه لطلب
كل شئ منه وترك القيام بشئ من اموره لقيامه بها لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لا يعتريه نقص ولا ذهول
عن خلقه والسنة فتور يتقدم النوم ودال على انه واجب الوجود لذاته منزه عن التحيز والحلول
والتغير والفتور وغيرها من سمات الامكان وشوايب النقصان قال الكاشف يخوف بهذه الاشارة
خواص المراقبين حتى لا يشتغلوا بغيره طرفة عين وايضا هذا اعلام منه جل وعز انه ينتقم عن الظالمين

ومغاربها اربعة مومنان وكافران فالمؤمنان سليمان ابن داود وذو القرنين والكافر نمرود وبخت
نصر والله اعلم ومعناه الم تر يا محمد الى الذى حاج ابراهيم فى وجود ربه وذلك انه انكر ان يكون اله
الا غيره كما قال بعده فرعون لملائه ما علمت لكم من اله غيرى وما حمله على هذا الطغيان والكفر الغليظ
والمعاندة الشديدة الا تجبره وطول مدته فى الملك وذلك انه ملك اربعمائة سنة فى ملكه ولهذا قال أَنْ
آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وكانه طلب دليلا على وجود الرب الذى يدعو اليه فقال ابرهيم ربى الذى يحيى ويميت كما
قال تعالى إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ اى الدليل على وجوده حدوث هذه الاشياء المشاهدة
بعد عدمها وعدمها بعد وجودها وهذا دليل على وجود الفاعل المختار ضرورة لانها لم تحدث بنفسها
فلا بد من موجد اوجدها وهو الرب الذى ادعو الى عبادته فعند ذلك قال نمرود أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ
قال اكثر المفسرين دعا نمرود برجلين فقتل احدهما واستحيى الآخر فجعل ترك القتل احياء فانتقل ابرهيم
الى حجة اخرى لا عجز فان حجته كانت لازمة لانه اراد بالاحياء احياء الميت وكان له ان يقول فاحى
من امت ان كنت صادقا فانتقل الى حجة اوضح من الاولى عند نمرود قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ
مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ اى تحير ودهش وانقطعت حجته فان قيل كيف
بهت وكان يمكنه ان يعارض ابراهيم فيقول له سل انت ربك حتى ياتى بها من المغرب قيل انما لم يقله
لانه لو خاف ان لو سال ذلك دعا ابرهيم ربه فكان زيادة فى فضيحته وانقطاعه وقيل ان الله صرفه
عن تلك المعارضة اظهارا للحجة عليه او معجزة لابرهيم وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لا يلهمهم حجة بل
حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد واختلفوا فى وقت هذه المناظرة فقال مقاتل
لما كسر ابرهيم الاصنام سجنه نمرود ثم اخرجه ليحرقه بالنار فقال له من ربك الذى تدعونا اليه فقال
ربى الذى يحيى ويميت وقال الآخرون منهم زيد بن اسلم ان النمرود كان عنده طعام وكان الناس يغدون
اليه للميرة فوفد ابرهيم فى جملة من وفد للميرة فكان بينهما هذه المناظرة ولم يعط ابرهيم من الطعام
كما اعطى الناس بل خرج وليس معه شئ من الطعام فلما قرب من اهله عمد الى كثيب من التراب فملأ منه
عدليه وقال اشغل اهلى عنى اذا قدمت عليهم فلما قدم وضع رحاله وجاء واتكى فنام فقامت امراته سارة
الى العدلين فوجدتهما ملآن طعاما طيبا فعملت منه طعاما فلما استيقظ ابرهيم وجد الذى قد اصلحوه فقال
انى لكم هذا قالوا من الذى جئت به فعرف انه رزق رزقهموه الله عز وجل قال زيد بن اسلم وبعث الله
الى ذلك الجبار ملكا يامره بالايمان بالله فابى عليه ثم دعاه الثانية فابى ثم الثالثة فابى فقال اجمع جموعك واجمع
جموعى فجمع نمرود جيشه وجنوده وقت طلوع الشمس فارسل الله عليه بابا من البعوض بحيث لم يروا
عين الشمس وسلطها الله عليهم فاكلت لحومهم ودماءهم وتركتهم عظاما باديه ودخلت واحدة منها
فى منخرى الملك فمكث فى منخريه اربعمائة سنة عذبه الله تعالى بها أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ تقديره او تر

الى الذى حاج ابرهيم فى ربه او الى مثل الذى مر على قرية وهو فى قوة هل رايت كالذى حاج ابرهيم
فى ربه وهل رايت كالذى مر على قرية واختلف فى ذلك المار فالمشهور انه عزير بن شرخيا وهو المروى
عن على ابن ابى طالب وابن عباس والحسن وقتادة وعكرمة والسدى وغيرهم وقال وهب بن منبه
هو ارميا بن حلقيا وكان من سبط هرون وهو الخضر وقال مجاهد هو كافر شك فى البعث واختلفوا
فى تلك القرية فقال وهب بن منبه وعكرمة وقتادة هى بيت المقدس وقال الضحاك هى الارض المقدسة
وقيل دير هرقل وقيل هى الارض التى اهلك الله فيها الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وَهِيَ
خَاوِيَةٌ اى ساقطة يقال خوى البيت بكسر الواو يخوى خوى مقصورا اذا سقط وخوى البيت بالفتح
خواء ممدودا اذا خلا عَلَى عُرُوشِهَا سقوفها واحدها عرش ومعناه ان السقوف سقطت ثم وقعت
الحيطان عليها قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا وكان السبب فى ذلك على ما روى محمد بن اسحق عن
وهب ان الله تعالى بعث ارميا الى ناشية ابن اموص ملك بنى اسرائيل ليسدده وياتيه بالخبر من الله
عز وجل فعظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وركبوا المعاصى فاوحى الله الى ارميا ان ذكر قومك نعمى وعرفهم
احداثهم وادعهم الى فقال ارميا انى ضعيف ان لم يقونى عاجز ان لم يبلغنى مخذول ان لم ينصرنى فقال
الله تعالى انا الهمك فقام ارميا فيهم ولم يدر ما يقول فالهمه الله فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم
فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال فى آخرها عن الله تعالى وانى احلف بعزتى لاقيضن لهم
فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا البسه الهيبة وانزع من صدره الرحمة يتبعه
عدد مثل سواد الليل المظلم ثم اوحى الله الى ارميا انى مهلك بنى اسرائيل بيافث ويافث اهل بابل و
هم من ولد يافث بن نوح فلما سمع ارميا ذلك صاح وبكى وشق ثيابه ونبذ الرماد على راسه فلما سمع
الله تضرعه وبكاءه ناداه يا ارميا اشق عليك ما اوحيت اليك قال نعم يا رب اهلكنى قبل ان ارى فى بنى
اسرائيل ما لا اسر به فقال الله تعالى وعزتى لا اهلك بنى اسرائيل حتى يكون الامر فى ذلك من قبلك ففرح ارميا
بذلك وطابت نفسه وقال لا والذى بعث موسى بالحق لا ارضى بهلاك بنى اسرائيل ثم اتى الملك فاخبره
بذلك وكان ملكا صالحا فاستبشر وفرح وقال ان يعذبنا ربنا فبذنوب كثيرة وان عفا عنا فبرحمته ثم انهم
لبثوا بعد الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا الا معصية وتماديا فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم فقل الوحى
ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بخت نصر فخرج فى ستمائة الف راية يريد اهل
بيت المقدس فلما فصل سائرا اتى الخبر الملك فقال لارميا اين ما زعمت ان الله اوحى اليك فقال ان
الله لا يخلف الميعاد وانا به واثق فلما قرب الاجل بعث الله الى ارميا ملكا قد تمثل له رجلا من
بنى اسرائيل فقال ارميا من انت قال انا رجل من بنى اسرائيل اتيتك استفتيك فى اهل رحمى وصلت
ارحامهم ولم آت اليهم الا حسنا ولا يزيدهم اكرامى اياهم الا اسخاطا لى فافتنى فيهم فقال احسن فيما

بالجزيه فمن اعطى منهم الجزيه لم يكره على الاسلام قال سعيد بن جبير عن ابن عباس كانت المرءة
من الانصار يكون مقلاة لا يعيش لها ولد فتهوديه واذا عاش ولدها جعلته في اليهود فجاز الا
سلام وفيهم منهم فلما اجليت بنو النضير كان فيهم عدة من اولاد الانصار فارادت الانصار استردادهم
وقالوا ابناؤنا واخواننا فلما نزلت لا اكراه في الدين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خير اصحابكم
فان اختاروكم فهو منكم وان اختاروهم فاجلوهم معهم وقال مسروق كان الرجل من الانصار من بني
سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى
يحملون الطعام فلزمهما ابوهما فقال لا ادعكما حتى تسلما فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر فانزل الله تعالى لا اكراه في الدين فخلي سبيلهما فمن يكفر بالطاغوت
يعني الشيطان وكل ما عبد من دون الله وقيل كل ما يطغى الانسان فاعول من الطغيان زيدت التاء
فيه بدلا من لام الفعل يستوي فيه المذكر والمونث والموحد والجمع قال الله تعالى وتقدس يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها والذين
كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم الاية قال الكاشف الطاغوت رؤية الطاعات والطمع في المكافات
فمن يكفر بها فهو من اهل المشاهدات والطاغوت يقع على كل شئ سوى الله تعالى من الدنيا والنفس
والشيطان وقيل طاغوت كل امرء نفسه قال الشيخ ابو عبد الرحمن من لم يتبرا من الكل لا يصح له الايمان
بالله ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى اى تمسك واعتصم بالعقد الوثيق المحكم في الدين والوثقى
تانيث الاوثق لا انفصام لها لا انقطاع لها قال الكاشف اى من اقبل من نفسه وحوله وقوته الى حالقه
فقد وجده بنعت الحفظ والكلاية والعروة الوثقى هي ذات الحق سبحانه وتعالى وجل عن التشبيه
وايضا هي المحبه في المشاهدة وايضا هي العصمة القديمه التي سبقت بنعت العنايه لاهل المعرفة و
قيل العروة الوثقى محمد صلى الله عليه وسلم وقيل لا اله الا الله وقيل هي السنة وقوله لا انفصام
لها ترجيه من الله تعالى لاهل المعرفه اى من تمسك بحبلي فان في الدارين وسعد في المنزلين ولا يلحقه
فى حبال عصمته خلل الحوادث لانه في كنف العنايه محروسا بالكفايه والله سميع عليم قيل تهديد على
النفاق ومعناه والله سميع بالاقوال عليم بالنيات وقيل معناه والله سميع لدعائك اياهم على الاسلام
عليم بحرصك على ايمانهم روى الامام احمد عن قيس بن عباد قال كنت في المسجد فجاء رجل في وجهه
اثر من خشوع فصلى ركعتين اوجز فيهما فقال القوم هذا رجل من اهل الجنه فلما خرج اتبعته حتى
دخل منزله فدخلت معه فحدثته فلما استانس قلت له ان القوم لما دخلت قبل المسجد قالوا كذا وكذا
سبحان الله ما ينبغي لاحد ان يقول ما لا يعلم وساحدثك لم اني رايت رويا على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقصصتها عليه رايت كاني في روضه خضراء قال ابن عون فذكر من خضرتها وسعتها

وسطها

وسطها حديد اسفلها في الارض واعلاه في السماء في اعلاه عروة فقيل لي اصعد عليه فقلت لا
استطيع فجاءني منصف قال ابن عون هو الوصيف فرفع ثيابي من خلفي فقال اصعد فصعدت
حتى اخذت بالعروة فقال استمسك بالعروة فاستيقظت وانها لفي يدي فاتيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقصصتها عليه فقال الروضه فالاسلام واما العمود فعمود الاسلام واما العروة
فهي العروة الوثقى انت على الاسلام حتى تموت قال وهو عبد الله بن سلام واخرجاه في الصحيحين
الله ولي الذين امنوا ناصرهم ومعينهم وقيل محبهم وقيل متولي امورهم لا يكلهم الى غيره وقال
الحسن ولي هديهم يخرجهم من الظلمات الى النور اى من الكفر الى الايمان قال الواقدي كل ما
في القرآن من الظلمات والنور فالمراد منه الكفر والايمان غير التي في سورة الانعام وجعل الظلمات
والنور فان المراد منها الليل والنهار سمي الكفر ظلمه لالتباس طريقه وسمي الاسلام نورا لوضوح طريقه
والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت قال مجاهد يعني كعب الاشرف وحيي بن اخطب وساير رؤوس
الضلاله يخرجونهم من النور الى الظلمات فان قيل كيف قال يخرجونهم وهم كفار لم يكونوا في نور قط قيل
هم اليهود كانوا مومنين بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث لما يجدون في كتبهم من نعته فلما بعث
كفروا به وقيل هو على العموم في حق جميع الكفار والمعنى يخرجونهم من النور الذي منحوه بالفطره الى الكفر
وفساد الاستعداد والانهماك في الشهوات او من نور البينات الى الظلمات الشكوك والشبهات
وقيل نزلت في قوم ارتدوا عن الاسلام اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وعيد وتحذير
قال الكاشف الله ولي الذين امنوا يخرجهم من ظلمات العدم الى كشف انوار القدم وايضا يخرجهم
من ظلمات الامتحان الى مشاهدة العيان وايضا يخرجهم من ظلمات العبودية الى جمال الربوبية و
يخرجهم من الفرح بما وجدوا من المقامات والدرجات الى نور مشاهده الذات والذين كفروا
اولياؤهم الطاغوت اى الذين ستروا ما قد عاينوا من نفوسهم من انوار فعله وقدرته وما قد
في قلوبهم من لوايح العقول بالشروع في لذايذ الشهوه وغطاء الغفلة اولياؤهم الطاغوت يتولاهم
في اغوار الوساوس الباطله المخيله الشيطان يخرجونهم من انوار العقول الى ظلمات الجهل والغباوة
اولئك اصحاب النار اى النيران عن مشاهدة الرحمن هم في القطيعه والابتلاء خالدون ليس
لهم مساغ في الوصول ابد الابدين ثم اعلم ان الله تعالى ذكر هنا قصصا ثلاثا الاولى منها في بيان
اثبات العلم بالصانع والثانيه والثالثه في اثبات الحشر والنشر والبعث فقال الم تر الى الذي حاج
ابراهيم في ربه تعجيب من محاجة نمرود وحماقته وهو اول من وضع التاج على راسه وتجبر
في الارض فادعى الربوبيه قيل هو ملك بابل نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وقيل
نمرود بن فالخ بن عابر بن سالح بن ارفخشد بن سام بن نوح قال مجاهد ملك الدنيا مشارقها

بعثك وبين الله وصلحهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث اياما ثم اقبل اليه في صورة ذلك الرجل فقعد
بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذي اتيتك استفتيك في شان اهلي فقال له ارميا اما ظهرت
اخلاقهم لك بعد قال يا نبي الله والذي بعثك بالحق ما اعلم كرامه ياتيها احد من الناس الى رحمه الا قدمتها
اليهم وافضل فقال له النبي ارجع فاحسن اليهم اسال الذي يصلح عباده الصالحين ان يصلحهم فقام الملك فمكث
اياما وقد نزلت بخت نصر وجنوده حول بيت المقدس باكثر من الجراد ففزع منهم بنوا اسرايل فقالوا لملكهم
لارميا يا نبي الله اين ما وعدك الله قال اني بربي واثق ثم اقبل الملك الى ارميا وهو قاعد على جدار بيت
المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده فقعد بين يديه فقال له ارميا من انت قال انا الذي
اتيتك في شان اهلي من بني فقال النبي الم يات لهم ان يفيقوا من الذي هم فيه فقال له الملك يا نبي الله
كل شئ كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت اصبر عليه فاليوم رايتهم في عمل لا يرضي الله فقال النبي على اي
عمل رايتهم قال على عظيم من سخط الله فغضبت لله على ذلك واتيتك لاخبرك واني اسالك بالله الذي بعثك
بالحق الا ما دعوت الله عليهم ليهلكهم فقال ارميا يا ملك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب
فابقهم وان كانوا على عمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمه من في ارميا ارسل الله صاعقة من السماء
في بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف سبعه ابواب من ابوابه فلما راى ذلك ارميا صاح وشق
ثيابه ونبذ الرماد على راسه فقال يا ملك السموات والارض اين ميعادك الذي وعدتني فنودي انه
لم يصبهم ما اصابهم الا بفتياك ودعائك فاستيقن النبي انها فتياه وان ذلك السايل كان رسول ربه
فطار ارميا حتى خالط الوحوش ودخل بخت نصر وجنوده بيت المقدس ووطي الشام وقتل بني اسرايل
حتى افناهم وخرب بيت المقدس ثم امر جنوده ان يملا كل رجل منهم ترسه ترابا فيقذفه في بيت المقدس
ففعلوا حتى ملاوه ثم امرهم ان يجمعوا من كان في بلدان بيت المقدس فاجتمع عنده صغيرهم وكبيرهم من
بني اسرايل فاختار منهم سبعين الف صبي فقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فاصابت كل رجل منهم اربعه
اغلمة وكان من اولئك الغلمة دانيال وحنانيا وفرق من بقي من بني اسرايل ثلث فرق فثلثا قتلهم وثلثا
سبا وثلثا اقرهم بالشام فكانت هذه الوقعه الاولى التي انزلها الله ببني اسرايل بظلمهم فلما ولى بخت نصر
عنهم راجعا الى بابل معه سبايا بني اسرايل اقبل ارميا على حمار له معه عصير عنب في زكرة وسلة
تين حتى غشي ايليا فلما وقف عليها وراى خرابها قال انى يحيي هذه الله بعد موتها وقال الذي قال ان
المار كان عزيرا ان بخت نصر لما خرب بيت المقدس وقدم بسبي بني اسرايل بابل كان فيهم عزير ودانيال
وسبعه الاف من اهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حمار له حتى نزل دير هرقل على شط
دجله وطاف في القريه فلم ير فيها احدا وعامة شجرها حامل فاكل من الفاكهه واعتصر من العنب فشرب
منه فجعل فضل الفاكهه في سلة وفضل العصير في زق فلما راى خراب القريه وهلاك اهلها قال انى

يحيي هذ

يحيي هذه الله بعد موتها قاله تعجبا لا شكا في البعث رجعنا الى حديث وهب قال ثم ربط ارميا حماره
بحبل حديد فالقى الله عليه النوم فلما نام نزع الله منه الروح مايه عام واماتت حماره وعصيره وتينه واعمى
الله عنه العيون فلم يره احد وذلك ضحى ومنع الله السباع والطير لحمه فلما مضى من موته سبعون سنه
ارسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس يقال له يوشك فقال ان الله يامرك ان تنفر بقومك فتعمر بيت المقدس
وايليا حتى يعود اعمر ما كان فانتدب الملك الف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمايه الف عامل وجعلوا يعمرونه واهلك
الله بخت نصر ببعوضه دخلت دماغه ونجى الله من بقي من بني اسرايل ولم يمت ببابل وردهم جميعا الى
بيت المقدس ونواحيه وعمروها ثلثين سنه وكثروا حتى عادوا على احسن ما كانوا عليه فلما مضت المايه
احيى الله تعالى منه عينه وساير جسده ميت ثم احيى جسده وهو ينظر اليه ثم نظر الى حماره فاذا عظامه
متفرقه بيض تلوح فسمع صوتا من السماء ايتها العظام الباليه ان الله يامرك ان تجتمعي فاجتمع بعضها
الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نودي ان الله يامرك ان تكتسي لحما وجلدا فكانت كذلك ثم نودي ان
الله يامرك ان تحيي فقام باذن الله ونهق وعمر الله تعالى ارميا وهو الذي يرى في الفلوات فذلك قوله
فاماته الله مايه عام ثم بعثه اى احياه قال كم لبثت مكثت يقال لما احياه الله بعث اليه ملكا فساله
كم لبثت قال لبثت يوما وذلك ان الله تعالى اماته ضحى في اول النهار واحياه بعد مايه عام في آخر النهار
قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى ان الشمس قد غربت ثم التفت فراى بقية الشمس
فقال او بعض يوم قال له الملك بل لبثت مايه عام فانظر الى طعامك يعني التين وشرابك يعني العصير
لم يتسنه اى لم يتغير وكان التين كانه قطف من ساعته والعصير كانه عصر من ساعته قال الكسائي كانه
لم يات عليه السنون وانظر الى حمارك فنظر فاذا هو عظام بيض فركب الله العظام بعضها على بعض
فكساها اللحم والجلد واحياها وهو ينظر ولنجعلك آية للناس قال الفراء دخلت الواو فيه دلاله على
انها شرط لفعل بعدها معناه ولنجعلك آيه فعلنا ذلك يريد فعلنا ذلك لنجعلك آيه عبرة ودلالة على
البعث بعد الموت قال اكثر المفسرين وقال الضحاك وغيره هي انه عاد الى قريته شابا واولاده واولاد
اولاده شيوخ وعجايز وهو اسود الراس واللحيه وانظر الى العظام كيف ننشزها من قرا بالراء
فمعناه نحييها يقال انشر الله الميت انشارا ونشر هو نشورا ومن قراها بالزاي فمعناه نرفعها من الارض
ونردها الى اماكنها من الجسد ونركب بعضها على بعض وانشاز الشئ رفعه وازعاجه يقال انشزته
فنشز اى رفعته فارتفع واختلفوا في معنى الآيه فقال الاكثرون اراد به عظام حماره قال السدي
ان الله تعالى احيى عزيرا ثم قال انظر الى حمارك قد هلك وبليت عظامه فبعث الله ريحا فجاءت بعظام
الحمار من كل سهل وجبل ودهبت بها الطير والسباع فاجتمعت فركب بعضها في بعض وهو ينظر فصار
حمارا من عظام ليس فيه لحم ولا دم ثم كسا العظام لحما ودما فصار حمارا لا روح فيه

ثم اقبل ملك يمشي حتى اخذ بمنخر الحمار فنفخ فيه فقام الحمار ونهق باذن الله وقال قوم اراد به عظام
هذا الرجل وذلك ان الله لم يمت حماره فاحيى الله عينيه وراسه وساير جسده ميت ثم قال انظر الى
حمارك فنظر فراى حماره قايما واقفا كهيئة يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب ماية عام ونظر الى الرمة في
عنقه جديده لم يتغير وقال قتادة عن كعب والضحاك والسدي عن ابن عباس لما احيى الله عزيرا بعد
ما اماته ماية سنة ركب حماره حتى اتى محلته فانكره الناس وانكر الناس ومنازله فانطلق على وهم
حتى اتى منزله فاذا هو بعجوز عميا مقعدة اتت عليها ماية وعشرون سنه كانت امة لهم فخرج عزير عنهم
وهي بنت عشرين سنه كانت عرفته وعقلته فقال لها عزير ياهذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا
منزل عزير وبكت وقالت ما رايت احدا كذا وكذا سنه يذكر عزيرا قال فاني انا عزير قالت سبحان الله
فان عزيرا قد فقدناه من ماية سنه لم يسمع له بذكر قال فاني انا عزير كان الله اماتني ماية سنة ثم بعثني
قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة ويدعو للمريض وصاحب البلايا بالعافية فادع الله ان يرد الي
بصري حتى اراك فان كنت عزيرا عرفتك فدعا ربه ومسح يده على عينيها فصحتا فاخذ بيدها فقال قومي
باذن الله فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة فنظرت فقالت اشهد انك عزير فانطلقت الى بني اسرايل
وهم في انديتهم ومجالسهم وابن العزير شيخ ابن ماية سنه وثمانية عشر سنه وبنو بنيه شيوخ في المجلس
فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت انا فلانة مولاتكم دعا لي ربه فرد علي بصري واطلق رجلي
وزعم ان الله تعالى كان اماته ماية عام ثم بعثه قال فنهض الناس فاقبلوا اليه فقال ابنه كانت
لابي شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هو عزير وقال السدي والكلبي
لما رجع عزير الى قومه وقد احرق بخت نصر التوريه ولم يكن من الله عهد بين الخلق بكى عزير على التوريه
فاتاه ملك باناء فيه ماء فسقاه من ذلك فمثلت التوريه في صدره فرجع الى بني اسرايل وقد علمه الله التوريه
وبعثه نبيا فقال انا عزير فلم يصدقوه قال اني عزير بعثني الله اليكم لاجدد لكم توريتكم قالوا فاملها
علينا فاملاها عليهم من ظهر قلبه قالوا ما جعل الله التوريه في قلب رجل بعد ما ذهبت الا انه ابنه فقالوا
عزير ابن الله وسياق القصه في سورة التوبه ان شاء الله تعالى فلما تبين له اي ذلك عيانا قال واقف
اعلم ان الله على كل شيء قدير واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى قال الحسن وقتادة
والضحاك وغيرهم كان سبب هذا السوال من ابراهيم عليه السلام انه مر على دابة ميتة قال ابن
جريج كانت جيفة حمار بساحل البحر وكان اذا مد البحر جاءت الحيتان ودواب البحر فاكلت منها فما وقع
منها يصير في البحر واذا جزر البحر جاءت السباع فاكلت منها فما وقع منها يصير ترابا فاذا ذهب السباع
جاءت الطير فاكلت منها فما سقط قطعته الريح الى في الهوا فلما راى ذلك ابراهيم تعجب منها وقال يا رب
قد علمت لتجمعها من بطون السباع وحواصل الطيور واجواف دواب البحر فارني كيف تحييها

بخت نصر
م

للعاين

لاعاين فازداد يقينا فعاتبه الله قال اولم تؤمن قال بلى يا رب وقد علمت وآمنت ولكن ليطمئن قلبي
اي ليسكن قلبي الى المعاينه والمشاهده اراد ان يصير له علم اليقين عين اليقين لان الخبر ليس كالمعاينه
وقيل كان سبب هذا السوال من ابراهيم انه لما احتج على نمرود فقال ربي الذي يحيي ويميت قال له نمرود
انا الذي احيى واميت فقتل احد الرجلين واطلق الاخر قال له نمرود انت عاينته فلم يقدر ان يقول له
نعم فانتقل الى حجة اخرى ثم سال ربه ان يريه احياء الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي
لقوة حجتي واذا قيل لي انت عاينته فاقول نعم قد عاينته قال سعيد بن جبير لما اتخذ الله ابراهيم خليلا
سال ملك الموت ربه ان ياذن له فيبشر ابراهيم بذلك فاذن له فاتى ابراهيم ولم يكن في الدار فدخل
داره وكان ابراهيم اغير الناس اذا خرج اغلق بابه فلما جاء وجد في داره رجلا فثار عليه لياخذه و
قال له من اذن لك ان يدخل داري قال اذن لي رب هذه الدار قال ابراهيم صدقت وعرف انه ملك
فقال من انت قال انا ملك الموت جيت ابشرك بان الله تعالى قد اتخذك خليلا فحمد الله عز وجل وقال ما
علامة ذلك قال ان يجيب الله تعالى دعاءك ويحيي الموتى بسوالك فحينئذ قال ابراهيم رب ارني كيف
تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي انك اتخذتني خليلا وتجيبني اذا دعوتك في صحيح
البخاري ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نحن احق بالشك من ابراهيم اذ قال رب
ارني كيف تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي زاد البخاري ويرحم الله لوطا لقد كان
ياوي الى ركن شديد ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي قال المزني لم يشك النبي
ولا ابراهيم عليهما الصلوة والسلام في ان الله قادر على ان يحيي الموتى وانما شكا انه هل يجيبهما الى
ما سالا قال الامام ابو سليمان الخطابي رحمه الله ليس في قوله نحن احق بالشك من ابراهيم اعتراف بالشك
على نفسه ولا على ابراهيم ولكن فيه نفي الشك عنهما يقول اذا لم اشك انا في قدرة الله تعالى على احياء
الموتى فابراهيم اولى بان لا يشك وقال ذلك على سبيل التواضع والهضم من النفس وكذلك قوله لو لبثت في السجن
طول ما لبث يوسف لاجبت الداعي وقيل لما نزلت هذه الايه قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا
فقال رسول الله صلى الله هذا القول تواضعا منه تقديما لابراهيم على نفسه قال فخذ اربعة من
الطير قال مجاهد وعطاء وابن جريج اخذ طاوسا وديكا وحمامة وغرابا وحكى عن ابن عباس ونسرا بدل
الحمامه وقال عطاء الخراساني اوحى الله تعالى اليه ان خذ بطة خضراء وغرابا اسود وحمامة بيضاء
وديكا احمر فصرهن اليك قرى بكسر الصاد وحينئذ معناه قطعهن ومزقهن يقال صار يصير صيرا اذا
قطع وانصار الشيء انصيارا اذا انقطع وقرى بضم الصاد ومعناه اَمِلهن ووجههن يقال صرت الشيء
اصوره اذا املته ورجل اصور اذا كان مايل العنق وقال عطاء معناه اجمعهن واضممهن اليك
يقال صار يصور صورا اذا جمع ومنه قيل لجماعة النحل صور ومن فسره بالامالة والضم قال فيه اضمار

قال له ابراهيم ان الله يقصد
الى جسد ميت فيحييه قال له
نعم

التواضع م

معناه فصرهن اليك ثم قطعهن فحذف الكنفار بقوله ثم اجعل على كل جبل منهن لانه يدل عليه قال الكاشف
اشار الى طيور الباطن التي في قفص الجسم وهي اربعة من اطيار الغيب الاول العقل والثاني القلب
والثالث النفس والرابع الروح اى اذبح طير العقل بسكين المحبة على باب الملكوت واذبح طير القلب
بسكين الشوق على جناب الجبروت واذبح طير النفس بسكين العشق في ميادين الفردانية واذبح طير
الروح بسكين اسرار الوحدانية ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا قال المفسرون امر الله ابراهيم ان
يذبح تلك الطيور وينتف ريشها ويقطعها ويخلط ريشها ودماءها ولحومها بعضها ببعض ففعل ثم امره ان
يجعل اجزاءها على الجبال واختلفوا في عدد الاجزاء والجبال فقال ابن عباس وقتادة امر ان يجعل كل
طاير اربعة اجزاء ويجعلها على اربعة اجبل على كل جبل ربعا من كل طاير وقيل جبل على جانب الشرق
وجبل على جانب الغرب وجبل على الشمال وجبل على الجنوب وقال ابن جريج والسدي جزاها سبعة
اجزاء ووضعها على سبعة اجبل وامسك رؤسهن ثم دعاهن تعالين باذن الله فجعل كل قطرة من
دم طاير يصير الى القطرة الاخرى وكل ريشة يطير الى الريشة الاخرى وكل عظم يصير الى العظم الآخر وكل الاخرى م
بضعة يصير الى الاخرى وابرهيم ينظر حتى لقيت كل جثة بعضها بعضا في السماء بغير راس ثم اقبلن
الى رؤسهن سعيا فكلما جاء طاير مال الى راسه فان راسه دنا منه وان لم يكن راسه تاخر حتى تلقى كل طاير
راسه فلذلك قوله ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا قيل المراد بالسعي الاسراع والعدو وقيل المراد به المشي
كما قال تعالى فاسعوا الى ذكر الله اي فامضوا والحكمة في المشي دون الطير ان كونه ابعد عن الشبهة
لانها لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطير وان ارجلها غير سليمة قال الكاشف اى اجعل
العقل على جبل العظمة حتى يتراكم عليه انوار سلطنة الربوبية فيصير موصوفا بها لئلا يدركني بعد فناءه
في واجعل القلب على جبل الكبرياء حتى البسه سناء قدسي فيتيه في بيداء الفكر منعوتا بصرف نور
المحبة واجعل النفس على جبل العزة حتى البسها نور العظمة لتصير مطمئنة عند جريان ربوبيتي عليها لا تاذ
عني في العبودية ولا تطلب اوصاف الربوبية واجعل الروح على جبل جمال الازل حتى البسها نور
النور وعز العز وقدس القدس ليكون منبسطة في السكر مطمئنة في الصحو عاشقة في الانبساط
راسخة في الاتحاد يطيرون باجنحة الربوبية في هواء الهوية ويروى بلباس الديمومية والازلية
ثم ادعهن بصوت سر العشق وزمزمة الشوق وجرس المحبة من بساتين القربة الى عالم المعرفة
يأتينك سعيا بسرعة جناح سلطان الربوبية الى معدن العبودية بجمال الاحدية وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
قال الكاشف عزيز بعزك بعرفان هذه المعاني واطلاعك على صفاته القديمة حكيم في ظهوره
بغرايب التجلي لاسرار باطنك قال والفرق بين سوال ابراهيم وسوال عزير عليهما السلام ان مقام الخليل
مقام الانبساط ومقام عزير مقام التحير فانبسط الخليل وسال مشاهدة الصفات في لباس الآيات

فاراه

فاراه ما ساله في غيره لانه مملو من انوار القدرة وطلب مزيدا على حاله وتعجب عزير نبي الله من غاية
تحيره في اسرار الربوبية فاراه الله الآيات في نفسه تاديبا لان اهل الانبساط ليسوا عوا خذين لجلال الله
وايضا مقام الخليل مقام اتحاد تجلي الصفات ومقام عزير مقام اتحاد تجلي الافعال فتجلى الصفات باشر
قلب الخليل لقوله ولكن ليطمئن قلبي وتجلي الافعال باشر صورة عزير ليكون له تحصيل العلم بقدرة القادر
لقوله تعالى اعلم ان الله على كل شيء قدير وايضا بلغ الخليل مقام كشف المقامات في الحيوة وكشف له
ملكوت الاشياء لاجل اقتباسه نور مشاهدة الحق في الآيات ولم يضطر الى ان يغيب روحه من الجسد
حتى يرى صرف العين لانه في حال الصحو ولم يبلغ عزير في ذلك الزمان مقام العيان فالجاه الله الى غيبته
عن الصورة بنعت الغشيان ليرى في حال غيبته مشاهدة الحق لانه في حال السكر فلما انتبه راى في صحوه
ماراى في سكره لكن ماراى في السكر وحال الغيبة مشاهدة الروح وماراى في الصحو مشاهدة العيان ثم
ختم قصة الخليل بالعز والحكمة فقال واعلم ان الله عزيز حكيم لان الخليل سال اظهار الحق ومشاهدة العزة
وقصة عزير بقوله اعلم ان الله على كل شيء قدير لانه تعجب من القدرة ثم اعلم الله سبحانه وتعالى لما ذكر من
اصول العلم بالمبدا والمعاد ومن دلايل صحتها ما اراد اتبع ذلك ببيان الرابع والاحكام والتكاليف فقال
مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ تقديره مثل صدقات الذين ينفقون في سبيل الله او
كمثل زارع حبة وسبيل الله الجهاد أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ جمع سنبله فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ عن ابن عباس م
الجهاد والحج يضعف الدرهم فيهما الى سبعمائة ضعف وقيل المراد بسبيل الله جميع ابواب الخير قال سعيد بن
جبير يعني في طاعة الله وهذا المثل ابلغ في النفوس من ذكر عدد السبعمائة فان هذا فيه اشارة الى الا
عمال الصالحة ينميها الله عز وجل لاصحابها كما ينمي الزرع لمن بذره في الارض الطيبة فان قيل ما رأينا سنبلة
فيها مائة حبة فكيف ضرب المثل بها قيل ضرب المثل بها لا يتوقف على وجودها بل على امكانها على انها
بل موجودة في مثل الدخن وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ بحسب اخلاصه في عمله وَاللَّهُ وَاسِعٌ غني يعطي
عن سعة عَلِيمٌ بنية من ينفق روى الامام احمد باسناده عن عياض بن غطيف انه قال دخلنا على ابي عبيدة
نعوده من شكوى اصابه وامراته تحيفة قاعدة عند راسه قلنا كيف بات ابو عبيدة قالت والله لقد بات
باجر قال ابو عبيدة ما بت باجر وكان مستقبلا بوجهه على الحائط فاقبل على القوم بوجهه وقال الا تسالوني عما
قلت قالوا ما اعجبنا ما قلت فنسالك عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من انفق
نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبعمائة ومن انفق على نفسه واهله او عاد مريضا فالحسنة بعشر امثالها
ومن ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حطة وعن ابي مسعود ان رجلا تصدق بناقة مخطومة في
سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لياتين يوم القيمة بسبعمائة ناقة مخطومة ورواه
مسلم والنسائي وعن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم يضاعف

الحسنه بعشر امثالها الى سبعمايه ضعف الى ما يشاء الله يقول الا الصوم فانه لى وانا اجزى به يدع طعامه
من اجلى الحديث رواه مسلم وروى ابن مردويه عن ابن عمر انه قال لما نزلت هذه الآية مثل الذين
ينفقون اموالهم فى سبيل الله قال رب زد امتى قال فانزل الله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا
حسنا قال رب زد امتى قال فانزل الله انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب الَّذِينَ يُنفِقُونَ
أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قال الكلبى نزلت الآيه فى عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضى الله
عنهما جاء عبد الرحمن باربعة آلاف درهم صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت عندى
ثمانيه آلاف درهم فامسكت منها لنفسى وعيالى اربعه آلاف واربعة آلاف اقرضتها ربى فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت واما عثمان فجهز المسلمين فى غزوة تبوك بالف بعير
باقتابها واحلاسها فنزلت فيهما هذه الآيه وقال عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بالف دينار فى جيش العسرة
فصبها فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فرايت النبى صلى الله عليه وسلم يدخل فيها يده ويقلبها ويقول ما ضر
ابن عفان ما عمل بعد اليوم فانزل الله تعالى الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا
مَنًّا وهو ان يمن عليه بعطايه فيقول اعطيتك كذا او يعد نعمه عليه فيكدرها وَلَا أَذًى وهو ان يعير
الى كم تسال وكم تؤذينى وقيل من الاذى ان يذكر انفاقه عليه عند من لا يحب وقوفه عليه وقال
سفيان منا ولا اذى وهو ان يقول قد اعطيتك واعطيت فما شكرت قال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم
كان ابى يقول اذا اعطيت رجلا شيا ورايت ان سلامك يثقل عليه فكف سلامك عنه فحظر الله على
عباده المن بالصنيعه واختص به صفة لنفسه لانه من العباد تعيير وتكدير ومن الله افضال وتذكير
لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ قال الكاشف المن تذكر الحدث ونسيان
القدم لان المنان اذا من على احد فقد نسى الله عند تذكر نفسه وهذا نوع من الشرك والاذى البدى
نعت البخل والرمى بالعين الى الفقراء على جهة تعظيم نفسه ورويه شرفه عليهم وايضا المن شهود
الافعال والاذى التماس الاعواض قال السرى من من بعمله كانت حسناته سيات فكيف من راى
لها قيمه او طلب لها عوضا قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ اى كلام حسن ورد على السايل جميل وقيل عدة حسنه وَ
مَغْفِرَةٌ اى ستر عليه خلته ولا يهتك عليه ستره وقيل يتجاوز عن الفقير اذا استطال عليه عند رده قال
الكلبى والضحاك يتجاوز عن ظالمه خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى يدفعها اليه يتبعها اذى اى من وتعيير
للسايل او قول يوذيه وَاللَّهُ غَنِيٌّ اى مستغن عن صدقة العباد حَلِيمٌ لا يعجل بالعقوبه على من
يمن ويوذى بالصدقه فى صحيح مسلم عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثه لا يكلمهم
الله يوم القيمه ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم المنان بما اعطى والمسبل ازاره والمنفق سلعته
بالحلف الكاذب وفى مسند ابن مردويه عن ابى الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة

عاق ولا منان

عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا مكذب بقدر وفيه وفى مسند الامام احمد والنسائى وغيرهما عن
عبد الله بن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثه لا ينظر الله اليهم يوم القيمه العاق لوالديه
ومدمن الخمر والمنان بما اعطى قال الكاشف القول المعروف الانصات لاخيك عند رويه مكروه
منه الذى يهيجك بالغضب والمغفره عفوك له عند قدرتك عليه وقال الجنيد اعلمنا ان الذى يخلص له
ثواب صدقته ويتجز له ما وعده فيستحق الثواب على عمله من لا يمن بصدقته ولا يوذى من يتصدق عليه
ويقال اقرارك مع الله بعجزك وجرمك وغفران الله تعالى على تلك المقاله خير من صدقه بالمن مشوبه
وبالاذى مضمومة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم اى اجور صدقاتكم بِالْمَنِّ على السايل قال ابن
عباس بالمن على الله وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ اى كابطال الذى ينفق مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ اى مراياة وسمعة
ليروا انفقته ويقولوا انه كريم سخى وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فالرياء يبطل الصدقة ولا يكون النفقه
مع الرياء من فعل المومنين فَمَثَلُهُ اى مثل هذا المرائى كَمَثَلِ صَفْوَانٍ وهو الحجر الاملس عَلَيْهِ اى على
الصفوان تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ وهو المطر الشديد العظيم القطر فَتَرَكَهُ صَلْدًا اى املس والصلد
الحجر الصلب الاملس الذى لا شى عليه لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا عملوا فى الدنيا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ الى الخير والرشاد وايضا فيه تعريض بان الرياء والمن والاذى على الانفاق من صفه الكفار
ولا بد للمومن ان يتجنب عنها روى الامام محى السنه وغيره عن محمود بن لبيد ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء يقول
الله لهم يوم يجازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا لهم فانظروا هل تجدون عندهم
جزاء وعن ابى عثمان المداينى ان عقبه بن مسلم حدثه ان شفى الاصبحى حدثه انه دخل المدينة فاذا هو
برجل قد اجتمع عليه الناس فقال من هذا قالوا ابو هريره فدنوت منه حتى قعدت بين يديه وهو يحدث
الناس فلما سكت وخلا قلت له انشدك بحق وبحق لما حدثتنى حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى اذا كان يوم القيمه ينزل الى العباد ليقضى
بينهم وكل امة جاثيه فاول من يدعو به رجل جمع القرآن ورجل قتل فى سبيل الله ورجل كثير المال فيقول الله
للقارى الم اعلمك ما انزلت على رسولى قال بلى يا رب قال فماذا عملت فيما علمت قال كنت اقوم آناء الليل وآناء
النهار فيقول الله كذبت ويقول الملايكه كذبت ويقول الله بل اردت ان يقال فلان قارى فقد قيل ذلك
ويوتى بصاحب المال فيقول الله له الم اوسع عليك حتى لم ادعك تحتاج الى احد قال بلى يا رب قال
فماذا عملت فيما اتيتك قال كنت اصل الرحم واتصدق فيقول الله له كذبت ويقول الملايكة كذبت ويقول
الله بل اردت ان يقال فلان جواد فقد قيل ذلك ويوتى بالذى قتل فى سبيل الله فيقول الله له فبماذا قتلت
فيقول يا رب امرتنى بالجهاد فى سبيلك فقاتلت حتى قتلت فيقول الله تعالى كذبت ويقول الملايكه كذبت

وتقول الله بل اردت ان يقال فلان جرى فقد قيل ذلك ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على ركبتي فقال يا ابا هريرة اولئك الثلاثة اول خلق الله يسعر بهم النار يوم القيمة وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ
أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ اى طلب رضاء الله وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ تصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء
مبتدا من اصل انفسهم اى يخرجون الصدقة طيبة بها انفسهم على يقين بالثواب وتصديق بوعد الله قاله
الشعبي والكلبي وقال قتادة احتسابا وقال الحسن كان الرجل اذا هم بصدقة تثبت فان كان لله امضى و
ان كان يخالطه شك امسك وقيل على يقين باخلاف الله عليهم كَمَثَلِ جَنَّةٍ اى مثل نفقة هؤلاء في الزكاء
كمثل بستان قال الفراء اذا كان في البستان نخل فهو جنة وان كان فيه كرم فهو فردوس بِرَبْوَةٍ هي المكان
المرتفع المستوى الذي يجري فيه الانهار فلا يعلوه الماء ولا تعلو عن الماء وانما جعلها بربوة لان النبات عليها
احسن وازكى أَصَابَهَا وَابِلٌ مطر شديد كثير فَآتَتْ أُكُلَهَا اعطت ثمرها ضِعْفَيْنِ اى ضعف في الحمل قال
عطاء حملت في سنة من الريع ما يحمل غيرها في السنتين وقال عكرمة حملت في السنة مرتين فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا
وَابِلٌ فَطَلٌّ وهو المطر الضعيف الخفيف ويكون دائما قال السدي هو الندى وهذا مثل ضربه الله تعالى
لعمل المؤمن المخلص يقول كما ان هذه الجنة تريع في كل حال ولا يخلف سواء قل المطر او كثر كذلك يضعف
الله تعالى صدقة المؤمن المخلص الذي لا يمن ولا يؤذي وان يتفاوت باعتبار ما ينضم اليها من كمال الاخلاص
وطيب الحلال وغيرها وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ تحذير عن الرياء وترغيب في الاخلاص ثم ذكر الله سبحانه
وتعالى مثلا آخر في حق من يتبع انفاقه بالمن والاذى فقال أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ اولاد صغار فَأَصَابَهَا
إِعْصَارٌ وهو ريح العاصف التي ترتفع الى السماء كانها عمود فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ قال الامام محي السنة
هذه الآية متصل بقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وهو مثل ضربه الله تعالى
لعمل المنافق والمرائي يقول عمله في حسنه كحسن الجنة ينتفع به كما ينتفع صاحب الجنة بالجنة فاذا كبر وضعف
وصارت له اولاد صغار فاصاب جنته اعصار فيه نار فاحترقت احوج ما يكون اليها وضعف عن اصلاحها
لصغرهم ولم يجد هو ما يعود به على اولاده ولا اولاده ما يعودون به عليه فبقوا جميعا متحيرين عجزة
لا حيلة بايديهم كذلك يبطل الله عمل هذا المنافق والمرائي حين لا مستعتب لهما ولا توبة ولا اقالة
روى الحاكم في مستدركه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دعائه اللهم اجعل اوسع
رزقك علي عند كبر سني وانقضاء عمري وروى البخاري باسناده عند تفسير هذه الآية ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال يوما لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيمن ترون هذه الآية نزلت قالوا الله اعلم فغضب عمر فقال قولوا
نعلم او لا نعلم فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين فقال يا ابن اخي قل ولا تحقر نفسك
قال ابن عباس ضربت مثلا لعمل قال عمر اي عمل قال ابن عباس لعمل قال عمر لرجل غني يعمل بطاعة الله

لكبره وضعف اولاده عن اصلاحها

ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ
تعتبرون وتفهمون ثم لما ذكر ان المال الذي امر بانفاقه في سبيل الله كيف ينبغي ان يكون فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ من خيار وقال ابن مسعود ومجاهد من حلالات مَا كَسَبْتُمْ بالتجارة والصناعة
فيه دلالة على اباحة الكسب وانه ينقسم الى طيب وخبيث روى محي السنة وغيره عن عائشة انها قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وعن المقدام بن
معدي كرب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اكل احد طعاما قط خيرا من ان يأكل من عمل يده وكان داود
عليه السلام لا يأكل الا من عمل يديه قال ابن عباس امرهم بالانفاق من اطيب المال واجوده وانفسه ونهاهم
عن التصدق برذالة المال ودنيه وخبيثه فان الله طيب لا يقبل الا طيبا واستدل به على وجوب الزكوة في
مال التجارة وهو مذهب اكثر اهل العلم روى محي السنة عن سمرة بن جندب انه كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يأمرنا ان نخرج الصدقة من الذي نعده للبيع قال الكاشفي اى انفقوا الارواح ما كسبتم
باشباحكم من المعاملات المقدسة عن شوائب الرياء والسمعة وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ قيل هذا امر
باخراج العشور من الحبوب والثمار واتفق اهل العلم على ايجاب العشر في النخيل والكروم وفيما يقتات من الحبوب
قال صلى الله عليه وسلم فيما سقت السماء والعيون او كان عثريا العشر وفيما سقي بالنضح نصف العشر واختلف
فيما سوى ذلك فذهب قوم منهم الشافعي ومالك رضي الله عنهما الى انه لا عشر فيه وقال ابو حنيفة رضي الله عنه
يجب العشر في جميع البقول والخضراوات كالثمار الا الحشيش والحطب وقال قوم الآية في صدقة التطوع وروى
محي السنة وخرج عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يغرس غرسا
او يزرع زرعا فيأكل منه انسان او طير او بهيمة الا اذا كانت له به صدقة قال الكاشفي اى مما اخرجنا
ثمرات المعرفة عن سحاب المكاشفة من مزارع قلوبكم من الحكمة والعلم اللدني والصدق والاخلاص و
الرضا واليقين على المريدين ليخلصوا بذلك من مكايد الشيطان اى انفقوها النجاة صوركم بهذه المعاني التي
يخرج من بساتين صفا اسراركم وَلَا تَيَمَّمُوا اى لا تقصدوا الْخَبِيثَ مِنْهُ الردي من المال او مما اخرجنا وتخصيصه
بذلك لان التفاوت فيه اكثر تُنْفِقُونَ عن براء بن عازب قال كانت الانصار يخرج اذا كان جداد النخل
اقناء من التمر والبسر فيعلقونها على حبل بين الاسطوانتين في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيأكل منها فقراء المهاجرين فكان الرجل يعمد فيدخل قنو الحشف وهو يظن انه جائز عنه في كثرة ما
يوضع من الاقناء فنزل فيمن فعل ذلك ولا تيمموا الخبيث اى الحشف والردي وقيل معناه لا تعدلوا من
المال الحلال ولا تقصدوا الحرام فتجعلوا نفقتكم منه وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ يعني الخبيث إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ
والاغماض غض البصر واريد به هنا التجوز والمساهلة معناه لو كان لاحدكم على رجل حق فجاءه بهذا لم
يأخذه الا وهو يرى انه قد اغمض له عن حقه وتركه روى عن البراء انه قال لو كان اهدي ذلك لكم

الذين

ما اخذتموه الا على استحيا من صاحبه وغيظ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لانفسكم سد اذا كان المال
كله جيدا فليس له اعطاء الردي لان اهل السهمان شركاء فيما عنده فان كان كل ماله رديا فلا باس باعطاء
الردي وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عن صدقاتكم حَمِيدٌ في افعاله واقواله وشرعه وقدره روى الامام احمد
باسناده عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما
قسم بينكم ارزاقكم وان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين الا من احب فمن اعطاه الدين
فقد احبه والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يامن جاره بوائقه قالوا
وما بوائقه يا نبي الله قال غشمه وظلمه ولا يكسب مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق فيتقبل
منه ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار ان الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن ان الخبيث
لا يمحو الخبيث ثم لما رغب الانسان في انفاق اجود ما يملكه حذره بعد ذلك من وسوسة الشيطان فقال
الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ يخوفكم بالفقر ويقول امسك عليك مالك فانك اذا تصدقت به افتقرت يقال وعدته
خيرا ووعدته شرا واذا لم يذكر الخير والشر قال في الخير وعدته وفي الشر اوعدته قال الكاشف اي
يعدكم الى قطع الرجاء عن الله في اتيان نواله منه وايضا يعدكم الى ظنون شتى وهذا من قلة عرفان الحق و
الجهل سلطانه لان النار العدو يبعث سر العبد الى الشك في الله وفيما وعد لعباده ويلجيه الى التحير حتى يظن
ان الحق سبحانه وتعالى عاجز فقير كما قال اليهود ان الله فقير ونحن اغنياء وهذا من وسوسة العدو
يسوق لهم باحراز المعلوم والخوف من المعدوم والجمع والمنع وكثرة التهمة ودفع الصدقة والفرار من القناعة
ومن النار بالكفاية واغترهم بالشروع في طلب الزيادة وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ اي بالبخل ومنع الزكوة قال
الكلبي كل فحشاء في القران فهو الزنا الا هذا قال الكاشف اي بالبخل وسوء الظن في الله وحب الدنيا وبغض
الموت وعمارة الضياع والعقار وطلب الزيادة وبغض التقى والفقراء ومنع الزكوة وما اوجب الله تعالى
عليهم من الحج والجهاد وزينهم حب وطلب نسوان المسلمين لاجل الزنا وشرب الخمور وسماع المعازف و
التكبر والتجبر على الضعفاء والمساكين والجحود والظلم والفساد وقلة الانصاف واتخاذ الارباب لحفظ الاموال
واشباه ذلك من الامور الرديئة الفاحشة قال بعضهم هو تحذير للموحدين لا تعريج لكافرين لان الشيطان لا يدعو
احدا الى المعصية ولا يزينها له حتى يعده الفقر فاذا خاف العبد الفقر دعاه الى المعصية فاذا استحل المعاصي
دعاه الى النفاق فاذا استحل النفاق دعاه الى الكفر فلا يخاف الفقر الا من نسي القسمة ولا نسي القسمة من
عرف الله الذي قسم لعباده ما اراد بمشيته واصل المعاصي انقياد الشهوات واصل النفاق التزين للخلق
والكفر منازعة القدر وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً قال الكاشف مغفرته تطهير للذنب الا استحيا من اوساخ
الشح والفاحشة وحفظها عن الميل الى حب الدنيا وما فيها وفضله مشاهدته وقربته ومعرفته وتوحيده
وكشف اسراره لهؤلاء العباد الذين اصطفيهم لمحبته وخصايص مناجاته وخطابه وخدمته وايضا

المغفرة

المغفرة المنفرد عن الكون والفضل الوصول بلا وحشة البين مِنْهُ لربكم وَفَضْلًا ورزقا وخلفا وَاللَّهُ
وَاسِعٌ اي واسع الفضل لمن انفق عَلِيمٌ بانفاقه قال الكاشف اي يعدكم الى قطع الرجاء عن الله في اتيان
نواله منه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال انفق انفق عليك وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ارايتم ما انفق منذ خلق السموات و
الارض فانه لم ينقص ما في يمينه قال وعرشه على الماء وبيده الميزان يرفع ويخفض وعن اسماء ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انفقي ولا تحصي فيحصي الله عليك ولا توعي فيوعي الله عليك رواه محيي السنة وغيره
يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ثم اعلم الله تعالى لما ذكر في الاية المتقدمة ان الشيطان يعد بالفقر ويامر بالفحشاء والرحمن
يعد بالمغفرة والفضل نبه على ان وعد الرحمن ترجحه الحكمة والعقل ووعد الشيطان ترجحه الشهوة والنفس
من حيث انهما امران تحصيل اللذة الحاضرة واتباع احكام الخيال والوهم ولا شك ان حكم الحكمة والعقل هو الحكم
الصادق المبرا عن الزيغ والخلل وحكم الحس والشهوة والنفس توقع الانسان في البلاء والمحنة فكان حكم
الحكمة والعقل اولى بالقبول فقال يؤتي الحكمة من يشاء قال السدي هي النبوة وقال ابن عباس وقتادة هو علم
القران ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وامثاله وقال الضحاك القران
والفهم فيه وروى ابن ابي نجيح عنه الاصابة في القول والعقل قال ابرهيم النخعي معرفة معاني الاشياء وفهمها
قال ابو العالية الحكمة خشية الله فان خشية الله راس كل حكمة وروى ابن مردويه عن ابن مسعود مرفوعا
راس الحكمة مخافة الله وقال ابو مالك الحكمة السنة وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ قال الحسن الورع في دين الله فَقَدْ أُوتِيَ
خَيْرًا كَثِيرًا قال الحسن من اعطي القران فكانما ادرجت النبوة بين جنبيه الا انه لم يوح اليه وعن بعض
الاحاديث من حفظ القران فقد ادرجت النبوة بين جنبيه غير انه لا يوحى اليه رواه وكيع في تفسيره
وعن ابن مسعود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا حسد الا في اثنين رجل اتاه
الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل اتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها رواه البخاري قال
الكاشف الحكمة معرفة الاخلاق والاطلاع بعيوب النفس ودقائق الشيطان والعلم بفرق حديث
حديث النفس والعدو ولمة الملك وارشاد العقل وبصيرة القلب وفهم الالهام ونطق الروح ورمز للمقام
السر وانواع خطاب الحق ومعرفة اقدار الخلق ومداواة مرض الباطن والمعرفة باحوال الخلق ودفع الوسوسة م
والمقامات ووقايع المكاشفات وانوار المشاهدات وادراك منازل المعرفة ودرجات التوحيد و
ما يليق بهذه الحقايق مثل معرفة دقائق الرياء وشك النفس والخطرات المذمومة والبلوغ الى العلم
اللدني والكرامات والفراسات الخاصة ورؤية الغيب بالغيب والمحادثة والمخاطبة والمكالمة مع الحق
جل اسمه في اسرار الخلوات وانوار المناجاة ومن يؤتى بهذه الدرجات فقد اوتي خلافة الانبياء
والرسل ودرجة الملائكة الكرام وهذه منزلة اعلى من منازل الاولياء ومقامات الاصفياء وهو خير الدنيا والآخرة

يعني اذا اعطيت لوجه الله فلا عليك ما كان عمله وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ يوفر لكم جزاءه
وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ اي لا تنقص من ثواب اعمالكم شيء في الصحيحين عن ابي هريرة انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال رجل لاتصدقن الليلة بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية فاصبح الناس
يتحدثون تصدق على زانية فقال اللهم لك الحمد على زانية لاتصدقن الليلة بصدقة فوضعها في يد غني
فاصبحوا يتحدثون تصدق الليلة على غني فقال اللهم لك الحمد على غني لاتصدقن الليلة بصدقة فخرج
بصدقته فوضعها في يد سارق فاصبحوا يتحدثون تصدق على سارق فقال اللهم لك الحمد على سارق فاتي
فقيل له اما صدقتك فقد قبلت اما الزانية فلعلها ان تستعف بها عن زناها ولعل الغني يعتبر فينفق مما اعطاه
الله ولعل السارق ان يستعف بها عن سرقته قال الامام محيي السنة وهذا في صدقة التطوع اباح الله ان يوضع
في اهل الاسلام واهل الذمة اما الصدقة المفروضة فلا يجوز وضعها الا في المسلمين وهم اهل السهمان المذكورون
في سورة التوبة ثم لما بين في الاية الاولى انه يجوز صرف الصدقة الى اي فقير كان بين في هذه الاية ان الذين
يكون اشد الناس استحقاقا بصرف الصدقة اليه من هو فقال لِلْفُقَرَاءِ اي اجعلوا صدقاتكم او الصدقات
للفقراء الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فيه اقاويل قال قتادة حبسوا انفسهم على الجهاد في سبيل الله لَا يَسْتَطِيعُونَ
ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ لا يتفرغون للتجارة وطلب المعاش وهم اهل الصفة فقراء المهاجرين كانوا نحوا من اربعمائة
رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشاير كانوا في المسجد يتعلمون القران بالليل ويرضخون النوى بالنهار
وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه وسلم حث الله تعالى عليهم الناس فكان من
عنده فضل اتاهم به اذا امسى وقيل حبسوا انفسهم على طاعة الله وقيل حبسهم الفقر والعدم عن الجهاد
وقيل هؤلاء قوم اصابتهم جراحات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم في الجهاد فصاروا
زمنى احصرهم المرض والزمانة عن الضرب في سبيل الله للجهاد وقيل معناه من كثرة ما جاهدوا صارت
الارض كلها حربا عليهم فلا يستطيعون ضربا في الارض من كثرة اعدائهم يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ بحالهم أَغْنِيَاءَ
مِنَ التَّعَفُّفِ اي من تعففهم عن السوال وقناعتهم يظن من لا يعرف حالهم انهم اغنياء والتعفف التفعل
من العفة وهي الترك يقال عف عن الشيء اذا كف عنه وتعفف اذا تكلف في الامساك قال الكاشف وصف
الله تبارك وتعالى اهل حقايق المعرفة ونعتهم بالفقر اي انهم حبسوا في صحارى التوحيد وتيه التقديس
باعتقاد التحير والزموا تراكم لطمات بحار الوحدانية واغرقوا في سر العظمة مغترفون من غيب الغيوب
الى حين التمكين لا يستطيعون من ثقل احوالهم سيرا من الحيرة الى رعية المنة وكشف القربة في ارض الديمومة
والطيران عن اشكال الحدوث في اسرار الهوية القدسية والله تعالى كشف لهم عن بساط العظمة واراهم
نقوش صور غيب الغيب التي تلبس الحق بها بنعت الرضا عن العشاق فيتحيرون بين الرسم والحرف
تحيرا استاصل لباس الحدوثية عن نفس ارواحهم فاذا ابرزوا بهذه الصفات من بطنان حجاب الغيب

عجبهم صبيان الملكوت انهم في حال بسط الديمومية ولا يعرفون شان قبضهم لانهم في طيب مزمار الاحسان
محتجبون به عن ادراك احوال المحترقين بغيرات الكبرياء لكن يعرف من عبر ودار الوداد وقطع حجب رسوم
العبودية والربوبية انهم مفتقرون الى مشاهدة حسن الحسن ومكاشفة قدم القدم والجمع بنعت الاتحاد لا ينظرون
مع عزهم احوال تحيرهم واحتياجهم لاهل التمكين غيرة على اهل الانبساط لكن يحترقون في الباطن ويستبشرون في الظاهر
هؤلاء مرضى المحبة اسرار المعرفة بلغهم الله تعالى مقام المعرفة بنعت الجمع وقيل احصروا في سبيل الله الذين وقفوا
مع الله بهمهم فلم يرجعوا منه الى غيره وقيل في قوله لا يستطيعون ضربا في الارض اي لا يتحركون لطلب الارزاق
وقال محمد بن الفضل في هذه الاية يمنعهم علو همتهم عن رفع حوائجهم الا الى مولاهم وقال ابن عطاء يحسبهم الجاهل
اغنياء في الظاهر وهم اشد الناس افتقارا الى الله عز وجل في الظاهر واستغناء به في الباطن وقيل في
تعرفهم بسيماهم اي بطيب قلوبهم وحسن حالهم وبشاشة وجوههم ونور اسرارهم وجولان ارواحهم في ملكوت
ربهم وقال سهل ان الله عز وجل وصف الفقراء بصفة العدم من حال سوال الافتقار والتجاء اليه في
وصفهم بالرضا والقنوع لا استطاعة لهم الا به ومنه ولا قوة لهم من حولهم وقوتهم قد نزع الله فيهم سكون
قلوبهم الى غيره والمساكين يرجعون الى الاسباب لذلك قال بعضهم الفقر عز والمسكنة ذل قال الحسن والمكي من
احب شيا كان به مفتونا ومن احب شيا كان به ابيا ومن احب شيا كان له ذليلا وقال النوري تعرفهم
بسيماهم بفرحهم بفقرهم واستقامة احوالهم عند موارد البلاء عليهم قال ابو عثمان تعرفهم بسيماهم بايثار ما يملكون
مع الحاجة اليه وقال الجنيد كلت السنتهم عن سوال من يملك الملك فكيف من لا يملكها وقال الاستاد في قوله
الذين احصروا في سبيل الله اي اخذ عليهم سلطان الحقيقة كل طريق لهم فلا لهم في الشرق مذهب ولا لهم
في الغرب مغرب كيفما نظروا راوا سرادقات التوحيد محدقة بهم كان فجاج الارض ضاقت برحبها
علي فايز دار طولا ولا عرضا تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ السيماء والسيما والسيميا العلامة التي يعرف بها الشيء
قال مجاهد هو الخشوع والتواضع وقال السدي اثر من الفاقة والحاجة وقال الضحاك صفرة الوانهم من
الجوع والضر وقيل رثاثة ثيابهم وقيل ما يظهر لذوي الالباب من صفاتهم كما قال تعالى سيماهم في وجوههم
من اثر السجود وقال تعالى لتعرفنهم في لحن القول وفي الحديث الذي في السنن اتقوا فراسة المومن فانه
ينظر بنور الله ثم قرا ان في ذلك لايات للمتوسمين لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا قال عطاء اذا كان عنده
غدا لا يسال عشا واذا كان عنده عشا لا يسال غدا وقيل معناه لا يسالون اصلا لانه قال تعالى من التعفف
والتعفف ترك السوال ولانه قال تعرفهم بسيماهم ولو كانت المسالة من شانهم لما كانت الى معرفتهم بالعلامة
حاجة فمعنى الاية ليس لهم سوال فيقع فيه الحاف والالحاف الالحاح عن ابي هريرة انه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان انما المسكين
الذي يتعفف اقرؤا ان شئتم يعني قوله لا يسالون الناس الحافا رواه البخاري ومسلم وعن

ونى الجملة الحكمة ما تلقف الروح الناطقة من الحق سبحانه وتعالى من خصائص الكلام و الاشارات الالهيه والحكمة
الموقوفه بافعاله فى المصنوعات والآيات وايضا شهود السر على اسرار شواهد الملكوت و رؤية غرايبها وايضا الحكمة
عند العارفين ولوح السر قباب الغيب و الاطلاع على خزاين الملكوت برؤية العيان لا بالدلايل و البرهان و
محصله علوم الربوبيه بلا واسطه الشواهد وانشراحه باقتباس انوار القرب وانفتاحه بادراك خطاب
الخاص و المداومه مرقات الصفات وبسطه فى مشاهده الذات و اذا بلغ السر فى مدارج الربوبيه عرف
مراد الحق جل وعز فى مجارى احكامه ورأى فى الشواهد صرف الالوهيه بنعت جريان القدرة لان الحكمة فى
هذه المواطن من بلوغ الروح سر عين الجمع وهو صفه الاتحاد وافهم ان الحكمة من صفه الحق سبحانه الخاصة
الذاتيه القديمه و لا يدركها الا شرط التوحيد و اذا اراد الله تعالى ان يهدى عبدا من عباده الى مقام الحكمة ألبس
روحه تلك الصفة حتى تصير ربانيه صمدانيه مطلعة على جميع الاشياء ظاهرا وباطنا و تعرف الغيبات وتدرك
حقايق الانسان قال الله تبارك وتعالى وتقدس فى بعض اخباره التى اخبر نبيه عليه الصلوة والسلام لا يزال العبد
يتقرب الى بالنوافل حتى كنت سمعه الذى يسمع بى و بصره الذى يبصر به و لسانه الذى ينطق بى و قلبه الذى
يعقل بى واذا كان جميع وجوده مستغرقا فى رؤية خالقه فكيف لا يطلع على مكنونات قيل لبعضهم متى اثر فيك
الحكمة قال منذ بدأت احقر قال سهل الحكمة مجمع العلوم كلها واصلها السنه قال الله تبارك وتعالى واذكرن
ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة فالآيات الفرض والحكمة السنة وقال بعضهم الحكمة اربعة اشياء العلم و
الحلم والعقل و المعرفة وَمَا يَذَّكَّرُ يتعظ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ذو العقول وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ فيما فرض الله عليكم
أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ اى ما اوجبتموه انتم على انفسكم به فى طاعة الله فوفيتم به فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ فيجازيكم عليه
قال الكاشف يبشر اولياءه بعظم المجازاة وجزيل المكافات و يهيجهم الى بذل الموجود والمجهود ويحذر
اعداءه باطلاعه على ضمايرهم وسرايرهم وانه لا يقبل الا من وجه الاخلاص وَمَا لِلظَّالِمِينَ الواضعين الصدقة
و النذر فى غير موضعها بالرياء او الانفاق فى غير محله و المانعين للصدقات و الذين لا يوفون بالنذور مِنْ
أَنْصَارٍ اعوان يدفعون عذاب الله عنهم وهو جمع نصير مثل شريف واشراف إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ اى
تظهروها فَنِعِمَّا هِيَ اى نعمت الخصلة هى وَإِنْ تُخْفُوهَا تسروها وَتُؤْتُوهَا اى تعطوها الْفُقَرَاءَ فى السر فَهُوَ
خَيْرٌ لَكُمْ اى بالاخفاء خير لكم وهذا فى التطوع ولمن لم يعرف بالمال فان الاظهار الفرض لغيره افضل ترغيبا
لغيره ونفيا للتهمة كما ان الصلوة المكتوبة فى الجماعة افضل و النافلة فى البيت وعن ابن عباس فى تفسير هذه الآية
جعل الله صدقة السر فى التطوع افضل علانيتها سبعين ضعفا وجعل صدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وقيل الآية فى الزكوة المفروضة وكان الاخفاء فيها خيرا على عهد
النبى صلى الله عليه وسلم اما فى زماننا فالاظهار افضل حتى لا يساء به الظن فى الحديث صدقة السر يطفئ
غضب الرب وفى الصحيحين سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشاء فى

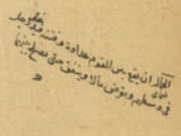
عبادة الله

عبادة الله ورجل قلبه معلق فى المسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا فى الله اجتمعا على ذلك و
تفرقا عليه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال فقال انى اخاف الله
ورجل تصدق بصدقة حتى لا يعلم شماله ما ينفق يمينه وروى الامام احمد عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه
وسلم قال لما خلق الله الارض جعلت تميد فخلق الجبال فالقاها عليها فاستقرت فتعجب الملائكة من خلق الجبال فقالت
يا رب فهل فى خلقك شئ اشد من الجبال فقال نعم الحديد قالت يا رب فهل فى خلقك شئ اشد من الحديد قال نعم
النار قالت يا رب فهل فى خلقك شئ اشد من النار قال نعم الماء قال يا رب فهل من خلقك شئ اشد من الماء قال نعم
الريح قالت يا رب فهل من خلقك شئ اشد من الريح قال نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها من شماله وعن
ابى ذر انه قال قلت يا رسول الله اى الصدقة افضل قال سر الى فقير او جهد من مقل وروى ابن ابى حاتم
عن عامر الشعبى فى قوله ان تبدوا الصدقات فنعما هى وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم انه قال انزلت
فى ابى بكر وعمر رضى الله عنهما اما عمر فجاء بنصف ماله حتى دفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم ما خلفت وراءك
لاهلك يا عمر قال خلفت لهم نصف مالى واما ابو بكر فجاء بماله كله يكاد ان يخفيه من نفسه حتى دفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم
فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ما خلفت وراءك لاهلك يا ابا بكر فقال عدة الله وعدة رسوله فبكى عمر وقال بابى انت يا ابا بكر
والله ما استبقنا الى باب خير قط الا كنت سابقا وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ على قراءة نكفر بالنون فالمعنى نكفر نحن وعلى قراءة
الياء فالمعنى يكفر بذل الصدقات سيما اذا كان سرا او يكفر الله مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ قيل من للتبعيض اى يكفر الصغائر
من الذنوب وقيل من صلة تقديره ويكفر عنكم سيئاتكم وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ فيجازيكم عليه قال
الكاشف ان اعلنت الانفاق لتسبى بها قلوب المريدين وتهيج اسرارهم الى بذل الارواح فى شرائط محبتنا فنعما هى
لان المعاملة من المتمكن تصير قدوة لطلاب المعرفة وان اخفيت ما خلت من نفسك والتفات المخلوقات وارتفاع
الطمع فى الاعواض فنعما هى لان تقدس الباطن عن رؤية الافعال وطمع الاعواض يكون دافعا الخطرات المشوبة
بالرياء ويتولد منه صرف اليقين فى جميع الافعال لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ قال الكلبى سبب نزول هذه الآية ان
ناسا من المسلمين كانت لهم قرابة واصهار فى اليهود وكانوا ينفقون عليهم قبل ان يسلموا فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوا
وارادوهم على ان يسلموا وقال سعيد بن جبير كانوا يتصدقون على فقراء اهل المدينة فلما كثر فقراء المسلمين نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التصدق على المشركين كى تحملهم الحاجة على الدخول فى الاسلام فنزل قوله تعالى
ليس عليك هديهم فتمنعهم الصدقة ليدخلوا فى الاسلام حاجة منهم اليها وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ اراد به
هداية التوفيق اما هدى البيان والدعوة فكان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعطوهم بعد نزول الآية
قال الكاشف قطع اسباب الهدايه من المعاملات والشفاعات عن قلوب اهل الولايات واضاف كلا منهم
الى نفسه بانه هاديهم وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ونظايرها فى
القرآن كثيرة وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ خبر والمراد به الامر وقيل هذا خاص فى المؤمنين قال عطاء

تعالى النبى صلى الله عليه وسلم

النبى يودون

المواساة

ليس المسكين بالطواف عليكم فتعطونه لقمة لقمة انما المسكين المتعفف الذى لا يسأل الناس الحافا رواه ابن
ابى حاتم وعن رجل من مزينة انه قالت له امه الا تنطلق فتسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يسأله
الناس قال فانطلقت اسأله فوجدته قائما يخطب وهو يقول من استعف اعفه الله ومن استغنى اغناه الله
ومن سأل الناس وله عدل خمس اواق فقد سأل الناس الحافا فقلت بينى و بين نفسى لناقة خير
من خمس اواق فرجعت ولم اسأل رواه الامام احمد وعن ابى سعيد الخدرى انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سأل وله قيمة وقية فهو ملحف والوقية اربعون درهما وعن قبيصة بن مخارق
انه قال انى تحملت حمالة فى قومى فاتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله انى تحملت حمالة
فى قومى واتيتك لتعينى فيها قال بل نحملها عنك يا قبيصة ونؤديها اليهم من الصدقة ثم قال يا قبيصة ان
المسئلة حرمت الا فى احدى ثلث فى رجل اصابته جائحة فاجتاحت ماله فسأل حتى يصيب قواما من عيشه
ثم يمسك وفى رجل اصابته حاجة حتى يشهد ثلاثة نفر من ذوى الحجى من قومه ان المسئلة قد حلت له فيسأل
حتى يصيب القوام من العيش ثم يمسك وفى رجل تحمل حمالة فسأل حتى اذا بلغ امسك وما كان غير ذلك فانه
سحت ياكله صاحبه سحتا رواه محيى السنة وعن الزبير انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان
يأخذ احدكم حبله فيذهب فيأتى بحزمة حطب على ظهره فيكف الله بها وجهه خير له من ان يسأل الناس
اشياءهم اعطوه او منعوه رواه محيى السنة وغيره وعن عبد الله بن مسعود انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سأل الناس وله ما يغنيه جاء ومسئلته فى وجهه خموش او خدوش او كدوح

قيل يا رسول الله وما يغنيه قال خمسون درهما او قيمتها ذهبا رواه محيى السنة وغيره وضعفه بعضهم وَمَا تُنْفِقُوا
مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ يجزى عليه اوفر جزاء الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
ثم انه تعالى لما بين فى الآية المتقدمة ان اكمل من يصرف اليه النفقة من هو بين فى هذه الآية ان اكمل وجوه
الانفاق كيف هو فقال الذين ينفقون الآية سرا او علانية فيعمون الاوقات والاحوال بالخير فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ عن مجاهد انه قال قال ابن عباس نزلت هذه
الآية فى امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله كانت عنده اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا
وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وعن الضحاك انه قال ابن عباس لما نزلت للفقراء الذين احصروا
فى سبيل الله بعث عبد الرحمن بن عوف بدنانير كثيرة فى اصحاب الصفة وبعث امير المؤمنين على بن ابى طالب
فى جوف الليل بوسق من تمر فانزل الله تعالى فيهما الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار الآية عنى بالنهار
علانية صدقة عبد الرحمن وبالليل سرا صدقة امير المؤمنين على وقال ابو امامة وابو الدرداء ومكحول و
الاوزاعى نزلت فى الذين يربطون الخيل للجهاد فانها يعتلف ليلا ونهارا سرا وعلانية وعن ابى هريرة
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا بوعده

فان شبعه

فان شبعه وريه وروثه وبوله فى ميزانه يوم القيمة رواه محيى السنة وغيره فى الصحيحين ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن ابى وقاص حين عاده مريضا عام الفتح وفى رواية عام حجة الوداع وانك لن
تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا ازددت بها درجة ورفعة حتى ما تجعل فى فى امرأتك قال الكاشف
من بلغ رؤية جمال مشاهدة الحق عشقه ومن شرط العشق ان يبذل العاشق وجوده وماله فى جميع الاوقات
دفعا للخطرات وخوفا ان يسقط عن درجات المشاهدة ثم لما ذكر الله سبحانه وتعالى حكم الانفاق ذكر احكام
الربوا لما بين الصدقة والربوا مناسبة من جهة التضاد وذلك لان الصدقة عبارة عن تنقيص المال بسبب
امر الله تعالى بذلك و الربوا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع نهى الله تعالى عنه فكانا كالمتضادين فلهذا
الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا اى يعاملون به وانما خص الاكل بالذكر لانه معظم المقصود من المال لما ذكر الله تعالى الانفاقات
المؤدية للنفقات المرجين للزكوات المتفضلين بالبر والصلات لذوى الحاجات والقربات فى جميع الاحوال والاوقات
ذكر اكلة الربا واموال الناس بالباطل واخبر عنهم بقوله تعالى لَا يَقُومُونَ يوم القيمة من قبورهم إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي
يَتَخَبَّطُهُ اى يصرعه الشَّيْطَانُ واصل الخبط الضرب والوطؤ وهو ضرب على غير استواء يقال ناقة خبوط
للتى تطأ الناس وتضرب الارض بقوائمها مِنَ الْمَسِّ اى الجنون يقال مس الرجل فهو ممسوس اذا كان مجنونا
ومعناه ان آكل الربوا يبعث يوم القيمة كمثل المصروع قال ابن عباس آكل الربوا يبعث يوم القيمة مجنونا يخنق و
عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت ليلة اسرى بى على قوم بطونهم كالبيوت فيها الحيات
ترى من خارج بطونهم فقلت من هؤلاء يا جبرئيل قال هؤلاء اكلة الربوا رواه الامام احمد وابن ماجه وقد
روى البخارى فى حديث المنام الطويل فذلك عذابهم فى البرزخ بين الدنيا والآخرة ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ
الرِّبَا اى ذلك الذى نزل بهم لقولهم هذا واستحلالهم اياه وذلك ان اهل الجاهلية كان احدهم اذا احل ماله
على غريمه فطالبه به يقول الغريم لصاحب الحق زدنى فى الاجل حتى ازيدك فى المال فيفعلان ذلك ويقولون سواء
علينا الزيادة فى اول البيع بالربح او عند المحل لاجل التاخير فكذبهم الله تعالى وقال وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ
الرِّبَا فانكر تسويتهم وابطل قياسهم بانه مخالف للنص فكيف يصح وهو العالم بحقايق الامور ومصالحها وما
ينفع عباده فيبيحه لهم وما يضرهم فينهاهم عنه واعلم ان الربوا فى اللغة الزيادة قال تعالى وما آتيتم من ربا
ليربو فى اموال الناس فلا يربو عند الله وفى الشرع ينقسم الى ربوا المعاملة وربوا القرض والمعاملة ينقسم
الى ربوا الفضل وربوا النساء وربوا اليد عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا تبيعوا الذهب بالذهب ولا الورق بالورق ولا البر بالبر ولا الشعير بالشعير ولا التمر بالتمر ولا الملح
بالملح الا سواء بسواء عينا بعين يدا بيد ولكن بيعوا الذهب بالورق والورق بالذهب والبر بالشعير
والشعير بالبر والتمر بالملح والملح بالتمر يدا بيد كيف شئتم فالنبى صلى الله عليه وسلم نص على ستة اشياء و
ذهب عامة اهل العلم الى ان حكم الربا يثبت فى هذه الاشياء الستة لاوصاف فيها فيتعدى الى كل مال

يوجد فيه تلك الاوصاف فذهب الاكثرون الى ان الربوا فى الدراهم والدنانير لوصف النقدية وهو قول مالك والشافعى
وقال قوم لعلة الوزن وهو قول اصحاب الراى واما الاشياء الاربعة فذهب قوم الى ان الربا فيها يثبت لعلة
الكيل وهو قول اصحاب الراى وقال مالك العلة القوت او صلاحه كالملح وقال الشافعى فى الجديد العلة الطعم
فاذا بيع فى المكيلات نقد بنقد او مطعوم بمطعوم فان اتحد الجنس كما اذا بيع الذهب بالذهب فيشترط المماثلة فى
الكيل او الوزن فى الموزونات والحلول والتقابض فى المجلس وان لم يتحد الجنس كما اذا بيع الذهب بالفضة سقط
اشتراط المماثلة وبقى الشرطان الآخران فقوله صلى الله عليه سواء بسواء فيه ايجاب المماثلة وتحريم الفضل عند اتفاق
الجنس وقوله عينا بعين فيه تحريم النساء وقوله يدا بيد فيه ايجاب التقابض فى المجلس وتحريم ربوا اليد وقوله
كيف شئتم فيه اطلاق التفاضل عند اختلاف الجنس هذا فى ربوا المبايعة ومن اقرض شيئا بشرط ان يرد عليه
افضل وكل قرض جر منفعة فهو ربوا فمن جاءه موعظة من ربه وعظ من الله وزجر كالنهى عن الربوا
فانتهى فله ما سلف اى ما مضى من ذنبه قبل النهى مغفور له وامره الى الله بعد النهى ان شاء عصمه حتى يثبت
على الانتهاء وان شاء خذله حتى يعود وقيل وامره الى الله فيما يامره وينهاه ويحل ويحرم وليس اليه من امره　عليه
شئ ومن عاد بعد التحريم الى اكل الربوا مستحلا له فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون عن جابر رضى الله عنه
قال لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم آكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهديه وقال هم فيه سواء رواه مسلم
وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الربا سبعون حوبا ايسرها ان
ينكح الرجل امه رواه ابن ماجه زاد الحاكم فى مستدركه وان اربا الربا عرض الرجل المسلم وعن ابى هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ياتى على الناس زمان ياكلون فيه الربا قال قيل له الناس كلهم قال من لم ياكله منهم
ناله من غباره يمحق الله الربوا يعنى يذهب بركته ويهلك المال الذى يدخل فيه قال الضحاك عن ابن عباس
لا يقبل منه صدقة ولا جهادا ولا حجا ولا صلة عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم الربوا وان كثر
فان عاقبته تصير الى قل رواه الامام احمد وابن ماجة وعنه ايضا صلى الله عليه وسلم برواية ابن ماجة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما احد اكثر من الربا الا كان عاقبة امره الى قلة وهذا من باب المعاملة
بنقيض المقصود ويربى الصدقات يثمرها ويبارك فيها فى الدنيا ويضاعف الاجر والثواب فى العقبى عن
ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب
ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربى احدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل
رواه البخارى والله لا يحب كل كفار مصر على تحليل المحرمات اثيم منهمك فى ارتكابه ولما كان عادة الله فى القرآن
مطردة بانه مهما ذكر وعيدا ذكر بعده وعدا فلما بالغ هنا فى وعيد المربى اتبعه بهذا الوعد فقال ان الذين
آمنوا بالله وبرسله وبما جاءهم منه وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة خصهما على ما شملهما
لشرفهما على سائر الاعمال الصالحة لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم من آت ولا هم يحزنون على فائت

يا ايها الذين

يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا ان كنتم مؤمنين قال عطاء وعكرمة نزلت فى العباس بن
عبد المطلب وعثمان بن عفان وكانا قد اسلفا فى التمر فلما حضر الجداد قال لهما صاحب التمر ان انا اخذتما حقكما لا يبقى لى
ما يكفى عيالى فهل لكما ان تاخذا النصف وتؤخرا النصف واضعف لكما ففعلا فلما حل الاجل طلبا الزيادة فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهما فانزل الله تعالى هذه الآية فسمعا واطاعا واخذا رؤس اموالهما
وقال السدى نزلت فى العباس وخالد بن الوليد وكانا شريكين فى الجاهلية يسلفان فى الربوا الى بنى عمرو بن عمير
ناس من ثقيف فجاء الاسلام ولهما اموال عظيمة فى الربوا فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم
فى حجة الوداع فى خطبته يوم عرفة الا كل شئ من امر الجاهلية تحت قدمى موضوع وان اول دم اضع من
دمائنا دم بن ربيعة بن الحرث كان مسترضعا فى بنى سعد فقتله هذيل وربا الجاهلية موضوعة واول
ربا اضع ربا عباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله وقال مقاتل نزلت فى اربعة اخوة من ثقيف مسعود
وعبد ياليل وحبيب وربيعة وهم بنى عمرو بن عمير بن عوف الثقفى كانوا يداينون بنى المغيرة بن عبد الله بن عمير بن مخزوم
وكانوا يربون فلما ظهر النبى صلى الله عليه وسلم على الطائف اسلم هؤلاء الاخوة فطلبوا رباهم من بنى المغيرة فقالت
بنو المغيرة والله ما نعطى الربوا فى الاسلام وقد وضعه الله تعالى عن المؤمنين فاختصموا الى عتاب بن اسيد و
كان عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على مكة فكتب عتاب الى النبى صلى الله عليه وسلم بقصة الاربعة
وكان ذلك مالا عظيما فانزل الله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا ان كنتم مؤمنين　فان لم تفعلوا اى لم تذروا ما بقى من الربوا
فاذنوا فاعلموا انتم وايقنوا بحرب من الله ورسوله ومن قرأ فآذنوا بالمد على وزن آمنوا فمعناه فاعلموا غيركم
انكم حرب الله ورسوله واصله من الاذن اى اوقعوا فى الآذان قال سعيد بن جبير عن ابن عباس يقال لآكل
الربوا يوم القيمة خذ سلاحك للحرب قال اهل المعانى حرب الله النار وحرب رسوله السيف وان تبتم اى
تركتم استحلال الربوا ورجعتم عنه فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون بطلب الزيادة ولا تظلمون بالنقصان
عن رأس المال فلما نزلت هذه الآية قالت بنو عمرو والمربون بل نتوب الى الله تعالى فانه لا يدان لنا بحرب
الله ورسوله فرضوا برأس المال فشكا بنو المغيرة العسرة وقالوا اخرونا الى ان تدرك الغلات فابوا ان يؤخروا
فانزل الله تعالى وان كان ذو عسرة اى وان وقع غريم ذو عسرة فنظرة فعليكم نظرة اى انظار الى ميسرة
يسار وسعة قال الكاشفى ادب قوما بتاديبه فى كرمه ورحمته على المعسرين من الطاعة والمكثرين من المعصية
وهذا اخبار عن غاية شفقته على عباده اذ امر بعضهم ان يمهل بعضا فى واجب حقوقهم اشار بهذا الى ان
حقيقة الحقوق له تعالى بفضله ما قصروا فى واجب امره تقدس وتعالى وايضا رمز لاصحاب المعانى فى هذه
الآية اى وان كان اهل المعرفة فى عسرة المشاهدة وكشف القربة فلا تطالبوهم باثقال المعاملات والتكاليف
الكرامات الى ميسرة الكشوف وبروز انوار الحضرة فى قلوبهم لان للعارف مقامين الاول هو القبض والثانى
هو البسط فان كان فى القبض فهو فى هبوط الحرمان وهو عسر ظاهر ولا يودى فى ذلك المقام حق الحقيقة

واذا كان في مقام البسط فهو في دخان التوحيد ويطيق ان يودي ما وجب عليه من حق الطريقة لانه في تلك الحال ملتبس بانوار الربوبية ويتهيأ له ما يريد كما وصف الله تعالى انبياءه واولياءه في حال انبساطهم وبسطهم مثل عيسى عليه السلام حيث قال وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وان تصدقوا وان تركوا رؤوس اموالكم الى المعسر خير لكم ان كنتم تعلمون ما فيه من اجر الجزيل والذكر الجميل عن ابن مسعود انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتعلقت بروح رجل كان قبلكم فقالوا له هل عملت خيرا قط قال لا قالوا تذكر قال لا الا اني رجل كنت اداين الناس فكنت آمر فتياني ان ينظروا الموسر ويتجاوزوا عن المعسر قال الله تعالى تجاوزوا عنه رواه الامام محيي السنة وقد اخرجه البخاري ومسلم وابن ماجه من طرق عن سهل بن حنيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اعان مجاهدا في سبيل الله او غازيا او غارما في غرمه او مكاتبا في رقبته اظله الله يوم لا ظل الا ظله رواه الحاكم في مستدركه عن ابي بردة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من انظر معسرا فله لكل يوم مثله صدقة قال ثم سمعته يقول من انظر معسرا فله بكل يوم مثلاه صدقة قلت سمعتك يا رسول الله تقول من انظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة ثم سمعتك تقول من انظر معسرا فله بكل يوم مثلاه صدقة قال له بكل يوم صدقة قبل ان يحل الدين فاذا حل الدين فانظره فله بكل يوم مثلاه صدقة وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد ان يستجاب دعوته وان يكشف كربته فليفرج عن معسر رواه الامام احمد فصل في الدين وحسن قضائه وتشديد امره ذكر محيي السنة في المعالم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا تقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاغلظ له فهم اصحابه فقال دعوه فان لصاحب الحق مقالا واشتروا له بعيرا فاعطوه اياه فقالوا لا نجد الا افضل من سنه قال اشتروه فاعطوه اياه فان خيركم احسنكم قضاء وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطل الغني ظلم فاذا اتبع احدكم على ملي فليتبع وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نفس المومن معلقة بدينه حتى يقضى عنه وعن ابي قتادة الانصاري انه جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت ان قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر يكفر الله عني خطاياي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فلما ادبر ناداه رسول الله او امر به فنودي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف قلت فاعاد عليه قوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم الا الدين كذلك قال جبريل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله تردون فيه الى الله يوم القيمة او يوم الموت فتاهبوا لمصيركم اليه ثم توفى كل نفس ما كسبت جزاء ما عملت من خير او شر وهم لا يظلمون بنقص ثواب وتضعيف عقاب قال ابن عباس هذه الآية اخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل ضعها على راس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة وعاش بعدها رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا وعشرين يوما وقال ابن جريج تسع ليال وقال سعيد بن جبير سبع ليال ومات يوم الاثنين لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول حين زاغت الشمس سنة احدى عشر من الهجرة

مطلب

وقال الشعبي عن ابن عباس اخر آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية الربوا قال الكاشف واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله اي خافوا يوم الوصل من الوقوف مقام الحياء والخجلة بين يدي ملك عظيم المشتد وحين عن مشاهدته ومعاتبته اولياءه بالخطرات والاشارات قال بعضهم من لم يتعظ بمواعظ القرآن فليس له فيما سواه متعظ واي موعظة اعظم مما اخبر الله تعالى به عباده من الرجوع اليه ممن لم يحزن لذلك الموقف ولم يسك لذلك المشهد فباي موعظة يتعظ والذي يمضي فيه غير موقوف والذي يبقى فيه غير مامون يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين قال ابن عباس لما حرم الله تعالى الربوا اباح السلم وقال اشهد ان السلف المضمون الى اجل مسمى قد احله الله في كتابه واذن فيه ثم قال يا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه تداينتم اي تعاملتم بالدين يقال داينته اذا عاملته بالدين وانما قال بدين بعد قوله تداينتم لان المداينة قد يكون مجازاة وقد يكون معاطاة فقيد بالدين لئلا يتوهم من التداين المجازاة ويدل ايضا ان الباعث على الكتبة هو الدين ويجوز ان يكون من قبيل ولا طائر يطير بجناحيه فيفيد العموم اي اذا تداينتم بدين اي دين كان كثيرا او قليلا الى اجل مسمى الاجل مدة معلومة الاول والاخر والاجل يلزم في الثمن في البيع وفي السلم حتى لا يكون لصاحب الحق الطلب قبل محله وفي القرض لا يلزم الاجل عند اكثر اهل العلم فاكتبوه اي اكتبوا الذي تداينتم به بيعا كان او سلما او قرضا واختلفوا في هذه الكتابة فقال بعضهم هي واجبة والاكثرون على انها امر استحباب وارشاد فان تركت فلا باس ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه انا امة امية لا نكتب ولا نحسب قال الشيخ ابن الكثير وجه الجمع بين الآية والحديث الدين من حيث هو غير مفتقر الى كتابة اصلا لان كتاب الله قد سهل الله ويسر حفظه على الناس والسنن ايضا محفوظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي امر بالكتابة انما هو اشياء جزئية تقع بين الناس فامروا امر ارشاد لا امر ايجاب قال ابن جريج من ادان فليكتب ومن ابتاع فليشهد عن ابن عباس قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يسلفون في الثمار السنتين والثلاث فقال رسول الله صلى الله عليه من اسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم الى اجل معلوم وقال قوم كانت كتابة الدين والاشهاد والرهن فرضا ثم نسخ الكل بقوله فان امن بعضكم بعضا فليود الذي اؤتمن امانته وهو قول الشعبي عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلثة يدعون الله فلا يستجاب لهم رجل له امراة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل دفع مال يتيم قبل ان يبلغ ورجل اقرض رجلا مالا فلم يشهد رواه ابن مردويه والحاكم في مستدركه قال قتادة ذكر لنا ان ابا سليمان المرعشي كان رجلا صحب كعبا فقال ذات يوم لاصحابه هل تعلمون مظلوما دعا ربه فلم يستجب له فقالوا كيف يكون ذلك قال رجل باع بيعا الى اجل فلم يشهد فلما حل ماله جحده صاحبه فدعا به فلم يستجب له لانه عصى ربه والدليل على النسخ ايضا الحديث الذي حكى عن شرع من قبلنا مقررا

فى شرحنا ولم ينكر عدم الكتابة والاشهاد عن ابى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ذكر ان
رجلا من بنى اسرائيل سال بعض بنى اسرائيل ان يسلفه الف دينار فقال ايتنى بشهداء اشهدهم قال كفى بالله
شهيدا قال ائتنى بكفيل قال كفى بالله كفيلا قال صدقت فدفعها اليه الى اجل مسمى فخرج فى البحر فقضى حاجته
ثم التمس مركبا يقدم عليه للاجل الذى اجله فلم يجد مركبا فاخذ خشبة فنقرها فادخل فيها الف دينار
وصحيفة معها الى صاحبها ثم زجج موضعها ثم اتى بها البحر ثم قال اللهم انك قد علمت انى استسلفت فلانا الف
دينار فسالنى كفيلا فقلت كفى بالله كفيلا فرضى بذلك وسالنى شهيدا فقلت كفى بالله شهيدا فرضى بذلك و
انى قد جهدت ان اجد مركبا ابعث بها اليه بالذى اعطانى فلم اجد مركبا وانى استودعكها فرمى بها فى البحر
حتى ولجت فيه ثم انصرف وهو فى ذلك يطلب مركبا الى بلده فخرج الرجل الذى كان اسلفه ينظر لعل
مركبا يجيئه بماله فاذا بالخشبة التى فيها المال فاخذها لاهله حطبا فلما كسرها وجد المال والصحيفة ثم قدم
الرجل الذى كان تسلف منه فاتاه بالف دينار وقال والله ما زلت جاهدا فى طلب مركب لآتيك بمالك
فما وجدت مركبا قبل الذى اتيت فيه قال هل كنت بعثت الىّ بشئ قال الم اخبرك انى لم اجد مركبا قبل هذا
الذى جئت فيه قال فان الله قد ادى عنك الذى بعثت فى الخشبة فانصرف بالالف راشدا رواه الامام
احمد باسناد صحيح وقد رواه البخارى فى سبعة مواضع من صحيحه معلقا بصيغة الجزم ثم بين كيفية
الكتابة فقال جل ذكره وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ اى ليكتب كتاب الدين بين الطالب والمطلوب كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ
اى بالحق من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم اجل ولا تاخير وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ اى يمتنع اَنْ يَكْتُبَ و
اختلفوا فى وجوب الكتابة على الكاتب وتحمل الشهادة على الشاهد فذهب قوم الى وجوبها اذا طولب
وهو قول مجاهد وقال الحسن يجب اذا لم يكن كاتب غيره وقال قوم هو على الندب والاستحباب
وقال الضحاك كانت عزيمة واجبة على الكاتب والشاهد فنسخها قوله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد
كَمَا عَلَّمَهُ اللّٰهُ فَلْيَكْتُبْ اى لا يأب ان ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها كقوله واحسن كما احسن
الله اليك او فليكتب كما شرعه الله وامره وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ يعنى المطلوب يقر على نفسه بلسانه
ليعلم ما عليه والاملال والاملاء لغتان فصيحتان معناهما واحد جاء بهما القرآن فالاملال هنا والاملاء
قوله تعالى فهى تملى عليه بكرة واصيلا وَلْيَتَّقِ اللّٰهَ رَبَّهُ يعنى الممل وَلَا يَبْخَسْ اى لا ينقص مِنْهُ
من الحق الذى عليه شَيْئًا فَاِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا ناقص العقل مبذرا قال الشافعى رحمه الله
السفيه هو المبذر المفسد لماله او فى دينه اَوْ ضَعِيفًا صبيا او شيخا كبيرا اَوْ لَا يَسْتَطِيعُ اَنْ يُمِلَّ هُوَ
لخرس او عى او عجمة وجهل او حبس او غيبة فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ اى قيمه او وكيله بِالْعَدْلِ بالصدق باللغة م
والحق وقال ابن عباس ومقاتل اراد بالولى صاحب الحق يعنى ان عجز من عليه الحق من الاملاء
فيملل ولى الحق وصاحب الدين بالعدل لانه اعلم بالحق وَاسْتَشْهِدُوا اى واشهدوا شَهِيدَيْنِ

اى شاهدين

اى شاهدين مِنْ رِجَالِكُمْ يعنى المسلمين الاحرار دون الكفار والصبيان والعبيد وهو قول اكثر اهل
العلم واجاز شريح وابن سيرين شهادة العبد فَاِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ اى لم يكن الشهيدان رجلين فَرَجُلٌ
وَامْرَاَتَانِ اى فليشهد رجل وامراتان واجمع الفقهاء على ان شهادة النساء جائزة مع الرجال فى الاموال
حتى يثبت برجل وامراتين واختلفوا فى غير الاموال فذهبت جماعة الى انه يجوز شهادتهن مع الرجال فى غير
العقوبات وهو قول اصحاب الراى وذهبت جماعة الى ان غير المال لا يثبت الا برجلين عدلين وذهب الشافعى
رحمه الله الى ان ما لا يطلع عليه الا النساء غالبا كالولادة والرضاع يثبت بشهادة رجل وامراتين وشهادة اربع
نسوة واتفقوا على ان شهادة النساء غير جائزة فى العقوبات مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ يعنى من كان مرضيا
فى ديانته وامانته وساير قيود الشهادة وشرائط قبول الشهادة سبعة الاسلام والحرية والعقل والبلوغ
والعدالة والمروة وانتفاء التهمة اَنْ تَضِلَّ اِحْدٰيهُمَا فَتُذَكِّرَ اِحْدٰيهُمَا الْاُخْرٰى اى لاجل ان احديهما ان ضلت
الشهادة بان نسيتها ذكرتها الاخرى وفيه اشعار بنقصان عقلهن وقلة ضبطهن عن ابى هريرة عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال يا معشر النساء تصدقن واكثرن الاستغفار فانى رايتكن اكثر اهل النار فقالت
امراة منهن وما لنا يا رسول الله اكثر اهل النار قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير ما رايت من ناقصات
عقل ودين اغلب لذى لب منكن فقالت يا رسول الله ما نقصان العقل والدين قال اما نقصان عقلها فشهادة
امراتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل وتمكث الليالى وتفطر فى رمضان فهذا نقصان الدين
رواه مسلم وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ اِذَا مَا دُعُوا لاداء الشهادة او التحمل وسماهم شهداء على معنى انهم يكونون
شهداء وهو امر ايجاب عند بعضهم وقال قوم يجب الاجابة اذا لم يكن غيرهم وهو قول الحسن وقال قوم هو
امر ندب وهم مخيرون فى جميع الاحوال وَلَا تَسْاَمُوْا اى لا تملوا اَنْ تَكْتُبُوْهُ والضمير راجعة الى الدين او
الحق او الكتاب اَقْسَطُ عِنْدَ اللّٰهِ اعدل عند الله لانه امر به واتباع امره اعدل من تركه وَاَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ
واثبت لها لان الكتبة تذكر الشهود وَاَدْنٰى واقرب اَلَّا تَرْتَابُوْا ان تشكوا فى الشهادة اِلَّا اَنْ تَكُوْنَ تِجَارَةً
حَاضِرَةً تُدِيْرُوْنَهَا بَيْنَكُمْ معناه الا ان تقع تجارة حاضرة يدا بيد تديرونها بينكم ليس فيها اجل ومن قرا تجارةً
بالنصب فالمعنى الا ان تكون التجارة تجارة او المبايعة تجارة فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ اَلَّا تَكْتُبُوْهَا يعنى التجارة وَ
اَشْهِدُوْا اِذَا تَبَايَعْتُمْ قال الضحاك هو عزم من الله عز وجل والاشهاد واجب فى صغير الحق وكبيره نقدا ونساء
وقال الشعبى والحسن هذا الامر منسوخ الى الامانة بقوله تعالى فان امن بعضكم بعضا الآية وقال الآخرون
هو امر ندب وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيْدٌ منهم من قال اصله لا يضارر بكسر الراء الاولى ومعناه لا يضار
الكاتب فيابى ان يكتب ولا الشهيد فيابى ان يشهد او لا يضار الكاتب فيزيد او ينقص او يحرف ما املى عليه
ولا الشهيد فيشهد بما لم يستشهد عليه هذا قول طاوس والحسن وقتادة وقال قوم اصله يضارر بفتح
الراء على الفعل المجهول ومعناه على ما قاله ابن عباس ان يدعو الرجل الكاتب او الشاهد وهما على شغل مهم

صَغِيرًا اَوْ كَبِيرًا قليلا كان او كثيرا
اِلٰى اَجَلِهِ الى وقت حلول ذلك
اى الكتاب صح

فيقولان نحن على شغل مهم فاطلب غيرنا فيقول الداعى ان الله امركما ان تجيبا ويلح عليهما فيشغلهما
عن حاجتهما فنهى عن ذلك وامر بطلب غيرها وَاِنْ تَفْعَلُوا ما نهيتكم عنه من الضرار فَاِنَّهُ فُسُوقٌ
بِكُمْ اى معصية وخروج عن الامر وَاتَّقُوا اللّٰهَ اى خافوه وراقبوه واتبعوا امره واتركوا
زجره وَيُعَلِّمُكُمُ اللّٰهُ احكامه المتضمنة لمصالحكم قال الشيخ ابن الكثير هو كقوله يا ايها الذين آمنوا ان
تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وَاللّٰهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ اى هو عالم بحقايق الامور ومصالحها وعواقبها
وَاِنْ كُنْتُمْ عَلٰى سَفَرٍ اى مسافرين وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ هو جمع رهن مثل بغل وبغال وحبل
حبال والرُهُن جمع الرهان قاله الفراء والكسائى وقال ابو عبيد وغيره هو جمع الرهن ايضا مثل
سَقْف وسُقُف والقدس فالذى يستوثق به رهان او فعليكم رهان او فليوجد رهان ويجوز
الرهن فى الحضر مع وجود الكاتب وقال مجاهد لا يجوز الا فى السفر عند عدم الكاتب لظاهر الآية
عند الآخرين خرج الكلام فى الاية على الاعم الاغلب لا على سبيل الشرط والدليل عليه ما روى ان
النبى صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند ابى الشحم اليهودى ولم يكن ذلك فى سفر ولا عند عدم
كاتب فَاِنْ اَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا يعنى فان كان الذى عليه الحق امينا عند صاحب الحق فلم يرتهن منه شيا
لحسن ظنه به فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ اَمَانَتَهُ فليقضه على الامانة وَلْيَتَّقِ اللّٰهَ رَبَّهُ فى اداء الحق عن
سمرة عن النبى صلى الله عليه وسلم على اليد ما اخذت حتى تؤديه رواه الامام احمد وغيره ثم رجع الى
خطاب الشهود فقال وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ اذا دعيتم الى اقامتها نهى عن كتمان الشهادة واوعد عليه
فقال وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَاِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ اى فاجر قلبه قال ابن عباس وغيره شهادة الزور من اكبر الكباير
وكتمانها كذلك قال الكاشف اى لا تكتموا ما اشهدكم الله تعالى من مقام اهل الولاية بان تخلوا ذكرهم
حسدا عليهم ومن يكتمها يعنى ما خصهم الله تعالى به فانه آثم قلبه اى جزاء كتمانه قساوة قلبه واثم
القلب الحسد باهل الولاية وجزاء الحسد الطبع والختم نعوذ بالله تعالى وَاللّٰهُ بِمَا تَعْمَلُونَ من بيان
الشهادة وكتمانها عَلِيمٌ تهديد لِلّٰهِ مَا فِى السَّمٰوَاتِ وَمَا فِى الْاَرْضِ خلقا وملكا وَاِنْ تُبْدُوا مَا فِى اَنْفُسِكُمْ
اَوْ تُخْفُوهُ يعنى ما فيها من السوء والعزم عليه يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللّٰهُ يوم القيمة فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ مغفرته
وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ تعذيبه عن ابن عباس فيغفر لمن يشاء الذنب العظيم ويعذب من يشاء الذنب
الصغير لا يسأل عما يفعل وهم يسألون وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على الاحياء والمحاسبة قال
الامام المراجع فى هذه السورة اشياء كثيرة من علم الاصول وهى كثيرة من بيان الرابع والتكاليف ذكر الصلوة
والزكوة والقصاص والصوم والحج والجهاد والحيض والطلاق والعدة والصداق والمتعة والخلع
والايلاء والرضاع والبيع والربوا وكيفية المداينة ختم السورة بهذه الاية على سبيل التهديد
عن ابى هريرة انه قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم لله ما فى السموات وما فى الارض

وان تبدوا

وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء
قدير اشتد ذلك على اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم جثوا على الركب فقالوا يا رسول كلفنا من الاعمال ما نطيق الصلوة والصيام والجهاد وقد انزل
عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتريدون ان تقولوا كما قال اهل الكتابين
من قبلكم سمعنا وعصينا بل قولوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما اقترأها القوم وذلت
بها السنتهم انزل الله تعالى فى اثرها آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملئكته
وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير فلما فعلوا
ذلك نسخها الله تعالى فانزل لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطانا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
قال نعم واعف عنا واغفر لنا وارحمنا انت مولينا فانصرنا على القوم الكافرين قال نعم رواه مسلم وهذا
قول ابن مسعود وابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم اجمعين وفى رواية سعيد بن جبير عن ابن
عباس وقال فى كل ذلك قد فعلت بدل قوله نعم وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال ان الله تجاوز عن امتى ما وسوست به انفسها ما لم يتكلموا او يعملوا به رواه الجماعة
فى كتبهم الستة وقال بعضهم الآية غير منسوخة لان النسخ لا يرد على الاخبار انما يرد على الامر والنهى
وقوله يحاسبكم به الله خبر لا يرد عليه النسخ ثم اختلفوا فى تاويلها فقال قوم قد اثبت الله للقلب كسبا
فقال بما كسبت قلوبكم فليس لله عبد اسر عملا او اعلنه من حركة فى جوارحه او همة فى قلبه الا يخبره
الله به ويحاسبه عليه ثم يغفر ما يشاء ويعذب ما يشاء وهذا معنى قول الحسن يدل عليه قوله تعالى
ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا وقال آخرون معنى الاية ان الله عز وجل
يحاسب خلقه بجميع ما ابدوا من اعمالهم او اخفوه ويعاقبهم عليه غير ان معاقبته على ما اخفوه مما لم
يعملوه بما يحدث لهم فى الدنيا من النوايب والمصايب والامور التى يحزنون عليها وهذا قول عائشة
رضى الله عنها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عايشة هذه معاقبة الله العبد بما يصيبه
من الحمى والنكبة حتى الشوكة والبضاعة يضعها فى كمه فيفقدها فيروع لها فيجدها فى جيبه حتى ان
المؤمن ليخرج من ذنوبه كما يخرج التبر الاحمر من الكير رواه الترمذى وغيره عن انس بن مالك رضى الله
عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة فى الدنيا فاذا
اراد بعبده الشر امسك عليه بذنبه حتى يوافيه به يوم القيمة رواه محيى السنة وغيره وقال بعضهم وان تبدوا
ما فى انفسكم يعنى ما فى قلوبكم مما عزمتم عليه او تخفوه ولا تبدوه وانتم عازمون عليه يحاسبكم به الله فاما
ما حدثت به انفسكم مما لم يعزموا عليه فان ذلك مما لا يكلف الله نفسا ولا يواخذ به دليله قوله تعالى لا يواخذكم الله

باللغو فى ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم قال عبد الله بن المبارك قلت لسفيان ايواخذ الله العبد بالهمة
قال اذا كان عزما اخذ بها وقيل معنى المحاسبة الاخبار والتعريف ومعنى الآية وان تبدوا ما فى انفسكم فتعملوا به
او تخفوه مما اضمرتم ونويتم يحاسبكم به الله ويخبركم به ويعرفكم اياه ثم يغفر للمؤمنين اظهارا لفضله ويعذب
الكافرين اظهارا لعدله وهذا معنى قول الضحاك ويروى ذلك عن ابن عباس يدل عليه انه قال يحاسبكم به
الله ولم يقل يواخذكم والمحاسبة غير المواخذة فى الصحيحين وغيرهما عن قتادة عن صفوان بن محرز قال
بينا نحن نطوف بالبيت مع عبد الله بن عمر وهو يطوف اذ عرض له رجل فقال يا ابن عمر ما سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى فقال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول يدنو المؤمن من ربه
عز وجل حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه فيقول هل تعرف كذا فيقول رب اعرف حتى اذا بلغ ما شاء
الله ان يبلغ قال انى سترتها عليك فى الدنيا وانا اغفرها لك اليوم قال فيعطى صحيفة حسناته او كتابه بيمينه واما
الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤس الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين
قال الكاشف اى لله خزاين ملكوت الكونين واسرار غيب العالمين لا يكشفها الا للخواص احبته وان
تظهروا ما فى قلوبكم من حقايق المكاشفات والمخاطبات ليقتدى به اهل الارادة او تخفوا عجايب الغيب
التى يرى عيون الارواح القدسية ونورها لا تعرف بها اقوام من صغار المؤمنين لعله يتهمهم
يوسكم الله بمكنن الظاهر بالطهرم حتى لا تفتنوا بدقايق الرياء والسمعة وسمعن الباطن بما
احفيتم من الخلق اخلاصا وصدقا لتذوقوا حلاوة صغار الاخلاص فى كتمان الاسرار فيغفر
لمن يشاء لمن اراد الجنة ونعيمها ويعذب من يشاء من آثر الدنيا على الآخرة آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا
اُنْزِلَ اِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ قال الكاشف ان الله تعالى قدس باطن رسوله من شوايب النفسانية و
خطرات الشيطانية وكحل عين سره بنور الملكوت حتى قبل بالصدق والاخلاص ما كشف له
من عجايب الجبروت ورأى بمصابيح القرآن اسرار الازل والابد وما جرى فى بطنان الغيب
وغيب الغيب رؤية عيان وآمن بها ايمان المشاهدة والعرفان كما قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى
وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ قال الكاشف المؤمنون على قسمين منهم
العارفون والصادقون والشاهدون والمقربون والمكاشفون والمخلصون والمحسنون و
والراضون والمتوكلون والمحبون والمريدون والمرادون كل شاهد وابعض ما شاهد
الرسول عليه الصلوة والسلام ولولا ذلك لم يسرعوا فى بذل الارواح ومجاهدة الاشباح لكن
للنبى صلى الله عليه وسلم مشاهدة الصرف خاصة له بلا زحمة الخطرات ولهم مشاهدة اليقين بوسايط
الالتباس محجوبين بالوسواس والقسم من المؤمنين هم الذين آمنوا ايمان الفطرة بارشاد العلم
والعقل والبيان والبرهان وايضا استقام النبى عليه الصلوة والسلام عند صدمة سلطان الالوهية

وتمكن فيما عاين من جلال ذات القدم جل جلاله بنعت صرف المشاهدة والمؤمنون والمؤمنون
يريهم الله بعض انوار غيبه فآمنوا بما ادركوا به وقال الاستاذ آمن الرسول صلوات الله وسلامه
عليه من حيث العيان وآمن الخلق كلهم من حيث البرهان وقال آمن الخلق بالوسايط وآمن
محمد صلى الله عليه وسلم بغير واسطة وقالوا لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ اَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ فنؤمن ببعض و
نكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى وَقَالُوا سَمِعْنَا قولك وَاَطَعْنَا امرك روى عن حكيم بن
جابر رضى الله عنه ان جبريل قال للنبى صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الاية ان الله قد اثنى عليك
وعلى امتك فسل تعطه فسال بتلقين الله فقال غُفْرَانَكَ اى اغفر غفرانك او نسال غفرانك رَبَّنَا
وَاِلَيْكَ الْمَصِيرُ والمرجع بعد الموت اقرار منهم بالبعث قال لَا يُكَلِّفُ اللّٰهُ نَفْسًا اِلَّا وُسْعَهَا قال
محيى السنة ظاهر الاية قضاء الحاجة وفيها اضمار السؤال كانه قال وقالوا لا تكلفنا الا وسعنا فاجاب
لا يكلف الله نفسا الا وسعها اى طاقتها والوسع اسم لما يسع الانسان ولا يضيق عليه واختلفوا فى
تاويله فذهب ابن عباس وعطاء واكثر المفسرين الى انه اراد به حديث النفس الذى ذكره فى قوله
تعالى وان تبدوا ما فى انفسكم او تخفوه كما ذكرنا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال هم المؤمنون
وسع الله عليهم امر دينهم ولم يكلفهم فيه الا ما يستطيعون كما قال يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر
وقال ما جعل عليكم فى الدين من حرج لَهَا مَا كَسَبَتْ اى للنفس ما عملت من الخير لها اجره وثوابه
وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ من الشر وعليها وزره ثم انه تعالى حكى عن المؤمنين دعاءهم فان الدعاء كما قال
صلى الله عليه وسلم مخ العبادة لان الداعى يشاهد نفسه فى مقام الفقر والحاجة والذل والمسكنة
ويشاهد جلال الله تعالى وكرمه وعزته وعظمته بنعت الاستغناء والتعالى وهو المقصود من جميع
العبادات والطاعات فلهذا السبب ختم هذه السورة الشريفة المشتملة على هذه العلوم العظيمة بالدعاء
والتضرع الى الله تعالى فقال رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا لا تعاقبنا اِنْ نَسِينَا جعله بعضهم من النسيان الذى هو
السهو وقال الكلبى كانت بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا به او اخطأوا عجلت لهم العقوبة
فحرم عليهم شيء من مطعم او مشرب على حسب ذلك الذنب فامر الله المؤمنين ان يسالوه ترك مؤاخذتهم
بذلك وقيل هو من النسيان الذى هو الترك كقوله تعالى فنسيهم اَوْ اَخْطَاْنَا قيل معناه القصد
والعمد يقال خطئ فلان اذا تعمد قال تعالى ان قتلهم كان خطأ كبيرا وقال عطاء ان نسينا او
اخطأنا يعنى ان جهلنا او تعمدنا وجعله الاكثرون من الخطا الذى هو الجهل والسهو لان ما كان عمدا
من الذنب فغير معفو عنه بل هو فى مشية الله والخطاء معفو عنه قال النبى صلى الله عليه وسلم
رفع عن امتى الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه قال الكاشف لها ما كسبت اى ما كسبت الارواح
من مقاساة الهجران فى دار الامتحان وعليها ما اكتسبت النفوس من جرايم الخطرات عند مكاشفة الغيب

للاسرار فيجازى الله النفوس في الدنيا بالذوب في المجاهدات ويجازى الارواح في الآخرة بصرف المشاهدات لا تؤاخذنا ان نسينا اى لا تحجبنا عنك ان نسيناك او اخطأنا بالتفاتنا الى غيرك ربنا ولا تحمل علينا اصرا اى عهدا ثقيلا وميثاقا لا نستطيع القيام به فتعذبنا بنقضه وتركه كما حملته على الذين من قبلنا يعنى اليهود ولم يقوموا به فعذبتهم هذا قول مجاهد وعطاء وقتادة والسدى والكلبى وجماعة يدل عليه قوله تعالى واخذتم على ذلكم اصرى اى عهدى وقيل معناه لا تشدد ولا تغلظ الامر علينا كما شددت على من قبلنا من اليهود وذلك ان الله تعالى فرض عليهم خمسين صلوة وامرهم باداء ربع اموالهم في الزكوة ومن اصاب ثوبه نجاسة قطعها ومن اصاب ذنبا اصبح وذنبه مكتوب على بابه ونحوها من الاثقال والاغلال وهذا قول عثمن بن عطاء ومالك ابن انس وابى عبيدة وجماعة يدل عليه قوله تعالى ويضع عنهم اصرهم والاغلال التى كانت عليهم وقيل الاصر ذنب لا توبة له معناه اعصمنا من مثله والاصل فيه العقد والاحكام ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به اى لا تكلفنا من الاعمال ما لا نطيقه وقيل هو حديث النفس والوسوسة وحكى عن مكحول انه قال هو الغلمة وعن ابرهيم هو الحب وعن محمد بن عبد الوهاب قال العشق وقال ابن جريج هو مسخ القردة والخنازير وقيل هو شماتة الاعداء وقيل هو الفرقة والقطيعة نعوذ بالله منها واعف عنا تجاوز وامح عنا ذنوبنا واغفر لنا استر علينا ذنوبنا ولا تفضحنا وارحمنا فانا لا ننال العمل بطاعتك ولا نترك معصيتك الا برحمتك قال الامام فيه سؤالات الاول لم يذكر لفظ ربنا هاهنا الجواب ان النداء انما يحتاج اليه عند البعد واما عند القرب فلا فلا جرم حذف النداء اشعارا بان العبد اذا واظب على التضرع نال القرب من الله تعالى وهذا سر عظيم يطلع منه على اسرار اخرى السؤال الثانى ما الفرق بين العفو والمغفرة والرحمة والجواب ان العفو ان يسقط عنه العقاب والمغفرة ان يستر عليه جرمه صونا له عن عذاب التخجيل والفضيحة كان العبد يقول اطلب منك العفو واذا عفوت عنى فاستر على فان الخلاص من عذاب القبر انما يطلب اذا حصل عقيبه الخلاص من عذاب الفضيحة فالاول هو العذاب الجسمانى والثانى هو العذاب الروحانى فلما تخلص منهما اقبل على طلب الثواب وهو ايضا قسمان ثواب جسمانى وهو نعيم الجسم ولذاتها وطيباتها وثواب روحانى وغايته ان يتجلى له نور جلال الله تعالى وينكشف له بقدر الطاقة علو كبريائه وذلك بان يصير غائبا عن كل ما سوى الله تعالى مستغرقا بالكلية فى نور حضور جلال الله تعالى انت مولانا ناصرنا وحافظنا ووليّنا فانصرنا على القوم الكافرين قال الكاشف واعف عنا اى واعف عنا قلة المعرفة بك واغفر لنا التقصير فى عبادتك وارحمنا بمواصلتك ومشاهدتك فانصرنا على القوم الكافرين هذا مجرى اهل الامتحان من المكاشفين والمشاهدين اى نحن اسراء معرفتك وضعفاء محبتك فارحمنا بتجلى العظمة حتى نتقوى منك بك فى محل العبودية وكشف الربوبية وانصرنا بمعاونة المعرفة وجند حقائق الالهام على مشاعر الالوهية على القوم الكافرين اى على اوباش الطبيعة حتى نهزم عساكر مبادى معاندتك بتاييد موافقتك

ونشرع من تشويشهم فى صرف عبوديتك وطلب مشاهد حضرتك قال الامام فى نظم هذه الآية هو ان كمال الانسان فى ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به واستكمال القوة النظرية بالعلم واستكمال القوة العملية بفعل الخيرات والقوة النظرية اشرف من القوة العملية والقرآن مملو من ذكرهما بشرط ان يكون القوة النظرية مقدمة على العملية قال تعالى عن ابراهيم رب هب لى حكما والحقنى بالصالحين فالحكم كمال القوة النظرية والحقنى بالصالحين كمال القوة العملية اذا عرفت هذا فنقول الامر فى هذه الآية ايضا كذلك فقوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله اشارة الى استكمال القوة النظرية بهذه المعارف الشريفة وقوله تعالى سمعنا واطعنا اشارة الى استكمال القوة العملية الانسانية بهذه الاعمال الفاضلة الكاملة ومن وقف على هذه النكتة علم اشتمال القرآن على اسرار عجيبة غفل عنها الاكثرون وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى غفرانك ربنا قال الله تعالى قد غفرت لكم وفى قوله تعالى لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا قال تعالى لا اؤاخذكم وفى قوله ربنا ولا تحمل علينا اصرا قال تعالى لا احمل عليكم اصرا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به قال لا احملكم واعف عنا الى آخره قال عفوت عنكم وغفرت لكم ورحمتكم ونصرتكم على القوم الكافرين وكان معاذ اذا ختم سورة البقرة قال آمين عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه رواه البخارى وعن ابى ذر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يعطهن نبى قبلى رواه الامام احمد وغيره وعن عبد الله لما اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الى سدرة المنتهى وهى فى السماء السابعة اليها ينتهى ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهى ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من ذهب قال واعطى خواتيم سورة البقرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثا اعطى الصلوات الخمس واعطى خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله من امته شيئا المقحمات عن على رضى الله عنه قال لا ارى احدا عقل الاسلام ينام حتى يقرأ خواتيم سورة البقرة فانها كنز اعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم من تحت العرش رواه ابن مردويه وغيره وعن النعمان بن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب كتابا قبل ان يخلق السموات والارض بالفى عام انزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة ولا يقرآن فى دار ثلث ليال فيقربها شيطان رواه الترمذى وغيره وعن ابن عباس قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده جبرئيل اذ سمع نقيضا فوقه فرفع جبرئيل بصره الى السماء فقال هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط قال فنزل منه ملك فاتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ابشر بنورين قد اوتيتهما لم يؤتهما نبى قبلك فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا منهما الا اوتيته رواه مسلم وقد تقدم

سورة آل عمران مائتان آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو قال الكلبى والربيع بن انس وغيرهما نزلت هذه الآيات فى وفد نجران وكانوا ستين راكبا قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم اربعة عشر رجلا من اشرافهم وفى الاربعة عشر ثلثة نفر اليهم يؤول امرهم العاقب اميرهم وصاحب مشورتهم الذى لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح والسيد ثمالهم وصاحب رحلهم واسمه الايهم وابو حارثة بن علقمة اسقفهم وحبرهم دخلوا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى العصر عليهم ثياب حبرات جبب واردية فى جمال رجال ابو الحارث بن كعب يقول من رآهم ما راينا وفدا مثلهم وقد حانت صلوتهم فقاموا للصلوة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوهم فصلوا الى المشرق فتكلم السيد والعاقب فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلما فقالا قد اسلمنا قبلك قال كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب واكلكما الخنزير قالا ان لم يكن ولدا لله فمن ابوه وخاصموه جميعا فى عيسى فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم الستم تعلمون انه لا يكون ولد الا وهو يشبه اباه قالوا بلى قال الستم تعلمون ان الله حى لا يموت وان عيسى يأتى عليه الفناء قالوا بلى قال الستم تعلمون ان ربنا قيم على كل شئ يحفظه ويرزقه قالوا بلى قال فهل يملك عيسى عليه السلام من ذلك شيئا قالوا لا قال الستم تعلمون ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء قالوا بلى قال فهل يعلم عيسى شيئا من ذلك الا ما علم قالوا لا قال فان ربنا صور عيسى فى الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا بلى قال الستم تعلمون ان عيسى حملته امه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذى كما يغذى الصبى ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا بلى قال فكيف يكون هذا كما زعمتم فسكتوا فانزل الله تعالى صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها فقال الله لا اله الا هو الحى القيوم وقد تقدم الحديث الوارد فى ان اسم الله الاعظم فى هاتين الآيتين الله لا اله الا هو الحى القيوم والم الله لا اله الا هو الحى القيوم عند تفسير آية الكرسى وتقدم الكلام على قوله الم فى اول سورة البقرة وتقدم ايضا الكلام على قوله الله لا اله الا هو الحى القيوم فى تفسير آية الكرسى نزل عليك الكتاب القرآن بالحق بالصدق فى اخباره او بالحجج المحققة انه من عند الله مصدقا لما بين يديه لما قبله من الكتب فى التوحيد والنبوات والاخبار وبعض الشرائع وانزل التوراة والانجيل قال وانزل التورية والانجيل لان التورية والانجيل انزلا جملة واحدة وقال فى القرآن نزل لانه نزل مفصلا والتنزيل للتكثير والتورية بالعبرانية توروتيه ومعناه الشريعة والانجيل بالسريانية انقليون ومعناه الاكليل وما قيل من ان التورية من التورية وهى كتمان السر والتعريض بغيره وكان اكثر التورية معاريض من غير تصريح واما الانجيل فهو من النجل وهو سعة العين سمى به لانه انزل سعة لهم ونورا الى غير ذلك فيقال عليه انهما عجميان وجريان مثل ذلك الاشتقاق فيهما غير معلوم هدى للناس وانزل الفرقان الكتب الالهية الفارقة بين الحق والباطل ذكر ذلك بعد ذكر الكتب الثلثة

ليعم ما عداها

ليعم ما عداها كانه قال وانزل سائر ما يفرق به بين الحق والباطل ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز غالب لا يمنع من التعذيب ذو انتقام لا يقدر على مثله منتقم فينتقم ممن كذب بآياته وخالف رسله قال الكاشف ان الذين حجبوا عن مشاهدة الحق بنعت النقص فى ربوبيته الربوبية لهم حرمان وجدان وصول مقامات اهل الهدايات والله عزيز يعز اولياءه بعز التوحيد منتقم ينتقم من اعدائه انكارهم على اسراره بان لا يهديهم الى ما آتاهم من انوار فضله وكرمه ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء لا يخفى عليه شئ كائن فى العالم ايمانا وكفرا كليا وجزئيا قال الكاشف عليه الغفران لا يخفى عليه شئ مما فى صدور اوليائه فى الارض من لهب الاشتياق ولا ما فى قلوب اصفياء ملائكته تحت العرش من من اذى نيران الخوف وهذا تسلية من الله تعالى لاوليائه اعلمهم انه يعلم احوالهم فى شوقه وانه يجازيهم بمقاساتهم ومجاهدتهم ابتلاءه وقال جعفر لا يطلعن عليك فرى فى تلبك سواه فيمقتك وقيل فيه لا يخفى عليه شئ فطالعوا همومكم ان تكون خالية عن الاهواء والشبهات فانه لا يخفى عليه شئ هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء ذكرا وانثى ابيض او اسود حسنا او قبيحا تاما او ناقصا فهو دال على كمال قدرته حيث قدر ان يخلق من النطفة هذه الاعضاء المختلفة فى الطبائع والشكل واللون ويدل على كونه عالما من حيث ان الفعل المحكم لا يصدر الا عن العالم فكان قوله يصوركم فى الارحام دالا على كونه قادرا على كل الممكنات ودليلا على ما تقدم من قوله تعالى ان الله لا يخفى عليه شئ فى الارض ولا فى السماء فظهر انه كالمقرر لما ذكره اولا من انه الحى القيوم قال الكاشف اى هو الذى يلبسكم فى الارحام نور جمال القدرة ويزينكم بحسن عكس المشاهدة ليبتهج الناظر اذا نظر الى وجوهكم باداك حسن ابداعه واظهار جلال ربوبيته فى وجوهكم كما قال تعالى والقيت عليك محبة منى وايضا هو الذى يصوركم فى الارحام رواسخ فى علوم المعارف او المطلعين فى كشف نور الحقائق او المحبين تحت اثقال المعاملات او المحسنين فى شرف المقامات كما كان فى علم ازليته وقال محمد بن على هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء من الانوار والظلمات قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فى ظلمة والقى عليهم من نوره فمن اصابه ذلك النور اهتدى ومن اخطأه ضل ثم لما كان هو المستحق للالهية وحده لا شريك له وعيسى بن مريم عبد مخلوق خلقه الله تعالى وصوره فى الرحم كما شاء كما خلق سائر البشر لا اله الا هو العزيز الحكيم فالعزيز اشارة الى كمال القدرة والحكيم اشارة الى كمال العلم عن عبد الله بن مسعود انه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق ان خلق احدكم يجمع فى بطن امه اربعين نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله اليه الملك او قال يبعث اليه الملك باربع كلمات فيكتب رزقه وعمله واجله وشقى او سعيد قال وان احدكم ليعمل بعمل

اهل الجنة حتى ما يكون بينها وبينه غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم
ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها ثم لما كان
من شبه النصارى تمسكهم بما جاء في القرآن من قوله تعالى في صفة عيسى عليه السلام انه روح الله وكلمته فبين
تعالى بهذه الآية انه مشتمل على محكم وعلى متشابه والتمسك بالمتشابهات غير جائز فقال هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ
الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ مبينات مفصلات سميت محكمات من الاحكام كانه احكمها فمنع الخلق من التصرف فيها
لظهورها ووضوح معناها هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ اى اصله الذي يعمل عليه ويرد غيرها اليه وانما قال هن ام الكتاب
ولم يقل امهات الكتاب لان الآيات كلها في تكاملها واجتماعها كالآية الواحدة وكلام الله واحد وقيل
معناه كل آية منهن ام الكتاب كما قال وجعلنا ابن مريم وامه آية اى كل واحد منهما آية وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ
محتملات لا يتضح مقصودها لاجمال او مخالفة الظاهر الا بالفحص والنظر ليظهر فيها فضل العلماء ويزداد
حرصهم على ان يجتهدوا في تدبرها وتحصيل العلوم المتوقف عليها استنباط المراد بها فينالوا بها وباستخراج
معانيها والتوفيق بينها وبين المحكمات معالي الدرجات فالقرآن منقسم الى المحكم والمتشابه لانه اما قطعي
الدلالة على المعنى وهو النص واما راجح الدلالة على بعض المعاني وهو الظاهر والقدر المشترك بين
النص والظاهر المحكم واما متساوي الدلالة على معنيين فصاعدا وهو المجمل واما مرجوح الدلالة
على بعض المعاني وهو المأول والقدر المشترك بين المجمل والمأول المتشابه واما حيث جعل كله محكما
كما في قوله تعالى الر كتاب احكمت آياته او كله متشابها كما في قوله تعالى الله نزل احسن الحديث كتابا متشابها
فالمراد ان بعضه يشبه بعضا في الحق والصدق والحسن عن ابن عباس المحكمات هي الآيات الثلاث
في سورة الانعام قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ونظيرها في بني اسرائيل وقضى ربك الا تعبدوا الا
اياه الآيات وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس انه قال محكمات القرآن ناسخه وحلاله وحرامه
وحدوده وفرائضه وما يؤمن به ويعمل به والمتشابهات منسوخه ومقدمه ومؤخره وامثاله
واقسامه وما يؤمن به ولا يعمل به وعنه في رواية باذان المتشابه حروف التهجي في اوائل السور
وذلك ان رهطا من اليهود منهم حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف ونظراؤهما اتوا النبي صلى الله عليه
وسلم فقال له حيي بلغنا انه انزل عليك الم فننشدك الله انزل عليك قال نعم قال فان كان ذلك حقا
فاني اعلم مدة ملك امتك هي احدى وسبعون سنة فهل انزل غيرها قال نعم المر قال هذه اكثر مائتان
واحدى وثلثون سنة فهل غير قال نعم المر قال هذه اكثر وهي مائتان واحدى وسبعون سنة
وقد خلطت علينا فلا ندري ابكثيره ناخذ ام بقليله ونحن ممن لا يؤمن بهذا فانزل الله تعالى هو الذي
انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات وقيل المحكمات ما اوقف
الله الخلق على معناه والمتشابه ما استاثر الله بعلمه لا سبيل لاحد الى علمه نحو الخبر عن اشراط الساعة

فالمراد بالمحكم الحق الذي ليس فيه عبث ولا هزل ولا فساد ولا ركاكة م

ومن خروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها وقيام الساعة وفناء الدنيا
قال الكاشف المحكمات التي لا يتبدل حكمها كانت في الازل وهي آيات لا بد للمؤمنين من استعمال اوامرها
لانها في اصلاح الخلق وتثبيت ايمانهم بمنزلة الدواء للمرضى قال محمد بن الفضل هو سورة الاخلاص
لانه ليس فيه الا التوحيد فقط هن ام الكتاب اى مداد اوامر الكتاب ومورد اصول المعاملات
ومنبت اشجار الايمان في قلوب اهل المدانا بنعت المزيد واخر متشابهات هي اوصاف النعوت
الصفات وظهور الذات في مرآت الشواهد فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ اى ميل عن الحق وقيل
شك فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ واختلف في المعني بهذه الآية فقال الربيع هم وفد نجران خاصموا
النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى وقالوا له الست تزعم انه كلمة الله وروح منه قال بلى قالوا حسبنا
فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الكلبي هم اليهود طلبوا علم اجل هذه الامة واستخراجه بحساب الجمل
وقال ابن جريج هم المنافقون وقال الحسن هم الخوارج وكان قتادة اذا قرأ هذه الآية فاما الذين في قلوبهم
زيغ قال ان لم يكونوا الحرورية والسبائية فلا ادري من هم وقيل جميع المبتدعة روى الامام احمد عن ابي امامة
يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه قال هم الخوارج
وفي قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال هم الخوارج وقد رواه ابن مردويه مرفوعا قال الشيخ ابن
كثير وهذا الحديث اقل اقسامه ان يكون موقوفا من كلام الصحابي ومعناه صحيح فان اول
بدعة وقعت في الاسلام فتنة الخوارج وكان مبدأهم بسبب الدنيا حين قسم النبي صلى الله عليه وسلم غنائم
حنين فكانهم راوا في عقولهم الفاسدة انه لم يعدل في القسمة فقال قائلهم وهو ذو الخويصرة اعدل فانك لم
تعدل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد خبت وخسرت ان لم اكن اعدل فلما قفا الرجل استاذن
عمر بن الخطاب في قتله فقال دعه فانه يخرج من ضئضئ هذا اى من جنسه قوم يحقر احدكم صلوته مع صلوتهم
وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فاينما لقيتموهم فاقتلوهم
فان في قتلهم اجرا لمن قتلهم ثم كان ظهورهم ايام علي بن ابي طالب فقتلهم بالنهروان ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل
وآراء واهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة من البدع التي اخبر عنها الصادق المصدوق في قوله وستفترق
هذه الامة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي
اخرجه الحاكم في مستدركه عن عائشة قالت تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية هو الذي انزل عليك
الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات الى قوله الا اولو الالباب قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رايت الذين يتبعون ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله
فاحذروهم رواه البخاري وغيره ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ قال مجاهد ابتغاء الشبهات واللبس ليضلوا بها جهالهم لم
فقال الربيع طلب الشرك وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وطلب ان يأولوه على ما يشتهونه قال الكاشف

اهل التقليد يخوضون في المتشابهات طلبا للتوحيد وهم معزول عن شهوده لانهم اصحاب الوهم وصاحب
الوهم لا يعرف حقيقة الاشياء المحدثة فكيف يعرف وجود الحق برسم الوهم واذا كان يطلب علوم
المتشابه لم يبلغ حقيقتها ويقع في الفتنة ولهذا قال عليه الصلوة والسلام تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في ذات الله
ومن لا يبصر بمجاهدة حقائق اليقين ولم ينظر في مرآة التحقيق ورسم في المتشابهات يسقط عن رسوم الامر
ولا يبلغ معاني المتشابهات لانه مقام اهل العشق الذين يرون الحق في كل شيء كما قال بعض اهل المعاني
ما نظرت الى شيء الا ورأيت الله فيه هذا وصف ظهور التجلي في مرآت الكون لا ان الحق حل في
الاشياء لانه منزه عن الحلول وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ اختلف العلماء في نظم
هذه الآية فقال قوم منهم مجاهد والربيع الواو في قوله والراسخون واو العطف يعني ان تاويل
المتشابه يعلمه الله ويعلمه الراسخون في العلم وذهب الاكثرون الى الوقف وانه تم الكلام عند قوله
وما يعلم تاويله الا الله وقالوا لا يعلم تاويل المتشابه الا الله ويجوز ان يكون للقرآن تاويل استاثر
الله بعلمه لم يطلع عليه احدا من خلقه كما استاثر بعلم الساعة ووقت طلوع الشمس من مغربها وخروج
الدجال ونزول عيسى عليه السلام والخلق متعبدون في المتشابه بالايمان به وفي المحكم بالايمان به
والعمل وهو قول ابي بن كعب وعائشة ورواية طاوس عن ابن عباس وبه قال الحسن واكثر التابعين
وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما ايضا انه كان يقول في هذه الآية انا من الراسخين في العلم
ومن العلماء من فصل وقال التاويل يطلق على معنيين احدهما التاويل بمعنى حقيقة الشيء وما يؤول
الامر اليه كما في قوله تعالى هل ينظرون الا تاويله يوم ياتي تاويله اى حقيقة ما اخبروا به من امر
المعاد فان اريد بالتاويل هذا فالوقف على الا الله لان حقائق الامور وكنهها لا يعلمه على الجلية الا
الله عز وجل والثاني التفسير والبيان والتعبير عن الشيء كقوله نبئنا بتاويله اى بتفسيره فان اريد
هذا المعنى فالوقف على الراسخون في العلم لانهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار وان
لم يحيطوا علما بحقائق الاشياء والراسخون في العلم الذين ثبتوا وتمكنوا فيه من رسوخ الشيء في الشيء
اى ثبوته فيه يقال رسخ الايمان في قلب فلان يرسخ رسوخا ورسخا وقيل الراسخون في العلم مؤمنوا
اهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام واصحابه دليله قوله تعالى لكن الراسخون في العلم منهم يعني المدارسين علم
التورية وسئل مالك بن انس عن الراسخين في العلم فقال العالم العامل بما علم المتبع له وقيل الراسخ
في العلم من وجد في علمه اربعة اشياء التقوى بينه وبين الله تعالى والتواضع بينه وبين الخلق
والزهد بينه وبين الدنيا والمجاهدة بينه وبين النفس روى ابن ابي حاتم عن ابي الدرداء ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الراسخين فقال من برت يمينه وصدق لسانه و العد
استقام قلبه وعف بطنه وفرجه فذلك من الراسخين في العلم قال الكاشف الراسخون في العلم

هم الذين كشف لهم اسرار العلوم اللدنية وعجايب معلومات الآخرة الخارجة من الابصار الظاهرة
وايضا الراسخ الرباني الذي تخلق بخلق الحق جلت عظمته ان يكون قوله وفعله وكنه وايضا الراسخون في
العلم هم الشاهدون بنعت الارواح قبل الاشباح قد عاينوا في ديوان الازل مكنونات اسرار خصايص
العلوم القدمية وفهموا منها عواقب شانهم في مدارج البقاء فرسخوا في بحر عين اليقين فلم يتزلزلوا
في ظهور المكنونات بنعت التصاريف والتحويل والمكر والخديعة فلم ينهزموا عن صولات صدمات
القهر وتثبتوا بتوفيق الله فيما ظهر من الله من رسم المحو والطمس وعلموا ان جميعها ابتلاء وامتحان
فسكنوا في العبودية رسما ورسخوا في مشاهدة الربوبية حقيقة وصرفا يقولون آمنا به ايمان مشاهدة
وحقيقة عرفان مكاشفة يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ استيناف موضح لحال الراسخين على الاول وخبر لقوله تعالى
والراسخون في العلم على الثاني كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا اى كل من المحكم والمتشابه من عنده وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو
الْأَلْبَابِ مدح للراسخين بجودة الذهن وحسن النظر واشارة الى ما استعدوا به للاهتداء الى تاويله
وهو تجرد العقل عن غواشي الحس رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا اى ويقول الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا
اى لا تملنا عن الحق والهدى كما ازغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا الى الحق والايمان
بالتمييز وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً توفيقا وتثبيتا للذي نحن عليه من الايمان والهدى وقال
الضحاك تجاوزا ومغفرة وقال القاضي رحمة تزلفنا اليك ونفوز بها عندك إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ
لكل مسؤل روى ابن ابي حاتم وغيره عن ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول يا مقلب
القلوب ثبت قلبي على دينك وروى ابن مردويه عن ام سلمة عن اسماء بنت يزيد بن السكن
تحدث انه رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر في دعائه اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على
دينك قال قلت يا رسول الله وان القلب ليتقلب قال نعم ما خلق الله من بني آدم من بشر الا
ان قلبه بين اصبعين من اصابع الله عز وجل فان شاء اقامه وان شاء ازاغه فنسأل الله ربنا
ان لا تزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا ونسأله ان يهب لنا من لدنه رحمة انه هو الوهاب وقد روي
ابو داود وغيره عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا استيقظ من الليل قال
لا اله الا انت سبحانك اللهم اني استغفرك لذنبي واسألك رحمتك اللهم زدني علما ولا تزغ بعد اذ هديتني قلبي م
وهب لي من لدنك رحمة انك انت الوهاب قال الكاشف ربنا لا تزغ قلوبنا بفقدان الطمانينة
بذكرك وايضا لا تزغ قلوبنا عن قربك ومحبتك بعد اذ هديتنا الى معرفتك وهب لنا من لدنك رحمة
علما خاصا ومعرفة تامة انك انت الوهاب وهبت لنا ما لا نحصي شكره قال جعفر لا تزغ قلوبنا
عنك بعد اذ هديتنا اليك وهب لنا من لدنك رحمة لزوما لخدمتك على شرط السنة انك انت الوهاب
المعطي بفضله عباده ما لا يستحق به من نعمة ثم لما طلب الراسخون ان يصونهم عن الزيغ وان يحفظهم

بالهدايه والرحمة فكانهم قالوا ليس الغرض من هذا السوال ما يتعلق بمصالح الدنيا فانها منقضيه منقرضه انما الغرض الاعظم منها ما يتعلق بالآخره فاتبعوه بقوله تعالى رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لجزاء يوم او لجزائه وقيل اللام بمعنى فى اى فى يوم لَا رَيْبَ فِيهِ لا شك فى وقوعه وهو يوم القيمه إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ فمن زاغ قلبه بقى هالك فى العذاب ابد الآباد ومن اعطيته الهدايه بقى فى السعاده ابد الآباد قال الكاشف ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه انك جامع اهل الحقيقه على بساط القربة فالمومنون على بساط الكرامة والموقنون على بساط المشاهده والمحبون على محل الوصل والعارفون على محل الانس وكل طائفه يبلغ عندك على منتهى مقاصدهم التى كانوا فى الدنيا من رسم المقامات والحالات والمكاشفات والمشاهدات ان الله لا يخلف الميعاد ما وعد لانبيائه واوليائه من وصولهم الى مشاهدته بعد ما خاطبهم حين ابدع ارواحهم قبل وجود الكونين بتعريف نفسه بهم بلا كلفه العذاب ومشقة الحساب إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ لن تنفع ولن تدفع عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ قال الكلبى من عذاب الله وقال ابو عبيده من بمعنى عند اى عند الله شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ حطبها عن ام الفضل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ليله بمكة فقال هل بلغت يقولها ثلثا فقام عمر بن الخطاب فقال اللهم نعم وحرضت وجهدت ونصحت فاصبح فقال النبى صلى الله عليه وسلم ليظهرن الايمان حتى يرد الكفر الى مواطنه وليخوضن رجال البحار بالاسلام وليأتين على الناس زمان يعرفون القرآن فيقرؤنه فيقولون قد قرانا وقد علمنا فمن هذا الذى هو خير منا فما فى اولئك من خير قالوا يا رسول الله فمن اولئك قال اولئك منكم واولئك هم وقود النار رواه ابن مردويه وغيره كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ متصل بما قبله اى لن تغنى عنهم اموالهم كما لم تغن عن اولئك او توقد بهم كما توقد باولئك او نعتد بره داب هؤلاء وشانهم فى الكفر والتكذيب كداب آل فرعون قال الاعمش كامر آل فرعون وشانهم وقال النضر بن شميل كعادة آل فرعون وعن ابن عباس لفعل آل فرعون وصنعهم وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كفار الامم الماضيه مثل عاد وثمود وغيرهم كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ فعاقبهم بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ تهويل وزيادة تخويف للكفرة قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ قال مقاتل ان مشركى مكه معناه قل لكفار مكه ستغلبون وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ فى الآخره فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ان الله غالبكم وحاشركم وقال بعضهم المراد بهذه الآيه اليهود قال الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس ان يهود اهل المدينه قالوا لما هزم رسول الله المشركين يوم بدر هذا والله النبى الذى بشرنا به موسى لا ترد له رايه واراد وا اتباعه ثم قال بعضهم لبعض لا تعجلوا حتى تنظروا الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد ونكب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا فغلب عليهم الشقاء فلم يسلموا وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى مدة فنقضوا ذلك العهد وانطلق كعب بن الاشرف

يوم بدر

فى ستين راكبا الى مكة يستفزهم واجمعوا امرهم على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيهم هذه الآيه وقال محمد بن اسحق عن رجاله ورواه سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس ايضا لما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا ببدر ورجع الى المدينه جمع اليهود فى سوق بنى قينقاع وقال يا معشر اليهود احذروا من الله مثل ما انزل بقريش يوم بدر واسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم انى نبى مرسل تجدون ذلك فى كتابكم فقالوا يا محمد لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فاصبت منهم فرصة انا والله لو قاتلناك لعرفت انا نحن الناس فانزل الله تعالى قل للذين كفروا يعنى اليهود ستغلبون وتهزمون وتحشرون فى الآخره الى جهنم وَبِئْسَ الْمِهَادُ اى الفراش اى بئس ما مهد لهم يعنى النار وقد صدق الله وعده بقتل قريظه واجلاء بنى النضير وفتح خيبر وضرب الجزية على من عداهم وهو من دلايل النبوة قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ عبرة ودلالة على صدق ما اقول انكم ستغلبون فِي فِئَتَيْنِ فرقتين واصلها فى الحرب لان بعضهم يفئ الى بعض الْتَقَتَا يوم بدر فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ طاعة الله وهم رسول الله واصحابه وكانوا ثلثمايه وثلثه عشر رجلا سبعه وسبعون من المهاجرين ومايتان وستة وثلثون رجلا من الانصار وصاحب راية المهاجرين على بن ابى طالب وصاحب راية الانصار سعد بن عباده وكان فيهم سبعون بعيرا وفرسان فرس للمقداد بن عمرو وفرس لمرثد بن ابى مرثد والاكثر رجالة وكان معهم من السلاح ست ادرع وثمانيه سيوف وَأُخْرَى كَافِرَةٌ اى فرقة اخرى كافره وهم مشركوا مكه وكانوا تسعمايه وخمسين رجلا من المقاتله راسهم عتبة بن ربيعه بن عبد شمس وفيهم مايه فرس وكانت حرب بدر اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ قرا اهل المدينه بتاء الخطاب يعنى ترون يا معشر اليهود اهل مكه مثلى عدد المسلمين وذلك ان جماعة من اليهود كانوا حضروا قتال بدر لينظروا على من تكون الدبرة فرأوا المشركين مثلى عدد المسلمين وراوا النصرة مع ذلك للمسلمين كما قال تعالى فان يكن منكم مايه صابره يغلبوا مايتين وقرا الآخرون بالياء واختلفوا فى وجهه فجعل بعضهم الروية للمسلمين ثم له تاويلات احدها يرى المسلمون المشركين مثليهم كما هم فان قيل كيف قال مثليهم وهم كانوا ثلثه امثالهم قيل هذا مثل قول الرجل وعنده درهم انا احتاج الى مثلى هذا الدرهم يعنى الى مثليه سواه فيكون ثلثه دراهم والتاويل الثانى وهو الاصح كانت المسلمون يرون المشركين مثلى عدد انفسهم قللهم الله تعالى فى اعينهم حتى راوهم ستمايه وستة وعشرين ثم قللهم فى اعينهم فى حالة اخرى حتى راوهم مثل عدد انفسهم قال ابن مسعود نظرنا الى المشركين فرايناهم يضعفون علينا ثم نظرنا اليهم فما رايناهم يزيدون علينا رجلا واحدا ثم قللهم الله ايضا فى اعينهم حتى راوا عددا يسيرا اقل من انفسهم قال ابن مسعود حتى قلت لرجل

معاملته على روية الرضا فان الرضوان قال الله تبارك وتعالى ورضوان من الله اكبر وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ اى باعمالهم فيثيب المحسن ويعاقب المسئ قال الكاشف بصير بالعباد فى تقلب ارواحهم فى عالم الملكوت محترقات فى سطوات انوار الجبروت حبا لجماله وشوقا الى لقاره بجلاله بتقدم هممها فى صرف طلب وجه الازلى وجمال الابدى الَّذِينَ يَقُولُونَ صفه للذين اتقوا او تقديره اعنى الذين او امدحهم او هم الذين يقولون رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا صدقنا بك وبكتبك ورسلك فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا استرها علينا وتجاوز عنا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ وترتيب السوال على مجرد الايمان دليل على انه كاف فى استحقاق المغفره او الاستعداد لها الصَّابِرِينَ فى اداء الاوامر وعن ارتكاب المنهى وعلى البأساء والضراء وحين البأس وَالصَّادِقِينَ فى ايمانهم قال قتادة هم قوم صدقت نياتهم واستقامت قلوبهم والسنتهم وصدقوا فى السر والعلانيه وَالْقَانِتِينَ المطيعين والخاضعين والمصلين وَالْمُنْفِقِينَ اموالهم فيما امروا به من الطاعات وصلة الارحام والقرابات وسد الخلات ومواساة ذوى الحاجات وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ دل على فضيلة الاستغفار وقت الاسحار وقد قيل ان يعقوب عليه السلام قال لبنيه سوف استغفر لكم ربى انه اخرهم الى وقت السحر وثبت فى الصحيحين وغيرهما عن جماعة من الصحابه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله تبارك وتعالى فى كل ليله الى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول هل من سائل فاعطيه هل من داع فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له روى ابن ابى حاتم عن ابراهيم بن حاطب عن ابيه قال سمعت رجلا فى السحر فى ناحية المسجد وهو يقول رب امرتنى فاطعتك وهذا سحر فاغفر لى فنظرت فاذا ابن مسعود رضى الله عنه روى ابن مردويه عن انس بن مالك قال كنا نومر اذا صلينا من الليل ان نستغفر فى آخر السحر سبعين مرة وحكى عن الحسن ان لقمان قال لابنه يا بنى لا تكونن اعجز من هذا الديك يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك قال مجاهد وقتاده والكلبى يعنى المصلين بالاسحار فى الصحيحين عن عائشه قال من كل الليل قد اوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اوله واوسطه واخره فانتهى وتره الى السحر وعن زيد بن اسلم انه قال هم الذين يصلون الصبح فى الجماعة وقيد بالسحر لقربه من الصبح وقال الحسن مدوا الصلوة الى السحر ثم استغفروا وقال نافع كان ابن عمر رضى الله عنهما يحيى الليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيعاود الصلوة فاذا قلت نعم قعد يستغفر الله ويدعو حتى يصبح قال الكاشف الصابرين عن جميع حظوظهم لله والصادقين فى معامله الله والقانتين بحب الرضا عن الله والمنفقين نفوسهم لله وبالله والمستغفرين عن النظر الى غير الله بالاسحار حين اشرقت انوار المشاهده لاهل المكاشفه

وقيل الصابرين الذين صبروا على الطلب ولم يتعللوا بالهرب ولم يحتشموا من التعب وهجروا كل راحة وطرب فصبروا على البلوى ورفضوا الشكوى حتى وصلوا الى المولى ولم يقطعهم شى من الدنيا والعقبى والصادقين الذين صدقوا فى الطلب فقصدوا ثم وردوا ثم صدقوا حين شهدوا ثم صدقوا حتى وجدوا ثم صدقوا حتى فقدوا فرسمهم قصود ثم ورود ثم شهود ثم وجود ثم خمود والقانتين الذين لازموا الباب وداموا على تجرع الاكتياب وترك المحاب ورفض الاصحاب الى ان جمعوا بالاقتراب والمنفقين الذين جادوا بنفوسهم من حيث الاعمال ثم جادوا بقلوبهم بصدق الاحوال ثم جادوا بترك كل حظ لهم فى العاجل والآجل استهلاكا عن القرب فى الوصال بالمقاربة من الاصطلام والاستيصال والمستغفرين عن جميع ذلك اذا رجعوا الى الصحو عند الاسحار بمعنى ظهور الاسفار وهو فجر القلوب للحق يظهر فى الانظار ثم انه تعالى لما مدح المومنين واثنى عليهم بقوله الذين يقولون ربنا اننا آمنا اورد فيه بان بين ان دلايل الايمان ظاهرة جليه فقال شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قيل نزلت الآيه فى نصارى نجران وقال الكلبى قدم حبران من احبار الشام على النبى صلى الله عليه وسلم فلما ابصرا المدينه قال احدهما لصاحبه ما اشبه هذه المدينه بصفة مدينة النبى صلى الله عليه وسلم الذى يخرج فى اخر الزمان فلما دخلا عليه عرفاه بالصفه فقالا له انت محمد قال نعم قالا وانت احمد قال انا محمد واحمد قالا انا نسألك عن شى فان اخبرتنا به آمنا بك وصدقناك فقال سلا قالا اخبرنا عن اعظم شهادة فى كتاب الله عز وجل فانزل الله هذه الآيه فاسلم الرجلان ومعنى قوله شهد الله بين الله وحدانيته بنصب الادلة العقليه الداله عليها وانزال الآيات الناطقه بها فان الشهاده تبيين وَالْمَلَائِكَةُ اى وشهدت الملائكة ومعنى شهادة الملائكه الاقرار وقيل الاخبار والاعلام وَأُولُو الْعِلْمِ ومعنى شهادتهم الايمان والاحتجاج بتلك الادلة قال السدى والكلبى يعنى جميع علماء المومنين وقال مقاتل علماء مومنى اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واصحابه وقال ابن كيسان يعنى المهاجرين والانصار وفى هذا المقام خصوصيه عظيمه للعلماء ودليل على فضل اصول الدين وشرف من تصدى لتحقيق الحق فيه قَائِمًا بِالْقِسْطِ اى شهد الله قائما بالعدل مقيما له فى قسمه وحكمه لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كرره للتاكيد ومزيد الاعتناء بالتوحيد وليبتنى عليه قوله تعالى الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فيعلم انه الموصوف بهما وقدم العزيز لتقدم العلم بقدرته على العلم بحكمته قال الكاشف ان الله تبارك وتعالى وتقدس كان بذاته وصفاته عالما وعارفا كما ينبغى منه لنفسه فشهد بنفسه لنفسه قبل القبل وكون البعد وكون الكون فليس مقابل علمه بنفسه جهل وليس مقابل معرفته بنفسه نكرة وليس مقابل شهادته بنفسه عجز ووحشة بل وصف نفسه بنفسه وشكر نفسه بنفسه اذ ليس للخلق الى معرفته والعلم بنفسه سبيل فاثنى بنفسه على نفسه لعلمه بعجز خلقه عن معرفة وجوده

الى حتى تراهم سبعين قال اراهم مائة وقال بعضهم الرؤية راجعة الى المشركين يعنى يرى المشركون المسلمين مثليهم قللهم الله قبل القتال فى اعين المشركين ليجترئ المشركون عليهم ولا ينصرفوا فلما اخذوا فى القتال كثرهم الله فى اعين المشركين ليجبنوا وقللهم فى اعين المسلمين ليجترءوا وذلك قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم رَأْيَ الْعَيْنِ اى فى راى العين وَاللّٰهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذٰلِكَ الذى ذكرت لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ لذوى العقول قال الكاشف يؤيد حتى يجاهد نفسه على شرائط السنة من يشاء من خواص عباده وايضا الباس اولياءه انوار هيبته ليعرف السلطان بها عن اسرار مرادهم ثم لما قال فى الاية المتقدمة والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار ذكر بعدها ما هو كالشرح والبيان لتلك العبرة فقال زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ جمع شهوة بمعنى المشتهى وهو ما يدعو النفس اليه سمى المشتهيات شهوة مبالغة وايماء الى انهم انهمكوا فى محبتها حتى احبوا شهوتها لقوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام احببت حب الخير زينة تعالى ابتلاء اولانه يكون وسيلة الى السعادة الاخروية اذا كان على وجه يرتضيه الله ولانه من اسباب التعيش وبقاء النوع وقيل المزين الشيطان فان الاية فى معرض الذم مِنَ النِّسَاءِ بدأ بهن لان الفتنة بهن اشد وهن حبائل الشيطان فى الصحيح انه قال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدى فتنة اضر على الرجال من النساء فاما اذا كان القصد بهن الاعفاف وكثرة الاولاد فهو مندوب الحديث تزوجوا الولود فانى مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال حبب الى الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلوة وقال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة ان نظر اليها سرته وان امرها اطاعته وان غاب عنها حفظته فى نفسها وماله وَالْبَنِينَ حبهم يكون تارة للتفاخر والزينة فهو داخل الذم وتارة يكون لتكثير النسل وتكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم ممن يعبد الله وحده لا شريك له فهذا محمود ممدوح كما ذكر فى الحديث وَالْقَنَاطِيرِ اختلف المفسرون فى مقدار القنطار على اقوال وحاصلها انه المال الكثير كما قاله الربيع بن انس والضحاك قال ابن عباس والضحاك برواية اخرى هو اثنا عشر الف درهم او الف دينار دية احدكم وقال معاذ بن جبل القنطار الف ومائتان اوقية وقال سعيد بن جبير وعكرمة هو مائة الف ومائة من ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقال سعيد بن المسيب وقتادة ثمانون الفا وقال مجاهد سبعون الفا وقال السدى اربعة آلاف مثقال وقال الحكم القنطار ما بين السماء والارض من مال وقال ابو نضرة ملء مسك ثور ذهبا او فضة وقال قنطرت الشيء اذا احكمته ومنه سميت القنطرة الْمُقَنْطَرَةِ قال الضحاك المحصنة المحكمة وقال قتادة هى الكثيرة المنضدة بعضها فوق بعض وقال الفراء المضعفة فالقناطير ثلثة والمقنطرة تسعة مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ قيل سمى الذهب ذهبا لانه يذهب ولا يبقى والفضة فضة لانها تنفض

قال صلى الله عليه وسلم

عن ابى سعيد الخدرى

اى تتفرق وحب المال ايضا يكون تارة للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء والتجبر على الفقراء فهذا مذموم وتارة يكون للنفقة فى القربات وصلة الارحام والقرابات ووجوه البر والطاعات فهذا ممدوح محمود وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ الخيل اسم جمع لا واحد له من لفظه كالقوم والنساء ونحوها واحده فرس والمسومة عن ابن عباس وغيره الراعية وعن مجاهد هى المطهمة الحسان قال الحسن وابو عبيدة هى المعلمة من السيماء والسيماء هى العلامة ثم منهم من قال سيماها الشية والتحجيل والشية واللون ومنهم من قال الكى والوسم وهو قول قتادة وحب الخيل على ثلثة اقسام تارة يربطها فخرا ونواء لاهل الاسلام فهذه على صاحبها وزر وتارة للتعفف واقتناء نسلها ولم ينس حق الله فى رقابها فهذه لصاحبها ستر وتارة للجهاد فى سبيل الله فهذه لصاحبها اجر كما سيأتى الحديث بذلك عند قوله واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم روى الامام احمد عن سويد بن هبيرة عن النبى صلى الله عليه وسلم خير مال امرء له مهرة مأمورة او سكة مأبورة المأمورة الكثيرة النسل والسكة النخل المصطف والمأبورة الملقحة وَالْأَنْعَامِ جمع النعم وهى الابل والبقر والغنم وَالْحَرْثِ يعنى الزرع ذٰلِكَ الذى ذكر مَتَاعُ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا يشير الى انها متاع يفنى وَاللّٰهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ اى المرجع فيه تزهيد فى الدنيا وترغيب فى الآخرة قال الكاشف ابتلاهم حتى يظهر الصادق بترك هذه الشهوات من الكاذب بالشروع فى طلبها قيل من اشتغل بهذه الاشياء قطعه عن طريق الحق ومن استصغرها واعرض عنها وفر عليها السلامة منها وفتح له الطريق الى الحقائق قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللّٰهِ وقد نبه بهذه الاية على مراتب نعمه فادناها متاع الحيوة الدنيا واعلاها رضوان الله بقوله ورضوان من الله اكبر واوسطها الجنة ونعيمها عن ابى سعيد الخدرى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك والخير كله فى يديك فيقال هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى يا رب وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون يا رب واى شىء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضوانى فلا اسخط عليكم بعده ابدا قال الكاشف اى لمن اتقى بما سوى الله جنات المقامات فى المنازلات فان تقى المتقى من الدنيا وشهواتها فله جنة اليقين وان تقى المتقى من الآخرة فله جنة المكاشفة وان تقى المتقى من النفس فله جنة المشاهدة بنعت الرضا كما قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية وقيل من تحلى بجار الجنة فان غايته بلوغه الى غاية جاره من دخول الجنة ومكانت

ها

فزاده من شهادته بنفسه قبل وجود العالم تعلم عباده تلطفا منه عليهم والا فهو منزه عن وجود الخلق والله غنى عن العالمين فشهادته لنفسه حقيقة وشهادة له رسم فالحقيقة بدت من الحقيقة وتعود الى الحقيقة والرسم بدأ من الرسم ويعود الى الرسم لان القدم منزه عن الحدث من جميع الوجوه علا ورسما وحقيقة ثم خلق الملائكة وكشف لهم ذرة من نور قدرته فاقتبسوا من نوره نورا فابصروا به آثار افعاله القديمة فشهدوا به بوحدانيته وازليته وسرمديته رسما منهم فى العبودية لا حقيقة منهم فى الربوبية فرضى الله تعالى به عنهم امرا ورسما لا حقيقة وصنائع خلق الانبياء والاولياء وابرز لهم انوار جمال ذاته فى مصابيح ارواحهم قبل الاجساد بالفى عام فنظروا بنوره الى جمال جلاله وتحيروا فى كنه عظمته وكبرياء جبروته وعجزوا عن ثنائه ووصفه وشكره فخاطبهم الحق جل سلطانه بنعت تعريف نفسه لهم فقال الست بربكم قالوا بلى شهدنا فشهدوا بعد قرارهم فى محل الخطاب فشهادتهم رسم التعليم لا من حقيقة رسم القدم وقال ابن عطاء ان الله شهد لنفسه بالفردانية والصمدية والابدية ثم خلق الخلق فشغلهم بعبادة هذه الكلمة فلا يطيقون حقيقة عبادتها لان شهادته لنفسه حق وشهادتهم بذلك رسم ذاتى يسوى الحق مع الرسم وقال بعضهم شهادة الله لنفسه بما شهد به شهادة صدق ولا تقبل الشهادة الا من الصادقين فظهر بهذا انه لا يصح التوحيد الا للصادقين دون غيرهم من الخلق وقال ابو يزيد يوما لاصحابه بقيت البارحة الى الصباح اجهد ان اقول لا اله الا الله فما قدرت عليه قيل ولم قال ذكرت كلمة قلتها فى صباى جاءتنى وحشة تلك الكلمة فمنعتنى عن ذلك واعجب ممن يذكر الله وهو متصف بشىء من صفاته لا اله الا هو العزيز الحكيم العزيز الذى لا يصفه احد الا برسم وصفه نفسه والحكيم الذى حكم حقيقة الشهادة لنفسه إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللّٰهِ الْإِسْلَامُ اى الدين المرضى الصحيح كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وقال ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه قال قتادة الاسلام شهادة ان لا اله الا الله والاقرار بما جاء من عند الله وهو دين الله الذى شرع لنفسه وبعث به رسله ودل عليه اولياءه ولا يقبل غيره ولا يجزى الا به وهو فى الاصل الدخول فى السلم يقال اسلم واستسلم اى دخل فى السلم فاطلق على الانقياد والطاعة روى الحافظ ابو القسم الطبرانى فى المعجم الكبير ومحيى السنة عن غالب بن القطان انه قال اتيت الكوفة فى تجارة فنزلت قريبا من الاعمش وكنت اختلف اليه فلما كنت ذات ليلة اردت ان انحدر الى البصرة قام من الليل يتهجد فمر بهذه الآية شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام ثم قال الاعمش وانا اشهد بما شهد الله به واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله وديعة ان الدين عند الله الاسلام قالها مرارا قلت لقد سمع فيها شيئا فصليت معه وودعته ثم قلت يا ابا محمد انى سمعتك تردد هذه الآية فما بلغك فيها قال او ما بلغك ما فيها

الخلق

قلت انا عندك منذ شهر لم تحدثنى قال والله لا احدثك بها سنة فاقمت سنة فكتبت على بابه فلما مضت السنة قال حدثنى ابو وائل عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل ان لعبدى هذا عندى عهدا وانا احق من وفى بالعهد ادخلوا عبدى الجنة قال الكاشف ان الدين عند الله الاسلام الرضا بمراد الحق وامضاء قضائه وقدره بنعت استقامة السر فى البلاء وقلة الاضطراب فى الظاهر ووجدان لذة المحبة وقت نزول البلاء والمحنة قال بعضهم اركان الاسلام اربعة التواضع والالفة وكظم الغيظ والصبر اذا تم هذه الاربعة وجد منها اربعة اخرى من التواضع التوكل ومن الالفة التسليم ومن كظم الغيظ التفويض ومن الصبر الرضا وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ قال الكلبى نزلت فى اليهود والنصارى حين تركوا الاسلام اى وما اختلف الذين اوتوا الكتاب فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ يعنى بيان نعته فى كتبهم وقال الربيع ان موسى لما حضره الموت دعا سبعين رجلا من احبار بنى اسرائيل فاستودعهم التورية واستخلف يوشع بن نون فلما مضى القرن الاول والثانى والثالث وقعت الفرقة بينهم وهم الذين اوتوا الكتاب من ابناء اولئك السبعين حتى اهرقوا بينهم الدماء ووقع الشر والاختلاف وذلك من بعد ما جاءهم العلم يعنى بيان ما فى التورية بَغْيًا بَيْنَهُمْ اى طلبا للملك والرياسة فسلط الله عليهم الجبابرة وقال محمد بن جعفر بن الزبير نزلت فى نصارى نجران معناها وما اختلف الذين اوتوا الكتاب يعنى الانجيل فى امر عيسى وفرقوا القول فيه الا من بعد ما جاءهم العلم بان الله واحد وان عيسى عبده ورسوله بغيا بينهم معاداة ومخالفة وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللّٰهِ فَإِنَّ اللّٰهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ وعيد لمن كفر منهم ثم انه تعالى لما ذكر من قبل ان اهل الكتاب اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم وانهم اصروا على الكفر بين تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم ما يقول له فى محاجتهم فقال فَإِنْ حَاجُّوكَ اى خاصموك وجادلوك فى الدين بعد ما اقمت الحجة وذلك ان اليهود والنصارى قالوا انما اليهودية والنصرانية نسب والدين هو الاسلام ونحن عليه فقال الله تعالى فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلّٰهِ اى انقدت لله وحده بقلبى ولسانى وجميع جوارحى وانما خص الوجه لانه اكرم جوارح الانسان وفيه بهاؤه فاذا خضع وجهه للشىء خضع له جميع جوارحه وقال الفراء معناه اخلصت عملى لله وَمَنِ اتَّبَعَنِ واسلم من اتبعنى وهو الدين القويم الذى قامت عليه الحجج ودعا اليه الآيات والرسل وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ الذين لا كتاب لهم يعنى مشركى العرب أَأَسْلَمْتُمْ كما اسلمت لما وضحت لكم الحجة ام انتم بعد على كفركم وفيه تعيير لهم بالبلادة او المعاندة وقطع فهل انتم منتهون فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اهل الكتاب اسلمنا فقال لليهود اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته فقالوا معاذ الله وقال للنصارى اتشهدون ان عيسى عبد الله ورسوله وكلمته فقالوا معاذ الله

ان يكون عيسى عبد الله فقال الله عز وجل فَاِنْ اَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا فقد نفعوا انفسهم واخرجوها
من الضلال وَاِنْ تَوَلَّوْا فَاِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ تبليغ الرسالة وقد بلغت وليس اليك الهداية
وَاللّٰهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ عالم بمن يؤمن وبمن لا يؤمن وعدٌ ووعيد لما ذكر من قبل من يتولى ويعرض
بقوله فان تولوا فانما عليك البلاغ اردفه بصفة هذا المتولي فقال عز وجل اِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللّٰهِ يعني القرآن وهم اليهود والنصارى وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ
الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ قال ابن جريج كان الوحي يأتي الى انبياء بني اسرائيل ولم يكن
يأتيهم كتاب فيذكرون قومهم فيقتلون انبياءهم فيقوم رجال ممن اتبعهم وصدقهم فيذكرون قومهم
فيقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس عن ابي عبيدة ابن الجراح قال قلت لرسول الله صلى اضافهم م
الله عليه وسلم اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بالمعروف ونهى عن
المنكر ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون
بالقسط من الناس الى ان انتهى الى قوله وما لهم من ناصرين ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر
رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا من قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في
ذلك اليوم فهم الذين ذكرهم الله في كتابه وانزل الآية فيهم فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ اَلِيمٍ لما تكبروا عن الحق واستكبروا
على الخلق قابلهم على ذلك بالذلة والصغار في الدنيا والعذاب المهين في الآخرة فقال فبشرهم بعذاب اليم
موجع مهين وعبر عن الانذار بالتبشير على سبيل الاستعارة التهكمية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الكبر بطر الحق وغمط الناس اُولٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ اَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فلهم الخزي في الدنيا والعذاب
في الآخرة وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ثم انه تعالى لما نبه بعناد القوم بقوله فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله
بيّن في هذه الآية غاية عنادهم وهو انهم يدعون الى الكتاب الذي يزعمون انهم مؤمنون به وهو
التورية ثم انهم يترددون ويتولون وذلك يدل على غاية عنادهم فقال اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ اُوتُوا نَصِيبًا
مِنَ الْكِتَابِ يعني اليهود يُدْعَوْنَ اِلٰى كِتَابِ اللّٰهِ اختلفوا فقال قتادة هم اليهود دعوا الى حكم القرآن في هذا الكتاب
فاعرضوا عنه وعن ابن عباس ان الله تعالى جعل القرآن حكما فيما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
فحكم القرآن على اليهود والنصارى انهم على غير الهدى فاعرضوا عنه وقال الآخرون هو التورية روى
سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت
المدراس على جماعة من اليهود فدعاهم الى الله عز وجل فقال له نعيم بن عمرو والحارث بن زيد على اي
دين يا محمد فقال على ملة ابرهيم قالا ان ابرهيم كان يهوديا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم م
فهلموا الى التورية فهي بيننا وبينكم فابيا عليه فانزل الله تعالى هذه الآية وروى الكلبي عن ابي صالح

عن ابي صالح

عن ابن عباس ان رجلا وامرأة من اهل خيبر زنيا وكان في كتابهم الرجم فكرهوا رجمهما لشرفهما فيهم فرفعوا
امرهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجوا ان يكون عنده رخصة فحكم عليهما بالرجم فقال له النعمان
بن اوفى وبحري بن عمرو جرت عليهما يا محمد ليس عليهما الرجم فقال رسول الله صلى الله عليه بيني وبينكم
التورية قالوا قد انصفتنا قال فمن اعلمكم بالتورية قالوا رجل اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا
فارسلوا اليه فقدم المدينة وكان جبريل قد وصفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال نعم قال انت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم بشيء من التورية فيه الرجم مكتوب فقال له اقرأ فلما اتى على آية الرجم وضع كفه
عليها وقرأ ما بعدها فقال ابن سلام يا رسول الله قد جاوزها وقام فقام فرفع كفه عنها ثم قرأ على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اليهود بان المحصن والمحصنة اذا زنيا وقامت عليهما البينة رجما
وان كانت المرأة حبلى تربص حتى تضع ما في بطنها فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم باليهوديين فرجما
فغضب اليهود لذلك وانصرفوا فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا حظا من الكتاب التورية
يدعون الى كتاب الله لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلّٰى فَرِيقٌ مِنْهُمْ استبعاد لتوليهم مع علمهم بان الرجوع اليه واجب
وَهُمْ مُعْرِضُونَ قوم عادتهم الاعراض ذٰلِكَ بِاَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ اِلَّا اَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ
فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ من ان النار لن تمسهم الا اياما قلائل او ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم او
ان الله تعالى وعد يعقوب عليه السلام ان لا يعذب اولاده الا تحلة القسم فَكَيْفَ اِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ اي
فكيف حالهم او كيف يصنعون اذا جمعناهم لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وهو يوم القيمة وَوُفِّيَتْ اي وفرت
كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ اي جزاء ما عملت من خير او شر وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ اي لا ينقص من حسناتهم ولا
يزاد على سيآتهم ثم لما ذكر احوال المعاندين امر رسوله صلى الله عليه وسلم بدعاء وتمجيد يدل على هؤلاء م
مباينة طريقه وطريق اتباعه لطريقهم فقال قُلِ اللّٰهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ قال ابن عباس وانس بن مالك
لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ووعد امته ملك فارس والروم قالت المنافقون واليهود
هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم وهم اعز وامنع من ذلك الم يكف محمدا مكة والمدينة
حتى طمع في ملك فارس والروم فانزل الله هذه الآية وقال الله تعالى في بعض الكتب انا الله ملك
الملك ومالك الملك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة وان عصوني
جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم عليكم تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ
قال الكلبي محمدا واصحابه وقال مجاهد يعني ملك النبوة وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ابي جهل وصناديد
قريش وقيل تؤتي الملك من تشاء العرب وتنزع الملك ممن تشاء فارس والروم وقال السدي تؤتي الملك
من تشاء اي الانبياء عليهم السلام وامر العباد بطاعتهم وتنزع الملك ممن تشاء من الجبارين وامر العباد

بمخالفتهم وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ محمدا صلى الله عليه وسلم واصحابه حتى دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها
وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ ابا جهل واصحابه حتى حزت رؤوسهم والقوا في القليب وقيل تعز من تشاء بالايمان و
الهداية وتذل من تشاء بالكفر والضلالة وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية وقيل
تعز من تشاء بالنصر وتذل من تشاء بالقهر وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر وقيل تعز من تشاء
بالقناعة والرضى وتذل من تشاء بالحرص والطمع بِيَدِكَ الْخَيْرُ والشر ولم يذكر الشر مراعاة للادب ولانه
لا يوجد شر جزئي ما لم يتضمن خيرا كليا ونبه على ان الشر بيده ايضا بقوله تعالى اِنَّكَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ اي يدخل الليل في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات
وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات فما نقص من احدهما زاد في
الآخر وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ قال ابن مسعود وغيره معنى الآية يخرج الحيوان من
النطفة وهي ميتة ويخرج النطفة من الحيوان وقال عكرمة والكلبي يخرج الحي من الميت اي الفرخ من البيضة
ويخرج البيضة من الطير ويجري مجراه اخراج الزرع من الحبة والحبة من الزرع والنخل من النواة و
النواة من النخل الى غير ذلك وقال الحسن والعطاء يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن
فالمؤمن حي الفؤاد والكافر ميت الفؤاد قال الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه وَتَرْزُقُ مَنْ
تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ تعطي من شئت من المال ما لا يعده ولا يقدر على احصائه وتقتر على آخر من
روى الطبراني عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اسم الله الاعظم الذي اذا دعي به
اجاب في هذه الآية من آل عمران قل اللهم مالك الملك الآية وروى محيي السنة باسناده عن جعفر بن محمد
عن ابيه عن جده عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب وآية الكرسي والآيتين من آل عمران شهد الله انه لا اله الا هو
الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن
وبين الله حجاب قلن يا رب تهبطنا الى ارضك والى من يعصيك قال الله تعالى بي حلفت لا يقرأكن
احد من عبادي دبر كل صلوة الا جعلت الجنة مثواه على ما كان ولا اسكنته حظيرة القدس و
لنظرت اليه بعيني المكنونة كل يوم سبعين مرة ولقضيت له كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة
ولاعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليه قال الكاشف خص الله تعالى نفسه ومدحه بملك
الربوبية وانه ذو الملك والملكوت والجبروت وملكه قديم وهو موصوف به في الازل ويبقى له
الى ابد الابد وهو متفرد به ثم يخص بملكه من يشاء من انبيائه واوليائه فالملك الذي خص الانبياء
به هو الاصطفاء والاجتباء والخلافة والخلة والمحبة والتكلم والآيات والمعجزات والمعراج و
الصلاح والنبوة والرسالة وخص بما ذكرت من بين الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين

آدم

آدم وشيث وادريس ونوح وهود وصالح وابرهيم واسماعيل واسحق ويعقوب ويوسف ويونس
ولوط وشعيب وادريس ونوح وهود وصالح وابرهيم وحزقيل وخضر وموسى وهرون ويوشع
وكالب وايوب وداود وسليمن وزكرياء ويحيى وعيسى ومحمد سيد الرسل وخاتم الانبياء صلوات الله
عليهم لجميع من فطر منهم الآيات والمعجزات وقهره ابين ملك النبوة والرسالة جائزة الا وهي هذا
موهبة خاصة ازلية سبقت لهم عناية الله تعالى وحرمها على اهل الخذلان وهو معنى قوله تعالى
تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وما قال لخليله لا ينال عهدي الظالمين واما الملك الذي
خص به اولياءه فعلى اربعة اقسام قسم منها قسم الكرامات والآيات مثل تقليب الاعيان وطي
الارض واستجابة الدعوة وهو لاهل المعاملات وقسم منها وهو اشرف وهو المقامات مثل الزهد
والورع والتقوى والصبر والشكر والتوكل والرضا والتسليم والتفويض والصدق والاخلاص
والاحسان والاستقامة والطمانينة وهؤلاء اهل الدرجات وقسم منها وهو اشرف من الثاني
وهو الوجد والنجوى والمراقبة والحياء والخوف والرجاء والمحبة والشوق والعشق والسكر
والصحو وهؤلاء اهل الحالات وقسم منها وهو اشرف من الثالث وهو الكشف والمشاهدة والمعرفة
والتوحيد والتفريد والفناء والبقاء وهؤلاء اهل المقامات فهذه الاحوال اصل ملك الولاية فمن
خص بها فقد بلغ ذروة ملك الازل والابد ومن حرم منها فقد سقط عن حظ الدنيا والآخرة تعز بها
سادة اولياء ملكوا جميع القلوب وتذل بانتزاعها عن اعدائه حتى لا ينالوا عهد كرامته في الدنيا
والآخرة تولج الليل في النهار تولج دخان البشرية في سلطان صفاء التوحيد وايضا ملابسي ظلمة النفس س
في انوار الارواح وايضا يغشي ظلمة الطبائع في صفاء القلوب وايضا يحرق سحوف ليالي الهجران
بطلوع شموس العرفان وايضا يحرق حجب الحدوثية عن ظهور الحق سناء قدس الصمدية قوله
وتولج النهار في الليل اي تسبل حجاب الفناء على وجوه اهل البقاء وايضا تولج النهار في الليل حين
كشفت شمس المعرفة في منازل النكرة وغلبت ظلمة الفترة على نور المعاملة وتخرج الحي من الميت
اي تخرج اشجار انوار المعرفة بكشف جمال المشاهدة من القلوب الميتة بتواتر الفترة وايضا تخرج
العارف العاشق من العاصي الغافل وايضا اذا يبست عيون المعرفة في قلوب العارفين من حرارة
امتحان القهر يخرج منها حنظل الشرك مكان سكر التوحيد وحصاد الشك مكان نرجس العشق و
اورقت فيها اشجار الدغل باوراق الهموم المذمومة ويبست رياحينها بالانقطاع عنها مياه صفاء
المعاملة وترزق من تشاء بغير حساب اي من هذه المقامات المختلفة بغير دونه ولا تدبر الانسان
وايضا ترزق العارفين مقام المشاهدات وترزق المشتاقين مقام المكاشفات وترزق المحبين
مقام المداناة وترزق الموحدين مقام البقاء والفناء والصحو والسكر والاتحاد وترزق العاشقين

مقام الجمع والتفرقة وتذوق الاحرار مقام التلوين والتمكين بغير حساب اكثر من ان يحصى عدد
اسرارها ونعد حقايق انوارها ثم لما بين انه مالك الدنيا والآخرة بين انه ينبغي ان يكون الرغبة
فيما عنده وعند اوليائه دون اعدائه فقال لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
الْمُؤْمِنِينَ قال ابن عباس كان الحجاج بن عمرو وابن ابي الحقيق وقيس بن زيد يظنون بنفر
من الانصار ليفتنوهم عن دينهم فقال رفاعة بن المنذر وعبد الله بن جبير وسعد بن خيثمة
وسعيد بن خيثمة لاولئك النفر اجتنبوا هذه اليهود لا يفتنونكم عن دينكم فابى اولئك النفر الا
مباطنتهم فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مقاتل انها نزلت في حاطب بن ابي بلتعة وغيره كانوا
يظهرون المودة لكفار مكة وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس نزلت في المنافقين عبد الله بن
ابي واصحابه كانوا يتولون المشركين واليهود ويأتونهم بالاخبار يرجون ان يكون لهم الظفر
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الآية ونهى المؤمنين عن مثل فعلهم
قال الكاشف اي لا يصحب العارف الجاهل ولا المخلص المرائي ولا الصادق المفتري ولا المؤمن
المبتدع المنكر ولا المريد الصادق الغار المدعي ولا يحب اهل الحق اهل الباطل حتى ينالوا ببغضهم
مقام حقيقة العبودية وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ اي اتخاذهم اولياء ومو الاتهم في نقل الاخبار اليهم
واظهارهم على عورة المسلمين فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ اي ليس من دين الله في شيء قال الكاشف
اي لا ينال من الله درجة اهل محبته وقربته ومعرفته ثم استثنى فقال إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً
يعني الا ان تخافوا منهم مخافة وقرئ تقية على وزن بقية قال تقيته تقاة وتقى وتقية وتقوى
نهى الله تعالى المؤمنين عن موالاة الكفار ومداهنتهم ومباطنتهم الا ان يكون الكفار غالبين ظاهرين
او يكون المؤمن في قوم كفار يخافهم فيداريهم باللسان وقلبه مطمئن بالايمان دفعا عن نفسه من
غير ان يستحل دما حراما او مالا حراما او يظهر الكفار على عورة المسلمين والتقية لا يكون الا مع خوف
القتل وسلامة النية قال تعالى الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ثم هذا رخصة فلو صبر حتى قتل
فله اجر عظيم وانكر قوم التقية اليوم قال معاذ بن جبل رضي الله عنه ومجاهد كانت التقية
في جدة الاسلام قبل استحكام الدين وقوة المسلمين فاما اليوم فقد اعز الله الاسلام فليس ينبغي
لاهل الاسلام ان يتقوا من عدوهم وقال يحيى البكاء قلت لسعيد بن جبير في ايام الحجاج بن يوسف
ان الحسن يقول كان لكم تقية باللسان والقلب مطمئن بالايمان فقال سعيد ليس في الاسلام تقية
انما التقية في اهل الحرب وقال البخاري قال الحسن التقية الى يوم القيمة وروي عن ابي الدرداء
انه قال انا لنكشر في وجوه اقوام وقلوبنا تلعنهم وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ اي يخوفكم الله عقوبته
على موالاة الكفار وارتكاب المنهي ومخالفة المامور وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ تهديد عظيم مشعر بتناهي

المنهي في القهر قال الكاشف حذر اصفياءه بالفراق عن وصله بسبب محبة اعدائه وبهذا التخويف
ربى خواص احبته في قباب الشفقة واسبل بهذا عليهم نقاب الغيرة حتى لا يراهم احد سواه والله
رؤف بالعباد مشفق باوليائه واهل طاعته بان يسترهم عن ابصار الغفلة والجهلة واكرمهم بصحبة
اهل التوحيد والمعرفة وبسط لهم بساط الشريعة والحقيقة حتى يردوا موارد الانبياء والرسل
وشربوا من مناهل المقربين شراب الصفاء ولبسوا من نسج الكروبين اثواب الوفاء وقال
الواسطي يحذركم الله نفسه في دعوى اتيان شيء من الطاعات اذ هو حذب الربوبية وقال
ايضا ذلك ان لا يأمن احد ان يفعل به ما فعل بابليس ذنبه بانوار عصمته وهو عنده في حقايق
لعنه وسبق عليه ما سبق اليه من عاقبته باظهاره عليه وقال ابن عطاء يحذركم الله نفسه من
يعرفه فاما من لا يعرفه فان هذا الخطاب زائل عنه وقيل انما هم بقوله ويحذركم الله نفسه ثم اجاهم
وانعمهم بقوله والله رؤف بالعباد قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ من ولاية الكفار او غيرها أَوْ تُبْدُوهُ
يَعْلَمْهُ اللَّهُ ويحفظه عليكم حتى يجازيكم به وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ فلا يخفى عليه سركم
وعلانيتكم وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على عقوبتكم ان لم تنتهوا يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ منصوب
بيود وقيل باضمار اذكروا واتقوا كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ كما قال
ووجدوا ما عملوا حاضرا تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا قال السدي مكانا بعيدا وقال مقاتل
كما بين المشرق والمغرب والامد الاجل والغاية التي ينتهي اليها وقال الحسن يسر احدهم ان لا يلقى
عمله ابدا وقيل تود انه لم يعمله وهذا كما يقول لشيطانه الذي كان مقترنا به في الدنيا يا ليت بيني وبينك
بعد المشرقين فبئس القرين وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ اشارة الى انه تعالى انما نهاهم
وحذرهم رأفة بهم ومراعاة لمصالحهم ثم لما دعا القوم الى الايمان به والايمان برسوله على سبيل التهديد
والوعيد دعاهم الى ذلك من طريق آخر فقال قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ قيل
نزلت في اليهود والنصارى حيث قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقال الضحاك عن ابن عباس وقف النبي
صلى الله عليه وسلم على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم وعلقوا عليها بيض النعام
وجعلوا في آذانها الشنوف وهم يسجدون لها فقال يا معشر قريش والله لقد خالفتم ملة ابيكم ابرهيم و
اسمعيل فقال له قريش انما نعبد هذه حبا لله ليقربونا الى الله زلفى فقال الله قل ان كنتم تحبون الله و
تعبدون الاصنام لتقربكم الى الله فاتبعوني يحببكم الله فانا رسول الله اليكم وحجته عليكم اي اتبعوا شريعتي
وسنتي يحببكم فحب المؤمنين لله اتباعهم امره وايثار طاعته وابتغاء مرضاته وحب الله المؤمنين ثناؤه
عليهم وثوابه لهم وعفوه عنهم فذلك قوله تعالى وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قال الحسن
البصري وغيره من السلف زعم قوم انهم يحبون الله فابتلاهم بهذه الآية فقال قل ان كنتم تحبون الله

يعني وبين السوء م

اي بين النفس ٢

جمع شنف وهو القرط الاعلى

قال الكاشف اي قل

فاتبعوني يحببكم الله ولما نزلت هذه الآية قال عبد الله بن ابي لاصحابه ان محمدا يجعل طاعته كطاعة
الله ويأمرنا ان نحبه كما احبت النصارى عيسى بن مريم فنزل قوله تعالى قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ
فَإِنْ تَوَلَّوْا اعرضوا عن طاعتهما فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ لا يرضى فعلهم ولا يغفر لهم عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا
ومن ابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى رواه البخاري وعن جابر بن عبد الله
انه جاءت ملائكة الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين
نائمة والقلب يقظان فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا فاضربوا له مثله فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا
وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي
لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة فقالوا اولوها يفقهها فقال بعضهم انه نائم وقال بعضهم ان العين
نائمة والقلب يقظان فقالوا الدار الجنة والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى
محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس ثم انه تعالى لما بين ان محبته لا يتم الا بمتابعة الرسل بين
علو درجات الرسل وشرف مناصبهم فقال إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى اختار من الصفوة وهي الخالص من كل
شيء آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ يخبر الله تعالى بانه اختار هذه البيوت
على ساير اهل الارض فاصطفى آدم عليه الصلوة والسلام خلقه بيده ونفخ فيه من روحه و
علمه اسماء كل شيء واسكنه الجنة ثم اهبطه منها لما له في ذلك من الحكم واصطفى نوحا عليه السلام
وجعله اول رسول بعثه الى اهل الارض لما عبد الناس الاوثان وانتقم له لما طالت مدته بين
قومه يدعوهم الى الله ليلا ونهارا سرا وجهارا فلم يزدهم ذلك الا فرارا فدعا عليهم فاغرقهم الله عز وجل
ولم ينج منهم الا من اتبعه على دينه الذي بعثه الله تعالى به واصطفى آل ابرهيم ومنهم سيد البشر
وخاتم الانبياء على الاطلاق محمد صلى الله عليه وسلم وآل عمران قال ابن عباس قالت اليهود نحن
من ابناء ابراهيم واسحق ويعقوب ونحن على دينهم فانزل الله تعالى هذه الآية ثم انه اختلف
في آل عمران فقال مقاتل هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب والد موسى وهرون
قال الحسن ووهب هو عمران بن اشهم بن آمون من ولد سليمان بن داود والد مريم وعيسى و
قيل عمران بن ماثان واما آل ابرهيم فلا خلاف في انه اسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط الذين
منهم سيد البشر ذُرِّيَّةً بدل من آل ابرهيم وآل عمران بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ يعني ان الآلين ذرية
واحدة بعضها متشعب من بعض فموسى وهرون من يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وكذلك عيسى
بن مريم بنت عمران بن اشهم بن آمون بن ميشا بن حزقيا بن احريق بن يوثم بن عزاريا بن امصيا
بن يوشافاط بن آثان بن رحيعم بن سليمن بن داود فعيسى عليه السلام من ذرية ابرهيم كما سيأتي

الله م

والد والد

اشرهوب بن يادم بن يهاساط بن ايشا بن م

سورة الانعام ان شاء الله تعالى وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وَاللَّهُ سَمِيعٌ
لاقوال العباد عَلِيمٌ بعلم من يصلح للاصطفاء او سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها قال
الكاشف اصطفاهم لنفسه عن خلقه لوقع الخطاب وكشف النقاب لاستعدادهم لحمل اثقال امانة
التحقق في مجاد ازليته والسيران في ميادين وحدانيته والطيران في هواء فردانيته لطلب كشف
احديته وجمال سرمديته قال النصرابادي اذا نظرت الى آدم بصفته لقيته بقوله وعصى آدم ربه
واذا نظرت بصفة الحق لقيته بقوله ان الله اصطفى آدم وما ذا اورث العصيان في الاصطفاء
إِذْ منصوب بقوله سميع عليم وقيل باضمار اذكر قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ وهي حنة بنت فاقودا ام
مريم وعمران بن ماثان وليس بعمران ابي موسى وبينهما الف وثمانمائة سنة وكان بنو ماثان رؤس
بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم وقيل عمران بن اشهم إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا اي عتيقا
خالصا لله مفرغا لعبادة الله ولخدمة الكنيسة لا يشغله شيء من الدنيا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ
لدعائي الْعَلِيمُ بنيتي قال الكلبي ومحمد بن اسحق وغيرهما كان المحرر اذا حرر جعل في الكنيسة يقوم
عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرحها حتى يبلغ الحلم ثم يخير فان احب اقام فيه وان احب ذهب حيث
شاء وان اراد ان يخرج بعد التخيير لم يكن له ذلك ولم يكن احد من الانبياء والعلماء الا ومن نسله
محرر لبيت المقدس ولم يكن يحرر الا الغلمان ولا تصلح له الجارية لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت
ام مريم ما في بطنها وكانت القصة في ذلك ان زكريا وعمران تزوجا اختين وكانت ايشاع بنت فاقودا
ام يحيى عند زكريا وحنة بنت فاقودا ام مريم عند عمران وقد امسك عن حنة الولد حتى اسنت
وكانوا اهل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة بصرت بطاير يطعم فرخا فتحركت لذلك نفسها
للولد فدعت الى الله ان يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا ان اتصدق به
على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقال لها
زوجها ويحك ما صنعت ارايت ان كان ما في بطنك انثى لا تصلح لذلك فوقعا جميعا في هم من ذلك
فهلك عمران وحنة حامل بمريم قال الكاشف قال جعفر في قوله تعالى محررا اي عتيقا من رق الدنيا
واهلها وقال محمد بن علي في قوله اني نذرت لك ما في بطني محررا اي يكون لك عبدا مخلصا ومن
كان خالصا لك كان حرا مما سواك وسئل سهل بن عبد الله عن المحرر فقال هو المعتق من ارادة
نفسه ومتابعة هواه وقال النوري اني نذرت لك ما في بطني محررا قال خادما لاهل صفوتك قال
ابو عثمن محررا عن شغلي به وتدبيري له فيكون مسلما الى تدبيرك فيه وحسن اختيارك له
فَلَمَّا وَضَعَتْهَا اي ولدتها قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى قالته تحسرا على ما رات من خيبة رجائها

رب م

عمران هو م

وعکس تقدیرها فتحزنت الی ربها وَاللّٰهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ای والله اعلم بالشیء الذی وضعت وما علّق به
من عظائم الامور وان یجعلها وولدها آیة للعالمین وهی جاهلة بذلک لا تعلم منه شیأ فلذلک تحسرت و
وفی قراءة ابن عباس والله اعلم بما وضعتِ علی خطاب الله لها ای انکِ لا تعلمین قدر هذا الموهوب وما علم
الله من عظم شانه وعلو قدره وقری وضعتُ بمعنی ولعل لله فیه سرا وحکمة ولعل هذه الانثی خیر من الذکر
تسلیة لنفسها وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى فی خدمة الکنیسة وفی الکلام تقدیم وتاخیر وتقدیره ولیس الانثی
کالذکر والمراد منه تفضیل الذکر علی الانثی لان الذکر یصلح للخدمة فی الکنیسة ولا یصلح الانثی لذلک لضعفها
وما یعتریها من الحیض والنفاس ولانها عورة ولا یجوز لها الحضور مع الرجال قال صاحب الکشاف وغیره
المقصود تفضیل هذه الانثی علی الذکر والمعنی ولیس الذکر الذی طلبت کالانثی التی هی موهبة الله تعالی
فانها من افضل النساء وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وهی بلغتهم العابدة والخادمة ارادت بذلک التقرب اجیرها م
والطلب الیه ان یعصمها حتی یکون فعلها مطابقا لاسمها وان یصدق فیها ظنها بها وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا
اولادها مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ عن ابی هریرة انه قال سمعت رسول الله صلی الله علیه وسلم یقول ما من
بنی آدم مولود الا یمسه الشیطان حین یولد فیستهل صارخا من مس الشیطان غیر مریم وابنها ثم یقول
وانی اعیذها بک وذریتها من الشیطان الرجیم متفق علیه وعنه انه قال قال النبی صلی الله علیه وسلم
کل بنی آدم یطعن الشیطان فی جنبیه باصبعیه حین یولد غیر عیسی بن مریم ذهب لیطعن فطعن فی الحجاب
رواه البخاری فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ای تقبل الله مریم من حنة مکان المحرر وتقبل بمعنی قبل و
رضی والقبول مصدر قبل یقبل قبولا مثل الولوغ والوزوع ولم یات غیر هذه الثلاثة وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا
مجاز عن التربیة الحسنة العائدة علیها بما یصلحها فی جمیع احوالها عن ابن عباس سوّی خلقها من غیر زیادة
ولا نقصان فکانت تنبت فی الیوم ما ینبت المولود فی العام قال الاستاد فتقبلها ربها بقبول حسن حسب بلغها
فوق ما تمنت امها ومن امارات القبول الحسن انها لم یکن توجد الا فی المحراب وقال ابن عطاء احسن النبات
ما کان ثمرته مثل عیسی علیه السلام روح الله وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا قری بالتخفیف ورفع زکریا ای ضمها
زکریا الی نفسه وقام بامرها وهو زکریا بن آذان بن مسلم بن صدوق من اولاد سلیمان بن داود
وقری بالتشدید ونصب زکریاء ای ضمها الله تعالی الی زکریاء وجعله کافلا لها وضامنا لمصالحها قال
اهل الاخبار اخذت حنة مریم حین ولدتها فلفتها فی خرقة وحملتها الی المسجد فوضعتها عند الاحبار
ابناء هرون وهم یومئذ یلون من بیت المقدس ما یلی الحجبة من الکعبة فقالت لهم دونکم هذه
النذیرة فتنافس فیها الاحبار لانها کانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زکریاء انا احقکم
بها عندی خالتها فقالت له الاحبار لا تفعل ذلک فانها لو ترکت لاحق الناس بها لترکت لامها التی ولدتها
ولکنا نقترع علیها فتکون عند من خرج سهمه فانطلقوا وکانوا تسعة وعشرین رجلا الی نهر جار قال

السدی

السدی هو نهر الاردن فالقوا اقلامهم فی الماء علی ان من ثبت قلمه فی الماء وصعد فهو اولی
بها وقیل کان علی کل قلم اسم کل واحد منهم وقیل کانوا یکتبون التوریة فالقوا اقلامهم التی کانت
بایدیهم فی الماء فارتز قلم زکریاء فارتفع فوق الماء وانحدرت اقلامهم ورسبت فی النهر قاله
محمد بن اسحق وجماعة قال الکاشف وکفلها زکریاء لان خدمة الاولیاء لا یحصل الا من الاولیاء
وایضا انه یوافقها فی جمیع احوالها من الخلوة والمراقبة والسر والنجوی والمشاهدة والمکاشفة
كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ قیل بنی لها زکریاء علیه السلام محرابا فی المسجد ای غرفة تصعد الیها
بسلم قال المبرد لا یکون المحراب الا ان یرتقی علیه بدرج وقیل المحراب اشرف المجالس ومقدمها
کانها وضعت فی اشرف موضع من بیت المقدس وقیل کانت مساجدهم یسمی المحاریب قال
الربیع بن انس کان زکریاء اذا خرج یغلق علیها سبعة ابواب فاذا دخل علیها غرفتها وَجَدَ عِنْدَهَا
رِزْقًا ای فاکهة فی غیر حینها فاکهة الصیف فی الشتاء وفاکهة الشتاء فی الصیف قال الکاشف
یرزقها الله تعالی رزق الجنة فی الخلوة مکافاة للخدمة والعفة کرامة لها حتی لا تشغلها توقی الرزق من الخلق
عن حفظ خالقها ویکون فی حقیقة التوکل صافیة من الالتفات الی غیر الحق وان کان نبیا مرسلا
وقال الاستاد اذا دخل علیها زکریاء المحراب بطعام وجد عندها رزقا لیعلم العالمون ان الله سبحانه
وتعالی لا یلیق شغل اولیائه الی غیره قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا من این لک هذا الرزق الذی
لا یشبه ارزاق الدنیا وهو آت فی غیر حینه والابواب مغلقة علیک لا سبیل للداخل به علیک
قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قال الحسن حین ولدت مریم لم یلقم ثدیا قط کان یاتیها رزقها من الجنة
فیقول لها زکریاء انی لک هذا قالت هو من عند الله تکلمت وهی صغیرة إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ
بِغَيْرِ حِسَابٍ روی الحافظ ابو یعلی باسناده عن جابر رضی الله عنه انه قال ان رسول الله
صلی الله علیه وسلم اقام ایاما لم یطعم طعاما حتی شق ذلک علیه فطاف فی منازل ازواجه فلم یجد
عند واحدة منهن شیأ فاتی فاطمة فقال یا بنیة هل عندک شیء آکله فانی جائع فقالت لا والله
بابی انت وامی فلما خرج من عندها بعثت الیها جارة لها برغیفین وقطعة لحم فاخذته منها فو ضعته
فی جفنة لها وقالت والله لاوثرن بهذا رسول الله صلی الله علیه وسلم علی نفسی ومن عندی
وکانوا جمیعا محتاجین الی شبعة طعام فبعثت حسنا او حسینا رضی الله عنهما الی رسول الله
صلی الله علیه وسلم فرجع الیها فقالت له بابی وامی قد اتی الله تعالی بشیء فخبأته لک قال صلی الله انت م
علیه وسلم هلمیه یا بنیة قالت فاتیته بالجفنة فکشف عن الجفنة فاذا هی مملوءة خبزا ولحما
نظرت الیها بهتت وعرفت انها برکة من الله تعالی فحمدت الله تعالی وصلت علی نبیه وقدمته
الی رسول الله صلی الله علیه وسلم فلما رآه حمد الله تعالی وقال من این لک هذا یا بنیة

فقالت يا ابه هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى علي رضي الله عنه ثم اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وحسن وحسين رضي الله عنهم وجميع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم واهل بيته رضي الله عنهم اجمعين حتى شبعوا قالت وبقيت الجفنة كما هي فاوسعت بقيتها على جميع الجيران وجعل الله عز وجل فيها بركة وخيرا كثيرا هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ لما رأى زكريا عليه السلام ان الله تعالى يرزق مريم عليها الصلوة والسلام فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء طمع حينئذ في الولد وان كان شيخا كبيرا وكانت امرأته عاقرا كبيرة وسأل ربه فدخل المحراب وغلق الابواب وناجى ربه قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ اى من عندك ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً اي ولدا مباركا تقيا صالحا رضيا والذرية تكون واحدا وجمعا ذكرا وانثى إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ اى سامعه وقيل مجيبه لقوله تعالى اني امنت بربكم فاسمعون اى فاجيبوني قال الكاشف سأل من الله من يعينه في طاعة الله ويكون له خليفة في اداء الرسالة والنصح للامة وايضا يكون له مشاورا في السير في عالم الربوبية والعبودية ومونسا من الله في الكشف والحقيقة والعشق والمحبة طيبة يعني مطهرا من اشتغال الكون منفردا عن ارادته مقدسا عن شهواته فاذ علم الله سبحانه وتعالى صدق نيته اعطاه ما موله على الفور ليكون له معجزة وكرامة والاشارة فيه ان من طلب من الله شيأ بعينه في طاعته وسببا لمرضاته فحصل له استجابة الدعوة في الساعة فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ المراد بالملائكة ههنا جبريل عليه السلام وحده كقوله تعالى في سورة النحل ينزل الملائكة يعني جبريل بالروح يعني بالوحي قال المفضل بن سلمة اذا كان القائل رئيسا يجوز الاخبار عنه بالجمع لاجتماع اصحابه معه وكان جبريل عليه السلام رئيس الملائكة وقلما يبعث الا ومعه جمع وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ اى في المسجد والناس ينتظرون ان يأذن لهم في الدخول فاذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض وهو جبريل ففزع منه فناداه يا زكريا أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى قال ابن عباس سمي يحيى لان الله تعالى احيى به عقر امه وقال قتادة لان الله تعالى احيى قلبه بالايمان وقيل لان الله احياه بالطاعة حتى لم يعص ولم يهم بمعصية روى ابن ابي حاتم باسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما يقول ليس احد من خلق الله تعالى لا يلقاه بذنب غير يحيى بن زكريا قال ابن عطاء ما فتح الله على عبد من عبيده حالة سنية الا باتباع الاوامر واخلاص الطاعات ولزوم المحاريب وقيل ملازمة الخدمة دون ذلك اداب الخدمة وآداب الخدمة دون ذلك منازل القربة ومنازل القربة دون ذلك حلاوة الانس مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ مصدقا بعيسى قيل هو اول من آمن به وصدقه وكان اكبر منه بستة اشهر قال ابن جريج قال ابن عباس رضي الله عنهما

اى عند ذلك دعى زكريا ربه م

عن سعيد بن المسيب محدث م

كان يحيى وعيسى ابني خالة وكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد الذي في بطني يسجد للذي في بطنك فذلك تصديقه بعيسى وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله قال له كن من غير اب فكان فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها كان وقيل سمي كلمة لانه يهتدى به كما يهتدى بكلام الله وقيل هي بشارة الله مريم بعيسى عليه السلام بكلامه على لسان جبريل عليه السلام وقيل لان الله تعالى اخبر الانبياء بكلامه في كتبه انه يخلق نبيا بلا اب فسماه كلمة لحصوله بذلك الوعد وقال ابو عبيدة بكلمة من الله اى بكتاب الله وآياته تقول العرب انشد في كلمة فلان اي قصيدته وَسَيِّدًا السيد الذي يسود قومه اى يفوقهم قال الضحاك السيد الحسن الخلق وقال سعيد بن جبير السيد الذي يطيع ربه وقال سعيد بن المسيب السيد الفقيه العالم وقال قتادة سيد في العلم والعبادة والورع وقيل الحليم الذي لا يغضبه شيء وقيل السيد التقي وقال سفيان الذي لا يحسد وقيل القانع بما قسم الله له وقيل هو السخي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا جد بن قيس على انا نبخله قال واي داء ادوى من البخل سيدكم عمرو بن الجموح وَحَصُورًا من الحصر وهو الحبس قال ابن عباس وابن مسعود وسعيد بن جبير وقتادة وعطاء والحسن هو الذي لا يأتي النساء ولا يقربهن وهو على هذا القول فعول بمعنى فاعل يعني يحصر نفسه عن الشهوات روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت وقال سعيد بن المسيب هو الذي لا ماء له فيكون الحصور بمعنى المحصور كانه ممنوع من النساء قال الكاشف السيد الذي قد غلب عليه نور هيبة الحق جل وعلا والحصور الذي عصم عن جميع الشهوات بالعصمة الازلية وقال جعفر بن محمد السيد الذي عرف ربه اكرم ما دونه والحصور الذي يملك ولا يملك وقال محمد بن علي السيد من استوت احواله عند المنع والعطاء وقال ابن منصور السيد من خلى من اوصاف البشرية واظهر بنعوت الربوبية وقد مرّ مع ذلك ليكون دائم اعش لبصره وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ناشيا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء قَالَ رَبِّ اي يا سيدي قاله لجبريل هذا قول الكلبي وجماعة وقيل قاله لله عز وجل أَنَّى يَكُونُ من اين يكون لِي غُلَامٌ ابن وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ ادركني واضعفني قال الكلبي كان زكريا يوم بشر بالولد ابن ثنتين وتسعين سنة وقيل ابن تسع وتسعين سنة وقال الضحاك عن ابن عباس كان ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فذلك قوله تعالى وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ اى عقيم لا تلد يقال رجل عاقر وامرأة عاقر وقد عقر بضم القاف يعقر عقرا وعقارة قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ اى على هذه الصفة الله يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه امر فان قيل لم قال زكريا بعد ما وعده الله تعالى اني يكون لي غلام اكان شاكا في وعد الله وفي قدرته قيل ان زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا الصوت الذي سمعت ليس هو من الله انما هو من الشيطان ولو كان من الله لاوحاه اليك كما يوحي اليك في سائر الامور فقال ذلك دفعا للوسوسة قاله عكرمة والسدي واعترض على هذا الجواب بانه لا يجوز ان يشتبه على الانبياء كلام الملائكة بكلام الشيطان

وقد شرح مع ذلك ليكون اغض لبصره م

قال قالت مريم كنت اذا خلوت انا وعيسى حدثني وحدثته فاذا شغلني عنه انسان سبح في بطني وانا اسمع قوله وفي سورة مريم انه قال عليه السلام اني عبد الله آتاني الكتاب الآية عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في المهد الا ثلاثة عيسى وصبي كان في زمن جريج وصبي آخر وَكَهْلًا عطف على في المهد المعنى يكلم الناس طفلا وكهلا كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولية وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء وَمِنَ الصَّالِحِينَ الصالح القائم بحقوق الله تعالى وحقوق العباد ووصفه عليه السلام به بعد وصفه بالاوصاف العظيمة اشارة الى انه عليه السلام كان في حال الطفولية من القائمين بحقوق النبوة قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قالت ذلك تعجبا اذ لم يكن جرت العادة بان يولد ولد لا اب له قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ اى هكذا امر الله لا يعجزه شيء يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ اى الكتابة والخط وَالْحِكْمَةَ والعلم والفقه وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ علمه الله تعالى التورية والانجيل وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ قيل كان رسولا في حال الصبى وقيل انما كان رسولا بعد البلوغ وكان اول انبياء بني اسرائيل يوسف وآخرهم عيسى عليهما السلام أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ رسولا ناطقا باني قد جئتكم بِآيَةٍ علامة مِنْ رَبِّكُمْ تصدق قولي أَنِّي أَخْلُقُ اى اصور واقدر لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ كصورة الطير فَأَنْفُخُ فِيهِ اى في الطين فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ قرأة الاكثرون بالجمع لانه خلق طيرا كثيرا وقرأ اهل المدينة ويعقوب طائرا على الواحد ذهبوا الى نوع واحد من الطير لانه لم يخلق غير الخفاش وانما خص الخفاش لانه اكمل الطير خلقا لان لها ثديا واسنانا وهي تحيض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق من فعل الله وليعلم ان الكمال لله عز وجل قال الامام كان الله تعالى يخلق الحيوة في ذلك الجسم بقدرته عند نفخ عيسى عليه السلام فيه على سبيل المعجزات لقوله تعالى خلق الموت والحيوة وحكي عن ابرهيم عليه السلام انه قال في مناظرته مع الملك ربي الذي يحيي ويميت وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ اي اشفيهما واصححهما واختلفوا في الاكمه قال ابن عباس وقتادة هو الذي ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير والابرص الذي به وضح وانما خص هذين لانهما عياء ان قال العلماء بعث الله تعالى كل نبي من الانبياء بمعجزة تناسب اهل زمانه فكان الغالب على زمان موسى السحر وعظم السحرة فبعثه الله عز وجل بمعجزة بهرت الابصار وحيرت كل سحار واما عيسى عليه السلام فبعث في زمان الاطباء واصحاب علم الطبيعة بمعجزة من الآيات بالاسبيل لاحد اليه الا ان يكون مؤيدا من الله تعالى وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم بعثه الله تعالى في زمان الفصحاء والبلغاء فاتاهم بكتاب من الله عز وجل

انجيل

اى انه من اعلى المراتب والمقامات و م

اطبا م

والاعياء اى صعب لا دواء له كان اعيى الاطبا م

لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله او بعشر سور من مثلها او بسورة من مثله لم يستطيعوا ابدا قال وهب ربما اجتمع على عيسى من المرضى في اليوم الواحد خمسون الفا من اطاق منهم ان يبلغه بلغه ومن لم يطق مشى اليه عيسى فكان يداويهم بالدعاء على شرط الايمان وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ قال ابن عباس قد احيى اربعة انفس عازر وابن العجوز وابنة العاشر وسام بن نوح فاما عازر كان صديقا له فارسلت اخته الى عيسى ان اخاك عازر يموت وكان بينه وبينه مسيرة ثلثة ايام فاتاه هو واصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة ايام فقال لاخته انطلقي بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره فدعا الله فقام عازر وودكه يقطر فخرج من قبره وبقي وولد له واما ابن العجوز فمر به ميتا على عيسى عليه السلام على سرير يحمل فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل عن اعناق الرجال ولبس ثيابه وحمل السرير على عنقه ورجع الى اهله فبقي وولد له واما ابنة العاشر فكان والدها رجلا يأخذ العشور ماتت له بنت بالامس فدعا الله عز وجل فاحياها وبقيت وولد لها واما سام بن نوح فان عيسى عليه السلام جاء على قبره فدعا باسم الله الاعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة ولم يكونوا يشيبون في ذلك الزمان فقال قد قامت القيمة قال لا ولكن دعوتك باسم الله الاعظم ثم قال له مت قال بشرط ان يعيذني الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل قال الكاشف انسلخ من اوصاف الحدوثية واتصف بصفات الربوبية فالمحيي هو الحق جل عن الاهل والولد والحلول والمكان والجهة والاختلاط مع الحلقة حقائق القدر ليس لي في هذه الا كلام اجل من ذلك وقيل من اشتمل عليه صفات الربوبية وغاب عن اوصاف الحدث حيي بنفسه واحيى به كل شيء وَأُنَبِّئُكُمْ اخبركم بِمَا تَأْكُلُونَ مما لم اعاينه وَمَا تَدَّخِرُونَ ترفعونه فِي بُيُوتِكُمْ حتى تأكلوه وقيل كان يخبر الرجل بما اكل البارحة وبما يأكل اليوم وبما ادخره للعشاء وقال السدي كان عيسى في الكتاب يحدث الغلمان بما يصنع اباؤهم ويقول للغلام انطلق فقد اكل اهلك كذا وكذا ورفعوا كذا وكذا فينطلق الصبي الى اهله ويبكي عليهم حتى يعطوه ذلك الشيء فيقولون من اخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا صبيانهم عنه وقالوا لهم لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم في بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا ههنا قال فما في هذا البيت قالوا خنازير قال عيسى كذلك يكونون فتحوا عنهم فاذا هم خنازير ففشا ذلك في بني اسرائيل فهمت به بنو اسرائيل وقال قتادة انما كان هذا في المائدة ولما خافت عليه امه حملته على حمير لها وخرجت هاربة الى مصر وكان خبرا ما ينزل عليهم انما كانوا يأكلون منها ولا يدخروا ولا يخبؤا للغد فخانوا وخبؤا وادخروا للغد فجعل عيسى يخبرهم بما اكلوا من المائدة وبما ادخروا منه فمسخهم الله خنازير إِنَّ فِي ذَلِكَ الذي ذكرت لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا عطف على قوله ورسولا ويجوز ان يكون التقدير وجئتكم بآية ومصدقا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ من اللحوم والشحوم اى وجئتكم مصدقا لما بين من التورية وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ اى بحجة ودلالة على صدقي فيما اقول لكم فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللَّهَ

الموت

فتفتشوا عنهم فاذا هم خنازير م

يدي م

اذ لو جوزنا ذلك لارتفع الوثوق باخبارهم عن الوحي السماوي واجيب عن هذا الاعتراض بانه لما
دلت الدلايل على صدق الانبياء فما يخبرون به عن الله تعالى بواسطة الملك فلا مدخل للشيطان فيه
وذلك فيما يتعلق بالدين والشرايع فاما ما يتعلق بمصالح الدنيا وبالولد فقد يحتمل فيه حصول الوسوسة
فسال زكريا ذلك ليزول هذه الوسوسة من خاطره وفي كلام عكرمة والسدي اشارة الى هذا الجواب
وقد يقال انه لم يشك في وعد الله وانما شك في كيفيته اي كيف ذلك اتجعلني وامراتي شابين ام ترزقنا
ولدا على الكبر منا ام ترزقني من امراة اخرى فقال مستفهما لا شاكا هذا قول الحسن قال رب
اجعل لي آية اي علامة اعلم بها وقت حمل امراتي فازيد في العبادة شكرا لك قال آيتك الا
تكلم الناس اي لا تقدر على تكليم الناس ثلاثة ايام الا رمزا الا اشارة بيد او راس او غيرهما
وكانت اشارته بالاصبع المسبحة قال الفراء قد يكون الرمز باللسان من غير ان يبين وهو الصوت
الخفي شبه الهمس وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع
ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ليخلص المدة لذكر الله لا يشتغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء
حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الاية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له
آيتك ان يحبس لسانك الا عن الشكر ولذلك قال واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار
العشي ما بين زوال الشمس الى غروبها ومنه سمي صلوة الظهر والعصر صلوتي العشي والابكار
ما بين صلوة الفجر الى الضحى وقيل المراد بالتسبيح الصلوة قال الكاشف من يطلب من الله تعالى
شيئا من معاني الغيب ورؤية عجائبه وكرامته لا يتحرك لسانه بالفضولات وقلبه لا يخطر به من خواطر
الوسواس حتى يكون ظاهره وباطنه مشغولا بالحق لان التفرق اذا وقع في الظاهر يشوش به
الباطن واجاز له الرمز ليدفع ضيق قلبه ومن دخل عليه من اهله والمراد بالذكر الكثير ههنا تخليص
النية عن الخطرات وجمع الهموم بنعت تصفية السر في المناجات وتحير الروح في المشاهدات
ادب الله تعالى اهل محبته وارادته بما اخبر عن محنة زكريا عليه السلام واستجابة دعوته حتى اذا
ارادوا كشف الغيب واستجابة الدعوة اعتزلوا عن الخلق وعن محادثتهم وتركوا ما لا يعنيهم وقطعوا
لسانهم بمقاريض الصمت وجعلوه رطبا بذكر الله في ايام مناجاتهم التي ارادوا فيها كشف المقصود
واذ قالت الملائكة يعني جبريل يا مريم ان الله اصطفيك اختارك وطهرك قيل من مسيس
الرجال وقيل من الحيض والنفاس قال السدي كانت مريم لا تحيض وقيل من الذنوب واصطفيك
على نساء العالمين قيل على عالمي زمانها وقيل على جميع نساء العالمين في انها ولدت بلا اب ولم يكن
ذلك لاحد من النساء وقيل بالتحرير في المسجد ولم تحرر انثى عن انس بن مالك رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير نساء العالمين اربع مريم بنت عمران وآسية امراة فرعون

وخديجة

وخديجة بنت خويلد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام رواه ابن مردويه وخرج
قال الشيخ محي الدين النووي والاظهر ان معناه ان كل واحدة منهن خير نساء الارض في عصرها واما التفضيل
بينهن فمسكوت عنه وعن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية امراة فرعون وان فضل عائشة
على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام رواه الجماعة الا ابا داود وعن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امراة
فرعون رواه محي السنة اخرجه الترمذي يا مريم اقنتي لربك قالت لها الملائكة شفاها والقنوت الطاعة
والخشوع قال الله تعالى وله من في السموات والارض كل له قانتون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة رواه ابن جرير قال الاوزاعي لما قالت لها الملائكة
ذلك قامت في الصلوة حتى ورمت قدماها وسالت دما وقيحا واسجدي واركعي مع الراكعين
مع المصلين في الجماعة ولم يقل مع الراكعات لكون اعم واشمل فانه يدخل فيه الرجال والنساء قال
الكاشف قدس سره وضعي اي تقربي الي بتواضعك مع المتواضعين من اوليائي وانبيائي وخواص
اهل محبتي عليهم السلام لتنال بركات الجمع لان صحبة الاولياء استحكام في العبودية وتخليص عن رق
البشرية ذلك الذي ذكرت من حديث زكريا ويحيى وعيسى ومريم من انباء الغيب من اخبار
الغيب نوحيه اليك وما كنت يا محمد لديهم اذ يلقون اقلامهم سهامهم في الماء للاقتراع ايهم يكفل مريم
يربيها وما كنت لديهم اذ يختصمون في كفالتها اذ قالت الملائكة بدل من اذ قالت الملائكة يا مريم ان
الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح ابن مريم اختلفوا في انه لم سمي مسيحا منهم من قال فعيل بمعنى عيسى م
المفعول يعني انه مسح من الاقذار وطهر من الذنوب وقيل لانه مسح بالبركة وقيل لانه خرج من
بطن امه ممسوحا بالدهن وقيل مسحه جبريل عليه السلام بجناحيه حتى لم يكن للشيطان عليه سبيل و
قيل لانه كان مسيح القدم لا اخمص له وسمي الدجال مسيحا لانه كان ممسوح احدى العينين وقال
بعضهم هو فعيل بمعنى الفاعل مثل عليم وعالم قال ابن عباس سمي مسيحا لانه ما مسح ذا عاهة الا برئ
وقيل سمي بذلك لانه كان يسيح في الارض ولا يقيم في مكان قال ابراهيم النخعي المسيح الصديق ويكون
المسيح بمعنى الكذاب وبه سمي الدجال والحرف من الاضداد قال الكاشف بشرها حتى دمت في تحمل
اذى اللاعنين وعرفت منزلتها حتى لا تسقط عن درجة التمكين بحديث العالمين وجيها ذا وجاهة و
قدر في الدنيا والآخرة الوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفي الآخرة الشفاعة و
علو الدرجة في الجنة ومن المقربين كونه من المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة ويكلم
الناس في المهد اي صغيرا قبل اوان الكلام والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه حكي عن مجاهد انه

ربي وربكم فاعبدوه اي انا وانتم في العبودية والخضوع والاستكانة اليه سواء هذا صراط مستقيم
فلما احس عيسى منهم الكفر اي علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس استنصر عليهم
وقال من انصاري الى الله من الذين ينصرونني ويضيفون انفسهم الى الله ونصرتهم لي الى
نصرة الله وقال الحسن وابو عبيدة الى بمعنى في اي من اعواني في الله اي في دار وسبيله وقال
السدي وابن جريج مع الله كما قال الله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم قال السدي كان سبب ذلك
ان عيسى عليه السلام لما بعثه الله عز وجل الى بني اسرائيل وامره بالدعوة نفته بنو اسرائيل واخرجوه
فخرج هو وامه يسيحان في الارض فنزل في قرية على رجل فاضافهم واحسن اليهم وكان لتلك المدينة
جبار معتد فجاء ذلك الرجل يوما مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امراته فقالت لها مريم ما شان
زوجك اراه كئيبا قالت لا تسأليني قالت اخبريني لعل الله يفرج كربته قالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل
منا يوما ان يطعمه وجنوده ويسقيهم الخمر فان لم يفعل عاقبه واليوم نوبتنا وليس لذلك عندنا سعة
قالت فقولي له لا يهتم فاني آمر ابني فيدعو له فيكفي ذلك فقالت مريم لعيسى في ذلك فقال عيسى ان
فعلت ذلك وقع شر قالت لا تبال فانه قد احسن الينا واكرمنا قال عيسى فقولي له اذا اقترب ذلك
فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم اعلمني ففعل ذلك فدعا الله عيسى فتحول ماء القدور مرقا ولحما
وماء الخوابي خمرا لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك اكل فلما شرب الخمر قال من اين هذه الخمر قال من
ارض كذا قال الملك فان خمري من تلك الارض وليست مثل هذه قال هي من ارض اخرى فلما
خلط على الملك واشتد عليه قال فانا اخبرك عندي غلام لا يسال الله شيئا الا اعطاه اياه وانه دعا
الله فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد ان يستخلفه فمات قبل ذلك بايام وكان احب الخلق اليه
فقال ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليجابن به الي حتى يحيى ابني فدعا عيسى عليه السلام فكلمه
في ذلك فقال عيسى لا تفعل فانه ان عاش وقع شر قال الملك لا ابالي اليس اراه فقال عيسى ان
احييته تتركوني وامي نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله عيسى فعاش الغلام فلما راه اهل مملكته
قد عاش تنادوا بالسلاح وقالوا اكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد ان يستخلف علينا ابنه
فياكلنا كما اكل ابوه فاقتتلوا وذهب عيسى وامه فمر بالحواريين وهم يصطادون السمك فقال
ما تصنعون قالوا نصطاد السمك قال افلا تمشون حتى نصطاد الناس قالوا ومن انت قال
عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله من انصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله اعوان
دين الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون واختلفوا في الحواريين قال مجاهد والسدي كانوا صيادين
يصطادون السمك سموا حواريين لبياض ثيابهم واصل الحور عند العرب شدة البياض يقال
رجل احور وامراة حوراء اي شديد بياض العين وقيل كانوا ملاحين وقال الكلبي وعكرمة

يحيى ابن له

الحواريون

الحواريون هم الاصفياء وهم كانوا اصفياء عيسى وكانوا اثني عشر رجلا ويجي الحواري في كلام العرب
بمعنى خاصة الرجل الذي يستعين به فيما ينوبه وقال الحسن كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا
يحورون الثياب اي يبيضونها وقال عطاء سلمت مريم عيسى الى اعمال شتى فكان اخر ما دفعته الى الحواريين
وكانوا قصارين وصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب وعرض له سفر فقال لعيسى
انك قد تعلمت هذه الحرفة وانا خارج في سفر لا ارجع الى عشرة ايام وهذه ثياب مختلفة الالوان وقد اعلمت
على كل واحد منها بخيط على اللون الذي تصبغ به فيجب ان تكون فارغا منها وقت قدومي وخرج وطبخ
عيسى حبا واحدا على لون واحد وادخل جميع الثياب وقال لها كوني باذن الله على ما اريد منك فقدم الحواري
والثياب كلها في الحب فقال ما فعلت فقال فرغت منها قال اين هي قال في الحب قال كلها قال نعم قال لقد
افسدت تلك الثياب قال قم فانظر فاخرج عيسى ثوبا اصفر وثوبا اخضر وثوبا احمر الى ان اخرجها على
الالوان التي ارادها فجعل الحواري يتعجب ويعلم ان ذلك من الله تعالى فقال للناس تعالوا فانظروا فآمن
به هو واصحابه فهم الحواريون وقال الضحاك سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال ابن المبارك سموا به لما
عليهم من اثر العبادة ونورها وعن جابر بن عبد الله ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس
يوم الخندق فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير فقال النبي صلى الله عليه
وسلم ان لكل نبي حواريا وحواريي الزبير متفق عليه قال سفيان الحواري الناصر قال معمر قال قتادة
ان الحواريين كلهم من قريش ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وحمزة وجعفر وابو عبيدة بن الجراح وعثمان بن
مظعون وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضوان
الله عليهم اجمعين ربنا آمنا بما انزلت من كتابك واتبعنا الرسول عيسى فاكتبنا مع الشاهدين
الذين شهدوا لانبيائك بالصدق وقال عطاء مع النبيين لان كل نبي شاهد امته وقال ابن عباس مع محمد
وامته لانهم يشهدون للرسل بالبلاغ قال ابن عطاء آمنا بما نورت به قلوب اصفيائك من علوم غيبك
واتبعنا الرسول فيما اظهر من سنن اوامرك ونواهيك رجاء ان توصلنا اتباعه الى محبتك فاكتبنا مع
الشاهدين مع مشهدك ولا تشهد معك سواك ومكروا اي كفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر
وذلك ان عيسى عليه السلام بعد اخراج قومه اياه وامه عاد اليهم مع الحواريين وصاح فيهم بالدعوة
فهموا بقتله وتواطؤوا على الفتك به فذلك مكرهم ومكر الله والله خير الماكرين فالمكر من المخلوقين
الخب والخديعة والحيلة والمكر من الله تعالى استدراج العبد واخذه بغتة من حيث لا يعلم كما قال
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ومكر الله خاصة بهم في هذه الآية القاء الشبه على صاحبهم الذي
اراد قتل عيسى حتى قتل قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ان عيسى استقبل رهطا من
اليهود فلما راوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وامه فلما سمع ذلك

عيسى دعا عليهم ولعنهم فمسخهم الله فلما راى ذلك يهودا راس اليهود وامير فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى وثاروا اليه ليقتلوه فبعث الله جبرئيل فادخله في خوخة في سقفها روزنة فرفعه الله الى السماء من تلك الروزنة فامر يهودا راس اليهود رجلا من اصحابه يقال له ططيانوس ان يدخل الخوخة ويقتله فلما دخل لم ير عيسى فابطأ عليهم فظنوا انه يقاتله فيها فالقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه قال وهب طرقوا عيسى في بعض الليل ونصبوا خشبة ليصلبوه فاظلمت الارض فارسل الله تعالى الملائكة فحالت بينهم وبينه فجمع عيسى الحواريين تلك الليلة واوصاهم ثم قال ليكفرن بي احدكم قبل ان يصيح الديك ويبيعني بدراهم يسيرة فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود يطلبونه فاتى احد الحواريين الى اليهود فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم على المسيح فجعلوا له ثلثين درهما فاخذها ودلهم عليه فلما دخل البيت القى الله عليه شبه عيسى فرفع عيسى واخذ الذي دلهم عليه فقال انا الذي دللتكم عليه فلم يلتفتوا الى قوله وصلبوه وهم يظنون انه عيسى فلما صلب شبه عيسى جاءت مريم ام عيسى وامراة كان عيسى دعا لها فابرأها الله تعالى من الجنون تبكيان عند المصلوب فجاءهما عيسى فقال لهما علام تبكيان ان الله رفعني ولم يصبني الا خير وان هذا شيء شبه لهم فلما كان بعد سبعة ايام قال الله عز وجل لعيسى اهبط الى مريم المجدلانية في جبلها فانه لم يبك عليك احد بكاءها ولم يحزن حزنها ثم ليجتمع لك الحواريون فبثهم في الارض دعاة الى الله عز وجل فاهبطه الله فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة ثم رفعه الله اليه وتلك الليلة هي التي يدخن فيها النصارى فلما اصبح الحواريون حدث كل واحد منهم بلغة من ارسله عيسى اليهم فذلك قوله ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقال قتادة ذكر لنا ان نبي الله عيسى عليه السلام قال لاصحابه ايكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل من القوم انا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه الله وكساه الريش والبسه النور وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وطار مع الملائكة فهو معهم حول العرش وكان انسيا ملكيا سماويا ارضيا قال اهل التاريخ حملت مريم بعيسى ولها ثلث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من ارض اوري شلم بمضي خمس وستين سنة من غلبة اسكندر على ارض بابل واوحى الله اليه على راس ثلثين سنة ورفعه الله من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلث وثلثين سنة فكانت نبوته ثلث سنين وعاشت امه مريم بعده ست سنين قال الكاشفي سقطوا عن مشاهدة سابق مكر الحق فاحتالوا مع اهل الولاية بتدبير النفس فكان مكرهم مكر الحق عليهم وهم لا يعلمون انهم مخدوعون وقال محمد بن علي مكروا انفسهم فحسن الله مكرهم عندهم وكان في الحقيقة مكرا بهم لتزيينه ذلك عندهم الا ترى قوله زين له سوء عمله فراه حسنا سئل بعض اهل الحقيقة كيف ينسب المكر الى الله فصاح وقال لا علة لصنعه واثباته ومنعه من سواك الفعل عندي وتفعله فيحسن منك ذاكا فذنبك قد حلت على هواكا

نفسي لا ماذعن سواكا احبك لا ببعضي بل بكلي وان لم يبق حبك لي حراكا **اذ قال الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الي** اذ ظرف لخير الماكرين او لمكر الله واختلفوا في معنى التوفي هنا قال الحسن والكلبي وابن جريج اني قابضك ورافعك من الدنيا الي من غير موت وهنا اشارة الى ما قاله صاحب الكشاف اي اني مستوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم وقال الربيع بن انس المراد بالتوفي النوم وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائما الى السماء معناه اني منيمك ورافعك الي كما قال وهو الذي يتوفيكم بالليل اي ينيمكم وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ان معناه اني مميتك وله تاويلان احدهما ما قال وهب توفى الله عيسى ثلث ساعات من النهار ثم رفعه الله اليه وقال محمد بن اسحق النصارى يزعمون ان الله توفاه سبع ساعات من النهار ثم احياه ورفعه والآخر ما قاله الضحاك وجماعة ان في الآية تقديما وتاخيرا معناه اني رافعك الي ومطهرك من الذين كفروا ومتوفيك بعد انزالك من السماء عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده ليوشكن ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عادلا يكسر الصليب ويقتل الخنازير ويضع الجزية فيفيض المال حتى لا يقبله احد وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في نزول عيسى قال ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويهلك الدجال فيمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى في القرآن قال نعم وكهلا وهو لم يكتهل في الدنيا وانما معناه كهلا بعد نزوله من السماء **ومطهرك من الذين كفروا** اي مخرجك من بينهم ومنجيك منهم قال الاستاد اني متوفيك عنك وقابضك منك ورافعك عن نعوت البشرية ومطهرك من ارادتك بالكلية وقال بعضهم اي متوفيك عن حظوظك ورافع شخصك الي ومطهر سرك من مطالعة الاغيار واللواحظ **وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة** قال صاحب الكشاف يعلونهم بالحجة وفي اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى وما قاله صاحب الكشاف منقول عن قتادة والربيع والشعبي ومقاتل والكلبي وقيل هم الروم وقيل اراد به النصارى فهم فوق اليهود الى يوم القيمة فان اليهود قد ذهب ملكهم وملك النصارى دائم الى قريب من قيام الساعة فعلى هذا يكون الاتباع بمعنى الادعاء والمحبة لا اتباع الدين **ثم الي مرجعكم** في الآخرة **فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون** من الدين وامر عيسى **فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا** بالقتل والسبي والجزية والذلة **والآخرة** بالنار **وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم** اي يوفي اجور اعمالهم **والله لا يحب الظالمين** اي لا يرحم الكافرين ولا يثني عليهم بالجميل **ذلك** هذا الذي ذكرته من الخبر عن عيسى ومريم والحواريين **نتلوه عليك** نخبرك بتلاوة جبرئيل عليك **من الآيات** اي العلامات الدالة على نبوتك **والذكر الحكيم** اي الذكر ذي الحكمة يعني القرآن وقيل من الآيات اي

لانها اخبار لا يعلمها الا قارئ كتاب او من يوحى اليه وانت امي لا تقرأ **ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم** الآية نزلت في وفد نجران وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك تشتم صاحبنا قال وما اقول قالوا تقول انه عبد الله قال اجل هو عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى العذراء البتول فغضبوا وقالوا هل رايت انسانا قط من غير اب فانزل الله عز وجل ان مثل عيسى في كونه خلقا من غير اب كمثل آدم في كونه خلقا من غير اب وام **خلقه من تراب** قدره جسدا من طين **ثم قال له** يعني لعيسى **كن فيكون** اي انشأه بشرا كقوله تعالى ثم انشأناه خلقا آخر فكان فيكون حكاية حال ماضية عن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا اب له قال فآدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل اولى لان عيسى احيى اربعة نفر واحيى حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما قال الامام نقلا عن الكبار انما خلق آدم من التراب لوجوه الاول ليكون متواضعا الثاني ليكون ستارا الثالث ليكون اشد التصاقا بالارض وذلك لانه خلق لخلافة الارض قال تعالى اني جاعل في الارض خليفة ثم قال اراد اظهار القدرة فخلق الشياطين من النار التي هي اضوء الاجسام وابتلاهم بظلمات الضلالة وخلق الملائكة من الهواء الذي هو الطف الاجرام واعطاهم كمال الشدة والقوة وخلق آدم من التراب الذي هو اكثف الاجرام ثم اعطاه المحبة والمعرفة والنور والهدى وخلق السموات من امواج مياه البحار وابقاها معلقة في الهواء حتى يكون خلقه هذه الاجرام برهانا باهرا ودليلا ظاهرا على انه تعالى هو المدبر بغير احتياج والخالق بلا امتزاج وعلاج ثم قال خلق الانسان من التراب ليكون مطفئا لنار الشهوة والحرص والغضب فان هذه النيران لا تطفأ الا بالتراب وانما خلقه من الماء ليكون صافيا تتجلى فيه صور الاشياء ثم انه تعالى مزج بين الارض والماء ليمتزج اللطيف بالكثيف فيصير طينا وهو قوله تعالى اني خالق بشرا من طين ثم انه في المرتبة الرابعة قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين والسلالة بمعنى المسلولة لانها انسلت من الطف اجزاء الطين ثم انه في المرتبة الخامسة جعله طينا لازبا فقال انا خلقناهم من طين لازب وفي المرتبة السادسة نبت له ثلثة انواع من الصفات احدها انه صلصال والصلصال اليابس الذي اذا حرك يصلصل كالخزف الذي يسمع من داخله صوت الثاني الحمأ وهو الذي استقر في الماء مدة وتغير لونه الى السواد والثالث المسنون قال ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون اي متغير الرائحة فهذا جمل الكلام في التوفيق بين الآيات الواردة في خلقة آدم عليه السلام **الحق من ربك** اي هو الحق من ربك وقيل جاءك الحق من ربك **فلا تكن من الممترين** الشاكين ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة وان يكون لطفا لغيره ثم انه تعالى لما بين في اول هذه السورة وجوها من الدلائل القاطعة على فساد قول النصارى بالزوجة والولد واتبعها بذكر الجواب عن جميع شبههم

وختم الكلام

وختم الكلام بانه كما لم يلزم من عدم الاب لعيسى ان يكون ابنا لله لم يلزم ايضا من عدم الاب لآدم ان يكون ابنا لله تعالى وتقدس عن ذلك ولما لم يبعد خلق آدم من التراب لم يبعد ايضا خلق الله عيسى من الدم الذي كان يجتمع في رحم ام عيسى عليه السلام واصر النصارى على جهلهم امر الله تعالى ان يعامل معهم بما يعامل به المعاند وهو ان يدعوهم الى الملاعنة فقال **فمن حاجك فيه** اي جادلك في عيسى او في الحق **من بعد ما جاءك من العلم** بان عيسى عبد الله ورسوله **فقل تعالوا** واصله تعاليوا تفاعلوا من العلو **ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم** ابناءنا قال الزجاج كانه يقول ادع وتدع ابناءنا الحسن والحسين رضي الله عنهما ونساءنا فاطمة رضي الله عنها وانفسنا نفسه وعليا عليهما السلام ويسمى العرب ابن عم الرجل نفسه كما قال الله تعالى ولا تلمزوا انفسكم يعني اخوانكم وقيل هو على العموم لجماعة اهل الدين **ثم نبتهل** قال ابن عباس اي نتضرع في الدعاء وقال الكلبي نجتهد ونبالغ في الدعاء وقال الكسائي وابو عبيدة نلتعن والابتهال الالتعان يقال عليه بهلة الله اي لعنته **فنجعل لعنة الله على الكاذبين** منا ومنكم في امر عيسى فلما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية على وفد نجران دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر في امرنا ثم ناتيك غدا فخلا بعضهم ببعض فقالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى قال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل والله ما لاعن قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم ذلك لتهلكن فان ابيتم الا الاقامة على ما انتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول لهم اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها لو سالوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله فلا تبتهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القسم قد راينا ان لا نلاعنك وان نتركك على دينك ونثبت على ديننا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني انابذكم فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكنا نصالحك على ان لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الفا في صفر والفا في رجب فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان العذاب قد تدلى على اهل نجران ولو تلاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل الله نجران واهله حتى الطير على الشجر وما حال الحول على النصارى كلهم حتى هلكوا قال الكاشفي اي من آذاك بالحجة الباطلة من المدعين الكاذبين فادع عليهم دعوة الحق والانبساط ليهلكوا جميعا بدعوتك لاني خصصتك من بين الانبياء بالمقام المحمود واستجابة الدعوة في المحمود وقال جعفر الصادق هذه اشارة في اظهار المدعين لاهل

الحقائق لينتفعوا بهذه انوار التحقيق وبطلان ظلمات الدعاوي الكاذبة إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فَإِنْ تَوَلَّوْا اعرضوا عن الايمان فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ وعيد لهم بالعذاب المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ثم لما اورد النبي صلى الله عليه وسلم على نصارى نجران انواع الدلائل وانقطعوا ثم دعاهم الى المباهلة فخافوا وما شرعوا فيها وقبلوا الصغار بالجزية وقد كان حريصا على ايمانهم امره الله تعالى بنهج آخر من الكلام تشهد كل عقل سليم وطبع مستقيم انه كلام مبني على الانصاف وترك الجدال فقال قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ قال المفسرون قدم وفد نجران المدينة فالتقوا مع اليهود فاختصموا في ابراهيم عليه السلام فزعمت النصارى انه كان نصرانيا وهم على دينه واولى الناس به وقالت اليهود بل كان يهوديا وانهم على دينه واولى الناس به فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا الفريقين بريء من ابراهيم ودينه بل كان ابراهيم حنيفا مسلما وانا على دينه فاتبعوا دينه الاسلام فقالت اليهود يا محمد ما تريد الا ان نتخذك ربا كما اتخذ النصارى عيسى ربا وقالت النصارى يا محمد ما تريد الا ان نقول فيك ما قالت اليهود في عزير فانزل الله تعالى قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيه القرآن والتوريه والانجيل وهي أَنْ لَا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ كما فعلت اليهود والنصارى قال الله تعالى اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله وقال عكرمة هو سجود بعضهم لبعض اي لا نسجد لغير الله وقيل معناه لا نطيع احدا في معصية الله وعن الفضيل لا ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة عن عدي بن حاتم انه قال ما نعبدهم يا رسول الله قال اليس كانوا يحلون لكم ويحرمون عليكم فتأخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك رواه الترمذي وغيره قال ابن عطاء في قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم هو تحقيق التوحيد وقال الكاشفي هو افراد القدم من الحدوث والطهارة عن سمة العبودية والخروج عن رسم دعاوي البشرية ودفع النفس عن الالتفات الى الاكوان والتجلي بمحبة الرحمن الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا اي لا نتبع الهوى والدنيا وشهواتها ولا نلتفت الديار والسمعة الى غير الحق قال ابو عثمن اهلك طريق التعبد في هذه الآية وهو ان لا تطالع سرك عند اشتغالك بالعبادة سوى معبودك ولا تفزع في امر من امورك الى غيره فتتخذ بذلك ربا فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ وفيه تعريض بانهم كافرون حيث تولوا عن الحق بعد ظهوره عن ابن عباس ان ابا سفين اخبره ان هرقل ارسل اليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مادّ فيها ابا سفين وكفار قريش فاتوه وهم بايلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به مع دحية الى عظيم بصرى فدفعه الى هرقل

الى هرقل فقرأه

فقرأه فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام اسلم تسلم اسلم يؤتك الله اجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الاريسيين ويا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون ثم ان اليهود كانوا يقولون ان ابراهيم على ديننا والنصارى كانوا يقولون ذلك فابطل الله عليهم ذلك فقال يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ تزعمون انه كان على دينكم واديانكم اليهودية والنصرانية وقد حدثت اليهودية بعد نزول التوريه والنصرانية بعد نزول الانجيل وانما انزلت التورية والانجيل بعد ابراهيم بزمان طويل وكان بين ابراهيم وموسى الف سنة وبين موسى وعيسى الف سنة أَفَلَا تَعْقِلُونَ حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال قال الامام فان قيل فهذا ايضا لازم عليكم لانكم تقولون ان ابراهيم كان على دين الاسلام والاسلام انما انزل بزمان طويل فان قلتم المراد ان ابراهيم كان في اصول الدين على المذهب الذي عليه المسلمون الآن فنقول لم لا يجوز ايضا ان تقول اليهود ان ابراهيم كان يهوديا بمعنى انه كان على الدين الذي عليه اليهود وكون التوريه والانجيل نازلين من بعد ابراهيم لا ينافي ذلك والجواب ان القرآن اخبر ان ابراهيم كان مسلما حنيفا وليس في التوريه والانجيل ان ابراهيم كان يهوديا او نصرانيا فظهر الفرق هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ يعني يا هؤلاء انتم جادلتم فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ يعني في امر موسى وعيسى وادعيتم انا على دينهما وقد انزلت التوريه والانجيل عليكم فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وليس في كتابكم انه كان يهوديا او نصرانيا وقيل حاججتم فيما لكم به علم يعني في امر محمد لانهم وجدوا نعته في كتابهم فجادلوا فيه بالباطل فلم تحاجون في ابراهيم وليس في كتابكم ولا علم لكم به وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ثم برأ الله ابراهيم مما قالوا فقال مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ الحنيف المائل عن الاديان الباطلة كلها الى الدين المستقيم قال الكاشفي ما كان الخليل عليه السلام متعلقا بالتشبيه مثل اليهود ولا بالتنزيه مثل النصارى ولكن كان حنيفا مائلا عن الكون برؤية المكون مسلما منقادا عند جريان قضائه وقدره لارادته إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ اي من اتبعه في زمانه وَهَذَا النَّبِيُّ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وَالَّذِينَ آمَنُوا من هذه الامة وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ قال الشيخ الامام محيي السنة البغوي رضي الله عنه روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس ورواه محمد بن اسحق عن ابن شهاب باسناده حديث الهجرة لما هاجر جعفر بن ابي طالب واناس معه من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى الحبشة واستقرت بهم الدار وهاجر النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وكان من امر بدر ما كان اجتمعت قريش في دار الندوة وقالوا ان لنا في الذين عند النجاشي من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثارا ممن قتل منكم ببدر فاجمعوا مالا فاهدوه الى النجاشي لعله يدفع اليكم من عنده من قومكم ولينتدب لذلك رجلان من ذوي رايكم فبعثوا عمرو بن العاص

وعمارة بن ابي معيط مع الادم وغيره فركبا البحر واتيا الحبشة فلما دخلا على النجاشي سجدا له وسلما عليه وقالا ان قومنا لك ناصحون شاكرون ولصلاحك محبون وانهم بعثونا اليك لنحذرك هؤلاء الذين قدموا عليك لانهم قوم رجل كذاب خرج فينا يزعم انه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتابعه احد منا الا السفهاء وانا كنا قد ضيقنا عليهم الامر والجأناهم الى شعب بارضنا لا يدخل اليهم احد ولا يخرج منهم احد قد قتلهم الجوع والعطش فلما اشتد عليه الامر بعث اليك ابن عمه ليفسد عليك دينك وملكك ورعيتك فاحذرهم وادفعهم الينا لنكفيكهم قالوا وآية ذلك انهم اذا دخلوا عليك لا يسجدون لك ولا يحيونك بالتحية التي يحييك بها الناس رغبة عن دينك وسنتك فدعاهم النجاشي فلما حضروا صاح جعفر بالباب يستأذن عليك حزب الله فقال النجاشي مروا هذا الصائح فليعد كلامه ففعل جعفر فقال النجاشي نعم فليدخلوا بامان الله وذمته فنظر عمرو بن العاص الى صاحبه فقال الا تسمع كيف يرطنون بحزب الله وما اجابهم به النجاشي فساءهما ذلك ثم دخلوا عليه فلم يسجدوا له فقال عمرو بن العاص الا ترى انهم يستكبرون ان يسجدوا لك فقال لهم النجاشي ما منعكم ان تسجدوا لي وتحيوني بالتحية التي يحييني بها من اتاني من الآفاق قالوا نسجد لله الذي خلقك وملكك وانما كانت تلك التحية لنا ونحن نعبد الاوثان فبعث الله فينا نبيا صادقا وامرنا بالتحية التي رضيها الله وهي السلام تحية اهل الجنة فعرف النجاشي ان ذلك حق وانه في التوريه والانجيل قال ايكم الهاتف يستأذن عليك حزب الله قال جعفر انا قال فتكلم قال انك ملك من ملوك الارض ومن اهل الكتاب ولا يصلح عندك كثرة الكلام ولا الظلم وانا احب ان اجيب عن اصحابي فمر هذين الرجلين فليتكلم احدهما ولينصت الآخر فتسمع محاورتنا فقال عمرو لجعفر تكلم فقال جعفر للنجاشي سل هذين الرجلين أعبيد نحن ام احرار فان كنا عبيدا أبقنا من اربابنا فارددنا اليهم فقال النجاشي أعبيد هم ام احرار فقال بل احرار كرام فقال النجاشي نجوا من العبودية ثم قال جعفر سلهما هل اهرقنا دما بغير حق فيقتص منا فقال عمرو لا ولا قطرة قال جعفر سلهما هل اخذنا اموال الناس بغير حق فعلينا قضاؤها قال النجاشي ان كان قنطارا فعلي قضاؤه فقال عمرو لا ولا قيراطا قال النجاشي فما تطلبون منهم قال عمرو كنا وهم على دين واحد وامر واحد على دين آبائنا فتركوا ذلك واتبعوا غيره فبعثنا اليك قومهم لتدفعهم الينا فقال النجاشي ما هذا الدين الذي كنتم عليه والدين الذي اتبعتموه اصدقني قال جعفر اما الدين الذي كنا عليه فتركناه فهو دين الشيطان كنا نكفر بالله ونعبد الحجارة واما الدين الذي تحولنا اليه فدين الله الاسلام جاءنا به من الله رسول وكتاب مثل كتاب ابن مريم موافقا له فقال النجاشي يا جعفر تكلمت بامر عظيم فعلى رسلك ثم امر النجاشي فضرب بالناقوس فاجتمع اليه كل قسيس وراهب فلما اجتمعوا عنده قال النجاشي انشدكم الله الذي انزل الانجيل على عيسى هل تجدون بين عيسى وبين يوم القيمة نبيا مرسلا فقالوا اللهم نعم قد بشرنا به عيسى وقال

من آمن به

يرطنون الرطانة الكلام بالعجمية

فقال افعل كذا على رسلك بالكسر اي اتئد فيه كما يقال على هينتك

من آمن به فقد آمن بي ومن كفر به فقد كفر بي فقال النجاشي لجعفر ماذا يقول لكم هذا الرجل وما يأمركم به وما ينهاكم عنه فقال يقرأ علينا كتاب الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويأمر بحسن الجوار وصلة الرحم وبر اليتيم ويأمرنا بان نعبد الله وحده لا شريك له فقال اقرأ علي مما يقرأ عليكم فقرأ عليهم سورة العنكبوت والروم ففاضت عينا النجاشي واصحابه من الدمع وقالوا زدنا يا جعفر من هذا الحديث الطيب فقرأ عليهم سورة الكهف فاراد عمرو ان يغضب النجاشي فقال انهم يشتمون عيسى وامه فقال النجاشي ما تقولون في عيسى وامه فقرأ عليهم جعفر سورة مريم فلما اتى على ذكر مريم وعيسى رفع النجاشي نفثة من سواكه قدر ما يقذى به العين قال والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا ثم اقبل على جعفر واصحابه فقال اذهبوا فانتم سيوم بارضي يقول آمنون من سبكم او اذاكم غرم ثم قال ابشروا ولا تخافوا فلا دهورة اليوم على حزب ابراهيم قال عمرو يا نجاشي ومن حزب ابراهيم قال هؤلاء الرهط وصاحبهم الذي جاؤوا من عنده ومن اتبعهم فانكر ذلك المشركون وادعوا في دين ابراهيم ثم رد النجاشي على عمرو وصاحبه المال الذي حملوه وقال انما هديتكم الي رشوة فاقبضوها فان الله ملكني ولم يأخذ مني رشوة قال جعفر فانصرفنا فكنا في خير دار واكرم جوار وانزل الله ذلك اليوم على رسوله صلى الله عليه وسلم في خصومتهم في ابراهيم وهو بالمدينة قوله ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين قال جعفر الصادق رضي الله عنه الذين اتبعوه في شرايعهم ومناسكهم وهذا النبي لقرب حال ابراهيم من حال النبي صلى الله عليه وسلم وشريعته من شريعته دون ساير الانبياء وساير الشرايع والذين آمنوا لقرب حالهم من حال ابراهيم والله ولي المؤمنين في تشريفهم الى بلوغ مقام الخليل والقرب منه في درجة المحبة لقوله تعالى يحبهم ويحبونه ثم لما بين ان من طريقة اهل الكتاب العدول عن الحق والاعراض عن قبول الحجة بين انهم لا يقتصرون على هذا القدر فقال وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ والآية نزلت في معاذ بن جبل وحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر حين دعاهم اليهود الى دينهم فنزلت ودت طائفة اي تمنت جماعة من اهل الكتاب يعني اليهود لَوْ يُضِلُّونَكُمْ عن دينكم ويردونكم الى الكفر وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم وَمَا يَشْعُرُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ يعني القرآن وبيان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ان نعته في التوريه والانجيل مذكور يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ اي التورية التي انزلت على موسى بالباطل الذي حرفتموه وكتبتموه بايديكم وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ان محمدا رسول الله ودينه حق ثم اشار الى نوع آخر من تلبيساتهم فقال وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا قال الحسن والسدي تواطأ اثنا عشر حبرا من يهود خيبر وقرى عرينة وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول النهار باللسان دون الاعتقاد ثم اكفروا آخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك وظهر لنا كذبه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه في دينهم واتهموه وقالوا انهم

اهل الكتاب وهم اعلم به منا فيرجعون عن دينهم وقال مجاهد ومقاتل والكلبي هذا في شان القبلة لما صرفت الى الكعبة شق ذلك على اليهود فقال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بالذي نزل على محمد من امر الكعبة وصلوا اليها اول النهار ثم اكفروا وارجعوا الى قبلتكم آخر النهار لعلهم يقولون هؤلاء اهل الكتاب وهم اعلم فيرجعون الى قبلتنا فاطلع الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم على سرهم وانزل وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار اوله سمي وجها لانه احسنه واول ما يواجه الناظر فيراه واكفروا آخره لعلهم يرجعون عن دينهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم هذا متصل بالاول من قول اليهود بعضهم لبعض اي لا تصدقوا ولا تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لمن تبع اليهودية ووافق ملتكم فهو متعلق بقوله ان يؤتى احد وقوله تعالى قل ان الهدى هدى الله جملة معترضة وخبر من الله المعنى هو الذي يهدي المؤمنين الى الايمان من شاء بيديه ولم ينفعكم كيدكم وحيلتكم او المعنى ان الذي انتم عليه انا صار دينا بحكم الله وامره فاذا امر بدين آخر وجب اتباعه والانقياد لحكمه لانه هو الذي هدى اليه وامر به ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من العلم والحكمة والكتاب والآيات والكرامات ارادوا اسروا تصديقكم بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا تزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى قال صاحب الكشاف اي ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم بالحق ويغالبونكم عند الله بالحجة وقال غيره نقلا عن مجاهد المعنى ولا تؤمنوا بان يحاجوكم عند ربكم لانكم اصح دينا منهم فلا تكون لهم الحجة عليكم عند الله عز وجل قل ان الفضل قال ابن عباس يريد ما تفضل به عليك وعلى امتك بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء قال ابن عباس بدينه وقال مجاهد والربيع بنبوته وقال ابن جريج بالقرآن والاسلام قال سهل من نال الهداية والقربة ناطها بربه لا بنفسه والله ذو الفضل العظيم ثم انه تعالى لما حكى في الاية المتقدمة قبائح احوالهم فيما يتعلق بالاديان وهو انهم قالوا لا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم حكى في هذه الآية بعض قبائح احوالهم فيما يتعلق بالاعمال وهو اصرارهم على الخيانة والظلم واخذ اموال الناس في القليل والكثير فقال ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك القنطار عبارة عن المال الكثير قال مقاتل هم مؤمنو اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك والدينار عبارة عن المال القليل قال مقاتل يعني كفار اليهود كعب بن الاشرف واصحابه قال ابن عباس اودع رجل من قريش عبد الله بن سلام الفا ومائتي اوقية من ذهب فاداها اليه واستودع رجل من قريش فنحاص بن عازوراء دينارا فخانه وجحده وقيل اهل الامانة هم النصارى واهل الخيانة هم اليهود الا ما دمت عليه قائما قال ابن عباس ملحا يريد تقوم عليه تطالبه بالالحاح ذلك الاستحلال والخيانة بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل اي في مال العرب

ثم وحرج

اثم وحرج وذلك ان اليهود قالوا اموال العرب حلال لنا لانهم ليسوا على ديننا ولا حرمة لهم في كتابنا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم في دينهم قال الحسن وابن جريج ومقاتل بايع اليهود رجالا من المسلمين في الجاهلية فلما اسلموا تقاضوا بقية اموالهم فقالوا ليس لكم علينا حق ولا عندنا قضاء لانكم تركتم دينكم وانقطع العهد بيننا وبينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم فكذبهم الله عز وجل وقال عز من قال ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ثم قال ردا عليهم بلى اي ليس كما قالوا بل عليهم سبيل ثم ابتدأ فقال من اوفى بعهده اي بعهد الله الذي عهد اليه في التورية من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن واداء الامانة واتقى الكفر والخيانة ونقض العهد فان الله يحب المتقين ويجوز ان يكون الضمير الذي في قوله بعهده راجعا الى من اوفى ويكون المعنى كل من وفى بما عاهد عليه واتقى الله تعالى في ترك الخيانة والغدر فان الله تبارك وتعالى يحبه وعلى كل تقدير فالجملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها عن عبد الله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها اذا اؤتمن خان واذا حدث كذب واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر ثم لما وصف اليهود بالخيانة في اموال الناس ومن المعلوم ان الخيانة في اموال الناس لا تتمشى الا بالايمان الكاذبة لاجرم ذكر عقيب تلك الآية هذه الآية المشتملة على وعيد من يقدم بالايمان الكاذبة فقال ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا قال عكرمة نزلت في رؤس اليهود كتموا ما عهد الله اليهم في التورية في شان محمد صلى الله عليه وسلم وبدلوه وكتبوا بايديهم غيره وحلفوا انه من عند الله لئلا يفوتهم المآكل والرشى التي كانت لهم من اتباعهم وعن عبد الله بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حلف على مال امرئ مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان قال عبد الله ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مصداقه من كتاب الله عز وجل ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الى آخر الآية متفق عليه وعن عبد الله بن ابي اوفى ان رجلا اقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد اعطى بها ما لم يعط ليوقع فيها رجلا من المسلمين فنزلت ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا الآية وعن عدي الكندي قال خاصم رجل من كندة يقال له امرؤ القيس بن عابس رجلا من حضرموت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ارض فقضى على الحضرمي بالبينة فلم يكن له بينة فقضى على امرئ القيس باليمين فقال الحضرمي امكنته من اليمين يا رسول الله ذهبت او ورب الكعبة ذهبت ارضي فقال النبي صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال احد لقي الله عز وجل وهو عليه غضبان وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا فقال امرؤ القيس ماذا لمن تركها يا رسول الله فقال الجنة قال فاشهد اني تركتها له كلها رواه الامام احمد والنسائي والاقرب حمل الآية على الكل فانه يدخل في عهد الله جميع ما امر الله وجميع العهود والمواثيق المأخوذة من جهة الرسل ويدخل فيه ما يلزم الرجل نفسه من عهد وميثاق

يوم القيمة م

والمعنى ان الذين يستبدلون بعهد الله وايمانهم الكاذبة ثمنا قليلا اي متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك اولئك لا خلاق لهم لا نصيب لهم في الآخرة ونعيمها ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي الله وهو عليه غضبان ولا يزكيهم ولا يطهرهم من الذنوب ولهم عذاب اليم عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلثة لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم قال فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث مرات فقال ابو ذر خابوا وخسروا من هم يا رسول الله قال المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب رواه مسلم وغيره وعن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اقتطع حق امرء مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة واوجب له النار قالوا يا رسول الله وان كان شيئا يسيرا قال وان كان قضيبا من اراك رواه مسلم وان منهم يعني من اهل الكتاب لفريقا طائفة وهم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وابو ياسر وشعبة بن عمرو الشاعر يلوون السنتهم بالكتاب يعطفون السنتهم بالتحريف والتغيير وهو ما غيروا من صفة النبي صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وغير ذلك يقال لوى لسانه عن كذا اي غيره لتحسبوه اي لتظنوا ما حرفوا من الكتاب الذي انزله الله تعالى وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون انهم كاذبون كذا روي عن مجاهد والشعبي والحسن وقتادة والربيع بن انس ورواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما وقال وهب بن منبه ان التورية والانجيل كما انزلهما الله تعالى لم يغير منهما حرف ولكنهم يضلون بالتحريف والتأويل وكتب كانوا يكتبونها من عند انفسهم ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله فاما كتب الله عز وجل فانها محفوظة قال الشيخ ابن الكثير فان عنى وهب ما بايديهم من ذلك فلا شك انه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص واما تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطاء كثير وزيادات كثيرة ونقصان ووهم فاحش وهو من باب تفسير المعبر المعرب وفهم كثير منهم بل اكثرهم بل جميعهم فاسد واما ان عنى كتب الله التي هي كتبه عنده فتلك كما قال محفوظة لم يدخلها شيء وعن ابن عباس ان الاية نزلت في اليهود والنصارى جميعا ذلك انهم حرفوا التورية والانجيل والحقوا بكتاب الله ما ليس منه ثم لما بين ان عادة علماء اهل الكتاب التحريف والتبديل اتبعه بما يدل على ان في جملة ما حرفوه ما زعموا ان عيسى كان يدعي الالهية وانه امر قومه بعبادته فقال ما كان لبشر قال مقاتل والضحاك يعني عيسى عليه السلام وذلك ان نصارى نجران كانوا يقولون ان عيسى امرهم ان يتخذوه ربا فقال تعالى ما كان لبشر ان يؤتيه الكتاب الانجيل وقال ابن عباس وعطاء ما كان لبشر يعني محمدا والمراد بالكتاب القرآن وذلك ان ابا رافع القرظي من اليهود والرئيس من نصارى اهل نجران قالا يا محمد تريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان

نأمر بعبادة

فوق الاحبار والاحبار العلماء والربانيون ثم

الكتاب م

اعلم ان المقصود من هذه الايات تعديد الاشياء المعروفة عند اهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قطعا للعذر والحاحا للخصام م

نأمر بعبادة غير الله ما بذلك بعثني الله ولا بذلك امرني فانزل الله تعالى هذه الاية ما كان لبشر كقوله تعالى ما يكون لنا ان نتكلم بهذا اي ما ينبغي لنا والحكم الفهم والعلم وقيل امضاء الحكم عن الله عز وجل قال صاحب الكشاف الحكمة وهي السنة والنبوة والمنزلة الرفيعة بالانبياء ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ولكن يقول كونوا ربانيين قال امير المؤمنين علي وابن عباس وابن عباس رضي الله عنهما والحسن كونوا فقهاء علماء وعن امير المؤمنين علي رضي الله عنه انه قال هو الذي يربي علمه بعمله وهو المنقول عن سعيد بن جبير فانه قال انه العالم الذي يعمل بعلمه وعنه عن ابن عباس انه قال فقهاء معلمين وقيل الرباني الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره وقال قتادة حكماء علماء وقال عطاء علماء حكماء نصحاء لله في خلقه وقيل الربانيون الذين جمعوا مع العلم البصارة لسياسة الناس كما يقال رباني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته قال محمد بن الحنفية يوم مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة قال الرباني هو العالم بالله والعالم بامر الله والمكاشف له من العلوم اللدنية ما غاب عن غيره وقال ايضا الرباني الذي لا يختار على ربه حالا وقال محمد بن عباس الكلبي كونوا كابي بكر الصديق فانه لما مات محمد صلى الله عليه وسلم اضطرب الاسرار كلها لموته ولم يؤثر ذلك في سر ابي بكر فقال من كان منكم يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت بما كنتم تعلمون وبما كنتم تدرسون قرأ تعلمون بالتخفيف والتشديد وكذا تدرسون فالرباني من علم وعمل بما علم وعلم قال صاحب الكشاف اوجب ان يكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكدّ وجه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل ولا يأمركم قرئ بنصب الراء عطفا على قوله ثم يقول اي ولا ان يأمركم ذلك البشر وقرئ بالرفع معناه ولا يأمركم الله وقال ابن جريج وجماعة ولا يأمركم محمد ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كفعل قريش والصابئين حيث قالوا الملائكة بنات الله واليهود والنصارى حيث قالوا في المسيح وعزير ما قالوا أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون قاله على طريق التعجب والانكار يعني لا يقول هذا واذ اخذ الله ميثاق النبيين قال الزجاج موضع اذ نصب المعنى واذكر في اقاصيصك اذ اخذ الله وقال الطبري معناه واذكروا يا اهل الكتاب اذ اخذ الله ميثاق النبيين واختلفوا في المعنى بهذه الاية فذهب قوم الى ان الله تعالى اخذ الميثاق من النبيين قبل ان يبلغوا كتاب الله ورسالاته الى عباده ان يصدق بعضهم بعضا واخذ العهد على كل نبي ان يؤمن بمن يأتي بعده من الانبياء وينصره ان ادركه وان لم يدركه ان يأمر قومه بنصرته ان ادركوه فاخذ الميثاق من موسى ان يؤمن بعيسى ومن عيسى ان يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين وهذا قول سعيد بن جبير والحسن وطاوس وقيل انما اخذ الميثاق من النبيين في امر محمد صلى الله عليه وسلم خاصة وهو قول علي وابن عباس وقتادة والسدي لما آتيتكم من كتاب وحكمة قرئ بكسر اللام من لما وفتحها مع التخفيف

فعلى الاول معناه اخذ ميثاق النبيين لاجل الذى اتاهم من الكتاب والحكمة ثم لاجل مجئ رسول مصدق
لما معكم لتؤمنن به وعلى الثانى فمعناه للذى اتيتكم واللام فيه لام توطيه القسم لان اخذ الميثاق فى معنى
الاستحلاف وفى لتؤمنن لام جواب القسم ومعناه والله للذى اتيتكموه من الكتاب والحكمة ثُمَّ جَاءَكُمْ
رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قال بعضهم اراد اخذ الله الميثاق على النبيين وامهم جميعا
فى امر محمد صلى الله عليه وسلم فاكتفى بذكر الانبياء لان العهد مع المتبوع عهد على الاتباع قال ابن عباس
قال امير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه لم يبعث الله نبيا آدم ومن بعده الا اخذ عليه العهد
فى امر محمد واخذ العهد على قومه لتؤمنن به ولئن بعث وهم احياء لينصرنه قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ اى قال الله
للنبيين اقررتم بالايمان به والنصرة له وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي اى قبلتم على ذلك عهدى والاصر
العهد الثقيل قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا اى قال الله تعالى للنبيين اشهدوا انتم على انفسكم وعلى اتباعكم
وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ عليكم وعليهم فَمَنْ تَوَلَّى اعرض عن الايمان بَعْدَ ذَلِكَ اخذ الميثاق والاقرار
وبعد الايات الظاهرة فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ الخارجون عن الايمان ثم لما بين فى الآية الاولى ان الايمان
بمحمد صلى الله عليه وسلم شرع شرعه الله تعالى واوجبه على جميع من مضى من الانبياء والامم لزم ان كل
من كره ذلك فانه يكون طالبا دينا غير دين الله فقال أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ اختلف اهل الكتاب فادعى
كل واحد انه على دين ابراهيم واختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم
كلا الفريقين برئ من دين ابرهيم عليه السلام فغضبوا وقالوا لا نرضى بقضائك ولا ناخذ بدينك فانزل
الله تعالى افغير دين الله يبغون وَلَهُ أَسْلَمَ خضع وانقاد مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا
قال الحسن اسلم اهل السموات طوعا واسلم من فى الارض بعضهم طوعا وبعضهم كرها خوفا من
السبى والسيف وقيل لا سبيل لاحد من الخلق الى الامتناع على الله فى مراده فاما المسلم فينقاد
لله تعالى فيما امره به او نهاه عنه طوعا واما الكافر فينقاد لله كرها فى جميع ما يقضى عليه ولا يمكنه
دفع قضاءه وقدره عنه وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ يوم المعاد فيجازى كلا بعمله ثم لما ذكر فى الآية المتقدمة
انه انما اخذ الميثاق على الانبياء فى تصديق الرسول الذى ياتى مصدقا لما معهم بين فى هذه الآية
ان من صفة محمد صلى الله عليه وسلم كونه مصدقا لما معهم فقال قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا
يعنى القرآن وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ اى من الصحف والوحى
وَالْأَسْبَاطِ وهم بطون بنى اسرائيل المتشعبة من اولاد اسرائيل وهو يعقوب الاثنى عشر وَ
مَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى يعنى بذلك التورية والانجيل وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ
بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ وهذا يعم جميع الانبياء وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ
يُقْبَلَ مِنْهُ نزلت فى اثنى عشر رجلا ارتدوا عن الاسلام وخرجوا من المدينة واتوا مكة كفارا منهم

الحرث بن سويد الانصارى فنزل فيهم ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ قال الكاشف من حرم مشاهده الربوبيه بنعت العبوديه لم يكشف له مقامات
الصديقين والمقربين وايضا اصل جميع الحقايق منوط بالاسلام والانقياد عند مراد الحق والا شاده
فيه ان من لا يصبر فى بلاء الحق ويخرج عند نزول المصايب الى غير الله لم يقبل منه شئ من المعاملات
والمجاهدات وقال القسم من ياخذ غير الانقياد طريقا فى التعبد لم يصل الى شئ من حقيقته العبودية
وقال مجاهد من لم يقيد افعاله بالسنة لا يقبل منه عمل ثم لما عظم امر الاسلام والايمان بقوله تعالى ومن
يبتغ غير الاسلام دينا الآية اكد ذلك التعظيم بان بين وعيد من ترك الاسلام فقال كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ
قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ اى لا يهدى الله وقيل معناه كيف يهديهم الله فى الاخرة الى الجنة والثواب
وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ
لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا وذلك ان الحارث بن سويد لما لحق بالكفار ندم فارسل الى قومه ان سلوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم هل لى من توبة ففعلوا ذلك فانزل الله الا الذين تابوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ لما كان منه فحملها اليه رجل من قومه وقراها عليه فقال الحارث انك والله ما علمت لصدوق
وان رسول الله صلى الله لاصدق منك وان الله عز وجل لاصدق الثلاثه فرجع الحرث الى المدينة و
اسلم وحسن اسلامه إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا قال قتاده والحسن نزلت فى اليهود
كفروا بعيسى عليه السلام والانجيل بعد ايمانهم بانبيائهم ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم
والقرآن وقال ابو العاليه نزلت فى اليهود والنصارى كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما راوه بعد ايمانهم
بنعته وصفته فى كتبهم ثم ازدادوا كفرا يعنى ذنوبا فى حال كفرهم قال الكلبى نزلت فى الاحد عشر من اصحاب
الحارث بن سويد لما رجع الحارث الى الاسلام اقاموا على الكفر وقالوا نقيم على الكفر ما بدا لنا فمتى اردنا
الرجعة فينزل فينا ما نزل فى الحارث فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فمن دخل منهم فى الاسلام
قبلت توبته ونزل فيمن مات منهم كافرا ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار الآية فان قيل قد وعد الله قبول
توبة من تاب فما معنى قوله لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ قيل لن تقبل توبتهم اذا وقعوا فى الحشرجة كما قال وليست
التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال انى تبت الآن الآية وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ اى قدر ما يملا الارض من
شرقها الى غربها ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ اى لا يقبل منه فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا او لن يقبل
منه ملء الارض ذهبا ولو افتدى بمثله وقد يحذف المثل فى الكلام مثل قضيه ولا ابا حسن لها
عن انس بن مالك عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى لاهون اهل النار عذابا

يوم القيمة لو ان لك ما فى الارض من شئ كنت تفتدى به فيقول نعم فيقول الله تعالى اردت
منك اهون من هذا وانت فى صلب آدم ان لا تشرك بى شيئا فابيت الا ان تشرك بى رواه الشيخان
وغيرهما وفى مسند الامام احمد عن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يؤتى بالرجل من اهل الجنه فيقول له يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول اى رب خير منزل فيقول
سل وتمن فيقول ما اسال واتمنى الا ان تردنى الى الدنيا فاقتل فى سبيلك عشر مرات لما يرى
من فضل الشهاده ويؤتى بالرجل من اهل النار فيقول له يا ابن آدم كيف وجدت منزلك فيقول اى
رب شر منزل فيقول له اتفتدى منه بطلاع الارض ذهبا فيقول اى رب نعم فيقول كذبت قد
سئلت اقل من ذلك وايسر فلم تفعل فيرد الى النار ولهذا قال أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ
مِنْ نَاصِرِينَ ثم لما بين ان الانفاق لا ينفع الكافر اعلم المؤمنين كيفيه الانفاق الذى ينتفعون به
فى الآخرة فقال لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ لن تبلغوا حقيقه البر ولن تكونوا ابرارا على ما ذكره الحسن وغيره
قال مقاتل بن حيان التقوى وقيل الطاعة وقيل الخير او لن تنالوا بر الله وثوابه قال ابن عباس
وابن مسعود ومجاهد يعنى جنة حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ قال الحسن كل انفاق يبتغى بها المسلم وجه
الله حتى التمرة ينال بها هذا البر وروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما ان المراد منه اداء
الزكوة وقال عطاء لن تنالوا شرف الدين والتقوى حتى تتصدقوا وانتم اصحاء اشحاء عن انس
بن مالك انه كان ابو طلحه اكثر انصارى بالمدينه مالا وكان احب امواله بيرحا وكان مستقبلة
المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب قال انس فلما نزلت
هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قام ابو طلحه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول ان الله تعالى فى كتابه يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان احب اموالى
الى بيرحاء وانها صدقة لله ارجو برها وذخرها عند الله فضعها يا رسول الله حيث شئت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت فيها انى ارى ان
تجعلها فى الاقربين فقال ابو طلحه افعل يا رسول الله فقسمها ابو طلحه فى اقاربه وبنى عمه وروى
عن مجاهد قال كتب عمر بن الخطاب رضى الله الى ابى موسى الاشعرى ان يبتاع له جاريه من سبى
جلولاء يوم فتحت فدعا بها فاعجبته فقال ان الله عز وجل يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون
فاعتقها عمر وعن حمزة بن عبد الله بن عمر قال خطرت على قلب عبد الله بن عمر هذه الآية لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون قال ابن عمر فذكرت ما اعطانى الله عز وجل فما كان شئ احب الى من فلانه
هى حرة لوجه الله عز وجل وقال لولا انى لا اعود فى شئ جعلته لله لنكحتها وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ
فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ يعلمه ويجازى به قال جعفر الصادق رضى الله عنه بانفاق المحبوب يصل العبد

الى بر حبيبه وقرب مولاه قال الله تعالى لن تنالوا البر الآية وقال لن تنالوا الحق حتى تنفصلوا عما دونه
وقال ابو عثمان لن يصل الى مقامات الخواص من بقى عليه شئ من اداب النفوس ورياضتها وقال
الواسطى الوصول الى البر بانفاق بعض المحاب والوصول الى البار بالتخلى من الكونين وما فيهما و
قال النصرابادى اقرب لك باستنفاقه المحاب منك ليكون خالصا فى محبته لا تلتفت منه الى شئ
سواه وقال ابن عطاء لن تنالوا وصلتى وفى اسرارك موافقه او صحبة لسواى كُلُّ الطَّعَامِ كل
انواع الطعام كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ
اعلم الآيات المتقدمه الى هذه الآية كانت فى تقرير الدلايل الداله على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وفى توجيه الالزامات الوارده على اهل الكتاب فى هذا الباب واما هذه الآية ففى بيان الجواب عن شبهات
القوم وسبب نزول هذه الآية ان اليهود قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك تزعم انك على ملة
ابرهيم وكان ابرهيم لا ياكل لحوم الابل والبانها وانت تاكلها فلست على ملته فقال النبى صلى الله عليه
وسلم كان ذلك حلالا لابرهيم فقالوا كل ما نحرمه اليوم كان ذلك حراما على نوح وابرهيم حتى انتهى
الينا فانزل الله تعالى هذه الاية كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل يريد سوى الميته والدم فانه
لم يكن حلالا قط الا ما حرم اسرائيل على نفسه وهو يعقوب عليه السلام من قبل ان تنزل التوريه يعنى
ليس الامر على ما قالوا من حرمة لحوم الابل والبانها على ابرهيم بل كان الكل حلالا له ولبنى اسرائيل وانما
حرمها اسرائيل على نفسه قبل نزول التوريه يعنى ليست فى التوريه حرمتها واختلفوا فى الطعام الذى
حرمه يعقوب على نفسه وفى سببه قال ابو العاليه وعطاء ومقاتل والكلبى كان ذلك الطعام لحمان
الابل والبانها روى ان يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه فنذر لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن
احب الطعام والشراب اليه وكان احب الطعام اليه لحمان الابل واحب الشراب اليه البانها فحرمها وقال
ابن عباس ومجاهد وقتاده والسدى والضحاك هى العروق وكان السبب فى ذلك انه اشتكى عرق النسا
وكان اصل وجعه فيما روى جويبر ومقاتل عن الضحاك ان يعقوب كان نذر ان وهبه الله اثنى عشر ولدا
واتى بيت المقدس صحيحا ان يذبح اخرهم فتلقاه ملك من الملائكه فقال يا يعقوب انك رجل قوى فهل لك
فى الصراع فعالجه فلم يصرع واحد منهما صاحبه فغمز الملك غمزة فعرض له عرق النسا من ذلك ثم قال له
اما انى لو شئت ان اصرعك لفعلت ولكن غمزتك هذه الغمزة لانك كنت نذرت ان اتيت بيت المقدس صحيحا
تذبح اخر ولدك فجعل الله لك بهذه الغمزة من ذلك مخرجا فلما قدمها يعقوب اراد ذبح ولده و
نسى قول الملك فاتاه الملك وقال انما غمزتك للمخرج وقد وفى نذرك فلا سبيل لك الى ولدك وقال
ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى اقبل يعقوب من حران يريد بيت المقدس حين هرب
من اخيه عيصو وكان رجلا بطيشا قويا فلقيه ملك فظن يعقوب انه لص فعالجه ان يصرعه

فوق الملك فخذ يعقوب ثم صعد الى السماء ويعقوب عليه السلام ينظر اليه فهاج به عرق النساء
ولقى من ذلك بلاء وشدة وكان لاينام بالليل من الوجع ويبيت وله زقاء اى صياح
فحلف يعقوب لئن شفاه الله ان لاياكل عرقا ولا طعاما فيه عرق فحرمه على نفسه وكان بنوه
بعد ذلك يتبعون العروق يخرجونها من اللحم وروى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس
لما اصاب يعقوب عرق النساء وصف له الاطباء ان يجتنب لحمان الابل فحرمها يعقوب على نفسه
وقال الحسن حرم اسرائيل على نفسه لحم الجزور تعبدا لله عز وجل فسأل ربه ان يجيز ذلك له
فحرمه الله على ولده ثم اختلفوا فى حال هذا الطعام المحرم على بنى اسرائيل بعد نزول التورية
قال السدى حرم الله عليهم فى التورية ما كانوا يحرمونه قبل نزولها وقال عطية انما كان محرما
عليهم بتحريم اسرائيل فانه كان قد قال ان عافانى الله لا ياكله لى ولد ولم يكن محرما عليهم فى التورية
وقال الكلبى لم يحرمه الله عليهم فى التورية وانما حرم عليهم بعد التورية بظلمهم كما قال الله تعالى
فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقال الله تعالى وعلى الذين هادوا
حرمنا الى ان قال ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون وكانت بنو اسرائيل اذا اصابوا ذنبا
عظيما حرم الله عليهم طعاما طيبا او صب عليهم رجزا وهو الموت وقال الضحاك لم يكن شئ من
ذلك حراما عليهم ولا حرمه الله فى التورية وانما حرموه على انفسهم اتباعا لابيهم ثم اضافوا
تحريمه الى الله عز وجل فكذبهم الله عز وجل فقال قل يا محمد فَأْتُوا بِالتَّوْرٰيةِ فَاتْلُوهَا حتى يتبين
انه كما قلتم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فلم ياتوا فقال الله عز وجل فَمَنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ الْكَذِبَ مِنْ
بَعْدِ ذٰلِكَ فَاُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ قُلْ صَدَقَ اللّٰهُ تعريض بكذبهم اى صدق الله وانتم الكاذبون
فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ اِبْرٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قال الكاشف ملة ابرهيم عليه السلام السوق
والمحبة والخلة والفتوة والمروة والشجاعة والسخاوة والحلم والامانة والديانة والكرامة
واكرام الضيف والصبر فى البلاء والشكر فى النعماء والهجرة والخروج عما سوى الله بالكلية والعزم
والتاقة والصدق والاخلاص والتوحيد والتجريد والتفريد والسماح والوجد والاتصاف
بصفات الحق مرحيث رسوم البشرية هذه الخصال صار اماما للعارفين والعالمين فامر الله
تعالى احب عباده متابعته وموافقته فى جميع احواله ومن زاغ عن طريقته ولو درة فيكون
مكون النعى له صنما قال الله تعالى ومن يرغب عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه و
ما كان من المشركين لا يميل من الحق الى جبريل عليه السلام حيث عرض عليه النداء وقال
الك الى حاجة فقال اما اليك فلا ولا يداهن فى دينه لمحبة ابويه وقال انى برئ مما تشركون
وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين وكسر اصنام الكفرة نفاس الحميد فكره الله تعالى وقال

فجعلهم جذاذا او يذل فى محبته الاموال والاولاد ولايخاف فى الله لومة لائم لاجل ذلك قال فاتبعوا
ملة ابرهيم حنيفا ثم اشار الى الجواب عن شبهة اخرى من شبه اليهود فى انكار نبوة محمد صلى الله عليه
وسلم وذلك لانه عليه السلام لما حول القبلة الى الكعبة طعن اليهود فى نبوته وقالوا ان بيت المقدس
افضل من الكعبة واحق بالاستقبال وذلك لانه وضع قبل الكعبة وهو ارض المحشر وقبلة جملة الانبياء
واذا كان كذلك كان تحويل القبلة منه الى الكعبة باطلا فبين الله تعالى ان الكعبة اشرف من بيت المقدس
فكان جعله قبلة اولى فقال إِنَّ اَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ واختلف العلماء فى قوله تعالى ان اول بيت وضع
للناس فقال بعضهم هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه الله قبل الارض
بالفى عام وكانت زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض من تحته هذا قول عبد الله بن عمرو ومجاهد
وقتادة والسدى وقال بعضهم هو اول بيت بنى في الارض وروى عن على بن الحسين ان الله
تعالى وضع تحت العرش بيتا وهو البيت المعمور وامر الملائكة ان يطوفوا به ثم امر الملائكة الذين
هم سكان الارض ان يبنوا فى الارض بيتا على مثاله وقدره فبنوا واسمه الضراح وامر من فى الارض
ان يطوفوا به كما يطوف اهل السماء بالبيت المعمور وروى ان الملائكة بنوه قبل خلق آدم عليه السلام
بالفى عام فكانوا يحجونه فلما حجه آدم قالت الملائكة بر حجك حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام ويروى
عن ابن عباس انه قال انه اراد به انه اول بيت وضع بناه آدم فى الارض وقيل اول بيت جعل
قبلة للناس قال الضحاك اول بيت وضع فيه البركة قال الحسن والكلبى معناه اول مسجد ومتعبد
وضع للناس يروى ذلك عن امير المومنين على رضى الله عنه فى الصحيحين عن ابى ذر انه
قال قلت يا رسول الله اى مسجد وضع فى الارض اول قال المسجد الحرام قلت ثم اى قال المسجد
الاقصى قلت كم كان بينهما قال اربعون سنة ثم قال اينما ادركتك الصلوة بعد فصله فان الفضل
فيه لَلَّذِي بِبَكَّةَ قال جماعة هى مكة نفسها وهو قول الضحاك والعرب تعاقب بين الباء والميم
تقول ضربة لازم ولازب وقال الآخرون بكة موضع البيت ومكة اسم البلد كله وقيل بكة
اسم لموضع البيت والمطاف وسميت بكة لان الناس يتباكون فيها اى يزدحمون يبك بعضهم
بعضا ويصلى بعضهم بين يدى بعض وقال عبد الله بن الزبير سميت بكة لانها تبك اعناق
الجبابرة اى يدقها لم يقصدها جبار بسوء الا وقصمه واما مكة سميت بذلك لقلة مائها من
قول العرب مك الفصيل ضرع امه وامتكه اذا امتص كل ما فيه من اللبن مُبَارَكًا
كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب
وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ لانه قبلتهم ومتعبدهم فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ اِبْرٰهِيمَ وهو الحجر الذى قام
عليه ابرهيم وكان اثر قدميه فيه فاندرس من كثرة المسح بالايدى ومن الآيات فى البيت

ان الطير يطير فلا يعلو فوقه بل ينحرف عنه اذا وصلت اليه وان الجارحة اذا قصدت صيدا
فاذا دخل الصيد الحرم كفت عنه وانه بلد صدر اليها الانبياء والمرسلون والاولياء والابرار
وان الطاعة والصدقة فيه يضاعف بمائة الف عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم صلوة فى مسجدى هذا افضل من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام
وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا من يهاج فيه وذلك بدعاء ابرهيم عليه السلام حيث قال رب اجعل هذا
البلد آمنا وكانت العرب فى الجاهلية يقتل بعضهم بعضا ويغير بعضهم على بعض ومن دخل الحرم
امن من القتل والغارة وهو المراد من الآية على القول الحسن وقتادة واكثر المفسرين
قال الله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وقيل هو خبر بمعنى
الامر تقديره ومن دخله فآمنوه كقوله تعالى فلا رفث ولا فسوق اى لا ترفثوا ولا تفسقوا
حتى ذهب بعض اهل العلم الى ان من وجب عليه قتل قصاصا او حدا فالتجأ الى الحرم لا يستوفى
منه فيه لكنه لا يطعم ولا يبايع ولا يشارى حتى يخرج فيقتل قاله ابن عباس وبه قال ابو حنيفة
رضى الله عنه وذهب قوم الى ان القتل الواجب بالشرع يستوفى فيه اما اذا ارتكب الجريمة
فى الحرم يستوفى فيه عقوبته بالاتفاق وقيل معناه من دخله معظما له متقربا الى الله عز وجل
كان آمنا يوم القيمة من العذاب قال الكاشف وضع بيته وكساه بكسوة آياته الكبرى وهى نور
القدرة ليجذب قلوب عباده اليه بوسيلته لاجل ذلك قال بيتى لتخصيص الاضافة ولانه منور
بنور آياته الخاصة ثم لما ذكر فضايل البيت ومناقبه اردفه بذكر ايجاب الحج والتوجه اليه فقال
وَلِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ اى ولله فرض واجب على الناس حج البيت عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله و
اقام الصلوة وايتاء الزكوة والحج وصوم رمضان مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيلًا عن انس رضى الله عنه
قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن قول الله تعالى من استطاع اليه سبيلا فقيل
ما السبيل قال الزاد والراحلة رواه الحاكم وغيره وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله من استطاع
اليه سبيلا قال من ملك ثلثمائة درهم فقد استطاع اليه سبيلا وعن عكرمة مولاه انه قال السبيل
الصحة وَمَنْ كَفَرَ فَاِنَّ اللّٰهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ قال ابن عباس والحسن وعطاء جحد فرض الحج و
قال السدى من وجد ما يحج به ثم لم يحج حتى مات فهو كفر به عن ابى امامة ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال من لم يحبسه حاجة ظاهرة او مرض حابس او سلطان جائر ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا
وان شاء نصرانيا عن ابن عمر قال قام رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال من الحاج يا رسول
الله فقال صلى الله عليه وسلم الشعث التفل فقام آخر فقال اى الحج افضل يا رسول الله قال

صلى الله عليه وسلم العج والثج رواه الترمذى قال الكاشف اضاف الحج الى نفسه لما فيه من اثار
الربوبية وحقائق العبودية واراد الزم حق العبودية على عباده لاداء شكر الربوبية وايضا ارشد
الى رؤية المقصود فى الآيات والعلامات بوسيلة القصد الى بيته وايضا فرض حج البيت على الجمهور
لصنوف الخواص زائرين رب البيت وايضا اراد ان ترى عباده عظمته وكبرياءه فى رؤيتهم ذل
العبودية والتواضع والتضرع ويتجلى منه للقاصدين اليه فى لباس الملك والآيات لانه تعالى
قال فيه آيات بينات اخبر عن الآيات فى نفس البيت واشار الى تجلى الصفات فى نفس الآيات كما قال
عليه السلام جاء الله من سيناء واستعلن بساعير واشرق من جبال فاران يعنى جبال مكة وهى
الجبال والله اعلم بيت الله الحرام لانه احجار اصطفاها الله تعالى فى الازل قبلة لعباده ومرآة الشوق
لعامته والاستطاعة فى سبيله معرفته وقربه ورؤية الطافه فى سائر الاوقات والمنة فى وعده
والتوكل عليه فى جميع الامور والمراقبة ودوام الرعاية ومعرفة حفظه وكلايته جميع عباده ومحبته
الصافية عن رعونة النفس وصدق القصد اليه بصفاء النية وطهارة القلب عما سواه والقاصدون
الى بيت الله على ثلثة اقسام قسم منهم قاصدون الى البيت باموالهم وانفسهم لطلب الثواب وقسم منهم
القاصدون الى البيت بقلوبهم الصافية عن الدنيا وما فيها لامتثال الامر ولطلب مرضاة الرب تعالى
وقسم منهم القاصدون الى مشاهدة رب البيت بارواحهم العاشقة لطلب حقائق المعرفة والقربة
وصفاء الوصلة وزيادة مشهد التجلى والتدلى فاهل الظاهر محرومون عن المحظورات ومحلون
عن احرامهم عند قضاء نسكهم واداء فرضهم واهل الباطن محرمون عن الكائنات الى البريات ولا
يحلون ما داموا فى الدنيا الى مشاهدة الذات وكشف الصفات فشتان بين من يحرم عن الممكنات
وشهود المكونات لكن بلاياه لا يحملها الا مطاياه آه ذهبوا وذهب معهم البركات وغربت بغروبهم
شموس الكرامات واقمار الآيات قُلْ يَا اَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّٰهِ التى دلتكم على صدق
محمد وَاللّٰهُ شَهِيدٌ عَلٰى مَا تَعْمَلُونَ فيجازيكم عليه قُلْ يَا اَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ اى
لم تصرفون عن دين حق علم انه سبيل الله التى امر بسلوكها وهو الاسلام مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا
تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة قال ابو عبيدة العوج بالكسر فى الدين والقول
والعمل والعوج بالفتح فى الجدار وكل شخص قائم وَاَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللّٰهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ قال
الاستاد الخطاب بهذه الآية تاكيد الحجة عليهم من حيث الشرع موكد الحجة عليهم ومن حيث الحقيقة
والقهر سد الحجة عليهم فهم مدعوون شرعا وامرا مطرودون حكما وقهرا ثم لما حذر اهل الكتاب
عن الاغواء والاضلال حذر المومنين عن اغوائهم واضلالهم ومنعهم عن الالتفات الى قولهم
فقال يَا اَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ اُوتُوا الْكِتَابَ قال زيد بن اسلم

بن شاس ابن قيس اليهودي وكان شيخا عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين على
نفر من الاوس والخزرج في مجلس جمعهم يتحدثون فغاظه ما رأى من الفتهم وصلاح ذات
بينهم في الاسلام بعد الذي كان بينهم في الجاهليه من العداوة وقال قد اجتمع ملا بني قيلة
بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم اذا اجتمعوا بها من قرار فامر شابا من اليهود وكان معه فقال
اعمد اليهم فاجلس معهم ثم ذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وانشدهم بعض ما كانوا تقاولوا
فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس مع الخزرج وكان الظفر فيه للاوس
على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين
على الركب اوس بن قيظي احد بني حارثه وجابر بن صخر احد بني سلمة من الخزرج فتقاولا
ثم قال احدهما لصاحبه ان شئتم والله رددتها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا
قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهره وهي حرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها السلاح م
الى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهليه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين ابدعوى الجاهليه وانا
بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهليه والف بينكم ترجعون الى
ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم انها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فالقوا
السلاح من ايديهم وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
سامعين مطيعين فانزل الله تعالى فيهم يا ايها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين
اوتوا الكتاب يعني شاسا واصحابه يردوكم بعد ايمانكم كافرين قال جابر ما رايت قط
يوما اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم ثم قال على وجه التعجب وكيف تكفرون من اين اليوم م
يتطرق اليكم الكفر وانتم تتلى عليكم آيات الله القرآن وفيكم رسوله محمد صلى الله عليه
وسلم قال قتاده في هذه الآيه علمان بينان كتاب الله ونبي الله اما نبي الله فقد مضى واما
كتاب الله فابقاه الله تعالى بين اظهركم رحمة من الله ونعمة عن زيد بن ارقم قال قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خطيبا فحمد الله واثنى عليه ثم قال اما بعد ايها الناس
انما انا بشر يوشك ان ياتيني رسول ربي فاجيبه واني تارك فيكم الثقلين اولهما كتاب الله
فيه الهدى والنور فتمسكوا بكتاب الله وخذوا به فحث عليه الناس ورغب ثم قال
واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي ثم لما ذكر الله تعالى الوعيد اردفه بذكر الوعد فقال
ومن يعتصم بالله يتمسك بدين الله وطاعته فقد هدي فقد حصل له الهدي لا محالة
الى صراط مستقيم قال الكاشف الاعتصام انجذام القلب عن الاسباب والادباب

والتبري

والتبري الى الله تعالى من الحول والقوه ومن قطع حبل الطلب عن الخلق ارسخ قيام الحق به
وبين الحق والاعتصام قبل المعرفه محال والمعرفه قبل المشاهده محال ومن شاهد الله بنعت المعرفه
يعتصم به في جميع مراده قال جعفر الصادق من عرفه استغنى به عن جميع الانام وقال ايضا الاعتصام
به منه ومن زعم انه يعتصم به من غير فهو وهم في الربوبيه ثم لما حذر المومنين من اضلال الكافرين
وتلبيسهم امرهم بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات فقال يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال
مقاتل بن حيان كان بين الاوس والخزرج عداوة في الجاهليه وقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى المدينه فاصلح بينهم فافتخر منهم رجلان ثعلبة بن غنم من الاوس وسعد بن زرارة
من الخزرج فقال الاوسي منا خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين ومنا حنظله غسيل الملائكه ومنا
عاصم بن ثابت بن اقلح حمي الدبر ومنا سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن له ورضي الله بحكمه
في قريظه وقال الخزرجي منا اربعه احكموا القرآن ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وابو
زيد ومنا سعد بن عباده خطيب الانصار ورئيسهم فجرى الحديث بينهما فغضبا وانشدا الاشعار
وتفاخرا فجاء الاوس والخزرج ومعهم السلاح فاتاهم النبي صلى الله عليه وسلم وانزل الله هذه الآية
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن مسعود هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا ينسى وان
يشكر فلا يكفر وهو روايه عن ابن عباس وقال مجاهد وهو روايه علي بن ابي طلحه عن ابن عباس
رضي الله عنهما هو ان تجاهدوا في سبيل الله حق جهاده ولا تاخذكم في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط
ولو على انفسكم واباءكم وابنائكم وعن انس انه قال لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه ولا تموتن
الا وانتم مسلمون اي حافظوا على الاسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه فان الكريم قد اجرى
عادته بكرمه انه من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بعث عليه عن ابن عباس قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الناس اتقوا الله حق تقاته الايه فلو ان قطرة من الزقوم قطرت
على الارض لامرت على اهل الدنيا معيشتهم فكيف بمن هو طعامه وليس له طعام غيره رواه الامام
احمد ومحيي السنه وغيرهما قال الكاشف حق التقوى ترك الالوان والحدثان لمشاهدة الرحمن قال
ابو يزيد التقوى كل التقوى من اذا قال قال لله واذا عمل عمل لله واذا نوى نوى لله ويكون بالله
لله وقال النصرآبادي حق تقاته ان يتقي كل ما سواه وقال جعفر التقوى ان لا ترى في قلبك شيئا سواه
واعتصموا بحبل الله جميعا قال ابن عباس معناه تمسكوا بدين الله وقال ابن مسعود هو الجماعة
وقال عليكم بالجماعة فانها حبل الله الذي امر به وان ما تكرهون في الجماعه والطاعه خير مما تحبون
في الفرقه وقال قتاده والسدي هو القرآن وروى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان هذا القرآن هو حبل الله المتين وهو النور المبين والشفاء النافع عصمه لمن تمسك به

آتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة شهد بها الحكم

وذكر ان المشركين لما قتلوه ارادوا ان يمثلوا به فسلط الله عليهم الدبر وهو النحل وسكون الراء الزنابير فحمته منهم حتى اخذه المسلمون فدفنوه

ونجاة من تبعه قال سهل تمسكوا بعهده وعهده التوحيد وقيل اعتصموا اجتمعوا على موافقة
الرسول صلى الله عليه وسلم انه الحبل الاوثق ولا تفرقوا كما افترقت اليهود والنصارى
عن ابي هريره رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرضى لكم ثلاثا و
يسخط لكم ثلاثا يرضى لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبل الله جميعا وان تناصحوا
من ولي الله امركم ويسخط لكم القيل والقال واضاعة المال وكثرة السوال رواه مسلم وغيره واذكروا
نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم بالاسلام قال اهل الاخبار كان الاوس والخزرج كثرة م
اخوين لاب وام فوقعت بينهما عداوة بسبب قتيل فتطاولت تلك العداوة والحرب بينهم عشرين
ومائة سنه الى ان اطفا الله عز وجل ذلك بالاسلام والف بينهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم
والآيه شاملة لهما ولغيرهما من اهل الجاهليه كانوا متعادين متدابرين فلما جاء الله بالاسلام صاروا
اخوانا متحابين متواصلين في ذات الله متعاونين على البر والتقوى كما قال فاصبحتم بنعمته اخوانا
اي فصرتم بنعمته وبرحمته وبدينه الاسلام اخوانا في الدين وكنتم على شفا حفرة اي على طرف
حفرة مثل شفا البير من النار ليس بينكم وبين الوقوع فيها الا ان تموتوا على كفركم فانقذكم الله
منها بالايمان كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون قال الكاشف اذكروا نعمة الله عليكم بان
هديكم الى نفسه بنعت المعرفه والمحبه اذ كنتم من مشاهد التوحيد في حجاب النكره تحت غمام البشريه
عن رويه القرب والمشاهدة وحين كنتم تحت ذل الكفر بتضييعكم حق الله وحق الاخوة وطلبكم
حظوظ انفسكم بترك حظوظ الاخوان وسبب كون العداوة بينهم غيبتهم عن لباس المعرفه فاذا
كسا الله اسرارهم خلع انوار قربه وباشرت قلوبهم حقائق الوصله ورأى بعضهم على بعض انوار جمال
المشاهدة عشقت ارواحهم بعضها على بعض فالف بين قلوبهم بنور عصمته وكشف جمال حضرته
حتى وصلوا باجمعهم حقائق مكاشفات الوصال فذاقوا من كاس المنه شراب الوصله وطابوا
بجمال الحبيب وارتفعت عن بواطن قلوبهم غشاوه الوحشه فصار عيشهم عيشا واحدا وقد جمعهم
مذهبا واحدا وحظهم حظا واحدا وكانوا محجوبين بعوارض بشريتهم محترقين بنيران
شهواتهم فانقذهم منها انوار المعرفه وضياء القربه واذاقهم طعم شراب وصلته وقيل وكنتم على شفا
حفرة من النار مرويه الضلال باعمالكم فانقذكم منها بروية الفضل ولتكن منكم امة يدعون
الى الخير يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر الدعاء الى الخير عام في التكاليف من الافعال
والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله
لقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى قال ابو جعفر الباقر قرا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولتكن منكم امة يدعون الى الخير اتباع القرآن وسنتي رواه ابن مردويه واولئك

ثم قال م

هم المفلحون

هم المفلحون في صحيح مسلم وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكرا فليغيره
بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وعن حذيفه ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم
عذابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجاب لكم رواه الترمذي وغيره ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
من بعد ما جاءهم البينات قال اكثر المفسرين هم اليهود والنصارى وقال بعضهم هم المبتدعة من
هذه الامه وقال ابو امامه هم الحروريه قال عبد الله بن شداد وقف ابو امامه وانا معه على
روس الحروريه بالشام فقال هم كلاب اهل النار كانوا مومنين وكفروا بعد ايمانهم ثم قرا ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا الى قوله اكفرتم بعد ايمانكم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من سره بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فان الشيطان مع الفذ وهو
من الاثنين ابعد رواه محيي السنه واولئك لهم عذاب عظيم ثم لما ذكر الامر ببعض الاشياء و
النهي عن بعض الاشياء اتبع ذلك بذكر احوال القيامه تاكيدا للامر فقال يوم في يوم تبيض وجوه
وتسود وجوه يوم تبيض وجوه المومنين وتسود وجوه الكافرين قال الكلبي عن ابي صالح
عن ابن عباس اذا كان يوم القيمه رفع لكل قوم ما كانوا يعبدون فيسعى كل قوم الى ما كانوا يعبدون
وهو قوله تعالى نوله ما تولى فاذا انتهوا اليه حزنوا فتسود وجوههم من الحزن ويبقى اهل القبله
واليهود والنصارى لم يعرفوا شيئا مما رفع لهم فياتيهم الله فيسجد له من كان يسجد له في الدنيا
مطيعا مومنا ويبقى اهل الكتاب والمنافقون لا يستطيعون السجود ثم يوذن لهم فيرفعون روسهم
ووجوه المومنين مثل الثلج بياضا والمنافقون واهل الكتاب اذا نظروا الى وجوه المومنين حزنوا
حزنا شديدا فاسودت وجوههم فيقولون ربنا ما لنا مسودة وجوهنا فوالله ما كنا مشركين
فيقول الله للملائكه انظروا كيف كذبوا على انفسهم قال محمد بن علي تبيض وجوه بنظرهم الى مولاهم
وتسود وجوه باحتجابهم منه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم معناه يقال لهم
اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فان قيل كيف قال اكفرتم بعد ايمانكم وهم لم
يكونوا مومنين حكي عن ابي بن كعب انه اراد به الايمان يوم الميثاق حين قال لهم ربهم الست
بربكم قالوا بلى يقول اكفرتم بعد ايمانكم يوم الميثاق وقال الحسن هم المنافقون تكلموا بالايمان
بالسنتهم وانكروا بقلوبهم وعن عكرمه انهم اهل الكتاب آمنوا بانبيائهم وبمحمد صلى الله عليه وسلم
قبل ان يبعث فلما بعث كفروا به وقال ابو امامه هم الخوارج وقال قتاده هم اهل البدع عن اسماء
بنت ابي بكر قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني على الحوض حتى انظر من يرد علي منكم
وسيوخذ ناس دوني فاقول يا رب مني ومن امتي فيقال هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا

يرجعون على اعقابهم وقال الحارث الاعور سمعت امير المومنين عليا رضي الله عنه يقول على المنبر
ان الرجل ليخرج من اهله فما يؤب اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به الجنة وان الرجل ليخرج
من اهله فما يعود اليهم حتى يعمل عملا يستوجب به النار ثم قرأ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وعن ابي
هريرة رضي الله عنه بادروا بالاعمال فتنا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مومنا ويمسي كافرا ويمسي مومنا
ويصبح كافرا يبيع دينه بعرض من الدنيا وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ جنة الله
هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ ثم لما ذكر انه
لا يريد الظلم والقبائح استدل عليه بان فاعل القبيح اما للجهل او العجز او الحاجة وكل ذلك محال على
الله تعالى لانه المالك لكل ما في السموات وما في الارض وهذا ينافي الجهل والعجز والحاجة فقال وَلِلَّهِ
مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ثم لما امر المومنين ببعض الاشياء ونهاهم عن
بعضها وحذرهم من ان يكونوا مثل اهل الكتاب في التمرد والعصيان وذكر عقيبه ثواب المطيعين و
عذاب الكافرين وكان الغرض من كل هذه الآيات حمل المومنين والمكلفين على الانقياد والطاعة
ومنعهم عن التمرد والمعصية اردف ذلك ببعض آخر يقتضي حمل المومنين والمكلفين على الانقياد
والطاعة فقال كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ عن ابن عباس برواية سعيد بن جبير هم الذين
هاجروا مع النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قال جويبر عن الضحاك هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
خاصة الرواة الدعاة الذين امر الله المسلمين بطاعتهم وروي عن عمر بن الخطاب قال كنتم خير امة
اخرجت للناس يكون لاولنا ولا يكون لآخرنا عن عمران بن الحصين عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال عمران لا ادري اذكر النبي صلى الله عليه وسلم بعد قرنه
مرتين او ثلاثا وقال ان بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون وينذرون
ولا يوفون ويظهر فيهم السمن وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي
فو الذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك مد احدهم ولا نصيفه وقال الآخرون
هم جميع المومنين من هذه الامة في الترمذي وغيره انتم توفون سبعين امة انتم خيرها واكرمها
على الله عز وجل وانما جاءت هذه الامة هذه الفضيلة بنبيها محمد صلى الله عليه وسلم وما اعطي ما لم
يعط احد من الانبياء من جوامع الكلم وغيرها روى الامام احمد عن محمد بن علي هو ابن الحنفية انه
سمع علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت ما لم
يعط احد من الانبياء فقلنا يا رسول الله ما هو قال نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض
وسميت احمد وجعل التراب لي طهورا وجعلت امتي خير الامم وروي عن درة بنت ابي لهب
قالت قام رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر فقال يا رسول الله اي الناس خير

فقال صلى الله عليه وسلم خير الناس اقرأهم واتقاهم لله وآمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واوصلهم للرحم
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ روى الامام احمد عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت سبعين الفا يدخلون الجنة بغير حساب وجوههم كالقمر
ليلة البدر قلوبهم على قلب رجل واحد فاستزدت ربي عز وجل فزادني مع كل واحد سبعين الفا قال
ابو بكر رضي الله عنه فرأيت ان ذلك آت على اهل القرى ومصيب من حافات البوادي وفي صحيح مسلم
وغيره عن عمران بن حصين انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير
حساب هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون وعن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه يقول
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدني ربي ان يدخل الجنة من امتي سبعين الفا مع كل الف
سبعين الفا لا حساب عليهم ولا عذاب وثلاث حثيات من حثيات ربي رواه الطبراني وعن انس
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله وعدني ان يدخل الجنة من امتي اربعمائة
الف قال ابو بكر زدنا يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم وهكذا وجمع بين يديه قال زدنا يا رسول
الله قال صلى الله عليه وسلم وهكذا فقال عمر حسبك يا ابا بكر فقال ابو بكر دعني وما عليك ان يدخلنا الله
عز وجل الجنة كلنا فقال عمر رضي الله عنه ان شاء ادخل خلقه الجنة بكف واحد فقال النبي صلى الله
عليه وسلم صدق عمر رواه الحافظ ابو نعيم وغيره على ما رواه الشيخ ابن الكثير قال جعفر الصادق
المعروف موافقة الكتاب والسنة وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ
وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ اى الكافرون رغبهم فيه من وجه آخر وهو انهم لا قدرة لهم على الاضرار
بالمسلمين الا بالقليل من القول فقال لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى قال مقاتل ان رؤس اليهود عمدوا
الى من آمن منهم عبد الله بن سلام واصحابه فآذوهم فانزل الله تعالى لن يضروكم ايها المومنون
هؤلاء اليهود الا اذى باللسان ووعيدا وطعنا وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ منهزمين
ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ بل يكون لكم النصر عليهم ثم لما ذكر انهم ان قاتلوا رجعوا مخذولين ذكر انهم مع ذلك
ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَمَا ثُقِفُوا حيث ما وجدوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ عهد من الله بان يسلموا
وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ من المومنين ببذل الجزية او امان يعني الا ان يعتصموا بحبل فيامنوا
وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ رجعوا وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ يتجاوزون عن الحد
بسبب عصيانهم واعتدائهم حدود الله فان الاصرار على الصغائر يفضي الى الكبائر والاستمرار
عليها يؤدي الى الكفر لَيْسُوا سَوَاءً نزلت فيمن آمن من احبار اهل الكتاب كعبد الله بن سلام
واسد بن عبيد وثعلبة بن شعبة واسيد بن شعبة وغيرهم اى لا يستوي من تقدم ذكرهم

بالذم وهؤلاء الذين اسلموا وليس كلهم على حد سواء مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ قال ابن
عباس اى مهتدية قائمة على امر الله لم تضيعوه ولم تتركوه وقال مجاهد عادلة يَتْلُونَ آيَاتِ
اللَّهِ يقرؤن كتابه وَهُمْ يَسْجُدُونَ اى يصلون لان التلاوة لا تكون في السجود واختلفوا في معناها
فقال بعضهم هي في قيام الليل وقال ابن مسعود في صلوة العتمة يصلونها ولا يصليها من سواهم
من اهل الكتاب يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ
يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ قال عطاء يريد اربعين رجلا من اهل الكتاب
نجران من العرب واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا
محمدا صلى الله عليه وسلم وكان من الانصار فيهم عدة قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم
ومنهم اسعد بن زرارة والبراء بن معرور ومحمد بن مسلمة ومحمود بن مسلمة وابو قيس صرمة بن
انس كانوا موحدين يغتسلون من الجنابة ويقومون بما عرفوا من شرائع الحنيفية حتى جاءهم
الله بالنبي صلى الله عليه وسلم فصدقوه ونصروه وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ فلن تعدموا
ثوابه بل نشكر لكم ونجازون عليه وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على
انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى ثم لما وصف من آمن الكفار بما تقدم من الصفات الحسنة اتبعه تعالى
بوعيد الكفار فقال إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا اى لا يدفع
اموالهم بالفدية ولا اولادهم بالنصرة شيئا من عذاب الله وخصهما بالذكر لان الانسان يدفع عن نفسه
تارة بفداء المال وتارة بالاستعانة بالاولاد وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ جعلهم من اصحابها لانهم اهلها
لا يخرجون منها ولا يفارقونها كصاحب الرجل لا يفارقه هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ثم لما بين ان اموال الكفار
لا تغني عنهم شيئا فربما يخطر ببال انسان انهم ربما ينتفعون بما انفقوا في وجوه الخيرات ازال تعالى
هذه الشبهة فقال مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قيل اراد نفقات ابي سفيان واصحابه
ببدر واحد على عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم وقال مقاتل نفقة اليهود على علمائهم وقال
مجاهد يعني جميع نفقات الكفار وصدقاتهم وقيل انفاق المرائي الذي لا يبتغي به وجه الله كَمَثَلِ رِيحٍ
كمثل مهلك ريح فِيهَا صِرٌّ قال اكثر المفسرين فيها برد شديد وحكي عن ابن عباس انها السموم
الحارة التي تقتل أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ زرع قوم ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بالكفر والمعصية ومنع حق الله
تعالى فَأَهْلَكَتْهُ يعني الآية مثل نفقات الكفار في ذهابها وقت الحاجة اليها كمثل زرع اصابته ريح
باردة فاهلكته او نار فاحرقته فلم ينتفع اصحابه منه بشيء وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ بذلك وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ
يَظْلِمُونَ بالكفر والمعصية ثم لما بالغ في شرح احوال المومنين والكافرين شرع في تحذير المومنين
عن مخالطة الكافرين فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ قال ابن عباس

كان رجال من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع
فانزل الله هذه الآية ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم وقال مجاهد نزلت في قوم من المومنين
كانوا يصافون المنافقين ينهاهم الله عن ذلك فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم اولياء
واصفياء من غير اهل ملتكم وبطانة الرجل خاصته تشبيها ببطانة الثوب التي تلي بطنه لانهم يستبطنون
امره ويطلعون منه على ما لا يطلع عليه غيرهم ثم بين العلة في النهي عن مباطنتهم فقال جل ذكره
لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا اى لا يقصرون ولا يتركون جهدهم فيما يورثكم الشر والفساد والخبال الشر
الفساد وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ اى تودون ما يشق عليكم من الشر والضر والعنت المشقة قَدْ بَدَتِ
الْبَغْضَاءُ اى البغض معناه ظهرت امارة العداوة مِنْ أَفْوَاهِهِمْ بالشتيمة والوقيعة في المسلمين
وقيل باطلاع المشركين على اسرار المومنين وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ من العداوة والغيظ أَكْبَرُ اعظم
قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ هَا تنبيه أَنْتُمْ أُولَاءِ اى انتم اولاء الخاطئون في موالاتهم
تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ بيان لخطائهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ
كُلِّهِ يعني بالكتب كلها وهم لا يؤمنون بكتابكم وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا فكان بعضهم
مع بعض عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ اى اطراف الاصابع واحدها انملة مِنَ الْغَيْظِ لما يرون من
ائتلاف المومنين واجتماع كلمتهم قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به
والمراد بزيادة الغيظ زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الخزي
والذل والتبار إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ فلا يخفى عليه شيء من سرايرهم فيجازيهم عليه
إِنْ تَمْسَسْكُمْ اى تصبكم ايها المومنون حَسَنَةٌ بظهوركم على عدوكم وغنيمة تنالونها منهم وتتابع
الناس في الدخول في دينكم وخصب في معاشكم تَسُؤْهُمْ تحزنهم وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ بضد ذلك
يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا على اذاهم وَتَتَّقُوا مخالفة ربكم لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا
يَعْمَلُونَ من الصبر والتقوى وغيرهما مُحِيطٌ فيفاعل بكم ما انتم اهله ثم انه تعالى لما قال وان
تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا اتبعه بما يدلهم على سنة الله تعالى فيهم اذا لم يصبروا فقال
وَ اذكر إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ قال الحسن هو يوم بدر و
قال مقاتل يوم الاحزاب وقال ساير المفسرين هو يوم احد لان ما بعده الى قريب من آخر السورة
في حرب احد قال مجاهد والكلبي والواقدي غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم من منزل
عائشة فمشى على راحلته الى احد فجعل يصف اصحابه للقتال كما يقوم القدح قال محمد بن اسحق
والسدي عن رجالهما ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
بنزولهم استشار اصحابه ودعا عبد الله بن ابي بن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره

فقال عبد الله بن ابى واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو
قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم يا رسول الله فان اقاموا اقاموا
بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال فى وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا
رجعوا خائبين فاعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الراى وقال بعض اصحابه يا رسول الله
اخرج بنا الى هذه الاكلب لا يرون انا جبنا عنهم وضعفنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى
رايت فى منامى بقرا فاولتها خيرا ورايت فى ذباب سيفى ثلما فاولتها هزيمة ورايت انى ادخلت يدى
فى درع حصينة فاولتها المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وكان يعجبه ان يدخلوا عليه المدينة فيقاتلوا
فى الازقة فقال رجال من المسلمين ممن فاتهم يوم بدر واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الى اعدائنا
فلم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من حبهم للقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلبس لامته فلما راوه قد لبس السلاح ندموا وقالوا بئس ما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه
وسلم والوحى ياتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا اصنع ما رايت فقال النبى صلى الله عليه وسلم
لا ينبغى لنبى ان يلبس لامته فيضعها حتى يقاتل وكان قد اقام المشركون باحد يوم الاربعاء والخميس
فراح رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم يوم الجمعة بعد ما صلى باصحابه الجمعة وقد مات فى ذلك اليوم
رجل من الانصار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج اليهم فاصبح بالشعب من احد
يوم السبت للنصف من شوال سنة ثلاث من الهجرة وكان من امر حرب احد ما كان فذلك قوله
عز وجل واذ غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال اى مواطن ومواضع القتال يقال
بوات القوم اذا وطنتهم وتبوءوا توطنوا وقيل تتخذ معسكرا والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم
وضمائركم اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم طائفتان منكم ان تفشلا
اى تجبنا وتضعفا وتتخلفا والطائفتان بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وكانا
جناحى العسكر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى احد فى الف رجل وقيل فى تسعمائة
وخمسين رجلا فلما بلغوا الشوط انخزل عبد الله بن ابى بثلث الناس ورجع فى ثلثمائة وقال علام
نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم ابو جابر السلمى وقال انشدكم الله فى نبيكم وفى انفسكم فقال عبد الله بن
ابى لو نعلم قتالا لاتبعناكم وهمت بنو سلمة وبنو حارثة بالانصراف مع عبد الله بن ابى فعصمهم الله تعالى
فلم ينصرفوا فذكرهم الله عظيم نعمته فقال عز وجل اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما
ناصرهما وحافظهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون عن جابر قال نزلت هذه الاية فينا اذ همت
طائفتان منكم ان تفشلا والله وليهما بنى سلمة وبنى حارثة وما احب انها لم تنزل والله يقول والله
وليهما ولقد نصركم الله ببدر وبدر موضع بين مكة والمدينة وعليه الاكثرون وقيل اسم بئر

دمائب السيف طرفه الذى يضرب به ويقال فى السيف ثلم اذا انكسر من حده شىء

هناك يذكر الله فى هذه الاية منته عليهم بالنصر يوم بدر وانتم اذلة جمع ذليل واراد به قلة العدد
فانهم كانوا ثلثمائة وثلثة عشر رجلا فنصرهم الله مع قلة عددهم فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول
للمؤمنين ظرف لنصركم على ان تقول لهم يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت على ان تقول لهم يوم احد
فاختلف فى هذه الاية فقال قتادة هذا كان يوم بدر امدهم الله بالف من الملئكة كما قال الله تعالى
فاستجاب لكم ربكم انى ممدكم بالف من الملئكة ثم صاروا ثلثة الاف ثم صاروا خمسة الاف كما ذكر الله تعالى
الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا بعدوكم وتتقوا
مخالفة نبيكم ويأتوكم من فورهم هذا من ساعتهم فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة
التى لا ريث فيها ولا تعرج على شىء من صاحبها فقيل خرج من فوره اى من ساعته يمددكم ربكم
بخمسة الاف من الملائكة فصبروا يوم بدر واتقوا فامدهم الله بخمسة الاف كما وعد وقال عكرمة
والضحاك كان هذا يوم احد وعدهم الله تعالى المدد ان صبروا فلم يصبروا فلم يمدوا مسومين معلمين
والتسويم الاعلام من السومة وهى العلامة واختلفوا فى تلك العلامة قال عروة بن الزبير كانت
الملائكة على خيل بلق عليهم عمائم صفر وقال امير المؤمنين على وابن عباس رضى الله عنهم كانت
عليهم عمائم بيض قد ارسلوها بين اكتافهم وقال قتادة والضحاك كانوا قد اعلموا بالعهن فى نواصى
الخيل واذنابها وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد
تسومت بالصوف الابيض فى قلانسهم ومغافرهم وقال الحسن هؤلاء الخمسة الالاف ردء للمؤمنين
الى يوم القيمة وقال ابن عباس ومجاهد لم تقاتل الملائكة فى المعركة الا يوم بدر وفيما ذلك يشهدون
القتال ولا تقاتل وانما يكونون عددا ومددا وما جعله الله اى وما جعل امدادكم بالملائكة الا
بشرى لكم اى بشارة لتستبشروا به ولتطمئن ولتسكن قلوبكم به فلا تجزع من كثرة عدوكم
وقلة عددكم وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بقد
نصركم الله ببدر ليقطع طرفا اى لكى يهلك طائفة من الذين كفروا قال السدى معناه ليهدم ركنا من الشرك بالقتل
والاسر فقتل من قادتهم وسادتهم يوم بدر سبعون واسر سبعون ومن حمل الاية على حرب احد فقد
قال قتل منهم يومئذ ستة عشر رجلا وكانت النصرة للمسلمين حتى خالفوا امر الرسول صلى الله عليه وسلم
فانقلب عليهم او يكبتهم يخزيهم فينقلبوا خائبين لم ينالوا شيئا مما كانوا يرجون من الظفر بكم ليس
لك من الامر شىء اختلفوا فى سبب نزول هذه الاية فقال قوم نزلت فى بئر معونة وهم سبعون
رجلا من القراء بعثهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بئر معونة فى صفر سنة اربع من الهجرة على
راس اربعة اشهر من احد ليعلموا الناس القران والعلم اميرهم المنذر بن عمرو فقتلهم عامر بن الطفيل
فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقنت شهرا فى الصلوات كلها يدعو

سوى م

اركان م

على جماعة من تلك القبائل باللعن والسنين فنزلت ليس لك من الامر شىء فى صحيح البخارى وغيره عن
سالم بن عبد الله عن ابيه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع راسه من الركوع فى الركعة
الاخيرة من الفجر يقول اللهم العن فلانا وفلانا بعد ما يقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد فانزل الله عز وجل
ليس لك من الامر شىء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون وقال بعضهم نزلت يوم احد فى صحيح مسلم
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم احد وشج فى راسه فجعل يسلت
الدم عنه ويقول كيف يفلح قوم شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وهو يدعوهم فانزل الله ليس لك
من الامر شىء وفى المعالم عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد اللهم العن
ابا سفيان اللهم العن الحارث بن هشام اللهم العن صفوان بن امية فنزلت ليس لك من الامر شىء او
يتوب عليهم فاسلموا وحسن اسلامهم وقال سعيد بن المسيب ومحمد بن اسحق لما راى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمسلمون يوم احد ما باصحابهم من جدع الاذان والانوف وقطع المذاكير قالوا
لئن ادالنا الله منهم لنفعلن بهم مثل ما فعلوا بنا ولنمثلن بهم مثلة لم يفعلها احد من العرب باحد فانزل
الله تعالى هذه الاية وقيل اراد النبى صلى الله عليه وسلم ان يدعو عليهم بالاستيصال فنزلت هذه
الاية وذلك لعلمه فيهم ان كثيرا منهم يسلمون او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون او يتوب
منصوب باضمار ان وان يتوب معطوف بأو على الامر او على شىء اى ليس لك من امرهم شىء
او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم شىء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل
او بمعنى الا ان على معنى ليس لك من امرهم شىء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم
فتشتفى منهم وقد تعلق قوله تعالى او يتوب عليهم عطف على ما قبله وقوله تعالى ليس لك من الامر
شىء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم
ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شىء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم ولله
ما فى السموات وما فى الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم
تاكيد لما ذكره اولا من قوله ليس لك من الامر شىء والمعنى ان الامر لمن له الملك وملكوت السموات
والارض ليس الا لله والامر فى السموات وما فى الارض ليس الا لله ثم لما شرح عظم نعمه على المؤمنين
فيما يتعلق بارشادهم الى الاصلح لهم فى امر الدين وفى امر الجهاد اتبع ذلك بما يدخل فى الامر والنهى
والترغيب والترهيب فقال يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة نهى عن الربا
مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد فى الاجل فاستغرق
بالشىء الطفيف مال المديون واتقوا الله فى امر الربوا فلا تاكلوه لعلكم تفلحون ثم خوفهم فقال
واتقوا النار التى اعدت للكافرين كان ابو حنيفة رضى الله عنه يقول هى اخوف اية فى القران

حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه فى اجتناب محارمه واطيعوا الله
والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم اى بادروا وسابقوا الى الاعمال التى توجب
المغفرة قال ابن عباس الى الاسلام وروى عنه الى التوبة وقاله عكرمة وقال امير المؤمنين على بن
ابى طالب رضى الله عنه الى اداء الفرائض وقال الضحاك الى الجهاد وقال ابو العالية الى الهجرة وقال مقاتل
الى الاعمال الصالحة وروى عن انس بن مالك انها التكبيرة الاولى وجنة عرضها السموات والارض
اى والى جنة عرضها كعرض السموات والارض كما قال فى سورة الحديد وجنة عرضها كعرض السماء و
الارض والمراد وصفها بالسعة والبسط فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه و
خص العرض لانه فى العادة ادنى من الطول للمبالغة كقوله تعالى بطائنها من استبرق وعن ابن
عباس كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض سئل انس بن مالك عن الجنة انى
السماء ام فى الارض فقال واى ارض وسماء تسع الجنة قيل فاين هى قال فوق السموات السبع
تحت العرش قال قتادة كانوا يعنى اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يرون ان الجنة فوق السموات
السبع وان جهنم تحت الارضين السبع اعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء اى فى
اليسر والعسر فاول ما ذكر من اخلاقهم الموجبة للجنة ذكر السخاوة عن ابى هريرة قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم السخى قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة
بعيد من الناس قريب من النار ولجاهل سخى احب الى الله من العالم البخيل رواه محيى السنة وغيره
والكاظمين الغيظ الكظم حبس الشىء عند امتلائه وكظم الغيظ ان يمسك على ما فى نفسه منه بالصبر
ولا يظهر له اثر عن ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ
الله قلبه امنا وايمانا رواه ابن جرير والعافين عن الناس قال الكلبى عن المملوكين سوء الادب
وقال زيد بن اسلم ومقاتل عمن ظلمهم واساء اليهم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد يقول اين العافون عن الناس هلموا الى ربكم
وخذوا اجوركم رواه ابن مردويه والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا
انفسهم قال عطاء نزلت فى نبهان التمار وكنيته ابو معبد اتته امراة حسناء تبتاع منه تمرا
فقال لها ان هذا التمر ليس بجيد وفى البيت اجود منه فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه و
قبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم على ذلك فاتى النبى صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت
هذه الاية قال جابر الفاحشة الزنا او ظلموا انفسهم ما دون الزنا من القبلة والمعانقة واللمس
وقيل فعلوا فاحشة الكبائر او ظلموا انفسهم بالصغائر وقيل فعلوا فاحشة فعلا او ظلموا انفسهم
قولا ذكروا الله اى ذكروا وعيد الله وان الله سائلهم او حقه العظيم وجلاله الموجب

للخشية والحياء منه فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله وهل يغفر الذنوب الا الله
ولم يصروا على ما فعلوا اى لم يقيموا ولم يثبتوا عليه ولكن تابوا وانابوا واستغفروا واصل الاصرار
الثبات على الشئ قال السدى الاصرار السكوت وترك الاستغفار وهم يعلمون قال ابن عباس
ومقاتل والكلبى وهم يعلمون انها معصية وقال الضحاك وهم يعلمون ان الله يملك مغفرة الذنوب
وقال الحسن بن الفضل وهم يعلمون ان لهم ربا يغفر الذنوب سئل محمد بن على عن قوله والذين
اذا فعلوا فاحشة قال النظر الى الافعال او ظلموا انفسهم بروية النجاة باعمالهم ذكروا الله لحقهم التوفيق
من الله واذكرهم العصمة منه فاستغفروا لذنوبهم من افعالهم واقوالهم ومن يغفر الذنوب الا الله
علموا ان لا وصول الى الله الا به اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الانهار
خالدين فيها ونعم اجر العاملين اى ثواب المطيعين المغفرة والجنات عن انس بن مالك
رضى الله عنه انه قال بلغنى ان ابليس حين نزلت والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم
ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم بكى رواه الشيخ ابن الكثير عن عبد الرزاق وعن ابى بكر
رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال عليكم بلا اله الا الله والاستغفار فاكثروا منهما
فان ابليس قال اهلكت الناس بالذنوب واهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار فلما رايت ذلك
اهلكتهم بالاهواء فهم يحسبون انهم مهتدون وعنه رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة وعن ابى سعيد عن النبى
صلى الله عليه وسلم انه قال قال ابليس يا رب وعزتك لا ازال اغويهم ما دامت ارواحهم فى اجسادهم
فقال الله تعالى وعزتى وجلالى ولا ازال اغفر لهم ما استغفرونى وعن ابى هريرة رضى الله عنه
عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان رجلا اذنب ذنبا فقال يا رب انى اذنبت ذنبا فاغفره فقال الله
عز وجل عبدى عمل ذنبا فعلم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى ثم عمل ذنبا آخر
فقال رب انى عملت ذنبا فاغفره فقال تبارك وتعالى علم عبدى ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به
قد غفرت لعبدى ثم عمل ذنبا آخر فقال رب انى عملت ذنبا فاغفره لى فقال عز وجل علم عبدى
ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت لعبدى ثم عمل ذنبا آخر فقال رب انى عملت ذنبا
فاغفره فقال جل وعلا عبدى علم ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به اشهدكم انى قد غفرت
لعبدى فليعمل ما شاء اخرجاه فى الصحيحين وعن اسماء بن الحكم الفزارى قال سمعت
عليا رضى الله عنه يقول انى كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا
نفعنى الله بما شاء ان ينفعنى واذا حدثنى احد من اصحابه استحلفته واذا حلف لى صدقته
وانه حدثنى ابو بكر وصدق ابو بكر انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد مومن

وقد رواه غيرهم مع

منه مع

ثم امر تعالى لما وعد على الطاعة والتوبة من المعصية الغفران والجنان اتبعه بفعل ما يحملهم على فعل الطاعة وعلى التوبة عن المعصية وهو تامل احوال القرون الخالية من المطيعين والعاصين فقال مع

اذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ثم يستغفر الله الا غفر الله له رواه الامام احمد ومحى السنة
قد خلت من قبلكم سنن السنة هى الطريقة يقال سن فلان سنة حسنة وسنة سيئة اذا عمل
عملا اقتدى به من خير او شر ومعنى الآية قد مضت وسلفت منى سنن فيمن قبلكم من الامم الماضية
الكافرة بامهالى واستدراجى اياهم حتى يبلغ الكتاب فيهم اجلى الذى اجلته لاهلاكهم وادالة انبيائى
عليهم فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين اى آخر امر المكذبين منهم وهذا
فى حرب احد يقول فانا امهلهم واستدرجهم حتى يبلغ اجلى الذى اجلت فى نصرة النبى واوليائه
واهلاك اعدائه هذا اى هذا القرآن بيان للناس عامة وهدى من الضلالة وموعظة
للمتقين خاصة قال جعفر اظهر البيان للناس ولكن لا يستعد الا من ايده بنور التقوى وطهارة
السر الاسرار ... وهدى وموعظة للمتقين الا ان هذا الاهتداء بهذا البيان والاتعاظ به للمتقين
الذين اتقوا كل شئ سواه وقال الاستاذ بيان لقوم من حيث ادلة العقول والآخرين من حيث
مكاشفة القلوب والآخرين من حيث تجلى الحق فى الاسرار ولا تهنوا ولا تحزنوا هذا حث
لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم على الجهاد والصبر على ما اصابهم من القتل والجرح يوم احد بعد
بيان حال اهل الباطل وعاقبة المكذبين يقول ولا تهنوا اى لا تضعفوا ولا تجبنوا عن جهاد اعدائكم
بما نالكم من القتل والجرح منهم وكان قد قتل يومئذ من المهاجرين خمسة منهم حمزة عبد المطلب و
مصعب بن عمير وقتل من الانصار سبعون رجلا وانتم الاعلون اى يكون لكم العاقبة بالنصر
والظفر لكم ان كنتم مومنين ان صح ايمانكم فان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع
الله تعالى فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله
العافية فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف ان يمسسكم قرح قرئ
بضم القاف وفتحها ومعناهما واحد كالجُهد والجَهد وقال الفراء القرح بالفتح الجراحة وبالضم الم الجراحة
وهذا خطاب مع المسلمين حين انصرفوا من احد مع الكآبة والحزن يقول ان يمسسكم قرح فقد
مس القوم قرح مثله يوم بدر وتلك الايام نداولها بين الناس يوما لهم ويوما عليهم
اديل المسلمون على المشركين يوم بدر حتى قتلوا منهم سبعين واسروا سبعين واديل المشركون
على المسلمين يوم احد حتى جرحوا منهم سبعين وقتلوا خمسة وسبعين عن البراء بن عازب
قال جعل النبى صلى الله عليه وسلم على الرجالة يوم احد وكانوا خمسين رجلا عبد الله بن جبير
فقال ان رايتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى ارسل اليكم وان رايتمونا هزمنا القوم
واوطأناهم فلا تبرحوا حتى ارسل اليكم فهزموهم قال فانا والله رايت النساء يشتددن قد بدت
خلاخلهن واسوقهن رافعات ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة اى قوم الغنيمة

ظهر اصحابكم فما تنتظرون فقال عبد الله بن جبير انسيتم ما قال لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت وجوههم فاقبلوا منهزمين فذلك قوله تعالى
والرسول يدعوكم فى اخراكم فلم يبق مع النبى صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا فاصابوا منا سبعين و
كان النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه اصابوا من المشركين يوم بدر اربعين ومائة سبعين اسيرا وسبعين
قتيلا فقال ابو سفيان افى القوم محمد ثلاث مرات فنهاهم ان يجيبوه ثم قال افى القوم ابن ابى قحافة ثلاث مرات
ثم قال افى القوم ابن الخطاب ثلاث مرات ثم رجع الى اصحابه فقال اما هؤلاء فقد قتلوا فما ملك عمر نفسه فقال
كذبت والله يا عدو الله ان الذين عددت لاحياء كلهم وقد بقى لك ما يسوءك قال يوم بيوم بدر والحرب سجال انكم
ستجدون فى القوم مثلة لم آمر بها ولم تسؤنى ثم اخذ يرتجز اعل هبل اعل هبل فقال النبى صلى الله عليه وسلم
الا تجيبوه قالوا يا رسول الله ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وروى هذا المعنى عن ابن عباس
وفى حديثه قال ابو سفيان يوم بيوم وان الايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا فى الجنة
وقتلاكم فى النار وليعلم الله الذين آمنوا منكم معناه فعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وانما حذف للايذان بان المصلحة
فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه ما يجرى عليه من المصائب ولا يشعر
ان لله فى ذلك من المصالح ما هو غافل عنه وليتميز الثابتون على الايمان من المنافقين ويتخذ منكم
شهداء وليكرم منكم ناسا بالشهادة والله لا يحب الظالمين اى من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان
وليمحص الله الذين آمنوا منكم اى يطهرهم من الذنوب ويمحق الكافرين فانهم اذا ظفروا بغوا وبطروا
فيكون ذلك سبب دمارهم وهلاكهم ومحوهم وفنائهم ثم انه تعالى لما بين فى الآية الاولى الوجوه التى هى
الموجبات فى مداولة الايام ذكر فى هذه الآية ما هو السبب الاصلى لذلك فقال ام حسبتم ان تدخلوا
الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم اى ولما تجاهدوا وانزل نفى العلم منزلة نفى المعلوم لانه منتف
بانتفائه يقول ما علم الله فى فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون
الموت من قبل ان تلقوه وذلك ان قوما من المسلمين تمنوا يوما كيوم بدر ليقاتلوا ويستشهدوا
فاراهم الله يوم احد فقد رايتموه وانتم تنظرون اى رايتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم
من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل قال اصحاب المغازى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشعب من احد
فى سبعمائة رجل وجعل عبد الله بن جبير وهو اخو خوات بن جبير على الرجالة وكانوا خمسين رجلا وقال
اقيموا باصل الجبل وانضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من خلفنا فان كانت لنا او علينا فلا تبرحوا مكانكم حتى ارسل
اليكم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم فجاءت قريش على ميمنتهم خالد بن الوليد وعلى ميسرتهم عكرمة بن

آمنوا م

ابى جهل ومعهم النساء يضربن بالدفوف ويقلن الاشعار فقاتلوا حتى حميت الحرب فاخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم سيفا فقال من يأخذ هذا السيف بحقه ويضرب به العدو حتى يثخن فاخذه ابو دجانة
سماك بن خرشة الانصارى فلما اخذه اعتم بعمامة حمراء وجعل يتبختر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انها لمشية يبغضها الله الا فى هذا الموضع ففلق به هام المشركين وحمل النبى صلى الله عليه وسلم على المشركين
فهزموهم قال البراء بن عازب فانا والله رايت النساء يشتددن قد بدت خلاخلهن واسوقهن رافعات
ثيابهن فقال اصحاب عبد الله بن جبير الغنيمة والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة فلما اتوهم صرفت
وجوههم وقال الزبير بن العوام فرايت هندا وصواحبها هاربات مصعدات فى الجبل ما دون اخذهن
شئ فلما نظرت الرماة الى القوم قد انكشفوا وراوا اصحابهم ينتهبون الغنيمة اقبلوا يريدون النهب
فلما راى خالد بن الوليد قلة الرماة واشتغال المسلمين بالغنيمة ورأى ظهورهم خالية صاح فى خيله
من المشركين ثم حمل على اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم من خلفهم فهزموهم وقتلوهم ورمى عبد الله
بن قمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر انفه ورباعيته وشجه فى وجهه فاثقله وتفرق
عنه اصحابه ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة ليعلوها وكان قد ظاهر بين درعين
فلم يستطع فجلس تحته طلحة فنهض حتى استوى عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اوجب
طلحة ووقعت هند والنسوة معها يمثلن بالقتلى من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم يجدعن الآذان
والانوف حتى اتخذت هند من ذلك قلايد واعطتها وحشيا وبقرت عن كبد حمزة رضى الله عنه فلاكتها
فلم تستطع ان تسيغها فلفظتها واقبل عبد الله بن قمئة يريد قتل النبى صلى الله عليه وسلم فذب مصعب
بن عمير وهو صاحب راية النبى صلى الله عليه وسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتله ابن قمئة
وهو يرى انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع وقال انى قتلت محمدا وصاح صارخ الا ان محمدا
قد قتل ويقال ان ذلك الصارخ كان ابليس فانكفأ الناس وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو الناس الى عباد الله الى عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فحموه حتى كشفوا عنه المشركين ورمى
سعد بن ابى وقاص حتى اندقت سية قوسه ونثل له رسول الله صلى الله عليه وسلم كنانته فقال له
ارم فداك ابى وامى وكان ابو طلحة رجلا راميا شديد النزع كسر يومئذ قوسين او ثلاثا وكان الرجل
يمر معه بجعبة من النبل فيقول انثرها لابى طلحة وكان اذا رمى تشرف النبى صلى الله عليه وسلم فينظر
الى موضع نبله واصيبت يد طلحة بن عبيد الله فيبست وقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم
واصيبت عين قتادة بن النعمان يومئذ حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكانها فعادت كاحسن ما كانت فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ادركه ابى بن خلف الجمحى وهو يقول
لا نجوت ان نجوت فقال القوم يا رسول الله الا يعطف عليه رجل منا فقال عليه السلام دعوه حتى اذا دنا منه

سئلت كانتى اذا اسهمت ما فيها من النبل م

تشرف

ما كانت م

وكان ابي قبل ذلك يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول عندي رمكة اعلفها كل يوم فرق ذرة
اقتلك عليها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل انا اقتلك ان شاء الله فلما دنا منه تناول رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ثم استقبله فطعنه في عنقه وخدشه فتدهده عن
فرسه وهو يخور كما يخور الثور ويقول قتلني محمد فاخذه اصحابه وقالوا ليس عليك باس قال بلى لو كانت
هذه الطعنة بربيعة ومضر لقتلتهم اليس قال لي اقتلك فلو بزق علي بعد تلك المقالة لقتلني فلم يلبث الا ثلاثا
حتى مات بموضع يقال له سرف قالوا وفشا في الناس ان محمدا قد قتل فقال بعض المسلمين ليت لنا رسولا الى
عبد الله بن ابي فياخذ لنا امانا من ابي سفيان وبعض الصحابة جلسوا والقوا بايديهم وقال اناس
من اهل النفاق ان كان محمد قد قتل فالحقوا بدينكم الاول فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم
ان كان قتل محمد فان رب محمد لم يقتل وما تصنعون في الحيوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقاتلوا على ما قاتل عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء يعني المسلمين وابرأ اليك مما جاء به
هؤلاء يعني المنافقين ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق الى الصخرة
وهو يدعو الناس فاول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك قال عرفت عينيه تحت
المغفر تزهران فناديت باعلى صوتي يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار
الي ان اسكت فانحازت اليه طائفة من اصحابه فلامهم النبي صلى الله عليه وسلم على الفرار فقالوا يا نبي الله
فديناك بابائنا وامهاتنا اتانا الخبر بانك قتلت فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فانزل الله تعالى هذه الاية
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين
بدينهم بعدهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعده فان المقصود من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام
الحجة لا وجوده بين قومه افاين مات او قتل انقلبتم على اعقابكم رجعتم الى دينكم الاول ومن
ينقلب على عقبيه فيرتد عن دينه فلن يضر الله شيئا بارتداده وانما يضر نفسه وسيجزي الله
الشاكرين كانس بن النضر واضرابه سماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا ثم حرض
المسلمين على الجهاد باعلامهم ان الحذر لا يدفع القدر وان احدا لا يموت قبل الاجل واذا جاء الاجل
لم يدفع الموت فلا فائدة في الجبن والخوف فقال وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله بقضاء
الله وقدره وقيل بامره كتابا مؤجلا كتب كتابا مؤجلا موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر ومن
يرد ثواب الدنيا نؤته منها يعني من يرد بطاعته الدنيا ويعمل لها نؤته منها ما يكون جزاء لعمله
ويريد نؤته منها ما نشاء مما قدرناه كما قال من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد نزلت
في الذين تركوا المركز يوم احد طلبا للغنيمة ومن يرد ثواب الاخرة اي اراد بعمله الاخرة نؤته منها
اراد الذين ثبتوا مع اميرهم عبد الله بن جبير حتى قتلوا وسنجزي الله الشاكرين الذين شكروا نعمة

قلوبنا

نعمة الله ثم

نعمة الله فلم يشغلهم شيء من الجهاد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وانما لامرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله و
رسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه وعن انس بن مالك
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت نيته الاخرة جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله واتته
الدنيا وهي راغمة ومن كانت نيته طلب الدنيا جعل الله الفقر بين عينيه وشتت عليه امره و
لا ياتيه منها الا ما كتب له وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير قرئ قاتل وقتل بالتشديد
وقتل قال سعيد بن جبير ما سمعنا ان نبيا قتل في القتال فاعل قوله قتل على هذا قوله ربيون و
المراد بعضهم لقوله تعالى فما وهنوا ولم يمكن وصفهم بانهم لم يهنوا بعد ما قتلوا يقول العرب قتلنا بني فلان
وانما قتلوا بعضهم قال ابن مسعود الربيون الالوف قال ابن عباس جموع كثيرة وقال الكلبي الربية الواحدة
عشرة الاف وقال الضحاك الربية الواحدة الف وقال الحسن فقهاء علماء وقيل هم الاتباع فالربانيون
الولاة والربيون الرعية وقيل منسوبة الى الرب وهم الذين يعبدون الرب فما وهنوا اي وما
جبنوا لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا عن الجهاد بما نالهم من الم الجراح وقتل الاصحاب وما استكانوا
قال مقاتل وما استسلموا او ما خضعوا لعدوهم قال صاحب الكشاف هذا تعريض بما اصابهم من الوهن حين
ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق في طلب الامان من ابي سفيان وقال السدي وما ذلوا وقال عطاء
وما تضرعوا وقال ابو العالية وما جبنوا ولكنهم صبروا على امر ربهم وطاعة نبيهم وجهاد عدوهم والله
يحب الصابرين وما كان قولهم عند قتل نبيهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا اي الصغائر و
اسرافنا في امرنا اي الكبائر وثبت اقدامنا كي لا نزول وانصرنا على القوم الكافرين فاتاهم الله
ثواب الدنيا النصر والغنيمة وحسن ثواب الاخرة الاجر والجنة والله يحب المحسنين يا ايها
الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يعني اليهود والنصارى وقال علي رضي الله عنه يعني المنافقين
في قولهم للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم يردوكم على اعقابكم يرجعوكم
الى اول امركم الشرك بالله فتنقلبوا خاسرين مغبونين ثم قال بل الله مولاكم ناصركم وحافظكم على دينكم
وهو خير الناصرين ثم ذكر وجها اخر في الترغيب في الجهاد مبينا انه يلقي الخوف في قلوب الكفار فقال
سنلقي سنقذف في قلوب الذين كفروا الرعب الخوف وذلك ان ابا سفيان والمشركين لما ارتحلوا
يوم احد متوجهين نحو مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ندموا وقالوا بئس ما صنعنا قتلناهم
حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا على ذلك قذف الله في قلوبهم
الرعب حتى رجعوا عما هموا به بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم بالله ما لم ينزل به سلطانا حجة وبرهانا
وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين مقام الكافرين ولقد صدقكم الله وعده قال

محمد بن كعب القرظي لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى المدينة من احد وقد اصابهم
ما اصابهم قال ناس من الصحابة من اين اصابنا هذا وقد وعدنا النصر فانزل الله تعالى ولقد صدقكم
الله وعده بالنصر والظفر وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة
وجعل عينين وهو جبل عن يساره واقام عليه الرماة وامر عليهم عبد الله بن جبير وقال لهم احموا
ظهورنا فان رايتمونا قد غنمنا فلا تشركونا وان رايتمونا نقتل فلا تنصرونا واقبل المشركون فاخذوا
في القتال فجعل الرماة يرشقون خيل المشركين بالنبل والمسلمون يضربونهم بالسيوف حتى ولوا
هاربين كما قال الله تعالى اذ تحسونهم باذنه اي تقتلونهم قتلا ذريعا بقضاء الله قال ابو عبيدة
الحس الاستيصال بالقتل حتى اذا فشلتم الفشل الجبن وضعف الراي وتنازعتم في الامر
واختلفتم فيه وكان اختلافهم ان الرماة اختلفوا حين انهزم المشركون فقال بعضهم انهزم القوم
فما مقامنا واقبلوا على الغنيمة وقال بعضهم لا نجاوز امر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عبد الله
بن جبير في نفر يسير دون العشرة فلما راى خالد بن الوليد وعكرمة بن ابي جهل ذلك حملوا على الرماة
فقتلوا عبد الله بن جبير واصحابه واقبلوا على المسلمين وحالت الريح فصارت دبورا بعد ما كانت
صبا وانتقضت صفوف المسلمين واختلطوا فجعلوا يقتلون على غير شعار يضرب بعضهم بعضا
ما يشعرون من الدهش ونادى ابليس ان محمدا قد قتل وكان ذلك سبب هزيمة المسلمين
وعصيتم يعني وعصيتم الرسول صلى الله عليه وسلم وخالفتم امره من بعد ما اراكم الله ما
تحبون يا معشر المسلمين من الظفر والغنيمة منكم من يريد الدنيا يعني الذين تركوا
المركز واقبلوا على النهب ومنكم من يريد الاخرة يعني الذين ثبتوا مع عبد الله بن جبير حتى
قتلوا قال عبد الله بن مسعود وما شعرت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد الدنيا حتى كان يوم احد ونزلت هذه الاية ثم صرفكم عنهم اي ردكم عنهم بالهزيمة
ليبتليكم ليمتحنكم وقيل لينزل البلاء عليكم ولقد عفا عنكم فلم يستاصلكم بعد المعصية والمخالفة
وقيل عفا عن عقوبتكم لما اي ندمكم والله ذو فضل على المؤمنين في صحيح البخاري عن عثمان بن
موهب قال جاء رجل حج البيت فراى قوما جلوسا فقال من هؤلاء القعود قالوا هؤلاء قريش
قال من الشيخ قالوا ابن عمر رضي الله عنهما فاتاه فقال اني سائلك عن شيء حدثني قال انشدك
بحرمة هذا البيت اتعلم ان عثمان بن عفان فر يوم احد قال نعم قال فتعلمه تغيب عن بدر
فلم يشهدها قال نعم قال فتعلم انه تخلف عن بيعة الرضوان فلم يشهدها قال نعم فكبر قال ابن
عمر رضي الله عنهما تعال لاخبرك ولابين لك عما سالتني عنه اما فراره يوم احد فاشهد
ان الله عفا عنه واما تغيبه عن بدر فانه كان تحته بنت النبي صلى الله عليه وسلم وكانت

مريضة

مريضة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لك اجر رجل ممن شهد بدرا وسهمه واما تغيبه عن
بيعة الرضوان فلو كان احد اعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه فبعث عثمان رضي الله عنه وكانت
بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان الى مكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيده اليمنى هذه يد عثمان فضرب
بها على يده اليسرى فقال هذه لعثمان اذهب بها الان معك اذ تصعدون قال محيي السنة يعني ولقد
عفا عنكم اذ تصعدون هاربين قال صاحب الكشاف نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكر
وقرئ تصعدون بفتح التاء والعين من الصعود وهو الارتقاء على الجبال والسطوح وتصعدون
بضم التاء وكسر العين من الاصعاد وقال المبرد اصعد ابعد في الذهاب وقد كان يومئذ من المنهزمين
صاعد ومصعد ولا تلوون على احد اي لا تعرجون ولا تقيمون على احد لا يلتفت بعض الى
بعض يقال مضى لم يلو على شيء اي لم يعرج واصله من لي العنق في الالتفات والرسول يدعوكم
في اخراكم في جماعتكم الاخرى وهي المتاخرة ويقول الي عباد الله فانا رسول الله من يكر فله الجنة
فاثابكم فجازاكم غما بغم غما متصلا بغم فالغم الاول ما فاتهم من الظفر والغنيمة والغم الثاني ما نالهم
من القتل والهزيمة وقيل الغم الاول ما اصابهم من القتل والجراح والغم الثاني ما سمعوا ان محمدا قد
قتل فانساهم الغم الاول وقيل الغم الاول اشراف خالد بن الوليد عليهم بخيل المشركين والغم الثاني حين
اشرف عليهم ابو سفيان وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يومئذ يدعو الناس
حتى انتهى الى اصحاب الصخرة فلما راوه وضع رجل سهما في قوسه واراد ان يرميه فقال انا رسول الله
ففرحوا حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين
راى ان في اصحابه من يمتنع به فلما اجتمعوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون اصحابهم الذين
قتلوا اقبل ابو سفيان واصحابه حتى وقفوا بباب الشعب فلما نظر المسلمون اليهم همهم ذلك وظنوا
انهم يميلون عليهم فيقتلونهم فانساهم هذا ما نالهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم ان
يعلونا اللهم ان تقتل هذه العصابة لا تعبد في الارض ثم ندب اصحابه فرموهم بالحجارة حتى انزلوهم
وقيل المعنى غما بسبب غم وذلك انهم غموا الرسول صلى الله عليه وسلم بمخالفة امره فجازاهم الله بذلك
غم القتل والهزيمة لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم اي فاثابكم غما متصلا بغم لتتمرنوا على
تجرع الغموم واحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيبة من المضار
والله خبير بما تعملون فيجازيكم به تذكير للتحذير ثم انزل عليكم يا معشر المسلمين من بعد الغم
امنة يعني امنا والامن والامنة بمعنى واحد وقيل الامن يكون مع زوال سبب الخوف و
الامنة مع بقاء سبب الخوف وكان سبب الخوف هنا باقيا نعاسا بدل من الامنة يغشى طائفة
منكم يعني المؤمنين قال ابن عباس امنهم يومئذ بنعاس يغشيهم وانما ينعس من يامن لان

الحجفة الترس

الخايف لا ينام عن انس عن ابي طلحه قال غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم احد فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه وعنه قال رفعت راسي يوم احد فجعلت ما ارى احدا من القوم الا وهو يميل تحت حجفته من النعاس وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ يعني المنافقين حملتهم أَنْفُسُهُمْ على الهم قيل اراد الله تميز المومنين من المنافقين فاوقع النعاس على المومنين حتى امنوا ولم يوقع على المنافقين فبقوا في الخوف قد اهمتهم انفسهم يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ لا ينصر محمدا ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ كظن اهل الجاهليه والشرك يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ يعني النصر قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا لو كنا على الحق ما قتلنا هاهنا قال الضحاك عن ابن عباس يظنون بالله غير الحق ظن الجاهليه يعني التكذيب بالقدر وهو قولهم لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا هاهنا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ قضي عليهم القتل إِلَى مَضَاجِعِهِمْ مصارعهم وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ وليختبر الله مَا فِي صُدُورِكُمْ من الاخلاص وَلِيُمَحِّصَ يخرج ويظهر مَا فِي قُلُوبِكُمْ من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمه وللابتلاء والتمحيص وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ بما في القلوب من خير وشر إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ اي انهزموا منكم يا معشر المسلمين يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ جمع المسلمين وجمع الكافرين يوم احد وكان قد انهزم اكثر المسلمين ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا سته من المهاجرين وهم ابو بكر وعمر وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن ابي وقاص إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ اي طلب زلتهم كما يقال استعجلت فلانا اذا طلبت عجلته وقيل حملهم على الزلة وهي الخطيئة وقيل ازل واستزل بمعنى واحد بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا اي بشوم ذنوبهم قال بعضهم بتركهم المركز وقال الحسن ما كسبوا هو قبولهم من الشيطان ما وسوس اليهم في الهزيمه وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا يعني المنافقين عبد الله بن ابي واصحابه وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ في النفاق والكفر إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ اي سافروا فيها للتجارة او غيرها أَوْ كَانُوا غُزًّى اي غزاة جمع غاز فقتلوا لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ يعني قولهم وظنهم حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ لا يحيي احد ولا يموت الا بمشيته وقدره وبيده الخلق فقد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد عن الغزو كما يشاء فكيف ينفع الجلوس في البيت وهل نجى احد من الموت وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فاتقوه ولا تكونوا مثل المنافقين وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ اي ولئن تم عليكم ما تخافونه من القتل والموت فالقتل والموت في سبيل الله وسيله الى نيل رحمة الله ومغفرته وذلك خير من البقاء في الدنيا

وجمع حطامها الفاني وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ لالى الرحيم الواسع الرحمه والمغفره المثيب العظيم الثواب تحشرون في الآخرة قسم بعضهم مقامات العبوديه ثلاثه اقسام فمن عبد الله خوفا من ناره آمنه مما يخاف واليه الاشاره بقوله لمغفرة من الله ومن عبد الله شوقا الى جنته اناله ما يرجو واليه الاشاره بقوله ورحمه لان الرحمه من اسماء الجنه ومن عبد الله شوقا الى وجهه الكريم لا يريد غيره فهذا هو العبد المخلص الذي يتجلى له الحق سبحانه وتعالى في دار كرامته واليه الاشاره بقوله تعالى لالى الله تحشرون ثم اعلم ان القوم لما انهزموا عن الرسول صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم عادوا لم يخاطبهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالتغليظ والتشديد وانما خاطبهم بالكلام اللين ثم انه سبحانه وتعالى لما ارشدهم في الآيات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وكان من جمله ذلك ان عفا عنهم زاد في الفضل والاحسان والكرم بان مدح الرسول على عفوه عنهم وتركه التغليظ عليهم فقال فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ اي فبرحمة من الله وما زيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله لِنْتَ لَهُمْ اي سهلت لهم اخلاقك وكثر احتمالك ولم تسرع اليهم فيما كان منهم يوم احد وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا يعني جافيا سيء الخلق قليل الاحتمال غَلِيظَ الْقَلْبِ قال الكلبي فظا في القول وغليظ القلب في الفعل لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ لتفرقوا عنك يقال فضضتهم فانفضوا اي فرقتهم فتفرقوا فَاعْفُ عَنْهُمْ فيما يختص بك وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ فيما يختص بحق الله اتماما للشفقه عليهم حتى اشفعك فيهم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه انه راى صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمه انه ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يجزي بالسيئه السيئة ولكن يعفو ويصفح وفي الترمذي عن عايشه رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله امرني بمداراة الناس كما امرني باقامة الفرايض وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ اي استخرج آراءهم واعلم ما عندهم من قول العرب شرت الدابة وشورتها اذا استخرجت جريها وشرت العسل واشترته اذا اخذته من موضعه واستخرجته واتفق العلماء على ان كل ما نزل فيه وحي من الله عز وجل لم يجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاور فيه الامة وانما امر ان يشاور فيما سوى ذلك من امر الدنيا ومصالح الحرب ونحو ذلك وقيل ان يشاورهم في امر الدين والدنيا فيما لم ينزل عليه فيه شيء لان النبي صلى الله عليه وسلم شاورهم في اسارى بدر قال مقاتل وقتاده امر الله بمشاورتهم تطييبا لقلوبهم فان ذلك اعطف لهم عليه واذهب لاضغانهم فان سادات العرب كانوا اذا لم يشاوروا في الامر شق ذلك عليهم وقال الحسن قد علم الله عز وجل انه ما به الى مشاورتهم حاجه ولكنه اراد ان يستن به من بعده روى الامام محيي السنه باسناده عن عايشه رضي الله عنها انها قالت ما رايت رجلا اكثر استشارة للرجال من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه الاستشارة عين الهداية

وقال بعض الحكماء ما استنبط الصواب بمثل المشاوره ومن فوايد المشاوره انه اذا لم ينجح امره علم ان امتناع النجاح محض قدر فلم يلم نفسه ومنها انه قد يعزم الانسان على امر فيشاور فيه فيتبين له الصواب في قول غيره فيعلم بذلك عجز نفسه عن الاحاطة بفنون المصالح فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ لا على مشاورتهم إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ يعنكم الله ويمنعكم من عدوكم فَلَا غَالِبَ لَكُمْ مثل يوم بدر وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ يترككم فلم ينصركم كما كان باحد فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ اي من بعد خذلانه وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ قيل التوكل ان لا تطلب لنفسك ناصرا غير الله ولا لرزقك خازنا غير الله ولا لعملك شاهدا غير الله عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل سبعون الفا من امتي الجنه بغير حساب قيل يا رسول الله من هم قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا ثم انه تعالى لما بالغ في الحث على الجهاد اتبعه بذكر احكام الجهاد ومن جملتها الغلول فقال وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ قال الكلبي ومقاتل نزلت في غنايم احد حين ترك الرماه المركز للغنيمه وقالوا نخشى ان يقول النبي صلى الله عليه وسلم من اخذ شيا فهو له وان لا يقسم الغنايم كما لم يقسم يوم بدر فتركوا المركز ووقعوا في الغنايم فقال لهم النبي صلى الله عليه الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى ياتيكم امري قالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ظننتم ان نغل ولا نقسم لكم فانزل الله هذه الآيه وروى عكرمه عن ابن عباس ان الآيه نزلت في قطيفه حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الناس اخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتاده ذكر لنا انها نزلت في طايفه غلت من اصحابه وقيل ان الاقوياء الحوا عليه يسالونه من المغنم فانزل الله تعالى وما كان لنبي ان يغل فيعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بينهم بالسويه والغلول هو الخيانه واصله اخذ الشي في خفيه وقد صار في العرف مخصوصا بالخيانه في الغنيمة ومعناه ما صح لنبي الغلول فان النبوة تنافي الغلول وقيل المراد منه الامه وقال محمد بن اسحق بن يسار هذا في الوحي يقول ما كان لنبي ان يكتم شيا من الوحي رغبه او رهبه او مداهنه وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اي ياتي بالشي الذي غله يحمله يوم القيمه كما جاء في الحديث عن ابي حميد الساعدي قال استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد يقال له ابن اللتبية على الصدقه فلما قدم قال هذا لكم وهذا اهدي لي فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال ما بال العامل نبعثه على بعض اعمالنا فيقول هذا لكم وهذا اهدي لي فهلا

جلس في بيت امه او بيت ابيه فينظر ايهدى اليه ام لا والذي نفسي بيده لا ياخذ احد منها شيا الا جاء به يوم القيمه يحمله على رقبته ان كان بعيرا له رغاء او بقرة لها خوار او شاة تيعر ثم رفع يديه حتى راينا عفرة ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت رواه البخاري وغيره وفي الباب احاديث كثيره منها ما روى الامام احمد عن ابي مالك الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعظم الغلول عند الله عز وجل ذراع من الارض تجدون الرجلين جارين في الارض او في الدار فيقتطع احدهما من حظ صاحبه ذراعا فاذا اقتطعه طوقه من سبع ارضين الى يوم القيمه وفي الصحيحين عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ظلم قيد شبر من الارض طوقه يوم القيمه من سبع ارضين ومنها ما رواه الامام احمد عن المستورد بن شداد يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولي لنا عملا وليس له منزل فليتخذ منزلا او ليست له زوجه فليتزوج او ليس له خادم فليتخذ خادما من اصاب سوى ذلك فهو غال ومنها ما رواه الامام احمد وغيره عن ابي حميد رضي الله عنه انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هدايا العمال غلول ومنها ما رواه مسلم وغيره عن عمر بن الخطاب انه قال لما كان يوم خيبر اقبل نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا فلان شهيد فلان شهيد حتى اتوا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا اني رايته في النار في برده غلها او عباءه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فناد في الناس انه لا يدخل الجنه الا المومنون ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ من خير او شر وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بل يعدل بينهم فيجازي كل على عمله أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ فترك الغلول كَمَنْ بَاءَ رجع بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ فغل والسخط الغضب الشديد المقتضي للعقوبه وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ قال ابن عباس يعني من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفوا المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الثواب العظيم ولمن باء بسخط من الله العذاب الاليم وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ عالم بالعمال ودرجاتهم فيجازيهم بحسبها ثم لما برأه ممن نسبه الى الغلول اكد ذلك فقال لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ قيل اراد به العرب لانه ليس في حي من احياء العرب الا وله فيه نسب الا بني تغلب وهم كانوا نصارى وثبتوا على النصرانية قال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم ووجه المنه عليهم في ان كان من انفسهم انهم كانوا واقفين على احواله في الصدق والامانة والوثوق به وعارفين بلسانه فيسهل عليهم اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وفيه شرف لهم لقوله وانه لذكر لك ولقومك وقيل اراد به جميع المومنين ومعنى قوله من انفسهم اي بالايمان والشفقه لا بالنسب دليله قوله عز وجل لقد جاءكم رسول من انفسكم وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقرابة فاطمة رضى الله عنها من انفسهم اى من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب فى تزويج خديجة رضى الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل يتلو عليهم آياته بعد ما كانوا اهل الجاهلية لم يطرق اسماعهم شئ من الوحى ويزكيهم من دنس القلوب بالكفر وسوء الاخلاق ونجاسة ساير الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث ويعلمهم الكتاب والحكمة القرآن والسنة بعد ما كانوا اجهل الناس وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول لفى ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه ثم لما حكى عن المنافقين انهم طعنوا فى الرسول صلى الله عليه وسلم بان نسبوه الى الغلول حكى عنهم شبهة اخرى وهى قولهم لو كان رسولا من عند الله لما انهزم عسكره من الكفار فى يوم احد وهو المراد من قولهم انى هذا واجاب عنه بقوله قل هو من عند انفسكم فقال اولما اصابتكم قلتم واصابتكم فى محل الجر باضافة لما اليه وعطف الواو هذه الجملة وهى ولما اصابتكم مصيبة على ما مضى من قصة احد من قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان يكون معطوفة على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد من قتل سبعين قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين قلتم انى هذا من اين لنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون ورسول الله صلى الله عليه وسلم فينا قل هو من عند انفسكم عن امير المؤمنين على رضى الله عنه قال جاء جبرئيل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان الله قد كره ما صنع قومك فى اخذهم الفداء من الاسارى وقد امرك ان تخيرهم بين ان يقدموا فتضرب اعناقهم وبين ان ياخذوا الفداء على ان يقتل منهم عدتهم فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس فقالوا يا رسول الله عشايرنا واخواننا لا بل ناخذ منهم فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا ويستشهد منا عدتهم فقتل منهم يوم احد سبعون عدد اسارى اهل بدر ذكره محيى السنة مرسلا وابن جرير الطبرى مسندا فهذا معنى قوله قل هو من عند انفسكم اى باخذكم الفداء واختياركم القتل ان الله على كل شئ قدير وما اصابكم يوم التقى الجمعان باحد من القتل والجرح والهزيمة فباذن الله اى بقضائه وقدره ليبتليكم

وليعلم المؤمنين

وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا اى ليميز المؤمنين والمنافقين فيظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله لاجل دين الله وطاعته او ادفعوا عن اهلكم وحريمكم وقال السدى اى كثروا سواد المسلمين ورابطوا ان لم تقاتلوا ويكون ذلك دفعا وقمعا للعدو قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم لو نعلم ان اليوم يجرى قتال لاتبعناكم وهم عبد الله بن ابى واصحابه الذين انصرفوا عن احد وكانوا ثلثمائة قال الله تعالى هم للكفر اى لاهل الكفر يومئذ اقرب منهم للايمان اى لاهل الايمان يقولون بافواههم كلمة الايمان ما ليس فى قلوبهم قال صاحب الكشاف وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود فى افواههم معدوم فى قلوبهم خلاف صفة المؤمنين فى مواطاة قلوبهم افواههم والله اعلم بما يكتمون من النفاق وما يجرى بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رايهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وانا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا لاخوانهم فى النسب لا فى الدين وهم شهداء احد وقعدوا عن الجهاد لو اطاعونا وانصرفوا عن محمد صلى الله عليه وسلم وقعدوا فى بيوتهم ما قتلوا قل لهم يا محمد فادرءوا فادفعوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين ان الحذر يغنى عن القدر روى انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا نقله صاحب الكشاف ثم اجاب عن شبهتهم ان الجهاد يفضى الى القتل والقتل شئ مكروه وجب الحذر عنه فوجب الحذر عن الجهاد بجواب آخر فقال ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا قيل نزلت فى شهداء بدر وكانوا اربعة عشر رجلا ثمانية من الانصار وستة من المهاجرين وقال آخرون نزلت فى شهداء احد وكانوا سبعين رجلا اربعة من المهاجرين حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعثمان بن شماس وعبد الله بن جحش وسايرهم من الانصار عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فقال اما انا قد سألنا عن ذلك فقال ارواحهم كطير خضر ويروى فى جوف طير خضر تسرح من الجنة فى ايها شاءت ثم تاوى الى قناديل معلقة بالعرش فبيناهم كذلك اذ اطلع عليهم ربك اطلاعة فقال سلونى ما شئتم فقالوا يا رب كيف نسألك ونحن نسرح فى الجنة فى ايها شئنا فلما راوا انهم لا يتركوا من ان يسألوا سألوا قالوا نسألك ان ترد ارواحنا الى اجسادنا فى الدنيا نقتل فى سبيلك قال فلما راى انهم لا يسألون الا هذا تركوا رواه مسلم وغيره وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم يوم احد جعل الله عز وجل ارواحهم فى اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت وتاوى الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما راوا طيب مقيلهم

ومطعمهم ومشربهم ورأوا ما اعد الله لهم من الكرامة قالوا يا ليت قومنا يعلمون ما نحن فيه من النعيم وما صنع الله بنا كى يرغبوا فى الجهاد ولا ينكلوا عنه فقال الله عز وجل انا مخبر عنكم ومبلغ اخوانكم ففرحوا بذلك واستبشروا فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا الى قوله ولا يضيع اجر المؤمنين اخرجه ابو داود وغيره وقال قوم نزلت الآية فى شهداء بير معونة وكان سبب ذلك على ما روى محمد بن اسحق باسناده عن انس بن مالك انه قال قدم ابو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الاسنة وكان سيد بنى عامر بن صعصعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة واهدى له هدية فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقبلها وقال لا اقبل هدية مشرك فاسلم ان اردت ان اقبل هديتك ثم عرض عليه الاسلام واخبره ما له فيه وما وعد الله المؤمنين وقرأ عليه القرآن فلم يسلم ولم يبعد وقال يا محمد ان الذى تدعو اليه حسن جميل فلو بعثت رجالا من اصحابك الى اهل نجد فيدعوهم الى امرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى اخشى عليهم اهل نجد فقال ابو براء انا لهم جار فابعثهم فليدعوا الناس الى امرك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذر بن عمرو اخا بنى ساعدة فى سبعين رجلا من خيار المسلمين منهم الحرث بن الصمة وحرام بن ملحان وعروة بن اسماء بن الصلت السلمى ونافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر وذلك فى صفر سنة اربع من الهجرة على راس اربعة اشهر من احد فساروا حتى نزلوا بير معونة وهى ارض بين ارض بنى عامر وحرة بنى سليم فلما نزلوها قال بعضهم لبعض ايكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل هذا الماء فقال حرام بن ملحان انا فخرج بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عامر بن الطفيل وكان على ذلك الماء فلما اتاهم حرام بن ملحان لم ينظر عامر بن الطفيل فى كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرام يا اهل بير معونة انى رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم انى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به فى جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله اكبر فزت ورب الكعبة ثم استصرخ عامر بن الطفيل بنى عامر على المسلمين فابوا ان يجيبوا الى ما دعاهم اليه وقالوا لن نخفر ابا براء قد عقد لهم عقدا وجوارا ثم استصرخ عليهم قبايل من بنى سليم عصية ورعلا وذكوان فاجابوه فخرجوا حتى غشوا القوم فاحاطوا بهم فى رحالهم فلما راوهم اخذوا السيوف فقاتلوهم حتى قتلوا من آخرهم الا كعب بن زيد فانهم تركوه وبه رمق فارتث من بين القتلى فعاش حتى قتل يوم الخندق وكان فى سرح القوم عمرو بن امية الضمرى ورجل من الانصار احد بنى عمرو بن عوف فلم ينبئهما بمصاب اصحابهما الا الطير تحوم على العسكر فقالا والله ان لهذا الطير

ملاعب الاسنة لقب ابى براء

الكسر بالكسر اسفل شقة البيت التى تلى الارض من حيث يكسر جانباه من يمينك ويسارك

ارتث فلان وهو افتعل على ما لم يسم فاعله اى حمل من المعركة رثيثا اى جريحا وبه رمق

لشانا

لشانا فاقبلا لينظرا فاذا القوم فى دمائهم واذا الخيل التى اصابتهم واقفة فقال الانصارى لعمرو بن امية الضمرى ماذا ترى قال ارى ان نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنخبره فقال الانصارى لكنى ما كنت لارغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ثم قاتل القوم حتى قتل واخذوا عمرو بن امية الضمرى اسيرا فلما اخبرهم انه من مضر اطلقه عامر بن الطفيل وجز ناصيته واعتقه عن رقبة زعم انها كانت على امه فقدم عمرو بن امية على رسول الله صلى الله عليه وسلم واخبره الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عمل ابى براء قد كنت لهذا كارها متخوفا فبلغ ذلك ابا براء فشق عليه اخفار عامر اياه وما اصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره وكان فى من اصيب عامر بن فهيرة مولى ابى بكر الصديق فروى محمد بن اسحق ان عامر بن الطفيل كان يقول من الرجل منهم لما قتل رايته رفع بين السماء والارض حتى رايت السماء من دونه قالوا هو عامر بن فهيرة قالوا وبلغ ربيعة بن ابى براء ان عامر بن الطفيل خفر ذمة ابيه فحمل على عامر بن الطفيل فطعنه على فرسه فقتله وعن انس بن مالك ان رعلا وذكوان وعصية وبنى لحيان استمدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على عدوهم فامدهم بسبعين من الانصار كنا نسميهم القراء فى زمانهم كانوا يحتطبون بالنهار ويصلون بالليل حتى كانوا ببير معونة قتلوهم وغدروا بهم فبلغ النبى صلى الله فقنت شهرا يدعو فى الصبح على احياء من احياء العرب على رعل وذكوان وعصية وبنى لحيان قال انس فقرانا فيهم قرآنا ثم ان ذلك رفع بلغوا عنا قومنا انا لقينا ربنا فرضى عنا وارضانا ثم نسخت ورفعت بعد ما قراناها زمانا وانزل الله عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا الآية وقيل ان اولياء الشهداء كانوا اذا اصابتهم نعمة تحسروا على الشهداء وقالوا نحن فى النعمة وآباؤنا وابناؤنا فى القبور فانزل الله تعالى تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم ولا تحسبن اى ولا تظنن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا كاموات من لم يقتل فى سبيل الله والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد من امته بل احياء منهم من قال هم احياء فى الذكر وانهم يذكرون بخير اعمال وانهم استشهدوا فى سبيل الله ومنهم من قال معناه سيصيرون احياء فى الآخرة وهذا ليس بصواب لان الله تعالى اثبت لهم الحيوة فى الحال فمنهم من قال هم احياء فى الحال واختلفوا فى هذه الحيوة هل هى للروح او للجسم او الروح معا فمن اثبت الحيوة للروح دون الجسم قال يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ارواح الشهداء فى حواصل طير خضر فخص الارواح دون الاجساد وقال بعض المفسرين ان ارواح الشهداء تركع وتسجد كل ليلة تحت العرش الى يوم القيمة ومن اثبت الحيوة للروح والجسم معا قال يدل عليه سياق الآية وهو قوله تعالى عند ربهم يرزقون فاخبر سبحانه وتعالى انهم يرزقون وياكلون ويتمتعون كالاحياء وقيل

ان الشهيد لايبلى فى قبره ولا تأكله الارض كغيره وروى انه لما اراد معوية ان يجرى الماء على
قبور الشهداء امر ان ينادى من كان له قتيل فليخرجه وليحوله من هذا الموضع قال جابر فخرجنا
اليهم فاخرجناهم رطاب الابدان فاصاب المسحاة اصبع رجل منهم فانبعث دما وذكر محيى السنه
مرسلا عن عبيد بن عمير انه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف من احد على
مصعب بن عمير وهو مقتول فوقف عليه ودعا له ثم قرا من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه ثم قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهد ان هولاء شهداء عند الله يوم القيمة
فاتوهم وزوروهم وسلموا عليهم فوالذى نفسى بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيمة الا ردوا عليه
وقوله عند ربهم يعنى فى محل كرامته وفضله وقوله يرزقون اى من ثمار الجنة وتحفها فَرِحِينَ
بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ورزقه وثوابه وَيَسْتَبْشِرُونَ ويفرحون بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ
خَلْفِهِمْ من اخوانهم الذين تركوهم احياء فى الدنيا على مناهج الايمان والجهاد ولعلمهم انهم اذا
استشهدوا لحقوا بهم ونالوا من الكرامة ما نالوه فهم لذلك مستبشرون أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
فى الاخرة وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ على ما فاتهم من نعيم الدنيا يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ
الاستبشار الاول لغيرهم والاستبشار الثانى لانفسهم قال الكاشف نعمة الله معرفة الله ومحبته
وفضله مشاهدته فاستبشار القوم برويه الله وجلاله وقدمه وبقائه لا بشىء من الحدثان كانوا
اذا نظروا الى قدمه استبشروا بنعمة بقايه واذا نظروا الى بقائه فرحوا بمشاهدة قدمه وَأَنَّ
اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ وبان الله لا يضيع اجر المومنين يعنى كما انه تعالى لا يضيع المجاهدين
والشهداء كذلك لا يضيع اجر المومنين والاحاديث فى فضل الجهاد والشهادة فى سبيل الله كثيرة
تطلب من موضعها الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ قال اكثر المفسرين ان ابا سفيان واصحابه لما
انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا على انصرافهم وتلاوموا وقالوا لا محمدا قتلتم ولا الكواعب
اردفتم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشديد تركتموهم ارجعوا فاستاصلوهم فبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاراد ان يرهب العدو ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج
فى طلب ابى سفيان فانتدب عصابة منهم مع ما بهم من الجرح او القرح الذى اصابهم يوم احد و
نادى منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فكلمه
جابر بن عبد الله فقال يا رسول الله ان ابى كان قد خلفنى على اخوات لى سبع وقال لى يا بنى انه
لا ينبغى لى ولا لك ان نترك هولاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذى اوثرك على نفسى فى الجهاد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتخلف على اخوتك فتخلفت عليهن فاذن له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم انه خرج

فى طلبهم فيظنوا به قوة وان الذى اصابهم لم يوهنهم فينصرفوا فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومعه ابو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن
مسعود وحذيفة بن اليمان وابو عبيدة بن الجراح فى سبعين رجلا حتى بلغوا حمراء الاسد وهى
من المدينة على ثمانية اميال فمر برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعى بحمراء الاسد وكانت
خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عنه
شيئا كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال يا محمد والله لقد عز علينا ما اصابك فى اصحابك ولوددنا
ان الله كان قد اعفاك فيهم ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقى ابا سفيان
ومن معه بالروحاء قد اجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا قد اصبنا جل
اصحابه وقادتهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم فلما راى ابو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد
قال محمد قد خرج فى اصحابه يطلبكم فى جمع لم ار مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا وقد اجتمع معه من
كان تخلف عنه فى يومكم وندموا على صنيعهم وفيهم من الحنق عليكم شىء لم ار مثله قط قال ويلك ما تقول
قال والله ما اراك ترتحل حتى ترى نواصى الخيل قال فوالله لقد اجمعنا الكرة عليهم لنستاصل بقيتهم
قال فانى والله قد انهاك عن ذلك فوالله لقد حملنى ما رايت على ان قلت ابياتا فذكر ابياتا فرد
ذلك ابا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال اين تريدون قالوا نريد المدينة
قالوا ولم قالوا نريد الميرة قال فهل انتم مبلغون محمدا عنى رسالة واحمل لكم ابلكم هذه زبيبا بعكاظ
غدا اذا وافيتمونا قالوا نعم قال فاذا جئتموه فاخبروه انا قد اجمعنا اليه والى اصحابه لنستاصل
بقيتهم وانصرف ابو سفيان الى مكة ومر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد
فاخبروه بالذى قال ابو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل
ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد الثالثة وقال مجاهد وعكرمة نزلت هذه
الاية فى غزوة بدر الصغرى وذلك ان ابا سفيان يوم احد حين اراد ان ينصرف قال يا محمد موعد
ما بيننا وبينك موسم بدر الصغرى لقابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك
بيننا وبينك ان شاء الله فلما كان العام المقبل خرج ابو سفيان فى اهل مكة حتى نزل مجنة من
ناحية مر الظهران ثم القى الله الرعب فى قلبه فبدا له الرجوع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعى
وقد قدم معتمرا فقال له ابو سفيان يا نعيم انى قد واعدت محمدا واصحابه ان نلتقى بموسم بدر
الصغرى وان هذه عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى
ان لا اخرج اليها واكره ان يخرج محمد ولا اخرج انا فيزيدهم ذلك جراة ولان يكون الخلف منهم
احب الى من ان يكون من قبلى فالحق بالمدينة فثبطهم واعلمهم انا فى جمع كثير ولا طاقة لهم

بنا ولك عندى عشر من الابل اضعها على يدى سهيل بن عمرو ويضمنها قال فجاء سهيل فقال لنعيم
يا ابا يزيد اتضمن لى هذه الفرايض وانطلق الى محمد فاثبطه قال نعم فخرج نعيم حتى اتى المدينة فوجد
الناس يتجهزون لميعاد ابى سفيان فقال اين تريدون فقالوا واعدنا ابو سفيان بموسم بدر الصغرى
ان نقتتل بها فقال بئس الراى رايتم اتوكم فى دياركم وقراركم فلم يفلت منكم الا الشريد فتريدون ان
تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم والله لا يفلت منكم احد فكره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخروج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن ولو وحدى فاما الجبان
فانه رجع واما الشجاع فانه تاهب للقتال وقال حسبنا الله ونعم الوكيل فخرج رسول الله صلى الله عليه
فى اصحابه حتى وافوا بدرا الصغرى فجعلوا يلقون المشركين ويسالونهم عن قريش فيقولون قد
جمعوا لكم يريدون ان يرعبوا المسلمين فيقول المومنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى بلغوا بدرا
وكانت موضع سوق لهم فى الجاهلية يجتمعون اليها فى كل عام ثمانية ايام فاقام رسول الله صلى
الله عليه وسلم به ينتظر ابا سفيان وقد انصرف ابو سفيان من مجنة الى مكة فلم يلق رسول الله
صلى الله عليه وسلم واصحابه احدا من المشركين ووافقوا السوق فكانت معهم تجارات ونفقات
فباعوا واصابوا للدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين وَالَّذِينَ استجابوا صفة
للمومنين او مبتدا خبره للذين احسنوا او نصب على المدح وتقديره على الاول ان الله لا يضيع
اجر المومنين المستجيبين لله والرسول قال الكاشف استجابوا لله بحب مشاهدته والاشتياق
الى جماله ولطائف قربه وللرسول لما عليه من اثار انوار صفاته مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ
اى نالهم الجرح قال وصفهم بحسن الارادة فى محبته وطلب جماله ببذل ارواحهم بعد احتمال الام
الامتحان على ابدانهم قال الواسطى استجابوا لله بالوحدانية وللرسول باتباع اوامره
واجتناب نواهيه وقبول الشريعة منه على الراس والعين لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ بطاعة رسول
الله صلى الله عليه وسلم واجابته الى الغزو وَاتَّقَوْا معصيته أَجْرٌ عَظِيمٌ قال الكاشف اى الذين
بلغوا مقام الاحسان وهو رويه الله فى مقام الامتحان واتقوا جمع الحجاب بينهم وبين احسانهم
العاد نفوسهم فى بحر رضاه بغير ملاتهم الى حظوظهم ونعت تقدس قلوبهم عن التردد والخطرات
واتقوا من شر نفوسهم وهواجسها عند قبولهم مراد الحق بعد خروجهم عن مرادهم والاجر العظيم
الذى وصفه الله باعداده لهم هو ايصالهم اليه بغير الهجران والعتاب والحساب والحجاب
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ المراد بالناس نعيم بن مسعود فى قول مجاهد وعكرمة فهو من العام
الذى اريد به الخاص لقوله تعالى ام يحسدون الناس يعنى محمدا وحده وقال ابن اسحق و
جماعة اراد بالناس الركب من عبد القيس والوجه الثالث ان المراد بالناس المنافقين

وذلك انهم نهوا اصحابه عن الخروج معه وقالوا لهم ان القوم قد اتوكم فى دياركم فقتلوا الاكثر منكم
فان خرجتم الى ديارهم لم يبق منكم احد إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ يعنى ابا سفيان واصحابه
فَاخْشَوْهُمْ فخافوهم واحذروهم فانه لا طاقة لكم بهم فَزَادَهُمْ إِيمَانًا يقينا وقوة وَقَالُوا حَسْبُنَا
اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ اى كافينا الله ونعم الموكول اليه فى الامور عن ابن عباس رضى الله عنهما
حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم حين القى فى النار وقالها محمد عليهما الصلوة والسلام حين
قالوا ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل رواه البخارى
وغيره فَانْقَلَبُوا فانصرفوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ بعافية لم يلقوا عدوا وَفَضْلٍ تجارة وربح وهو ما
اصابوا فى السوق لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ لم يصبهم اذى ولا مكروه وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ بطاعة الله
وطاعة رسوله وذلك انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضى عنهم
وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا إِنَّمَا ذَلِكُمُ المخوف والمثبطهو الشَّيْطَانُ
والمراد بالشيطان نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف يعنى ان ذلكم
الذى قال لكم وهو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم قول الشيطان اى قول ابليس يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ
يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم
اولياءه وقال السدى يعظم اولياءه فى صدورهم ليخافوهم فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ فى ترك امرى
إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فان الايمان يقتضى ان توثروا خوف الله على خوف الناس وان لا تخشوا
احدا الا الله وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ وهم المنافقون يسارعون فى الكفر
بمظاهرة الكفار وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا بمسارعتهم فى الكفر
يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ نصيبا فى ثواب الاخرة فلذلك خذلهم حتى سارعوا فى الكفر
وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وذلك اعظم الضرر إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ استبدلوا الكفر بالايمان
لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا بمسارعتهم فى الكفر وانما يضرون انفسهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ ان املاءنا لهم خير والاملاء الامهال والتاخير إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا
إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ قال مقاتل نزلت فى مشركى مكة وقال عطاء فى قريظة والنضير
عن عبد الرحمن بن ابى بكرة عن ابيه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الناس خير
قال من طال عمره وحسن عمله قيل فاى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله ذكره محيى السنة باسناده
ثم اخبر ان كل هذه الاحوال صادر دليلا على امتياز المومن من المنافق وكان يجب فى حكمه القادر
هذه الحوادث والوقايع حتى يحصل هذا الامتياز فقال مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ
عَلَيْهِ قال ابن عباس والضحاك ومقاتل واكثر المفسرين الخطاب للكفار والمنافقين يعنى ما كان

الله ليذر المومنين على ما انتم عليه يامعشر الكفار و المنافقين من الكفر و النفاق حتى يميز
الخبيث من الطيب اى المنافق من الموافق فميز الله المومنين من المنافقين يوم احد حيث
اظهروا النفاق وتخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال قتاده حتى يميز المومن
من الكافر بالهجرة والجهاد وقيل يحق حتى يحط الاوزار عن المومن بما يصيبه من نكبة ومحنة
ومصيبه وقال قوم الخطاب للمومنين الذين اخبر عنهم معناه ما كان الله ليذركم يامعشر المومنين
على ما انتم عليه من التباس المومن بالمنافق حتى يميز واختلف العلماء فى سبب نزول هذه
الآيه فقال الكلبى قال قريش يا محمد تزعم ان من خالفك فهو فى النار والله عليه غضبان وان
من اتبعك على دينك فهو فى الجنه والله عنه راض فاخبرنا عن من يومن بك ومن لا يومن بك
فانزل الله تعالى هذه الآيه وقال السدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على امتى فى
صورها فى الطين كما عرضت على آدم واعلمت من يومن بى ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فقالوا
استهزاء زعم محمد انه يعلم من يومن به ومن يكفر ممن لم يخلق بعد ونحن معه وما يعرفنا فبلغ ذلك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقام على المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ما بال اقوام طعنوا فى علمى لا تسالونى
عن شى فيما بينكم وبين الساعة الا انباتكم به فقام عبد الله بن حذافة السهمى فقال من ابى يا رسول
الله قال حذافة فقام عمر فقال يا رسول الله رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبك
نبيا فاعف عنا عفا الله عنك فقال النبى صلى الله عليه وسلم فهل انتم منتهون ثم نزل عن المنبر
فانزل الله تعالى هذه الآيه ثم بين انه لا يجوز ان يحصل ذلك التميز بان يطلعكم الله على غيبه فيقولون
هذا مومن وهذا منافق فقال وما كان الله ليطلعكم على الغيب لانه لا يعلم الغيب احد غيره ولكن
الله يجتبي من رسله من يشاء فيطلعه على بعض علم الغيب فطريق عالم الغيب فلا يظهر على غيبه
احدا الا من ارتضى من رسول ثم لما اجاب عن الشبهه امر بالايمان يعنى لما دلت الدلايل على نبوته
وهذه الشبهه التى ذكروها فى الطعن فى النبوته اجابنا عنها فلم يبق الا ان تومنوا بالله ورسوله
فقال فامنوا بالله ورسله وان تومنوا وتتقوا يعنى وان تصدقوا من اجتبيته برسالتى واطلعته
على ما اشاء من غيبى واعلمته المنافق منكم والمومن المخلص وسعوا دبكم فيما امركم به ونهاكم عنه
فلكم اجر عظيم ثم لما بالغ فى التحريض على بذل النفس فى الجهاد شرع فى التحريض على بذل المال فى الجهاد
فقال ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو اى البخل خيرا لهم بل هو شر لهم
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمه يعنى يجعل ما منعه من الزكوه حيه تطوق فى عنقه يوم القيمه
تنهشه من فوقه الى قدمه هذا قول ابن مسعود وابن عباس والسدى وغيرهم عن ابى هريره
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله مالا فلم يود زكوته مثل له ماله يوم القيمه

فى الكتاب ان البخلاء يحشرون بين المنافقين

شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقونه يوم القيمه ثم ياخذ بلهزمتيه يعنى شدقيه ثم يقول انا مالك
انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون الآيه رواه البخارى وفى الحديث المتفق عليه عن ابى ذر قال
انتهيت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى ظل الكعبه فلما رآنى قال هم الاخسرون ورب
الكعبه قال فجئت حتى جلست فلم اتقار ان قمت فقلت يا رسول الله فداك ابى وامى من هم قال
قال هم الاكثرون الا من قال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله
وقليل ما هم ما من صاحب ابل ولا بقر ولا غنم لا يودى زكوتها الا جاءت يوم القيمه اعظم ما كانت
واسمنه تنطحه بقرونها وتطاه باظلافها كلما نفدت اخراها عادت عليه اولاها حتى يقضى بين
الناس اللفظ لمسلم ورواه البخارى فى موضعين وقال النخعى سيطوقون بطوق من النار وقال
مجاهد يكلفون يوم القيمه ان ياتوا بما بخلوا به فى الدنيا من اموالهم وروى عطية عن ابن عباس
ان هذه الآيه نزلت فى احبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته واراد بالبخل
كتمان العلم كما قال فى سورة النساء الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتيهم الله من
فضله ومعنى قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمه اى يحملون وزره واثمه كقوله تعالى يحملون اوزارهم
على ظهورهم ولله ميراث السموات والارض يعنى انه الباقى الدايم بعد فناء خلقه وزوال املاكهم
فيموتون ويرثهم ونظيره قوله تعالى انا نرث الارض ومن عليها والله بما تعملون خبير فيجازيكم
باعمالكم لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء قال الحسن ومجاهد لما نزلت
من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان الله فقير ونحن اغنياء قال الحسن ان قايل هذه
المقاله حيى بن اخطب وقال عكرمه والسدى ومقاتل ومحمد بن اسحق كتب النبى صلى الله عليه وسلم
مع ابى بكر الصديق الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلوه وايتاء الزكوه وان
يقرضوا الله قرضا حسنا فدخل ابو بكر ذات يوم بيت مدراسهم فوجد ناسا كثيرا من اليهود اجتمعوا الى رجل
منهم يقال له فنحاص بن عازوراء وكان من علمائهم ومعه حبر آخر يقال له اشيع فقال ابو بكر
لفنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه
مكتوبا عندكم فى التوريه فامن وصدق واقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنه ويضاعف لك الثواب
فقال فنحاص يا ابا بكر تزعم ان ربنا يستقرض اموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى فان كان ما
تقول حقا فان الله اذا لفقير ونحن اغنياء وانه ينهاكم عن الربوا ويعطينا ولو كان غنيا ما اعطانا
الربوا فغضب ابو بكر وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذى نفسى بيده لولا العهد الذى
بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

يستقرض منا

فقال يا محمد انظر ما صنع بى صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما حملك على ما صنعت
فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما زعم ان الله فقير وانهم اغنياء فغضبت لله فضربت
وجهه فجحد ذلك فنحاص فانزل الله عز وجل ردا على فنحاص وتصديقا لابى بكر لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا يعنى قولهم ان الله فقير ونحن اغنياء
والمعنى سنحفظ عليهم ما قالوا وقيل سنثبت ذلك القول فى صحايف اعمالهم التى يكتبها الحفظه عليهم
حتى يوقفوا بها يوم القيمه فهو وعيد وتهديد وقتلهم الانبياء بغير حق قيل معناه سنكتب ما قالوا
ونكتب ما فعله اسلافهم فنجازى كلا الفريقين بما هو اهله وقيل فى معنى الآيه سنكتب على هولاء
ما قالوا بانفسهم ونكتب عليهم ايضا رضاهم بقتل آبائهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة لما قالوا
ايذانا بانهما فى العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوا من العظايم وانهم اصلاء فى الكفر
ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول ونقول ذوقوا
عذاب الحريق اى النار وهو بمعنى المحرق كما يقال عذاب اليم اى مولم ذلك بما قدمت ايديكم
وان الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا وصف لقوله تعالى الذين فى قوله تعالى لقد سمع الله
قول الذين قالوا الآيه قال الكلبى نزلت فى كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن
يهوذا وزيد بن التابوت وفنحاص بن عازوراء وحيى بن اخطب اتوا النبى صلى الله عليه وسلم
فقالوا يا محمد تزعم ان الله بعثك الينا رسولا وانزل عليك كتابا وان الله قد عهد الينا فى التوريه
ان لا نومن برسول يزعم انه جاء من عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فان جئتنا به صدقناك
فانزل الله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا اى امرنا واوصانا فى كتبه ان لا نومن لرسول
اى لا نصدق رسولا يدعى انه جاء من عند الله حتى ياتينا بقربان تاكله النار فيكون دليلا
على صدقه والقربان كل ما يتقرب به العبد الى الله عز وجل من نسيكه وصدقه وعمل صالح فعلان
من القربه وكانت القرابين والغنايم لا تحل لبنى اسراييل وكانوا اذا قربوا قربانا او غنموا غنيمه
جاءت نار بيضاء من السماء لا دخان لها لها دوى وحفيف فتاكل وتحرق ذلك القربان وتلك
الغنيمه فيكون ذلك علامه للقبول واذا لم تقبل بقى على حاله وقال السدى ان الله امر بنى اسراييل
من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى ياتيكم بقربان تاكله النار حتى ياتيكم المسيح ومحمد
عليهما السلام فاذا اتياكم فامنوا بهما فانهما ياتيان بغير قربان قال الله تعالى اقامه للحجه عليهم قل يا محمد
قد جاءكم يا معشر اليهود رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم من القربان فلم قتلتموهم
يعنى زكريا ويحيى وساير من قتلوا من الانبياء واراد بذلك اسلافهم فخاطبهم بذلك لانهم رضوا

بفعل اسلافهم ان كنتم صادقين معناه تكذيبهم اياك مع علمهم بصدقك كقتل ابايهم الانبياء مع الاتيان
بالقرآن والمعجزات ثم قال معزيا لنبيه صلى الله عليه وسلم فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك
جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير الواضح المضى وانما عطف الكتاب المنير على الزبر لشرفه
وفضله وقيل اراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوريه والانجيل ثم اكد تسلية الرسول صلى
الله عليه وسلم فقال كل نفس ذايقة الموت فى الحديث لما خلق الله تعالى آدم اشتكت الارض
الى ربها لما اخذ منها فوعدها الله ان يرد فيها ما اخذ منها فما من احد الا يدفن فى التربه التى خلق
منها وانما توفون اجوركم يوم القيمه اى توفون جزاء اعمالكم يوم القيمه ان خيرا فخير وان شرا
فشر روى ابن ابى حاتم باسناده عن على بن ابى طالب رضى الله عنه لما توفى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وجاءت التعزيه جاءهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال السلام عليكم يا اهل
البيت ورحمة الله وبركاته كل نفس ذايقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيمه ان فى الله عزاء
من كل مصيبه وخلفا من كل هالك ودركا من كل ما فات فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب
من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال جعفر بن محمد فاخبرنى ابى ان على بن ابى
طالب رضى الله عنه قال تدرون من هذا هذا الخضر عليه السلام فمن زحزح عن النار الزحزحة
التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجله وادخل الجنه فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق
المتناول لكل ما يفارقه ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان
الله والنعيم المخلد اللهم وفق بفضلك فى الحديث المتفق عليه عن ابى هريره رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع سوط فى الجنه خير من الدنيا وما فيها اقروا ان شيتم
فمن زحزح عن النار وادخل الجنه فقد فاز وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب ان يزحزح عن النار وان يدخل الجنه فلتدركه
منيته وهو يومن بالله واليوم الآخر وليات الى الناس ما يحب ان يوتى اليه رواه الامام احمد
وغيره والحديث شامل للمحافظه على حقوق الله وحقوق الناس وما الحيوة الدنيا الا متاع
الغرور شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده و
رداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخره
فاما من طلب الآخره بها فانها متاع بلاغ قال قتادة هى متاع متروكه اوشكت والله الذى لا اله الا
هو ان تضمحل عن اهلها فخذوا من هذا المتاع طاعة الله ان استطعتم ولا قوة الا بالله وفى الحديث
ما الدنيا فى الآخره الا كما يغمس احدكم اصبعه فى اليم فلينظر بم يرجع اليه رواه
وفى الحديث المتفق عليه عن ابى هريره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل

اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرأوا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون وان في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ولا يقطعها اقرأوا ان شئتم وظل ممدود ولموضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرأوا ان شئتم فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحيوة الدنيا الا متاع ع الغرور لَتُبْلَوُنَّ اللام لام القسم تقديره والله لتبلون اي لتختبرن فيوقع عليكم المحن ليعلم المؤمن من غيره ويبتلى المرء على قدر دينه فان كان في دينه صلابة زيد في البلاء فِي أَمْوَالِكُمْ بالنقصان وقيل باداء ما فرض فيها من الحقوق وَأَنْفُسِكُمْ بالمصائب والامراض والقتل وفقد الاقارب والعشائر خوطب بهذه الاية المسلمون ليوطنوا انفسهم على احتمال الاذى وما سيلقون من الشدائد والمصائب ليصبروا على ذلك حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون بالصبر لها لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا قال الزهري نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وكعب بن الاشرف اليهودي وذلك انه كان يهجو النبي صلى الله عليه وسلم ويسب المسلمين ويحرض المشركين على قتالهم في شعره عن جابر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لكعب ابن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله قال محمد بن مسلمة اتحب ان اقتله قال نعم قال ائذن لي فلاقل قال قل فاتاه فقال له وذكر ما بينهم وقال ان هذا الرجل قد اراد الصدقة وقد عنانا فلما سمعه قال وايضا والله لتملنه قال انا قد اتبعناه ونكره الآن ان ندعه حتى ننظر الى اي شيء يصير امره قال وقد اردت ان تسلفني سلفا قال فما ترهنني قال ما تريد قال ترهنني نساءكم قال انت اجمل العرب انرهنك نساءنا قال له ترهنوني اولادكم قال يسب ابن احدنا فيقال رهن في وسقين من تمر ولكن نرهنك اللامة يعني السلاح قال نعم وواعده ان يأتيه بالحارث وابي عبس بن جبر وعباد بن بشر قال فجاءوا فدعوه ليلا فنزل اليهم قال امرأته اني لاسمع صوتا كانه صوت دم قال انما هو محمد ورضيعي ابو نائلة ان الكريم لو دعي الى طعنة ليلا لاجاب قال محمد اني اذا جاء فسوف امد يدي الى راسه فاذا استمكنت منه فدونكم قال فلما نزل نزل وهو متوشح فقالوا نجد منك ريح الطيب قال نعم تحتي فلانة اعطر نساء العرب قال فتأذن لي ان اشم منه قال نعم فشم فتناول فشم ثم قال اتأذن لي ان اعود فاستمكن منه ثم قال دونكم فقتلوه زاد في رواية ثم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه متفق عليه روى ابن ابي حاتم وغيره عن اسامة بن زيد قال كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم يعفون عن المشركين واهل الكتاب كما امرهم الله تعالى ويصبرون على الاذى قال الله عز وجل

ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وقال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأول في العفو ما امره الله تعالى به حتى اذن الله عز وجل فيهم وَإِنْ تَصْبِرُوا على اذاهم وَتَتَّقُوا فيما امركم به ونهاكم عنه فالصبر عبارة عن احتمال الاذى والمكروه والتقوى عبارة عن الاحتراز عما لا ينبغي فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ من معزومات الامور اي مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا قال عطاء من حقيقة الايمان ثم لما حكى عن اليهود سيما طاعنة في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم واجاب عنها اتبعه بما في التورية والانجيل من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم فقال وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ اي اذكر وقت اخذ الله الميثاق اهل الكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ولتظهرنه حتى تعلمونه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له آلله لتفعلن فاوجب على علماء التورية والانجيل ان يشرحوا للناس ما في هذين الكتابين من الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وَلَا تَكْتُمُونَهُ ولا يخفون ذلك عن الناس فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ اي طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا يعني المأكل والرشى فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ قال قتادة هذا ميثاق اخذه الله تعالى على اهل العلم فمن علم شيئا فليعلمه واياكم وكتمان العلم فانه هلكة وقال ابو هريرة لولا ما اخذ الله على اهل الكتاب ما حدثتكم شيئا ثم تلا هذه الآية واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب الآية وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه الجم يوم القيامة بلجام من نار رواه الترمذي وقال الحسن بن عمارة اتيت الزهري بعد ان ترك الحديث فالفيته على بابه فقلت ان رايت ان تحدثني فقال اما علمت اني قد تركت الحديث فقلت اما ان تحدثني واما ان احدثك فقال حدثني فقلت حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار قال سمعت علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان يعلموا قال فحدثني اربعين حديثا ثم بين ان بقاء المنافقين المتخلفين عن الجهاد والكفار الذين بقوا بعد شهداء احد لا خير فيه فقال لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا قال الفراء بما فعلوا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ بمنجاة مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ عن ابي سعيد الخدري ان رجالا من المنافقين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وحلفوا واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت ولا تحسبن

الذين يفرحون بما اتوا الآية متفق عليه وعن ابن ابي مليكة ان علقمة بن وقاص اخبره ان مروان قال لبوابه اذهب يا رافع الى ابن عباس فقل لئن كان كل امرئ فرح بما اوتي واحب ان يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن اجمعون فقال ابن عباس وما لكم ولهذه انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شيء فكتموه اياه واخبروه بغيره فاروه ان قد استحمدوا اليه بما اخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما اوتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب حتى قوله يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا متفق عليه قال عكرمة نزلت في فنحاص واشيع وغيرهما من الاحبار يفرحون باضلالهم الناس وبنسبة الناس اياهم الى العلم وليسوا باهل علم وقال مجاهد هم اليهود فرحوا باعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم اياهم عليه وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فهو يملك امرهم وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فهو يقدر على عقابهم ثم لما طال الكلام في تقرير الاحكام والجواب عن شبهات المبطلين عاد الى ما هو المقصود من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب والارواح من الاشتغال بالخلق الى الاستغراق في معرفة الحق بذكر ما يدل على التوحيد والالهية والكبرياء والجلال فقال إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته لِأُولِي الْأَلْبَابِ الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار قال الكاشف نقلا عن بعضهم ان الخواص لم ينظروا الى الكون والحوادث الا مشاهدة للآيات وما شاهدوا الآيات الا مشاهدة الحق فيها ومن شاهد الحق لم تمازج سريرته طمع الحدثان عن ابن عمر رضي الله عنه قال قلت لعائشة رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رايت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك ان تأذني لي في عبادة ربي الليلة قلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك فقد اذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رايت دموعه قد بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال ومالي لا ابكي وقد انزل الله علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها اورده في الكشاف ورواه ابن مردويه بادنى تغيير وعن ابن عباس انه رقد عند النبي صلى الله عليه وسلم فرآه استيقظ فتسوك ثم توضأ وهو يقول ان في خلق السموات والارض حتى ختم السورة ثم قام فصلى ركعتين

فاطال فيهما القيام والركوع والسجود ثم انصرف فنام حتى نفخ ثم فعل ذلك ثلث مرات ست ركعات كل ذلك يستاك ثم يتوضأ ثم يقرأ هؤلاء الآيات ثم اوتر بثلاث ركعات ثم اتاه المؤذن فخرج الى الصلوة وهو يقول اللهم اجعل في بصري نورا وفي سمعي نورا وفي لساني نورا واجعل من خلفي نورا ومن امامي نورا واجعل من فوقي نورا ومن تحتي نورا اللهم اعطني نورا رواه كريب عن ابن عباس وزاد اللهم اجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن يساري نورا رواه محيي السنة وغيره ثم وصف ذوي الالباب فقال الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ قال امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وابن عباس والنخعي وقتادة هذا في الصلوة يصلي قائما فان لم يستطع فقاعدا فان لم يستطع فعلى جنب والمعنى انهم يصلون في كل حال ولا يتركون الصلوة بحال عن عمران بن حصين قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلوة المريض فقال صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب رواه الترمذي وغيره وقال اكثر المفسرين اراد به المداومة على الذكر في عموم الاحوال لان الانسان قلما يخلو من احدى هذه الاحوال الثلث نظيره في سورة النساء فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله عز وجل في كل احيانه رواه مسلم وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة وما مشى احد ممشى لا يذكر الله فيه الا كانت عليه من الله ترة اخرجه ابو داود والترة النقص وقيل التبعة قال النصراباذي الذين يذكرون الله قياما بقيوميته افمن هو قائم على كل نفس وقعودا بمجالسة انا جليس من ذكرني وعلى جنوبهم على اشارة يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله قال بعضهم الذين يذكرون الله قياما وقعودا يذكرونه قائمين باتباع اوامره وقعودا اي قعودا عن زواجره ونواهيه وعلى جنوبهم اي وعلى اجتنابهم مطالعات المخالفات بحال وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وما ابدع فيهما ليدلهم ذلك على قدرة الصانع ويعرفون ان لها صانعا قادرا مدبرا حكيما قال ابن عون الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة قال بعضهم هو دونه اسمه قيل التفكر في الاشياء وواسطة التفكر الا ترى الاشياء قائمة بالله وفساد التفكر ان يرى الاشياء فيستدل بها على الله وقيل ذلك بالتفكر في صفات الحق لا في المحدثات ولو كان ذلك على المحدثات لقال ويتفكرون في السموات رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا يعني يتفكرون قائلين ما خلقت هذا

خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وادلة لهم على
معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك قال فارس الحكمة في اظهار الكون اظهار حقايق
حكمته بالفعل الحكمي وقال للخواص امرهم بالتفكر في خلق السموات والارض ثم قطعهم عن ذلك بقوله
ربنا ما خلقت هذا باطلا دلهم عليها ثم حثهم على الرجوع اليه لكيلا يبقوا معها فيسقطوا عن مشاهدته
والاقبال عليه سبحانك جملة معترضة للتنزيه من العيب وان يخلق شيئا بغير حكمة فقنا عذاب
النار متصل بقوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا لانه جزاء من عصى ولم يطع قال الكاشف لما نزل
القوم من مقام الذكر الخالص بغير الوسايط الى مقام التفكر في الافعال والآيات ووقعوا في رؤية
الخلق ادركوا ما فاتهم من خالص الذكر بقوله سبحانك اي انت منزه عن كل ذكر وكل خاطر واشارة
وعبارة وانت اعظم من ان يدركك احد بوسيلة الكون حيث لم يدركك بكل ذكر خالص ولا يدركك
الا بك كل عارف سبحانك عما وصفناك بلسان الحدث انت كما اثنيت على نفسك بقولك سبحان الله
عما يصفون وقنا عذاب النار اي عن طلبنا بنا لا بك وعذاب النار عذاب البعد وذلك نيران
الفراق وهو احرق من نار الظاهر ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته فقد ابلغت في
اخزائه وهو نظير قوله تعالى فقد فاز وقد تمسكت المعتزلة بهذه الآية وقالوا قد اخبر الله تعالى
انه لا يخزي النبي والذين امنوا معه فوجب ان كل من تدخل النار لا يكون مومنا لقوله انك
من تدخل النار فقد اخزيته والمومن لا يخزى وقد ذكر العلماء في الجواب وجوها احدها ما روي
عن انس في تفسير قوله تعالى انك من تدخل النار فقد اخزيته قال من تخلده وروي عن سعيد بن
المسيب قال هي خاصة لمن لا يخرج منها فقد روى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
يدخل قوما النار ثم يخرجون منها الثاني ان الخزي يحتمل معاني منها الاهانة والاهلاك والابعاد و
هذا للكفار ومنها الانفعال يقال خزي خزاية اذا استحيى واذا احل عملا استحيى منه وتخجل فيكون
خزي المومن الذي يدخل النار الحياء من المومنين بدخوله النار وخزي الكافر الهلاك بالخلود في
النار وحاصل هذا الجواب ان لفظ الاخزاء مشترك بين التخجيل والاهلاك واللفظ المشترك لا يمكن
حمله قطعا في النفي والاثبات على معنييه جميعا وهذا اسقط الاستدلال والجواب الثالث وهو
الذي اختاره الامام الرازي ان قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه لا يقتضي نفي
الاخزاء مطلقا وانما يقتضي ان لا يحصل الاخزاء حال ما يكونون مع النبي وهذا النفي لا يناقضه اثبات
الاخزاء في الجملة لاحتمال ان يحصل ذلك الاثبات في وقت آخر والله اعلم وما للظالمين يعني المشركين
الذين وضعوا العبادة في غير موضعها من انصار ينصرونهم يوم القيمة ربنا اننا سمعنا مناديا
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قاله ابن مسعود وابن عباس واكثر الناس وقال القرطبي يعني القران

فليس

فليس كل احد يلقى النبي صلى الله عليه وسلم ينادي للايمان يقال ناداه له واليه كما يقال دعاه لكذا
والى كذا وندبه لكذا والى كذا وهداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الا
واقعان جميعا ان آمنوا بربكم فآمنا قال الكاشف ربنا سمعنا بارواحنا واسرارنا منك فآمنا بك
فاسمعنا ظاهرا وباطنا مناديك وصدقناه بما وجدنا حلاوة اليقين في قلوبنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا
كباير ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا اي صغاير ذنوبنا وقيل ذكرهما للمبالغة لان الالحاح في الدعاء مندوب
اليه وقيل يريد بالغفران ما يزول بالتوبة من الذنوب وبالتكفير ما يكفر من الذنوب بالطاعات وقيل
معناه اغفر لنا ما تقدم من ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا في المستقبل وتوفنا مع الابرار يعني في جملتهم وزمرتهم
والابرار هم الانبياء والصالحون والمعنى توفنا على مثل اعمالهم حتى نكون في درجتهم يوم القيمة وقيل
توفنا في جملة اتباعهم واشياعهم قال الكاشف اي اغفر قصور معرفتنا بك فانه اعظم الذنوب حيث نطلب
معرفة القدم بالحدث وكيف يكون مقارنة القدم بالحدث وكفر عنا سيئاتنا اي تجاوز بكرمك عن
كل خاطر يشير الى غيرك بعد ما وجدنا حلاوة وصلتك وتوفنا مع الابرار اي توفنا مع الذين انوار علم
كشف مشاهدتك لهم وابقاء محبتك في قلوبهم قال الشيخ مع من رضيت ظاهرهم للخلق وباطنهم لك
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك على السنة رسلك قال الكاشف اي نحن احترقنا بنيران محبتك فارزقنا
حسن مشاهدتك الى وعدت رسولك بقولك للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا تخزنا يوم القيمة
لا تعذبنا ولا تهلكنا ولا تفضحنا ولا تهنا يوم القيمة قال الشيخ ابو عبد الرحمن اي لا تجازنا باعمالنا وعد
علينا بفضلك ورحمتك انك لا تخلف الميعاد فان قيل كيف دعوا الله بانجاز ما وعده والله لا يخلف
الميعاد اجيب ان معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجاء الى
الله تعالى والخضوع له كما كان الانبياء يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم
والتضرع اليه والالتجاء الذي هو سيماء العبودية وقيل في الجواب انما سألوه تعجيل ما وعدهم من
النصر على الاعداء قالوا قد علمنا انك لا تخلف وعدك من النصر ولكن لا صبر لنا على حلمك فعجل خزيهم
وانصرنا عليهم قال الكاشف انك لا تخلف الميعاد بقولك رحمتي سبقت غضبي قال الاستاد في تفسير
هذه الآية اي حقق لنا ما وعدتنا على السنة الوسايط من اكمال النعم وكشف السوء وغفران
سبق منا من متابعات الهوى فاستجاب لهم ربهم يقال استجاب له واستجابه روى ابن مردويه
انه آخر آية نزلت فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل الى آخرها اني لا اضيع قرئ بالكسر على
ارادة القول وقرئ بالفتح على حذف الباء اي باني لا اضيع ولا احبط عمل عامل ايها المومنون منكم
من ذكر او انثى بعضكم من بعض كل واحد منكم من الآخر اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم
واتحادكم وقال الكلبي في الدين والنصرة والموالاة وهذه جملة معترضة يثبت بها شركة النساء مع

الرجال فيما وعد الله عباده العاملين قال مجاهد قالت ام سلمة يا رسول الله اني اسمع الله يذكر
الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فانزل الله تعالى هذه الآية بعضكم من بعض فبين ان الرجال و
النساء في الطاعة على شكل واحد فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم تفصيل لعمل العامل
منهم على سبيل التعظيم والتفخيم كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية وهي المهاجرة عن
اوطانهم لدينهم وقرابتهم قال الكاشف في هذه الآية اشارة الى تنزيه الارواح من الخطرات
وتقديس الاشباح من الشهوات هاجروا من غير الله الى الله ثم ان الله تعالى حث الاعداء باخراجهم
عن ديارهم لحب غربة العاشقين الصادقين كيلا يركنوا بالطبع والحب الى الاخوان والاوطان
قيل في منازلهم كانوا السرور وفارقوا قرار السوء واوذوا في سبيلي اي في طاعتي وديني قال
الكاشف ان القوم اذا لم يذوقوا مرارة ايذاء المنكرين لم يبلغوا حقايق الالتجاء الى الله والفرار اليه
فايذاء الاضداد بهم للاولياء الى مقام القبض وضيق الصدر وذلك محل الامتحان من الله سبحانه
لكظمهم غصص غيظ المنكرين ليفتح بعد ذلك ابواب الخطاب وصفاء البسط وسرور المنة قال
الجنيد جزى الله اخواننا عنا خيرا ردونا بجفائهم الى الله وهذا سنة الله التي قد جرت على اهل
سلوك المعارف والكواشف قال تعالى ولن تجد لسنة الله تبديلا وقاتلوا العدو وقتلوا
لاكفرن عنهم سيئاتهم لامحون عنهم ذنوبهم ولاغفرنها لهم ولادخلنهم جنات تجري من
تحتها الانهار ثوابا من عند الله اثابة لا يثيبه ولا يقدر عليه غيره والله عنده حسن الثواب
قد ثبت في ان رجلا قال يا رسول الله ارايت ان قتلت في سبيل الله صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر ايكفر
الله عني خطاياي قال صلى الله عليه وسلم نعم ثم قال كيف قلت قال فاعاد عليه ما قال فقال نعم الا الدين
قاله لي جبريل عليه السلام آنفا وفي هذه الآيات تعليم من الله لعباده كيف يدعى وكيف يبتهل اليه
ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة قال جعفر الصادق من
حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرأ هذه الآيات وقال
الحسن حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم ثم لما وعد الله المومنين الثواب
العظيم وكانوا في الدنيا في نهاية الفقر والشدة والكفار كانوا في النعم ذكر في هذه الآية ما يسليهم
ويصبرهم على تلك الشدة فقال لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد نزلت في المشركين
وذلك انهم كانوا في رخاء ولين من العيش يتجرون ويتنعمون فقال بعض المومنين ان اعداء
الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا في الجهد فانزل الله هذه الآية لا يغرنك تقلب الذين كفروا في
البلاد ضربهم في الارض وتصرفهم في البلاد للتجارات وانواع المكاسب فالخطاب مع النبي صلى
الله عليه وسلم والمراد منه غيره متاع قليل اي هو متاع قليل بلغة فانية ومتعة زايلة

ثم مأواهم

ثم مأواهم مصيرهم جهنم وبئس المهاد الفراش لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من عند الله
من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا النزل ما يقام للنازل وما عند الله خير للابرار مما يتقلب
فيه الفجار من القليل الزايل عن عمر بن الخطاب جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مشربة وانه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء وتحت راسه وسادة من ادم حشوها ليف
وان عند رجليه قرظا مصبورا وعند راسه اهب معلقة فرايت اثر الحصير في جنبه فبكيت
فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله ان كسرى وقيصر فيما هما فيه وانت رسول الله فقال اما ترضى
ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة متفق عليه قال الكاشف بين الله تعالى رفعة منازل المتقين
في الجنات ثم انهم لطائف العندية لهم بقوله وما عند الله خير للابرار اي ما عنده من نعم المشاهدة
ولطائف القربة وحلاوة الوصلة خير مما فيه من النعمة في الجنة ثم لما ذكر حال المومنين و
كان قد ذكر حال الكفار قبل بان مصيرهم الى النار بين في هذه الآية ان من آمن منهم كان داخلا
في صفة الذين اتقوا فقال وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله قال جابر وابن عباس وانس و
قتادة نزلت في النجاشي ملك الحبشة واسمه اصحمة وهو بالعربية عطية وذلك انه لما مات
نعاه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي مات فيه فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لاصحابه اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم النجاشي فخرج الى البقيع
وكشف له الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي وصلى عليه وكبر اربع تكبيرات واستغفر
له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج حبشي نصراني وليس على دينه ولم يره قط
فانزل الله تعالى هذه الآية وقال ابن جريج نزلت في عبد الله بن سلام واصحابه وقال مجاهد
نزلت في مومني اهل الكتاب كلهم وما انزل اليكم يعني القران وما انزل اليهم يعني التورية
والانجيل خاشعين لله متواضعين له غير مستكبرين لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا يعني
لا يحرفون كتبهم ولا يكتمون صفة محمد صلى الله عليه وسلم لاجل الرياسة والمآكل كفعل غيرهم من روساء
اليهود اولئك لهم اجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه
كل عامل من الاجر ويجوز ان يراد ان ما توعدون لآت قريب ثم ختم السورة باية جامعة لا
سباب السعادة الدارين وذلك ان احوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق به وحده فامر فيه
بالصبر ويندرج فيه الصبر على مشقة النظر والاستدلال في معرفة التوحيد والعدل والنبوة
والمعاد والصبر على اداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر على شدايد
الدنيا وآفاتها ومخاوفها الثاني ما يتعلق بالمشاركة مع اهل المنزل او المدينة فامر فيه بالمصابرة
ويدخل فيه تحمل الاخلاق الردية من الاقارب والاجانب وترك الانتقام منهم والامر بالمعروف

والنهي عن المنكر والجهاد مع اعداء الدين بالجد واللسان والسيف والسنان ثم انه لابد للانسان في كلفة اقسام الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الداعية على اضداد ذلك فامر بالمرابطة وهو من الربط بمعنى الشد فكل من صبر على امر فقد ربط قلبه عليه والزم نفسه اياه ثم لابد في جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق حتى يكون معتدا بها فلهذا امر بتقوى الله ثم لما تمت وظيفة العبودية ختم الكلام على وظيفة الربوبية ورجاء الفلاح منه فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا قال الحسن وغيره اصبروا على دينكم فلا يدعوه لشدة ولا رخاء وقال الكلبي على البلاء وَصَابِرُوا الكفار والاعداء وجاهدوهم وَرَابِطُوا اقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها وموضع سوط احدكم من الجنة خير من الدنيا وما فيها والروحة يروحها العبد في سبيل الله او الغدوة خير من الدنيا وما عليها متفق عليه وقال بعضهم المرابطة هي المداومة في مكان العبادة والثبات قال ابن عباس وسهل بن حنيف ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم المراد انتظار الصلوة بعد الصلوة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بما يمحو الله عز وجل به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى الى المساجد وانتظار الصلوة بعد الصلوة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط رواه مسلم وغيره وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن قال اقبل علي ابو هريرة رضي الله عنه يوما فقال اتدري يا ابن اخي فيما انزلت هذه الآية يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا قلت لا قال اما انه لم يكن في زمان النبي صلى الله عليه وسلم عدو يرابطون فيه ولكنها نزلت في قوم يعمرون المساجد يصلون الصلوة في مواقيتها ثم يذكرون الله عز وجل فيها فعليهم انزلت اصبروا اي على الصلوات الخمس وصابروا انفسكم وهواكم ورابطوا في مساجدكم واتقوا الله فيما عليكم لعلكم تفلحون رواه ابن مردويه وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات مرابطا في سبيل الله عز وجل اجرى عليه اجر عمله الصالح الذي كان يعمل واجرى عليه رزقه وامن من الفتان وبعثه الله يوم القيمة آمنا من الفزع رواه ابن ماجه والفتان الشيطان وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات مرابطا وقي فتنة القبر وامن من الفزع الاكبر وغدي عليه وريح برزقه من الجنة وكتب له اجر المرابط الى يوم القيمة رواه الامام احمد وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله

البلاء

رواه الترمذي

رواه الترمذي وعن معاذ بن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حرس من وراء المسلمين في سبيل الله تعالى متطوعا لا باجرة سلطان لم ير النار بعينه الا تحلة القسم فان الله عز وجل يقول وان منكم الا واردها رواه الامام احمد وَاتَّقُوا اللَّهَ اي في جميع احوالكم واموركم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه الى اليمن اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ في الدنيا والآخرة وعن محمد بن كعب القرظي انه كان يقول في قول الله عز وجل واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا الله فيما بيني وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتموني عن زيد بن اسلم قال كتب ابو عبيدة رضي الله عنه الى عمر بن الخطاب يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم فكتب اليه عمر رضي الله عنه اما بعد فانه مهما ينزل بعبد مؤمن من منزلة شدة يجعل الله عز وجل له بعدها فرجا وانه لن يغلب عسر يسرين وان الله تبارك وتعالى يقول في كتابه يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون قال الكاشف اعلم الحق سبحانه وتعالى حقيقة لهب نيران فؤاد المشتاقين وتلاطم بحار وبالامرهم بالصبر في لوعة الفراق اي اصبروا ايها المشتاقون في ركوب عظائم آلام المحبة والشوق على قلوبكم بتذكركم بلوغ وصالي فاذا اشتد الامر عليكم بالصبر في بلائي صابروا على الصبر كيلا يحرج صبركم في غمام الفرقة والاحتراق في المحبة اصبروا بمشاهدتي وصابروا بوصلتي في طلبكم حقائق معرفتي اصبروا باسراركم وصابروا باسراري ولا تكشفوها عند الاغيار ورابطوا قلوبكم بكتمانها واتقوا الله في افشاء السر كيلا تحجبوا عنه لعلكم تفلحون تظفرون بسمة جمالي وحسن وصالي وتفوزون من الم عذاب فراقي قال الجنيد ان الله تبارك وتعالى ذكر الصبر وشرفه وعظم شان الصابرين لديه فقال يا ايها الذين آمنوا اصبروا وصابروا امرهم بالصبر على الصبر ثم قال ورابطوا وهو ارتباط السر مع الله سرا والوقوف مع البلاء جهرا قال جعفر اصبروا عن المعاصي وصابروا على الطاعات ورابطوا الارواح بالمشاهدة واتقوا الله اي اجتنبوا الانبساط مع الحق لعلكم تفلحون تبلغون مواقف اهل الصدق فانه محل الفلاح سورة النساء مائة وسبعون وست آية

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وهي نفس ابيكم آدم وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وهي حواء وذلك ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام القى عليه النوم ثم خلق حواء من ضلع من اضلاعه اليسرى وهو قصير فلما استيقظ رآها جالسة عند راسه فقال لها ما انت فقالت امرأة قال لما خلقت قالت خلقت لتسكن الي فقال الملائكة فما اسمها قال حواء قالوا لم قال لانها خلقت منه واختلفوا في اي وقت خلقت حواء فقال كعب الاحبار ووهب وابن اسحق خلقت قبل دخول الجنة وقال ابن مسعود وابن

قال الواسطي التقوى على اربعة وجوه للعامة تقوى الشرك وللخاص تقوى المعاصي وللخاص من الاولياء تقوى التوسل بالافعال وللانبياء تقواهم منه اليه صح

عباس انما خلقت في الجنة بعد دخوله اياها وَبَثَّ نشر واظهر مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ يتساءلون به وَالْأَرْحَامَ قرأة العامة بالنصب اي واتقوا الارحام ان تقطعوها وقرأ حمزة بالخفض اي وبالارحام كما تقول سألتك بالله والرحم والقراءة الاولى افصح عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله متفق عليه وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يبسط عليه من رزقه وينسأ في اثره فليصل رحمه ينسأ في اثره اي يؤخر له في اجله متفق عليه وعن جبير بن مطعم لا يدخل الجنة قاطع متفق عليه وعن الحسن من سألك بالله فاعطه ومن سألك بالرحم فاعطه قال الكاشف اي اتقوا من فراق الذي تسألون منه به مشاهدة ووصله وخوفهم بالارحام اي اجتنبوا من مخالفة اوليائي وقطع رحم الصحبة فان صحبتي موصلة بصحبتهم ومن فارق منهم فقد فارقني إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا حافظا لا يغفل عما خلق وفي الحديث الصحيح اعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك وهذا ارشاد وامر بمراقبة الرقيب ثم اعلم انه لما افتتح السورة بذكر ما يدل على انه يجب على العبد ان يكون منقادا للتكاليف الله تعالى محترزا عن مساخطه شرع بعد ذلك في شرح اقسام التكاليف فابتدأ بما يتعلق باليتامى فقال وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ قال مقاتل والكلبي نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية فلما سمعها العم قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم من يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الصبي ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا كيف فقال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده والخطاب في آتوا للاولياء والاوصياء واليتامى جمع يتيم واليتيم اسم لصغير لا اب له ولا جد وانما دفع المال اليه بعد البلوغ وسماهم يتامى لقرب عهدهم بالصغر كما سمي الناقة عشراء بعد وضعها وفيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ اي لا تستبدلوا مالهم الذي هو حرام عليكم بالحلال من اموالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض قال سعيد بن المسيب والنخعي والزهري والسدي كان اولياء اليتامى ياخذون الجيد من مال اليتيم ويجعلون مكانه الردي فربما كان ياخذ احدهم الشاة السمينة من مال اليتيم ويجعل مكانها المهزولة وياخذ الدرهم الجيد ويجعل مكانه الزيف ويقول درهم بدرهم فنهوا عن ذلك وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ لا تنفقوها معها ولا تضموها اليها في الانفاق

حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال قال صاحب الكشاف اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم كانوا يفعلون لذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون ازجر لهم إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا الحوب الذنب العظيم ثم ذكر حكم الانكحة فقال وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ حل لكم مِنَ النِّسَاءِ اختلفوا في الآية قال بعضهم معناه ان خفتم يا اولياء اليتامى ان لا تعدلوا فيهن اذا نكحتموهن فانكحوا غيرهن من الغرائب في صحيح البخاري ان عروة بن الزبير سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله تعالى وان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فقالت يا ابن اختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها فيريد وليها ان يتزوجها بغير ان يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا عن ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن ويبلغوا بهن اعلى سنتهن في الصداق وامروا ان ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن وقال الحسن كان الرجل من اهل المدينة يكون عنده الايتام وفيهن من يحل له نكاحها فيتزوجها لاجل مالها وهي لا تعجبه كراهية ان يدخل غريب فيشاركه في مالها ثم يسيء صحبتها ويتربص بها ان تموت فيرثها فعاب الله تعالى ذلك وانزل هذه الآية وقال عكرمة كان الرجل من قريش يتزوج العشر من النساء والاكثر فاذا صار معدما من مؤن نسائه مال الى مال يتيمه الذي في حجره فانفقه فقيل لهم لا تزيدوا على اربع حتى لا يحوجكم الى اخذ اموال اليتامى وهذه رواية طاؤس عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير وقتادة والضحاك والسدي كانوا يتحرجون عن اموال اليتامى ويترخصون في النساء فيتزوجون ما شاؤا وربما عدلوا وربما لم يعدلوا فلما انزل الله تعالى في اموال اليتامى وآتوا اليتامى اموالهم انزل هذه الآية وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى يقول فلما خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى فكذلك خافوا في النساء ان لا تعدلوا فيهن فلا يتزوجوا اكثر مما يمكنكم القيام بحقهن وقال مجاهد معناه ان تحرجتم من ولاية اليتامى واموالهم ايمانا فكذلك تحرجوا من الزنا فانكحوا النساء نكاحا طيبا ثم بين لهم عددا وكانوا يتزوجون ما شاؤا من غير عدد فقال مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ نعت فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا والآية على ما قاله ابن عباس وجمهور العلماء يدل على انه لا يجوز الزيادة على اربع لان المقام مقام امتنان واباحة فلو كان يجوز الجمع بين اكثر من اربع لذكره قال الشافعي رحمه الله وقد دلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبينة عن الله عز وجل انه لا يجوز لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجمع بين اكثر من اربع وروي عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج خمس عشرة امرأة ودخل منهن بثلاث عشرة واجتمع عنده احدى عشرة ومات عن تسع وهذا عند العلماء من

من النساء اي الحرائر

من خصايص رسول الله صلى الله عليه وسلم للاحاديث الدالة على الحصر في اربع عن سالم
عن ابيه قال ان غيلان بن سلمة الثقفي اسلم وتحته عشر نسوة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
اختر منهن اربعا رواه الامام احمد والترمذي وابن ماجة وغيرهم وفي سنن ابي داود ان قيس بن
الحرث اسلم وعنده ثمان نسوة فذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن اربعا وفي مسند
الامام ابي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي عن نوفل بن معوية الديلي قال اسلمت وعندي خمس
نسوة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك اربعا ايتهن شئت وفارق الاخرى
فَإِنْ خِفْتُمْ أَنْ لَا تَعْدِلُوا بين هذه العدد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها فَوَاحِدَةً فاختاروا
واحدة أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ يعني السراري لانه لا يلزم فيهن من الحقوق ما يلزم في الحراير ولا
يجب القسم لهن بل يستحب ولا حصر في عددهن ذَلِكَ اشارة الى اختيار الواحدة والتسري
أَدْنَى أَنْ لَا تَعُولُوا اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان اذا مال وعال الحاكم في حكمه
اذا جار وقد روت عايشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تعولوا ان
لا تجوروا رواه ابن ابي حاتم وابن مردويه وقال الشافعي ان لا تكثروا عيالكم وقد انكر بعضهم
على الشافعي فقال انما يقال من كثرة العيال اعال الرجل يعيل اعالة اذا كثر عياله وروى الازهري
عن الكسائي انه قال عال الرجل اذا افتقر واعال اذا كثر عياله ولا يحكي الكسائي عن العرب الا
ما حفظه وضبطه وقول الشافعي نفسه حجة لانه عربي فصيح وقال ابو حاتم كان الشافعي اعلم
بلسان العرب منا وقال هي لغة حمير وقراءة طلحة بن مصرف وطاوس ان لا تعيلوا وهو حجة
للشافعي رضي الله عنه قال صاحب الكشاف وجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عيالة يعولهم
لقولك مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة
على حدود الشرع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وائمة الشرع وورثة
المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي
عن عمر رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من في اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير محملا
وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ مهورهن نِحْلَةً عن طيبة نفس ذكره ابو عبيدة من نحله كذا
اذا اعطاه اياه ووهب له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا وقال الزجاج تدينا فان النحلة
الملة يقال فلان ينتحل كذا اي يدين به وقال قتادة فريضة في الحديث الصحيح المتفق عليه
عن عقبة بن عامر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احق الشروط ان توفوا به
ما استحللتم به الفروج فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا اي فان طابت نفوسهن بشيء
من ذلك فوهبن منكم فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا سايغا من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سايغا

لا تنغيص فيه وقيل الهني ما يلذه الآكل والمري ما تحمد عاقبته وفي الآية دليل على ضيق المسلك
في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بني الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن لكم ولم يقل فان وهبن
او سمحن اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وفي الآية دليل على ان الصداق
حق المرأة لا حق للولي فيه عن علي رضي الله عنه انه قال اذا اشتكى احدكم شيئا فليسأل امرأته
ثلثة دراهم او نحو ذلك فليبتع عسلا ثم يأخذ ماء السماء فيجمع هنيئا مريئا شفاء مباركا رواه ابن
ابي حاتم ثم ذكر حكم السفهاء فقال وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ اصل السفه الخفة واستعمل في خفة
النفس لنقصان العقل في الامور الدينية والدنيوية فالسفهاء الجهال بموضع الحق ومن ها
يوخذ الحجر على السفهاء فتارة يكون الحجر على الصغير وتارة على المجنون وتارة على المبذر لسوء
التصرف والمبذر هو الذي ينفق ماله فيما لا يكون فيه مثوبة اخروية ولا مصلحة دنيوية قال
سعيد بن جبير وعكرمة هو مال اليتيم يكون عندك يقول لا تؤته اياه وانفق عليه حتى يبلغ وانما
اضاف الى الاولياء فقال اموالكم لانهم قوامها ومدبروها وقال الحسن هي امرأتك السفيهة و
ابنك السفيه قال ابن عباس لا تعمد الى مالك الذي خولك الله وجعله لك معيشة فتعطيه امرأتك
وبنيك فيكونوا هم الذين يقومون عليك ثم تنظر الى ما في ايديهم ولكن امسك مالك واصلحه و
كن انت الذي تنفق عليهم في مؤنتهم ورزقهم الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا سببا للقيام بالمعاش
اطلاقا لاسم المسبب على السبب على سبيل المبالغة قال الضحاك به قيام الحج والجهاد واعمال البر
فكاك الرقاب من النار وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ واجعلوها مكانا لرزقهم طعامهم وكسوتهم
وغيرهما بان تتجروا فيها وتربحوا حتى يكون نفقتهم من الارباح لا من صلب المال فلا يأكلها الانفاق
وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا عدة جميلة وقال عطاء يقول اذا ربحت اعطيتك وان غنمت جعلت لك
حظا وقيل قولا لينا تطيب به انفسهم عن ابي موسى رضي الله عنه انه قال ثلثة يدعون الله تعالى
فلا يستجاب لهم رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل اعطى ماله سفيها وقد قال تعالى
ولا تؤتوا السفهاء اموالكم ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه قال الامام كانه تعالى يقول اني
وان كنت امرتكم بايتاء اليتامى اموالهم وبدفع صدقات النساء اليهن فانما ذلك اذا كانوا عاقلين
بالغين متمكنين من حفظ اموالهم فاما اذا كانوا غير بالغين او غير عقلاء او ان كانوا بالغين عقلاء
الا انهم سفهاء مسرفين فلا تدفعوا اليهم اموالهم وامسكوها لاجلهم الى ان يزول عنهم السفه والمقصود
والمقصود من كل ذلك الاحتياط في حفظ اموال الصغار والعاجزين قال الكاشف المال حقايق
المعرفة التي لا يعرفها الا الربانيون اي لا تظهروها للمبتدئين لئلا تفسد عقايدهم ثم انه تعالى
بين انه متى تؤتى اليتامى اموالهم فقال وَابْتَلُوا الْيَتَامَى نزلت في ثابت بن رفاعة وفي عمه

وذلك ان رفاعة توفي وترك ابنه ثابتا وهو صغير فجاء عمه الى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال ان ابن اخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله ومتى ادفع اليه ماله فانزل الله عز وجل وابتلوا
اليتامى اختبروهم في عقولهم وادبانهم وحفظهم اموالهم حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ اي مبلغ الرجال
والنساء فيصلحون للنكاح ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد والتناسل فَإِنْ آنَسْتُمْ
ابصرتم مِنْهُمْ رُشْدًا قال المفسرون يعني عقلا وصلاحا في الدين وحفظا للمال وعلما بما يصلحه
قال سعيد بن جبير ومجاهد والشعبي لا يدفع اليه المال وان كان شيخا حتى يونس منه رشده
فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا مسرفين ومبادرين أَنْ يَكْبَرُوا في محل النصب
اي لا تبادروا كبرهم ورشدهم حذرا ان يبلغوا فيلزمكم تسليمها اليهم ثم بين ما يحل لهم من مالهم فقال
عز من قائل وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ اي ليمتنع من مال اليتيم فلا يرزؤه قليلا او كثيرا والعفة
الامتناع عما لا يحل وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا محتاجا الى مال اليتيم وهو يحفظه ويتعهده فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ
قال عطاء وعكرمة يأكل باطراف اصابعه ولا يسرف ولا يقتني ولا يكتسي منه ولا يلبس
الكتان ولا الحلل ولكن ما سد الجوعة ووارى العورة وقال الحسن وجماعة يأكل من ثمر نخيله
ولبن مواشيه بالمعروف ولا قضاء عليه فاما الذهب والفضة فلا فان اخذ شيئا منه رده و
قال بعضهم المعروف ان يأخذ من ماله بقدر قيامه واجرة عمله ولا قضاء عليه وهو قول عايشة
وجماعة من اهل العلم وقال الفقهاء له ان يأكل اقل الامرين اجرة مثله او قدر حاجته فَإِذَا دَفَعْتُمْ
إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ هذا امر ارشاد وليس بواجب امر الولي بالاشهاد على دفع المال
الى اليتيم بعد ما بلغ ليزول عنه التهمة وينقطع الخصومة وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا اي كافيا في الشهادة
عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب في صحيح مسلم ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا ذر اني اراك ضعيفا واني احب لك ما احب لنفسي لا تامرن على
اثنين ولا تولين مال يتيم ثم ذكر نوعا آخر من الاحكام وهو ما يتعلق بالمواريث والفرايض
فقال لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ نزلت في اوس بن ثابت الانصاري توفي
وترك امرأة يقال لها ام كحة وثلث بنات له منها فقام رجلان وهما ابنا عم الميت ووصياه سويد
وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئا وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا
الضعفاء وان كان الصغير ذكرا انما كانوا يورثون الرجال ويقولون لا نعطي الا من قاتل وحاز
الغنيمة فجاءت ام كحة فقالت يا رسول الله ان اوس بن ثابت مات وترك علي بنات وانا امرأة
وليس عندي ما انفق عليهن وقد ترك ابوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة لم يعطياني
ولا بناته شيئا وهن في حجري لا يطعمن ولا يسقين فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقالا يا رسول الله ولدها لا تركب فرسا ولا تحمل كلا ولا تنكأ عدوا فانزل الله عز وجل للرجال
اي للذكور من اولاد الميت واقربائه نصيب حظ مما ترك الوالدان والاقربون من الميراث
وَلِلنِّسَاءِ يعني للاناث منهم نَصِيبٌ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا مقطوعا واجبا لا بد لهم
من ان يحوزوه فاثبت لهن الميراث ولم يبين كم هو فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى سويد وعرفجة لا تفرقا من مال اوس بن ثابت شيئا فان الله عز وجل جعل لبناته نصيبا
مما ترك ولم يبين كم هو حتى انظر ما ينزل فيهن فانزل الله تعالى يوصيكم الله في اولادكم
فلما نزلت ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سويد وعرفجة ان ادفعا الى ام كحة الثمن
مما ترك والى بناته الثلثين ولكما باقي المال وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ يعني قسمة المواريث أُولُو الْقُرْبَى
الذين لا يرثون وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ مما ترك قبل ان يقسم واختلف العلماء
في حكم هذه الآية فقال قوم هي منسوخة قال سعيد بن المسيب والضحاك كانت هذه قبل آية الميراث
فلما نزلت آية الميراث جعلت المواريث لاهلها ونسخت هذه الآية وقال الآخرون هي محكمة وهو
قول ابن عباس والشعبي والنخعي والزهري قال مجاهد هي واجبة على اهل الميراث ما طابت
به انفسهم وقال بعضهم هو على الندب قال الحسن كانوا يعطون التابوت والاواني ورث
الثياب والمتاع والشيء الذي يستحيى من قسمته وان كان بعض الورثة طفلا فاختلفوا
فقال ابن عباس وغيره ان كانت الورثة كبارا ارضخوا لهم وان كانت صغارا اعتذروا اليهم
فيقول الولي او الوصي اني لا املك هذا المال انما هو للصغار ولو كان لي منه شيء لاعطيتكم
وان يكبروا فسيعرفون حقكم هذا هو القول المعروف وقال بعضهم ذلك حق واجب في اموال
الصغار والكبار فان كانوا كبارا تولوا اعطاءهم وان كانوا صغارا اعطى وليهم روى محمد بن سيرين
ان عبيدة السلماني قسم اموال الايتام فامر بشاة فذبحت فصنع طعاما لاهل هذه الآية و
قال لولا هذه الآية لكان من مالي وقال قتادة عن يحيى بن يعمر ثلاث آيات محكمات مدنيات
تركهن الناس هذه الآية وآية الاستئذان يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم الآية
وقوله يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا لطفوا لهم القول
وقولوا خذوا بارك الله عليكم واعتذروا اليهم واستقلوا ما اعطيتموهم ولا تستكثروا ولا تمنوا
عليهم عن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى
من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب
وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون
بورك فيكم قال الكاشف امر الله سبحانه وتعالى اولي النيابات من العارفين اذا انعم

مما ترك الوالدان والاقربون م

خوان جود المشاهدة وانكشف لهم حقائق علوم الربوبية ان تقسموها على تلامذتهم من
المريدين الصادقين على قدر مراتبهم ومذاق حالاتهم واولوا القربى اصحاب الصحبة واليتامى
الساقطون عن الدرجة والمساكين اهل السلوك من المجاهدين اى حدثوا عن نوالى عند
هؤلاء ليزداد محبتهم لى وشوقهم الى لازيد عليكم نعمتى فان كنتم لطايفى عندهم شكر النعم
ولئن شكرتم لازيدنكم فادرقوهم من موايد القربة وخوان العناية نعيمات الحقائق فان
هذا تحدث من نعمتى وكذلك امر صفى المملكة وريحان القربة صلى الله عليه وسلم ان يذكر
لطف صنيعه على امته ليزداد محبتهم جماله وجلاله بعث بدل محبتهم له بقوله واما بنعمة ربك
فحدث وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ الفقر نزلت فى الرجل
يحضره الموت فيقول من يحضره انظر لنفسك فان اولادك وورثتك لا يغنون عنك شيئا
قدم لنفسك اعتق وتصدق واعط فلانا وفلانا كذا حتى ياتى على عامة ماله فنهاهم الله تعالى
عن ذلك وامرهم ان ينظر لولده ولا يزيد فى وصيته على الثلث ولا يجحف بورثته كما لو كان
هذا القائل هو الموصى لسره ان يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده وان لا يدعهم عالة مع ضعفهم
وعجزهم وقال الكلبى هذا الخطاب لولاة اليتامى يقول من كان فى حجره يتيم فليحسن اليه وليأت
بما يجب ان يفعل بذريته من بعده فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا صوابا وهو ان
يامره بان يتصدق بما دون الثلث ويخلف الباقى لولده والقول السديد من الاوصياء ان
يكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بنى ويا ولدى قال جعفر
بن محمد الصدق والتقوى يزيدان فى الرزق ويوسعان العيشة قال الله تعالى فليتقوا
الله فليقولوا قولا سديدا وقال الاستاد فى هذه الآية ان الذى ينبغى للمسلم ان يدخر لعياله
التقوى والصلاح لا المال لانه لم يقل فليجمعوا المال وليكثروا لهم العقار والاسباب بل قال تعالى
فليتقوا الله إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا قال مقاتل بن حيان نزلت فى رجل من
غطفان يقال له مرثد بن زيد ولى مال ابن اخيه وهو يتيم صغير فاكله قال الله تعالى ان
الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما حراما بغير حق إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا اخبر عن ماله اى
عاقبته كذلك وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا اى يدخلونه يقال صلى النار يصلى صليا والسعير النار يكون م
الموقدة المسعرة وتنكير سعيرا للتعظيم والتهويل فى الصحيحين عن ابى هريرة رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجتنبوا السبع الموبقات قيل يا رسول الله وما هن
قال صلى الله عليه وسلم الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق واكل الربا
واكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات وروى ابن ابى حاتم

عن ابى سعيد

عن ابى سعيد الخدرى انه قال قلنا يا رسول الله ما رايت ليلة اسرى بك قال صلى الله عليه وسلم
انطلق بى الى خلق من خلق الله كثير رجال كل رجل له مشفران كمشفر البعير موكل بهم رجال
يفكون لحى احدهم ثم يجاء بصخرة من نار فتقذف فى فى احدهم حتى يخرج من اسفله ولهم جؤار
وصراخ قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون فى
بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وروى هو وابن مردويه عن ابى بردة رضى الله عنه قال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبعث يوم القيمة قوم من قبورهم تاجج افواههم نارا فقيل
يا رسول من هم قال الم تر ان الله تعالى قال ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون
فى بطونهم نارا قال السدى يبعث آكل مال اليتيم يوم القيمة ولهب النار يخرج من فيه و
من مسامعه وانفه وعينيه يعرفه من رآه ياكل مال اليتيم ثم لما بين الحكم فى مال اليتيم وما على
الاولياء فيه بين كيف يملك هذا اليتيم المال بالارث ولم يكن ذلك الا ببيان احكام الميراث فذكر ها
مفصلة بعد ما ذكرها فى قوله تعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مجملا فقال
يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ اختلفوا فى سبب نزول هذه الآية قال مقاتل والكلبى نزلت فى ام
كحة امرأة اوس بن ثابت وبناته وقال عطاء استشهد سعد بن الربيع النقيب يوم احد
وترك امرأة وبنتين واخا فاخذ الاخ المال فاتت امرأة سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
بابنتى سعد فقالت يا رسول الله ان هاتين ابنتا سعد وان سعدا قتل يوم احد شهيدا
وان عمهما اخذ مالهما ولا تنكحان الا ولهما مال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجعى
فلعل الله سيقضى فى ذلك فنزلت يوصيكم الله الى آخرها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمهما وقال اعط ابنتى سعد الثلثين وامهما الثمن وما بقى فهو لك فهو اول ميراث قسم فى
الاسلام وفى الصحيحين وغيرهما عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال عادنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر رضى الله عنه فى بنى سلمة ماشيين فوجدنى النبى صلى الله عليه وسلم
لا اعقل شيئا فدعا بماء فتوضا منه ثم رش على فافقت فقلت ما تامرنى ان اصنع فى مالى
يا رسول الله فنزلت يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين ومعناه يعهد اليكم ويامركم
فى اولادكم فى شان ميراثهم بما هو المصلحة وهذا اجمال تفصيله لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ
فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فان كانت البنات نساء خلصا ليس معهن ابن فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا
مَا تَرَكَ الميت فان الآية لما كانت فى الميراث علم ان التارك الميت المورث وَإِنْ كَانَتْ
وَاحِدَةً وان كانت البنت المولودة منفردة ليس معها اخرى فَلَهَا النِّصْفُ واما
حال البنتين حال انفرادهما عن الابن فمختلف فيه قال ابن عباس لهما حكم الواحدة لقوله تعالى

فان كن نساء فوق اثنتين واما ساير الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة لان قوله تعالى للذكر
مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر فكما ان الذكر يحوز الثلثين مع الواحدة
فالانثيان يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين
فلهن ثلثا ما ترك لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم البنتين بغير تفاوت وقد
قضى النبى صلى الله عليه وسلم بالثلثين لابنتى سعد بن الربيع وهذا نص واضح فى
المسئلة وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فالاب والام يكون اى لابوى الميت صح
لكل واحد منهما سدس الميراث عند وجود الولد او ولد الابن فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ للميت
وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ وياخذ الاب باقى المال فيكون المال بينهما اثلاثا للذكر
مثل حظ الانثيين فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ والباقى يكون للاب ان كان معها
اب فالاخوة لا ميراث لهم مع الاب ولكنهم يحجبون الام من الثلث الى السدس مِنْ بَعْدِ
وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا ان كانت أَوْ دَيْنٍ ان كان فالارث مؤخر عن كل واحد منهما والدين
مقدم على الوصية فى الشريعة اجماعا وانما قدمت الوصية لانها لما كانت ماخوذة من غير عوض
كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم فكان اداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين
فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة
الى اخراجها مع الدين ولذلك جىء بكلمة او للتسوية بينهما فى الوجوب ثم اكد ذلك
ورغب فيه بقوله آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا اى لا تعلمون
ايهم انفع لكم فى الدين والدنيا فمنكم من يظن ان الاب انفع له ويكون الابن انفع له و
منكم من يظن ان الابن انفع له فيكون الاب انفع واما العالم بمن هو انفع لكم وقد دبر
امركم على ما فيه المصلحة فاتبعوه ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا ايهم انفع لكم فتعطون من
لا يستحق ما لا يستحق من الميراث وتمنعون من يستحق وقال ابن عباس ان الله عز وجل
يشفع المؤمنين بعضهم فى بعض فاطوعكم لله تعالى من الآباء والابناء ارفعكم درجة
فان كان الوالد ارفع ولده رفع الله اليه ولده وان كان الولد ارفع من والديه رفع
الله اليه والديه لتقر بذلك اعينهم فقال تعالى لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا لان احدهما
لا يعرف منفعة صاحبه له فى الجنة وسبقه الى منزلة عالية يكون سببا لرفعه اليها فَرِيضَةً
مِنَ اللَّهِ فرض ذلك فرضا فهى منصوبة نصب المصدر المؤكد إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
بمصالح خلقه حَكِيمًا فى كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ
أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ

وصية

وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ هذا فى ميراث الازواج وَلَهُنَّ يعنى للزوجات الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ
إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا
أَوْ دَيْنٍ هذا فى ميراث الزوجات وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ منه كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ تورث
منها كلالة والكلالة تطلق على ميت لم يخلف ولدا ولا والدا وذهب اكثر الصحابة الى انها المراد
فى الآية وعلى من ليس بولد ولا والد من الورثة واليه ذهب عطاء والضحاك وعلى القرابة
من غير جهة الولد والوالد وهى فى الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء
فعلى الاول المقدر فان كان رجل يورث منه كلالة وعلى الثانى المقدر وان كان رجل
يورث ويعطى الميراث كلالة والكلالة على المقدرين خبر كان وعلى الثالث المقدر وان
كان رجل يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجل الكلالة على انها مفعول له وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ
للام بالاتفاق واستدلوا عليه بما ذكر فى آخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة
كل المال فعلم هنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزد على الثلث شيئا ان
المراد بهم الاخوة والاخوات للام فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ الضمير فى منهما على الاول
يرجع الى الاخ والاخت وعلى الثانى الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الثالث على احد
تقديريه الى هذا وعلى الآخر الى ذاك فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ قال
عمر ثلاث لان يكون النبى صلى الله عليه وسلم بينهن احب الينا من الدنيا وما فيها الكلالة و
الخلافة وابواب الربوا وقال معدان بن ابى طلحة خطب عمر بن الخطاب فقال انى لا ادع
بعدى شيئا اهم عندى من الكلالة ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شىء ما راجعته
فى الكلالة وما اغلظ لى فى شىء ما اغلظ لى فيه حتى طعن باصبعه فى صدرى وقال يا عمر الا
يكفيك آية الصيف اراد ان الله تعالى انزل فى الكلالة آيتين احديهما فى الشتاء وهى التى فى اول
سورة النساء والاخرى فى الصيف وهى التى فى آخرها وفيها من البيان ما ليس فى آية الشتاء
فلذلك احاله عليها مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ اى غير مدخل الضرر
على الورثة لمجاوزة الثلث فى الوصية قال الحسن هو ان يوصى بدين ليس عليه وَصِيَّةً
مِنَ اللَّهِ مصدر مؤكد اى يوصيكم الله بذلك وصية كقوله فريضة من الله وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بمن جار او عدل فى وصيته حَلِيمٌ عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد عن شهر بن
حوشب ان ابا هريرة حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل
او المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران فى الوصية فيجب لهما النار
وقال قرأ على ابو هريرة رضى الله عنه من ههنا من بعد وصية يوصى بها او دين

غير مضار وصية من الله والله عليم حليم حتى بلغ ذلك الفوز العظيم رواه ابو داود
والترمذى ثم انه تعالى بعد بيان المواريث ذكر الوعد والوعيد ترغيبا فى الطاعة وترهيبا
عن المعصية فقال تلك الاحكام التى ذكرت فى باب اليتامى والوصايا والمواريث
حدود الله سماها حدودا لان الشرايع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم
ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق ومن يطع الله ورسوله ورضى بما قسم له
وحكم يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن
يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين
واللاتى يأتين الفاحشة يعنى الزنا لزيادة قبحها فى القبح على كثير من القبائح من نسائكم
فاستشهدوا عليهن اربعة منكم يعنى من المسلمين وهذا خطاب للحكام اى فاطلبوا
عليهن اربعة من الشهود وفيه بيان ان الزنا لا يثبت الا باربعة من الشهود فان شهدوا
فامسكوهن فاحبسوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا
وهذا كان فى اول الاسلام قبل نزول الحدود وكانت المرأة اذا زنت حبست فى البيت
حتى تموت ثم نسخ ذلك فى حق البكر بالجلد والتغريب وفى حق الثيب بالجلد والرجم عن عبادة
بن الصامت ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خذوا عنى خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا
البكر بالبكر جلد ماية وتغريب عام والثيب بالثيب جلد ماية والرجم رواه مسلم وغيره ثم نسخ
الجلد فى حق الثيب وبقى الرجم عند اكثر اهل العلم واللذان يأتيانها اى الفاحشة منكم
قال مجاهد الآية الاولى فى النساء وهذه فى الرجال قالوا ان الله تعالى حكم فى الآية الاولى بالحبس
فى البيت على النساء وهو اللائق بحالهن لان المرأة انما يقع فى فعل الفاحشة عند الخروج فاذا
حبست فى البيت انقطعت مادة المعصية واما الرجل فلا يمكن حبسه فى البيت لانه يحتاج
الى الخروج فى اصلاح معاشه واكتساب قوت عياله فجعلت عقوبة الرجل الزانى الاذية
بالقول والفعل وقيل الآية الاولى فى الثيب وهذه فى البكر فآذوهما قال عطاء وقتادة
فعيروهما باللسان اما خفت الله اما استحييت من الله حين زنيت وقال ابن عباس هو
باللسان واليد يؤذى بالتعيير وضرب النعال فان تابا من الفاحشة واصلحا العمل
فيما بعد فاعرضوا عنهما ولا تؤذوهما ان الله كان توابا رحيما وهذا كله قبل نزول الحدود
فنسخت بالجلد والرجم الجلد فى حق البكر والرجم فى حق الثيب فالجلد فى القرآن قال تعالى
الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة والرجم فى السنة عن ابى هريرة رضى الله عنه
ان رجلين اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهما يا رسول الله اقض بيننا

سهام م

ثم انه تعالى لما ذكر فى الآيات المتقدمة الامر بالاحسان الى النساء ومعاشرتهن بالجميل وما يتصل بهذا الباب ضم الى ذلك التغليظ عليهن فيما يأتينه من الفاحشة فان ذلك فى الحقيقة احسان اليهن ونظر لهن فى امر آخرتهن م

بكتاب الله وقال الآخر وكان افقههما اجل يا رسول الله فاقض بيننا بكتاب الله واذن لى
ان اتكلم فقال تكلم فقال ان ابنى كان عسيفا على هذا فزنا بامرأته فاخبرونى ان على ابنى الرجم
فافتديت بماية شاة وبجارية لى ثم انى سألت اهل العلم فاخبرونى ان ما على ابنى جلد ماية وتغريب
سنة وانما الرجم على امرأته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما والذى نفسى بيده لاقضين
بينكما بكتاب الله اما غنمك وجاريتك فرد عليك وجلد ابنه ماية وغربه عاما وامر انيسا الاسلمى
ان يأتى امرأة الآخر فان اعترفت رجمها فاعترفت فرجمها رواه البخارى وغيره ثم لما ذكر فى الآية
المتقدمة ان المذنبين للفاحشة اذا تابا واصلحا زال الاذى عنهما واخبر عن اللطاف ايضا بقوله
انه تواب رحيم ذكر وقت التوبة فقال انما التوبة على الله التوبة من تاب عليه انما قبل توبته
ومعنى قوله تعالى على الله انما واجب القبول عليه بحسب وعده وفضله فانه لا يخلف الميعاد
وقد وعد بقبولها من غير ايجاب عليه فانه يفعل ما يريد وقيل معناه من الله للذين يعملون السوء
بجهالة يعنى الذنوب والمعاصى سميت سوءا لسوء عاقبتها اذا لم يتب منها قال قتادة اجمع اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان كل ما عصى الله به فهو جهالة عمدا كان او لم يكن وكل من
عصى الله فهو جاهل وقد صرح به ابن عباس ومجاهد فقيل معنى الجهالة اختيارهم اللذة الفانية
على اللذة الباقية وقال الكلبى لم يجهل انه ذنب لكنه يجهل عقوبته وقال صاحب الكشاف لانه ارتكاب
القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما يدعو اليه الحكمة ثم يتوبون من قريب اى يتوبون
بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا اى يتوبون
فى اى جزء من اجزاء هذا الزمان وفيه تنبيه على ان عمر الانسان وان طال فهو قليل قال الضحاك
قبل معاينة ملك الموت ومعاينة اهوال الموت فاولئك يتوب الله عليهم ومن فوايده بعد ذكر
قوله تعالى انما التوبة على الله ان قبول التوبة من احسانه وفضله وانه يقبلها لا محالة وفايدة
وكان الله عليما حكيما قال ابن عباس علم ما فى قلوب المؤمنين من التصديق واليقين فحكم بالتوبة
قبل الموت ولو بقدر فواق ناقة وقيل فى معنى الآية علم انه انما اتى بتلك المعصية لا استقبالا للشرع
والجهالة عليه فحكم بالتوبة لمن تاب عنها عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم
ان الله يقبل التوبة ما لم يغرغر رواه الترمذى وغيره والغرغرة ان يجعل المشروب فى فم المريض
فيردده فى الحلق ولا يصل اليه ولا يقدر على بلعه وعن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ابرح اغوى عبادك ما دامت ارواحهم
فى اجسادهم فقال الرب تبارك وتعالى وعزتى وجلالى وارتفاعى فى مكانى لا ازال اغفر لهم
ما استغفرونى رواه الامام احمد ومحى السنة وليست التوبة للذين يعملون السيئات

بجهالة م

السدم

يعنى المعاصى حتى اذا حضر احدهم الموت ووقع فى النزع قال انى تبت الآن وهى
حالة السوق حين يساق روحه للخروج من جسده قال بعض المحققين قرب الموت لا
يمنع من قبول التوبة بل المانع من قبولها مشاهدة الاحوال التى لا يمكن معها الرجوع الى الدنيا
بحال ولذلك لم تقبل توبة فرعون ولا ايمانه حين ادركه الغرق ولا الذين يموتون وهم كفار
معناه لا توبة للكافرين اذا ماتوا على كفرهم وانما لم يقبل توبتهم فى الآخرة لرفع التكليف
فى الآخرة ومعاينة ما وعد به من العقاب اولئك اعتدنا اعددنا وهيأنا لهم عذابا
اليما ثم بعد وصف التوبة عاد الى احكام النساء واعلم ان اهل الجاهلية كانوا يؤذون النساء
انواعا كثيرة من الايذاء ويظلمونهن بضروب من الظلم فالله تعالى نهاهم عنها فى هذه الآيات
فقال يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كارهات نزلت فى اهل المدينة
كانوا فى الجاهلية وفى اول الاسلام اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها او قريبه من
عصبته فالقى ثوبه على تلك المرأة او على خبائها فصار بها احق بها من نفسها ومن غيره فان
شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذى اصدقها الميت وان شاء زوجها غيره واخذ
صداقها وان شاء عضلها ومنعها من الازواج يضارها لتفتدى منه بما ورثت من الميت
او تموت هى فيرثها فان ذهبت المرأة الى اهلها قبل ان يلقى عليها ولى زوجها ثوبه فهى احق بنفسها
فكانوا على هذا حتى توفى ابو قيس بن اسلت الانصارى وترك امرأته كبيشة بنت معن الانصارية
فقام ابن له من غيرها يقال له حصن وقال مقاتل بن حيان اسمه قيس ابن ابى قيس وطرح ثوبه
عليها فورث نكاحها ثم تركها فلم يقربها ولم ينفق عليها يضارها لتفتدى منه فاتت كبيشة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان ابا قيس توفى وورث نكاحى ابنه فلا هو ينفق
على ولا يدخل بى ولا يخلى سبيلى فقال اقعدى فى بيتك حتى يأتى فيك امر الله فانزل الله تعالى
يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن
اى لا تمنعوهن من الازواج لتضجر فتفتدى ببعض مالها قيل هذا خطاب لاولياء الميت والصحيح
انه خطاب للازواج قال ابن عباس هذا فى الرجل يكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه
مهر فيضارها لتفتدى وترد اليه ما ساق اليها من المهر فنهى الله عن ذلك ثم قال الا ان يأتين
بفاحشة مبينة فحينئذ يحل لكم ضرارهن ليفتدين منكم واختلفوا فى الفاحشة قال ابن مسعود
وقتادة هى النشوز وقال بعضهم وهو قول الحسن هى الزنا يعنى ان المرأة اذا نشزت او زنت
حل للزوج ان يسألها الخلع قال عطاء كان الرجل اذا اصابت امرأته فاحشة اخذ منها ما ساق
اليها واخرجها فنسخ الله ذلك بالحدود وعاشروهن بالمعروف قال الحسن رجع الى اول

قصته كبيشة ابنت معن

الكلام يعنى فآتوا النساء صدقاتهن نحلة وعاشروهن بالمعروف والمعاشرة بالمعروف هى
الاجمال فى القول والمبيت والنفقة وقيل هو ان يصنع لها كما يصنع له قال تعالى ولهن مثل
الذى عليهن بالمعروف وقال صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهلى فان
كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال ابن عباس ربما رزق منها ولدا
صالحا فيجعل الله فى ولدها خيرا كثيرا فينقلب تلك الكراهة محبة والنفرة عنه رغبة وقيل فى الآية
ندب الى امساك المرأة مع الكراهة لها لانه اذا كره صحبتها وتحمل ذلك المكروه طلبا للثواب وانفق
عليها واحسن هو صحبتها استحق الثناء الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى قال الكاشفى
كل امر من الله سبحانه وتعالى جار على مخالفة النفوس امتحانا واختبارا والنفس كارهة فى العبودية
فاذا الزمت عليها حقوق الله بنعت المجاهدة والرياضة واستقرت فى عبودية الله اقبل ما يحب اذا
يطلع على قلبك انوار جنان القرب والمشاهدة قال تعالى ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى
المأوى وفى اجواف ظلام المجاهدات للعارفين شموس المشاهدات واقمار المكاشفات وقيل
غيب عنك العواقب لئلا تسكن الى مألوف ولا تنفر عن مكروه وان اردتم استبدال زوج مكان
زوج اراد بالزوج الزوجة ولم يكن من قبلها نشوز ولا فاحشة وآتيتم اعطيتم احداهن
قنطارا وهو المال الكثير الذى جعل صداقا فحرم المغالاة فى المهر روى ان عمر بن الخطاب
رضى الله عنه قال على المنبر الا لا تغالوا فى مهور نسائكم فقامت امرأة فقالت يا ابن الخطاب
الله يعطينا وانت تمنعنا وتلت الآية فقال كل الناس افقه من عمر وفى رواية امرأة اصابت
وامير اخطأ فرجع عن النهى من ذلك وقال من طابت نفسه فليفعل ولا نزاع فى ان السنة
ترك المغالاة فى المهر فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا باطلا والبهتان
فى الاصل قذف البرئ بقبيح يبهت عنده اى يتحير وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم
الى بعض الافضاء الوصول الى الشئ من غير واسطة والمراد به المجامعة ولكن الله حيى
يكنى واخذن منكم ميثاقا غليظا قال الحسن وابن سيرين والضحاك وقتادة هو قول الولى
عند العقد زوجتكها على ما اخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف او تسريح باحسان
قال الشعبى وعكرمة هو ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا الله فى النساء فانكم
اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء
كان اهل الجاهلية ينكحون ازواج آبائهم قال اشعث بن سوار توفى ابو قيس وكان من
صالحى الانصار فخطب ابنه قيس امرأة ابيه فقالت انى اتخذك ولدا وانت من صالحى قومك
ولكن آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم استأمره فاتته فاخبرته فانزل الله تعالى ولا تنكحوا

فيه م

ما نكح آباءكم من النساء الا ما قد سلف قبل معناه لكن ما سلف اى ما مضى فى الجاهلية فهو
معفو عنه قال صاحب الكشاف انه من قبيل التعليق بالمحال والمعنى ان امكنكم ان تنكحوا ما قد
سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره والمقصود المبالغة فى تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما تعلق
بالمحال فى التأبيد فى نحو قوله تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط ونحو قولهم حتى يبيض القار انه
كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا ثم ذكر بعضا آخر من التكاليف المتعلقة بالنساء فقال حرمت
عليكم امهاتكم جمع ام فيدخل فيه الجدات وان علت من قبل الام او الاب وبناتكم جمع البنت
فيدخل فيه بنات الاولاد وان سفلت واخواتكم جمع الاخت سواء كانت من قبل الام والاب
او من قبل احدهما وعماتكم جمع العمة ويدخل فيهن جميع اخوات آبائك واجدادك وان علوا
وخالاتكم جمع خالة ويدخل فيهن جميع اخوات امهاتك وجداتك وبنات الاخ وبنات الاخت
يدخل فيهن بنات اولاد الاخ والاخت وان سفلن وجملته انه يحرم على الرجل اصوله وفصوله
وفصول اول اصوله واول فصل من كل اصل والاصول هى الامهات والجدات والفصول
البنات وبنات الاولاد وفصول اول اصوله هى الاخوات وبنات الاخوة والاخوات واول
فصل من كل اصل بعده هى العمات والخالات وان علت ثم بعد ما ذكر المحرمات بالنسب ذكر
المحرمات بالرضاع فقال وامهاتكم اللاتى ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة وجملته انه يحرم
من الرضاعة ما يحرم من النسب عن عائشة رضى الله عنها انه قال صلى الله عليه وسلم يحرم من
الرضاع ما يحرم من الولادة متفق عليه ذكر المحرمات بالصهرية فقال وامهات نسائكم وجملته
ان من عقد النكاح على امرأة يحرم على الناكح امهات المنكوحة وجداتها وان علت من الرضاع
والنسب بنفس العقد وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن والربائب
جمع ربيبة وهى بنت المرأة سميت ربيبة لتربيته اياها وقوله فى حجوركم اى فى تربيتكم يقال فلان
فى حجر فلان اذا كان فى تربيته وهو اشارة الى علة الحكم دخلتم بهن اى جامعتموهن فيحرم بنات
المنكوحة وبنات اولادها وان سفلن من الرضاع والنسب بعد الدخول بالمنكوحة حتى لو فارق
المنكوحة قبل الدخول بها او ماتت جاز له ان ينكح ابنتها ولا يجوز له ان ينكح امها لان الله تعالى
اطلق تحريم الامهات وقال فى تحريم الربائب فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم يعنى
فى نكاح بناتهن اذا فارقتموهن او متن وحلائل ابنائكم الذين من اصلابكم يعنى ازواج
ابنائكم واحدتها حليلة والذكر حليل سمى بذلك لان كل واحد منهما حلال لصاحبه وقيل سمى بذلك
لان كل واحد يحل حيث يحل صاحبه من الحلول وهو النزول وقيل لان كل واحد يحل ازار صاحبه
من الحل وهو ضد العقد وجملته انه يحرم على الرجل حلائل ابنائه وابناء اولاده وان سفلوا

من قبل م

من الرضاع والنسب بسبب نفس العقد وانما قال من اصلابكم ليعلم ان حليلة المتبنى لا يحرم
على الرجل الذى تبناه فان النبى صلى الله عليه وسلم تزوج امرأة زيد بن حارثة وكان زيد تبناه
الرسول صلى الله عليه وسلم وقد سبق قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النساء وهو يدل
وهو يدل على انه يحرم بالصهرية حليلة الاب والجد وان علا سواء كان الاب من الرضاع
او من النسب وان تجمعوا بين الاختين فى النكاح سواء كانت الاخوة بينهما بالنسب او الرضاع
ولذلك لا يجوز الجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها عن ابى هريرة رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها متفق عليه
الا ما قد سلف اى ما مضى معفو عنه بدليل قوله ان الله كان غفورا رحيما ما كانوا يفعلون
قبل الاسلام وقال عطاء والسدى الا ما كان من يعقوب عليه السلام فانه جمع بين ليا ام
يهوذا وراحيل ام يوسف عليه السلام وكانتا اختين والمحصنات من النساء يعنى ذوات
الازواج لا يحل للغير نكاحهن قبل مفارقة الازواج قال ابو سعيد الخدرى نزلت فى نساء كن
هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهن ازواج فتزوجهن بعض المسلمين ثم
تقدم ازواجهن مهاجرين فنهى الله تعالى المسلمين من نكاحهن ثم استثنى فقال الا ما ملكت
ايمانكم يعنى السبايا اللواتى سبين ولهن ازواج فى دار الحرب فيحل لمالكهن وطيهن بعد
الاستبراء لان بالسبى يرتفع النكاح بينها وبين زوجها قال ابو سعيد الخدرى بعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين جيشا الى اوطاس فاصابوا سبايا لهن ازواج من المشركين
فكرهوا غشيانهن وتحرجوا فانزل الله تعالى الاية رواه الامام احمد وغيره كتاب الله عليكم
مصدر موكد اى كتب الله ذلك كتابا عليكم وفرضه فرضا واحل لكم ما وراء ذلكم ما سوى
ما ذكر من المحرمات ان تبتغوا باموالكم اى بين لكم ما يحل مما يحرم اراده ان تبتغوا وتطلبوا
باموالكم اى تنكحوا بصداق او تشتروا بثمن محصنين متزوجين متعففين غير مسافحين
اى غير زانين ماخوذ من سفح الماء وصبه وهو المنى فما استمتعتم به منهن اختلفوا
فى معناه قال الحسن ومجاهد اراد ما استمتعتم به وتلذذتم بالجماع من النساء بالنكاح الصحيح
فآتوهن اجورهن فريضة اى مهورهن مفروضة وقال آخرون هو نكاح المتعة و
هو ان ينكح امرأة الى مدة بشئ معلوم فاذا انقضت تلك المدة بانت منه بلا طلاق وتستبرئ
رحمها بحيضة وليس بينهما ميراث وكان ذلك مباحا فى ابتداء الاسلام ثم نهى عنه رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن امير المؤمنين على بن ابى طالب ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن اكل لحوم الحمر الانسية متفق عليه وفى صحيح مسلم

الجنف ل

عن سبرة بن معبد الجهنى عن ابيه انه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة فقال
يا ايها الناس انى كنت اذنت لكم فى الاستمتاع من النساء والله تعالى ⟨قد حرم⟩ ذلك الى يوم القيمة فمن
كان عنده منهن شئ فليخل سبيله ولا تاخذوا مما آتيتموهن شيئا والى هذا ذهب عامة
اهل العلم ان نكاح المتعة حرام والاية منسوخة وكان ابن عباس يذهب الى ان الاية محكمة
ويرخص فى نكاح المتعة روى ان الناس لما ذكروا الاشعار فى فتيا ابن عباس فقال قاتلهم الله
انى ما افتيت باباحتها على الاطلاق لكنى قلت يحل للمضطر كما يحل الميتة له قال الشيخ ان الاكثر والقول
باباحتها للضرورة رواية عن الامام احمد بن حنبل وقيل ان ابن عباس رجع عن ذلك وقال الربيع
ابن سليمان سمعت الشافعى رضى الله عنه يقول لا اعلم فى ⟨الاسلام⟩ شيئا احل ثم حرم ثم احل ثم حرم غير المتعة
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فمن حمل ما قبله على نكاح المتعة قال اراد انهما اذا
عقدا الى اجل فان شاءت المرأة زادت فى الاجل وزاد الرجل فى الاجر وان لم يتراضيا فارقها
ومن حمل الاية على الاستمتاع بالنكاح الصحيح قال المراد بقوله فلا جناح عليكم فيما تراضيتم به من الابراء
عن المهر والافتداء والاعتياض ان الله كان عليما حكيما فيما دبر لكم من التدبير وفيما امركم به
او نهيكم عنه ولا يدخل حكمه خلل ولا زلل ومن لم يستطع منكم طولا فضلا وسعة وزيادة مال
ان ينكح المحصنات الحرائر فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات امائكم المؤمنات اى من لم
يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج الامة المؤمنة والله اعلم بايمانكم اى لا تتعرضوا للباطن
فى الايمان وخذوا بالظاهر فان الله اعلم بايمانكم بعضكم من بعض كلكم من نفس واحدة فلا
تستنكفوا من نكاح الاماء فانكحوهن باذن اهلهن اى مواليهن وآتوهن اجورهن مهورهن
بالمعروف من غير مطل وضرار محصنات عفائف غير مسافحات اى غير زانيات ولا متخذات
اخدان اى احباب يزنون بهن فى السر قال الحسن المسافحة هى التى كل من دعاها تبعته وذات
الخدن ان تختص بواحدة لا تزنى الا معه والعرب كانت تحرم الاولى وتجوز الثانية فاذا احصن
بالتزويج فان اتين بفاحشة يعنى الزنا فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب اى الحرائر
الابكار اذا زنين من العذاب يعنى الجلد فيجلد الرقيق اذا زنى خمسين جلدة وهل يغرب فيه قولان
فان قلنا يغرب يغرب نصف سنة ولا رجم على العبيد ولا فرق فى حد المملوك بين من تزوج ومن
لم يتزوج عند اكثر اهل العلم وذهب بعضهم الى انه لا حد على من لم يتزوج من المماليك اذا زنى لان
الله تعالى قال فاذا احصن فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات روى ذلك عن
ابن عباس وبه قال طاوس ومعنى الاحصان عند الآخرين الاسلام وان كان المراد منه
التزويج فليس المراد منه ان التزويج شرط لوجوب الحد عليه بل المراد منه التنبيه على ان

قد حرم م

الاسلام م

المملوك وان كان محصنا بالتزويج فلا رجم عليه انما حده الجلد بخلاف الحر فحد الامة ثابت بهذه الاية
وبيان انه بالجلد فى الخبر عن ابى هريرة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا زنت امة احدكم فتبين زناها فليجلدها الحد ولا يثرب عليها ثم ان زنت فليجلدها الحد ولا يثرب
عليها ثم ان زنت الثالثة فتبين زناها فليبعها ولو بحبل من شعر متفق عليه والتثريب الاستقصاء
فى اللوم قال الشيخ محى الدين النووى وهذا البيع مستحب لا واجب عند الجمهور وقال اهل الظاهر
هو واجب وفيه جواز بيع الشئ الثمين بالشئ الحقير وهذا البيع المامور به يلزم صاحبه ان يبين
حالها للمشترى لانه عيب والاخبار بالعيب واجب فان قيل كيف يكره شيئا ويرتضيه لاخيه المسلم فالجواب
لعلها يستعف عند المشترى بان يعفها بنفسه او يصونها بهيبته او بالاحسان اليها او يزوجها او غير
ذلك والله اعلم ذلك يعنى نكاح الامة عند عدم الطول لمن خشى العنت منكم لمن خاف الزنا
والاثم الذى تؤدى اليه غلبة الشهوة واصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل
مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المأثم وان تصبروا عن نكاح الاماء متعففين
خير لكم كى لا يخلق الولد رقيقا والله غفور رحيم فاباح لكم هذا الذى الصبر منه خير
يريد الله ليبين لكم اى يوضح لكم شرائع دينكم ومصالح اموركم قال عطاء يبين لكم
ما يقربكم منه قال الكلبى يبين لكم ان الصبر عن نكاح الاماء خير لكم ويهديكم يرشدكم
سنن الذين من قبلكم شرائعهم فى تحريم الامهات والبنات والاخوات فانها كانت محرمة
على من قبلكم وقيل ويهديكم الملة الحنيفية وهى ملة ابراهيم عليه السلام ويتوب عليكم و
يتجاوز عنكم ما اصبتم قبل ان يبين لكم وقيل يوفقكم للتوبة وقيل لما بين لنا امر الشرائع والمصالح
وارشدنا الى طاعته فربما وقع منا تقصير وتفريط فقال وسوف يحلم والله عليم بمصالح
عباده فى امر دينهم ودنياهم حكيم فيما دبر من امورهم والله يريد ان يتوب عليكم ان وقع
منكم تقصير فى امر دينه ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا عن الحق ميلا عظيما
باتيانكم ما حرم عليكم واختلفوا فى الموصوف بتباع الشهوات قال السدى هم اليهود و
النصارى وقال بعضهم هم المجوس لانهم يحلون نكاح الاخوات وبنات الاخ والاخت وقال
مجاهد هم الزناة يريدون ان تميلوا من الحق فتزنون كما يزنون وقيل هم جميع اهل الباطل
يريد الله ان يخفف عنكم يسهل عليكم فى احكام الشرع وقد سهل كما قال جل ذكره ويضع
عنهم اصرهم وقال النبى صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة السهلة وخلق الانسان ضعيفا
قال طاوس والكلبى وغيرهما فى امر النساء لا يصبر عنهن قال ابن كيسان خلق الانسان ضعيفا
يستميله هواه وشهوته ثم لما شرح كيفية التصرف فى النفوس بسبب النكاح ذكر بعده كيفية التصرف

فى الاموال فقال يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بالحرام مثل الربوا والقمار و
الغصب والسرقه والخيانه وقيل هو العقود الفاسده • روى ابن جرير عن ابن عباس فى الرجل
يشترى من الرجل الثوب فيقول ان رضيته اخذته والا رددته ورددت معه درهما قال هو
الذى قال الله عز وجل ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة الا ان تقع تجاره وقرى
الا تجاره اى الا ان تكون التجاره تجارة والاستثناء منقطع لان التجاره عن تراض ليست من جنس
اكل المال بالباطل معناه ولكن اقصدوا كون تجاره عن تراض او ولكن كون تجاره عن تراض
خير منهى عنه وخص التجاره بالذكر لان اسباب الرزق اكثرها متعلق بها عن تراض منكم
بحق بطيبة نفس كل واحد منكم روى ابن جرير عن ميمون بن مهران انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم البيع عن تراض والخيار بعد الصفقه ولا يحل لمسلم ان يغش مسلما مرسل
ومن تمام التراضى اثبات خيار المجلس بعد العقد كما ثبت فى الصحيحين ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال البيعان بالخيار ما لم يتفرقا واثبات خيار الشرط ولا تقتلوا انفسكم بارتكاب محارم
الله عز وجل وتعاطى معاصيه واكل اموالكم بينكم بالباطل وقيل المراد قتل المسلم نفسه عن عمرو بن
العاص انه قال بعثه النبى صلى الله عليه وسلم عام ذات السلاسل قال احتلمت فى ليلة باردة شديدة
البرد فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك فتيممت ثم صليت باصحابى صلاة الصبح فلما قدمت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له قال فقال يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب قال
قلت نعم يا رسول الله انى احتلمت فى ليلة باردة شديدة البرد فاشفقت ان اغتسلت ان اهلك
وذكرت قول الله تعالى ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما فتيممت ثم صليت فضحك رسول
الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئا وعن ثابت بن الضحاك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من قتل نفسه بشئ فى الدنيا عذب به يوم القيامه رواه الجماعة وفى الصحيحين من حديث
الحسن عن جندب بن عبد الله البجلى قال كان رجل فيمن كان قبلكم وكان به جرح فاخذ سكينا
نحر بها يده فما رقا الدم حتى مات قال الله عز وجل عبدى بادرنى بنفسه فحرمت عليه الجنه
وقال الحسن ولا تقتلوا انفسكم يعنى اخوانكم اى لا يقتل بعضكم بعضا وصح عن النبى صلى الله عليه
وسلم انه قال فى حجة الوداع الا لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ان الله كان
بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه انه امر بنى اسرائيل بقتلهم انفسهم
لتكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف
الصعبه ومن يفعل ذلك يعنى ما سبق ذكره من المحرمات عدوانا وظلما لا اخطار ولا اقتصاص
ونحوه فالعدوان مجاوزة الحد والظلم وضع الشئ فى غير موضعه فسوف نصليه ندخله فى

نارا شديدة يصلى فيها وكان ذلك على الله يسيرا وهذا تهديد شديد ووعيد اكيد ثم لما قدم
ذكر الوعيد اتبعه بتفصيل ما يتعلق به فقال ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه اى كبائر ما نهاكم
الله عنه من المعاصى نكفر عنكم سيئاتكم نستر عليكم حتى تصير بمنزلة ما لم يعمل لان اصل التكفير
الستر والتغطيه فصغائر الذنوب تكفر بالحسنات ولا تكفر كبائرها الا بالتوبه كما ورد فى صحيح مسلم
وغيره عن ابى هريرة رضى الله عنه الصلوات الخمس والجمعه الى الجمعه ورمضان الى رمضان
مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وندخلكم مدخلا كريما حسنا وهو الجنه واختلفوا
فى الكبائر التى جعل الله تعالى اجتنابها مكفرا للصغائر قال عبد الله بن مسعود ما نهى الله عنه فى
هذه السورة الى قوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه فهو كبيرة وقال على بن ابى طلحة هى كل
ذنب ختمه الله بنار او غضب او لعنة او عذاب وقال الضحاك ما اوعد الله عليه حدا فى الدنيا
او عذابا فى الآخرة قال الحسين بن الفضل ما سماه الله فى القرآن كبيرا او عظيما نحو قوله تعالى انه
كان حوبا كبيرا او عظيما نحو قوله ان قتلهم كان خطا كبيرا ان الشرك لظلم عظيم ان كيدكن عظيم سبحانك
هذا بهتان عظيم ان ذلكم كان عند الله عظيما قال سفيان الثورى الكبائر ما كان فيه المظالم بينك
وبين العباد والصغائر ما كان بينك وبين الله لان الله كريم يغفر واحتج بما روى عن انس بن
مالك انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينادى مناد من بطنان العرش يوم القيمه
يا امة محمد ان الله عز وجل قد عفا عنكم جميعا المومنين والمومنات تواهبوا المظالم وادخلوا
الجنه برحمتى وقال السدى الكبائر ما نهى الله عنه من الذنوب والسيئات مقدماتها و
توابعها وما يجتمع فيه الصالح والفاسق مثل النظرة واللمسة والقبلة واشباهها قال النبى صلى
الله عليه وسلم العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان ويصدق ذلك الفرج
او يكذبه وقيل الكبائر ما يستحقره العباد والصغائر ما يستعظمونه فيخافون مواقعته عن
انس قال انكم لتعملون اعمالا هى ادق فى اعينكم من الشعر ان كنا نعدها على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الموبقات وقيل الكبائر الشرك وما يؤدى اليه وما دون الشرك فهو السيئات
قال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وروى ابن جرير باسناده
عن ابن عباس انه قال كل ما وعد الله عز وجل عليه كبيرة اى وعد عليها بخصوصها قال الشيخ ابن
الكثير قال الامام الرافعى فى الشرح الكبير فى تفسير الكبيرة وجوه احدها انها المعصيه الموجبه للحد
والثانى انها المعصيه التى تلحق صاحبها الوعيد الشديد بنص كتاب او سنة وهذا اكثر ما يوجد لهم
وهم الى الاول اميل لكن الثانى اوفق لما ذكروه عند تفصيل الكبائر وروى ابو جعفر بن جرير باسناده
عن ابى هريره وابى سعيد رضى الله عنهما يقولان خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

يوما فقال والذى نفسى بيده ثلث مرات ثم اكب فاكب كل رجل منا يبكى لا يدرى على ماذا حلف عليه
ثم رفع راسه فى وجهه البشر وكان احب الينا من حمر النعم فقال ما من عبد يصلى الصلوات الخمس
ويصوم رمضان ويخرج الزكوة ويجتنب الكبائر السبع الا فتحت له ابواب الجنه ثم قيل له ادخل بسلام
وهكذا رواه النسائى والحاكم وابن حبان قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين قال الشيخ ابن الكثير
وتفسير هذا السبع بما ثبت فى الصحيحين عن ابى هريره رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هن يا رسول الله قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس
التى حرم الله الا بالحق واكل الربا واكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المومنات
الغافلات لكن ساير الاحاديث يدل على عدم انحصار الكبائر فى السبع منها ما روى ابن جرير
باسناده فى تفسيره انه تسع الاشراك بالله وقتل النفس بغير حقها والفرار من الزحف وقذف
المحصنة واكل الربوا واكل مال اليتيم ظلما والحاد فى المسجد الحرام والذى يستسحر وبكاء الوالدين
من العقوق عن سعيد بن جبير ان رجلا سال ابن عباس عن الكبائر اسبع هى قال هى
الى السبعمائة اقرب الا انه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وقال كل شئ عصى الله
به فهو كبيرة فمن عمل منها شيئا فليستغفر الله فان الله لا يخلد فى النار من هذه الامة الا راجعا
عن الاسلام او جاحدا فريضه او مكذبا بقدر وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال
الكبائر ان يشتم الرجل والديه قالوا فكيف يشتم الرجل والديه قال يسب الرجل ابا الرجل
فيسب اباه ويسب امه فيسب امه رواه ابن ابى حاتم وعنه انه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اكبر الكبائر ان يلعن الرجل والديه قالوا وكيف يلعن الرجل والديه قال يسب ابا
الرجل فيسب اباه ويسب امه فيسب امه متفق عليه وعن ابى هريره رضى الله عنه عن النبى
صلى الله عليه وسلم ان من اكبر الكبائر استطالة المرء فى عرض رجل مسلم بغير حق ومن الكبائر
السبتان بالسبة رواه ابن مردويه وغيره وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان متكيا فدخل عليه رجل فقال ما الكبائر فقال صلى الله عليه وسلم الشرك
بالله والاياس من روح الله والامن من مكر الله وهذا اكبر الكبائر رواه ابن ابى حاتم وغيره وعن
ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر الكبائر سوء الظن بالله عز وجل
رواه ابن مردويه وعن ابى بكرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال صلى الله عليه وسلم الاشراك بالله وعقوق
الوالدين وكان صلى الله عليه وسلم متكيا فجلس فقال الا وشهادة الزور الا وقول الزور
فما زال صلى الله عليه وسلم يكررها حتى قلنا ليته سكت متفق عليه وعن عبد الله بن مسعود

رضى الله عنه قال قلت يا رسول الله اى الذنب اعظم وفى رواية اكبر قال صلى الله عليه وسلم
ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اى قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم اى
قال ان تزانى حليلة جارك ثم قرا والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس
التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما الى قوله تعالى الا من تاب
متفق عليه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهم وهو فى الحجر بمكة وسئل عن الخمر
فقال هى اكبر الكبائر وام الفواحش من شرب الخمر ترك الصلوة ووقع على امه وخالته وعمته
رواه ابن ابى حاتم وعن سالم بن عبد الله عن ابيه قال ان ابا بكر الصديق وعمر بن الخطاب واناسا
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم جلسوا بعد وفات رسول الله صلى
الله عليه وسلم فذكروا اعظم الكبائر فلم يكن عندهم ما ينتهون اليه فارسلونى الى عبد الله
بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما اساله عن ذلك فاخبرنى ان اعظم الكبائر شرب الخمر فاتيتهم
فاخبرتهم فانكروا ذلك فوثبوا اليه حتى اتوه فى داره فاخبرهم انهم يحدثوا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ملكا من بنى اسرائيل اخذ رجلا فخيره بين ان يشرب خمرا او يقتل نفسا
او يزنى او ياكل لحم خنزير او يقتلوه فاختار ان يشرب الخمر وانه لما شربها لم يمتنع من شئ ارادوه
منه وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لنا مجيبا ما من احد يشرب الخمر الا لم يقبل له صلوة
اربعين ليلة ولا يموت وفى مثانته منها شئ الا حرم الله عليه الجنه فان مات فى اربعين ليلة
مات ميتة جاهليه رواه ابن مردويه وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما انه قال الكبائر
الاشراك بالله وعقوق الوالدين او قتل النفس واليمين الغموس رواه البخارى وغيره وعن
عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من جمع بين الصلوتين من غير
عذر فقد اتى بابا من ابواب الكبائر رواه ابن ابى حاتم فما ظنك بترك الصلوة روى مسلم فى
صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بين العبد وبين الشرك ترك الصلوة
وفى السنن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال العهد الذى بيننا وبينهم الصلوة فمن تركها فقد كفر
قال الكاشف الكبائر ههنا فى الاشارة رؤية الجود فى مشهد الربوبيه ورؤية الاعواض
فى الخدمة وميل النفس الى غير الله من العرش الى الثرى والسكون والوقفة فى مقام الكرامات
واظهار المقامات قبل حد بلوغها بر سوم المرسومات والخطرات السارقة الحادثة بخفيات
ضماير الرياء فى بطنان سماير الاسرار وهذه المحن حجبات اهل المعارف من بقى فيها تقاعد
عن سلوك المعرفة واحتجب بنفسه عن نور المشاهدة والله تعالى نبهنا ان من اجتنب
عنها وان باشرها بعينه وبوده بخلصه عنها ويرفع الوحشة والكدورة التى نعتت عنا

فى قلبه عن سرح وذلك قوله تعالى يكفر عنكم سيئاتكم ومن خرج عن هذه الظلمات ادرك ما فاته
من المقامات وزاد قربه فى المشاهدات بقوله تعالى ويدخلكم مدخلا كريما والمدخل الكريم وصال
جماله وادراك لطايف نواله قال ابو تراب اراد الله باجتناب الكباير وهى الدعاوى الفاسدة و
الاشارات الباطلة واطلاق اللفظ بغير حقيقته ثم لما نهاهم فى الآية المتقدمة من اكل الاموال با
الباطل ومن قتل النفوس امرهم فى هذه الآية بما سهل عليهم ترك هذه المنهيات وهو ان يرضى
كل احد بما قسم الله له فانه اذا لم يرض بذلك وقع فى الحسد واذا وقع فى الحسد وقع لا محالة فى
اخذ الاموال بالباطل وقتل النفوس فاما اذا رضى بما قدره الله امكنه الاحتراز عن الظلم فى النفوس
وفى الاموال وايضا للامر باعمال الجوارح امر بعده بترك تعرض نفوس الناس واموالهم بالقلب
على سبيل الحسد لتصير الباطن طاهرا عن الاخلاق الذميمة فقال وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ
بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ نهى عن التحاسد وعن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض من
الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد و
بما يصلح المقسوم له من بسط فى الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى
الارض فعلى كل واحد ان يرضى بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان
مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه قيل لما جعل الله عز وجل للذكر مثل حظ الانثيين فى الميراث
قالت النساء نحن احوج الى الزيادة من الرجال لانا ضعفاء وهم اقوى واقدر على طلب المعاش
منا فانزل الله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض قال الكاشف التمنى هنا وصف
النفس الامارة التى رأت الاشياء بعين الجهل وقصورها عن حقائق المقادير الازلية التى
سبقت فى الجهود على قدر مراد الله والاستعداد وهمها على غير مقصد الحق من رؤية
هواها ولو كان طلب القلب سنى المقامات من الحق سبحانه بنعت التواضع وصدق
الافتقار لكان حقا اوجب البلوغ اليه كما قال واسألوا الله من فضله لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا
وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من
حاله الموجبة للبسط او القبض كسبا له وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ اى ولا تتمنوا انصباء غيركم
من الفضل ولكن سلوا الله من خزاينه التى لا تنفد قال الكلبى لا يتمنى الرجل مال اخيه
ولا امرأته ولا خادمه ولكن ليقل اللهم ارزقنى مثله وهو كذلك فى التورية قال سفين
بن عيينة لم يامر بالمسئلة الا ليعطى وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء و
جعل للذكر مثل حظ الانثيين فنرجوا ان نفضل على النساء بحسناتنا فى الآخرة فيكون اجرنا
على الضعف من اجر النساء فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتب

وذلك تمنى م

على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت ولا تتمنوا الآية ومعنى للرجال نصيب
مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن حينئذ للرجال نصيب مما اكتسبوا من امر الجهاد وللنساء
نصيب من ما اكتسبن من طاعة الازواج وهما فى اجر الآخرة سواء وذلك ان الحسنة بعشر
امثالها يستوى فيه الرجال والنساء وان فضل الله الرجال على النساء فى الدنيا إِنَّ اللَّهَ كَانَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ اى لكل واحد من الرجال والنساء جعلنا عصبة يعطون
مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ مبتدا خبره فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ
والمعاقدة المحالفة ومعنى عقدت ايمانكم عاقدتهم ايمانكم وماسحتموهم كان الرجل يعاقد
الرجل فى الجاهلية فيقول دمى دمك وهدمى هدمك وثارى ثارك وحربى حربك وسلمى سلمك
وترثنى وارثك وتطلب بى واطلب بك وتعقل عنى واعقل عنك فيكون للحليف السدس
من مال الحليف وكان ذلك ثابتا فى ابتداء الاسلام ثم نسخ ذلك بقوله تعالى واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله وفى صحيح البخارى عن ابن عباس كان المهاجرون لما قدموا
المدينة يرث المهاجر الانصارى دون ذوى رحمه للاخوة التى آخى النبى صلى الله عليه وسلم
بينهم فلما نزلت ولكل جعلنا موالى نسخت ثم قال والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم من النصر
والرفادة والنصيحة وقد ذهب الميراث ويوصى له وعنه ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا حلف فى الاسلام وكل حلف كان فى الجاهلية لم يزده الاسلام الا شدة رواه مسلم وابن جرير
وغيرهما إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا عالما فيه وعد للطائعين ووعيد للعصاة المخالفين ثم
بين انه انما فضل الرجال عليهن فى الميراث لان الرجال قوامون على النساء فقال الرِّجَالُ قَوَّامُونَ
عَلَى النِّسَاءِ القوام والقيم بمعنى واحد والقوام ابلغ وهو القايم بالمصالح والتدبير والتاديب
جعل الله تعالى الرجال قوامين مسلطين على تاديب النساء وتدبير مصالحهن ولذلك سموا
قواما بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ بسبب تفضيل بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء
وفيه دليل على ان الولاية انما يستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا فى
فضل الرجال زيادة العقل والدين والامامة الكبرى والصغرى وان منهم الانبياء والخلفاء واقامة
الجمعة والجماعات والجهاد والاذان والخطبة والشهادة مطلقا والولاية فى النكاح وزيادة النصيب
فى الجهاد والميراث والتعصيب فيه والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب والقوة
والكتابة فى الغالب والرمى وهم اصحاب اللحى والعمايم وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ وبسبب ما
انفقوا فى نكاحهن من النفقات عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو امرت احدا ان يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها رواه الترمذى والآية نزلت

والروية م
والودود م

فى سعد بن الربيع وفى امرأته وذلك انها نشزت عليه فلطمها فانطلق ابوها معها الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال افرشته كريمتى فلطمها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لتقتص من
زوجها فانصرفت مع ابيها لتقتص منه فقال النبى صلى الله عليه وسلم ارجعوا هذا جبريل اتانى
فانزل الله تعالى هذه الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذى
اراد الله خير ورفع القصاص فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ مطيعات للازواج حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ
لمواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين بِمَا حَفِظَ اللَّهُ قرأ العامة بالرفع والمعنى بحفظ
الله وقيل بما حفظهن بايصاء الازواج بحقهن وامرهم باداء المهر والنفقة عن ابى هريرة
رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها
سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالك ونفسك ثم تلا الرجال قوامون
على النساء الآية رواه محيى السنة بسند الثعلبى قال اهل المعانى بحفظ الله لهن صرن حافظات
للغيب ولو وكلهن الى انفسهن لما تمكن سترهن وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ النشوز
الارتفاع والتكبر ومنه النشز للموضع المرتفع ونشوز المرأة رفع نفسها عن طاعته والتكبر
عليه فَعِظُوهُنَّ بالتخويف من الله فيقول اتقى الله وخافيه واعلمى ان طاعتى فرض عليك
عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعى الرجل امرأته
الى فراشه فابت ان تجئ فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح متفق عليه وفى رواية
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده ما من رجل يدعو امرأته الى فراشه
فتابى عليه الا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها اخرجه الترمذى وَاهْجُرُوهُنَّ
يعنى ان لم يزعن عن ذلك بالقول فاهجروهن فِي الْمَضَاجِعِ قال ابن عباس يولها ظهره فى الفراش
ولا يكلمها وقال غيره يعتزل عنها الى فراش آخر وَاضْرِبُوهُنَّ يعنى ان لم يزعن مع الهجران
فاضربوهن ضربا غير مبرح ولا شاين وظاهر الآية يدل على ان للزوج ان يجمع عليها بين الوعظ
والهجران والضرب فذهب بعضهم الى الظاهر وقال اذا ظهر منها النشوز يجمع بين هذه الافعال
وحمل الخوف فى قوله تعالى واللاتى تخافون نشوزهن على العلم كقوله تعالى فمن خاف من موص
جنفا اى علم ومنهم من حمل الخوف على الخشية لا حقيقة العلم كقوله تعالى واما تخافن من قوم
خيانة وقال هذه الافعال على ترتيب الجرايم فان خاف نشوزها بان ظهرت امارات منها
من المخاشنة وسوء الخلق وعظها فان ابدت النشوز هجرها فان اصرت على ذلك ضربها
عن اياس بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تضربوا اماء الله فجاء عمر رضى الله عنه
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذئرن النساء على ازواجهن فرخص فى ضربهن فاطاف

ثم قسم الله تعالى النساء
قسمين ووصف الصالحات
منهن فقال م

بآل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون ازواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقد اطاف بآل محمد صلى الله عليه وسلم نساء كثير يشكون ازواجهن ليس اولئك بخياركم رواه ابو داود
والنسائى وابن ماجة فقال ذئرت المرأة على زوجها نشزت وفى الحديث دليل على ان الاولى ترك
الضرب للنساء فان احتاج الى تاديبها بضرب فلا يضربها ضربا شديدا ولكن ذلك مفرقا ولا يوالى
بالضرب ويتقى الوجه فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا اى لا تجنوا عليهن الذنوب وقال ابن
عيينة لا تكلفوهن محبتكم فان القلب ليس بايديهن اختلف طينة الاشباح فى التدانى والتباعد و
هكذا جواهر الارواح وقت ايجادها فوقعت بينهما مناسبة لتفاوت الاخلاق والحالات والمقامات
قال عليه السلام الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف وما تناكر منها اختلف من هناك
وقع النشوز والخلاف بين الازواج لتفاوت السجيات فاذا حصل بالممارسة والمجاهدة والرياضة
صورة طاعة الرجال فلا ينبغى ان تطلبوا منهن موافقة الطباع ومجانسة الاشباح والارواح فان
ذلك منازعة القدر وهذا معنى قوله تعالى فلا تبغوا عليهن سبيلا اى لا تكلفوهن بما لا يكون لهن
من تبديل الخلق قال تعالى لا تبديل لخلق الله إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا فقدرته عليكم اعظم من قدرتكم
على من تحت ايديكم وهو يتوب عليكم اذا تبتم فانتم احق بالعفو وَإِنْ خِفْتُمْ اى وان علمتم وتيقنتم
وقيل الخوف بمعنى الظن اى ظننتم شِقَاقَ بَيْنِهِمَا اصل الشقاق المخالفة وكون كل واحد من المتخاصمين
فى شق غير شق صاحبه واصل التركيب شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع
وجملته انه اذا ظهر بين الزوجين شقاق واشتبه حالهما فلم يفعل الرجل الصفح ولا الفرقة ولا المرأة
تادية الحق ولا الفرقة وخرجا الى ما لا يحل قولا وفعلا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا
ليستطلع كل واحد من الحكمين رأى من بعث اليه ارغبته فى الوصلة او الفرقة ثم يجتمع الحكمان
فينفذان ما يجتمع عليه رأيهما من الصلاح والمأمور به الامام او نايبه لان ينفذ الاحكام الشرعية
اليه وقيل المخاطب بذلك كل احد من صالحى الامة فان هذا يجرى مجرى الضرر فلكل احد ان يقوم به
إِنْ يُرِيدَا اى الحكمان إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا اى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة
اوقع الله بين الزوجين الوفاق وقيل الضميران للحكمين اى ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة
للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان فى طلب الوفاق حتى يحصل
الغرض ويتم المراد وقيل الضميران للزوجين اى ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير ابدلهما بالشقاق
وفاقا روى الشافعى بسنده عن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه جاءه رجل وامرأة ومع كل واحد
منهما فئام من الناس فقال على ما شان هذين قالوا وقع بينهما شقاق قال على رضى الله عنه فابعثوا
حكما من اهله وحكما من اهلها ثم قال للحكمين تدريان ما عليكما ان رأيتما ان تجمعا جمعتما وان رأيتما ان

نشه

تكم

اذا خرجها من الوذد
بالعراق
م

ثم فارقتها فقالت المرأة رضيت بكتاب الله بما علي فيه ولي وقال الرجل اما الفرقة فلا فقال علي
كذبت والله حتى تقر بمثل ما اقرت به ان الله كان عليما خبيرا فيه وعيد شديد للزوجين و
الحكمين ان سلكوا غير طريق الحق ثم انه تعالى لما ارشد كل واحد من الزوجين الى المعاملة الحسنة
مع الآخر والى ازالة الخصومة والخشونة ارشد الى سائر الاخلاق الحسنة فقال واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا عن معاذ بن جبل قال كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل تدري
يا معاذ ما حق الله على الناس قال قلت الله ورسوله اعلم قال حقه عليهم ان يعبدوه ولا يشركوا به
شيئا اتدري يا معاذ ما حق الناس على الله قال قلت الله ورسوله اعلم قال فان حق الناس على
الله ان لا يعذبهم قال قلت يا رسول الله الا ابشر الناس قال دعهم يعملون متفق عليه قال الكاشف
اعبدوا الله لله لا على رؤية العوض والعبادة فانها شرك العارفين واعبدوه على رؤية التقصير
فانه عبادة الموحدين قال ابو يزيد ان الله سبحانه نظر في العالم فلم ير اهلا لمعرفته فشغلهم بعبادته
وقال ابو عثمان حق العبودية قطع العلائق والشركاء عن سرك وبالوالدين احسانا تقديره
واحسنوا بالوالدين احسانا وهو ان تقوم بخدمتهما ولا ترفع صوتك عليهما وتسعى في تحصيل مرادهما
والانفاق عليهما بقدر القدرة عن ابي هريرة رضي الله قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي قال امك قال ثم من قال ثم امك
قال ثم من قال ثم امك قال ثم من قال ثم ابوك وفي رواية قال امك ثم امك ثم اباك ثم ادناك
فادناك متفق عليه وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم انفه رغم انفه
رغم انفه قيل يا رسول الله قال من ادرك والديه عند الكبر او احدهما ثم لم يدخل الجنة رواه
مسلم قال الكاشف الوالدين مشايخ المعرفة قال الجنيد امرني ابي امرا وامرني السري امرا فقدمت
امر السري على امر ابي وكل ما وجدت فهو من بركاته وبذي القربى واحسنوا الى ذي القرابة
من قبل الاب او الام عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من سره ان يبسط في رزقه وينسأ له في اثره فليصل رحمه متفق عليه ومعنى ينسأ له في اثره يؤخر
في اجله وعمره قال الكاشف اي اخوان المحبة من اهل قربة الله واليتامى والمساكين واحسنوا
الى اليتامى وهو مخصوص بنوعين من العجز الصغر وعدم المشفق والى المساكين والمسكين كريم
ذل الفاقة والفقر عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وكافل اليتيم
في الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئا رواه البخاري وعن ابي هريرة رضي
الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الساعي على الارملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله
واحسبه قال وكالقائم الذي لا يفتر وكالصائم لا يفطر قال الكاشف اليتامى اهل فرقة الله الذين

اذا تعلموا ذلك م

وقعوا في الفترة وآفة الشهوة واحتجبوا بها عن المشاهدة فاحسانهم ترغيبهم الى طاعة مولاهم
وتشويقهم الى مشاهدة سيدهم مع التلطف في دعائهم الى الله ومن مات استاذه قبل بلوغه الى
درجة القوم محجوبهم المعرفة والاحسان اليه تربيته بآداب القوم لئلا ينقطع عن الطريق والمساكين
السالكون غير المجذوبين فان المساكين سلكوا طريق المقامات بالمجاهدات واحسانهم كشف اسرار
المشاهدات عندهم لتقع انوار المحبة في قلوبهم فيسكنون عن المجاهدات الظاهرة ويطلبون الحق
بالقلوب الحاضرة والاسرار الطاهرة ليصلوا بطرفة عين الى مقام لا يصلون اليه بالف سنة بالمجاهدة
والرياضة والجار ذي القربى اي ذي القرابة والجار الجنب الاجنبي البعيد الذي ليس بينك وبينه
قرابة وقيل الجار الذي قرب جواره منك والجار الذي بعد جواره منك عن ابن عمر قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه متفق عليه وعن جابر بن
عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيران ثلاثة جار له حق واحد وهو ادنى
الجيران حقا وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق وهو افضل الجيران حقا فاما الذي له حق واحد
فجار مشرك لا رحم له له حق الجوار واما الذي له حقان فجار مسلم له حق الاسلام وحق الجوار واما الذي
له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم رواه ابو بكر البزار وعن
عائشة رضي الله عنها قالت قلت يا رسول الله ان لي جارين فالى ايهما اهدي قال الى اقربهما منك بابا
رواه البخاري والاحاديث في باب الاحسان الى الجار كثيرة منها ما رواه ابو ذر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها وتعاهد جيرانك رواه البخاري ومنها ما رواه
عمر رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يشبع الرجل دون جاره رواه الامام
احمد ومنها ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن قال الذي
لا يأمن جاره بوائقه اي شروره متفق عليه ولمسلم لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه قال
الكاشف الجار ذي القربى هو الروح الناطقة العارفة العاشقة الملكوتية التي خرجت من العدم
بتجلي القدم وانقدحت من زند الازل وهو اقرب كل شيء منك وهي جار الله وهي مصنوعة
بصنع الله وهي في عين الله قال عليه السلام الارواح في عين الله ومعدنها من قلبك منظر نور التجلي
ومسكن نور سناء التدلي واحسانها ان تطعمها بمائدة المعرفة والشوق والمحبة الى عالم المشاهدة
بعد ان تطلقها من قيد الطبيعة وتقدس مسكنها من حظوظ البشرية وهي اقرب القرابة منك لانها
اصل قيامك وانت قائم بها والجار الجنب هو المريد المبتدي فاحسانك اليه ان ترغبه الى سلوك
مدارج الصديقين العارفين وتخبر له مطويات اسرار المحبين وفضائل احوال المشتاقين وايضا
الجار الجنب صورتك التي هي حاملة الروح والاحسان اليها ان تقطع جوارحها عن حظوظ المعاصي والشهوات

قيل ومن يا رسول الله م

والصاحب بالجنب يعني الرفيق في السفر قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وقال
علي وعبد الله والضحاك هي المرأة تكون معه الى جنبه وقال ابن جريج وابن زيد هو الذي
يصحبك رجاء نفعك عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب
عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره اخرجه الترمذي وابن السبيل
قال الكاشف الصاحب بالجنب هو قلبك واحسانك اليه ان تفرده من الحدثان وتشوقه الى
جمال الرحمن وايضا الصاحب بالجنب هي النفس الامارة التي قال سيد المرسلين وامام العالمين
محمد صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك واحسانك اليها ان تحبسها في سجن العبودية
وتمنعها عن الشهوة وتحرقها بنيران المحبة وتذريها برياح المعرفة حتى لا تبقى في دار الله غير
الله وابن السبيل قيل هو المسافر لانه ملازم السبيل والاكثرون على انه الضيف عن ابي شريح
الخزاعي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن الى جاره و
من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا
او ليصمت رواه الشيخان وغيرهما وعن ابي شريح ان رسول الله صلى الله عليه قال من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت ومن كان
يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يوم وليلة والضيافة ثلاثة ايام فما كان بعد ذلك
فهي صدقة ولا يحل ان يثوي عنده حتى يحرجه رواه الشيخان وغيرهما قال الكاشف ابن السبيل
اي غريب الله في بلاد الله حيث لا يعرفه سوى الله الذي يتطرق من نور الافعال الى نور الصفات
ومن نور الصفات الى نور الذات وهو في غربة الازال والاباد لا يسكن روعته ولا تطفى
حرقته لا يعرفه احد سواه قال عليه الصلاة والسلام ان حضروا لم يعرفوا وان غابوا لم
يفتقدوا وما ملكت ايمانكم واحسنوا الى المماليك عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة سيء الملكة اخرجه الترمذي وعن رافع حسن الملكة
نماء وسوء الخلق شؤم اخرجه ابو داود وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه قال كان آخر كلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة الصلاة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم رواه ابو داود وعن
المعرور بن سويد قال رأيت ابا ذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة مثلها فسألته عن ذلك فذكر انه
ساب رجلا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بامه فاتى الرجل النبي صلى الله عليه وسلم
فذكر ذلك له فقال له النبي صلى الله عليه انك امرؤ فيك جاهلية قلت على ساعتي هذه من كبر السن
قال نعم هم اخوانكم خولكم جعلهم الله تحت ايديكم فمن كان اخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل و
ليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم عليه متفق عليه قال الكاشف

وتنهيها د

وما ملكت ايمانكم اي مريدوكم الذين هم اسراء الارادة والاحسان اليهم تربيتهم في طريق الله
بآداب الله ونشر كرامة الله عندهم وردعهم الى طريق الرجاء لان الراجي طيار والخائف سيار
وتعليمهم طريق المشاهدة بلزوم المراقبة وذكر سهل بن عبد الله تفسير هذه الآية قال الجار ذي
القربى هو القلب والجار الجنب هو النفس والصاحب بالجنب هو العقل الذي يعمل على اقتداء
السنة والشرع وابن السبيل الجوارح المطيعة لله ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا
المختال المتكبر والفخور الذي يفخر على الناس بغير الحق تكبرا ذكر هذا بعد ما ذكر من الحقوق لان
المتكبر يمنع الحق تكبرا ويأنف من اقاربه الفقراء وجيرانه وسائر الضعفاء فلا يحسن اليهم
ولا يلوي شطره عليهم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في بردين
وقد اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة رواه الشيخان وغيرهما
وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جر
ثوبه خيلاء متفق عليه الذين يبخلون قال صاحب الكشاف هو بدل من قوله من كان مختالا فخورا
او نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا على الذم وان يكون مبتدأ خبره محذوف كانه قيل الذين
يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة والبخل في كلام العرب منع السائل من فضل
ما لديه وفي الشرع منع الواجب وامكن حمله على منع المال ومنع العلم ويأمرون الناس بالبخل
قال ابن عباس وابن زيد نزلت في كردم بن زيد وحيي بن اخطب ورفاعة بن زيد و
اسامة بن حبيب ونافع بن ابي نافع وبحري بن عمرو كانوا يأتون رجالا من الانصار ويخالطونهم
فيقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون فانزل الله تعالى هذه الآية
وقال سعيد بن جبير هذا في كتمان العلم والآية نزلت في اليهود الذين بخلوا ببيان محمد صلى الله عليه
وسلم وكتموها ويكتمون ما آتاهم الله من فضله يكتم الاغنياء الغنى ويظهرون الفقر ويكتم اليهود
صفة محمد صلى الله عليه وسلم قال الكاشف من عرف الله وشاهد صفاته تعالى وبدا له حقائق
المحبة ولم يطق ان يبذل نفسه لله وفي الله فهو بخيل ومن كشف الله له احكام الملكوت ولا
يذكرها عند المشتاقين الى لقائه فهو بخيل ومن منع الاستاذين والمشايخ عن بيان حقائق طريق
الله عن المريدين فهو مخاطب بهذه الآية ويصدق ما ذكرناه قوله سبحانه وتعالى ويكتمون
ما آتاهم الله من فضله معرفته ومحبته ورؤيته ونوال قربه ولطائف بره واعتدنا للكافرين
الجاحدين نعمة الله عذابا مهينا في الآخرة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق اخرجه الترمذي
قال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم والذين ينفقون اموالهم

م

صفة م

والبخل ط

رئاء الناس وليقال لهم ما اجودهم لا يريدون بما انفقوا وجه الله نزلت في اليهود وقيل في مشركي مكة المنفقين على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن عبد الله بن جدعان هل ينفعه اعتاقه وانفاقه فقال لا انه لم يقل يوما من الدهر رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز ان يكون وعيد لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تبارك وتعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه رواه مسلم وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله اي اي وبال في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وكان الله بهم عليما لا يخفى عليه شيء من اعمال الذين ينفقون اموالهم لاجل الرياء والسمعة فهو وعيد وتهديد ان الله لا يظلم مثقال ذرة وزن ذرة والذرة هي النملة الحمراء الصغير وقيل الذر اجزاء الهباء في الكوة اذا كان فيها ضوء الشمس وكل جزء منها ذرة ولا يكون لها وزن يريد ان الله تعالى لا يظلم الناس شيئا كما قال في آية اخرى ان الله لا يظلم الناس شيئا عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة قال واما الكافر فيطعم بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا رواه مسلم وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خلص المؤمنون من النار وامنوا فما مجادلة احدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا باشد مجادلة من المؤمنين لربهم في اخوانهم الذين ادخلوا النار قال يقولون ربنا اخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويحجون معنا فادخلتهم النار قال فيقول اذهبوا فاخرجوا من عرفتم منهم فياتونهم فيعرفونهم بصورهم لا تاكل النار صورهم فمنهم من اخذته النار الى انصاف ساقيه ومنهم من اخذته الى كعبيه فيخرجونهم فيقولون ربنا اخرجنا من امرتنا قال ثم يقول اخرجوا من كان في قلبه وزن دينار من الايمان ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار حتى يقول من كان في قلبه مثقال ذرة قال ابو سعيد فمن لم يصدق بهذا فليقرأ هذه الآية ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما قال فيقولون ربنا قد اخرجنا من امرتنا فلم يبق في النار احد فيه خير ثم يقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفعت الانبياء وشفع المؤمنون وبقي ارحم الراحمين قال فيقبض قبضة من النار او قال قبضتين ناسا لم يعملوا خيرا قط قد احترقوا حتى صاروا حمما فيؤتى بهم الى ماء يقال له ماء الحيوة فيصب عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل قال فيخرج اجسادهم

ادم

قدم

مثل اللولو في اعناقهم الخاتم عتقاء الله فيقال لهم ادخلوا الجنة فما تمنيتم او رايتم من شيء فهو لكم قال فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط احدا من العالمين قال فيقول فان لكم عندي افضل منه فيقولون ربنا وما افضل من ذلك فيقول رضاي عنكم فلا اسخط عليكم ابدا متفق عليه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يستخلص رجلا من امتي على رؤس الخلائق يوم القيمة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول الله اتنكر من هذا شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر او حسنة فيبهت الرجل قال لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل اسم الله شيء اخرجه الترمذي وان تك حسنة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقه الثواب عنده في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية ويؤت من لدنه من عنده اجرا عظيما عن ابي عثمان النهدي قال بلغني ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الواحدة الف الف حسنة قال فقضي ان انطلقت حاجا او معتمرا فلقيته فقلت بلغني عنك حديث انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فاذا قال الله اجرا عظيما فمن يقدر قدره رواه الامام احمد قال صاحب الكشاف والمراد الكثرة لا التحديد وقال ابو هريرة وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك في قوله تعالى ويؤت من لدنه اجرا عظيما يعني الجنة ثم لما بين انه في الآخرة لا يجري على احد ظلم وانه تعالى يجازي المحسن على احسانه بين ان ذلك يجري بشهادة الرسل الذين جعلهم الله الحجة على الخلق ليكون الحجة على المسيء ابلغ والتبكيت اعظم وحسرته اشد ويكون سرور من قبل ذلك عن الرسول واظهر الطاعة اعظم ويكون هذا وعيد الكفار الذين قال الله فيهم ان الله لا يظلم مثقال ذرة ووعد للمطيعين الذين قال الله فيهم ان تك حسنة يضاعفها فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد يعني نبيها يشهد عليهم بما عملوا وجئنا بك يا محمد على هؤلاء شهيدا شاهدا يشهد على جميع الامة على من رآه وعلى من لم يره عن عبد الله بن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ علي قلت يا رسول الله اقرأ عليك وعليك انزل قال نعم فقرأت عليه سورة النساء حتى اذا اتيت الى هذه الآية فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا قال حسبك الآن فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان متفق عليه قال الكا

لون

بلغني عن ابي هريرة رضي الله عنه الف الف حسنة

ادم

بين شرف نبينا صلى الله عليه وسلم وامته والا لا يخفى عليه شيء من العرش الى الثرى ثم انه وصف ذلك اليوم يومئذ يوم القيمة يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض قال قتادة وابو عبيدة يعني لو تخرقت الارض فساخوا فيها وعادوا اليها ثم تسوى بهم الارض وقال الكلبي يقول الله عز وجل للبهائم والوحوش والطيور والسباع كوني ترابا فتسوى بهن الارض فعند ذلك يتمنى الكافر ان لو كان ترابا كما قال الله تعالى ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وقيل يودون انهم لم يبعثوا او انهم كانوا والارض سواء ولا يكتمون الله حديثا قال عطاء عن ابن عباس ودوا لو تسوى بهم الارض وانهم لم يكونوا كتموا امر محمد صلى الله عليه وسلم ولا نعته وقال آخرون يعني ولا يكتمون الله حديثا لان ما عملوه لا يخفى على الله فلا يقدرون على كتمانه وقال الكلبي وجماعة لا يكتمون الله حديثا لان جوارحهم يشهد عليهم قال سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس اني اجد في القرآن اشياء تختلف علي قال هات ما اختلف عليك قال فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال ولا يكتمون الله حديثا وقال والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا وقال ام السماء بناها الى قوله والارض بعد ذلك دحيها فذكر خلق السماء قبل خلق الارض ثم قال ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين الى طائعين فذكر في هذه الآية خلق الارض قبل خلق السماء وقال وكان الله غفورا رحيما عزيزا حكيما فكانه كان ثم مضى فقال ابن عباس فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون في النفخة الاولى قال ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض فلا انساب عند ذلك ولا يتساءلون ثم في النفخة الآخرة واقبل بعضهم على بعض يتساءلون واما قوله ما كنا مشركين ولا يكتمون الله حديثا فان الله يغفر لاهل الاخلاص ذنوبهم فقال المشركون تعالوا نقول لم نكن مشركين فيختم على افواههم فتنطق ايديهم وارجلهم فعند ذلك عرفوا ان الله لا يكتم حديثا وعنده يود الذين كفروا الو تسوى بهم الارض وخلق الارض في يومين ثم خلق السموات ثم استوى الى السماء فسويهن في يومين آخرين ثم دحا الارض في يومين ودحيها ان اخرج منها الماء والمرعى وخلق الجبال والآكام وما بينهما في يومين آخرين فقال خلق الارض وما فيها في يومين فخلقت الارض وما فيها من شيء في اربعة ايام وخلقت السموات في يومين وكان الله غفورا رحيما اي لم يزل كذلك فلا يختلف عليك القرآن فان كلا من عند الله وقال الحسن انها مواطن ففي موطن لا يتكلمون ولا تسمع الا همسا وفي موطن يتكلمون ويكذبون ويقولون ما كنا مشركين وما كنا نعمل من سوء وفي موطن يعترفون على انفسهم فهو قوله فاعترفوا بذنبهم وفي موضع لا يتساءلون وفي موضع يسألون الرجعة وآخر تلك المواطن ان يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم وهو قوله تعالى

ولا يكتمون الله حديثا ثم ذكر بعضا آخر من التكاليف فقال يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون المراد من السكر السكر من الخمر عند الاكثرين وذلك ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما ودعا ناسا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم واتاهم بخمر فشربوا قبل تحريم الخمر وسكروا وحضرت صلوة المغرب فقدموا رجلا ليصلي بهم فقرأ قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون بحذف لا هكذا الى آخر السورة فانزل الله تعالى هذه الآية فكانوا بعد نزول هذه الآية يجتنبون السكر اوقات الصلوة حتى نزل تحريم الخمر وقال الضحاك بن مزاحم اراد به سكر النوم نهى عن الصلوة عند غلبة النوم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نعس احدكم وهو يصلي فليرقد حتى يذهب عنه النوم فان احدكم اذا صلى وهو ينعس لعله يذهب يستغفر فيسب نفسه متفق عليه قال الكاشف خاطب اهل الغفلة وسكارى الجهل من شراب الهوى والشهوة ان لا ياتوا الى مقام مناجاته وقربه ومشاهدته حتى يصحوا منها فان الغافل لا يودي فرايضه على شرايط السنة قال الواسطي لا تقربوا الى مواصلتي الا وانت منفصل عن جميع الاكوان وما فيها ولا جنبا نصب على الحال عطفا على قوله وانتم سكارى يقال رجل جنب وامرأة جنب ورجال ونساء جنب واصل الجنابة البعد وسمي جنبا لانه يجتنب موضع الصلوة او لمجانبته الناس وبعده منهم يعني يغتسل الا عابري سبيل حتى تغتسلوا اختلفوا في معناه فقال بعضهم الا ان تكونوا مسافرين ولا تجدون الماء فتيمموا منع الجنب من الصلوة حتى يغتسل الا ان يكون في سفر لا يجد ماء فيصلي بالتيمم وهذا قول علي وابن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقال الآخرون المراد من الصلوة موضع الصلوة كقوله تعالى وبيع وصلوات ومعناه ولا تقربوا المسجد وانتم جنب الا مجتازين فيه للخروج منه مثل ان ينام في المسجد فيجنب او تصيبه جنابة والماء في المسجد او يكون طريقه اليه فيمر فيه ولا يقيم وهذا قول ابن مسعود وسعيد بن المسيب والضحاك والحسن وعكرمة والنخعي والزهري وذلك ان قوما من الانصار كانت ابوابهم في المسجد فتصيبهم الجنابة ولا ماء عندهم ولا ممر لهم الا في المسجد فرخص لهم في العبور وان كنتم مرضى جمع مريض والمراد به مرض يضره امساس الماء او كان على موضع طهارته جراحة يخاف من استعمال الماء فيه التلف او زيادة المرض فانه يصلي بالتيمم وان كان الماء موجودا عن جابر قال خرجنا في سفر فاصاب رجلا منا حجر فشجه في راسه فاحتلم فسأل اصحابه هل تجدون لي رخصة في التيمم قالوا ما نجد لك رخصة وانت تقدر على الماء فاغتسل فمات فلما قدمنا على النبي صلى الله عليه وسلم اخبر بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم قتلوه قتلهم الله الا سألوا اذ لم يعلموا فانما شفاء العي السؤال وانما كان يكفيه

م

س

ان يتيمم ويعصر او يعصب على جرحه خرقه ثم يمسح عليها ويغسل ساير جسده اخرجه ابو داود
والدارقطنى اَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ اراد به اذا كان فى سفر طويلا كان او قصيرا وعدم الماء فانه يصلى
بالتيمم ولا اعاده عليه لما روى عن ابى ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصعيد
الطيب وضوء المسلم وان لم يجد الماء عشر سنين فاذا وجد الماء فليمسه بشرته رواه ابو داود
وغيره اَوْ جَاءَ اَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ اراد به اذا احدث والغائط اسم للمطمئن من الارض و
كانت عادة العرب اتيان الغائط فكنى عن الحدث بالغائط اَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ واختلفوا فى معنى
اللمس والملامسة فقال قوم هى المجامعه وهو قول على بن ابى طالب وابن عباس والحسن و
مجاهد وقتاده كنى باللمس عن المجامعه لان باللمس يوصل الى الجماع وقال قوم هما التقاء البشرتين
سواء كان بجماع او غير جماع وهو قول ابن مسعود وابن عمر والشعبى والنخعى واليه ذهب الشافعى
رحمه الله فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا والتيمم من خصايص هذه الامة عن حذيفه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلث جعلت صفوفنا كصفوف الملايكه وجعلت لنا الارض
كلها مسجدا وجعلت تربتها لنا طهورا اذا لم نجد الماء رواه مسلم وغيره وكان بدو التيمم ما اخرجه
الشيخان عن عايشه زوجه النبى صلى الله عليه وسلم قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى بعض اسفاره حتى اذا كنا بالبيداء او بذات الجيش انقطع عقد لى فاقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم على التماسه واقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فاتى
الناس ابا بكر فقالوا الا ترى ما صنعت عايشه اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالناس
وليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على
فخذى قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس وليسوا على ماء وليس معهم
ماء قالت فعاتبنى ابو بكر وقال ما شاء الله ان يقول وجعل يطعن بيده فى خاصرتى ولا يمنعنى
من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذى فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
حين اصبح على غير ماء فانزل الله تعالى آية التيمم فتيمموا فقال اسيد بن الحضير وهو احد
النقباء ما هى باول بركتكم يا آل ابى بكر فقالت عايشه فبعثنا البعير الذى كنت عليه فوجدنا
العقد تحته صَعِيدًا طَيِّبًا اى اقصدوا ترابا طاهرا قال ابن عباس الصعيد هو التراب فَامْسَحُوا
بِوُجُوهِكُمْ وَاَيْدِيكُمْ اِنَّ اللّٰهَ كَانَ عَفُوًّا متجاوزا عن ذنوب عباده يعفو ويصفح عنهم
غَفُورًا ستورا على عباده يغفر الذنوب ويسترها ومن كان عادته العفو والغفران يكون ميسرا
بالترخيص غير معسر ثم انه تعالى لما ذكر من اول السورة الى هذا الموضع انواعا كثيرة من التكاليف
والاحكام الشرعيه قطع ههنا الكلام فى بيان الاحكام وذكر احوال اعداء الدين واقاصيص

والمذهب ابو حنيفه رحمه الله وغيره

المتقدمين

المتقدمين لان البقاء فى النوع الواحد من العلم مما يكدر الطبع ويكدر الخاطر والانتقال من نوع
من انواع العلوم الى نوع آخر كانه يبسط الخاطر ويقوى القريحه فقال اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ اُوتُوا نَصِيبًا
مِّنَ الْكِتَابِ يعنى يهود المدينه قال ابن عباس نزلت فى رفاعه بن زيد ومالك بن دخشم كانا اذا
تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم لويا السنتهما وعاباه فانزل الله تعالى هذه الايه يَشْتَرُونَ
الضَّلَالَةَ يستبدلون الضلالة بالهدى وَيُرِيدُونَ اَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ يا معشر المومنين وَاللّٰهُ اَعْلَمُ
بِاَعْدَائِكُمْ منكم فلا يستنصحوهم فانهم اعداؤكم وَكَفَىٰ بِاللّٰهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللّٰهِ نَصِيرًا فثقوا
بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا
بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ يعنى يغيرون صفه محمد صلى
الله عليه وسلم من التوريه وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا يعنى سمعنا قولك وعصينا امرك وذلك
انهم كانوا اذا امرهم النبى صلى الله عليه وسلم بشى قالوا فى الظاهر سمعنا وقالوا فى الباطن عصينا
وقيل انهم كانوا يظهرون ذلك القول عنادا او استخفافا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ كلام ذو وجهين
يحتمل الذم اى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت او اسمع غير مجاب الى ما تدعوا واسمع غير مسمع
كلاما ترضاه ويحتمل المدح اى اسمع غير مسمع مكروها وَرَاعِنَا هو ايضا ذو وجهين راعنا
فكلمك اى ارقبنا وانتظرنا ويحتمل سبه بكلمه عبرانيه او سريانيه كانوا يتسابون بها وهى راعينا
كانوا يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمه والاهانه ويظهرون به التوقير والاكرام لَيًّا
بِاَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى الدِّينِ يقال لويت الشئ لويا اذا فتلته والمعنى انهم يفتلون بالسنتهم
الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها
او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا وكانوا يقولون
لاصحابهم انما نشتمه ولا يعرف ولو كان نبيا لعرف ذلك فاظهره الله تعالى على خبث ضمايرهم
وما فى قلوبهم من العداوة والبغضاء وَلَوْ اَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَاَطَعْنَا مكان قولهم سمعنا وعصينا
وَاسْمَعْ بدل قولهم لا سمعت وَانظُرْنَا اى انظر الينا مكان قولهم راعنا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَ
اَقْوَمَ اى اعدل واصوب وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللّٰهُ اى طردهم وابعدهم من رحمته بِكُفْرِهِمْ فَلَا
يُؤْمِنُونَ اِلَّا قَلِيلًا مثل عبد الله بن سلام واصحابه ثم انه تعالى بعد ان حكى عن اليهود انواع
مكرهم واذايهم امرهم بالايمان وقرن بهذا الامر الوعيد الشديد فقال يَا اَيُّهَا الَّذِينَ اُوتُوا
الْكِتَابَ يخاطب اليهود آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا يعنى القرآن مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم يعنى التوريه وذلك ان
النبى صلى الله عليه وسلم كلم احبار اليهود عبد الله بن صوريا وكعب بن اسد فقال يا معشر
يهود اتقوا الله واسلموا فوالله انكم لتعلمون ان الذى جيتكم به لحق قالوا ما نعرف ذلك

يحتمل م

واصروا على الكفر فنزلت هذه الآيه مِّن قَبْلِ اَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا قال ابن عباس نجعلها كخف البعير
وقال قتاده والضحاك نعميها والمراد بالوجه العين فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ اَدْبَارِهَا نمحو آثارها وما فيها
من عين وانف وفم وحاجب فنجعلها على هيئه ادبارها وهى الاقفاء وقيل نذبرها فنجعل
الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام وقيل نجعل الوجوه منابت الشعر كوجوه القرده لان منابت
شعور الادميين فى ادبار وجوههم وقيل نجعل عينه على القفاء فيمشى قهقرى روى ان
ان عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآيه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم قبل ان ياتى اهله ويده على
وجهه واسلم فقال يا رسول الله ما كنت اُرى ان اصل اليك حتى يتحول وجهى فى قفاى وكذلك
كعب الاحبار لما سمع هذه الآيه اسلم فى زمن عمر رضى الله عنه فقال يا رب آمنت يا رب اسلمت مخافه
ان يصيبنى وعيد هذه الايه فان قيل قد اوعدهم بالطمس ان لم يومنوا ثم لم يومنوا ولم يفعل
بهم ذلك قيل هذا الوعيد باق ويكون طمس ومسخ فى اليهود قبل قيام الساعة وقيل كان هذا
وعيدا بشرط الايمان فلما اسلم عبد الله بن سلام واصحابه رفع ذلك عن الباقين وقيل اراد به
فى القيامه وقال مجاهد اراد بقوله نطمس وجوها اى نتركهم فى الضلاله فيكون المراد طمس وجه
القلب والرد عن بصاير الهدى على ادبارها فى الكفر والضلاله واصل الطمس المحو والافساد
والتحويل وقال ابن زيد نردهم الى حيث جاءوا منه وهو اذرعات واريحاء من الشام يريد
اجلاء بنى النضير اَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا اَصْحَابَ السَّبْتِ فنجعلهم قردة وخنازير وَكَانَ اَمْرُ اللّٰهِ
مَفْعُولًا ثم لما هدد اليهود على الكفر وبين ان ذلك التهديد لا بد من وقوعه لا محاله بين ان
مثل هذا التهديد من خواص الكفر فاما ساير الذنوب التى هى مغايره الكفر فليست حالها كذلك
بل هو سبحانه وتعالى يعفو عنها فقال اِنَّ اللّٰهَ لَا يَغْفِرُ اَن يُشْرَكَ بِهِ قال الكلبى نزلت فى وحشى بن
حرب واصحابه وذلك انه لما قتل حمزه كان قد جعل له على قتله ان يعتق فلم يوف له بذلك فلما
قدم مكه ندم على صنيعه هو واصحابه فكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا قد ندمنا على
صنيعنا وانه ليس يمنعنا عن الاسلام الا انا سمعناك تقول وانت بمكه والذين لا يدعون مع الله
الها آخر الآيات وقد دعونا مع الله الها آخر وقتلنا النفس التى حرم الله الا بالحق وزنينا
فلولا هذه الآيات لاتبعناك فنزلت الا من تاب وعمل صالحا الآيتين فبعث بهما رسول الله صلى
الله عليه وسلم اليهم فلما قروا كتبوا اليه ان هذا شرط شديد نخاف ان لا نعمل عملا صالحا فنزل
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فبعث بها اليهم فبعثوا اليه انا نخاف
ان لا نكون من اهل مشيته فنزلت يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم الآيه فبعث بها اليهم
فدخلوا فى الاسلام ورجعوا الى النبى صلى الله عليه وسلم فقبل منهم ثم قال لوحشى اخبرنى

وآمنوا م

كيف

كيف قتلت حمزه فلما اخبره قال ويحك غيب وجهك عنى فلحق وحشى بالشام فكان بها الى ان مات وقال
ابو مجلز عن ابن عمر لما نزل قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم الآيه قام رجل وقال والشرك يا رسول
الله فسكت ثم قام اليه مرتين او ثلثا فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به قال الاستاد العوام طلبوا بترك
الشرك الجلى والخواص طلبوا بترك الشرك الخفى وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وقال مطرف بن الشخير
قال ابن عمر كنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات الرجل على كبيره شهدنا انه من اهل
النار حتى نزلت هذه الآيه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فامسكنا عن الشهادات
حكى عن امير المومنين على بن ابى طالب رضى الله عنه ان هذه الآيه ارجى آيه فى القرآن وَمَن يُشْرِكْ بِاللّٰهِ
فَقَدِ افْتَرَىٰ اِثْمًا عَظِيمًا اى ارتكب اثما عظيما وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه عن عايشه رضى الله عنها
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدواوين عند الله ثلثه دواوين لا يعبا الله تعالى به شيا
وديوان لا يترك الله عز وجل منه شيا وديوان لا يغفره الله جل وعلا فاما الديوان الذى لا يغفر الله تعالى
فالشرك بالله قال الله عز وجل ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنه واما الديوان الذى لا يعبا الله
تعالى به شيا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه او صلوة تركها فان الله تعالى يغفر
ذلك ويتجاوز ان يشاء واما الديوان الذى لا يترك الله عز وجل منه شيا فظلم العباد بعضهم بعضا
القصاص لا محاله رواه الامام احمد وروى مثله الحافظ ابو بكر البزار وعن ابن عباس رضى الله عنهما
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل انى ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له
ولا ابالى ما لم يشرك بى شيا رواه الطبرانى وعن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من وعده الله على عمل ثوابا فهو منجز له ومن وعده على عمل عقابا فهو بالخيار رواه الحافظان البزار
وابو يعلى وعن جابر قال اتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله ما الموجبتان قال
من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنه ومن مات يشرك بالله شيا دخل النار رواه مسلم وعن ابى ذر
انه قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب ابيض وهو نايم ثم اتيته وقد استيقظ فقال
ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك الا دخل الجنه قلت وان زنا وان سرق قال وان
زنا وان سرق قلت وان زنا وان سرق قال وان زنا وان سرق قلت وان زنا وان سرق قال
وان زنا وان سرق على رغم انف ابى ذر وكان ابو ذر اذا حدث بهذا يقول وان رغم انف
ابى ذر متفق عليه ثم انه تعالى لما هدد اليهود بقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء فعند هذا قالوا لسنا من المشركين بل نحن من خواص الله تعالى كما حكى تعالى
عنهم انهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وحكى تعالى عنهم انهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات
وحكى ايضا انهم قالوا لن يدخل الجنه الا من كان هودا او نصارى وكان بعضهم يقولون آباؤنا

من علم م

كانوا ابنيا فيشفعون لنا فذكر الله تعالى في هذه الآية انه لا عبرة بتزكية الانسان نفسه وانما العبرة
بتزكية الله له ‌ ألم تر الى الذين يزكون انفسهم قال الكلبي نزلت في رجال من اليهود منهم بحري بن
عمرو ونعمان بن اوفى ومرحب بن زيد اتوا باطفالهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هل
على هؤلاء من ذنب فقال لا فقالوا ما نحن الا كهيئتهم ما عملنا بالنهار يكفر عنا بالليل وما عملنا بالليل يكفر
عنا بالنهار فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الحسن والضحاك وقتادة ومقاتل نزلت في اليهود والنصارى
حين قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى قال صاحب الكشاف
ويدخل في الآية كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله
وقال عبد الله بن مسعود هو تزكية بعضهم لبعض روى طارق بن شهاب عن ابن مسعود قال ان الرجل
ليغدو من بيته ومعه دينه فيأتي الرجل لا يملك له ولا لنفسه ضرا ولا نفعا فيقول والله انك لذيت
وذيت فيرجع الى بيته وما معه من دينه شيء ثم قرأ الم تر الى الذين يزكون انفسهم في الصحيحين
عن ابي بكرة رضي الله قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يثني على رجل فقال ويحك
قطعت عنق صاحبك ثم قال ان كان احدكم مادحا صاحبه لا محالة فليقل احسبه ولا ازكي على الله
احدا وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قال انا مؤمن فهو كافر ومن قال هو عالم فهو جاهل
ومن قال هو في الجنة فهو في النار رواه الامام احمد وابن مردويه وفي سنن ابن ماجه وغيره
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والتمادح فانه الذبح قال بعضهم ليست الانفس محل
للتزكية فمن استحسن من نفسه شيئا فقد اسقط من باطنه انوار اليقين بل الله يزكي من يشاء
اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكيه غيره لانه هو العالم بحقائق الامور وهو الذي
يزكي ويبرئ من الذنوب من يشاء من عباده ولا يظلمون فتيلا اي لا يظلم الذين يزكون
انفسهم في جزاء تزكيتهم انفسهم فتيلا وما يجزون الا حق جزائهم او لا يظلم الذين زكاهم الله
ثواب طاعتهم وبوفون اجورهم والفتيل المفتول فعيل بمعنى مفعول وهو ما يكون في شق النواة فتيلا لكونه على
هيئته وقيل الفتيل ما يحصل بين الاصبعين من الوسخ عند الفتل يضرب به المثل في الشيء
الحقير الذي لا قيمة له انظر يا محمد كيف يفترون على الله الكذب يختلقون على الله الكذب
في زعمهم انهم ازكياء عند الله وكفى به بذلك الكذب اثما مبينا من بين اثامهم ثم حكى عن اليهود
نوعا آخر من المكر فقال الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت
اختلفوا فيهما قال عكرمة هما صنمان كان المشركون يعبدونهما من دون الله وقال عمر الجبت السحر
والطاغوت الشيطان وهو قول الشعبي ومجاهد وقيل الجبت الاوثان والطاغوت شياطين
الاوثان ولكل صنم شيطان يعبر عنها فيغتر بها الناس وقال ابن سيرين ومكحول الجبت الكاهن

والطاغوت الساحر وقال سعيد بن جبير وابو العالية الجبت الساحر بلسان الحبشة والطاغوت
الكاهن وقال الضحاك الجبت حيي بن اخطب والطاغوت كعب بن الاشرف دليله قوله تعالى يريدون
ان يتحاكموا الى الطاغوت وقيل الجبت كل ما حرم الله والطاغوت كل ما يطغي الانسان قال الجوهري
في الصحاح الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك عن قبيصة بن مخارق ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال العيافة والطرق والطيرة من الجبت رواه الامامان ابو داود ومحيي السنة قال
عوف وهو من رواة الحديث العيافة زجر الطير والطرق الخط يخط في الارض وقال سهل بن عبد الله
راس الطواغيت النفس الامارة بالسوء اذا خلي العبد معها عن العصمة وقال ابن عطاء اعطوا
الكتاب فجحدوا عليهم الكرامة لهم ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا قال
المفسرون خرج كعب بن الاشرف في سبعين راكبا من اليهود الى مكة بعد وقعة احد ليحالفوا قريشا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه
وسلم فنزل كعب على ابي سفيان فاحسن مثواه ونزلت اليهود في دور قريش فقال اهل مكة انكم اهل
كتاب ومحمد صاحب كتاب ولا نامن ان يكون هذا مكرا منكم فان اردت ان نخرج معك فاسجد لهذين
الصنمين وآمن بهما ففعل فذلك قوله تعالى يؤمنون بالجبت والطاغوت ثم قال كعب لاهل مكة
ليجئ منكم ثلاثون ومنا ثلاثون فنلزق اكبادنا بالكعبة فنعاهد رب الكعبة لنجهدن على قتال محمد
ففعلوا ثم قال ابو سفيان لكعب انك امرؤ تقرأ الكتاب وتعلم ونحن اميون لا نعلم فاينا اهدى طريقا
نحن ام محمد قال كعب اعرضوا على دينكم فقال ابو سفيان نحن ننحر للحجيج الكوماء ونسقيهم الماء
ونقري الضيف ونفك العاني ونصل الرحم ونعمر بيت ربنا ونطوف به ونحن اهل الحرم ومحمد فارق
دين آبائه وقاطع الرحم وفارق الحرم وديننا القديم ودين محمد الحديث فقال كعب انتم والله اهدى
سبيلا مما عليه محمد فانزل الله تعالى الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يعني كعبا واصحابه يؤمنون
بالجبت والطاغوت يعني الصنمين ويقولون للذين كفروا ابي سفيان واصحابه هؤلاء اهدى من
الذين آمنوا يعني محمدا واصحابه سبيلا دينا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد
له نصيرا ام لهم نصيب من الملك بل الهم نصيب من الملك استفهام انكار يعني ليس لهم نصيب
من الملك كانوا يقولون نحن اولى بالملك والنبوة فكيف نتبع العرب فانكر الله تعالى عليهم بان
ليس لهم نصيب من الملك ولئن كان لهم نصيب وحظ من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا والنقير
النقطة التي تكون على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة ويضرب به المثل في الشيء الحقير كالفتيل والقطمير
وهو اسم للقشرة التي على النواة ووصفهم بالبخل في هذه الآية ووصفهم بالجهل في الآية المتقدمة
ووصفهم بالحسد في الآية الآتية ام يحسدون بل يحسدون استفهام انكار الناس المراد

بالناس على ما ذكره ابن عباس والحسن ومجاهد وجماعة محمد صلى الله عليه وسلم وحده فقد
اجتمع فيه صلى الله عليه وسلم من خصال الخير والبركة ما لا يجتمع مثله في جماعة ومن هذا القبيل
ان ابرهيم كان امة وقيل المراد بالناس محمد واصحابه على ما آتاهم الله من فضله المراد بالفضل
النبوة لانها اعظم المناصب واشرف المراتب وقيل حسدوه على ما احل الله له من النساء و
كان له يومئذ تسع نسوة فقالت اليهود لو كان نبيا لشغله امر النبوة عن الاهتمام بامر النساء فرد
الله تعالى عليهم بقوله فقد آتينا آل ابرهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم الكتاب
ما انزل اليهم والحكمة النبوة وآتيناهم ملكا عظيما عن ابن عباس الملك في آل ابراهيم ملك يوسف
وداود وسليمان عليهم السلام ومن فسر الفضل بكثرة النساء فسر الملك العظيم في حق داود وسليمان
عليهما السلام بكثرة النساء فانه كان لداود مائة امرأة وكان لسليمان الف امرأة ثلاثمائة مهرية وسبعمائة
سرية ولم يكن يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا تسع نسوة فلما قال لهم ذلك سكتوا فمنهم
من آمن به اي فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل ابرهيم وقيل من آمن بمحمد صلى الله عليه
وسلم وهم عبد الله بن سلام واصحابه ومنهم من صد عنه اعرض عنه وانكر مع علمه به او منهم
من اعرض ولم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا بآياتنا
سوف نصليهم ندخلهم نارا كلما نضجت احترقت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها غير الجلود
المحترقة قال ابن عباس يبدلون جلودا بيضا كامثال القراطيس وروي ان هذه الآية قرئت عند عمر
رضي الله عنه فقال عمر للقارئ اعدها فاعادها وكان عنده معاذ بن جبل فقال معاذ عندي تفسيرها
تبدل في ساعة مائة مرة قال عمر هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحسن تاكلهم النار كل يوم
سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون كما كانوا عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة ايام للراكب المسرع متفق عليه وعنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر او ناب الكافر مثل احد وغلظ جلده مسيرة ثلاث رواه مسلم
فان قيل كيف يعذب جلود لم يكن في الدنيا ولم تعصه قيل في الجواب انه يعذب الشخص في الجلد
لا الجلد بدليل انه قال ليذوقوا العذاب ولم يقل لتذوق وعن فضيل انه قال يجعل النضيج
غير نضيج وقيل يعاد الجلد الاول في كل مرة وانما قال جلودا غيرها لتبدل صفتها كما تقول صنعت
من خاتمي خاتما غيره فالخاتم الثاني هو الاول الا ان الصياغة والصفة قد تبدلت وقيل المراد
بالجلود السرابيل وهو قوله تعالى سرابيلهم من قطران والمعنى كلما نضجت سرابيلهم واحترقت بدلنا
سرابيل من قطران غيرها ان الله كان عزيزا لا يمتنع عليه شيء يريد بالمجرمين حكيما في تدبيره
وقضائه والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين

عثمان بن طلحة

فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا كنينا لا تنسخه الشمس ولا يؤذيهم حر ولا
برد وما ذاك الا ظل الجنة رزقنا الله اياها بفضله وكرمه وعنايته ثم انه سبحانه وتعالى لما شرح بعض
احوال الكفار وشرح وعيدهم عاد الى ذكر التكاليف مرة اخرى وايضا لما حكى عن اهل الكتاب انهم
كتموا الحق بحيث قالوا للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا امر المؤمنين في هذه الآية
باداء الامانات فقال ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها نزلت في عثمان بن طلحة الحجبي
من بني عبد الدار فكان سادن الكعبة فلما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح اغلق عثمان
باب البيت وصعد السطح فطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم المفتاح فقيل انه مع عثمان فطلب
منه فابى وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه المفتاح فلوى امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يده واخذ منه المفتاح وفتح الباب فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وصلى فيه ركعتين
فلما خرج سأله العباس المفتاح ان يعطيه ويجمع له بين السقاية والسدانة فانزل الله تعالى هذه الآية
فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه ان يرد المفتاح الى عثمان ويعتذر اليه ففعل
ذلك فقال له عثمان اكرهت واذيت ثم جئت برفق فقال لقد انزل الله في شانك وقرأ عليه الآية فقال
عثمان اشهد ان محمدا رسول الله واسلم وكان المفتاح معه فلما مات دفعه الى اخيه شيبة فالمفتاح
والسدانة في اولادهم الى يوم القيامة كذا ذكر محيي السنة وروى ابن مردويه من طريق الكلبي عن
ابن عباس رضي الله عنهما انه لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة دعا عثمان بن طلحة بن ابي
طلحة فلما اتاه قال ارني المفتاح فاتاه به فلما بسط يده اليه قام العباس رضي الله عنه فقال يا رسول
الله بابي انت وامي اجمعه لي مع السقاية فكف عثمان يده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارني المفتاح يا عثمان فبسط يده يعطيه فقال العباس رضي الله عنه مثل كلمته الاولى فكف عثمان
يده ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عثمان ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر فهاتني المفتاح
فقال هاك بامانة الله تعالى قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتح باب الكعبة فوجد في الكعبة
تمثال ابرهيم عليه الصلوة والسلام معه قداح يستقسم بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما للمشركين قاتلهم الله وما شان ابرهيم وشان القداح ثم دعا بجفنة فيها ماء فاخذ ماء فغمسه ثم
غمس به تلك التماثيل واخرج مقام ابرهيم وكان في الكعبة فالزقه الى حائط الكعبة ثم قال ايها الناس
هذه القبلة ثم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت شوطا او شوطين ثم
نزل عليه جبريل عليه السلام فيما ذكر لنا برد المفتاح فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عثمان بن طلحة فاعطاه المفتاح ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يامركم ان تؤدوا
الامانات الى اهلها حتى فرغ من الآية ويقول في هذه الرواية ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر

وذكر البغوي م

يدل على ان عثمان كان مسلما قبل الفتح وما سبق يدل على انه اسلم يوم الفتح وثبت في الصحيحين من ابن عمر انه اقبل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو مردف اسامة على القصواء ومعه بلال وعثمان حتى اناخ عند البيت ثم قال لعثمان ائتنا بالمفتاح فجاءه بالمفتاح ففتح الباب وما ذكره ابن مردويه في تفسير الآية ذكره ابن الجوزي ايضا وذكر ابو عمرو بن عبد البر وابن منده وابن الاثير ان عثمان بن طلحة هاجر الى المدينة في هدنة الحديبية سنة ثمان مع خالد بن الوليد ولقيهما عمرو بن العاص مقبلا من عند النجاشي فوافقهما وهاجر معهما فلما رآهم النبي صلى الله عليه وسلم قال رمتكم مكة بافلاذ كبدها يعني انهم وجوه اهل مكة فاسلموا وسلم عثمان بن طلحة المفتاح الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فرده النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقال خذوها يا بني طلحة خالدة مخلدة لا ينزعها منكم الا ظالم واما نزول الآية فهذه من المشهورات لكن حكمها عام فقد تقرر في الاصول ان الاعتبار بعموم الحكم لا بخصوص السبب ولهذا قال ابن عباس ومحمد بن الحنفية رضي الله عنهم هي للبر والفاجر اي هي امر لكل احد فدخل في ذلك جميع الامانات التي تحملها الانسان وينقسم ذلك الى ثلثة اقسام القسم الاول رعاية الامانة في عبادة الله عز وجل وهو فعل المامورات وترك المنهيات قال ابن مسعود الامانة لازمة في كل شيء حتى في الوضوء والغسل من الجنابة والصلوة والزكوة والصوم وساير انواع العبادات القسم الثاني وهو رعاية الامانة مع نفسه وهو ما انعم الله به عليه من ساير اعضائه فامانة اللسان حفظه من الكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك وامانة العين غضها عن المحارم وامانة السمع ان لا تشغله بسماع شيء من اللهو والفحش والاكاذيب ونحوه ثم ساير الاعضاء على نحو ذلك القسم الثالث هو رعاية العبد مع ساير عباد الله تعالى فيجب عليه رد الودايع والعواري الى اربابها الذي ائتمنوه عليها ولا يخونهم فيها عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أدّ الامانة الى من ائتمنك ولا تخن من خانك اخرجه ابو داود والترمذي ويدخل في ذلك وفاء الكيل والميزان فلا يطفف فيها ويدخل في ذلك عدل الامراء والملوك في الرعية ونصح العلماء للعامة فكل هذه الاشياء من الامانات التي امر الله عز وجل باداءها الى اهلها وروى البغوي بسنده عن انس قال قل ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له قال الكاشفي امرهم الله باظهار ما كوشف لهم من احكام الغيب عند العارفين وكتمانها عن الجاهلين قال الحريري افضل الامانات امانة الاسرار فلا يظهرها ولا ولا يكشفها الا لاهلها لانهم اهل الامانة العظمى ثم اعلم ان الامانة عبارة عما وجب لغيرك عليك فاداء ذلك الحق اليه والحكم بالحق عبارة عما اذا وجب للانسان على غيره حق فامرت من وجب عليه ذلك الحق بان يدفعه الى من له ذلك الحق ولما كان الترتيب الصحيح ان يبدأ الانسان بنفسه في جلب

المنافع

المنافع ودفع المضار ثم يشتغل بحال غيره لا جرم انه تعالى ذكر الامر بالامانة اولا ثم ذكر بعده الحكم بالحق فما احسن هذا الترتيب وكان اكثر لطايف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ في الحديث ان الله مع الحاكم ما لم يجر فاذا جار وكله الى نفسه وفي الاثر عدل يوم كعبادة اربعين سنة إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ اي نعم الشيء الذي يعظكم به وهو اداء الامانات والحكم بالعدل إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا لما تقولون فاذا حكمتم فهو يسمع حكمكم بَصِيرًا لما تفعلون فاذا اديتم الامانة فهو يبصر فعلكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما ولوا رواه مسلم وعن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الناس الى الله يوم القيمة وادناهم عنده مجلسا امام عادل وابغض الناس الى الله وابعدهم منه مجلسا امام جاير اخرجه الترمذي ثم لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ قال ابو هريرة هم الامراء والولاة قال علي بن ابي طالب حق الامام ان يحكم بما انزل الله ويودي الامانة فاذا فعل ذلك فحق على الرعية ان يسمعوا ويطيعوا وقال ابن عباس وجابر والحسن والضحاك ومجاهد هم الفقهاء والعلماء الذين يعلمون الناس معالم دينهم ويروى عن ابن عباس انهم الولاة والظاهر ان الآية عامة في كل اولي الامر من الامراء والعلماء في صحيح البخاري وغيره انها نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي اذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن يعصيني فقد عصى الله ومن يطع الامير فقد اطاعني ومن يعص الامير فقد عصاني متفق عليه وعن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السمع والطاعة على المرء المسلم فيما احب وكره ما لم يومر بمعصية فاذا امر بمعصية فلا سمع ولا طاعة متفق عليه وعن عبادة بن الصامت قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره وان لا ننازع الامر اهله وان نقوم او نقول بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لايم رواه محيي السنة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي ذر اسمع واطع ولو لعبد حبشي كان راسه زبيبة رواه البخاري وعن ابي امامة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع فقال اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وادوا زكوة اموالكم واطيعوا ذا امركم تدخلوا جنة ربكم رواه وعن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا طاعة في معصية الله رواه الامام احمد وعن علي رضي الله عنه قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار فلما خرجوا وجد عليهم في شيء قال فقال لهم اليس قد امركم رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان تطيعوني قالوا بلى قال فقال اجمعوا الي حطبا ثم دعا بنار فاضرمها فيه ثم قال عزمت عليكم لتدخلنها قال فقال لهم شاب منهم انما فررتم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النار فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان امركم ان تدخلوها فادخلوها قال فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال لهم لو دخلتموها ما خرجتم منها ابدا انما الطاعة في المعروف اخرجه الشيخان وغيرهما قال الكاشفي طاعة الانبياء واولي الامر طاعة الله بوسيلة والملوك في الدنيا سايه ظل الله ومن اراد ان يرى بهاء الله وآثار عظمته فلينظر اليهم قال عليه السلام السلطان ظل الله في الارض وقال الملك والنبوة توأمان ومن البشر ظل الله صار امره امر الله فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ اي ان اختلفتم في امر دينكم فردوه الى كتاب الله والى الرسول ما دام حيا وبعد وفاته الى سنته والرد الى الكتاب والسنة واجب ان وجد فيهما فان لم يوجد فسبيله الاجتهاد وقيل الرد الى الله والرد الى الرسول ان تقول لما لا تعلم الله ورسوله إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قال النصرابادي ان علمنا هذا لا يصلح الا لمن له علم الكتاب والسنة وله معاملة واداب ومع ذلك يكون له ظرف ونظافة ذَلِكَ اي الرد الى الله والى الرسول خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا احمد مآلا وعاقبة ثم انه تعالى لما اوجب في الآية الاولى على جميع المكلفين ان يطيعوا الله ويطيعوا الرسول ذكر في هذه الآية ان المنافقين والذين في قلوبهم مرض لا يطيعون الرسول ولا يرضون بحكمه فقال أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ قال الشعبي كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة فقال اليهودي نحاكم الى محمد لانه عرف انه لا ياخذ الرشوة ولا يميل في الحكم وقال المنافق نتحاكم الى اليهود لعلمه انهم ياخذون الرشوة ويميلون في الحكم فاتفقا على ان ياتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما اليه فنزلت هذه الآية قال جابر كان الطواغيت التي يتحاكمون اليها واحد في جهينة وواحد في اسلم وفي كل حي واحد كهان وقال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس نزلت في رجل من المنافقين يقال له بشر كان بينه وبين يهودي خصومة فقال اليهودي ننطلق الى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل الى كعب بن الاشرف وهو الذي سماه الله الطاغوت فابى اليهودي ان يخاصمه الا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المنافق ذلك اتى معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال انطلق بنا الى عمر فاتيا عمر فقال اليهودي اختصمت انا وهذا الى محمد فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم انه مخاصم اليك فقال عمر للمنافق اكذلك قال نعم قال لهما رويدكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر البيت فاخذ السيف واشتمل عليه ثم خرج فضرب به المنافق حتى برد وقال هكذا اقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله فنزلت هذه الآية وقال جبريل ان عمر فرق بين

اعلم م

الحق

الحق والباطل فسمي الفاروق فالمراد بالطاغوت الكاهن او كعب بن الاشرف وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ قال بعض الايمات الكفر بالطاغوت وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ للمنافقين تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا اي يعرضون عنك اعراضا فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ اي فكيف حال هولاء المنافقين وكيف يصنعون اذا اصابتهم مصيبة يعجزون عنها بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وهو التحاكم الى غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا وعيد لهم على سوء صنيعهم ورضاهم بحكم الطاغوت دون حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل المصيبة هي قتل عمر لذلك المنافق ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ عاد الكلام الى ما سبق يخبر عن فعلهم يعني يتحاكمون الى الطاغوت ثم يجيئونك ويحلفون إِنْ أَرَدْنَا ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك إِلَّا إِحْسَانًا للاسارة وَتَوْفِيقًا بين الخصمين لا مخالفة لك في حكمك قيل جاء اولياء المنافق الذي قتل عمر رضي الله عنه يطلبون ديته وقالوا ما اردنا بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا في حكمه ويوفق بينه وبين خصمه فاهدر الله دم ذلك المنافق أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ من النفاق فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ عن قبول عذرهم وقيل عن عقوبتهم وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم يوثر في قلوبهم وهو التخويف بالله عز وجل وقيل هو ان يوعدهم بالقتل ان لم يتوبوا من النفاق وقيل هو ان تقول لهم ان اظهرتم ما في قلوبكم من النفاق قتلتم لان هذا القول يبلغ في نفوسهم كل مبلغ وقيل معناه فاعرض عنهم في الملاء وقل لهم في انفسهم اذا خلوت بهم قولا بليغا لان النصيحة في السر انجع قيل هذا منسوخ باية القتال ثم رغب في طاعة الرسول فقال وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ اي بامر الله يعني ان طاعة الرسول وجبت بامر الله تعالى وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بتحاكمهم الى الطاغوت جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا عن عروة بن الزبير ان الزبير كان يحدث انه خاصم رجلا من الانصار قد شهد بدرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من الحرة كانا يسقيان به كلاهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للزبير اسق يا زبير ثم ارسل الى جارك فغضب الانصاري فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان ابن عمتك فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق ثم احبس حتى يرجع الى الجدر فاستوعى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك اشار على الزبير براي فيه سعة له وللانصاري فلما احفظ الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم استوعى للزبير حقه في صريح الحكم قال عروة قال الزبير والله ما احسب هذه الآية نزلت الا في ذلك رواه البخاري ومسلم وغيرهما فذكر جماعة منهم ابن الصباغ في كتاب الشامل الحكاية المشهورة عن العتبي قال كنت جالسا عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فجاء اعرابي فقال السلام عليك يا رسول الله سمعت الله تعالى يقول ولو انهم

وعظهم م

مرة اخرى م

الشراج مسايل الماء [illegible] والحرة الارض ذات الحجارة السود م

حينئذ حقه للزبير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم م

اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وقد
جئتك مستغفرا لذنبي مستشفعا بك الى ربي ثم انشأ يقول يا خير من دفنت بالقاع اعظمه
فطاب من طيبهن القاع والاكم نفسي الفداء لقبر انت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم
ثم انصرف الاعرابي فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا عتبي الحق
الاعرابي فبشره بان الله تعالى قد غفر له قال ابن عطاء في هذه الاية اي لو جعلوك الوسيلة الى
لو صلوا الى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم فلا اي ليس الامر كما يزعمون انهم
مؤمنون ثم لا يرضون بحكمك ثم استانف القسم فقال وربك لا يؤمنون ويجوز ان يكون لا
صلة للتاكيد يحكموك اي يجعلوك حكما فيما شجر بينهم اي اختلف واختلط من امورهم والتبس عليهم
حكمه ومنه الشجر لالتفاف اغصانه بعضها على بعض روي ان الانصاري الذي خاصم الزبير كان
اسمه حاطب بن ابي بلتعة فلما خرجا مرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري قضى
لابن عمته ولوى شدقه ففطن له يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه
رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا موسى
الى التوبة منه فقال فاقتلوا انفسكم ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال
ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لفعلت
فانزل الله تعالى في شان حاطب بن ابي بلتعة فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الاية
وقال مجاهد والشعبي نزلت في بشر المنافق واليهودي اللذين اختصما الى عمر رضي الله عنه ثم لا يجدوا
في انفسهم حرجا قال مجاهد شكا وقال غيره ضيقا مما قضيت ويسلموا تسليما وينقادوا لامرك انقيادا
ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا على بني اسرائيل من قتلهم
انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل ما فعلوه الا قليل اي ناس قليل
منهم وهذا توبيخ عظيم قال الامام اعلم ان هذه الاية متصلة بما تقدم من امر المنافقين وترغيب
لهم في الاخلاص وترك النفاق والمعنى لو شددنا التكليف على الناس نحو ان يامرهم بالقتل والخروج
عن الاوطان لصعب ذلك عليهم ولما فعله الا الاقلون وحينئذ يظهر كفرهم وعنادهم فلما لم نفعل ذلك
رحمة منا على عبادنا بل اكتفينا بتكليفهم بالامور السهلة فليقبلوها بالاخلاص وليتركوا التمرد والعناد
قال الحسن ومقاتل لما نزلت هذه الاية قال عمر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود وناس من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم وهم القليل والله لو امرنا لفعلنا والحمد لله الذي عافانا فبلغ ذلك النبي صلى الله
عليه وسلم فقال ان من امتي لرجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي روى ابن ابي حاتم انه لما
نزلت قال ابو بكر لو امرتني ان اقتل نفسي لفعلت قال صلى الله عليه وسلم صدقت يا ابا بكر وعن سفيان

عليهم مثل ما اوجبنا

انه قال

انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزلت كان ابن ام عبد منهم وعن شريح بن عبيد قال
لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية اشار بيده الى عبد الله بن رواحة وثابت بن شماس
ممن نزل فيه الاية وقد سبق ولو انهم فعلوا ما يوعظون به اي ما يؤمرون به من طاعة الرسول
والرضا بحكمه لكان خيرا لهم واشد تثبيتا تحقيقا وتصديقا لايمانهم واذا لاتيناهم من لدنا اجرا
عظيما يعني الجنة ولهديناهم صراطا مستقيما قال ابن عباس معناه لارشدناهم الى دين مستقيم
يعني دين الاسلام ثم اعاد الامر بطاعة الرسول مرة اخرى فقال ومن يطع الله والرسول الاية نزلت
في ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قليل الصبر عنه فاتاه ذات يوم وقد تغير لونه تعرف الحزن في وجهه فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما غير لونك فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي مرض ولا وجع غير اني اذا لم اركاستوحشت
وحشة شديدة حتى القاك ثم ذكرت الاخرة فاخاف ان لا اراك لانك ترفع مع النبيين واني ان ادخلت
الجنة كنت في منزلة ادنى من منزلتك وان لم ادخل الجنة لا اراك ابدا فنزلت هذه الاية وقال قتادة
قال بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كيف يكون الحال في الجنة وانت في الدرجات العلى ونحن
اسفل منك فكيف نريك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين اي لا يفوتهم رؤية الانبياء ومجالستهم لا انهم يرفعون الى درجة الانبياء والصديقين يعني
وهم افاضل اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والصديق المبالغ في الصدق والشهداء قيل هم
الذين استشهدوا يوم احد وقيل الذين استشهدوا في سبيل الله عز وجل والصالحين الذين حسن
سرايرهم وعلانيتهم قال عكرمة النبيون هنا محمد صلى الله عليه وسلم والصديقون ابو بكر والشهداء عمر
وعثمان وعلي رضي الله عنهم والصالحون سائر الصحابة ثم انه تعالى لما بين ان من اطاع الله ورسوله
يكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين لم يكتف بذلك بل ذكر ان هؤلاء العظام الكرام
يكونون رفقاء له والرفيق هو الذي يرتفق به في الحضر والسفر فقال وحسن اولئك رفيقا فيه معنى
التعجب والرفيق كالصديق والخليط يستوي فيه الواحد والجمع عن انس ان رجلا قال يا رسول الله
الرجل يحب قوما ولما يلحق بهم قال النبي صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب رواه الجماعة من اصحاب
الصحاح والمسانيد وعن عمرو بن مرة الجهني قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
شهدت ان لا اله الا الله وانك رسول الله وصليت الخمس واديت زكوة مالي وصمت شهر رمضان
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على هذا كان مع النبيين والصديقين والشهداء يوم
القيمة هكذا ونصب اصبعيه ما لم يعق والديه رواه الامام احمد وعن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من قرا الف اية في سبيل الله كتب يوم القيمة مع النبيين والصديقين والشهداء

والصالحين وحسن اولئك رفيقا رواه الامام احمد ايضا وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم التاجر الصدوق الامين مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين رواه الترمذي وفي الصحيحين وغيرهما عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل
الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الافق من المشرق
او المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم قال صلى الله عليه وسلم
بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين ذلك الفضل من الله اي ذلك الثواب
نالهم بفضل الله ورحمته لا باعمالهم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يدخل احدا
منكم عمله الجنة قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله منه بفضل ورحمة متفق عليه
واللفظ للبخاري وكفى بالله عليما بمن اطاع الله ورسوله ولحبه ثم انه تعالى عاد بعد الترغيب في
طاعة الله وطاعة رسوله الى ذكر الجهاد لانه اعظم الامور التي تحصل بها تقوية الدين فقال يا ايها
الذين امنوا خذوا حذركم سلاحكم وعدتكم لقتال عدوكم سمي السلاح حذرا لان به يتقى ويحذر
وقيل معناه احذروا عدوكم فانفروا ثبات اخرجوا سرايا متفرقين سرية بعد سرية والثبات
جماعات متفرقة واحدتها ثبة او انفروا جميعا يعني او اخرجوا كلكم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم
ولا تخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة وان منكم لمن ليبطئن نزلت في المنافقين وانما قال
منكم لان الخطاب مع عسكر المؤمنين وفيهم من يغزو نفاقا ليبطئن ليتاخرن عن الجهاد وهو عبد الله
بن ابي المنافق فان اصابتكم مصيبة قتل وهزيمة قال قد انعم الله علي بالقعود اذ لم اكن معهم
شهيدا اي حاضرا في تلك الغزوة فيصيبني مثل ما اصابهم ولئن اصابكم فضل من الله فتح وغنيمة
ليقولن هذا المنافق كان لم تكن بينكم وبينه مودة والمعنى كان لم يتقدم له معكم موادة لان
المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن
وهو تنبيه على ضعف عقيدتهم وان قولهم هذا فعل من لا مواصلة بينكم وبينه وانما يريد ان يكون معكم
لمجرد المال قال بعضهم والظاهر انه تهكم لانهم كانوا اعدى عدو للمؤمنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون
بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم يا ليتني كنت معهم في تلك الغزاة فافوز فوزا عظيما اي اخذ
نصيبا وافرا من الغنيمة فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة قيل نزلت
في المنافقين ومعنى يشرون اي يشترون يعني الذين يختارون الدنيا على الاخرة وعظوا بان يغيروا
ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا في سبيل الله حق الجهاد وقيل نزلت
في المؤمنين المخلصين والمعنى ان اعرض الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل
في سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا اي يبيعون الحيوة الدنيا بالاخرة ويختارون الاخرة

ومن يقاتل

ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل يعني يستشهد او يغلب يظفر فسوف نؤتيه في كلا الوجهين
اجرا عظيما في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته ان يدخله
الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر او غنيمة وما لكم لا تقاتلون لا تجاهدون
في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين قال ابن عباس معناه وعن المستضعفين لان المراد
صرف الاذى عنهم من الرجال والنساء والولدان كان بمكة جماعة منهم يلقون من المشركين اذى كثيرا
فحث الله تعالى على استنقاذهم من ايدي المشركين كما حث على الجهاد في سبيله قال ابن عباس كنت
انا وامي من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان والولدان جمع وليد وهو الصبي
الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية يعني مكة الظالم اهلها اي المشرك اهلها واجعل لنا
من لدنك وليا اي من يلي امرنا واجعل لنا من لدنك نصيرا يمنع العدو منا فاستجاب الله دعاءهم
وجعل لهم من لدنه خير ولي وخير ناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولى امرهم ونصرهم واستنقذهم
من ايدي المشركين يوم فتح مكة واستعمل عليهم عتاب بن اسيد وكان ابن ثماني عشرة سنة فكان ينصر المظلوم
من الظالم وياخذ للضعيف من القوي الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله في طاعة الله واعلاء كلمته
وابتغاء مرضاته والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت يعني في طاعة الشيطان فقاتلوا
اولياء الشيطان اي حزبه وجنوده وهم الكفار ان كيد الشيطان الكيد السعي في الفساد على جهة الاحتيال
كان ضعيفا كما كان يوم بدر لما راى الملائكة خاف ان ياخذه فهرب وخذلهم الم تر الى الذين قيل لهم
كفوا ايديكم قال الكلبي نزلت في عبد الرحمن بن عوف الزهري والمقداد بن الاسود الكندي وقد
امة بن مظعون الجمحي وسعد بن ابي وقاص وجماعة كانوا يلقون من المشركين بمكة اذى كثيرا قبل ان
يهاجروا ويقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فانهم قد اذونا فيقول لهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كفوا ايديكم فاني لم اومر بقتالهم واقيموا الصلوة واتوا الزكوة فلما هاجروا الى المدينة
وامرهم بقتال المشركين شق ذلك على بعضهم قال الله تعالى فلما كتب فرض عليهم القتال اذا فريق منهم
يخشون الناس كخشية الله اي كخشيتهم من الله او اشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال
الجهاد لولا هلا اخرتنا الى اجل قريب يعني الموت اي هلا تركتنا حتى نموت باجالنا واختلفوا في
هؤلاء الذين قالوا ذلك قيل قاله قوم من المنافقين لان قوله لم كتبت علينا القتال لا يليق بالمؤمنين
وقيل قاله جماعة من المؤمنين لم يكونوا راسخين في العلم قالوه خوفا وجبنا لا اعتقادا ثم تابوا واهل الايمان
يتفاضلون في الايمان وقيل هم قوم كانوا مؤمنين فلما فرض عليهم القتال نافقوا من الجبن وتخلفوا
عن الجهاد قل يا محمد متاع الدنيا قليل اي الاستمتاع بها قليل والاخرة خير اي ثواب الاخرة افضل

لوجوه الاول ان نعم الآخرة مؤبد والثاني ان نعم الدنيا مشوبة بالغموم والهموم والمكاره ونعم الآخرة
صافية عن الكدورات والثالث ان نعم الدنيا مشكوكة فان اعظم الناس تنعما لا يعرف انه كيف يكون عاقبته
في اليوم الثاني ونعم الآخرة يقينية وكل هذه الوجوه توجب رجحان الآخرة على الدنيا الا ان هذه الخيرية
انما تحصل للمؤمن المتقي فلهذا المعنى ذكر تعالى هذا الشرط فقال لِمَنِ اتَّقَى الشرك ومعصية الرسول
وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا عن المستورد بن شداد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة
الا مثل ان يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع رواه مسلم قال ابن ابي حاتم قرا الحسن قل متاع
الدنيا قليل قال رحم الله امرأ صحبها على حسب ذلك وما الدنيا اولها وآخرها الا كرجل نام نومة فرأى
في منامه بعض ما يحب ثم انتبه و لا خير في الدنيا لمن لم يكن له من الله في دار القرار نصيب فان نعيم الدنيا وان كان
متاع قليل والزوال قريب قال الكاشفي والآخرة خير لمن اتقى اي لمن يصبر في مجاهدته وشوقه من
الاستيناس بهذه المستحسنات القليلة لان في الآخرة كشف حالي له الذي هو راحة لا راحة فوقه كما قال
عليه السلام لا راحة للمؤمن دون لقاء الله أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ اي ينزل بكم الموت نزلت في المنافقين
الذين قالوا في قتلى احد لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فرد الله عليهم بقوله اينما تكونوا يدرككم الموت
وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ والبروج الحصون والقلاع والمشيدة المرفوعة المطولة قال قتادة معناه
في حصون محصنة وقال عكرمة مجصصة والمشيد الجص ذكر ابن جرير وابن ابي حاتم ههنا حكاية مطولة
عن مجاهد انه ذكر ان امرأة فيمن كان قبلنا اخذها الطلق فامرت اجيرها ان يأتيها بنار فخرج فاذا هو
برجل واقف على الباب فقال ما ولدت المرأة فقال جارية فقال اما انها ستزني بمائة رجل ثم يتزوجها اجيرها
ويكون موتها بالعنكبوت قال فكر راجعا فبعج الجارية بسكين في بطنها فشقه ثم ذهب هاربا وظن انها قد
ماتت فخاطت امها بطنها فبرأت وشبت وترعرعت ونشأت احسن امرأة ببلدها فذهب ذاك ما ذهب
ودخل البحور فاقتنى اموالا جزيلة ثم رجع الى بلده واراد التزوج فقال لعجوز اريد ان اتزوج باحسن
امرأة بهذا البلد فقالت له ليس ههنا احسن من فلانة فقال اخطبيها علي فذهبت اليها فاجابت فدخل بها
فاعجبته اعجابا شديدا وسألته عن امره ومن اين مقدمه فاخبرها خبره وما كان من امره في هربه
فقالت انا هي واريته مكان السكين فتحقق ذلك فقال لئن كنت اياها فلقد اخبرني باثنتين لا بد منهما
احدهما انك قد زنيت بمائة رجل فقالت لقد كان شيء من ذلك ولكن لا ادري ما عددهم فقال هم مائة والثاني
انك تموتين بالعنكبوت فاتخذ لها قصرا منيعا شاهقا ليحرزها من ذلك فبيناهم يوما اذا بالعنكبوت في السقف
فاراها اياها فقالت اهذه التي تحذرها علي والله لا يقتلها الا انا فانزلوها من السقف فعمدت اليها فوطئتها
بابهام رجلها فقتلتها وطار من سمها شيء فوقع بين ظفرها ولحمها فاسودت رجلها وكان في ذلك اجلها ثم
انه تعالى لما حكى عن المنافقين كونهم متثاقلين عن الجهاد خائفين عن الموت غير راغبين في سعادة الآخرة

وقال ابو معين
م

حكيم

حكى عنهم في هذه الآية خصلة اخرى قبيحة اقبح من الاول فقال وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ نزلت في اليهود
والمنافقين وذلك انهم قالوا لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ما زلنا نعرف النقص في ثمارنا
ومزارعنا منذ قدم علينا هذا الرجل واصحابه قال الله تعالى وان تصبهم يعني اليهود حسنة اي خصب
ورخص في السعر يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لنا وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يعني الجدب وغلاء الاسعار يقولوا
هذه من عندك اي من شؤم محمد واصحابه وقيل المراد بالحسنة الظفر والغنيمة يوم بدر وبالسيئة القتل
والهزيمة يوم احد يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ اي انت الذي حملتنا عليه يا محمد فعلى هذا يكون هذا قول
المنافقين قُلْ لهم يا محمد كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ اي الحسنة والسيئة كلها من عند الله ثم عيرهم بالجهل فقال
فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ يعني المنافقين واليهود لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا اي لا يفقهون قولا وقيل
الحديث ههنا القرآن اي لا يفقهون معاني القرآن مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ خير ونعمة فَمِنَ اللَّهِ وَمَا
أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ بلية وامر تكرهه فَمِنْ نَفْسِكَ اي بذنوبك الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد
غيره قال تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم قال محيي السنة وتعلق اهل القدر بظاهر
هذه الآية فقالوا نفى الله تعالى السيئة عن نفسه ونسبها الى العبد فقال وما اصابك من سيئة
فمن نفسك ولا متعلق منه لانه ليس المراد من الآية حسنات الكسب ولا سيآته من الطاعات و
المعاصي بل المراد منه ما يصيبهم من النعم والمحن وذلك ليس من فعلهم بدليل انه نسبها الى غيرهم و
لم ينسبها اليهم فقال ما اصابك ولا يقال في الطاعة والمعصية اصابني انما يقال اصبتها ويقال في النعم
والمحن اصابني فهو كقوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى
ومن معه وقيل معنى الآية ما اصابك من حسنة من النصر والظفر يوم بدر فمن الله اي من فضل
الله وما اصابك من سيئة من القتل والهزيمة يوم احد فمن نفسك اي بذنب نفسك من مخالفة الرسول
صلى الله عليه وسلم فان قيل كيف وجه الجمع بين قوله تعالى قل كل من عند الله وبين قوله وما اصابك
من سيئة فمن نفسك واضاف السيئة الى فعل العبد في هذه الآية قيل اما اضافة الاشياء كلها الى
الله تعالى وتقدس في قوله قل كل من عند الله فعلى الحقيقة لان الله تعالى هو خالقها وموجدها واما
اضافة السيئة الى فعل العبد فعلى المجاز تقديره وما اصابك من سيئة فمن الله بذنب نفسك عقوبة
لك وقيل اضافة السيئة الى فعل العبد على سبيل الادب فهو كقوله تعالى واذا مرضت فهو يشفين
فاضاف المرض الى نفسه على طريق الادب ولا يشك عاقل ان الممرض هو الله تعالى قال محمد بن علي
اجل الحسنات والنعم عليك ان عرفك نفسه وعرفك لتشكر نعمه والحمد ذكره وقيل في قوله ما اصابك
من سيئة فمن نفسك باتباع هواها ومراداتها وترك رضى مولاها وهي من النفس الامارة بالسوء وَأَرْسَلْنَاكَ
يا محمد لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا على صدقك يعني ليس لك الا الرسالة والتبليغ وقد فعلت

وما قصرت وكفى بالله شهيدا على جدك وعدم تقصيرك ثم اكد الكلام السابق فقال مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ
فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول من اطاعني فقد اطاع الله ومن احبني فقد
احب الله فقال بعض المنافقين ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى
بن مريم ربا فانزل الله تعالى عز وجل من يطع الرسول فيما امره به فقد اطاع الله قال ابو عثمان
من صحح الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم والزم نفسه طاعته اوصله الله تعالى الى مقامات الانبياء
والصديقين والشهداء قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم
من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وقيل طاعة الرسول طاعة الحق لفنائه عن اوصافه
وقيامه على اوصاف الحق وفنائه عن رسومه وبقائه بالحق ظاهرا وباطنا فطاعته طاعته وذكره
ذكره وبه يصل العبد الى الحق ومخالفته ينقطع عنه وَمَنْ تَوَلَّى عن طاعته فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
يا محمد حَفِيظًا اي حافظا ورقيبا قيل نسخ الله عز وجل هذه الآية بآية السيف وامره بقتال من خالف
الله ورسوله وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ يعني يقولون باللسان للرسول صلى الله عليه وسلم انا آمنا بك فمرنا
فامرك طاعة فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ فاذا خرجوا من عندك بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ
قال قتادة والكلبي بيت اي غير وبدل الذي عهد اليهم النبي صلى الله عليه وسلم ويكون التبييت
بمعنى التبديل وقال ابو عبيدة والقتيبي معناه قالوا وقدروا ليلا غير ما اعطوك نهارا وكل ما قدر
بالليل تبييت وَاللَّهُ يَكْتُبُ اي يثبت ويحفظ مَا يُبَيِّتُونَ ما يغيرون ويقدرون قال الضحاك
عن ابن عباس ما يسرون من النفاق فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ يا محمد ولا تعاقبهم وقيل لا تخبر باسمائهم منع الرسول
صلى الله عليه وسلم من الاخبار باسماء المنافقين وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا اي اتخذه وكيلا
ثم لما حكى عن المنافقين انواع المكر والكيد وذلك لاجل انهم ما كانوا يعتقدون كونه محقا فلا جرم امرهم الله
تعالى بان ينظروا ويتفكروا في الدلائل الدالة على صحة النبوة فقال أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ افلا يتفكرون
في القرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا اي تفاوتا وتناقضا كثيرا قاله ابن عباس
وقيل لوجدوا في الاخبار بالغيب بما كان وبما يكون اختلافا كثيرا لان الغيب لا يعلمه الا الله عن عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده قال لقد جلست انا واخي مجلسا ما احب ان لي به حمر النعم اقبلت انا واخي
واذا مشيخة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند باب من ابوابه اذ ذكروا آية من القرآن
فتماروا فيها حتى ارتفعت اصواتهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا حتى احمر وجهه
يرميهم بالتراب ويقول مهلا يا قوم بهذا اهلكت الامم من قبلكم باختلافهم على انبيائهم وضربهم الكتب
بعضها ببعض ان القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا بل يصدق بعضه بعضا فما عرفتم منه فاعملوا به
وما جهلتم به فردوه الى عالمه رواه الامام احمد قال السري افهم الناس من فهم اسرار القرآن

المنافقين
م

وتدبر فيه

وتدبر فيه ثم حكى عن المنافقين نوعا آخر من الاعمال الفاسدة فقال وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ كان ناس من ضعفة
المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استنباط للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة فانزل الله تعالى واذا جاءهم امر مِنَ الْأَمْنِ والسلامة
أَوِ الْخَوْفِ والخلل أَذَاعُوا بِهِ اشاعوه وافشوه وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ اي لو لم يحدثوا به حتى
يكون النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يحدث به وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ ذوي الرأي من الصحابة مثل ابي بكر
وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم ومعرفتهم
بامور الحرب ومكايدها قال ابن عطاء لو اخذوا طريق السنة وطرق الاكابر في ارادتهم لاوصلهم ذلك الى
المقامات الجليلة من مقامات الايمان التي هي محل الاستنباط وطرق المكاشفات قال الحسين استنباط القرآن
على مقدار تقوى العبد في ظاهره وباطنه وتمام معرفته وهو اجل مقامات الايمان وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
وَرَحْمَتُهُ فضل الله الاسلام ورحمته القرآن لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا منكم وهم قوم اهتدوا قبل مجيء الرسول
صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وجماعة سواهما عن ابي هريرة رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء كذبا ان يحدث بكل ما سمع رواه مسلم وعن المغيرة بن شعبة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن قيل وقال اي الذي يكثر من الحديث عما يقول الناس من غير تثبت
ولا تبيين والحديث متفق عليه ثم لما امر بالجهاد ورغب فيه اشد الترغيب وذكر عن المنافقين قلة رغبتهم
في الجهاد بل ذكر عنهم شدة سعيهم في تثبيط المسلمين عن الجهاد قال فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم واعد ابا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة
فلما بلغ الميعاد دعا الناس الى الخروج فكرهه بعضهم فانزل الله عز وجل فقاتل في سبيل الله لا تكلف الا نفسك
اي لا تدع جهاد العدو والانتصار للمستضعفين من المؤمنين ولو وحدك فان الله قد وعدك النصر
وعاتبهم على ترك القتال وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ على القتال اي حضهم على الجهاد ورغبهم في الثواب فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين راكبا فكفاهم الله القتال كما قال جل ذكره عَسَى اللَّهُ اي
لعل الله أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا اي قتال المشركين وعسى من الله واجب وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا
من قريش وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا تعذيبا مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً
سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا اي من وزرها الشفاعة ماخوذة من الشفع وهو ان يصير الانسان نفسه
شفعا لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسألة الى المشفوع اليه قال مجاهد هي شفاعة الناس
بعضهم لبعض ويوجر الشفيع على شفاعته وان لم يشفع وقال ابن عباس الشفاعة الحسنة هي
الاصلاح بين الناس والشفاعة السيئة هي المشي بالنميمة بين الناس وقيل الشفاعة الحسنة هي
حسن القول في الناس ينال به الثواب والخير والسيئة هي الغيبة واساءة القول في الناس

يثاب به الثواب والخير والسيئة هي الشر عن ابي موسى الاشعري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
جالسا اذ جاءه رجل يسال او طالب حاجة اقبل علينا بوجهه فقال اشفعوا تؤجروا وليقض الله على
لسان نبيه ما شاء متفق عليه وكان الله على كل شيء مقيتا قال ابن عباس مقتدرا مجازيا وقال الشاعر
وذي ضغن كففت السوء عنه وكنت على اسائته مقيتا وقال مجاهد شاهدا ثم انه لما كان الرجل
في الجهاد قد يلقاه الرجل في دار الحرب او ما يقاربها فيسلم عليه ولا يلتفت الى سلامه عليه ويقتله
وربما ظهر انه كان مسلما فامرهم الله تعالى ان من سلم عليهم ويكرمهم بنوع من الاكرام فهم يقابلونه
بمثل ذلك الاكرام او ازيد فقال واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها التحية هي الدعاء بالحيوة
بان يقال حياك الله اي جعل لك حيوة والمراد بالتحية ههنا السلام وحياك الله تحية الجاهلية ابدلت
في الاسلام بالسلام لانه اكمل واحسن فان معنى السلام السلامة من الآفات وطول الحيوة بدون
سلامة منغص مذموم يقول اذا سلم عليكم مسلم فاجيبوه باحسن مما سلم او ردوها اي ردوا
كما سلم فاذا قال السلام عليكم فقل وعليكم السلام ورحمة الله واذا قال السلام عليكم ورحمة الله فقل
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته واذا قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فردوا مثله روي ان رجلا
سلم على ابن عباس فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد ثم زاد شيئا آخر فقال ابن عباس
ان السلام انتهى الى البركة وروي عن عمران بن حصين ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
السلام عليكم فرد عليه وقال عشر ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه وقال عشرون
ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه وقال ثلثون رواه الترمذي والامام احمد
وغيرهما وقيل فحيوا باحسن منها اذا كان الذي سلم مسلما او ردوها اي ردوا مثلها اذا لم يكن مسلما
عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اليهود اذا سلم عليكم
احدهم فانما يقول السام عليك فقل عليك متفق عليه وبسط الكلام في مسائل السلام في كتب الفقه
والاحكام ان الله كان على كل شيء حسيبا اي على كل شيء من رد السلام بمثله او باحسن منه حاسبا
مجازيا عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا تدخلوا
الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا او لا ادلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام
بينكم رواه مسلم وعن عبد الله بن عمرو ان رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاسلام خير
قال تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف متفق عليه ومعنى اي الاسلام اي اي
خصال الاسلام خير ثم انه تعالى لما قال من سلم عليكم وحياكم فاقبلوا سلامه واكرموه وعاملوه بناء
على الظاهر فان البواطن لا يعرفها الا الله الذي لا اله الا هو وانما يكشف بواطن الخلق للخلق يوم
القيمة فقال الله لا اله الا هو ليجمعنكم. تقديره والله ليجمعنكم الله يوم القيمة في الموت والقبور الى يوم القيمة

وسميت القيمة قيمة لان الناس يقومون من قبورهم قال الله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا
وقيل لقيامهم الى الحساب قال الله عز وجل يوم يقوم الناس لرب العالمين لا ريب فيه ومن اصدق من
الله حديثا اي قولا ووعدا وذلك لانه عز وجل لا يجوز عليه الكذب وذلك ان الكذب مستقل بصارف
عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ما هو عليه فمن كذب
لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة او هو غني الا انه يجهل غناه او هو جاهل
بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى
على حنكه من الصدق قيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها وكان العني
الذي لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن ساير القبايح ثم ذكر نوعا آخر
من احوال المنافقين فقال فما لكم في المنافقين فئتين اي فما لكم اختلفتم في شان قوم نافقوا نفاقا ظاهرا
وتفرقتم فيهم فرقتين وما لكم لم تجزموا القول بكفرهم في الحديث المتفق عليه عن زيد بن ثابت انه قال
لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احد رجع ناس ممن خرج معه فكان اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيهم فرقتين قالت فرقة نقاتلهم وقالت فرقة لا نقاتلهم فنزلت فما لكم في المنافقين فئتين
والله اركسهم يعني نكسهم في كفرهم وارتدادهم وردهم الى احكام الكفار بما كسبوا اي بسبب
ما كسبوا من اعمالهم الخبيثة وقيل بما اظهروا من الارتداد بعد ما كانوا على النفاق اتريدون
ان تهدوا من اضل الله هذا خطاب للفئة التي دافعت عن المنافقين والمعنى اتبغون ايها
المؤمنون هداية هؤلاء المنافقين الذين اضلهم الله عن الهدى ومن يضلل الله عن الهدى
فلن تجد له سبيلا الى الحق والهدى ودوا لو تكفرون يعني اولئك الذين رجعوا عن الدين لو تكفرون
كما كفروا فتكونون سواء في الكفر فلا تتخذوا منهم اولياء منع عن موالاتهم حتى يهاجروا في
سبيل الله معكم قال عكرمة وهي هجرة اخرى والهجرة على ثلاثة اوجه هجرة للمؤمنين في اول الاسلام
وهي قوله تعالى للفقراء المهاجرين ونحوه من الآيات وهجرة للمنافقين وهي الخروج في سبيل الله مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم صابرا محتسبا كما قال ههنا حتى يهاجروا في سبيل الله وهجرة ساير المؤمنين وهي ما قال
النبي صلى الله عليه وسلم المهاجر من هجر ما نهى الله عنه قال بعض المشايخ ورد اهل الدعاوى الفاسدة
ان يكون المحققون في احوالهم امثالهم فلا يظهر عليهم فضايح دعاويهم فهدد اولياءه ان لا يجالسوا
المخالفين لئلا يقع عليهم شوم حسدهم فان تولوا اعرضوا عن التوحيد والهجرة فخذوهم اي خذوهم
اسارى ومنه يقال للاسير اخيذ واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم ولا تتخذوا منهم
وليا ولا نصيرا ثم استثنى طايفة منهم فقال الا الذين يصلون الى قوم وهذا الاستثناء يرجع الى
القتل لا الى الموالاة لان موالاة الكفار والمنافقين لا يجوز بحال ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم

ويتصلون بهم ويدخلون فيهم بالحلف والجوار قال ابن عباس يريد يلجؤن الى قوم بينكم
وبينهم ميثاق اي عهد وهم الاسلميون وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وادع هلال بن
عويمر الاسلمي قبل خروجه الى مكة على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل الى هلال من قومه
وغيرهم ولجأ اليه فلهم من الجوار مثل ما لهلال وقال الضحاك عن ابن عباس القوم بنو بكر بن زيد
مناة كانوا في الصلح والهدنة وقال مقاتل هم خزاعة او جاؤكم حصرت صدورهم يحتمل ان يكون
عطفا على صفة قوم وتقديره الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم عهد او يصلون الى قوم حصرت
صدورهم اي ضاقت صدورهم عن المقاتلة فلا يريدون قتالكم لانكم مسلمون ولا يريدون قتالهم
لانهم اقاربهم وهم بنو مدلج كانوا عاهدوا ان لا يقاتلوا المسلمين وعاهدوا قريشا ان لا يقاتلوهم
ويحتمل ان يكون عطفا على صلة الذين وتقديره الا الذين يصلون بالذين بينكم وبينهم ميثاق او الذين
حصرت صدورهم ان يقاتلوكم اي عن قتالكم للعهد الذي كان بينكم او يقاتلوا قومهم معكم فهم لا لكم
ولا عليكم وهم الاسلميون وبنو بكر على ما مر ففي الآية نهي عن قتال هؤلاء المرتدين اذا اتصلوا باهل
عهد المسلمين لان من انضم الى قوم ذوي عهد فله حكمهم في حقن الدم او اتصلوا عن ترك القتال
قالوا الآية منسوخة لان الله تعالى لما اعز الاسلام واهله امر ان لا يقبل من مشركي العرب الا الاسلام
او القتل وقال من ترك القتال ايضا جاز ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم يذكر منته على
المسلمين بكف باس المعاهدين لما القى الله في قلوبهم من الرعب وكفهم عن قتالكم فان اعتزلوكم
اي ان اعتزلوا قتالكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم اي الاستسلام والانقياد فما جعل الله
لكم عليهم سبيلا اي طريقا بالقتل والقتال ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا
قومهم هم اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا
الى قومهم كفروا ونقضوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين اركسوا
فيها عادوا اليه منكوسين على رؤسهم فيه فان لم يعتزلوكم يعني فان لم يكفوا عن قتالكم حتى تسيروا
الى مكة ويلقوا اليكم السلم اي ولم يلقوا اليكم الاستسلام فخذوهم اسراء واقتلوهم حيث ثقفتموهم
يعني حيث ادركتموهم ووجدتموهم واولئكم اي اهل هذه الصفة جعلنا لكم عليهم سلطانا
مبينا تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم ثم انه تعالى لما اذن في قتل الكفار ولا شك انه قد يتفق
ان يرى الرجل رجلا يظنه كافرا حربيا فيقتله ثم يتبين انه كان مسلما فذكر الله تعالى حكمها فقال
وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ اي ما ينبغي لمؤمن ان يقتل مؤمنا في حال من الاحوال
الا في حال الخطاء والمعنى من شان المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا
وجد منه خطاء من غير قصد والآية نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه اتى رسول الله

ويكفوا ايديهم ح

صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة فاسلم ثم خاف ان يظهر اسلامه فخرج هاربا الى المدينة وتحصن
في اطم من آطامها فجزعت امه لذلك جزعا شديدا وقالت لابنيها الحارث وابي جهل ابني هاشم وهما
اخواه لامه والله لا يظلني سقف ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى تاتوني به فخرجا في طلبه وخرج
معهم الحارث بن زيد بن ابي انيسة حتى اتوا المدينة فاتوا عياشا وهو في الاطم وقالا له انزل فان
امك لم يؤوها سقف بيت بعدك وقد حلفت ان لا تاكل طعاما ولا شرابا حتى ترجع اليها ولك الله علينا
ان لا نكرهك على شيء ولا نحول بينك وبين دينك فلما ذكروا له جزع امه واوثقوا بالله نزل اليهم فاخرجوه
من المدينة ثم اوثقوه بنسعة فجلده كل واحد منهم مائة جلدة ثم قدموا به على امه فلما اتاها قالت والله
لا احلك من وثاقك حتى تكفر بالذي آمنت به ثم تركوه موثقا مطروحا في الشمس ما شاء الله فاعطاهم
الذي ارادوا فاتاه الحارث بن زيد فقال يا عياش اهذا الذي كنت عليه لئن كان هدى لقد تركت الهدى
ولئن كانت ضلالة لقد كنت عليها فغضب عياش من مقالته وقال والله لا القاك خاليا الا قتلتك ثم
ان عياشا اسلم بعد ذلك وهاجر ثم اسلم الحارث بن زيد بعده وهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس عياش حاضرا يومئذ ولم يشعر باسلامه فبينا عياش يسير بظهر قباء اذ لقي الحارث فقتله
فقال الناس ويحك اي شيء صنعت انه قد اسلم فرجع عياش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
يا رسول الله قد كان من امري وامر الحارث ما قد علمت واني لم اشعر باسلامه حتى قتلته فنزلت
وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة اي فعليه
اعتاق رقبة مؤمنة كفارة ودية مسلمة الى اهله اي الى اهل القتيل الذين يرثونه الا ان يصدقوا
يتصدقوا بالدية فيعفوا ويتركوا الدية فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
قيل اراد به اذا كان الرجل مسلما في دار الحرب منفردا مع الكفار فقتله من لم يعلم باسلامه فلا دية
فيه وعليه الكفارة وقيل المراد منه اذا كان المقتول مسلما في دار الاسلام وهو من نسب قوم كفار و
قرابته في دار الحرب حرب للمسلمين ففيه الكفارة ولا دية لاهله وكان الحارث ابن زيد من قوم
كفار حرب للمسلمين وكان فيه تحرير رقبة ولم يكن فيه دية لانه لم يكن بين قومه وبين المسلمين
عهد وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة اراد
به اذا كان المقتول كافرا ذميا او معاهدا فيجب فيه الدية والكفارة فمن لم يجد فصيام شهرين
متتابعين توبة من الله اي جعل الله ذلك توبة لقاتل الخطاء وكان الله عليما بمن قتل خطاء حكيما
فيما حكم به عليه فان عجز عن الصوم فهل يخرج عنه باطعام ستين مسكينا فيه قولان الاصح انه لا يخرج
ثم لما ذكر حكم القتل الخطاء ذكر بعده بيان حكم القتل العمد فقال ومن يقتل مؤمنا متعمدا والآية نزلت
في مقيس بن ضبابة الكناني وكان قد اسلم هو واخوه هشام فوجد اخاه هشاما قتيلا في بني النجار

فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له معه رجلا من بنى فهر الى بنى النجار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامركم ان علمتم قاتل هشام بن صبابه ان تدفعوا الى مقيس فيقتص منه وان لم تعلموا ان تدفعوا اليه ديته فابلغهم الفهرى ذلك فقالوا سمعا وطاعة لله ولرسوله والله ما نعلم له قاتلا ولكنا نودى ديته فاعطوه ماية من الابل ثم انصرفا راجعين نحو المدينة فاتى الشيطان مقيسا فوسوس اليه فقال تقبل دية اخيك فيكون عليك مسبة اقتل الذى معك فتكون نفس مكان نفس وفضل الدية فتغفل الفهرى فرماه بصخرة فشدخه ثم ركب بعيرا وساق بقيتها راجعا الى مكة كافرا فنزل ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه اى طرده عن الرحمة واعد له عذابا عظيما واختلفوا فى حكم هذه الآيه حكى عن ابن عباس ان قاتل المومن عمدا لا توبة له والذى عليه الاكثرون ان توبته بشرايطها مقبولة لقوله تعالى وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وقال الله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولقوله عليه السلام من مات لا يشرك بالله شيا دخل الجنة ومن مات يشرك به دخل النار رواه مسلم وامثاله من الاحاديث الكثيرة الواردة فى ذلك واما مطالبة القاتل للمقتول يوم القيمه فانها حق من حقوق الادميين كما فى الغصب والسرقه والقذف لابد من ادايها اليهم فى صحة التوبه فان تعذر ذلك يكون لهم المطالبه يوم القيمه لكن لا يلزم من وقوع المطالبه وقوع المجازاة اذ قد يكون للقاتل اعمال صالحه تصرف الى المقتول او بعضها ثم تفضل له اجر يدخل بها الجنة او يعوض الله المقتول من فضله بما يشاء ونحو ذلك وهل يجب عليه ايضا الكفاره كما فى القتل الخطاء فيه خلاف الاصح عند الشافعى رحمه الله وطايفة انه يجب وما روى عن ابن عباس فهو تشديد ومبالغه كما روى عن سفيان بن عيينه انه قال ان لم يقتل قيل له لا توبه لك وان قتل ثم جاء تايبا يقال لك توبه ويروى مثله عن ابن عباس وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما يقضى بين الناس يوم القيمه فى الدماء وفى حديث آخر لزوال الدنيا اهون عند الله من قتل رجل مسلم وفى حديث آخر لو اجتمع اهل السموات والارض على قتل رجل مسلم لاكبهم الله فى النار وفى حديث آخر من اعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيمه مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ثم امر المجاهدين بالتبين فى امر القتل لئلا يسفكوا دما حراما وبالغ فى تحريم قتل المومن فقال يا ايها الذين آمنوا اذا ضربتم سافرتم فى امر القتل فى سبيل الله قال الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس نزلت هذه الآيه فى رجل من بنى مرة ابن عوف يقال له مرداس بن نهيك وكان من اهل فدك وكان مسلما لم يسلم من قومه غيره فسمعوا بسريه لرسول الله صلى الله عليه وسلم تريدهم وكان على

تقدم

الباب ٣ [margin]

العاقر لرمى الحجر والعادى والرمل والجبل المفتوح ... [margin]

السرية رجل يقال له غالب بن فضاله الليثى فهربوا واقام الرجل لانه كان على دين المسلمين فلما راى الخيل خاف ان يكون من غير اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فالجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد هو الى الجبل فلما تلاحقت الخيل سمعهم يكبرون فلما سمع التكبير عرف انهم من اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فكبر ونزل وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فتغشاه اسامة بن زيد فقتله واستاق غنمه ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وجدا شديدا وقد كان سبقهم قبل ذلك الخبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلتموه اراده ما معه ثم قرا هذه الآيه على اسامة بن زيد فقال يا رسول الله استغفر لى فقال وكيف بلا اله الا الله تعولها ثلث مرات قال اسامه فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيدها حتى وددت انى لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر له بعد ثلث مرات وقال اعتق رقبه وروى ابو ظبيان عن اسامه قال قلت يا رسول الله انما قالها خوفا من السلاح قال افلا شققت عن قلبه حتى تعلم اقالها ام لا فتبينوا اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهتكوا فيه من غير رويه ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام وقرئ السلم وهما الاستسلام وقيل الاسلام فانه قال لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل السلام الذى هو تحية اهل الاسلام لانه قد كان سلم عليهم لست مومنا تبتغون عرض الحيوة الدنيا يطلبون الغنم والغنيمة التى هى حطام سريع النفاد فهو الذى يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة اى غنايم كثيرة وقيل ثواب كثير لمن اتقى قتل المومن كذلك كنتم من قبل قال قتادة كنتم ضلالا من قبل فمن الله عليكم بالاسلام والهدايه وقال سعيد بن جبير كذلك كنتم تكتمون ايمانكم فى المشركين فمن عليكم باظهار الاسلام وقيل معناه كذلك كنتم من قبل تامنون فى قومكم من المومنين بلا اله الا الله قبل الهجرة فلا تخيفوا من قالها فمن الله عليكم بالهجرة فتبينوا تكرير للامر بالتبيين ليوكد عليهم قال الكاشف اى اذا سلكتم مسالك المقامات بين يدى الله تعالى لطلب مشاهدة الله وسيرتم باسراركم فى اسرار صفاته وانوار ذاته ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهاونوا وكونوا محتاطين محترزين قال الشيخ الامام محيى السنه اذا راى الغزاة فى بلد او قرية شعار الاسلام فعليهم ان يكفوا عنهم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث سرية قال اذا رايتم مسجدا او سمعتم موذنا فلا تقتلوا احدا ثم لما عاتبهم على ما صدر منهم من قتل من تكلم بكلمة الشهادة ولعله وقع فى قلوبهم ان الاولى الاحتراز عن الجهاد لئلا يقع بسببه مثل هذا الحذر وبين فضل المجاهد على غيره ان الله لهذه الشبهه فقال لا يستوى القاعدون من المومنين فى صحيح البخارى عن زيد بن ثابت قال املى على رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستوى القاعدون من المومنين

على الشهادة [margin]

والمجاهدون فى سبيل الله باموالهم وانفسهم فجاء ابن مكتوم وهو يمليها على فقال والله يا رسول الله لو استطيع الجهاد لجاهدت وكان اعمى فانزل الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذى فثقلت على حتى خفت ان ترض فخذى ثم سرى عنه فانزل الله عز وجل غير اولى الضرر من الزمانه والضعف فى البدن والبصر والمجاهدون فى سبيل الله اى ليس المومنون القاعدون عن الجهاد من غير عذر والمومنون المجاهدون سواء غير اولى الضرر فانهم يساوون المجاهدين لان العذر اقعدهم عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك ودنى من المدينة لا قواما ما سرتم من مسير ولا قطعتم من واد الا كانوا معكم فيه قالوا يا رسول الله وهم بالمدينة قال نعم وهم بالمدينة حبسهم العذر فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة اى فضيلة وهو جملة موضحة لقوله تعالى لا يستوى القاعدون من المومنين غير اولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله وقيل اراد بالقاعدين ههنا اولى الضرر فضل الله المجاهدين عليهم درجة لان المجاهدين باشروا الجهاد مع النية واولى الضرر كانت لهم نية ولكن لم يباشروا فنزلوا عنهم بدرجة وكلا يعنى المجاهد والقاعد وعد الله الحسنى يعنى الجنة بايمانهم وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما يعنى على القاعدين من غير عذر درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما قال ابن محيريز فى هذه الآيه هى سبعون درجة ما بين كل درجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين خريفا وعن ابى سعيد الخدرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا سعيد من رضى بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وجبت له الجنة قال فعجب بها ابو سعيد فقال اعدها يا رسول الله ففعل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واخرى يرفع الله بها العبد ماية درجة فى الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والارض قال وما هى يا رسول الله قال الجهاد فى سبيل الله رواه مسلم وعن ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يحكى عن ربه عز وجل قال انما عبد من عبادى خرج مجاهدا فى سبيل الله ابتغاء مرضاتى ضمنت له ان ارجعته ارجعته بما اصاب من اجر او غنيمه وان قبضته غفرت له ورحمته اخرجه النسائى فان قيل ذكر الله عز وجل فى الآيه الاولى درجة واحدة وذكر فى هذه الآيه درجات فما وجه الحكمة فى ذلك قيل الاولى درجة المدح والتعظيم والدرجات درجات الجنه ومنازلها على قول من قال المراد بالقاعدين فى الآيه الاولى اولى الضرر فالمراد بهم هنا القاعدون من غير ضرر ولا عذر فيفضل المجاهدون عليهم بدرجات كثيرة ثم لما ذكر ثواب من اقدم على الجهاد اتبعه بعقاب من قعد عنه ورضى بالسكون فى دار الكفر فقال ان الذين توفيهم الملايكة ظالمى انفسهم نزلت فى ناس من اهل مكة تكلموا بالاسلام ولم يهاجروا فلما خرج المشركون الى بدر خرجوا معهم فقتلوا مع الكفار توفيهم الملايكة اى ملك الموت واعوانه

باموالهم وانفسهم [margin]

قال انى فى المدينة [margin]

ظالمى انفسهم اى فى حال ظلمهم يعنى بالشرك وقيل بالمقام فى دار الشرك لان الله تعالى لم يكن يقبل الاسلام بعد هجرة النبى صلى الله عليه وسلم الا بالهجرة ثم نسخ ذلك بعد فتح مكة قال صلى الله عليه وسلم لا هجرة بعد الفتح قالوا فيم كنتم اى قالت الملايكة لهم فى اى الفريقين كنتم فى المسلمين ام فى المشركين سوال توبيخ وتعيير فاعتذروا بالضعف عن مقاومة اهل الشرك وقالوا كنا مستضعفين فى الارض عاجزين فى ارض مكة قالوا يعنى الملايكة الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاكذبهم الله تعالى واعلمنا بكذبهم وقال فاولئك ماويهم جهنم وساءت مصيرا ثم استثنى اهل العذر منهم فقال الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة للخروج ولا يهتدون سبيلا الى الخروج قال الكاشف وصف قوما اقعدهم نور الشهود عن السير فى المجاهدات وافناهم عن طلب الخروج من سرادق الكبرياء فطمس طرق الرجوع من مشاهدة الذات الى الصفات ومن الصفات الى الاسماء ومن الاسماء الى الافعال ومن الافعال الى الخلق فى عيونهم وحيرهم فى قفار الازليات والابديات حتى ان يرتد اليهم روح الفرح لحظة لم يطرفوا به لانهم مردودون من بحار الصفات الى بحار الذات ومن بحار الذات الى بحار الصفات لا يستطيعون حيلة الرجوع الى البشريه ولا يهتدون سبيلا الى الكون والعلة لانهم مستضعفون فى قبضة الالوهية مستغرقون فى قاموس القدميه فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم يتجاوز عنهم وكان الله عفوا غفورا عن ابى هريرة رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قال سمع الله لمن حمده فى الركعة الآخرة من صلوة العشاء قنت اللهم انج عياش بن ربيعه اللهم انج الوليد بن الوليد اللهم انج سلمة بن هشام اللهم انج المستضعفين من المومنين اللهم اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف متفق عليه ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا والمراغم المتحول يتحول اليه قاله ابن عباس قال ابو عبيدة المراغم المهاجر وقيل سميت المراغمة مهاجرة لان من يهاجر يراغم قومه وسعة اى سعة فى الرزق وقيل سعة من الضلالة الى الهدى قال الاستاد من هاجر فى الله ما سوى الله وصحح قصده الى الله وجد فسحة فى عقوة الكرم ومقيلا فى ذرى القبول ورجاء وسعة فى كنف القرب روى ان الآيه لما نزلت سمعها رجل من بنى ليث شيخ كبير مريض يقال له جندع بن ضمرة فقال والله ما انا ممن استثنى الله عز وجل وانى لاجد حيلة ولى من المال ما يبلغنى المدينة وابعد منها والله لا ابيت الليلة بمكة اخرجونى فخرجوا به يحملونه على سرير حتى اتوا به التنعيم فادركه الموت فصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو وافى المدينة لكان اتم اجرا وضحك المشركون وقالوا ما ادرك هذا ما طلب فانزل الله عز وجل ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله

ثم يدركه الموت اى قبل بلوغه الى مهاجره فقد وقع اى وجب اجره على الله بايجابه على نفسه
بحكم الوعد والتفضل لا لوجوب استحقاق وكان الله غفورا يغفر له ما كان منه من القعود قبل الهجرة
الى ان خرج مهاجرا قالوا كل هجرة لغرض دينى من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه
طاعة او قناعة او زهدا فى الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهى هجرة الى الله تعالى ورسوله وان
ادركه الموت فى طريقه فاجره واقع على الله تعالى بل قالوا من قصد فعل طاعة من الطاعات ثم عجز
عن اتمامها كتب الله له ثواب تلك الطاعة كاملا عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله
من خرج حاجا فمات كتب له اجر الحاج الى يوم القيمة ومن خرج معتمرا فمات كتب له اجر المعتمر الى يوم القيمة
ومن خرج غازيا فى سبيل الله فمات كتب له اجر الغازى الى يوم القيمة رواه الحافظ يعلى قال الكاشف
اى من يخرج من طبيعته وهو نفسه وحوله وقوته وارادته وعباداته وعلمه ورسمه الى الله فى طلب
مشاهدته والى الرسول فى متابعته بنعت المحبة ويدركه فى تضاعيف السير بعض الامتحان ووقع فى منزل
الفترة بعد المجاهدة فقد وقع اجر الوصلة له لان الله تعالى يجازيه بصدق مقدم الاول قيل ان يهاجر
عادون الله وقيل ان يخرج عن جميع مراداته وهواه ثم ان المجاهد لما اشتدت حاجته الى معرفة كيفية
اداء الصلوة فى زمان الخوف والاشتغال بمحاربة العدو ذكره الله تعالى فقال واذا ضربتم فى الارض
يعنى سافرتم فيها فليس عليكم جناح حرج واثم ان تقصروا من الصلوة بين اربع ركعات الى ركعتين
وذلك فى صلوة الظهر والعصر والعشاء ان خفتم ان يفتنكم اى يغتالكم ويقتلكم فى الصلوة
الذين كفروا انزلت الآية على غالب اسفار النبى صلى الله عليه وسلم واكثرها لم يخل عن خوف العدو
فذكر الله عز وجل هذا الشرط من حيث انه هو الاغلب فى الوقوع عن يعلى بن امية قال قلت لعمر بن
الخطاب ليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا فقد امن الناس
فقال عجبت مما عجبت منه فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال صدقة تصدق الله
بها عليكم فاقبلوا صدقته رواه مسلم وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة
الى مكة لا يخاف الا رب العالمين فصلى ركعتين رواه الترمذى والنسائى قال الكاشف هذا رخصة
لاهل المشاهدة الذين استغرقوا فى بحار المعرفة والمحبة فاذا غلب عليهم سلطان الوجد وحان وقت
الخدمة سهل عليهم احكام الفريضة بترخيص الله اياهم وهم اهل انس الله الذين محو بنظر التوسع والرخص ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا اى ظاهر العداوة فلعلى بهذا ارخصت لكم فى قصر
الصلوة لئلا يجدوا الى قتلكم واغتيالكم سبيلا وانما قال عدوا ولم يقل اعداء لانه يستوى فيه
الواحد والجمع واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة روى الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس وجابر ان
المشركين لما راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى الظهر يصلون جميعا ندموا

رحيما م

متبعا لاوامر الله وما يوصله الى رضوانه م

الاكانوا

الاكانوا اكبوا عليهم فقال بعضهم لبعض دعوهم فان لهم بعدها صلوة هى احب اليهم من آبائهم
وابنائهم يعنى صلوة العصر فاذا قاموا فيها فشدوا عليهم فاقتلوهم فنزل جبرئيل فقال يا محمد انها صلوة
الخوف وان الله عز وجل يقول واذا كنت فيهم الآية والمعنى واذا كنت يا محمد فى اصحابك وشهدت
معهم القتال فاقمت لهم الصلوة فلتقم طائفة منهم معك معناه اذا حل وقت الصلوة واقمتها لهم فاجعلهم فرقتين فلتقف فرقة منهم معك فتصلى بهم قال الكاشف يعنى ان الله سبحانه وتعالى ان واجب
العبودية لا يسقط عن العبد مادام فيه الرمق اما فى الخوف واما فى الامن ومن تاه فى الوجد
وهام فى الغلبة فهو محروم العشق خارج عن مراتب التمكين وذلك علة له حيث ضعف فى الوجد
عن حمل وارد الشرع لان سلطان الشرع حق الله وسلطان الوجد حظ العبد وسلطان الله غالب
على مادونه لذلك امر سيد الرسل والانبياء والاولياء باقامة الصلوة فى مقام الاصطلاب والتلوين
والامتحان وهو سابح بحر المشاهدة واصحابه فرسان ميادين المحبة وسادات اهل الولاية ولو سقط
العبودية عن اهل الوجد لما امر سيد الواجدين باداء الفريضة فى مقام الخوف وليأخذوا اسلحتهم
قال بعضهم اراد هؤلاء الذين وقفوا مع الامام يصلون ياخذون الاسلحة فى الصلوة قال محيى السنة
فعلى هذا انما ياخذه اذا كان لا يشغله عن الصلوة ولا يوذى من بجنبه فان كان يشغله حركته وثقله عن الصلوة كالجعبة والترس الكبير او يوذى من بجنبه كالرمح فلا ياخذه وقيل المراد الذين قاموا فى وجاه العدو وقيل يحتمل ان يكون امرا للفريقين بحمل السلاح لان ذلك اقرب الى
الاحتياط فاذا سجدوا اى صلوا فليكونوا من ورائكم يريد مكان الذين هم وجاه العدو ولتأت
طائفة اخرى لم يصلوا وهم الذين كانوا فى وجه العدو فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم
واسلحتهم قيل هؤلاء الذين اتوا وقيل هم الذين صلوا ذكر فى اول الآية الاسلحة فقط وذكر
هنا الحذر والاسلحة لان العدو قلما يتنبه للمسلمين فى اول الصلوة فاذا قاموا الى الركعة الثانية
ظهر للكفار ان المسلمين فى الصلوة فحينئذ ينتهزون الفرصة فى الاقدام على المسلمين فلا جرم
ان الله تعالى امرهم فى هذا الموضع بزيادة الحذر من الكفار مع اخذ الاسلحة ود الذين كفروا
يتمنى الكفار لو تغفلون اى لو وجدوكم غافلين عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة
واحدة اى يقصدونكم ويحملون عليكم حملة واحدة ولا جناح عليكم الجناح الاثم من جنحت
اذا عدلت عن القصد ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم
رخص فى وضع السلاح فى حال المطر والمرض لان السلاح يثقل حمله فى هاتين الحالتين و
خذوا حذركم راقبوا العدو كيلا يتغفلونكم ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا
قال الكلبى عن ابى صالح عن ابن عباس نزلت فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك انه

غزا محاربا وبنى انمار فنزلوا ولا يرون من العدو احدا فوضع الناس اسلحتهم وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم لحاجة له قد وضع سلاحه حتى قطع الوادى والسماء ترش فحال الوادى بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين اصحابه فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة
فبصر به غورث بن الحارث المحاربى فقال قتلنى الله ان لم اقتلك ثم انحدر من الجبل ومعه
السيف فلم يشعر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم على راسه ومعه السيف وقد سله
فقال يا محمد من يعصمك منى الآن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله ثم قال اللهم اكفنى غورث
بن الحارث بما شئت ثم اهوى بالسيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاكب لوجهه من
زلخة زلجها من بين كتفيه وندر سيفه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذه ثم قال يا غورث
من يمنعك منى الآن قال لا احد قال تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله واعطيك
سيفك قال لا ولكن اشهد ان لا اقاتلك ابدا ولا اعين عليك عدوا فاعطاه رسول الله صلى الله
عليه وسلم سيفه فقال غورث والله لانت خير منى قال النبى صلى الله عليه وسلم اجل انا احق
بذلك منك فرجع غورث الى اصحابه فقالوا ويلك ما منعك منه قال لقد اهويت اليه بالسيف
لاضربه فوالله ما ادرى من زلجنى بين كتفى فخررت لوجهى وذكر حاله قال الراوى وسكن الوادى
فقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم الوادى الى اصحابه فاخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية فاذا
قضيتم الصلوة اى اذا فرغتم من صلوة الخوف فاذكروا الله قيل اى صلوا قياما فى حال الصحة
وقعودا فى حال المرض وعلى جنوبكم عند الجرح والزمانة وقيل اذكروا الله بالتسبيح والتحميد
والتهليل والتمجيد على كل حال قال ابو عثمان وقت الله العبادات كلها بالمواقيت الا الذكر فانه
امرك به على كل حال وفى كل اوان وقال الاستاد فى هذه الآية الوظايف الظاهرة موقتة وحضور
القلب بالذكر مسرمد غير منقطع وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله
على كل احيانه متفق عليه فاذا اطمأننتم يعنى فاذا امنتم وسكنت قلوبكم واصل الطمأنينة سكون
القلب فاقيموا الصلوة يعنى فاتموها اربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة ترك السفر والمعنى فاذا
صرتم مقيمين فى اوطانكم فاتموا الصلوة تامة اربعا من غير قصر وقيل معناه فاقيموا الصلوة باتمام
ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والامن بعد الخوف
ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا يعنى فرضا موقتا والكتاب بمعنى المكتوب يعنى
مكتوبة موقتة باوقات محدودة ثم لما ذكر بعض الاحكام التى يحتاج المجاهد الى معرفتها عاد
مرة اخرى الى الحث على الجهاد فقال ولا تهنوا فى ابتغاء القوم سبب نزول الآية ان ابا سفيان
واصحابه لما رجعوا يوم احد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طائفة فى آثارهم فشكوا الم الجراحات

فقال الله تعالى

فقال الله عز وجل ولا تهنوا اى ولا تضعفوا فى ابتغاء القوم اى فى طلب ابى سفيان واصحابه ان
تكونوا تألمون تتوجعون من الم الجراحات فانهم يألمون يتوجعون يعنى الكفار كما تألمون
وترجون من الله اى وانتم ترجون من الاجر والثواب فى الآخرة والنصر فى الدنيا ما لا
يرجون وكان الله عليما حكيما فلا يامركم بشئ الا وهو مصلحتكم انا انزلنا اليك الكتاب بالحق
فى كيفية النظم وجوه الاول ان الله تعالى لما شرح احوال المنافقين على سبيل الاستقصاء ثم اتصل بذلك
امر المحاربة واتصل بذكر المحاربة ما يتعلق بها من الاحكام الشرعية مثل قتل المسلم خطاء على ظن
انه كافر ومثل بيان صلوة السفر وصلوة الخوف رجع الكلام بعد ذلك الى احوال المنافقين
وذلك انهم كانوا يحاولون ان يحملوا الرسول صلى الله عليه وسلم على ان يحكم بالباطل ويترك الحكم
الحق فاطلع الله رسوله عليه السلام وامره بان لا يلتفت اليهم ولا يقبل قولهم فى هذا الباب والوجه
الثانى فى بيان النظم انه تعالى لما بين الاحكام الكثيرة فى هذه السورة بين ان كلها عرف بانزال الله
وانه ليس للرسول ان يحيد عن شئ منها طلبا لرضا القوم والوجه الثالث انه تعالى لما امر بالمجاهدة
مع الكفار بين ان الامر وان كان كذلك لكنه لا يجوز الخيانة معهم ولا الحاق ما لم يفعلوا بهم وان كان
الكافر لا ينبغى المسامحة فى النظر له بل الواجب فى الدين ان يحكم له وعليه بما انزل الله تعالى على رسوله
وان لا يلحق بالكافر حيف لاجل ان يرضى المنافق بذلك قال ابن عباس نزلت هذه الآية فى رجل
من الانصار يقال له طعمة بن ابيرق من بنى ظفر بن الحارث سرق درعا من جار له يقال له قتادة
بن النعمان وكانت الدرع فى جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فى الجراب حتى انتهى
الى داره ثم خباها عند رجل من اليهود يقال له زيد السمين فالتمست الدرع عند طعمة فحلف بالله
ما اخذها وما له بها من علم فقال اصحاب الدرع لقد رأينا اثر الدقيق حتى دخل داره فلما حلف تركوه
واتبعوا اثر الدقيق الى منزل اليهودى فاخذوه منه فقال اليهودى دفعها الى طعمة بن ابيرق قال
محيى السنة فجاء بنو ظفر قوم طعمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوه ان يجادل عن صاحبهم
وقالوا له انك ان لم تفعل افتضح صاحبنا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يعاقب اليهودى فانزل
الله تعالى هذه الآية انا انزلنا اليك يا محمد الكتاب يعنى القرآن بالحق بالامر والنهى والفصل
لتحكم بين الناس بما اراك الله بما اوحى اليك وانما سمى العلم اليقينى رؤية لانه جرى مجرى الرؤية
روى عن عمر انه قال لا يقولن احدكم قضيت بما ارانى الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله
عليه وسلم ورأى احدنا يكون ظنا ولا يكون علما ولا تكن للخائنين خصيما مخاصما اى لا تخاصم
لاجل بنى ظفر واستغفر الله مما هممت به من معاقبة اليهودى وقال مقاتل واستغفر
من جدالك عن طعمة ان الله كان غفورا للذنوب عباده يسترها عليهم ويغفرها لهم رحيما بعباده

اثر الدقيق م

المومنين ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم اى يظلمون انفسهم بالخيانة والسرقة ان الله
لا يحب من كان خوانا اثيما وطعمة كان خائنا بسرقة الدرع اثيما فى رميه اليهودى اطلع الله تعالى
نبيه على كذب قوم طعمة وامره بالاستغفار لما انه صلى الله عليه وسلم لما شهد قوم طعمة عنده ببراءة
طعمة من السرقة هم بان يقضى على اليهودى بالسرقة وكان خطاء فى نفسه وعلو درجته وشرف منصبه
وكمال معرفته تقتضى ان يكون ذلك ذنبا بالنسبة اليه صلى الله عليه وسلم كما قيل حسنات الابرار
سيئات المقربين ويحتمل ان يكون الخطاب معه والمراد به قوم طعمة او يكون امرا بالاستغفار لهم
وانما قال خوانا اثيما على المبالغة لان الله تعالى علم من طعمة الافراط فى الخيانة وركوب المآثم ويدل
عليه انه لما نزل فيه القران لحق بمكة مرتدا عن دينه ثم عدا على الحجاج بن علاط فنقب عليه بيته
فسقط عليه حجر من الحائط فلما اصبحوا اخرجوه من مكة فلقى ركبا فعرض لهم وقال ابن سبيل ومنقطع به
حتى اذا جن عليه الليل عدا عليهم فسرقهم ثم انطلق فركبوا فى طلبه فادركوه فرموه بالحجارة حتى مات
فصار قبره تلك الحجارة قال بعضهم اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات ويروى عن عمر
انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكى وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه يا امير المومنين فقال
كذبت ان الله لا يواخذ عبده فى اول مرة قال الكاشف بين الله تعالى ان التنزيه عن الغلط والسهو
لا يكون الا لله تعالى وعرفه عجز الخليقة عن ادراك قدس الازلية والخروج عن علة البشرية واراد به ليلقى
ازمة الامر الى مراد الله ولا يريد الا ما يريد يستخفون من الناس اى يستترون ويستحيون من الناس
يريد بنى ظفر بن الحارث ولا يستخفون من الله اى لا يستترون ولا يستحيون من الله وهو معهم اذ
يبيتون يدبرون ويزورون والتبييت تدبير الفعل ليلا ما لا يرضى من القول وذلك ان قوم
طعمة قالوا فيما بينهم نرفع الامر الى النبى صلى الله عليه وسلم فانه يسمع قوله ويمينه لانه مسلم ولا يسمع
اليهودى لانه كافر فلم يرض الله ذلك منهم وكان الله بما يعملون محيطا لا يخفى عليه شىء من اسرار عباده
قال محمد بن الفضل من لم يكن اعظم شىء فى قلبه ربه كان جاهلا به ومبعدا عنه ها انتم هؤلاء جادلتم
اى انتم يا هؤلاء جادلتم وخاصمتم وها فى ها انتم للتنبيه والجدال شدة المخاصمة من الجدل وهو شدة
الفتل فهو يريد فتل الخصم عن مذهبه وقيل من الجدالة وهى الارض فكل واحد من الخصمين يروم
قهر صاحبه وصرعه على الجدالة عنهم عن طعمة وقومه فى الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم
القيمة اذا اخذه الله بعذابه ام من يكون عليهم وكيلا كفيلا اى من الذى يذب عنهم ويتولى عنهم
يوم القيمة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه نزلت هذه الآية فى ترغيب طعمة فى التوبة وحرضها عليه
وقيل نزلت فى قومه الذين جادلوا عنه وقيل هى عامة فى كل مسىء ومذنب لان خصوص السبب لا يمنع
من اطلاق الحكم ومعنى الآية ومن يعمل سوءا يسوء به غيره كما فعل طعمة بالسرقة او يظلم نفسه فيما يختص

من الحلف الكاذب ونحو ذلك ثم يستغفر الله اى يتوب اليه ويستغفر يجد الله غفورا رحيما ومن
يكسب اثما يعنى عن طعمة بالباطل انى ما سرقته انما سرقه اليهودى فانما يكسبه على نفسه فانما يضره
نفسه وكان الله عليما بما فى قلب عبده عند اقدامه على التوبة حكيما تقتضى حكمته ان تقطع يد السارق
وان تجاوز عن التائب ويغفر له ومن يكسب خطيئة او اثما قيل ان الخطيئة هى الصغيرة من الذنوب
والاثم هو الكبيرة وقيل الخطيئة هى الذنب المختص بفاعله والاثم الذنب المتعدى الى الغير وقيل
الخطيئة هى سرقة الدرع والاثم هو يمينه الكاذبة ثم يرم به بريا اى يقذف ما يجنى به بريا منه
وهو نسبة السرقة الى اليهودى فقد احتمل بهتانا البهتان هو البهت وهو الكذب الذى يتحير
فى عظمه واثما مبينا ذنبا بينا ولولا فضل الله عليك يا محمد بالنبوة ورحمته بالعصمة وما اوحى
اليك من الاطلاع على اسرارهم لهمت طائفة منهم يعنى من بنى ظفر قوم طعمة ان يضلوك يخطئوك
فى الحكم ويلبسوا عليك الامر حتى تدافع عن طعمة وما يضلون الا انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك
من شىء لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله
عليك الكتاب يعنى القران والحكمة يعنى القضاء بالوحى وعلمك ما لم تكن تعلم من الاحكام و
قيل من علم الغيب وكان فضل الله عليك عظيما روى ابو داود عن اسامة بن زيد انه صلى الله عليه
وسلم قال انما اقضى بينكما برأيى فيما لم ينزل علىّ وروى هو والامام احمد عن ام سلمة انها قالت جاء
رجلان من الانصار يختصمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مواريث بينهما قد درست
ليس بينهما بينة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكم تختصمون الىّ وانما انا بشر ولعل بعضكم الحن بحجته
من بعض وانما اقضى بينكم على نحو مما اسمع فمن قضيت له من حق اخيه شيئا فلا ياخذه فانما اقطع
له قطعة من النار يأتى بها فى عنقه يوم القيمة فبكى الرجلان وقال كل منهما حقى لاخى فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما اذ قلتما فاذهبا فاقتسما ثم توخيا الحق ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه
ثم اشار الى ما كانوا يتناجون فيه حين يبيتون ما لا يرضاه من القول فقال لا خير فى كثير من نجويهم
يعنى قوم طعمة وقال مجاهد الآية عامة فى حق جميع الناس والنجوى هو السر فى التدبير وقيل النجوى
ما تفرد بتدبيره قوم سرا كان او علانية والمعنى لا خير فى كثير مما يدبرونه بينهم الا من امر بصدقة
اى الا فى نجوى من امر بصدقة او معروف اى بطاعة الله وما يعرفه الشرع واعمال البر كلها معروف
لان العقول تعرفها او اصلاح بين الناس عن ابى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصدقة والصلوة قلنا بلى قال اصلاح ذات البين و
افساد ذات البين هى الحالقة رواه الترمذى وابو داود ويروى انه قال هى الحالقة لا اقول
تحلق الشعر ولكن تحلق الدين وعن ام كلثوم بنت عقبة من المهاجرات الاول قالت سمعت

الناس م

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس بالكذاب من اصلح بين الناس فقال خيرا او نمى خيرا ومن
يفعل ذلك الامر ابتغاء مرضات الله اى طلب رضا الله فسوف نؤتيه فى الآخرة اجرا عظيما
لا حد له لان الله سماه عظيما ومن يشاقق الرسول يخالفه ووجه تعلق الآية بما قبلها ان طعمة لما
رأى ان الله تعالى هتك ستره وبرأ اليهود عن تهمة السرقة ارتد وذهب الى مكة ونقب جدار
البنيان لاجل السرقة فانهدم الجدار عليه ومات ونزلت هذه الآية من بعد ما تبين له الهدى
التوحيد والحدود ويتبع غير سبيل المؤمنين غير طريق المؤمنين نوله ما تولى اى نكله فى
الآخرة الى ما تولى فى الدنيا ونصله جهنم نلزمه جهنم اصله من الصلى وهو لزوم النار
وقت الاستدفاء وساءت مصيرا روى ان الشافعى سئل عن آية من كتاب الله يدل على ان
الاجماع حجة فقرأ القران ثلثمائة مرة حتى استخرج هذه الآية وهى قوله تعالى ويتبع غير سبيل المؤمنين
وذلك لان اتباع غير سبيل المؤمنين وهو مفارقة الجماعة حرام فوجب ان يكون اتباع سبيل
المؤمنين ولزوم جماعتهم واجبا وذلك لان الله تعالى الحق الوعيد بمن شاقق الرسول ويتبع
غير سبيل المؤمنين فثبت بهذا ان اجماع الامة حجة وتمام الكلام فيه فى اصول الفقه ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا
بعيدا وهذه الآية مكررة فى هذه السورة ومن فوائدها ان الآيات المتقدمة انما نزلت فى سارق
الدرع وقوله تعالى ومن يشاقق الرسول الى آخر الآية انما نزل فى ارتداده فهذه الآية انما حسن
اتصالها بما قبلها لو كان المراد ان ذلك السارق لو لم يرتد لما صار محروما عن رحمتى ولكنه لما
ارتد واشرك بالله صار محروما قطعا عن رحمة الله ومعنى فقد ضل ضلالا بعيدا فقد ذهب عن
طريق الهدى وحرم الخير كله اذا مات على شركه قال العلماء لما اخبر الله انه يغفر الشرك بالايمان
والتوبة علمنا انه يغفر ما دون الشرك بالتوبة وهو معلوم ايضا من الآيات الاخر واحاديث كثيرة
فهذه السنة فيمن لم يتب من ذنوبه من اهل التوحيد فاذا مات صاحب الكبيرة او الصغيرة من
غير توبة فهو فى خطر المشية ان شاء غفر له وادخل الجنة بفضل رحمته وان شاء عذبه ثم يدخله
الجنة بعد ذلك والآية نزلت فى طعمة بن ابيرق فانه مات مشركا وقال الضحاك عن ابن عباس ان
هذه الآية نزلت فى شيخ من الاعراب جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبى الله انى
شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وآمنت به ولم اتخذ من دونه وليا و
لم اوقع المعاصى جرأة على الله وما توهمت طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى لنادم تائب مستغفر
فما حالى فانزل الله تعالى هذه الآية ان يدعون من دونه اى ما يعبدون من دون الله لان كل من
عبد شيئا فهو يدعوه لحاجته الا اناثا هى اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حى من احياء

العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بنى فلان وقيل كانوا يقولون فى اصنامهم هن بنات
الله وقيل المراد الملئكة لقولهم الملئكة بنات الله وان يدعون وان يعبدون بعبادة الاصنام
الا شيطانا لانه هو الذى اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة مريدا المريد والمارد
هو المتمرد العاتى الخارج من الطاعة اراد ابليس لعنه الله اى ابعده الله من رحمته وقال اى
ابليس لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فى بعض التفاسير من كل الف واحد
لله وتسعمائة وتسعة وتسعون لابليس ولاضلنهم يعنى عن الحق اراد به التغرير والتزيين
والا فليس اليه من الاضلال شىء كما قال لازينن لهم فى الارض ولامنينهم قال ابن عباس يريد
تسويف التوبة وتاخيرها وقال الكلبى امنينهم انه لا جنة ولا نار ولا بعث وقيل امنينهم ادراك
الجنة مع عمل المعاصى وقيل ركوب الاهواء وقيل طول البقاء فى الدنيا ونعيمها ليؤثروها على
الآخرة وقيل اكبر فى اعينهم طاعاتهم واغلق دونهم ابواب الانابة ورؤية الفضل قال الكاشف
وتدفع لى شىء تخوّف ان ذلك النصيب التفات العاشق فى طلب جمال الحق الى عالم المستحسنات لان
فيها ما يليق بالنفس الامارة حين تلطفت فى جوار الروح الناطقة العاشقة واخذت الروح من الوجه
الحسن لطف معدن الحسن وبقى للنفس الامارة حظ من حظوظ الشهوات قال ابو سعيد الخراز رأيت
ابليس فى منامى فقلت له هل لك يد على الصوفية فقال لا ومضى ثم التفت وقال لى عندهم لطيفة وهى
نظرهم الى وجوه الاحداث واعظم نصيب الملعون منهم فرحهم بحالهم ووقوفهم بلذات مواجيدهم
والقرار بحيالهم فى مكاشفاتهم وذلك النصيب يقع على كثير من مقاماتهم منها ان تعدم بلوغ مقام الكمال
بغير استعمال الطريق ومتابعة المشايخ وموافقة الاسوة والسنة وهذا الى المريدين ومنها انهم
بطول العمر ونيل الدرجات فى شيخوختهم بان تقاعدوا عن استعمال رسوم المعرفة وكل هذا
غرور الملعون ولا يرى غروره الا من هو من امام النفس فى طريق الله قال الواسطى فقال له
ان كان اليك شىء من القوة والقدرة فالقوا حد اسوى ما يحصل له من النصب المعروض عند ذلك
نظرهم وصعقه ولامرنهم فليبتكن آذان الانعام اى يقطعونها ويشقونها وهى البحيرة ولامرنهم
فليغيرن خلق الله قال الحسن وابن عباس ومجاهد وغيرهم يعنى دين الله نظيره قوله عز وجل لا تبديل
لخلق الله اى لدين الله يريد وضع الله فى الدين بتحليل الحرام وتحريم الحلال فى الصحيحين عن ابى
هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه
وينصرانه ويمجسانه كما يولد البهيمة بهيمة جمعاء هل يحسون فيها من جدعاء وفى صحيح مسلم انه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل انى خلقت عبادى حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم
عن دينهم وحرمت عليهم ما احللت لهم وقال عكرمة وجماعة فليغيرن خلق الله بالخصاء والوشم وقطع

الاذان حتى حرم بعضهم الخصا وجوزه بعضهم في البهائم لان فيه غرضا ظاهرا وقيل تغير خلق الله هو
ان الله خلق الانعام للركوب والاكل فحرموها وخلق الشمس والقمر والاحجار لمنفعة العباد فعبدوها
وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ اى ربا يطيعه فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا لان طاعة الشيطان موصلة
الى نار جهنم وهي غاية الخسران يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ فوعده وتمنيته ما وقع في قلب الانسان من طول
العمر ونيل الدنيا وقد يكون بالتخويف بالفقر فيمنعه من الانفاق وصلة الرحم كما قال تعالى الشيطان يعدكم
الفقر ويمنيهم بان لا بعث ولا جنة ولا نار وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا باطلا وضلالا أُولَٰئِكَ
مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا اى معدلا ومهربا لا عنها وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ من تحت غرفها ومساكنها خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حقا
وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا اى قولا لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ قال مجاهد وغيره
يعني اليهود والنصارى وذلك انهم افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم
فنحن اولى بالله منكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا يقضي على الكتب وقد آمنا بكتابكم
ولم تؤمنوا بكتابنا فنحن اولى فانزل الله تعالى ليس بامانيكم اى ليس الامر بالاماني وانما الامر بالعمل
العمل الصالح مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وقال ابن عباس وجماعة الاية عامة في كل عامل وقال الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس لما نزلت هذه الاية شقت على المسلمين وقالوا يا رسول الله واينا لم يعمل سوءا
غيرك فكيف الجزاء قال منه ما يكون في الدنيا فمن يعمل حسنة فله عشر حسنات ومن جوزي بالسيئة
نقصت واحدة من عشر وبقيت له تسع حسنات فويل لمن غلبت آحاده اعشاره واما ما كان جزاء
في الاخرة فيقابل بين حسناته وسيئاته فيلقى مكان كل سيئة حسنة وينظر في الفضل فيعطى الجزاء
في الجنة فيؤتي كل ذي فضل فضله وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال كنت عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانزلت عليه هذه الاية من يعمل سوءا يجز به وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا بكر الا اقرئك آية انزلت علي قال قلت بلى قال فاقرانيها قال
قال ولا اعلم الا اني وجدت انفصاما في ظهري حتى تمطيت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لك يا
ابا بكر فقلت يا رسول الله بابي انت وامي واينا لم يعمل سوءا وانا لمجزيون بكل سوء عملنا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انت يا ابا بكر واصحابك المؤمنون فتجزون بذلك في الدنيا حتى تلقوا
الله وليست لكم ذنوب واما الاخرون فيجمع ذلك لهم حتى يجزوا يوم القيامة رواه محيي السنة والترمذي
وقال الترمذي هذا حديث غريب وفي اسناده مقال ورواه ابن مردويه مسندا ولم يتكلم عليه
وروي بطريق آخر عن مسروق انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق رضي الله عنه
يا رسول الله ما اشد هذه الاية من يعمل سوءا يجز به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المصايب والامراض

والامراض

والاحزان في الدنيا جزاء وعن ابي هريرة قال لما نزلت من يعمل سوءا يجز به بلغت من المسلمين
مبلغا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة
حتى النكبة ينكبها او الشوكة يشاكها اخرجه مسلم والاحاديث في الباب كثيرة وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ
مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا اى مقدار النقير وهو
النقرة التي تكون في ظهر النواة عن مسروق قال لما نزلت ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب
من يعمل سوءا يجز به قال اهل الكتاب نحن وانتم سواء فنزلت هذه الاية ومن يعمل من الصالحات
الاية ونزلت ايضا وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له
لا يعرف لها ربا ومعبودا سواه وَهُوَ مُحْسِنٌ عامل للحسنات تارك للسيئات وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا مائلا عن الاديان كلها الى دين الاسلام قال ابن عباس ومن ابرهيم الصلوة الى الكعبة والطواف
بها ومناسك الحج وانما خص ابرهيم لانه كان مقبولا عند جميع الامم فان العرب كانوا يفتخرون بالانتساب اليه
وكذلك اليهود والنصارى وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا يعني صفيا والخلة صفاء المودة وقيل الخلة
الافتقار والانقطاع فخليل الله المنقطع اليه وسمي ابراهيم خليلا لانه انقطع الى الله في كل حال وقيل
الخليل المحب الذي ليس في محبته خلل وقيل الخلة من الخلال فانه ود تخلل النفس وخالطها قال الشاعر
قد تخللت مسلك الروح مني وبه سمي الخليل خليلا فاذا ما نطقت كنت حديثي واذا ما سكت كنت غليلا
قال الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس كان ابرهيم ابا ضيفان وكان منزله على ظهر الطريق يضيف
من مر به من الناس فاصاب الناس سنة فحشروا الى باب ابرهيم يطلبون الطعام وكانت
الميرة له كل سنة من صديق له بمصر فبعث غلمانه بالابل الى الذي بمصر فقال خليله لغلمانه لو كان
ابرهيم انما يريده لنفسه احتملنا ذلك له فقد دخل علينا ما دخل على الناس من الشدة فرجع رسل
ابرهيم عليه السلام فمروا ببطحاء فقالوا لو انا حملنا من هذه البطحاء ليرى الناس انا قد جئنا
بميرة فانا نستحيي ان نمر بهم وابلنا فارغة فملؤا تلك الغرائر سهلة ثم اتوا ابرهيم فاعلموه وسارة
نائمة فاهتم ابرهيم لمكان الناس ببابه فغلبته عيناه فنام واستيقظت سارة وقد ارتفع النهار
فقالت سبحان الله ما جاء الغلمان قالوا بلى قالت فما جاؤا بشيء قالوا بلى فقامت الى الغرائر ففتحتها
فاذا هو حواري فامرت الخبازين فخبزوا واطعموا الناس فاستيقظ ابرهيم عليه السلام فوجد
ريح الطعام فقال يا سارة من اين هذا قالت من عند خليلك المصري فقال هذا من عند خليلي الله قال
فيومئذ اتخذه خليلا ذكره محيي السنة وغيره من ائمة الحديث وتوقف الشيخ ابن الكثير في صحته
ووقوعه وقال انه خبر اسرائيلي وعن عبيد بن عمير قال كان ابرهيم عليه السلام يضيف الناس
فخرج يوما يلتمس انسانا يضيفه فلم يجد احدا يضيفه فرجع الى داره فوجد فيها رجلا قائما فقال

يا عبد الله ما ادخلك داري بغير اذني قال دخلتها باذن ربها قال ومن انت قال انا ملك الموت ارسلني
ربي الى عبد من عباده ابشره بان الله تعالى قد اتخذه خليلا قال من هو فوالله ان اخبرتني به ثم كان باقصى
البلاد لاتيته ثم لا ابرح له جارا حتى يفرق بيننا الموت قال ذلك العبد انت قال انا قال نعم قال فبم اتخذني
ربي خليلا قال انك تعطي الناس ولا تسألهم رواه ابن ابي حاتم وروى باسناده ايضا عن اسحق بن يسار
قال لما اتخذ الله ابراهيم خليلا القى في قلبه الوجل حتى ان كان خفقان قلبه ليسمع من بعد كما يسمع
خفقان الطير في الهواء وهكذا جاء في صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان يسمع لصدره
ازيز كازيز المرجل يعني اذا اشتد غليانها من البكاء في الصحيحين من رواية ابي سعيد الخدري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خطبهم في آخر خطبة خطبها قال اما بعد ايها الناس فلو كنت متخذا
من اهل الارض خليلا لاتخذت ابا بكر بن ابي قحافة خليلا ولكن صاحبكم خليل الله قال الشيخ ابن الكثير
جاء من طرق جندب بن عبد الله البجلي وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل اتخذني خليلا كما اتخذ ابرهيم خليلا وعن ابن عباس
قال جلس ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم
يتذاكرون فسمع حديثهم واذا بعضهم يقول عجب ان الله اتخذ من خلقه خليلا فابرهيم خليله وقال
آخر ماذا باعجب من ان الله كلم موسى تكليما وقال آخر فعيسى روح الله وكلمته وقال آخر آدم اصطفاه
الله تعالى فخرج عليهم وسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم ان ابرهيم خليل الله وهو كذلك وموسى كليمه
وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وآدم اصطفاه الله وهو كذلك الا واني حبيب الله ولا فخر وانا
اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلقة الجنة فيفتح الله تعالى فيدخلنيها ومعي فقراء
المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين يوم القيامة ولا فخر رواه ابو بكر بن مردويه قال الشيخ
ابن الكثير وهذا حديث غريب من هذا الوجه وله شواهد في الصحاح وغيرها قال وقال قتادة عن عكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اتعجبون ان تكون الخلة لابرهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد
صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين قال الكاشفي معنى قوله تعالى ومن احسن دينا انه وصف
من تجلى بسربال جلاله الذي يتلألأ منه حسن وجه القديم وطار بجناح المحبة والشوق في هواء
هويته فيجد طريقا من الازل الى الازل فيسير من الله الى الله الى ابد الابد فتلك المسالك دينه واي
دين احسن من هذا وهو بجلاله وعظمته دلله منه اليه لم يطمس مسلك الازل والاباد ما دام تعرفه
ويحدو امام مطايا اسراره وعلم دوحل انواره ادا الحق ادلها وانت اما ساكن لمطاياها بالحقايق
هاديا وهو محسن اي عارف وعالم بالمطالب ومطلبه ومقصده مشاهدة الباقي بعد الفناء فيها
فيسهل عليه اضمحلاله بالله في الله قال ابن ادهم من عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل بعينه في النار

اتصافه

اتصافه برضاه فرضي عنه فما بدله منه ومثل هذا الدين دين الحنيفية الحبيبية الخليلية المائلة عن
الحدثان في مشاهدة الرحمن الا ترى كيف وصف به حبيبه بقوله ما زاغ البصر وما طغى حين راه لم
يلتفت الى الحدثان وكيف وصف خليله حين برز انوار جلاله من مطالع القدم ببراءته عن الحدث
بقوله اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وبين تعالى ان تمام
حسنه لم يكن الا بمتابعة خليله عليه السلام واتبع ملة ابرهيم حنيفا وملته كسر اصنام الطبيعة بفاس
الهمة في بداية المحبة والذهاب عن انس الملكوت من خاطر بقوله اني بريء مما تشركون بعد قوله
هذا ربي حين انكشف في عينه جمال الجبروت الاول مقام الايقان والاخر مقام العرفان وطريقة تسليم
نفسه لله في محل الامتحان بنعت سلامة القلب عما دون الرب قال تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون الا
من اتى الله بقلب سليم ثم انه تعالى لما ذكر من اول السورة الى هذا الموضع انواعا كثيرة من الامر والنهي
والوعد والوعيد بين هنا انه اله المحدثات وموجد الكائنات والممكنات ومن كان كذلك كان ملكا
مطاعا فوجب على كل عاقل ان يخضع لتكاليفه وان ينقاد لامره ونهيه فقال وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان
يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ قال الامام اعلم ان عادة
الله تعالى في ترتيب هذا الكتاب الكريم على احسن الوجوه وهو انه يذكر شيئا من الاحكام ثم يذكر
عقيبه آيات كثيرة في الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ويخلط بها آيات دالة على كبرياء الله و
جلال قدرته وعظمة الهيته ثم يعود مرة اخرى الى بيان الاحكام وهذا احسن انواع الترتيب واقربها الى
التاثير في القلوب لان التكليف بالاعمال الشاقة لا يقع موقع القبول الا اذا كان مقرونا بالوعد والوعيد
والوعد والوعيد لا يؤثر في القلب الا عند القطع بغاية كمال من صدر عنه الوعد والوعيد فظهر ان هذا
الترتيب احسن الترتيبات اللائقة بالدعوة الى الدين الحق قال ابن عباس الاية نزلت في بنات ام كجة وقد
مضت القصة في اول السورة وعن عائشة رضي الله عنها هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها
قد شركته في ماله حتى في العذق فيرغب ان ينكحها ويكره ان يزوجها رجلا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها
فنزلت والمعنى ويستفتونك يا محمد في شان النساء وحالهن قال المفسرون والذي استفتوا فيه هو
ميراث النساء وذلك انهم كانوا لا يورثون النساء ولا الصغار من الاولاد فلما نزلت آية الميراث
قالوا يا رسول الله كيف يرث المرأة والصغير فاجابهم الله تعالى وقال قل الله يفتيكم فيهن اي
قل يا محمد الله يفتيكم في شان النساء وحالهن وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ اي ويفتيكم ما يتلى عليكم يريد الله
يفتيكم فيهن وكتابه يفتيكم فيهن ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضة
والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق اليتامى من عظائم

الامور المرفوعة الدرجات عند الله التي يحب مراعاتها فِي يَتَامَى النِّسَاءِ هو على الوجه الاول ظاهر
وعلى الوجه الآخر بدل من فيهن اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ لا تعطونهن مَا كُتِبَ لَهُنَّ اي حقهن من
الميراث لانهم كانوا لا يورثون النساء قال الحسن ومجاهد وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ اي عن
نكاحهن لدمامتهن وعلى القول الآخر معناه ما ليت لهن من الصداق وترغبون في نكاحهن لمالهن
وجمالهن باقل من صداقهن وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ يريد ويفتيكم في المستضعفين من
الولدان وهم الصغار ان تعطوهم حقوقهم لانهم كانوا لا يورثون الصغار وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ
اي يفتيكم في ان تقوموا لليتامى بالقسط بالعدل في مهورهن ومواريثهن وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا يجازيكم عليه ثم اشار الى بعض آخر مما اخبر الله تعالى انه يفتيهم به في النساء
مما لم يتقدم ذكره في هذه السورة فقال وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا الآية نزلت
في عمرة بنت محمد بن مسلمة في زوجها سعد بن الربيع تزوجها وهي شابة فلما علاها الكبر تزوج
عليها شابة وآثرها عليها وجفاها بنت محمد بن مسلمة فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكت
اليه فنزلت فيها هذه الآية وقال سعيد بن جبير كان رجل له امرأة قد كبرت وله منها اولاد فاراد
ان يطلقها فيتزوج عليها غيرها فقالت لا تطلقني ودعني على ولدي واقسم لي من كل شهرين ان
شئت وان شئت فلا تقسم لي فقال ان كان يصلح ذلك فهو احب الي فاتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فذكر له ذلك فانزل الله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا اي علمت من زوجها
بغضا وتسلطنت وقيل بل المراد نفس الخوف قال صاحب الكشاف توقعت منه ذلك لما لاح
لها من مخايله وامارته قال الكلبي ترك مضاجعتها او اعراضا بوجهه عنها وقلة مجالستها
فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا يعني على الزوج والمرأة أَنْ يُصَالِحَا اي يتصالحا وقرئ أَنْ يُصْلِحَا من اصلح
بَيْنَهُمَا صُلْحًا يعني في القسم والنفقة وهو ان يقول الزوج لها انك قد دخلت في السن واني
اريد ان اتزوج امرأة شابة جميلة اوثرها عليك في القسمة ليلا ونهارا فان رضيت بها فاقيمي
وان كرهت خليت سبيلك فان رضيت كانت هي المحسنة ولا تجبر على ذلك وان لم ترض بدون
حقها كان على الزوج ان يوفيها حقها من القسم والنفقة او يسرحها باحسان فان امسكها ووفاها
حقها مع كراهته فهو المحسن وقال سليمان بن يسار في هذه الآية عن ابن عباس فان صالحته
على بعض حقها من القسم والنفقة فذلك جائز ما رضيت فان انكرت بعد الصلح فذلك لها ولها
حقها وعن علي في هذه الآية قال يكون المرأة عند الرجل فتنبو عينه عنها من دمامة او كبر وتكره
فرقته فان اعطته من مالها فهو له حل وان اعطته من ايامها فهو له حل وَالصُّلْحُ خَيْرٌ يعني
اقامتها بعد تخييره اياها والمصالحة على ترك بعض حقها من القسم والنفقة خير من الفرقة

كما رو

كما روي ان سودة كانت امرأة كبيرة اراد النبي صلى الله عليه وسلم ان يفارقها فقالت
لا تطلقني وامسكني واجعل يومي لعائشة رضي الله عنها فامسكها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان يقسم لعائشة يومها ويوم سودة وفعله ذلك ليتاسى به امته في شرعيته ذلك وجوازه
فهو افضل في حقه صلى الله عليه وسلم والوفاق مطلقا احب الى الله تعالى من الفراق بل
الطلاق والفراق بغيض الى الله سبحانه وتعالى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ابغض الحلال الى الله تعالى الطلاق رواه ابو داود وابن ماجه
وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ الشح اقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير ومعنى احضار
الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا ينفك عنه يعني انها مطبوعة عليه
والمراد ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل لا يكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان
يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها قال الكاشف ان الله تعالى الزم النفوس سمات الكثرة
وفتح ابصارها عليها حتى لا ترى الا وجودها فعشقت على وجودها وحجبت عن رؤية خالقها
تكون في كل وقت في طلب حظها من العالم فاذا احرقها الله بواجب العبودية يأتي عن ترك
حظوظها لقلة عرفانها الحظ الاكبر وهو مشاهدة خالقها التي هي راس كل دولة في الكونين و
هذا معنى قوله واحضرت الانفس الشح وَإِنْ تُحْسِنُوا بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن
واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وَتَتَّقُوا الاعراض وما يؤدي الى الاذى
والخصومة فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ من الاحسان والتقوى خَبِيرًا وهو يثيبكم عليه وَلَنْ
تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ اي لن تقدروا ان تسووا بين النساء في الحب وميل القلب
وَلَوْ حَرَصْتُمْ على العدل فَلَا تَمِيلُوا الى التي تحبونها كُلَّ الْمَيْلِ في القسمة والنفقة يعني ان اجتنبوا
كل الميل ما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب
من التوبيخ قال الكاشف اي ان قوموا النفوس بازمة المجاهدة والرياضة والمراقبة عند انتاجها
من الخضوع عند ام حالتها فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ اي كالمنوطة لا ايما ولا ذات بعل وقال قتادة
فتدعوا الاحرى م
كالمحبوسة عن ابي قلابة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه فيعدل ويقول اللهم
هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك يعني القلب رواه ابو داود وغيره وعن ابي هريرة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امرأتان فمال الى احدهما جاء يوم القيامة
وشقه مائل رواه الترمذي وَإِنْ تُصْلِحُوا ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة وَتَتَّقُوا
فيما يستقبل فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يعني الزوج والمرأة بالطلاق يُغْنِ اللَّهُ
كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ المرأة بزوج آخر والزوج بامرأة اخرى والسعة الغنى والقدرة وَكَانَ

اللَّهُ وَاسِعًا واسع الفضل والرحمة حَكِيمًا فيما امر ونهى ثم لما ذكر انه يغني من سعته وانه
واسع اشار الى ما هو كالمقدمة لكونه واسعا فقال وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وقيل لما ذكر الله تعالى انه يغني من سعته اشار الى ما يوجب الرغبة اليه في طلب الخير منه لان
من ملك السموات والارض لا يفنى خزائنه ثم ذكر ان الامر بتقوى الله شريعة عامة لجميع الامم
لم يلحقها نسخ ولا تبديل بل هو وصية الله في الاولين والآخرين فقال وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ
أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ يعني اهل التوراة والانجيل وسائر الكتب المتقدمة في كتبهم وَ
إِيَّاكُمْ يا اهل القرآن في كتابكم أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ اي وحدوا الله واطيعوه والمعنى ان الامر
بتقوى الله شريعة قديمة اوصى الله تعالى بها جميع الامم السابقة في كتبهم قال الكاشف التقوى
حقيقة العبودية ولا يستقيم امرها الا باداء حقوق التقوى وهي الاجتناب من ما منعه الله تعالى
من النفس والهوى ومعنى ان اتقوا الله اي انظروا بابصار القلوب الحجاب الغيوب حتى
ترون سبحات عظمتي وجلال عزتي الذي ينبغي للعباد ان يذوبوا تحت جلاله وَإِنْ تَكْفُرُوا
بما وصاكم الله به فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم
والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون
ثوابه وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا عن جميع خلقه غير محتاج الى طاعتهم حَمِيدًا مستحقا لان يحمد وان
لم يحمدوه قال فخر الاسلام الغني هو الذي لا تعلق له بغيره لا في ذاته ولا في صفات ذاته بل
يكون منزها عن العلاقة مع الاغيار فمن تعلق ذاته او صفات ذاته بامر خارج من ذاته يتوقف
عليه وجوده او كماله فهو فقير محتاج الى الكسب ولا يتصور ذلك الا لله تعالى ولا يتصور ان
يصير شيء باغنائه غنيا مطلقا فان اقل اموره انه يحتاج الى المغني فلا يكون غنيا ولكن اذا
لم يبق له حاجة الا الى الله تعالى سمي غنيا والحميد هو المحمود المثنى عليه والله تعالى هو الحميد
بحمده لنفسه ازلا وبحمد عباده له ابدا ويرجع هذا الى صفات الجلال والعلو والكمال منسوبا
الى ذكر الذاكرين فان الحمد هو ذكر اوصاف الكمال من حيث هو كمال والحميد من العباد
من حمدت عقائده واخلاقه واعماله كلها وذلك محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومن تقرب منه من الانبياء ومن عداهم من الاولياء والعلماء بقدر ما يحمد من عقائده و
اخلاقه واعماله ولا يخلو احد من نقص فالحميد المطلق هو الله تعالى وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا قائما على كل نفس بما كسبت رقيبا شهيدا على كل شيء
إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ يعني الكفار وَيَأْتِ بِآخَرِينَ غيركم خيرا منكم اعبد لله
واطوع قال في الكشاف يروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم

بيده

بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد ابناء فارس وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا بليغ
القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده فما لم يزل ولا يزال مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا كالمجاهد يريد
بجهاده الغنيمة فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فاله يطلب احدهما دون الآخر والذي يطلبه
اخسهما لان من جاهد لله خالصا لم يخطئه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة الى جنبه
كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان اراده وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ثم لما
منع الناس من ان يقتصروا على طلب ثواب الدنيا امرهم ان يكونوا طالبين لثواب الآخرة يعني
ان كمال الانسان في ان يكون قوله وفعله لله وحركته وسكونه لله حتى يصير من الذين يكونون
في آخر مراتب الانسانية واول مراتب الملائكة فاما اذا عكس هذه القضية كان مثل البهيمة التي
منتهى امرها وجدان علف او السبع الذي غاية امره ايذاء حيوان فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا
قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ مجتهدين في اقامة العدل شُهَدَاءَ لِلَّهِ تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم
باقامتها قال الكاشف امر الله سبحانه وتعالى العباد بالانصاف والقسط والعدل في الشهادة عند
وقوع الحكم حتى تمل النفس الى غير الله اي راقبوني في امري ولا تراقبوا غيري فان الشاهد
العادل اذا كان مراقبا لي يرى شهودي على كل ذرة فيفرغ في شهادته من شهودي قال الجنيد
لن يصل الى فلك روح التوحيد ولعندك حق لم تقضه ولم ترده وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ولو كانت
الشهادة على انفسكم أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وفسر شهادة المرء على نفسه بالاقرار عليها قال
صاحب الكشاف ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على ابائكم و
اقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره إِنْ يَكُنْ المشهود
عليه غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا بالنظر لهما واراده مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة
لهما لما شرعها لانه انظر لعباده من كل ناظر فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا لان تعدلوا اي لتكونوا
عادلين وَإِنْ تَلْوُوا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل أَوْ تُعْرِضُوا عن الشهادة بما
عندكم وتمنعوها فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا فيجازيكم عليه قال السدي ان فقيرا وغنيا اختصما
الى النبي صلى الله عليه وسلم فكان صغوه مع الفقير يرى ان الفقير لا يظلم الغني فانزل الله تعالى
هذه الآية وامر بالقيام بالقسط مع الغني والفقير وقيل ان هذه الآية متعلقة بقصة طعمة بن
ابيرق فهي خطاب لقومه الذين جادلوا عنه وشهدوا له بالباطل فامرهم الله تعالى ان يكونوا
قائمين بالقسط شاهدين لله على كل حال ولو على انفسهم واقاربهم ثم لما بين الاحكام الكثيرة في هذه
السورة ذكر عقيبها الامر بالايمان فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ عن ابن عباس
نزلت هذه الآية في عبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن

اخت عبد الله بن سلام و سلمة بن اخته و يامين بن يامين فهؤلاء مؤمنوا اهل الكتاب
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم و قالوا انا نؤمن بك و بكتابك و بموسى و التورية و عزير
و نكفر بما سواه من الكتب و الرسل فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم بل آمنوا بالله و رسوله
محمد و القرآن و بكل كتاب كان قبله فانزل الله تعالى هذه الآية يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله و
رسوله اسم جنس مضاف يعني جميع رسله و الكتاب الذي نزل على رسوله يعني القرآن و الكتاب
الذي انزل من قبل من التورية و الانجيل و الزبور و سائر الكتب و من يكفر بالله و ملائكته
و كتبه و رسله و اليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا فلما نزلت هذه الآية قالوا فانا نؤمن بالله و
رسله و القرآن و بكل كتاب قبل القرآن و الملائكة و اليوم الآخر لا نفرق بين احد منهم و نحن له
مسلمون و قيل خطاب لاهل الكتاب من اليهود و النصارى جميعا و المعنى يا ايها الذين آمنوا بموسى
و التورية و عيسى و الانجيل آمنوا الآية و قيل خطاب للمنافقين و المعنى يا ايها الذين آمنوا
بالسنتهم آمنوا بقلوبكم و قيل خطاب للمؤمنين و المعنى يا ايها الذين آمنوا اثبتوا على الايمان ثم لما
امر بالايمان و رغب فيه بين فساد طريقة من يكفر بعد الايمان فقال ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم
آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا قال ابن عباس و قتادة هم اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا من بعد
عبادتهم العجل ثم آمنوا بالتورية ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد عليه الصلوة و السلام و قيل
هو في جميع اهل الكتاب آمنوا بنبيهم ثم كفروا به و آمنوا بالكتاب الذي نزل عليه ثم كفروا به و كفرهم
تركهم اياه ثم ازدادوا كفرا بمحمد صلى الله عليه وسلم و قيل هذا في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا ثم
ثم آمنوا ثم ارتدوا و مثل هذا اهل تقبل توبته حكي عن علي رضي الله عنه انه لا تقبل توبته بل يقتل
لقوله تعالى لم يكن الله ليغفر لهم و اكثر اهل العلم على قبول توبته لم يكن الله ليغفر لهم ما اقاموا
على الكفر و ماتوا عليه لقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف يعني من
كفرهم و لا ليهديهم سبيلا قال صاحب الكشاف المعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد و عهد منهم
ازدياد الكفر و الاصرار عليه يستبعد منهم ما يستحقون به المغفرة من ايمان صحيح ثابت لان
قلوبهم ضريت على الردة قال الاستاد ان الذين تبدلت بهم الاحوال فقاموا و سقطوا ثم انتعشوا
ثم عثروا ثم ختم بالسوء احوالهم اولئك الذين قصمتهم سطوات العز حكما و ادركتهم شقاوة
القسمة خاتمة و حالا فالحق تعالى لا يهديهم لقصد و لا يدلهم على رشد بشر المنافقين اي اخبرهم
يا محمد بان لهم عذابا اليما فوضع بشر مكان اخبر تهكما بهم الذين يتخذون منصوب على الذم
او رفع و المعنى اريد الذين يتخذون او هم الذين يتخذون الكافرين اولياء يوالون اليهود
و يقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة الغلبة على

محمد و اصحابه

محمد و اصحابه قال محمد بن الفضل كيف يبتغي العزة ممن عزته بغيره فاطلب العزة من مظانه و مكانه
قال الله فان العزة لله جميعا فمن اعتز بالعزيز اعزه و من اعتز بغيره اذله قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من اعتز بالعبيد اذله الله فاسع العز ممن عند رب العزة يعزك في الدنيا و الآخرة
قال ابو سعيد الخراز العارف بالله لا يرى عزة الا منه فان العزة لله جميعا اي الغلبة و القدرة لله
جميعا فلله العزة و لرسوله و للمؤمنين و قد نزل عليكم يا معشر المسلمين في الكتاب ان اذا سمعتم
آيات الله يعني القرآن يكفر بها و يستهزأ بها فلا تقعدوا معهم مع الذين يستهزؤن حتى يخوضوا
في حديث غيره اي ياخذوا في حديث غير الاستهزاء بمحمد و القرآن و هذا اشارة الى ما انزل في
سورة الانعام و اذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره قال
الضحاك عن ابن عباس دخل في هذه الآية كل محدث في الدين و كل مبتدع الى يوم القيمة انكم اذا
مثلهم اي ان قعدتم عندهم و هم يخوضون و يستهزؤن و رضيتم به فانتم كفار مثلهم و ان خاضوا
في حديث غيره فلا باس بالقعود معهم مع الكراهة قال الحسن لا يجوز القعود معهم و ان خاضوا في حديث
غيره لقوله تعالى و اما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين و الاكثرون
على الاول فآية الانعام مكية و هذه مدنية و المتاخر اولى و بالجملة من خالط من يباشر منكرا
و رضي بفعله فهو بمنزلته و ان لم يباشره و ان جلس و لم يرض بفعلهم بل كان ساخطا له فالاثم
فيه اهون ان الله جامع المنافقين و الكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم اي
ينتظرون بكم بدل من الذين يتخذون او صفة المنافقين او نصب على الذم الدوائر ما
يتجدد لكم من ظفر او خيبة فان كان لكم فتح من الله يعني ظفرا او غنيمة قالوا الم نكن
معكم على دينكم و في الجهاد و كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا و ان كان للكافرين نصيب ظهور على المسلمين
قالوا اي المنافقون للكفار الم نستحوذ عليكم الم نغلبكم و نتمكن من قتلكم و اسركم مع محمد فابقينا
عليكم و الاستحواذ هو الاستيلاء و الغلبة قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان اي استولى و غلب قال
المبرد يقول المنافقون للكفار الم نغلبكم على رايكم و نمنعكم و نصرفكم عن المؤمنين اي عن الدخول في
جملتهم و قيل معناه الم نستول عليكم بالنصرة لكم و نمنعكم من المؤمنين اي ندفع عنكم صولة المؤمنين بتخذيلهم
عليكم و مراسلتنا اياكم باخبارهم و امورهم و مراد المنافقين بهذا الكلام اظهار المنة على الكافرين
فالله يحكم بينكم يوم القيمة يعني بين اهل الايمان و اهل النفاق و لن يجعل الله للكافرين على
المؤمنين سبيلا قال علي رضي الله عنه في الآخرة و قال عكرمة عن ابن عباس اي حجة ان المنافقين
يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان و ابطان الكفر و هو خادعهم و هو
فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء و الاموال في الدنيا و اعد لهم

الدرك الاسفل من النار في الآخرة روي انهم يعطون نورا يوم القيمة كالمؤمنين فيمضي المؤمنون
بنورهم على الصراط و يطفي نور المنافقين و اذا قاموا الى الصلوة يعني المنافقين قاموا
كسالى اي متثاقلين لا يريدون بها الله يراؤن الناس اي يفعلون ذلك مراياة للناس
لا اتباعا لامر الله عز و جل قال قتادة و الله لولا الناس ما صلى منافق و لا يذكرون الله الا
قليلا قال ابن عباس و الحسن انما قل ذلك لانهم يفعلونها رياء و سمعة و لو ارادوا بذلك
القليل وجه الله لكان كثيرا و قال قتادة انما قل ذكر المنافقين لان الله تعالى لم يقبله و كل ما
قبله الله فهو كثير و قيل المراد بذكر الله الصلوة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من احسن الصلوة حيث يراه الناس و اساءها حيث يخلو فتلك استهانة استهان بها ربه
رواه ابو يعلى الحافظ مذبذبين بين ذلك اي مترددين متحيرين بين الكفر و الايمان
لا الى هؤلاء و لا الى هؤلاء ليسوا مع المؤمنين ظاهرا و باطنا و لا مع الكافرين ظاهرا و
باطنا بل ظواهرهم مع المؤمنين و بواطنهم مع الكافرين و منهم من يعتريه الشك فتارة يميل الى
هؤلاء و تارة يميل الى هؤلاء كلما اضاء لهم مشوا فيه و اذا اظلم عليهم قاموا و قال مجاهد مذبذبين
بين ذلك لا الى هؤلاء و لا الى هؤلاء يعني اليهود عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله
عليه وسلم مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة و الى هذه مرة لا تدري
ايتهما تتبع رواه مسلم و غيره و من يضلل الله فلن تجد له سبيلا ثم انه تعالى لما ذم المنافقين
بانهم مرة الى الكفار و مرة الى المسلمين من غير ان يستقروا مع احد الفريقين نهى المسلمين في
هذه الآية عن ان يفعلوا مثل فعلهم فقال يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من
دون المؤمنين أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة على النفاق ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار الطبق الذي في قعر جهنم و النار سبع دركات و سميت طبقاتها دركات
لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض قال ابن مسعود الدرك الاسفل توابيت من حديد
مقفلة في النار قال ابو هريرة رضي الله عنه بيت مقفل عليهم تتوقد فيه النار من فوقهم و من
تحتهم و المنافق اشد عذابا من الكافر لانه ضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام و المسلمين و افشاء
اسرارهم و نقلها الى الكافرين و لن تجد لهم نصيرا مانعا من العذاب الا الذين تابوا من النفاق
و آمنوا و اصلحوا عملهم و ما افسدوا من احوالهم في حال النفاق و اعتصموا بالله و وثقوا
به كما يثق المؤمنون الخلص و اخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه عن معاذ بن جبل
رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اخلص دينك يكفيك القليل من العمل
رواه ابن ابي حاتم فاولئك مع المؤمنين فهم اصحاب المؤمنين و رفقاؤهم في الدارين قال ابن عطاء

التوبة

الجزء السادس

التوبة الرجوع من ابواب الخلاف الى ابواب الائتلاف و قال محمد بن الفضل الاعتصام هو التشبث
بالسنة و طرق السلف و قال سهل تابوا من التوبة و سوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما
فيسالونهم و يساهمونهم ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم و آمنتم فان تعذيبه اياكم لصلاح حالكم
فان صلح حالكم و شكرتم المنعم الذي انعم عليكم بجلائل النعم و دقائقها بالايمان و العمل الصالح فتعذيبه
اياكم لا يزيد في ملكه و ترك تعذيبكم لا ينقص من سلطانه جل و علا و كان الله شاكرا عليما
فالشكر من العبد الايمان و الطاعة و من الله الثواب و الرضا بالقليل من العباد مع اضعاف
الثواب ثم انه تعالى لما هتك ستر المنافقين و فضحهم و كان هتك الستر غير لايق بالرحيم الكريم
ذكر تعالى ما يجري مجرى العذر من ذلك فقال لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا
من ظلم يعني انه تعالى لا يحب اظهار الفضائح و القبائح الا في حق من عظم ضرره و كثر كيده
و مكره فعند ذلك يجوز اظهار فضائحه و لهذا قال عليه السلام اذكروا الفاسق كي يحذره
الناس و هؤلاء المنافقون كان قد كثر مكرهم و كيدهم و ظلمهم في حق المسلمين و عظم ضررهم
فلهذا المعنى ذكر الله فضائحهم و كشف اسرارهم عن ابن عباس لا يحب الله ان يدعو احد على
احد الا ان يكون مظلوما فانه ارخص له ان يدعو على من ظلمه و ذلك قوله الا من ظلم
و ان صبر فهو خير له قال الحسن البصري لا يدع عليه و ليقل اللهم اعني عليه و استخرج حقي
منه و في رواية عنه قال قد ارخص له ان يدعو على من ظلمه من غير ان يعتدي عليه قال
عبد الكريم الجزري هو الرجل يشتمك فتشتمه و لكن ان افترى عليك فلا تفتر عليه قال تعالى و لمن
انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم رواه ابو داود و قال مجاهد هذا في
الضيف اذا نزل بقوم فلم يقروه و لم يحسنوا ضيافته فله ان يشكو و يذكر ما صنع به و قال
مقاتل نزلت في ابي بكر الصديق و ذلك ان رجلا نال منه و النبي صلى الله عليه وسلم حاضر
فسكت عنه ابو بكر مرارا ثم رد عليه فقام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله
شتمني فلم تقل له شيئا حتى اذا رددت عليه قمت قال ان ملكا كان يجيب عنك فلما رددت
عليه ذهب الملك و جاء الشيطان فقمت و نزلت هذه الآية و كان الله سميعا لدعاء المظلوم
عليما بعقاب الظالم قال الكاشفي بين سبحانه و تعالى شفقته على العباد حيث لا يرضى بتشنيع
الغير عليهم ظاهرا فكيف يرضى من نفسه ان يهتك سترهم ان تبدوا خيرا او تخفوه ذكر
ابداء الخير و اخفاءه ثم عطف العفو عليها تنبيها على منزلته و ان له مكانا في باب الخير
و سيطا يعني ان تظهروا ايها الناس خيرا من اعمال البركات كالصيام و الصدقة و القيام

بالليل او

والصلة او تخفوا الخير فلا تظهروه او تعفوا عن سوء عمن اساء اليكم فان الله كان عفوا قديرا اى يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تعتبروا بسنة الله وقد في الاثر ان حملة العرش يسبحون الله عز وجل فيقول بعضهم سبحانك على حلمك بعد علمك ويقول بعضهم سبحانك على عفوك بعد قدرتك وفي الحديث الصحيح ما نقص مال من صدقة وما زاد الله عز وجل بعفو الا عزا ومن تواضع لله رفعه الله ثم انه تعالى لما تكلم على طريقة المنافقين صار يتكلم على مذاهب اليهود والنصارى ومناقضاتهم وذكر من هذا الجنس انواعا فقال ان الذين يكفرون بالله ورسله نزلت في اليهود وذلك انهم آمنوا بموسى والتورية وعزير وكفروا بعيسى والانجيل ومحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اى دينا بين اليهودية والاسلام ومذهبا يذهبون اليه اولئك هم الكافرون حقا تحقيق كفرهم ليعلم ان الكفر ببعضهم كالكفر بجميعهم واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله كلهم ولم يفرقوا بين احد منهم يعني من الرسل وهم المؤمنون يقولون لا نفرق بين احد من رسله اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما هو كالترغيب لليهود والنصارى في الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم بان الله تعالى يغفر لهم ويتجاوز عن سيئاتهم التي كانت في حال الكفر ويرحمهم يسألك اهل الكتاب يعني يسألك يا محمد اهل الكتاب وهم اليهود وذلك ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء من اليهود قالا للرسول صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا فأتنا بكتاب جملة من السماء كما اتى به موسى عليه السلام فانزل الله عز وجل يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء وكان هذا السؤال منهم سؤال تحكم واقتراح لا سؤال انقياد والله لا ينزل الآيات على اقتراح العباد ولان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت قد تقدمت وظهرت فكانت الزيادة من باب التعنت فقد سألوا موسى اكبر من ذلك فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتوبيخ وتقريع لليهود حيث سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم سؤال تعنت والمعنى لا تعظمن عليك يا محمد مسألتهم ذلك يعني السبعين الذين خرج بهم موسى عليه السلام الى الجبل اعظم من ذلك فقالوا ارنا الله جهرة اى عيانا فاخذتهم الصاعقة بظلمهم بسبب ظلمهم وسوء الرؤية ثم اتخذوا العجل يعني الها وهم الذين خلفهم موسى مع اخيه هارون حين خرج الى ميقات ربه من بعد ما جاءتهم البينات الدلائل الواضحة الدالة على صدق موسى عليه السلام فعفونا عن ذلك ولم نستاصلهم

اى اعظم من ذلك م

فقد سالوا م

قبل

قبل هذا استدعاء الى التوبة معناه ان اولئك الذين اجرموا تابوا فعفونا عنهم فتوبوا انتم حتى نعفو عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا حجة بينة من المعجزات ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب اخذ ميثاقهم وذلك ان بني اسرائيل امتنعوا من قبول التورية والعمل بما فيها فرفع الله فوقهم الطور حتى اظلهم ليخافوا فلا ينقضوا العهد والميثاق وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا فخالفوا ودخلوا وهم يزحفون على استاههم وقلنا لهم لا تعدوا في السبت لا تظلموا باصطياد الحيتان فيه واخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم اى فبنقضهم ميثاقهم وبسببه فعلنا بهم ما فعلنا وكفرهم بآيات الله وبسبب جحودهم آيات الله الدالة على صدق انبيائه وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا اى في اكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والموعظة اى بل ختم الله على قلوبهم بسبب كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا المراد به عبد الله بن سلام واصحابه وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وذلك ان الله تعالى القى شبه عيسى بن مريم عليهما السلام على الذي دل عليه اليهود وقيل انهم حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيبا فالقى الله تعالى شبه عيسى عليه السلام على الرقيب فقتلوه وقيل غير ذلك وقد ذكر في آل عمران وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه اى في قتله قال الكلبي اختلافهم فيه هو ان اليهود قالوا نحن قتلناه وقالت طائفة منهم ما قتله هؤلاء ولا هؤلاء بل رفعه الله الى السماء ونحن ننظر اليه وقيل كان الله تعالى القى شبه وجه عيسى على وجه ططيانوس ولم يلقه على جسده فاختلفوا فيه فقال بعضهم قتلنا عيسى فان الوجه وجه عيسى وقال بعضهم لم نقتله لان جسده ليس جسد عيسى وقال السدي اختلافهم من حيث انهم قالوا ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وقال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن لكنهم يتبعون الظن في قتله قال الله تعالى وما قتلوه يقينا فلا تقينا او ما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك عن ابن عباس انه قال معناه ما قتلوه بل ظنوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا منيع الجناب لا يرام جنابه حكيما في جميع ما يقدره ويقضيه وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ثم لما ذكر فضائح اليهود وقبائح افعالهم وشرح انهم قصدوا قتل عيسى عليه السلام وبين انه ما حصل لهم ذلك المقصود بين ان هؤلاء لا يخرج احد منهم من الدنيا الا بعد ان يؤمن به فقال وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به اى بعيسى

وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما م

هذام

هذا قول اكثر المفسرين واهل العلم قبل موته قال عكرمة ومجاهد والضحاك والسدي معناه وما من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موته اذا وقع في الباس حين لا ينفع ايمانا وهذا رواية علي بن طلحة عن ابن عباس قال فقيل لابن عباس ارأيت ان خر من فوق بيت قال يتكلم به في الهواء فقيل ارأيت ان ضرب عنقه قال يتلجلج بها لسانه وقال قوم معناه وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وذلك عند نزوله من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد الا من آمن به حتى تكون الملة واحدة ملة الاسلام عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله احد ويهلك في زمانه الملل كلها الا الاسلام ويقتل الدجال وفي رواية الامام احمد وينزل الروحاء فيحج منها او يعتمر او يجمعهما فيمكث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون وقال ابو هريرة اقرأوا ان شئتم وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته قبل موت عيسى بن مريم يعيدها ابو هريرة ثلث مرات وروي عن عكرمة ان الهاء في قوله ليؤمنن به كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت كتابي حتى يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل راجعه الى الله عز وجل يقول وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن بالله عز وجل قبل موته عند المعاينة حين لا ينفع ايمانه عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة الانبياء اخوة لعلات امهاتهم شتى ودينهم واحد رواه البخاري وعنه رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف انتم اذا نزل فيكم ابن مريم وامامكم منكم رواه البخاري والاحاديث في هذا الباب كثيرة ويوم القيامة يكون اى عيسى عليه السلام عليهم شهيدا كما قال تعالى مخبرا عنه وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وكل نبي شاهد على امته قال الله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ثم لما شرح فضائح اعمال اليهود وقبائح افعالهم ذكر عقيبه تشديده تعالى عليهم في الدنيا والآخرة فقال فبظلم من الذين هادوا اى فبظلم عظيم من الذين هادوا وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وهي ما ذكر في سورة الانعام وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وبصدهم عن سبيل الله وبصرفهم انفسهم وغيرهم عن دين الله كثيرا اى ناسا كثيرا او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه في التورية واكلهم اموال الناس بالباطل من الرشى في الحكم والمآكل التي يصيبونها من عوامهم واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن الراسخون في العلم اولو البصائر منهم مثل عبد الله بن سلام

واصحابه

واصحابه قال الكاشف والمؤمنون منهم او من المهاجرين والانصار يؤمنون بما انزل اليك يعني القرآن وما انزل من قبلك يعني سائر الكتب المنزلة والمقيمين الصلوة نصب على المدح لبيان فضل الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما وقد ذكر ان ما سماه الله تعالى عظيما يكون في غاية العظم قال الكاشف الراسخون في العلم المستقيمون في سماع خطاب الخاص من الله سبحانه بغير معارضة النفوس واضطراب لانهم عالمون الهام الحق من وسوسة الشيطان وهم يفرقون بين لمة الشيطان ولمة الملك ويعرفون خطاب العقل والقلب والنفس والروح والملك والسر والشيطان ويعرف به مكان كل خطاب علمهم لدني ولسانهم الهي وقلبهم عرشي وروحهم ملكوتية واسرارهم مسحورة بالعلوم المجهولة والاسرار العجيبة الغيبية ويؤيدها في جميع الانفاس عرفان القرآن والسنة وكلام الاولياء فبل هم الواقفون مع حدود العلم وشرائطه لا يتجاوزونها لرخص والتأويلات انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي كشان سائر الانبياء الذين سلفوا بعد ذكر جحودهم وذنوبهم كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده ذكر عدة من الرسل الذين اوحي اليهم وبدأ بذكر نوح عليه السلام لانه كان ابا البشر مثل آدم عليه السلام قال الله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين ولانه اول نبي من انبياء الشريعة واول نذير على الشرك واول من عذبت امته لردهم دعوته واهلك اهل الارض بدعائه وكان اطول الانبياء عمرا وجعلت معجزته في نفسه لانه عمر الف سنة فلم ينقص له سن ولم يشب له شعر ولم ينقص له قوة ولم يصبر على اذى قومه ما صبر هو على طول عمره واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وهم اولاد يعقوب وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا قرئ بضم الزاء فيكون جمع زبر وهو الكتاب اى آتينا داود كتبا وصحفا مزبورة اى مكتوبة وقرئ بفتح الزاء وهو اسم الكتاب الذي انزله الله تعالى على داود عليه السلام وكان فيه التحميد والتمجيد والثناء على الله تعالى وكان داود يبرز الى البرية فيقوم ويقرأ الزبور ويقوم معه علماء بني اسرائيل فيقومون خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس الاعظم فالاعظم والشياطين خلف الجن وتجيء الدواب التي في الجبال فيقمن بين يديه تعجبا لما يسمعن منه والطير ترفرف على رؤسهم فلما قارف الذنب لم ير ذلك فقيل له ذاك انس الطاعة وهذا وحشة المعصية ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل وهذه تسمية الانبياء الذين نص الله تعالى

تحرک م

على اسمائهم فى القرآن آدم ادريس نوح هود صالح ابرهيم لوط اسمعيل اسحق يعقوب
يوسف ايوب شعيب موسى هرون يونس داود سليمان الياس و اليسع زكريا
يحيى عيسى عليهم الصلوة و السلام وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ
عَلَيْكَ لم يذكروا فى القرآن وقد جاء فى بعض الاحاديث الضعيفة ان الانبياء مائة الف
واربعة وعشرون الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر وروى ابو يعلى عن انس رضى الله عنه
كان فيمن خلا من الانبياء ثمانية الاف نبى ثم كان عيسى بن مريم ثم كنت وروى الذهبى
باسناد رجاله معروفون الا واحدا منهم لم يعرف بعدالة ولا جرح وهو احمد بن طارق
عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على اثر ثمانية الاف نبى منهم
اربعة الاف من بنى اسرائيل وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا هذا تشريف لموسى عليه الصلوة والسلام
بهذه الصفة قال الفراء العرب يسمى ما يوصل الى الانسان كلاما باى طريق وصل ولكن
لا تحققه بالمصدر فاذا حقق بالمصدر لم يكن الا حقيقة الكلام كالارادة يقال اراد ارادة
يريد حقيقة الارادة ويقال اراد الجدار ولا يقال اراد الجدار ارادة لانه مجاز غير حقيقة
رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ فيقولوا ما ارسلت
الينا رسولا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ قيل لما نزل انا اوحينا
اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته
لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات عن ابن عباس ان رؤساء مكة اتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انا سألنا عنك اليهود وعن صفتك فى كتابهم
فزعموا انهم لا يعرفونك ودخل عليه جماعة من اليهود فقال لهم والله انكم لتعلمون انى
رسول الله فقالوا ما نعلم ذلك فانزل الله عز وجل لكن الله يشهد بما انزل اليك ان محمدا رسول الله
أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ الخاص الذى لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ فهذه
الجملة بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله بالنظم المعجز وقيل انزله وهو عالم بانك
اهل لانزاله اليك وقيل انزله بما علم من مصالح العباد قال صاحب الكشاف
ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة وَ
الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملائكة يشهدون بصحة
ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ
سَبِيلِ اللَّهِ بكتمان نعت محمد صلى الله عليه وسلم قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَظَلَمُوا محمدا صلى الله عليه وسلم بكتمان نعته لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا

يعنى

يعنى دين الاسلام إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ يعنى اليهودية خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا وهذا فى حق من سبق حكمه فيهم انهم لا يؤمنون ثم لما اجاب عن شبهة اليهود وبين فساد
طريقهم ذكر خطابا عاما يعمهم ويعم غيرهم فى الدعوة الى دين محمد عليه السلام فقال يَا أَيُّهَا النَّاسُ
قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ تقديره فآمنوا يكن الايمان خيرا لكم
وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ثم لما اجاب عن شبهات
اليهود تكلم بعد ذلك لدفع النصارى فقال يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ الغلو مجاوزة الحد
وولاية كما قال الحسن يجوز ان يكون فى اليهود والنصارى فى رفع المسيح عن مقداره جمعا فانه غلت النصارى م
حيث جعلوه الها وغلت اليهود فى حطه عن منزلته حيث جعلته مولود الغير رشده وَلَا
تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ قيل لعيسى كلمة
الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ونطفة أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ
اوصلها اليها وحصلها فيها وَرُوحٌ مِنْهُ من عند الله وقدرته الخالصة من غير ان توجد
فى جزء من ذى روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحى عن عبادة عن النبى صلى الله عليه فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ م
وسلم قال من شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وان
عيسى عبد الله ورسوله وكلمته القاها الى مريم وروح منه والجنة والنار حق ادخله
الجنة على ما كان من العمل رواه البخارى وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ اى لا تجعلوا عيسى وامه
مع الله شريكين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وهذه الاية كالاية التى تاتى فى سورة المائدة
حيث يقول عز وجل لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد و
كما قال تعالى فى اخر السورة المذكورة واذ قال الله يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذونى و
امى الهين من دون الله قال سبحانك الآية فالنصارى ليس لهم ضابط ولا لكفرهم حد بل
اقوالهم منتشرة فمنهم من يعتقده الها ومنهم من يعتقده شريكا ومنهم من يعتقده ولدا
وهم طوائف كثيرة ولقد احسن بعض المتكلمين حيث قال لو اجتمع عشرة من النصارى
لافترقوا على احد عشر قولا انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ الانتهاء يكن الانتهاء خيرا لكم إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ
يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا اى الجميع ملكه وخلقه
وتحت تدبيره وتصرفه وهو وكيل على كل شىء فكيف يكون له منهم صاحبة او ولد كما قال
بديع السموات والارض انى يكون له ولد عن ابن عباس عن عمر رضى الله عنهم قال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تطرونى كما اطرت النصارى عيسى بن مريم فانما انا عبد
الله ورسوله قال حجة الاسلام الوكيل هو الموكول اليه الامور ولكن الموكول اليه ينقسم

الى من يوكل بعض الامور والى من يوكل اليه الكل وليس ذلك الا الله والموكول اليه ينقسم
الى ان يكون موكولا اليه لا بذاته والى من يستحق بذاته وان يكون الامور موكولة اليه والقلوب
متوكلة عليه لا بتوليه وتفويض من جهة غيره وذلك هو الوكيل المطلق والوكيل ايضا ينقسم
الى من يفى بما وكل اليه وفاء تاما من غير قصور والى من لا يفى بالجميع فالوكيل المطلق هو الذى
الامور موكولة اليه وهو الملى بالقيام بها الوفى باتمامها وذلك هو الله تعالى فقط وقد فهمت
من هذا مقدار مدخل العبد فى معنى هذا الاسم لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وذلك
ان وفد نجران قالوا يا محمد انك تعيب صاحبنا فتقول انه عبد الله فقال النبى صلى الله عليه
وسلم انه ليس بعار لعيسى ان يكون عبد الله فنزل لن يستنكف المسيح اى لن يانف ولن
يتعظم ان يكون عبد الله وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وهم حملة العرش لن يانفوا ان يكونوا عبيد الله
مع انهم اقدر من المسيح وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا فَأَمَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ من التضعيف مما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر واما الذين استنكفوا واستكبروا عن
عبادته فيعذبهم عذابا اليما وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ثم لما اورد الحجة
على جميع الفرق من المنافقين والكفار واليهود والنصارى واجاب عن جميع شبهاتهم عمم
الخطاب ودعى جميع الناس الى الاعتراف برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فقال يَا أَيُّهَا
النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ
نُورًا مُبِينًا يعنى القرآن فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ امتنعوا به من زيغ
الشيطان وقد سبق فى اول التفسير فى الحديث المنقول عن امير المؤمنين على رضى الله عنه
انه الصراط المستقيم والحبل المتين فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ يعنى الجنة وَيَهْدِيهِمْ
إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ثم لما تكلم تعالى فى اول السورة فى احكام الاموال ختم آخر هذه
السورة بذلك ليكون الآخر مشاكلا للاول فقال يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ
نزلت فى جابر بن عبد الله قال عادنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مريض لا اعقل
فتوضأ وصب على من وضوئه فعقلت فقلت يا رسول الله لمن الميراث انما يرثنى كلالة
فنزلت يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة وقد ذكر معنى الكلالة وحكم الاية فى اول السورة
وفى هذه الآية بيان حكم ميراث الاخوة للاب والام وللاب يستفتونك اى يستخبرونك
ويسألونك قل الله يفتيكم فى الكلالة إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ
مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا يعنى اذا ماتت الاخت فجميع ميراثها للاخ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ

فان كان

فان كان لها ابن فلا شىء للاخ وان ولدها انثى فللاخ ما فضل من فرض البنات فَإِنْ
كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ اراد اثنتين فصاعدا فان من مات وله اخوات فلهن
الثلثان وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
أَنْ تَضِلُّوا كراهة ان تضلوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فهو عالم بعواقب الامور ومصالحها
وما فيه الخير لعباده وما يستحقه كل واحد من القرابات بحسب قربه من المتوفى عن
البراء قال آخر سورة نزلت كاملة براءة وآخر آية نزلت خاتمة سورة النساء يستفتونك
قل الله يفتيكم فى الكلالة وروى عن ابن عباس آخر آية نزلت آية الربوا وآخر سورة نزلت
اذا جاء نصر الله والفتح وروى عنه ان آخر آية نزلت قوله واتقوا يوما ترجعون فيه
الى الله ويروى بعد ما نزلت سورة النصر عاش النبى صلى الله عليه وسلم عاما ونزلت
بعدها سورة براءة وهى آخر سورة نزلت كاملة فعاش بعدها ستة اشهر ثم نزل
فى طريق حجة الوداع يستفتونك قل الله يفتيكم فى الكلالة فسميت آية الصيف ثم نزلت وهو
واقف بعرفة اليوم اكملت لكم دينكم فعاش بعدها احدا وثمانين ثم نزلت اية الربوا
ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احدا وعشرين يوما قال الامام
واعلم ان فى هذه السورة لطيفة عجيبة وهى ان اولها مشتمل على بيان كمال قدرة الله تعالى
فانه قال يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وهذا دال على سعة القدرة
وآخرها مشتمل على كمال بيان العلم وهو قوله والله بكل شىء عليم وهذان الوصفان اللذان
بهما تثبت الربوبية والالهية والجلالة والعزة وبهما يجب على العبد ان يكون مطيعا للاوامر
والنواهى منقادا لكل التكاليف والله اعلم سُورَةُ الْمَائِدَةِ مدنية كلها الا قوله اليوم اكملت لكم دينكم
فانها نزلت بعرفات مائة وثلث وعشرون اية عن جبير بن نفير قال حججت فدخلت على
عائشة رضى الله عنها فقالت لى يا جبير تقرأ المائدة قلت نعم فقالت اما انها آخر سورة نزلت
فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرموه رواه الحاكم قال هو صحيح على شرط الشيخين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ اى بالعهود قاله ابن عباس وغيره قال الزجاج هى اوكد
العقود يقال عاقدت فلانا وعقدت عليه اى الزمته ذلك باستيثاق واصله من عقد
الشىء بغيره ووصله به كما يعقد الحبل بالحبل واختلفوا فى هذه العقود قال ابن جريج هذا
خطاب لاهل الكتاب يا ايها الذين آمنوا بالكتب المتقدمة اوفوا بالعهود التى عهدتها
اليكم فى شان محمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب

لیبینه للناس وقال الآخرون هو عام وقال ابن عباس هی عهود الایمان والقرآن عن عبد الله بن ابی بکر بن محمد بن عمرو بن حزم عن ابیه قال هذا کتاب رسول الله صلی الله علیه وسلم عندنا الذی کتبه لعمرو بن حزم حین بعثه الی الیمن یفقه اهلها ویعلمهم السنة ویاخذ صدقاتهم فکتب له کتابا وعهدا وامره فیه بامره فکتب بسم الله الرحمن الرحیم هذا کتاب من الله ورسوله یا ایها الذین آمنوا اوفوا بالعقود عهد من محمد رسول الله صلی الله علیه وسلم لعمرو بن حزم حین بعثه الی الیمن امره بتقوی الله عز وجل فی امره کله فان الله مع الذین اتقوا والذین هم محسنون رواه ابن ابی حاتم فهی کما صرح به علی بن ابی طلحة عن ابن عباس رضی الله عنهما ما احل الله وما حرم وما فرض وما حد فی القرآن کله فهو کلام قوم مجملا ثم عقب بالمفصل أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ قال الحسن وقتادة هی الانعام کلها وهی الابل والبقر والغنم واراد تحلیل ما حرم اهل الجاهلیة علی انفسهم من الانعام وعن ابن عباس رضی الله عنهما انه قال بهیمة الانعام هی الاجنة ومثله عن الشعبی قال هی الاجنة توجد میتة فی بطون امهاتها اذا ذبحت او نحرت ذهب اکثر اهل العلم الی تحلیله عن جابر عن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال ذکوة الجنین ذکوة امه رواه ابو داود والترمذی وغیرهما وقیل بهیمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها کانهم ارادوا ما یماثل الانعام من جنس البهائم إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آیه تحریمه فی قوله تعالی حرمت علیکم المیتة الی قوله وما ذبح علی النصب فان الانعام تحرم بتلک العوارض غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ای لا محلی الصید وانتم فی حال الاحرام والحرم جمع حرام وهو المحرم فالمعنی احلت لکم الانعام الا بعضها وهو ما یتلی علیکم تحریمه فی حال امتناعکم من الصید وانتم محرمون إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ من الاحکام ویعلم انه حکمة ومصلحة قال اصحابنا علیه حسن التکالیف الربوبیة والعبودیة وقالت المعتزلة رعایة المصالح الکاشف قال جعفر حکم بالارادة وامضی ارادته ومشیته ومن رضی بحکمه استراح وهدی لسبیل رشده ومن سخط فان حکمه امضی وله منه السخط والهوان ثم انه تعالی لما حرم الصید اکد بذلک بان نهی عن مخالفة تکالیفه فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ نزلت فی الحطم واسمه شریح بن ضبیعة البکری اتی المدینة وخلف خیله خارج المدینة ودخل وحده علی النبی صلی الله علیه وسلم فقال له الی ما تدعو الناس فقال الی شهادة ان لا اله الا الله واقام الصلوة وایتاء الزکوة فقال حسن الا ان لی امراء لا اقطع امرا دونهم ولعلی اسلم وآتی بهم وقد کان النبی صلی الله علیه وسلم قال لاصحابه یدخل علیکم رجل من ربیعة یتکلم بلسان شیطان

ثم خرج شریح من عنده فقال رسول الله صلی الله علیه وسلم لقد دخل بوجه کافر وخرج بقفاء غادر وما الرجل بمسلم فمر بسرح المدینة فاستاقه وانطلق فاتبعوه فلم یدرکوه فلما کان العام القابل خرج حاجا فی حجاج بکر بن وائل من الیمامة ومعه تجارة عظیمة وقد قلد الهدی فقال فقال المسلمون للنبی صلی الله علیه وسلم هذا الحطم قد خرج حاجا فخل بیننا وبینه فقال النبی صلی الله علیه وسلم انه قد قلد الهدی فقالوا یا رسول الله هذا شیء کنا نفعله فی الجاهلیة فابی النبی صلی الله علیه وسلم علیهم فانزل الله تعالی یا ایها الذین آمنوا لا تحلوا شعائر الله فنهاهم الله عن ذلک والشعائر جمع شعیرة وهی اسم ما اشعر ای جعل شعارا وعلما للنسک من مواقف الحج ومرامی الجمار والمطاف والمسعی والافعال التی هی علامات الحج یعرف بها من الاحرام والطواف والسعی والحلق والنحر قال ابن عباس ومجاهد هی مناسک الحج وکان المشرکون یحجون ویهدون فاراد المسلمون ان یغیروا علیهم فنهاهم الله عن ذلک وقال عطاء عن ابن عباس لا تحلوا شعائر الله هی ان تصید وانت محرم بدلیل قوله تعالی فاذا حللتم فاصطادوا وقال عطاء شعائر الله حرمات الله اجتناب سخطه واتباع طاعته وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ ای القتال فیه ذکره ابن عباس وغیره وقال ابن زید هو النسیء وذلک انهم کانوا یحلونه عاما ویحرمونه عاما وَلَا الْهَدْيَ ما اهدی الی البیت وتقرب به الی الله تعالی من النسایک من بعیر او بقرة او شاة وَلَا الْقَلَائِدَ جمع قلادة وهی ما قلد به الهدی من نعل او عروة مزادة او لحاء شجرة او غیره قال عطاء کانوا فی الجاهلیة اذا ارادوا الخروج من الحرم قلدوا انفسهم وابلهم شیئا من لحاء شجر الحرم کیلا یتعرض لهم فنهی الشرع عن استحلال شیء منها وقال مطرف بن شخیر کانوا یاخذون من لحاء شجر مکة ویتقلدونها فنهوا عن نزع شجرها وقال صاحب الکشاف واحلال هذه الاشیاء ان یتهاونوا بحرمة الشعائر وان یحال بینها وبین المتنسکین بها وان یحدثوا فی اشهر الحج ما یصدون به الناس عن الحج وان یتعرض للهدی بالغصب او بالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففیها وجهان احدهما ان یراد بها ذوات القلائد من الهدی وهی البدن وتعطف علی الهدی للاختصاص وزیادة التوصیة بها لانها اشرف الهدی کقوله وجبریل ومیکائیل کانه قیل والقلائد منها خصوصا والثانی ان ینهی عن التعرض لقلائد الهدی مبالغة فی النهی عن التعرض للهدی علی معنی ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها کما قال تعالی ولا یبدین زینتهن فنهی عن ابداء الزینة مبالغة فی النهی عن ابداء مواقعها وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ الام القصد ای ولا تحلوا قوما قاصدین المسجد الحرام يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وهو الثواب وَرِضْوَانًا

القلائد جمع قلادة ما یعلق علی الهدی

وان یرضی عنهم ای لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظیما لهم واستنکارا ان یتعرض لمثلهم قیل هی محکمة لما روی فی الصحیحین ان المائدة من آخر القرآن نزولا قال الحسن لیس فیها منسوخ وعن ابی میسرة فیها ثمانی عشرة فریضة لیس فیها منسوخ وقیل منسوخة وعن ابن عباس کان المسلمون والمشرکون یحجون جمیعا فنهی الله المسلمین ان یمنعوا احدا عن حج البیت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلک انما المشرکون نجس ما کان للمشرکین ان یعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبی لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حیث وجدتموهم قال محیی السنة وبقوله فلا یقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فلا یجوز ان یحج مشرک ولا یامن کافر بالهدی والقلائد وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشرکین کانوا یظنون فی انفسهم انهم علی سداد من دینهم وان الحج یقربهم الی الله فوصفهم الله بظنهم وقال قتادة هو ان یصلح معایشهم فی الدنیا ولا یعجل لهم العقوبة فیها وقیل ابتغاء الفضل للمؤمنین والمشرکین عامة وابتغاء الرضوان للمؤمنین خاصة لان المسلمین والمشرکین کانوا یحجون وَإِذَا حَلَلْتُمْ من احرامکم فَاصْطَادُوا امر اباحة اباح اخذ الصید الحلال بعد حظره علی المحرم وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ قال ابن عباس وقتادة ولا یحملنکم یقال جرمنی فلان علی ان صنعت کذا ای حملنی وقال الفراء لا یکسبنکم یقال جرم ای کسب ویقال فلان جریمة اهله ای کاسبهم شَنَآنُ قَوْمٍ شدة بغضهم وعداوتهم أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ای لان صدوکم ومعنی الآیة ولا یحملنکم عداوة قوم علی أَن تَعْتَدُوا علیهم بالقتل واخذ الاموال وَتَعَاوَنُوا ای لیعن بعضکم بعضا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ علی العفو والاغضاء وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ علی الانتقام والتشفی وقیل البر متابعة الامر والتقوی مجانبة النهی والاثم الکفر والعدوان الظلم ویجوز ان یراد العموم بکل بر وتقوی وکل اثم وعدوان عن النواس بن سمعان الانصاری قال سئل رسول الله صلی الله علیه وسلم عن البر والاثم فقال البر حسن الخلق والاثم ما حاک فی نفسک وکرهت ان یطلع علیه الناس وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ قال الامام تحریم المیتة موافق لما فی العقول لان الدم جوهر لطیف فاذا مات الحیوان حتف انفه احتبس الدم فی عروقه وتعفن وفسد وحصل من اکله مضار قال اهل العلم الغذاء یصیر من جوهر المتغذی ولا بد وان یحصل للمتغذی اخلاق وصفات من جنس ما کان حاصلا فی الغذاء والخنزیر مطبوع علی حرص عظیم ورغبة شدیدة فی المشتهیات فحرم اکله لئلا یتکیف الانسان بتلک الکیفیة واما الشاة فانها حیوان فی غایة السلامة فلذلک لا یحصل للانسان باکل لحمها کیفیة احسن

هذه الامور مستثناة من تحریم الآیة المتقدمة وهی المراد و الاول والثانی والثالث المیتة و الدم ولحم الخنزیر ۳ مصرح

عن احواله وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ای رفع الصوت لغیر الله به وهو قولهم باسم اللات والعزی عند ذبحه وَالْمُنْخَنِقَةُ وهی التی خنقوها حتی ماتت او انخنقت بسبب قال ابن عباس رضی الله عنهما کان اهل الجاهلیة یخنقون الشاة حتی اذا ماتت اکلوها وَالْمَوْقُوذَةُ هی المقتولة بالخشب قال قتادة کانوا یضربونها بالعصا فاذا ماتت اکلوها وَالْمُتَرَدِّيَةُ وهی التی تتردی من مکان عال او فی بئر فتموت وَالنَّطِيحَةُ وهی التی نطحها اخری فتموت وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ ای ما بقی مما اکل السبع وکان اهل الجاهلیة یاکلونه إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ یعنی الا ما ادرکتم ذکوته من هذه الاشیاء وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ قیل النصب جمع واحدها نصاب وقیل هو واحد وجمعها انصاب مثل عنق واعناق وهو الشیء المنصوب واختلفوا فیه فقال مجاهد وقتادة کان حول البیت ثلاثمائة وستون حجرا منصوبة کان اهل الجاهلیة یعبدونها ویعظمونها ویذبحون لها ولیست هی اصناما انما الاصنام هی المصورة المنقوشة وقال الآخرون هی الاصنام المنصوبة ومعناه ما ذبح علی اسم النصب قال ابن زید وما ذبح علی النصب وما اهل لغیر الله به هما واحد قال قطرب علی بمعنی اللام ای وما ذبح لاجل النصب وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ای وحرم علیکم الاستقسام بالازلام والاستقسام هو طلب القسم من الازلام والازلام هی القداح التی لا ریش لها ولا نصل واحدها زلم وزلم بفتح الزای وضمها وکانت ازلامهم سبعة قداح مستویة من شوحط تکون عند سادن الکعبة مکتوب علی واحد نعم وعلی واحد لا وعلی واحد منکم وعلی واحد من غیرکم وعلی واحد ملصق وعلی واحد العقل وواحد غفل لیس علیه شیء وکانوا اذا ارادوا امرا من سفر او نکاح او ختان او غیره او تدارؤا فی نسب او اختلفوا فی تحمل عقل جاؤا الی هبل وکانت اعظم اصنام قریش بمکة وجاؤا بمائة درهم فاعطوها صاحب القداح حتی یجیل القداح ویقولون یا الهنا انا اردنا کذا وکذا فان خرج نعم فعلوا وان خرج لا لم یفعلوا ذلک حولا ثم عادوا الی القداح ثانیة واذا اجالوا علی نسب فان خرج منکم کان وسطا منهم وان خرج من غیرکم کان حلیفا وان خرج ملصق کان علی منزلته لا نسب له ولا حلف فاذا اختلفوا فی عقل فمن خرج علیه قدح العقل حمله وان خرج الغفل اجالوا ثانیا حتی یخرج مکتوب فنهی الله تعالی وتقدس عن ذلک وحرمه وقال ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ فانه دخول فی علم الغیب الذی استاثر به علام الغیوب وقال لا یعلم من فی السموات والارض الغیب الا الله واعتقاد ان الیه طریقا والی استنباطه وقوله امرنی ربی ونهانی ربی افتراء علی الله وما یدریه انه امره او نهاه قال صاحب الکشاف الکهنة

عقل

والمنخوق بهذه المثابه وان كان المراد بالوب الصنم فقد روى انهم كانوا يحلون بها
عند اصنامهم فامره ظاهر وقال سعيد بن جبير الازلام حصى بيض كانوا يضربون بها وقال
مجاهد هي كعاب فارس والروم التي يتقامرون بها وقال الشعبي وغيره الازلام للعرب
والكعاب للعجم وقال سفين بن وكيع هي الشطرنج وروينا ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال العيافة والطرق والطيرة من الجبت والمراد من الطرق الضرب بالحصى عن ابي الدرداء
رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من تكهن او استقسم او تطير طيرة تردّه
عن سفره لم ينظر الى الدرجات العلى من الجنة يوم القيمة ٱلْيَوْمَ لم يرد به يوما بعينه
وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك
كنت بالامس شابا وانت اليوم اشيب يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ ان يبطلوه وان
يرجعوا الى دينهم كفارا وذلك ان الكفار كانوا يطمعون في عود المسلمين الى دينهم فلما
قوي الاسلام ايسوا ولما في اسه بوعده من اظهاره على الدين كله فَلَا تَخْشَوْهُمْ
بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين ما كانوا غالبين
وَٱخْشَوْنِ واخلصوا لي الخشية قال سهل اعجز الناس من خشي من لا ينفعه ولا يضره
والذي بيده النفع والضر مخاطبة بقوله فلا تخشوهم واخشوني ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
نزلت هذه الآية يوم الجمعة يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم
واقف بعرفات على ناقته العضباء وكادت عضد الناقة تندق من ثقلها فبركت عن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود قال له يا امير المومنين آية في كتابكم تقرؤونها لو
علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا قال اي آية قال اليوم اكملت لكم دينكم
واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا فقال عمر رضي الله عنه قد عرفنا ذلك اليوم
والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قايم بعرفة يوم جمعة اشار عمر
الى ان ذلك اليوم كان عيدا لنا قال ابن عباس رضي الله عنهما كان ذلك خمسة اعياد جمعة
وعرفة وعيد اليهود والنصارى والمجوس ولم تجتمع اعياد اهل الملل في يوم قبله ولا بعده
روى هرون بن عنترة عن ابيه قال لما نزلت هذه الآية بكى عمر رضي الله عنه قال له النبي
صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال ابكاني انا كنا في زيادة من ديننا فاما اذا كمل فانه
لم يكمل شي الا نقص قال صدقت فكانت هذه الآية نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعاش بعدها احدى وثمانين يوما ومات عليه السلام يوم الاثنين بعد ما زاغت
الشمس لليلتين خلتا من شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة وقيل توفي

ذلكم فسق ٢

عليه السلام

عليه السلام يوم الثاني عشر من شهر ربيع الاول وكانت هجرته في الثاني عشر منه والمعنى
اليوم اظهرت دينكم وآمنتكم من العدو كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد
اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم
من تعليم الحلال والحرام على الشرايع وقوانين القياس واصول الاجتهاد وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ
نِعْمَتِي بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منازل الجاهلية ومناسكهم وان لا
يحج معكم مشرك ولا يطوف بالبيت عريان او اتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرايع
كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام
وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا بمعنى اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين
المرضي وحده عن جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
قال جبريل قال الله هذا دين ارتضيته لنفسي ولن يصلحه الا السخاء وحسن الخلق
فاكرموه بهما ما صحبتموه قال الكاشف اراد ان يظهر كنوز صفاته وخزاين جود ذاته محبة
منه ومعرفة لعباده كما قال تعالى كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فتجلى للعدم من القدم
فطلع العباد والزمهم سمة العبودية وكشف انوار افعاله فعبدوه برؤية نور افعاله
وصنايعه ثم كشف لهم انوار الصفات فاحبوه برؤية نور الصفات فلما جاء وقت خرق
سيد الاولين والآخرين واصحابه وامته من العدم بسط بسايط العطايا لهم حتى وقفوا
على بساط لطفه وكرمه وربّاهم بحسن عنايته ثم تجلى لهم بنور الاسماء والصفات وربّاهم
بها الى ان بلغوا حد الاستقامة في المحبة والشوق فكشف لهم جلال ذاته فعرفوه بنور
الاسماء والنعوت والافعال والصفات فلما عرفوه بمعرفة الذات كملت احوالهم للكشف
والمشاهدة والمعرفة والتوحيد ولم يحتجبوا عنه ببركة مشاهدة النبي صلى الله عليه وسلم
وتواصلت الكشوف بالكشوف والتجلي بالتجلي قال تعالى اكملت لكم دينكم حيث ما اكملت
لاحد من خلق ما اكملت لكم وما ذكرنا بمجموعه قد اشار عليه السلام الى قوله صلى الله عليه
وسلم جاء الله من سيناء واستعلن بساعير واشرق من جبال فاران والدين هو
الطريق منه اليه بنعت عرفان طرق الافعال الى الصفات وسبل الذات الى الصفات
والنعم منه لهم كشف جاله بلا حجاب والعفو بلا عتاب والوصول بلا عذاب واتمامها
وفاهم عن الاشتغال بغيره وظهوره من جمال نبيه لهم ووصول نبيهم الى درجة المقام
المحمود شفاعتهم وارتضاء الاسلام لهم دينا اسال استارا العظمة عليهم حتى انقادت
نفوسهم الامارة العزازة من الحق بسبحات عظمته ومباشرة قهر سلطان كبريائه ولا يحجبون
عن الحق بها ابدا

فَمَنِ ٱضْطُرَّ متصل بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم و
كذلك ما بعده ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها فِي مَخْمَصَةٍ في مجاعة والمخمصة
خلو البطن من الغذاء يقال رجل خميص البطن اذا كان طاويا خاويا غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ
اي مايل لاثم منحرف اليه وهو ان ياكل فوق الشبع وقال قتادة غير متعرض لمعصية في مقصده
فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وفيه اضمار اي فاكله فان الله غفور رحيم عن ابي واقد الليثي
ان رجلا قال يا رسول الله انا نكون بالارض فيصيبنا بها المخمصة فمتى تحل لنا الميتة فقال
ما لم تصطبحوا او تغتبقوا او تحتفئوا بها بقلا فشانكم بها قال الاستاد يحتمل ان يكون
معناه من نزل عن مطالبات الحقايق الى رخص العلم لضعف وجده في الحال فربما يرى
معه مساهلة اذا لم تنفسخ عقد الارادة يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ كانهم حين تلي عليهم
ما حرم عليهم من خبيثات الماكل سالوا عما احل لهم منها قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ قال
سعيد بن جبير نزلت هذه الآية في عدي بن حاتم وزيد بن المهلهل الطائيين وهو
زيد الخيل الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير قالا يا رسول الله انا
نصيد بالكلاب والبزاة فماذا يحل لنا منها فنزلت هذه الآية والطيبات كل ما يستطيبه
العرب ويستلذه من غير ان يرد بتحريمه نص من كتاب او سنة قال الكاشف الطيبات
في الدنيا والآخرة للمحبين مشاهدة الله سبحانه وتعالى وما سواها فهو محرم عليهم من
الدنيا والآخرة لانهم يسالون عن الحلال والحلال مشاهدة جلاله وما سواه فهو غير حلال
في الحقيقة وتصديق ذلك قوله صلى الله عليه وسلم الدنيا محرمة على اهل الآخرة والآخرة
محرمة على اهل الله وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ اي واحل لكم صيد ما علمتم من الجوارح
والجوارح الكواسب من سباع البهايم والطير كالكلب والفهد والباز مُكَلِّبِينَ مؤدبي
الجوارح ومضرّيها بالصيد لصاحبها ورايضها لذلك بما علموا من الحيل وطرق التاديب
واشتقاقه من الكلب لان التاديب اكثر ما يكون في الكلب فاشتق من لفظه لكثرته في جنسه
او من الكلب بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وهو حال من فاعل
علمتم وفايدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب
تُعَلِّمُونَهُنَّ حال ثانية ومعناه تؤدبونهن باداب اخذ الصيد مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ من علم
التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد
بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعايه وامساك الصيد عليه وان لا ياكل
منه فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ عن عدي بن حاتم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال

قال اذا ارسلت كلبك وسميت فامسك وقتل كل وان اكل فلا تاكل فانما امسك على نفسه
واذا خالط كلابا لم يذكر اسم الله عليها فامسكن وقتلن فلا تاكل فانك لا تدري ايها قتل
واذا رميت الصيد فوجدته بعد يوم او يومين ليس به الا اثر سهمك فكل وان وقع
في الماء فلا تاكل وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ اي على ما علمتم من الجوارح عند ارساله فذكر
اسم الله تعالى على الذبيحة حالة ما يذبح وفي الصيد حالة ما يرسل الجارحة او السهم
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ الذبايح على اسم الله تعالى
والفايدة في اعادته انه لما قال اليوم اكملت لكم دينكم وبين النعمة في كل ما يتعلق بالدين فكذا
بين انه اتم النعمة في كل ما يتعلق بالدنيا ومنها احلال الطيبات ثم قال وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ يريد ذبايح اليهود والنصارى ومن دخل في دينهم من ساير الامم قبل مبعث
محمد صلى الله عليه وسلم حلال لكم فاما من دخل في دينهم بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم
فلا تحل ذبيحته وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ فان قيل فكيف شرع لهم حل طعامنا وهم كفار ليسوا
من اهل الشرع قال الزجاج معناه حلال لكم ان تطعموهم فيكون خطاب الحل مع المسلمين
وقيل لانه ذكر عقيبه حكم النساء ولم يذكر حل المسلمات لهم فكانه قال حلال لكم ان تطعموهم
وحرام عليكم ان تزوجوهم وَٱلْمُحْصَنَٰتُ اي الحراير مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وذهب قوم الى ان المراد من المحصنات في الآية العفايف من
الفريقين حرايركن او اماء واجازوا نكاح الامة الكتابية وحرموا البغايا من المومنات
والكتابيات وهو قول الحسن إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ اي مهورهن مُحْصِنِينَ
اعفاء غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ غير معالنين بالزنا وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ صدايق تسرون بهن بالزنا
والخدن يقع على الذكر والانثى قال الزجاج حرم الله الجماع على جهة السفاح وعلى جهة
اتخاذ الصديقة واحله على جهة الاحصان وهو التزوج وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ اي بشرايع
الاسلام وما احل الله وحرم قال ابن عباس اي بالله الذي يجب الايمان به وقال مقاتل
بما انزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو القرآن فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ
قال ابن عباس خسر الثواب وجه تعلق الآية بما قبلها ان المقصود الترغيب فيما تقدم من التكاليف
قال الكاشف الايمان هاهنا المعرفة اي من وقع في بحر النكرة بعد المعرفة ولم يخرج منها الى
ساحل التوحيد الذي هو مفتاح كنوز الذات والصفات فهو محجوب عن الله باسه ولم
ينعقد له عقود المحبة والمعرفة وما وجد من الطريق ذهب عنه بقوله فقد حبط عمله
وادق من هذا ان من عرف الله ووصل اليه بمعرفة وشكر بانوار توحيده وادى

فى شكره الانانية التى هى صفة القدم فهو محجوب بالوجد من الموجود لانه كفر الربوبية بالما
التى صدرت اليه من رؤية الربوبية وهذا معنى قوله ومن يكفر بالايمان وكل عمل من
اعمال المعرفة له باطل لخروجه من العبودية الى الربوبية فاذا رجع الى العبودية وعرف
افراد القدم عن الحدوث يستانف العمل لان ما مضى منه قد حبط قال الامام بين الرب
والعبد عهد الربوبية والعبودية فلما قدم الوفاء بعهد الربوبية فيما يتعلق بامر الدنيا
من المطعم والمنكح وما يحل وما يحرم كانه يقول قد وفيت بعهد الربوبية فاشتغل انت بعهد
العبودية ولما كانت اعظم الطاعات بعد الايمان الصلوة وهى لا يتم الا بالطهارة ذكرها فى هذه
الآية فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَوٰةِ اى اردتم القيام الى الصلوة لقوله تعالى
فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله اى اذا اردت القراءة وظاهر الآية يقتضى وجوب الوضوء
عند كل مرة يريد القيام الى الصلوة لكنا علمنا ببيان السنة وفعل النبى صلى الله عليه وسلم ان
المراد من الآية اذا قمتم الى الصلوة وانتم على غير طهر قال النبى صلى الله عليه وسلم لا تقبل صلوة
احدكم اذا احدث حتى يتوضأ وجمع النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق بين اربع صلوات
بوضوء واحد وقال بعضهم هو امر على طريق الندب ندب من قام الى الصلوة ان يجدد
لها طهارة وان كان على طهر روى بن عمر رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم قال
من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وروى عن عبد الله بن حنظلة بن عامر رضى الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بالوضوء عند كل صلوة طاهرا او غير طاهر فلما شق
ذلك عليه امر بالسواك لكل صلوة وقال بعضهم هذا اعلام من الله سبحانه وتعالى رسوله صلى
الله عليه وسلم ان لا وضوء عليه الا اذا قام الى الصلوة دون غيرها من الاعمال فاذن له
ان يفعل بعد الحدث ما بدا له من الافعال غير الصلوة عن ابن عباس كنا عند النبى صلى الله عليه
وسلم فرجع من الغائط فاتى بطعام فقيل له الا تتوضأ قال لم اصل فاتوضأ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ اكثر العلماء على انه يجب غسل المرفقين والكعبين فى غسل اليد و
الرجل وقال الشعبى ومحمد بن جرير لا يجب غسل المرفقين والكعبين لان حرف الى للغاية
فلا يدخل فى الحدود واجيب عنه بان الشئ اذا حد الى جنسه يدخل فيه الغاية واذا حد الى
غير جنسه لا يدخل لقوله تعالى ثم اتموا الصيام الى الليل لم يدخل الليل فيه لانه ليس من جنس
النهار وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ اختلف العلماء فى قدر الواجب من مسح الراس فقال مالك رضى الله
يجب مسح جميع الراس كما يجب مسح جميع الوجه فى التيمم وقال ابو حنيفة رضى الله عنه يجب مسح
ربع الراس وقال الشافعى رضى الله عنه يجب قدر ما يطلق عليه اسم المسح وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى

الكعبين

الْكَعْبَيْنِ قرأ نافع وابن عامر والكسائى وحفص وارجلكم بنصب اللام وقرأ الآخرون
وارجلكم بالخفض فمن قرأ وارجلكم بالنصب فيكون عطفا على قوله فاغسلوا وجوهكم
وايديكم اى فاغسلوا ارجلكم ومن قرأ بالخفض فقد ذهب قليل من اهل العلم الى انه يمسح
على الرجلين روى عن ابن عباس انه قال للوضوء غسلتان ومسحتان ويروى ذلك عن
عكرمة وقتادة وقال الشعبى نزل جبريل عليه السلام بالمسح وقال الا ترى المتيمم يمسح ما كان
غسلا ويلغى ما كان مسحا وقال محمد بن جرير الطبرى يتخير المتوضئ بين المسح وبين غسل الرجلين
قال فى الكشاف وعن الحسن انه جمع بين الامرين وذهب العلم من الصحابة والتابعين
وغيرهم الى وجوب غسل الرجلين وقالوا خفض اللام فى الارجل على مجاورة اللفظ
لا على موافقة الحكم كما قال تعالى عذاب يوم اليم فالاليم صفة للعذاب لكنه اخذ اعراب
اليوم للمجاورة وكقولهم جحر ضب خرب فالخرب نعت للجحر واخذ اعراب الضب والدليل
والدليل على وجوب غسل الرجلين ما روى عن عبد الله بن عمرو انه قال تخلف عنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فى سفر سافرناه فادركنا وقد ارهقتنا الصلوة صلوة العصر ونحن
ونحن نتوضأ فجعلنا نمسح على ارجلنا فنادانا باعلى صوته ويل للاعقاب من النار واختلف
اهل العلم فى وجوب النية فذهب اكثرهم الى وجوبها لان الوضوء عبادة فيفتقر الى النية
كسائر العبادات وذهب بعضهم الى انها غير واجبة وهو قول الثورى واصحاب الراى و
اختلفوا فى وجوب الترتيب وهو ان يغسل اعضاءه على الولاء كما ذكره الله تعالى فذهب
جماعة الى وجوبه وهو قول مالك والشافعى واحمد ويروى ذلك عن ابى هريرة قال الكاشفى
الاشارة فى الآية الى تطهير الاسرار من الالتفات الى الاغيار فاذا كان مطهرا من غير الحق
فصلوته مواصلة وحركاته قربة وقراءته زلفة وقيامه محبة وركوعه خشية وسجوده شهود
ونجاته انبساط ودعواته مستجابة اى اذا قمتم عنكم الى وصلتى ومشاهدتى فطهروا انفسكم
من الحدوثية فى بحار الربوبية حتى يصلوا الىّ بى لان الحدث لا يقوم بازاء القدم قال سهل
افضل الطهارات ان يطهر العبد نفسه من رؤية طهارته ثم لما ذكر كيفية الطهارة الصغرى
ذكر كيفية الطهارة الكبرى فقال وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا اى اغتسلوا عن عائشة رضى
الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه ثم توضأ
كما يتوضأ للصلوة ثم يدخل اصابعه فى الماء فيخلل بها اصول شعره ثم يصب على راسه
ثلث غرفات بيده ثم يفيض الماء على جلده كله وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ
أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا

عامة اهل م

بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ فيه دليل على انه يجب مسح الوجه واليدين بالصعيد وهو التراب
مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم مِنْ حَرَجٍ من ضيق
وَلَٰكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ من الاحداث والجنابات والذنوب وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ وليتم
برخصه انعامه عليكم بعزائمه عليكم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ نعمته فيثيبكم قال محمد بن كعب القرظى
اتمام النعمة تكفير الخطايا بالوضوء كما قال تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
فجعل تمام نعمته غفران ذنوبه عن حمران مولى عثمان ان عثمان رضى الله عنه توضأ بالمقاعد
ثلثا ثلثا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من توضأ وضوئى هذا
خرجت خطاياه من وجهه ويديه ورجليه وعنه ان عثمن بن عفان رضى الله عنه جلس
على المقاعد يوما فجاءه المؤذن فآذنه بصلوة العصر فدعا بماء فتوضأ ثم قال والله لاحدثنكم
حديثا لولا آية فى كتاب الله ما حدثتكموه ثم قال انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يصلى الصلوة الا غفر له ما بينه وبين الصلوة
الاخرى حتى يصليها قال عروة الآية ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات وعن نعيم المجمر
قال رقيت مع ابى هريرة رضى الله عنه على ظهر المسجد فتوضأ وقال انى سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان امتى يدعون يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء فمن
استطاع منكم ان يطيل غرته فليفعل قال الكاشفى اتمام النعمة ههنا بيان العبودية للعباد
وتعليمهم اداب المعاد لينالوا بها رؤية المنعم بنعت الجمال عن اداء واجب حقوقه بنعت
ما يليق بجلاله وهذا هو الشكر المطلوب من عباده بقوله لعلكم تشكرون قال الاستاد اتمام
النعمة لقوم نجاة نفوسهم وعلى آخرين نجاتهم عن انفسهم ثم لما ذكر التكليف اردفه بما يوجب
الانقياد بالقبول فقال وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ يعنى النعم كلها وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ
عهده الذى عاهدكم به ايها المؤمنون إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وذلك حين بايعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما احبوا وكرهوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ بما فى القلوب من خير وشر قال الكاشفى نعمة الله هدايته الله
السابقة فى الازل لاهل السعادة المعرفة منهم الى نفسه بنعت المشاهدة والشوق الى لقائه
والميثاق الذى واثق به عباده ان لا يشتغلوا عنه بغيره الى الابد وان كان الجنة وما فيها
قال الواسطى انعم الله على خلقه لكى يشهدوا المنعم بالنعم ثم انه تعالى لما ذكر ما يوجب
الانقياد لتكاليف الله حثهم عليه فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ
بِالْقِسْطِ قال الحسن شهداء بحقوق الناس وقال الزجاج شهداء لامر الله انه حق و

القسط

القسط العدل وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ لا يحملنكم شَنَآنُ قَوْمٍ بغض قوم عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اى على
ترك العدل فيهم لعداوتهم اعْدِلُوا فى اوليائكم واعدائكم هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ يعنى الى التقوى
وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ
وَأَجْرٌ عَظِيمٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بالدفع عنكم إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ
بالقتل قال قتادة نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببطن نخل فاراد
بنو ثعلبة وبنو محارب ان يفتكوا به وباصحابه اذا اشتغلوا بالصلوة فاطلع الله نبيه
على ذلك وانزل صلوة الخوف وقال الحسن كان النبى صلى الله عليه وسلم محاصر غطفان
بنخل فقال رجل من المشركين هل لكم فى ان اقتل محمدا قالوا وكيف تقتله قال افتك به قالوا
وددنا انك قد فعلت ذلك فاتى النبى صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم
متقلد سيفه فقال يا محمد ارنى سيفك فاعطاه اياه فجعل الرجل يهز السيف وينظر
مرة الى السيف ومرة الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك منى يا محمد قال الله
فتهدده اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فشام السيف ومضى وروى ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اتى بنى قريظة ومعه الشيخان وعلى رضى الله عنهم يستعينهم فى
دية المسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمرى خطاء يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القسم
اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه فى صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش
الى رحى عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبره وخرج فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ
عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ثم لما خاطب المؤمنين فى اخذ الميثاق
ذكر انه اخذ الميثاق من بنى اسرائيل لكنهم نقضوه والمقصود التحذير اى لا تكونوا مثلهم
فقال وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وذلك ان
الله عز وجل وعد موسى ان يورثه وقومه الارض المقدسة وهى الشام وكان
يسكنها الكنعانيون الجبارون فلما استقرت لبنى اسرائيل الدار بمصر امرهم بالسير
الى اريحا من ارض الشام وهى الارض المقدسة وكانت لها الف قرية فى كل قرية
الف بستان وقال يا موسى انى كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها
من العدو فانى ناصرك عليهم وخذ من قومك اثنى عشر نقيبا من كل سبط نقيبا كفيلا
على قومه بالوفاء منهم على ما امروا به فاختار موسى النقباء وسار بنى اسرائيل حتى
قربوا من اريحا بعث هولاء النقباء يتجسسون له الاخبار ويعلمون علمها فلقيهم

مطلب ذكر عوج بن عنق

رجل من الجبابرة يقال له عوج بن عنق وكان طوله ثلثة آلاف وثلثمائه وثلثه وثلثين
ذراعا وكان يحتجز بالسحاب ويشرب منه ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين
الشمس ويرفعه اليها ثم ياكله ويروى انه عاش ثلثة آلاف سنه حتى اهلكه الله تعالى
على يدى موسى عليه السلم وذلك انه جاء وقور صخرا من الجبل على قدر عسكر موسى وكان
فرسخا فى فرسخ وحملها ليطبقها عليهم فبعث الله الهدهد فقور الصخرة بمنقاره فوقعت
فى عنقه فصرعته فاقبل موسى عليه السلام وهو مصروع فقتله وكانت امه عنق احدى
بنات آدم وكان مجلسها جريبا فلما لقى عوج النقباء وعلى راسه حزمة حطب اخذ الاثنى عشر
وجعلهم فى حجزته وانطلق بهم الى امرأته وقال انظرى الى هولاء الذين يزعمون انهم
يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال الا اطحنهم برجلى فقالت امرأته لا بل خل عنهم
حتى يخبروا قومهم بما راوا ففعل ذلك وروى انه جعلهم فى كمه واتى بهم الملك فنثرهم
بين يديه فقال الملك ارجعوا فاخبروهم بما رايتم وكان لا يحمل عنقودا من عنبهم الا خمسة
انفس بينهم فى خشبه ويدخل فى شطر الرمانه اذا نزع حبها خمسة انفس فرجع النقباء
وجعلوا يتعرفون احوالهم وقال بعضهم لبعض يا قوم انكم ان اخبرتم بنى اسرايل خبر
القوم ارتدوا عن نبى الله صلى الله عليه وسلم ولكن اكتموا واخبروا موسى وهرون عليهما
السلام فيريان رايهما واخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انهم نكثوا العهد وجعل
كل واحد منهم ينهى سبطه عن قتالهم ويخبرهم بما راى الا رجلان وهما على ما فى الكشاف وغيره
كالب بن يوقنا من سبط يهودا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وَقَالَ اللّٰهُ
اِنِّي مَعَكُمْ بالنصر على عدوكم لَئِنْ اَقَمْتُمُ الصَّلٰوةَ يا معشر بنى اسرايل وَاٰتَيْتُمُ الزَّكٰوةَ
وَاٰمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ نصرتموهم وقيل وقرتموهم وعظمتموهم وَاَقْرَضْتُمُ
اللّٰهَ قَرْضًا حَسَنًا لَاُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ لامحون عنكم سَيِّئَاتِكُمْ وَلَاُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ اخطاء قصد السبيل يريد
طريق الحق وسواء كل شئ وسطه قال الكاشفى ان الله سبحانه وتعالى لما اراد ان يبلغ
امرا عظيما من امور الربوبية بين عباده وبلاده وضعه على اوليائه ليقوموا به على وفق
مراده معذرة لضعف الخلق ونيابة من تقصيرهم فاذا خرجوا من ذلك بنعت الرضا فى
العبودية سهل الله تعالى ذلك على العامة لان العامة خلقوا بنعت الضعف وخلق اولياءه
بنعوت القوة وفى كل امة خلق الله اقواما من ايمة المعارف والكواشف لمواقع نظره
وتحمل بلائه وهم النقباء والبدلاء والنجباء والاولياء والاصفياء والاتقياء والمقربون

والعارفون والموحدون والصديقون والشهداء والصالحون والاخيار والابرار وبينهم
الغوث وانهم المحادون وعرفاؤهم السايحون السبعة ونقباؤهم العشرة ونجباؤهم الاربعون
وخلفاؤهم السبعون وامناؤهم الثلثمائة كل واحد منهم خلق على صورة نبى وسيرة رسول وقلب
ملك لا يعرفهم الا مثلهم وهم لا يعرفون الا الله حقيقة قال تعالى اوليائى تحت قبابى لا يعرفون
سوائى روى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان لله تعالى فى الارض ثلثمائة قلوبهم على قلب آدم وله اربعون قلوبهم على قلب موسى
وله سبعة قلوبهم على قلب ابرهيم وله خمسة قلوبهم على قلب جبرئيل وله ثلاثة قلوبهم على
ميكائيل وله واحد قلبه على قلب اسرافيل فاذا مات الواحد ابدل الله مكانه من الثلاثة
واذا مات من الثلثه ابدل مكانه من الخمسه واذا مات من الخمسه ابدل الله مكانه من السبعة
واذا مات من السبعه ابدل الله مكانه من الاربعين واذا مات من الاربعين ابدل الله
مكانه من الثلثمائه واذا مات من الثلثمائه ابدل الله مكانه من العامة بهم يحيى ويميت قال
لانهم يسالون الله اكثار الامه فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيسقون
ويسالون فتنبت لهم الارض ويسالون فيدفع عنهم انواع البلاء قال ابو بكر الوراق لم يزل
فى الامم اخيار وبدلاء واوتاد على المراتب كما قال الله تعالى وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وهم
الذين يرجع اليهم عند الضرورات والفاقات والمصايب كما روى عن النبى صلى الله
عليه وسلم انه قال يكون فى هذه الامة اربعون على خلق ابرهيم وسبعة على خلق موسى
وثلثة على خلق عيسى وواحد على خلق محمد صلى الله عليه وعليهم السلام فهم على مراتبهم سادات
الخلق قال ابو عثمن المغربى البدلاء اربعون والامناء سبعه والخلفاء من الايمه ثلثه والواحد
هو القطب والقطب عارف بهم جميعا ومشرف عليهم ولا يعرفه احد ولا يشرف عليه وهو
امام الاولياء والثلثه هم الخلفاء من الايمه يعرفون السبعه ويعرفون الاربعين ولا يعرفهم
اولئك السبعه والسبعه الذين هم الامناء يعرفون الاربعين الذين هم البدلاء ولا يعرفهم
البدلاء والاربعون يعرفون ساير الاولياء من الامه ولا يعرفهم من الاولياء احد فاذا
نقص من الاربعين واحد ابدل الله مكانه واحدا من اولياء الامة واذا نقص من السبعة
واحد جعل مكانه واحدا من الاربعين واذا نقص من الثلثه واحد جعل مكانه واحدا
من السبعه فاذا مضى القطب الذى هو واحد فى العدد وبه قوام اعداد الخلق جعل
بدله واحدا من الثلثه هكذا الى ان ياذن الله تعالى لقيام الساعة فَبِمَا نَقْضِهِمْ اى فبنقضهم
مِيثَاقَهُمْ قال قتاده نقضوه من وجوه لانهم كذبوا الرسل الذين جاؤا بعد موسى عليه السلم

وقتلوا انبياء الله ونبذوا كتابه وضيعوا فرايضه فبمعنى نقض العهد مع الحق السكون
الى سواه لَعَنَّاهُمْ قال عطاء ابعدناهم من رحمتنا قال الحسن ومقاتل عذبناهم بالمسخ
وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً قال ابن عباس قاسية اى يابسة وقيل غليظة لا تلين يُحَرِّفُونَ
الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ قيل هو تبديلهم نعت النبى صلى الله عليه وسلم وقيل تحريفهم بسوء التاويل
وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ اى وتركوا نصيب انفسهم بما امروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه
وسلم وبيان نعته وَلَا تَزَالُ يا محمد تَطَّلِعُ عَلٰى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ اى على خيانة منهم فاعل بمعنى المصدر
كالكاذبة واللاغية وقيل هو بمعنى الفاعل والهاء للمبالغة مثل رواية وعلامة ونسابة و
قيل على فرقة خائنة قال ابن عباس على خائنة اى على معصية وكانت خيانتهم نقضهم العهد
ومظاهرتهم المشركين على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمهم بقتله وسمه ونحوها
من خياناتهم التى ظهرت اِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ لم يخونوا ولم ينقضوا العهد وهم الذين اسلموا من
اهل الكتاب فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ اى اعرض عنهم ولا تعرض لهم اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ
هذا منسوخ باية السيف وقيل فاعف عن مؤمنهم ولا تواخذهم بما سلف منهم ثم ذكر تعالى
ان اليهود كالنصارى فى نقض العهد فقال وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا اِنَّا نَصَارٰى اَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ
فى التوحيد والنبوة قال الحسن فيه دليل على انهم نصارى بتسميتهم لا بتسميه الله تعالى
قال صاحب الكشاف فان قلت فهلا قيل من النصارى قلت لانهم سموا انفسهم بذلك ادعاء
لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى عليه السلام نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية و
يعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَاَغْرَيْنَا فالزقنا والزمنا
من غرى بالشى اذا لزمه ولصق به واغراه غيره بَيْنَهُمْ بين فرق النصارى المختلفين وقيل
بينهم وبين اليهود الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ اِلٰى يَوْمِ الْقِيٰمَةِ كل فرقة يكفر الاخرى وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ
اللّٰهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فى الاخرة ثم لما حكى عن اليهود والنصارى نقضهم للعهد وتركهم ما امروا به
دعاهم الى الايمان بمحمد عليه الصلوة والسلام وبين معجزته وعفوه فقال يَا اَهْلَ الْكِتَابِ يريد
اهل الكتابين قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ من التورية
والانجيل مثل صفة محمد صلى الله عليه وسلم واية الرجم وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ مما اخفيتم فلا يتعرض
له ولا يواخذكم به ما لم تمس اليه مصلحة دينيه ولم يكن فيه فايده الا افتضاحكم قَدْ
جَاءَكُمْ مِنَ اللّٰهِ نُورٌ يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وَكِتَابٌ مُبِينٌ بين ظاهر
الاعجاز او مبين ما كان خافيا على الناس من الحق وهو القران يَهْدِي بِهِ اللّٰهُ مَنِ اتَّبَعَ
رِضْوَانَهُ رضاه سُبُلَ السَّلَامِ السلام هو الله تعالى اى سبل الله وقيل السلام السلامة

اى يعرض عن كثير

كاللذاذه واللذاذ والمراد طرق السلامه وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ من انواع الكفر
الى نور الايمان بِاِذْنِهِ وارادته وتوفيقه وهدايته وَيَهْدِيهِمْ اِلٰى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ طريق هو
اقرب الطرق الى الله ومؤد اليه لا محالة وهو الاسلام لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا اِنَّ اللّٰهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ
وهم اليعقوبية من النصارى يقولون المسيح هو الله قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللّٰهِ شَيْئًا اى من يقدر
ان يدفع من امر الله شيئا اذا قضاه اِنْ اَرَادَ اَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَاُمَّهُ وَمَنْ فِي الْاَرْضِ
جَمِيعًا فهو مقدور مقهور قابل للفناء كساير العباد والممكنات فكيف يكون الها وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ
وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ من غير اصل كما خلق السموات والارض ومن اصل لخلق
ما بينهما فينشئ من اصل ليس من جنسه كآدم وكثير من الحيوانات ومن اصل يجانسه من ذكر و
انثى او ذكر وحده كما خلق حواء او من انثى وحدها كعيسى عليه السلام وَاللّٰهُ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارٰى نَحْنُ اَبْنَاءُ اللّٰهِ وَاَحِبَّاؤُهُ قالوا ذلك حين حذرهم المصطفى صلى الله
عليه وسلم عقوبة الله تعالى قيل ارادوا ان الله لنا كالاب فى الحنو والعطف ونحن كالابناء له
فى القرب والمنزلة وقال ابرهيم النخعى ان اليهود وجدوا فى التورية يا ابناء احبارى فبدلوا
يا ابناء ابكارى فمن ذلك قالوا نحن ابناء الله وقيل معناه نحن ابناء رسل الله قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ
بِذُنُوبِكُمْ يريد ان كان الامر كما زعمتم انكم ابناؤه واحباؤه فان الاب لا يعذب ولده والحبيب
لا يعذب حبيبه وانتم معترفون انه سيعذبكم وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وقد
عذبكم بالاسر والقتل والمسخ بَلْ اَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ ممن خلقه الله لا مزيد لكم على ساير
بنى آدم يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ من آمن بالله ورسله وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ من كفر فيعامل بكم
معاملة ساير الناس وَلِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا كلها سواء فى كونها خلقا وملكا
له وَاِلَيْهِ الْمَصِيرُ فيجزى المحسن باحسانه والمسئ باساءته يَا اَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا
محمد صلى الله عليه وسلم يُبَيِّنُ لَكُمْ اعلام الهدى وشرايع الدين عَلٰى فَتْرَةٍ اى انقطاع مِنَ
الرُّسُلِ واختلفوا فى مدة الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم قال ابو عثمن النهدى
ستمائة سنة وقال قتادة خمسمائة وستون سنة وقال معمر والكلبى خمسمائة واربعون سنة
وسميت فترة لان الرسل كانت تترى بعد موسى عليه السلام من غير انقطاع الى عيسى عن
الكلبى على ما فى الكشاف وغيره كان بين موسى وعيسى الف وسبعمائة سنة والف نبى
وبين محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام اربعة انبياء ثلثة من بنى اسرايل وواحد
من العرب خالد بن سنان العبسى والمعنى الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم
حين انطمست اثار الوحى احوج ما يكونون اليه ليهشوا ويعدوه اعظم نعمة اَنْ تَقُولُوا

اللّٰهَ ثم

النعم

كراهة ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء
قدير فيقدر على الارسال تترى وعلى الارسال فترة واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرائيل وجعلكم
ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم
تكاثر الانبياء قال ابن عباس يعني اصحاب خدم وحشم وقال قتادة كانوا اول من ملك
الخدم ولم يكن لمن قبلهم خدم وروى عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كان بنو اسرائيل اذا كان لاحدهم خادم وامرأة ودابة يكتب ملكا وقال ابو عبد الرحمن
الحبلي سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص وسأله رجل فقال ألسنا من فقراء المهاجرين فقال له
عبد الله ألك امرأة تأوي اليها قال نعم قال ألك مسكن تسكنه قال نعم قال فانت من الاغنياء قال
فان لي خادما قال فانت من الملوك وقال السدي وجعلكم احرارا تملكون امر انفسكم بعد ما كنتم
في ايدي القبط يستعبدونكم وقال الضحاك كانت منازلهم واسعة فيها مياه جارية فمن كان مسكنه
واسعا وفيه ماء جار فهو ملك وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر واغراق
العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام وقيل اراد
عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس سميت بذلك لانها كانت
قرار الانبياء عليهم السلام ومسكن المؤمنين قاله الضحاك وقال مجاهد هي الطور وما حوله وقال
عكرمة والسدي هي اريحا وقال الكلبي هي دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقال قتادة
هي الشام كلها وقال كعب وجدت في كتاب الله المنزل ان الشام كنز الله من ارضه وبها كنزه
من عباده التي كتب الله لكم كتب في اللوح المحفوظ انها تكون مساكن لكم ان اطعتم واتبعتم
ولا ترتدوا على ادباركم على اعقابكم بخلاف امر الله فتنقلبوا خاسرين قال الكلبي صعد ابراهيم
جبل لبنان فقيل له انظر فما ادرك بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك قال الكاشف
اي ادخلوا بيت المعرفة والنظر الفائق مساكن القلوب لتجد وامنها انوار الغيوب وايضا اطلبوا
في المواقف المقدسة رجال المعرفة لتصلوا بركة انفاسهم قدس جلالي قالوا يا موسى ان
فيها قوما جبارين وذلك ان النقباء الذين خرجوا ليتجسسوا الاخبار لما رجعوا الى موسى
عليه السلام واخبروه بما عاينوا قال لهم موسى عليه السلام اكتموا شأنهم ولا تخبروا به احدا
من اهل العسكر فيفشلوا فاخبر كل رجل منهم قريبه وابن عمه الا رجلان وفيا بما قال لهم
موسى احدهما يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف فتى موسى والآخر كالب بن يوفنا
افرائيم ختن موسى على اخته مريم بنت عمران عليهما السلام وكان من سبط يهودا وهما

النقباء فعلت جماعة من بني اسرائيل ذلك ورفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا يا ليتنا متنا في
ارض مصر او ليتنا نموت في هذه البرية ولا يدخلنا الله ارضهم فتكون نساؤنا واولادنا
واثقالنا غنيمة لهم وجعل الرجل يقول لصاحبه تعالوا نجعل علينا رأسا وننصرف الى مصر
فذلك قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا
منها فان يخرجوا منها فانا داخلون واصل الجبار المتعظم الممتنع عن القهر يقال نخلة جبارة
اذا كانت طويلة ممتنعة عن وصول الايدي اليها وسمي اولئك القوم جبارين لامتناعهم بطولهم
وقوة اجسادهم وكانوا من العمالقة وبقية قوم عاد فلما قال بنو اسرائيل ما قالوا وهموا بالانصراف
الى مصر خر موسى وهرون عليهما السلام ساجدين وخرق كالب ويوشع ثيابهما وهما اللذان
اخبر الله تعالى عنهما في قوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون الله تعالى وقرأ سعيد بن
جبير يخافون بضم الياء وقال الرجلان كانا من الجبارين فاسلما وتبعا موسى عليه السلام
انعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة ادخلوا عليهم الباب اي باب قريتهم فاذا دخلتموه فانكم
غالبون لان الله منجز وعده وانا رأيناهم فكانت اجسامهم عظيمة وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم
وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين مصدقين بوعده فلما قالا ذلك اراد بنو اسرائيل ان يرجموهما
بالحجارة وعصوهما قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول لقد شهدت
من المقداد بن اسود مشهدا لان اكون صاحبه احب الي مما عدل به اتى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يدعو على المشركين فقال لا نقول كما قال قوم موسى عليه السلام اذهب انت وربك فقاتلا
ولكن نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم اشرق
وجهه وسره فلما فعل بنو اسرائيل ما فعلت من مخالفتهم امر ربهم وهمهم بيوشع وكالب غضب موسى
عليه السلام عليهم فقال رب اني لا املك الا نفسي واخي قيل معناه واخي لا يملك الا نفسه وقيل
معناه لا يطيعني الا نفسي واخي فافرق فافصل بيننا وبين القوم الفاسقين العاصين
قال الله عز وجل فانها اي الارض المقدسة محرمة عليهم ولم يرد به تحريم تعبد وانما اراد
تحريم منع اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام بي حلفت لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة
غير عبدي يوشع وكالب ولاتيهنهم في هذه البرية اربعين سنة فكان كل يوم من الايام التي
عصوا فيها سنة ولالقين جيفهم في هذه القفار واما بنوهم الذين لم يعملوا الشر يدخلونها
فذلك قوله تعالى فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون يتحيرون في الارض فلا تأس
على القوم الفاسقين اي لا تحزن على مثل هؤلاء القوم فلبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ

وهم ستمائة الف مقاتل وكانوا يسيرون كل يوم جادين فاذا امسوا كانوا في الموضع الذي
ارتحلوا عنه وقيل ان موسى وهرون عليهما السلام لم يكونا فيهم والاصح انهما كانا ولم يكن
لهما عقوبة انما كان العقوبة لاولئك القوم ومات في التيه كل من دخلها ممن جاوز عشرين
سنة غير يوشع وكالب ولم يدخل اريحا احد ممن قالوا انا لن ندخلها ابدا فلما هلكوا و
انقضت الاربعون سنة ونشأت النواشئ من ذراريهم ساروا الى حرب الجبارين
واختلفوا فيمن تولى تلك الحرب وعلى يدي من كان الفتح فقال قوم انما فتح اريحا موسى
وكان يوشع على مقدمته فسار موسى عليه السلام اليهم بمن بقي من بني اسرائيل فدخلها
يوشع وقاتل الجبابرة ثم دخلها موسى فاقام فيها ما شاء الله تعالى ثم قبضه الله تعالى اليه
ولا يعلم قبره احد وهذا اصح الاقاويل لاتفاق العلماء ان عوج بن عنق قتله موسى عليه السلام
وقال الآخرون انما قاتل الجبارين يوشع ولم يسر اليهم الا بعد موت موسى وقالوا مات
موسى وهرون جميعا في التيه قصة وفاة هرون عليه السلام قال السدي اوحى الله
عز وجل الى موسى عليه السلام اني متوفي هرون فأت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى
وهرون عليهما السلام نحو ذلك الجبل فاذا هما بشجرة لم ير مثلها واذا ببيت مبني
وفيه سرير وعليه فرش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك اعجبه وقال يا موسى
اني احب ان انام على هذا السرير قال فنم عليه قال اني اخاف ان يأتي رب هذا البيت
فيغضب علي قال له موسى لا ترهب اني اكفيك رب هذا البيت فنم قال يا موسى ثم انت
معي فان جاء رب البيت غضب علي وعليك جميعا فلما ناما اخذ هرون الموت فلما وجد مسه
قال يا موسى خدعتني فلما قبض رفع البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير به الى السماء
فلما رجع موسى الى بني اسرائيل وليس معه هرون عليهما السلام قالوا ان موسى قتل هرون
وحسده لحب بني اسرائيل له فقال موسى ويحكم كان اخي افتروني اقتله فلما اكثروا عليه
قام فصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض
فصدقوه واما وفاة موسى عليه السلام فعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ملك الموت الى موسى فقال له اجب ربك قال فلطم
موسى عين ملك الموت ففقأها قال فرجع الملك الى الله تعالى قال انك ارسلتني الى عبد
لك لا يريد الموت وقد فقأ عيني قال فرد عليه عينه وقال ارجع الى عبدي فقل له الحياة
تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فانك
تعيش بها سنة قال ثم مه قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال رب ادنني من الارض

قصة وفاة هرون عليه السلام

وفاة موسى عليه السلام

المقدسة رمية بحجر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اني عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق
عند الكثيب الاحمر وقال وهب خرج موسى عليه السلام لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة
يحفرون قبرا لم ير شيئا قط احسن منه ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم
يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر قالوا لعبد كريم على ربه فقال ان هذا العبد من الله
لبمنزل ما رأيت كاليوم مضجعا فاراد ان ينام فيه فقالت الملائكة يا صفي الله تحب ان يكون لك
قال وددت قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك قال فاضطجع فيه وتوجه الى ربه
ثم تنفس اسهل نفس فقبض الله تعالى روحه ثم سوت عليه الملائكة وقيل ان ملك الموت
اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمر موسى عليه السلام مائة وعشرين سنة
فلما مات موسى وانقضت الاربعون سنة بعث الله يوشع نبيا فاخبرهم ان الله امره بقتال
الجبابرة فصدقوه وتابعوه فتوجه ببني اسرائيل الى اريحا ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة
اريحا ستة اشهر فلما كان السابع نفخوا في القرون وضج الشعب ضجة واحدة فسقط سور المدينة
ودخلوا فقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم يقتلونهم وكانت العصابة من بني اسرائيل
يجتمعون على عنق الرجل يضربونها وكان لا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة فبقيت منه
بقية وكادت الشمس تغرب وتدخل ليلة السبت فقال اللهم اردد الشمس علي وقال للشمس
انك في طاعة الله سبحانه وتعالى وانا في طاعة الله فسأل الشمس ان تقف والقمر ان يقيم
حتى ينتقم من اعداء الله تعالى قبل دخول السبت فردت عليه الشمس وزيد في النهار
ساعة حتى قتلهم اجمعين وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم واحدا وثلاثين حتى غلب
على جميع ارض الشام وصارت الشام كلها لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها وجمع
الغنائم فلم تنزل النار فاوحى الله تعالى الى يوشع ان فيها غلولا فمرهم فليبايعوك فبايعوه
فالتصقت يد رجل منهم بيده فقال هلم ما عندك فأتاه برأس ثور من ذهب مكلل باليواقيت
والجواهر كان قد غله فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فاكلت الرجل و
القربان ثم مات يوشع ودفن في جبل افرائيم وكان عمره مائة وستا وعشرين سنة وتدبيره
امر بني اسرائيل بعد موسى عليه السلام سبعا وعشرين سنة واتل عليهم نبأ ابني آدم
بالحق وهما هابيل وقابيل ويقال قابين اي اذكر لليهود حديث ابني آدم ليعلموا ان سبيل
اسلافهم بسبب اقدامهم على المعصية في الحرج والندامة مثل سبيل ابني آدم اقدم احدهما
على قتل الاخر اذ قربا قربانا وكان سبب قربانهما على ما ذكره اهل العلم ان حواء كانت
تلد لآدم عليه السلام في كل بطن غلاما وجارية وكان جميع ما ولدته اربعين ولدا

فى عشرين بطنا اولهم قابيل و توأمته اقليما و آخرهم عبد المغيث و توأمته امة المغيث
ثم بارك الله تعالى فى نسل آدم عليه السلام قال ابن عباس لم يمت آدم حتى بلغ ولده وولد
ولده اربعين الفا وكان آدم اذا شب اولاده يزوج غلام هذا البطن جارية بطن آخر وكان
الرجل منهم يتزوج اية اخواته شاء الا توأمته التى ولدت معه لانه لم يكن يومئذ نساء الا
اخواتهم فلما ولد قابيل و توأمته ثم هابيل و توأمته لبودا وكان بينهما سنتان فى قول الكلبى
وادركوا امر الله تعالى ادم ان ينكح قابيل لبودا اخت هابيل وينكح هابيل اقليما اخت قابيل وكانت
اخت قابيل احسن من اخت هابيل فذكر ذلك آدم عليه السلام لولده فرضى هابيل وسخط
قابيل وقال هى اختى فانا احق بها فقال له ابوه انها لا تحل لك وابى ان يقبل ذلك وقال ان
ان الله تعالى لم يامر بهذا وانما هو من رايه فقال لهما آدم عليه السلام فقربا قربانا فايكما
تقبل قربانه فهو احق بها وكانت القرابين اذا كانت مقبولة نزلت نار من السماء بيضاء
فاكلتها واذا لم تكن مقبولة لم تنزل النار واكلتها الطير والسباع فخرجا ليقربا وكان قابيل صاحب
زرع فقرب صبرة من طعام من اردى زرعه واضمر فى نفسه ما ابالى اتقبل منى ام لا لا يتزوج
اختى ابدا وكان هابيل صاحب غنم فعمد الى احسن كبش فى غنمه فقرب به واضمر فى نفسه
رضى الله عز وجل فوضعا قربانهما على الجبل ثم دعا آدم عليه السلام فنزلت نار من السماء و
اكلت قربان هابيل ولم تاكل قربان قابيل فذلك قوله عز وجل فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا يعنى هابيل
وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ يعنى قابيل فنزلوا عن الجبل وقد غضب قابيل لرد قربانه وكان يضمر
الحسد فى نفسه الى ان اتى آدم مكة لزيارة البيت فلما غاب آدم اتى قابيل هابيل وهو فى غنمه
قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قال ولم قال لان الله قبل قربانك ورد قربانى وتنكح اختى الحسناء وانكح اختك
الذميمة فيتحدث الناس انك خير منى ويفتخر ولدك على ولدى فقال هابيل ما ذنبى إِنَّمَا
يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ اى هذا من قبل نفسك بترك التقوى لا من قبلى فلم تقتلنى
وفيه اشارة الى ان الحاسد ينبغى ان يرى حرمانه من تقصيره ويجتهد فى تحصيل ما به
صار المحسود محظوظا لا فى ازالة حظه فان ذلك مما يضره ولا ينفعه وان الطاعة لا تقبل الا
من مؤمن متق لَئِنْ بَسَطْتَ مددت إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ قال عبد الله بن عمرو وايم الله كان المقتول لاشد الرجلين ولكن
منعه التحرج ان يبسط الى اخيه يده وهذا فى الشرع جائز ان من اريد قتله ان ينقاد
ويستسلم طلبا للاجر كما فعل عثمان رضى الله عنه قال مجاهد كتب عليهم فى ذلك الوقت
اذا اراد الرجل ان لا يمتنع ويصبر إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ ترجع وقيل تحمل بِإِثْمِي اى باثم قتلى

(في الهامش: هابيل)

وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ اى معاصيك التى عملت من قبل هذا قول اكثر المفسرين
وروى ابن ابى نجيح عن مجاهد قال معناه انى اريد ان يكون خطيئتى التى عملتها انا عليك اذا
قتلتنى فتبوء بخطيئتى واثمك جميعا وقيل معناه ان ترجع باثم قتلى واثم معصيتك التى لم يتقبل
لاجلها قربانك او اثم حسدك ولعله لم يرد معصية اخيه وشقاوته بل قصده بهذا الكلام
الى ان ذلك ان كان لا محالة واقعا فاريد ان يكون لك لا لى فالمراد بالذات ان لا يكون له و
يجوز ان يكون المراد بالاثم عقوبته وارادة عقاب العاصى جائز وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ
فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فسهلته له ذكره وسعته من طاع له المرتع اذا اتسع فَقَتَلَهُ
فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا فى موضع قتله فقال ابن
عباس جبل ثور وقيل عند عقبة حراء فلما قتله تركه بالعراء ولم يدر ما يصنع به لانه كان
اول ميت على وجه الارض من بنى آدم وقصده السباع فحمله فى جراب على ظهره اربعين يوما
وقال ابن عباس سنة حتى اروح وعكفت عليه الطير والسباع ينتظر متى يرمى به فياكله
فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل صاحبه ثم حفر له بمنقاره وبرجله حتى مكن له ثم القاه فى الحفرة
وواراه وقابيل ينظر اليه فذلك قوله تعالى فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ الله تعالى
كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ جسده الميت فانه مما يستقبح ان يرى فلما راى قابيل ذلك قَالَ
يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي قيل جيفته وقيل عورته
لانه كان قد سلب ثيابه فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ على حمله على عاتقه وقيل ندم لقلة النفع بقتله
فانه سخط والديه وما انتفع بقتله شيئا قال المطلب ابن عبد الله بن حطب لما قتل ابن ادم
اخاه رجفت الارض بما عليها سبعة ايام ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه
الله تعالى اين اخوك هابيل قال ما ادرى ما كنت عليه رقيبا فقال ان دم اخيك ليناديني من الارض
فلم قتلت اخاك قال فاين دمه ان كنت قتلته فحرم الله عز وجل على الارض يومئذ ان تشرب
دما بعده ابدا وقال مقاتل بن سليمان عن الضحاك عن ابن عباس لما قتل قابيل هابيل وآدم
صلوات الله عليه بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه وامر الماء واغبرت
الارض فقال آدم عليه السلام قد حدث فى الارض حدث فاتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل
فانشا يقول تغيرت البلاد ومن عليها ووجه الارض مغبر قبيح تغير كل ذى طعم ولون
وقل بشاشة الوجه الصبيح وروى عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال من قال ان آدم
عليه السلام قال شعرا فقد كذب ان محمدا عليه السلام والانبياء عليهم السلام فى النهى عن الشعر
سواء ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سريانى فلما قال آدم مرثيته قال لشيث عليه السلام

(في الهامش: م — قالا لصحيح لا لحسد قابيل تمليه لم يدر كيف يقتله فتمثل له ابليس واخذ طيرا ووضع راسه على حجر ثم شدخ راسه بحجر آخر وقابيل ينظر اليه فعلمه القتل فرضخ راس هابيل بين حجرين وقيل وهو مستسلم وقيل اغتاله فى النوم فشدخ راسه ع)

يا بنى انك وصيى احفظ هذا الكلام ليتوارث فيرق الناس عليه فلم يزل ينقل حتى وصل
الى يعرب بن قحطان وكان يتكلم بالعربية والسريانية وهو اول من خط بالعربية وكان يقول الشعر
فنظر فى المرثية فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا وزيد ابيات منها
ومالى لا اجود بسكب دمع وهابيل تضمنه الضريح ارى طول الحيوة على غما فهل انا من حيوتى مستريح
فلما مضى من عمر آدم عليه السلام مائة وثلثون سنة وذلك بعد قتل هابيل بخمس سنين وولدت
له حواء شيثا وتفسيره هبة الله وعلمه الله تعالى ساعات الليل والنهار واعلمه عبادة الخالق
فى كل ساعة منها وانزل عليه خمسين صحيفة فصار وصى آدم عليه السلام وولى عهده واما
قابيل فقيل له اذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا تأمن من تراه فاخذ بيد اخته اقليما
وهرب بها الى عدن من ارض اليمن فاتاه ابليس فقال له انما اكلت النار قربان هابيل لانه
كان يعبد النار فانصب انت ايضا نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو اول من عبد
النار وكان لا يمر به احد من ولده الا رماه فاقبل ابن له اعمى ومعه ابن له فقال للاعمى ابنه
هذا ابوك قابيل فرمى الاعمى اباه فقتله فقال ابن الاعمى قتلت اباك فرفع يده فلطم ابنه فمات
فقال الاعمى ويل لى قتلت ابى برميتى وقتلت ابنى بلطمتى وقال مجاهد فعلقت احدى رجلى
قابيل الى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيمة ووجهه الى الشمس حيث ما دارت
عليه فى الصيف حظيرة من نار وفى الشتاء حظيرة من ثلج قالوا واتخذ اولاد قابيل آلات
اللهو من اليراع والطبول والمزامير والعيدان والطنابير وانهمكوا فى اللهو وشرب الخمر
وعبادة النار والزنا والفواحش حتى غرقهم الله بالطوفان ايام نوح وبقى نسل شيث
عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان
على ابن آدم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
بسبب ذلك وبعلته ومن للابتداء اى ابتداء الكتب ونشاه من اجل ذلك أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ
نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ اى قتل نفس يوجب القصاص أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ او بغير فساد فيها
من كفر او زنا او قطع طريق او نحوه فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا قال قتادة عظم الله وزرها
قال مجاهد من قتل نفسا محرمة يصلى النار بقتلها كما يصلاها لو قتل الناس جميعا وَمَنْ
أَحْيَاهَا وتورع عن قتلها فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا فى الثواب لسلامتهم منه قال الحسن
فكانما قتل الناس جميعا يعنى انه يجب عليه من القصاص بقتلها مثل الذى يجب عليه
لو قتل الناس جميعا ومن احياها اى عفا عمن وجب عليه القصاص له فلم يقتله
فكانما احيا الناس جميعا قال سليمان بن على قلت للحسن يا ابا سعيد اهى لنا كما كانت لبنى اسرائيل

(في الهامش: خدام)

قال اى والذى لا اله غيره ما كان دماء بنى اسرائيل اكرم على الله من دمائنا قال الكاشف
فيه اشارة لطيفة من الحق سبحانه وتعالى ان النية اذا وقعت من قبل النفس الامارة فى
شر باشرته فكانها باشرت جميع عصيان الله لانها لو قدرت على جميعها لفعلت لانها امارة
بالسوء ومن السوء خلقت فالجزاء يتعلق بالنية ولذلك اذا وقعت النية من قبل القلب الروحانى
فى خير وباشره فكانه باشر جميع الخيرات لانه لو قدر لفعل قال عليه السلام نية المؤمن خير من عمله
وفى الآية تهديد الله لائمة الضلالة ووعد وشرف وثناء حسن لائمة الهدى وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ
رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ اى بعد ما كتبنا عليهم هذا
التشديد العظيم من اجل امثال تلك الجناية وارسلنا اليهم الرسل بالآيات الواضحة تاكيدا
للامر وتجديدا للعهد كثير منهم يسرفون فى الارض بالقتل ولا يبالون به والاسراف التباعد
عن حد الاعتدال فى الامر ثم لما ذكر تغليظ الاثم لمن قتل النفس بغير نفس ولا فساد اتبعه
ببيان ان الفساد الذى يوجب القتل ما هو وبعض الفساد لا يوجب ذلك فقال إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ
يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ويحاربون رسول الله جعل محاربة المسلمين محاربتهما تعظيما
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا قال الضحاك نزلت فى قوم من اهل الكتاب كان بينهم وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنقضوا العهد وقطعوا السبيل وافسدوا فى الارض و
قال الكلبى نزلت فى قوم هلال بن عويمر وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم وادع هلال
بن عويمر وهو ابو بردة الاسلمى على ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن مر بهلال بن عويمر
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو آمن لا يهاج فمر قوم من بنى كنانة يريدون الا
سلام بناس من اسلم من قوم هلال بن عويمر ولم يكن هلال شاهدا فشدوا اليهم فقتلوهم
واخذوا اموالهم فنزل جبريل عليه السلام بالقصة فيهم وقال سعيد بن جبير نزل فى ناس
من عرينة وعكل اتوا النبى صلى الله عليه وسلم وبايعوه على الاسلام وهم كذبة فبعثهم النبى صلى
الله عليه وسلم الى ابل الصدقة فارتدوا وقتلوا الراعى واستاقوا الابل عن انس لما قدم على
النبى صلى الله عليه وسلم نفر من عكل فاسلموا فاجتووا المدينة فامرهم ان ياتوا ابل الصدقة
فيشربوا من ابوالها والبانها ففعلوا فصحوا فارتدوا وقتلوا رعاتها واستاقوا فبعث النبى
فى آثارهم فاتى بهم فقطع ايديهم وارجلهم وسمل اعينهم ثم لم يحسمهم حتى ماتوا ورواه ابو
عن ابى قلابة عن انس قال فقطع ايديهم وارجلهم ثم امر بمسامير فكحلهم بها وطرحهم بالحرة
يستسقون فلم يسقون حتى ماتوا قال ابو قلابة قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله وسعوا
فى الارض فسادا قال ابو الزناد لما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ذلك انزل الله

الحدود ونهاه عن المثلة فلم يعد واختلفوا في المحاربين الذين يستحقون هذا الحد فقال قوم هم الذين يقطعون الطريق ويحملون السلاح والمكابرون في الامصار وهو قول مالك والشافعي وجماعة رحمهم الله وقال قوم المكابرون في الامصار ليس لهم حكم المحاربين في استحقاق هذا الحد وهو قول ابي حنيفة رحمه الله أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ فذهب الامام بالخيار في امر المحاربين القتل والقطع والصلب والنفي كما هو ظاهر الآية وهو قول سعيد بن المسيب والحسن والنخعي ومجاهد وذهب الاكثرون الى ان هذه العقوبات على ترتيب الجرائم لا على التخيير عن ابن عباس في قطاع الطريق اذا قتلوا واخذوا المال قتلوا وصلبوا واذا قتلوا ولم يأخذوا المال قتلوا ولم يصلبوا واذا اخذوا المال ولم يقتلوا قطعت ايديهم وارجلهم من خلاف واذا اخافوا السبيل ولم يأخذوا مالا نفوا من الارض وهو قول قتادة والاوزاعي والشافعي و اصحاب الرأي واذا قتل في قطع الطريق فقتل حتما ولا يسقط بعفو الولي عن الدم واذا اخذ من المال نصابا وهو ربع دينار تقطع يده اليمنى ورجله اليسرى واذا قتل واخذ المال يقتل ويصلب واذا اخاف السبيل ينفون واختلفوا في النفي فذهب قوم الى ان الامام يطلب في كل بلد يوجد نفي عنه وهو قول سعيد بن جبير وعمر بن عبد العزيز وقيل يطلبون لتقام عليهم الحدود وهو قول ابن عباس والليث بن سعد وبه قال الشافعي وقال اهل الكوفة النفي هو الحبس وهو نفي من الارض وقال محمد بن جرير ينفى من بلده الى غيره ويحبس في السجن في البلد الذي نفي اليه حتى يظهر توبته قال مكحول ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اول من حبس في السجون قال واحبسه حتى اعلم منه التوبة ولا انفيه الى بلد فيؤذيهم ذلك اي الذي ذكرت من الحد لَهُمْ خِزْيٌ عذاب وهوان وفضيحة فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ من ذهب الى ان الآية نزلت في الكفار قال معناه الا الذين تابوا من شركهم واسلموا قبل القدرة عليهم فلا سبيل عليهم بشيء من الحدود ولا تباعة عليهم فيما اصابوا في حال الكفر من دم او مال اما المسلمون المحاربون فمن تاب منهم قبل القدرة عليه وهو قبل ان يظفر به الامام يسقط عنه كل عقوبة وجبت حقا لله ولا يسقط ما كان من حقوق العباد فان كان قد قتل في قطع الطريق يسقط عنه بالتوبة قبل القدرة عليه تحتم القتل ويبقى عليه القصاص لولي القتيل فان شاء عفا وان شاء استوفاه وان كان قد اخذ المال يسقط عنه القطع وان كان قد جمع بينهما يسقط عنه تحتم القطع والقتل والصلب ويجب ضمان المال وهو قول الشافعي وقال بعضهم اذا جاء تائبا

تقدم الى ان م

في

قبل القدرة عليه لا يكون لاحد عليه تبعة في دم ومال الا ان يوجد معه مال بعينه فيرده الى صاحبه واما من تاب بعد القدرة عليه فلا يسقط عنه شيء منها يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا واطلبوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ما يتوسلون به الى ثوابه من توسل الى فلان بكذا اي تقرب اليه قال الكاشف اي اتقوا الله في التخطي الى غيره وابتغوا اليه الوسيلة بنعت التقوى ولا يكون عندكم الوسيلة الا رشاد منه لانه هو الوسيلة اليه الا ترى الى قول الشاعر اناجود معين ناح مضا بجاهي فليس الى معين سواه شفيع قال الاستاد ابتغاء الوسيلة التبري عن القوة والحول والتحقق لشهود الطول والمنة وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ بمحاربة اعدائه الظاهرة والباطنة لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ بالوصول اليه والفوز بكرامته ثم لما حكى عن الكفار انهم افتخروا بانهم ابناء انبياء الله قال يا ايها الذين آمنوا اي لكن مفاخرتكم باعمالكم لا بالشرف اباكم ثم بين انهم ما داموا على الكفر لا سبيل لهم الى الخلاص اصلا إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ ليجعلوه فدية لانفسهم مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وله وجهان احدهما انهم يقصدون ويطلبون المخرج منها قال تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها والثاني انهم يتمنون ذلك بقلوبهم كما قال عز وجل اخبارا عنهم ربنا اخرجنا منها وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ثم لما اوجب الحد عند اخذ المال على سبيل المحاربة اوجب على سبيل السرقة فقال وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا اراد به ايمانهما وكذلك هو في مصحف عبد الله بن مسعود وحكي عن ابن الزبير انه كان يقطع في الشيء القليل و عامة العلماء على خلافه واكثرهم على انه لا يقطع في اقل من ربع دينار وهو قول الخلفاء الاربع وعمر بن عبد العزيز والشافعي لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القطع في ربع دينار فصاعدا وذهب قوم الى انه لا يقطع في اقل من دينار او عشرة دراهم ويروى ذلك عن ابن مسعود واليه ذهب اصحاب الرأي وذهب مالك الى انه يقطع في ثلثة دراهم جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا عقوبة مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ هذا فيما بينه وبين الله تعالى فاما القطع فلا يسقط عنه بالتوبة عند الاكثرين وقيل كل عقوبة تجب حقا لله عز وجل من عقوبات قطع الطريق وقطع السرقة وحد الزنا والشرب يسقط بالتوبة بكل حال أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الجميع وقيل معناه الم تعلم ايها الانسان فيكون خطابا لكل احد من الناس يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء الكبيرة وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ثم لما بين بعض التكاليف

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ م

يشاء م

وكان قد علم من المنافقين كونهم متسارعين في الكفر متثاقلين لقبول التكاليف صبّر رسوله عليه الصلوة والسلام فقال يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ اي في موالاة الكفار فانهم لن يعجزوا الله مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وهم المنافقون وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا يعني اليهود سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ اي هم سماعون للكذب قابلون له كقول المصلي سمع الله لمن حمده اي قبل الله وقيل سماعون لاجل الكذب اي يسمعون منك ليكذبوا عليك وذلك انهم كانوا يسمعون من الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يخرجون سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ اي لجمع آخر من اليهود لم يحضروا مجلسك وتجافوا عنك تكبرا او افراطا في البغضاء او سماعون منك لاجلهم وللانهاء اليهم وذلك ان امرأة ورجلا من اشراف اهل خيبر زنيا وكانا محصنين وكان حدهما الرجم في التورية فكرهت اليهود رجمهما لشرفهما فقالوا ان هذا الرجل الذي بيثرب ليس في كتابه الرجم ولكنه الضرب فارسلوا الى اخوانكم بني قريظة فانهم جيرانه وصلح له فليسألوه عن ذلك فبعثوا رهطا منهم مستخفين وقالوا لهم سلوا محمدا عن الزانيين اذا احصنا ما حدهما فان امركم بالجلد فاقبلوا منه وان امركم بالرجم فاحذروه ولا تقبلوا منه وارسلوا معهم الزانيين فقدم الرهط حتى نزلوا على قريظة والنضير فقالوا لهم انكم جيران هذا الرجل ومعه في بلده وقد حدث فينا حدث فلان وفلانة فجرا وقد احصنا فنحب ان تسألوا محمدا عن قضائه فيه فقالت لهم قريظة والنضير اذا والله يامركم بما تكرهون ثم انطلق قوم منهم كعب بن الاشرف وكعب بن اسد وشعبة بن عمرو ومالك الصيف وكنانة بن ابي الحقيق وغيرهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا عن الزاني والزانية اذا احصنا ما حدهما في كتابك فقال هل ترضون بقضائي قالوا نعم فنزل جبريل عليه السلام بالرجم فاخبرهم بذلك فابوا ان يأخذوا به فقال جبريل عليه السلام اجعل بينك وبينهم ابن صوريا ووصفه له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم قال فاي رجل هو فيكم قالوا هو اعلم يهودي بقي على وجه الارض بما انزل الله تعالى على موسى عليه السلام في التورية قال فارسلوا اليه ففعلوا فاتاهم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انت ابن صوريا قال وانت اعلم اليهود قال كذلك يزعمون قال اتجعلونه بيني وبينكم قالوا نعم فقال له النبي عليه السلام واخرجكم انشدك بالله الذي لا اله الا هو الذي انزل التورية على موسى عليه السلام واخرجكم من مصر وفلق لكم البحر وانجاكم واغرق آل فرعون والذي ظلل عليكم الغمام وانزل عليكم المن والسلوى وانزل عليكم كتابه فيه حلاله وحرامه هل تجدون في كتابكم الرجم على

قال نعم م

من احصن

من احصن قال ابن صوريا نعم والذي ذكرتني به لولا خشية ان تحرقني التورية ان كذبت او غيرت ما اعترفت لك ولكن كيف هي في كتابك يا محمد قال اذا شهد اربعة رهط عدول انه قد ادخله فيها كما يدخل الميل في المكحلة وجب عليه الرجم فقال ابن صوريا والذي انزل التورية على موسى هكذا انزل الله عز وجل في التورية على موسى عليه السلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم فماذا كان اول ما ترخصتم به امر الله قال كنا اذا اخذنا الشريف تركناه واذا اخذنا الضعيف اقمنا عليه الحد فكثر الزنا في اشرافنا حتى زنا ابن عم ملك لنا فلم نرجمه ثم زنى رجل آخر في اسوة من الناس فاراد ذلك الملك رجمه فقام دونه قومه وقالوا والله لا ترجمه حتى ترجم فلانا لابن عم الملك فقلنا تعالوا نجتمع فلنصنع شيئا دون الرجم يكون على الوضيع والشريف فوضعنا الجلد والتحميم وهو ان يجلد اربعين جلدة بحبل مطلي بالقار ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وجوههما من قبل دبر الحمار ويطاف بهما فجعلوا هذا مكان الرجم فقالت اليهود يا ابن صوريا ما اسرع ما اخبرته به وما كنت لما اثنينا عليك باهل ولكنك كنت غائبا فكرهنا ان نغتابك فقال لهم انه قد انشدني بالتورية ولولا خشية التورية ان تهلكني لما اخبرته به فامر بهما النبي صلى الله عليه وسلم فرجما عند باب مسجده وقال اللهم اني اول من احيى امرك اذ اماتوه فانزل الله عز وجل يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر الآية يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يميلونه عن مواضعه التي وضعه الله تعالى فيها اما لفظا باهماله او تغيير وضعه واما معنى بحمله على غير المراد واجرائه في غير مورده يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ اي ان افتاكم محمد صلى الله عليه وسلم بالجلد والتحميم فاقبلوه وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ اي كفره وضلالته قال الضحاك هلاكه وقال قتادة عذابه فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا اي فلن تقدر على دفع امر الله فيه أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ وفيه رد على من ينكر القدر لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وهو الهوان بالجزية والخوف عن المؤمنين او القتل والسبي والنفي ورد وسمهم من محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وفيهم ما يكرهون وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ الخلود في النار سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ قرئ السحت بضم الحاء وسكونها وهو الحرام كالرشى من سحته اذا استأصله كانه مسحوت البركة قال الاخفش السحت كل كسب حرام نزلت في حكام اليهود كعب بن الاشرف وامثاله كانوا يرتشون ويقضون لمن رشاهم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعنة الله على الراشي و المرتشي فَاِنْ جَاؤُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ اَوْ اَعْرِضْ عَنْهُمْ وَاِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا خير الله رسوله صلى الله عليه وسلم في الحكم بينهم ان شاء حكم وان شاء ترك قال اكثر اهل العلم هو حكم ثابت وليس في سورة المايده منسوخ وحكام المسلمين بالخيار في الحكم بين اهل الكتاب ان شاؤا احكموا وان شاؤا لم يحكموا وان حكموا حكموا بحكم الاسلام و قال قوم يجب على حاكم المسلمين ان يحكم بينهم والآيه منسوخه نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله وهو قول مجاهد و عكرمة و روي عن ابن عباس و قال لم ينسخ من المايده الا آيتان قوله تعالى شعاير الله نسخها قوله تعالى اقتلوا المشركين وقوله تعالى فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم نسخها قوله تعالى وان احكم بينهم بما انزل الله و اما اذا تحاكم الينا مسلم و ذمي فيجب علينا الحكم بينهما لا يختلف القول فيه لانه لا يجوز للمسلم الانقياد لحكم اهل الذمه وَاِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ بالعدل الذي امر الله به اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ اى العادلين روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المقسطون عند الله على منابر من نور وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرٰيةُ فِيهَا حُكْمُ اللّٰهِ من الرجم و تنبيه على انهم ما قصدوا بالتحكيم معرفة الحق و اقامة الشرع وانما طلبوا به ما يكون اهون عليهم وان لم يكن حكم الله في زعمهم ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذٰلِكَ ثم يعرضون عن حكمك الموافق لكتابهم بعد التحكيم وَمَا اُولٰئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ بكتابهم لاعراضهم عنه اولا وعما يوافقه ثانيا ثم نبه اليهود المنكرين لوجوب الرجم و رغبهم في ان يكونوا المتقدمين من سلفي احبارهم فقال اِنَّا اَنْزَلْنَا التَّوْرٰيةَ فِيهَا هُدًى يهدي الى الحق وَنُورٌ يكشف ما استبهم من الاحكام يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ يعني انبياء بني اسرايل او موسى و من بعده ان قلنا شرع من قبلنا شرعنا ما لم ينسخ وهذه الآيه تمسك القايل به الَّذِينَ اَسْلَمُوا و انقاد و الامر الله كما اخبر عن ابرهيم عليه السلام اذ قال له ربه اَسْلِمْ قال اسلمت لرب العالمين و فيه تعريض باليهود وانهم بمعزل عن دين الانبياء عليهم السلام و اقتفاء هديهم لِلَّذِينَ هَادُوا يحكم الانبياء للذين هادوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْاَحْبَارُ زهادهم و علماؤهم الحبر بفتح الحاء وكسرها و الفتح افصح هو العالم المحكم للشيء قال الكسائي هو من الحبر الذي يكتب به و قال قطرب هو من الحبر بمعنى الجمال قيل الربانيون من النصارى و الاحبار من اليهود و قيل

هذا تعجيب للنبي صلى الله عليه وسلم م

٧

الكاشفي

كلاهما من اليهود قال الرباني الذي نسب الى الرب بالمعرفة و المحبة و التوحيد فاذا وصل الى الحق بهذه المراتب و استقام في شهود جلاله وجماله صار متصفا بصفات الله جل جلاله انفاره ذاته فاذا انمحى عن نفسه و تحقق بربه صار ربانيا و مثله مثل الحديد في النار اذا لم يكن في النار كان مستعدا لقبول النار ولم يكن نارا فاذا اوصل الى النار و احمر صار ناريا هكذا شان العارف فاذا كان منورا بتجلي الرب صار ربانيا وحانيا نورانيا ملكوتيا جبروتيا كلامه من الرب الى الرب مع الرب فالربانيون عشاق الله و احبار الحاضرون بين يديه المكاشفون وجه الله سبحانه وتعالى و الاحبار الذين يسمعون كلام الله من الله بلا واسطه المفرقون بين الحق و الباطل بنور الله و قيل الربانيون العلماء بالله و الاحبار العلماء باحكام الله و قال ابن طاهر الربانيون هم الصحابه الذين اخذوا كلام الرب عن السر الاعلى و الواسطة الادنى و الاحبار علماء يعملون بعلمهم بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللّٰهِ بسبب امر الله اياهم بان يحفظوا كتابه من التضييع و التحريف وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ رقباء كي لا يبدل او شهداء يبينون ما يخفى منه كما فعل ابن صوريا فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ نهى الحكام ان يخشوا غير الله تعالى في حكوماتهم و يداهنون فيها خشية ظالم او مراقبة كبير وَلَا تَشْتَرُوا بِاٰيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ولا تستبدلوا بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة و ابتغاء الجاه و رضا الناس كما حرف احبار اليهود كتاب الله وغيروا احكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ فَاُولٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ م روي عن البراء بن عازب في قوله تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون و الظالمون و الفاسقون كلها في الكافرين و قيل هي على الناس كلهم و قال ابن عباس وطاوس ليس بكفر ينقل عن الملة بل اذا فعل فهو به كفر و ليس كمن كفر بالله واليوم الآخر قال القاضي فكفرهم لانكاره و ظلمهم بالحكم على خلافه و فسقهم بالخروج عنه قال الكاشفي العارف مخاطب من الله في جميع انفاسه وحركاته ينزل على قلبه من الله وحي الالهام وربما يخاطبه بنفسه و يكلمه بكلامه و يحدثه بحديثه كقوله عليه السلام ان في امتي محدثين ومكلمين و ان عمر منهم فاذا لم يحكم بنفسه بما انزل الله على قلبه بان يخرجها من الشك الى اليقين و من الظلمة الى النور ومن المخالفة الى المتابعة ومن الكذب الى الصدق ومن الشرك الى التوحيد ومن الظلم الى العدل و من العصيان الى الطاعة يكون موصوفا باوصاف هذه الآيات الثلاثة كفر انعام الله الذي هو مقام الخطاب وظلم بانه لم يضع عمله على علمه و فسق عن امر الله تعالى الى مراد نفسه

وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا اى و اوجبنا على بني اسرايل في التوريه اَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ يعني ان نفس القاتل مقتوله بنفس المقتول وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ اى مفقوءة بالعين وَالْاَنْفَ بِالْاَنْفِ مجدوعه بالانف وَالْاُذُنَ بِالْاُذُنِ مقطوعة بالاذن قال ابن عباس اخبر الله تعالى بحكمه في التوريه وهو ان النفس بالنفس الى آخره فما بالهم يخالفون فيقتلون بالنفس النفسين ويفقاؤن بالعين العينين وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ اى السن مقلوعة بالسن وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فهذا تعميم بعد التخصيص لانه ذكر العين و الانف و الاذن و السن ثم قال و الجروح قصاص اى فيما يمكن الاقتصاص منه كاليد و الرجل و اللسان ونحوها اما ما لا يمكن الاقتصاص منه من كسر عظم او جرح لحم فلا قصاص فيه فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ بالقصاص اى فمن عفا عن القصاص فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ فالتصدق كفارة للمتصدق يكفر الله به ذنوبه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصدق بجسده بشيء كفر الله عنه بقدره من ذنوبه وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ من القصاص وغيره فَاُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ وَقَفَّيْنَا عَلٰى اٰثَارِهِمْ اى وعقبنا و اتبعنا على آثار النبيين الذين اسلموا اى اتبعناهم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرٰيةِ وَاٰتَيْنَاهُ الْاِنْجِيلَ فِيهِ اى في الانجيل هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا يعني الانجيل لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرٰيةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ وَلْيَحْكُمْ اَهْلُ الْاِنْجِيلِ بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ فِيهِ اى وآتيناه ليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه و الآية تدل على ان الانجيل مشتمل على الاحكام وانه كان مستقلا بالشرع وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ فَاُولٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ الخارجون من امر الله عز وجل قال مقاتل بن حيان امر الله الربانيين و الاحبار ان يحكموا بما في التوريه و امر القسيسين و الرهبان ان يحكموا بما في الانجيل فكفروا و قالوا عزير ابن الله و المسيح ابن الله وَاَنْزَلْنَا اِلَيْكَ يا محمد الْكِتَابَ القرآن بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ من جنس الكتب المنزله وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ عن ابن عباس اى شاهدا عليه و قال الخليل رقيبا وحافظا اى رقيبا على ساير الكتب يحفظها عن التغيير و يشهد لها بالصحة و الثبات قال ابن جريج القرآن امين على ما قبله من الكتب فما اخبر اهل الكتاب عن كتابهم فان كان في القرآن فصدقوا و الا فكذبوا فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بين اهل الكتاب اذا ترافعوا اليك بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ اِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ اى مايلا عما جاءك من الحق لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ ايها الناس شِرْعَةً

شريعة وهي الطريقة الى الماء شبه بها الدين لانه طريق الى ما هو سبب للحيوة الابديه وَمِنْهَاجًا طريقا واضحا في الدين من نهج الامر اذا وضح قال قتادة الخطاب للامم الثلث امة موسى وعيسى و امة محمد عليهم الصلوة والسلام التوريه شريعه والانجيل شريعه و القرآن شريعه والدين واحد وهو التوحيد وَلَوْ شَاءَ اللّٰهُ لَجَعَلَكُمْ اُمَّةً وَاحِدَةً متفقة على دين واحد وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ ليختبركم فِيمَا اٰتَاكُمْ من الشرايع المختلفة المناسبة لكل عصر وقرن هل يعملون بها مذعنين لها معتقدين ان اختلافها بمقتضى الحكمة ام يزيغون عن الحق ويفرطون في العمل قال بعضهم في قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا كل قد فتح له طريق الى الله فمن استقام على الطريقه وصل الى الله ومن زاغ ووقع في سبل الشيطان وضل عن سواء السبيل و قال ابو يزيد البسطامي قدس الله روحه الطرق الى الله بعدد الخلق ولكن السعيد من هدى الى طريق من تلك الطرق قال الاستاذ في قوله تعالى ولو شاء لجعلكم امة واحده اى ولو شاء الله لسوى مراتبكم و لكن غاير بينكم ابتلاء و فضل بعضكم على بعض امتحانا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ فبادروا الى الاعمال الصالحات وتسابقوا نحوها قال الكاشفي مسارعة كل واحد على ما يليق بوقته فالعابدون تقدمهم من حيث الاوراد والعارفون بهم من حيث المواجيد و يقال استباق الزاهدين برفع الدنيا واستباق العابدين بقطع الهوى و استباق العارفين بنفي المنى و استباق الموحدين بترك الورى و نسيان الدنيا و العقبى اِلَى اللّٰهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا استيناف لتعليل الامر بالاستباق ووعد ووعيد للمبادرين و المقصرين فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ بالجزاء الفاصل بين المحق و المبطل و العامل والمقصر وَاَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا اَنْزَلَ اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعْ اَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ اَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا اَنْزَلَ اللّٰهُ اِلَيْكَ اى ان يضلوك و يصرفوك عنه قال ابن عباس قال كعب بن اسد وعبد الله بن صوريا و شاس بن قيس من رؤساء اليهود بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد صلى الله عليه وسلم لعلنا نفتنه عن دينه فاتوه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود و اشرافهم و انا ان اتبعناك لم يخالفنا اليهود و ان بيننا وبين اليهود خصومات لنحاكمهم اليك فاقض لنا عليهم نؤمن بك و نتبعك غيرنا ولم يكن قصدهم الايمان انما قصدهم التلبيس ودعوته الى الميل في الحكم فانزل الله عز وجل هذه الآيه فَاِنْ تَوَلَّوْا اى اعرضوا عن الايمان والحكم بالقرآن فَاعْلَمْ اَنَّمَا يُرِيدُ اللّٰهُ اَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ اى فاعلم ان اعراضهم من اجل ان الله يريد ان يعجل لهم العقوبات

في الدنيا ببعض ذنوبهم وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ لمتمردون في الكفر معتدون
فيه أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ المراد بالجاهلية الملة الجاهلية التي هي متابعة الهوى وحكمها
الميل والمداهنة في الحكم وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ اي هذا الخطاب
لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتيقنون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ اختلفوا في نزول هذه الآية
وان كان حكمها عاما لجميع المومنين فقال قوم نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله
ابي بن سلول وذلك انهما اختصما فقال عبادة ان لي اولياء من اليهود كثير عددهم
شديد شوكتهم واني ابرأ الى الله والى رسوله من ولايتهم وولاية النصارى ولا
مولى لي الا الله ورسوله فقال عبد الله لكني لا ابرأ من ولاية اليهود لاني اخاف
الدواير ولا بد لي منهم وقال السدي لما كانت وقعة احد اشتدت على طايفة من
الناس وتخوفوا ان يدال عليهم الكفار فقال رجل من المسلمين انا الحق بفلان اليهودي
واخذ منه امانا اني اخاف ان يدال علينا اليهود وقال رجل آخر اما انا فالحق بفلان النصراني
من اهل الشام واخذ منه امانا فانزل الله تعالى هذه الآية ينهاهما وقال عكرمة نزلت
الى لبابة بن عبد المنذر بعثه النبي صلى الله عليه وسلم الى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروه
في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا اذا نزلنا فجعل اصبعه على حلقه انه الذبح اي يقتلكم
فنزلت هذه الآية بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ في العون والنصرة ويدهم واحدة على المسلمين
وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ اي ومن والاهم منكم فانه منهم ومن جملتهم وهذا التشديد
في وجوب مجانبتهم إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفار
فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ اي نفاق يعني عبد الله بن ابي واصحابه من المنافقين الذين
يوالون اليهود يُسَارِعُونَ فِيهِمْ اي في معونتهم وموالاتهم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا
دَائِرَةٌ قال ابن عباس معناه نخشى ان لا يتم امر محمد فيدور الامر علينا وقيل نخشى ان
يدور الدهر علينا بمكروه من حدث وقحط فلا يعطوننا الميرة والقرض فَعَسَى اللَّهُ
أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ قال مقاتل وقتادة بالقضاء الفصل من نصر محمد صلى الله عليه وسلم على
من خالفه وقال الكلبي والسدي فتح مكة وقال الضحاك فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك
أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ عذاب لهم وقيل اجلاء بني النضير يعني هولاء المنافقين عَلَى مَا أَسَرُّوا فَيُصْبِحُوا
فِي أَنْفُسِهِمْ من موالاة اليهود نَادِمِينَ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا قرئ بالواو والرفع على
انه كلام مبتدا وقرئ بالواو ونصب اللام عطفا على ان يأتي اي عسى ان يقول الذين

آمنوا

آمنوا وقرئ بحذف الواو ورفع اللام على انه جواب قايل يقول فماذا يقول المومنون
حينئذ أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ حلفوا جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ اغلظ الايمان إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ
يقول المومنون بعضهم لبعض تعجبا من حال المنافقين حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ بطل كل خير
عملوه فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ هذا من الكاينات
التي اخبر الله تعالى عنها قبل وقوعها وقد ارتد في حيوة النبي صلى الله عليه وسلم ثلث فرق
منهم بنو مدلج ورييسهم ذو الحمار عبهلة بن كعب العنسي ويلقب بالاسود وكان كاهنا مشعبذا
فتنبى باليمن واستولى على بلادها فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل
ومن معه من المسلمين وامرهم ان يحثوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض
الى حرب الاسود فقتله فيروز الديلمي على فراشه قال ابن عمر رضي الله عنهما فاتى الخبر النبي
صلى الله عليه وسلم من السماء الليلة التي قتل فيها فقال عليه السلام قتل الاسود البارحة
قتله رجل مبارك قيل ومن هو قال فيروز فاز فيروز فبشر النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه
بهلاك الاسود وقبض النبي صلى الله عليه وسلم من الغد واتى خبر مقتل العنسي المدينة
في آخر شهر ربيع الاول وكان ذلك اول فتح جاء ابو بكر رضي الله عنه والفرقة الثانية
بنو حنيفة باليمامة ورييسهم مسيلمة الكذاب وكان قد تنبى في حيوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم في آخر سنة عشر وزعم انه اشرك مع محمد صلى الله عليه وسلم في النبوة
وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما بعد فان الارض نصفها لي ونصفها لك وبعث بذلك رجلين
من اصحابه فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان الرسل لا تقتل لضربت
اعناقكما ثم اجاب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مسيلمة الكذاب اما بعد
فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومرض رسول الله صلى
الله عليه وسلم وتوفي فبعث ابو بكر خالد بن الوليد الى مسيلمة في جيش كثير اهلكه الله
تعالى على يدي وحشي غلام مطعم بن عدي الذي قتل حمزة بن عبد المطلب بعد حرب شديد
وكان وحشي يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام والفرقة الثالثة
بنو اسد ورييسهم طليحة بن خويلد وكان طليحة آخر من ارتد وادعى النبوة في حيوة
النبي صلى الله عليه وسلم واول من قوتل بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم من اهل
الردة فبعث ابو بكر خالد بن الوليد اليه فهزمهم خالد بعد قتال شديد وافلت طليحة و
هرب الى الشام ثم انه اسلم بعد ذلك وحسن اسلامه وارتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم

في خلافة ابي بكر رضي الله عنه عامة العرب الا اهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس
وكفى الله امرهم على يده ونصر دينه على يدي ابي بكر ومنع بعضهم الزكوة وهم ابو بكر
بقتالهم فكره ذلك اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عمر كيف تقاتل الناس وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله
فمن قاله فقد عصم مني ماله ونفسه الا بحق الاسلام وحسابه على الله عز وجل فقال
ابو بكر رضي الله عنه كيف والله لاقتلن من فرق بين الصلوة والزكوة فان الزكوة
حق المال والله لو منعوني عناقا كانوا يودونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لقاتلتهم على منعها قال انس بن مالك كرهت الصحابة قتال مانعي الزكوة قالوا اهل القبلة
فتقلد ابو بكر رضي الله عنه سيفه وخرج وحده فلم نجد بدا من الخروج على اثره
قال ابن مسعود رضي الله عنه كرهنا ذلك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء قال
ابو بكر بن عياش سمعت ابا حصين يقول ما ولد بعد النبيين مولود افضل من
ابي بكر رضي الله عنه لقد قام مقام نبي من الانبياء في قتال اهل الردة فَسَوْفَ يَأْتِي
اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه والحسن وقتادة هم ابو بكر
واصحابه الذين قاتلوا اهل الردة ومانعي الزكوة وقال قوم المراد بقوله فسوف يأتي الله
بقوم يحبهم ويحبونه هم الاشعريون عن عياض بن غنم الاشعري قال لما نزلت هذه الآية
فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم قوم هذا
واشار الى ابي موسى الاشعري وكانوا من اليمن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افئدة الايمان يمان والحكمة يمانية
وقال الكلبي هم احياء من اليمن الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلثة
من افناء الناس فجاهدوا في سبيل الله يوم القادسية في ايام عمر رضي الله عنه وقيل
الفرس لانه لانه عليه السلام سئل عنهم فضرب يده على عاتق سلمان وقال هذا
وذووه ذكره صاحب الكشاف وغيره أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ عاطفين عليهم متذللين
لهم جمع ذليل قال عطاء كالوالد لولده وكالعبد لسيده واستعماله مع على لتضمين معنى
العطف والحنو او التنبيه على انهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المومنين خافضون لهم
أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ من قولهم عزه اذا غلبه يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ
لَوْمَةَ لَائِمٍ يعني لا يخافون في الله لومة من احد من الناس عن عبادة بن الصامت
قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة وان نقوم او نقول بالحق

حيث

حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لايم قال ابو بكر الوراق الجهاد ثلثة جهاد مع نفسك و
جهاد مع عدوك وجهاد مع قلبك والجهاد في سبيل الله هو مجاهدة القلب لئلا يتمكن منه
الغفلة بحال وجهاد النفس ان لا تعرض عن الطاعة بحال وجهاد الشيطان منك فريضة فلا تغفل
تحفظ منك ذَلِكَ اشارة الى ما تقدم من الاوصاف فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
كثير الفضل عَلِيمٌ بمن هو اهله إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا روي عن ابن
عباس رضي الله عنهما انها نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن ابي بن سلول حين
تبرأ عبادة من اليهود وقال اتولى الله ورسوله والذين آمنوا فنزل فيهم من قوله يا ايها
الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء الى قوله انما وليكم الله ورسوله والذين
آمنوا يعني عبادة بن الصامت واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله
جاء عبد الله بن سلام الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان قومنا قريظة والنضير
قد هجرونا وفارقونا واقسموا ان لا يجالسونا فنزلت هذه الآية فقرأها عليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال رضينا بالله وبرسوله وبالمومنين اولياء الَّذِينَ يُقِيمُونَ
الصَّلَوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ اراد علي بن ابي طالب رضي الله عنه مر به سايل
وهو راكع في المسجد فاعطاه خاتمه قال ابو جعفر محمد بن علي الباقر انما وليكم الله ورسوله
والذين آمنوا نزلت في المومنين فقيل له ان ناسا يقولون انها نزلت في علي رضي الله عنه
فقال هو من المومنين قال الكاشف محبة الله سبق العناية ومحبة الرسول بادبهم بالشريعة
ومحبة المومنين لهم الايثار للنفس والمال بالاخوة وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ
آمَنُوا ومن يتخذهم اولياء فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ يعني انصار دين الله هُمُ الْغَالِبُونَ
واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم قال الكاشف اي من وقع له تولية الله بمحبته
ورويته مشاهدة ووقع التولية من رسول الله بموافقة لطاعة الله وتولية المومنين
من جهة استعداد الفطرة ورويته انوار الغيب في وجوههم فانه محبوب الله ومحبوب
رسوله ومحبوب المومنين ويكون غالبا على نفسه وشيطانه بالنصرة الالهية ثم انه تعالى
بعد ما نهى عن اتخاذ اليهود والنصارى اولياء نهى عن موالاة الكفار مطلقا فقال
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا قال ابن عباس
كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد اظهرا الاسلام ثم نافقا
وكان رجال من المسلمين يوادونهما فانزل الله تعالى هذه الآية مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ يعني اليهود وَالْكُفَّارَ الكفار وان عم اهل الكتاب يطلق على المشركين خاصة

الی م

لضاعف كفرهم اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين لان الايمان حقا يقتضي
ذلك وقيل ان كنتم مؤمنين بوعده ووعيده واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا
ولعبا ذلك بانهم قوم لا يعقلون قال الكلبي كان منادي رسول الله صلى الله عليه
اذا نادى الى الصلوة وقام المسلمون اليها قالت اليهود قد قاموا لا قاموا وصلوا لا صلوا
على طريق الاستهزاء وضحكوا فانزل الله عز وجل هذه الآية وقال السدي نزلت في رجل
من الانصار بالمدينة كان اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله قال
حرق الكاذب فدخل خادمه ذات ليلة بنار وهو واهله نيام فتطايرت منها شرارة
فاحترق البيت واحترق هو واهله وقال الاخرون ان الكفار لما سمعوا الاذان
حسدوا المسلمين فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا محمد لقد
ابدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الامم فان كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما احدثت
الانبياء قبلك ولو كان خيرا لكان اولى الناس به الانبياء فمن اين لك صياح كصياح
العير فما اقبح من صوت وما اسمج من امر فانزل الله تعالى هذه الآية ومن احسن قولا
ممن دعا الى الله ثم لما حكى انهم اتخذوا دين الاسلام هزوا امر ان يقال لهم ما الذي ينقمون
ويكرهون فقال قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا قال ابن عباس رضي الله عنهما اتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود ابو ياسر بن اخطب ورافع بن ابي رافع
وغيرهما يسالونه عمن يؤمن به من الرسل فقال اؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل الى
ابرهيم واسمعيل الى قوله ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى عليه السلام جحدوا نبوته وقالوا
والله ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فانزل الله
هذه الآية هل تنقمون منا اي هل تنكرون منا وتعيبون الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما
انزل من قبل وان اكثركم فاسقون اي فسقكم ثابت معلوم عندكم ولكن حب الرياسة
والمال يمنعكم عن الانصاف او العدول ولا تقرون ان اكثركم فاسقون قل يا محمد هل
انبئكم اخبركم بشر من ذلك الذي ذكرتم مثوبة عند الله جزاء ثابتا عند الله والمثوبة
مختصة بالخير كالعقوبة بالشر فوضعت ههنا موضعها على سبيل التهكم من لعنه الله
اي هو من لعنه الله وغضب عليه يعني اليهود وجعل منهم القردة والخنازير فالقردة
اصحاب السبت والخنازير كفار مائدة عيسى عليه السلام وروي عن علي بن ابي طلحة
عن ابن عباس رضي الله عنه ان الممسوخين كلاهما من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا
قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وعبد الطاغوت اي العجل وقيل الكهنة وكل من

الطاعوه

اطاعوه في معصية الله كالشيطان اولئك شر مكانا جعل مكانهم شرا ليكون ابلغ في الدلالة
على شرارتهم وقيل مكانا منصرفا واضل عن سواء السبيل اي عن طريق الحق واذا
جاؤكم قالوا آمنا نزلت في هؤلاء المنافقين وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به
لم يؤثر فيهم ما سمعوا منك والله اعلم بما كانوا يكتمون من الكفر وفيه وعيد لهم وترى
كثيرا منهم اي من اليهود يسارعون في الاثم المعاصي والعدوان الظلم ومجاوزة الحد
في المعاصي وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعدى الى غيرهم وقيل الاثم ما كتموا
من التورية والعدوان ما زادوا فيها واكلهم السحت اي الحرام لبئس ما كانوا يعملون
لولا ينهاهم الربانيون والاحبار تخصيص لعلمائهم على النهي عن قولهم الاثم
واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون ابلغ من قوله لبئس ما كانوا يعملون من
حيث ان الصنع عمل الانسان بعد تدرب وترو وتحري اجادة ولذلك ذم به خواصهم
وقالت اليهود يد الله مغلولة قال ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة ان الله تعالى
قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا واخصبهم ناحية فلما عصوا الله في
محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به كف الله عنهم ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال
فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة اي محبوسة مقبوضة عن الرزق نسبوه الى
البخل قيل انما قال هذه المقالة فنحاص فلما لم ينهه الآخرون ورضوا بقوله اشركهم
فيها وقال الحسن معناه يد الله مكفوفة عن عذابنا فليس يعذبنا الا ما يبر به قسمه قدر
ما عبد آباؤنا العجل والاول اولى لقوله تعالى ينفق كيف يشاء غلت ايديهم اي
امسكت ايديهم عن الخيرات قال الزجاج اجابهم الله تعالى فقال انا الجواد وهم البخلاء
وايديهم هي المغلولة الممسكة وقيل هو من الغل في النار يوم القيمة لقوله تعالى اذ الاغلال
في اعناقهم والسلاسل ولعنوا عذبوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان اي هو جواد
في غاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله ان يعطيه بيديه ينفق كيف يشاء
على حسب مشيته ومقتضى حكمته وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا
وكفرا اي كلما نزلت آية كفروا بها فازدادوا طغيانا وكفرا والقينا بينهم بين طوائف
اليهود جعلهم الله مختلفين في دينهم متباغضين قال الحسن ومجاهد اي بين اليهود و
النصارى العداوة والبغضاء الى يوم القيمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله
كلما ارادوا حرب الرسول واثارة شر عليه ردهم الله بان اوقع بينهم منازعة كف بها
عنه شرهم قال الحسن او كلما ارادوا حرب احد غلبوا فانهم لما خالفوا حكم التورية

سلط الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم افسدوا
فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين ويسعون في الارض فسادا
باثارة الحروب والفتن وهتك المحارم والله لا يحب المفسدين فلا يجازيهم الا شرا
ثم لما بالغ في ذمهم بين انهم لو آمنوا واتقوا لفازوا بسعادة الدارين ولو ان اهل الكتاب
آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم واتقوا ما عدد نا من معاصيهم ونحوه لكفرنا عنهم سيئاتهم
التي فعلوها ولم نؤاخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم اقاموا التورية
والانجيل يعني اقاموا احكامهما وحدودهما وعملوا بما فيهما وما انزل اليهم من ربهم
القرآن او ساير الكتب المنزلة فانها كالمنزل اليهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم
قال ابن عباس لانزلت عليهم القطر واخرجت لهم من نبات الارض وقال الفراء
اراد به التوسعة في الرزق كما يقال فلان في الخير من فرقه الى قدمه منهم امة
مقتصدة يعني مؤمني اهل الكتاب عبد الله بن سلام قال صاحب الكشاف قيل هم
واد يعون من النصارى واصحابه كعب بن الاشرف واصحابه مقتصدة اي عادلة غير
غالية ولا مقصرة ومعنى الاقتصاد في اللغة الاعتدال في العمل من غير غلو ولا تقصير
وكثير منهم كعب الاشرف واصحابه ساء ما يعملون بئس شيئا عملهم وفيه معنى التعجب
قال ابن عباس عملوا بالقبيح مع التكذيب بالنبي صلى الله عليه وسلم قال الكاشف
اشار سبحانه الى ان لو استقاموا في علم خطاب الله ولم يترسموا برسم اهل الحظوظ
لكوشفت لهم انوار الملكوت في قيامهم لقوة قلوبهم وقوة ابدانهم وكوشفت لهم انوار الجبروت
في سجودهم لقوة ارواحهم وقوة عقولهم وبين ان منهم امة مستعدة لقبول هذه الاحوال
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك غير مراقب احد اولا
خائف مكروها عن الحسن ان الله تعالى لما بعث رسوله ضاق ذرعا وعرف ان من الناس
من يكذبه فنزلت هذه الآية وان لم تفعل فما بلغت رسالته اي ان لم تبلغ الجميع وتركت
بعضه فما بلغت شيئا اي جرمك في ترك تبليغ البعض كجرمك في ترك تبليغ الكل لقوله تعالى
ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك
هم الكافرون حقا اخبر ان كفرهم بالبعض محبط للايمان والله يعصمك من الناس
يحفظك ويمنعك من الناس فان قيل اليس قد شج راسه وكسرت رباعيته واوذي
بضروب من الاذى قيل معناه يعصمك من القتل فلا يصلون الى قتلك وقيل نزلت
هذه الآية بعد ما شج راسه لان سورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن ان الله

لا يهدي

لا يهدي القوم الكافرين لا يمكنهم ما يريدون بك عن عائشة رضي الله عنها قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله يعصمك من الناس
فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا
فقد عصمني الله سبحانه وتعالى قل يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التورية والانجيل
وما انزل اليكم من ربكم ومن اقامتها الايمان بمحمد والاذعان لحكمه فان الكتب الالهية
باسرها آمرة بالايمان لمن صدقته المعجزة ناطقة بوجوب الطاعة له وليزيدن كثيرا منهم
ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس اي لا تحزن على القوم الكافرين فان
ضرر ذلك لاحق بهم لا يتخطاهم وفي المؤمنين مندوحة لك عنهم قال الكاشف ان خطاب
الله سبحانه وتعالى ذو صفتين صفة القهر وصفة اللطف فمن تجلى القرآن لقلبه بصفة اللطف
يزيد نور بصارته بلطايف حكمته وحقايق اسراره ودقايق بيانه ويزيد بذلك نورا ايمانه
وتوحيده ويعرف بذلك ظاهر الخطاب وباطنه ومن يتجلى لقلبه بصفة القهر يزيد ظلمة طغيانه
وقله عرفانه بحيث لا يدرك فهم الخطاب ويزيد لحظة بعد لحظة ظلمة قلبه قال تعالى يضل به كثيرا
ويهدي به كثيرا ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى قال سيبويه فيه
تقديم وتاخير وتقديره ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله
الى آخر الآية والصابئون كذلك وقد سبق تفسير الآية في سورة البقرة من آمن بالله
اي من آمن منهم بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل في التوحيد والنبوة وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم
رسول بما لا تهوى انفسهم بما يخالف اهواءهم فريقا كذبوا عيسى ومحمدا عليهما الصلوة
والسلام وفريقا يقتلون يحيى وزكريا عليهما السلام وحسبوا ان لا تكون فتنة اي
وحسب بنو اسرائيل ان لا يصيبهم بلاء وعذاب فعموا عن الحق فلم يبصروه وصموا
فلم يسمعوه بعد موسى عليه السلام ثم تاب الله عليهم ببعث عيسى عليه السلام ثم
عموا وصموا كثير منهم بالكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم والله بصير بما يعملون ويجازيهم
وفق اعمالهم ثم لما استقصى الكلام مع اليهود شرع في الكلام مع النصارى فقال لقد
كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وهم اليعقوبية من النصارى وقال
المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم اي اني عبد مربوب مثلكم فاعبدوا
خالقي وخالقكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة فانها دار الموحدين
وماواه النار فانها دار المشركين وما للظالمين من انصار اي وما لهم احد ينصرهم

انه م

من النار وضع الظاهر موضع المضمر لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ اي
احد آلهة ثلاثة فانهم يقولون الالهية مشتركة بين الله تعالى ومريم وعيسى عليه السلام وكل
واحد من هؤلاء اله فهم ثلاثة آلهة قال تعالى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين
من دون الله وهو حكاية عما قال النسطورية والملكانية منهم القائلون بالاقانيم الثلاثة
وما سبق قول اليعقوبية القائلين بالاتحاد وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وما في الوجود
ذات واجب مستحق العبادة من حيث انه مبدأ جميع الموجودات الا اله موصوف
بالوحدانية متعال عن قبول الشركة وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ لَيُصِيبَنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ خص الذين كفروا لعلمه ان بعضهم يؤمن أَفَلَا يَتُوبُونَ
إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ من هذا الذنب العظيم وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ من فضله ان
يغفر لهم ويرحمهم ان تابوا مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مضت مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ
اي ما هو الا رسول كالرسل الذين مضوا وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كسائر النساء اللاتي يلازمن
الصدق قال تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ يعيشان به و
يفتقران اليه فهما من المركبات الكائنة الفاسدة فكيف يكونان الهاً ذكراً ولا اقصى ما لهما
من الكمالات وانه لا يوجب لهما الالوهية ثم نبه على ما يدل على انهما لا يجوز ان يكونا الهين
وان حالهما ينافي الربوبية انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ كيف يصرفون
عن الحق وثم لتفاوت ما بين العجبين اي بياننا الآيات عجب واعراضهم عنه اعجب قُلْ
أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا يعني عيسى فانه وان ملك ذلك بتمليك
الله لا يملكه من ذاته وانما قال ما نظراً الى ما هو في ذاته توطئة لنفي القدرة عنه رأساً
وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ بالاقوال والعقائد فيجازي عليها ان خيراً فخير وان شراً فشر
ثم انه تعالى لما تكلم على اباطيل اليهود ثم تكلم على اباطيل النصارى خاطب مجموع الفريقين
تعالى قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ اي غلواً باطلاً فترفعوا عيسى الى ان
تدعوا له الالهية او تضعوه فتزعموا انه لغير رشدة وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ جمع هوى
وهو ما تدعو اليه شهوة النفس قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ يعني رؤساء الضلالة من
فريقي اليهود والنصارى والخطاب للذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم نهوا
عن اتباع اسلافهم فيما ابتدعوه باهوائهم قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم في شريعتهم
وَأَضَلُّوا كَثِيرًا ممن تابعهم على اهوائهم وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ الذي هو الاسلام
بعد مبعثه وقيل الاول اشارة الى ضلالهم عن مقتضى العقل والثاني اشارة الى ضلالهم

تبيين هم

عما جاء به الشرع لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ يعني اهل
ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة
وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ اي على لسان عيسى عليه السلام يعني كفار اصحاب المائدة لما لم يؤمنوا
قال عيسى اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا خنازير ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ
كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ لا ينهى بعضهم بعضاً عَن معاودة مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ او لا ينتهون عنه
من قولهم تناهى عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تعجب من سوء
فعلهم موكداً بالقسم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل اذا عمل العامل منهم الخطيئة نهاه الناهي
تعذيراً فاذا كان من الغد جالسه واكله وشاربه كانه لم يره على الخطيئة بالامس فلما
راى الله تبارك وتعالى ذلك منهم ضرب قلوب بعضهم على بعض وجعل منهم القردة
والخنازير ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
والذي نفسي بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتاخذن على يد السفيه
ولتاطرنه على الحق اطراً او ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم
تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ قيل من اليهود كعب بن الاشرف واصحابه يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا
مشركي مكة حين خرجوا اليهم يستجيشون على النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن
عباس ومجاهد والحسن منهم يعني من المنافقين يتولون اليهود لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ
لَهُمْ أَنفُسُهُمْ من العمل لمعادهم أَن سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هو المخصوص بالذم كانه قيل
لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله وغضبه عليهم والمعنى موجب سخط الله وَفِي
الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ محمد صلى الله عليه وسلم
وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ يعني القرآن مَا اتَّخَذُوهُمْ يعني الكفار أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ
خارجون من امر الله سبحانه وتعالى لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا
الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا يعني مشركي العرب وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا
الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ قيل لم يرد به جميع النصارى لانهم في عداوتهم المسلمين كاليهود
في قتلهم المسلمين واسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم واحراق مصاحفهم لا ولا كرامة
لهم بل الآية فيمن اسلم منهم مثل النجاشي واصحابه وقيل نزلت في جميع اليهود وجميع
النصارى لان اليهود اقسى قلباً والنصارى الين قلباً منهم وكانوا اقل مظاهرة للمشركين
من اليهود قال اهل التفسير ائتمرت قريش ان يفتنوا المؤمنين عن دينهم فوثبت

كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم فافتتن من افتتن وعصم الله
منهم من شاء ومنع الله تعالى رسوله بعمه ابي طالب فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما باصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد امرهم بالخروج الى ارض الحبشة
وقال ان بها ملكاً صالحاً لا يظلم ولا يظلم عنده احد فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين
فرجاً واراد به النجاشي واسمه اصحمة وهو بالحبشية عطية وانما النجاشي اسم الملك كقولهم
قيصر وكسرى فخرج اليها سراً احد عشر رجلاً واربع نسوة وهم عثمان بن عفان وامراته رقية بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم والزبير بن العوام وعبد الله بن مسعود وعبد الرحمن بن
عوف وابو حذيفة بن عتبة وامراته سهلة بنت سهيل بن عمرو ومصعب بن عمير وابو سلمة
بن عبد الاسد وامراته ام سلمة بنت ابي امية وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وامراته
ليلى بنت ابي حثمة وحاطب بن عمرو وسهيل بن بيضاء رضي الله عنهم اجمعين فخرجوا الى البحر
واخذوا سفينة الى ارض الحبشة بنصف دينار وذلك في رجب في السنة الخامسة
من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الهجرة الاولى ثم خرج جعفر بن ابي طالب
وتتابع المسلمون اليها وكان جميع من هاجر الى الحبشة من المسلمين اثنين وثمانين
رجلاً سوى النساء والصبيان فلما علمت قريش بذلك وجهوا عمرو بن العاص وصاحبه
بالهدايا الى النجاشي وبطارقته ليردهم اليهم فعصمهم الله وذكرت القصة في سورة
آل عمران فلما انصرفا خائبين اقام المسلمون هناك بخير دار واحسن جوار الى ان هاجر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلا امره وذلك في سنة ست من الهجرة كتب رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشي على يدي عمرو بن امية الضمري ليزوجه ام حبيبة
بنت ابي سفيان وكانت قد هاجرت الى الحبشة مع زوجها فمات زوجها وبعث اليه من عنده
من المسلمين فارسل النجاشي الى ام حبيبة جارية يقال لها ابرهة تخبرها بخطبة رسول
الله صلى الله عليه وسلم اياها فاعطتها اوضاحاً لها سروراً بذلك فاذنت لخالد بن سعيد بن
العاص حتى انكحها على صداق اربعمائة دينار وكان الخاطب لرسول الله النجاشي
فانفذ اليها النجاشي اربعمائة دينار على يد ابرهة فلما جاءتها بها اعطتها خمسين ديناراً فردته
وقالت امرني الملك ان لا اخذ منك شيئاً وقالت انا صاحبة دهن الملك وثيابه وقد
صدقت محمداً رسول الله وآمنت به وحاجتي منك ان تقرئيه مني السلام قالت نعم
وقد امر الملك نساءه ان يبعثن اليك بما عندهن من عود وعنبر وكان رسول الله صلى
الله عليه وسلم يراه عليها وعندها فلا ينكر قالت ام حبيبة فخرجنا الى المدينة ورسول الله

صلى الله عليه وسلم بخيبر فخرج من خرج اليه واقمت بالمدينة حتى قدم النبي صلى الله
عليه وسلم فدخلت وكان يسالني عن النجاشي فقرات من ابرهة السلام فرد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل عسى ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم
منهم مودة يعني ابا سفيان مودة بتزويج ام حبيبة ولما جاء ابا سفيان تزويج ام حبيبة
قال ذاك الفحل لا يقرع انفه وبعث النجاشي بعد قدوم جعفر الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ابنه اريحا بن اصحمة بن ابجر في ستين رجلاً من الحبشة وكتب يا رسول الله
اشهد انك رسول الله صادقاً مصدقاً وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت لله رب
العالمين وقد بعثت اليك ابني اريحا وان شئت ان آتيك بنفسي فعلت والسلام عليك
يا رسول الله فركبوا سفينة في اثر جعفر واصحابه حتى اذا كانوا في وسط البحر غرقوا
ووافى جعفر واصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلاً عليهم ثياب الصوف
منهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من اهل الشام فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم سورة يس الى آخرها فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا وقالوا ما اشبه هذا بما
كان ينزل على عيسى عليه السلام فانزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ولتجدن اقربهم
مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى يعني وفد النجاشي الذين قدموا مع جعفر
وهم سبعون وكانوا اصحاب الصوامع وقال مقاتل والكلبي كانوا اربعين رجلاً اثنان
وثلاثون من الحبشة وثمانية من اهل الشام وقال عطاء كانوا ثمانين رجلاً اربعون من اهل
نجران من بني الحارث واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية وسبعون من اهل الشام
ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا اي علماء قال قطرب القس والقسيس العالم بلغة
الروم وعباداً فالرهبان جمع راهب وهم اصحاب الصوامع وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ اي
لا يتعظمون عن الايمان والاذعان للحق كاليهود وفيه دليل على ان التواضع والاقبال
على العمل والعلم والاعراض عن الشهوات محمودة وان كانت في كافر وَإِذَا سَمِعُوا
مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ محمد صلى الله عليه وسلم تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ تسيل مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا
عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ قال ابن عباس رضي الله عنه في رواية عطاء يريد النجاشي واصحابه
قرأ عليهم جعفر بالحبشة كهيعص فما زالوا يبكون حتى فرغ جعفر من القراءة قال بن عطاء
واذا سمعوا كادت جوارحهم وقلوبهم ان تسطو بقبول الوحي قبل سماعه في مشاهدة المصطفى
صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا منه لم يطيقوا حمله الا ببكاء فرح او بكاء حسرة او بكاء دهش

الجزء ٧

او بكاء حرقة او بكاء معرفة كما قال الله تعالى مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا بذلك
او بمحمد فاكتبنا مع الشاهدين يعنى امة محمد صلى الله عليه وسلم دليله قوله عز وجل لتكونوا
شهداء على الناس قال الاستاد اذا قرع سمعهم دعوة الحق ابتسم البصيرة فى قلوبهم فسكنوا
الى المسموع لما وجدوا من التحقيق وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق عيرهم
اليهود وقالوا لم آمنتم فاجابوا بهذا ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين اى
امة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى ان الارض يرثها عبادى الصالحون فاثابهم الله
اعطاهم الله بما قالوا اى عن اعتقاد من قولك هذا قول فلان اى معتقده جنات تجري
من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين الذين احسنوا النظر والعمل
والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب الجحيم ثم لما استقصى فى المناظرة مع اليهود
والنصارى عاد الى بيان ما حل من الاحكام فقال يا ايها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله
لكم اى ما طاب ولذ كانه لما تضمن ما قبله مدح النصارى على ترهبهم والحث على كسر النفس
ورفض الشهوات عقبه النهى عن الافراط فى ذلك والاعتداء عما حد الله بجعل الحلال
حراما قال اهل التفسير ذكر النبى صلى الله عليه وسلم الناس يوما ووصف القيامة
فرق له الناس وبكوا فاجتمع عشرة من الصحابة فى بيت عثمان بن مظعون وهم ابو بكر
الصديق وعلى بن ابى طالب وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمر وابو ذر الغفارى
وسالم مولى ابى حذيفة والمقداد بن الاسود وسلمان الفارسى ومعقل بن مقرن
رضى الله عنهم اجمعين وتشاوروا واتفقوا على ان يترهبوا ويلبسوا المسوح ويجبوا
مذاكيرهم ويصوموا الدهر ويقوموا الليل ولا يناموا على الفراش ولا ياكلوا اللحم والودك
ولا يقربوا النساء والطيب ويسيحوا فى الارض فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتى دار عثمان بن مظعون فلم يصادفه فقال لامرأته ام حكيم بنت ابى امية واسمها
خولة وكانت عطارة احق ما بلغنى عن زوجك واصحابه فكرهت ان تكذب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكرهت ان تبتدى على زوجها فقالت يا رسول الله ان كان
اخبرك عثمان فقد صدقك وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما دخل عثمان
اخبرته بذلك فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم هو واصحابه فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم الم انبأ انكم اتفقتم على كذى وكذى قالوا بلى يا رسول وما اردنا الا الخير
فقال صلى الله عليه وسلم انى لم اومر بذلك ثم قال ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وافطروا

وقوموا وناموا فانى اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم وآتى النساء
ومن رغب عن سنتى فليس منى ثم جمع الناس وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء
والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا اما انى لست آمركم ان تكونوا قسيسين و
رهبانا فانه ليس فى دينى ترك اللحم والنساء ولا اتخاذ الصوامع وان سياحة امتى
الصوم ورهبانيتهم الجهاد اعبدوا الله سبحانه وتعالى ولا تشركوا به شيئا وحجوا واعتمروا
واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وصوموا رمضان واستقيموا يستقم لكم فانما هلك من
كان قبلكم بالتشديد شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم عز وجل فاولئك بقاياهم
فى الديارات والصوامع فانزل الله تعالى هذه الآية عن سعيد بن مسعود ان عثمان
بن مظعون رضى الله عنه اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ايذن لنا فى الاختصاء
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس منا من خصى ولا من اختصى ان خصاء امتى
الصيام فقال يا رسول الله ائذن لى فى السياحة فقال ان سياحة امتى الجهاد فى سبيل الله
قال يا رسول الله ائذن لى فى الترهب فقال ان ترهب امتى الجلوس فى المساجد انتظار
الصلوة قال الاستاد مما اباحه من الطيبات الاستراوح الى نسيم القرب فى اوطان الخلوة
وتحريم ذلك ان يستبدل تلك الحالة بالخلط دون العزلة والعشرة دون الخلوة وذلك هو
العدوان العظيم والخسران المبين ولا تعتدوا ولا تجاوزوا الحلال الى الحرام كجب
المذاكير والاسراف فى الطيبات ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا
طيبا قال عبد الله بن المبارك الحلال ما اخذته من وجهه والطيب ما غذا ونما عن
عائشة رضى الله عنها قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يحب الحلواء والعسل واتقوا
الله الذى انتم به مؤمنون فان قيل ما الحكمة فى هذا النهى فان من المعلوم ان حب الدنيا
مستول على الطباع والقلوب واذا توسع الانسان فى الطيبات واللذات اشتد ميله
اليها وكلما كان التنعم اكثر وادوم كان الميل بها اعظم وكلما ازداد الميل قوة ورغبة ازداد
حرصه فى طلب الدنيا وتحصيلها وذلك يمنعه عن الاستغراق فى معرفة الله تعالى وفى طاعته
ويمنعه عن سعادة الآخرة فاما اذا اعرض عن لذات الدنيا فكلما كان الاعراض اتم كان
الميل اضعف والرغبة اقل وحينئذ يتفرغ النفس لطلب معرفة الله تعالى والاستغراق
فى خدمته فالجواب ان الرهبانية المفرطة والاحتراز التام عن الطيبات واللذات
مما يورث الضعف فى الاعضاء الرئيسة والقلب والدماغ واذا وقع الضعف فيها
اختلف الفكر وسوس العقل ولا شك ان اكمل السعادات واعظم القربات انما هو معرفة الله

واذا كان الرهبانية الشديدة مما توقع الخلل فى ذلك بالطريق الذى بيناه لا جرم وقع النهى
عنه ثم حاصل ما ذكر ان اشتغال النفس بطلب اللذات الحسية يمنعها الاستكمال بالسعادات
العقلية وهذا مسلم فى حق النفوس الضعيفة اما القوية الكاملة فانه لا يكون استكمالها
فى الاعمال الحسية مانعا لها من الاستكمال بالسعادات العقلية فانا نشاهد ان النفوس
قد تكون ضعيفة بحيث متى اشتغل بمهم امتنع لها الاشتغال بمهم آخر وقد تكون قوية بحيث
لا يمنعها وكلما كانت النفوس اقوى كانت هذه الحالة اكمل واذا كان كذلك كانت الرهبانية
الخالصة دليلا على نوع من الضعف والقصور انما الكمال فى الوفاء بالجهتين والاستكمال
فى البابين ولان الرهبانية التامة توجب خراب الدنيا وانقطاع الحرث والنسل اما
تركها مع المواظبة على المعرفة والطاعة يفيد عمارة الدنيا والآخرة قال الاستاد
الحلال الصافى ان ياكل ما ياكل على شهوده وان نزلت الحال عن هذا فعلى ذكره فان
الاكل على الغفلة حرام فى شريعة الارادة لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم وجه ربط
الآية بما قبلها هو ان الصحابة لما اختاروا الرهبانية حلفوا على ذلك فلما نهاهم الله عنه فى
الآية المتقدمة قالوا كيف نصنع بايماننا فانزل الله تعالى هذه الآية اللغو ما يبدو من المرء
بلا قصد لقول الرجل لا والله وبلى والله واليه ذهب الشافعى رحمه الله وقيل الحلف على
ما يظن انه كذلك ولم يكن واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله قال ابن عباس لما نزلت
لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم قالوا يا رسول فكيف نصنع بايماننا التى حلفنا عليها وكانوا
حلفوا على ما اتفقوا عليه فانزل الله لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان قصدتم وتعمدتم فكفارته نكثه اذا حنثتم اطعام عشرة مساكين فكفارته
لكل مسكين مد من غالب قوت البلد وهو المنقول عن ابن عباس وابن عمر وزيد بن
ثابت وجماعة من التابعين واليه ذهب الشافعى ونصف صاع من الحنطة او صاع من غيرها
عند جماعة من التابعين وهو قول ابى حنيفة ولو غداهم وعشاهم يجوز عند
ابى حنيفة رحمه الله ويروى ذلك عن على رضى الله عنه من اوسط ما تطعمون اهليكم
قال عبيدة السلمانى الاوسط الخبز والخل والاعلى الخبز واللحم والادنى الخبز البحت والكل
مجزئ او كسوتهم كل من لزمته كفارة اليمين فهو مخير ان شاء اطعم عشرة من المساكين
وان شاء كساهم وان شاء اعتق رقبة فان اختار الكسوة فيكسو كل مسكين
ثوبا واحدا مما يقع عليه اسم الكسوة ازارا او رداء او قميصا او سراويل او عمامة
او كساء على قول ابن عباس والحسن ومجاهد وغيرها واليه ذهب الشافعى رحمه الله

او تحرير رقبة مؤمنة عند الشافعى واجاز ابو حنيفة اعتاق الرقبة الكافرة فى جميع
الكفارات الا فى كفارة القتل فمن لم يجد واحدا منها فصيام ثلثة ايام فكفارته صيام
ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة رحمه الله فيه التتابع ذلك المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم
وحنثتم واحفظوا ايمانكم لا تبذلوها لكل امر واذا حلفتم فلا تحنثوا واحفظوا ايمانكم
عن الحنث هذا اذا لم يكن يمينه على ترك مندوب او فعل مكروه فان حلف على فعل مكروه
او ترك مندوب فالافضل ان يحنث نفسه ويكفر عن عبد الرحمن بن سمرة انه قال
قال النبى صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الامارة فانك ان اوتيتها عن مسئلة
وكلت اليها وان اوتيتها عن غير مسئلة اعنت عليها واذا حلفت على يمين فرأيت غيرها
خيرا منها فكفر عن يمينك وآت الذى هو خير كذلك مثل هذا البيان يبين الله لكم
آياته اعلام شرائعه لعلكم تشكرون نعمة التعليم او نعمة الواجب شكرها يا ايها
الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب يعنى الاوثان سميت بها لانهم كانوا ينصبونها
للعبادة واحدها نصب بفتح النون وسكون الصاد ونصب بضم النون مخففا ومثقلا
والازلام يعنى القداح التى كانوا يستقسمون بها واحدها زلم وقد سبق فى اوائل
السورة رجس خبيث مستقذر تعاف عنه العقول من عمل الشيطان من تزيينه
فاجتنبوه اى الرجس او ما ذكر لعلكم تفلحون بالاجتناب عنه انما يريد الشيطان ان
يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر اما العداوة فى الخمر فهو ان الشاربين
اذا سكروا وعربدوا وتشاجروا كما فعل الانصارى الذى شج سعد بن ابى وقاص بلحى الجمل
واما العداوة فى الميسر فقد قال قتادة كان الرجل يقامر على الاهل والمال ثم يبقى حزينا مسلوب
الاهل والمال مغتاظا على حرفائه وانما خص الخمر والميسر باعادة الذكر وشرح ما فيهما من
الوبال تنبيها على انهما المقصودان بالبيان وذكر الانصاب والازلام للدلالة على انهما مثلهما
فى الحرمة والشرارة ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة خص الصلوة من الذكر بالافراد
للتعظيم والاشعار بان الصاد عنها كالصاد عن الايمان من حيث انها عماد الدين والفارق
بين الايمان والكفر فهل انتم منتهون اعاد الحث على الانتهاء بصيغة الاستفهام مرتبا
على ما تقدم من انواع الصوارف ايذانا بان الامر فى المنع والتحذير بلغ الغاية وان
الاعذار قد انقطعت واطيعوا الله واطيعوا الرسول فيما امرا به واحذروا المحارم
والمناهى فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين وقد ادى ولن تضروا
بتوليكم الرسول وانما ضررتم به انفسكم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

انه قال كل مسكر حرام وان حتما على الله ان لا يشربه عبد في الدنيا الا سقاه الله تعالى
يوم القيمة من طينة الخبال هل تدرون ما طينة الخبال قال عرق اهل النار وعنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في
الآخرة وعنه انه قال اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول
لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها
والمحمولة اليه واكل ثمنها لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا
سبب نزول هذه الآية ان الصحابة قالوا لما نزل تحريم الخمر يا رسول الله كيف باخواننا
الذين ماتوا وهم يشربون الخمر ويأكلون من مال الميسر فانزل الله تعالى ليس على الذين
آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا مما لم يحرم عليهم إِذَا مَا اتَّقَوْا الشرك وَآمَنُوا
وصدقوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا الخمر والميسر بعد تحريمها وَآمَنُوا بتحريمها ثُمَّ اتَّقَوْا
وثبتوا على اتقاء المعاصي وَأَحْسَنُوا وتحروا الاعمال الحسنة واشتغلوا بها ويحتمل
ان يكون التكرير باعتبار الحالات الثلث استعمال الانسان التقوى والايمان بينه وبين
نفسه وبينه وبين الناس وبينه وبين الله تعالى وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ فلا يؤاخذهم
بشيء وفيه ان من فعل ذلك صار محسنا ومن صار محسنا صار لله محبوبا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ نزلت عام الحديبية وكانوا محرمين ابتلاهم
الله تعالى بالصيد وكانت الوحوش تغشى رحالهم كثرة فهموا باخذها فنزلت يا ايها
الذين آمنوا ليبلونكم الله اي ليختبرنكم الله وفائدة البلوى اظهار المطيع من العاصي والا
فلا حاجة له الى البلوى لشيء من الصيد والتقليل في بشيء للتنبيه على انه ليس من العظائم
التي يدحض الاقدام كالابتلاء ببذل الانفس والاموال فمن لم يثبت عنده كيف يثبت
عند ما هو اشد منه تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ يعني الفرخ والبيض وما لا يقدر ان يفر من
صغار الصيد وَرِمَاحُكُمْ يعني الكبار من الصيد لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ ليتميز
الخائف من عقابه وهو غائب لقوة ايمانه ممن لا يخافه لضعف قلبه وقلة ايمانه فَمَنِ
اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ الابتلاء بالصيد فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ
وَأَنْتُمْ حُرُمٌ اي محرمون بالحج او بالعمرة وهو جمع حرام يقال رجل حرام وامرأة حرام
او داخلون الحرم يقال احرم الرجل اذا عقد الاحرام واحرم اذا دخل الحرم نزلت
في رجل يقال له ابو اليسر شد على حمار وحش وهو محرم فقتله وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا
ذهب اكثر الفقهاء الى ان العمد والخطاء سواء في لزوم الكفارة والتقييد لان الآية

نزلت

نزلت في المتعمد لان الاصل فعل المتعمد وقد يلحق به الخاطي للتغليظ ويدل عليه قوله
ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه قال الزهري على المتعمد بالكتاب وعلى المخطي
بالسنة فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ معناه انه يجب عليه مثل ذلك الصيد المقتول من النعم من
حيث الخلقة لا من حيث القيمة عند مالك والشافعي يَحْكُمُ بِهِ بالجزاء ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ اي
رجلان عدلان وينبغي ان يكونا فقيهين ينظران الى اشبه الاشياء به من النعم فيحكمان به
هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ اي يهدي تلك الكفارة الى الكعبة فتذبحها بمكة ويتصدق بلحمها على مساكين
الحرم أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا قال الفراء العدل بالكسر المثل من جنسه
والعدل بالفتح من غير جنسه والمراد انه في جزاء الصيد مخيرين ان يذبح المثل من النعم فيتصدق
بلحمه على مساكين الحرم وبين ان يقوم المثل دراهم والدراهم طعاما فيتصدق بالطعام
على مساكين الحرم او يصوم على مد من الطعام يوما وله ان يصوم حيث شاء لانه لا نفع
فيه للمساكين لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ اي فعليه الجزاء او الطعام او الصوم ليذوق جزاء
معصيته عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ قبل التحريم ونزول الآية وقال السدي عفا الله عما سلف في
الجاهلية وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ في الآخرة وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ممن اصر على عصيانه
أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ والمراد بالبحر جميع المياه قال عمر رضي الله عنه صيده ما اصطيد
وطعامه ما رمي به وعن ابن عباس وابن عمر وابي هريرة رضي الله عنهم طعامه ما قذفه الماء
الى الساحل ميتا مَتَاعًا لَكُمْ تمتعا لكم وَلِلسَّيَّارَةِ يعني المارة يتزودونه قديدا عن جابر
رضي الله عنه انه قال غزوت جيش الخبط وامر ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه فجعنا
جوعا شديدا فالقى البحر حوتا ميتا لم ير مثله يقال له العنبر فاكلنا منه نصف شهر فاخذ ابو عبيدة
عظما من عظامه فمر الراكب تحته واخبرني ابو الزبير انه سمع جابرا رضي الله عنه يقول
قال ابو عبيدة كلوا فلما قدمنا ذكرنا للنبي صلى الله عليه وسلم فقال كلوا رزقا اخرجه الله
اطعمونا ان كان معكم فاتاه بعضهم فاكله وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا الصيد هو
الحيوان الوحشي الذي يحل اكله اما ما لا يحل اكله فلا يحرم بسبب الاحرام والحرم اخذه و
قتله الا المتولد بين ما يوكل لحمه وما لا يوكل لحمه كالمتولد بين الذئب والظبي لا يحل اكله
ويجب بقتله الجزاء على المحرم لان فيه جزاء من الصيد عن عبد الله بن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن جناح الغراب
والحداة والعقرب والفارة والكلب العقور وقال سفيان بن عيينة الكلب العقور
كل سبع يعقر ومثله عن مالك وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ

الْبَيْتَ الْحَرَامَ قال مجاهد سمي الكعبة لتربيعها والعرب يسمي كل بيت مربع كعبة وقيل سميت
كعبة لارتفاعها من الارض واصلها من الخروج والارتفاع وسمي الكعب كعبا لنتوه وخروجه
من جانبي القدم ومنه قيل للجارية اذا قاربت البلوغ وخرج ثديها تكعبت وسمي البيت
الحرام لان الله تعالى حرمه وعظم حرمته قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة
يوم خلق السموات والارض قِيَامًا لِلنَّاسِ اي قواما لهم في امر دينهم ودنياهم اما الدين
لان به تقوم الحج والمناسك واما الدنيا فبما يجبى اليه من الثمرات وكانوا يامنون فيه من
النهب والغارة ولا يتعرض لهم احد في الحرم قال الله تعالى او لم يروا انا جعلنا حرما
آمنا ويتخطف الناس من حولهم وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ اراد به الاشهر الحرم وهي ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب جعلها قياما للناس يامنون فيه القتال واختار صاحب الكشاف
ان المراد الشهر الذي يودى فيه الحج وهو ذو الحجة لان له باختصاصه من بين الاشهر باقامة
الحج فيه شانا قال القاضي ولانه الناس لعزاء وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ والمقلد منه خصوصا
والمراد انهم كانوا يامنون بالهدى وبتقليد الهدى ولذلك القوام ذَلِكَ اشارة الى
الجعل او الى ما ذكر من الامر بحفظ حرمة الاحرام وغيره لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ فان شرع الاحكام لدفع المضار قبل وقوعها وجلب المنافع المترتبة عليها
دليل حكمة الشارع وكمال علمه قال الزجاج قد سبق في هذه السورة الاخبار عن الغيوب
والكشف عن الاسرار مثل قوله تعالى سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين ومثل اخباره
بتحريفهم الكتب ونحو ذلك فقوله ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض راجع
اليه قال الامام المعنى انه تعالى لما علم في الازل ان مقتضى طباع العرب الحرص الشديد على القتل
والغارة وعلم انه لو دامت بهم هذه الحالة لعجزوا عن تحصيل ما يحتاجون اليه ولادى الى فنائهم
دبر في ذلك تدبيرا لطيفا وهو انه القى في قلوبهم اعتقادا قويا في تعظيم البيت الحرام ومناسكه
فصار سببا لحصول الامن في البلد الحرام والشهر الحرام فاستقامت مصالح معاشهم بتحصيل
ما يحتاجون اليه في هذا الزمان في هذا المكان ومن المعلوم ان هذا التدبير لا يمكن الا
اذا كان تعالى عالما في الازل بجميع المعلومات من الكليات والجزئيات فعلم انه لو لا طباعهم
وانه يفضي بهم الى انقطاع النسل ودفعه بالقاء تعظيم الكعبة في قلوبهم حتى يصير سببا لحصول
الامان في بعض الامكنة والازمنة فيستقيم حينئذ امور معاشهم في ذلك المكان والزمان
وهذا هو الدليل الذي تمسك به المتكلمون على كونه تعالى عالما فانهم يقولون ان افعاله تعالى
محكمة متقنة مطابقة للمصالح وكل من كان كذلك كان عالما ومن المعلوم ان القاء تعظيم الكعبة

في قلوبهم

في قلوب العرب ليصير سببا لحصول الامن واقتدارهم على تحصيل ما يحتاجون اليه
فعل في غاية الاحكام والاتقان فيكون ذلك دليلا قاهرا وبرهانا باهرا على ان صانع
العالم سبحانه وتعالى عالم بجميع المعلومات ولذلك قال لتعلموا اي ذلك التدبير اللطيف لاجل
ان يتفكروا فيعلموا انه تدبير لطيف وفعل محكم متقن فيعلموا ان الله تعالى يعلم ما في السموات
وما في الارض فانه اذا عرفتم ذلك عرفتم ان علمه سبحانه وتعالى صفة قديمة ازلية واجبة
الوجود وما كان كذلك امتنع ان يكون مخصوصا بالبعض دون البعض فوجب كونه متعلقا
بجميع المعلومات واذا كان كذلك كان الله سبحانه عالما بجميع المعلومات فلذلك قال وَأَنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فهو تعميم بعد تخصيص ومبالغة بعد اطلاق اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ
وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وعيد ووعد لمن انتهك محارمه ولمن حافظ عليها مَا عَلَى الرَّسُولِ
إِلَّا الْبَلَاغُ اي التبليغ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ من تصديق وتكذيب وفعل
وعزيمة ثم لما رغب ورهب بقوله يعلم ما تبدون وما تكتمون اتبعه بنوع آخر من الترغيب
والترهيب فقال قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ حكم عام في نفي المساواة عند الله بين الردي
من الاشخاص والاعمال والاموال وجيده ما رغب به في صالح العمل وحلال المال قال الامام
الخبيث والطيب قسمان روحاني وجسماني فاخبث الخبائث الروحانية الجهل والمعصية واطيب
الطيبات معرفة الله وطاعته وكما ان الجسم اذا التصق به نجاسة صار مستقذرا عند العقلاء
فكذلك الارواح الموصوفة بالجهل بالله والاعراض عن طاعته مستقذرة عند ارباب البصائر
واما الارواح العارفة بالله تعالى المطيعة فانها تصير مشرقة بالانوار الالهيات بل التفاوت
في الروحانيات اكثر فان خبث الخبيث الروحاني مضرته عظيمة دائمة وطيب الطيب الروحاني
منفعته عظيمة خالصة باقية وهي القرب من رب العالمين والانخراط في زمرة الملائكة المقربين
والمرافقة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ
فان العبرة بالجودة والرداءة دون القلة والكثرة فان المحمود القليل خير من المذموم الكثير
والخطاب لكل معتبر ولذلك قال فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ اي اتقوه في تحري الخبيث
وان كثر وآثروا الطيب وان قل لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ نزلت في حجاج اليمامة لما هم المسلمون ان
يوقعوا بهم فنهوا عنه وان كانوا مشركين وقد مضت القصة في اول السورة يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وجه النظم انه لما قال ما على الرسول
الا البلاغ صار التقدير ما بلغه اليكم فخذوه وما لم يبلغه فلا تسألوا عنه فانكم ان سألتم
وتخصيص فيه ربما جاءكم بسبب السؤال تكليف شاق عن ابن عباس قال كان قوم

يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء فيقول الرجل من أبي ويقول الرجل ضلت ناقته أين ناقتي فأنزل الله عز وجل فيهم هذه الآية وعن أنس رضي الله عنه سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه المسألة فغضب فصعد المنبر فقال لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم فجعلت أنظر يمينا وشمالا فإذا كل رجل لاف رأسه في ثوبه يبكي فإذا رجل كان إذا لاحى الرجال يدعى لغير أبيه فقال يا رسول الله من أبي قال حذافة ثم أنشأ عمر رضي الله عنه فقال رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولا نعوذ بالله من الفتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت في الخير والشر كاليوم قط إنه صورت لي الجنة والنار حتى رأيتهما وراء الحائط قال يونس بن شهاب أخبرني عبيد الله قال قالت أم عبد الله حذافة لعبد الله بن حذافة ما سمعت بابن قط أعق منك أمنت أن تكون أمك قد قارفت بعض ما تقارف نساء أهل الجاهلية فتفضحها على أعين الناس قال عبد الله بن حذافة والله لو ألحقني بعبد أسود للحقته وروي أن عمر رضي الله عنه قال يا رسول الله إنا حديث عهد بجاهلية فاعف عفا الله عنك فسكن غضبه والمعنى لا تسألوا رسول الله عن أشياء إن يظهر لكم تغمكم وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم أي إن صبرتم حتى ينزل القرآن بحكم لكم من فرض أو نهي وليس في ظاهره شرح ما بكم إليه حاجة ومست حاجتكم إليه فإذا سألتم عنها حينئذ تظهر لكم عفا الله عنها أي عن أشياء عفا الله عنها ولم يكلف بها عن علي رضي الله عنه أنه قال لما نزلت ولله على الناس حج البيت قال رجل يا رسول الله أفي كل عام فأعرض عنه فعاد مرتين أو ثلاثا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما يؤمنك أن أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم فاتركوني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء الآية والله غفور حليم لا يعاجلكم بعقوبة ما يفرط منكم ويعفو عن كثير قد سألها المسألة قوم من قبلكم كما سألت ثمود صالحا الناقة وسأل قوم عيسى المائدة ثم أصبحوا بها كافرين أي بسببها حيث لم يأتمروا بما سألوا وجحدوا فأهلكوا قال أبو ثعلبة الخشني إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها ونهى عن أشياء فلا تنتهكوها وحد حدودا فلا تعتدوها وعفا عن أشياء من غير نسيان فلا تبحثوا عنها ثم لما منع الناس عن أمور ما كلفوا بالبحث عنها كذلك منعهم عن التزام أمور ما كلفوا التزامها وهو تحريم الحيوانات المذكورة فقال ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام رد وإنكار

لما ابتدعه أهل الجاهلية وهو أنهم إذا أنتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنها أي شقوها وخلوا سبيلها فلا تركب ولا تحلب وكان الرجل منهم يقول إن شفيت فناقتي سائبة ويجعلها كالبحيرة في تحريم الانتفاع بها وإذا ولدت الشاة أنثى فهي لهم وإن ولدت ذكرا فهو لآلهتهم وإن ولدتهما وصلت الأنثى أخاها فلا يذبح لها الذكر وإذا أنتجت من صلب الفحل عشرة أبطن حرموا ظهره ولا يمنعوه من ماء ولا مرعى وقالوا قد حمي ظهره عن سعيد بن المسيب قال البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس والسائبة كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء قال قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار كان أول من سيب السوائب وروى محمد بن إسحق عن محمد بن إبراهيم التيمي عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأكثم بن جون الخزاعي يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت من رجل أشبه برجل منك به ولا به منك وذلك أنه أول من غير دين إسمعيل ونصب الأوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامي فلقد رأيته في النار يؤذي أهل النار بريح قصبه فقال أكثم أيضرني شبهه يا رسول الله فقال لا إنك مؤمن وهو كافر ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب في قولهم إن الله أمرنا بها وأكثرهم لا يعقلون الحلال من الحرام ولكنهم يقلدون كبارهم وفيه أن منهم من يعرف بطلان ذلك ولكنه منعهم حب الرياسة وتقليد الآباء أن يعترفوا به ثم رد على أصحاب التقليد فقال وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول في تحليل الحرث والأنعام وبيان الشرائع والأحكام قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا بيان لقصور عقلهم وانهماكهم في التقليد وأنه لا سند لهم سواه أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون الواو واو الحال قد دخلت عليها همزة الإنكار وتقديره أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون والمعنى أن الاقتداء إنما يصح بالعالم المهتدي وإنما يعرف اهتداؤه بالحجة فلا يكفي التقليد ثم لما بين أنواع التكاليف وبالغ في الترغيب والترهيب ولم يتعظ به الجهال بل أصروا على كفرهم قال يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم الزموا واحفظوا أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم عن أبي ثعلبة الخشني سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه ورأيت أمرا لا بد لك منه فعليك نفسك ودع أمر العوام فإن

وراءكم أيام الصبر فمن صبر فيهن قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله قال ابن المبارك وزاد في غيره قالوا يا رسول الله أجر خمسين منهم قال أجر خمسين منكم وقيل نزلت في أهل الأهواء قال أبو جعفر الرازي دخل على صفوان بن محرز شاب من أهل الأهواء فذكر شيئا من أمره فقال صفوان ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أولياءه يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين وتنبيه على أن أحدا لا يؤاخذ بذنب غيره ثم لما أمر بحفظ النفس أمر بحفظ المال فقال يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم أي مما أمرتم شهادة بينكم والمراد بالشهادة الإشهاد أو الوصية إذا حضر أحدكم الموت إذا شارفه وظهر أماراته حين الوصية بدل من إذا حضر وتنبيه على أن الوصية مما ينبغي أن لا يتهاون فيها اثنان فاعل شهادة ذوا عدل منكم من أقاربكم أو من المسلمين أو آخران من غيركم عطف على اثنان ومن فسر الغير بأهل الذمة جعله منسوخا فإن شهادتهم على المسلم لا يسمع إجماعا إن أنتم ضربتم في الأرض أي سافرتم فيها فأصابتكم مصيبة الموت أي قاربتم الأجل تحبسونهما استئناف كأنه قيل كيف نعمل إذا ارتبنا بالشاهدين أو الوصيين فقال تحبسونهما من بعد الصلوة أي صلوة العصر عند عامة المفسرين لأن جميع أهل الأديان يعظمون ذلك الوقت ويجتنبون فيه الحلف الكاذب فيقسمان يحلفان بالله إن ارتبتم شككتم ووقعت لكم الريبة أي الوارث منكم لا نشتري به ثمنا لا نستبدل بالقسم عرضا من الدنيا أي لا نحلف بالله كاذبا بالطمع ولو كان ذا قربى أي ولو كان المقسم له قريبا منا لا نشتري به ثمنا ولا نكتم شهادة الله أي الشهادة التي أمرنا بإقامتها إنا إذا لمن الآثمين إن كتمناها فإن عثر أي اطلع على أنهما استحقا إثما استوجبا إثما بخيانتهما وبأيمانهما الكاذبة فآخران من أولياء الميت يقومان مقامهما الوصيين من الذين استحق بضم التاء عند العامة يعني الذين استحق عليهم أي فيهم ولأجلهم الإثم وهم ورثة الميت استحق الحالفان بسببهم الإثم وأما على قراءة استحق بفتح التاء والحاء وهي قراءة علي والحسن وحفص فاستحق بمعنى حق الأوليان الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما أي يميننا أحق من يمينهما وأصدق منها وأولى بأن يقبل وما اعتدينا وما جاوزنا فيها الحق إنا إذا لمن الظالمين الواضعين الباطل موضع الحق ومعنى الآيتين أن المحتضر إذا أراد الوصية ينبغي أن يشهد عدلين من ذوي نسبه أو دينه على وصيته أو يوصي إليهما احتياطا فإن لم يجدهما بأن كان في سفر فآخران

فآخران من غيرهما ثم إن وقع نزاع وارتياب أقسما على صدق ما يقولان بالتغليظ في الوقت فإن اطلع على أنهما كذبا بأمارة ومظنة فاعترفا أن كذا من التركة وانتقل إلينا بشراء حلف آخران من أولياء الميت والحكم منسوخ إن كان الاثنان شاهدين فإنه لا يحلف الشاهد ولا يعارض يمينه بيمين الوارث وثابت إن كانا وصيين ورد اليمين إلى الورثة لظهور خيانة الوصيين وادعائهما انتقال شيء من التركة إليهما والتصديق باليمين كان قبل الظهور إذ روي أن تميم بن أوس الداري وعدي بن زيد خرجا إلى الشام للتجارة وكانا حينئذ نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فلما قدموا الشام مرض بديل فدون ما معه في صحيفة وطرحها في متاعه ولم يخبرهما به وأوصى إليهما بأن يدفعا متاعه إلى أهله ومات ففتشاه وأخذا منه إناء من فضة فيه ثلاثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فأصاب أهله الصحيفة فطالبوهما بالإناء فجحدا فترافعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت يا أيها الذين آمنوا الآية فحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلوة العصر عند المنبر وخلى سبيلهما ثم وجد الإناء في أيديهما فأتاهم بنو سهم في ذلك فقالا اشترينا منه ولكن لم يكن لنا عليه بينة فكرهنا أن نقر به فرفعوهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فإن عثر فقام عمرو بن العاص والمطلب بن أبي وداعة السهميان وحلفا ذلك الحكم الذي تقدم أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أي أقرب إلى الإتيان بالشهادة على ما كانت أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم أي أقرب إلى أن يخافوا رد اليمين بعد يمينهم على المدعين فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا ويغرموا فلا يحلفون كاذبين إذا خافوا هذا الحكم وإنما جمع الضمير لأنه حكم يعم الشهود كلهم واتقوا الله أن تحلفوا أيمانا كاذبة وتخونوا أمانة واسمعوا ما توعظون به سمع إجابة والله لا يهدي القوم الفاسقين أي فإن لم تتقوا ولم تسمعوا كنتم قوما فاسقين والله لا يهدي القوم الفاسقين إلى حجة أو إلى طريق الجنة ثم اعلم أن سنة هذا الكتاب الشريف جارية بأنه إذا ذكر أنواعا من الشرائع والأحكام أتبعه إما بالإلهيات وإما بالنبوات وإما بشرح يوم القيامة ليصير ذلك مؤكدا لها فأتبع المذكورات بوصف يوم القيامة ثم ذكر أحوال عيسى عليه السلام فقال يوم يجمع الله الرسل يوم القيامة ظرف لما قبله أو منصوب بإضمار اذكر فيقول للرسل ماذا أجبتم ما الذي رد عليكم قومكم حين دعوتموهم إلى توحيدي وطاعتي قالوا لا علم لنا قال ابن عباس معناه لا علم لنا إلا علم أنت أعلم به منا إنك أنت علام الغيوب أي أنت الذي تعلم ما غاب ونحن لا نعلم إلا ما نشاهد عن أنس رضي الله عنه عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال ليردن علي ناس من اصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني
فاقول اصحابي فيقال لا تدري ما احدثوا بعدك قال ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي
ان للقيامة اهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك
اليوم ويذهلون عن الجواب ثم بعد ما ثابت اليهم عقولهم يشهدون على اممهم اذ قال
الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك نصب باضمار اذكر وقد يقال
انه بدل من يوم يجمع الله وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة توبيخهم لسوال الرسل
عن اجابتهم وتعديد الايات على ايديهم وتكذيبهم اياها وتسميتهم سحرا اذ ايدتك قويتك
بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام الذي يحيي النفس حيوة ابدية ويطهر
من الاثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا المعنى تكلمهم في الكهولة و
الطفولية على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية وبه استدل على
انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل قال ابن عباس ارسله الله وهو ابن ثلثين سنة
فمكث في رسالته ثلثين شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية
والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني و
تبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى من قبورهم احياء باذني
سبق تفسيره في سورة ال عمران واذ كففت منعت وصرفت بني اسرائيل يعني اليهود
عنك حين هموا بقتلك اذ جئتهم بالبينات بالمعجزات فقال الذين كفروا منهم ان هذا
الا سحر مبين يعني ما جاءهم به من البينات وقرئ الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام
واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم على السنة رسلي ان امنوا بي وبرسولي قالوا
الحواريون م
امنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف
لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك اي هل يجيبك
واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي تستطيع بالتاء وربك بنصب
الباء وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس اي سوال ربك واجرى بعضهم على الظاهر
فقالوا غلط القوم وقالوه قبل استحكام المعرفة وكانوا بشرا فقال لهم عيسى عليه السلام
استعظاما للقول اتقوا الله ان كنتم مؤمنين اي ان تشكوا في قدرته ان ينزل علينا
مائدة من السماء المائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده يميده اذا اعطاه واطعمه
فالمائدة هي المعطية المطعمة وسمي الطعام ايضا مائدة لانه يؤكل على المائدة قال
اتقوا الله ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان

وقيل

وقيل اتقوا الله ان تسألوه شيئا لم تسأله الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الايات بعد الايمان
قالوا نريد ان ناكل منها اكل تبرك لا اكل حاجة وتطمئن و تسكن قلوبنا بانضمام علم
المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا بانك رسول الله اي
نزداد ايمانا ويقينا وقيل ان عيسى عليه السلام امرهم ان يصوموا ثلثين يوما فاذا افطروا
لا يسألون شيئا الا اعطاهم ففعلوا وسألوا المائدة وقالوا نعلم ان قد صدقتنا في قولك انا
اذا صمنا ثلثين لا نسأل الله شيئا الا اعطانا ونكون عليها من الشاهدين للعين دون
السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا ينقلعون
عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء قيل انه اغتسل
ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ راسه وغض بصره وبكى ثم قال اللهم ربنا انزل
علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا اي عائدة من الله علينا وقال السدي
معناه نتخذ اليوم الذي انزلت فيه عيدا لاولنا واخرنا اي نعظمه نحن ومن بعدنا
وقال ابن عباس ياكل منها اخر الناس كما اكل اولهم واية منك حجة وبرهانا وارزقنا
وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا
لا اعذبه احدا من العالمين فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا قردة وخنازير
قال عبد الله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيمة المنافقون ومن كفر من اصحاب
المائدة وال فرعون واختلف العلماء في المائدة هل نزلت ام لا فقال مجاهد والحسن
لم تنزل فان الله عز وجل لما اوعد على كفرهم بعد نزول المائدة خافوا ان يكفر بعضهم
فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وقوله تعالى اني منزلها عليكم يعني ان سألتم والصحيح
الذي عليه الاكثرون انها نزلت لقوله تعالى اني منزلها عليكم ولا خلف في خبره ولتواتر
الاخبار فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين واختلفوا في صفتها
قال سعيد بن جبير عن ابن عباس انزل على المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال قتادة
كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء
وقال عطاء بن ابي رباح عن سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى
عليه السلام صوفا وبكى وقال اللهم انزل علينا مائدة فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين
غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت
بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها
رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون الى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا

٤٦٧

صلى الله عليه وسلم قال ليردن علي ناس من اصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني
فاقول اصحابي فيقال لا تدري ما احدثوا بعدك قال ابن عباس والحسن ومجاهد والسدي
ان للقيامة اهوالا وزلازل تزول فيها القلوب عن مواضعها فيفزعون من هول ذلك
اليوم ويذهلون عن الجواب ثم بعد ما ثابت اليهم عقولهم يشهدون على اممهم اذ قال
الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك نصب باضمار اذكر وقد يقال
انه بدل من يوم يجمع الله وهو على طريقة ونادى اصحاب الجنة توبيخهم لسوال الرسل
عن اجابتهم وتعديد الايات على ايديهم وتكذيبهم اياها وتسميتهم سحرا اذ ايدتك قويتك
بروح القدس بجبريل عليه السلام او بالكلام الذي يحيي النفس حيوة ابدية ويطهر
من الاثام ويؤيده قوله تكلم الناس في المهد وكهلا المعنى تكلمهم في الكهولة و
الطفولية على سواء والمعنى الحاق حاله في الطفولية بحال الكهولية وبه استدل على
انه سينزل فانه رفع قبل ان اكتهل قال ابن عباس ارسله الله وهو ابن ثلثين سنة
فمكث في رسالته ثلثين شهرا ثم رفعه الله تعالى اليه واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية
والانجيل واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني و
تبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى من قبورهم احياء باذني
سبق تفسيره في سورة ال عمران واذ كففت منعت وصرفت بني اسرائيل يعني اليهود
عنك حين هموا بقتلك اذ جئتهم بالبينات بالمعجزات فقال الذين كفروا منهم ان هذا
الا سحر مبين يعني ما جاءهم به من البينات وقرئ الا ساحر فالاشارة الى عيسى عليه السلام
واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم على السنة رسلي ان امنوا بي وبرسولي قالوا
الحواريون م
امنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال يا عيسى ابن مريم منصوب باذكر او ظرف
لقالوا فيكون تنبيها على ان ادعاءهم الاخلاص مع قولهم هل يستطيع ربك اي هل يجيبك
واستطاع بمعنى اطاع كاستجاب واجاب وقرأ الكسائي تستطيع بالتاء وربك بنصب
الباء وهي قراءة علي وعائشة وابن عباس اي سوال ربك واجرى بعضهم على الظاهر
فقالوا غلط القوم وقالوه قبل استحكام المعرفة وكانوا بشرا فقال لهم عيسى عليه السلام
استعظاما للقول اتقوا الله ان كنتم مؤمنين اي ان تشكوا في قدرته ان ينزل علينا
مائدة من السماء المائدة الخوان الذي عليه الطعام من ماده يميده اذا اعطاه واطعمه
فالمائدة هي المعطية المطعمة وسمي الطعام ايضا مائدة لانه يؤكل على المائدة قال
اتقوا الله ان كنتم مؤمنين بكمال قدرته وصحة نبوتي او صدقتم في ادعاء الايمان

وقيل

٤٦٨

وقيل اتقوا الله ان تسألوه شيئا لم تسأله الامم قبلكم فنهاهم عن اقتراح الايات بعد الايمان
قالوا نريد ان ناكل منها اكل تبرك لا اكل حاجة وتطمئن و تسكن قلوبنا بانضمام علم
المشاهدة الى علم الاستدلال بكمال قدرته ونعلم ان قد صدقتنا بانك رسول الله اي
نزداد ايمانا ويقينا وقيل ان عيسى عليه السلام امرهم ان يصوموا ثلثين يوما فاذا افطروا
لا يسألون شيئا الا اعطاهم ففعلوا وسألوا المائدة وقالوا نعلم ان قد صدقتنا في قولك انا
اذا صمنا ثلثين لا نسأل الله شيئا الا اعطانا ونكون عليها من الشاهدين للعين دون
السامعين للخبر قال عيسى ابن مريم لما راى ان لهم غرضا صحيحا في ذلك وانهم لا ينقلعون
عنه واراد الزامهم الحجة بكمالها اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء قيل انه اغتسل
ولبس المسح وصلى ركعتين وطأطأ راسه وغض بصره وبكى ثم قال اللهم ربنا انزل
علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا واخرنا اي عائدة من الله علينا وقال السدي
معناه نتخذ اليوم الذي انزلت فيه عيدا لاولنا واخرنا اي نعظمه نحن ومن بعدنا
وقال ابن عباس ياكل منها اخر الناس كما اكل اولهم واية منك حجة وبرهانا وارزقنا
وانت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا
لا اعذبه احدا من العالمين فجحدوا وكفروا بعد نزول المائدة فمسخوا قردة وخنازير
قال عبد الله بن عمر ان اشد الناس عذابا يوم القيمة المنافقون ومن كفر من اصحاب
المائدة وال فرعون واختلف العلماء في المائدة هل نزلت ام لا فقال مجاهد والحسن
لم تنزل فان الله عز وجل لما اوعد على كفرهم بعد نزول المائدة خافوا ان يكفر بعضهم
فاستعفوا وقالوا لا نريدها فلم تنزل وقوله تعالى اني منزلها عليكم يعني ان سألتم والصحيح
الذي عليه الاكثرون انها نزلت لقوله تعالى اني منزلها عليكم ولا خلف في خبره ولتواتر
الاخبار فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين واختلفوا في صفتها
قال سعيد بن جبير عن ابن عباس انزل على المائدة كل شيء الا الخبز واللحم وقال قتادة
كان عليها ثمر من ثمار الجنة وقال عطية العوفي نزلت من السماء سمكة فيها طعم كل شيء
وقال عطاء بن ابي رباح عن سلمان الفارسي لما سأل الحواريون المائدة لبس عيسى
عليه السلام صوفا وبكى وقال اللهم انزل علينا مائدة فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين
غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت
بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها
رحمة ولا تجعلها عقوبة واليهود ينظرون الى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا

الحيب من ريحه فقال عيسى عليه السلام لنعم احسنكم عملا فيكشف عنها ويذكر اسم الله تعالى
فقال شمعون الصفار راس الحواريين انت اولى بذلك منا يا نبي الله فقام عيسى عليه السلام
فتوضأ وصلى صلوة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين
فاذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوسها ولا شوك عليها تسيل من الدسم وعند راسها
ملح وعند ذنبها خل وحولها من الالوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة ارغفة
على واحد زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى
الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا ام من طعام الاخرة فقال
ليس شيء مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الاخرة ولكنه شيء افتعله الله تعالى بالقدرة
العالية كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله قالوا يا روح الله كن اول من يأكل منها
فقال عيسى عليه السلام معاذ الله ان اكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا ان
يأكلوا منها فدعا اهل الفاقة والمرض واهل البرص والجذام والمقعدين وقال كلوا
من رزق الله ولكم المهنأ ولغيركم البلاء فاكلوا وصدر عنها الف وثلثمائة رجل وامرأة
من فقير ومريض وزمن ومبتلى كلهم شبعان واذا السمكة كهيئتها حين نزلت ثم طارت المائدة
صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت فلم يأكل منها زمن ولا مريض ولا مبتلى الا عوفي
ولا فقير الا استغنى وندم من لم يأكل منها فلبثت اربعين صباحا تنزل ضحى فاذا نزلت
اجتمع الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء ولا تزال منصوبة يؤكل
منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدا وهم ينظرون اليها في ظلها حتى توارت عنهم وكانت
تنزل غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اجعل مائدتي
ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها
وقالوا اترون المائدة حقا تنزل من السماء فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اني
شرطت ان من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام
ان تعذبهم فانهم عبادك فانك انت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة وثلثة وثلثون رجلا باتوا
ليلتهم على فرشهم مع نسائهم فاصبحوا خنازير يسعون في الطرق والكناسات ويأكلون العذرة
في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى عليه السلام وبكوا فلما ابصرت
الخنازير عيسى بكت وجعلت تطيف بعيسى عليه السلام وجعل عيسى يدعوهم باسمائهم فيشيرون
برؤسهم ويبكون ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلثة ايام ثم هلكوا وَاِذْ قَالَ اللّٰهُ
يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ اِلٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللّٰهِ يريد به وان تغفرلهم م

نوبيخ

توبيخ الكفرة وتبكيتهم قَالَ سُبْحَانَكَ انزهك تنزيها من ان يكون لك شريك مَا يَكُونُ لِي أَنْ
أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ اِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ في م
تعلم ما اخفيه في نفسي كما تعلم ما اعلنه ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك وقوله في نفسك
للمشاكلة وقيل المراد بالنفس الذات قال علي بن موسى الرضا عن ابيه عن جعفر
قال تعلم كيفيتي ولا اعلم كيفيتك ولا كيفية لك اِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ما كان وما يكون
مَا قُلْتُ لَهُمْ اِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللّٰهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وحدوه ولا تشركوا به شيئا
وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ امنعهم ان يقولوا ذلك فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي قبضتني ورفعتني
اليك كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ المراقب لاحوالهم فمنع من اردت عصمته بالارشاد الى
الدلائل والتنبيه عليها بارسال الرسل وانزال الآيات وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ مطلع
عليه مراقب له اِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَاِنَّهُمْ عِبَادُكَ ولا اعتراض على المالك المطلق فيما يفعل بملكه
وَاِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَاِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فانك القادر القوي على الثواب والعقاب الذي
لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى
الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى في ابراهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من
الناس فمن تبعني فانه مني الآية وقول عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان
تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ورفع يديه فقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله سبحانه وتعالى
يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم فسله ما يبكيه فاتاه جبريل فسأله فاخبره رسول
الله صلى الله عليه وسلم بما قال فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك
في امتك ولا نسوءك قَالَ اللّٰهُ هٰذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ المراد بالصدق الصدق
في الديانات النافع ما كان حال التكليف لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ
اللّٰهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ثم عظم نفسه فقال لِلّٰهِ مُلْكُ السَّمٰوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ونبه على كذب النصارى وفساد دعويهم
في المسيح وامه ولم يقل من فيهن تغليبا للعقلاء وقال ما فيهن تغليبا لغير العقلاء تنبيها
على انهما في غاية القصور عن معنى الربوبية ورتبة العبودية وتنبيها على المجانسة
المنافية للالوهية ولان ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما الا ترى انك تقول اذا رأيت
شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غيره فكان اولى بارادة العموم
سورة الانعام مائة وخمس وستون آية مكية نزلت بمكة جملة ليلا معها
سبعون الف ملك قد سدوا ما بين الخافقين لهم زجل بالتسبيح والتحميد فقال النبي

صلى الله عليه وسلم سبحان ربي العظيم سبحان ربي العظيم وخر ساجدا وروى مرفوعا
من قرأ سورة الانعام فصلى عليه اولئك السبعون الف ملك ليله ونهاره وقال الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس نزلت سورة الانعام بمكة الا قوله وما قدروا الله حق
قدره الى آخر ثلث آيات وقوله تعالى قل تعالوا الى قوله لعلكم تتقون فهذه الست مدنيات

بسم الله الرحمن الرحيم

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضَ قال كعب الاحبار هذه الآية اول آية
في التورية وآخر آية في التورية وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك
في الملك قال ابن عباس فتح الله الخلق بالحمد فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض
وختم بالحمد فقال وقضي بينهم بالحق اي بين الخلائق وقيل الحمد لله رب العالمين اخبر الله
سبحانه وتعالى بانه حقيق بالحمد ونبه على انه المستحق له على هذه النعم الجسام حمد ام
لم يحمد ليكون حجة على الذين هم بربهم يعدلون وخص السموات والارض لانهما
اعظم المخلوقات فيما يرى العباد وفيهما العبر والمنافع لهم قال الكاشف له سموات والخص
سمواته الروح المقدسة وله ارضون واخصها القلب السليم لانه ينزل من الروح
على القلب قطرات الالهام وتقع عليه منه انوار الرحمن وتنبت منه ازهار الحكم
وانوار المعرفة وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ انشأهما قال الواقدي كل ما في القرآن
من الظلمات والنور فهو الكفر والايمان الا في هذه الآية فانه يريد بها الليل والنهار
وقيل اراد بالظلمات الجهل وبالنور العلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله خلق خلقه في ظلمة ثم القى عليهم من نوره فمن اصابه من ذلك النور
اهتدى ومن اخطأه ضل قال الكاشف اي الذي خلق الروح والقلب جعل في الروح
نور العقل لعرفان الآيات والشواهد وجعل في القلب ظلمة النفس الامارة لظهور العبودية
في محل الامتحان وايضا اسرج في القلب نور الايمان من سراج الغيب وانشأ في النفس
ظلمة الشهوات من عالم الريب وايضا نور الروح بنور المشاهدة وادخل القلب في
ظلمة المجاهدة قال بعضهم ابدى الظلمات في الهياكل والنور في الارواح ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ثم للدلالة على استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته و
تبليغ دعوته والمعنى خلق ما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم بعد ذلك بعد ذلك يعدلون
به ما لا يقدر على شيء منه يسوون بربهم الاوثان وقوله تعالى بربهم تنبيه على
انه خلق هذه الاشياء اسبابا لتكونهم وتعيشهم فمن حقه ان يحمدوا عليها ولا يكفروا

هم يعدلون

هم يعدلون ويشركون ويكفرون هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ اي ابتدأ خلقكم منه فان
آدم الذي هو اصل البشر خلق منه او خلق اباكم روي عن ابي هريرة رضي الله عنه
خلق الله آدم عليه السلام من تراب وجعله طينا ثم تركه حتى كان حمأ مسنونا ثم خلقه وصوره
وتركه حتى كان صلصالا كالفخار ثم نفخ فيه روحه ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ مدة
معينة عنده لا مدخل لغيره فيه بعلم ولا قدرة قال الحسن وقتادة والضحاك الاجل الاول من الولادة
الى الموت والاجل الثاني من الموت الى البعث وهو البرزخ ويروى ذلك عن ابن عباس و
قال لكل واحد اجلان اجل من الولادة الى الموت واجل من الموت الى البعث فان كان برا
تقيا وصولا للرحم زيد له من اجل البعث في اجل العمر وان كان فاجرا قاطعا للرحم نقص من
اجل العمر وزيد في اجل البعث ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ تشكون في البعث وثم للدلالة على استبعاد
امتراءهم بعد ما ثبت انه خالقهم وخالق اصولهم ومحييهم الى آجالهم فان من قدر على خلق المواد
وجمعها وابداع الحيوة فيها وابقائها ما شاء كان اقدر على جمع تلك المواد واحيائها ثانيا
وَهُوَ اللّٰهُ فِي السَّمٰوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ اي هو المستحق للعبادة فيهما يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ ما يخفى
وما يظهر من احوال النفس وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ بالجوارح من الخير والشر وَمَا تَأْتِيهِمْ اي اهل
مكة مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ معجزة من المعجزات او آية من آيات القرآن اِلَّا كَانُوا عَنْهَا
مُعْرِضِينَ تاركين للنظر فيه غير ملتفتين اليه قال الامام لما تكلم اولا في التوحيد وثانيا في المعاد
وثالثا فيما يقرر هذين المطلوبين ذكر ما يتعلق بتقرير النبوة وبدأ فيها بان هؤلاء الكفار معرضون
عن تأمل الدلايل وذمهم على ذلك فقال فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ اي فسوف يأتيهم انباء الشيء الذي كانوا
به يستهزئون وهو القرآن اي اخباره واحواله بمعنى سيعلمون باي شيء استهزؤا او سيظهر لهم
انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيمة او عند ظهور
الاسلام وعلو كلمته ثم لما منعهم عن الاعراض والتكذيب والاستهزاء بطريق الوعيد اتبعه بما
يجري مجرى الوعيد بايراد احوال القرون الماضية فقال أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ
اي من اهل زمان والقرن مدة اغلب اعمار الناس وهو سبعون سنة وقيل ثمانون وقيل
ستون وقيل القرن اهل عصر فيه نبي او فائق في العلم قلت المدة او كثرت وروي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن بشر المازني انك تعيش قرنا فعاش مائة سنة
مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ جعلنا لهم فيها مكانا وقررناهم فيها او اعطيناهم من القوى والآلات
ما تمكنوا به من انواع التصرف فيها قال ابن عباس امهلناهم في العمر مثل قوم نوح وعاد وثمود

مَالَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ يا اهل مكه نعال مكنته و مكنت له وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ المطر او السحاب عَلَيْهِمْ
مِدْرَارًا مفعال من الدر قال ابن عباس اى متتابعا اوقات الحاجة وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ لم يغن ذلك عنهم شيا وَأَنْشَأْنَا احدثنا مِنْ
بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ قال الكلبى و مقاتل نزلت فى
النضر بن الحارث وعبد الله بن اميه و نوفل بن خويلد قالوا يا محمد لن نؤمن لك حتى
تاتينا بكتاب من عند الله ومعه اربعة من الملائكة يشهدون عليه انه من عند الله
وانك رسوله فانزل الله عزوجل ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس اى مكتوبا فى ورق
فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ ذكر اللمس ولم يذكر المعاينه لان اللمس ابلغ فى ايقاع العلم من الرؤية
فان السحر يجرى على المرئى ولا يجرى على الملموس وتقييده بالايدى لدفع التجوز فانه
قد يتجوز به عن الفحص كقوله وانا لمسنا السماء لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ
مُبِينٌ تعنتا وعنادا وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ هلا انزل معه ملك يكلمنا انه نبى
كقوله لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ اى
لوجب العذاب و فرغ من الامر فان سنة الله فى الكفار انهم متى اقترحوا آية فانزلت
ثم لم يؤمنوا استؤصلوا بالعذاب ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ لا يمهلون بعد نزوله طرفة عين وقال
الضحاك لو اتاهم ملك فى صورته لماتوا وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا يعنى لو ارسلنا اليهم ملكا لَجَعَلْنَاهُ
رَجُلًا يعنى فى صورة رجل فان القوة البشريه لا تقوى على رويه الملك فى صورته وانما
راهم كذلك الافراد من الانبياء لقوتهم القدسية كان جبريل عليه السلام ياتى فى صورة
دحية الكلبى وجاء الملكان الى داود عليه السلام فى صورة رجلين وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا
يَلْبِسُونَ اى ولو جعلناه رجلا لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فيقولون ما هذا الا
بشر مثلكم وشبهنا عليهم فلا يدرون املك هو او آدمى وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ
كما استهزئ بك يا محمد تعزى نبيه و تسليه صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه
فَحَاقَ قال الربيع بن انس فنزل و قال الضحاك احاط بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ اى جزاء استهزائهم من العذاب و النقمة قُلْ يا محمد لهولاء المكذبين المستهزئين
سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ كيف اهلكهم الله بعذاب الاستيصال
كى يعتبروا ثم قرر اثبات الصانع و المعاد و النبوة فقال قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
خلقا وملكا و هو سؤال تبكيت قُلْ لِلَّهِ فانه المتعين للجواب بالاتفاق بحيث لا يمكنهم ان
يذكروا غيره كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ اى التزمها تفضلا و احسانا و المراد بالرحمة ما يعم

الدارين ومن ذلك الهدايه الى معرفته و العلم بتوحيده بنصب الادلة و انزال الكتب
والامهال على الكفر وقبول الانابة و التوبة وان عظمت الذنوب و كثرت الجرايم ومضى فيها
الدهور عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله
الخلق كتب كتابا فهو عنده فوق العرش ان رحمتى غلبت غضبى وعنه ان رحمتى سبقت
غضبى وعنه ان لله مايه رحمة رحمة واحدة بين الجن والانس والبهائم والهوام فيها
يتعاطفون وبها يتراحمون وبها تعاطف الوحوش على اولادها واخر تسعا وتسعين
رحمة يرحم بها عباده يوم القيمه وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال قدم على النبى
صلى الله عليه وسلم سبى فاذا امراة من السبى قد تحلب ثديها تسعى اذا وجدت صبيا
فى السبى اخذته فالصقته ببطنها وارضعته فقال النبى صلى الله عليه وسلم اترون هذه
طارحة ولدها فى النار قلنا لا وهى تقدر ان لا تطرحه فقال لله ارحم بعباده من هذه بولدها
لَيَجْمَعَنَّكُمْ والله ليجمعنكم فى القبور إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فيجازيكم على شرككم او فى يوم القيمة والى
بمعنى فى و قيل بدل من الرحمة بدل البعض فان من رحمته بعثه اياكم و انعامه عليكم لَا رَيْبَ
فِيهِ فى الجمع او اليوم الَّذِينَ خَسِرُوا اغبنوا أَنْفُسَهُمْ بتضييع راس مالهم وهى الفطرة الاصلية
والعقل السليم فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ الفاء للدلالة على ان عدم ايمانهم بسبب خسرانهم فان ابطال
العقل باتباع الحواس و الوهم و الانهماك فى التقليد و اغفال النظر ادى بهم الى الاصرار على
الكفر و الامتناع عن الايمان ثم لما ذكر السموات و الارضين و لا مكان سواهما ذكر فى هذه
الاية الليل و النهار و لا زمان سواهما و المكان و الزمان ظرفان للمحدثات فاخبر سبحانه و تعالى
انه مالك المكان و المكانيات و الزمان و الزمانيات فقال وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ من
السكنى اى استقر كما فى قوله تعالى وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا او من السكون اى ما سكن
فيهما او تحرك فاكتفى باحد الضدين عن الاخر كقوله سرابيل تقيكم الحر اى الحر والبرد قيل انما
خص السكون بالذكر لان النعمة فيه اكثر و المراد منه جميع ما فى الارض وَهُوَ السَّمِيعُ لكل
مسموع وَالْعَلِيمُ بكل معلوم فلا يخفى عليه شئ وعيد للمشركين على اقوالهم وافعالهم قُلْ أَغَيْرَ
اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا دعى صلى الله عليه وسلم الى دين آبائه فقال جل من قائل قل يا محمد اغير الله
اتخذ وليا اى معبودا لانه رد لمن دعاه الى الشرك فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مبدعهما
ومبتدئهما وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ يرزق ولا يرزق و تخصيص الطعام لشدة الحاجة اليه
قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ يعنى من هذه الامة لان النبى سابق امته فى
الدين و قيل اسلم اخلص وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي

فعبدت غيره عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ مبالغة اخرى فى قطع اطماعهم وتعريض بانهم عصاة
مستوجبون للعذاب مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ قرى يصرف بضم الياء وفتح الراء اى من
يصرف العذاب عنه و قرى يصرف بفتح الياء وكسر الراء اى من يصرف الله العذاب
عنه يوم القيمة فَقَدْ رَحِمَهُ الله الرحمة العظمى وهى النجاة لقولك ان اطعمت زيدا من جوعه
فقد احسنت اليه تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ
وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ ببلية كمرض وفقر فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ فلا قادر على كشفه الا هو
وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ بنعمة كصحة وغنى فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فكان قادرا على حفظه وادامته
عن ابن عباس قال اهدى للنبى صلى الله عليه وسلم بغلة اهداها له كسرى فركبها بحبل من
شعر ثم اردفنى خلفه ثم سار بى مليا ثم التفت الى فقال يا غلام قلت لبيك يا رسول الله
قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة
واذا سالت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله قد مضى القلم بما هو كاين فلو جهد
الخلايق ان ينفعوك بما لم يقضه الله تبارك وتعالى لك لم يقدروا عليه و لو جهدوا ان يضروك
بما لم يكتبه الله سبحانه وتعالى عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين
فافعل فان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان
مع الكرب الفرج وان مع العسر يسرا وَهُوَ الْقَاهِرُ الغالب و فى القهر زيادة معنى على
القدرة وهى منع غيره عن بلوغ المراد فَوْقَ عِبَادِهِ تصوير للقهر و العلو بالغلبة والقدرة
لقوله وانا فوقهم قاهرون وَهُوَ الْحَكِيمُ فى امره وتدبيره الْخَبِيرُ بالعباد وخفايا احوالهم
قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قال الكلبى اتى اهل مكة رسول الله فقالوا ارنا من يشهد انك
رسول الله فانا لا نرى احدا يصدقك و لقد سالنا عنك اليهود و النصارى فزعموا انه ليس
لك عندهم ذكر فانزل الله تعالى قُلِ اللَّهُ اكبر شهادة ثم ابتدئ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ يشهد لى
بالحق وعليكم بالباطل وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ لاخوفكم به يا اهل مكة واكتفى
بذكر الانذار عن ذكر البشارة وَمَنْ بَلَغَ اى لانذركم به يا اهل مكة و ساير من بلغه من
العرب و العجم او من الثقلين الى يوم القيمة قال مقاتل من بلغه القرآن من الجن والانس
فهو نذير له وقال محمد بن كعب القرظى من بلغه القرآن فكانما راى محمدا صلى الله عليه وسلم
وسمع منه عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغوا عنى ولو آية
وحدثوا عن بنى اسرائيل ولا حرج ومن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار
وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نضر الله عبدا سمع مقالتى

فحفظها و وعاها و اداها فرب حامل فقه غير فقيه و رب حامل فقه الى من هو افقه منه
ثلث لا يغل عليهن قلب مسلم اخلاص العمل لله نصيحة المسلمين و لزوم جماعتهم فان دعوتهم
تحيط من ورائهم أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى تقرير لهم مع انكار و استبعاد
قُلْ لَا أَشْهَدُ بما تشهدون قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ثم لما بين انهم كذبوا فى
قولهم انا لا نعرف محمدا قال الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ يعرفون محمدا بنعته وصفته فى التورية
والانجيل كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ من اهل الكتاب و المشركين فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ
لتضييعهم ما به يكتسب الايمان ثم لما حكم على المنكرين بالخسران بين سببه فقال وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ
افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا كقولهم الملئكة بنات الله وهولاء شفعاؤنا عند الله أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ
يعنى القرآن و المعجزات وانما ذكر او وهم قد جمعوا بين الامرين تنبيها على ان كلا منهما وحده
بالغ فى غاية الافراط فى الظلم على النفس إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ فضلا عمن لا احد اظلم منه وَيَوْمَ
منصوب بمضمر تقديره اذكر يوم نحشرهم او كان كيت وكيت اذ الابهام ادخل فى التخويف نَحْشُرُهُمْ
جَمِيعًا العابدين و المعبودين يعنى يوم القيمة ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ اين الهتكم
التى جعلتموها شركاء الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ انها تشفع لكم عند ربكم ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ جوابهم
وانما سماه فتنة لانه كذب او لانهم قصدوا به الخلاص فيكون من فتنت الذهب اذا خلصته
قال الزجاج فتنتهم ومحبتهم الاصنام إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ يكذبون و يحلفون
عليه مع علمهم بانه لا ينفع من فرط الحيرة والدهشة كما يقولون ربنا اخرجنا منها و قد ايقنوا
بالخلود و قيل انهم اذا راوا يوم القيامه مغفرة الله تعالى وتجاوزه عن اهل التوحيد قال بعضهم
لبعض تعالوا نكتم الشرك لعلنا ننجو مع اهل التوحيد فيقولون والله ربنا ما كنا مشركين انْظُرْ
كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بنفى الشرك عنها وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ اى زال وذهب عنهم ما كانوا
يفترون من الاصنام وذلك انهم كانوا يرجون شفاعتها ونصرتها فبطل كل فى ذلك اليوم وَمِنْهُمْ
مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ قال الكلبى اجتمع ابو سفيان بن حرب و ابو جهل بن هشام و الوليد بن المغيرة
و النضر بن الحارث وعتبة وشيبة ابنا ربيعه وامية و ابى ابنا خلف و الحارث بن عامر
يستمعون القرآن فقالوا للنضر يا ابا قتيلة ما يقول محمد قال ما ادرى ما يقول الا انى اراه
يحرك لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما كنت احدثكم عن القرون الماضيه وكان النضر
كثير الحديث عن القرون و اخبارها فقال ابو سفيان انى ارى بعض ما يقول حقا فقال ابو جهل
كلا لا نقر بشئ من هذا وفى رواية للموت اهون علينا من هذا فانزل الله تعالى ومنهم من
يستمع اليك الى كلامك وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً اغطية جمع كنان وهو ما يستر الشئ كالا عنة

جمع عنان أَنْ يَفْقَهُوهُ كراهة ان نفقهوه وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا صمما وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا لفرط عنادهم واستحكام التقليد فيهم حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ اى بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم جاؤك مجادلونك يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ والاساطير الاباطيل والترهات جمع اسطورة او اسطار من سطرت اى كتبت ثم لما بين انهم قدحوا في معجزته ذكر انهم ينهون الناس عن تصديقه وينأون عنه فقال وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ اي ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ اى يتباعدون عنه بانفسهم نزلت في كفار مكة قاله محمد بن الحنفية والسدى والضحاك وقال ابن عباس ومقاتل نزلت في ابي طالب كان ينهى الناس عن اذى النبي صلى الله عليه وسلم ويمنعهم وينأى عن الايمان به اي يبعد حتى روى انه اجتمع اليه روس المشركين وقالوا خذ منا اصبحنا وجها وادفع الينا محمدا صلى الله عليه وسلم فقال ابو طالب ما انصفتموني ادفع اليكم ولدي لتقتلوه واربي ولدكم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى الاسلام والايمان فقال لولا ان تعيرني قريش لاقررت به عينك ولكن اذب عنك ما حييت وقال فيه ابياتا والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا فاصدع بامرك ما عليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا ودعوتني وعرفت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم امينا وعرضت دينا قد علمت بانه من خير اديان البرية دينا لولا الملامة او حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا وَإِنْ يُهْلِكُونَ ما يهلكون إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ان ضررهم لا يتعداهم الى غيرهم ثم لما حكى انكارهم بين كيفية حالهم في القيامة فقال وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ حين جعلوا واقفين مطلعين على النار وقرئ وقفوا على النار للفاعل من وقف عليه وقوفا وجواب لو محذوف معناه لو تراهم في تلك الحالة لرايت عجبا فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ يعنى الى الدنيا وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قراءة العامة كلها بالرفع على معنى يا ليتنا نرد ونحن لا نكذب ونكون من المؤمنين وقرئ ولا نكذبَ ونكونَ بنصب الباء والنون على جواب التمني اي ليت ردنا وقع وان لا نكذب ونكون وقرئ نكذبُ بالرفع ونكونَ بالنصب بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ يعنى انه ظهر لهم ما كانوا يخفون من نفاقهم او قبائح اعمالهم فتمنوا ذلك ضجرا لا عزما على انهم لو ردوا لآمنوا وَلَوْ رُدُّوا الى الدنيا بعد الوقوف والظهور لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ من الكفر والمعاصي وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ فيما وعدوا من انفسهم وَقَالُوا عطف على لعادوا او استيناف بذكر ما قالوه في الدنيا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا الضمير للحيوة وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ هذا اخبار عن انكارهم البعث وقال عبد الرحمن بن زيد هذا

شابام

من قولهم لو ردوا لقالوه وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ اى على قضاء ربهم ومسالته وقيل عرضوا على ربهم قَالَ لهم وقيل يقول لهم الخزنة بامر الله أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ يعنى اليس هذا البعث والعذاب بالحق قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا انه حق قال ابن عباس هذا في موقف وقولهم والله ربنا ما كنا مشركين في موقف اخر وللقيامة مواقف ففي موقف يقرون وفي موقف ينكرون قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ اذ فاتهم النعيم واستوجبوا العذاب المقيم ولقاء الله البعث وما يتبعه حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له بَغْتَةً فجاءة قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا ندامتنا ذكر على وجه النداء للمبالغة قال سيبويه كانه يقول ايتها الحسرة هذا اوانك عَلَى مَا فَرَّطْنَا قصرنا فِيهَا في الحيوة الدنيا او في الساعة يعنى في الايمان بها وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ اثقالهم وآثامهم عَلَى ظُهُورِهِمْ قال السدى وغيره ان المؤمن اذا خرج من قبره استقبله احسن شئ صورة واطيبه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الصالح فاركبني فقد طال ما ركبتك في الدنيا فذلك قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا اى ركبانا واما الكافر فيستقبله اقبح شئ صورة وانتنه ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا فيقول انا عملك الخبيث طال ما ركبتني في الدنيا فانا اليوم اركبك فهو معنى قوله تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ يحملون قال ابن عباس بئس الحمل حملوا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ اى وما اعمالها فيها الا لعب ولهو يلهي الناس ويشغلهم عما يعقب منفعة دائمة ولذة حقيقية فاللعب هو الاشتغال بالا فائدة فيه وينشاء عند اللهو فان اللهو كالسهو والغفلة وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ لدوامها وخلوص لذاتها وقوله للذين يتقون تنبيه على ان ما ليس من اعمال المتقين لعب ولهو أَفَلَا تَعْقِلُونَ ان اى الامرين خير قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ قال ناجية بن كعب قال ابو جهل للنبي صلى الله عليه وسلم ما نتهمك ولا نكذبك ولكن نكذب الذي جئت به فانزل الله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ التكذيب هو ان ينسبه الى الكذب ويقول له كذبت والاكذاب هو ان يجده كاذبا يقول العرب احدبت الارض واخصبتها اذا وجدتها مجدبة ومخصبة وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ اى ولكنهم يجحدون آيات الله فوضع الظالمين موضع الضمير للدلالة على انهم ظلموا بجحودهم وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على ان قوله تعالى لا يكذبونك ليس بنفي تكذيبه مطلقا فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا فيه ايماء بوعد النصر

كبتى

للصابرين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ لا ناقض لما حكم به وقد حكم في كتابه بنصر انبيائه عليهم السلام فقال سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون وقال انا لننصر رسلنا وقال كتب الله لاغلبن انا ورسلي وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ اى من قصصهم وما كابدوا من قومهم وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ اى وان كان عظم وشق ان اعرضوا عن الايمان وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قومه اشد الحرص وكان اذا سألوا آية احب ان يريهم الله تعالى ذلك طمعا في ايمانهم فقال الله عز وجل فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا سربا فِي الْأَرْضِ تنفذ فيه الى جوف الارض أَوْ سُلَّمًا درجا ومصعدا تصعد به الى السماء فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ فافعل وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فآمنوا كلهم ولكن لم تتعلق به مشيته فلا تتهالك فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ بالحرص على ما لا يكون والجزع في مواطن الصبر فان ذلك من داب الجهلة إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ انما يجيب الذين يسمعون بفهم وتامل لقوله تعالى او القى السمع وهو شهيد دون من ختم على سمعه وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ فيعلمهم حين لا ينفعهم الايمان ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ فيجزيهم باعمالهم قال الكاشفي السماع سماعان سماع فهم وسماع عشق ومحبة ومن سمع سماع فهم لم يكن من اهل النطق في جريان حكم المعارف لانه في مقام التلقي ولم يكن له تصرف الا تصرف ظاهر العلم ومن سمع سماع العشق يسمع المعرفة على حد الكمال يكون له لسان بيان المعرفة والتصرف في الاشارات والعبارات قال النوري من فتح سمعه بالسماع اجرى لسانه بالجواب قال الله تعالى انما يستجيب الذين يسمعون وقال ابن عطاء اخبر الله ان اهل السماع هم الاحياء وهم اهل الخطاب والجواب واخبر ان الاخرين هم الاموات بقوله والموتى يبعثهم الله وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ اى آية مما اقترحوه او آية اخرى سوى ما انزل من الآيات المتكاثرة لعدم اعتدادهم بها عنادا قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً مما اقترحوه او آية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ان الله قادر على انزالها وان انزالها يستجلب عليهم البلاء وان لهم فيما انزل مندوحة عن غيره ثم لما بين انه لو كان انزال الآية القاهرة مصلحة لهم لما اظهرها وهذا الكلام انما يتم اذا ثبت انه تعالى يراعى مصالح الخلق فبين ان الامر كذلك وقرره فقال وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ تدب على وجهها وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ في الهواء إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها وآجالها

في السماء

والمقصود من ذلك الدلالة على كمال قدرته تعالى وتقدس وشمول علمه وسعة تدبيره ليكون كالدليل على انه قادر على ان ينزل آية وجمع الامم للحمل على المعنى مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ يعنى اللوح المحفوظ فانه مشتمل على ما يجري في العالم من جليل ودقيق لم يهمل فيه شئ من حيوان ولا جماد او القرآن فانه قد دون فيه ما يحتاج اليه من امر الدين مفصلا او مجملا قال الكاشفي اى كل ما يحتاج اليه الخلق في العبودية وعرفان الربوبية في كتابنا ليس مقام ولا حال ولا وجد ولا ادراك ولا معرفة ولا ادرية الا وبين طريقه في كلامه لان كلامه تعالى صفته الخاصة المبينة عرفان جميع الصفات وطرق الى الذات ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ يعنى الامم كلها قال ابن عباس والضحاك حشرها موتها وقال ابو هريرة رضي الله عنه يحشر الله الخلق كلهم يوم القيمة البهائم والدواب والطير وكل شئ فياخذ للجماء من القرناء ثم يقول كوني ترابا فحينئذ يتمنى الكافر ويقول يا ليتني كنت ترابا وعنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليؤدن الحقوق الى اهلها الى يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ لا يسمعون مثل هذه الآيات الدالة على ربوبيته وكمال علمه وعظم قدرته سماعا يتاثر به نفوسهم وَبُكْمٌ لا ينطقون بالحق فِي الظُّلُمَاتِ في ظلمات الكفر او في ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد قال الكاشفي وصف الله سبحانه وتعالى اهل الامتحان الذين يكشف هو انف الالهام بالغيب فيستقبلونها بمعارضة نفوسهم ويكذبون خواطر الحق بخاطر الباطل حين لم يعرفوا الهام من الوسواس وذلك من وقر الضلال في اذانهم حيث لم يلقوا اسماعهم الى مقام الشهود الى غيب الله ولم يذكر الله السنة اسرارهم بوصف الهيبة والمحبة وذلك من بقايا نفوسهم في ظلمات هواها مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ فيموت على الكفر وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ هو الاسلام قال الكاشفي الطريق المستقيم في معرفة طرق افعاله للعقول بنعت الفكر وطرق صفاته للعقول بنعت المحبة وطرق ذاته للارواح بنعت المعرفة قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ قال الفراء العرب يقول ارايتك وهم يريدون اخبرنا كما تقول ارايتك ان فعلت كذا ماذا تفعل اى اخبرني قال ابن عباس قل يا محمد لهؤلاء المشركين ارايتكم إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ كما اتى من قبلكم أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ القيامة وهولها أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ في صرف العذاب عنكم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ان الاصنام آلهة فادعوهم بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ اى تدعون الله ولا تدعون غيره فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ الى كشفه إِنْ شَاءَ ان يتفضل عليكم ولا يشاء في الآخرة وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ وتتركون آلهتكم في ذلك الوقت لما ذكر في العقول على انه القادر على كشف الضر دون غيره قال الحريري

إن أتاكم

يرجع العارفون الى الحق فى اوائل البدايات ويرجع العام اليه بعد اليأس من الخلق
قال اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل الصادق منكم اليه يرجع و اياه تدعو وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا
إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فكفروا فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ بالشدة والجوع وَالضَّرَّاءِ الضر والآفات
لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ يتذللون لنا ويتوبون عن ذنوبهم فَلَوْلَا فهلا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا عذابنا
تَضَرَّعُوا معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم اليه وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَ
زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من الكفر والمعاصى يعنى انه لا مانع لهم الا قساوة قلوبهم
واعجابهم باعمالهم التى زينها الشيطان لهم فَلَمَّا نَسُوا تركوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ما وعظوا به من البأساء
والضراء ولم يتعظوا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ وهذا فتح استدراج ومكر اى بدلنا مكان
البلاء والشدة الرخاء والصحة حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا من النعم ولم يزيدوا على البطر والاشتغال بالنعم عن المنعم والقيام بحقه أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فجاءة آمن ما كانوا واعجب ما كانت
الدنيا اليهم فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ آيسون من كل خير عن عقبة بن عامر رضى الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا رأيت الله يعطى العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته
فانما ذلك استدراج ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به الآية فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا اى
آخرهم الذى يدبرهم يقال دبر فلان القوم يدبرهم دبرا ودبورا اذا كان آخرهم ومعناه
انهم استوصلوا بالعذاب فلم يبق منهم باقية وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ على اهلاكهم فان هلاك
الكفار والعصاة من حيث انه تخليص لاهل الارض من شوم عقايدهم واعمالهم نعم جليل
يحق ان يحمد عليها قُلْ أَرَأَيْتُمْ ايها المشركون إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ حتى لا تسمعوا شيئا اصلا وَأَبْصَارَكُمْ
حتى لا تبصروا شيئا وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم حتى لا تفهموا شيئا ولا تعرفوا مما تعرفون من امور
الدنيا مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ بما اخذ والمقصود من الآية الدلالة على وجود الصانع انْظُرْ
كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ نكررها تارة من جهة المقدمات العقلية وتارة من جهة الترغيب و
الترهيب وتارة بالتنبيه والتذكير باحوال المتقدمين ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ يعرضون عنها وثم
للاستبعاد الاعراض بعد تصريف الآيات وظهورها قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً
من غير مقدمة أَوْ جَهْرَةً بتقدمها امارة قال ابن عباس والحسن ليلا او نهارا هَلْ يُهْلَكُ
ما يهلك به هلاك سخط وتعذيب إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ المشركون ثم لما حكى عن الكفار انهم قالوا
لولا انزل عليه آية من ربه وذكر جوابهم ذكر ان الرسل بعثوا مبشرين ومنذرين فمن
آمن كيف حاله ومن اعرض كيف يقال وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ
فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ ما يجب اصلاحه على ما شرع لهم فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ حين خاف اهل النار

إِنْ أَتَاكُمْ

ولا هم يحزنون

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ بفوات الثواب اذا حزنوا وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ جعل العذاب
ماسًا لهم كانه الطالب للوصول اليهم ليفعل بهم ما يريد من الآلام بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ بسبب خروجهم
عن التصديق والطاعة ثم ذكر بقية الكلام على قوله لولا انزل عليه آية من ربه فقال قُل
لَّا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ نزل حين اقترحوا الآيات فامره ان يقول لهم لا اقول لكم
عندى خزائن الله فاعطيكم ما تريدون وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ما لم يوح الىّ فاخبركم بما غاب مما مضى
ومما سيكون وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ اقدر على ما يقدر دون عليه إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ
تبرأ عن دعوى الالوهية والملكية وادعى النبوة التى هى من كمالات البشر ردًا لاستبعادهم
دعواه وجزمهم على فساد مدعاه قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ قال قتادة الكافر والمؤمن
وقال مجاهد الضال والمهتدى وقيل الجاهل والعالم او مدعى المستحيل كالالوهية والملكية
ومدعى المستقيم كالنبوة أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ فتهتدوا او فتميزوا بين ادعاء الحق والباطل وَ
أَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ اى بالقرآن الموحى اليك الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ وهم المؤمنون
المفرطون فى العمل او المجوزون للحشر مؤمنا كان او كافرا مقرا به او مترددا فيه فان
الانذار ينجع فيهم دون الفارغين الجازمين باستحالته لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ
حال من ان يحشروا فان المخوف هو الحشر على هذه الحالة لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ
رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ بعد ما امره بانذار غير المتقين ليتقوا امره باكرام المتقين وتقريبهم
وان لا يطردهم برضية لقريش قال سلمان وخباب بن الارت فينا نزلت هذه الآية جاء الاقرع
بن حابس التميمى وعيينة بن حصن الفزارى وذووهم من المؤلفة قلوبهم فوجدوا النبى صلى
الله عليه وسلم قاعدا مع بلال وصهيب وخباب فى ناس من ضعفاء المؤمنين فلما راوهم حوله
حقروهم فاتوه فقالوا يا رسول الله لو جلست فى صدر المجلس ونفيت عنا هولاء وارواح
جبابهم وكان عليهم جباب صوف لم يكن عليهم غيرها لجالسناك واخذنا عنك فقال النبى صلى الله
عليه وسلم ما انا بطارد المؤمنين قالوا فانا نحب ان تجعل لنا منك مجلسا تعرف العرب به فضلنا
فان وفود العرب تاتيك فنستحيى ان ترانا العرب مع هولاء الاعبد فاذا نحن جئناك فاقمهم
عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم ان شئت قال نعم قالوا اكتب لنا عليك بذلك كتابا فدعا بالصحيفة
ودعا عليا ليكتب قال ونحن قعود فى ناحية اذ نزل جبريل عليه السلام بقوله تعالى ولا
تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى الى قوله بالشاكرين فالقى رسول الله صلى الله عليه
وسلم الصحيفة من يده ثم دعانا فاتيناه وهو يقول سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة
فكنا نقعد معه فاذا اراد ان يقوم قام وتركنا فانزل الله عز وجل واصبر نفسك مع الذين

يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد
معنا بعد وندنو منه حتى كادت ركبتنا تمس ركبته فاذا بلغ الساعة التى يقوم فيها قمنا
وتركناه حتى يقوم وقال لنا الحمد لله الذى لم يمتنى حتى امرنى ان اصبر نفسى مع امتى
معكم المحيا ومعكم الممات والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام ونقل عن ابن عباس ان
المراد منه الصلوات الخمس ونقل عنه ايضا ان المراد صلوة الصبح وصلوة العصر يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ اى يدعون ربهم مخلصين فيه قيد الدعاء بالاخلاص تنبيها على انه مدار الامر و
رتب النهى عليه اشعارا بانه يقتضى اكرامهم وينافى ابعادهم مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن
شَيْءٍ كقوله ان حسابهم الا على ربى وذلك انهم طعنوا فى دينهم واخلاصهم فقال ما عليك
من حسابهم من شىء من بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله فى اعمالهم على معنى
وان كان على ما يقولون فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين وان كان
لهم باطن غير مرضى فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن
شَيْءٍ كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى فَتَطْرُدَهُمْ
جواب لقوله ما عليك من حسابهم من شىء وقوله فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ جواب لقوله ولا تطرد
الذين يدعون الله وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا ابتلينا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ اراد ابتلاء الغنى بالفقير والشريف
بالوضيع وذلك ان الشريف اذا نظر الى الوضيع قد سبقه بالايمان امتنع من الاسلام بسببه
فكان فتنة له كما قال تعالى لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا انكار لان يخص هؤلاء
من بينهم باصابة الحق والسبق الى الخير لقولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه واللام للعاقبة
فقال الله تعالى أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه وبمن لا
منه فيخذله عن ابى سعيد الخدرى قال جلست فى نفر من ضعفاء المهاجرين وان بعضهم
ليستتر ببعض من العرى وقارئ يقرأ علينا اذ جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام علينا
فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سكت القارئ فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ما كنتم تصنعون قلنا يا رسول الله كان قارئ يقرأ علينا فكنا نستمع الى كتاب الله
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى جعل من امتى من امرنى ان اصبر نفسى
معهم قال ثم جلس وسطنا ليعدل نفسه فينا فقال صلى الله عليه وسلم ابشروا يا معشر
صعاليك المهاجرين بالفوز التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف
يوم وذلك مقدار خمس مائة سنة وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
قال عكرمة نزلت فى الذين نهى الله عز وجل نبيه عن طردهم فكان النبى صلى الله عليه وسلم

اذا رآهم

اذا رآهم بدأهم بالسلام وقال عطاء نزلت فى ابى بكر وعمر وعثمان وعلى وبلال وسالم وابى
عبيدة وابى مصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والارقم بن
ارقم وابى سلمة بن عبد الاسد رضى الله عنهم اجمعين كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ اى قضى
على نفسه الرحمة أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا استئناف لتفسير الرحمة وقرئ بالفتح على البدل
منها بِجَهَالَةٍ قال مجاهد لا يعلم حلالا لا من حرام فمن جهالته ركب الامر وقيل جاهل بما يورثه
ذلك الذنب وقيل جاهل من حيث انه آثر المعصية على الطاعة والعاجل القليل على الآجل
الكثير ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ رجع عن ذنبه وَأَصْلَحَ عمله وقيل اخلص توبته فَأَنَّهُ غَفُورٌ
رَّحِيمٌ وَكَذَٰلِكَ ومثل ذلك التفصيل الواضح نُفَصِّلُ الْآيَاتِ آيات القرآن فى صفة المطيعين
والمجرمين المصرين منهم والاوابين وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ولتستوضح يا محمد سبيلهم
فتعامل كلا منهم بما يحق له فصلنا هذا التفصيل ثم لما ذكر تعالى انه يفصل الآيات ليظهر
الحق ولتستبين سبيل المجرمين نهى عن سلوك سبيلهم فقال قُلْ إِنِّي نُهِيتُ صرفت وزجرت
بما نصب لى من الادلة وانزل علىّ من الآيات من امر التوحيد أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ
مِن دُونِ اللَّهِ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ فى عبادة الاوثان وطرد الفقراء قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا اى
ان اتبعت اهواءكم قد ضللت وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ومن عدادهم وفيه تعريض
بانهم كذلك قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ بيان وبصيرة وبرهان مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ اى بربى حيث
اشركتم به غيره او بالبينة فانها بمعنى البيان مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ قيل اراد به استعجالهم
العذاب كانوا يقولون ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة الآية وقيل
اراد القيامة قال الله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ
يقول الحق وقرئ يقضى الحق اى يحكم بالحق والتقدير يقضى القضاء الحق وَهُوَ خَيْرُ
الْفَاصِلِينَ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي وبيدى وقدرتى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ من العذاب لَقُضِيَ
الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ لاهلكتكم عاجلا غضبا لربى وانقطع ما بينى وبينكم وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ
هو اعلم بمن ينبغى ان يؤخذ وبمن ينبغى ان يمهل منهم ثم لما ذكر انه تعالى اعلم بالظالمين
ذكر فى هذه الآية ما يدل عليه فقال وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خزائنه جمع مفتح بفتح الميم
وهو المخزن او ما يتوصل به الى المغيبات مستعار من المفاتح التى هى جمع مفتح بالكسر
وهو المفتاح لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ عن ابن عمر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مفاتح الغيب خمس لا يعلمها الا الله لا يعلم ما تغيض الارحام احد الا الله تعالى ولا يعلم
ما فى الغد الا الله ولا يعلم متى يأتى المطر الا الله تعالى ولا تدرى نفس باى ارض تموت الا الله

ولا يعلم متى تقوم الساعة احد الا الله وقال الضحاك ومقاتل مفاتح الغيب خزائن الارض
وعلم نزول العذاب وقال عطاء ما غاب عنكم من الثواب والعقاب وقيل انقضاء الآجال
وقيل احوال العباد من السعادة والشقاوة وخواتيم اعمالهم وقيل هي ما لم يكن بعد انه
يكون ام لا يكون وما يكون كيف يكون وما لا يكون ان لو كان كيف يكون وقال ابن مسعود
اوتي نبيكم علم كل شيء الا مفاتح الغيب وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ عطف للاخبار عن
تعلق علمه بالمشاهدات على الاخبار عن اختصاص علمه بالمغيبات وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ
إِلَّا يَعْلَمُهَا مبالغة في احاطة علمه بالجزئيات يعني يعلم ما سقط من ورق الشجر وما بقي عليه
وقيل يعلم كم انقلبت ظهرا لبطن الى ان سقطت على الارض وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ — الارض م
وَلَا يَابِسٍ قال ابن عباس الرطب الماء واليابس البادية وقال عطاء يريد ما ينبت وما
لا ينبت وقيل ولا حي ولا موات وقيل عبارة عن كل شيء إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ يعني ان
الكل مكتوب في اللوح المحفوظ ثم لما بين كمال علمه في الآية السابقة بين كمال قدرته فقال
وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ ينيمكم فيه ويراقبكم استعير التوفي من الموت للنوم لما بينهما
من المشاركة في زوال الاحساس والتمييز وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ كسبتم فيه خص الليل
بالنوم والنهار بالكسب جريا على المعتاد ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ اي يوقظكم في النهار لِيُقْضَى
أَجَلٌ مُسَمًّى يعني اجل الحياة الى الممات يريد استيفاء العمر على التمام ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ
ثم اليه مرجعكم في الآخرة ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ يخبركم بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ بالمجازاة عليه وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ
عِبَادِهِ قال الامام وتقرير هذا القهر من وجوه الاول انه تعالى قهار بالايجاد والافناء
الثاني انه قهار لكل ضد بضده فيقهر النور بالظلمة والليل بالنهار وبالعكس وكل مخلوق
فله ضد فالفوق ضد التحت والماضي ضد المستقبل والقدرة ضدها العجز والحياة
ضدها الموت فتامل في سائر الصفات والاحوال لتعرف ان حصول التضاد فيها يتعلق علمها
بالمقهورية والعجز والنقصان الثالث ان هذا البدن مؤلف من الطبائع الاربعة المتنافرة
المتباعدة بالطبع فاجتماعها لابد وان يكون بقاهر وليس هذا المعنى الانسان على ما تقول
الفلاسفة لان تعلق النفس بالبدن انما يكون بعد المزاج والقاهر لهذه الطبائع سابق
على الاجتماع والسابق عليه مغاير للمتاخر عنه فاذا القاهر لهذه الطبائع على الاجتماع
ليس الا الله سبحانه وتعالى وايضا فالجسد كثيف ظلماني والروح لطيف نوراني فبينهما
اشد المنافرة ثم انه تعالى جمع بينهما على سبيل القهر وجعل كل واحد منهما مستكملا ومنتفعا
بصاحبه فالروح يصون البدن عن التغير والفساد والتفرق والبدن يصير له آلة

في تحصيل السعادات وهذا الاجتماع والانتفاع ليس الا بقهر الله جل جلاله وايضا فانه تعالى
بعد اجتماعهما اعطى للروح قدرة على ترجيح احد الضدين على الآخر من الفعل والترك ولا يتم
ذلك الا بعد خلق الداعية الجازمة في القلب لترجيح احدهما على الآخر فخلق تلك الداعية
في قلبه حتى تقدم العبد بسببها على الفعل مرة والترك اخرى تجري مجرى القهر فكان قاهر العباد
فما من شيء من الممكنات الا وهو مقهور تحت قهره وقدرته ثم ذكر الله تعالى بعضا من جلائل قهره
فقال وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً يعني الملائكة الذين يحفظون اعمال بني آدم وهو جمع حافظ
نظير وتعليم لحافظين والحكمة فيه ان المكلف اذا علم ان اعماله يكتب عليه ويعرض على رؤوس
الاشهاد كان اذجر عن المعاصي وان العبد اذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره
لم يحتشم منه احتشامه من خدمه المتطلعين عليه حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا
ملك الموت واعوانه وقيل اراد بالرسل ملك الموت وحده فذكر الواحد بلفظ الجمع وجاء
في الاخبار ان الله تعالى جعل الدنيا بين يدي ملك الموت كالمائدة الصغيرة فيقبض من ههنا و — الموت م
من ههنا فاذا كثرت الارواح فيدعوها فتجيب له وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ لا يتجاوزون ما حد لهم
بزيادة او نقصان ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ الى حكمه وجزائه مَوْلَاهُمُ الذي يتولى امرهم الْحَقِّ
العدل أَلَا لَهُ الْحُكْمُ يومئذ لا حكم لغيره فيه وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ لا يحتاج الى فكرة وروية
يحاسب الخلائق في مقدار حلب شاة ولا يشغله حساب عن حساب فان قيل الآية في المؤمنين
والكفار جميعا وقد قال في آية اخرى وان الكافرين لا مولى لهم فكيف وجه الجمع قيل المولى
في تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار والمولى هنا المالك الذي يتولى امورهم والله عز وجل
مالك الكل ومتولي الامور ثم ذكر دليلا آخر على كمال قدرته فقال قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ
الْبَرِّ وَالْبَحْرِ اي من شدائدهما واهوالهما كانوا اذا سافروا في البر والبحر فضلوا الطريق
وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين فينجيهم فذلك قوله تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً
علانية وسرا لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ الظلمات لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ والشكر هو معرفة النعمة
مع القيام بحقها قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ سواها والكرب غاية الغم الذي ياخذ
بالنفس ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ الاصنام التي لا تضر ولا تنفع ثم ذكر دليلا آخر على التوحيد
ممزوجا بنوع من التخويف فقال قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ
يعني الريح والصيحة والحجارة والطوفان كما فعل بعاد وثمود وقوم شعيب وقوم
لوط وقوم نوح أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ يعني الرجفة والخسف كما فعل بقوم شعيب
وقارون وعن ابن عباس ومجاهد عذابا من فوقكم السلاطين الظلمة او من تحت ارجلكم

العبيد السوء وقال الضحاك من فوقكم من قبل كباركم او من تحت ارجلكم او من اسفل منكم
أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا اي يخلطكم فرقا ويبث فيكم الاهواء المختلفة وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ
يقتل بعضكم بعضا عن جابر انه لما نزلت هذه الآية قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا
من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك او من تحت ارجلكم قال اعوذ بوجهك
قال او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا اهون
او هذا ايسر وعن سعد بن ابي وقاص قال اقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى مررنا على مسجد بني معاوية فدخل فصلى ركعتين وصلينا معه فناجى ربه طويلا ثم
قال سالت ربي ثلثة سالته ان لا يهلك امتي بالغرق فاعطانيها وسالته ان لا يهلك امتي
بالسنة فاعطانيها وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعنيها وعن عبد الله بن عمر قال ان
النبي صلى الله عليه وسلم دعا في مسجد فسال الله ثلثا فاعطاه اثنين ومنعه واحدة سال
ان لا يسلط على امته عدوا من غيرهم يظهر عليهم فاعطاه ذلك وسال ان لا يهلكهم بالسنين
فاعطاه ذلك وسال ان لا يجعل باس بعضهم على بعض فمنعه ذلك انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ
الْآيَاتِ بالوعد والوعيد لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ اي بالقرآن وقيل بالعذاب
وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ وكل الى امركم فامنعكم من التكذيب او اجازيكم
انما انا منذر لِكُلِّ نَبَإٍ خبر من اخبار القرآن مُسْتَقَرٌّ وقت استقرار ومنتهى ينتهي اليه
فيتبين صدقه من كذبه وحقه من باطله اما في الدنيا واما في الآخرة وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ
عند وقوعه اما في الدنيا او في الآخرة ثم لما بين ان الذين يكذبون بالدين لا يجب على
الرسول ان يكون حفيظا عليهم بين انهم ان ضموا الى تكذيبهم الاستهزاء بالدين والطعن
في الرسول يجب ترك مجالستهم والخطاب وان كان مع النبي عليه السلام لكنه عام مع
المؤمنين وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا يعني في القرآن بالاستهزاء فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ
فاتركهم ولا تجالسهم حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ نهينا فلا
تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى بعد ان تذكره مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ اي معهم فوضع الظالمين موضع
الضمير دلالة على انهم ظلموا بوضع التكذيب والاستهزاء موضع التصديق والاستعظام
وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ روي عن ابن عباس انه لما نزلت هذه
الآية واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم قال المسلمون كيف نقعد في المسجد
الحرام ونطوف في البيت وهم يخوضون ابدا فانزل الله عز وجل وما على الذين يتقون
الخوض من حسابهم من آثام الخائضين من شيء وَلَكِنْ ذِكْرَى اي ذكروهم وعظوهم

بالقرآن والذكر والذكرى واحد لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ الخوض اذا وعظتموهم فرخص في
مجالستهم على الوعظ وقيل لعلهم يستحيون وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا
يعني الكفار الذين اذا سمعوا آيات الله استهزؤا بها وتلاعبوا عند ذكرها وَغَرَّتْهُمُ
الْحَيَاةُ الدُّنْيَا حتى انكروا البعث قال الحسين لا تلاحظ من شغلهم خلفنا عنا وآنسوا
بحبوبهم في دنياهم وهي في الحقيقة موت والحي من يكون بالحق حيا وَذَكِّرْ بِهِ اي وعظ
بالقرآن أَنْ تُبْسَلَ مخافة ان تسلم الى الهلاك نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ قال ابن عباس يهلك
ومعناه ذكرهم ليؤمنوا لئلا يهلك نفس بما كسبت واصل الابسال التحريم والبسل الحرام
ثم جعل نعتا لكل شدة يتقى وترك لَيْسَ لَهَا لتلك النفس مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ قريب
وَلَا شَفِيعٌ يشفع لها في الآخرة وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ اي تفد كل فداء لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا
أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا اسلموا للهلاك بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ
بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا ان عبدناه وَلَا يَضُرُّنَا ان تركناه — الله م
يعني الاصنام وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا الى الشرك بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ
الشَّيَاطِينُ كالذي ذهب به مردة الشياطين والجن في المهامه استفعال من هوى يهوي
اذا ذهب فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ متحيرا ضالا عن الطريق لا يهتدي الى مخرج منه لَهُ أَصْحَابٌ
يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى الطريق المستقيم يقولون له ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ الذي هو الاسلام
هو الهدى وحده وما عداه ضلال وَأُمِرْنَا بذلك لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ اي وامرنا باقامة الصلوة والتقوى وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ
تجمعون في الموقف للحساب ثم لما بين فساد طريقة عبدة الاوثان ذكر ما يدل على ان
لا معبود الا الله فقال وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ والحكمة وقيل الباء
بمعنى اللام اي اظهارا للحق لانه جعل صنعه دليلا على وحدانيته وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ
قَوْلُهُ الْحَقُّ اي انه الخالق للسموات والارض وقوله الحق نافذ في الكائنات يوم يقول كن
فيكون حين يكون الاشياء ويحدثها او حين تقوم القيامة فيكون التكوين حشر الاموات
واحياءها وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ يعني ملك الملوك يومئذ زائل لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار والامر يومئذ لله والامر لله في كل وقت ولكن لا امر في ذلك اليوم
لاحد مع امر الله والصور قرن ينفخ فيه قال مجاهد كهيئة البوق وقيل هو
بلغة اهل اليمن وقال ابو عبيدة الصور هو الصور وهو جمع الصورة وهو قول
الحسن عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم

فقال ما الصور قال قرن ينفخ فيه وعن ابى سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم
قال كيف انعم وصاحب الصور قد التقمه واصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر
فقالوا يا رسول الله وما تامرنا قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال ابو العلاء عن عطيه
متى يؤمر بالنفخ فينفخ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ يعنى يعلم ما غاب عن العباد وما يشاهدونه
لا يغيب عن علمه شئ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ اعلم انه كثيرا ما يحتج
على مشركى العرب باحوال ابرهيم عليه السلام لانه رجل يعترف بفضله جميع الطوايف
لا يحصل بينه وبين الرب تعالى معاهدة وقد وفى بعهده على ما شهد الله بذلك اجمالا
فذكر الله تعالى بعض احواله قال محمد بن اسحق والضحاك والكلبى آزر اسم ابى ابرهيم
وهو تارخ ايضا مثل اسرايل ويعقوب وكان من كوثى قرية من سواد الكوفه
وقال مقاتل بن حيان وغيره آزر لقب لابى ابرهيم واسمه تارح وقال سليمان التيمى
هو سب وعيب ومعناه فى كلامهم المعوج وقيل معناه الشيخ الهم بالفارسيه وقال
سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم صنم فعلى هذا يكون فى محل النصب تقديره اتتخذ
آزر الها أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً دون الله إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ وَكَذَلِكَ
نُرِي إِبْرَاهِيمَ اى كما اريناه البصيرة فى دينه والحق فى خلاف قومه نريه مَلَكُوتَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ والملكوت الملك زيدت فيه التاء للمبالغة كالجبروت والرحموت
والرهبوت قال ابن عباس يعنى خلق السموات والارض وقال مجاهد وسعيد بن
جبير يعنى آيات السموات والارض وذلك انه اقيم على صخرة وكشف له عن السموات
والارض حتى العرش واسفل الارضين ونظر الى مكانه فى الجنة فذلك قوله واتيناه
اجره فى الدنيا يعنى اريناه مكانه فى الجنة وروى عن سلمان رضى الله عنه ورفعه بعضهم
عن على رضى الله لما ارى ابرهيم ملكوت السموات والارض ابصر رجلا على فاحشه
فدعا عليه فهلك ثم ابصر آخر فدعا عليه فهلك ثم آخر فاراد ان يدعو عليه فقال ابصرهم
الرب عز وجل يا ابرهيم انك رجل مستجاب الدعوة فلا تدعون على عبادى فانما انا من
عبادى على ثلث خصال اما ان يتوب الى فاتوب عليه واما ان اخرج منه نسمة تعبدنى
واما ان يبعث الى فان شئت عفوت عنه وان شئت عاقبته وفى رواية واما ان
يتولى فان جهنم من وراءه وقال قتاده ملكوت السموات الشمس والقمر والنجوم و
ملكوت الارض الجبال والشجر والبحار وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ اى ليستدل وليكون
من الموقنين او وفعلنا ذلك ليكون من الموقنين فَلَمَّا جَنَّ اي دخل يقال جن الليل

واجن وجنه الليل واجنه وجن عليه الليل جنونا وجنانا اذا اظلم وغطى كل شئ
وجنون الليل سواده عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا الكوكب كان الزهرة والمشترى وكان الليله
فى آخر الشهر فتاخر طلوع القمر فيها فراى الكوكب قبل القمر قال اهل التفسير ولد ابرهيم
فى زمن نمرود بن كنعان وكان نمرود اول من وضع التاج على راسه ودعا الناس الى عبادته
وكان له كهان ومنجمون فقالوا له انه يولد فى بلدك هذه السنة غلام يغير دين اهل الارض ويكون
هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك فى كتب الانبياء عليهم السلام وقال
السدى راى نمرود فى منامه كان كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما
ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا فدعا السحرة والكهنة فسالهم عن ذلك فقالوا هو مولود
يولد فى ناحيتك تلك السنه وامر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا فاذا
حاضت المراة خلى بينها وبين زوجها لانهم كانوا لا يجامعون فى الحيض فاذا طهرت
حال بينهما فرجع آزر فوجد امراته قد طهرت من الحيض فواقعها فحملت بابرهيم عليه السلام
وقال محمد بن اسحق بعث نمرود الى كل امراة حبلى بقريته فحبسها عنده الا ما كان من ام ابرهيم
فانه لم يعلم بحبلها لانها كانت جاريه حديثة السن لم يعرف الحبل فى بطنها وقال ابن عباس
لما حملت ام ابرهيم قال الكهان الغلام الذى اخبرناك به قد حملت امه الليله فامر نمرود بقتل
الغلمان فلما دنت ولادة ام ابرهيم واخذها المخاض خرجت هاربة مخافة ان يطلع عليها
فيقتل ولدها فوضعته فى نهر يابس ثم لفته فى خرقه ووضعته فى حلفاء فرجعت
فاخبرت زوجها بانها ولدت وان الولد فى موضع كذى فانطلق ابوه فاخذه من ذلك المكان
وحفر له سربا عند نهر فواراه فيه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت امه تختلف
اليه فترضعه وقال محمد بن اسحق لما وجدت ام ابرهيم الطلق خرجت ليلا الى مغارة كانت
قريبا منها فولدت فيها ابرهيم واصلحت من شانه ما تصنع بالمولود ثم سدت عليه المغارة
ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه لتنظر ما فعل فتجده حيا يمص ابهامه قال ابو روق
قالت ام ابرهيم ذات يوم لانظرن الى اصابعه فوجدته يمص من اصبع ماء ومن اصبع
لبنا ومن اصبع عسلا ومن اصبع تمرا ومن اصبع سمنا وقال محمد بن اسحق كان آزر قد
سال ام ابرهيم عن حملها ما فعل فقالت قد ولدت غلاما فمات فصدقها فسكت عنها و
كان اليوم على ابرهيم فى الشباب كالشهر والشهر كالسنه فلم يمكث ابرهيم فى المغاره الا
خمسة عشر شهرا حتى قال لامه اخرجينى فاخرجته عشاء فنظر وتفكر فى خلق السموات
والارض وقال ان الذى خلقنى ورزقنى واطعمنى وسقانى لربى الذى ما لى اله غيره

وقيل انه كان فى السرب سبع سنين
وقيل ثلث عشر سنه
وقيل سبع عشر

ثم نظر فى السماء فراى كوكبا قال هذا ربى ثم اتبعه بصره ينظر اليه حتى غاب فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ
لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ فضلا عن عبادتهم فان الانتقال والاحتجاب بالاستتار يقتضى الامكان
والحدوث وينافى الالوهيه قال الامام احسن الكلام ما يحصل فيه حظ الخواص
والاوساط والعوام وقوله لا احب الآفلين كذلك اما حظ الخواص منه فلانهم يفهمون
من الافول الامكان وكل ممكن محتاج لا يكون منقطعا للحاجه فلا بد من الانتهاء الى
موجود ينقطع به الحاجات واليه الاشاره بقوله وان الى ربك المنتهى واما الاوساط
فانهم يفهمون منه مطلق الحركه وكل متحرك محدث وكل محدث محتاج الى القديم القادر و
اما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب وهم يشاهدون ان الكوكب ينتقص نوره
عند افوله ويذهب سلطانه وما كان كذلك فلا يصلح للالهيه فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا
مبتديا فى الطلوع قَالَ هَذَا رَبِّي ثم اتبعه ببصره حتى غاب فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي
رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ استعجز نفسه واستعان بربه فى درك الحق فانه
لا يهتدى اليه الا بتوفيقه وتنبيه على ان القمر ايضا لتغير حاله وامكانه لا يصلح للالوهيه
وان من اتخذه الها فهو ضال فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً طالعة قَالَ هَذَا رَبِّي ذكر
اسم الاشاره لتذكير الخبر وصيانة للرب عن شبه التانيث هَذَا أَكْبَرُ كبره استدلالا
واظهارا لشبهة الخصم فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ من الاجرام المحدثه
المحتاجه الى محدث يحدثها ومخصص يخصصها بما يختص ثم لما تبرى عنها توجه الى موجدها
ومبدعها الذى دلت هذه الممكنات عليه فقال إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ واختلفوا فى قوله عليه السلام هذا ربى فاجراه
بعضهم على الظاهر وقالوا كان ابرهيم مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله تعالى
وآتاه رشده فلم يضره ذلك فى حال الاستدلال وايضا كان ذلك فى حال طفوليته قبل قيام
الحجة عليه فلم يكن كفرا وانكر الآخرون وقالوا لا يجوز ان يكون لله رسول ياتى عليه وقت
من الاوقات الا وهو لله موحد وبه عارف ومن كل معبود سواه برئ وكيف يتوهم
هذا على من عصمه الله وطهره واتاه رشده من قبل واخبر عنه فقال اذ جاء ربه بقلب
سليم وقال تعالى وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض افتراه اراه الملكوت
ليوقن فلما ايقن راى كوكبا قال هذا ربى معتقدا فهذا ما لا يكون ابدا ثم قالوا فيه اربعة
اوجه من التاويل احدها ان ابرهيم اراد ان يستدرج القوم بهذا القول ويعرفهم
خطاهم وجهلهم فى تعظيم ما عظموه وكانوا يعظمون النجوم ويعبدونها ويرون ان

الامور كلها اليها فاراهم انه معظم ما عظموه وملتمس الهدى من حيث التمسوا فلما افل اراهم
النقص الداخل على النجوم ليثبت خطاء ما يدعون ومثل هذا مثل الحوارى الذى ورد
على قوم يعبدون الاصنام فاظهر تعظيمه فاكرموه حتى صدروا فى كثير من الامور عن رايه
الى ان دهمهم عدو فشاوروه فى امره فقال الراى ان تدعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا
ما قد اظلنا فاجتمعوا حوله يتضرعون فلما تبين لهم انه لا ينفع ولا يدفع دعاهم الى ان يدعوا
الله تعالى فدعوه فصرف عنهم ما كانوا يحذرون فاسلموا والوجه الثانى من التاويل انه قاله
على وجه الاستفهام تقديره اهذا ربى كقوله تعالى افان مت فهم الخالدون اى افهم
الخالدون وذكره على وجه التوبيخ منكرا لفعلهم يعنى ومثل هذا يكون ربا اى ليس
هذا ربى والوجه الثالث انه ذكره على وجه الاحتجاج عليهم يقول هذا ربى بزعمكم
فلما غاب قال لو كان الها لما غاب كما قال تعالى ذق انك انت العزيز الكريم اى عند نفسك
وبزعمك والوجه الرابع فيه اضمار تقديره يقولون هذا ربى كقوله تعالى واذ يرفع ابرهيم
القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا اى يقولان تقبل منا ولما اورد ابرهيم ربنا
عليه السلام الحجة المذكوره اورد القوم عليه حججا فاجاب الله تعالى عن حججهم فقال تعالى
وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ لما رجع ابرهيم عليه السلام الى ابيه وصار من الشباب بحاله سقط
عنه طمع الذباحين فضمه آزر الى نفسه فجعل آزر يصنع الاصنام ويعطيها ابرهيم ليبيعها
فيذهب بها ابرهيم وينادى من يشترى ما يضره ولا ينفعه فلا يشتريها احد فاذا بارت
عليه ذهب بها الى نهر فصوب فيه رؤسها وقال اشربى استهزاء بقومه وبما هم فيه
من الضلاله حتى فشا استهزاؤه بها فى قومه واهل قريته فحاجه اى خاصمه وجادله
قومه فى دينه قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ اتجادلوننى فى توحيد الله وَقَدْ هَدَانِ الى التوحيد
والحق وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ وذلك انهم قالوا له احذر الاصنام فانا نخاف ان
تمسك بسوء من خبل او جنون لعيبك اياها فقال لهم ولا اخاف ما تشركون به فى
وقت من الاوقات لانها لا تضر نفسها ولا تنفع إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا اى ولكن
ان شاء ربى شيئا اى سوءا فيكون ما شاء وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا فلا يبعد ان يكون فى
علمه ان يحيق بى مكروه من جهتها أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ فتميزوا بين الصحيح والفاسد و
القادر والعاجز وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ يعنى الاصنام وهى لا تبصر ولا تسمع
ولا تضر ولا تنفع وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا

فأي الفريقين
حجة وبرهانا وهو القادر على كل شيء حقيق بان يخاف منه كل الخوف
احق بالامن اى الموحدون او المشركون ولم يقل اينا انا ام انتم احترازا من تزكيه
نفسه ان كنتم تعلمون ما يحق ان يخاف منه الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
لم يخلطوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن وهم مهتدون استيناف منه او من الله
بالجواب عما استفهم عنه عن عبد الله قال لما نزلت الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم
شق ذلك على المسلمين فقالوا يا رسول الله فاينا لم يظلم نفسه فقال ذلك انما هو الشرك
الم تسمعوا ما قال لقمن لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وتلك اشارة
الى ما احتج به ابرهيم على قومه من قوله فلما جن الى قوله وهم مهتدون او من قوله تعالى
اتحاجوني الى حجتنا آتيناها ابرهيم على قومه علمناه اياها حجة على قومه نرفع درجات
من نشاء هي بالعلم ان ربك حكيم عليم في خفضه ورفعه ثم لما حكى عن ابرهيم انه
انه اظهر حجته في التوحيد عدد وجوه احسانه عليه فقال ووهبنا له اسحق ويعقوب
كلا هدينا اى كلا منهما وفقنا وارشدنا ونوحا هدينا من قبل اى من قبل ابرهيم
عد هدايه نعمه على ابرهيم من حيث انه ابوه وشرف الوالد يتعدى الى الولد ومن ذريته
الضمير لابرهيم اذ الكلام فيه وقيل لنوح لانه اقرب ولان يونس ولوطا ليسا من
ذريه ابرهيم فلو كان لابرهيم اختص البيان بالمعدودين في تلك الايه والتي بعدها
والمذكورون في الايه الثالثه عطف على نوحا داود وسليمان وايوب وهو ايوب بن
اموص بن رازح ابن روم بن عيصا بن اسحق بن ابرهيم ويوسف هو يوسف بن
يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وموسى هو موسى بن عمران بن يصهر بن فاهث بن لاوي بن
يعقوب بن اسحق بن ابرهيم وهرون وهو اخو موسى اكبر منه بسنه وكذلك وكما
جزينا ابرهيم على توحيده بان رفعناه درجته ووهبنا له اولادا انبياء اتقياء
كذلك نجزي المحسنين على احسانهم وليس ذكرهم على ترتيب ازمانهم وزكريا ويحيى
وعيسى والياس واختلفوا فيه قال ابن مسعود هو ادريس وله اسمان مثل يعقوب
واسرائيل والصحيح انه غيره لان الله تعالى ذكره في ولد نوح وادريس جد ابي نوح
كل من الصالحين واسمعيل واليسع وهو ابن اخطوب بن العجوز ويونس
وهو يونس بن متى ولوطا وهو لوط بن هاران بن اخي ابرهيم وكلا فضلنا على
العالمين اى عالمي زمانهم ومن آبائهم من فيه للتبعيض لان اباء بعضهم كانوا مشركين

وذرياتهم

وذرياتهم اى ومن ذرياتهم لان عيسى ويحيى لم يكن لهما ولد وكان في ذريه بعضهم
من كان كافرا واخوانهم اى بعض اخوانهم واجتبيناهم تقدير الكلام وكلا فضلنا
على العالمين وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبينا المذكورين واصطفيناهم وهديناهم
ارشدناهم الى صراط مستقيم تكرير لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله يهدي به من يشاء
من عباده دليل على انه تعالى متفضل بالهدايه ولو اشركوا اى هولاء الانبياء مع فضلهم
وعلو شانهم لحبط عنهم ما كانوا يعملون اولئك الذين آتيناهم الكتاب يريد به
الجنس والحكم الحكمة او فصل الامر على ما يقتضيه الحق والنبوة فان يكفر بها اى بهذه
الثلاثه هؤلاء اهل مكه فقد وكلنا بها اى بمراعاتها قوما ليسوا بها بكافرين يعني الانصار
واهل المدينه قاله ابن عباس ومجاهد وقتاده وقيل الفرس او كل من آمن به اولئك
الذين هدى الله يريد الانبياء المتقدم ذكرهم فبهداهم اقتده فبسيرتهم اقتد والهاء
هاء الوقف والمراد بما توافقوا عليه من التوحيد واصول الدين دون الفروع المختلف
فيها فانها ليست هدى مضافا الى الكل ولا يمكن التاسي بهم جميعا قل لا اسألكم عليه اي
على التبليغ والقرآن اجرا من جهتكم ان هو ما هو الا ذكرى اى تذكرة وعظة
للعالمين ثم ان مدار هذا القرآن الكريم على اثبات التوحيد والنبوه والمعاد وانه تعالى
لما حكى عن ابرهيم انه ذكر التوحيد وقرره تعالى شرع بعده في تقرير النبوه فقال وما
قدروا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته في الرحمه والانعام على العباد اذ قالوا
ما انزل الله على بشر من شيء قال سعيد بن جبير جاء رجل من اليهود يقال له مالك بن
الصيف يخاصم النبي صلى الله عليه وسلم بمكه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انشدك بالذي
انزل التوريه على موسى اما تجد في التوريه ان الله يبغض الحبر السمين وكان حبرا سمينا
فغضب فقال ما انزل الله على بشر من شيء وفي القصه ان مالك بن الصيف لما سمعت اليهود
منه تلك المقاله عتبوا له وقالوا اليس ان الله انزل التوريه على موسى فلم قلت ما انزل
الله على بشر من شيء فقال مالك ابن الصيف اغضبني محمد فقلت ذلك فقالوا له انت اذا
غضبت تقول على الله غير الحق فنزعوه عن الحبريه وجعلوا مكانه كعب ابن الاشرف
وقال ابن عباس قالت اليهود يا محمد انزل الله عليك كتابا قال نعم قالوا والله ما انزل الله
من السماء كتابا فانزل الله تعالى وما قدروا الله الآيه قل لهم من انزل الكتاب
موسى ع م — الذي جاء به نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا
اي تكتبونه عند دفاتر وكتبا مقطعة تبدونها اى تبدون ما تحبون وتخفون كثيرا

من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وآيه الرجم وعلمتم على لسان محمد ما لم تعلموا انتم
ولا آباؤكم زياده على ما في التوريه وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا
اعلم منكم قل الله اى انزله الله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين ثم ذرهم
في خوضهم في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجه يلعبون ثم لما ابطل قول من
قال ما انزل الله على بشر من شيء ذكر بعده ان القرآن كتاب الله انزله على محمد صلى الله عليه
وسلم فقال وهذا كتاب انزلناه مبارك كثير الفايده والنفع مصدق الذي بين يديه
يعني التوريه او الكتب قبله ولتنذر ام القرى انزلناه وسميت مكه ام القرى لانها قبلة
اهل القرى وحجهم ومجمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها
مكان اول بيت وضع للناس ومن حولها اى اهل الارض كلها شرقا وغربا والذين
يؤمنون بالآخرة يؤمنون به بالكتاب فان من صدق بالآخره خاف العاقبه ولا يزال
الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالكتاب والنبي وهم على صلواتهم يحافظون
اى على الطاعه وتخصيص الصلوات الخمس لانها عماد الدين ثم لما شرح كون القرآن كتابا
نازلا من عند الله وبين صفاته ذكر ما يدل على وعيد من ادعى النبوه على سبيل الكذب
والافتراء فقال ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اختلق عليه كذبا فزعم انه بعثه نبيا
كمسيلمه والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه او قال اوحي
الي ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعيد بن ابي سرح كان قد اسلم وكان يكتب للنبي
صلى الله عليه فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين املاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن
الخالقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا انزلت فشك عبد الله وقال لئن
كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه فارتد عن الاسلام
ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله الى الاسلام قبل فتح مكه اذ نزل النبي صلى الله عليه
وسلم بمر الظهران ومن قال سانزل مثل ما انزل الله يريد المستهزئين كالذين
قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا ولو ترى يا محمد اذ الظالمون في غمرات الموت جمع
غمره وغمره كل شيء معظمه واصلها الشيء يغمر الاشياء فيغطيها ثم وضعت في موضع
الشدايد والمكاره والملائكة باسطوا ايديهم بقبض الارواح او بالعذاب و
الضرب يضربون وجوههم وادبارهم وبسط الايدي عباره عن العنف والالحاح
والتشديد في الارهاق اخرجوا انفسكم اى يقولون اخرجوا ارواحكم ونفس

الكافر

الكافر يكره ذلك بخلاف نفس المؤمن فانها تنشط للقاء ربه اليوم يريد به وقت
الاماته او الوقت الممتد من الاماته الى ما لا نهايه له تجزون عذاب الهون اى الهوان
يريد العذاب المتضمن لشده واهانه واضافته الى الهوان لعراقته وتمكنه فيه
بما كنتم تقولون على الله غير الحق كادعاء الولد او الشريك له تعالى ودعوى النبوه
والوحي كاذبا وكنتم عن آياته تستكبرون فلا تتاملون فيها ولا تومنون ولقد جئتمونا
فرادى خبر من الله تعالى انه يقول يوم القيمه للكفار ولقد جئتمونا فرادى منفردين
عن المال والزوج والولد والخدم وساير ما آثرتموه من الدنيا وفرادى جمع فردان
مثل سكران وسكارى وكسلان وكسالى وقرئ فرادا بالتنوين كرخال وفراد كثلاث
وفردي كسكرى كما خلقناكم اول مرة مشبهين ابتداء خلقكم حفاة عراة غرلا
وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا وراء ظهوركم ما قدمتم منه شيئا
ولم تحملوا منه نقيرا وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء اي
شركاء لله في استحقاق عبادتكم لقد تقطع بينكم وصلكم وتشتت جمعكم والبين من
الاضداد يستعمل للفصل والوصل وقيل هو الظرف والمعنى وقع التقطع بينكم وضل
عنكم ضاع وبطل ما كنتم تزعمون انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ثم لما تكلم في
تقرير التوحيد ثم اردفه بتقرير النبوه ثم تكلم في بعض تقارير هذين الاصلين عاد
الى ذكر الدلايل الداله على وجود الصانع وكمال علمه وحكمته وقدرته تنبيها على ان المقصود
الاصلي من جميع العلوم معرفه الله تعالى فقال ان الله فالق الحب والنوى الفلق الشق
اي يشق الحب عن النبات ويخرجه منه ويشق النوى عن النخل ويخرجها منه والحب جمع
الحبه وهي اسم لجميع البزور من البر والشعير وكل ما لم يكن له نوى والنوى النواه
قال الامام الحب هو الذي يكون مقصودا بذاته مثل حبه الحنطه والشعير والنوى هو
الشيء الموجود في داخل الثمره مثل نوى الخوخ والتمر وغيرهما فاذا وقعت الحبه او النواه
في الارض الرطبه وانقضت عليه مده فانه يخرج منه الشجره الهابطه الى الارض وهي
المسمى بعروق الشجره ثم هنا عجايب احدها ان طبيعه تلك الشجره ان اقتضت الهوى في
الارض كيف تولدت منه الشجره الصاعده في الهواء وان اقتضت الصعود فوق الارض
كيف تولدت منه الشجره الهابطه في الارض فلما تولدت منها هاتان الشجرتان مع المضاده
في طبيعتهما علمنا ان ذلك بتقدير فاعل مختار وثانيها ان باطن الارض صلب لا تغوص فيه
السكين ثم انا نشاهد ان اطراف العروق مع انها في غايه الرقه واللطافه تقوى على النفوذ

من بعث محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وَعُلِّمْتُمْ على لسان محمد مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ
وَلَا آبَاؤُكُمْ زيادة على ما في التوريه وبيانا لما التبس عليكم وعلى آبائكم الذين كانوا
اعلم منكم قُلِ اللَّهُ اي انزله الله امره بان يجيب عنهم اشعارا بان الجواب متعين ثُمَّ ذَرْهُمْ
فِي خَوْضِهِمْ في اباطيلهم فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة يَلْعَبُونَ ثم لما ابطل قول من
قال ما انزل الله على بشر من شيء ذكر بعده ان القران كتاب الله انزله على محمد صلى الله عليه
وسلم فقال وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ كثير الفايدة والنفع مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ
يعني التوريه او الكتب قبله وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ انزلناه وسميت مكة ام القرى لانها قبلة
اهل القرى وحجهم ومجمعهم واعظم القرى شانا وقيل لان الارض دحيت من تحتها او لانها
مكان اول بيت وضع للناس وَمَنْ حَوْلَهَا اي اهل الارض كلها شرقا وغربا وَالَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ بالكتاب فان من صدق بالآخرة خاف العاقبة ولا يزال
الخوف يحمله على النظر والتدبر حتى يؤمن بالكتاب والنبي وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ
اي على الطاعة وتخصيص الصلوات الخمس لانها عماد الدين ثم لما شرح كون القرآن كتابا
نازلا من عند الله وبين صفاته ذكر ما يدل على وعيد من ادعى النبوه على سبيل الكذب
والافتراء فقال وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا اختلق عليه كذبا فزعم انه بعثه نبيا
كمسيلمة والاسود العنسي او اختلق عليه احكاما كعمرو بن لحي ومتابعيه أَوْ قَالَ أُوحِيَ
إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ كعبد الله بن سعيد بن ابي سرح كان قد اسلم وكان يكتب للنبي
صلى الله عليه فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين املاها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن
الخالقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتبها فهكذا انزلت فشك عبد الله وقال لئن
كان محمد صلى الله عليه وسلم صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه فارتد عن الاسلام
ولحق بالمشركين ثم رجع عبد الله الى الاسلام قبل فتح مكة اذ نزل النبي صلى الله عليه
وسلم بمر الظهران وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ يريد المستهزئين كالذين
قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا وَلَوْ تَرَىٰ يا محمد إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ جمع
غمرة وغمرة كل شيء معظمه واصلها الشيء يغمر الاشياء فيغطيها ثم وضعت في موضع
الشدايد والمكاره وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ بقبض الارواح او بالعذاب و
الضرب يضربون وجوههم وادبارهم وبسط الايدي عبارة عن العنف والالحاح
والتشديد في الارهاق أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ اي يقولون اخرجوا ارواحكم ونفس

الكافر يكره ذلك بخلاف نفس المؤمن فانها تنشط للقاء ربه الْيَوْمَ يريد به وقت
الاماتة او الوقت الممتد من الاماتة الى ما لا نهاية له تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ اي الهوان
يريد العذاب المتضمن لشدة واهانة واضافته الى الهوان لعراقته وتمكنه فيه
بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ كادعاء الولد او الشريك له تعالى ودعوى النبوة
والوحي كاذبا وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ فلا تتاملون فيها ولا تؤمنون وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا
فُرَادَىٰ خبر من الله تعالى انه يقول يوم القيمة للكفار ولقد جئتمونا فرادى متفردين
عن المال والزوج والولد والخدم وساير ما آثرتموه من الدنيا وفرادى جمع فردان
مثل سكران وسكارى وكسلان وكسالى وقرئ فرادا بالتنوين كرخال وفراد كثلاث
وفردى كسكرى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ مشبهين ابتداء خلقكم حفاة عراة غرلا
وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ ما تفضلنا به عليكم في الدنيا وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ما قدمتم منه شيئا
ولم تحملوا منه نقيرا وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ اي
شركاء لله في استحقاق عبادتكم لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وصلكم وتشتت جمعكم والبين من
الاضداد يستعمل للفصل والوصل وقيل هو الظرف والمعنى وقع التقطع بينكم وَضَلَّ
عَنْكُمْ ضاع وبطل مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ انها شفعاؤكم او ان لا بعث ولا جزاء ثم لما تكلم في
تقرير التوحيد ثم اردفه بتقرير النبوه ثم تكلم في بعض تفاريع هذين الاصلين عاد
الى ذكر الدلايل الدالة على وجود الصانع وكمال علمه وحكمته وقدرته تنبيها على ان المقصود
الاصلي من جميع العلوم معرفة الله تعالى فقال إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ الفلق الشق
اي يشق الحب عن النبات ويخرجه منه ويشق النوى عن النخل ويخرجها منه والحب جمع
الحبة وهي اسم لجميع البزور من البر والشعير وكل ما لم يكن له نوى والنوى النواة
قال الامام الحب هو الذي يكون مقصودا بذاته مثل حبة الحنطة والشعير والنوى هو
الشيء الموجود في داخل الثمرة مثل نوى الخوخ والتمر وغيرهما فاذا وقعت الحبة او النواة
في الارض الرطبة وانقضت عليه مدة فانه يخرج منه الشجرة الهابطة الى الارض وهي
المسمى بعروق الشجرة ثم ههنا عجايب احديها ان طبيعة تلك الشجرة ان اقتضت الهوي في
الارض كيف تولدت منه الشجرة الصاعدة في الهواء وان اقتضت الصعود فوق الارض
كيف تولدت منه الشجرة الهابطة في الارض فلما تولدت منها هاتان الشجرتان مع المضادة
في طبيعتها علمنا ان ذلك بتقدير فاعل مختار وثانيها ان باطن الارض صلب لا تغوص فيه
السكين ثم انا نشاهد ان اطراف العروق مع انها في غاية الدقة واللطافة تقوى على النفوذ

في باطنها فلابد وان يكون ذلك بتقدير العزيز العليم وثالثها انه يتولد من تلك النواة
شجرة يحصل في تلك الشجرة طبايع مختلفة فان قشر الخشبة له طبيعة مخصوصة وفي داخل
ذلك القشر جرم الخشبة وفي وسط تلك الخشبة جسم رخو ضعيف ثم يتولد من ساق
الشجرة اغصانها ويتولد على الاغصان الاوراق اولا ثم الازهار ثانيا ثم الفاكهة ثالثا
ثم قد يحصل للفاكهة اربعة قشور مثل الجوز واللوز فان قشره الاعلى ذلك الجرم الاخضر
وتحته القشر الذي يشبه الخشب وتحته القشر الذي هو كالغشاء الرقيق المحيط باللب
وتحته ذلك اللب وذلك اللب مشتمل على جرم كثيف وهو ايضا كالقشر وفيه الدهن
وهو المقصود الاصلي فتولد هذه الاقسام المختلفة في طبايعها وصفاتها والوانها
مع تساوي تاثيرات الطبايع والنجوم والفصول وذلك يدل على انها حدثت بتدبير
الفاطر الحكيم العليم ورابعها انك تجد طبايع الاربعة حاصلة في الفاكهة الواحدة فالاترج
قشره حار وحماضه بارد وبزره حار يابس فتولد هذه الطبايع المضادة لابد وان
يكون بفاعل مختار وخامسها انك تجد الفواكه مختلفة فبعضها يكون اللب في الداخل
والقشر في الخارج كما في الجوز وبعضها على العكس كالمشمش وبعضها ما لا يكون له قشر
اصلا كالتين فهذه الاشكال المختلفة لابد وان يكون لحكم واسرار علم الخالق جل جلاله
ان تركيبها لا يكمل الا على هذا الوجه ولما وقفت على عناية الخالق في تكوين النبات
عرفت ان عنايته بتخليق الحيوان اكمل واذا علمت ان المقصود من تخليق جملة الحيوانات
الانسان علمت ان عنايته في تخليق الانسان اكمل ثم انه تعالى خلق النبات والحيوان
ليكون غذاء ودواء للآدمي واما الآدمي فانه خلقه للمعرفة والمحبة على ما قال تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ يخرج ما ينمو من الحيوان
والنبات مما لا ينمو كالنطفة والحب وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ من الحيوان والنبات
قال الامام والمقصود ان الحي والميت متضادان فحصول المثل عن المثل يوهم انه بسبب
الطبيعة اما حصول الضد عن الضد لا يكون الا بتقدير الفاعل القدير ومنهم من حملها
على الوجوه المجازية فمنهم من قال يخرج المؤمن من الكافر كما في حق ابرهيم والكافر
من المؤمن كما في ولد نوح والعاصي من المطيع وبالعكس ذَٰلِكُمُ اللَّهُ اي ذلكم المحيي و
المميت هو الذي يحق له العبادة فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ تصرفون عن الحق فَالِقُ الْإِصْبَاحِ
شاق عمود الصبح عن ظلمة الليل وكاشفه والاصباح في الاصل مصدر اصبح اذا
دخل في الصبح سمي به الصبح وَجَاعِلُ اللَّيْلِ سَكَنًا يسكن اليه التعب بالنهار لاستراحته

من سكن اليه اذا اطمأن استيناسا به او يسكن فيه خلقه وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا
اي على ادوار مختلفة يحسب بها الاوقات ويكونان على الحسبان وهو مصدر حسب
بالفتح كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ذَٰلِكَ اي جعلهما حسبانا تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الذي قهرهما وسيرهما على الوجه المخصوص الْعَلِيمِ بتدبيرهما وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ
خلق لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ خص بعض منافعها بالذكر
بعد ما اجملها بقوله لكم وهو ان راكب السفينة والساير في القفار يهتدي بها في الليالي
الى مقاصدهم قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ بينا فصلا فصلا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فانهم المنتفعون به
وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هو آدم عليه السلام فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ
اي فلكم استقرار في الاصلاب او فوق الارض او موضع استقرار واستيداع
قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ذكر مع النجوم يعلمون لان امرها ظاهر ومع ذكر
تخليق بني آدم يفقهون لان انشاءهم من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة
دقيق غامض يحتاج الى استعمال فطنه وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ من السحاب او
من جانب السماء مَاءً فَأَخْرَجْنَا على تلوين الخطاب بِهِ بالماء نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ نبت كل
صنف من النبات فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ من النبات خَضِرًا شيئا اخضر وهو الخارج من الحبة
المتشعب نُخْرِجُ مِنْهُ من الخضر حَبًّا مُتَرَاكِبًا وهو السنبل وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ
اي وحاصلة من طلع النخل قنوان وهو الاعذاق جمع قنو كصنوان وصنو دَانِيَةٌ
قريبة من المتناول وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر او دل بذكر القريبة على
البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ قرئ بالنصب والمعنى واخرجنا
جنات من اعناب وقرئ بالرفع على الابتداء اي ولكم جنات من اعناب وَالزَّيْتُونَ
وَالرُّمَّانَ عطف على نبات او نصب على الاختصاص لعزة هذين الصنفين عندهم
مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ بعض ذلك مشتبه وبعضها غير متشابه في الهيئة والقدر
واللون والطعم انْظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ اي ثمر كل واحد من ذلك إِذَا أَثْمَرَ اذا اخرج
ثمره كيف يثمر ضئيلا لا يكاد ينتفع به وَيَنْعِهِ والى حال نضجه او الى نضيجه كيف
يعود ضخما ذا نفع ولذة وهو في الاصل مصدر ينعت الثمرة اذا ادركت وقيل
جمع يانع إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ اي لآيات على وجود القادر الحكيم
وتوحيده فان حدوث الاجناس المختلفة والانواع المتفننة من اصل واحد
ونقلها من حال الى حال لا يكون الا باحداث قادر يعلم تفاصيلها ويرجح ما تقتضيه

حكمته مما يمكن من احوالها و لا يعوقه عن فعله ند يعارضه او ضد يعانده ولذلك
عقبه بتوبيخ من اشرك به والرد عليه فقال وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ مفعولا لجعل
لله وشركاء والجن بدل من شركاء وقرئ بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن
وبالجر على الاضافة للتبيين قال الكلبي نزلت في الزنادقة اثبتوا الشركة لابليس
في الخلق فقالوا الله خالق النور والناس والدواب والانعام وابليس خالق
الظلمة والسباع والحيات والعقارب وقيل المراد بالجن الملائكة فانهم عبدوهم وقالوا
الملائكة بنات الله وسماهم جنا لاجتنانهم تحقيرا لشانهم وَخَلَقَهُمْ والمعنى وقد علموا
ان الله خالقهم دون الجن وَخَرَقُوا واختلقوا وافتروا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ فقالت اليهود
عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت العرب الملائكة بنات الله بِغَيْرِ
عِلْمٍ من غير ان علموا حقيقة ما قالوا من خطاء او صواب ولكن رميا بقول عن
عمى وجهالة من غير فكر وروية سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ وهو انه شريكا وولدا
ثم لما ابطل القول بوجود الشركاء شرع في ابطال قول من يثبت له الولد فقال بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ مبدعهما وقد سبق القول في تحقيق البديع أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ كيف يكون له ولد
وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ يكون منها الولد وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ لا يخفى عليه
خافية وانما لم يقل وهو به عليم لانه تخصيص الاول فانه ليس خالقا لذاته تعالى بخلاف
الثاني وفي الآية استدلال على نفي الولد من وجوه احدها ان مبدع السموات والارض
لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام لا يكون
جسما حتى يكون والدا فان مخترع الاجسام واجب الوجود والاجسام من جملة الممكنات و
الثاني ان الولادة لا تكون الا عن زوجين من جنس واحد وهو متعال عن مجانس فلم
يصح ان يكون له صاحبة فلم يصح الولادة والثالث ان الولد كفو الوالد ولا كفو له تعالى
لوجهين الاول ان كل ما عداه مخلوقه والمخلوق لا يكافئ الخالق والثاني انه لذاته عالم
بكل المعلومات ولا كذلك غيره بالاجماع ذَلِكُمُ اشارة الى الموصوف بما سبق من الصفات
وهو مبتداء اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ اخبار مترادفة فَاعْبُدُوهُ فان من
استجمع هذه الصفات استحق العبادة وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ اى وهو مع تلك الصفات
متولي اموركم فتوسلوا بعبادته الى انجاح مآربكم ورقيب على اعمالكم فيجازيكم عليها
لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ لا تحيط به الابصار جمع بصر وهي حاسة النظر وقد يقال للعين
من حيث انها محلها وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ يحيط علمه بها وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ

ملطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه
قال ابن عباس اللطيف باوليائه الخبير بهم قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ حجج بينة
يبصرون بها الهدى من الضلالة والحق من الباطل فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ابصر لان نفعه
لها وَمَنْ عَمِيَ عن الحق وضل فَعَلَيْهَا وباله وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ وانما انا منذر والله
رسالات ربي وهو الحفيظ يحفظ اعمالكم ويجازيكم وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ومثل ذلك
التصريف نصرف الآيات وهو اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو
نقل الشيء من حال الى حال وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ قرأت على غيرك وقيل درست كتب
اهل الكتاب صرفنا الآيات واللام لام العاقبة قال ابن عباس وليقولوا يعني اهل مكة
حين تقرأ عليهم القرآن درست تعلمت من يسار وجبر كانا عبدين من سبي الروم ثم
قرأت علينا تزعم انه من عند الله وَلِنُبَيِّنَهُ الضمير للآيات باعتبار المعنى اى القرآن
لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قال ابن عباس يريد اولياءه الذين هداهم الى سبيل الرشاد يعني ان
تصريف الآيات ليشقى به قوم ويسعد به آخرون فمن قال درست فهو شقي ومن تبين من م
له الحق فهو سعيد اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ يعني القرآن اعمل به لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
اعتراض اكد به ايجاب الاتباع وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ لا تجادلهم وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا
أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا قال عطاء وما جعلناك عليهم حفيظا تمنعهم مني اي
لم تبعث لتحفظ المشركين عن العذاب انما بعثت مبلغا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ تقوم
بامورهم وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قال الامام هذا متعلق بما قبله لانه
لا يبعد ان بعض المسلمين لما سمعوا ذلك الكلام منهم شتموا آلهتهم على سبيل المعارضة
فنهاهم الله عنه لانهم متى شتموا آلهتهم فربما ذكروا الله بما لا يليق وروى عن ابن عباس
لما نزلت انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال المشركون يا محمد لتنتهين عن سب
آلهتنا او لنهجون ربك فنهاهم الله ان يسبوا اوثانهم وهذا بعيد فان السورة نزلت دفعة
واحدة فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا تجاوزا عن الحق الى الباطل بِغَيْرِ عِلْمٍ على جهالة بالله وبما
يجب ان يذكر به كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ اي كما زينا لهؤلاء المشركين عبادة الاوثان
وطاعة الشيطان بالحرمان والخذلان كذلك زينا لكل امة عملهم من الخير والشر
والطاعة والمعصية ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ ويجازيهم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
ثم بعد ما ذكر الوحي وانه تعالى سمى الآيات لهم ذكر شبهة لهم فقال وَأَقْسَمُوا
بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ اذ كد ما قدروا عليه من الايمان والداعي لهم اليه التحكم على الرسول

في طلب الآيات واستحقار ما رأوا منها لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ من مقترحاتهم لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا
قال محمد بن كعب القرظي والكلبي قالت قريش يا محمد انك تخبرنا ان موسى عليه السلام
كان معه عصى يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا وتخبرنا ان عيسى عليه السلام
كان يحيي الموتى فأتنا من الآيات حتى نصدقك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
واي شيء تحبون قالوا تجعل لنا الصفا ذهبا او ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم عنك
احق ما تقول ام باطل او ارنا الملائكة يشهدون لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان فعلت بعض ما تقولون اتصدقونني قالوا نعم والله لئن فعلت لنتبعنك اجمعين
وسأل المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزلها عليهم حتى يؤمنوا فقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الله ان يجعل الصفا ذهبا فجاءه جبريل عليه السلام
فقال ما شئت ان شئت اصبح ذهبا ولكن ان لم تصدقوا فعذبتهم وان شئت تركتهم
حتى يتوب تائبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل يتوب تائبهم فانزل الله تعالى
الآية قُلْ يا محمد إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ هو قادر عليها منها ما يشاء وليس شيء منها بقدرتي ينظر م
وارادتي وَمَا يُشْعِرُكُمْ وما يدريكم استفهام انكار أَنَّهَا اى الآية المقترحة إِذَا جَاءَتْ
لَا يُؤْمِنُونَ اى لا تدرون انهم لا يؤمنون انكر السبب مبالغة في نفي المسبب وفيه
تنبيه على انه تعالى انما لم ينزلها لعلمه بانها اذا جاءت لا يؤمنون بها وقيل لا مزيدة وقيل
ان بمعنى لعل اذ قرئ لعلها والخطاب للمؤمنين فانهم كانوا يتمنون مجيء الآية طمعا في
ايمانهم فنزلت وقيل للمشركين اذ قرئ ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بالتاء وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ
وَأَبْصَارَهُمْ عطف على لا يؤمنون اى وما يشعركم انا حينئذ نقلب افئدتهم عن الحق
فلا يفقهونه وابصارهم فلا يبصرونه فلا يؤمنون بها كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ اى بما انزل من
الآيات أَوَّلَ مَرَّةٍ قال ابن عباس اي كما لم يؤمنوا بما قبلها من الآيات من انشقاق
القمر وغيره وقيل كما لم يؤمنوا به اول مرة يعني معجزات موسى وغيره من الانبياء عليهم السلام
كقوله اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ يتحيرون لا نهديهم
هداية المؤمنين قال عطاء نخذلهم وندعهم في ضلالتهم يتمادون وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ
الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا كما اقترحوا وقرئ قبلا بضم القاف
والباء وهو اما جمع قبيل وهو الكفيل مثل رغف ورغيف اى كفلا بما بشروا به و
انذروا به واما جمع قبيل بمعنى القبيلة اى فوجا فوجا واما بمعنى المقابلة والمواجهة
من قولهم اتيتك قبلا لا دبرا اذا اتاه من قبل وجهه وقرئ قبلا بكسر القاف وفتح الباء الجزو ٨

اى معاينة مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا لما سبق عليهم القضاء بالكفر إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ اى لا يؤمنون
في حال من الاحوال الا في حال مشيئة الله ايمانهم وقيل منقطع وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ انهم
لو اتوا بكل آية لم يؤمنوا فيقسمون بالله جهد ايمانهم على ما لا يشعرون ولذلك اسند الجهل
الى اكثرهم مع ان مطلق الجهل يعمهم او ولكن اكثر المسلمين يجهلون انهم لا يؤمنون فيتمنون
نزول الآية طمعا في ايمانهم وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا اى كما جعلنا لك عدوا جعلنا
لكل نبي سبقك عدوا وهو دليل على ان عداوة الكفرة للانبياء بفعل الله وخلقه شَيَاطِينَ
الْإِنْسِ وَالْجِنِّ قال عكرمة والضحاك والسدي والكلبي معناه شياطين الانس التي مع
الانس وشياطين الجن التي مع الجن وليس للانس شياطين وذلك لان ابليس قسم
جنده فريقين فبعث فريقا منهم الى الانس وفريقا منهم الى الجن وكلا الفريقين اعداء للنبي
صلى الله عليه وسلم ولاوليائه وهم يلتقون في كل حين فيقول شياطين الانس لشياطين
الجن اضللت صاحبي بكذا فاضل صاحبك بمثله ويقول شياطين الجن لشياطين الانس
كذلك فكذلك وحي بعضهم الى بعض وقال قتادة ومجاهد والحسن ان من الانس شياطين
كما ان من الجن شياطين والشيطان العاتي المتمرد من كل شيء قالوا ان الشيطان اذا
اعياه المؤمن وعجز عن اغوائه ذهب الى متمرد من الانس وهو شيطان الانس فاغراه
بالمؤمن ليفتنه يدل عليه ما روى عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل تعوذت بالله من شر شياطين الجن والانس قلت يا رسول الله وهل للانس من شياطين
قال نعم هم شر من شياطين الجن وقال مالك بن دينار ان شياطين الانس اشد علي من
شياطين الجن وذلك اني اذا تعوذت بالله ذهب عني شياطين الجن وشياطين الانس
يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يوسوس شياطين الجن الى
شياطين الانس او بعض الجن الى بعض الانس وبعض الانس الى بعض زُخْرُفَ
الْقَوْلِ الباطل المموه منه من زخرفه اذا زينه غُرُورًا مصدر لفعل محذوف
اى يغرونهم غرورا او في موضع الحال او مفعول له وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ
وَمَا يَفْتَرُونَ وكفرهم وَلِتَصْغَى اى تميل من الصغو وهو الميل إِلَيْهِ الى زخرف القول
أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ جعلنا لكل نبي عدوا وَلِيَرْضَوْهُ لانفسهم وَ
لِيَقْتَرِفُوا وليكتسبوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ من الآثام ثم اجاب عن شبهتهم بان الدليل
الدال على نبوته قد حصل وكمل فقال أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي اى قل يا محمد افغير الله
اطلب حَكَمًا يحكم بيني وبينكم وذلك انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل

بيننا وبينك حكما فاجابهم به وهو الذي انزل اليكم الكتاب القرآن المعجز مفصلا مبينا فيه الحق والباطل بحيث ينفي الالتباس والذين آتيناهم الكتاب يعني علماء اليهود والنصارى الذين آتيناهم التورية والانجيل يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين في انهم يعلمون ذلك او في انه منزل لجحود اكثرهم وكفرهم به فيكون من باب التهييج كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين وتمت كلمة ربك بلغت الغاية اخباره واحكامه ومواعيده صدقا في الاخبار والمواعيد وعدلا في الاقضية والاحكام لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيئا منها بما هو اصدق واعدل وهو السميع لما يقولون العليم بما يضمرون فلا يهملهم ثم بين انه بعد زوال الشبه وظهور الحق ينبغي ان لا يلتفت الى كلمات الجهال فقال وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله عن الطريق الموصل اليه وذلك ان اكثر اهل الارض كانوا على الضلالة ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا على الحق وان هم الا يخرصون يكذبون على الله فيما ينسبون اليه كاتخاذ الولد وجعل عبادة الاصنام وصلة اليه وتحليل الميتة وتحريم البحائر ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله اي الناس يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين اخبر انه اعلم بالفريقين بالضالين والمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحرمون الحلال ويحلون الحرام والمعنى كلوا مما ذكر اسم الله على ذبحه لا مما ذكر عليه اسم غيره او مات حتف انفه ان كنتم بآياته مؤمنين فان الايمان بها يقتضي استباحة ما احله الله واجتناب ما حرمه الله وما لكم الا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وما يمنعكم عنه وقد فصل لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم بقوله حرمت عليكم الميتة الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم فانه ايضا حلال حال الضرورة وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال باهوائهم بغير علم بتشهيهم من غير تعلق بدليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين الحق الى الباطل والحلال الى الحرام وذروا ظاهر الاثم وباطنه ما يعلن وما يسر او ما بالجوارح وما بالقلب وقيل الزنا في الحوانيت واتخاذ الاخدان ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون يكسبون ثم لما بين انه يحل اكل ما ذبح على اسم الله ذكر بعده تحريم ما لم يذكر اسم الله عليه فقال ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر الآية يحرم متروك التسمية عمدا او نسيانا واليه ذهب ابن سيرين والشعبي وداود وعن احمد مثله

ودهب

وذهب قوم الى تحليلها يروى ذلك عن ابن عباس وهو قول مالك والشافعي والمشهور عن احمد رضي الله عنهم وذهب قوم الى انه ان ترك التسمية عامدا لا يحل وان تركها ناسيا يحل وهو قول الثوري واصحاب الرأي ومن اباحها قال المراد من الآية الميتات او ما ذبح على اسم غير الله بدليل انه قال وانه لفسق والفسق في ذكر غير اسم الله كما قال في آخر السورة قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم الى قوله او فسقا اهل لغير الله به فالفسق ما اهل لغير الله به وعن عائشة انها قالت ان قوما قالوا يا رسول الله ان هنا اقواما حديث عهدهم بشرك يأتونا بلحمان لا ندري يذكرون اسم الله عليها ام لا قال اذكروا انتم اسم الله وكلوا ولو كانت التسمية شرطا للاباحة لكان الشك في وجودها مانعا من اكلها كالشك في اصل الذبح وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم اي ان الشياطين ليوسوسون الى اوليائهم من المشركين ليجادلوكم وذلك ان المشركين قالوا يا محمد اخبرنا عن الشاة اذا ماتت من قتلها فقال الله قتلها قالوا فتزعم ان ما قتلت انت واصحابك حلال وما قتله الكلب والصقر حلال وما قتله الله حرام فانزل الله عز وجل هذه الآية وهو يؤيد التأويل بالميتة وان اطعتموهم في اكل الميتة انكم لمشركون قال الزجاج وفيه دليل ان من احل شيئا مما حرم الله او حرم ما احل الله فهو مشرك ووجهه ان من ترك طاعة الله الى طاعة غيره واتبعه في دينه فقد اشرك ثم لما ذكر ان المشركين كانوا يجادلون المؤمنين ذكر مثلا يدل على حال الفريقين فقال او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل به من هداه الله وانقذه من الضلال وجعل له نور الحجج والآيات يتأمل بها في الاشياء فيميز بين الحق والباطل والمحق والمبطل كمن مثله صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك كما زين للمؤمن ايمانه زين للكافرين ما كانوا يعملون قال ابن عباس نزلت الآية في حمزة بن عبد المطلب وابي جهل بن هشام وذلك ان ابا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرث فاخبر حمزة بما فعل ابو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس وحمزة لم يؤمن بعد فاقبل غضبان حتى علا ابا جهل بالقوس وهو يتضرع اليه ويقول يا ابا يعلى اما ترى ما جاء به سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فانزل الله تعالى هذه الآية وقال الضحاك نزلت في عمر بن الخطاب وابي جهل وقال عكرمة والكلبي في عمار بن ياسر وابي جهل قال جعفر او من كان ميتا عنا فاحييناه بنا وجعلنا

اماما يهتدي بنوره الى الجنان ويرجع اليه الضلال كمن مثله في الظلمات كمن يرى مع شهوته وهواه فلم يؤيد بروائح القرب ومؤانسة الحضرة وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها اي كما جعلنا في مكة اكابر مجرميها ليمكروا فيها جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها وذلك انهم اجلسوا على كل طريق من طرق مكة اربعة نفر ليصرفوا الناس عن الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم يقولون لكل من يقدم اياك وهذا الرجل فانه كاهن ساحر كذاب وما يمكرون الا بانفسهم لان وبال مكرهم يعود عليهم وما يشعرون انه لذلك واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله من النبوة وذلك ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا فانزل الله عز وجل هذه الآية وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وذلك انه قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نؤمن به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فانزل الله تعالى واذا جاءتهم آية حجة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم قالوا يعني ابا جهل لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله يعني محمدا ثم قال الله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالاته يعني الله اعلم بمن هو احق بالرسالة سيصيب الذين اجرموا صغار ذل وحقارة بعد كبرهم عند الله يوم القيمة وعذاب شديد بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام اي يفتح قلبه فيتسع للاسلام ويفسح فيه مجاله وهو كناية عن جعل النفس قابلة للحق مهيأة لحلوله فيها مصفاة عما يمنعه وينافيه واليه اشار عليه الصلوة والسلام لما سئل عن شرح الصدر بعد نزول الآية فقال نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينشرح له وينفسح قيل فهل لذلك امارة قال نعم الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا قرئ بكسر الراء وفتحها قال سيبويه الحرج بالفتح المصدر كالطلب وهو اشد الضيق قرأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الآية فسأل اعرابيا من كنانة ما الحرجة قال الحرجة فينا الشجرة تكون بين الاشجار التي لا تصل اليها راعية ولا وحشية ولا شيء فقال عمر لذلك قلب المنافق لا يصل اليه شيء من الخير كانما يصعد في السماء كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون قال ابن عباس الرجس هو الشيطان اي يسلطه عليهم وقال عطاء الرجس العذاب مثل الرجز وقيل هو النجس

ودى

روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل الخلاء قال اللهم اني اعوذ بك من الرجس النجس وهذا البيان الذي جاء به القرآن صراط ربك مستقيما لا عوج فيه قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم قال اكثر المفسرين السلام هو الله وداره الجنة وقيل السلام هو السلامة اي لهم دار السلامة من الآفات وهي الجنة وسميت دار السلام لان كل من دخلها سلم من البلايا والرزايا وقيل سميت بذلك لان جميع حالاتها مقرونة بالسلام ادخلوها بسلام آمنين والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما تحيتهم فيها سلام سلام قولا من رب رحيم وهو وليهم يتولاهم في الدنيا بالتوفيق وفي الآخرة بالجزاء بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم ثم لما بين حال من تمسك بالصراط المستقيم بين بعده حال من يكون بالضد من ذلك فقال واذكر يوم يحشرهم جميعا يعني الجن والانس يجمعهم في موقف القيامة فيقول يا معشر الجن والمراد بالجن الشياطين قد استكثرتم من الانس اي استكثرتم من الانس بالاضلال والاغواء اي اضللتم كثيرا وقال اولياؤهم من الانس يعني اولياء الشياطين الذين اطاعوهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض قال الكلبي استمتاع الانس بالجن هو ان الرجل كان اذا سافر ونزل بارض قفر خاف على نفسه من الجن قال اعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه فيبيت في جوارهم واما استمتاع الجن بالانس فهو انهم قالوا قد سدنا الانس مع الجن حتى عاذوا بنا فيزدادون شرفا في قومهم وعظما في انفسهم كما قال تعالى وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا وقيل استمتاع الانس بالجن ما كانوا يلقون اليهم من الاراجيف والسحر والكهانة وتزيينهم لهم الامور التي يهوونها حتى يسهل سبيلها عليهم واستمتاع الجن بالانس طاعة الانس لهم فيما يزينون لهم من الضلالة والمعاصي قال محمد بن كعب هو طاعة بعضهم بعضا وموافقة بعضهم لبعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعني القيامة والبعث وهو اعتراف بما فعلوا من طاعة الشيطان واتباع الهوى وتكذيب البعث وتحسر على حالهم قال الله سبحانه وتعالى النار مثواكم مقامكم خالدين فيها الا ما شاء الله قال ابن عباس الاستثناء يرجع الى قوم سبق فيهم علم الله انهم يسلمون فيخرجون من النار وما بمعنى من على هذا التأويل وقيل معنى الاستثناء الا الاوقات التي ينقلون فيها من النار الى الزمهرير ان ربك حكيم في افعاله عليم باعمال الثقلين واحوالهم وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا اي كما خذلنا عصاة الجن والانس حتى استمتع بعضهم ببعض نولي بعض الظالمين بعضا

بعضهم

اي نسلط الظالمين على بعض عن ابن عباس هو ان الله تعالى اذا اراد بقوم خيرا
ولى امرهم خيارهم واذا اراد بقوم شرا ولى امرهم شرارهم بما كانوا يكسبون من
الكفر والمعاصي يا معشر الجن والانس الم يأتكم رسل منكم اختلفوا في الجن هل ارسل
اليهم منهم رسول فسئل الضحاك عنه فقال بلى الم تسمع الله يقول الم يأتكم رسل منكم
يعني بذلك رسلا من الانس ورسلا من الجن قال الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد
صلى الله عليه وسلم يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وسلم الى الانس والجن
جميعا قال مجاهد الرسل من الانس والنذر من الجن ثم قرأ ولوا الى قومهم منذرين
وهم قوم يسمعون كلام الرسل فيبلغون الجن ما سمعوا وليس للجن رسل فعلى هذا
لما جمع الجن مع الانس في الخطاب صح ذلك يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم
هذا يعني يوم القيمة قالوا جوابا شهدنا على انفسنا بالجرم والعصيان وغرتهم الحيوة
الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذم لهم على سوء نظرهم وخطاء رأيهم
فانهم اغتروا بالحيوة الدنيوية واللذات الناقصة واعرضوا عن الآخرة بالكلية حتى كان
عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام للعذاب المخلد تحذيرا
للسامعين من مثل حالهم ذلك اشارة الى الارسال اي الامر ذلك ان لم يكن ربك مهلك
القرى بظلم واهلها غافلون تعليل للحكم اي لان الشان لم يكن ربك مهلك اهل القرى
بظلم فعلوه وهم غافلون لم ينبهوا برسول ولكل درجات اي لكل من المكلفين مراتب
مما عملوا في الثواب والعقاب على قدر اعمالهم فمنهم من هو اشد عذابا ومنهم من هو اجزل
ثوابا وما ربك بغافل عما يعملون فيخفى عليه عمل او قدر ما يستحق به من ثواب او عقاب
ثم لما بين ثواب المطيع وعقاب العاصي ثم اكد بان لكل قوم درجة بين ان تخصيصهم
بالثواب والعقاب ليس لاجل ان الله تعالى محتاج الى طاعتهم او منتقص بمعصيتهم فقال
وربك الغني عن العبادة والعباد ذو الرحمة يرحم عليهم بالتكليف تكميلا لهم
ويمهلهم على المعاصي ان يشأ يذهبكم يهلككم وعيد لاهل مكة ويستخلف ويخلق
وينشئ من بعدكم ما يشاء من الخلق كما انشأكم من ذرية قوم آخرين من اولاد
قوم آخرين من اولاد لم يكونوا على صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام لكنه
ابقاكم ترحما عليكم انما توعدون من البعث واحواله لآت لكائن لا محالة وما انتم بمعجزين
طالبكم يعني يدرككم حيث ما كنتم ثم لما بين ان ما توعدون لآت امر رسوله بان يهدد
من شك البعث فقال قل يا قوم اعملوا على مكانتكم على غاية تمكنكم واستطاعتكم يقال

مكن

مكن مكانة اذا بلغ غاية التمكن اني عامل ما امرني به ربي من الاسلام ومصابرتكم فسوف
تعلمون من تكون له عاقبة الدار ايّنا يكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله
اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المأمور بانه لا يأتي منه الا الشر فكانه مأمور به
وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتقصى عنه ويعمل بخلافه انه لا يفلح الظالمون وضع
الظالمين موضع الكافرين لانه اعم واكثر فائدة ثم لما بين قبح طريقتهم في انكار البعث حكى
عنهم انواعا من الجهالات فقال وجعلوا اي مشركوا العرب لله مما ذرأ اي خلق من الحرث
والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم الزعم بفتح الزاء وضمها وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم
فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم كان المشركون يجعلون لله من حروثهم
وانعامهم وثمارهم وساير اموالهم نصيبا وللاوثان نصيبا فما جعلوه لله صرفوه الى الضيفان
والمساكين وما جعلوا للاصنام انفقوا على الاصنام وخدمها فان سقط شيء مما جعلوه لله
في نصيب الاوثان تركوه وقالوا ان الله غني عن هذا وان سقط شيء من نصيب الاصنام
فيما جعلوه لله ردوه الى الاوثان وقالوا انها محتاجة وكان اذا هلك او انتقص شيء مما جعلوه
لله لم يبالوا به واذا هلك او انتقص مما جعلوه للاصنام جبروه بما جعلوه لله فذلك قوله
تعالى وجعلوا لله الآية ساء ما يحكمون في عملهم على ما لم يشرع لهم وايثار الهتهم على الله تعالى
وكذلك مثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك في قسمة القربات بين الله والالهة زين
لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم قال مجاهد شركاؤهم اي شياطينهم زينوا
وحسنوا لهم وأد البنات خيفة العيلة سميت الشياطين لانهم اطاعوهم في معصية الله
واضيف الشركاء اليهم لانهم اتخذوها وقال الكلبي شركاؤهم سدنة الهتهم الذين كانوا
يزينون للكفار قتل الاولاد كان الرجل منهم يحلف لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم
كما حلف عبد المطلب على ابنه عبد الله ليردوهم ليهلكوهم وليلبسوا عليهم ليخلطوا
عليهم دينهم دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه قال ابن عباس ليدخلوا عليهم الشك في
دينهم وكانوا على دين اسمعيل فرجعوا عنه بلبس الشياطين ولو شاء الله ما فعلوه
ما فعل المشركون ما زين لهم او الشركاء التزيين او الفريقان جميع ذلك فذرهم وما
يفترون فان الله لهم بالمرصاد وقالوا اي المشركون هذه اشارة الى ما جعلوه
لالهتهم انعام وحرث حجر حرام فعل بمعنى مفعول كذبح بمعنى مذبوح يستوي
فيه الواحد والكثير والذكر والانثى لا يطعمها الا من نشاء يعنون خدم الاوثان
والرجال دون النساء بزعمهم من غير حجة وانعام حرمت ظهورها يعني البحاير

والسوايب والحوامي كانوا لا يركبونها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح و
انما يذكرون اسماء الاصنام عليها وقال ابو وايل معناه لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل
الخير لانه لما جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير عبر بذكر الله تعالى عن فعل الخير
افتراء عليه يعني انهم يفعلون ذلك ويزعمون ان الله امرهم به افتراء سيجزيهم بما كانوا
يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا اي نسائنا
قال ابن عباس وقتادة والشعبي اراد اجنة البحاير والسوايب فما ولد منها حيا فهو خالص
للرجال دون النساء وما ولد ميتا اكله الرجال والنساء وادخل الهاء في خالصة للتأكيد
كالخاصة والعامة والنسابة والعلامة وان يكن ما في البطون ميتة ومن قرأ وان تكن
بالتاء فالمعنى وان تكن الاجنة ميتة فهم فيه اي فالذكور والاناث في ما في البطون
شركاء سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله
وتصف السنتكم الكذب انه حكيم عليم ثم لما ذكر قتلهم اولادهم وتحريمهم ما رزقهم الله
جمع هذين الامرين في هذه الآية وبين ما لزمهم على هذا الحكم فقال قد خسر الذين قتلوا
اولادهم سفها جهلا بغير علم لخفة عقلهم وجهلهم بان الله رازق اولادهم لا هم وحرموا
ما رزقهم الله يعني البحيرة والسايبة والوصيلة والحام افتراء على الله حيث قالوا ان
الله امرنا بها قد ضلوا وما كانوا مهتدين الى الصواب وهو الذي انشأ جنات
معروشات وغير معروشات قال الامام اعلم انه تعالى لما ذكر ما جعل مدار الكتاب الكريم
عليه من التوحيد والنبوة والمعاد واثبات القضاء والقدر ثم اتبعه بحكاية كلماتهم الركيكة
عاد الى ما هو المقصود الاصلي وهو اقامة الدلايل على التوحيد فقال وهو الذي الآية قال
ابن عباس معروشات ما انبسط على وجه الارض فانتشر مما يعرش مثل الكرم والقرع و
البطيخ وغيرها وغير معروشات ما قام على ساق مثل النخل والزرع وساير الاشجار
وقال الضحاك كلاهما من الكرم منها ما عرش ومنها ما لم يعرش و انشأ النخل والزرع
مختلفا اكله ثمره الذي يؤكل في الهيئة والكيفية منها الحلو والحامض والجيد والردي
والزيتون والرمان متشابها في المنظر وغير متشابه في الطعم مثل الرمانين لونهما
واحد وطعمهما مختلف او متشابه بعض افرادها في اللون والطعم ولا يشابه بعضها
كلوا من ثمره من ثمر كل واحد من ذلك امر اباحة اذا اثمر وان لم يدرك بعد وقيل
فايدته رخصة المالك في الاكل منه قبل اداء حق الله وآتوا حقه يوم حصاده
اختلفوا في هذا الحق فقال ابن عباس وطاوس والحسن وجابر بن زيد وسعيد بن المسيب

انما الزكوة

انها الزكوة المفروضة من العشر ونصف العشر وقال علي بن الحسين وعطاء ومجاهد و
حماد والحكم هو حق في المال سوى الزكوة لان الآية مكية وفرضت الزكوة بالمدينة وانما امر
بها يوم الحصاد ليهتم به حينئذ حتى لا يؤخر عن وقت الاداء وليعلم ان الوجوب بالادراك
لا بالتنقية ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قيل اراد بالاسراف اعطاء الكل قال ابن عباس
في رواية الكلبي عمد ثابت بن قيس بن شماس فصرم خمسمائة نخلة فقسمها في يوم واحد ولم
يترك لاهله شيئا فانزل الله عز وجل هذه الآية قال الزجاج اذا اعطى الانسان كل ماله ولم
يوصل الى عياله شيئا فقد اسرف لانه جاء في الخبر ابدأ بمن تعول وقال الزهري لا تنفقوا
في المعصية قال مجاهد الاسراف ما قصرت به عن حق الله عز وجل وقال لو كان ابو قبيس
ذهبا لرجل فانفقه في طاعة الله تعالى لم يكن مسرفا ولو انفق درهما او مدا في معصية الله
كان مسرفا وروى ابن وهب عن ابي زيد انه قال الخطاب للسلاطين يقول لا تاخذوا فوق
حقكم ومن الانعام اي وانشأ من الانعام حمولة وهي كل ما يحمل عليه الاثقال وفرشا
وهو ما يفرش للذبح كلوا مما رزقكم الله كلوا مما احل لكم منه ولا تتبعوا خطوات الشيطان
لا تسلكوا طريقه وآثاره في تحريم الحرث والانعام انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة ثمانية
بدل من الحمولة فقال ثمانية ازواج من الضأن اثنين اي الذكر والانثى فالذكر زوج والانثى
زوج والعرب تسمي الواحد زوجا اذا كان لا ينفك عن الآخر والضأن النعاج وهي ذوات
الصوف من الغنم ومن المعز اثنين وهي ذوات الشعر من الغنم قل يا محمد آالذكرين
حرم الله عليكم يعني ذكر الضأن والمعز ام الانثيين اي انثى الضأن والمعز اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين او ما حملت اناث الجنسين ذكرا كان او انثى نبئوني بعلم
بامر معلوم يدل على ان الله حرم اشياء من ذلك ان كنتم صادقين في تحريم ذلك
ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آالذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت
عليه ارحام الانثيين كما سبق والمعنى انكار ان الله حرم من الاجناس الاربعة ذكرا
او انثى او ما تحمل اناثها ردا عليهم فانهم كانوا يحرمون ذكور الانعام تارة واناثها تارة
واولادها كيف كانت تارة زاعمين ان الله حرمها ام كنتم شهداء بل اكنتم حاضرين
شاهدين اذ وصاكم الله بهذا حين وصاكم بهذا التحريم اذ انتم لا تؤمنون بنبي
فلا طريق لكم الى معرفة امثال ذلك الا المشاهدة والسماع فمن اظلم ممن افترى على
الله كذبا ليضل الناس بغير علم اراد عمرو بن لحي فهو المؤسس لذلك ومن جاء
بعده على طريقته ان الله لا يهدي القوم الظالمين ثم لما بين فساد طريقتهم فيما حل

ويحرم اتبعه بالبيان الصحيح فقال قُل لَّا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ اى فى القرآن او فيما اوحى مطلقا
وفيه تنبيه على ان التحريم انما يعلم بالوحى لا بالهوى مُحَرَّمًا طعاما محرما عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ آكل
ياكله إِلَّا أَن يَكُونَ الطعام مَيْتَةً وقراء بالرفع فالمعنى الا ان تقع ميتة أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا
اى مهراقا سايلا قال بن عباس يريد ما خرج من الحيوان وهى احياء وما يخرج من الاوداج
عند الذبح ولا يدخل فيه الكبد والطحال لانهما جامدان وقد جاء الشرع باباحتهما ولا ما
اختلط باللحم من الدم لانه غير سايل قال عكرمة لولا هذه الآيه لاتبع المسلمون من العروق
ما اتبع اليهود أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ قذر ليعوده اكل الخاسد او خبث مخبث أَوْ
فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وهو ما ذبح على غير اسم سمى فسقا لتوغله فى الفسق فذهب بعض
اهل العلم الى ان التحريم مقصور على هذه الاشياء يروى ذلك عن عايشه وابن عباس قالوا
ويدخل فى الميته المنخنقة والموقوذه وما ذكر فى اول سورة المايده واكثر العلماء على
ان التحريم لا يختص بهذه الاشياء بل المحرم بنص الكتاب ما ذكرهها وذلك معنى قوله
قل لا اجد فيما اوحى الى محرما فَمَنِ اضْطُرَّ فمن دعته الضرورة الى تناول شىء من ذلك
غَيْرَ بَاغٍ على مضطر مثله وَلَا عَادٍ قدر الضرورة فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ لا يواخذه
وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا يعنى اليهود حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وهو ما لم يكن مشقوق الاصابع
من البهايم والطير مثل البعير والنعامه والاوز والبط وقال القتيبى هو كل ذى مخلب
من الطير وكل ذى حافر من الدواب وحكاه عن بعض المفسرين سمى الحافر ظفرا على
المجاز وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا يعنى شحوم الجوف وهى الثروب
وشحم الكليتين إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا اى ما علق بالظهر والجنب من داخل بطونهما أَوِ
الْحَوَايَا وهى المباعر واحدتها حويه وحاويه اى ما حملته الحوايا من الشحم أَوْ مَا اخْتَلَطَ
بِعَظْمٍ يعنى شحم الالية هذا كله داخل فى الاستثناء والتحريم مختص بالثروب وشحم الكلية
ذَٰلِكَ التحريم جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ اى بظلمهم من قتلهم الانبياء وصدهم عن سبيل الله
واخذهم الربوا واستحلال اموال الناس بالباطل وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فى الاخبار عما حرمنا
عليهم وعن بغيهم فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ يمهلكم على التكذيب فلا يغتروا
بامهاله فانه لا يهمل وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ حين ينزل سَيَقُولُ الَّذِينَ
أَشْرَكُوا اخبار عنهم مستقبل ووقوع مخبره يدل على اعجازه اى سيقول الذين اشركوا
بعد لزوم الحجة وتيقن بطلان ما كانوا عليه من الشرك بالله وتحريم ما لم يحرمه الله
لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا من قبل وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ من البحاير

والسوايب ارادوا ان يجعلوا لو شاء الله ما اشركنا حجة لهم على اقامتهم على الشرك وقالوا
ان الله قادر ان يحول بيننا وبين ما نحن فيه حتى لا نفعله فلولا انه رضى بما نحن عليه و
اراده منا لحال بيننا وبين ذلك فقال الله تكذيبا لهم كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم من
كفار الامم الخالية حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا عذابنا ويستدل اهل القدر بهذه الآيه يقولون
انهم لما قالوا لو شاء الله ما اشركنا كذبهم الله ورد عليهم فقال كذلك كذب الذين
من قبلهم قال محيى السنة التكذيب ليس فى قولهم لو شاء الله ما اشركنا بل ذلك القول
صدق ولكن فى قولهم ان الله امرنا بها ورضى بما نحن عليه كما اخبر عنهم فى سورة الاعراف
واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله امرنا بها فالرد عليهم فى هذا كما قال
قل ان الله لا يامر بالفحشاء والدليل على ان التكذيب ورد فيما قلنا لا فى قولهم لو شاء الله
ما اشركنا قوله كذلك كذب الذين من قبلهم بالتشديد ولو كان خبرا من الله عز وجل
عن كذبهم فى قولهم لو شاء الله ما اشركنا لقال كذلك كَذَبَ الذين من قبلهم بالتخفيف فكان
ينسبهم الى الكذب لا الى التكذيب وقال الحسين بن الفضل لو ذكروا هذه المقالة تعظيما واجلالا
لله عز وجل ومعرفة منهم به لما عابهم بذلك لان الله تعالى لو شاء الله ما اشركوا وقال وما كانوا
ليومنوا الا ان يشاء الله والمومنون يقولون ذلك ولكنهم قالوه تكذيبا وتخرصا وجدلا
من غير معرفة بالله وبما يقولون نظيره قوله عز وجل وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم
قال الله تعالى ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون وقيل فى معنى الآيه انهم كانوا يقولون
الحق بهذه الكلمه الا انهم كانوا يعدونه عذرا لانفسهم ويجعلونه حجة لانفسهم فى ترك الايمان
والرد عليهم فى هذا ان امر الله بمعزل عن مشيته وارادته فانه مريد لجميع الكاينات
غير آمر بجميع ما يريد وعلى العبد ان يتبع امره وليس له ان يتعلق بمشيته فان مشيته
لا يكون عذرا لاحد قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ من امر معلوم يصح الاحتجاج به على ما زعمتم
من الشرك وتحريم ما حرم عليهم فَتُخْرِجُوهُ لَنَا فتظهروه لنا إِن تَتَّبِعُونَ ما يتبعون فيما انتم
عليه إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ تكذبون على الله وفيه دليل على المنع من اتباع
الظن سيما فى الاصول ولعل ذلك حيث يعارضه قاطع اذ الآيه فيه قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ
البينة الواضحة التى بلغت غاية المتانة والقوة فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ولكن شاء
هداية قوم وضلال آخرين قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ احضروهم يستوى فى الواحد والاثنين
والجمع هلم الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا يعنى قدوتهم فيه استحضرهم ليظهر
ضلالتهم وانه لا متمسك لهم لمن يقلدهم فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ فلا يصدقهم فيه

وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا من وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان مكذب
الآيات متبع الهوى لا غير ومتبع الحجة لا يصدق الا بالحجة وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
كعبدة الاوثان وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ يجعلون له عديلا قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ أقرأ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ
عَلَيْكُمْ والمتلو أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا سال المشركون وقالوا اى شىء حرم الله تعالى فقال
تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا واحسنوا
بهما احسانا وضعه موضع النهى عن الاساءة اليهما للمبالغة وللدلالة على ان ترك الاساءة
فى شانهما غير كاف بخلاف غيرها وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ من اجل فقر نَّحْنُ
نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ كباير الذنوب او الزنا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ
مثل قوله تعالى ظاهر الاثم وباطنه قال المحاسبى الفواحش ما اريد به غير الله وَلَا تَقْتُلُوا
النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ اى بما يبيح قتله من ردة او قصاص او زنا يوجب الرجم
عن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل دم امرء مسلم يشهد
ان لا اله الا الله وانى رسول الله الا باحدى ثلث الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك
لدينه المفارق للجماعة ذَٰلِكُمْ الذى ذكرت وَصَّاكُم امركم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ترشدون فان
كمال العقل الرشد وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ يعنى بما فيه صلاحه وتثميره قال
مجاهد هو التجارة فيه حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ قال الشعبى ومالك الاشد الحلم حين يكتب له الحسنات
ويكتب عليه السيئات وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ بالعدل لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا الا
ما يسعها ولا يعسر عليه ومعناه ان ايفاء الحق عسر فعليكم بما فى وسعكم وما وراءه معفو عنكم
وَإِذَا قُلْتُمْ فى حكومة ونحوها فَاعْدِلُوا فيه وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ولو كان المقول له او عليه
من ذوى قرابتكم وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا يعنى ما عهد اليكم من ملازمة العدل وتادية احكام
الشرع ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ تتعظون به قال ابن عباس هذه الآيات محكمات فى
جميع الكتب لم ينسخهن شىء وهن محرمات على بنى آدم كلهم وهن ام الكتاب من عمل بهن
دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا الاشارة فيه الى ما ذكر فى
السورة فانها بامرها فى اثبات التوحيد والنبوة وبيان الشريعة قرى ان بالكسر على الاستيناف
وبالفتح مع التخفيف والتشديد بتقدير اللام على انه علة لقوله تعالى فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا
السُّبُلَ الاديان المختلفة وقيل الاهواء والبدع التابعة للهوى فان مقتضى الحجة واحد
ومقتضى الهوى متعدد لاختلاف الطبايع والعادات فَتَفَرَّقَ بِكُمْ اى يفرقكم عَن سَبِيلِهِ
الذى هو اتباع الوحى واقتفاء البرهان ذَٰلِكُمْ الاتباع وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ الضلال والتفرق

الثم

عن الحق عن عبد الله قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا ثم قال هذا سبيل الله
ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله وقال هذه سبيل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه
وقراء وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه الآيه ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فان قلت كيف صح عطفه
بثم والايتاء قبل التوصيه بدهر طويل فالجواب على ما فى الكشاف ان هذه توصية قديمة
لم تزل توصى بها كل امة على لسان نبيها كما قال ابن عباس فكانه قيل ذلكم وصيكم به يا بنى آدم
قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا آتينا موسى الكتاب وانزلنا هذا الكتاب المبارك تَمَامًا للكرامة
والنعمة عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ القيام به من قومه ويؤيده ان قرئ على الذين احسنوا او على
الذى احسن تبليغه وهو موسى وقيل الاحسان بمعنى العلم واحسن بمعنى علم ومعناه تماما
على الذى احسن موسى من العلم والحكمة اى اتيناه الكتاب زيادة على ذلك وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ
وبيانا مفصلا لكل شىء يحتاج اليه من شرايع الدين وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم لعل بنى اسرائيل
بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ قال ابن عباس يؤمنون بالبعث ويصدقون بالثواب والعقاب وَهَٰذَا
يعنى القرآن كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ كثير النفع فَاتَّبِعُوهُ فاعملوا بما فيه وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
بواسطة اتباعه وهو العمل بما فيه أَن تَقُولُوا كراهة ان تقولوا تعليل لانزلناه إِنَّمَا أُنزِلَ
الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا يعنى اليهود والنصارى والتخصيص بانهما الذى الكتابى المشهور
حينئذ من الكتب السماويه لم يكن غيرهما كتبهم وَإِن كُنَّا ان هى المخففه ولذلك دخلت اللام
الفارقة عَن دِرَاسَتِهِمْ قراءتهم لَغَافِلِينَ لا نعلم ما هى معناه انزلنا عليكم القرآن ليلا تقولوا ان
الكتاب انزل على من قبلنا بلسانهم ولغتهم فلم نعرف ما فيه وغفلنا عن دراسته فتجعلونه
عذرا لانفسكم أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ وقد كان جماعة من الكفار
قالوا ذلك لو انا انزل علينا ما انزل على اليهود والنصارى لكنا خيرا منهم قال الله تعالى فَقَدْ جَاءَكُم
بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ حجة واضحة بلغة تعرفونها وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لمن تامل فيه وعمل به فَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ بعد ان عرف صحتها او تمكن من معرفتها وَصَدَفَ اعرض او صد
عَنْهَا فضل واضل سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ شدته بِمَا كَانُوا
يَصْدِفُونَ باعراضهم او صدهم هَلْ يَنظُرُونَ اى ما ينتظرون يعنى اهل مكة إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ
الْمَلَائِكَةُ ملايكة الموت او العذاب أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ بلا كيف لفصل القضاء بين خلقه فى موقف
القيامة وقيل اى امره بالعذاب وقيل اى او كل آية يعنى آيات القيمة والهلاك الكلى أَوْ
يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يعنى طلوع الشمس من مغربها عليه اكثر المفسرين ورواه ابو سعيد
الخدرى مرفوعا يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ

أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا اى لا ينفع الايمان الذى احدث فى هذا اليوم نفسا لم يكن آمنت قبل
هذا اليوم او نفسا كسبت فى ذلك الايمان خيرا فلا ينفعها ايضا فحاصل المعنى لا ينفع نفسا ايمانها
الذى احدثته حينئذ وان كسبت فيه خيرا والحاصل انه لا يقبل فيه ايمان ولا عمل و
لا ايمان مع عمل عن ابى موسى الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبسط الله
يده لمسيء الليل ليتوب بالنهار ولمسيء النهار ليتوب بالليل حتى تطلع الشمس من مغربها
وعن زر بن حبيش قال اتيت صفوان بن عسال المرادي وذكر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله عز وجل جعل بالمغرب بابا مسيرة عرضه سبعون عاما للتوبة لا يغلق
ما لم تطلع الشمس من قبله وذلك قول الله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا
ايمانها لم تكن آمنت من قبل وروى ابو حازم عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل الدجال ودابة الارض
وطلوع الشمس من مغربها قُلِ انْتَظِرُوا يا اهل مكة إِنَّا مُنْتَظِرُونَ بكم العذاب إِنَّ الَّذِينَ
فَرَّقُوا دِينَهُمْ بددوه وآمنوا ببعض وكفروا ببعض وَكَانُوا شِيَعًا اى صاروا فرقا مختلفة
وهم اليهود والنصارى فى قول مجاهد وقتادة والسدى وقيل هم اصحاب البدع والشبهات
من هذه الامة عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بنى اسرائيل
تفرقت على اثنتين وسبعين ملة وتفترق امتى على ثلث وسبعين ملة كلهم فى النار الا واحدة
قالوا من هى يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابى وعن العرباض بن سارية قال صلى بنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم الصبح فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب
فقال قائل يا رسول الله كانها موعظة مودع فاوصنا فقال اوصيكم بتقوى الله والطاعة وان
كان عبدا حبشيا فانه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين
المهديين وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة ضلالة وعن ابن
مسعود ان احسن الحديث كتاب الله واحسن الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر
الامور محدثاتها ورواه جابر مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ
قيل لست من قتالهم فى شىء نسختها آية القتال وهذا على قول من يقول المراد من الآية اليهود
والنصارى ومن قال اراد بالآية اهل الاهواء قال المراد من قوله لست منهم فى شىء اى انت
منهم برىء وهم منك براء تقول العرب ان فعلت كذى فلست منى ولست منك اى كل واحد
منا برىء عن صاحبه إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ فى الجزاء والمكافات ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ
اذا وردوا القيامة مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا اى له عشر حسنات امثالها وهذا

اقل ما وعد من الاضعاف وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ بنقص
الثواب وزيادة العقاب عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا احسن
احدكم اسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها
تكتب له بمثلها حتى يلقى الله عز وجل وعن ابى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول الله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وازيد ومن جاء بالسيئة فجزاء
سيئة مثلها او اغفر ومن تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذراعا
تقربت منه باعا ومن آتانى يمشى اتيته هرولة ومن لقينى بقراب الارض خطيئة لا
يشرك بى شيئا لقيته بمثلها مغفرة قال ابن عمر الآية فى غير الصدقات من الحسنات فاما
الصدقات تضاعف سبعمائة ضعف ثم لما علم رسوله دلائل التوحيد والرد على القائلين
بالشرك امره ان يختم الكلام بقوله قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ بالوحى والارشاد
الى ما نصب من الحجج دِينًا قِيَمًا قويما مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي
وَنُسُكِي عباداتى كلها قال مقاتل حجى وقيل المراد بالنسك الذبيحة فى الحج والعمرة وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي
وما انا عليه فى حياتى واموت عليه من الايمان والطاعة او طاعات الحيوة والخيرات المضافة
الى الممات كالوصية والتدبير او الحيوة والممات انفسهما لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ خالصة له
لا اشرك فيها غيره وَبِذَلِكَ القول او الاخلاص أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ لان اسلام كل نبى
متقدم على اسلام امته قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ اى وكل من سواه مربوب مثلى
لا يصلح للربوبية وذلك ان الكفار كانوا يقولون للنبى صلى الله عليه وسلم ارجع الى ديننا
قال ابن عباس كان الوليد بن المغيرة يقول اتبعوا سبيلى احمل اوزاركم فقال الله تعالى
وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا لا يجنى كل نفس الا كان اثمه على الجانى ثم لما بين صحة التوحيد
بين انه لا يرجع اليه من كفرهم شىء فقال وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى اى لا تحمل نفس
حاملة حمل اخرى اى لا يؤاخذ احد بذنب غيره ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ
تَخْتَلِفُونَ بتبيين الرشد من الغى وتمييز المحق من المبطل وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ
يعنى اهلك القرون الماضية واورثكم الارض يا امة محمد صلى الله عليه وسلم من بعدهم
فجعلكم خلائف منهم فيها تخلفونهم فيها وتعمرونها بعدهم والخلائف جمع خليفة وكل من جاء
بعد من مضى فهو خليفة لانه يخلفه وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ اى خالف
بين احوالكم فجعل بعضكم فوق بعض فى الخلق والرزق والمعاش والقوة والفضل
لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ليختبركم فيما رزقكم يبتلى الغنى والفقير والشريف والوضيع والحر والعبد

ابغي م

ليظهر منكم ما يكون عليه الثواب والعقاب إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ لان ما هو آت فهو
سريع قريب قيل هو الهلاك فى الدنيا او لانه يسرع اذا اراده وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ
وصف العقاب ولم يضفه الى نفسه ووصف ذاته بالمغفرة وضم اليه الوصف بالرحمة واتى
بناء المبالغة واللام المؤكدة تنبيها على انه تعالى غفور بالذات معاقب بالعرض كثير الرحمة
مبالغ فيها قليل العقوبة مسامح فيها وبلفظ المسامحة وقع اختتام هذا الربع من كتاب الجمع
بين التفسير والتأويل وما يهم فيه من الاخبار والآثار واسرار التنزيل وافتتاح الربع
الذى يليه يوم الاربعاء الثانى عشر من جمادى الاولى سنة تسع وسبعين وثمانمائة
فى الروضة المحمدية بين المنبر وقبره على مشرفه افضل الصلوات وازكى السلام عدد
السنين والاعوام نسألك اللهم ببركات هذا النبى الكريم ان تنفعنى به وساير الطالبين
وتوفقنا للعمل والتصلى بما فيه واياى للاخلاص والسداد فى التتميم والحمد لله رب العالمين
وصلواته وسلامه على سيد المرسلين وآله وصحبه اجمعين وساير الصحابة والتابعين
صلوة وسلاما دايمين الى يوم الدين

سورة اعراف مايتان وست آية

بسم الله الرحمن الرحيم

المص سبق الكلام فيه كِتَابٌ هذا كتاب أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ والمراد السورة او القرآن
فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ اى ضيق قال ابو العالية معناه لا يضيقن صدرك بالابلاغ
وتادية ما ارسلت به لِتُنْذِرَ بِهِ اى كتاب انزلناه اليك لتنذر به وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ
اى عظة لهم قال ابن عطاء فى قوله كتاب انزل اليك عهد خصصت به من بين الانبياء
انك خاتم الرسل وعهدك خاتم العهود لتشرح به صدرك وتقر به عينك اتَّبِعُوا اى
وقل لهم اتبعوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ يضلونكم من الانس
والجن وقيل الضمير من دونه لما انزل اى ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء
قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ اى تذكرا قليلا او زمانا قليلا تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون
غيره وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ وكثيرا من القرى أَهْلَكْنَاهَا اردنا اهلاك اهلها او اهلكناها بالخذلان
فَجَاءَهَا بَأْسُنَا عذابنا بَيَاتًا بايتين كقوم لوط أَوْ هُمْ قَائِلُونَ نصف النهار كقوم شعيب
والقيلولة استراحة نصف النهار وان لم يكن معه نوم ومعنى الآية انهم جاءنا بأسنا
وهم غير متوقعين اما ليلا او نهارا فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ اى قولهم ودعاءهم وتضرعهم
والدعوى يكون بمعنى الادعاء وبمعنى الدعاء قال سيبويه تقول العرب اللهم اشركنا
فى صالح دعوى المسلمين إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ الا اعترافهم بظلمهم

فيما كانوا عليه وبطلانه تحسرا عليه فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ عن قبول الرسالة
والاجابة وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ عما اجيبوا به والمراد من هذا السؤال توبيخ الكفرة وتقريعهم
المنفى فى قوله ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون سؤال الاستعلام او الاول فى موقف الحساب
وهذا عند حصولهم على العقوبة فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ على الرسل حين يقولون لا علم لنا انك
انت علام الغيوب او على الرسل والمرسل اليهم ما كانوا عليه بِعِلْمٍ عالمين بظواهرهم
وبواطنهم قال ابن عباس ينطق عليهم كتاب اعمالهم كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق
وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ عنهم فيخفى علينا شىء من احوالهم قال الكاشف لنخبرنهم ما جرى عليهم وهم
كانوا لا يعرفون حقايقه من آثار القهريات واللطفيات وما كنا غائبين عن شهود المشتاقين
وزفرات العارفين وعبرات العاشقين وجفاء المنكرين وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ يوم السؤال
قال مجاهد معناه القضاء والجمهور على ان صحائف الاعمال يوزن بميزان له لسان وكفتان
سطر الله الخلائق روى ان رجلا ينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر فيخرج له
بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيوضع السجلات فى كفة والبطاقة
فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة والحكمة فى الوزن امتحان الله عباده بالايمان به
فى الدنيا واقامة الحجة عليهم فى العقبى الْحَقُّ يومئذ خبر لقوله تعالى والوزن والحق صفته
او خبر محذوف ومعناه العدل السوى قال الاستاد يوزن اعمالهم بميزان الاخلاص واحوالهم
بميزان الصدق فمن كانت اعماله بالرياء مصحوبة لم تقبل اعماله ومن كانت احواله بالاعجاب مشوبة
لم ترفع احواله فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ قال مجاهد حسناته وقيل ما يوزن به حسناته والجمع
باعتبار اختلاف الموزونات فهو جمع موزون او ميزان فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ الفائزون
بالنجاة والثواب وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بتضييع الفطرة
السليمة التى فطرت عليها واقتراف ما عرضها للعذاب بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ يجحدون
قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه حين حضره الموت فى وصيته لعمر بن الخطاب انما ثقلت
موازين من ثقلت موازينه يوم القيمة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهم وحق لميزان
يوضع فيه الحق غدا ان يكون ثقيلا وانما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة
باتباعهم الباطل فى الدنيا وخفته عليهم وحق لميزان يوضع فيه الباطل غدا ان يكون
خفيفا ثم لما امر بمتابعة الرسول وخوفهم بالعذاب وهددهم بالمسائلة ووزن
الاعمال رغبهم فى قبول الدعوة بطريق آخر فقال وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ مكناكم
من سكناها وزرعها والتصرف فيها وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ اى اسبابا يعيشون

ايام حيوتكم من التجارات و المكاسب و المآكل و المشارب و المعايش جمع المعيشه قليلا
ما تشكرون فيما صنعت اليكم قال الكاشف مَنّ الله تعالى على عباده بتمكينهم فى الارض
بنعت تسهيل عاداته حيث فرش لهم عبوديته بقدرة خلقها فيهم بعد ان كلفهم ذلك وجعل
فيها لابدانهم معايش الغذاء و لقلوبهم معايش الذكر و لعقولهم معايش التفكر و لارواحهم
معايش روح رويه ظهور جلاله فى ملكوت الارض من كل زهره وخضرة لعرفان
المنعم القديم بنعت عجزهم فى شكره وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ قال ابن عباس خلقناكم
اى اصولكم و آباءكم ثم صورناكم فى ارحام امهاتكم قال قتاده وغيره و لقد خلقناكم اى آدم
ثم صورناكم فى ذريته و ذكر آدم بلفظ الجمع لانه ابو البشر ففى خلقه خلق من يخرج من صلبه
و قال يمان خلق الانسان فى الرحم ثم صوره فشق سمعه و بصره و اصابعه ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ
اسْجُدُوا لِآدَمَ فان قيل الامر بسجود الملائكة كان قبل خلق آدم فما وجه قوله ثم قلنا وثم
للتعقيب و التراخى قيل على قول من يصرف الخلق و التصوير الى آدم وحده لا اشكال
و اما على قول من يصرفه الى الذريه فقيل ثم قلنا لتاخير الاخبار و المراد ثم اخبركم
انا قلنا للملائكة اسجدوا وقيل ثم بمعنى الواو فَسَجَدُوا يعنى الملائكة إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ
مِنَ السَّاجِدِينَ لآدم قَالَ الله يا ابليس مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ اى ان تسجد
و لا صلة مؤكدة معنى الفعل الذى دخل عليه و منبهة على ان الموبخ عليه ترك السجود
قَالَ ابليس مجيبا أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ و لا يحسن للفاضل ان يسجد للمفضول فكيف يحسن
ان يومر به فهو الذى سن التكبر و قال بالحسن و القبح العقلى اولا قال ابن عباس
اول من قاس ابليس فاخطاء القياس فمن قاس الدين بشئ من رايه قرنه الله
مع ابليس قال ابن سيرين ما عبدت الشمس الا بالمقاييس خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ
مِنْ طِينٍ تعليل لفضله عليه و قد غلط فى ذلك بان راى الفضل كله باعتبار العنصر
وغفل عما يكون باعتبار الفاعل كما اشار اليه بقوله تعالى ما منعك ان تسجد لما خلقت
بيدى اى بغير واسطة و باعتبار الصورة كما نبه عليه بقوله تعالى و نفخت فيه من روحى
فقعوا له ساجدين و باعتبار الغاية لما بين لهم انه اعلم منهم وان له خواص ليست لغيره
قال محمد بن جرير ظن الخبيث ان النار خير من الطين و لم يعلم ان الفضل لمن جعل الله
له الفضل و قد فضل الله الطين على النار و قالت الحكماء للطين فضل على النار من
وجوه منها ان من جوهر الطين الرزانة و الوقار و الحلم و الصبر وهو الداعى لآدم
بعد السعادة التى سبقت له الى التوبه و التواضع و التضرع فاورثه الاجتباء والتوبة

والهدايه ومن جوهر النار الخفه و الطيش و الحده و الارتفاع وهو الداعى لابليس
بعد الشقاوة التى سبقت له الى الاستكبار و الاصرار فاورثه اللعنه و الشقاوة و لان
الطين سبب جمع الاشياء و النار سبب تفرقها و لان الطين سبب الحيوة فان حيوة
النبات و الاشجار بها و النار سبب للهلاك قال ابن عطاء فى قوله انا خير منه حجب
ابليس رؤية الجوهر عن التعظيم و لو راى تعظيم الحق لم يعظم غيره لان الحق اذا
استولى على سر قوم لم يترك فيه فضلا لغيره قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا اى من الجنه و قيل من
السماء الى الارض فَمَا يَكُونُ لَكَ فما يصح لك أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فانها مكان الخاشع المطيع وفيه
تنبيه على ان التكبر لا يليق باهل الجنه فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ممن اهانه الله لكبره
قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله و من تكبر وضعه الله قَالَ ابليس عند
ذلك أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ اخرنى و امهلنى و لا تمتنى الى يوم يبعثون من قبورهم
وهو النفخة الاخيرة عند قيام الساعة اراد الخبيث ان لا يذوق الموت قَالَ الله تعالى
إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ المؤخرين و بين مدة هذه النظرة و المهلة فى موضع اخر فقال
الى يوم الوقت المعلوم وهو النفخة الاولى حين يموت الخلق كلهم قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ
لَهُمْ اى لاجل انك اغويتنى لاقعدن لهم وقيل هو ما المصدر فى موضع القسم تقديره فباغوائك
اياى لاقعدن لهم و المعنى بقدرتك على و نفاذ سلطانك فىّ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ فى صراطك
المستقيم و قيل تقديره على صراطك كقولك ضرب زيد الظهر و البطن و الصراط
المستقيم هو الاسلام ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ
شَمَائِلِهِمْ روى ابن عطيه عن ابن عباس من بين ايديهم من قبل دنياهم يعنى ازينها
فى قلوبهم ومن خلفهم من قبل الآخرة فاقول لا بعث و لا جنه و لا نار وعن ايمانهم
من قبل حسناتهم وعن شمائلهم من قبل سيئاتهم قال قتاده اتاك يا ابن آدم من كل وجه
غير انه لم ياتك من فوقك و لم يستطع ان يحول بينك و بين رحمة الله و قال مجاهد من
بين ايديهم وعن ايمانهم من حيث يبصرون و من خلفهم وعن شمائلهم من حيث
لا يبصرون و قيل مثل قصده اياهم بالتسويل و الاضلال من اى وجه يمكنه باتيان
العدو من الجهات الاربع قال الكاشف اى من بين ايديهم من جهة النفس و الهوى
و من خلفهم من جهة الشهوة و المنى وعن ايمانهم من طريق الدعوى وعن شمائلهم
من طريق الطارم الشكوى فى البلوى و لم يذكر الفوق و التحت لان التحت موضع الفناء
فى المعبود به عند السجود الذى يوجبه القربة و ذلك السجود شهود و الشهود محل رعايه الحق

لا تعدن لهم م

و لا يقدر ان يمر على باب رعايته احد دونه و الفوق محل الكشف و المشاهده و وارد
التجلى وظهور سبحات وجه القدم ولو دنا منه جميع الشياطين من العرش الى الثرى بقدر
راس ابرة لاحترقوا فى اقل لمحه وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ مطيعين فان قيل كيف علم الخبيث
ذلك قيل قاله ظنا لما راى فيهم مبداء الشر متعددا و مبداء الخير واحدا فاصاب قال تعالى
و لقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا
الذيم و الذام اشد العيب و الدحر الابعاد و الطرد قال ابن عباس مذموما ممقوتا
و قال الكلبى مدحورا مبعدا من الجنه و من كل خير لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ من بنى آدم لَأَمْلَأَنَّ
جَهَنَّمَ مِنْكُمْ اى منك و من ذريتك و من كفار ذريه آدم عليه السلام أَجْمَعِينَ وَيَا آدَمُ
اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ
فتصيرا من الذين ظلموا انفسهم فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ الوسوسه حديث النفس يلقيه
الشيطان فى قلب الانسان و قد سبق بيانه فى سورة البقرة لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا
مِنْ سَوْآتِهِمَا اى ليظهر لهما ما غطى و ستر عنهما من عوراتهما و فيه دليل على ان كشف
وفيه دليل على ان من غير حاجة قبيح مستهجن فى الطباع وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ
الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ الا كراهة ان تكونا ملكين أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ الباقين
الذين لا يموتون كما قال فى موضع آخر هل ادلك على شجرة الخلد وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ
النَّاصِحِينَ اى اقسم لهما على ذلك قال قتاده حلف لهما بالله حتى خدعهما و قد يخدع المؤمن
بالله و قال انى خلقت قبلكما و انا اعلم منكما فاتبعانى ارشدكما و ابليس اول من حلف بالله
كاذبا فلما حلف ظن آدم عليه السلام ان احدا لا يحلف بالله الا صادقا فاغتر به قال
ابو بكر الوراق لا تقبل النصيحه الا ممن يعتمد دينه و امانته و لا يكن له حظ فى نصيحته
اياك فان العدو اظهر لآدم النصيحة و اضمر الخيانة قال الله عز وجل وقاسمهما انى لكما
لمن الناصحين فَدَلَّاهُمَا فنزلهما الى الاكل من الشجرة نبه به على انه اهبطهما بذلك من
درجة عاليه الى رتبه سافله فان التدليه و الادلاء ارسال الشئ من اعلى الى اسفل
بِغُرُورٍ بما غرهما به من القسم قال الكاشف وهكذا شان العشاق من شوقهم الى قرب
معشوقهم يسمعون حديث كل بر و فاجر لعلهم يصلون الى شئ من قرب حبيبهم
الطمع لآل ليلى فى هواها و احمل الاصاغر و الكبارا فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا
عن ابن عباس انه قال قبل ان ازدردا احد بهما العقوبه و العقوبه ان بدت اى ظهرت
لهما سوءاتهما اى عوراتهما و تهافتت عنهما لباسهما حتى ابصر كل واحد منهما ما ووري عنه

واخوجه على زنة المفاعلة للمبالغة م

ابتلعا م

من عورة صاحبه وكانا لا يريان قبل ذلك قال وهب كان لباسهما من النور و قال قتاده
كان ظفرا البسهما الله تعالى من الظفر فلما واقعا الذنب بدت لهما سوءاتهما فاستحييا قال
الواسطى سلبه ما البسه وكساه كسوة الذل حتى عرفه رذال قدره فاسقه لنفسه عن نفسه
بنفسه ما يقن انه لا ينال شيئا من رتبه الاربه ما ينقطع به اليه مغيبا عن حضوره وما خوذا
محظه عن حظ غيره وَطَفِقَا اقبلا وجعلا يَخْصِفَانِ يرقعان و يلزقان عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ
الْجَنَّةِ وهو ورق التين حتى صار كهيئة الثوب وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ
يعنى عن الاكل منها وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ بين العداوة عتاب على مخالفة
النهى و توبيخ على الاغترار بقول العدو قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا اضررناها بالمعصيه وَإِنْ
لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ اى الهالكين قال الحسن الظلم هو الاشتغال
بغيره عنه و قال ابن عطاء ظلمنا انفسنا باشتغالنا بالجنه وطيبها عنك قال الشبلى ذنوب
الاحباء تؤديهم الى الكرامات و الرتب كما ان ذنب آدم ادى الى الاجتباء و الاصطفاء وذنوب
الاولياء تؤديهم الى الكفارة و ذنوب العامة تؤديهم الى الاهانة قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ
عَدُوٌّ وَلَكُمْ الخطاب لآدم وحواء و ذريتهما او لهما و لابليس كرر الامر له تبعا ليعلم انهما قرناء
ابدا فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ موضع استقرار وَمَتَاعٌ تمتع إِلَى حِينٍ الى ان تنقضى آجالكم
قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ يعنى فى الارض تعيشون وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ اى من الارض
تخرجون من قبوركم للبعث ثم انه تعالى لما ذكر واقعة آدم و انكشاف عورته بين انه
خلق اللباس للخلق احسانا عليهم فقال يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا اى خلقناكم
لباسا بتدبيرات سماويه و اسباب نازله فان اللباس يكون من نبات الارض و النبات
يكون بما ينزل من السماء وقيل كل بركات الارض منسوبه الى السماء كما قال تعالى و انزلنا
الحديد و انما يستخرج الحديد من الارض وسبب نزول هذه الآيه انهم كانوا فى الجاهليه
يطوفون بالبيت عراة و يقولون لا نطوف فى ثياب عصينا الله فيها فكان الرجال يطوفون
بالنهار و النساء بالليل عراة فامر الله تعالى باللبس فقال قد انزلنا عليكم لباسا يُوَارِي
سَوْآتِكُمْ عوراتكم و احدها سوءة سميت بها لانه يسوء صاحبها انكشافها
وَرِيشًا وكلنا يتجملون به و الريش الجمال وعن ابن عباس وغيره انه المال يقال تريش الرجل
اذا تمول وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ و اختلفوا فى لباس التقوى قال قتاده والسدى
لباس التقوى هو الايمان و قال الحسن هو الحياء لانه يبعث على التقوى و قال عطية
عن ابن عباس هو العمل الصالح وعن عثمان بن عفان انه قال انه هو السمت الحسن

قادفا ع

وقال عروة بن الزبير انه خشية الله وقال الكلبي هو العفاف وقال ابن الانبارى لباس التقوى هو اللباس الاول وانما اعاده اخبار لان ستر العورة خير من التعرى في الطواف وقال زيد بن علي لباس التقوى الآلات التي يتقى بها في الحرب كالدرع والمغفر والساعدين والساقين وقيل لباس التقوى هو الصوف والثياب الخشنة التي يلبسها اهل الورع ذٰلِكَ اي انزال اللباس مِنْ آيَاتِ اللّٰهِ الدالة على فضله ورحمته لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ فيعرفون نعمته او يتعظون فيتورعون عن القبائح قال الكاشف لكل طائفة لباس للعارفين لباس المعرفة وللمحبين لباس المحبة وللمشتاقين لباس الشوق وللموحدين لباس التوحيد وللزاهدين لباس الزهد وللمتقين لباس التقوى وللاولياء لباس الولاية وللانبياء لباس النبوة وللمرسلين لباس الرسالة ولكل واحد منها ظاهر وباطن زينة الباطن لنظر الحق وزينة الظاهر لموقع الشريعة وتلك الزينة ما قال تعالى وريشا وتلك الزينة انوار القرب من خص بها صار بين الخلق مهيبا وقوله تعالى ولباس التقوى ذٰلك خير لان كل لباس فيه حظ العباد وليس في لباس التقوى حظ النفس ثم لما بين عداوة الشيطان مع آدم واولاده حذر اولاده من قبول وسوسته فقال يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ لا يضلنكم الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ كما فتن ابويكم آدم وحواء باخراجهما من الجنة يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا لترى كل واحد سوءة الآخر إِنَّهُ يَرَاكُمْ يعني الشيطان يريكم يا بني آدم هُوَ وَقَبِيلُهُ جنوده قال ابن عباس هو وولده مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ قال مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله قال الكاشف اراد ان الشياطين ينظرون الى العبد من حيث تأتي عليه مقادير المشية بنعت الامتحان فاذا يرون قضاء عليه يسعون بقصد الاغواء والعبد لا يرى ذلك ما دام وراء حجب شهواته ولا يرى الشياطين ما دام في ظلمات طبعه فيتحلل به ما كان من صنيعهم واذا خرج من ظلمة النفس والهوى الى ساحة الحضرة ونظر الى سماء الغيب والاسرار ويلتجي الى قرب مولاه من شر نفسه وشياطينه يصرع الله الشياطين ومكايدهم ويلقي اليهم من قارورة الاستعاذة نيران المحبة فيحرقهم جميعا بتأييد الله قال الله تعالى في ذلك من نيرات كتابه آيتين واضحتين الاولى في وصف رؤيتهم مواقع حيلهم واشكالهم قوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والاخرى قوله تعالى لا يسمعون الى الملأ الاعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب قال ذو النون المصري ان كان هو يراك من حيث لا تراه

فان الله يراه من حيث لا يرى الله فاستعن بالله عليه فان كيد الشيطان كان ضعيفا وبكرمه وفضله صرف الشيطان وجعلهما احباء اعدائه وحث الاولياء بعداوتهم جميعا فقال إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بما اوجدنا بينهم من التناسب وقال الزجاج سلطناهم عليهم يزيدون في غيهم كما قال انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً فعلة متناهية في القبح قال ابن عباس هي طوافهم بالبيت عراة وقال عطاء الشرك قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا قيل فيه اضمار معناه واذا فعلوا فاحشة فنهوا عنها قالوا وجدنا عليها اباءنا فان قيل ومن اين اخذ آباؤكم قالوا وَاللّٰهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللّٰهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ثم لما تبرأ من الامر بالفحشاء بين انه يأمر بالقسط والعدل فقال قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ قال ابن عباس بلا اله الا الله وقال مجاهد والسدي بالعدل وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ قال مجاهد والسدي يعني وجهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصلوة الى الكعبة وقال الضحاك اذا حضرت الصلوة وانتم عند مسجد فصلوا فيه ولا يقولن احدكم اصلي في مسجدي وقيل معناه اجعلوا سجودكم لله خالصا قال الاستاد الاشارة منه على استدامة شهوده في كل حال وان لا ينساه لحظة في كل ما يأتيه ويذره ويقدمه ويؤخره وَادْعُوهُ واعبدوه مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الطاعة والعبادة قال ابو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق لدوام النظر الى الخالق وقال بعضهم الاخلاص دوام المراقبة ونسيان الحظوظ كلها كَمَا بَدَأَكُمْ انشأكم ابتداء تَعُودُونَ باعادته فيجازيكم على اعمالكم وانما شبه الاعادة بالابداء تقريرا لامكانها والقدرة عليها قاله الحسن ومجاهد وقال ابن عباس ان الله تعالى بدأ خلق بني آدم مؤمنا وكافرا كما قال هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن ثم يعيدهم يوم القيامة كما خلقهم مؤمنا وكافرا فَرِيقًا هَدَىٰ هداهم الله وَفَرِيقًا حَقَّ وجب عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ اي بالارادة السابقة إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ فيه دليل على ان الكافر الذي يظن انه في دينه على الحق والجاحد سواء قال القاضي وللفارق ان يحمله على المقصر في النظر ثم لما امر باقامة الصلوة وكان ستر العورة شرطا في صحتها اتبعه بذكره وايضا امر بالقسط وكان من جملته امر اللباس والماكول والمشروب فقال يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ قال اهل التفسير كانوا بنو عامر يطوفون بالبيت عراة فانزل الله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم يعني الثياب قال الكلبي الزينة ما يواري العورة عند كل مسجد لطواف او صلوة وفيه دليل على وجوب ستر العورة في الصلوة قال

قال الحارث المحاسبي الاخلاص الدعاء اخراج الخلق من معاملة الله مع

الكاشف زينة العبد لباس العبودية الذي طرازه التواضع وسداه الاستقامة ولحمته الاخلاص قطع ذيله من الحدثان وفرجه كمه من الاكوان وجيبه خشوع وعطفه خضوع وصاحبه منور بنور المآب مشرف بحسن الثواب وَكُلُوا وَاشْرَبُوا قال الكلبي كانت بنو عامر لا يأكلون في ايام حجهم الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن احق ان نفعل ذلك يا رسول الله فانزل الله تعالى وكلوا يعني اللحم والدسم واشربوا وَلَا تُسْرِفُوا بتحريم الحلال او بالتعدي الى الحرام او بافراط الطعام والشره عليه إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ لا يرتضي فعلهم قال ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطأتك خصلتان سرف ومخيلة وقال علي بن حسين وقد جمع الله الطب كله في نصف آية فقال وكلوا واشربوا ولا تسرفوا قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّٰهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ من الثياب وسائر ما يتجمل به وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ المستلذات من المآكل والمشارب وفيه دليل على ان الاصل في المطاعم والملابس وانواع التجملات الاباحة لان الاستفهام في من للانكار قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بالاصالة والكفرة وان شاركوهم فيها فتبع خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يشاركهم فيها غيرهم كَذٰلِكَ كتفصيلنا هذا الحكم نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ثم لما بين في الآية الاولى ان الذي حرموه ليس بحرام بين في هذه الآية انواع المحرمات فقال قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ ما تزايد قبحه وقيل هي الزنا سرا وعلانية عن عبد الله لا احد من الله فلذلك حرم الفواحش مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ولا احد احب اليه المدح من الله فلذلك مدح نفسه قال الكاشف فحش الظاهر ما يشغل عن العبادة الخالصة وما بطن ما يجري على القلب من الوسواس الذي يكون حجابا بينه وبين مشاهدة الحق وقال الاستاد ما ظهر منها الزلة وما بطن الغفلة ويقال فاحشة الاحباب الصبر عن المحبوب وَالْإِثْمَ وما يوجب الاثم والمعصية تعميم بعد تخصيص وقيل شرب الخمر قال الشاعر شربت الاثم حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول وَالْبَغْيَ الظلم والكبر افرده بالذكر للمبالغة بِغَيْرِ الْحَقِّ مؤكد للبغي معنى وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللّٰهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا حجة وبرهانا تهكم بالمشركين وتنبيه على تحريم اتباع ما لم يدل عليه برهان وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللّٰهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ في تحريم الحرث والانعام في قول مقاتل وقال غيره هو عام في تحريم القول في الدين من غير يقين فان قيل كلمة انما تفيد الحصر فقوله انما حرم ربي كذا وكذا يفيد الحصر والمحرمات غير محصورة في هذه الاشياء قلنا ان حملنا الفاحشة على مطلق الكبائر والاثم على مطلق الذنب دخل كل الذنوب فيها وان حملنا الفاحشة

على الزنا والاثم على الخمر قلنا الجناية قد تكون على الفروج واليها الاشارة بقوله تعالى قل انما حرم ربي الفواحش وقد تكون على العقول واليها الاشارة بقوله والاثم وقد تكون على النفوس والاموال واليها الاشارة بقوله والبغي بغير الحق وقد تكون على الاديان وذلك اما بالطعن في توحيد الله تعالى واليه الاشارة بقوله وان تشركوا بالله واما بالقول في دين الله من غير معرفة والى ذلك الاشارة بقوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون فلما كانت اصول الجنايات هذه الاشياء والبواقي كالتوابع للجرم جعل تعالى ذكرها جاريا مجرى ذكر الكل ثم لما بين الحلال والحرام بين ان لكل واحد اجلا معينا لا يتعين وقته والمقصود التنبيه لتشدد الامر في القيامة فقال وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ قال ابن عباس وعطاء والحسن وقت لنزول العذاب بهم فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ وانقرضت مدتهم لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ اي لا يتأخرون ولا يتقدمون اقصر وقت او لا يطلبون التقدم والتأخر لشدة الهول سألوا العذاب فانزل الله تعالى هذه الآية ثم لما بين احوال التكاليف وان لكل امة اجلا معينا بين حال المطيعين والمتمردين بعد الموت فقال يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي قيل اراد جميع الرسل وقال مقاتل اراد بني آدم مشركي العرب وبالرسل محمدا صلى الله عليه وسلم وحده فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ اي اتقى الشرك واصلح عمله وقيل اخلص ما بينه وبين الله عز وجل فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ اذا خاف الناس واذا حزنوا قال بعضهم من اتقى في ظاهره عن تناول الشبهات واصلح باطنه بدوام مراقبة الله تعالى فلا خوف عليهم في الدنيا ولا حزن عليهم في الآخرة قال الكاشف اي من تقدس عن ما دون الله في رؤية جلال الله وعظمته واصلح ما بينه وبين الله من انفاس يقضيها في غير الشوق الى الله وغير ملاحظة جماله وجلاله لان كل نفس يخرج من العبد بغير هذه الاوصاف فاسد واصلاحه على العبد واجب المراقبة والرعاية والمحافظة عن الخواطر ومن كان بهذه الصفة لم يبق عليه من خيانات النفس شيء فلا خوف عليه من فوت المقامات ولا يحزن من احتجابه عن المشاهدات وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا تكبروا عن الايمان فان كل مكذب وكافر مستكبر قال الله تعالى انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون أُولٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ممن يقول على الله ما لم يقله وكذب ما قاله وهو القرآن أُولٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ مما كتب لهم من الارزاق والآجال وقيل الكتاب اللوح اي ما اثبت لهم فيه حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا

يتوفونهم اى سوفون ازواجهم قالوا اينما كنتم تدعون تعبدون من دون الله
من الالهة قالوا ضلوا عنا بطلوا وذهبوا عنا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين
اعترفوا عند معاينة الموت بانهم كانوا ضالين فيما كانوا عليه قال ادخلوا في امم
يعنى يقول الله لهم يوم القيمة ادخلوا اليوم فى امم اى مع جماعات قد خلت مضت
من قبلكم من الجن والانس يعنى كفار الامم الماضية من النوعين في النار متعلق
بادخلوا كلما دخلت امة اى فى النار لعنت اختها فى الدين لا فى النسب فتلعن اليهود
النصارى والنصارى اليهود ويلعن الاتباع القادة ولم يقل اخاها لانه عنى الامة
والجماعة حتى اذا اداركوا فيها جميعا اى تداركوا وتلاحقوا واجتمعوا فى النار جميعا
قالت اخريهم لاوليهم قال مقاتل يعنى قال آخرهم دخولا النار وهم الاتباع لاولهم
دخولا وهم القادة لان القادة يدخلون النار اولا وقال ابن عباس يعنى آخر كل امة
لاولها وقال السدى آخر الزمان لاولهم الذين شرعوا لهم ذلك الدين ربنا هؤلاء
اضلونا عن الهدى فآتهم عذابا ضعفا من النار مضاعفا لانهم ضلوا واضلوا قال
لكل ضعف من العذاب اما القادة فبكفرهم وتضليلهم واما الاتباع فبكفرهم وتقليدهم
ولكن لا تعلمون ما لكم وقرئ لا يعلمون اى لا يعلم الاتباع ما للقادة ولا القادة ما للاتباع
وقالت اوليهم لاخريهم فما كان لكم علينا من فضل عطفوا كلامهم على جواب الله
لاخريهم ورتبوه عليه اى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وانا واياكم متساوون فى الضلال
واستحقاق العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة او من قول الفريقين
ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها اى عن الايمان بها لا تفتح لهم ابواب السماء
لادعيتهم ولا لاعمالهم وقال ابن عباس لارواحهم لانها خبيثة لا تصعد بها بل تهوى بها
الى سجين انما تفتح ابواب السماء لارواح المومنين ولادعيتهم واعمالهم ولا يدخلون
الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط حتى يدخل البعير فى ثقب الابرة والخياط والمخيط
الابرة والمراد منه انهم لا يدخلون الجنة ابدا لانه تعليق بالمحال كما يقال لا افعل ذلك حتى
يشيب الغراب ويبيض القار يريد لا افعله ابدا وكذلك اى ومثل ذلك الجزاء
الفظيع نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد اى فراش ومن فوقهم غواش
اغطية جمع غاشية يريد احاطة النار بهم من كل جانب كما قال الله تعالى من فوقهم
ظلل من النار ومن تحتهم ظلل وكذلك نجزي الظالمين ثم لما استوى الكلام فى الوعيد
اتبعه بالوعد فقال والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اى

طاقتها

طاقتها ولا نضيق عليه اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا اخرجنا ما في صدورهم
من غل من غش وعداوة كانت بينهم فى الدنيا تجري من تحتهم الانهار روى الحسن عن
على رضى الله عنه قال فينا والله اهل بدر نزلت ونزعنا ما فى صدورهم من غل اخوانا
على سرر متقابلين وقال على ايضا انى لارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة والزبير من الذين
قال الله عز وجل ونزعنا ما فى صدورهم من غل عن ابي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار فيحبسون على قنطرة بين
الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا
اذن لهم فى دخول الجنة فوالذى نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله
كان فى الدنيا وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا قال سفيان الثورى معناه هدانا لعمل
هذا ثوابه وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله قال ابن عطاء للنظر والى هداية الحق ايا هم
نسوا افعالهم وطاعتهم وعرفوا المنة عليهم فقاموا مقام الشكر لقد جاءت رسل ربنا
بالحق يقولون ذلك فرحا حين راوا ما وعدهم الرسل عيانا ونودوا قيل هذا
النداء اذا راوا الجنة من بعيد وقيل هذا النداء يكون فى الجنة ان تلكم الجنة اورثتموها
بما كنتم تعملون اى اعطيتموها بسبب اعمالكم عن ابى سعيد وابى هريرة رضى الله عنهما قالا
ينادى مناد ان لكم ان تحيوا فلا تموتوا ابدا وان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان
لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تنعموا فلا تباسوا ابدا فذلك قوله تعالى ونودوا
ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ثم لما ذكر وعيد الكفار وثواب المومن اتبعه
بذكر المناظرات التى يدور بين الفريقين فقال ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان
قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم من العذاب والبعث والحساب
ونعيم اهل الجنة حقا انما قالوه فرحا باحوالهم وشماتة باصحاب النار وتحسيرا لهم قالوا
نعم فاذن مؤذن بينهم بين الفريقين نادى مناد اسمع الفريقين قيل هو صاحب الصور
ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله طاعة الله ويبغونها
عوجا اعوجاجا ميلا يطلبون سبيل الله جائزين عن القصد قال ابن عباس يصلون
لغير الله ويعظمون ما لم يعظم الله والعوج بكسر العين فى الدين والارض وكل ما لم
يكن قائما وبالفتح فى كل ما كان قائما كالحائط والرمح ونحوهما وهم بالآخرة كافرون
وبينهما حجاب يعنى بين الجنة والنار وقيل بين اهل الجنة واهل النار حجاب وهو
السور الذى ذكر الله تعالى فى قوله تعالى فضرب بينهم بسور له باب وعلى الاعراف

اصحاب م

رجال والاعراف هى ذلك السور الذى بين الجنة والنار هى جمع عرف وهو اسم
للمكان المرتفع ومنه عرف الديك لارتفاعه على ما سواه من جسده وقال السدى
سمى ذلك السور اعرافا لان اصحابه يعرفون الناس واختلفوا فى الرجال الذين
اخبر الله تعالى عنهم انهم على الاعراف فقال حذيفة وابن عباس هم قوم استوت
حسناتهم وسيئاتهم فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار
فوقفوا هناك حتى يقضى الله فيهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة بفضله ورحمته وهم آخر
من يدخل الجنة عن ابن مسعود انه قال يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته
اكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته اكثر من حسناته بواحدة دخل
النار ثم قراء قول الله عز وجل فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه
فاولئك الذين خسروا انفسهم ثم قال ان الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح ومن استوت
حسناته وسيئاته كان من اصحاب الاعراف فوقفوا على الصراط ثم عرفوا اهل الجنة
واهل النار فاذا نظروا الى اهل الجنة نادوا سلام عليكم واذا صرفوا ابصارهم
الى اصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فاما اصحاب الحسنات فانهم
يعطون نورا يمشون به بين ايديهم وبايمانهم ويعطى كل عبد يومئذ نورا فاذا
اتوا على الصراط سلب الله نور كل منافق ومنافقة فلما راى اهل الجنة ما لقي المنافقون
قالوا ربنا اتمم لنا نورنا فاما اصحاب الاعراف فان النور لم ينزع من بين ايديهم ومنعتهم
سيئاتهم ان يمضوا فبقى فى قلوبهم الطمع اذ لم ينزع النور من بين ايديهم فهنالك يقول
الله لم يدخلوها وهم يطمعون وكان الطمع النور الذى بين ايديهم ثم ادخلوا الجنة وكانوا
آخر اهل الجنة دخولا وقال شرحبيل بن سعد اصحاب الاعراف قوم خرجوا فى الغزو
بغير اذن آبائهم وروى مقاتل فى تفسيره مرفوعا رجال غزوا فى سبيل الله عصاة لآبائهم
فقتلوا فاعتقوا من النار لقتلهم فى سبيل الله وحبسوا عن الجنة بمعصية آبائهم
فهم آخر من يدخل الجنة وروى عن مجاهد انهم اقوام رضى عنهم احد الابوين
دون الآخر يحبسون على الاعراف الى ان يقضى الله بين الخلق ثم يدخلهم الجنة
وقال عبد العزيز بن يحيى الكنانى هم الذين ماتوا فى الفترة ولم يبدلوا دينهم وقيل
هم اطفال المشركين وقال الحسن هم اهل الفضل علوا على الاعراف فيطلعون على
اهل الجنة واهل النار جميعا ويطلعون احوال الفريقين كالانبياء والشهداء واخيار
المسلمين وعلمائهم يعرفون كلا من اهل الجنة واهل النار بسيماهم بعلاماتهم التى

اعلمها الله

اعلمها الله بها كبياض الوجه وسواده وانما يعرفون ذلك بالالهام او تعليم الملائكة ونادوا
اصحاب الجنة ان سلام عليكم اى اذا راوا اهل الجنة قالوا السلام عليكم لم يدخلوها وهم
يطمعون حال من الواو اى نادوا حال كونهم لم يدخلوها وهم يطمعون دخولها وعلى الوجه
الاخير وهو قول الحسن حال من اصحاب الجنة واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار
قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين فى النار ونادى اصحاب الاعراف رجالا كانوا عظماء
فى الدنيا من اهل النار يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم فى الدنيا من المال والولد
وما كنتم تستكبرون عن الحق أهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة من تتمة قولهم
للرجال والاشارة الى ضعفاء اهل الجنة الذين كانت الكفرة يحتقرونهم فى الدنيا ويحلفون
ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فقيل لاصحاب الاعراف
ادخلوا الجنة بفضل الله بعد ان حبسوا حتى ابصروا الفريقين وعرفوهم وقالوا ما قالوا
او فالتفتوا الى اصحاب الجنة وقالوا لهم ادخلوا وهذا على الوجه الاخير قال الكاشف
ان لله عبادا فى الدنيا قلوبهم يطير فى الملكوت وارواحهم يطير فى انوار الجبروت وعقولهم
تستشرف على الاسرار واسرارهم تطلع بتجلى الانوار فيرون بنور الله ما بين من العرش
الى الثرى ويعرفون جميع الخلائق بسياب القرب والبعد التى تظهر من وجوههم وهى منقوش
خاتم السعادة والشقاوة الذى لا يراه الا العارف ربانى ولهذا اشار عليه السلام بقوله اتقوا
فراسة المومن فانه ينظر بنور الله وهؤلاء على اشراف ذرى شرفات الحضرة يوم القيمة
مطلعون على احوال العارف ينظر اليهم اهل الجحيم فيحتملون برؤيتهم اثقال العذاب وينظر
اليهما اهل الجنة فيستزيدون من وجوههم سرور العيش وهم يشفعون على كل مقصر و
يعفون على كل متوهم وقوله تعالى لم يدخلوها وهم يطمعون يعنى اهل الاعراف من عظم
شانهم عند الله فى حضرته وقفوا المشاهدة الخلق قال الاستاد هؤلاء اصحاب الاشراف خصوا
بانوار البصائر اليوم واشرفوا على مقادير الخلق باسرارهم واشرفوا غدا على مقامات الكل
وطبقات الجمع بابصارهم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا صبوا علينا من
الماء او مما رزقكم الله عن ابن عباس رضى الله عنهما لما صار اصحاب الاعراف الى الجنة طمع
اهل النار فى الفرج وقالوا يا رب ان لنا قرابات من اهل الجنة فاذن لنا حتى نراهم ونكلمهم
فنظروا الى قراباتهم فى الجنة وما هم فيه من النعيم فعرفوهم ولم يعرفهم اهل الجنة بسواد
وجوههم ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة باسمائهم واخبروهم بقرابتهم ان افيضوا علينا
من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما يعنى منع الماء والطعام وجعلهما كالمحرم

على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا كتحريم البحيرة والتصدية حول البيت و
اللهو صرف الهم بما لا يحسن ان يصرف به واللعب طلب الفرح بما لا يحسن ان يطلب وغرتهم
الحياة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين فنتركهم في النار كما نسوا لقاء يومهم
تركوا العمل للقاء يومهم هذا ولم يستعدوا له تركا مثل ترك الناسي وما كانوا بآياتنا
يجحدون وكما كانوا ينكرون انها من عند الله ثم لما شرح احوال اهل الجنة والنار والاعراف ينكرون م
بين من شرف هذا الكتاب الكريم ونهاية منفعته فقال ولقد جئناهم بكتاب فصلناه بيّنا معانيه
من العقائد والمعارف والاحكام والمواعظ مفصلة على علم عالمين بوجه تفصيله هدى
ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون هل ينتظرون الا تأويله الا ما يؤول اليه امره من
تبين صدقه بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل يوم يأتي تأويله م
تركوه ترك الناسي قد جاءت رسل ربنا بالحق اي قد تبين انهم جاؤا بالحق فهل لنا
اليوم من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد او هل نرد الى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل
قد خسروا انفسهم بصرف اعمارهم في الكفر وضل عنهم ما كانوا يفترون بطل عنهم فلم ينفعهم
ثم لا يخفى ان مدار اثبات المعاد على اثبات القدرة والعلم فلما بالغ في تقرير امر المعاد عاد
الى ذكر دلائل القدرة والعلم فقال ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام في مقدار ستة ايام لان اليوم من طلوع الشمس الى غروبها ولم يكن يومئذ يوم
ولا شمس ولا سماء وهي كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اي على مقدار البكرة والعشي
اذ لا ليل ولا نهار وقيل ستة ايام كايام الآخرة كل يوم كالف سنة قال سعيد بن جبير كان
الله عز وجل قادرا على خلق السموات والارض في لمحة ولحظة فخلقهن في ستة ايام تعليما
لخلقه التثبت والتأني في الامور وقد جاء في الحديث التأني من الرحمن والعجلة من الشيطان
وايضا ان الشيء اذا احدث دفعة فلعله خطر ببال بعضهم ان ذلك انما وقع على سبيل الاتفاق
اما اذا احدثت الاشياء على التدريج مع كونها مطابقة للمصلحة والحكمة كان ذلك اقوى في الدلالة
على ان وقوعها باحداث صانع حكيم قادر مختار ثم استوى على العرش استوى امره قال
الامام اخبر انه تعالى خلق السموات والارض كما شاء من غير منازع ثم اخبر انه استوى
على العرش اي جعل تدبير المخلوقات على ما شاء ثم استوى على عرش الملك والجلال ويدل
على ان المراد ما ذكرنا قوله عقيب ذلك يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا الى قوله الا له الخلق
والامر فان قيل فعلى هذا التفسير يلزم ان لا يكون الله مستويا قبل خلق العالم قلنا انه قبل
خلق العالم كان قادرا على ايجاد الممكنات ثم بعد الايجاد صار مستويا في ملكه بمعنى انه ظهر تصرفه في احياء زيد

واماتة عمرو

واماتة عمرو والطعام بكر قال بعضهم استولى وسيجيء شرحه في سورة طه ان شاء الله تعالى
واهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف يجب على الرجل الايمان
به ويكل العلم فيه الى الله عز وجل وسأل رجل مالك بن انس عن قوله الرحمن على العرش
استوى كيف استوى فاطرق مليا وعلاه الرحضاء ثم قال الاستواء معلوم والكيف مجهول
والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة والمعنى ان له تعالى استواء على العرش على الوجه
عناه م الذي منزها عن الاستقرار والتمكن عن سفيان الثوري والاوزاعي والليث بن سعد و
سفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك وغيرهم في هذه الآيات التي جاءت في الصفات
المتشابهة امروها كما جاءت بلا كيف والعرش في اللغة هو السرير وقيل هو ما علا فاظلك
ومنه عرش الكروم وقيل العرش الملك وفي العرف العرش الجسم المحيط بسائر الاجسام
سمي به لارتفاعه او للتشبيه بسرير الملك فان الامور والتدابير ينزل منه يغشي
الليل النهار يغطيه به ولم يذكر عكسه للعلم به او لان اللفظ يحتملهما وقرئ يغشي الليل النهار
بنصب الليل ورفع النهار يطلبه حثيثا يعقبه سريعا كالطالب له وهو صفة مصدر محذوف
اي طلبا حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بقضائه وتصريفه نصبها بالعطف
على السموات ونصب مسخرات على الحال وقرئ كلها بالرفع على الابتداء والخبر قال الامام
الشمس والقمر من النجوم ايضا وانما افردهما بالذكر لانه جعلهما سببا لعمارة هذا العالم فالشمس
الترطيب م سلطان النهار والقمر سلطان الليل وتاثير الشمس في التسخين وتاثير القمر في الترطيب وتولد المواليد
الثلثة اعني المعادن والنبات والحيوان لا يكمل الا بتاثير الحرارة في الرطوبة ثم انه تعالى خص
كل واحد من الكواكب بتاثير عجيب لا يعرفه غير الله فالشمس كالسلطان والقمر كالنائب له و
سائر الكواكب كالخدم فلهذا بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر الشمس وثنى بالقمر ثم اتبعه بذكر
سائر النجوم الا له الخلق والامر له الخلق لانه خلقهم وله الامر يأمر في خلقه بما شاء تبارك
الله رب العالمين تعالى الله بالوحدانية في الالوهية وتعظم بالتفرد في الربوبية ثم لما
ذكر دلائل كمال القدرة والحكمة وعند هذا تم التكليف المتوجه الى تحصيل المعارف النفسانية
اتبعه بذكر الاعمال اللائقة بتلك المعارف وهو الاشتغال بالدعاء والتضرع ادعوا ربكم
تضرعا ذوي تضرع وتذلل واستكانة وخفية اي سرا فان الاخفاء دليل الاخلاص قال
الحسن بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفا ولقد كان المسلمون يجتهدون
في الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله سبحانه وتعالى
يقول ادعوا ربكم تضرعا وخفية وان الله ذكر عبدا صالحا ورضي فعله فقال اذ نادى

ربه نداء خفيا انه لا يحب المعتدين في الدعاء قال ابو مجلز هم الذين يسألون
منازل الانبياء وقال عطية هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لا يحل فيقولون اللهم اخزهم
اللهم العنهم روي ان عبد الله بن مغفل سمع ابنه يقول اللهم اني اسألك القصر الابيض
عن يمين الجنة اذا دخلتها فقال يا بني سل الله الجنة وتعوذ به من النار فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انه سيكون في هذه الامة قوم يعتدون في الطهور
والدعاء وقيل اراد به الاعتداء في الجهر قال ابن جريج من الاعتداء رفع الصوت والنداء
بالدعاء والصياح عن ابي موسى قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر اشرف
الناس على واد فرفعوا اصواتهم بالتكبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعوا
على انفسكم انكم لا تدعون اصم ولا غائبا انكم تدعون سميعا قريبا ولا تفسدوا في الارض
بعد اصلاحها اي لا تفسدوا فيها بالكفر والمعاصي والدعاء الى غير طاعة الله بعد اصلاح
الله اياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء الى طاعة الله هذا قول الحسن والسدي
والضحاك والكلبي وقال عطية لا تعصوا في الارض فيمسك الله المطر ويهلك الحرث
بمعاصيكم فعلى هذا معنى قوله تعالى بعد اصلاحها اي بعد اصلاح الله اياها بالمطر والخصب
وادعوه خوفا ذوي خوف من الرد لقصور اعمالكم وعدم استحقاقكم وطمعا في اجابته
تفضلا واحسانا لفرط رحمته ان رحمة الله قريب من المحسنين ثم انه تعالى لما اقام
الدليل في الآية الاولى على اثبات الصانع اقام الدلالة على البعث ليحصل بالآيتين معرفة
المبدأ والمعاد فقال وهو الذي يرسل الرياح بشرا قرئ بشرا بضم الباء وسكون
الشين وهو مخفف بشر جمع بشير وقد قرئ به فان الرياح تبشر بالمطر وقرئ نشرا
بضم النون وسكون الشين مخفف نشر بضم الشين ايضا وهو جمع نشور مثل صبور
وصبر ورسول ورسل بين يدي رحمته قدام رحمته يعني المطر فان الصبا تثيره والشمال
تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه حتى اذا اقلت اي حملت من القلة فان الذي يرفع
الشيء يستقله سحابا ثقالا بالماء جمعه لان السحاب بمعنى السحائب سقناه اي السحاب
لبلد ميت لاجل بلد ميت يحتاج الى الماء او لاحياء بلد ميت لا نبات فيه فانزلنا به
اي بالسحاب وقيل بذلك البلد الماء يعني المطر فاخرجنا به بالماء من كل الثمرات
من كل انواعها كذلك نخرج الموتى الاشارة فيه الى اخراج الثمرات او الى احياء البلد
الميت اي كما نحييه باحداث القوة النامية فيه وتطريتها بانواع النباتات والثمرات
نخرج الموتى من القبور ونحييها برد النفوس الى مواد ابدانها بعد جمعها وتطريتها

ترحما للطمع وتنبيها على ما يتوسل به الى الاجابة م

الصبا ريح ومهبها المستوي ان تهب من موضع مطلع الشمس اذا استوى الليل والنهار ونحوها الدبور وتزعم العرب ان الدبور تزعج السحاب وتشخصه في الهواء ثم تسوقه فاذا علا كشفت عنه واستقبلته الصبا فوزعت بعضه على بعض حتى يصير كسفا واحدا والجنوب تلحق روادفه به وتمده من المدد والشمال تمزق السحاب كذا في الصحاح ٢

قال ابو هريرة

قال ابو هريرة وابن عباس اذا مات الناس كلهم في النفخة الاولى ارسل الله تعالى عليهم
مطرا كمني الرجال من ماء تحت العرش يدعى ماء الحيوان فينبتون في قبورهم نبات الزرع
حتى اذا استكملت اجسادهم نفخ فيهم الروح ثم يلقي عليهم نومة فينامون في قبورهم ثم يحشرون
بالنفخة الثانية وهم يجدون طعم النوم في رؤسهم واعينهم فعند ذلك يقولون يا ويلنا من بعثنا
من مرقدنا لعلكم تذكرون فتعلمون ان من قدر على ذلك قدر على هذا قال المتكلمون
الثمار غير متولدة من الماء بل الله اجرى عادته بخلق الثمار عقيب اختلاط الماء بالتراب
لانا نرى انه يتولد في النبات الواحد احوال مختلفة مثل العنب فان قشره بارد يابس ولحمه
وماؤه حار رطب وعجمه بارد يابس فتولد الاجسام المختلفة الصفات من الماء والتراب
يدل على انها حدثت باحداث الفاعل المختار لا بالطبع والخاصية والبلد الطيب يخرج
نباته باذن ربه هذا مثل ضربه الله تعالى للمؤمن والكافر فمثل المؤمن مثل البلد الطيب
يصيبه المطر فيخرج نباته باذن ربه والذي خبث كالحرة والسبخة لا يخرج نباته الا نكدا
قليلا عديم النفع فالمؤمن اذا سمع القرآن وعاه وعقله وانتفع به والكافر يسمع القرآن ولا يؤثر
فيه كالبلد الخبيث الذي لا يتبين اثر المطر فيه قال الكاشف ارض القلوب ينبت ازهار
المواجيد ورياحين الموارد بقدر كشوف انوار الصفات والذات فكل قلب بذره المحبة
فنباته كشوف الجلال والجمال وكل قلب بذره الهوى فنباته الشهوات فالقلب المنور يظهر
على الجوارح آثار المحبة وهي الموافقة وكل قلب مظلم يظهر في الظاهر آثاره وهي المخالفة
كذلك نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله فيتفكرون فيها و
يعتبرون عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني الله به من الهدى
والعلم كمثل الغيث الكثير اصاب ارضا وكان منها طائفة طيبة فقبلت الماء فانبتت الكلاء
والعشب الكثير وكانت منها اجادب امسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا
وزرعوا واصاب منها طائفة اخرى انما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاء فذلك مثل
من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم
يقبل هدى الله الذي ارسلت به ثم لما ذكر المبدأ والمعاد اتبعه بذكر القصص تنبيها على ان
انكار الدلائل غير مختص بمحمد صلى الله عليه وسلم وعلى ان عاقبة المنكرين اللعن في الدنيا
والعذاب في الآخرة وتنبيها على انه تعالى وان كان يمهل لكنه لا يهمل فقال لقد ارسلنا
نوحا الى قومه وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ وهو ادريس وهو اول نبي
بعث بعد ادريس وكان نجارا بعثه الله الى قومه وهو ابن خمسين سنة وقال ابن عباس

اربعين سنه وقيل بعث وهو ابن مايتين وخمسين سنه وقال مقاتل ابن مائة سنة
قال ابن عباس سمي نوحا لكثرة ما ناح على نفسه واختلفوا في سبب نوحه فقال بعضهم
لدعوته على قومه بالهلاك وقيل لمراجعته ربه في شان ابنه كنعان وقيل لانه مر بكلب
مجذوم فقال اخسأ يا قبيح فاوحى الله تعالى اعبتني ام عبت الكلب فقال لقومه
يا قوم اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره اني اخاف عليكم ان لم تؤمنوا عذاب
يوم عظيم وعيد وبيان للداعي الى عبادته واليوم يوم القيمة او يوم نزول الطوفان
قال الملأ من قومه اى الاشراف فانهم يملؤن العيون رواء انا لنراك في ضلال زوال
عن الحق مبين بين قال يا قوم ليس بي ضلالة اى شيء من الضلال بالغ في النفي كما بالغوا
في الاثبات وعرض لهم به ولكني رسول من رب العالمين استدراك باعتبار ما يلزمه وهو كونه
على هدى كانه قال ولكني على هدى في الغاية لاني رسول من الله ابلغكم رسالات ربي و
انصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون صفات لرسول وجمع الرسالات لاختلاف اوقاتها
او لتنوع معانيها كالعقايد والمواعظ والاحكام والنصح ان يريد لغيره من الخير ما يريد
لنفسه وفي اعلم من الله تقرير للوعيد فان معناه اعلم من قدرته وشدة بطشه او من جهته
بالوحي اشياء لا علم لكم بها مثل ان عقابه لا يرد عن القوم المجرمين اوعجبتم انكار
ان جاءكم من ان جاءكم ذكر من ربكم قال ابن عباس موعظة وقيل بيان وقيل
رسالة على رجل على لسان رجل منكم من جملتكم فانهم كانوا يتعجبون من ارسال البشر
ويقولون لو شاء الله لارسل ملايكة ما سمعنا بهذا في اباينا الاولين لينذركم عاقبة الكفر
والمعاصي ولتتقوا منهما بسبب الانذار ولعلكم ترحمون بالتقوى وفايدة حرف الترجي
التنبيه على ان التقوى غير موجب والرحمة من الله تفضل وان المتقي ينبغي ان لا يعتمد
على تقواه ولا يامن عذاب الله فكذبوه اى نوحا فانجيناه والذين معه في الفلك وهم
من آمن به وكانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل عشرة بنوه سام وحام ويافث
وسبعة ممن آمن به واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان انهم كانوا قوما عمين
قال ابن عباس عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالى يقال رجل عم عن الحق واعمى في البصر
وقيل العمي والاعمى كالخضر والاخضر قال مقاتل عموا عن نزول العذاب بهم وهو العرف
والى عاد اخاهم هودا اى وارسلنا الى عاد وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن
نوح وهي عاد الاولى اخاهم في النسب لا في الدين وهو هود بن عبد الله بن رباح بن
الخلود بن عاد بن عوص وقال ابن اسحق هود بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح

قال يا قوم

قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون عذاب الله قال الملأ الذين كفروا
من قومه وتقييد الملأ هنا بالذين كفروا لانه كان من اشراف قومه من آمن كمرثد بن
سعد انا لنراك في سفاهة متمكنا في خفة عقل راسخا فيها قال ابن عباس تدعونا الى دين
لا نعرفه وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب
العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين فيه تنبيه على انهم عرفوه بالامرين
جميعا اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم وفي اجابة الانبياء الكفرة
عن كلماتهم الحمقى بما اجابوا والاعراض عن مقابلتهم كمال النصح والشفقة وهضم النفس
وحسن المجادلة وهكذا ينبغي لكل ناصح واذكروا اذ جعلكم خلفاء في الارض اي جعلكم
ملوكا فان شداد بن عاد ممن ملك معمورة الارض من رمل عالج الى بحر عمان من بعد
قوم نوح خوفهم من عقاب الله ثم ذكرهم بانعامه وزادكم في الخلق بسطة طولا
وقوة قال مقاتل كان طول كل رجل اثني عشر ذراعا وقال الكلبي والسدي كانت قامة الطويل
منهم مائة ذراع وقامة القصير ستون ذراعا وقال ابو حمزة الثمالي سبعون ذراعا وعن
ابن عباس ثمانون فاذكروا آلاء الله نعم الله واحدها الي وألي مثل معا وامعاء
وقفا واقفاء لعلكم تفلحون يفضي بكم ذكر النعم الى شكرها المودي الى الفلاح قال ابن عطاء
اذا ذكرت آلاءه ونعماءه احببته واذا احببته قصدته واذا قصدته وجدته واذا
وجدته انقطعت اليه قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا من
الاصنام استبعدوا اختصاص الله بالعبادة والاعراض عما اشرك به اباؤهم انهماكا في
التقليد وحبا لما الفوه ومعنى المجيء اما المجيء من مكان اعتزل به عن قومه او من السماء
على التهكم او القصد على المجاز كقولهم ذهب يسبني فاتنا بما تعدنا من العذاب ان
كنت من الصادقين قال هود قد وقع عليكم وجب ونزل عليكم من ربكم رجس
عذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وغضب ارادة انتقام اتجادلونني في اسماء
سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان اى في اشياء سميتموها آلهة وليس
فيها معنى الالهية لان المستحق للعبادة هو الموجد للكل وانها لو استحقت كان استحقاقها فيما
بجعله تعالى اما بانزال آية او نصب حجة بين ان منتهى حجتهم وسندهم ان الاصنام
تسمى آلهة من غير دليل يدل على تحقق المسمى واسناد الاطلاق الى من لا يؤبه لقوله
اظهارا لغاية جهالتهم وفرط غباوتهم فانتظروا لما وضح الحق وانتم مصرون على
العناد فانتظروا نزول العذاب اني معكم من المنتظرين فانجيناه والذين

معه في الدين برحمة منا عليهم وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا استاصلناهم
واهلكناهم عن آخرهم وما كانوا مؤمنين تعريض بمن آمن منهم وتنبيه على ان
الفارق بين من نجا ومن هلك هو الايمان قصة عاد على ما ذكره محمد بن اسحق
وغيره انهم كانوا ينزلون اليمن وكانت مساكنهم بالاحقاف وهي رمال بين عمان و
حضرموت وكانوا قد فشوا في الارض كلها وقهروا اهلها بفضل قوتهم التي آتاهم
الله عز وجل وكانوا اصحاب اوثان يعبدونها فبعث الله اليهم هودا نبيا وهو من
اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا فامرهم ان يوحدوا الله ويكفوا عن ظلم الناس
لم يامرهم بغير ذلك فكذبوه وقالوا من اشد منا قوة وبنوا المصانع وبطشوا بطشة
الجبارين فلما فعلوا ذلك امسك الله عنهم المطر ثلث سنين حتى جهدهم ذلك وكان
الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء فطلبوا الفرج كانت طلبتهم الى الله عند بيته
الحرام بمكة مسلمهم ومشركهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة اديانهم وكلهم معظم لمكة
واهل مكة يومئذ العماليق لان اباءهم عمليق بن لاود بن سام بن نوح وكان سيد
العماليق اذ ذاك بمكة رجل يقال له معاوية بن بكر وكانت ام معاوية كلهدة بنت الخيبري
رجل من عاد فلما قحط المطر عن عاد وجهدوا قالوا جهزوا وفدا منكم الى مكة فليستسقوا
لكم فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزال بن هزيل وعقيل بن ضميد بن عاد الاكبر و
مرثد بن سعد بن عفير وكان مسلما يكتم ايمانه وجلهمة ابن الخيبري خال معاوية بن
بكر ثم بعثوا لقمان بن عاد الاصغر بن ضميد بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء
ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدة وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على
معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره
فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم
شهرا ومقامهم شهرا فلما راى معاوية بن بكر طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم
من البلاء الذي اصابهم شق ذلك عليه وقال هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء مقيمون
عندي وهم ضيفي والله ما ادري كيف اصنع بهم استحيي ان آمرهم بالخروج الى ما
بعثوا له فيظنون انه ضيق مني بمقامهم عندي وقد هلك من وراءهم من قومهم
جهدا وعطشا فشكا ذلك من امرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا قل شعرا نغنيهم
لا يدرون من قاله لعل ذلك ان يحركهم فقال معاوية بن بكر، الا يا قيل ويحك قم فهينم،
لعل الله يصبحنا غماما، فيسقي ارض عاد ان عادا، قد امسوا ما يبينون الكلاما،

من

من العطش الشديد فليس نرجو، به الشيخ الكبير ولا الغلاما، وقد كانت نساؤهم بخير،
فقد امست نساؤهم عيامى، وان الوحش تاتيهم جهارا، ولا تخشى لعادي سهاما،
وانتم ههنا فيما اشتهيتم، نهاركم وليلكم التماما، فقبح وفدكم من وفد قوم، ولا لقوا التحية والسلاما،
فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض يا قوم انما بعثكم قومكم يتغوثون بكم البلاء الذي
نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد بن
عفير وكان قد آمن بهود سرا انكم والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وانبتم الى
ربكم سقيتم فاظهر اسلامه عند ذلك فقالوا لمعاوية بن بكر احبس عنا مرثد بن سعد فلا
يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم خرجوا الى مكة يستسقون لعاد
فلما ولوا الى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى ادركهم قبل ان يدعوا الله
بشيء مما خرجوا له فلما انتهى اليهم قام يدعو الله وبها وفد عاد يدعون فقال اللهم
اعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد عاد وكان قيل بن عنز
راس وفد عاد فقال وفد عاد اللهم اعط قيلا ما سالك واجعل سؤلنا مع سؤاله وقد كان
تخلف عن وفد عاد حين دعوا لقمن بن عاد وكان سيد عاد حتى اذا فرغوا من دعوتهم
قام فقال اللهم اني جئتك وحدي في حاجتي فاعطني سؤلي وسال طول العمر فعمر عمر سبعة
انسر وقال قيل بن عنز حين دعا يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فانشا الله
سحائب ثلثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم نادى مناد من السحاب يا قيل اختر لنفسك و
قومك من هذه السحائب فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها اكثر السحاب ماء فناداه
مناد اخترت رمادا رمددا لا تبقي من آل عاد احدا وساق الله السحابة السوداء التي اختارها
قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما راوه استبشروا
وقالوا هذا عارض ممطرنا يقول الله عز وجل بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم
تدمر كل شيء بامر ربها اى كل شيء مرت به وكان اول من ابصر ما فيها وعرف انها ريح
مهلكة امراة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت ما فيها صاحت ثم صعقت فلما افاقت قالوا
لها ماذا رايت قالت ريحا فيها كشهب النار امامها رجال يقودونها فسخرها الله عليهم
سبع ليال وثمانية ايام حسوما فلم تدع من عاد احدا الا اهلكت واعتزل هود ومن معه
من المؤمنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه الريح الا ما تلين عليه الجلود وتلتذ الانفس
وذكروا ان مرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قيل لهم
قد اعطيتم مناكم فاختاروا لانفسكم الا انه لا سبيل الى الخلود ولا بد من الموت فقال مرثد

اللهم اعطني صدقا وبرا فاعطي ذلك وقال لقمن اعطني يارب عمرا فقيل له اختر فاختار سبعة انسر وكان ياخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فياخذ الذكر منها لقوته حتى اذا مات اخذ غيره فلم يزل يفعل ذلك حتى اتى على السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة وكان آخرها لبد فلما مات لبد مات لقمن معه واما قيل فانه قال اختار ان يصيبني ما اصاب قومي فقيل له انه الهلاك فقال لا ابالي لا حاجة لي في البقاء بعدهم فاصابه الذي اصاب عادا من البلاء والعذاب فهلك قال عبد الرحمن سابط بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وشعيب وصالح واسمعيل عليهم السلام في تلك البقعة ويروى ان نبيا من الانبيا اذا اهلك قومه جاء هو والصالحون معه الى مكة يعبدون الله فيها حتى يموتوا وروى عن علي ان قبر هود بحضرموت في كثيب احمر وَإِلَى ثَمُودَ قبيلة اخرى سموا باسم ابيهم وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح قال ابو عمرو بن العلاء سميت ثمود لقلة مائها والثمد الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى أَخَاهُمْ صَالِحًا اي ارسلنا الى ثمود اخاهم في النسب لا في الدين وهو صالح بن عبيد بن اسف بن ماسح بن عبيد بن حادر بن ثمود قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ معجزة ظاهرة الدلالة على صحة نبوتي وصدقي مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ اضافها الى الله لتعظيمها ولانها جاءت من عنده بلا وسايط واسباب معهودة ولذلك كانت آية لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ العشب فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ نهى عن المس الذي هو مقدمة الاصابة بالسوء الجامع لانواع الاذى مبالغة في الامر وازاحة للعذر فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ اسكنكم وانزلكم فِي الْأَرْضِ ارض الحجر تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا كانوا ينقبون في الجبال البيوت ففي الصيف يسكنون بيوت الطين وفي الشتاء بيوت الجبل وقيل كانوا ينحتون البيوت في الجبل لان بيوت الطين ما كانت تبقى مدة اعمارهم لطول اعمارهم فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ والعيث اشد الفساد قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ يعني الاشراف والقادة الذين تعظموا عن الايمان بصالح لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا يعني الاتباع لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ يعني قال الكفار للمؤمنين من المستضعفين أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قالوه على سبيل الاستهزاء قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ عدلوا عن الجواب الظاهر الذي هو نعم تنبيها على ان ارساله اظهر من ان يشك فيه عاقل ويخفى على ذي عقل ورأي وانما الكلام في من آمن به

ومن كفر

ومن كفر قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردا لما جعلوه معلوما مسلما فَعَقَرُوا النَّاقَةَ قال الازهري العقر هو قطع عرقوب البعير ثم جعل النحر عقرا لان ناحر البعير يعقره ثم ينحره واسند النحر الى جميعهم لانه كان برضاهم وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ واستكبروا عن امتثاله وهو ما بلغهم صالح بقوله فذروها وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا من العذاب إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ وهي زلزلة الارض وحركتها واهلكوا بالصيحة والرجفة فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ في ارضهم وبلدتهم جَاثِمِينَ خامدين ميتين قيل سقطوا على آخرهم على وجوههم موتى فَتَوَلَّى اعرض صالح عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ فان قيل كيف خاطبهم بعد ما اهلكوا بالرجفة قيل خاطبهم ليكون عبرة لمن خلفهم وقيل كما خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من قتلى بدر حين القاهم في القليب جعل يناديهم باسمائهم واسماء آبائهم ايسركم انكم اطعتم الله ورسوله فانا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قال عمر يا رسول الله ما تكلم من اجساد لا ارواح لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكن لا يقدرون على الجواب قصة ثمود على ما ذكر محمد بن اسحق ووهب وغيرهما ان عادا لما هلكت وتقضى امرها عمرت ثمود بعدها واستخلفوا في الارض فربوا فيها وكثروا وعمروا حتى جعل احدهم يبني المسكن من المدر فينهدم والرجل منهم حي فلما راوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا وكانوا في سعة من معاشهم فعتوا وافسدوا في الارض وعبدوا غير الله فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وكان صالح من اوسطهم نسبا وافضلهم حسبا وموضعا فبعثه الله تعالى اليهم غلاما شابا فدعاهم الى الله عز وجل حتى شمط وكبر لا يتبعه منهم الا قليل مستضعفون فلما الح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ واكثر لهم التحذير والتخويف سالوه ان يريهم آية يكون مصدقا لما يقول فقال لهم اي آية تريدون قالوا تخرج معنا غدا الى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون فيه باصنامهم في يوم معلوم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك فقال لهم صالح نعم فخرجوا باوثانهم الى عيدهم وخرج صالح معهم فدعوا اوثانهم وسالوها ان لا يستجاب لصالح في شيء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن جواس وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح اخرج لنا من هذه الصخرة لصخرة منفردة في ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ما شاكل البخت من الابل فان فعلت صدقناك وآمنا بك فاخذ عليهم صالح مواثيقهم لئن فعلت

لتصدقني ولتؤمنن بي قالوا نعم فصلى ركعتين ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها في العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه واراد اشراف ثمود ان يؤمنوا به ويصدقوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحب اوثانهم ورباب بن صمعر وكان كاهنهم وكانوا من اشراف ثمود فلما خرجت الناقة قال لهم صالح هذه ناقة الله لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكث الناقة ومعها سقبها في ارض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد الماء غبا فاذا كان يومها وضعت راسها في بئر في الحجر يقال لها بئر الناقة فلا ترفع راسها حتى تشرب كل ماء فيها فلا تدع قطرة ثم ترفع راسها فتفحج حتى تفحج لهم فيحلبون ما شاءوا من لبن فيشربون ويدخرون حتى يملاوا اوانيهم كلها ثم تصدر من غير الفج الذي منه وردت لا تقدر ان تصدر من حيث ترد لضيق عنها حتى اذا كان الغد كان يومهم فيشربون ما شاؤا من الماء ويدخرون ما شاؤا ليوم الناقة فهم من ذلك في سعة ودعة وكانت الناقة تصيف اذا كان الحر بظهر الوادي فتهرب منها المواشي واغنامهم وبقرهم وابلهم فتهبط الى بطن الوادي في حره وجدبه وذلك المواشي تنفر منها اذا راتها وتشتو ببطن الوادي اذا كان الشتاء فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادي في البرد والجدب فاضر ذلك بمواشيهم للبلاء والاختبار فكبر ذلك عليهم فعتوا عن امر ربهم وحملهم ذلك على عقر الناقة فاجمعوا على عقرها وكانت امراتان من ثمود احديهما يقال لها عنيزة بنت غنم بن مجلز تكنى بام غنم وكانت امراة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة وكانت ذات بنات حسان وذات مال من ابل وبقر وغنم وامراة اخرى يقال لها صدوف بنت المحيا وكانت جميلة غنية ذات مواشي كثيرة وكانتا من اشد الناس عداوة لصالح وكانتا تحبان عقر الناقة لما اضرت بها من مواشيها فتحيلتا في عقر الناقة فدعت صدوف رجلا من ثمود يقال له الحباب لعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل فابى عليها فدعت ابن عم لها يقال له مصدع بن مهرج بن المحيا وجعلت له نفسها على ان يعقر الناقة وكانت من احسن الناس واكثرهم مالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة بنت غنم قدار بن سالف وكان رجلا احمر ازرق قصيرا يزعمون انه كان لزنية وانه لم يكن لسالف لكنه ولد على فراش سالف فقالت اعطيك اي بناتي شئت على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا منيعا في قومه فانطلق قدار بن سالف ومصدع بن مهرج فاستغويا غواة ثمود فاتبعهم سبعة نفر و

كانوا

كانوا تسعة رهط فانطلق قدار ومصدع واصحابهما فرصدوا الناقة حين صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار في اصل صخرة على طريقها وكمن لها مصدع في طريق آخر فمرت على مصدع فرمى بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت ام غنم عنيزة وامرت ابنتها وكانت من احسن الناس فاسفرت لقدار ثم ذمرته فشد على الناقة بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحذر سقبها ثم طعن في لبتها فنحرها وخرج اهل البلد واقتسموا لحمها وطبخوه فلما راى سقبها ذلك انطلق حتى اتى جبلا منيعا يقال له صنو وقيل اسمه قارة فاتى صالح وقيل له ادرك الناقة فقد عقرت فاقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون اليه يا نبي الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان ادركتموه فعسى ان يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما راوه على الجبل ذهبوا لياخذوه فاوحى الله تعالى الى الجبل فتطاول في السماء حتى ما يناله الطير وجاء صالح فلما راه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغى ثلثا وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح لكل رغوة اجل يوم تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب قال ابن اسحق اتبع السقب اربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع بن مهرج واخوه ذاب بن مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فانزله فالقوا لحمه مع لحم امه فقال لهم صالح انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله ونقمته قالوا وهم يهزؤن به ومتى ذلك يا صالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيها الاحد الاول والاثنين اهون والثلثا دبار والاربعاء جبار والخميس مونس والجمعة العروبة والسبت شيار وكانوا عقروا الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح حين قالوا ذلك تصبحون غداة يوم مونس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم اول فلما قال لهم صالح ذلك قال التسعة الذين عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وان كان كاذبا قد كنا الحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه في اهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة فلما ابطؤا على اصحابهم اتوا منزل صالح فوجدوهم قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح انت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه ابدا فقد وعدكم ان العذاب نازل بكم بعد ثلث فان كان صادقا لا تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم فاصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كانما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وانثاهم فايقنوا

بالعذاب وعرفوا ان صالحا قد صدقهم فطلبوا ليقتلوه وخرج صالح هاربا حتى لجأ الى
بطن من ثمود يقال له بنو غنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل ويكنى بابي هدب
وهو مشرك فغيبه ولم يقدروا عليه فغدوا على اصحاب صالح يعذبونهم ليدلوهم فقال رجل
من اصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يا نبي الله ليعذبوننا لندلهم عليك افندلهم قال نعم
فدلهم عليه فاتوا ابا هدب فكلموه في ذلك فقال نعم عندي صالح وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا
عنه وتركوه وشغلهم عنه ما انزل الله بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون
في وجوههم فلما امسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يوم من الاجل فلما اصبحوا اليوم الثاني
اذا وجوههم محمرة كانما خضبت بالدماء فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا انه العذاب فلما
امسوا صاحوا باجمعهم الا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما اصبحوا اليوم الثالث
اذا وجوههم مسودة كانما طليت بالقار فصاحوا جميعا الا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد
خرج صالح من بين اظهرهم ومن اسلم معه الى الشام فنزل رملة فلسطين فلما اصبح القوم
تكفنوا وتحنطوا والقوا انفسهم بالارض يقلبون ابصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة
لا يدرون من اين ياتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد اتتهم صيحة من السماء فيها
صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الارض فتقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق
منهم صغير ولا كبير الا هلك كما قال تعالى فاصبحوا في ديارهم جاثمين الا جارية مقعدة يقال لها
ذريعة بنت سلف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فاطلق الله تعالى رجليها بعد ما
عاينت العذاب فخرجت كاسرع ما يرى شيء قط حتى اتت قرح وهو وادي القرى فاخبرتهم
بما عاينته من العذاب وما اصاب ثمود ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحجر في غزوة تبوك امرهم ان لا يشربوا
من بئرها ولا يستقوا منها فقالوا قد عجنا منها واستقينا فامرهم ان يطرحوا ذلك العجين
ويهريقوا ذلك الماء وعن نافع عن ابن عمر فامرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يهريقوا ما استقوا من بئرها وان يعلفوا الابل العجين وامرهم ان يستقوا من البئر
التي كانت تردها الناقة وروى ابو الزبير عن جابر قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر
في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم هذه القرية ولا تشربوا من مائهم ولا تدخلوا
على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين خائفين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم ثم قال
اما بعد ولا تسالوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سالوا رسولهم فبعث الله الناقة
فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج وتشرب ماءهم يوم وردها واراهم مرتقى

الفصل من القارة فعتوا عن امر ربهم فعقروها فاهلك سبحانه وتعالى من تحت اديم السماء
منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له ابو رغال وهو ابو ثقيف كان
في حرم الله فمنعه حرم الله من عذاب الله فلما خرج اصابه ما اصاب قومه فدفن ودفن
معه غصن من ذهب واراهم قبر ابي رغال فنزل القوم فابتدروه باسيافهم وحفروا عنه
فاستخرجوا ذلك الغصن وكانت الفرقة المؤمنة من قوم صالح اربعة آلاف خرج بهم صالح الى
حضرموت فلما دخلها مات صالح فسميت حضرموت ثم بنى الاربعة الآلاف مدينة يقال لها
حاضورا قال قوم من اهل العلم توفي صالح بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة واقام في قومه
عشرين سنة ولوطا اي وارسلنا لوطا وهو لوط بن هاران بن تارخ بن اخي ابرهيم
اذ قال لقومه وقت قوله تعالى لقومه وهم اهل سدوم وذلك ان لوطا جاء من ارض بابل
مع عمه ابرهيم مؤمنا به مهاجرا معه الى الشام فنزل ابرهيم فلسطين وانزل لوطا الاردن
فارسله الله تعالى الى ارض سدوم فقال لهم اتاتون الفاحشة يعني اتيان الذكران استفهام
للتوبيخ والتقريع على تلك الفعلة الفاحشة اي البالغة في القبح ما سبقكم بها من احد من العالمين
قال عمرو بن دينار ما ترى ذكر على ذكر في الدنيا حتى كان من قوم لوط انكم لتاتون الرجال
في ادبارهن شهوة من دون النساء مفعول له وفي التقييد بها وصفهم بالبهيمة الصرفة
وتنبيه على ان العاقل ينبغي ان يكون الداعي له الى المباشرة طلب الولد وبقاء النوع لا قضاء
الوطر بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم التي ادت بهم
الى ارتكاب امثالها وهي اعتياد الاسراف في كل شيء قال الحسن كانوا لا ينكحون الا الغرباء
قال الكلبي ان اول من عمل به عمل قوم لوط ابليس قال الامام واعلم ان موجبات القبح
من ذلك العمل كثيرة فمنها ان الانسان شديد الميل الى قضاء الشهوة شديد التنفر عن الولد
لانه لابد له من اتعاب النفس في الكسب ولا يخفى ان نسل الآدمي مطلوب لبقاء العالم
فلو تمكن الانسان من تحصيل تلك اللذة بطريق لا يفضي الى الولد لم يحصل الحكمة المطلوبة
من بقاء نوع الانسان وذلك خلاف حكمة الله فوجب القول بتحريمه ومنها ان الذكورة
مظنة الفعل والانوثة مظنة الانفعال فاذا صار الذكر منفعلا كان على ضد مقتضى الطبع
والحكمة الالهية ومنها ان الاشتغال بمحض الشهوة اذا كان خاليا عن تحصيل الولد يكون
تشبها بالبهائم وخروجا عن الغريزة الانسانية فكان في غاية القبح ومنها انه يوجب استحكام
العداوة بين الفاعل والمفعول واما حصول ذلك العمل بين الرجل والمرأة فيوجب
استحكام الالفة ومنها انه اودع في الرحم قوة شديدة الجذب للمني فاذا واقع الرجل

المرأة قوي الجذب فلم يبق شيء من المني في المجاري الا وينفصل اما اذا واقع الرجل
الرجل فلا يحصل مثل هذا فيبقى بعض المني في مجاريه فيتعفن ويتولد منه الاورام
والاسقام وما كان جواب قومه الا ان قالوا قال بعضهم لبعض اخرجوهم يعني لوطا
واهل دينه من قريتكم انهم اناس يتطهرون من الفواحش قالوه استهزاء فانجيناه
واهله يعني لوطا ومن آمن معه الا امراته فانها كانت تسر الكفر كانت من الغابرين
الباقين في ديارهم فهلكت مع من هلك من قوم لوط وامطرنا عليهم مطرا
اي نوعا من المطر عجيبا وهو مبين بقوله وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قال
ابو عبيد يقال في العذاب امطر وفي الرحمة مطر فانظر كيف كان عاقبة المجرمين
والى مدين اخاهم شعيبا اي ارسلنا الى ولد مدين وهو مدين بن ابرهيم خليل
الرحمن وهم اصحاب الايكة اخاهم في النسب لا في الدين شعيبا قال عطاء هو شعيب بن
توبة بن مدين بن ابرهيم وقال ابن اسحق هو شعيب بن ميكيل بن يشجر بن مدين بن ابرهيم
وام ميكيل بنت لوط وقيل هو شعيب بن يثرون بن نويب بن مدين وكان شعيب
اعمى وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكان قومه اهل كفر وبخس
للمكيال والميزان قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم
يريد المعجزة التي كانت له وليس في القرآن انها ما هي فاوفوا الكيل والميزان الكيل
يجيء بمعنى المصدر وبمعنى المكيال والميزان كما يجيء آلة الوزن يجي بمعنى الوزن كالميعاد
ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تنقصوهم حقوقهم قال السدي كانوا عشارين
لا يدعون شيئا الا مكسوه ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اي بعد اصلاحها ببعث
الرسل والامر بالعدل وكل نبي بعث الى قومه فهو صلاحهم ذلكم الذي امرتكم به ونهيتكم
عنه اي العمل بمقتضاه خير لكم ان كنتم مؤمنين ومعنى الخيرية اما الزيادة مطلقا
او في الانسانية وجمع المال ولا تقعدوا بكل صراط بكل طريق من طرق الدين كالشيطان
وصراط الحق وان كان واحدا لكنه يتشعب الى معارف وحدود واحكام وكانوا اذا رأوا
احدا يسعى في شيء منها منعوه توعدون تهددون وتصدون عن سبيل الله عن
دين الله من آمن به بالله وتبغونها عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اعوجاجا
بالقاء الشبه او وصفها للناس بانها معوجة كانوا يجلسون على الطريق فيقولون لمن
يريد الايمان بشعيب ان شعيبا كذاب فلا يفتننك عن دينك ويتوعدون المؤمنين
بالقتل ويخوفونهم واذكروا اذ كنتم قليلا عددكم او عددكم فكثركم بالبركة في النسل

الجزء التاسع

والمال وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم قبلكم فاعتبروا بهم وان كان
طائفة منكم آمنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا اي ان اختلفتم في رسالتي
فصرتم فرقتين مكذبين ومصدقين فاصبروا حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بنصر
المحقين على المبطلين فهو وعد للمؤمنين ووعيد للكافرين وهو خير الحاكمين اذ لا معقب
لحكمه ولا حيف فيه قال الملأ الذين استكبروا من قومه يعني رؤساء الذين تعظموا عن
الايمان به لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا لترجعن
الى ديننا الذي نحن عليه وشعيب لم يكن في ملتهم قط لان الانبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقا
لكن غلبوا الجماعة على الواحد فخوطب هو وقومه بخطابهم قال اولو كنا كارهين اي
اي انعود ولو كنا كارهين اي في حال كراهتنا اي كيف يكون هذا قد افترينا على الله
كذبا قد اختلقنا عليه ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها بعد اذ انقذنا الله منها
وما يكون وما يصح لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا الا ان يكون قد سبق لنا
في علم الله ومشيئته انا نعود فيها فحينئذ يمضي قضاء الله فينا ويمضي حكمه علينا وسع
ربنا كل شيء علما احاط علمه بكل شيء مما كان ومما يكون منا ومنكم على الله توكلنا في
ان يثبتنا على الايمان ويخلصنا من الاشرار ثم بعد ما ايس من فلاحهم دعا فقال ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق احكم بيننا والفتاح القاضي والفتاحة الحكومة وانت
خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا وتركتم دينكم
انكم اذا لخاسرون مغبونون وقال الضحاك عجزة فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم
مدينتهم جاثمين قال الكلبي الزلزلة قال ابن عباس وغيره فتح الله عليهم بابا من جهنم
فارسل عليهم حرا شديدا فاخذ بانفاسهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء وكانوا يدخلون الاسراب
ليتبردوا فيها فاذا دخلوها وجدوها اشد حرا من الظاهر فخرجوا هربا الى البرية فبعث
الله تعالى سحابة فيها ريح طيبة فاظلتهم وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فنادى بعضهم
بعضا حتى اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم الهبها الله تعالى عليهم
نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد المقلي وصاروا رمادا قال قتادة
بعث الله شعيبا الى اصحاب الايكة واهل مدين فاما اصحاب الايكة فاهلكوا بالظلة واما
اهل مدين فاخذتهم الصيحة صاح بهم جبريل صيحة فهلكوا جميعا قال القاضي هنا فاخذتهم
الرجفة اي الزلزلة وفي سورة الحجر فاخذتهم الصيحة ولعلها كانت من مباديها الذين
كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها اي استؤصلوا كان لم يقيموا بها من قولهم غني بالمقام

اذا افت به و المغانى المنازل واحدها مغنى اَلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ
لا الذين اتبعوه وصدقوه كما زعموا فانهم الرابحون فى الدارين فَتَوَلَّى عَنْهُمْ اعرض
شعيب من بين اظهرهم حين اتاهم العذاب وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي
وَنَصَحْتُ لَكُمْ قال ذلك تاسفا بهم لشدة حزنه عليهم ثم انكر على نفسه فقال فَكَيْفَ آسَى احزن
عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ليسوا اهل حزن لاستحقاقهم ما نزل بهم بكفرهم ثم لما عرفنا احوال الانبياء
وما جرى على قومهم فكان من الجائز ان يظن انه تعالى ما انزل العذاب و الاستئصال
الا فى زمانهم فبين ان ذلك قد فعل بغيرهم فقال وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ فكذبوه
إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا عاقبنا اهلها حين لم يؤمنوا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ قال ابن مسعود
البأساء الفقر و الضراء المرض و هذا معنى قول من قال البأساء فى المال والضراء
فى النفس لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ لكى يتضرعوا ويتذللوا فيتوبوا ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ
الْحَسَنَةَ اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء و الشدة السلامة و السعة ابتلاء
بالامرين حَتَّى عَفَوْا كثروا عددا و عُددا يقال عفا النبات اذا كثر ومنه اعفاء اللحى
وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ اى هكذا كانت عادة الدهر قديما لنا ولآبائنا
ولم يكن مسنا من الضراء عقوبة من الله فكونوا على ما انتم عليه كما كان اباؤكم فانهم
لم يتركوا دينهم بما اصابهم من الضراء فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فجاءة آمن ما كانوا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
بنزول العذاب ثم لما تبين ان الذين تمردوا اخذهم الله بغتة بين انهم لو اطاعوا
لفتح الله عليهم ابواب الخيرات فقال وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا مكان كفرهم
وعصيانهم لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لوسعنا عليهم الخير ويسرنا
لهم من كل جانب و قيل المراد المطر و النبات وَلَكِنْ كَذَّبُوا الرسل فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا
يَكْسِبُونَ من الكفر و المعاصى قال الكاشف اى ولو انهم شاهدوا ملكوتى واتقوا سوى
جبروتى لفتح على ارض قلوبهم انوار مشاهدة صفاتى وذاتى حتى يرونى فى ملكوت
الارض و السماء بصفة اللطف و الجمال و نبت فى صحارى قلوبهم رياحين الوله والقربة
و الشوق والعشق والمحبة والدين و التوحيد و المعرفة أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى الذين كفروا
وكذبوا يعنى اهل مكة و ما حولها أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا عذابنا بَيَاتًا وقت بيات وَهُمْ
نَائِمُونَ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى ضحوة النهار و هو فى الاصل
ضوء الشمس اذا ارتفعت وَهُمْ يَلْعَبُونَ يلهون من فرط الغفلة أَفَأَمِنُوا مَكْرَ
اللَّهِ تقرير لقوله افامن اهل القرى و مكر الله استعارة لاستدراج العبد بما

يتنعم عليه فى دنياه و اخذه من حيث لا يحتسب فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْخَاسِرُونَ الذين خسروا بالكفر و ترك النظر و الاعتبار ثم بين ان الغرض من
ذكر القصص حصول العبرة فقال أَوَلَمْ يَهْدِ اولم يتبين لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ
مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا من بعد هلاك اهلها اى يخلفون من خلا قبلهم و يرثون ديارهم
أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ان الشان لو نشاء اصبناهم بجزاء ذنوبهم
كما اصبنا من قبلهم وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ اى و نحن نطبع على قلوبهم فَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ سماع تفهم و اعتبار تِلْكَ الْقُرَى التى ذكرت امرها و امر اهلها يعنى
نوح وعاد و ثمود و قوم لوط و شعيب نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا اخبارها لما فيها من
الاعتبار و العجائب وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بالايات و المعجزات فَمَا كَانُوا
لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ بل كانوا مستمرين على التكذيب كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ
الْكَافِرِينَ اى كما طبع الله على قلوب الامم الخالية التى اهلكهم كذلك نطبع على قلوب
الكفار الذين كتبت عليهم ان لا يؤمنوا من قومك وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ
من وفاء عهد فان اكثرهم نقضوا ما عهد الله اليهم فى الايمان و التقوى بانزال الايات
ونصب الحجج او ما عهدوا اليه حين كانوا فى ضر و مخافة مثل لئن انجيتنا من هذه لنكونن
من الشاكرين وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ اى علمناهم لَفَاسِقِينَ و ان مخففة من ان و
عند الكوفيين انها للنفى و اللام بمعنى الا اى ما وجدنا اكثرهم الا فاسقين ناقضين
للعهد ثم اشار الى قصة موسى عليه السلام و فيها من الشرح ما ليس فى ساير القصص
لان معجزات موسى عليه السلام اقوى من معجزات غيره و جهل قومه افحش فقال
ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ اى من بعد نوح و هود و صالح و لوط و شعيب عليهم السلام
مُوسَى بِآيَاتِنَا المعجزات إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا بان كفروا بها مكان الايمان
الذى هو من حقها فان الظلم وضع الشئ فى غير موضعه فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ
وكيف فعلنا بهم وَقَالَ مُوسَى لما دخل على فرعون يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ
الْعَالَمِينَ اليك فقال فرعون كذبت فقال موسى حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا
الْحَقَّ قرأ نافع عليَّ بتشديد الياء اى حق و اجب علىّ ان لا اقول على الله الا الحق
و اما قراءة الجمهور فقال بعضهم اصله هكذا الا انه قلب لامن الالتباس و قال بعضهم
معناه الاغراق فى الوصف بالصدق و المعنى انه حق واجب على القول الحق ان
اكون انا قايله لا يرضى الا بمثلى ناطقا به و قال بعضهم على بمعنى الباء لافادة التمكن

قال الكاشف ... [illegible] يكل نعم مكر و هو
مكر بالعموم ممزوج بالقهر
ان يعطيهم اسباب العبودية و
لم يعرفهم بها و يعطيهم النعمة
ولا يعطيهم لسان الشكر والعلم
حقائق استدراجه لسلب النعم
عنهم و اطلاعهم بالانبياء و الاولياء
و مكره بالخصوص ان يلذذ
ما وجدوا منه فى قلوبهم و يحجبهم
تلك الحلاوة عن ادراك ما وراء
مقاماتهم من مكاشفة الغيوب
فى القلوب و مكره بالمحبين
و العاشقين ظهور الصفات
فى الايات و هو مقام الالتباس
و مكره بالعارفين و الموحدين
ان يريهم نفسه على قدر قوة العقل
و التوحيد و لا يعرفهم مكان المكر
هناك بان يعلموا ان ما وجدوا
منه عند ما لم يجدوا منه لقطع
فى بحار وذلك من حلاوة مباشرة
انوار القدم و البقاء فى اسرار
ارواحهم و تلوّن عقولهم
ولو اطلعوا على حقائق مكره
حيث حجبهم به عنه لذابوا من
الحياء تحت انوار سلطان كبرياء
وعظمته ع

كفو لهم رميت على القوس وجئت على حال حسنة و بحال حسنة يدل عليه قراءة
ابى و الاعمش حقيق بان لا اقول على الله و قال ابو عبيدة معناه حريص على ان
لا اقول على الله الا الحق و مقصوده انه ضمن حقيق معنى حريص قال ابن عطاء من
تحقق بالحق فانه لا يقول على الحق الا ما يليق بالحق و قال الخراز سبيل الواصلين
الى الله ان لا يتكلموا و لا يسمعوا و لا ينطقوا الا بحق فان حقائق الحق اذا استولت على
اسرار المحققين اسقطت عنهم ما سوى الحق و لا يبلغ احد من هذه الدرجات ساحق
يستوفى الحق او فاته عليه و منه فيبق و لا وقت له و لا حال قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ
رَبِّكُمْ يعنى العصا فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ اى اطلق عنهم و خلهم يرجعوا الى
الارض المقدسة و كان فرعون قد استخدمهم فى الاعمال الشاقة من ضرب اللبن
ونقل التراب و نحوها قَالَ فرعون مجيبا لموسى عليه السلام إِنْ كُنْتَ جِئْتَ
بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ فى الدعوى فَأَلْقَى موسى عَصَاهُ من يده
فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ظاهر امره لا يشك فى انه ثعبان و الثعبان الذكر العظيم من
الحية فان قيل أليس قد قال تعالى فى موضع كانها جان و الجان الحية الصغيرة قيل
قيل انها كانت كالجان فى الخفة و الحركة و هى فى جثتها جثة عظيمة قال ابن عباس
و السدى انه لما القى العصا صارت حية عظيمة صفراء شعراء فاغرا فاها بين لحييها
ثمانون ذراعا و ارتفعت من الارض مقدار الميل و قامت على ذنبها واضعة لحيها
الاسفل فى الارض و الاعلى سور القصر و توجهت نحو فرعون لتاخذه و روى انها
اخذت قبة فرعون بين نابيها فوثب فرعون من سريره هاربا و احدث قيل اخذه
البطن فى ذلك اليوم اربعمائة مرة و حملت على الناس فانهزموا و صاحوا و مات
منهم خمسة و عشرون الفا قتل بعضهم بعضا و دخل فرعون البيت و صاح يا موسى
انشدك بالذى ارسلك خذها و انا اؤمن بك و ارسل معك بنى اسرائيل فاخذها
موسى فعادت عصا كما كانت ثم قال فرعون هل معك آية اخرى قال نعم وَنَزَعَ يَدَهُ
فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ فادخل يده تحت جيبه ثم نزعها منه و قيل اخرجها من تحت
ابطه فاذا هى بيضاء لها شعاع غلب نور الشمس و ما كانت بيضاء فى اصل جبلتها روى
انه كان آدم شديد الادمة قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يعنون
انه ليأخذ باعين الناس حتى يخيل اليهم العصا حية و الادم ابيض و يرى الشئ
بخلاف ما هو به يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ يا معشر القبط مِنْ أَرْضِكُمْ مصر فَمَاذَا تَأْمُرُونَ

تشيرون

تشيرون ان نفعل قَالُوا يعنى الملأ أَرْجِهْ قال عطاء معناه اخره و قيل احبسه
وَأَخَاهُ اشاروا اليه بتاخير امره و ترك التعرض له بالقتل وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ
حَاشِرِينَ يعنى الشرط و المداين هى مداين الصعيد من نواحى المصر قالوا ارسل
الى هذه المداين رجالا يحشرون اليك من فيها من السحرة و كانت رؤساء السحرة
باقصى مداين الصعيد فان غلبهم موسى صدقناه و ان غلبوه علمنا انه ساحر فذلك
قوله تعالى يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ و قرئ سحار قيل الساحر الذى يعلم السحر و لا يعمل
و السحار الذى يعلم و يعمل و قيل الساحر من يكون سحره فى وقت دون وقت و السحار
من يديم السحر و قال ابن عباس و ابن اسحق و السدى قال فرعون لما راى من
سلطان الله فى العصا ما رأى انا لا نغالب موسى الا بمن هو منه فاتخذ غلمانا من بنى اسرائيل
فبعث الى قرية يقال لها الفرما يعلمونهم السحر فعلموهم سحرا كثيرا و واعد فرعون
موسى موعدا فبعث الى السحرة فجاءوا و معلمهم معهم فقال له ماذا صنعت قال قد
علمتهم سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امر من السماء فانه لا طاقة لهم به
ثم بعث فرعون فى مملكته فلم يترك فى سلطانه ساحرا الا اتى به و اختلفوا فى عددهم قال
مقاتل كانوا اثنى عشر الفا و قال السدى كانوا بضعة و ثلثين الفا و قال عكرمة سبعين
الفا و قال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين الفا و قال مقاتل كان رئيس القوم شمعون
و قال ابن جريج كان رئيسهم يوحنا وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ بعد ما ارسل الشرط
فى طلبهم قَالُوا أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا التنكير للتعظيم إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ قَالَ فرعون
نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ اى نعم ان لكم لاجرا و انكم لمن المقربين فى المنزل الرفيع
عندى مع الاجر العظيم قال الكلبى يعنى اول من يدخل و آخر من يخرج قَالُوا
يعنى السحرة يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ عصاك وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ بعصينا و حبالنا
خيروا موسى مراعاة للادب و اظهارا للجلادة و لكن كانت رغبتهم فى ان يلقوا قبله
فنبهوا عليها بتغيير النظم الى ما هو ابلغ قَالَ موسى أَلْقُوا كرما و تسامحا او ازدراء بهم
و وثوقا على شانه فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ اى صرفوا اعينهم عن ادراك
حقيقة ما فعلوه من التمويه و التخييل و هذا هو السحر وَاسْتَرْهَبُوهُمْ ارهبوهم
ارهابا شديدا كانهم طلبوا رهبتهم وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ و ذلك انهم القوا حبالا
غلاظا و خشبا طوالا فاذا هى حيات كامثال الجبال قد ملأت الوادى يركب بعضها
بعضا و فى القصة ان الارض ميلا فى ميل صارت حيات و افاعى فى اعين الناس

وأوحينا الى موسى ان الق عصاك فالقاها فصارت حية عظيمة حتى سدت الافق
قال ابن زيد كان اجتماعهم بالاسكندرية يقال بلغ ذنب الحية من وراء البحيرة ثم
فتحت فاها ثمانين ذراعا فاذا هي تلقف تبتلع ما يافكون ما تزورونه على الناس
من الافك وهو الصرف وقلب الشئ عن وجهه روى انها كانت تلتقم حبالهم وعصيهم
واحدا واحدا حتى ابتلعت الكل وقصدت القوم الذين حضروا فوقع الزحام عليهم
فهلك منهم في الزحام خمسة وعشرون الفا ثم اخذ موسى فصار عصا كما كانت فوقع
الحق قال الحسن ومجاهد ظهر الحق وبطل ما كانوا يعملون من السحر والمعارضة
وذلك ان السحرة قالوا لو كان ما صنع موسى سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فلما فقدت
علموا ان ذلك من امر الله تعالى فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين ذليلين مقهورين
والقى السحرة ساجدين لله قال مقاتل القاهم الله وقيل الهمهم ان يسجدوا فسجدوا
قال الاخفش من سرعة ما سجدوا كانهم القوا قالوا آمنا برب العالمين قال فرعون
اياى تعنون فقالوا رب موسى وهرون قال مقاتل قال موسى لكبير السحرة تؤمن
بي ان غلبتك فقال لآتين بسحر لا يغلبه سحر ولئن غلبتني لاومنن بك وفرعون
ينظر قال لهم فرعون حين آمنوا آمنتم به قبل ان آذن لكم اى اصدقتم موسى من غير اذني
اياكم ان هذا لمكر مكرتموه ان هذا الصنع لحيلة صنعتموها انتم وموسى في المدينة
في مصر قبل خروجكم الى هذا الموضع لتخرجوا منها اهلها يعنى القبط وتخلص لكم
ولبنى اسرائيل فسوف تعلمون عاقبة ما فعلتم وهو تهديد مجمل تفصيله لاقطعن
ايديكم وارجلكم من خلاف وهو ان يقطع من كل شق طرفا قال الكلبى لاقطعن
ايديكم اليمنى وارجلكم اليسرى ثم لاصلبنكم اجمعين تفضيحا لكم وتنكيلا لامثالكم قيل
انه اول من سن ذلك فشرعه الله للقطاع تعظيما لجرمهم ولذلك سماه الله محاربة الله
ورسوله ولكن على التعاقب لفرط رحمته قالوا يعنى السحرة لفرعون انا الى ربنا
منقلبون بالموت لا محالة فلا نبالي بوعيدك او انا المنقلبون الى ربنا وثوابه ان فعلت
بنا ذلك كانهم استطابوه شغفا على لقاء الله قال الكاشف انا الى ربنا منقلبون اى نحن
ذاهبون بنعت الشوق والمحبة الى مشاهدة ربنا ولا نخاف من جميع البلايا لان من
عاينه لا يوحش فيه آلام البلاء ويحجب عن رؤية المبلى وما تنقم منا وما تنكر منا الا
ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وهو خير الاعمال واصل المناقب ليس لنا العدول عنه
طلبا لمرضاتك ثم فزعوا الى الله فقالوا ربنا افرغ اصبب علينا صبرا وتوفنا مسلمين

ثابتين على الاسلام ذكر الكلبى ان فرعون قطع ايديهم وارجلهم وصلبهم وذكر غيره
انه لم يقدر عليهم لقوله تعالى لا يصلون اليكما بآياتنا انتما ومن اتبعكما الغالبون وقال الملأ
من قوم فرعون اتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض وارادوا بالافساد في
الارض دعاءهم الناس الى مخالفة فرعون في عبادته ويذرك ويدعك وآلهتك
معبودك قيل كان يعبد الكواكب وقيل صنع لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها
تقربا اليه ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقرأ ابن مسعود وابن عباس والشعبى والضحاك
ويذرك والاهتك بكسر الالف اى عبادتك فلا يعبدك لان فرعون كان يعبد ولا يعبد قال
فرعون سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم نتركهن احياء ليعلم انا على ما كنا عليه من القهر والغلبة
ولا يتوهم انه المولود الذى حكم المنجمون بذهاب ملكنا على يده وانا فوقهم قاهرون
غالبون قال ابن عباس كان فرعون يقتل ابناء بنى اسرائيل في العام الذى قيل له انه يولد
مولود يذهب بملكك فلم يزل يقتلهم حتى اتاهم موسى بالرسالة وكان من امره ما كان فقال
فرعون اعيدوا عليهم القتل فشكت ذلك بنو اسرائيل الى موسى قال موسى لقومه
استعينوا بالله واصبروا ان الارض يعنى ارض مصر لله يورثها من يشاء من عباده
والعاقبة للمتقين النصر والظفر وقيل السعادة والشهادة وقيل الجنة قالوا اوذينا
قال ابن عباس لما آمنت السحرة اتبع موسى ستمائة الف من بنى اسرائيل فقالوا يعنى قوم موسى
انا اوذينا من قبل ان تأتينا بالرسالة بقتل الابناء ومن بعد ما جئتنا باعادة القتل علينا
قيل ان فرعون كان يسخرهم قبل مجئ موسى الى نصف النهار فلما جاء موسى سخرهم جميع
النهار بلا اجر وذكر الكلبى انهم كانوا يضربون له اللبن بتبن فرعون فلما جاء موسى اجبرهم
ان يضربوه من تبن من عندهم قال موسى عسى ربكم ان يهلك عدوكم فرعون
ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون من شكر وكفران وطاعة وعصيان
فحقق الله ذلك فاغرق فرعون واستخلفهم في ديارهم واموالهم فعبدوا العجل
ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين بقول العرب مستهم السنة اى جدب السنة و
شدة السنة وقيل المراد بالسنين القحط سنة بعد سنة ونقص من الثمرات والغلات
بالآفات والعاهات قال قتادة اما السنين فلاهل البوادى واما نقص الثمرات فلاهل
الامصار لعلهم يذكرون اى يتعظون وذلك لان الشدة ترقق القلوب وترغبها فيما
عند الله فاذا جاءتهم الحسنة يعنى الخصب والسعة والعافية والرفاهية قالوا لنا
هذه لاجلنا ومستحقوها ولم يروها تفضلا من الله تبارك وتعالى ليشكروا عليها وان

تصبهم سيئة جدب وبلاء ورأوا ما يكرهون يطيروا يتشاءموا بموسى ومن معه
قالوا ما اصابنا بلاء حتى رايناهم فهذا من شوم موسى وقومه قال سعيد بن جبير ومحمد بن
المنكدر كان ملك فرعون اربعمائة سنة وعاش ستمائة وعشرين سنة لا يرى مكروها
ولو كان له في تلك المدة جوع او حمى ليلة او وجع ساعة لما ادعى الربوبية قط الا انما
طائرهم عند الله قال ابن عباس شومهم عند الله ومن قبل الله وقيل معناه الشوم
العظيم هو الذى لهم عند الله من عذاب النار ولكن اكثرهم لا يعلمون ان ما يصيبهم
من الله تعالى ومن شوم اعمالهم وقالوا مهما تأتنا به اى اى شئ تحضرنا من آية
بيان لمهما لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين مصدقين فارسلنا عليهم الطوفان و
الجراد والقمل والضفادع والدم قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة و
محمد بن اسحق دخل كلام بعضهم في بعض لما آمنت السحرة ورجع فرعون مغلوبا ابى هو
وقومه الا الاقامة على الكفر والتمادى في الشر فتابع الله عليهم بالآيات واخذهم بالسنين
ونقص من الثمرات فلما عالج منهم بالآيات الاربع العصا واليد والسنين ونقص الثمار
فابوا ان يومنوا فدعا عليهم فقال يا رب ان عبدك فرعون علا في الارض وطغى وعتى و
ان قومه قد نقضوا عهدك رب فخذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومى عظة ولمن بعدهم
آية وعبرة فبعث الله عليهم الطوفان وهو الماء ارسل الله عليهم الماء وبيوت
بنى اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة فامتلات بيوت القبط حتى قاموا في الماء
الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل قطرة من الماء و
ركد الماء على اراضيهم لا يقدرون ان يحرثوا ولا يزرعوا شيئا ودام ذلك عليهم
سبعة ايام من السبت الى السبت وقال وهب الطوفان الطاعون بلغة اليمن وقال
ابو قلابة الجدرى فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا المطر فنومن بك ونرسل معك
بنى اسرائيل فدعا ربه فكشف الطوفان فانبت الله لهم في تلك السنة شيئا لم ينبته
لهم قبل ذلك من الكلاء والزرع والثمار واخصبت بلادهم فقالوا ما كان هذا الماء
الا نعمة علينا وخصبا فلم يؤمنوا واقاموا شهرا في عافية فبعث الله عليهم الجراد واكل
عامة زروعهم وثمارهم واوراق الشجر حتى كانت تاكل الابواب وسقوف البيت والخشب
والثياب والامتعة ومسامير الابواب من الحديد حتى تقع دورهم وابتلى الجراد بالجوع
فكانت لا تشبع ولا يصيب بنى اسرائيل شئ من ذلك فعجوا وضجوا وقالوا يا موسى
ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك واعطوه عهد الله

وميثاقه فدعا موسى فكشف الله عنهم الجراد بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت
وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الاعظم وقيل ان موسى برز الى الفضاء فاشار
بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجعت الجراد من حيث جاءت وكانت قد بقيت من زروعهم
وغلاتهم بقية فقالوا قد بقى لنا ما هو كافينا فما نحن بتاركى ديننا فلم يفوا بما عاهدوا وعادوا
الى اعمالهم السوء فاقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم القمل واختلفوا في القمل فروى
سعيد بن جبير عن ابن عباس قال القمل السوس الذى يخرج من الحنطة وقال مجاهد
والسدى وقتادة والكلبى القمل الدبا والجراد الطيارة التي لها اجنحة والدبا الصغار
التى لا اجنحة لها وقال ابو عبيدة هو الحنان وهو ضرب من القراد وقال عطاء الخراسانى
هو القمل وبه قرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم قالوا امر الله تعالى موسى
ان يمشى الى كثيب اعفر بقرية من قرى مصر يدعى عين الشمس فمشى موسى الى
ذلك الكثيب وكان اهيل فضربه بعصاه فانثال عليهم بالقمل فتتبع ما بقى من حروثهم
واشجارهم ونباتهم فاكله ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب احدهم وجلده
وكان يدخل بين ثوب احدهم وجلده فيعضه وكان احدهم ياكل الطعام فيمتلى قملا قال
سعيد بن المسيب القمل السوس الذى يخرج من الحبوب وكان الرجل يخرج عشرة اجربة
الى الرحا فلا يرد منها ثلثة اقفزة فلم يصابوا ببلاء كان اشد عليهم من القمل واخذت اشعارهم
وابشارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كالجدرى عليهم ومنعهم النوم والقرار
فصرخوا وصاحوا الى موسى انا نتوب فادع لنا ربك يكشف عنا البلاء فدعا موسى فرفع
الله القمل عنهم بعد ما اقام عليهم سبعة ايام من السبت الى السبت فنكثوا وعادوا الى اخبث
اعمالهم وقالوا ما كنا احق ان نستيقن به انه ساحر منا اليوم يجعل الرمل دواب فدعا
موسى بعد ما اقاموا شهرا في عافية فارسل الله تعالى عليهم الضفادع فامتلات منها
بيوتهم وافنيتهم واطعمتهم وآنيتهم فلا يكشف احد اناء ولا طعاما الا وجد فيها الضفادع
وكان الرجل يجلس في الضفادع الى ذقنه ويهم ان يتكلم فيثب الضفدع في فيه وكانت
تثب في قدورهم فتفسد عليهم طعامهم وتطفى نيرانهم وكان احدهم يضطجع فتركبه الضفادع
فتكون عليه ركاما حتى ما يستطيع ان ينصرف الى شقه الآخر ويفتح فاه لاكلته فيسبق
الضفدع اكلته الى فيه ولا يعجن عجينا الا انشدخت فيه ولا يفتح قدرا الا امتلات
ضفادع فلقوا منها اذى شديدا فلما راوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا هذه المرة
نتوب ولا نعود فاخذ عهودهم ومواثيقهم ثم دعا ربه فكشف عنهم الضفادع بعد ما اقام سبعا

من السبت الى السبت فاقاموا شهرا فى عافيه ثم نقضوا العهود وعادوا الى كفرهم فدعا
عليهم موسى فارسل الله عليهم الدم فسال النيل عليهم دما وصارت مياههم دما فما
يستقون من الآبار والانهار الا وجدوه دما عبيطا احمر فشكوا الى فرعون
وقالوا ليس لنا شراب فقال انه سحركم فقال القوم من اين سحرنا ونحن لا نجد فى اوعيتنا
شيا من الماء الا دما عبيطا وكان فرعون يجمع بين القبطى والاسرايلى على الاناء الواحد
فيكون ما يلى الاسرايلى ماء وما يلى القبطى دما ويقومان الى الجرة فيها الماء فيخرج للاسرايلى
ماء وللقبطى دم حتى كانت المراة من آل فرعون تاتى المراة من بنى اسرايل حين جهدهم
العطش فتقول اسقينى من مائك فتصب لها من قربتها فتعود فى الاناء دما حتى كانت
تقول اجعليه فى فيك ثم مجيه فى فى فتاخذ فى فيها ماء فاذا مجته فى فيها صار دما
وان فرعون اعتراه العطش حتى انه ليضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغت
يصير ماؤها فى فيه ملحا اجاجا فمكثوا فى ذلك سبعة ايام ولا يشربون الا الدم قال
زيد بن اسلم الدم الذى سلط الله عليهم كان الرعاف فاتوا موسى وقالوا يا موسى
ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنومن بك ونرسل معك بنى اسرايل فدعا ربه فكشف
عنهم فلم يومنوا آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ مبينات لا يشكل على عاقل انها آيات الله او مفصلات
لامتحان احوالهم اذ كان بين كل اثنين منها شهر وكان امتداد كل واحد اسبوعا
فَاسْتَكْبَرُوا عن الايمان وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ اى لما نزل بهم
العذاب وهو ما ذكر الله عز وجل من الطوفان وغيرها وقال سعيد بن جبير الرجز
الطاعون وهو العذاب السادس بعد الآيات الخمس حتى مات منهم سبعون الفا فى يوم
واحد فامسوا وهم لا يتدافنون قَالُوا لموسى يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ
من اجابة دعوتك او بحق ما عهد عندك وهو النبوة لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ
لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عن اسامة بن زيد انه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الطاعون رجز ارسل على بنى اسرايل او على من كان من قبلكم فاذا
سمعتم به بارض فلا تقدموا عليه واذا وقع بارض وانتم بها فلا تخرجوا فرارا منه
فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ يعنى الى الغرق فى اليم إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ
جواب لما اى فلما كشفنا عنهم فاجاوا النكث ونقض العهد من غير توقف وتامل
فيه فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فاردنا الانتقام منهم فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ اى فى البحر الذى لا يدرك
قعره بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات

وعدم تفكرهم فيها حتى صاروا كالغافلين عنها اخبر الله سبحانه وتعالى عن نقض عهد
المفسدين بعد رويتهم وضوح الآيات وظهور المعجزات ونيرات الكرامات وذوقهم طعم
العذاب فى البليات جحودا وانكارا بعد علمهم بصدق الرسالة والنبوة والولاية لما ترتعوا
فى ورطة الهلاك القاوا الى نبى الله عليه السلام بعد جحادهم به فلم ينفع البكاء ونوبتهم
لما سبق لهم فى قديم العلم من الشقاوة وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ يقهرون
ويستذلون بذبح الابناء واستخدام النساء والاستعباد وهم بنو اسرايل مَشَارِقَ الْأَرْضِ
وَمَغَارِبَهَا يعنى مصر والشام الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا بالماء والاشجار والثمار والخصب والسعة
وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى يعنى وفت كلمة الله وهى وعده اياهم بالنصر والتمكين فى الارض
وذلك قوله تعالى ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ
بِمَا صَبَرُوا على دينهم بسبب صبرهم على الشدايد وعلى دينهم قال ابو سعيد الخراز طالبوا
الزمهم من شرايط الصبر لانه قال تمت كلمة ربك الحسنى بصبرهم فى بلايه وَدَمَّرْنَا
وخربنا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ فى ارض مصر من القصور والعمارات وَ
مَا كَانُوا يَعْرِشُونَ من الجنات قال الحسن او ما كانوا يرفعون من البنيان كصرح هامان
وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ هذا وما بعده ذكر ما احدثه بنو اسرايل من الامور الشنيعة
بعد ان من الله عليهم بالنعم الجسام واراهم من الآيات العظام تسلية لرسول الله صلى الله
عليه وسلم عما راى منهم وايقاظا للمومنين حتى لا يغفلوا عن محاسبة انفسهم ومراقبة احوالهم
قال الكلبى عبر بهم موسى البحر يوم عاشوراء بعد مهلك فرعون وقومه فصام شكرا لله
تعالى فَأَتَوْا فمروا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ يقيمون على عبادتها قال ابن جريج
كانت تماثيل البقر وذلك اول شان العجل قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا اى مثالا نعبده
كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ولم يكن ذلك شكا من بنى اسرايل فى وحدانية الله وانما معناه اجعل لنا
شيا نعظمه ونتقرب بتعظيمه الى الله وظنوا ان ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك لشدة
جهلهم قَالَ موسى عليه السلام إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ عظمة الله إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ مُتَبَّرٌ
مكسر مهلك مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مضمحل مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من عبادتها وان قصدوا بها
التقرب الى الله قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا اطلب لكم معبودا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى
الْعَالَمِينَ اى عالمى زمانكم اى والحال انه خصكم بنعم لم يعطها غيركم فلا تقابلوها بان
تشركوا به تعالى اخس شى من مخلوقاته وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ واذكروا

صنعه معكم فى هذا الوقت يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ
نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ وفى الانجاء او العذاب نعمة او محنة عظيمة وَ
وَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً ذا القعدة وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ من ذى الحجة فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً بالغا اربعين ليلة قال الكاشف ومن تلك الاربعين صارت الاربعين سنة
لاولياء الله فى بداية امرهم فى الخلوة والرياضة لخلوص نياتهم مع الله سبحانه لوجدان
حكمة الازلية وانباء الغيبية ومكاشفته الابدية لانها عرايس الله لا ينكشف الا للمتفرد
عن غير الله واخبر بشرايف ذلك النبى صلى الله عليه وسلم من اخلص لله اربعين صباحا
ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وَقَالَ مُوسَى عند انطلاقه الى الجبل للمناجات
لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي كن خليفتى فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ اى اصلحهم بحملك اياهم على طاعة الله
وقال ابن عباس يريد الرفق بهم والاحسان اليهم وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ لا تطع من
من عصى الله ولا توافقه على امره وذلك ان موسى وعد بنى اسرايل بمصر ان الله اذا
هلك عدوهم اتاهم بكتاب فيه بيان ما ياتون وما يذرون فلما فعل الله ذلك بهم سال موسى ربه
الكتاب فامره الله عز وجل ان يصوم ثلثين يوما فلما تمت ثلثون وجد خلوف فيه فتسوك
بعود خرنوب وقال ابو العاليه اكل من لحاء شجرة فقالت له الملايكة كنا نشم من فيك رايحة
المسك فافسدته بالسواك فامره الله ان يصوم عشرة ايام من ذى الحجة وقال اما علمت ان
خلوف فم الصايم اطيب عندى من ريح المسك وكانت فتنتهم فى العشر الذى زاده
وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا اى للوقت الذى ضربنا له ان نكلمه فيه قال اهل التفسير ان موسى
عليه السلام تطهر وطهر ثيابه لميعاد ربه فلما اتى طور سيناء وفى القصة ان الله انزل
ظلة على سبعة فراسخ وطرد عنه الشيطان وطرد هوام الارض ونحى عنه الملكين و
كشط له السماء فراى الملايكة قياما فى الهواء وراى العرش بارزا فكلمه الله تعالى وناجاه
حتى اسمعه وكان جبرئيل معه فلم يسمع وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ واذناه حتى سمع صرير القلم
فاستحلى موسى كلام ربه واشتاق الى رويته قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قال الزجاج
تقديره ارنى نفسك انظر اليك قال ابن عباس اعطنى انظر اليك فان قيل كيف سال الرويه
وقد علم ان الله لا يرى فى الدنيا قال الحسن هاج به الشوق فسال الرويه وقيل سال
الرويه ظنا منه انه يجوز ان يرى فى الدنيا فقال الله تعالى لن ترانى وليس لبشر ان يطيق
النظر الى فى الدنيا من نظر الى فى الدنيا مات فقال الهى سمعت كلامك فاشتقت الى النظر
اليك ولان انظر اليك ثم اموت احب الى من ان اعيش ولا اراك فقال الله تعالى له

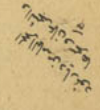
انظر الى الجبل وهو اعظم جبل بمدين يقال له زبير قَالَ الله تعالى لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ
إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي قال وهب وابن اسحق لما سال ربه الروية
ارسل الله الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق واحاطت بالجبل الذى عليه
موسى اربعة فراسخ من كل جانب وامر الله تعالى ملايكة السموات ان يعترضوا عليه فمرت به
ملايكة السماء الدنيا كثيران البقر تنبع افواههم بالتسبيح والتقديس باصوات عظيمة كصوت
الرعد الشديد ثم امر الله ملايكة السماء الثانية ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه فهبطوا
عليه امثال الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع العبد الضعيف ابن عمران مما راى
وسمع واقشعرت كل شعرة فى راسه وجسده ثم قال لقد ندمت على مسالتى فهل ينجينى
من مكانى الذى انا فيه شى فقال له خير الملايكة ورأسهم يا موسى اصبر لما سالت فقليل
من كثير ما رايت ثم امر الله ملايكة السماء الثالثة ان اهبطوا على موسى فاعترضوا عليه
فهبطوا امثال النسور لهم قصف ورجف ولجب شديد وافواههم تنبع بالتسبيح و
التقديس كلجب الجيش العظيم الوانهم كلهب النار ففزع موسى واشتد نفسه وايس
من الحيوة فقال له خير الملايكة يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم امر الله تعالى
ملايكة السماء الرابعة ان اهبطوا فاعترضوا على موسى بن عمران فاعترضوا عليه وكانت
لا يشبههم شى من الذين مروا به قبلهم الوانهم كلهب النار وساير خلقهم كالثلج الابيض
اصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شى من اصوات الذين مروا به قبلهم
فاصطكت ركبتاه وارعد قلبه واشتد بكاؤه فقال خير الملايكة ورأسهم يا ابن عمران اصبر
لما سالت فقليل من كثير ما رايت ثم امر الله ملايكة السماء الخامسة ان اهبطوا فاعترضوا على
موسى فهبطوا عليه لهم سبعة الوان فلم يستطع موسى ان يتبعهم بصره لم ير مثلهم ولم
يسمع مثل اصواتهم فامتلا جوفه خوفا واشتد حزنه وكثر بكاؤه فقال خير الملايكة
ورأسهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى ما لا تصبر عليه ثم امر الله ملايكة السماء السادسة
ان اهبطوا على عبدى الذى طلب ليرانى فاعترضوا عليه فهبطوا عليه فى يد كل ملك
مثل النخلة الطويلة نارا اشد ضوءا من الشمس ولباسهم كلهب النار اذا سبحوا وقدسوا
جاوبهم من كان قبلهم من ملايكة السموات كلهم يقولون بشدة اصواتهم سبوح قدوس
رب الملايكة والروح رب العزة ابدا لا يموت وفى راس كل ملك منهم اربعة اوجه فلما
رآهم موسى رفع صوته يسبح معهم حين سبحوا وهو يبكى ويقول رب اذكرنى و
لا تنس عبدك لا ادرى انفلت مما انا فيه ام لا ان خرجت احترقت وان مكثت مت

فقال لكبير الملائكه و رأسهم قد اوشكت يابن عمران ان تشتد خوفك و ينخلع قلبك فاصبر للذى سألت ثم امر الله ان تحمل عرشه فى ملائكة السماء السابعه فلما بدا نور العرش انفرج الجبل من عظمة الرب جل جلاله فرفعت ملائكة السماء اصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة ابدا لا يموت بشدة اصواتهم فارتج الجبل و اندك كل شجرة كانت فيه وخر العبد الضعيف موسى صعقا على وجهه ليس معه روحه فارسل الله برحمته الروح فتغشاه و قلب عليه الحجر الذى كان عليه موسى وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى فاقامه الروح مثل الام فقام موسى يسبح الله و يقول آمنت بك ربى و صدقت انه لا يراك احد فيحيى من نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما اعظمك و اعظم ملائكتك انت رب الارباب و اله الالهه و ملك الملوك و لا يعدلك شئ و لا يقوم لك شئ رب تبت اليك الحمد لك لا شريك لك ما اعظمك و ما اجلك رب العالمين فذلك قوله تعالى فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا قال ابن عباس ظهر نوره للجبل جبل زبير قال عبد الله بن سلام و كعب الاحبار ما تجلى من عظمة الله للجبل الا مثل سم الخياط حتى صار دكا وقال السدى ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن انس ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الايه و قال هكذا و وضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل وحكى عن سهل بن سعد الساعدى ان الله اظهر من سبعين الف حجاب نورا قدر الدرهم فجعل الجبل دكا اى مستويا بالارض و دكا قرئ مقصورا و ممدودا فمن قصر فمعناه جعله مدقوقا مفتتا و الدك و الدق واحد و من قرأ بالمد فمعناه جعله مستويا اى ارضا دكاء مستويه و قيل معناه جعله مثل دكاء و هى الناقة التى لا سنام لها وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا قال ابن عباس و الحسن مغشيا عليه قال الكلبى خر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة و اعطى التوريه يوم الجمعه يوم النحر قال الواقدى لما خر موسى صعقا قالت ملائكة السموات ما لابن عمران و سؤال الرؤيه فَلَمَّا أَفَاقَ موسى من صعقته وتاب و رجع اليه عقله و عرف انه سأل امرا لا ينبغى له قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ من الجراة و السؤال بغير اذن وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ بانك لا ترى فى الدنيا قال مجاهد و السدى و و انا اول من آمن بك من بنى اسرائيل قال الكاشف كان فى بحر الصفات على محل شهود نعوتها الازليه فيغاص سر ادراك حقائق الذات بعد فنائه فى الصفات فاسقطه عن مقامه غيرة ذات الازلى حتى صيره بسعت التنزيه و ردته الى مقام البدايه فعلم فى الصحو ما اخطاء فى السكر من طلب الاطلاع على كنه القدم فقال سبحانك من ادراك

الاقدام على مع

الحدث قدمك و جلال ازليتك تبت اليك مما طلبت فانا اول المقربين بان لا حسن الاقدام للحدوث على صفوات الازل و لا سرحان الخليقه عند هبوب عواصف القدميه علم السيد عليه السلام هذا المقام فى اول شهوده عين الكل فقال لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك قبل علة الفناء و الامتحان و علم موسى عليه السلام هذا المقام بعد الامتحان و الفناء و لو علم فى الاول ادراك ما ادرك النبى صلى الله عليه وسلم تاب موسى مرة من هذا المقام و تاب الحبيب عليه السلام من هذا المقام فى كل يوم سبعين مرة قال انه ليغان على قلبى و انى لاستغفر الله فى كل يوم سبعين مرة كان غينه نكوص القدم فتاب من تقصيره عن حق معرفة حقائقه اى من تقصير ادراك كنه القدم قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ اخترتك عَلَى النَّاسِ اى الموجودين فى زمانك و هرون و ان كان نبيا كان مامورا باتباعه و لم يكن كليما و لا صاحب شرع بِرِسَالَاتِي يعنى اسفار التوريه وَبِكَلَامِي و تكليمى اياك فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ ما اعطيتك من الرسالة وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ لله على نعمه و فى القصه ان موسى كان بعد ما كلمه ربه لا يستطيع احد ان ينظر اليه لما غشى وجهه من النور و لم يزل على وجهه برقع حتى مات و قالت له امرأته انا ايم منك منذ كلمك ربك فكشف لها عن وجهه فاخذها مثل شعاع الشمس فوضعت يدها على وجهها و خرت لله ساجدة و قالت ادع الله ان يجعلنى زوجتك فى الجنه قال ذلك ان لم تتزوجى بعدى فان المرأة لآخر ازواجها عن كعب الاحبار ان موسى نظر فى التوريه فقال انى اجد امة خير الامم اخرجت للناس يامرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و يؤمنون بالله و بالكتاب الاول و بالكتاب الآخر و يقاتلون اهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال رب اجعلهم امتى قال هى امة محمد صلى الله عليه وسلم قال رب انى اجد امة هم الحمادون رعاة الشمس المحكمون اذا ارادوا امرا قالوا نفعل ان شاء الله فاجعلهم امتى قال هى امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال رب انى اجد امة يأكلون كفاراتهم و صدقاتهم و كان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار وهم المستجيبون و المستجاب لهم الشافعون المشفع لهم فاجعلهم امتى قال هى امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال رب انى اجد امة اذا اشرف احدهم على شرف كبر الله و اذا هبط واديا حمد الله الصعيد لهم طهور و الارض لهم مسجد حيث ما كانوا يتطهرون من الجنابه طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غر محجلون من آثار الوضوء فاجعلهم امتى قال هى امة محمد صلى الله عليه وسلم فقال رب انى اجد امة اذا هم احدهم بحسنه لم يعملها كتبت له حسنة مثلها و ان عملها ضعف عشر امثالها الى سبعمائة ضعف و اذا هم

بسيئة و لم يعملها لم يكتب عليه و ان عملها كتبت له سيئة مثلها فاجعلهم امتى قال هى امة محمد فقال رب انى اجد امة مرحومة ضعفاء يرثون الكتاب الذين اصطفيناهم فمنهم ظالم لنفسه و منهم مقتصد و منهم سابق الى الخيرات فلا اجد احدا منهم الا مرحوما فاجعلهم امتى قال هى امة احمد قال رب انى اجد امة مصاحفهم فى صدورهم يلبسون الوان ثياب اهل الجنه يصفون فى صلوتهم صفوف الملائكه اصواتهم فى مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار احد منهم ابدا الا من يرى الحساب مثل ما يرى الحجر من وراء الشجر فاجعلهم امتى قال هى امة احمد فلما عجب موسى من الخير الذى اعطى الله محمدا صلى الله عليه وسلم و امته قال ياليتنى من اصحاب محمد فاوحى الله عز وجل ثلث آيات ترضيه بهن يا موسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى و بكلامى الى قوله ساريكم دار الفاسقين و من قوم موسى امة يهدون بالحق و به يعدلون قال فرضى موسى عليه السلام كل الرضى وَكَتَبْنَا لَهُ يعنى لموسى فِي الْأَلْوَاحِ قال ابن عباس يريد الواح التوريه قال الحسن كانت الالواح من خشب و فى الحديث كانت من سدر الجنه طول اللوح اثنا عشر ذراعا و قال الكلبى كانت من زبرجد خضراء و قال سعيد بن جبير كانت من ياقوت احمر و قال ابن جريج من زمرد و قال وهب امر الله بقطع الالواح من صخرة صماء لينها الله له فقطعها بيده ثم شققها بيده و سمع موسى صرير القلم بالكلمات العشر و كان ذلك فى اول يوم من ذى القعده و كانت الالواح عشرة اذرع على طول موسى عليه السلام و جاء فى الحديث خلق الله عز وجل آدم عليه السلام بيده و كتب التوريه بيده و غرس شجرة طوبى بيده قال الربيع بن انس نزلت التوريه و هى سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه فى سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى و يوشع و عزير و عيسى عليهم السلام قال الحسن هذه الآيه فى التوريه الف آيه يعنى قوله تعالى وكتبنا له فى الالواح مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مما يحتاجون اليه من امر الدين مَوْعِظَةً نهيا عن الجهل و حقيقة الموعظة التذكرة و التحذير مما يخاف عاقبته وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ اى تبيانا لكل شئ من الامر و النهى و الحلال و الحرام و الحدود و الاحكام فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ اى بجد و اجتهاد و قيل بقوة القلب و صحة العزيمة لانه اذا اخذه بضعف النية اداه الى الفتور وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا قال عطاء عن ابن عباس يحلوا حلالها و يحرموا حرامها و يتدبروا فى امثالها و يعملوا بمحكمها و يقفوا عند متشابهها و كان موسى عليه السلام اشد عبادة من قومه فامر بما لم يؤمروا به قال قطرب باحسنها اى بحسنها و كلها حسن و توجيهه ان المراد بالحسن البالغ فى الحسن مطلقا لا بالاضافه و قيل احسنها الفرائض



والنوافل و هى ما يستحق عليها الثواب و ما دونها المباح لانه لا يستحق عليها الثواب و قيل باحسنها اى باحسن الامرين فى كل شئ كالعفو احسن من الاقتصاص و الصبر احسن من الانتصار سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ قال مجاهد مصيرهم فى الآخرة قال الحسن و عطاء يعنى جهنم يحذركم ان تكونوا امثالهم و قال قتادة و غيره سادخلكم الشام فاريكم منازل القرون الماضية الذين خالفوا امر الله لتعتبروا بها و قال عطية العوفى اراد دار فرعون و قومه و هى مصر يدل عليه قراءة قسامة بن زهير ساورثكم دار الفاسقين و قال الكلبى ما مروا عليه اذا سافروا من منازل عاد و ثمود و القرون الذين اهلكوا سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ المنصوبة فى الآفاق و الانفس الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ قال ابن عباس يريد الذين يتجبرون على عبادى و يحاربون اوليائى حتى لا يؤمنوا يعنى ساصرفهم عن قبول آياتى و التصديق بها عوقبوا بحرمان الهداية لعنادهم للحق كقوله تعالى فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم قال سفين بن عيينه سامنعهم فهم القرآن قال ابن جريج يعنى عن خلق السموات و الارض و ما فيها اصرفهم عن ان يتفكروا فيها و يعتبروا بها قيل حكم الآيه لاهل مصر خاصه و اراد بالآيات التسع التى اعطاها الله موسى عليه السلام و الاكثرون على ان الآيه عامة قال ابن عطاء سامنع قلوبهم و اسرارهم و ارواحهم عن الجولان فى ملكوت القدس وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ منزلة او معجزة لَا يُؤْمِنُوا بِهَا لعنادهم او اختلال عقلهم بسبب انهماكهم فى الهوى و التقليد وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا لا يختارونه لاستيلاء الشيطنه عليهم و قرئ الرشد بفتح الراء و الشين و بضم الراء و سكون الشين و هما لغتان كالسقم و السقم و الحزن و الحزن و البخل و البخل و كان ابو عمرو يفرق بينهما فيقول الرشد بالضم الصلاح فى الامر و بالفتح الاستقامه فى الدين وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ اى طريق الضلال يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ اى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم و عدم تدبرهم للآيات وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ اى و لقاء الدار الآخرة التى هى موعد الثواب و العقاب حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ بطلت و صارت كان لم يكن هَلْ يُجْزَوْنَ فى العقبى إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ اى الا جزاء ما كانوا يعملون فى الدنيا وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ من بعد انطلاقه الى الجبل مِنْ حُلِيِّهِمْ التى استعاروها من قوم فرعون اتخذ السامرى منها عجلا و القى فى فمه من تراب اثر فرس جبرئيل عليه السلام فتحول عِجْلًا جَسَدًا حيا لحما و دما لَهُ خُوَارٌ و هو صوت البقر و هذا قول ابن عباس و الحسن و قتادة و جماعة اهل التفسير و قيل كان جسدا مجسدا من ذهب

لاروح فيه كان يسمع منه صوت و قيل كان صوت خفيف الريح يدخل في جوفه ويخرج
وقيل انه ما خان الا مرة و قيل كان يخور كثيرا فكلما خار سجدوا له واذا سكت رفعوا
رؤسهم وقال وهب كان يسمع منه الخوار و لا يتحرك وقال السدى كان يخور ويمشي
أَلَمْ يَرَوْا اى الذين عبدوا العجل أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا تقريع على فرط ضلالتهم و
اخلالهم بالنظر اتَّخَذُوهُ تكرير للذم اى اتخذوه الها وَكَانُوا ظَالِمِينَ و اضعين الاشياء
في غير موضعها فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم قال الكاشف كان القوم في طلب الحق غلب
عليهم رعونات الطبيعة من جهة ما شموا بعض روائح القرب فصار في قلوبهم حلاوة
فما سرت تلك الحلاوة قلوبهم ولم يكن غالبا تغني صفات الانسانية منها فاختلط ذلك
الحظ بحظوظ البشرية فلما هاجت حلاوة البشرية غابت حلاوة القرب وعشقه في عشق
الانسانية وحظ البشرية فطلب القلوب المطلوب بعد ذلك في كل منظور من الحدثان على
صورة الحايل لان حظوظ بشريتهم اورثت في قلوبهم الخيالات المختلفة فسقطوا عن رؤية
التوحيد و افراد القدم عن الحدوث وبقوا في طلب الخيال و تحيره عن كل شيء وكل
متحرك يتحرك لهم قبلوه بالمعبود من قصودهم عن كمال العشق وحقائق التوحيد فكسي
الحق سبحانه وتعالى العجل كسوة من قهر ربوبيته امتحانا للقوم فوقعوا في حسن اللباس
واحسموه فاحتجبوا من رؤية القهر والامتحان ولو خرجوا من اوايل الالتباس لاحرقوه
كما احرقه موسى عليه السلام وكذا حال من لم يبلغ الى درجة التوحيد والجاه الى القتل
لان من ادعى في دعواه غير الله و المشرك في التوحيد وجب قتله في طريق المعرفة الا ترى ان
الله سبحانه وتعالى امرهم بقتل انفسهم بقوله فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم وَلَمَّا سُقِطَ فِي
أَيْدِيهِمْ اى ندموا على عبادة العجل تقول العرب لكل نادم على امر قد سقط في يديه وَ
رَأَوْا وعلموا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا باتخاذ العجل قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا بالتوبة علينا وَيَغْفِرْ لَنَا
بالتجاوز عن الخطيئة لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ وكان هذا الندم و الاستغفار منهم بعد رجوع
موسى اليهم وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قال ابن عباس و السدى حزينا
و الاسف اشد الحزن قال ابو الدرداء الاسف شديد الغضب قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي
مِنْ بَعْدِي اى بئسما عملتم بعد ذهابي يقال خلفه بخير اوبشر اذا اولاه في اهله بعد ذهابه
عنهم خيرا او شرا أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ اعجلتم وعد ربكم الذى وعدنيه من الاربعين
و قدرتم موتي وغيرتم بعدي كما غيرت الامم بعد انبيائهم وقال الكلبي اعجلتم بعبادة
العجل قبل ان ياتيكم امر ربكم وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ طرحها من شدة الغضب و فرط الضجر

حمية للدين قال الرواة كانت التورية سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفعت
ستة اسباعها وبقي سبع فرفع ما كان من اخبار الغيب وبقي ما فيه الموعظة و الاحكام
و الحلال والحرام وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ بشعر راسه يَجُرُّهُ إِلَيْهِ توهما بانه قصر في كفهم
وكان هرون اكبر من موسى عليهما السلام بثلث سنين واحب الى بني اسرايل من
موسى لانه كان حمولا لينا قَالَ ابْنَ أُمَّ اى يا ابن امي وانما قال ابن ام وكان هرون
اخاه لابيه وامه ليرققه ويستعطفه وقيل كان اخاه لامه دون ابيه إِنَّ الْقَوْمَ
اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي ازالة لتوهم التقصير في حقه والمعنى بذلت وسعي
في كفهم حتى قهروني واستضعفوني وقاربوا قتلي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ فلا تفعل
بي ما يشمتون بي لاجله وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ معدودا في عدادهم بالمواخذة
او نسبة التقصير قَالَ موسى عليه السلام لما تبين له عذر اخيه رَبِّ اغْفِرْ لِي ما صنعت
الى اخي وَلِأَخِي ان كان منه تقصير في الانكار على عبدة العجل وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ بمزيد
الانعام علينا وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فانت ارحم بنا منا على انفسنا إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا
الْعِجْلَ الها سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وهو ما امرهم به من قتل انفسهم وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وهي خروجهم من ديارهم قال ابن عباس هو الجزية وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ الكاذبين
قال ابو قلابة هو والله جزاء كل مفتر الى يوم القيمة ان يذله الله قال ابو سفين بن عيينة
هذا في كل مبتدع الى يوم القيمة وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ من الكفر و المعاصي ثُمَّ تَابُوا مِنْ
بَعْدِهَا من بعد السيئات وَآمَنُوا واستعملوا بالايمان و ما هو مقتضاه من الاعمال الصالحة
إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا من بعد التوبة لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وان عظم الذنب كجريمة عبدة العجل
وكثر جرائم بني اسرايل وَلَمَّا سَكَتَ سكن وقد قرئ به عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ باعتذار هرون
او بتوبتهم أَخَذَ الْأَلْوَاحَ التي كان القاها وقد ذهب ستة اسباعها وَفِي نُسْخَتِهَا اختلفوا
فيه قيل اراد بها الالواح لانها نسخت من اللوح المحفوظ وقيل ان موسى عليه السلام لما
القى الالواح تكسرت فنسخ منها نسخة اخرى فهو المراد من قوله وفي نسختها قال ابن عباس
وعمرو بن دينار لما القى موسى الالواح فتكسرت صام اربعين يوما فردت عليه في لوحين
وكان فيه هُدًى وَرَحْمَةٌ اى هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ
يَرْهَبُونَ اى للخايفين من ربهم وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ اى من قومه سَبْعِينَ رَجُلًا
لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قال السدى امر الله تعالى موسى عليه السلام ان ياتيه
في ناس من بني اسرايل يعتذرون اليه من عبادة العجل فاختار موسى من قومه سبعين

الدُّنْيَا

فلما اتوا ذلك المكان ٣

رجلا قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وقال غيره فلما دنوا من
الجبل غشيهم غمام فدخل موسى بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوه تكلم موسى يامره وينهاه ثم
انكشف الغمام فاقبلوا اليه و قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتهم الرجفة اى الصاعقة
وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان السبعين الذين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فاخذتهم الصاعقة كانوا قبل السبعين الذين اخذتهم الرجفة وانما امر الله سبحانه وتعالى
موسى عليه السلام ان يختار من قومه سبعين رجلا فاختارهم وبرزهم ليدعوا
ربهم وكان فيما دعوا ان قالوا اللهم اعطنا ما لم تعطه احدا قبلنا ولا تعطيه احدا بعدنا
فكره الله تعالى ذلك من دعائهم فاخذتهم الرجفة قال وهب لم تكن تلك الرجفة موتا
ولكن القوم لما راوا تلك الهيبة اخذتهم الرعدة وقلقوا ورجفوا حتى كادت ان
تبين مفاصلهم فلما راى موسى عليه السلام ذلك رحمهم وخاف عليهم الموت واشتد عليه
فقدهم وكانوا له وزراء على الخير سامعين مطيعين فعند ذلك دعا وبكى وناشد ربه
تبارك وتعالى فكشف الله عنهم تلك الرجفة فاطمانوا وسمعوا كلام ربهم فذلك قوله عز وجل
قَالَ يعني موسى عليه السلام رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ يعني عبدة العجل مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ
تمني بهلاكهم وهلاكه قبل ان يرى ما راى اويعني انك قدرت على اهلاكهم قبل خروجهم
على اهلاكهم وباغراقهم في البحر وغيرهما فرحمت عليهم بالانعاد منها وان رحمت عليهم مرة اخرى
لم يبعد من عميم احسانك أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا من العناد و التجاسر على الطلب
وكان ذلك قاله بعضهم قال المبرد قوله تعالى اتهلكنا بما فعل السفهاء منا استفهام استعطاف
اى لا تهلكنا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ اى التي وقع فيها السفهاء لم تكن الا اختبارك وابتلاءك
اضللت بها قوما فافتتنوا وهديت قوما فعصمتهم حتى ثبتوا على دينك فذلك معنى قوله
تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ ضلاله بالتجاوز عن حده او باتباع المخايل وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ
هداه فتقوى بها ايمانه أَنْتَ وَلِيُّنَا القائم بامرنا فَاغْفِرْ لَنَا بمغفرة ما قارفنا وَارْحَمْنَا
وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ تغفر السيئة وتبدلها بالحسنة وَاكْتُبْ لَنَا اوجب فِي هَذِهِ
الدُّنْيَا حَسَنَةً النعم والعافية وتوفيق الطاعة وَفِي الْآخِرَةِ حسنة اى المغفرة والجنة
إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ اى تبنا اليك قَالَ الله تعالى عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ بعذبه من خلقي
وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ عمت كُلَّ شَيْءٍ قال الحسن وقتادة وسعت رحمته في الدنيا البر والفاجر
وهي يوم القيمة للمتقين خاصة قال ابن عباس وقتادة وابن جريج لما نزلت ورحمتي وسعت
كل شيء قال ابليس انا من ذلك الشيء فقال الله سبحانه وتعالى فَسَأَكْتُبُهَا فِي الْآخِرَةِ لِلَّذِينَ

يَتَّقُونَ الكفر والمعاصي وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ خصها بالذكر لاناقتها او لانها كانت اشق عليهم
وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ فلا يكفرون بشيء منها الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ
الْأُمِّيَّ سماه رسولا بالاضافة الى الله تعالى ونبيا بالاضافة الى العباد و الامي الذى لا يكتب
ولا يقرأ وصفه به تنبيها على ان كمال علمه مع حاله احدى معجزاته قال ابن عباس رضي الله عنهما
هو نبيكم كان اميا لا يكتب ولا يقرء ولا يحسب وقال النبي صلى الله عليه وسلم انا امة امية
لا نكتب ولا نحسب وهو منسوب الى الام اى هو على ما ولدته امه وقيل هو منسوب الى
ام القرى وهو مكة الَّذِي يَجِدُونَهُ اى يجدون صفته ونعته مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ
وَالْإِنْجِيلِ عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص قلت اخبرني عن
صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التورية قال اجل والله لموصوف في التورية ببعض
صفته في القران يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين
انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق و
لا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء
بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وعن عبد الله بن
عمرو عن كعب قال اني اجد في التورية مكتوبا محمد رسول الله لا فظ ولا غليظ و
لا سخاب في الاسواق ولا يجزي السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح امته الحمادون
يحمدون الله تعالى في كل منزل ويكبرونه على كل نجد ياتزرون على انصافهم ويوضؤن
اطرافهم صفهم في الصلوة وصفهم في القتال سواء مناديهم ينادي في جو السماء في جوف
الليل لهم دوي كدوي النحل مولده بمكة ومهاجره بطابة وملكه بالشام يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ
الشريعة والسنة وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ما لا يعرف في شريعة ولا سنة وقال عطاء يامرهم
بالمعروف بخلع الانداد ومكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهيهم عن المنكر عن عبادة
الاوثان وقطع الارحام وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ما حرم عليهم كالشحوم وما كانوا يحرمونه
في الجاهلية من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ يعني الميتة
والدم ولحم الخنزير والربا والرشوة وغيرها من المحرمات وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ
والاصر كل ما يثقل على الانسان من قول او فعل قال ابن عباس و الحسن و
الضحاك والسدي ومجاهد يعني العهد الثقيل كان اخذ على بني اسرايل بالعمل بما
في التورية وقال قتادة يعني التشديد الذى كان عليهم في الدين وَالْأَغْلَالَ يعني
الاثقال الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ وذلك مثل قتل النفس في التوبة وقطع الاعضاء الخاطية

اى بشرف

وقرض النجاسة عن الثوب بالمقراض وتعيين القصاص في القتل وتحريم اخذ الدية وترك العمل في السبت وان صلوتهم لا تجوز الا في الكنايس وغير ذلك من الشدايد شبهت بالاغلال التي تجمع اليد الى العنق فالذين آمنوا به محمد صلى الله عليه وسلم وعزروه وعظموه بالتقوية ونصروه على الاعداء واتبعوا النور الذي انزل معه يعني القرآن وانما سمي نورا لانه باعجازه ظاهر امره مظهر لغيره او لانه كاشف الحقايق مظهر لها وقد يقال معناه واتبعوا النور المنزل مع اتباع النبي فيكون اشارة الى اتباع الكتاب والسنة اولئك هم المفلحون الفائزون بالرحمة الابدية قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم الخطاب عام وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مبعوثا الى كافة الثقلين وساير الرسل الى اقوامهم جميعا حال من اليكم الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو فان من ملك العالم كان هو الاله لا غيره وفي يحيي ويميت مزيد تقرير لاختصاصه تعالى بالالوهية فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته ما انزل عليه وعلى ساير الرسل من كتبه ووحيه واتبعوه لعلكم تهتدون جعل رجاء الاهتداء اثر الامرين تنبيها على ان من صدقه عليه السلام ولم يتابعه بالتزام شرعه فهو بعد في خطط الضلالة ومن قوم موسى امة يعني من بني اسرائيل امة اي جماعة يهدون بالحق يهدون الناس بكلمة الحق وبه وبالحق يعدلون بينهم في الحكم قال الكلبي والضحاك والربيع هم قوم خلف الصين باقصى الشرق على نهر يجري الرمل يسمى نهر اوداق ليس لاحد منهم مال دون صاحبه يمطرون بالليل ويصحون بالنهار ويزرعون لا يصل اليهم منا احد وهم على الحق وذكر ان جبريل ذهب بالنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به فقالوا يا رسول الله ان موسى اوصانا ان من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام فرد النبي صلى الله عليه وسلم على موسى عليه السلام ثم اقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة وامرهم بالصلوة والزكوة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وقيل هم الذين اسلموا من اليهود وقطعناهم اي فرقناهم يعني بني اسرائيل اثنتي عشرة اسباطا جمع سبط وهو القبيلة امما بدل من اثنتي عشرة اسباطا واوحينا الى موسى اذ استسقيه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي فضرب فانبجست منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين قد علم كل اناس سبط مشربهم وكل سبط سواه واحد وظللنا عليهم الغمام في التيه تقيهم حر الشمس وانزلنا عليهم المن

والسلوى

والسلوى كلوا اي قلنا لهم كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون سبق في سورة البقرة واذ قيل واذكر اذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا مثل ما في البقرة معنى غير ان قوله فكلوا فيها بالفاء افاد تسبب سكناهم للاكل منها ولم يتعرض له ههنا اكتفاء بذكره ثمة او بدلالة الحال عليه واما تقديم قولوا على وادخلوا فلا اثر له في المعنى لانه لا يوجب الترتيب نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين وعد بالغفران والزيادة عليه بالاثابة وانما اخرج الثاني مخرج الاستيناف للدلالة على انه تفضل محض ليس في مقابلة ما امروا به فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون مضى تفسيرها واسألهم للتقرير والتقريع بقديم كفرهم وعصيانهم وان اصرارهم بالكفر غير مختص بالمصطفى صلى الله عليه وسلم والاعلام بما هو من علومهم التي لا تعلم الا بتعلم او وحي ليكون لك معجزة عليهم عن القرية عن خبرها او ما وقع باهلها التي كانت حاضرة البحر قريبة منه قال ابن عباس هي قرية يقال لها ايلة بين مدين والطور على شاطئ البحر وقال الزهري هي طبرية الشام اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت واذ بدل اشتمال من المضاف الى القرية الذي حذف اذ تأتيهم حيتانهم ظرف ليعدون يوم سبتهم يوم تعظيمهم امر السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بالتجرد للعبادة شرعا اي ظاهرة على الماء كبش جمع شارع من شرع اذا دنا واشرف في القصة انها كانت تأتيهم يوم السبت مثل الكباش السمان البيض ويوم لا يسبتون لا يعظمون السبت لا تأتيهم كذلك نبلوهم نختبرهم بما كانوا يفسقون مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم فوسوس اليهم الشيطان وقال ان الله لم ينهكم عن الاصطياد انما نهاكم عن الاكل فاصطادوا وقيل وسوس اليهم انكم انما نهيتم عن الاخذ فاتخذوا حياضا على شط البحر يسوقون الحيتان اليها يوم السبت ثم يأخذونها يوم الاحد ففعلوا ذلك زمانا ثم تجرؤا على السبت وقالوا ما نرى السبت الا قد احل لنا فاخذوا واكلوا وباعوا واذ قالت معطوف على اذ يعدون امة منهم جماعة من اهل القرية يعني صلحائهم الذين اجتهدوا في موعظتهم حتى ايسوا من اتعاظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم مخترمهم او معذبهم عذابا شديدا في الآخرة لتماديهم في العصيان قالوه مبالغة في ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى ربكم جواب للسؤال اي موعظتنا انهاء عذر الى الله حتى لا ننسب الى تفريط في النهي عن المنكر ولعلهم يتقون اذ اليأس

لا يحصل الا بالهلاك فلما نسوا تركوا ترك الناسي ما ذكروا به ما ذكرهم به صلحاؤهم انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بالاعتداء ومخالفة امر الله بعذاب بئيس شديد وجيع من البأس وهو الشدة بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم قال ابن عباس رضي الله عنهما اسمع الله يقول انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس فما ادري ما فعلت الفرقة الساكتة قال عكرمة قلت له جعلني الله فداك الا تراهم قد انكروا وكرهوا ما هم عليه وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم وان لم يقل انجيتهم لم يقل اهلكتهم فاعجبه قولي فرضي وامر لي ببردين فكسانيهما وقال نجت الفرقة الساكتة وقال يمان بن رئاب نجت الطائفتان الذين قالوا لم تعظون قوما والذين قالوا معذرة الى ربكم واهلك الذين اخذوا الحيتان وهذا قول الحسن وقال ابن زيد نجت الناهية وهلكت الفرقتان فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا عن ترك ما نهوا عنه قال ابن عباس ابوا ان يرجعوا عن المعصية قلنا لهم كونوا قردة خاسئين فمكثوا ثلثة ايام ينظر اليهم الناس ثم هلكوا فصار اهل القرية اثلاثا وكانوا نحوا من سبعين الفا ثلث نهوا وثلث لم ينهوا وسكتوا وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال الناهون لا نساكنكم في قرية واحدة فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود فاصبح الناهون ذات يوم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان لهم لشأنا لعل الخمر غلبتهم فعلوا على الجدار فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم وعرفت القردة انسابها من الانس ولم تعرف الانس انسابها من القرود فجعلت القرود تأتي انسابها من الانس فتشم ثيابه وتبكي فيقول الم ننهكم فتقول برأسها نعم فما نجا الا الذين نهوا وهلك سايرهم واذ تأذن ربك اي آذن واعلم ربك يقال تأذن وآذن مثل توعد واوعد قال ابن عباس رضي الله عنهما تأذن ربك قال ربك وقال عطاء حكم ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة والمعنى واذ اوجب ربك على نفسه ليسلطن على اليهود من يسومهم سوء العذاب كالاذلال وضرب الجزية بعث الله عليهم بعد سليمان عليه السلام بخت نصر فخرب ديارهم وقتل مقاتليهم وسبى نساءهم وذراريهم وضرب الجزية على من بقي منهم وكانوا يؤدونها الى المجوس حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ففعل بهم ما فعل ثم ضرب الجزية عليهم فلا تزال مضروبة الى اخر الدهر ان ربك لسريع العقاب عاقبهم في الدنيا وانه لغفور رحيم لمن تاب وآمن

وقطعناهم

وقطعناهم فرقناهم في الارض امما فرقا فرقهم فتشتت امرهم ولم يجتمع لهم كلمة منهم الصالحون قال ابن عباس ومجاهد يريد الذين ادركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآمنوا به ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك اي منحطون عن الصلاح وهم كفرتهم وفسقتهم وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فيرجعون عما كانوا عليه فخلف من بعدهم اي جاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم خلف والخلف القرن الذي يجيء بعد قرن الواحد والجمع فيه سواء قال ابن الاعرابي الخلف بالفتح الصالح وبالجزم الطالح وقال محمد بن جرير اكثر ما جاء في المدح بالفتح وفي الذم بالسكون وقد تحرك اللام في الذم ويسكن في المدح ورثوا الكتاب التورية من اسلافهم يقرؤنها ويقفون على ما فيها يأخذون عرض هذا الادنى فالعرض متاع الدنيا والعرض بسكون الراء ما كان من الاموال سوى الدراهم والدنانير والمراد بالادنى العالم الادنى وهو هذه الدار الفانية من الدنو او الدناءة يذكر الدنيا فهؤلاء اليهود ورثوا التورية فقرؤها وضيعوا العمل بما فيها وخالفوا حكمها يرتشون في حكم الله وتبديل كلماته ويقولون سيغفر لنا ذنوبنا يتمنون على الله عن شداد بن اوس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وان يأتهم عرض مثله يأخذوه اي يرجون المغفرة مصرين على الذنب عايدين الى مثله غير تائبين عنه قال السدي كانت بنو اسرائيل لا يستقضون قاضيا الا ارتشى في الحكم فيقال له ما لك ترتشي فيقول سيغفر لي فيطعن عليه الآخرون فاذا مات او نزع وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه فيرتشي ايضا يقول وان يأت الآخرين عرض مثله يأخذوه الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لا يقولوا على الله الا الحق اي اخذ عليهم العهد في التورية ان لا يقولوا على الله الباطل والمراد توبيخهم على البت بالمغفرة مع عدم التوبة والدلالة على انه افتراء على الله وخروج عن ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه قرؤا ما فيه فهم ذاكرون لذلك ودرس الكتاب قراءته وتدبره مرة بعد اخرى والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا تعقلون فتعلموا ذلك ولا تستبدلوا الادنى الدني والمؤدي الى العقاب بالنعيم المخلد والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة قال مجاهد هم المؤمنون من اهل الكتاب عبد الله بن سلام واصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام فلم يحرفوه ولم يكتموه ولم يتخذوه مأكلة وقال عطاء هم امة محمد صلى الله عليه وسلم انا لا نضيع اجر

المصلحين التعليل اجرهم فوضع الظاهر موضع الضمير تنبيها على ان الاصلاح كالمانع من التضييع واذ نتقنا الجبل فوقهم اى قلعناه ورفعناه كانه ظلة قال بن عطاء سقيفة والظلة ما اظلك وظنوا انه وتيقنوا انه واقع بهم ساقط عليهم لان الجبل لا يثبت فى الجو ولانهم كانوا يوعدون به وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التورية لثقلها فرفع الله الطور فوقهم وقيل ان قبلتم ما فيها والا ليقعن عليكم خذوا على اضمار القول اى قلنا خذوا ما اتيناكم من الكتاب بقوة بجد وعزم على تحمل مشاقه واذكروا ما فيه بالعمل به ولا تتركوه كالمنسى لعلكم تتقون قبائح الاعمال ورذائل الاخلاق ثم لما شرح قصة موسى عليه السلام ذكر ما يجري مجري تقرير الحجة على جميع المكلفين فقال واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم اى اخرج من اصلابهم نسلهم على ما يتوالدون قرنا بعد قرن ومن ظهورهم بدل من بنى آدم بدل البعض واشهدهم على انفسهم الست بربكم اى ونصب لهم دلائل ربوبيته وركب فى عقولهم ما يدعوهم الى الاقرار بها حتى صاروا بمنزلة من قيل لهم الست بربكم قالوا بلى فنزل تمكينهم من العلم بها وتمكنهم منه منزلة الاشهاد والاعتراف على طريقة التمثيل ويدل عليه قوله تعالى قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيمة اى كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين لم ننبه بدليل او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لان التقليد عند قيام الدليل والتمكن من العلم به لا يصلح عذرا افتهلكنا بما فعل المبطلون يعنى اباءهم المبطلين بتاسيس الشرك والمقصود من ايراد هذا الكلام ههنا الزام اليهود مقتضى الميثاق العام بعد ما الزمهم بالميثاق المخصوص والاحتجاج عليهم بالحجج السمعية والعقلية ومنعهم عن التقليد وحملهم على النظر والاستدلال كما قال وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون عن التقليد واتباع الباطل هذا تقرير القاضى وملخص ما فى الكشاف عن مسلم بن يسار الجهنى ان عمر بن الخطاب سئل عن هذه الاية واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم الآية قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذريته فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون فقال رجل ففيم العمل يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل اهل الجنة فيدخله به الجنة واذا خلق العبد للنار

استعمله

استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من اعمال اهل النار فيدخله به النار قال ابو عيسى هذا حديث حسن ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر وقد ذكر بعضهم فى هذا الاسناد بين مسلم بن يسار وعمر رجلا قال مقاتل وغيره من اهل التفسير ان الله مسح صفحة ظهر آدم عليه السلام اليمنى فاخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء فى الجنة برحمتى وهم اصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء في النار ولا ابالى وهم اصحاب الشمال ثم اعادهم جميعا في صلبه فاهل القبور محبوسون حتى يخرج اهل الميثاق كلهم من اصلاب الرجال وارحام النساء واختلفوا فى موضع الميثاق قال ابن عباس ببطن نعمان واد الى جنب عرفة وروي عنه ايضا انه بدهناء من ارض الهند وهو الموضع الذى هبط آدم عليه السلام وقال الكلبى بين مكة والطايف وقال السدى اخرج الله تعالى آدم عليه السلام من الجنة ولم يهبط من السماء ثم مسح ظهره فاخرج ذريته وروى ان الله تعالى اخرجهم جميعا وصورهم وجعل لهم عقولا يعلمون بها والسنا ينطقون بها ثم كلمهم قبلا يعنى عيانا فقال الست بربكم وروى ان الله تعالى قال لهم جميعا اعلموا انه لا اله غيري وانا ربكم لا رب لكم غيري فلا تشركوا بي شيئا فانى سانتقم ممن اشرك بي ولم يومن بي وانى مرسل اليكم رسلا تذكرونكم عهدي وميثاقي ومنزل كتبا فتكلموا جميعا وقالوا جميعا شهدنا انك ربنا والهنا لا رب لنا غيرك فاخذ بذلك مواثيقهم ثم كتب آجالهم وارزاقهم ومصايبهم فنظر اليهم آدم فرآى منهم الغنى والفقير وحسن الصورة ودون ذلك فقال لولا سويت بينهم فقال انى احب ان اشكر فلما قررهم بتوحيده واشهد بعضهم علي بعض اعادهم الى صلبه فلا تقوم الساعة حتى يولد كل من اخذ ميثاقه واتل عليهم على اليهود نبا الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها واعرض عنها واختلفوا فيه فقال ابن عباس هو بلعم بن باعورا قال عطية عن ابن عباس كان من بنى اسرائيل وروى على بن ابى طلحة عنه انه كان من الكنعانيين من مدينة الجبارين وقال مقاتل من مدينة بلقا وكانت قصته على ما ذكره ابن عباس وابن اسحق والسدى وغيرهم ان موسي عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل ارض بنى كنعان من ارض الشام اتى قوم بلعم الى بلعم وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا ان موسي عليه السلام رجل حديد ومعه جنود كثيرة فانه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويحلها بنى اسرائيل وانت رجل مجاب الدعوة فاخرج وادع الله ان يردهم عنا فقال ويلكم نبى الله ومعه الملائكة والمومنون كيف ادعو عليهم وانا اعلم من الله ما اعلم

وانى ان فعلت هذا ذهب دنياي وآخرتى فراجعوه والحوا عليه فقال حتى اوامر ربي تبارك وتعالى وكان لا يدعو حتى ينظر ما يومر به فى المنام فوامر فى الدعاء عليهم فقيل له فى المنام لا تدع عليهم فقال لقومه انى قد وامرت ربي وانى قد نهيت فاهدوا له هدية فقبلها ثم راجعوه فقال حتى اوامر ربي فوامر فلم يجئ اليه شئ فقال قد وامرت فلم يجئ الى شئ فقالوا لو كره ربك ان تدعو عليهم لنهاك كما نهاك فى المرة الاولى فلم يزالوا يتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فركب اتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بنى اسرائيل يقال له حسبان فلما سار عليها غير كثير ربضت به فنزل عنها فضربها حتى اذا اذلقها قامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت ففعل بها مثل ذلك وقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت فضربها حتى اذا اذلقها اذن الله لها بالكلام وكلمته حجة عليه فقالت ويحك يا بلعم اين تذهب الا ترى الملائكة امامى تردنى عن وجهى هذا تذهب الى نبي الله والمومنين تدعو عليهم فلم ينزع فخلي الله سبيلها فانطلقت حتى اذا اشرفت على جبل حسبان جعل يدعو عليهم ولا يدعو عليهم بشر الا صرف به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف لسانه الى بنى اسرائيل فقال قومه يا بلعم اتدرى ما تصنع انما تدعو لهم وعلينا قال فهذا ما لا املك هذا شئ قد غلب الله عليه واندلع لسانه فوقع على صدره فقال لهم قد ذهب الآن منى الدنيا والآخرة فلم يبق الا المكر والحيلة فسامكر لكم واحتال جملوا النساء وزينوهن واعطوهن السلع ثم ارسلوهن الي العسكر يبعنها فيه ومروهن لا تمنع امراة نفسها من رجل ارادها فانهم ان زنا رجل واحد منهم كفيتموهم ففعلوا فلما دخل النساء العسكر مرت امراة من الكنعانيين اسمها كشتى بنت صور برجل من عظماء بنى اسرائيل يقال له زمرى بن شلوم راس سبط شمعون بن يعقوب فقام اليها فاخذ بيدها حين اعجبه جمالها ثم اقبل بها حتى وقف بها على موسى عليه السلام فقال انى اظنك ستقول هذه حرام عليك قال اجل هى حرام عليك لا تقربها قال فوالله لا اطيعك فى هذا ثم دخل بها قبته فوقع عليها فارسل الله تعالي الطاعون على بنى اسرائيل فى الوقت وكان فنحاص بن العيزار بن هرون صاحب امر موسى وكان رجلا قد اعطى بسطة فى الخلق وقوة فى البطش وكان غايبا حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع فجاء والطاعون يحوس بنى اسرائيل فاخبر الخبر فاخذ حربته وكانت من حديد كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما بحربته ثم خرج بهما رافعهما الى السماء والحربة قد اخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته واسند الحربة الى لحييه وكان بكرا للعيزار وجعل يقول

اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك ورفع الطاعون فحسب من هلك من بنى اسرائيل في الطاعون فيما بين ان اصاب زمرى المراة الى ان قتله فنحاص فوجدوه قد هلك منهم سبعون الفا فى ساعة من النهار فمن هنالك يعطي بنو اسرائيل ولد فنحاص من كل ذبيحة ذبحوها القبة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته واخذه اياها بذراعه واسناده اياها الى لحييه والبكر من كل اموالهم وانفسهم لانه كان بكرا للعيزار وقال عبد الله بن عمرو بن العاص وسعيد بن المسيب وزيد بن اسلم نزلت فى امية بن ابى الصلت الثقفى كان قد قرا الكتب وعلم ان الله تعالى مرسل رسولا فى ذلك الزمان ورجا ان هو فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حسده وكفر به وفى رواية عن ابن عباس انها نزلت في البسوس رجل من بنى اسرائيل وكان قد اعطى له ثلث دعوات مستجابات وكانت له امراة له منها ولد فقالت اجعلنى منها دعوة فقال لك منها واحدة فما تريدين قالت ادع الله ان يجعلنى اجمل امراة فى بنى اسرائيل فدعا لها فجعلت اجمل النساء فى بنى اسرائيل فلما علمت انه ليس فيهم مثلها رغبت عنه فغضب الزوج ودعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهبت فيها دعوتان فجاء بنوها وقالوا ليس لنا على هذا قرار قد صارت امنا كلبة نباحة والناس يعيروننا بها ادع الله ان يردها الى الحال التى كانت عليها فدعا الله فعادت كما كانت فذهبت فيها الدعوات كلها وقال الحسن وابن كيسان نزلت فى منافقى اهل الكتاب الذين كانوا يعرفون النبى صلى الله عليه وسلم كما يعرفون ابناءهم فاتبعه الشيطان اى لحقه وادركه وقيل استتبعه فكان من الغاوين فصار من الضالين ولو شئنا لرفعناه الى منازل الابرار من العلماء بها بسبب تلك الايات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا او الى السفالة واتبع هواه فى ايثار الدنيا واسترضا قومه قال عطاء اراد الدنيا واطاع شيطانه وهذه اشد آية على العلماء وذلك ان الله تعالى اخبر انه آتاه اياته من اسمه الاعظم والدعوات المستجابة والعلم والحكمة فاستوجب بالسكون الى الدنيا واتباع الهوي تغيير النعمة عليه والانسلاخ عنها ومن الذى يسلم من هاتين الخلتين الا من عصمه الله عز وجل عن مالك الانصارى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذيبان جايعان ارسلا فى غنم بافسد لها من حرص المال والشرف لدينه فمثله فصفته التى هى مثل فى الخسة كمثل الكلب كصفة الكلب فى اخس احواله وهو ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اى يلهث دائما سواء حمل عليه بالزجر والطرد او ترك ولم يتعرض له بخلاف ساير الحيوانات لضعف فواده واللهث ادلاع اللسان من النفس الشديد ذلك مثل القوم الذين كذبوا باياتنا

فاقصص القصص لعلهم يتفكرون تفكرا يودي بهم الى الاتعاظ ساء مثلا القوم
الذين اي مثل القوم الذين كذبوا باياتنا بعد علمهم بها وقيام الحجة عليها وانفسهم كانوا
يظلمون من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون تصريح
بان الهدي والضلال من اسه تعالى وان هداية اسه تعالى مختص ببعض دون بعض
والافراد في الاخبار عمن هداه اسه بالمهتد تعظيم لشان الاهتداء وتنبيه على انه
في نفسه كمال جسيم ونفع عظيم لو لم يحصل له غيره لكفاه وانه المستلزم للفوز بالنعم الاجله
والعقوبات لها ولقد ذرانا خلقنا لجهنم كثيرا من الجن والانس اخبر اسه تعالى انه
خلق كثيرا من الجن والانس للنار وهم الذين حقت عليهم الكلمة الازليه بالشقاوة
ومن خلقه اسه لجهنم فلا حيله له في الخلاص منها لهم قلوب لا يفقهون بها لا يلقونها
الي معرفة الحق والنظر في دلايله ولهم اعين لا يبصرون بها لا ينظرون الى ما
خلق اسه تعالى نظر اعتبار ولهم اذان لا يسمعون بها الايات والمواعظ سماع
تامل وتذكر اولئك كالانعام في ان همتهم في الاكل والتمتع بالشهوات بل هم اضل
لان الانعام تميز بين المضار والمنافع فلا تقدم على المضار وهولاء يقدمون على النار
معاندة مع العلم بالهلاك اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة ثم لما وصف المخلوقين
لجهنم امر بعده بذكر اسه تعالى فقال ولله الاسماء الحسني فادعوه بها تنبيها على ان
الموجب لعذاب جهنم هو الغفلة عن ذكر اسه تعالى وارباب المشاهدة يجدون من ارواحهم
ان الامر كذلك فان القلب اذا اغفل عن ذكر اسه واقبل على الدنيا وقع في نار الحرص
وزمهرير الحرمان ولا يزال ينتقل من رغبة الي رغبة ومن ظلمة الى ظلمة فاذا انفتح على
قلبه باب ذكر اسه تخلص عن جميع ذلك واستسعد بمعرفة اسه قال مقاتل ان رجلا دعا اسه
في صلوته ودعا الرحمن فقال بعض مشركي مكه ان محمدا واصحابه يعبدون ربا واحدا
فما هذا يدعوا اثنين فانزل اسه عز وجل ولله الاسماء الحسني فادعوه بها فالحسني تانيث
الاحسن كالكبري والصغرى عن ابى هريرة رضي اسه عنه قال ان لله تسعة وتسعين اسما
مائة الا واحدة من احصاها دخل الجنة انه وتر يحب الوتر وذروا الذين يلحدون
في اسمائه قال ابن السكيت الالحاد هو العدول عن الحق وادخال ما ليس منه فيه يقال
الحد في الدين ولحد وبه قراه حمزة والذين يلحدون في اسمائه هم المشركون عدلوا
باسماء اسه عما هي عليه فسموا بها اوثانهم فزادوا ونقصوا فاشتقوا اللات من اسه والعزي
من العزيز ومناة من المنان قاله ابن عباس رضي اسه عنهما وقيل معناه لا تبالوا بانكارهم

والخلاص عنه ذكر اسه سار ٣

قال رسول اسه صلى اسه عليه وسلم ٣

ما سمي به نفسه لقولهم ما نعرف الرحمن اليمامه سيجزون ما كانوا يعملون في الارض و
ممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون قال عطاء عن بن عباس يريد امة محمد
صلى اسه عليه وسلم وهم المهاجرون والانصار والتابعون باحسان قال قتادة بلغنا ان
النبي صلى اسه عليه وسلم اذا قرا هذه الايه قال هذه لكم وقد اعطي القوم بين يديكم مثلها ومن
قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون عن عمير بن هانى انه سمع معوية سمعت رسول اسه
صلى اسه عليه وسلم يقول لا يزال من امتي امة قائمة بامر اسه لا يضرهم من خذلهم ولا من
خالفهم حتى ياتي امر اسه وهم على ذلك قال الكلبي هم من جميع الخلق والذين كذبوا باياتنا
سنستدرجهم من حيث لا يعلمون سندنيهم الى الهلاك قليلا قليلا واصل الاستدراج
الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة قال عطاء سنمكر بهم من حيث لا يعلمون
قال الكلبي نزين لهم اعمالهم فنهلكهم وقال الضحاك كلما جددوا معصيه جددنا لهم نعمة قال
سفين نسبغ عليهم النعمة وننسيهم الشكر واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم مدة عمرهم ليتمادوا
في المعاصي ان كيدي متين قال ابن عباس ان مكري شديد ثم لما بالغ في تهديد المعرضين
عن اياته عاد الى الجواب عن شبهاتها فقال اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة قال قتادة
ذكر لنا ان نبي اسه صلى اسه عليه وسلم خرج فاقام على الصفا ليلا فجعل يدعو قريشا فخذا
فخذا يا بني فلان يا بني فلان يحذرهم باس اسه ووقايعه فقال قايلهم ان صاحبكم
هذا المجنون بات يصوت الى الصباح فانزل اسه تعالى اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة
ان هو الا نذير مبين موضح انذاره بحيث لا يخفي على باطن اولم ينظروا
نظر استدلال في ملكوت السموات والارض وما خلق اسه من شئ اي وينظروا الى
ما خلق اسه فيهما مما يقع عليه اسم الشئ من الاجناس التي لا يمكن حصرها ليدلهم على كمال
قدرة صانعها ووحدة مبدعها وعظم شان مالكها ومتولي امرها ليظهر لهم صحة ما يدعوهم
اليه وان عسي ان يكون قد اقترب اجلهم عطف على ملكوت والمعني اولم ينظروا
في اقتراب اجالهم فيبادروا الى طلب الحق والتوجه الي ما ينجيهم قبل مجئ الموت ونزول
العذاب فباي حديث بعده بعد القران يؤمنون اذا لم يومنوا به وهو النهايه في البيان
وليس بعده نبي ولا كتاب ثم ذكر علة اعراضهم عن الايمان فقال من يضلل اسه فلا هادي
له ويذرهم في طغيانهم يعمهون يترددون متحيرين ثم لما تكلم في التوحيد والنبوة
والقضاء والقدر اتبعه بالكلام في المعاد لان المطالب الكليه في القران هذه الاربعه
فقال يسالونك عن الساعة ايان مرسيها قال قتادة قالت قريش لرسول اسه صلى اسه

يقول ٣

عليه وسلم ان بيننا وبينك قرابه فاسر الينا متى الساعة فانزل اسه تعالى يسالونك
عن الساعة يعني القيمه ايان متى مرسيها قال قتادة قيامها واصله الثبات اي اصله الرسو
وهو الثبات والاستقرار فالارساء الاثبات فمرساها اي مثبتها او اثباتها قل انما علمها
عند ربي استاثر بعلمها ولا يعلمها الا هو لا يجليها لوقتها لا يظهرها في وقتها الا هو
والمعنى ان الخفاء بها مستمر على غيره الى وقت وقوعها ثقلت في السموات والارض
ثقل علمها وخفي وكل خفي ثقيل قال الحسن يقول اذا جاءت ثقلت وعظمت على اهل
السموات والارض قال القاضي وكانه اشارة الى الحكمة في اخفاءها لا تاتيكم الا بغتة
فجاة على غفلة عن ابي هريرة ان رسول اسه صلى اسه عليه وسلم قال ليقومن الساعة
وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه وليقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي
فيه وليقومن الساعة وقد رفع اكلته الى فيه فلا يطعمها يسالونك كانك حفي عنها عالم
بها من حفي عن الشئ اذا سال عنه فان من بالغ في السوال عن الشئ والبحث عنه استحكم
علمه فيه قل انما علمها عند اسه كرره لتكرير يسالونك لما نيط به من هذه الزيادة ومن المبالغة
ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان علمها عند اسه لم يوته احدا من خلقه قل لا املك لنفسي
نفعا ولا ضرا اجلب نفع ولا دفع ضر وهو اظهار للعبوديه والتبري عن ادعاء العلم بالغيوب
الا ما شاء اسه من ذلك فيلهمني اياه ويوفقني له قال بن عباس ان اهل مكه قالوا يا محمد
الا تخبرك بالسعر الرخيص قبل ان يغلو فنشتريه ونربح فيه عند الغلاء وبالارض
التي تريد ان تجدب فنرحل منها الى ما اخصبت فانزل اسه تعالى قل لا املك لنفسي الايه
ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ولو كنت اعلم لخالفت
حالي ما هي عليه من استكثار المنافع واجتناب المضار حتى لا يمسني سوء ان انا الا نذير
وبشير وما انا الا عبد مرسل للانذار والبشارة لقوم يومنون فانهم المنتفعون
بهما هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني من ادم عليه السلام وجعل وخلق
منها زوجها يعني حواء ليسكن اليها ليانس بها ويطمين اليها اطمينان الشئ الي
جزءه او جنسه فلما تغشيها واقعها حملت حملا خفيفا وهو ما تحمل المراة من النطفه
يكون خفيفا عليها فمرت به اي استمرت به وقامت وقعدت به ولم يثقلها فلما اثقلت
اي كبر الولد في بطنها وصارت ذات ثقل بحملها ودنت ولادتها دعوا اسه ربهما
يعني ادم وحواء لئن اتيتنا يا ربنا صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه لنكونن من الشاكرين
لك على هذه النعمة المجددة قال المفسرون منهم ابن عباس ومجاهد وسعيد بن المسيب

لاط الرجل حوضه اذا مدره بالطين لئلا ينسرب الماء من خصاص الحجارة ١٢ بحري محمد زبير

لما حملت حواء اتاها ابليس في صورة رجل فقال لها ما الذي في بطنك قالت ما ادري
قال اخاف ان يكون بهيمة او كلبا او خنزيرا وما يدريك من اين يخرج امن دبرك
فيقتلك او من فيك او ينشق بطنك فخافت حواء من ذلك وذكرت لادم عليه السلام
فلم يزالا من هم في ذلك ثم عاد اليها فقال اني من اسه بمنزلة فان دعوت اسه ان يجعله
خلقا سويا مثلك ويسهل عليك خروجه تسميه عبد الحارث وكان اسم ابليس في
الملائكة الحارث فذكرت لادم فقال لعله صاحبنا الذي قد علمت فعاودها ابليس
فلم يزل بهما ابليس حتى غرهما فلما ولدت سمياه عبد الحارث وروي عن ابن
عباس قال كانت حواء تلد لادم عليه السلم فتسميه عبد اسه وعبيد اسه وعبد الرحمن
فيصيبهم الموت فاتاهما ابليس فقال ان سركما ان يعيش لكما ولد فسمياه عبد
الحارث فولدت فسمياه عبد الحارث فعاش وجاء في الحديث خدعهما ابليس مرتين
مرة في الجنة ومرة في الارض فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتيهما قرا اهل
المدينه وابو بكر شركا بكسر الشين والتنوين اي شركه قال ابو عبيدة اي حظا ونصيبا
وقرا الاخرون شركاء بضم الشين ممدودا على جمع شريك يعني ابليس فوضع الجمع موضع
الواحد اي جعلا له شريكا اذ سمياه عبد الحارث ولم يكن هذا اشراكا في العبادة ولا
ان الحارث ربهما فان ادم كان نبيا معصوما من الشرك ولكن قصدا الى ان الحارث كان
سبب نجاة الولد وسلامة امه وقد يطلق اسم العبد على من لا يراد به انه مملوك كما
يطلق اسم الرب على من لا يراد انه معبود هذا كالرجل اذا نزل به ضيف يسمي نفسه عبد الضيف
على وجه الخضوع لا على ان الضيف ربه ويقول للغير انا عبدك وقال يوسف عليه السلام
لعزيز مصر انه ربي لم يرد به انه معبوده كذلك هذا وقال بعضهم الخطاب لال قصي
من قريش فانهم خلقوا من قصي وكان له زوج من جنسه عربيه قرشية وطلبا من اسه
الولد فاعطاهما اسه اربعة بنين فسمياهم عبد مناف وعبد شمس وعبد قصي وعبد الدار
فتعالى اسه عما يشركون الضمير في يشركون لهما ولاعقابهما المقتدين بهما فان كان المراد
اشراك اهل مكة فظاهر وان اريد به ما سبق فيستقيم من حيث انه كان الاولي بهما
ان لا يفعلا ما اتيا به من الاشراك في الاسم ايشركون ما لا يخلق شيئا يعني ابليس
والاصنام وهم يخلقون اي هم مخلوقون ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا
انفسهم ينصرون قال الحسن لا يدفعون عن انفسهم مكروه من اراد هم بكسر او نحوه
ثم خاطب المومنين فقال وان تدعوهم الى الهدى اي وان تدعوا المشركين الى الاسلام

لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ الى الدين أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ لا يومنون إِنَّ الَّذِينَ
تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ يعنى الاصنام عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ يريد انها مملوكة مسخرة امثالكم
فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ انما آلهة قال ابن عباس فاعبدوهم
هل يثيبونكم او يجازونكم ان كنتم صادقين ان لكم عندها منفعة ثم بين عجزهم فقال
أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا
أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا اراد ان القدرة المخلوقين يكون بهذه الجوارح والآلات
وليس للاصنام هذه الآلات فانتم مفضلون عليها بالارجل الماشية والايدى الباطشة
والاعين الباصرة والآذان السامعة فكيف يعبدون من انتم افضل واقدر منهم
قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ يا معشر المشركين ثُمَّ كِيدُونِ انتم وهم فَلَا تُنظِرُونِ اى لا تمهلونى
واعجلوا فى كيدى إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ يعنى القرآن انه يتولانى وينصرنى
كما ايدنى بانزال الكتاب وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ قال ابن عباس يريد الذين لا يعدلون
بالله شيئا فالله يتولاهم بنصره ولا نصرهم عداوة من عاداهم وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ
لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا
وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا بصورة من ينظر الى من
يواجهه وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ثم لما بين ان الله هو الذى يتولاه وان الاصنام وعابديها
لا يقدرون على اضراره بين هاهنا المنهج القويم والصراط المستقيم فى معاملة الناس فقال
خُذِ الْعَفْوَ ما عفا لك من افعال الناس وتسهل ولا تطلب ما يشق عليهم من العفو الذى
هو ضد الجهد او العفو عن المذنبين تروى انه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لجبرئيل عليه السلام ما هذا قال لا ادرى حتى اسال ثم رجع فقال ان
ربك يامرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال ابن عباس
والسدى والضحاك والكلبى يعنى خذ ما عفا لك من اموالهم وهو الفضل من العيال
وذلك معنى قوله يسألونك ماذا ينفقون قل العفو ثم نسخت هذه بالصدقات المفروضات
وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ اى بالمعروف وهو كل ما يعرفه الشرع ويستحسنه وقال عطاء وامر بالعرف
يعنى بلا اله الا الله وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ابى جهل واصحابه نسختها آية السيف وقيل
اذا تسفه عليك الجاهل فلا تقابله بالسفه وذلك مثل قوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما وذلك سلام المتاركة قال جعفر الصادق امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
بمكارم الاخلاق وليس فى القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق من هذه الآية عن جابر

رضي الله عنه

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثنى لتمام مكارم الاخلاق
وتمام محاسن الافعال وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ النزغ من الشيطان الوسوسة
والنزغ والنخس فى الاصل الغرز شبه وسوسته بغرز السائق ما يسوقه اى اما يخسنك
من الشيطان وسوسة يحملك على خلاف ما امرت به كاعتراء غضب وفكر فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ
إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ سمع استعاذتك ويعلم ما فيه صلاح امرك فيحملك عليه سميع باقوال من آذاك
عليم بافعاله فيجازيه عليها مغنيا اياك عن الانتقام ومتابعة الشيطان إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا
المومنين إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ لمة ووسوسة منه تَذَكَّرُوا ما امر الله به ونهى عنه
فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ بسبب التذكر مواقع الخطاء ومكايد الشيطان قال مقاتل ان المتقى
اذا اصابه نزغ من الشيطان تذكر وعرف انه معصية فابصر ونزع عن مخالفة الله
وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ يعنى اخوان الشياطين من المشركين يمدونهم اى يمدهم الشياطين
قال الكلبى لكل كافر اخ من الشياطين فِي الْغَيِّ اى يطلبون لهم الاغواء حتى يستمروا عليه
ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ اى لا يكفون قال ابن عباس لا الانس يقصرون عما يعملون من السيئات
ولا الشياطين يمسكون عنهم ثم لما بين ان شياطين الانس والجن لا يقصرون فى الاغواء
بين نوعا آخر من الاغواء فقال وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ يعنى اذا لم تات المشركين بآية
قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا هلا افتعلتها وانشاتها من قبل نفسك واختيارك تقول العرب
اجتبيت الكلام اذا اختلقته قال الكلبى كان اهل مكة يسالون النبى صلى الله عليه وسلم
الآيات تعنتا فاذا تاخرت اتهموه وقالوا لولا اجتبيتها اى هلا احدثتها وانشاتها
من عندك قُلْ لهم يا محمد إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ثم قال هَٰذَا يعنى القرآن
بَصَائِرُ حجج بها يبصر الحق ويدرك الصواب مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ
قد سبق تفسيرها ثم انه تعالى لما عظم القرآن بقوله هذا بصائر من ربكم اردفه بقوله
وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ اختلفوا فى سبب نزول
هذه الآية فذهب جماعة الى انها فى القراءة فى الصلوة روى عن ابى هريرة رضى الله عنه
كانوا يتكلمون بحوائجهم فامروا بالسكوت والاستماع الى قراءة القرآن وقال قوم نزلت
فى ترك الجهر بالقراءة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود انه سمع
ناسا يقرؤون مع الامام فلما انصرف قال اما آن لكم ان تفقهوا واذا قرئ القرآن
فاستمعوا له وانصتوا كما امركم الله وهذا قول الحسن والزهرى والنخعى ان
الآية فى القراءة فى الصلاة وقال سعيد بن جبير هذا فى الانصات يوم الاضحى والفطر

ويوم الجمعة وفيما يجهر به الامام وقال عمر بن عبد العزيز الانصات لكل واعظ قال
الشيخ محيى السنة البغوى والاول اولى وهو انها فى القراءة فى الصلوة لان الآية مكية
والجمعة وجبت بالمدينة واتفقوا على انه مامور بالانصات حالة ما يخطب الامام عن
ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك انصت
والامام يخطب يوم الجمعة فقد لغوت ومن لا يرى القراءة خلف الامام يتمسك بظاهر هذه الآية
ومن اوجبها قال الآية فى غير الفاتحة واذا قرا الفاتحة يتبع سكتات الامام ولا ينازع الامام
فى القراءة والدليل عليه ما روى عبادة بن الصامت انه قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح فثقلت
عليه القراءة فلما انصرف قال انى اراكم تقرؤون وراء امامكم قال قلنا يا رسول الله اى والله
قال لا تفعلوا الا بام القرآن فانه لا صلوة لمن لم يقرأ بها ثم انه تعالى لما امر بقراءة القرآن
بصوت عال للتبليغ امر بان يذكر ربه فى نفسه فقال وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ قال ابن
عباس يعنى بالذكر القراءة فى الصلوة يريد يقرا سرا فى نفسه تَضَرُّعًا وَخِيفَةً متضرعا وخائفا
وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ اراد فى صلوة الجهر لا يجهر جهرا شديدا بل فى خفض وسكون
يسمع من خلفك بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ بالبكر والعشيات وواحد الآصال اصيل مثل يمين
وايمان وهو ما بين العصر والمغرب وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ عن ذكر الله ثم لما رغب رسوله
على الذكر عقبه بما يقوى داعيته فى ذلك فقال إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يعنى الملائكة المقربين
بالفضل والكرامة لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وينزهونه ويذكرونه وَلَهُ
يَسْجُدُونَ يخصونه بالعبادة عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
قرا ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى فيقول يا ويله امر هذا بالسجود فسجد
فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلى النار وعن معدان قال سالت ثوبان مولى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قلت حدثنى حديثا ينفعنى الله به قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من عبد يسجد لله سجدة الا رفعه الله بها درجة وحط عنه درجة صدق رسول الله

سورة الانفال مدنية بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ وآيها خمس وسبعون

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ اى الغنائم يعنى حكمها وانما سميت الغنيمة نفلا لانه عطية من الله
وفضل كما سمى به ما شرطه الامام لمقتحم خطر عطية له زيادة على سهمه قال اهل التفسير سبب
نزول هذه الآية هو ان النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر من اتى مكان كذا فله من النفل
كذا ومن قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا فلما التقوا سارع اليه الشبان واقام
الشيوخ ووجوه الناس عند الرايات فلما فتح الله على المسلمين جاؤا يطلبون ما جعل لهم

النبى

رسول الله صلى
صح

النبى صلى الله عليه وسلم فقال الاشياخ كنا ردءا لكم ولو انهزمتم لانحزتم الينا فلا تذهبوا
بالغنائم دوننا وقام ابو اليسر بن عمرو الانصارى اخو بنى سلمة فقال يا رسول الله انك وعدت
ان من قتل قتيلا فله كذا ومن اسر اسيرا فله كذا وانا قد قتلنا سبعين واسرنا سبعين
فقام سعد بن معاذ فقال والله ما منعنا ان نطلب ما يطلب هؤلاء زهادة فى الاجر ولا
جبن عن العدو ولكن كرهنا ان نعرى مصافك فيعطف عليه خيل من المشركين فيصيبوك
فاعرض عنهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سعد يا رسول الله ان الناس كثير والغنيمة
دون ذلك فان تعط هؤلاء الذى ذكرت لا يبقى لاصحابك كبير شئ فنزلت يسألونك عن الانفال
قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ اى امرها مختص بهما يقسمها الرسول على ما يامره الله به عن
ابى امامة الباهلى قال سالت عبادة بن الصامت عن الانفال قال فينا معشر اصحاب بدر
نزلت حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيننا عن بواء يقول على السواء
وكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وصلاح ذات البين وقال سعد بن ابى وقاص
لما كان يوم بدر قتل اخى عمير وقتلت سعيد بن العاص بن امية واخذت سيفه و
كان يسمى ذا الكتيفة فاعجبنى فجئت به الى النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
ان الله شفى صدرى من المشركين فهب لى هذا السيف فقال ليس لى هذا ولا لك اذهب
فاطرحه فى القبض فطرحته ورجعت بى ما لا يعلمه الا الله من قتل اخى واخذ سلاحى
وقلت عسى ان يعطى هذا من لم يبل بلائى فما جاوزت الا قليلا حتى جاءنى الرسول و
انزل الله عز وجل يسألونك عن الانفال الآية فخفت ان يكون نزل فى شئ فلما انتهيت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا سعد انك سالتنى السيف وليس لى وانه قد صار
لى فاذهب فخذه فهو لك قال مجاهد وعكرمة والسدى هذه الآية منسوخة بقوله تعالى
واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول الآية كانت الغنائم يومئذ للنبى صلى الله
عليه وسلم فنسخها الله تعالى بالخمس وقال عبد الرحمن بن زيد بن اسلم هى ثابتة غير منسوخة
ومعنى الآية قل الانفال لله وللرسول يضعها حيث امر الله اى الحكم فيها لله ولرسوله
وقد بين الله مصارفها فى قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول
فَاتَّقُوا اللَّهَ فى الاختلاف والمشاجرة وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ الحال التى بينكم بترك المنازعة
والمخالفة وتسليم امر الغنيمة الى الله والرسول صلى الله عليه وسلم وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ
إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ فان الايمان يقتضى ذلك ثم لما علق فعل الطاعة على الايمان شرح ذلك فقال

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الكاملون الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وقيل هو الرجل يهم بمعصية
فيقال له اتق الله فينزع عنها خوفا من عقابه تعالى وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ
إِيمَانًا بالعمل بموجبها كتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن عدي ان للايمان فرايض و
شرايع وحدودا وسننا فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان
وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ يفوضون اليه امورهم لا يرجون غيره ولا يخافون سواه
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لانهم حققوا
ايمانهم بان ضموا اليه مكارم اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل ومحاسن
افعال الجوارح التي العيار عليها الصلوة والصدقة لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ قال عطاء
يعني درجات الجنة يرتقونها باعمالهم قال الربيع بن انس سبعون درجة ما بين كل
درجتين حضر الفرس المضمر سبعين سنة وَمَغْفِرَةٌ لما فرط منهم وَرِزْقٌ كَرِيمٌ
اعد لهم في الجنة لا ينقطع عدده ولا ينتهي امده كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ خبر مبتداء
محذوف تقديره هذا الحال في كراهتهم اياها كحال اخراجك للحرب في كراهتهم له وَإِنَّ فَرِيقًا
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ في موقع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ
اي في القتال بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ وذلك ان المومنين لما ايقنوا بالقتال كرهوا ذلك وقالوا لو علمنا
انا نلقى العدو فنستعد لقتالهم وانما خرجنا للعير فذلك جدالهم بعد تبين انك لا تصنع
الا ما امرك الله سبحانه وتعالى وانهم ينصرون أينما توجهوا كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ
يَنْظُرُونَ اي يكرهون القتال كراهية من يساق الى الموت وهو يشاهد اسبابه وَإِذْ
واذكروا إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ اي الفريقين احدهما ابو سفيان مع العير والاخرى
ابو جهل مع النفير أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ يعني العير لانه
لم يكن فيها الا اربعون فارسا ولذلك يتمنونها ويكرهون ملاقات النفير لكثرة عددهم
والشوكة الحدة مستعارة من واحد الشوك قال ابن عباس وابن الزبير ومحمد بن اسحق
والسدي اقبل ابو سفيان من الشام في عير لقريش في اربعين راكبا من كبار قريش
فيهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل الزهري وفيها تجارة كثيرة وهي اللطيمة حتى اذا كانوا
قريبا من بدر فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك فندب اصحابه اليه واخبرهم بكثرة
المال وقلة العدد وقال هذه قريش فيها اموالهم فاخرجوا اليها لعل الله ان ينفلكموها
فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك انهم لم يظنوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلقى حربا فلما سمع ابو سفيان بمسير النبي صلى الله عليه وسلم استاجر ضمضم بن عمرو الغفاري

اللطيمة الابل التي تحمل الطيب م

فبعثه الى مكة وامره ان ياتي قريشا ويستنفرهم ويخبرهم ان محمدا قد عرض لعيرهم في اصحابه
فخرج ضمضم سريعا الى مكة وقد رات عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم مكة بثلث ليال رؤيا
افزعتها فبعثت الى اخيها العباس بن عبد المطلب فقالت يا اخي والله لقد رايت الليلة رؤيا
افظعتني وخشيت ان يدخل على قومك منها شر ومصيبة فاكتم على ما احدثك قال لها وما
رايت قالت رايت راكبا اقبل على بعير حتى وقف بالابطح ثم صرخ باعلى صوته الا انفروا يا آل
غدر لمصارعكم في ثلث وارى الناس قد اجتمعوا اليه ثم دخل المسجد والناس يتبعونه
فبيناهم حوله مثل به بعيره على ظهر الكعبة ثم صرخ بمثلها باعلى صوته الا انفروا يا آل غدر
لمصارعكم في ثلث ثم مثل به بعيره على راس جبل ابي قبيس فصرخ بمثلها ثم اخذ صخرة فارسلها
فاقبلت تهوي حتى اذا كانت باسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة ولا دار من دورها
الا دخلها منها فلقة فقال العباس والله ان هذه لرؤيا وانت فاكتميها ولا تذكريها لاحد
ثم خرج العباس فلقي الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد الشمس وكان له صديقا فذكرها له
واستكتمه اياها فذكر الوليد لابيه عتبة ففشا الحديث حتى تحدثت به قريش قال العباس
فغدوت اطوف بالبيت وابو جهل بن هشام في رهط من قريش قعود يتحدثون
برؤيا عاتكة فلما رآني ابو جهل قال يا ابا الفضل اذا فرغت من طوافك فاقبل الينا قال فلما
فرغت اقبلت حتى جلست معهم فقال لي ابو جهل بن هشام يا بني عبد المطلب متى حدثت
هذه النبية فيكم قلت وما ذاك قال الرؤيا التي رات عاتكة قلت وما رات قال يا بني عبد المطلب
اما رضيتم ان تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم قد رات عاتكة في رؤياها انه قال انفروا
في ثلث فسنتربص بكم هذه الثلث فان يك ما قالت حقا فسيكون وان تمض الثلث
ولم يكن ذلك شيء نكتب عليكم كتابا انكم اكذب اهل بيت في العرب فقال العباس فوالله
ما كان مني اليه كبير الا اني جحدت ذلك وانكرت ان تكون رات شيئا ثم تفرقنا فلما امسيت
لم تبق امراة من بني عبد المطلب الا اتتني فقالت اقررتم لهذا الفاسق الخبيث ان يقع في
رجالكم ثم قد تناول النساء وانت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت قال قلت قد والله
فعلت ما كان مني اليه من كبير وايم الله لاتعرضن له فان عاد لاكفينكم قال فغدوت
في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وانا حديد مغضب ارى ان قد فاتني منه امر احب ان ادركه
منه قال فدخلت المسجد فرايته فوالله اني لامشي نحوه اتعرضه ليعود لبعض ما قال
فاقع به وكان رجلا خفيفا حديد الوجه حديد النظر اذ خرج نحو باب المسجد يشتد
قال قلت في نفسي ماله لعنه الله اكل هذا فرقا من ان اشاتمه قال واذا هو قد سمع ما

حديد اللسان م

لم اسمع صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن الوادي واقفا على بعيره وقد جدع بعيره
وحول رحله وشق قميصه وهو يقول يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة اموالكم مع
ابي سفيان قد عرض لها محمد في اصحابه لا ارى ان تدركوها الغوث الغوث قال
فشغلني عنه وشغله عني ما جاء به من الامر فتجهز الناس سراعا فلم يتخلف من
اشراف قريش احد الا ابا لهب قد تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة
فلما اجمعت قريش المسير ذكرت التي بينها وبين بني بكر بن عبد مناف بن كنانة بن الحارث
فقالوا نخشى ان ياتونا من خلفنا فكاد ذلك ان يثبطهم فتبدى لهم ابليس في صورة
سراقة بن مالك بن جعشم وكان من اشراف بني بكر فقال انا جار لكم من ان ياتيكم كنانة
من خلفكم بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في اصحابه
في ليالي مضت من شهر رمضان حتى بلغ واديا يقال له ذفران فاتاه الخبر عن مسير
قريش ليمنعوا عيرهم فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كانوا بالروحاء
اخذ عينا للقوم فاخبره بهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ايضا عينا للقوم
فاخبره بهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم له من جهينة حليفا للانصار يدعى
ابن اريقط فاتاه بخبر القوم وسبقت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل
جبريل عليه السلام فقال ان الله عز وجل وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا
وكان العير احب اليهم فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه في طلب العير وحرب النفير
فقام ابو بكر فقال فاحسن ثم قام عمر فقال فاحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله
امض لما اراك الله فنحن معك والله ما نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام
اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن نقول اذهب انت وربك فقاتلا
انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى برك الغماد يعني الحبشة لجالدنا
معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم
قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اشيروا علي ايها الناس وانما يريد الانصار وذلك
انهم عدد الناس وانهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله انا برآء من ذمامك حتى
تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع به ابناءنا ونساءنا وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار ترى عليهم نصرته الا على من
دهمه بالمدينة من عدو وانه ليس عليهم ان يسير بهم الى عدو من بلادهم فلما قال ذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سعد بن معاذ والله لكانك تريد يا رسول الله قال

اجل قال فقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك
عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق
لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى
بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق في اللقاء ولعل الله عز وجل يريك منا ما تقر به عينك
فسر بنا على بركة الله فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ونشطه ذلك قال
سيروا على بركة الله وابشروا بان الله تعالى قد وعدني احدى الطائفتين والله لكاني
انظر الى مصارع القوم قال ثابت عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا مصرع فلان ويضع يده على الارض ههنا وههنا قال فما ماط احد عن موضع يد
رسول الله صلى الله عليه وسلم وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ اي يثبته ويعليه بِكَلِمَاتِهِ
بامره اياكم بالقتال وقيل بعداته التي سبقت من اظهار الدين واعزازه وَيَقْطَعَ دَابِرَ
الْكَافِرِينَ ويستاصلهم والمعنى انكم تريدون ان تصيبوا مالا ولا تلقوا مكروها
والله سبحانه يريد اعلاء الدين واظهار الحق وما يحصل لكم فوز الدارين لِيُحِقَّ الْحَقَّ
وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ فعل ما فعل وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ المشركون وكانت وقعة بدر يوم الجمعة
صبيحة سبع عشرة من شهر رمضان إِذْ تَسْتَغِيثُونَ بدل من اذ يعدكم الله والاستغاثة
طلب الغوث والنصر لما علموا ان لا محيص لهم عن القتال اخذوا يقولون اغثنا يا غياث
المستغيثين روي عن ابن عباس انه قال قال عمر بن الخطاب لما كان يوم بدر نظر
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين وهم الف واصحابه ثلثمائة وبضعة عشر
دخل العريش هو وابو بكر واستقبل القبلة ومد يديه فجعل يهتف بربه اللهم انجز لي
ما وعدتني اللهم انك ان تهلك هذه العصابة من اهل الاسلام لا تعبد في الارض
فما زال يهتف بربه مادا يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فاخذ ابو بكر رداءه
فالقاه على منكبيه ثم التزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك
ما وعدك فانزل الله تعالى وتقدس اذ تستغيثون رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ
مرسل اليكم مددا بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ قرئ مردفين بكسر الدال من اردفته
بمعنى تبعته يقال ردفته واردفته بمعنى تبعته اي متبعين المومنين او متابعين
بعضهم في اثر بعض وقرئ مردفين من اردفته اياه فردفه اي اردفهم المسلمين
وجاءتهم مددا روي انه نزل جبريل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة في صور الرجال
على خيل بلق عليهم ثياب بيض وعلى رؤسهم عمائم بيض قد ارخوا اطرافها بين اكتافهم

ودوى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما ناشد ربه وقال ابو بكر ان الله منجز لك
ما وعدك خفق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ثم انتبه فقال
يا ابا بكر اتاكم نصر الله هذا جبرئيل اخذ بعنان الفرس يقوده على ثناياه النقع عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم بدر هذا جبرئيل اخذ براس فرسه عليه اداة
الحرب وقال عبد الله بن عباس كانت سيما الملائكة يوم بدر عمايم بيض ويوم حنين
عمايم خضر ولم تقاتل الملائكة في يوم من الايام سوى يوم بدر وكانوا يكونون
فيما سواه عددا او مددا وروي عن ابي اسيد مالك بن ربيعة وكان قد شهد بدرا
انه قال بعدما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري لاريتكم الشعب
الذي خرج منه الملائكة وَمَا جَعَلَهُ اللّٰهُ يعني الامداد بالملائكة إِلَّا بُشْرَىٰ الا بشارة
لكم بالنصر وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ فتزول ما بها من الوجل لقلتكم وذلتكم وَمَا النَّصْرُ
إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ إِنَّ اللّٰهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وامداد الملائكة وكثرة العدد والاهب ونحوها
وسايط لا تاثير لها فلا تحسبوا النصر منها ولا تياسوا منه بفقدها إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ
بدل ثان من اذ يعدكم لاظهار نعمة ثالثة والنعاس نوم خفيف أَمَنَةً مِنْهُ امنا من الله
قال عبد الله بن مسعود النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلوة من الشيطان
وبيانه ان النعاس في القتال يكون حال زوال شدة الخوف وهو حال الامنة وفي الصلوة
يكون من الغفلة واسبابه الشيطانية وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ
من الحدث والجنابة وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وسوسته وذلك ان المسلمين
نزلوا يوم بدر على كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام وحوافر الدواب وسبقهم المشركون
الى ماء بدر واصبح المسلمون بعضهم محدثين وبعضهم مجنبين واصابهم الظما ووسوس
اليهم الشيطان وقال تزعمون انكم على الحق وفيكم نبي الله وانكم اولياء الله وقد غلبكم
المشركون على الماء وانتم تصلون محدثين ومجنبين فكيف ترجون ان تظهروا عليهم
فارسل الله مطرا سال منه الوادي فشرب المومنون واغتسلوا وتوضؤوا وسقوا
الركاب وملؤا الاسقية واطفا الغبار ولبد الارض حتى ثبتت عليها الاقدام
وزالت عنهم وسوسة الشيطان وطابت انفسهم فذلك قوله تعالى وينزل عليكم
من السماء ماء ليطهركم به من الاحداث ويذهب عنكم رجز الشيطان وَلِيَرْبِطَ
عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ باليقين والصبر وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ حتى لا تسوخ في الرمل بتلبيد الارض
إِذْ يُوحِي رَبُّكَ بدل ثالث إِلَى الْمَلَائِكَةِ الذين امد بهم المومنين أَنِّي مَعَكُمْ بالعون والنصر

نام نوما خفيفا جالسا

فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا اى قووا قلوبهم قيل ذلك التثبيت حضورهم معهم القتال ومعونتهم
اى ثبتوهم بقتالكم معهم المشركين وقال مقاتل اى بشروهم بالنصر فكان الملك يمشي
امام الصف في صورة الرجل يقول ابشروا فان الله ناصركم سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ
كَفَرُوا الرُّعْبَ كالتفسير لقوله اني معكم فثبتوا والرعب الخوف قال عطاء يريد الخوف
من اوليائي فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ قال عكرمة يعني الرؤس لانها فوق الاعناق و
قال الضحاك معناه فاضربوا الاعناق وفوق صلة كما قال فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب
وقيل معناه واضربوا على الاعناق وفوق بمعنى على قيل هذا خطاب مع المومنين وقيل
هذا خطاب مع الملائكة وهو متصل بقوله فثبتوا الذين آمنوا وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ
قال عطية يعني كل مفصل وقال بن عباس وابن جريج والضحاك يعني الاطراف و
البنان جمع بنانة وهي اطراف اصابع اليدين والرجلين قال ابن الانباري ما كانت الملائكة
يعلم كيف يقتل الادميون فعلمهم الله تعالى عن عبد الله بن عباس قال بينما رجل من المسلمين
يومئذ يشتد في اثر رجل من المشركين امامه اذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس
يقول اقدم حيزوم اذ نظر الى المشرك امامه فخر مستلقيا فنظر فاذا هو قد خطم انفه و
شق وجهه لضربة السوط فاخضر ذلك اجمع فجاء الانصاري فحدث ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين
واسروا سبعين وروي عن ابي داود المازني وكان شهد بدرا قال اني لاتبع رجلا من
المشركين لاضربه اذ وقع راسه قبل ان يصل اليه سيفي فعرفت انه قد قتله غيري وقال
عكرمة قال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب
وكان الاسلام قد دخلنا اهل البيت واسلمت ام الفضل واسلمت وكان العباس يهاب قومه
ويكره خلافهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق في قومه وكان ابو لهب عدو الله
قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة فلما جاء الخبر عن مصاب
اصحاب بدر كبته الله واخزاه ووجدنا في انفسنا قوة وعزا وكنت رجلا ضعيفا وكنت
اعمل القداح وانحتها في حجرة زمزم فوالله اني لجالس انحت القداح وعندي ام الفضل
جالسة اذا اقبل الفاسق ابو لهب يجر رجليه حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى
ظهري فبينما هو جالس اذ قال الناس هذا ابو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب قد
قدم فقال ابو لهب الي يا ابن اخي فعندك الخبر فجلس اليه والناس قيام عليه فقال يا ابن اخي
اخبرني كيف كان امر الناس قال لا شيء والله ان كان الا ان لقيناهم فمنحناهم اكتافنا

يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل
بلق بين السماء والارض لا والله ما تليق شيئا ولا يقوم لها شيء قال ابو رافع فرفعت
طنب الحجرة بيدي ثم قلت تلك والله الملائكة قال فرفع ابو لهب يده فضرب وجهي ضربة شديدة
فثاورته فاحتملني فضرب بي الارض ثم برك علي يضربني وكنت رجلا ضعيفا فقامت ام الفضل
الى عمود من عمد الحجرة فاخذته فضربته ضربة فلقت في راسه شجة منكرة وقالت تستضعفه
ان غاب عنه سيده فقام موليا ذليلا فوالله ما عاش الا سبع ليال حتى رماه الله تعالى
بالعدسة فقتله وروى مقسم عن ابن عباس قال كان الذي اسر العباس ابا اليسر كعب بن
عمرو اخا بني سلمة وكان ابو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لابي اليسر كيف اسرت العباس فقال يا رسول الله اعانني عليه رجل
ما رايته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد اعانك عليه
ملك كريم ذَٰلِكَ الضرب بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللّٰهَ خالفوا الله وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللّٰهَ وَرَسُولَهُ
فَإِنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذَٰلِكُمْ اي هذا العذاب والضرب الذي عجلته لكم ايها الكفار ببدر
فَذُوقُوهُ عاجلا وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ اى واعلموا وايقنوا ان للكافرين آجلا في
المعاد عذاب النار روي عكرمة عن ابن عباس قال قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو اسير في وثاقه لا يصلح
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمه قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك
ما وعدك يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا كثيرا بحيث يرى لكثرتهم كانهم
يزحفون وهو مصدر زحف الصبي اذا دب على مقعده قليلا قليلا ولكونه مصدرا
لم يجمع فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ يقول فلا تولوهم ظهوركم اى لا تنهزموا فان المنهزم تولى دبره
وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ظهره إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ اى منعطفا يرى من نفسه الانهزام و
قصده طلب الغرة وهو يريد الكرة أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ اى منضما صائرا الى جماعة من المومنين
يريد العود الى القتال ومعنى الآية النهي عن الانهزام من الكفار والتولي عنهم الا على نية
التحرف للقتال او الانضمام الى جماعة من المسلمين ليستعين بهم ويعود الى القتال فمن ولى
ظهره لا على هذه النية لحقه الوعيد كما قال تعالى فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّٰهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ
وَبِئْسَ الْمَصِيرُ هذا اذا لم يزد العدو على الضعف لقوله تعالى الآن خفف الله عنكم الآية
فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللّٰهَ قَتَلَهُمْ قال مجاهد سبب هذا انهم لما انصرفوا عن القتال كان الرجل
يقول انا قتلت فلانا ويقول الآخر مثله فنزلت الآية ومعناه فلم تقتلوهم انتم بقوتكم ولكن الله

قتلهم بنصرته اياكم وتقويته لكم وقيل ولكن الله قتلهم بامداد الملائكة وَمَا رَمَيْتَ
إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللّٰهَ رَمَىٰ قال اهل التفسير والمغازي ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس فانطلقوا حتى نزلوا بدرا ووردت عليهم روايا قريش وفيهم اسلم غلام اسود
لبني الحجاج وابو يسار غلام لبني العاص بن سعيد فاتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال لهما اين قريش قالا هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكثيب
العقنقل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهما كم القوم قالا كثير قال ما عدتهم قالا لا
ندري قال كم ينحرون كل يوم قالا يوما عشرة ويوما تسعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
القوم ما بين التسعماية الى الالف ثم قال لهما فمن فيهم من اشراف قريش قالا عتبة بن ربيعة
وشيبة بن ربيعة وابو البختري بن هشام وحكيم بن حزام والحارث بن عامر وطعيمة بن
عدي والنضر بن الحارث وابو جهل بن هشام وامية بن خلف ونبيه ومنبه ابنا الحجاج
وسهيل بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مكة قد القت اليكم افلاذ كبدها
فلما اقبلت قريش ورآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوب من العقنقل وهو الكثيب
الذي جاؤا منه الى الوادي قال اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب
رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني فاتاه جبرئيل وقال له خذ قبضة من تراب فارمهم
فلما التقى الجمعان تناول كفا من حصى عليه تراب فرمى في وجوه القوم وقال شاهت الوجوه
فلم يبق مشرك الا دخل في عينيه وفمه ومنخريه منها شيء فانهزموا وردفهم المومنون يقتلونهم
ويأسرونهم فذلك قوله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى اذ ليس في وسع احد من البشر
ان يرمي كفا من الحصا الى وجوه جيش فما بقي فيهم عين الا ويصيبها منه شيء وما رميت الرعب
في قلوبهم اذ رميت بالحصا الى وجوههم ولكن الله رمى بالرعب في قلوبهم حتى انهزموا قال
فارس بن المظفر ما كنت راميا الابنا ولا مصيبا الا بمعونتنا وامدادنا اياك بالقوة وقال
الاستاد اذ رميت فرق ولكن الله رمى جمع والفرق صفة العبودية والجمع صفة
الربوبية ثم عرف موضع نعمته برميه بنفسه وصرف قهره عنهم بقوله وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ
مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا ولينعم عليه نعمة عظيمة بالنصر والغنيمة ومشاهدة الآيات فعل ذلك
إِنَّ اللّٰهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ لاستغاثتهم ودعايهم عليم بنياتهم واحوالهم قال رويم البلاء الحسن
ان يكون رؤية الحق اسبق اليه من نزول البلاء فيمر به البلاء وهو لا يشعر باستغراقه
في رؤيته للحق وقال علي بن موسى الرضا عن ابيه عن جعفر بن محمد قال ان نفينهم عن
نفوسهم فاذا افناهم عن نفوسهم كان هو عوضا لهم عن نفوسهم قال الاستاد البلاء الحسن

وقيل

يوفق الشكر في المنحة ويوفق الصبر في المحنة وقال البلاء الحسن ان يشهد المبلي
في عين البلاء ذٰلِكُمْ اي ذلكم الذي ذكرت من القتل والرمي والبلاء الحسن وَأَنَّ اللّٰهَ
مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ اي المقصود ابلاء المومنين وتوهين كيد الكافرين وابطال حيلهم
إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ قال السدي والكلبي كان المشركون حيث خرجوا الى النبي
صلى الله عليه وسلم من مكة اخذوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اهدي الفئتين واعلى
الجندين واكرم الحزبين وافضل الدينين ففيه نزلت ان تستفتحوا اي ان تستنصروا
فقد جاءكم الفتح اي النصر فعلى هذا هو خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وقال المشركون
والله ما نعرف ما جاء به محمد فافتح بيننا وبينه بالحق فانزل الله تعالى ان تستفتحوا اي ان
تستقضوا فقد جاءكم الفتح اي القضاء وقال ابي بن كعب هذا خطاب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله للمسلمين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم النصر والفتح
عن خباب قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة
وقلنا الا تدعو الله لنا الا تستنصر الله لنا فجلس محمارا لونه او وجهه فقال لنا لقد كان
من قبلكم يوخذ الرجل فيحفر له في الارض ثم يجاء بالمنشار فيجعل فوق راسه ثم يجعل بفرقتين
فلا يصرفه عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه من عظم وعصب ما يصرفه
عن دينه وليتمن الله هذا الامر حتى يسير الراكب منكم من صنعاء الى حضرموت
لا يخشى الا الله ولكنكم تعجلون وَإِنْ تَنْتَهُوا عن الكفر وقتال نبيه صلى الله عليه وسلم
فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا لحربه وقتاله بعد نيل الواقعة التي اوقعت بكم يوم بدر
وقيل ان تعودوا الى الدعاء والاستفتاح نَعُدْ للفتح بمحمد صلى الله عليه وسلم وَلَنْ تُغْنِيَ
ولن يدفع عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ جماعتكم شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ بالنصر والمعونة
وقرئ بالفتح اي ولان الله مع المومنين كان ذلك ثم لما خاطب المومنين بقوله ان تنتهوا
فهو خير لكم اتبعه بندائهم فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّٰهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا
عَنْهُ اي لا تعرضوا عنه وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ القران ومواعظه وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا
سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ اي يقولون بالسنتهم سمعنا باذانهم وهم لا يسمعون لا يتعظون
ولا ينتفعون بسماعهم فكانهم لم يسمعوا قال بعضهم علامة الخبر في السماع لمن يسمعه بفناء
اوصافه ونعوته ويسمعه بحق من حق إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّٰهِ شر ما يدب على الارض
وشر البهائم الصُّمُّ عن الحق الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ اياه عدهم من البهائم ثم جعلهم شرها
لابطالهم ما امتازوا به وفضلوا لاجله قال بن عباس نزلت في بني عبد الدار بن قصي

كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد فقتلوا جميعا باحد وكانوا اصحاب اللواء
لم يسلم منهم الا رجلان مصعب ابن عمير وسويبط بن حرملة وَلَوْ عَلِمَ اللّٰهُ فِيهِمْ خَيْرًا
سعادة كتبت لهم لَأَسْمَعَهُمْ سماع تفهم وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ وقد علم ان لا خير فيهم لَتَوَلَّوْا ولم
ينتفعوا به وَهُمْ مُعْرِضُونَ لعنادهم وقيل انهم كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم
احيي لنا قصيا فانه كان شيخا مباركا حتى يشهد لك بالنبوة ونومن بك فقال الله ولو
اسمعهم كلام قصي لتولوا وهم معرضون يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُولِ
يقول اجيبوهما بالطاعة إِذَا دَعَاكُمْ الرسول لِمَا يُحْيِيكُمْ قال السدي هو الايمان لان
الكافر ميت فيحيى بالايمان وقال قتادة هو القران فيه الحيوة وبه النجاة والعصمة في الدارين
وقال مجاهد هو الحق وقال بن اسحق هو الجهاد اعزكم الله به بعد الذل وقال القتيبي هو
الشهادة قال الله تعالى في الشهداء بل احياء عند ربهم يرزقون وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم مر على ابي بن كعب وهو يصلي فدعاه فعجل ابي في صلوته ثم جاء فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما منعك ان تجيبني اذ دعوتك قال كنت في الصلوة قال اليس الله يقول يا ايها الذين
امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم قال جعفر الحيوة هي الحيوة بالله وهي المعرفة
كما قال الله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة وقال بعضهم حيوة النفوس بمتابعة الرسول
وحيوة القلوب بمشاهدة الغيوب وقال جعفر الصادق رضي الله عنه حيوة القلوب
في المعاشرة وحيوة الارواح في المحبة وحيوة النفوس في المتابعة ولما دعاهم الى
مشاهدته بنعت الشوق عرفهم ان قلوبهم مسلوبة منهم بكشف جماله والقا محبته و
معرفته فيها بقوله وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ تمثيل لغاية قربه من العبد
كقوله تعالى ونحن اقرب من حبل الوريد اوحث على المبادرة الى اخلاص القلوب قبل
ان يحول الله بينه وبين قلبه قال السدي يحول بين الانسان فلا يستطيع ان يومن ولا
ان يكفر الا باذنه وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ فيجازيكم باعمالكم عن انس بن مالك قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا يا رسول
الله امنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا قال القلوب بين اصبعين من اصابع الله
يقلبها كيف يشاء وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً قال بن عباس امر الله
المومنين ان لا يقروا المنكر بين اظهرهم فيعمهم الله بعذاب يصيب الظالم وغير الظالم عن
عدي بن عدي الكندي يقول حدثني مولى لنا انه سمع جدي يقول سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين ظهرانيهم

وهم قادرون على ان ينكروه فلا ينكروه فاذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة
وقال السدي ومقاتل والضحاك وقتادة نزلت في قوم مخصوصين من اصحاب محمد صلى الله عليه
وسلم اصابتهم الفتنة يوم الجمل قال الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير قال الزبير لقد
قرانا هذه الاية زمانا وما ارانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها يعني ما كان يوم الجمل
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ستكون فتن
القاعد فيها خير من القائم والقائم فيها خير من الماشي والماشي فيها خير من الساعي من تشرف
لها تستشرفه فمن وجد ملجا او معاذا فليعذ به وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَاذْكُرُوا
إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ يقول واذكروا يا معشر المهاجرين اذ انتم قليل في
العدد مستضعفون في ارض مكة في ابتداء الاسلام تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ
يذهب بكم الناس يعني كفار مكة فَآوَاكُمْ الى المدينة وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ على الكفار او بظاهرة
الانصار او بامداد الملائكة يوم بدر وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ يعني الغنائم احلها لكم ولم
يحلها لاحد قبلكم لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ هذه النعم وقيل الخطاب للعرب كافة فانهم كانوا اذلاء في
ايدي فارس والروم ثم لما ذكر انه رزقهم الطيبات منعهم من الخيانة فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لَا تَخُونُوا اللّٰهَ وَالرَّسُولَ قال الزهري والكلبي نزلت هذه الاية في ابي لبابة هرون بن عبد
المنذر الانصاري من بني عوف بن مالك وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود
قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلح على ما صالح عليه اخوانهم
من بني النضير على ان يسيروا الى اخوانهم الى اذرعات واريحا من ارض الشام فابى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان يعطيهم ذلك الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل
الينا ابا لبابة بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان ماله وعياله وولده كانت عندهم فبعثه
فاتاهم فقالوا يا ابا لبابة ما ترى انزل على حكم سعد بن معاذ فاشار ابو لبابة بيده الى حلقه
انه الذبح فلا تفعلوا قال ابو لبابة والله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت اني قد خنت
الله ورسوله ثم انطلق على وجهه ولم يات رسول الله وشد نفسه على سارية من سواري
المسجد قال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله عز وجل علي فلما بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره قال اما لو جاءني لاستغفرت له فاذا فعل ما فعل فاني لا اطلقه
حتى يتوب الله عز وجل فمكث سبعة ايام لا يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه ثم
تاب الله عليه فقيل له يا ابا لبابة قد تيب عليك فقال لا والله لا احل نفسي حتى يكون رسول
الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني فجاءه فحله بيده ثم قال ابو لبابة ان من تمام توبتي ان اهجر

دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي قال النبي صلى الله عليه وسلم
يجزيك الثلث ان تصدق به فنزلت لا تخونوا الله والرسول وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ اي
ولا تخونوا اماناتكم فيما بينكم وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ انكم تخونون اذ وانتم علماء تميزون
الحسن من القبيح قال بن عباس لا تخونوا الله بترك فرايضه والرسول بترك سنته
وتخونوا اماناتكم وقال هي ما يخفى عن اعين الناس من فرايض الله تعالى والا
عمال التي ايتمن الله عليها العباد قال قتادة اعلموا ان دين الله امانة فادوا الى الله
ما ايتمنكم عليه من فرايض الله وحدوده ومن كانت عليه امانة فليودها الى من
ايتمنه عليه قال بعضهم خيانة الله في الاسرار حب الدنيا وحب الرياسة والاظهار
خلاف الاضمار وخيانة الرسول ترك اداب الشريعة وترك السنن والتهاون وخيانات
الامانات في المعاملات والاخلاق ومعاشرة المومنين وترك النصيحة لهم وَاعْلَمُوا
أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ قيل هذا ايضا في ابي لبابة وذلك ان امواله واولاده
كانت في بني قريظة فقال ما قال خوفا عليهم والاحسن انه عام في جميع الناس وان
نزلت في شانه عن عايشة رضي الله عنها قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي
بصبي فقبله فقال اما انهم مبخلة مجبنة وانهم لمن ريحان الله قال الوراق ما
اعتمدت عليه سوى الله من الدنيا والاخرة فهو فتنة حتى تعرض عن الجميع
وتعول عنه على مولاك وتعتمد عليه قال بعضهم اموالكم فتنة ان جمعتم وامسكتم
ونعمة اذا انفقتم وبذلتم في وجوه الخيرات وَأَنَّ اللّٰهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ لمن اثر
رضى الله عليهم وراعى حدوده فيهم ثم انه تعالى لما حذر عن الفتنة بالمال والاولاد
رغب في التقوى الموجب لترك محبة الاموال والاولاد فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنْ تَتَّقُوا اللّٰهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا قال عكرمة نجاة يفرق بينكم وبين ما تخافون و
قال ابن اسحق فصلا بين الحق والباطل يظهر الله به حقكم ويطفي بطلان من
خالفكم قال الجنيد اذا اتقى العبد ربه جعل له نورا يبين به الحق من الباطل
وهذا نتيجة التقوى وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ويسترها وَيَغْفِرْ لَكُمْ بالتجاوز والعفو
وَاللّٰهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ تنبيه على ان ما وعده لهم على التقوى تفضل منه واحسان
كالسيد اذا وعد عبده انعاما على عمل ثم لما ذكر للمومنين نعمة عليهم بقوله واذكروا
اذ انتم قليل الاية فكذا ذكر لرسوله نعمة عليه وهو دفع كيدهم فقال وَإِذْ يَمْكُرُ
بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا هذه الاية معطوفة على قوله اذ انتم قليل والتقدير واذكر اذ يمكر بك

الذين كفروا لان هذه السوره مدنيه وهذا المكى والقول كان بمكه ولكن الله ذكره
بالمدينه وكان ذلك القصه على ماذكره ابن العباس وغيره من اهل التفسير ان
قريشا فرقوا لما اسلمت الانصار ان سيفاقم امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع
نفر من كبارهم فى دار الندوه ليتشاوروا فى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت رؤسهم عتبه وشيبه ابنا ربيعه وابوجهل وابوسفين وطعمه بن عدى و
النضر بن الحارث وابو البخترى بن هشام وزمعه ابن الاسود وحكيم بن حرام ونبيه ومنبه
ابنا الحجاج وامية بن خلف واعترضهم ابليس فى صورة شيخ فلما راوه قالوا من انت قال
شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا منى رايا ونصحا فقالوا
ادخل فدخل فقال ابو البخترى اما انا فارى ان تاخذوا محمدا وتحبسوه فى بيت وتشدوا
وثاقه وتسدوا باب البيت غير كوة يلقون اليه طعاما وشرابا وتتربصوا به ريب المنون
حتى يهلك فيه كما هلك من قبله من الشعراء فصرخ عدو الله الشيخ النجدى فقال بئس الراى
رايتم والله لئن حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب الذى اغلقتم دونه الى اصحابه ويوشك
ان يثبوا عليكم فيقاتلوكم ويأخذوه من ايديكم قالوا صدق الشيخ فقال هشام بن عمرو من
بنى عامر بن لوى اما انا فارى ان تحملوه على بعير فتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم
ماصنع وان وقع فاذا غاب عنكم استرحتم فقال ابليس ماهذا لكم براى تعمدون
الى رجل قد افسد سفهاءكم فتخرجوه الى غيركم فيفسدهم الم تروا الى حلاوة منطقه
وطلاقة لسانه واخذ القلوب ماسمع من حديثه والله لئن فعلتم ذلك فيذهب
ويستميل قلوب قوم ثم يسيرهم اليكم فيخرجكم من بلادكم فقالوا صدق والله الشيخ
فقال ابوجهل والله لاشيرن اليكم براى ماارى غيره انى ارى ان تاخذوا من كل
بطن من قريش شابا نسيبا وسيطا فينا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يضربوه
ضربه رجل واحد فاذا قتلوه تفرق دمه فى القبايل كلها ولا اظن هذا الحى من بنى هاشم
يقوون على حرب قريش كلها وانهم اذا راوا ذلك قبلوا العقل فنودى قريش ديته
فقال ابليس صدق هذا الفتى وهو اجودكم رايا وان القول ماقال لا ارى غيره
فتفرقوا على قول ابى جهل وهم مجتمعون له فاتى جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه
وسلم واخبره بذلك وامره ان لايبيت فى مضجعه الذى كان يبيت فيه واذن الله له
عند ذلك بالخروج الى المدينه فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن ابى طالب
كرم الله وجهه فنام فى مضجعه فقال له تسبح ببردى فانه لن يخلص اليك منهم امر تكرهه

ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم فاخذ قبضه من تراب فاخذ الله ابصارهم عنه
وجعل ينثر التراب على روسهم وهو يقرا انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا الى قوله تعالى فهم
لايبصرون ومضى الى الغار من ثور هو وابوبكر رضى الله وخلف عليا بمكه حتى يودى
عنه الودايع قبلها وكانت الودايع توضع عنده لصدقه وامانته وبات المشركون
يحرسون عليا على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسبون انه النبى صلى الله عليه
وسلم فلما اصبحوا ثاروا اليه فراوا عليا رضى الله عنه فقالوا له اين صاحبك قال لا ادرى
فاقتصوا اثره وارسلوا فى طلبه فلما بلغوا الغار راوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا
لودخله لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكثا فيه ثلثا ثم قدم المدينه فذلك قوله واذ
يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك بالوثاق والحبس او يقتلوك بسيوفهم او يخرجوك
من مكه ويمكرون ويمكر الله بمجازاتهم عليه او بمعامله الماكرين معهم بان اخرجهم
الى بدر وقلل المسلمين فى اعينهم حتى حملوا عليه فيه فقتلوا والله خير الماكرين
واسناد امثال هذا يجوز للمزاوجه ولا يجوز اطلاقه ابتداء لما فيه من ايهام الذم
قال الاستاد من جمله مكره اغتراد قوم بما رزقهم من الصيت الجميل واحواله كثير
من الطاعات عليهم مع شرب من قبول الناس ثم اسرارهم يكون بالاعيان منوطه وهم
عندالله غافلون وعند الناس انهم عند الله مكرمون وفى معناه قيل شعر
وقد حسدونى قرب دارى منهم وكم من قريب الدار وهو بعيد واذا تتلى عليهم اياتنا
قالوا يعنى النضر بن الحارث واسناده الى الجمع اسناد مافعله رئيس القوم اليهم
فانه كان قاضيهم قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا وذلك انه كان يختلف ماجرا الى فارس
والحيره فيسمع اخبار رستم واسفنديار واحاديث العجم ويمر باليهود والنصارى
فيراهم يقراون التوريه والانجيل ويركعون ويسجدون فجاء مكه فوجد محمدا صلى الله
عليه وسلم يصلى ويقرا القرآن فقال النضر قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا
الا اساطير الاولين اخبار الامم الماضيه واسمارهم وما يسطر الاولون فى كتبهم
والاساطير جمع اسطوره وهى المكتوبه من قولهم سطرت اى كتبت واذ قالوا اللهم
ان كان هذا هو الحق من عندك هذا ايضا من كلام ذلك القائل ابلغ فى الجحود قال
بن عباس لما قص رسول الله صلى الله عليه وسلم شان القرون الماضيه قال النضر
لوشئت لقلت مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولون فى كتبهم فقال له عثمان بن مظعون
اتق الله فان محمدا صلى الله عليه وسلم يقول الحق قال فانا اقول الحق قال عثمان فان محمدا

يقول لا اله الا الله قال فانا اقول لا اله الا الله ولكن هذه بنات الله يعنى الاصنام
ثم قال اللهم ان كان هذا الذى يقول محمد هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء كما امطرتها على قوم لوط او ائتنا بعذاب اليم قال عطاء لقد نزل فى النضر
بضع عشره آيه فحاق به ماسال من العذاب يوم بدر قال سعيد بن جبير قتل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثلثة من قريش صبرا طعيمة بن عدى وعقبه بن ابى
معيط والنضر بن الحارث وروى انس ان الذى قاله ابوجهل وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بيان لما كان الموجب لامهالهم و
التوقف عن اجابه دعاهم قال الضحاك وجماعه ماكان الله ليعذبهم وانت فيهم مقيم
بمكه بين اظهرهم قالوا ونزلت هذه الآيه على النبى صلى الله عليه وسلم وهو مقيم بمكه ثم
خرج من بين اظهرهم وبقيت بها بقيه من المسلمين يستغفرون فانزل الله تعالى وماكان
الله معذبهم وهم يستغفرون ثم خرج اولئك من بينهم فعذبوا فاذن الله فى فتح مكه فهو
العذاب الذى وعدهم قال ابوموسى الاشعرى كان فيكم امانان وماكان الله ليعذبهم وانت
فيهم وماكان معذبهم وهم يستغفرون فاما النبى صلى الله عليه وسلم فقد مضى والاستغفار
كائن فيكم الى يوم القيمه وما لهم الا يعذبهم الله وما لهم مما يمنع تعذيبهم متى زال
ذلك وهو كونهم انت فيهم وكيف لايعذبون وهم يصدون عن المسجد الحرام
وحالهم ذلك ومن صدهم عنه الجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين الى الهجره
واحصارهم عام الحديبيه قال بن عباس لم يعذب الله قريه حتى يخرج النبى منها
والذين آمنوا ويلحق بحيث امر فقال وماكان الله ليعذبهم وانت فيهم وماكان الله معذبهم
وهم يستغفرون يعنى المسلمين فلما خرجوا قال الله وما لهم الا يعذبهم الله فعذبهم
يوم بدر وقيل اراد بالعذاب الاول الاستيصال واراد بقوله وما لهم الا يعذبهم
الله اى بالسيف وقيل اراد بالاول عذاب الدنيا وبهذه الآيه عذاب الاخره وما كانوا
اولياءه مستحقين ولاية امره مع شركهم قال الحسن كان المشركون يقولون نحن اولياء
المسجد الحرام فرد الله عليهم بقوله وما كانوا اولياءه اى اولياء البيت ان اولياؤه
ليس اولياء البيت الا المتقون يعنى المومنون الذين يتقون عن الشرك ولكن
اكثرهم لايعلمون ان لا ولاية لهم عليه كانه نبه بالاكثر ان منهم من يعلم ويعاند
وما كان صلاتهم اى دعاؤهم عند البيت او ما يصنعون موضع الصلوة الا
مكاء وتصديه قال بن عباس والحسن المكاء الصفير وهو فى اللغه اسم طاير ابيض

يكون بالحجاز له صفير كانه قال الا صوت مكاء والتصديه التصفيق قال بن عباس
كانت قريش يطوفون بالبيت وهم عراة يصفرون ويصفقون قال مقاتل كان النبى
صلى الله عليه وسلم اذا صلى فى المسجد قام رجلان عن يمينه فيصفران ورجلان عن
يساره يصفقان ليخلطوا على النبى صلى الله عليه وسلم صلوته وهم من بنى عبد الدار و
مساق الكلام لتقرير استحقاقهم للعذاب وعدم ولايتهم للمسجد فانها لاتليق بمن هذه
صلاته فذوقوا العذاب يعنى القتل والاسر يوم البدر وقيل عذاب الاخره بما
كنتم تكفرون اعتقادا وعملا ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل
الله اى ليصرفوا عن دين الله قال مقاتل والكلبى نزلت فى المطعمين يوم بدر وكانوا
اثنى عشر رجلا ابوجهل بن هشام وعتبه وشيبه ابنا ربيعه بن عبد الشمس ونبيه
ومنبه ابنا الحجاج وابو البخترى بن هشام والنضر بن الحارث وحكيم بن حرام وابى بن
خلف وزمعة بن الاسود والحارث بن عامر بن نوفل والعباس بن عبد المطلب
وكلهم من قريش كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزر وقال الحكم بن عتيبه نزلت
فى ابى سفيان انفق على المشركين يوم احد اربعين اوقيه فسينفقونها ثم تكون
عليهم حسرة يريد ماانفقوا فى الدنيا يصير حسرة عليهم فى الاخره ثم يغلبون
آخر الامر وان كان الحرب سجالا بينهم قبل ذلك والذين كفروا منهم الى جهنم
يحشرون خص الكفار لان منهم من اسلم ليميز الله الخبيث من الطيب يعنى الكافر
من المومن فينزل المومن الجنان والكافر النيران وقال الكلبى العمل الخبيث من
العمل الصالح الطيب فيثيب على الاعمال الصالحه الجنه وعلى الاعمال الخبيثه النار فاللام
متعلقه بيحشرون وقيل يعنى الانفاق الخبيث فى سبيل الشيطان من الانفاق
الطيب فى سبيل الله ويجعل الخبيث بعضه على بعض اى فوق بعض فيركمه جميعا
اى يجمعه ومنه السحاب المركوم وهو المجتمع الكثيف فيجعله فى جهنم اولئك هم الخاسرون
الذين خسرت تجارتهم لانهم اشتروا باموالهم عذاب الاخره قل للذين كفروا مثل ابى سفين
واصحابه والمعنى قل لاجلهم ان ينتهوا عن معاداه الرسول بالدخول فى الاسلام يغفر
لهم ما قد سلف من ذنوبهم وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين فى نصر الله
اولياءه وانبياءه واهلاك اعدائه قال يحيى بن معاذ الرازى توحيد لم يعجز عن
هدم ماقبله من كفر ارجو ان لايعجز عن هدم مابعده من ذنب ثم لما بين ان هولاء
الكفار ان انتهوا عن كفرهم حصل لهم الغفران وان عادوا فهو متوعدون بسنة

التوحيد

الاولين اتبعه بالامر بالقتال اذا اصروا فقال وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ اي
شرك قال الربيع حتى لا يفتن مومن عن دينه وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ يضمحل الاديان الباطله فَإِنِ انْتَهَوْا عن الكفر فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازيهم على انتهاءهم عنه
والسلامهم وَإِنْ تَوَلَّوْا عن الايمان وعادوا الى قتال اهله فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ
ناصركم ومعينكم نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ لما امر بالقتال وكان من المعلوم ان الجزء ١٠
عندها يحصل الغنيمه فذكر حكمها فقال وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ مما يقع عليه اسم الشيء
حتى الخيط فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ الغنيمه والفيء اسمان لما تصيبه المسلمون من
اموال الكفار فذهب جماعه الى انهما واحد وذهب قوم الى انهما يختلفان فالغنيمه ما اصاب
المسلمين من الكفار عنوة بقتال والفيء ما كان عن صلح بغير قتال فذكر الله تعالى في
هذه الايه حكم الغنيمه فقال ان لله خمسه وللرسول فذهب اكثر المفسرين والفقهاء الي
ان قوله لله افتتاح كلام على سبيل التبرك وقال قوم ان خمس الغنيمه تقسم على خمسه
اسهم والسهم المضاف الى الله ورسوله كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حيوته
واليوم هو لمصالح المسلمين وما فيه قوة الاسلام وهو قول الشافعي رحمه الله روي
الاعمش عن ابراهيم قال كان ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم
في الكراع والسلاح وقال ابو حنيفه رحمه الله سقط سهمه وسهم ذوي القربى بوفاته
عليه الصلوة والسلام وصار الكل مصروفا الى الثلثه الباقيه وعن مالك ان الامر فيه
مفوض الى راي الامام يصرفه الى ما يراه اهم وَلِذِي الْقُرْبَى اراد ان سهما من الخمس
لذوي القربى وهم اقارب النبي صلى الله عليه وسلم واختلفوا فيه فقال قوم هم جميع
قريش وقال قوم هم الذين لا يحل لهم الصدقة فقال مجاهد وعلي بن الحسين هم بنو هاشم
وبنو المطلب وليس لبني عبد شمس ولا لبني نوفل منه شيء وان كانوا اخوة لما
روي عن جبير بن مطعم قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القربى بين بني
هاشم وبني المطلب ولم نعط منه احدا من بني عبد شمس ولا بني نوفل شيئا وعن
مطعم قال قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القربى بين بني هاشم وبني المطلب
اتيته انا وعثمان بن عفان فقلنا يا رسول الله هؤلاء اخواننا من بني هاشم لا ننكر فضلهم
لمكانك الذي وضعك الله منهم ارايت اخواننا من بني المطلب اعطيتهم وتركتنا و
منعتنا وانما قرابتنا وقرابتهم واحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بنو هاشم
وبنو المطلب شيء واحد وشبك بين اصابعه وَالْيَتَامَى وهو جمع اليتيم واليتيم الذي

له سهم الخمس هو الصغير المسلم الذي لا اب له اذا كان فقيرا وَالْمَسَاكِينِ هم اهل الفاقه
والحاجه من المسلمين وَابْنِ السَّبِيلِ هو المسافر البعيد عن ماله فهذا مصرف خمس الغنيمه
وتقسم اربعه اخماس الغنيمه بين الغانمين الذين شهدوا الواقعة للفارس منهم ثلثه اسهم
وللراجل سهم واحد إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فاقبلوه واعملوا به فان العلم العملي اذا امر به لم
يرد منه العلم المجرد لانه مقصود بالعرض والمقصود بالذات العمل وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا
محمد من الايات والملائكه والنصر يَوْمَ الْفُرْقَانِ يوم بدر فانه فرق فيه بين الحق والباطل
يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ حزب الله وحزب الشيطان وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر على
نصر القليل على الكثير والامداد بالملائكة إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا بدل من يوم الفرقان
والعدوة بالحركات الثلث شط الوادي والدنيا تانيث الادنى بمعنى الاقرب وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ
الْقُصْوَى البعدى من المدينه تانيث الاقصى وَالرَّكْبُ يعني العير يريد ابا سفيان و
اصحابه أَسْفَلَ مِنْكُمْ اي في موضع اسفل منكم الى ساحل البحر على ثلثه اميال من بدر
وفايده ذكر قوله تعالى والركب اسفل منكم الدلالة على قوة العدو واستظهارهم بالركب
وحرصهم على المقاتله عنها وتوطين نفوسهم على ان يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى جهدهم
وضعف شان المسلمين واستبعاد غلبتهم عادة وكذا ذكر مراكز الفريقين فان العدوة الدنيا
كانت رخوة تسوخ فيها الارجل ولا يمشي الا بتعب ولم يكن فيها ماء بخلاف العدوة القصوى
وكذا قوله وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ اي لو تواعدتم انتم وهم للقتال ثم علمتم حالكم و
حالهم لاختلفتم انتم في الميعاد لقلتكم وكثرة عدوكم وَلَكِنْ جمع بينكم على هذه الحال من غير
ميعاد لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا حقيقا بان يفعل من نصر اوليائه واعزاز دينه واهلاك
اعدائه لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ بدل من قوله تعالى ليقضي
الله امرا كان مفعولا اي ليموت من يموت على بينه راها وعبرة عاينها ويعيش من يعيش
عن حجة شاهدها لئلا يكون له حجة ومعذرة فان وقعة بدر من الايات الواضحة قال
محمد بن اسحق ليكفر من كفر بعد حجه قامت عليه ويومن من آمن على مثل ذلك وَإِنَّ
اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ بكفر من كفر وعقابه وايمان من آمن وثوابه ولعل الجمع بين الوصفين
لاشتمال الامرين على القول والاعتقاد إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ بدل ثان من يوم الفرقان
او مقدر باذكر اي اذكر اذ يريك الله يا محمد المشركين فِي مَنَامِكَ في نومك وقال الحسن
في منامك اي في عينك لان العين موضع النوم قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ لجبنتم
وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ امر القتال وتفرقت آراؤكم بين الثبات والفرار وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ

اي سلمكم من المخالفه والفشل إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ يعلم ما سيكون فيها وما يغير احوالها
قال ابن عباس علم ما في صدوركم من الحب لله عز وجل وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي
أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا قال مقاتل وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم راى في المنام ان العدو قليل
قبل لقاء العدو واخبر اصحابه بما راى فلما التقوا ببدر قلل الله المشركين في اعين المومنين
قال ابن مسعود رضي الله عنه لقد قللوا في اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبي تراهم سبعين
قال اراهم مائة فاسرنا رجلا فقلنا كم كنتم قال الفا وَيُقَلِّلُكُمْ يا معشر المومنين فِي أَعْيُنِهِمْ
قال السدي قال ناس من المشركين ان العير قد انصرفت فارجعوا فقال ابو جهل الآن
اذ برز لكم محمد واصحابه فلا ترجعوا حتى تستاصلوهم انما محمد واصحابه اكله جزور فلا
تقتلوهم واربطوهم بالحبال يقوله من القدرة على نفسه قال الكلبي استقل بعضهم بعضا
ليجترؤا على القتال فقلل المشركين في اعين المومنين لكيلا يجبنوا وقلل المومنين في
اعين المشركين لكي لا يهربوا لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا من اعلاء الاسلام واعزاز
اهله واذلال المشركين واهله كرره لاختلاف الفعل المعلل به وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً حاربتم جماعة ولم يصفها لان المومنين ما كانوا يلقون
الا الكفار واللقاء مما غلب في القتال فَاثْبُتُوا لقتالهم وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا في مواطن الحرب
داعين له مستظهرين بذكره متوقعين لنصره لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ تظفرون بمرادكم من
النصرة والمثوبه وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي ان لا يشغله شيء عن ذكر الله وان
يلتجئ اليه عند الشدائد ويقبل اليه بشراشره فارغ البال واثقا بان لطفه سبحانه
وتعالى لا ينفك عنه في شيء من الاحوال وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا لا تختلفوا
كما فعلتم باحد فَتَفْشَلُوا اي تجبنوا وتضعفوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ قال الاخفش
دولتكم اي الريح مستعار للدولة من حيث انها في تمشي امرها ونفاذه مشبهة بها في هبوبها
ونفوذها تقول العرب هبت ريح فلان اذا اقبل امره على ما يريد قال قتادة وابن زيد
هو ريح النصر لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله عز وجل تضرب وجوه العدو اي
المراد بها الحقيقة فان النصر لا يكون الا بريح يبعثها ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وعن النعمن بن مقرن قال شهدت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا لم يقاتل اول النهار انتظر حتى تزول الشمس وتهب
الرياح وينزل النصر وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ بالحفظ والنصر عن سالم
ابي النضر مولى عمر بن عبيد الله وكان كاتبا له قال كتب اليه عبد الله بن ابي اوفى

فقرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض ايامه التي لقي فيها انتظر حتى مالت
الشمس ثم قام في الناس قال يا ايها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافيه
فاذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا ان الجنه تحت ظلال السيوف ثم قال اللهم منزل الكتاب
ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم قال الكاشف اصبروا في بلاء
محبتي وانظروا الى مقام البلاء حتى تروني ما في اتجلى للصابرين في مكان صبرهم بي
وايضا اصبروا بي فان الصبر معي يوجب مراد الصابرين في نصرتهم على عدوهم من
من النفوس والشياطين وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ يعني اهل مكة
حين خرجوا منها لحماية العير بَطَرًا فخرا واشرا فالبطر الطغيان في النعمة
وترك شكرها روي انه لما اقبلوا الى بدر ولهم بغي وفخر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها تحادك وتكذب رسولك
اللهم فنصرك الذي وعدتني وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ
بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ قالوا ولما راى ابو سفيان انه احرز عيره ارسل الى قريش
انكم انما خرجتم لتمنعوا عيركم فقد نجاها الله فارجعوا فقال ابو جهل والله لا نرجع
حتى نرد بدرا وكان بدر موسما من مواسم العرب يجتمع لهم بها سوق كل عام فنقيم
بها ثلاثا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القينات وتسمع بنا
العرب فلا يزالون يهابوننا ابدا فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم
النوائح مكان القينات بها فنهى الله تعالى عباده المومنين ان يكونوا مثلهم وامرهم
باخلاص النية والحسبة في نصرة دينه ومؤازرة نبيه صلى الله عليه وسلم وَإِذْ
زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وكان تزيينه ان قريشا لما اجتمعت للسير ذكرت
التي بينها وبين بني بكر من الحرب فكاد ذلك ان يثنيهم فجاء ابليس في جند من
الشياطين معه رايته فبدى لهم في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وَقَالَ لَا غَالِبَ
لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ اي مجير لكم فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ التقى الجمعان
راى ابليس الملائكة نزلوا من السماء علم انه لا طاقة له بهم نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ رجع
القهقرى على قفاه هاربا قال الكلبي لما التقوا كان ابليس في صف المشركين على صورة
سراقة آخذا بيد الحرث بن هشام فنكص على عقبيه فقال له الحرث افرارا من غير
قتال وجعل يمسكه فدفع عن صدره وانطلق وانهزم الناس فلما قدموا مكة قالوا
هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال بلغني انكم تقولون اني هزمت الناس

فوالله ما شعرت بمسيركم حتى بلغني هزيمتكم فقالوا ما آتيتنا يوم كذا فحلف لهم
فلما اسلموا علموا ان ذلك كان الشيطان وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ
فصدق قال الحسن راى ابليس جبرئيل عليه السلام معتجرا ببرد يمشي بين يدي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده اللجام يقود الفرس ما ركب إِنِّي أَخَافُ
اللَّهَ فكذب والله ما به مخافة الله ولكن علم انه لا قوة به ولا منعه فاورد هم
واسلمهم وذلك عادة عدو الله لمن اطاعه اذا التقى الحق والباطل اسلمهم وبرا
منهم وقال عطاء اني اخاف الله ان يهلكني فيمن اهلك وذلك بانه لما راى فيه ما لم ير
قبله خاف ان يكون هو الوقت الموعود وقيل معناه اني اخافه ان يصيبني بمكروه
من الملائكة وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ يجوز ان يكون من كلامه وان يكون مستانفا
عن طلحة بن عبد الله بن كريز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما روي
الشيطان يوما هو فيه اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه يوم عرفة وما ذلك
الا لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما كان من يوم بدر
قيل وما راى من يوم بدر قال اما انه قد راى جبرئيل عليه السلام وهو يزع الملائكة
هذا حديث مرسل إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والذين هي في قلوبهم
شبهة غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ يعني غر المومنين دينهم كان قوم مستضعفين بمكة وقد
اسلموا وحبسهم اقرباؤهم من الهجرة فلما خرجت قريش الى بدر اخرجوهم كرها فلما نظروا
الى قلة المسلمين ارتابوا وارتدوا وقالوا غر هؤلاء دينهم فقتلوا جميعا منهم قيس بن الوليد
بن المغيرة وابو قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزوميان والحارث بن زمعة بن الاسود بن المطلب
وعلي بن امية بن خلف الجمحي والعاص بن منبه الحجاج وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ جواب لهم
فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غالب لا يذل من استجار به وان قل حَكِيمٌ يفعل بحكمته البالغة ما
يستبعده العقل ويعجز عن ادراكه ولما شرح احوال الكفار شرح كيفية اخذهم وعذابهم
فقال وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ اي يقبضون ارواحهم قيل هذا عند
الموت تضرب الملائكة وجوه الكفار وادبارهم بسياط النار وقيل اراد الذين
قتلوا من المشركين ببدر كانت الملائكة يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ والمراد تعميم الضرب
اي يضربون ما اقبل منهم وما ادبر قال ابن عباس كان المشركون اذا اقبلوا بوجوههم
الى المسلمين ضربت الملائكة وجوههم بالسيوف واذا ولوا ادركتهم الملائكة فضربوا ادبارهم
وقال سعيد بن جبير ومجاهد يريد استاههم ولكن الله حيي يكني وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ

اي ويقول

اي ويقول الملائكة لهم ذوقوا عذاب الحريق وقيل كان مع الملائكة مقامع من حديد
يضربون بها الكفار فتلتهب النار في جراحاتهم فذلك قوله تعالى وذوقوا عذاب الحريق
وقال الحسن هذا يوم القيمة يقول لهم خزنة جهنم ذوقوا عذاب الحريق وقال ابن
عباس يقولون لهم ذلك بعد الموت ذَلِكَ الضرب والعذاب بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ بسبب
ما كسبتم من الكفر والمعاصي وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ معناه ان
عادة هؤلاء في كفرهم كعادة آل فرعون قال ابن عباس هو ان آل فرعون ايقنوا ان موسى
عليه السلام نبي من الله وكذبوه كذلك هؤلاء جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بالصدق
وكذبوه فانزل الله تعالى بهم عقوبة كما انزل بآل فرعون وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ اي كعادة
الذين من قبلهم كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ
لا يغلبه في دفعه شيء ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنْفُسِهِمْ اراد ان الله لا يغير ما انعم على قوم حتى يغيروا ما بهم الى الكفران وترك الشكر
فاذا فعلوا ذلك غير الله ما بهم فسلبهم النعمة قال السدي نعمة الله محمد صلى الله عليه وسلم
انعم الله به على قريش واهل مكة فكذبوه وكفروا به فنقله الله تعالى الى الانصار وَأَنَّ اللَّهَ
سَمِيعٌ لما يقولون عَلِيمٌ بما يفعلون قال جعفر ما دام العبد يعرف نعم الله عنده فان الله
لا ينزع عنه نعمه حتى اذا جهل النعم ولم يشكر الله عليها اذ ذاك حري بان ينزع منه كَدَأْبِ
آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ
فِرْعَوْنَ والتكرير لوجوه منها التاكيد ومنها ان الاول لتشبيه الكفر والاخذ به والثاني
لتشبيه التغيير في النعم بسبب تغييرهم ما بانفسهم ومنها ان الاول لما ذكر والثاني للدلالة على
كفران النعم بقوله تعالى كذبوا بآيات ربهم وبيان ما اخذ به آل فرعون وَكُلٌّ من الفرق
المكذبة من الاولين والآخرين كَانُوا ظَالِمِينَ انفسهم بالكفر والمعاصي ثم لما وصف ذلك
الكفار بقوله وكانوا ظالمين افرد بعضهم بمزيد البغي والفساد فقال إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ
الَّذِينَ كَفَرُوا اصروا على الكفر ورسخوا فيه فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ فلا يتوقع منهم ايمان قال الكلبي
ومقاتل يعني يهود قريظة منهم كعب بن الاشرف واصحابه الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ اي عاهدتهم
وادخل من لتضمين معنى الاخذ لان معناه اخذت منهم العهد ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ
مَرَّةٍ وهم بنو قريظة نقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم واعانوا
المشركين بالسلاح على قتال النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ثم قالوا نسينا واخطانا فعاهدهم
الثانية فنقضوا العهد وما لا وا الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق

ما لا فلان فلانا اي عاونه

وركب كعب بن الاشرف الى مكة فوافقهم على مخالفة النبي صلى الله عليه وسلم وَهُمْ
لَا يَتَّقُونَ اي لا يخافون الله في نقض العهد فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ تجدنهم فِي الْحَرْبِ وقال
مقاتل ان ادركتهم في الحرب واسرتهم فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ قال ابن عباس فنكل بهم
من وراءهم قال سعيد بن جبير انذر بهم من خلفهم واصل التشريد التفريق والتبديد
معناه فرق بهم جمع كل ناقض اي افعل بهؤلاء الذين نقضوا عهدك وجاؤا لحربك فعلا
من القتل والتنكيل تفرق منك ويخافك من خلفهم من اهل مكة واليمن لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ
يتعظون ويعتبرون ولا ينقضون العهد وَإِمَّا تَخَافَنَّ اي تعلمن يا محمد مِنْ قَوْمٍ
معاهدين خِيَانَةً نقض عهد بما ظهر لكم من آثار الغدر كما ظهر لك من قريظة والنضير
فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ فاطرح اليهم عهدهم عَلَى سَوَاءٍ يقول اعلمهم قبل حربك اياهم انك قد
فسخت العهد بينك وبينهم حتى تكون انت وهم في العلم بنقض العهد سواء فلا يتوهموا
انك نقضت العهد بنصب الحرب معهم إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ عن سليم بن عامر
رجل من حمير قال كان بين معوية وبين الروم عهد وكان يسير نحو بلادهم حتى اذا
انقضى العهد غزاهم فجاءه رجل على فرس وهو يقول الله اكبر الله اكبر وفاء لا غدر
فنظروا فاذا هو عمرو بن عبسة فارسل اليه معوية فساله فقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي
امدها او ينبذ اليهم عهدهم على سواء فرجع معوية ثم لما بين ما يفعله الرسول في حق
من يجده في الحرب ويقدر عليه وذكر ايضا ما يجب ان يفعله فيمن نقض العهد
بين ايضا حال من فاته ولم يقدر عليه فقال وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا نزلت
في الذين انهزموا يوم بدر من المشركين فمن قرا بالياء يقول لا يحسبن الذين كفروا
انفسهم سابقين فائتين من عذابنا ومن قرا بالتاء فعلى الخطاب إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ
قرئ بفتح الالف اي لانهم لا يعجزوننى ولا يفوتوننى وقرئ بكسر الالف على الابتداء
ثم لما اتفق لاصحاب الرسول يوم بدر ان قصدوا الكفار بلا آلة وعدة امرهم الله
ان لا يعودوا لمثله وان يعدوا للكفار ما امكنهم من الآلة والقوة والاسلحة فقال
وَأَعِدُّوا لَهُمْ للكفار والاعداد اتخاذ الشيء لوقت الحاجة مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ
اي من الآلات التي يكون لكم قوة عليهم من الخيل والسلاح عن عقبة بن عامر
يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول واعدوا لهم ما استطعتم
من قوة الا ان القوة الرمي وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم

الروم

الروم ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان يلهو باسهمه وعن ابي نجيح قال حاصرنا مع النبي
صلى الله عليه وسلم الطائف فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من بلغ بسهم في سبيل الله
فهو له درجة في الجنة قال فبلغت يومئذ ستة عشر سهما وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول من رمى بسهم في سبيل الله فهو عدل محرر وعن عقبة بن عامر الجهني عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله يدخل بالسهم الواحد الجنة ثلثة صانعه والممد به والرامي به
في سبيل الله وعنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يدخل بالسهم الواحد
ثلثة نفر في الجنة صانعه يحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله وارموا واركبوا وان
ترموا احب الي من ان تركبوا كل شيء يلهو به الرجل باطل الا رميه بقوسه وتاديبه فرسه
وملاعبته امراته فانهن من الحق ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه فانه نعمة
تركها او قال كفرها وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ يعني ربطها واقتناءها للغزو وقال عكرمة
القوة الحصون ومن رباط الخيل الاناث روي عن خالد بن الوليد انه كان لا يركب
في القتال الا الاناث لقلة صهيلها وعن ابي محيريز قال كان الصحابة يستحبون الذكور
من الخيل عند الصفوف واناث الخيل عند البيات والغارات عن عروة البارقي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيمة الاجر والمغنم
وعن ابي هريرة انه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من احتبس فرسا في سبيل الله
عز وجل ايمانا بالله وتصديقا بوعده فان شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه
يوم القيمة وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الخيل لرجل اجر ولرجل
ستر ولرجل وزر فاما الذي له اجر فرجل ربطها في سبيل الله عز وجل فاطال
طالها في مرج او روضة فما اصابت في طيلها ذلك من المرج او الروضة كانت له
حسنات ولو انها انقطعت طيلها فاستنت شرفا او شرفين كانت آثارها وارواثها
حسنات له ولو انها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد ان يسقيها كانت ذلك له حسنات
فهي لذلك اجر واما الذي هي له ستر فرجل ربطها تغنيا وتعففا ثم لم ينس
حق الله في رقابها ولا ظهورها فهي له ستر واما الذي هي عليه وزر فرجل ربطها
فخرا ورياء ونواء لاهل الاسلام فهي على ذلك وزر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الحمر فقال ما انزل علي فيها شيء الا هذه الآية الجامعة الفاذة فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال الكاشف اعلم الله ان المؤمنين والعارفين
استعداد قتال اعداء الله وسمى آلة القتال القوة وتلك القوة الالهية التي لا ينالها

الطيل بكسر الطاء الحبل

العارف من الله الا الخضوع بين يديه بنعت الفناء في جلاله فاذا كان كذلك يلبسه الله تعالى
لباس عظمته ونور كبريائه وهيبته وعزته الي الدعاء عليهم ويجعله منبسطا حتى يقول
في همته وسر الحق خذهم فاخذهم بلحظه ويسقطهم صرعى بين يديه بعزته وكرمه وتسلى
قلب وليه ويفرحه من سرور معارضته ومنكريه وذلك سهم رمى من قوس الحق عن كنانه
الغيب كما رمى نبي الله صلى الله عليه وسلم الى منكريه حين قال شاهت الوجوه وهذا الرمي من الله
بقوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى سمعت ان ذا النون كان في غزو وغلب المشركون
على المومنين فقيل له لو دعوت الله فنزل عن دابته وسجد فهزم الكفار في لحظه واخذوا
جميعا واسروا وقتلوا قال ابو علي الروذباري القوة هي الثقة بالله قيل ظاهر الآية انه الرمي
بسهام القسي وفي الحقيقة رمي بسهام الليالي في الغيب بالخضوع والاستكانة ورمي القلب
الى الحق معتمدا عليه راجعا عما سواه تُرْهِبُونَ بِهِ تخوفون به والضمير لما استطعتم او
للاعداد عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ يعني كفار مكة وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ من غيرهم من الكفرة
قيل هم اليهود وقيل المنافقون وقيل الفرس لَا تَعْلَمُونَهُمُ لا تعرفونهم باعيانهم اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا
تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ جزاءه وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ بتضييع العمل او نقص
الثواب ثم لما بين ما يرهب به العدو بين انهم اذا مالوا الي الصلح فالحكم القبول فقال وَإِنْ
جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا اى وان مالوا الي الصلح فمل اليها وصالحهم وعاهدهم روى عن
قتاده والحسن ان هذه الآيه منسوخه بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وَتَوَكَّلْ
عَلَى اللَّهِ ولا تخف من ابطانهم خداعا فيه فان الله يعصمك من مكرهم ويحيقه بهم
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لاقوالهم الْعَلِيمُ بنياتهم ثم لما امر بالصلح ذكر حكما من احكامه وهو انهم
ان صالحوا على سبيل المخادعة وجب القبول فقال وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ بغدروا
ويمكروا بك قال مجاهد يعني بنى قريظه فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ كافيك الله هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ
وَبِالْمُؤْمِنِينَ الانصار وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ مع ما فيهم من العصبية والضغينة في ادنى شئ
والتهالك على الانتقام بحيث لا يكاد يأتلف فيهم قلبان حتى صاروا كنفس واحدة وهذا
من معجزاته صلوات الله وسلامه عليه قال الكاشف جمع ارواحا في بدو الامر على
موائد شريعة المشاهدة ومشارع الحقيقه وائتلفت بعضها بعضا في الحضرة القديمة عند
مشاهدة الجليل جل جلاله فارتفعت من بينهم المناكرة ووقعت بينهم المصادقه والمحبه والموافقه
ثم اكد ذلك الايتلاف بانه لا يكون من صنع الخلق وتكلف الاكتساب بل من القائه نور
الاسلام في قلوبهم وجمعه اياهم على متابعة نبيه بطوعه ولطفه فقال لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ

جميعا

جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ اى تناهي عداوتهم الى حد لو انفق منفق في اصلاح ذات
البين ما في الارض من الاموال لم يقدر على الالفة والاصلاح وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ
بقدرته البالغة فانه المالك للقلوب يقلبها كيف يشاء إِنَّهُ عَزِيزٌ تام القدرة والغلبة لا
يعصى عليه ما يريد حَكِيمٌ يعلم انه كيف ينبغي ان يفعل ما يريد وقيل الآيه في الاوس و
الخزرج وكان بينهم احن وترات لا امد لها ووقايع هلكت فيها ساداتهم فانساهم الله ذلك
والف بين قلوبهم بالاسلام حتى تصافوا وصاروا انصارا قال بن عطاء ما في السماء لا يوجد
الا بالافتقار وما في الارض لا يوجد الا بالاضطرار يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قال سعيد بن جبير اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلث وثلثون رجلا وست
نسوة ثم اسلم عمر فتم به الاربعون فنزلت هذه الآيه وقيل الآيه نزلت بالبيدا في غزوة بدر
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ بالغ في حثهم واصله الحرض وهو ان ينهكه
المرض حتى يشفي على الموت إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ من عدوهم
يقهروهم وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صابرة يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ذلك بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ اى ان المشركين يقاتلون على غير احتساب ولا طلب ثواب ولا يثبتون اذا
صدقتموهم القتال خشية ان يقتلوا وكان هذا يوم بدر فرض الله على الرجل الواحد
من المومنين قتال عشرة من الكافرين فثقلت على المومنين فخفف الله عنهم فنزل الآن
خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا قيل الضعف ضعف البدن وقيل ضعف البصيرة
وكانوا متفاوتين فيها فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ من الكفار وَإِنْ
يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ بالنصر فرد من العشرة
الى الاثنين فان كان المسلمون على الشطر من عدوهم لا يجوز لهم ان يفروا وتكرير
المعنى الواحد بذكر الاعداد المتناسبه للدلالة على ان حكم القليل والكثير واحد قال
ابن شبرمه وارى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا قال النصرابادي هذا
التخفيف كان للامة دون الرسول ومن لا يثقله حمل امانة النبوة كيف يخاطب بتخفيف
اللقاء للاضداد وكيف يخاطب به الرسول عليه الصلوة والسلام وهو الذى يقول بك
اصول وبك احول ومن كان به كيف عليه او يثقل عليه مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى
جمع اسير كالقتلى جمع قتيل حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ يكثر القتل ويبالغ فيه حتى يذل
الكفر ويقل حزبه ويعز الاسلام ويستولي اهله من اثخنه المرض اذا اثقله
تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا باخذكم الفداء وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ يريد لكم ثواب الآخرة

اذ سبب نيل الآخرة من اعزاز دينه وقمع اعدائه وَاللَّهُ عَزِيزٌ يغلب اوليائه على
اعدائه حَكِيمٌ يعلم ما يليق بكل حال عن عبد الله بن مسعود انه قال لما كان يوم بدر
لما كان يوم بدر وجيء بالاسراء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تقولون في هولاء
فقال ابو بكر يا رسول الله هولاء قومك واهلك استبقهم واستأن بهم لعل الله ان
يتوب عليهم وخذ منهم فديه يكون لنا قوة على الكفار وقال عمر يا رسول الله كذبوك
واخرجوك قدمهم نضرب اعناقهم مكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ومكني من
فلان نسيب لعمر فاضرب عنقه فان هولاء ائمة الكفر وقال عبد الله بن رواحة يا
رسول الله انظر واديا كثير الحطب فادخلهم ثم اضرم عليهم نارا فقال له العباس
قطعت رحمك فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ثم دخل فقال ناس ناخذ
بقول ابي بكر وقال ناس ناخذ بقول عمر وقال ناس ناخذ بقول ابن رواحة فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله ليلين قلوب رجال حتى يكونوا الين من
اللبن ويشدد قلوب رجال حتى يكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابا بكر مثل ابرهيم
قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثلك يا ابا بكر مثل عيسى قال
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم وان مثلك يا عمر مثل نوح
قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثلك كمثل موسى قال ربنا اطمس
على اموالهم واشدد على قلوبهم الآيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتم اليوم عالة
فلا يفلتن منهم احد الا بفداء او ضرب عنق قال ابن مسعود الا سهيل بن بيضاء فاني
سمعته يذكر الاسلام فسكت رسول الله فما رايتني في يوم اخوف ان تقع على الحجارة
من السماء من ذلك اليوم حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سهيل بن بيضاء
قال بن عباس قال عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فهوي رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال
ابو بكر ولم يهو ما قلت فلما كان من الغد جئت فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم
قاعدين يبكيان قلت يا رسول الله اخبرني من اى شئ تبكي انت وصاحبك فان
وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت لبكائكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابكي للذى عرض علي اصحابك من اخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه
الشجرة شجرة قريبة من النبي صلى الله عليه وسلم وانزل الله عز وجل ما كان لنبي الى قوله
فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا فاحل الله الغنيمة لهم وكان الفداء لكل اسير اربعين اوقيه
والاوقيه اربعون درهما قال ابن عباس كان هذا يوم بدر والمسلمون يومئذ قليل

فلما كثروا

فلما كثروا واشتد سلطانهم انزل الله عز وجل في الاسارى واما منا بعد واما فداء
فجعل الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين في امر الاسارى بالخيار ان شاؤا
قتلوهم وان شاؤا استعبدوهم وان شاؤا اعتقوهم وان شاؤا فادوهم قال
الكاشف اخبر سبحانه وتعالى عن سر فطرة النفس الامارة التى من جبلتها ان تميل
في اكثر الاوقات الى شهواتها وذلك ميلان القلب احيز عن الخطرات دون الوردات
وحاشا انهم يريدون عرض الدنيا ولا يريدون شاهد الحق ولقاء الآخرة لكن
ما سامحهم الله في جريان تلك الخواطر لقدس اسرارهم ونياتهم في معرفته وخدمته وطهارة
الا ترى كيف حذر نبيه عليه الصلوة والسلام مع جلالته عن النظر الى الدنيا بقوله ولا
تعد عيناك عنهم تريد زينة الحيوة الدنيا وقال لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
اى يريدون الرفاهيه في المجاهدة من قبل النفس خاطرا وانا اريد بكم كشف مشاهد
الآخرة ووصولكم الى مقام القربة والمشاهدة قال جعفر ان يريد الله لكم خير مما تريدون
لانفسكم لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ قال ابن عباس كانت الغنايم حراما على الانبياء و
الامم وكانوا اذا اصابوا شيئا من الغنايم كان للقربان وكان ينزل نار من السماء فتاكله
فلما كان يوم بدر اسرع المومنون في الغنايم واخذوا الفداء فانزل الله عز وجل لولا
كتاب من الله سبق يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بانه يحل لكم
الغنايم وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبير لولا كتاب من الله سبق انه لا يعذب
احدا ممن شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن جريج لولا كتاب من الله سبق
انه لا يضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون وانه لا ياخذ قوما فعلوا اشياء
بجهالة لَمَسَّكُمْ لنالكم واصابكم فِيمَا أَخَذْتُمْ من الفداء قبل ان تومروا به عَذَابٌ عَظِيمٌ
قال ابن اسحق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو نزل عذاب من السماء ما نجا منهم
غير عمر بن الخطاب وسعد بن معاذ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
غَفُورٌ رَحِيمٌ غفر لكم ذنبكم واباح لكم ما اخذتم روى انه لما نزلت الآيه الاولى كف
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ايديهم عما اخذوا من الفداء فنزل فكلوا مما
غنمتم الآيه روينا عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال احلت لي الغنايم ولم تحل
لاحد قبلي وعن ابي هريرة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنايم لاحد من
قبلنا ذلك بان الله راى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا قال جعفر الحلال ما لا يعصى الله فيه
والطيب ما لا ينسى الله فيه وقال الاستاد الحلال ما كان ماذونا فيه والحلال الطيب

ان يعلم ذلك من قبل الله فضلا لك من قبله لا استحقاقا يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن
فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَى لما اخذ الرسول الفداء من الاسرى شق ذلك عليهم فانزل
الله الآيه وهي عامة وان نزلت في العباس بن عبد المطلب فانه كان اسر يوم بدر وكان
احد العشرة الذين ضمنوا اطعام اهل بدر وكان يوم بدر نوبته وكان خرج بعشرين
اوقيه من ذهب ليطعم بها الناس فاراد ان يطعم ذلك اليوم فاقتتلوا وبقيت العشرون
اوقيه معه فاخذت منه في الحرب فكلم النبي صلى الله عليه وسلم ان يحسب العشرين اوقيه
من فداءه فابى وقال اما شيء خرجت تستعين به علينا فلا اتركه لك وكلف ابني اخيه
عقيل ابن ابي طالب ونوفل بن الحارث فقال العباس يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما
بقيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاين الذهب الذي دفعته الى ام الفضل
وقت خروجك من مكه وقلت لها اني لا ادري ما يصيبني في وجهي هذا فان حدث
لي حدث فهذا لك ولعبد الله ولعبيد الله وللفضل وقثم يعني بنيه فقال العباس
وما يدريك قال اخبرني به ربي جل جلاله فقال له العباس اشهد انك صادق وان
لا اله الا الله وانك عبده ورسوله ولم يطلع عليه احد الا الله إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ
خَيْرًا ايمانا واصلاحا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنكُمْ من الفداء وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
قال العباس فابدلني الله عنها عشرين عبدا كلهم تاجر يضرب بمال كثير وادناهم
يضرب بعشرين الف درهم مكان العشرين اوقيه واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع
اموال مكه وانا انتظر المغفرة من ربي وَإِن يُرِيدُوا يعني الاسرى خِيَانَتَكَ فَقَدْ
خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ بالكفر ونقض ميثاقه الماخوذ بالعقل فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ اي فامكنك
منهم كما فعل يوم بدر وهذا تهديد لهم ان عادوا الى قتال المومنين ومعاداتهم وَاللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا اي هجروا قومهم وديارهم حبا لله ولرسوله
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عبارة عن القتل والمراد جهاد النفس
في هجرانها وهجرانها نزعها عن المالوفات واجراءها في سبيل الله باسقاط العلائق من
المال والاهل وذلك قوله تعالى هاجروا وجاهدوا قال ابو بكر الفارسي فضل اصحاب
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورفعهم على الخلق بشيئين بصحبتهم مع النبي صلى الله عليه وسلم
والمجاهدة معه وهجرانهم الى الله بالسرائر وغربتهم مع انفسهم الا ترى الله يقول الذين
آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله وَالَّذِينَ آوَوا رسول الله
والمهاجرين معه اي اسكنوهم منازلهم وَّنَصَرُوا اي نصروهم على اعدائهم

أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ قال ابن عباس في الميراث يتوارثون بالهجرة وكان
المهاجرون والانصار يتوارثون دون ذوي الارحام وكان من آمن منهم ولم يهاجر
لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكه انقطعت الهجرة وتوارثوا بالارحام حيث
ما كانوا وصار ذلك منسوخا بقوله عز وجل واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في
كتاب الله وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ يعني الميراث
حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا قرئ ولايتهم بكسر الواو وفتحها وهما واحد كالدلالة والدلالة
وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ اي ان استنصركم المومنون الذين لم يهاجروا فَعَلَيْكُمُ
النَّصْرُ فواجب عليكم ان ينصروهم على المشركين إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ
عهد فلا تنصروهم عليهم وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ
بَعْضٍ قال ابن عباس في الميراث اي يرث المشركون بعضهم من بعض وقال غيره
في العون والنصرة إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ قال ابن عباس الا تاخذوا في
الميراث بما امرتكم به وقال ابن جريج الا تعاونوا وتناصروا وَفَسَادٌ كَبِيرٌ الفتنة في
الارض قوة الكفر والفساد الكبير ضعف الاسلام وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لما قسم المومنين
ثلثة اقسام بين ان الكاملين في الايمان منهم هم الذين حققوا ايمانهم بتحصيل مقتضاه
من الهجرة والجهاد وبذل المال ونصر الحق ووعد لهم الموعد الكريم فقال لَّهُم
مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ الجنه ثم الحق بهم في الامرين من سيلحق بهم ويتسم بسمتهم فقال
وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ اي من جملتكم
ايها المهاجرون والانصار وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ
فهذا نسخ التوارث بالهجرة ورد الميراث الى ذوي الارحام وقوله عز وجل في كتاب الله
اي حكم الله وقيل اراد بكتاب الله القرآن يعني القسمة التي بينها في سورة النساء
قال الكاشف العلماء ورثة الانبياء ورثوا علمهم بعد رحلتهم وفهموا معرفة
سرهم سيرهم في الملكوت واقتباسهم انوار الجبروت اولئك هم الصديقون ورثوا
نعم مشاهدته وهم فيها خالدون إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ من المواريث والحكمة
في اناطتها بنسبة الاسلام والمظاهرة اولا واعتبار القرابة ثانيا عليم اي هذه
الاحكام التي بينتها كلها حكمة وصواب لان العالم بجميع المعلومات لا يحكم الا بالصواب

سورة التوبة مائة وتسع وعشرون آية مدنية

قال مقاتل مدنيه كلها الا آيتين من آخر السورة ولما اختلف الصحابه في ان
الانفال والتوبه سورتان او سورة واحدة هي سابعة السبع الطوال تركت بينهما
فرجه ولم يكتب بسم الله بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ اي هذه براءة من الله
وَرَسُولِهِ قال المفسرون لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك كان
المنافقون يرجفون الاراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله بنقض عهودهم وذلك قوله عز وجل
واما تخافن من قوم خيانة الآية قال الزجاج براءة اي قد برئ الله ورسوله
من اعطائهم العهود والوفاء بها اذا نكثوا إِلَى الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ الخطاب
مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وان كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم
وعاقدهم لانه عاهدهم واصحابه بذلك راضون فكانهم عاقدوا وعاهدوا فَسِيحُوا
فِي الْأَرْضِ رجع من الخبر الى الخطاب اي قل لهم سيحوا اي سيروا في الارض مقبلين
ومدبرين آمنين غير خائفين احدا من المسلمين أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ
مُعْجِزِي اللَّهِ بل هو قادر عليكم وانتم في قبضته وتحت قهره ومشيته وَأَنَّ اللَّهَ
مُخْزِي الْكَافِرِينَ مذلهم بالقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة اختلف المفسرون
ههنا اختلافا كثيرا فقال قائلون هذه الآيه لذوي العهود المطلقة غير الموقتة
او لمن له عهد دون اربعة اشهر فيكمل له اربعة اشهر فاما من كان له عهد موقت
فاجله الى مدته مهما كان لقوله تعالى فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين
ولما سياتي في الحديث ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهد فعهده الى مدته وهذا احسن الاقاويل واقواها وقد اختاره ابن جرير وروى ذلك
عن الكلبي ومحمد بن كعب القرظي وغير واحد وقال جماعة هذا التاجيل من الله تعالى
للمشركين فمن كانت مدة عهده اكثر من اربعة اشهر حطه الى اربعة اشهر ومن كانت
مدة عهده من اربعة اشهر رفعه الى اربعة اشهر ومن كانت مدته بغير اجل محدود
حده باربعة اشهر ثم هو حرب بعد ذلك لله ولرسوله فيقتل حيث ادرك ويوسر
الى ان يتوب وابتداء هذا الاجل يوم الحج الاكبر وانقضاؤه الى عشر من ربيع الآخر
فاما من لم يكن له عهد فانما اجله انسلاخ الاشهر الحرم وذلك خمسون يوما وقال
الحسن امر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بقتال من قاتله من المشركين فقال وقاتلوا
في سبيل الله الذين يقاتلونكم وكان لا يقاتل الا من قاتله ثم امره بقتال المشركين والبراءة منهم

واجلهم اربعة اشهر فلم يكن لاحد منهم اجل اكثر من اربعة اشهر لا من كان له
عهد قبل البراءة ولا من لم يكن له عهد وكان الاجل لجميعهم اربعة اشهر واحل دماء
جميعهم من اهل العهد وغيرهم بعد انقضاء الاجل روى الامام احمد والترمذي وغيرهما
عن انس رضي الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ببراءة مع ابي بكر رضي الله عنه
فلما بلغ ذا الحليفة قال لا يبلغها الا انا او رجل من اهل بيتي فبعث بها مع علي رضي الله عنه
وروى الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه قال كنت مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه
حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهل مكة ببراءة فقال الراوي عن ابي هريرة لابي هريرة
ما كنتم تنادون قال كنا ننادي انه لا يدخل الجنة الا مومن ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان
بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فان اجله او امده الى اربعة اشهر فاذا مضت
الاربعة الاشهر فان الله بريء من المشركين ورسوله ولا يحج هذا البيت بعد العام مشرك
وقال الشعبي حدثني محرر بن ابي هريرة عن ابيه قال كنت مع علي بن ابي طالب رضي الله عنه
حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم ينادي فكان اذا صحل ناديت قلت باي شيء كنتم تنادون
قال باربع لا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فعهده الى مدته ولا يدخل الجنة الا نفس مومنة ولا يحج بعد عامنا مشرك وقد رواه جرير من
غير ما وجه عن الشعبي ورواه سعيد عن مغيرة عن الشعبي الا انه قال ومن كان بينه
وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فعهده الى اربعة اشهر وذكر تمامه وقال ابن جرير
واخشى ان يكون وهما من بعض نقلته لان الاخبار متظاهرة في الاجل بخلافه وَأَذَانٌ
عطف على قوله براءة اي اعلام ومنه الاذان بالصلوة يقال آذنته فاذن اي اعلمته وعلم
واصله من الاذن اي اوقعته في اذنه مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ
واختلفوا في يوم الحج الاكبر روى عكرمة عن ابن عباس انه يوم عرفة وروي ذلك
عن عمر وابن الزبير وهو قول عطاء وطاوس ومجاهد وسعيد ابن المسيب وعن
مجاهد انه ايام منى كلها وقال جماعة هو يوم النحر ويروى ذلك عن علي رضي الله عنه وعبد الله
ابن ابي اوفى والمغيرة بن سعيد وهو قول الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير والسدي
رضي الله عنهم وقال عبد الله بن الحارث بن نوفل يوم الحج الاكبر الذي حج فيه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو قول ابن سيرين لانه اجتمع فيه حج المسلمين وعيد اليهود والنصارى
والمشركين ولم يجتمع مثله قبله ولا بعده واختلفوا في الحج الاكبر فقال مجاهد الحج الاكبر القران
والحج الاصغر الافراد وقال الزهري والشعبي وعطاء الحج الاكبر الحج والحج الاصغر العمرة

قيل لها الاصغر لنقصان اعمالها أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ اى ورسوله صلى الله
عليه وسلم برئ ايضا من المشركين فَإِنْ تُبْتُمْ رجعتم من كفركم واخلصتم التوحيد فَهُوَ
خَيْرٌ لَكُمْ قال ابو عثمان التوبة مفتاح كل خير قال تعالى فان تبتم فهو خير لكم وقال
بعضهم التوبة عند الاسارة ذهاب الحد عن الجنان عند مشاهدة قدم الرحمن
وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ اعرضتم عن الايمان وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ
الْمُشْرِكِينَ وهم بنو ضمرة حي من كنانة امر الله رسوله باتمام عهدهم الى مدتهم وكان بقي
من مدتهم تسعة اشهر وكان السبب فيه انهم لم ينقضوا وهذا معنى قوله ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ
شَيْئًا من عهدهم الذين عاهدتموهم عليها وَلَمْ يُظَاهِرُوا يعاونوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا من
عدوكم فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ اوفوا لهم بعهدهم إِلَى مُدَّتِهِمْ الى اجلهم الذي عاهدتموهم
عليه إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ الموفين بعهدهم فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ اى انقضى و
مضى الاشهر الحرم الاربعة رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقال مجاهد وابن اسحق
هي شهور العهد فمن كان له عهد فعهده اربعة اشهر ومن لا عهد له فاجله الى انقضاء المحرم
خمسون يوما وقيل لها حرم لان الله تعالى حرم فيها على المؤمنين دماء المشركين والتعرض
لهم فان قيل هذا القدر بعض الاشهر الحرم والله تعالى يقول فاذا انسلخ الاشهر الحرم
قيل لما كان هذا القدر متصلا بما مضى اطلق عليه اسم الجمع ومعناه مضت المدة المفروضة
التي يكون معها انسلاخ الاشهر الحرم فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ في الحل والحرم وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ
واسروهم وَاحْصُرُوهُمْ اى احبسوهم قال ابن عباس يريد ان تحصنوا فاحصروهم
اى امنعوهم من الخروج وقيل امنعوهم دخول مكة والتصرف في بلاد الاسلام وَاقْعُدُوا
لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ اى على كل طريق والمرصد الموضع الذي يرقب فيه العدو من رصدت الشي
اذا رقبته يريد كونوا لهم رصدا لتاخذوهم من اى وجه توجهوا وقيل اقعدوا لهم
بطريق مكة حتى لا يدخلوها ثم لما بين حال من لا يرقب في الله الا ولا ذمة وينقض العهد
بين انهم ان تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة كيف يكون حالهم فقال
فَإِنْ تَابُوا من الشرك وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ دعوهم فلينصرفوا
في امصارهم ويدخلوا مكة إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لمن تاب رَحِيمٌ به قال الحسين بن الفضل
هذه الاية نسخت كل اية في القرآن فيها ذكر الاعراض والصبر على اذى الاعداء وَإِنْ
أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ اى ان استامنك احد من المشركين الذين امرتك بقتالهم
بعد انسلاخ الاشهر الحرم فَأَجِرْهُ اعذه وآمنه حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ فيما له وعليه

فاعلموا انكم غير معجزي الله

وجدتموهم

من الثواب والعقاب ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ اى ان لم يسلم ابلغه مامنه اى الموضع الذي يامن
فيه وهو دار قومه فان قاتلك بعد ذلك وقدرت عليه فاقتله ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ
دين الله وتوحيده فهم محتاجون الى سماع كلام الله قال الحسن هذه الاية محكمة الى يوم القيمة
كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ استفهام انكار اى لا تطمعوا ان يكون
للمشركين وهم اضداد يضمرون الغدر وينكثون العهد عهد عند الله وعند الرسول إِلَّا
الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ يعني يوم الحديبية كما قال تعالى هم الذين كفروا وصدوكم
عن المسجد الحرام والهدي معكوفا ان يبلغ محله فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ اي ما
اقاموا على الوفاء بعهدهم فاقيموا انتم لهم وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك والمسلمون
استمر العقد والهدنة مع اهل مكة من ذي القعدة في سنة ست الى ان نقضت قريش العهد
وما لؤا حلفاءهم بني بكر على خزاعة احلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتلوهم في الحرم ايضا
فعند ذلك غزاهم رسول الله في رمضان سنة ثمان ففتح الله تعالى عليه البلد الحرام ومكنهم
من نواصيهم فاطلق من اسلم منهم بعد القهر والغلبة عليهم فسموا الطلقاء وكانوا قريبا من الفين
ومن استمر على كفره وفر من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليه بالامان والسير في الارض
اربعة اشهر يذهب حيث شاء منهم صفوان بن امية وعكرمة ابن ابي جهل وغيرهما ثم هداهم
الله تعالى بعد ذلك الى الاسلام إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ اى كيف
يكون لهم عهد وحالهم انهم ان يظفروا بكم ويقدروا عليكم لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ لا يحفظوا فيكم
إِلًّا وَلَا ذِمَّةً الال القرابة والذمة العهد على ما نقله علي بن ابي طلحة وعكرمة والعوفي عن
ابن عباس رضي الله عنهما وقال قتادة الال الحلف وقال ابو مجلز ومجاهد الال هو الله تعالى
وكان عبد بن عمير يقرا جبرال بالتشديد يعني عبد الله يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ اى يعطونكم
بالسنتهم خلاف ما في قلوبهم وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ الايمان وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ فان قيل هذا في المشركين
وكلهم فاسقون فكيف قال واكثرهم فاسقون قيل اراد بالفسق ههنا نقض العهد وكان
في المشركين من وفا اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ وذلك انهم نقضوا العهد
الذي بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم باكلة اطعمهم ابو سفين قال مجاهد اطعم
ابو سفين حلفاءه فصدوا عن سبيله فمنعوا الناس من الدخول في دين الله فقال
ابن عباس ان اهل الطايف امدوهم بالاموال ليقووهم على حرب رسول الله صلى الله
عليه وسلم إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ عملهم هذا لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً
الاول عام في الناقضين وهذا خاص بالذين اشتروا وهم الاعراب الذين جمعهم ابو سفين

الا الذين عاهدتم

والطعمهم واليهود وقال محمد ابن الفضل حرمة المؤمن افضل الحرمات وتعظيمه اجل
الطاعات قال الله تعالى لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ
في الشرارة ثم لما بين حال من لا يرقب في الله الا ولا ذمة وينقض العهد بين انهم ان
تابوا عن الكفر واقاموا الصلوة واتوا الزكوة كيف يكون حالهم فقال فَإِنْ تَابُوا من الشرك
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ لهم ما لكم وعليهم ما عليكم في الصحيحين
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله و
يقيموا الصلوة ويوتوا الزكوة قال ابن عباس مسعود امرتم باقام الصلوة وايتاء الزكوة
ومن لم يزك فلا صلوة له وقال عبد الرحمن بن زيد ابن اسلم ابى الله ان يقبل الصلوة
الا بالزكوة وقال رحم الله ابا بكر ما كان افقهه وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ اعتراض
للحث على تامل ما فصل من احكام المعاهدين او خصال التائبين وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ
نقضوا عهدهم مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ عقدهم وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ دين الاسلام فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ
الْكُفْرِ اى فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع الضمير للدلالة على انهم صاروا بذلك ذوي
الرياسة والتقدم في الكفر احقاء بالقتل وقيل المراد بالائمة روساء المشركين والتخصيص
اما للمنع من مراقبتهم او لان قتلهم اهم قال ابن عباس نزلت في ابي سفين بن حرب
والحارث ابن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة ابن ابي جهل وساير رؤس قريش يومئذ
الذين نقضوا العهد وهم الذين هموا باخراج الرسول وقال حذيفة ابن اليمان ما قوتل
اهل هذه الاية ولم يات اهلها بعد وقد روي عن علي بن ابي طالب مثله والاية عامة وان
نزلت في مشركي العرب على ما سبق مرارا ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد إِنَّهُمْ
لَا أَيْمَانَ لَهُمْ اي لا عهود لهم جمع يمين وفيه دليل على ان الذمي اذا طعن في الاسلام
فقد نكث عهده لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ متعلق بقاتلوا اى ليكن غرضكم في المقاتلة ان ينتهوا
عما هم عليه لا ايصال الاذية بهم كما هو طريقة المؤذين ثم حض المسلمين على الجهاد فقال
جل ذكره أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ نقضوا عهودهم وهم الذين نقضوا عهد صلح الحديبية
واعانوا بني بكر على خزاعة وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ من مكة حين اجتمعوا في دار الندوة
وَهُمْ بَدَءُوكُمْ بالقتال أَوَّلَ مَرَّةٍ لانه صلى الله عليه وسلم بداهم بالدعوة والزام الحجة
بالكتاب المتحدى به فعدلوا عن معارضته الى المعاداة والمقاتلة أَتَخْشَوْنَهُمْ اتخافونهم
فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ فقاتلوا اعداءه ولا تتركوا امره إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فان قضية
الايمان ان لا يخشى الا منه قال الكاشف بين الله تعالى ان من يخشى غير الله فلا وزن له

في المعرفة صغر الاعداء في عيون الاولياء لئلا يفزعوا منهم في الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر وملاء قلوبهم من انوار هيبته وجلاله وجددهم عن الملاطفة وعرفهم
عجز الخلق بعد تعريفهم عزته وجلاله ثم لما ذكر في الاية الاولى الا تقاتلون وذكر ما يوجب
اقدامهم على القتال اعاد الامر بالقتال مع ذكر فوايده فقال قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ
وَيُخْزِهِمْ ويذلهم بالاسر والقهر وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ مما كانوا ينالونه
من الاذى منهم قال مجاهد والسدي اراد خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيث اعانت قريش بني بكر عليهم حتى نكاوا فيهم فشفى الله صدورهم من بني بكر
بالنبي صلى الله عليه وسلم وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ كربها ووجدها بمعونة قريش بكرا عليهم
وقد اوفى الله بما وعدهم فالاية من المعجزات روى ابن عساكر باسناده عن عائشة
رضي الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا غضبت اخذ بانفها وقال يا عويش
قولي اللهم رب النبي محمد اغفر ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن
وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ ابتداء اخبار بان بعضهم يتوب عن كفره وقد كان ذلك ايضا
فقد تاب الله على ابي سفين وعكرمة بن ابي جهل وسهيل بن عمرو وَاللَّهُ عَلِيمٌ بما كان
وبما سيكون حَكِيمٌ لا يفعل ولا يحكم الا على وفق الحكمة ثم لما رغب في القتال ذكر
مزيد بيان في الترغيب فيه فقال أَمْ حَسِبْتُمْ ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على
الحسبان والخطاب للمؤمنين الذين شق عليهم القتال وقيل للمنافقين أَنْ تُتْرَكُوا فلا
تومروا بالجهاد لا تمتحنوا ليظهر الصادق من الكاذب وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ ولما يرى الله الَّذِينَ
جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً بطانة واولياء
يوالونهم ويفشون اليهم اسرارهم قال ابو عبيدة كل شيء ادخل في شيء ليس منه فهو وليجة
والرجل يكون في قوم ليس منهم وليجة فوليجة الرجل من يختصه بدخلة امره دون الناس
يقال هو وليجتي وهم وليجتي للواحد والجمع وقال قتادة وليجة خيانة وقال الضحاك
خديعة وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ يعلم غرضكم منه ثم انه تعالى لما بدا السورة بذكر البراءة
عن الكافرين وذكر من قبايحهم ما يوجب تلك البراءة حكى عنهم شبها احتجوا بها في ان تلك
البراءة غير جائزة فقال مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ
بِالْكُفْرِ قال العباس لما اسر العباس يوم بدر عيره المسلمون بالكفر وقطيعة الرحم
واغلظ علي له القول فقال العباس ما لكم تذكرون مساوينا ولا تذكرون محاسننا
فقال له علي ما لكم محاسن فقال نعم انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحاج فانزل الله عز وجل

في الدين م

عليهم م

بانفي

ردًّا على العباس ماكان للمشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر والمعنى
ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة بيت الله وعبادة غيره قال الضحاك
عن ابن عباس شهادتهم على انفسهم بالكفر سجودهم للاصنام وذلك ان كفار قريش كانوا
نصبوا اصنامهم خارج البيت الحرام عند القواعد وكانوا يطوفون بالبيت عراة كلما طافوا
شوطا سجدوا لاصنامهم ولم يزدادوا بذلك من الله الا بعدا ذهب جماعة الى ان المراد
منه العمارة المعروفة من بناء المساجد ومرمته عند الخراب فيمنع منه الكافر حتى لو اوصى به
لا يمتثل وحمل بعضهم العمارة ههنا على دخول المسجد والقعود فيه قال الحسن ماكان للمشركين
ان يتركوا فيكونوا اهل المسجد الحرام والعمارة شامل للكل ومن عمارتها تزيينها بالفرش
وتنويرها بالسرج وادامة الذكر ودرس العلم فيها وصيانتها عما لم يبن له كحديث الدنيا
قرأ بعضهم مسجد الله على التوحيد واراد به المسجد الحرام وقرأ الآخرون مساجد الله
لانه قبلة المساجد كلها اولئك حبطت اعمالهم لانها لغير الله تعالى وفي النار هم
خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر واقام الصلوة الذي هو
اكثر عبادات البدن وآتى الزكوة التي هي افضل الاعمال المالية ولم يخش الا الله
ولم يخف في الدين غير الله فعسى اولئك ان يكونوا من المهتدين قال محمد بن اسحق
ابن يسار وعسى من الله واجب قال لنبيه عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وهي
الشفاعة عن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان قال الله تعالى انما يعمر مساجد الله
من آمن بالله واليوم الآخر رواه الامام احمد والترمذى والحاكم وغيرهم وعن انس
ابن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عمار المساجد هم اهل الله
رواه الحافظ ابو بكر البزار وغيره وعنه اذا اراد الله بقوم عاهة نظر الى اهل المساجد
فصرف عنهم رواه الدارقطنى وقال غريب وعن معاذ ابن جبل رضى الله عنه ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة القاصية
والناحية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة العامة والمساجد رواه الامام احمد و
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال من سمع النداء بالصلوة ثم لم يجب ولم يأت المسجد
ويصلى فلا صلوة له وقد عصى الله ورسوله فان الله تعالى يقول انما يعمر مساجد الله
من آمن بالله واليوم الآخر الآية رواه ابن مردويه اجعلتم سقاية الحاج وعمارة
المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا قال ابن عباس

قال العباس

٧

قال العباس حين اسر يوم بدر لئن كنتم سبقتمونا بالاسلام والهجرة والجهاد لقد كنا
نعمر المسجد الحرام ونسقى الحاج فانزل الله تعالى الآية واخبر ان عمارتهم المسجد
الحرام وقيامهم على السقاية لا ينفعهم مع الشرك بالله وان الايمان بالله والجهاد مع
نبيه خير مما هم عليه والمعنى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كايمان
من آمن بالله وجهاد من جاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي
القوم الظالمين اى الكفرة ظلمه بالشرك ومعاداة الرسول عليه السلام منهمكون فى
الضلالة فكيف يساوون الذين هداهم الله ووفقهم للحق والصواب عن عكرمة
عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء الى السقاية فاستسقى فقال
العباس يا فضل اذهب الى امك فات رسول الله صلى الله عليه وسلم بشراب من عندها
فقال اسقنى قال يا رسول الله انهم يجعلون ايديهم فيه قال اسقنى فشرب منه ثم اتى
زمزم وهم يسقون ويعملون فيها فقال اعملوا فانكم على عمل صالح ثم قال لولا ان تغلبوا
لنزلت حتى اضع الحبل على هذه واشار الى عاتقه رواه محيى السنة الذين آمنوا
وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اعلى رتبة
واولئك هم الفائزون بالثواب ونيل الحسنى عند الله يبشرهم ربهم برحمة منه
ورضوان وجنات لهم فيها فى الجنات نعيم مقيم دائم خالدين فيها ابدا ان الله
عنده اجر عظيم يستحقر دونه ما استوجبوه لاجله او نعم الدنيا يا ايها الذين آمنوا
لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء اصدقاء هذا جواب عن شبهة اخرى ذكروها
وذلك ان الله تعالى لما امر بالبراءة عن الكفار قالوا الرجل المسلم اذا كان اقاربه كفارا
كيف يقطع عنهم فذكر الله تعالى ان الانقطاع عنهم واجب بسبب الكفر قال الكلبى عن
ابى صالح عن ابن عباس لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة الى
المدينة فمنهم من يتعلق به اهله وولده يقولون ننشدك ان تضيعنا فيرق فيقيم عليه
ويدع الهجرة فانزل الله تعالى هذه الآية وقال مقاتل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا
عن الاسلام ولحقوا بمكة فنهى الله تعالى عن ولايتهم فانزل الله عز وجل الآية ان
استحبوا الكفر على الايمان ان اختاروه وحرضوا عليه ومن يتولهم منكم فاولئك
هم الظالمون بوضعهم الموالاة فى غير موضعها قل يا محمد للمتخلفين عن الهجرة ان
كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم اقرباؤكم واموال
اقترفتموها اكتسبتموها وتجارة تخشون كسادها فوات وقت نفاقها

ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله الحب
الاختيارى دون الطبيعى فانه لا يدخل تحت التكليف التحفظ عنه فتربصوا وانتظروا
حتى يأتي الله بامره قال عطاء بقضائه وقال مقاتل ومجاهد فتح مكة وهذا امر تهديد
والله لا يهدي لا يوفق ولا يرشد القوم الفاسقين الخارجين عن الطاعة
فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال والذى نفسى بيده لا يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين وعن ابن عمر رضى الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تبايعتم بالعينة واخذتم اذناب
البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا الى
دينكم رواه ابو داود والامام احمد ثم انه تعالى ذكر ما يدل على ان من ترك الدنيا
لاجل الدين فانه تعالى يوصله الى مطلوبه من الدنيا ايضا فقال لقد نصركم
الله في مواطن كثيرة يعنى مواطن الحرب وهى مواقعها ويوم حنين وحنين
واد بين مكة وقال عروة الى جنب ذى المجاز وكانت قصة حنين على ما نقله الرواة
ان الرسول صلى الله عليه وسلم فتح مكة وقد بقيت عليه ايام من شهر رمضان ثم خرج الى
حنين لقتال هوازن وثقيف فى اثنى عشر الفا من المهاجرين والانصار من الطلقا
وقال عطاء كانوا ستة عشر الفا وكانوا يومئذ اكثر ما كانوا والمشركون اربعة الآف من
هوازن وثقيف وعلى هوازن مالك بن عوف النضرى وعلى ثقيف كنانة بن عبد ياليل
الثقفى فلما التقى الجمعان قال رجل من الانصار يقال له سلمة بن سلامة لن نغلب
اليوم عن قلة فساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كلامه ووكلوا الى كلمة الرجل
وفى رواية لم يرض الله قوله ووكلوا الى انفسهم فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم المشركون
وخلوا عن الذرارى ثم نادوا يا حماة السواد اذكروا الفضائح فتراجعوا وانكشف المسلمون
عن ابن عباس بن عبد المطلب انه قال عباس بن عبد المطلب شهدت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين فلزمت انا وابو سفيان ابن الحارث رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلم نفارقه ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء اهداها له فروة بن
نفاثة الجذامى فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين وطفق رسول الله
صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار وانا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان آخذ بركابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اى عباس ناد اصحاب السمرة فقال عباس وكان رجلا صيتا فقلت باعلى صوته

اين اصحاب

اين اصحاب السمرة قال فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتى عطفة البقر على اولادها
فقالوا يا لبيك يا لبيك قال فاقتتلوهم والكفار والدعوة فى الانصار يقولون يا معشر الانصار
يا معشر الانصار ثم قصرت الدعوة على بنى الحارث بن الخزرج فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم فقال هذا حين حمى الوطيس ثم اخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال انهزموا ورب محمد قال فوالله
ما هو الا ان رماهم بحصياته فما زلت ارى حدهم كليلا وامرهم مدبرا قال البراء كنا
اذا احمر البأس نتقى به صلى الله عليه وسلم وان الشجاع منا الذى يحاذى به يعنى النبى
صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن جبير امد الله نبيه صلى الله عليه وسلم بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين وفى الخبر ان رجلا من بنى نصر يقال له شجرة قال للمؤمنين بعد القتال اين الخيل
البلق والرجال عليهم ثياب بيض ما كنا نراكم فيهم الا كهيئة الشامة وما قتلنا الا بايديهم
فاخبروا بذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال تلك الملائكة اذ اعجبتكم كثرتكم حتى قلتم لن
نغلب اليوم من قلة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
خير الصحابة اربعة وخير السرايا اربعمائة وخير الجيوش اربعة الآف ولن يغلب اثنا عشر
الفا من قلة رواه الامام احمد وابو داود والترمذى قال الترمذى حديث حسن غريب
فلم تغن عنكم كثرتكم شيئا من الاعياء او من العدو وضاقت عليكم الارض بما
رحبت اى برحبها وسعتها ثم وليتم مدبرين منهزمين ثم انزل الله سكينته رحمته
التى سكنوا بها على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها يعنى الملائكة قيل
لا للقتال ولكن لتجبين الكفار وتشجيع المسلمين لانه يروى ان الملائكة لم يقاتلوا الا
يوم بدر وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وسبى الاموال وذلك جزاء الكافرين
فى الدنيا ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء منهم بالتوفيق للاسلام والله غفور
رحيم يتجاوز عنهم ويتفضل عليهم فى الحديث الصحيح على ما رواه محيى السنة وغيره ان وفد
هوازن جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم مسلمين فسألوه ان يرد اليهم اموالهم وسبيهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم معى من ترون واحب الحديث الى اصدقه فاختاروا
احدى الطائفتين اما السبى واما المال قالوا فانا نختار سبينا فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاثنى على الله بما هو اهله ثم قال اما بعد فان اخوانكم قد جاؤا تائبين وانى قد رأيت ان ارد
عليهم سبيهم فمن احب منكم ان يطيب ذلك فليفعل ومن احب ان يكون على حظه حتى نعطيه
اياه من اول ما يفئ الله علينا فليفعل فقال الناس قد طيبنا يا رسول الله فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم انا لا ندري من اذن منكم في ذلك ممن لم ياذن فارجعوا حتى يرفع
الينا عرفاؤكم امركم فرجع الناس وكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخبروه انهم قد طيبوا واذنوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ لما امر النبي
صلى الله عليه وسلم عليا بقراءة سورة براءة على المشركين ونبذ عهدهم قال اناس سيعلمون
ما يلقونه من الشدة لانقطاع السبل فنزل يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس سماهم
نجسا على الذم قال قتادة لانهم يجنبون ولا يغتسلون ويحدثون ولا يتوضؤن والجمهور
على انه ليس بنجس البدن لان الله تعالى احل طعام اهل الكتاب وذهب بعض الى نجاسة
ابدانهم للاية ولما ورد في الحديث المومن لا ينجس قال اشعث عن الحسن من صافحهم
فليتوضأ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ منعهم من دخول الحرم لانهم اذا دخلوا الحرم فقد قربوا
من المسجد الحرام بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا يعني العام الذي حج فيه ابو بكر رضي الله عنه ونادى
علي رضي الله عنه ببراءة وهي سنة تسع من الهجرة وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فقرا وفاقة يقال عال يعيل
عيلة وذلك ان اهل مكة كانت معايشهم من التجارات وكان المشركون ياتون مكة بالطعام
ويتجرون فلما منعوا من دخول الحرم خافوا الفقر وضيق العيش فذكروا ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى فقال وان خفتم عيلة فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ قال عكرمة فاغناهم الله تعالى بان انزل عليهم المطر مدرارا فكثر
خيرهم وقال مقاتل اسلم اهل جدة وصنعاء وجرش من اليمن وجلبوا الميرة الكثيرة الى مكة
فكفاهم الله تعالى ما كانوا يخافون وقال الضحاك وقتادة عوضهم الله منها الجزية فاغناهم بها
وذلك قوله تعالى قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ قال الامام لما ذكر حكم
المشركين واجاب عن شبهتهم ذكر بعده حكم اهل الكتاب قال الكلبي نزلت في قريظة والنضير
فصالحهم وكانت اول جزية اصابها اهل الاسلام واول ذل اصاب اهل الكتاب بايدي المسلمين
فان قيل اهل الكتاب يؤمنون بالله واليوم الآخر قيل لا يؤمنون كايمان المومنين وانهم اذا
قالوا عزير ابن الله والمسيح ابن الله لا يكون ذلك ايمانا بالله وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ولا يطيعون الله طاعة اهل الحق مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
يعني اليهود والنصارى حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ وهي الخراج المضروب على رقابهم عَنْ يَدٍ قهر
وذل قال ابو عبيدة يقال لكل من اعطى شيئا كرها من غير طيب نفس اعطاه عن يد وقال ابن
عباس يعطونها بايديهم ولا يرسلونها على يد غيرهم وَهُمْ صَاغِرُونَ اذلاء وقال الشافعي رحمه الله
الصغار هو جريان احكام الاسلام عليهم وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ روى عطية العوفي

عن ابن عباس انما قالت اليهود عزير ابن الله من اجل ان عزيرا كان فيهم وكانت التورية
عندهم والتابوت فيهم فاضاعوا التورية وعملوا بغير الحق فرفع الله عنهم التابوت
وانساهم التورية ونسخها الله من صدورهم فدعا الله عزير وابتهل اليه ان
يرد اليه الذي نسخ من صدورهم فبينما هو يصلي مبتهلا الى الله تعالى نزل نور من السماء
فدخل جوفه فعاد اليه التورية فاذن في قومه وقال يا قوم قد آتاني الله التورية وردها
الي فعلقوا يعلمهم فمكثوا ما شاء الله ثم ان التابوت نزل بعد ذهابه منهم فلما راوا التابوت
عرضوا ما كان فيه على الذي كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا ما اوتي عزير هذا الا
انه ابن الله وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ وكان السبب فيه انهم كانوا على دين الاسلام
احدى وثمانين سنة بعد ما رفع عيسى عليه السلام يصلون الى القبلة ويصومون من
رمضان حتى وقع فيما بينهم وبين اليهود حرب وكان في اليهود رجل شجاع يقال له بولس
قتل جملة من اصحاب عيسى ثم قال اليهود ان كان الحق مع عيسى وكفرنا والنار مصيرنا
فنحن مغبونون ان دخلوا الجنة ودخلنا النار فاني احتال واضلهم حتى يدخلوا النار
وكان له فرس يقال له العقاب فعاقره واظهر الندامة ووضع على
راسه التراب فقال له النصارى من انت قال بولس عدوكم نوديت من السماء ليست
لك توبة الا ان تتنصر وقد تبت فادخلوه الكنيسة ودخل بيتا سنة لا يخرج منه ليلا
ولا نهارا حتى تعلم الانجيل ثم خرج وقال نوديت ان الله قبل توبتك فصدقوه و
احبوه ثم مضى الى بيت المقدس واستخلف عليهم نسطور وعلمه ان عيسى ابن مريم
ومريم والاله كانوا ثلثة ثم توجه الى الروم وعلمهم اللاهوت والناسوت وقال
لم يكن عيسى بانس ولا بجسم ولكنه ابن الله وعلم رجلا يقال له يعقوب ذلك ثم دعا رجلا
يقال له ملكا فقال له ان الاله لم يزل ولا يزال عيسى فلما استمكن منهم دعا هولاء الثلاثة
واحدا واحدا وقال لكل واحد منهم انت خالصتي وقد رايت عيسى في المنام فرضي عني
وقال لكل واحد منهم اني غدا اذبح نفسي فادع الناس الى نحلتك ثم دخل المذبح فذبح
نفسه وقال انما افعل ذلك لمرضاة عيسى فلما كان يوم ثالثه دعا كل واحد منهم الناس
الى نحلته فتبع كل واحد منهم طائفة من الناس فاختلفوا واقتتلوا ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ
بالسنتهم من غير علم قالوا لم يذكر الله قولا مقرونا بالافواه والالسن الا كان ذلك زورا
يُضَاهِئُونَ قال ابن عباس يشابهون والمضاهات المشابهة قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
قَبْلُ والمراد قدماؤهم على معنى ان الكفر قديم فيهم قال الحسن شبه كفرهم بكفر الذين

مضوا من الامم الكافرة كما قال في مشركي العرب كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم
تشابهت قلوبهم قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قال ابن عباس لعنهم الله وقيل ليس هو على تحقيق المقاتلة
ولكنه بمعنى التعجب أَنَّى يُؤْفَكُونَ كيف يصرفون عن الحق الى الباطل بعد قيام
الادلة اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ اي علماءهم وقراءهم والاحبار العلماء واحد
حبر وحبر بفتح الحاء وكسرها والرهبان من النصارى اصحاب الصوامع أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
فان قيل انهم لم يعبدوا الاحبار والرهبان قلنا معناه انهم اطاعوهم في معصية الله واستحلوا
ما احلوا وحرموا ما حرموا فاتخذوهم كالارباب قال عدي بن حاتم المشهور بالكرم اتيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال يا عدي اطرح هذا الوثن
من عنقك فطرحته ثم انتهيت اليه وهو يقرأ اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله
حتى فرغ منها فقلت انا لسنا نعبدهم فقال اليس يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون
ما حرم الله فتستحلونه قال فقلت بلى قال ذلك عبادتهم قال عبد الله بن المبارك وهل بدل
الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ اي اتخذوه الها وَمَا أُمِرُوا
إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ
اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ اي يبطلوا دين الله بالسنتهم بتكذيبهم اياه وقال الكلبي النور القرآن
اي يريدون ان يردوا القرآن بالسنتهم تكذيبا وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ اي يعلي دينه و
يظهر كلمته وهو الحق الذي بعث به محمدا صلى الله عليه وسلم وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ لما حكى
سعيهم في ابطال امر محمد صلى الله عليه وسلم وبين انه تعالى يابى ذلك وانه متم امره بين
كيفية ذلك الاتمام فقال هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ وهو الاسلام
لِيُظْهِرَهُ ليعليه وينصره عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ على سائر الاديان كلها وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ قال
ابو هريرة والضحاك وذلك عند نزول عيسى بن مريم لا يبقى اهل دين الا دخل في الاسلام
روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ويهلك في زمانه اي زمان نزول عيسى
الملل كلها الا الاسلام وقال الشافعي رضي الله عنه قد اظهر الله رسوله صلى الله عليه وسلم
على الاديان بان ابان لكل من سمع انه الحق وما خالفه من الاديان باطل وقد اظهره الله
تعالى بان جماع الشرك دينان دين اهل الكتاب ودين اميين فقهر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاميين حتى دانوا بالاسلام طوعا وكرها وقتل اهل الكتاب وسبى حتى دان بعضهم
بالاسلام واعطى بعضهم الجزية صاغرين وجرى عليهم حكمه فهذا ظهوره على الدين كله
عن المقداد بن الاسود سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يبقى على ظهر الارض

بيت مدر ولا وبر الا ادخله الاسلام بعز عزيز او بذل ذليل اما يعزهم الله فيجعلهم
من اهلها او يذلهم فيدينون رواه الاحمد وغيره وعن عائشة رضي الله عنها قالت قالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يذهب الليل والنهار حتى يعبد اللات والعزى قالت قلت
يا رسول الله ما كنت اظن ان يكون ذلك بعد ما انزل الله هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون قال يكون ذلك ما شاء الله ثم يبعث الله تعالى
ريحا طيبة فيقبض من كان في قلبه مثقال ذرة من خير ثم يبقى من لا خير فيه فيرجع الناس
الى دين آبائهم رواه الامام احمد ومحيي السنة وغيرهما ثم لما وصف رؤساء اليهود
والنصارى بالتكبر وادعاء الربوبية وصفهم بالطمع والحرص فقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ يعني العلماء والقراء من اهل الكتاب لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ياخذون الرشى في احكامهم وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ويصرفون
الناس عن دين الله والمقصود التحذير من علماء السوء وعباد الضلالة كما قال سفيان
ابن عيينة من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا كان فيه
شبه من النصارى وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا اي الفضة وخصت
لانها اعم وقد يقال المراد بهما الدنانير والدراهم الكثيرة وقد يقال الضمير للكنوز او الاموال
فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ندب المسلمين الى اخراج الحقوق وذكر وعيد من
منعها تنبيها على انه اذا كان حال من امسك مال نفسه كذلك فما ظنك بحال من سعى
في اخذ مال الغير بالباطل والتزوير قال ابن عمر رضي الله عنهما ما يؤدى زكوته فليس
بكنز وان كان مدفونا وكل مال لا يؤدى زكوته فهو كنز وان لم يكن مدفونا ومثله عن
ابن عباس عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه الله
مالا فلم يؤد زكوته مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة ثم
ياخذ بلهزمتيه يعني شدقيه ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلى ولا يحسبن الذين
يبخلون بما آتاهم الله من فضله وعن ابي ذر قال انتهيت الى النبي صلى الله عليه وسلم
وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال هم الاخسرون ورب الكعبة قلت فداك يا رسول
الله فداك ابي وامي من هم قال هم الاكثرون اموالا الا من قال هكذا وهكذا من بين يديه
ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم وعن ابي ذر رضي الله عنه انه كان يقول
من ترك بيضاء او حمراء كوي بها يوم القيمة والاحاديث في الباب كثيرة وقد سبق بعضها
سئل ابن عمر عن هذه الآية فقال كان هذا قبل ان ينزل الزكوة فلما نزلت جعلها الله تعالى

طهرن للاموال وقد سبق اشارة اليه وانه مثل مثل عن ابن عباس وقد قال صلى الله
عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ اى يوم توقد النار
ذات حمى شديد على الدنانير والدراهم واصله يحمى بالنار فجعل الاحماء للنار مبالغة
فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ عن ابن مسعود رضى الله عنه قال
لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل درهم
ودينار فى موضع على حدته وسئل ابو بكر الوراق لم خص الجباه والجنوب والظهور
بالكي قال لان الغنى صاحب الكنز اذا راى الفقير قبض وجهه وزوى ما بين
عينيه وولاه ظهره واعرض عنه لشحه هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ اى يقال لهم هذا
ما كنزتم لانفسكم فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ اى وبال كنزكم ثم ذكر نوعا اخر من قبائح
اعمال اليهود والنصارى والمشركين فقال إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ اى عدد الشهور عِنْدَ
اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ اى فى حكم الله وقيل فى اللوح المحفوظ يَوْمَ خَلَقَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ اى من الشهور اربعة حرم واحد فرد وهو
رجب وثلثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ اى تحريم الاشهر
الاربعة هو الدين القويم دين ابرهيم واسمعيل عليهما السلام والعرب ورثوه منهما
قال الامام ذلك اشارة الى قوله تعالى ان عدة الشهور اثنا عشر شهرا فان الكفار سلموا
ان اربعة منها حرم الا انه لما كان ينتقل الشهور القمرية من فصل الى فصل فيكون
الحج واقعا فى الشتاء مرة وفى الصيف اخرى وكان يشق عليهم الامور بهذا السبب
وايضا كان يختل اسباب تجاراتهم غيروا حكم الله بكون الشهور اثنى عشر شهرا وجعلوا
ما زاد على ذلك من السنة الشمسية شهرا آخر حتى صارت الشهور ثلثة عشر شهرا
فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ قيل قوله فيهن ينصرف الى جميع شهور السنة اى فلا تظلموا
فيهن انفسكم بفعل المعصية وترك الطاعة والمقصود المنع من المعصية فى جميع
العمر وقيل فيهن اى فى اشهر الحرم قال قتادة العمل الصالح اعظم اجرا فى الاشهر الحرم
والظلم فيهن اعظم من الظلم فيما سواهن وان كان الظلم على كل حال عظيما وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ
كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ واختلف العلماء فى تحريم القتال فى الاشهر الحرم
قال قوم كان كبيرا ثم نسخ بقوله وقاتلوا المشركين كافة كانه يقول فيهن وفى غيرهن
وهو قول قتادة وعطاء الخراسانى والزهرى وسفين الثورى وقالوا لان النبى صلى الله
عليه وسلم غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف وحاصرهم فى شوال وفى بعض ذى القعدة

فلا

وقال الاخرون انه غير منسوخ قال ابن جريج حلف بالله عطاء بن ابى رباح ما يحل للناس
ان يغزوا فى الحرم ولا فى الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا فيها وما نسخت إِنَّمَا النَّسِيءُ وهو
تاخير تحريم شهر الى شهر زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ وذلك ان العرب كانت يعتقد تعظيم
الاشهر الحرم وكان ذلك مما تمسكت به من ملة ابرهيم عليه السلام وكان عامة معايشهم
من الصيد والغارة فكان يشق عليهم الكف عن ذلك ثلثة اشهر على التوالى وربما وقعت
لهم حرب فى بعض الاشهر الحرم يكرهون تاخيرها بهم فنسئوا اى اخروا تحريم ذلك
الشهر الى شهر آخر وكانوا يوخرون تحريم المحرم الى صفر فيحرمون صفرا ويستحلون المحرم
فاذا احتاجوا الى تاخير تحريم صفر اخروه الى ربيع هكذا شهرا بعد شهر حتى استدار التحريم
على السنة كلها فقام الاسلام وقد رجع المحرم الى موضعه الذى وضعه الله عز وجل وذلك
بعد دهر طويل فخطب النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع على ما اخرج البخارى عن
ابى بكرة ان النبى صلى الله عليه وسلم خطب فقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق
الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة
وذو الحجة والمحرم ورجب شهر مضر الذى بين جمادى وشعبان ثم قال اى شهر هذا قلنا الله
ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس ذا الحجة قلنا بلى قال اى
بلد هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه قال اليس البلد الحرام
قلنا بلى قال فاى يوم هذا قلنا الله ورسوله اعلم فسكت حتى ظننا انه سيسميه بغير اسمه
قال اليس يوم النحر قلنا بلى قال فان دماءكم واموالكم قال محمد قال واحسبه قال واعراضكم
عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا وستلقون ربكم فيسالكم عن اعمالكم
الا فلا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض
من يبلغه ان يكون اوعى له من بعض من سمعه الا هل بلغت الا هل بلغت الا هل بلغت
قالوا وكان استمر النسئ بهم فكانوا ربما يحجون فى بعض السنين فى شهر ويحجون من قابل
فى شهر اخر قال مجاهد كانوا يحجون فى كل شهر عامين فحجوا فى ذى الحجة عامين ثم حجوا فى المحرم
عامين ثم حجوا فى صفر عامين وكذلك فى الشهور فوافقت حجة ابى بكر قبل حجة الوداع
السنة الثانية من ذى القعدة ثم حج النبى صلى الله عليه وسلم فى العام المقبل حجة الوداع
فوافق حجه شهر الحج المشروع وهو ذو الحجة فوقف بعرفة اليوم التاسع وخطب اليوم العاشر
بمنى واعلمهم ان شهور النسئ قد تناسخت باستدارة الزمان وعاد الامر الى ما وضع الله عليه
حساب الاشهر يوم خلق السموات والارض وامرهم بالمحافظة عليها لئلا تتبدل فى مستانف الايام

واختلفوا فى اول من نسأ النسئ فقال ابن عباس والضحاك وقتادة ومجاهد اول من نساه
بنو مالك بن كنانة وكان يليه ابو ثمامة جنادة بن عوف بن امية الكنانى وقال الكلبى اول من
فعل ذلك رجل من بنى كنانة يقال له نعيم بن ثعلبة وكان يكون على الناس بالموسم فاذا هم
الناس بالصدور قام فخطب فقال لا مرد لما قضيت وانا الذى لا اعاب ولا اجاب فيقول
له المشركون لبيك ثم يسئلونه ان ينسئهم شهرا يغزون فيه فيقول فان صفر العام حرام فاذا قال
ذلك حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة والازجة وان قال حلال عقدوا الاوتار وشدوا الازجة
واغاروا وكان من بعد نعيم بن ثعلبة رجل يقال له جنادة بن عوف وهو الذى ادرك
النبى صلى الله عليه وسلم وقال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس اول من سن النسئ
عمرو بن لحى بن قمعة بن خندف عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رايت عمرو بن لحى بن قمعة اخا بنى كعب يجر قصبه فى النار يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ
كَفَرُوا ضلالا لا زائدا يُحِلُّونَهُ عَامًا يحلون النسئ من الاشهر الحرم سنة ويحرمون مكانه
شهرا آخر وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ ليوافقوا عدد الاربعة المحرمة فَيُحِلُّوا
مَا حَرَّمَ اللَّهُ بمواطأة العدد وحده من غير مراعاة الوقت زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ
قال ابن عباس زين لهم الشيطان سوء اعمالهم وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ هداية
موصلة الى الاهتداء ثم لما شرح معايب الكفار عاد الى الترغيب فى مقاتلتهم فقال يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا واخرجوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ تثاقلتم وتباطأتم
واخلدتم وملتم إِلَى الْأَرْضِ ارضكم ومساكنكم نزلت الاية فى الحث على غزوة تبوك
وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف امر بغزو الروم وكان ذلك فى زمن
عسرة من الناس وشدة من الحر حين طاب الثمار والظلال ولم يكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز وعدوا كثيرا فجلى امرهم ليتاهبوا اهبة غزوهم
فشق عليهم الخروج وتثاقلوا فانزل الله تعالى أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وغرورها مِنَ الْآخِرَةِ
بدل الاخرة ونعيمها فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا اى فما التمتع بها فِي الْآخِرَةِ فى جنب الاخرة
إِلَّا قَلِيلٌ مستحقر عن المستورد اخى بنى فهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا فى
الاخرة الا كما يجعل احدكم اصبعه هذه فى اليم فلينظر بم يرجع واشار بالسبابة رواه مسلم
والامام احمد وعن ابى عثمان قال قلت يا ابا هريرة سمعت اخوانى بالبصرة يقولون انك
تقول سمعت نبى الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يجزى بالحسنة الف الف حسنة قال

ابوهريرة

قال ابو هريرة بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يجزى بالحسنة الفى الف
حسنة ثم تلا هذه الاية فما الحيوة الدنيا فى الاخرة الا قليل والذى مضى منها الى ما بقى منها
عند الله قليل إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا فى الاخرة وقيل هو احتباس القطر عنهم فى الدنيا
وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ قال سعيد بن جبير هم ابناء فارس وقيل هم اهل اليمن
وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا اذ لا يقدح تثاقلكم فى نصرة دينه شيئا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر
على التبديل وتغيير الاسباب والنصرة بلا مدد كم إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ اى ان
لم تنصروه فسينصره الله كما نصره الله إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا من مكة حين مكروا به ثَانِيَ
اثْنَيْنِ احد الاثنين والاثنان احدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم والاخر ابو بكر الصديق
رضى الله عنه إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ وهو نقب فى جبل ثور بمكة إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ
إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ولم يكن حزن ابى بكر جبنا منه وانما كان اشفاقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ان اقتل فانا رجل واحد وان قتلت هلكت الامة روى انه حين انطلق مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى الغار جعل يمشى ساعة بين يديه وساعة خلفه فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما لك يا ابا بكر قال اذكر الطلب فامشى خلفك واذكر الرصد فامشى بين
يديك فلما انتهيا الى الغار قال مكانك يا رسول الله حتى استبرئ الغار فدخل فاستبراه
ثم قال انزل يا رسول الله فنزل فقال عمر والذى نفسى بيده لتلك الليلة خير من ال عمر
عن انس بن مالك ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه حدثهم قال نظرت الى اقدام
المشركين فوق رؤسنا ونحن فى الغار فقلت يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى تحت قدمه
ابصرنا قال يا ابا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم
قالت لم اعقل ابوى قط الا وهما يدينان الدين ولم يمر علينا يوم الا ياتينا فيه رسول
الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار بكرة وعشية فلما ابتلى المسلمون قال النبى صلى الله عليه وسلم
انى اريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين وهى الحرتان فهاجر من هاجر قبل المدينة
ورجع عامة من كان هاجر بارض الحبشة الى المدينة وتجهز ابو بكر قبل المدينة فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم على رسلك فانى ارجو ان يؤذن لى فقال ابو بكر وهل ترجو
ذلك بابى انت وامى قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليصحبه وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر قال ابن
شهاب قال عروة قالت عائشة فبينما نحن يوما جلوس فى بيت ابى بكر فى نحر الظهيرة
قال قائل لابى بكر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعا فى ساعة لم يكن ياتينا فيها

فقال ابو بكر فداله ابي وامي والله ما جاء به في هذه الساعة الا امر قالت فجاء رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاستاذن فاذن له فدخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لابي بكر اخرج من عندك فقال ابو بكر انما هم اهلك بابي انت وامي يا رسول الله قال فاني
قد اذن لي في الخروج قال ابو بكر الصحبة بابي انت يا رسول الله قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم نعم قال ابو بكر فخذ بابي انت يا رسول الله احدى راحلتي هاتين قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالثمن قالت عائشة فجهزناهما احث الجهاز وصنعنا لهما سفرة وجرابا
فقطعت اسما بنت ابي بكر قطعة من نطاقها فربطت على فم الجراب فبذلك سميت ذات
النطاقين قالت ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر بغار في جبل ثور فكثا
فيه ثلاث ليال يبيت عندهما عبد الله ابن ابي بكر وهو غلام شاب فيدلج من عندهما
بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امرا يكادان به الا وعاه وعلله حتى ياتيهما بخبر
ذلك حين يختلط الظلام ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى ابي بكر منحة من غنم فيريحها
عليهما حين يذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رسل وهو لبن منحتهما حتى ينعق بها
عامر بن فهيرة بغلس يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث واستاجر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد ابن عدي هاديا خريتا
والخريت الماهر بالهداية قد غمس حلفا في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار
قريش فامناه فدفعا اليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث
فانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل الدؤلي فاخذ بهما على طريق الساحل قال ابن شهاب
واخبرني عبد الرحمن ابن مالك المدلجي وهو ابن اخي سراقة ابن مالك ابن جعشم يقول — ان اباه اخبره انه سمع سراقة ابن مالك ابن جعشم ح
جاءنا رسل كفار قريش يجعلوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر دية كل واحد
منهما ان قتله او اسره فبينما انا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج اقبل رجل منهم
حتى قام علينا ونحن جلوس فقال يا سراقة اني قد رايت آنفا اسودة بالساحل اراها محمدا
واصحابه قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت انهم ليسوا بهم ولكنك رايت فلانا وفلانا انطلقوا
باعيننا ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فامرت جاريتي ان تخرج بفرسي وهي من وراء
اكمة فتحبسها علي واخذت رمحي فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الارض وخفضت
عاليه حتى اتيت فرسي فركبتها فدفعتها تقرب بي حتى دنوت منهم فعثرت فرسي فخررت
عنها فقمت فاهويت بيدي الى كنانتي فاستخرجت منها الازلام فاستقسمت بها اضرهم
ام لا فخرج الذي اكره فركبت فرسي وعصيت الازلام تقرب بي حتى سمعت قراءة رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى
بلغت الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكد تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا
لاثر يديها غبار ساطع في السماء مثل الدخان فاستقسمت بالازلام فخرج الذي اكره فناديتهم
بالامان فوقفوا وركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس
عنهم ان سيظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت له ان قومك قد جعلوا فيك الدية
واخبرته خبر ما يريد الناس بهم وعرضت عليهم الزاد والمتاع فلم يرزآني ولم يسالاني
الا ان قالا اخف عنا فسالته ان يكتب لي كتاب امان فامر عامر ابن فهيرة فكتب في رقعة
من ادم ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الزهري لما دخل رسول الله صلى الله عليه
وسلم في الغار ارسل الله تعالى زوجا من حمام حتى باضا في اسفل النقب والعنكبوت حتى
نسجت بيتا وفي القصة انبت ثمامة على فم الغار وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم — مع
فجعل الطلب يضربون يمينا وشمالا حول الغار يقولون لو دخل هذا الغار بكر بيض الحمام
ونسج بيت العنكبوت قال ابو بكر بن طاهر دعا الرسول باخص اسمائه وارفعها وقدم
اسمه وقال موسى ان معي ربي فدعاه باسم التربيه وهو من عموم الاسامي وقدم اسمه على
اسم ربه فقال معي ربي فلذلك عصم امة محمد صلى الله عليه وسلم عن الشرك وابتلي امة موسى
عليه السلام بعبادة العجل فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ امنته التي تسكن عندها القلوب عليه
قيل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس على ابي بكر فان النبي صلى الله عليه وسلم
كانت عليه السكينة من قبل وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وهم الملائكة ليلوا يضربون
وجوه الكفار وابصارهم عن رؤيته وقيل القوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا وهي الشرك السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وهي التوحيد
قال ابن عباس هي قول لا اله الا الله وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ في امره وتدبيره انْفِرُوا خِفَافًا
وَثِقَالًا عن ابن عباس نشاطا وغير نشاط وعنه خفافا من السلاح مقلين منه وثقالا
مستكثرين منه وقال الحسن وعكرمة ومجاهد وغيرهم شبابا وشيوخا وقال عطية
العوفي ركبانا ومشاة وقال ابو صالح خفافا من المال اي فقراء وثقالا اغنياء وقال
ابو زيد الثقيل هو الذي له الضيعة فهو ثقيل يكره ان يدع ضيعته والخفيف الذي
لا ضيعة له وقال الحكم ابن عيينة مشاغيل وغير مشاغيل وقال مرة الهمداني اصحاء
واصحاب مرض وقال يمان عزابا ومتاهلين وقيل خفافا من حاشيتكم واتباعكم وثقالا
مكثرين بهم وقيل خفافا مسرعين خارجين ساعة سماع النفير وثقالا بعد التروي فيه والاستعداد له

وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ قال الزهري
خرج سعيد بن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب
ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت
المتاع وقال السدي لما نزلت هذه الآية اشتد شانها على الناس فنسخها الله تعالى وانزل
ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية وقيل في المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك
لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا اي لو كان ما تدعوهم اليه نفعا دنيويا سهل المأخذ وَسَفَرًا قَاصِدًا
قريبا هينا لَاتَّبَعُوكَ لخرجوا معك وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ اي المسافة والشقة
السفر البعيد لانه يشق على الانسان وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ
يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ يعني باليمين الكاذبة وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ في ايمانهم وايمانهم
لانهم كانوا مستطيعين عَفَا اللَّهُ عَنْكَ كناية عن خطائه في الاذن فان العفو من روادفه
قال عمرو ابن ميمون اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بهما اذنه للمنافقين — اذنه لهم
واخذ الفدية من اسارى بدر فعاتبه الله عليهما لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ في التخلف عنك حين
استاذنوك واعتلوا بالاكاذيب وهلا توقفت حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ
الْكَاذِبِينَ فيها اي تعلم من لا عذر له قال ابن عباس لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعرف المنافقين يومئذ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ
يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ اي في ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالْمُتَّقِينَ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ اي شكت
فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ يتحيرون وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً اهبة — الذين ع
وقوة من المتاع والكراع وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ منعهم وحبسهم عن الخروج — خروجهم ع
وَقِيلَ اقْعُدُوا في بيوتكم مَعَ الْقَاعِدِينَ يعني مع المرضى والزمنى وقيل مع النساء والصبيان
وقوله تعالى قيل حكاية قول بعضهم لبعض او اذن الرسول لهم او تمثيل لالقاء الله كراهة
الخروج في قلوبهم او وسوسة الشيطان بالامر بالقعود لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا
خَبَالًا فسادا وشرا اي ايقاع الجبن بين المؤمنين بتهويل الامر وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ
ولاسرعوا ركائبهم بينكم بالنميمة والتخذيل يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ يطلبون لكم ما تفتتنون
به يقولون لقد جمع لكم كذا وكذا وانكم مهزومون وسيظهر عدوكم عليكم ونحو ذلك
وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ قال مجاهد معناه وفيكم مطيعون لهم يسمعون كلامهم ويطيعونهم
لضعفهم وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ فيعلم ضمائرهم وما ياتي منهم ثم ذكر نوعا آخر من مكر

المنافقين فقال لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ اي طلبوا صد اصحابك عن الدين وردهم
الى الكفر وتخذيل الناس عنك من قبل هذا اليوم كفعل عبد الله بن ابي يوم احد حين
انصرف عنك باصحابه وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ ودبروا لك المكايد حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ النصر
والتاييد الالهي وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ اي علا دين الله وَهُمْ كَارِهُونَ اي على رغم منهم والاية
لتسلية الرسول والمؤمنين على تخلفهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امرهم
بالجهاد لغزوة تبوك فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره على ثنية الوداع
وضرب عبد الله بن ابي على ذي حدة اسفل من ثنية الوداع ولم يكن باقل العسكرين
فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن ابي فيمن تخلف من المنافقين
واهل الريب وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي في جد بن قيس المنافق وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تجهز لغزوة تبوك قال له يا ابا وهب هل لك في جلاد بني
الاصفر يعني الروم تتخذ منهم سراري ووصفا قال جد يا رسول لقد عرف قومي
اني رجل مغرم بالنساء واخشى ان رايت بنات الاصفر ان لا اصبر عنهن ائذن لي
في القعود ولا تفتني بهن واعينكم بمالي قال ابن عباس اعتل جد ابن قيس ولم يكن به
الا النفاق فاعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال قد اذنت لك فانزل الله عز وجل
ومنهم يعني المنافقين من يقول ائذن لي بالتخلف ولا تفتني ببنات الاصفر قال قتادة
لا تؤثمني أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا اي في الاثم والكفر وقعوا بخلافهم ونفاقهم امر الله ورسوله
وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ جامعة لهم يوم القيمة او الآن لاحاطة اسبابها بهم إِنْ تُصِبْكَ
حَسَنَةٌ نصر وغنيمة تَسُؤْهُمْ تحزنهم لفرط حسدهم وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ قتل وهزيمة
يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا اي اخذنا بالحزم في القعود عن الغزو مِنْ قَبْلُ هذه المصيبة
وَيَتَوَلَّوْا عن الرسول وَهُمْ فَرِحُونَ مسرورون قُلْ لهم يا محمد لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ
لَنَا في اللوح المحفوظ لا يتغير بموافقتكم ومخالفتكم هُوَ مَوْلَانَا ناصرنا وحافظنا وقال
الكلبي هو اولى بنا من انفسنا في الموت والحيوة وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ لان حقهم
ان لا يتوكلوا على غيره قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ تنتظرون بِنَا ايها المنافقون إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ
اما النصر والغنيمة او الشهادة والمغفرة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال تكفل الله لمن جاهد في سبيله لا يخرجه من بيته الا الجهاد في سبيله وتصديق كلمته
ان يدخله الجنة او يرجعه الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من اجر وغنيمة وَنَحْنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمْ احدى السوئين اما أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ فيهلككم كما اهلك

الجلاد هو اجتماع الابل لبنا
والجلاد ايضا الكبار الصلاب
صحاح

الامم الخالية او بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا انا معكم متربصون
قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا معكم متربصون مواعيد الله من
اظهار دينه واستيصال من خالفه ثم لما بين ان عاقبة هولاء العذاب بين انهم
وان اتوا بشيء من الخيرات فانهم لا ينتفعون به في الاخرة قل انفقوا طوعا
او كرها لن يتقبل منكم اي لن يتقبل منكم نفقاتكم انفقتم طوعا او كرها نزلت في
الجد بن قيس حين استاذن في القعود وقال اعينكم بمالي نقول سواء انفقتم
طوعا او كرها لن يتقبل منكم انكم اي لانكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم ان
تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله اي وما منعهم قبول نفقاتهم
ولا ياتون الصلوة الا وهم كسالى متثاقلون لا يرجون على ادائها ثوابا ولا يخافون
على تركها عقابا فان قيل كيف ذم الكسل في الصلوة ولا صلوة لهم اصلا قيل
الذم واقع على الكفر الذي بعث على الكسل فان الكفر مكسل والايمان منشط قال
الكاشف وصف الله الجاهلين بجلاله المحجوبين عن مشاهدة جماله الذين لم يذوقوا
في عبودية خالقهم طعم وصاله ولو كانوا اهل الذوق من مناجاة الله في الصلوة
وادراك قرة العيون منها لكان حالهم كحال ما اخبر صلى الله عليه وسلم عن المصلي الصادق
بقوله المصلي يناجي ربه وما اخبر عن حال نفسه جعلت قرة عيني في الصلوة لكن خص
الله هذه المراتب الشريفة بالخاشعين على جبروته والمتواضعين في ملكوته قال بعض
الفضلاء من لم يعرف الامر قام الى الامر على حد الكسل ومن عرف الامر قام اليه على حد
الاستغنام والاسترواح ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم يعدونها مغرما ومنعها
مغنما ثم بين ان الاشياء التي يظنونها من المنافع في الدنيا فانه تعالى جعلها اسبابا لتعذيبهم
فقال فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم فان ذلك استدراج ووبال لهم كما قال انما
يريد الله ليعذبهم بها في الحيوة الدنيا بسبب ما يكابدون لجمعها وحفظها من المتاعب
وما يرون فيها من الشدائد والمصائب وتزهق وتخرج بصعوبة فان الزهوق الخروج
بصعوبة انفسهم وهم كافرون فيموتوا كافرين مشتغلين بالتمتع عن النظر في العاقبة
فيكون ذلك استدراجا لهم ثم لما بين ما للمنافقين من المضار في الدنيا والاخرة عاد
الى ذكر قبائحهم فقال ويحلفون بالله انهم لمنكم لمن جملة المسلمين وما هم منكم لكفر
قلوبهم ولكنهم قوم يفرقون يخافون منكم ان تفعلوا بهم ما تفعلون بالمشركين فيظهرون
الاسلام تقية لو يجدون ملجا حصنا يلجاون اليه او مغارات غيرانا في الجبال

الا انهم كفروا بالله

جمع مغار

جمع مغار وهو الموضع الذي يغار فيه اي يستتر او مدخلا موضع دخول يدخلون فيه
مفتعل من ادخل يدخل قال الكلبي نفقا كنفق اليربوع لولوا اليه لاقبلوا نحوه وهم يجمحون
يسرعون اسراعا لا يرده شيء كالفرس الجموح ومعنى الاية انهم لو يجدون مخلصا منكم او
مهربا لفارقوكم ومنهم من يلمزك يعيبك يقال لمزه وهمزه اي عابه في الصدقات نزلت في
ذي الخويصرة التميمي واسمه حرقوص ابن زهير اصل الخوارج عن ابي سعيد الخدري
رضي الله عنه انه قال بينا نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اتاه ذو الخويصرة
وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال ويلك فمن يعدل اذا لم اعدل قد خبت
وخسرت ان لم اكن اعدل فقال عمر يا رسول الله ايذن لي فيه اضرب عنقه فقال دعه فان
له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلوتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤن القران لا يجاوز تراقيهم
يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر الى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى
رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر الى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم ايتهم
رجل اسود احدى عضديه مثل ثدي المراة او مثل البضعة تدردر يخرجون على خير فرقة
من الناس قال ابو سعيد فاشهد اني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم
واشهد ان علي ابن ابي طالب قاتلهم وانا معه فامر بذلك الرجل فاتي به حتى نظرت اليه على نعت
النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعته فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم
يسخطون ولو انهم رضوا ما اتيهم الله ورسوله اي قنعوا بما قسم لهم وقالوا حسبنا
الله كافينا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله ما نحتاج اليه انا الى الله راغبون
في ان يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وغيرها من اموال الناس وجواب لو
محذوف اي لكان خيرا لهم واعود عليهم قال الكاشف وصف الله قوما ليسوا من اهل
مقام الرضى لانهم كانوا محرومين من معرفة الله ورسوله ومعرفة حقائق الدين ولو
كانوا من اهل المعرفة لرضوا فيما ابتلاهم الله فان الرضا مقرون بالمعرفة ونعت الراضي
النشاط بما استقبله الله تعالى واستلذاذه بما باشر قلبه من البلاء لانه يحلى البلاء برؤية
المبلي ويسكن في جريان المقادير عليه بما يرد على قلبه من انوار المقدر انما الصدقات
للفقراء والمساكين بين الله تعالى في هذه الاية اهل سهمان الصدقات وجعلها ثمانية
اصناف قال الامام لما لمز المنافقون الرسول صلى الله عليه وسلم في باب الصدقات بين
في هذه الاية ان النبي صلى الله عليه وسلم انما ياخذها لهولاء الاصناف لا لنفسه روى عن
زياد ابن الحارث الصدائي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه رجل

فقال اعطني من الصدقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم
نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها هو فجزاها ثمانية اجزاء فان كنت من تلك
الاجزاء اعطيناك حقك واختلف العلماء في صفة الفقير والمسكين قال الشافعي
رحمه الله الفقير من لا مال له ولا حرفة تقع منه موقعا من حاجته زمنا كان او غير زمن
والمسكين من له مال او حرفة ولا تغنيه سائلا كان او غير سائل فالمسكين عنده احسن
حالا من الفقير وعند اصحاب الراي بالعكس وهو الاصح والفقير احسن حالا من
المسكين وكل منهما ان كان محترفا يعطى قدر ما يحصل به الحرفة والا يعطى قدر ما
يحصل لهما ادنى اسم الغنى والعاملين عليها وهم السعاة الذين يتولون قبض
الصدقات من اهلها ووضعها في حقها فيعطون من مال الصدقة فقراء كانوا او
اغنياء مثل اجر عملهم والمؤلفة قلوبهم قوم اسلموا ونيتهم ضعيفة فيه فيستالف
قلوبهم او اشراف يترقب باعطائهم ومراعاتهم اسلام نظرائهم وفي الرقاب وللصرف
في فك الرقاب وهم المكاتبون لهم سهم من الصدقة على قدر ما يعتق والغارمين
وهم قسمان قسم ادانوا لانفسهم في غير معصية فانهم يعطون وقسم ادانوا في المعروف
واصلاح ذات البين فانهم يعطون من مال الصدقة ما يقضون به ديونهم وان كانوا
اغنياء عن عطاء ابن يسار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تحل الصدقة
لغني الا لخمسة لغاز في سبيل الله او لغارم او لرجل اشتراها بماله او رجل له جار
مسكين فتصدق على المسكين واهدى المسكين للغني او لعامل عليها وفي سبيل الله
اراد به الغزاة المتطوعة فلهم سهم من الصدقة يعطون اذا ارادوا الخروج الى الغزو
ما يستعينون به على امر الغزو من النفقة والكسوة على قدر الذهاب والرجوع والمقام
في مغزاه والسلاح والحمولة على قدر الحاجة وان كانوا اغنياء ولا يعطى منه في الحج عند
اكثر اهل العلم وقال قوم يجوز ان يصرف سهم سبيل الله الى الحج يروى ذلك عن
ابن عباس وهو قول الحسن واحمد واسحق وقيل الى بناء القناطير والمصانع
وابن السبيل فكل من يريد سفرا مباحا ولم يكن له ما يقطع به تلك المسافة يعطى له من
الصدقة ما يقطع به تلك المسافة سواء كان له في البلد المنتقل اليه مال او لم يكن قال قتادة
ابن السبيل هو الضيف وقال فقهاء العراق ابن السبيل الحاج المنقطع فريضة
من الله مصدر لما دل عليه الاية اي فرض لهم الصدقات فريضة والله عليم حكيم
يضع الاشياء في مواضعها واختلف العلماء في كيفية قسم الصدقات وفي جواز صرفها

الى بعض

الى بعض الاصناف فذهب جماعة الى انه لا يجوز صرف كلها الى بعضهم مع وجود ساير الاصناف
وهو قول عكرمة وبه قال الشافعي وذهب جماعة الى انه لو صرف الكل الى صنف واحد من
هذه الاصناف او الى شخص واحد منهم يجوز وهو قول عمر وابن عباس وحذيفة وغيرهم
وبه قال سعيد بن جبير وعطاء واليه ذهب الثوري واصحاب الراي وبه قال احمد قال
يجوز ان يضعها في صنف واحد وتفريقها اولى وقال مالك يتحرى موضع الحاجة منهم
ويقدم الاولى فالاولى من اهل الخلة والحاجة وقال ابرهيم ان كان المال كثيرا يحتمل
الاجزاء قسمه على الاصناف وان كان قليلا جاز وضعه في صنف واحد ثم ذكر نوعا اخر
من جهالتهم فقال ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن نزلت في جماعة من
المنافقين كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون ما لا ينبغي فقال بعضهم لا تفعلوا
فانا نخاف ان يبلغه ما تقول فيقع بنا فقال الجلاس بن سويد نقول ما شئنا ثم ناتيه ونكر
ما قلنا ونحلف فيصدقنا بما نقول انما محمد اذن اي يسمع كل ما يقال له ويصدق سمي به للمبالغة
كانه من فرط استماعه صار جملته الة السماع كما سمي الجاسوس عينا قل اذن خير لكم تصديق
لهم بانه اذن ولكن لا على الوجه الذي ذموا به بل من حيث سمع الخير وقبله يؤمن
بالله يصدق به لما قام عنده من الادلة ويؤمن للمؤمنين ويصدقهم لما علم من خلوصهم
ورحمة اي وهو رحمة للذين امنوا منكم لمن اظهر الايمان حيث يقبله ولا يكشف سره
وفيه تنبيه على انه ليس يقبل قولكم جهلا بحالكم بل رفقا بكم وترحما عليكم والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم قال قتادة والسدي اجتمع ناس
من المنافقين فيهم جلاس بن سويد ووديعة بن ثابت فوقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم
وقالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن شر من الحمير وكان عندهم غلام من الانصار
يقال له عامر ابن قيس فحقروه وقالوا هذه المقالة فغضب الغلام وقال والله ما يقول محمد
حق وانتم شر من الحمير ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فدعاهم فسالهم فحلفوا ان
عامرا كذب وحلف عامر انهم كذبة فصدقهم النبي صلى الله عليه وسلم فجعل عامر يدعو
يقول اللهم صدق الصادق وكذب الكاذب فانزل الله تعالى هذه الاية والله و
رسوله احق ان يرضوه وتوحيد الضمير لتلازم الرضائين ان كانوا مؤمنين
الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يخالف الله ورسوله اي يكون في حد وجانب
من الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم يحذر المنافقون
يخشى المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم ويهتك عليهم استارهم

قل استهزءوا ان الله مخرج مظهر ما تحذرون من انزال السورة او اظهار مساويكم
قال ابن عباس انزل الله تعالى ذكر سبعين رجلا من المنافقين باسمائهم واسماء آبائهم ثم نسخ ذكر
الاسماء رحمة للمؤمنين لئلا يعير بعضهم بعضا لان اولادهم كانوا مؤمنين قال ابن كيسان نزلت
هذه الآية في اثني عشر رجلا من المنافقين وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على العقبة لما رجع
من غزوة تبوك ليفتكوا به اذا علاها ومعهم رجل مسلم يخفيهم شانه وتنكروا له في ليلة مظلمة فاخبر
جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدروا وامره ان يرسل اليهم من يضرب
وجوه رواحلهم وعمار بن ياسر يقود برسول الله صلى الله عليه وسلم راحلته وحذيفة يسوق
به فقال لحذيفة اضرب وجوه رواحلهم فضربها حتى نحاهم فلما نزل قال لحذيفة من عرفت من
القوم فقال لم اعرف منهم احدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه فلان وفلان حتى عدهم
كلهم فقال حذيفة الا تبعث اليهم فتقتلهم فقال اكره ان تقول العرب لما ظفر باصحابه اقبل يقتلهم
بل يكفيناهم الله بالدبيلة وفي بعض الروايات الدبيلة سراج من نار يظهر في اكتافهم حتى
ينجم في صدورهم ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب سبب نزول هذه الآية على
ما قال الكلبي ومقاتل وقتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه
ثلثة نفر من المنافقين اثنان يستهزيان بالقرآن والرسول والثالث يضحك قيل كانوا يقولون
ان محمدا يزعم انه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما ابعده من ذلك وقيل كانوا يقولون ان محمدا يزعم
انه نزل في اصحابنا المقيمين بالمدينة قرآن وانما هو قوله وكلامه فاطلع الله تعالى نبيه صلى الله عليه
وسلم على ذلك فقال احبسوا الركب علي فدعاهم وقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا انما كنا نخوض
ونلعب اي كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب
قال ابن عمر رأيت عبد الله بن ابي يسند قدام النبي صلى الله عليه وسلم والحجارة تنكبه وهو يقول
انما كنا نخوض ونلعب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له أبالله وآياته ورسوله كنتم
تستهزءون ما يلتفت اليه ولا يزيد عليه قل اي قل يا محمد أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون
توبيخا على استهزائهم بمن لا يصح الاستهزاء به والزاما للحجة عليهم ولا يعبأ باعتذارهم الكاذب
لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاركم فانها معلومة الكذب قد كفرتم بعد ايمانكم فان قيل
كيف قال كفرتم بعد ايمانكم وهم لم يكونوا مؤمنين قيل معناه اظهرتم الكفر بعد ما اظهرتم
الايمان ان نعف عن طائفة منكم لتوبتهم واخلاصهم نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين
مصرين على النفاق او مقدمين على الايذاء والاستهزاء قال محمد بن اسحق الذي عفي عنه رجل
واحد وهو مخشي بن حمير الاشجعي يقال هو الذي كان يضحك ولا يخوض وكان يمشي مجانبا لهم وكان ينكر

بعض

بعض ما يسمع فلما نزلت هذه الآية تاب من نفاقه وقال اللهم اني لا ازال اسمع آية تقرأ اعني
بها تقشعر منها الجلود وتجب منها القلوب اللهم اجعل وفاتي قتلا في سبيلك لا يقول
احد انا غسلت انا كفنت انا دفنت فاصيب يوم اليمامة فما احد من المسلمين الا عرف
مصرعه غيره المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اي متشابهة في النفاق و
البعد عن الايمان كابعاض الشيء الواحد يأمرون بالمنكر بالشرك والمعصية وينهون
عن المعروف اي عن الايمان والطاعة ويقبضون ايديهم عن المبار وقبض اليد
كناية عن الشح نسوا الله اغفلوا ذكر الله وتركوا طاعته فنسيهم فتركهم من لطفه
وفضله ان المنافقين هم الفاسقون الكاملون في التمرد والفسوق وعد الله
المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم عقابا وجزاء
وفيه دليل على عظم عذابها ولعنهم الله ابعدهم الله من رحمته ولهم عذاب مقيم
لا ينقطع والمراد ما وعدوه او ما يقاسونه من تعب النفاق كالذين من قبلكم اي فعلتم
كفعل الذين من قبلكم بالعدول عن امر الله كانوا اشد منكم قوة بطشا ومنعة واكثر
اموالا واولادا فاستمتعوا بخلاقهم بنصيبهم من الدنيا باتباع الشهوات ورضوا به عوضا
عن الآخرة فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ذم الاولين
باستمتاعهم بحظوظهم الناقصة من الشهوات الفانية واعراضهم عن تحصيل اللذات الباقية
تمهيدا لذم المخاطبين بمشابهتهم واقتفاء اثرهم وخضتم في الباطل والكذب على الله
وتكذيب رسوله والاستهزاء بالمؤمنين كالذي خاضوا كالخوض الذي خاضوه وقيل
كالذين خاضوا عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم
قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن وقال ابن مسعود انتم اشبه الامم ببني اسرائيل
سمتا وهديا تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا
اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة لم يستحقوا عليها ثوابا في الدارين واولئك
هم الخاسرون الذين خسروا الدنيا والآخرة ألم يأتهم يعني المنافقين نبأ خبر الذين
من قبلهم حين عصوا رسلنا وخالفوا امرنا كيف عذبناهم واهلكناهم ثم ذكرهم
فقال قوم نوح اهلكوا بالطوفان وعاد اهلكوا بالريح وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم
ابراهيم اهلك نمرود ببعوض واهلك اصحابه بسلب النعمة واصحاب مدين
يعني قوم شعيب اهلكوا بالنار يوم الظلة والمؤتفكات قريات قوم لوط ائتفكت بهم

اي انقلبت بهم فصار عاليها سافلها وامطروا حجارة من سجيل اتتهم رسلهم بالبينات
فكذبوهم وعصوهم كما فعلتم يا معشر الكفار فما كان الله ليظلمهم اي لم يكن من عادته
ما يشابه ظلم الناس كالعقوبة بلا جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون حيث عرضوها
للعقاب بالكفر والتكذيب ثم لما وصف المنافقين بالاعمال القبيحة وذكر انواع
الوعيد في جهنم ذكر كون المؤمنين موصوفين بصفات الخير على ضد صفاتهم ثم
ذكر ما اعد لهم فقال والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض في اتفاق الكلمة
والعون والنصرة يأمرون بالمعروف بالايمان والطاعة والخير وينهون
عن المنكر عن الشرك والمعصية وما لا يعرف في الشرع ويقيمون الصلوة ويؤتون
الزكوة ويطيعون الله ورسوله في سائر الامور اولئك سيرحمهم الله لا محالة
فان السين مؤكدة للوقوع ان الله عزيز غالب على كل شيء ما يمتنع عليه ما يريد حكيم
يضع الاشياء مواضعها وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار
خالدين فيها ومساكن طيبة يطيب فيها العيش في جنات عدن بساتين خلد
واقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به قال عبد الله بن عمرو بن العاص ان في الجنة
قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج وله خمسة آلاف باب لا يدخله الا نبي او
صديق او شهيد او حكم عدل وقال مقاتل والكلبي عدن اعلى درجة في الجنة فيها التسنيم
والجنان حولها محدقة بها وهي مغطاة من حين خلقها الله عز وجل حتى ينزلها اهلها
الانبياء والصديقون والشهداء والصالحون ومن شاء الله تبارك وتعالى وفيها
قصور الدرر والياقوت والذهب فتهب ريح من تحت العرش فيدخل عليهم
كثبان المسك الابيض ورضوان من الله اكبر لانه المبدأ لكل سعادة وكرامة
والمؤدي الى نيل الوصول والفوز باللقاء قال الامام هو دليل قاطع على ان السعادة
الروحانية اشرف من السعادة الجسمانية عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال يقول الله عز وجل لاهل الجنة يا اهل الجنة هل رضيتم فيقولون ربنا
ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم يعط احدا من خلقك فيقول افلا اعطيكم افضل من
ذلك فيقولون ربنا اي شيء افضل من ذلك فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط
عليكم بعده ابدا قال الاستاذ امارة هذا الرضوان وجدان طعمه نقدا فهو في روح
الانس وروح الانس لا يتقاصر عن دار القدس ثم هو اتم واعظم ذلك اي
الرضوان او جميع ما تقدم هو الفوز العظيم الذي يستحقر دونه الدنيا وما فيها

ثم لما ذكر الوعيد للمنافقين والوعد للمؤمنين على ما جرت سنة كتابه الكريم عاد الى الخوض
المشرح احوال الكفار والمنافقين فقال يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين
بالزام الحجة واقامة الحدود واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير مصيرهم
قال عطاء نسخت هذه الآية كل شيء من العفو والصفح قال الكاشف الكفار النفوس
الامارة وجهادها امانة شهواتها والمنافقون هم ابليس وجنوده وجهادهم بتضييق
طريق الوسواس بالجوع التام والحزن اللازم والزجر الغليظ عليهم من القلب الروحاني
المملو من انوار الرباني وفيه رخصة زجر المدعين فيجوز للصادق ان يزجرهم و
يعرض عنهم يحلفون بالله ما قالوا قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالسا في حجرة فقال انه سيأتيكم انسان ينظر اليكم بعيني شيطان فاذا جاء فلا تكلموه
فلم يلبثوا ان طلع رجل ازرق فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال علام تشتمني
انت واصحابك فانطلق الرجل فجاء باصحابه فحلفوا بالله ما قالوا فانزل الله تعالى هذه الآية
وقال الكلبي في جلاس بن سويد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب ذات
يوم بتبوك فذكر المنافقين فسماهم رجسا وعابهم فقال جلاس لئن كان محمد صادقا لنحن
شر من الحمير فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة اتاه عامر بن قيس
فاخبره بما قال الجلاس فقال الجلاس كذب علي فامرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يحلفا عند المنبر بعد العصر فحلف بالله الذي لا اله الا هو ما قاله ولقد كذب علي عامر
فقام عامر فحلف بالله الذي لا اله الا هو لقد قاله وما كذبت عليه ثم رفع عامر يده الى السماء
فقال اللهم انزل على نبيك الصادق منا الصدق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
آمين فنزل جبريل عليه السلام قبل ان يتفرقا بهذه الآية حتى بلغ فان يتوبوا يك خيرا
لهم فقام الجلاس فقال يا رسول الله اسمع الله قد عرض علي التوبة صدق عامر بن قيس فيما
قاله لقد قلته وانا استغفر الله واتوب اليه فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك منه
ثم تاب وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم اي اظهروا الكفر بعد اظهار
الاسلام وهموا بما لم ينالوا قال السدي قالوا اذا قدمنا المدينة عقدنا على راس عبد الله
ابن ابي تاجا فلم يصلوا اليه وقيل هم اثنا عشر رجلا من المنافقين وقفوا على العقبة في طريق تبوك
ليفتكوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء جبريل عليه السلام وامره ان يرسل اليهم من
يضرب وجوه رواحلهم فارسل حذيفة لذلك وما نقموا وما انكروا الا ان اغناهم الله
ورسوله من فضله قال الكلبي كانوا قبل قدوم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك

من العيش فلما قدم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم استغنوا بالغنائم روى ان مولى الجلاس
قتل فامر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الفا فاستغنى فَإِن يَتُوبُوا من
نفاقهم وكفرهم يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ وَإِن يَتَوَلَّوْا يعرضوا عن الايمان يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا
أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا بالخزي وَالْآخِرَةِ بالنار وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ فينجيهم
من العذاب وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ قال الامام هذه السورة اكثرها في شرح احوال المنافقين
وهم اصناف لاجرم ذكرهم على التفصيل فقال ومنهم الذين يؤذون النبي ومنهم من يلمزك
في الصدقات ومنهم من يقول ائذن لي ومنهم من عاهد الله لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ
وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ بعمل فيه عمل اهل الصلاح من صلة الرحم والانفاق في الخير
قد ذكر كثير من المفسرين ان الآية نزلت في ثعلبة ابن حاطب الانصاري وقد ورد فيه
حديث رواه جرير وابن ابي حاتم والامام محيي السنة باسانيدهم عن ابي امامة قال جاء
ثعلبة ابن حاطب الانصاري الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ادع الله
ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويلك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره
خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لك في رسول الله اسوة حسنة والذي نفسي بيده لو اردت
ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد ذلك فقال يا رسول الله ادع
الله ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق
حقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ غنما
فنمت كما ينمي الدود حتى كثرت وتنزل بها واديا من اودية المدينة واشتغل بها حتى
صار يصلي بعض الصلوات الفرض مع النبي صلى الله عليه وسلم وبعضها فيها ثم كثرت
ونمت وتباعد بها من المدينة حتى صار يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم الجمعة خاصة
دون غيرها من المفروضات ثم كثرت ونمت فتباعد ايضا حتى كان لا يشهد جمعة ولا جماعة
فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يلقى الناس فسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله صلى
الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة قالوا يا رسول الله اتخذ ثعلبة غنما ما يسعها
واد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة فانزل
الله عز وجل آية الصدقات فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من بني سليم
ورجلا من جهينة وكتب لهما اسنان الصدقة كيف يأخذان وقال لهما مرا بثعلبة
ابن حاطب وبرجل من بني سليم فخذا صدقتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة

فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي فانطلقا
وسمع بهما السلمي فنظر الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما رأياها
قالا ما هذا عليك قال خذاه فان نفسي بذلك طيبة فمرا على الناس فاخذا الصدقات ثم
رجعا الى ثعلبة فقال اروني كتابكما فقرأه ثم قال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية اذهبا
حتى ارى رأيي فاقبلا فلما رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان تكلماه قال يا ويح ثعلبة
ثم دعا للسلمي بخير فاخبراه بالذي صنع ثعلبة فانزل الله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتانا
من فضله لنصدقن الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل
من اقارب ثعلبة فسمع ذلك فخرج حتى اتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد انزل الله عز وجل
فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته
فقال ان الله عز وجل منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبض رسول
الله صلى الله عليه وسلم صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتى ابا بكر رضي الله عنه
فقال اقبل صدقتي فقال ابو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا لا اقبلها
منك فلم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه فقال اقبل صدقتي فقال لم يقبلها منك رسول الله صلى
الله عليه وسلم ولا ابو بكر وانا لا اقبلها فلم يقبلها فلما ولي عثمان رضي الله عنه اتاه فلم يقبلها
وهلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ منعوا حق الله
وَتَوَلَّوا عن طاعة الله وَّهُم مُّعْرِضُونَ وهم قوم عادتهم الاعراض فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي
قُلُوبِهِمْ فجعل الله عاقبة فعلهم النفاق متمكنا في قلوبهم إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ يلقون الله بالموت
او يلقون عمله اي جزاءه وهو يوم القيمة بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ باخلافهم ما وعدوه من
التصدق والصلاح وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ المقال في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلث اذا حدث كذب واذا وعد
اخلف واذا ائتمن خان أَلَمْ يَعْلَمُوا اي المنافقون او من عاهد الله أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
سِرَّهُمْ ما اسروه في انفسهم من النفاق او العزم على الاخلاف وَنَجْوَاهُمْ وما يتناجون به
فيما بينهم من المطاعن او تسمية الزكوة جزية وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ فلا يخفى عليه ذلك
ثم ذكر نوعا آخر من قبائحهم وهو لمزهم من يأتي بالصدقات فقال الَّذِينَ يَلْمِزُونَ وهو
مرفوع او منصوب على الذم او بدل من الضمير في سرهم قال اهل التفسير حث رسول
الله صلى الله عليه على الصدقة فجاء عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه باربعة الاف درهم

فقال يا رسول الله مالي ثمانية آلاف درهم جئتك باربعة الآف وامسكت اربعة الآف
لعيالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك
الله عز وجل في مال عبد الرحمن حتى انه خلف امرأتين يوم مات فبلغ ثمن ماله لهما مائة
وستين الف درهم وتصدق يومئذ عاصم ابن عدي العجلاني بثمانية اوسق من تمر
وجاء ابو عقيل الانصاري بصاع من تمر وقال يا رسول الله بت ليلتي اجر بالجرير
حتى نلت صاعين من تمر فامسكت احدهما لاهلي واتيتك بالآخر فامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ينثره في الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن
وعاصم الا رياء وان الله تعالى ورسوله لغنيان عن صاع ابي عقيل ولكنه احب ان
يذكر بنفسه ليعطى من الصدقة فانزل الله عز وجل الَّذِينَ يَلْمِزُونَ اي يعيبون الْمُطَّوِّعِينَ اي
المتبرعين مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ اي طاقتهم
والضم لغة اهل الحجاز وقرأ الاعرج بالفتح قال القتيبي الجهد بالضم الطاقة وبالفتح
المشقة فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ يستهزؤن بهم سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ جازاهم على سخريتهم لقوله تعالى
الله يستهزئ بهم وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ على كفرهم قال الامام المنافقون الذين كانوا يلمزون
طلبوا الاستغفار من النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ
لَهُمْ يريد التساوي بين الامرين في عدم الافادة لهم كما نص عليه بقوله إِن تَسْتَغْفِرْ
لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ قال الضحاك لما نزلت هذه الآية قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فلازيدن على السبعين لعل الله ان يغفر لهم
فانزل الله عز وجل سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ اشارة الى ان اليأس من المغفرة وعدم قبول استغفارك
ليس لبخل منا ولا قصور فيك بل لعدم قابليتهم بسبب الكفر الصارف عنها وَاللَّهُ لَا
يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ثم ذكر نوعا آخر من قبائحهم فقال فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ عن غزوة
تبوك والمخلف المتروك بِمَقْعَدِهِمْ اي قعودهم خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ اي خلفه يقال
اقام خلاف الحي اي بعدهم كذا فسره ابو عبيدة وقيل الخلاف المخالفة وانتصابه على
الحال او العلة وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا
فِي الْحَرِّ قال بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا فان غزوة تبوك كانت في شدة الحر
قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا وقد آثرتموها بهذه المخالفة لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ان مآبهم اليها
او انها كيف هي ما اختاروها بايثار الدعة على الطاعة عن ابي هريرة رضي الله عنه

قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي يوقدون جزء من سبعين
جزءا من نار جهنم فقالوا يا رسول الله ان كانت لكافية فقال فضلت عليها بتسعة وستين
جزءا اخرجاه في الصحيحين وعن انس مرفوعا لو ان شررة بالمشرق اي من نار جهنم
لوجد حرها من المغرب رواه ابو القسم الطبراني وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان في هذا المسجد مائة الف او يزيدون وفيهم
رجل من اهل النار فتنفس فاصابهم نفسه لاحرق المسجد ومن فيه رواه الحافظ ابو
يعلى وعن النعمن ابن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اهون اهل النار عذابا يوم القيمة له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه
كما يغلي المرجل لا يرى ان احدا من اهل النار اشد عذابا منه وانه اهونهم عذابا
اخرجاه في الصحيحين والاحاديث والآيات في الباب كثيرة جدا فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا فِي
الدنيا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا في الآخرة جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ اخبار عن ما يؤل اليه حالهم
في الدنيا والآخرة اخرجه على صيغة الامر للدلالة على انه واجب عن انس رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا
وعنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس ابكوا فان لم تستطيعوا
فتباكوا فان اهل النار يبكون حتى يسيل دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى تنقطع
الدموع فيسيل الدماء فتقرح العيون حتى لو ان سفنا ازجيت فيها لجرت رواه ابن
ماجة وابو يعلى والامام محيي السنة ثم لما بين مخازي المنافقين عرف الرسول ان الصلاح
ان لا يستصحبهم في غزواته فقال فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ ردك الله يا محمد من غزوة تبوك
إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ يعني من المخلفين وانما قال طائفة منهم لانه ليس كل من تخلف عن
تبوك كان منافقا فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ معك في غزوة اخرى فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا
في سفر وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا اخبار في معنى النهي للمبالغة إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ
أَوَّلَ مَرَّةٍ تعليل له وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم واول
مرة هي الخرجة الى غزوة تبوك فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ اي المتخلفين لعدم لياقتهم الجهاد
كالنساء والصبيان وقال ابن عباس مع الذين تخلفوا بغير عذر وقيل مع المخالفين
قال الفراء يقال صاحب فلان خالف اذا كان مخالفا ثم امر الرسول بنوع آخر من
الاهانة فقال وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا قال اهل التفسير بعث عبد الله ابن
ابي سلول الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مريض فلما دخل عليه قال له

اهلكك حب يهود فقال يا رسول الله اني لم ابعث اليك لتوبخني ولكن بعثت اليك لتستغفر لي وساله ان يكفنه في قميصه ويصلي عليه عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قال لما مات عبد الله ابن ابي سلول دُعي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت عليه فقلت يا رسول الله اتصلي على ابن ابي وقد قال يوم كذا وكذا كذا وكذا اعدد عليه قوله فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عني يا عمر فلما اكثرت عليه قال اني خيرت فاخترت لو اعلم اني ان زدت على السبعين غفر له زدت عليها قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزلت الآيتان من براءة ولا تصل على احد منهم مات ابدا الى قوله وهم فاسقون قال فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ والله ورسوله اعلم وعن جابر ابن عبد الله قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ابن ابي بعد ما ادخل في حفرته فامر به فاخرج فوضعه على ركبتيه ونفث فيه من ريقه والبسه قميصه وعنه ايضا انه لما كان يوم بدر واتي بالعباس ولم يكن عليه ثوب فوجدوا قميص عبد الله ابن ابي يقدر عليه فكساه النبي صلى الله عليه وسلم اياه فلذلك نزع النبي صلى الله عليه وسلم قميصه الذي البسه روي انه اسلم الف من قومه لما راوه يتبرك بقميص النبي صلى الله عليه وسلم ولا تقم على قبره لا تقف عليه عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال استغفروا لاخيكم وسلوا له بالتثبيت فانه الآن يسال انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها على منافق ولا قام على قبره حتى قبض صلى الله عليه وسلم عن ابي قتادة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعي لجنازة سال عنها فان اثني عليها خير قام يصلي عليها وان اثني عليها غير ذلك قال لاهلها شانكم بها ولم يصل عليها وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لا يصلي على جنازة من جهل حاله حتى يصلي عليها حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه لانه كان يعلم اعيان المنافقين قد اخبره بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا كان يقال له صاحب السر الذي لا يعلمه غيره من الصحابة رواه الامام محمد ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون تكرير للتاكيد والامر حقيق فان الابصار طامحة الى الاموال والاولاد والنفوس

مغتبطة

مغتبطة عليها ثم ذكر نوعا اخر من قبايحهم فقال واذا انزلت سورة من القرآن ويجوز ان يراد بعضها ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم ذووا الغنى والسعة منهم في القعود وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين لعذر رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النساء جمع خالفة وقد يقال الخالفة الذي لا خير فيه يقال فلان خالفة قومه اذا كان دونهم وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد وموافقة الرسول من السعادة وما في التخلف عنه من الشقاوة ولما شرح حال المنافقين في الفرار من الجهاد بين ان حال الرسول والذين آمنوا بالضد فقال لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات منافع الدارين النصر والغنيمة في الدنيا والجنة والكرامة في الآخرة وقيل الحوادث الحسان قال الله تعالى فيهن خيرات حسان جمع خيرة وعن ابن عباس ان الخيرات لا يعلم معناها الا الله كما قال جل ذكره فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين واولئك هم المفلحون الفائزون بالمطالب اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم ثم لما شرح احوال المنافقين الذين كانوا في المدينة شرح احوال المنافقين من الاعراب فقال وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم قرئ المعذرون بالتخفيف ومعناه المبالغون في العذر يقال لقد اعذر من انذر اي بالغ في العذر من قدم النذارة وقرئ بالتشديد اي المقصرون يقال عذر اي قصر وقال الفراء المعذرون المعتذرون وقال الضحاك المعذرون هم رهط عامر ابن الطفيل جاؤا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم دفاعا عن انفسهم فقالوا يا رسول الله ان نحن غزونا معك تغير اعراب طي على حلايلنا واولادنا ومواشينا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نبأني الله باخباركم وسيغني الله عنكم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله يعني المنافقين قال ابو عمرو ابن العلا كلا الفريقين كان مسيئا قوم تكلفوا عذرا بالباطل وهم الذين عناهم الله تعالى بقوله وجاء المعذرون وقوم تخلفوا من غير تكلف عذر فقعدوا جرأة على الله تعالى وهم المنافقون فاوعدهم الله تعالى بقوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم وان منهم من اعتذر لكسله لا لكفره ثم لما بين حال من يعتذر مع انه لا عذر له ذكر اصحاب الاعذار الحقيقية وبين ان التكليف ساقط عنهم فقال ليس على الضعفاء قال ابن عباس الزمنى والمشايخ والعجزة ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون يعني الفقراء حرج ماثم اذا نصحوا لله ورسوله

بالايمان والطاعة او بما قدروا عليه فعلا او قولا يعود على الاسلام والمسلمين بالصلاح ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم لهم او للمسيء فكيف للمحسن ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم عطف على الضعفاء او على المحسنين اي لا سبيل على المحسنين ولا على هؤلاء الذين وهم سبعة نفر سموا البكائين معقل ابن يسار وصخر بن خنساء وعبد الله ابن كعب الانصاري وعلية ابن زيد وسالم عمير وثعلبة بن غنمة وعبد الله ابن مغفل المزني اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ان الله ندبنا للخروج معك فاحملنا واختلفوا في قوله لتحملهم قال ابن عباس سالوه ان يحملهم على الدواب وقيل سالوه ان يحملهم على الخفاف المرقوعة والنعال المخصوفة ليغزوا معه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا اجد ما احملكم عليه كما قال تعالى قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا جواب اذا واعينهم تفيض تسيل من الدمع حزنا ان لا يجدوا ما ينفقون في مغزاهم في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة اقواما ما قطعتم واديا ولا سرتم مسيرا الا وهم معكم قالوا وهم بالمدينة قال صلى الله عليه وسلم نعم حبسهم العذر انما السبيل بالمعاتبة على الذين يستاذنونك وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف النساء وطبع الله على قلوبهم حتى غفلوا عن وخامة العاقبة فهم لا يعلمون يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم روي ان المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كانوا بضعة وثمانين نفرا فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم جاؤا يعتذرون بالباطل قال الله تعالى قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم لن نصدقكم قد نبأنا الله من اخباركم فيما سلف وسيرى الله عملكم ورسوله اتتوبون من نفاقكم ام تقيمون عليه ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم انصرفتم من غزوكم لتعرضوا عنهم لتصفحوا عنهم فلا تعاتبوهم فاعرضوا عنهم فدعوهم وما اختاروا لانفسهم من النفاق انهم رجس نجس اي ان عملهم قبيح ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون قال ابن عباس نزلت في الجد ابن قيس ومعتب ابن قشير واصحابهما كانوا ثمانين رجلا من المنافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقال مقاتل نزلت في عبد الله ابن ابي حلف للنبي صلى الله عليه وسلم بالله الذي لا اله الا هو ان لا يتخلف عنه بعدها فطلب من النبي صلى الله عليه وسلم ان يرضى عنه فانزل الله عز وجل هذه الآية ونزل يحلفون

اي من طريق بالعقوبة

اتوك

الجزء ١١

في المسانف

اليهم

في الآخرة

لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يمكنهم ان يلبسوا عليه فلا يهتك سترهم ولا ينزل الهوان بهم الاعراب اي اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لتوحشهم وقساوتهم وعدم مخالطتهم لاهل العلم وبعدهم عن سماع القرآن ومعرفة السنن اخبر تعالى انه في الاعراب كفار ومنافقون ومؤمنون وان كفرهم اعظم من غيرهم واشد واجدر الا يعلموا واحق بان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله من الشرائع فرائضها وسننها والله عليم يعلم حال كل واحد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم عقابا وثوابا ومن الاعراب من يتخذ يعد ما ينفق ما يصرفه في سبيل الله ويتصدق به مغرما غرامة وخسرانا فالعطاء لا يرجون على اعطائه ثوابا ولا يخافون على امساكه وانما ينفقون خوفا ورياء قال اهل العرفان من يرى الملك لنفسه كان ما ينفقه غرامة عنده ومن يرى الاشياء لله عارية في يده راى ما ينفقه غنما لا غرما ويتربص بكم الدوائر ينتظر دوائر الزمان ونوبه لينقلب الامر عليكم فيتخلص من النفاق عليهم دائرة السوء اي عليهم يدور البلاء والحزن ولا يرون في محمد ودينه الا ما يسوءهم والسوء بالضم البلاء وبالفتح المصدر والله سميع لما يقولون عند الانفاق عليم بما يضمرون نزلت في اعراب اسد وغطفان وتميم ثم لما بين شدة كفر الاعراب بين ان منهم قوما مؤمنين فقال ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر قال مجاهد هو بنو مقرن من مزينة وقال الكلبي اسلم وغفار ومزينة عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلم وغفار وشيء من جهينة ومزينة خير عند الله يوم القيامة من تميم واسد بن خزيمة وهوازن وغطفان ويتخذ ما ينفق قربات عند الله سبب قربات الى الله وصلوات الرسول سبب دعائه واستغفاره الا انها قربة لهم شهادة من الله بصحة معتقدهم وتصديق لرجائهم سيدخلهم الله في رحمته وعد لهم باحاطة الرحمة عليهم قال الكاشف رحمته مشاهدته ان الله غفور رحيم تقرير لما سبق من الوعد لهم باحاطة الرحمة عليهم ثم لما ذكر فضايل الذين يتخذون ما ينفقون قربات عند الله بين ان فوق منزلتهم منازل اعظم منه فقال والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار اختلفوا في السابقين الاولين فقال سعيد ابن المسيب وقتادة وابن سيرين وجماعة هم الذين صلوا الى القبلتين وقال عطاء ابن ابي رباح اهل بدر وقال الشعبي

لطفهم

هم الذين شهدوا بيعة الرضوان بالحديبية وقد قال هم الذين اسلموا قبل الهجرة
والسابقون من المهاجرين الذين فارقوا قومهم وعشيرتهم وفارقوا اوطانهم ومن
الانصار هم الذين نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه فآووا اصحابه
قال ابن عطاء السابق من سبق له في الازل حسن عنايته فيظهر عليه في وقت ايجاده
انوار تلك السابقة فانه ما وصل اليه احد الا بعد ان سبق له في الازل منه لطف وعناية
والواسطي قال السباق السباق قولا وفعلا احذر النفس حرمة المسبوق والذين اتبعوهم
باحسان بقية المهاجرين والانصار وقيل هم الذين سلكوا سبيلهم في الايمان والهجرة
والنصرة الى يوم القيمة رضي الله عنهم بقبول طاعتهم وارتضاء اعمالهم ورضوا عنه
بما نالوا من نعمه الدنيوية والدينية قال جعفر رضي الله عنه رضي الله عنهم لما كان سبق
لهم من الله من عنايته وتوفيق ورضوا عنه بما من عليهم بمتابعتهم لرسوله صلى الله عليه وسلم
وقبول ما جاء به وانفاقهم الاموال وبذلهم المهج وقال النصراباذي ما رضوا عنه حتى
رضي عنهم بفضل رضاه عنهم واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
ذلك الفوز العظيم قال ابو صخر حميد بن زياد اتيت محمد بن كعب القرظي فقلت له
ما تقول في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جميع اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم في الجنة محسنهم ومسيئهم فقلت من اين تقول هذا قال اقرأ قول الله تعالى
والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الى ان قال رضي الله عنهم ورضوا عنه
قال والذين اتبعوهم باحسان شرط في التابعين شريطة وهو ان يتبعوهم في افعالهم
الحسنة دون السيئة قال ابو صخر فكاني لم اقرأ هذه الآية قط عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تسبوا اصحابي فو الذي نفسي بيده لو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما ادرك
مد احدهم ولا نصيفه ثم ذكر ان جماعة موصوفون بالنفاق وان كنتم لا تعلمون فقال
وممن حولكم من الاعراب منافقون وهم من مزينة وجهينة واشجع واسلم وغفار
وكانت منازلهم حول المدينة يقول من هؤلاء الاعراب منافقون ومن اهل المدينة
من الاوس والخزرج قوم منافقون مردوا على النفاق يقال تمرد على ربه اي عتا ومرد
على معصيته اي مرن وثبت عليها واعتادها ومنه المريد والمارد لا تعلمهم انت يا محمد نحن
نعلمهم سنعذبهم مرتين لتسلفوا في هذين العذابين فقال السدي والكلبي قام النبي
صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان اخرج
من المسجد ناسا وفضحهم فهو العذاب الاول والثاني عذاب القبر وقال قتادة الدبيلة

في الدنيا وعذاب القبر وقال مجاهد الاول القتل والسبي والثاني عذاب القبر وقال ابن زيد
الاولى المصائب في الاموال والاولاد والاخرى عذاب الآخرة وعن ابن عباس الاولى
اقامة الحدود عليهم والاخرى عذاب القبر ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب جهنم
مخلدون فيه وآخرون اي ومن اهل المدينة او من الاعراب آخرون اعترفوا بذنوبهم
خلطوا عملا صالحا وهو اقرارهم وتوبتهم وآخر سيئا وهو تخلفهم عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم عسى الله ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم نزلت الآية في قوم
تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ثم ندموا على ذلك وقالوا نكون
في الظلال مع النساء ورسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه في الجهاد واللأواء
فلما قرب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة قالوا والله لنوثقن انفسنا بالسواري
ولا نطلقها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقنا ويعذرنا فاوثقوا
انفسهم بسواري المسجد فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بهم فرآهم فقال من
هؤلاء قالوا هؤلاء تخلفوا عنك فعاهدوا الله ان لا يطلقوا انفسهم حتى تكون انت تطلقهم
وترضى عنهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقسم بالله لا اطلقهم ولا اعذرهم حتى
اومر باطلاقهم رغبوا عني وتخلفوا عن الغزو مع المسلمين فانزل الله هذه الآية فارسل
اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلقهم وعذرهم فلما اطلقوا قالوا يا رسول الله هذه
اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها عنا وطهرنا واستغفر لنا فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما امرت ان آخذ من اموالكم شيئا فانزل الله تعالى خذ من اموالهم
صدقة واختلفوا في اعداد هؤلاء التائبين روى عن علي ابن طلحة عن ابن عباس
قال كانوا عشرة منهم ابو لبابة وقال الزهري ربط نفسه بسارية وقال والله لا احل
نفسي ولا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام لا
يذوق طعاما ولا شرابا حتى خر مغشيا عليه فانزل الله تعالى هذه الآية فقيل له قد تيب
عليك فقال والله لا احل نفسي حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلني
فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فحله بيده ثم قال ابو لبابة يا رسول الله ان من توبتي ان
اهجر دار قومي التي اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالي كله صدقة الى الله والى
رسوله قال يجزيك يا ابا لبابة الثلث فالجميع فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث اموالهم
وترك الثلثين لان الله تعالى قال خذ من اموالهم ولم يقل خذ اموالهم خذ من اموالهم
صدقة تطهرهم بها من ذنوبهم وتزكيهم بها اي ترفعهم من منازل المنافقين الى منازل

المخلصين وصل عليهم اي ادع لهم واستغفر لهم وقيل هو قول الساعي اذا اخذ الصدقة
آجرك الله فيما اعطيت وبارك لك فيما ابقيت ان صلواتك سكن لهم رحمة لهم قال ابن
عباس وقيل طمأنينة وسكون لهم ان الله قد قبل منهم وقال ابو عبيدة تثبيت لقلوبهم
والله سميع عليم عن عمرو بن مرة رضي الله عنه قال سمعت عبد الله ابن ابي اوفى وكان
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاه
قوم بصدقة قال اللهم صل عليهم فاتاه ابي بصدقته فقال اللهم صل على آل ابي اوفى فلما نزلت
توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا من المتخلفين هؤلاء كانوا معنا بالامس لا يكلمون ولا
يجالسون فما لهم فقال الله عز وجل الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات
وان الله هو التواب الرحيم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول والذي نفسي بيده ما من عبد يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب ولا
يصعد الى السماء الا الطيب الا كانما يضعها في يد الرحمن عز وجل فيربيها لكم كما يربي احدكم
فلوه حتى ان اللقمة لتاتي يوم القيمة وانها لمثل الجبل العظيم ثم قرأ ان الله هو يقبل التوبة عن
عباده ويأخذ الصدقات وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون
الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون قال الامام هذا الكلام جامع للترغيب
والترهيب لان المعبود اذا كان لا يعلم افعال العباد لم ينتفع العبد بفعله ولهذا قال الخليل
عليه السلام لابيه لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقال مجاهد هذا وعيد
يعني من الله تعالى للمخالفين او امره وان اعمالهم سيعرض عليه تبارك وتعالى وعلى الرسول
صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين وهذا كائن لا محالة يوم القيمة كما قال يومئذ تعرضون لا تخفى
منكم خافية وقال تعالى يوم تبلى السرائر وقال عز وعلا وحصل ما في الصدور وقد يظهر ذلك
للناس في الدنيا عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لو ان احدكم
يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لاخرج الله عمله للناس كائنا ما كان رواه الامام احمد
وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اعمالكم تعرض
على عشائركم واقربائكم في قبورهم فان كان خيرا استبشروا به وان كان غير ذلك قالوا
اللهم الهمهم ان يعملوا بطاعتك رواه ابو داود وقال البخاري قالت عائشة رضي الله عنها اذا
اعجبك حسن عمل امرئ فقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وآخرون
من المخلفين مرجون لامر الله موخرون لحكم الله فيهم والارجاء التاخير وهم الثلاثة
الذين ياتي قصتهم من بعد كعب ابن مالك وهلال ابن امية ومرارة ابن الربيع لم يبالغوا

في التوبة والاعتذار كما فعل ابو لبابة فوقفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين ليلة
ونهى الناس عن مخالطتهم حتى شقهم القلق وضاقت عليهم الارض بما رحبت وكانوا من
اهل بدر فجعل ناس يقولون هلكوا وناس يقولون عسى الله ان يغفر لهم فصاروا مرجين
لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم باحوالهم حكيم فيما يفعل بهم حتى
نزلت توبتهم بعد خمسين ليلة ولما ذكر اصناف المنافقين وطرائقهم ذكر ان من جملتهم
هؤلاء الذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا فقال والذين اتخذوا مسجدا خبر مبتداء
محذوف اي وفيمن وصفنا الذين اتخذوا مسجدا او منصوب على الاختصاص وقرا نافع بغير
واو نزلت الآية في جماعة من المنافقين بنوا مسجدا يضارون به مسجد قباء ضرارا
مضارة للمؤمنين وكفرا بالله ورسوله وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا جميعا يصلون
في مسجد قبا فبنوا مسجدا ضرارا ليصلي فيه بعضهم فيودي ذلك الى الاختلاف وافتراق
الكلمة وكان يصلي بهم مجمع بن حارثة فلما فرغوا اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو يتجهز الى تبوك فقالوا يا رسول الله انا قد بنينا مسجدا لذي العلة والحاجة والليلة
المطيرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تاتينا تصلي لنا وتدعو بالبركة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وقال اذا قدمنا ان شاء الله اتيناكم فصلينا لكم
فيه وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل اي انتظارا واعدادا له وهو
ابو عامر الراهب وكان قد ترهب في الجاهلية وتنصر ولبس المسوح فلما قدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة قال له ابو عامر ما هذا الذي جئت به قال جئت بالحنيفية
دين ابرهيم قال ابو عامر انا عليها فقال النبي صلى الله عليه وسلم انك لست عليها قال
بلى ولكنك ادخلت في الحنيفية ما ليس منها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما
فعلت ولكن جئت بها بيضاء نقية قال ابو عامر امات الله الكاذب منا طريدا وحيدا
غريبا فقال النبي صلى الله عليه وسلم آمين وسماه ابو عامر الفاسق فلما كان يوم احد
قال ابو عامر لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما
انهزمت هوازن يئس وخرج هاربا الى الشام فارسل الى المنافقين ان استعدوا
بما استطعتم من قوة وسلاح وابنوا لي مسجدا فاني ذاهب الى قيصر ملك الروم فاخرج
محمدا واصحابه فبنوا مسجد الضرار الى جنب مسجد قباء فذلك قوله وارصادا لمن حارب
الله ورسوله وهو ابو عامر الفاسق ليصلي فيه اذا رجع من الشام وليحلفن
ان اردنا الا الحسنى ما اردنا ببنائه الا الحسنى وهو الرفق بالمسلمين والتوسعة

علي اهل الضعف والعجز عن المصير الى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وَاللّٰهُ يَشْهَدُ
إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ في قولهم وحلفهم روى انه لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم
من تبوك ونزل بذى اوان موضع قريب من المدينة اتوه فسالوه اتيان مسجدهم فدعا
بقميصه ليلبسه ويأتيهم ونزل عليه القرآن واخبره الله تعالى خبر مسجد الضرار وما هموا به
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ابن الدخشم ومعن ابن عدي وعامر ابن
السكن ووحشيا قاتل حمزة وقال لهم انطلقوا الي هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه
واحرقوه فخرجوا جميعا سريعا حتى اتوا سالم ابن عوف وهم رهط مالك ابن الدخشم فقال
مالك انظروني حتى اخرج اليكم بنار من اهلي فدخل الي اهله فاخذ سعفا من النخل
فاشعل فيه نارا ثم خرجوا يشتدون حتى دخلوا المسجد وفيه اهله فحرقوه وهدموه و
تفرق عنه اهله وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يتخذ ذلك كناسة يلقى فيها الجيف
والنتن والقمامة ومات ابو عامر الراهب بالشام وحيدا فريدا غريبا قال عطاء لما فتح
الله تعالى على عمر ابن الخطاب رضى الله عنه الامصار امر المسلمين ان يبنوا المساجد
وامرهم ان لا يبنوا في مدينتهم مسجدين يضار احدهما صاحبه لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا قال ابن
عباس لا تصل فيه منع الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي في مسجد الضرار
لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى اى بنى اصله على التقوى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ بنى ووضع اساسه
أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ مصليا واختلفوا في المسجد الذى اسس على التقوى قال ابن عمر
وزيد ابن ثابت وابو سعيد الخدرى هو مسجد المدينة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم
ويدل عليه احاديث كثيرة منها ما رواه ابو سعيد انه قال تمارى رجلان في المسجد الذي
اسس على التقوى من اول يوم فقال رجل هو مسجد قباء وقال الآخر هو مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو مسجدى هذا رواه مسلم
والترمذى والنسائى والامام احمد وذهب قوم الي انه مسجد قباء وهو رواية عطية
عن ابن عباس وهو قول عروة ابن الزبير وسعيد ابن جبير وقتادة عن ابن عمر رضى الله عنهم
قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يأتى مسجد قباء كل سبت ماشيا وراكبا يصلى فيه ركعتين
قال الكاشف بين الله تعالى وتقدس ان تاسيس كل عبادة لا تقوم الا بالتقوى والتقوى
يطهر الاسرار عن النظر الي الاغيار وكل موضع تضرم فيه نيران التقوى تحرق جميع
الاوصاف النفسانية والشيطانية من الشرك والشك والرياء والنفاق والسمعة
ولا يبقى هناك الا صفاء السر وطهارة الضمير وخلوص النية وصفاء القلب وتجريد ذكر الله

عن ذكر كل مخلوق فاذا كان كذلك يكون العبادة والارادة سلغ الايمان والايقان
الى درجة العرفان والعرفان سلغ هذه المراتب الى درجه التوحيد والتوحيد سلغ
جميع العشاق الى مشاهدة الموحد حتى صارت كل غيبه عيانا وكل نكرة عرفانا وكل ابهام
بيانا فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وقد ورد في الحديث المروى من طريق السنن وغيرها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاهل قباء قد اثنى الله تعالى عليكم في الطهور فما ذا
تصنعون قالوا نستنجي بالماء قال الشيخ ابن الكثير وقد قال الحافظ البزار مسندا انهم
قالوا انا نتبع الحجارة الماء وفي الآية دليل على استحباب الصلوة في المساجد القديمة المؤسسة
من اول بنائها على عبادة الله وحده لا شريك له وعلى استحباب الصلوة مع جماعة الصالحين
والعباد العاملين المحافظين على اسباغ الوضوء والتنزه من ملابسة القاذورات
وَاللّٰهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ اى المتطهرين والمعنى والله يرضى عنهم ويدنيهم من جنابه
ادناء المحب حبيبه قال ابو العالية ان الطهور بالماء حسن ولكنهم المتطهرون من
الذنوب وقال الاعمش التوبة من الذنوب والتطهر من الشرك قال سهل الطهارة
على ثلثة اوجه طهارة العلم من الجهل وطهارة الذكر من النسيان وطهارة الطاعة من
العصيان وقال بعضهم فيه رجال يحبون ان يطهروا اسرارهم عن دنس الاكوان
أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ بنيان دينه عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّٰهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ
عَلَى شَفَا على شفير جُرُفٍ بضم الراء وسكونها البير التى لم تطو قال ابو عبيدة هو الهوة
وما يجرفه السيل من الاودية فيتخرق بالماء فيبقى واهيا هَارٍ اى هاير وهو الساقط يقال
هار يهور فهو هاير وقيل من هار يهار اذا انهدم ومعناه الساقط الذى يتداعى بعضه
في اثر بعض كانهيار الرمل والشئ الرخو فَانْهَارَ بِهِ سقط به فِي نَارِ جَهَنَّمَ والمعنى
ادى به لخوره وقلة استمساكه الى السقوط في النار قال ابن عباس يريد صيرهم النفاق
الى النار وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ الى ما فيه صلاحهم ونجاتهم قال ابو تراب
النخشبي من كان ابتداء ارادته على الصحة والسلامة من هوى نفسه بلغ الرضوان
الاكبر والمقام الارفع قال الله تعالى افمن اسس بنيانه على تقوى من الله قال الواسطي
على تقوى من الله لا من نفسه يكون الله اصل ذلك التقوى لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا
بنارهم رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ شكا ونفاقا يحسبون انهم كانوا في بنيانه محسنين كما حبب
العجل الى قوم موسى قاله ابن عباس وقال الكلبى حسرة وندامة لانهم ندموا على بنائه
وقال السدى لا يزال هدم بنيانهم ريبة اى غيظا في قلوبهم إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ

الهمع كل موضع لا يدرك
نعت والطرف الادهاب

قطعا بحيث لا يبقى لها قابلية الادراك قال قتادة لا يزالون في شك منه الا ان يموتوا
فيستيقنوا وَاللّٰهُ عَلِيمٌ بنياتهم حَكِيمٌ فيما امر بهدم بنائهم ثم لما شرح قبائح المنافقين
بسبب تخلفهم عن الجهاد عاد الى بيان فضيلة الجهاد فقال إِنَّ اللّٰهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ قال محمد ابن كعب القرظى لما بايعت الانصار رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة العقبة بمكة وهم سبعون نفسا قال عبد الله ابن رواحة يا رسول الله اشترط
لربك ولنفسك ما شئت فقال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسى
ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم واموالكم قالوا فاذا فعلنا ذلك ما لنا قال الجنة قال
ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل فنزلت ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بِأَنَّ
لَهُمُ الْجَنَّةَ وهي تمثيل لاثابة الله اياهم الجنة على بذل انفسهم واموالهم في سبيله يُقَاتِلُونَ
فِي سَبِيلِ اللّٰهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا مصدر موكد لما دل عليه الشرى وانه
في معنى الوعد فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ فاهل الملل امروا بالجهاد على ثواب الجنة
قال ابن عطاء نفسك موضع كل شهوة وفتنة ومالك محل كل اثم ومعصية فاراد ان يزيل
ملكك عما يضرك ويعوضك عليه ما ينفعك عاجلا وآجلا قال سهل لا انفس للمؤمن لانها
دخلت في البيع من الله فمن لم يبع من الله حياته الفانية كيف يعيش مع الله ويحيى حيوة
طيبة قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّٰهِ فَاسْتَبْشِرُوا
بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ اى فليبشر من قام بمقتضى هذا العقد
ووفى بهذا العهد بالفوز العظيم والنعيم المقيم قال الحسن اسمعوا الى بيعة ربيحة بايع
الله بها كل مومن وعنه انه قال ان الله اعطاك الدنيا فاشتر الجنة ببعضها ثم وصف اهل
ذلك البيع والشرى باوصاف المقامات ومقتضيا بعد ان جمع جميع الاوصاف في الاسم
العام الذي هو المومن وذلك الاسم اسم جامع لمعان كثيرة وهي ما وصفهم بها في قوله التَّائِبُونَ
قال الزجاج التائبون رفع للابتداء وخبره مضمر المعنى التائبون الى آخر الآية لهم الجنة
ايضا اى من لم يجاهد غير معاند ولا قاصد لترك الجهاد فله الجنة وكانه وعد الجنة لجميع
المومنين كما قال تعالى وكلا وعد الله الحسنى وقيل واليه يشير كلام الكاشف رفع على
المدح اى هم التائبون والمراد بهم المومنون المذكورون اى التائبون من الشرك والنفاق
الْعَابِدُونَ المطيعون الذين اخلصوا العبادة لله عز وجل الْحَامِدُونَ الذين يحمدون الله
في السراء والضراء عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اول من يدعى
الى الجنة يوم القيمة الذين يحمدون الله في السراء والضراء السَّائِحُونَ قال ابن مسعود الصائمون

قال سفين بن عيينة انما سمي الصائم سائحا لتركه اللذات كلها من المطعم والمشرب والنكاح
وقيل لانه رياضة نفسانية يتوصل بها الى الاطلاع على خفايا الملك والملكوت وقال عطاء
السائحون الغزاة في سبيل الله وروى عن عثمان ابن مظعون انه قال يا رسول الله ايذن لي
في السياحة فقال ان سياحة امتى الجهاد في سبيل الله قال عكرمة السائحون هم طلبة العلم
الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ يعنى المصلين الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ اي بالايمان والطاعة وَالنَّاهُونَ
عَنِ الْمُنْكَرِ عن الشرك والمعاصى وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّٰهِ القائمون باوامر الله قال الحسن
اهل الوفاء ببيعة الله قال ابن عطاء التائبون الراجعون الى الله من كل ما سواه من
الاغيار والعابدون الواقفون على بابه يطلبون الاذن عليه شوقا منهم اليه والحامدون
هم الذين يشكرونه على السراء والضراء اذ كل منه وما كان منه فهو مقبول بالسمع والطاعة
والسائحون التاركون شهواتهم ومرادهم لمراد الحق فيهم والراكعون الخاضعون لعظمة الله
والساجدون المتقربون الى الله بخدمته والآمرون بالمعروف القائمون باوامر الله بحسب
الطاقة الناهون عن المنكر التاركون لمخالفة الحق اجمع وهم الذين يوالون اولياء الله و
يعادون اعداءه قال لا اصح شئ مما تقدم الا بحفظ الحدود ظاهرا وباطنا وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
يعنى هؤلاء الموصوفين بتلك الفضائل وضع المؤمنين موضع ضميرهم للتنبيه على ان ايمانهم
دعاهم الى ذلك وان المؤمن الكامل من كان كذلك وحذف المبشر به للتعظيم كانه قيل
وبشرهم بما يجل عن احاطة الافهام وتعبير الكلام ثم لما بين من اول السورة الى هنا وجوب
البراءة عن الكفار والمنافقين بين هنا وجوب البراءة عن امواتهم وان كانوا اقرباء فقال
مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا معه أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ اختلفوا في سبب نزول هذه الآية
فعن سعيد ابن المسيب عن ابيه انه قال لما حضرت الوفاة ابا طالب جاءه رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله ابن ابى امية ابن المغيرة قال اى عم قل لا اله الا الله كلمة
احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله ابن امية اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليه ويعيد عليه تلك المقالة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم
على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله
لاستغفرن لك ما لم انه عنك فانزل الله عز وجل ما كان للنبى الآية وانزل الله تعالى في
ابى طالب انك لا تهدى من احببت ولكن الله يهدي من يشاء وقال ابو هريرة وبريدة لما
قدم النبى صلى الله عليه وسلم مكة اتى قبر امه آمنة فوقف عليه حتى حميت الشمس رجاء ان
يؤذن له يستغفر لها فنزلت ما كان للنبى والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين وَلَوْ كَانُوا

اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم بان ماتوا على الكفر وفيه دليل
على جواز الاستغفار لاحيائهم فانه طلب توفيقهم للايمان وبه دفع النقض باستغفار ابرهيم
لابيه الكافر وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه وعدها ابرهيم
اياه بقوله لاستغفرن لك اى لاطلبن لك مغفرتك بالتوفيق للايمان فانه يجب ما قبله
فلما تبين له انه عدو لله بان مات على الكفر او اوحي اليه بانه لن يؤمن تبرا منه
قطع استغفاره ان ابرهيم لاواه يكثر التاوه وهو كناية عن فرط ترحمه ورقة قلبه
حليم صبور على الاذى قال ابو عبيدة الاواه هو المتاوه فرقا وشفقا المتضرع يقينا ولزوما
للطاعة وقال الزجاج انتظم قول ابي عبيدة جميع ما قيل في الاواه واصله من التاوه وهو
ان يسمع للصدر صوت من تنفس الصعداء والفعل منه اوه وتاوه في الحديث الاواه
الخاشع المتضرع وقال عبد الله ابن مسعود الاواه الدعاء وقال الحسن وقتادة الاواه الرحيم
بعباد الله وقال مجاهد الاواه الموقن وقال كعب الاحبار الذي يكثر ان يقول آه من النار
قبل ان لا ينفع آه وقيل هو الذى يتاوه من الذنوب وقال عقبة ابن عامر الاواه الكثير الذكر
لله عز وجل وعن سعيد ابن جبير انه قال الاواه المسبح وروى عنه الاواه المعلم للخير
وقال النخعي هو الفقيه وقال عطاء هو الراجع عن كل ما يكره الله وقال ايضا هو الخائف
من النار وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم معناها ما كان الله ليحكم عليهم بالضلال
بترك الاوامر وباستغفاركم للمشركين حتى يبين لهم ما يتقون يريد حتى يتقدم اليكم
بالنهي فاذا بين لكم ولم تاخذوا به فعند ذلك تستحقون الضلال قال الضحاك ما كان الله
ليعذب قوما حتى يبين لهم ما ياتون وما يذرون ان الله بكل شيء عليم فيعلم امرهم
في الحالين ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله
من ولي ولا نصير لما منعهم عن الاستغفار للمشركين وان كانوا اولي قربى وتضمن
ذلك وجوب التبرء عنهم راسا بين لهم ان الله مالك كل موجود ومتولي امره و
الغالب عليه ولا يتاتى لهم ولاية ولا نصرة الا منه ليتوجهوا اليه ويتبرؤا عما عداه
حتى لا يبقى لهم مقصود فيما ياتون ويذرون سواه ثم انه تعالى لما استقصى في شرح
احوال غزوة تبوك وبين احوال المتخلفين عنها عاد في هذه الآية الى ما بقي من احكامها
ومن بقية تلك الاحكام انه صدر عن الرسول زلة جارية مجرى ترك الاولى
وهو قوله تعالى عفى الله عنك لم اذنت لهم وصدر ايضا عن المؤمنين الذين كانوا معه
في غزوة تبوك نوع زلة لانه اشتد الزمان في غزوة تبوك عليهم فيما وقع في قلوبهم نفرة

فذكر انه

فذكر انه تفضل عليهم وتاب عليهم فقال لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار
تاب الله اى تجاوز الله وصفح وتوسعه على النبي صلى الله عليه وسلم باذنه للمنافقين في التخلف
عنه وقيل افتتح الكلام به لانه كان سبب توبتهم فذكره معهم كقوله تعالى فان لله خمسه
وللرسول ونحوه والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة اي في وقت العسرة
لم يرد ساعة بعينها وكانت غزوة تبوك تسمى غزوة العسرة والجيش يسمى جيش العسرة والعسرة
الشدة وكانت عليهم عسرة في الظهر والزاد والماء قال الحسن كان العشرة منهم يخرجون
على بعير واحد يعتقبون يركب الرجل ساعة ثم ينزل فيركب صاحبه كذلك وكان زادهم
التمر المسوس والشعير المتغير وكان النفر يخرجون ما معهم الا التمرات بينهم فاذا بلغ الجوع
من احدهم اخذ التمرة فلاكها حتى يجد طعمها ثم يعطيها صاحبه فيمصها ثم يشرب عليها جرعة
من ماء كذلك حتى تاتي على آخرهم ولا يبقى من التمرة الا النواة فمضوا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على صدقهم ويقينهم وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه خرجنا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك في قيظ شديد فنزلنا منزلا اصابنا فيه عطش حتى ظننا
ان رقابنا ستنقطع وحتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده
فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه يا رسول الله ان الله قد عودك في الدعاء خيرا فادع
الله قال اتحب ذلك قال نعم فرفع يديه فلم يرجعهما حتى مالت فاظلت ثم سكبت فملاوا ما معهم
ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم اى يميل
قلوب فريق منهم ولم يرد الميل عن الدين بل اراد الميل للتخلف والانصراف للشدة التي
عليهم قال الكلبي هم ناس بالتخلف ثم لحقوه ثم تاب عليهم تكرير للتاكيد وتنبيه على انه
تاب عليهم من اجل ما كابدوا من العسرة انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلثة الذين
خلفوا وتاب على الثلثة كعب ابن مالك وهلال ابن امية ومرارة ابن الربيع كلهم من
الانصار الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وقيل خلفوا اى ارجى امرهم عن توبة ابي لبابة
واصحابه عن كعب ابن مالك انه قال لم اتخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة
غزاها الا في غزوة تبوك غير اني كنت قد تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب احد تخلف عنها
انما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم
على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة حين تواثقنا
على الاسلام وما احب ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر اذكر في الناس منها كان من
خبري اني لم اكن قط اقوى ولا ايسر حين تخلفت عنه في تلك الغزوة والله ما اجتمعت

السماء

عندي راحلتان قبله قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم
يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزاة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم
في حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفازا وعدوا كثيرا فجلى للناس امرهم ليتاهبوا
اهبة غزوهم فاخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ يريد الديوان قال كعب فما رجل يريد ان يتغيب الا ظن انه
سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي من الله وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة
حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه فطفقت
اغدو لكي اتجهز معهم فارجع ولم اقض شيئا فاقول في نفسي انا قادر عليه فلم يزل
يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه
ولم اقض من جهازي شيئا فقلت اتجهز بعده بيوم او يومين ثم الحقهم فغدوت بعد
ان فصلوا لاتجهز فرجعت ولم اقض شيئا فلم يزل بي حتى اسرعوا وتفارط الغزو
فهممت ان ارتحل فادركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك وكنت اذا خرجت في
الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم فطفت فيهم احزنني اني لا ارى
الا رجلا مغموصا عليه في النفاق او رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس في القوم بتبوك ما فعل كعب فقال
رجل من بني سلمة يا رسول الله حبسه برداه والنظر في عطفيه فقال معاذ ابن جبل
بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمت عليه الا خيرا فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال كعب ابن مالك فلما بلغني انه توجه قافلا حضرني همي وطفقت اذكر الكذب واقول
بماذا اخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذي راي من اهلي فلما قيل ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اظل قادما زاح عني الباطل وعرفت اني لن اخرج
منه ابدا بشيء فيه كذب فاجمعت صدقه واصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما
وكان اذا قدم من سفر بدا بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك
جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا تسعة وثمانين رجلا
فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم
الى الله فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال تعال فجئت امشي حتى جلست
بين يديه فقال لي ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك فقلت بلى اني والله لو جلست
عند غيرك من اهل الدنيا لرايت ان ساخرج من سخطه بعذر ولقد اعطيت جدلا

ولكني

ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله ان
يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه اني لارجو فيه عفو الله لا والله
ما كان لي من عذر والله ما كنت قط اقوى ولا ايسر مني حين تخلفت عنك فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما هذا فقد صدق فقم حتى يقضي الله فيك فقمت وثار رجال من بني سلمة
فاتبعوني وقالوا لي والله ما علمناك كنت اذنبت ذنبا قبل هذا ولقد عجزت ان لا تكون اعتذرت
بما اعتذر اليه المخلفون وقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى اردت ان ارجع فاكذب نفسي ثم قلت لهم هل لقي هذا معي
احد قالوا نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك فقلت من هما قالوا مرارة ابن
الربيع العمري وهلال ابن امية الواقفي فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا فيهما اسوة
فمضيت حين ذكروهما لي ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ايها الثلثة
من بين من تخلف عنه فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت في نفسي الارض فما هي
التي اعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلة فاما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان فاما
انا فكنت اشب القوم واجلدهم فكنت اخرج فاشهد الصلوة مع المسلمين واطوف في
الاسواق ولا يكلمني احد واتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسلم عليه وهو في مجلسه بعد
الصلوة واقول في نفسي هل حرك شفتيه برد السلام علي ام لا ثم اصلي قريبا فاسارقه النظر
فاذا اقبلت على صلاتي اقبل علي واذا التفت نحوه اعرض عني حتى اذا طال علي ذلك
من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط ابي قتادة وهو ابن عمي واحب
الناس الي فسلمت عليه فوالله ما رد علي السلام فقلت يا ابا قتادة انشدك بالله هل تعلمني
احب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فنشدته فقال الله ورسوله
اعلم ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار قال فبينا انا امشي بسوق المدينة اذا
نبطي من انباط الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب ابن
مالك فطفق الناس يشيرون له حتى اذا جاءني دفع الي كتابا من ملك غسان واذا
فيه اما بعد فانه قد بلغني ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا
مضيعة فالحق بنا نواسك فقلت لما قراتها وهذا ايضا من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته
بها حتى اذا مضت اربعون ليلة من الخمسين اذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ياتيني فقال ان رسول الله يامرك ان تعتزل امراتك فقلت اطلقها ام ماذا افعل قال
لا بل اعتزلها ولا تقربها وارسل الى صاحبي مثل ذلك فقلت لامراتي الحقي باهلك

فكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الامر قال كعب فجاءت امراة هلال ابن اميه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله هلال بن اميه شيخ ضعيف ضائع
ليس له خادم فهل يكره ان اخدمه قال لا ولكن لا يقربك قالت انه والله ما به حركة
الى شيء والله لا زال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا فقال بعض اهلي لو
استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في امراتك كما اذن لامراة هلال ابن اميه ان
تخدمه فقلت والله لا استاذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استاذنته فيها
وانا رجل شاب فلبثت بعد ذلك عشر ليال حتى كملت لنا خمسون ليله من حين نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليله وانا على ظهر بيت
من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال التي ذكر الله عز وجل قد ضاقت علي نفسي وضاقت علي
الارض بما رحبت سمعت صوت صارخ اوفى على جبل سلع باعلى صوته يا كعب ابن مالك
ابشر قال فخررت ساجدا وعرفت ان جاء فرج واذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
بتوبة الله علينا حين صلى صلوة فذهب الناس يبشرونا وذهب قبل صاحبي مبشرون
وركض رجل الي فرسا وسعى ساع من اسلم فاوفى الى الجبل وكان الصوت اسرع
من الفرس فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته اياهما
ببشراه والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة يقولون ليهنك
توبة الله عليك قال كعب حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
حوله الناس فقام الي طلحه بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وهناني والله ما قام
الي رجل غيره ولا انساها لطلحة قال كعب فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبرق وجهه من السرور ابشر بخير يوم مر
عليك منذ ولدتك امك قال قلت امن عندك يا رسول الله ام من عند الله قال لا
بل من عند الله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر استنار وجهه حتى كانه
قطعة قمر وكان يعرف ذلك منه فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتي
ان انخلع من مالي صدقة الى الله تعالى والى رسوله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امسك عليك بعض مالك فهو خير لك قلت امسك سهمي الذي بخيبر فقلت يا رسول
الله انما نجاني الصدق وان من توبتي ان لا احدث الا صدقا ما بقيت فوالله ما اعلم
من المسلمين احدا ابلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وما ندرى ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم صح

احسن مما ابلاني ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى يومي هذا
كذبا واني لارجو ان يحفظني الله فيما بقيت وانزل الله على رسوله لقد تاب الله على النبي
والمهاجرين والانصار الى قوله وكونوا مع الصادقين حتى اذا ضاقت عليهم الارض
بما رحبت اي برحبها وسعتها لاعراض الناس عنهم بالكليه وهو مثل لشدة الحيرة وضاقت
عليهم انفسهم قلوبهم من فرط الوحشة والغم بحيث لا يسعها انس وسرور وظنوا ان لا
ملجا من الله من سخطه الا اليه الا الى استغفاره ثم تاب عليهم ان قبل توبتهم ليتوبوا
او رجع عليهم بالقبول والرحمة مرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم قال ابو عثمان من رجع الى
الله وسبيله فليكن صفته هذه الايه تضيق عليه الارض حتى لا يجد فيها القدم موضع قرار
الا وهو خايف ان الله ينتقم منه فيها وتضيق عليه احواله نفسه ويظن الهلاك مع كل نفس هذه
ادلة دلايل التوبة النصوح ولا يكون له ملجا ولا معاد ولا رجوع الا الى الله بانقطاع
قلبه عن كل سبب قال الله تعالى وعلى الثلثه الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض
بما رحبت وقيل في قوله وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه لا يعتمد حبيبا ولا خليلا ولا
كليما وانت تجد الى ملاحظة الحق سبيلا وقال احمد بن خضرويه لابي يزيد بماذا اصل
الى التوبة النصوح قال بالله وتوفيقه ثم تاب عليهم ليتوبوا قال الاستاد اذا اسرفوا على العطب
وقاربوا من التلف واستمكن الناس مطر عليهم سحاب الجود بالاجابة ليعود عود الحيوة بعد
يبسه طريا ويرد ورد الانس عقب ذبوله غضا ان الله هو التواب الرحيم لمن تاب
ولو عاد في اليوم ماية مرة ثم لما حكم بقبول توبة هؤلاء الثلثه ذكر ما يكون كالزاجر عن مثل
ما مضى وهو التخلف فقال يا ايها الذين امنوا اتقوا الله فيما لا يرضاه وكونوا مع الصادقين
قال ابن عباس مع الذين صدقت نياتهم فاستقامت قلوبهم واعمالهم وخرجوا مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى تبوك باخلاص ونيه وقال نافع مع محمد واصحابه وقيل مع الذين
صدقوا في الاعتراف بالذنب ولم يعتذروا بالاعذار الكاذبه وقال ابن مسعود ان الكذب
لا يصلح في جد ولا هزل ولا يعد احدكم صبيه شيئا ثم لا يعجل اقروا ان شئتم وقرا هذه الايه
ملابعضهم مع الصادقين مع الموقنين على منهاج الحق وقال بعضهم الصادقين الذين لم يتخلفوا
عن الميثاق الاول فانها اصدق كلمة ثم لما امر بقوله تعالى وكونوا مع الصادقين لوجوب موافقة
الرسول عليه الصلوة والسلام في الغزوات وغيرها نهى عن التخلف عنه فقال ما كان لاهل
المدينة ومن حولهم من الاعراب سكان البوادي مزينه وجهينه واشجع واسلم وغفار
ان يتخلفوا عن رسول الله نهي عن التخلف بصيغة النفي للتاكيد ولا يرغبوا بانفسهم

وعلموا ثم

دقين

عن نفسه في مصاحبته ومعاونته والجهاد معه ذلك بانهم اي ذلك النهي عن التخلف
او وجوب المتابعه بسبب انهم لا يصيبهم ظما عطش ولا نصب ولا تعب ولا مخمصة
مجاعه في سبيل الله ولا يطئون موطئا لا يدوسون مكانا يغيظ الكفار وطئهم اياها
ولا ينالون من عدو نيلا اي لا يصيبون من عدوهم قتلا او اسرا او غنيمه او هزيمة
الا كتب لهم به عمل صالح وذلك مما يوجب المتابعه ان الله لا يضيع اجر المحسنين
على احسانهم هو تعليل لكتب وتنبيه على ان الجهاد احسان اما في حق الكفار فلانه سعى
في تكميلهم باقصى ما يمكن كضرب المداوي للمجنون واما في حق المومنين فلانه صيانة
لهم عن سطوة الكفار واستيلائهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغبرت قدماه
في سبيل الله حرمه الله على النار ولا ينفقون في سبيل الله نفقة صغيرة ولو علاقة سوط
ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة ولا يقطعون واديا في مسيرهم
وهو كل منفرج ينفذ فيه السيل الا كتب لهم اثبت لهم ذلك ليجزيهم الله احسن ما كانوا
يعملون احسن جزاء اعمالهم قال قتاده ما ازداد قوم من اهليهم في سبيل الله تعالى بعدا
الا ازداد من الله قربا عن خريم بن فاتك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق
نفقة في سبيل الله كتبه الله تعالى بسبعمايه ضعف وعن زيد بن خالد ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في سبيل الله فقد غزا
ثم ذكر بقيه من احكام الجهاد فقال وما كان المؤمنون لينفروا كافة قال ابن عباس في
رواية الكلبي لما انزل الله عز وجل عيوب المنافقين في غزوة تبوك كان النبي صلى الله عليه
وسلم يبعث السرايا وكان المسلمون ينفرون جميعا الى الغزو ويتركون النبي صلى الله
عليه وسلم وحده فانزل الله عز وجل هذه الايه وهذا نفي بمعنى النهي فلولا نفر من كل
فرقة منهم طائفة اي فهلا خرج الى الغزو من كل قبيله جماعة ويبقى مع النبي صلى الله عليه
وسلم جماعة ليتفقهوا في الدين يعني الفرقة القاعدين يتعلمون القران والسنن والفرائض
والاحكام فاذا رجعت السرايا اخبروهم بما انزل عليه صلى الله عليه وسلم بعدهم فيمكث
السرايا يتعلمون بعدهم فيمكث السرايا يتعلمون ما انزل بعدهم ويبعث سرايا اخر فذلك قوله تعالى
ولينذروا قومهم وليعلموهم القران ويخوفونهم به اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
عما ينذرون منه وقال الحسن هذا التفقه والانذار راجع الى الفرقة النافرة ومعناه
هلا نفر فرقة ليتفقهوا اي ليتبصروا بما يريهم الله من الظهور على المشركين ونصرة الدين
ولينذروا قومهم من الكفار اذا رجعوا اليهم من الجهاد فيخبروهم بنصر الله رسوله صلى الله

عليه وسلم والمومنين لعلهم يحذرون قال النبي صلى الله عليه وسلم فينزل بهم ما نزل باصحابهم
من الكفار عن ابن عباس رضي الله عنهما من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وعنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد وعن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجدون الناس معادن خيارهم في
الجاهليه خيارهم في الاسلام اذا فقهوا وعن ابي امامه رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم قال الشافعي العلم افضل
من صلوة النافله وفي الايه دليل على ان تعلم احكام الدين حتى يبلغ الشخص درجة
الفتيا فرض كفاية فاذا قعد اهل بلد عن فعله عصوا جميعا واذا قام من كل بلد من يحصل
به الكفاية سقط الفرض عن الاخرين وعليهم تقليده فيما وقع لهم من الحوادث قال
سهل في قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ليفهموا عن الله مراده من خطابه ويقوموا باستعمال
ما امروا به مخلصين له الدين يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم اي يقربون منكم
من الكفار امروا بقتال الاقرب فالاقرب اليهم في الدار والنسب قال ابن عباس مثل بني قريظه
والنضير وخيبر ونحوها وقيل اراد بهم الروم لانهم كانوا سكان الشام وكان الشام اقرب
الى المدينه من العراق قال الكاشف الكفار النفوس الابيه التي هي مجمع الهوى والبلاء في
الحجاب من عرفها قاتلها واماتها بفنون الرياضات حتى لا يبقى في عرصات قلبه من عروق
اشجار الهوى اثر فينبت فيها بعد ذلك اشجار المعارف والكواشف ونور الحكمة ورياحين
المحبة وورد الشوق وياسمين العشق ويكون بهذه الانوار مراد جنود الاسرار ومنازل
نور الانوار قال سهل النفس كافر فاقتلها بمخالفة هواها واحملها على طاعة الله والمجاهدة
في سبيله واكل الحلال وقول الصدق وما قد امرت به من مخالفة الطبيعه وعن علي بن
موسى الرضا عن ابيه عن جعفر رضي الله عنهم معناه مجاهدة النفس وشرورها الانها اقرب
شيء اليك قال الكاشف صدق الصادق حيث وافق قوله قول سيد الصديقين صلوات
الله وسلامه عليه اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وليجدوا فيكم غلظة شدة
وحمية قال الحسن صبرا على جهادهم واعلموا ان الله مع المتقين بالعون والنصرة ثم لما
ذكر قبائح اعمال المنافقين ذكر قبائح اقوالهم فقال واذا ما انزلت سورة فمنهم فمن المنافقين
من يقول انكارا واستهزاء ايكم زادته هذه السورة ايمانا فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا بزيادة العلم الحاصل من تدبر السورة وانضمام الايمان بها وبما فيها الى ايمانهم وهم
يستبشرون بنزولها لانه سبب لزيادة كمالهم وارتفاع درجاتهم قال الكاشف وصف الله تعالى

بهم

اهل الايمان نعم آذان قلوبهم لسماع خطابه وفهم بيانه واستبشار قلوبهم بروح الخطاب
وزاده ايمانهم في السماع قال ابن عطاء اما الذين صدقوا حكم الربوبيه وتمسكوا بعهد العبودة
زادتهم معرفة في قلوبهم ونظرا اسقط عنهم النظر الى ما سواه وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ
كفر فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ كفرا مضموما الى الكفر بغيرها وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ
واستحكم ذلك فيهم حتى ماتوا عليه قال الكاشف زادتهم جهلهم الى جهلهم عند معاينة
البرهان لانهم ليسوا من اهل العيان أَوَلَا يَرَوْنَ يعني المنافقين وقرئ بالتاء أَنَّهُمْ
يُفْتَنُونَ يبتلون باصناف البليات او بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيعاينون ما ظهر عليه من الآيات فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ من نفاقهم
وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ولا يعتبرون قال الكاشف اخبر الله سبحانه وتعالى عن اهل
الفتنه والغرة انهم لا يعرفون طريق الحق بعد امتحانهم بالبلايا المتواترة ولا يهتدون
سبل الرشاد بعد اظهار البرهان لهم وكيف لا يكون هكذا وهم في الازل محجوبون
عن العناية السرمدية وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فيها عيب للمنافقين وتوبيخهم نَظَرَ
بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يريد الهرب يقول بعضهم لبعض اشارة هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ اي احد
من المؤمنين ان قمتم فان لم يرهم احد خرجوا من المسجد وان علموا ان احدا يراهم اقاموا
وثبتوا ثُمَّ انْصَرَفُوا عن الحق والايمان به وقيل انصرفوا عن مواضعهم التي يسمعون
فيها صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ عن الايمان قال الزجاج اضلهم الله مجازاة على فعلهم ذلك
بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ لسوء فهمهم قال ابن عباس لا تقولوا اذا صليتم انصرفنا عن الصلوة
فان قوما انصرفوا فصرف الله قلوبهم ولكن قولوا قضينا الصلوة ثم لما امر الرسول بان
يبلغ هذه السورة الى الخلق وهي مشتملة على تكاليف صعبة ختمها بما يوجب سهولة
تحمل تلك التكاليف فقال لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ يعرفون نسبه وحسبه قال
ابن عباس ليس من العرب قبيلة الا وقد ولدت النبي صلى الله عليه وسلم وله فيهم
نسب وقرئ ابن عباس والزهري وابن محيصن من أَنْفَسِكُمْ بفتح الفاء اي من اشرفكم
وافضلكم عَزِيزٌ عَلَيْهِ شديد شاق عليه مَا عَنِتُّمْ عنتكم ولقاؤكم المكروه في الصحيحين
ان هذا الدين يسر وشريعته كلها سهلة سمحة كاملة يسيرة على من يسرها الله تعالى عليه
قال ابن عباس ما ضللتم اي ضلالتكم حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ اي حريص على ايمانكم وصلاحكم
قال قتادة حريص على ضالكم ان يهديه الله تعالى بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ قدم الابلغ
منهما وهو الرؤف لان الرافة شدة الرحمة محافظة على الفواصل عن ابي ذر ما بقي

شئ يقرب من الجنة ويباعد من النار الا وقد بين لكم رواه الطبراني وعن ابن مسعود
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لم يحرم حرمة الا وقد علم انه
سيطلعها منكم مطلع الا واني اخذ بحجزكم ان تهافتوا في النار كتهافت الفراش والذباب
قال جعفر الصادق علم الله عجز خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون
الصفو من خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا من جنسهم في الصورة فقال لقد جاءكم رسول
من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فالبسه من نعته
الرافة والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته وموافقته موافقته
فقال تعالى وتقدس من يطع الرسول فقد اطاع الله ثم افرده لنفسه عليه الصلوة والسلام
خاصة بعد ان كان من جنسهم بالصورة وآواه الى نفسه لشهوده عليه في جميع انفاسه
وسلى قلبه باعراضهم عن متابعته فقال فَإِنْ تَوَلَّوْا اعرضوا عن الايمان بك فَقُلْ حَسْبِيَ
اللَّهُ فانه يكفيك ويعينك عليهم قال الكاشف جمال حسبي عن الجملة وقربه ووصاله
يكفيني عن مراتب الثقلين برهني عن صحبة الاغيار مشاهدة الانوار لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
كالدليل عليه عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ فلا ارجو ولا اخاف الا منه وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ
الملك العظيم او الجسم الاعظم المحيط الذي ينزل منه الاحكام والمقادير والمراد تعظيم
جلال الله تعالى فانه كلما كانت الآثار اعظم كانت عظمة الخالق في القلب اعظم قال
الامام ومن الناس من قراه بالرفع ليكون العظيم صفة الرب فقال جعل العظيم صفة للرب
اولى من جعله صفة للعرش وكان المراد وجوب الوجود والتقدس عن الحجمية و
كمال العلم والقدرة والتنزه عن ان يصل اليه الافهام روى عن ابي ابن كعب وغيره
انه قال اخر ما نزل من القران هاتان الآيتان لقد جاءكم رسول من انفسكم الى اخر السورة
وقال هما احدث الايات بالله تعالى عهدا عن ابي الدرداء رضي الله عنه انه قال من قال
اذا اصبح واذا امسى حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع
مرات كفاه الله ما اهمه سورة يونس عليه السلام مكية وهي مائة وتسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم الر قد سبق الكلام في
حروف التهجي تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ اشارة الى ما في السورة او القران من الآي والمراد
من الكتاب احدهما ووصفه بالحكيم لاشتماله على الحكم قال الحسن حكم فيه بالعدل والاحسان
وايتاء ذي القربى وبالنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي وحكم فيه بالجنة لمن اطاعه وبالنار
لمن عصاه قال العلامة النيسابوري اعلم انه سبحانه وتعالى ختم السورة المتقدمة بقوله لقد

جاءكم رسول من انفسكم صدر بهذه السورة بعد بعض الحروف على طريق التحدي
وذلك ان حروف القران من جنس الحروف التي يتلفظون بها فلولا انه معجز لعارضوه
وناصبوه وتمامه بهذا الطريق ان محمدا رسول حق من عند الله انكر على الكفار تعجبهم
من كونه رسولا فقال أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا العجب حالة تعتري الانسان من رؤية شيء
على خلاف العادة وسبب نزول الآية ان الله عز وجل لما بعث محمدا رسولا قال المشركون
الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقال الله تعالى اكان للناس عجبا اهل مكة والاستفهام م
للانكار عجبا لاهل مكة أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أَنْ أَنْذِرِ
النَّاسَ اي اعلمهم مع التخويف وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ
قال ابن عباس اجرا حسنا بما قدموا من اعمالهم وقيل المنزلة الرفيعة واضيف القدم
الى الصدق وهو نعته كقولهم مسجد الجامع قال ابو عبيدة كل سابق في خير او شر
فهو عند العرب قدم يقال لفلان قدم في الاسلام وله عندي قدم صدق وقدم
سوء قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ قرا ابن كثير واهل الكوفة لساحر يعنون
محمدا صلى الله عليه وسلم وقرا غيرهم لسحر يعني القران ثم لما انكر عليهم تعجبهم من الامور
المذكورة اراد ان يقيم البرهان عليها باثبات المبدأ ويبين غايتها باثبات المعاد فقال
إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ هي اصول الممكنات فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى
عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يقدر امر الكائنات على ما اقتضته حكمته وسبقت به كلمته
ويهيئ بتحريكه اسبابها مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ تقرير لعظمته وعز جلاله ورد
على من زعم ان آلهتهم يشفع لهم عند الله كان النضر بن الحارث يقول اذا كان يوم القيمة
يشفع لي اللات والعزى ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ اي الموصوف بتلك الصفات المقتضية
للالوهية والربوبية ربكم لا غير فانه لا يشاركه احد في شيء من ذلك فَاعْبُدُوهُ
وحدوه بالعبادة أَفَلَا تَذَكَّرُونَ تتفكرون ادنى تفكر فينبهكم على انه المستحق للربوبية
والعبادة لا ما تعبدونه إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا بالموت والنشور لا الى غيره فاستعدوا
للقائه وَعْدَ اللَّهِ مصدر مؤكد لان قوله اليه مرجعكم في معنى وعد من الله حَقًّا مصدر
آخر إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ بعد بدئه واهلاكه لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ بالعدل وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ ماء حار انتهى حره
وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ واعلم ان للعلماء في اثبات المعاد طريقين الاول طريقة
القائلين بالحسن والقبح العقليين والثاني طريقة من يقول لا يجب على الله تعالى

شيء اصلا بل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد اما الفريق الاول فلهم على وجوب المعاد حجج عقلية
كثيرة منها ان صريح العقل يوجب في حكمة الحكيم ان يفرق بين المحسن والمسيء والمظلوم
والظالم وان لا يجعل من كفر به وعصاه كمن عرفه واطاعه وليس هذه التفرقة في الدنيا
كما قيل شعر كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه ٭ وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا ٭ ومنها انه كلف عبيده
بان يعبدوه والحكيم اذا امر عبده بشيء فلا بد ان يجعله فارغ البال منتظم الاحوال حتى يمكنه
الاشتغال باداء تكليفه والناس جبلوا على طلب اللذات والتبادر الى تحصيل اسباب
الراحات فلو لم يكن زاجر من خوف المعاد لوقع الهرج والمرج والفتن وحينئذ لا يتفرغ
المكلف لاداء ما امر به فان قيل لم لا يكفي في نظام العالم مهابة الملوك وسياستهم قلنا ان لم يكن
السلطان قاهرا قادرا على الرعية فلا فائدة فيه وان كان قاهرا غالبا ولا خوف له من المعاد فحينئذ
يقدم على انواع الظلم والايذاء لان الداعية النفسانية قائمة ولا وازع له في الدنيا ولا في الآخرة
ومنها ان ايصال النعم اما ان يكون مشوبا بالآفات او خالصا عنها فلما انعم الله تعالى علينا في الدنيا
بالمرتبة الاولى وجب ان ينعم علينا بالمرتبة الثانية في دار اخرى اظهارا لكمال القدرة والرافة
والحكمة ومما يقوي هذا الكلام ان الانسان دائما في الترقي من كونه جنينا في بطن امه الى ان
يخلص من ذلك السجن ويخرج الى فضاء الدنيا والى ان ينتقل من تناول اللبن والثدي الوثيق
في المهد الى ان يتناول الاطعمة اللذيذة والى ان يصير اميرا نافذ الحكم على الخلق او عالما
مشرفا على حقائق الاشياء فوجب بحكم هذا الاستقراء ان يكون حاله بعد الموت اشرف وابهى
من اللذات العاجلة المشوبة بالآلام ومنها انه لو لم يحصل للانسان معاد لكان اخس
من جميع الحيوانات لانها تشاركه في اللذات الحسية لان الروث في مذاق الجعل كاللوز ع
في فم الانسان ويزيد عليها بعقل هو سبب تالمه وتاذيه في اغلب الاحوال لانه يتفكر في
الاحوال الماضية فيتاسف ويتامل في الاحوال الآتية فيخاف فلو لم يكن للانسان معاد به
يكمل حاله ويظهر سعادته كان عقله سببا لشقاوته وخسته دون شرفه ومزيته كان
استادنا ابن الشريف المحقق رحمه الله يقول هل لهذا خلق الابرار بل للحيوة الابدية في
جوار الملك الجبار واما الفريق الآخر فانهم يقولون انه امر ممكن وقد اخبر عنه من ثبت
صدقهم وهم الانبياء عليهم الصلوة والسلام ثم عدد بعض نعمه على المكلفين فقال هُوَ الَّذِي
جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً اي ذات ضياء وَالْقَمَرَ نُورًا ذا نور وسمي بهما للمبالغة قيل ما بالذات
ضياء وضوء وما بالعرض نور وقد نبه سبحانه وتعالى بذلك على انه خلق الشمس نيرة في ذاتها
والقمر نيرا بعرض مقابلة الشمس والاكتساب منها وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ اي قدر كلا منها

ذا منازل لا يجاوزها ولا يقصر دونها وقيل هو منصرف الى القمر خاصة لان بالقمر يعرف
انقضاء الشهور والسنين لا بالشمس ومنازل القمر ثمانية وعشرون واسماؤها مشهورة
هذه المنازل مقسومة على البروج الاثني عشر فكل برج له منزلان وثلث فينزل القمر
كل ليلة منزلا فيستتر ليلتين ان كان الشهر ثلاثين وان كان تسعا وعشرين فليلة واحدة
فيكون انقضاء الشهر مع نزوله تلك المنازل لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وحساب
الاوقات من الاشهر والايام في معاملاتكم وتصرفاتكم مَا خَلَقَ اللّٰهُ ذٰلِكَ اِلَّا بِالْحَقِّ
الا ملتبسا بالحق مراعيا فيه مقتضى الحكمة البالغة فالشمس سلطان النهار والقمر
خليفتها بالليل وبحركة الشمس تنفصل السنة الى فصولها الاربعة وبالفصول تنتظم
مصالح هذا العالم وتحصل معايش الخلائق وبحركة القمر تحصل الشهور وباختلاف
حاله في زيادة النور ونقصانه تختلف احوال الرطوبات الى غير ذلك من الخواص التي
يرشد اليها التامل والتدبر فلهذا قال يُفَصِّلُ الْاٰيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فانهم المنتفعون
بالتامل فيها ثم ذكر المنافع الحاصلة من اختلاف الليل والنهار فقال اِنَّ فِي اخْتِلَافِ
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللّٰهُ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْاَرْضِ من انواع الكائنات لَاٰيَاتٍ على
وجود الصانع ووحدته وكمال علمه وقدرته لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ العواقب فانه يحملهم على التفكر
والتدبر ثم شرح احوال من لا يؤمن بالمعاد ومن يؤمن به فقال اِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا
لانكارهم للبعث وذهولهم بالمحسوسات عما وراءها وَرَضُوا بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا من الآخرة
لغفلتهم عنها وَاطْمَاَنُّوا بِهَا وسكنوا اليها مقصرين هممهم على لذائذها وزخارفها وَالَّذِينَ
هُمْ عَنْ اٰيَاتِنَا غَافِلُونَ لا يتفكرون ولا يعتبرون قال ابن عباس عن آياتنا عن محمد و
القرآن غافلون معرضون اُولٰئِكَ مَاْوٰيهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ من الكفر والتكذيب
اِنَّ الَّذِينَ اٰمَنُوا اي استكملوا من جهة القوة النظرية وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ استكملوا من قبل
القوة العملية يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِاِيمَانِهِمْ فان من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم تَجْرِي مِنْ
تَحْتِهِمُ الْاَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ دَعْوٰيهُمْ فِيهَا اي دعاؤهم فيها سُبْحَانَكَ اللّٰهُمَّ وهي كلمة
تنزيه الله من كل سوء وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَاٰخِرُ دَعْوٰيهُمْ دعائهم اَنِ الْحَمْدُ
لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ اي ان يقولوا ذلك وعن ابنا ان اهل الجنة يلهمون الحمد والتسبيح كما
يلهمون النفس قال بعض اهل التفسير اذا ارادوا الطعام قالوا سبحانك اللهم فاتوهم في
الوقت بما يشتهون على الموائد كل مائدة ميل في ميل على كل مائدة سبعون الف صحفة في كل
صحفة لون من الطعام ولا يشبه بعضها بعضا فاذا فرغوا من الطعام حمدوا الله فذلك

ای من ایدیهم م

قوله

قوله وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين قال القاضي ولعل المعنى انهم اذا دخلوا الجنة
وعاينوا عظمة الله وكبريائه مجّدوه ونعتوه بنعوت الجلال ثم حيّاهم الملائكة بالسلامة عن
الآفات والفوز باصناف الكرامات او الله تعالى فحمدوه واثنوا عليه بصفات الاكرام ثم لما
ازال شبههم بالانكار وبالدلايل الدالة على صحة المبدء والمعاد شرع في جواب شبهة اخرى
لهم وهي انهم كانوا يقولون ابدا اللهم ان كان محمد حقا فامطر علينا حجارة فقال وَلَوْ يُعَجِّلُ اللّٰهُ
لِلنَّاسِ الشَّرَّ ولو يسرعه اليهم اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ تعجيله لهم بالخير وضع استعجالهم
بالخير موضعه اشعارا بسرعة اجابته لهم في الخير حتى كان استعجالهم به تعجيل لهم
لَقُضِيَ اِلَيْهِمْ اَجَلُهُمْ لماتوا وفرغ من هلاكهم قال ابن عباس هذا في قول الرجل عند الغضب
لاهله وولده لعنكم الله لا بارك الله فيكم قال قتادة هو دعاء الرجل على نفسه واهله وماله
بما يكره ان يستجاب وقيل انها نزلت في النضر بن الحارث حين قال اللهم ان كان هذا هو
الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء يدل عليه قوله عز وجل فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ
لِقَاءَنَا لا يخافون البعث والحساب فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وهذا عطف على فعل دلت عليه
الشرطية كانه قيل ولكن لا نعجل ولا نقضي فنذرهم امهالا لهم واستدراجا ثم بين انهم
كاذبون في استعجال الشر ولو اصابهم ما طلبوه اظهروا العجز والطيش فقال وَاِذَا مَسَّ
الْاِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لازالته مخلصا فيه لِجَنْبِهِ ملقيا لجنبه اي مضطجعا اَوْ قَاعِدًا اَوْ قَائِمًا
وفائدة الترديد تعميم الدعاء لجميع الاحوال فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَاَنْ لَمْ يَدْعُنَا اِلٰى ضُرٍّ مَسَّهُ
اي استمر على طريقته الاولى قبل ان يصيبه الضر ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء كان
لم يدعنا الى كشف ضره ولم يطلبه منا كَذٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ المجاوزين الحد في الكفر
والمعصية مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من الانهماك في الشهوات والاعراض عن العبادات قال ابن
جريج كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الدعاء عند البلاء وترك الشكر عند الرخاء
ثم ذكر ما يجري مجرى الردع والزجر لهم عن الغاء الشبه والاغاليط فقال وَلَقَدْ اَهْلَكْنَا
الْقُرُونَ مِنْ قَبْلِكُمْ يا اهل مكة لَمَّا ظَلَمُوا حين ظلموا بالتكذيب واستعمال القوى والجوارح
لا على ما ينبغي وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بالحجج الدالة على صدقهم وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذٰلِكَ
مثل ذلك الجزاء وهو اهلاكهم بسبب تكذيبهم للرسل واصرارهم عليه نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ
ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ اي خلفاء فِي الْاَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ اي من بعد القرون التي اهلكناهم
لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال الا ان هذه الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ثم حكى نوعا آخر

من شبههم ثم قال وَاِذَا تُتْلٰى عَلَيْهِمْ اٰيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْاٰنٍ
غَيْرِ هٰذَا يعني مشركي اهل مكة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ان كنت تريد ان نؤمن بك فات
بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وليس فيه عيبها وليس فيه ما يستبعد من
البعث والثواب والعقاب بعد الموت اَوْ بَدِّلْهُ فاجعل مكان الآية المشتملة على ذلك آية اخرى
قُلْ يا محمد مَا يَكُونُ لِي اَنْ اُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي اِنْ اَتَّبِعُ فيما امركم وانهاكم عنه اِلَّا مَا يُوحٰى اِلَيَّ
رد لما عرضوا له بهذا السوال من ان القرآن كلامه واختراعه ولذلك سماه عصيانا فقال اِنِّي اَخَافُ
اِنْ عَصَيْتُ رَبِّي بالتبديل عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ وفيه ايماء بانهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح
ثم اكد كون هذا القرآن من عند الله وانه غير مستند في ايراده اليه فقال قُلْ لَوْ شَاءَ اللّٰهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ
يعني لو شاء الله ما انزل القرآن علي وَلَا اَدْرٰيكُمْ بِهِ ولا اعلمكم به على لساني فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ
عُمُرًا احيانا وهو اربعين سنة مِنْ قَبْلِهِ من قبل نزول القرآن روي انه صلى الله عليه وسلم
لبث فيهم اربعين سنة ثم اوحي اليه فاقام بمكة بعد الوحي ثلاث عشرة سنة ثم هاجر فاقام بالمدينة
عشر سنين وتوفي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة وفي رواية انه اقام بمكة
بعد الوحي عشر سنين والاول اصح اَفَلَا تَعْقِلُونَ افلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر
فيه لتعلموا انه ليس الا من الله فانه مشتمل على قواعد علم الاصول والفروع وبيان جمع الآداب
والاخلاق الحسنة وبيان كيفية الاحتراز عن الاخلاق السيئة وبيان المعارف الالهية
وبيان طريق الوصول اليها ومشتمل ايضا على اقاصيص الاولين واقاصيص الآخرين
على ما هي عليه ثم انه في غاية الفصاحة والبلاغة واني قد عشت بينكم اربعين سنة ولم
امارس علما ولم اشاهد عالما ولم انشئ شعرا ولا خطبة وقد تعلمون صدقي واعترفتم به
اعترف به ابو سفين عند هرقل حتى قال انه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب
فيكذب على الله تعالى قال جعفر بن ابي طالب بمحضر جمع من كفار قريش للنجاشي ملك الحبشة
بعث الله فينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وامانته فَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرٰى عَلَى اللّٰهِ كَذِبًا
تفاد مما اضافوا اليه كناية وتظليم للمشركين بتكذيبهم بآيات الله اَوْ كَذَّبَ بِاٰيَاتِهِ فكفر بها
اِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ثم فضح الله اصنامهم معارضة لهم بنقيض مقصودهم من الالتماس فقال
وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّٰهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ لانه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر
والمعبود لا بد ان يكون كذلك وَيَقُولُونَ هٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللّٰهِ تشفع لنا فيما يهمنا
من امور الدنيا او في الآخرة ان يكن بعث وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة الموحد
الضار النافع الى عبادة ما يعلم قطعا انه لا يضر ولا ينفع زاعمين انه ربما يشفع لهم عنده

من قبل نفسي م

قل

قُلْ اَتُنَبِّئُونَ اللّٰهَ اتخبرونه بِمَا لَا يَعْلَمُ وهو ان له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم اي هؤلاء شفعاء
عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات لا يكون له تحقق مَا فِي السَّمٰوَاتِ وَلَا فِي الْاَرْضِ
اي مما لا يعلمه في السموات والارض سُبْحَانَهُ وَتَعَالٰى عَمَّا يُشْرِكُونَ عن اشراكهم او عن
الشركاء الذين يشركونهم به ثم بين ان عبادة الاصنام بدعة وان الناس يعني العرب او البشر
كلهم كانوا على الدين الحق فاختلفوا فقال وَمَا كَانَ النَّاسُ اِلَّا اُمَّةً وَاحِدَةً موحدين على
الفطرة او متفقين على الحق وهو الاسلام قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون
كلهم على الاسلام ثم وقع الاختلاف بين الناس وعبدة الاصنام والانداد والاوثان فبعث
الله الرسل بآياته وبيناته فَاخْتَلَفُوا باتباع الهوى والاباطيل وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ
بتاخير الحكم بينهم او العذاب الفاصل بينهم الى يوم القيمة فانه يوم الفصل والجزاء لَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ عاجلا فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ باهلاك المبطل وابقاء المحق ثم ذكر نوعا آخر من قبائحهم
فقال وَيَقُولُونَ يعني اهل مكة لَوْلَا اُنْزِلَ عَلَيْهِ اي على محمد اٰيَةٌ مِنْ رَبِّهِ اي من الآيات التي
اقترحوه فَقُلْ اِنَّمَا الْغَيْبُ لِلّٰهِ هو المختص بعلمه فلعله يعلم في انزال الآيات المقترحة من مفاسد
يصرف عن انزالها فَانْتَظِرُوا لنزول ما اقترحتموه وقيل فانتظروا قضاء الله بيننا باظهار المحق
من المبطل اِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ لما يفعل الله بكم بجحودكم ما نزل علي من الآيات العظام
واقتراحكم غيره ثم لما بين في الآية المتقدمة انهم يطلبون الآيات الزائدة عنادا ومكرا
ولجاجا اكد ذلك فقال وَاِذَا اَذَقْنَا النَّاسَ يعني الكفار رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ اي
راحة ورخاء من بعد شدة وبلاء وقيل القطر بعد القحط اِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي اٰيَاتِنَا قال مجاهد
تكذيب واستهزاء قال مقاتل بن حيان لا يقولون هذا من رزق الله انما يقولون سقينا
بنوء كذا في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم الصبح في اثر سماء اي مطر اصابتهم
من الليل ثم قال هل تدرون ماذا قال ربكم الليلة قلنا الله ورسوله اعلم قال صلى الله عليه وسلم
قد اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن
بي كافر بالكواكب واما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذاك كافر بي مومن بالكواكب قُلِ اللّٰهُ
اَسْرَعُ مَكْرًا اعجل عقوبة واشد اخذا واقدر على الجزاء قدّر عقابكم قبل ان تدبروا كيدكم
اِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ تحقيق للانتقام تنبيه على ان ما دبّروا في اخفائه لم يخف
على الحفظة فضلا ان يخفى على الله ثم ضرب لاجل ما وصفهم به مثلا لاجلى ينكشف المقصود تمام
الانكشاف فقال هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ يمكنهم من السير فِي الْبَرِّ على ظهور الدواب وَالْبَحْرِ على
الفلك حَتّٰى اِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ اي السفن يكون واحدا وجمعا وَجَرَيْنَ بِهِمْ يعني جرت

المسفن بمن فيها من الناس عدل عن الخطاب الى الغيبه للمبالغه كانه يذكر لغيرهم ليتعجب
حالهم ويستدعي منه الانكار والتقبيح قال الامام الانتقال من مقام الخطاب الى مقام الغيبه في هذه الآيه دليل
المقت والتبعيد كما ان عكس ذلك في قوله اياك نعبد دليل الرضا والتقريب بريح طيبة لينة
وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها اي جاءت الفلك او الريح الطيبة ريح عاصف شديده ولم
يقل عاصفه لاختصاص الريح بالعصوف وقيل الريح يذكر ويونث وجاءهم يعني ركبان
السفينه الموج وهو حركة الماء واختلاطه من كل مكان يجي منه الموج وظنوا انهم احيط بهم
ايقنوا انهم احاط بهم الهلاك دعوا الله مخلصين له الدين اي اخلصوا في الدعاء لله ولم يدعوا
احدا سواه لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال
لان دعاءهم من لوازم ظنهم لئن انجيتنا يا ربنا من هذه الريح العاصف لنكونن من
الشاكرين لك بالايمان والطاعه عن ابي عبيده ان المراد من ذلك الدعاء قولهم آهيا شراهيا
تفسيره يا حي يا قيوم يحكى ان رجلا قال لجعفر الصادق رضي الله عنه ما الدليل على اثبات الصانع
فقال اخبرني عن حرفتك فقال التجارة في البحر فقال صف لي كيف حالك قال ركبت البحر فانكسرت
السفينة وبقيت على لوح من الواحها وجاءت الرياح العاصفه فقال جعفر هل وجدت في قلبك
تضرعا قال نعم قال جعفر فالهك هو الذي تضرعت اليه في ذلك الوقت فلما انجيهم اذا هم
يبغون فاجاؤا البغي والفساد في الارض بغير الحق مبطلين فيه يا ايها الناس انما
بغيكم على انفسكم لان وباله راجع عليها ثم ابتدا فقال متاع الحيوة الدنيا اي هذا متاع
الحيوة الدنيا لا يبقى ثم الينا مرجعكم في القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء فلا يبقى وسيبقى
عقابها ثم ذكر مثلا لمن يبقى في الارض ويغتر بالدنيا ويشتد تمسكه بها فقال انما مثل الحيوة
الدنيا حالها العجيبه في سرعة فنائها وزوالها بعد اقبالها واغترار الناس بها كماء انزلناه
من السماء فاختلط به نبات الارض فاشتبك بسببه نبات الارض حتى خالط بعضه بعضا
مما ياكل الناس من الحبوب والثمار والبقول والانعام من الحشيش والعشب حتى
اذا اخذت الارض زخرفها حسنها وبهجتها بظهور الزهر اخضر واحمر واصفر وابيض
وازينت وتزينت وكذلك هي في قراءة ابن مسعود تزينت كعروس اخذت من الوان
الثياب والزين فتزينت بها وظن اهلها اي الارض انهم قادرون عليها متمكنون
من حصدها ورفع غلتها اتيها امرنا قضاؤنا وضرب زرعها ما يجتاحه ليلا او نهارا فجعلناها
حصيدا اي فجعلنا زرعها شبيها بما حصد وقطع من اصله كان لم تغن تكن بالامس
واصله من غني بالمكان اذا اقام به قال قتاده معناه ان المتشبث بالدنيا ياتيه امر الله وعذابه

اعقل

اعقل ما يكون كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون فانهم المنتفعون بها ثم لما نفر المكلفين
عن الميل الي الدنيا بالمثل السابق رغبهم في الآخرة فقال والله يدعو الي دار السلام
قال قتاده السلام هو الله وداره الجنه وقيل السلام بمعنى السلامة سميت الجنة دار
السلام لان من دخلها سلم من الآفات وقيل المراد بالسلام التحيه سميت الجنه دار
السلام لان اهلها يحيي بعضهم بعضا بالسلام والملائكة تسلم عليهم قال الله تعالى والملائكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم عن جابر رضي الله عنه قال جاءت ملائكة الي النبي
صلى الله عليه وسلم وهو نائم فقالوا ان لصاحبكم هذا مثلا مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل
فيها مادبه وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبه ومن لم يجب
الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المادبه والدار الجنه والداعي محمد فمن اطاع محمدا فقد
اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس رواه محيي السنه وغيره
وروى ابن جرير ما بمعناه متصل الاسناد ويهدي من يشاء بالتوفيق الي صراط مستقيم
هو طريقها وذلك الاسلام وحذف مفعول يدعو للدلالة على تعميم الدعوة اظهارا للحجة وذكر
مفعول يهدي للدلالة على ان الهداية خاصة وان المصر على الضلال لم يرد الله رشده استغناء
ثم قسم اهل الدعوة الى قسمين وبين حال كل طايفه فقال للذين احسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي
الجنة وزيادة وهي النظر الي وجه الله الكريم هذا قول جماعة من الصحابه منهم ابو بكر الصديق
رضي الله عنه وحذيفه وابو موسى وهو قول الحسن وعكرمه وعطاء عن صهيب قال قرا رسول
الله صلى الله عليه وسلم هذه الآيه للذين احسنوا الحسنى وزياده قال اذا دخل اهل الجنه
الجنه واهل النار النار نادى مناد يا اهل الجنه ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا
ما هذا الموعد الم يثقل موازيننا وبيض وجوهنا ويدخلنا الجنه ويجرنا من النار قال فيرفع
الحجاب فينظرون الى وجه الله عز وجل قال فما اعطوا شيئا احب اليهم من النظر اليه وعن
ابن عباس ان الحسنى هي ان الحسنه مثلها والزياده التضعيف عشر امثالها الى سبعمائة ضعف
ولا يرهق وجوههم لا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة هوان والمعنى لا يرهقهم
ما يرهق اهل النار اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون دائمون لا زوال فيها ولا
انقراض لنعيمها بخلاف الدنيا وزخارفها والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها
اي ان يجازى بسيئة مثلها لا يزاد عليها وفيه تنبيه على ان الزيادة هي الفضل وترهقهم
ذلة فانهم حين ماتوا ناقصين خالين عن الملكات الحميدة كان شعورهم بذلك سببا لذلهم
وهوانهم في انفسهم ما لهم من الله من عاصم ما من احد يعصمهم من سخط الله او ما لهم

من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما للمومنين والتحقيق انه لا عاصم من الله لاحد في الدنيا
ولا في الآخرة الا باذن الله الا ان هذا المعنى في الآخرة اظهر كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ثم بالغ في الكشف عن سواد
وجوههم فقال كانما اغشيت البست وجوههم قطعا جمع قطعه من الليل مظلما اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم منصوب باضمار اذكر او ظرف متعلق بتبلوا اي في
يوم كذا تبلو كل نفس جميعا يعني الفريقين جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم الزموا مكانكم
حتى تنظروا ما يفعل بكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا الوصل التي كانت
بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون مجاز عن براءة ما عبدوه من عبادتهم وانهم
انما عبدوا في الحقيقه اهواءهم لانها الآمرة بالاشراك لا ما اشركوا به وقيل ينطق الله تعالى
الاصنام فتشافههم بذلك مكان الشفاعه التي توقعوا منها وقيل المراد بالشركاء الملائكة
والمسيح وقيل الشياطين فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم فانه العالم بكنه الحال ان كنا عن
عبادتكم لغافلين ان هي المخففه من الثقيله واللام هي الفارقه هنالك في ذلك المقام
تبلوا كل نفس ما اسلفت تختبر وتعلم وتقف عليها قدمت من عمل فتعاين نفعه وضره و
قرئ بتائين من التلاوة اي تقرا كل نفس صحيفتها او من التلو اي تتبع عمله فيقوده الى
الجنه او الي النار وردوا الي الله الى جزائه اياهم بما اسلفوا مولاهم الحق ربهم ومتولي
امرهم على الحقيقه وضل عنهم وضاع عنهم ما كانوا يفترون من ان الهتهم تشفع لهم
او ما كانوا يدعون انها الهة فان قيل قد قال تعالى وتقدس وان الكافرين لا مولى لهم
قيل المولى هناك الناصر وههنا بمعنى المالك ثم لما بين فضايح عبدة الاوثان اكدها بالحجج
اللامعه والبراهين القاطعه من احوال الرزق والحواس والموت والحيوة والابداء والاعاده
والارشاد والهداية وقد بنى الحجج على الاستفهام وتفويض الجواب الى المسيول ليكون ابلغ
في الزام الحجة واوقع في النفوس فقال قل من يرزقكم من السماء والارض اي منهما
جميعا فان الارزاق تحصل باسباب سماوية ومواد ارضية ينزل من السماء المطر ويخرج من
الارض النبات وقيل من لبيان من على حذف المضاف اي من اهل السماء والارض امن
يملك السمع والابصار اي امن يستطيع خلقهما وتسويتهما وخصهما بالذكر لما فيهما من الخطر
العجيبة سبحان من بصر بشحم واسمع بعظم او من يحفظهما من الآفات في المدد الطوال مع
لطافتهما وسرعة انفعالهما من ادنى شيء سبحان من كمل قدرته ورافته ومن يخرج الحي من
الميت ويخرج الميت من الحي يخرج الحي من النطفه والنطفه من الحي ومن يدبر الامر
ومن يلي تدبير امر العالم وهو تعميم بعد تخصيص فسيقولون الله اذ لا يقدرون

يولى

من المكابرة

من المكابرة والعناد في ذلك لفرط وضوحه فقل افلا تتقون انفسكم عقابه باشراككم اياه ما لا
يشارككم في شيء من ذلك فذلكم الله ربكم الحق اي المتولي لهذه الامور المستحق للعباده هو ربكم
الثابت ربوبيته لانه الذي انشاكم واحياكم ورزقكم ودبر اموركم فماذا بعد الحق الا الضلال
استفهام انكار اي ليس بعد الحق الا الضلال فمن تخطى الحق الذي هو عبادة الله وقع في الضلال
فانى تصرفون عن الحق الي الضلال كذلك حقت كلمت ربك اي كما حقت الربوبية لله حقت
كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا في كفرهم وخرجوا عن حد الاستصلاح انهم لا
يؤمنون بدل من كلمة ربك قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده جعل الاعادة
كالابداء في الالزام بها لظهور برهانها وان لم يساعد عليها ولذلك امر الرسول بان ينوب عنهم
في الجواب فقال قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده لان لجاجهم لا يدعهم ان يعترفوا بها فانى تؤفكون
تصرفون عن قصد السبيل قل هل من شركائكم من يهدي الي الحق بنصب الحجج وارسال
الرسل والتوفيق للنظر والتدبر قل الله يهدي للحق افمن يهدي الى الحق احق ان يتبع
امن لا يهدي الا ان يهدى اي ام الذي لا يهتدي الا ان يهدى من قولهم هدى بنفسه اذا
اهتدى او لا يهدي غيره الا ان يهديه الله وهذا حال اشراف شركائهم كالملائكة والمسيح وعزير
فما لكم كيف تحكمون بما يقتضي صريح العقل بطلانه ثم بين ما بنوا عليه امر دينهم فقال وما يتبع
اكثرهم فيما يعتقدون الا ظنا مستندا الى خيالات فارغه واقيسه فاسده كقياس الشاهد
على الغايب والخالق على المخلوق بادنى مشاركة موهومة والمراد بالاكثر الجميع او من ينتمي منهم
الى تمييز ونظر ولا يرضى بالتقليد الصرف ان الظن لا يغني من الحق من العلم والاعتقاد
الحق شيئا من الاغناء وفيه دليل على ان تحصيل العلم في الاصول واجب والاكتفاء بالتقليد
والظن غير جايز ان الله عليم بما يفعلون فيجازيهم ولما فرغ من دلايل التوحيد شرع في
اثبات النبوة فقال وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله اي وما كان هذا القرآن
افتراء من الخلق ولا ينبغي لمثله ان يكون افتراء ولكن تصديق الذي بين يديه من الكتب
الالهيه وتفصيل الكتاب اي تفصيل ما اثبت من الحقايق والشرايع لا ريب فيه من رب العالمين
ام يقولون افتريه اي بل ايقولون افتريه محمد ومعنى الهمزة فيه الانكار قل فاتوا بسورة مثله
في البلاغة وحسن النظم وقوة المعنى على وجه الافتراء فانكم مثلي في العربيه والفصاحة
واشد تمرنا في النظم والعبارة وادعوا من استطعتم ومع ذلك فاستعينوا بمن امكنكم ان
تستعينوا به من دون الله سوى الله فانه وحده قادر على ذلك ان كنتم صادقين
انه اختلقه بل كذبوا بل سارعوا الي التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه بالقرآن اول ما سمعوه

قبل ان يتدبروا اياته ويحيطوا بالعلم شانه وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ولم يقفوا بعد على
تاويله ولم يبلغ اذهانهم معانيه اولم ياتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب
حتى يتبين لهم انه صدق ام كذب كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ انبياءهم
فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ فيه وعيد لهم بمثل ما عوقب به من قبلهم ثم قسم
طوايف المكذبين فقال وَمِنْهُم ومن المكذبين مَّن يُؤْمِنُ بِهِ من تصدق به في
نفسه ويعلم انه حق ولكن يعاند او من سيؤمن به ويتوب عن كفره وَمِنْهُم مَّن
لَّا يُؤْمِنُ بِهِ في نفسه لفرط غباوته وقلة تدبره او فيما يستقبل بل يموت على الكفر
وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ بالمعاندين والمصرين وَإِن كَذَّبُوكَ فان اصروا على تكذيبك
بعد الزام الحجة فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ فتبرا منهم بعد ما اعذرت والمعنى لي جزاء
عملي ولكم جزاء عملكم حقا كان او باطلا أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ
لا تواخذون بعملي ولا اوخذ بعملكم وهذا كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لكم
دينكم ولي دين قال الكلبي ومقاتل هذه الآية منسوخة باية الجهاد وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ
إِلَيْكَ اذا قرات القرآن وعلمت الشرايع ولكن لا يقبلون كالاصم الذي لا يسمع اصلا
أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ تقدر على اسماعهم وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ولو انضم الى صممهم عدم
تعقلهم وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ويعاينون دلايل نبوتك أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ تقدر على
هدايتهم وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ وان انضم الى عدم البصر عدم البصيرة فان المقصود
من الابصار هو الاعتبار والاستبصار والعمدة في ذلك البصيرة إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ
شَيْئًا بسبب حواسهم وعقولهم وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بافسادها وتفويت
منافعها عليها وقد يقال في معنى الآية ان الله لا يظلم احدا شيئا وان كان هدى به من
هدى وفتح اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا واضل عن الايمان به اخرين لانه العادل
المتفضل والحاكم المتصرف في ملكه بما يشاء الذي لا يسال عما يفعل لعلمه وحكمته وعدله
وهم يسالون عن ظلمهم بالكفر والمعاصي في حديث ابي ذر رضي الله عنه عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي
وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا الى ان قال في اخره يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم فمن
وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه رواه مسلم بطوله ثم ذكر وعيد
الكفار فقال وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ اي اذكر يوم يحشرهم ويجوز ان يكون متعلقا بيتعارفون
كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا قبله إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا او العبور لهول

ما يرون يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ يعرف بعضهم بعضا حين بعثوا من قبورهم كمعرفتهم في الدنيا ثم
ينقطع المعرفة اذا عاينوا اهوال القيمة وفي بعض الاخبار ان الانسان يعرف من بجنبه يوم
القيمة ولا يكلم هيبة وخشية قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حال من الضمير في يتعارفون
على ارادة القول والمراد من الخسران خسران النفس ولا شيء اعظم منه وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ
لطرق استعمال ما منحوا من المعاون في تحصيل المعارف فاستكسبوا بها جهالات ادت
بهم الى الردى والعذاب الدايم وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ نبصرنك بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ من العذاب
في حيوتك كما اراه يوم بدر فذاك أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ قبل ان نريك فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فنريكه في الآخرة
ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ مجاز عليه ذكر الشهادة واراد نتيجتها ثم بين انه ما اهمل امة
من الامم من رسول في وقت من الاوقات فقال وَلِكُلِّ أُمَّةٍ من الامم الماضية رَّسُولٌ يبعث
اليهم ليدعوهم الى الحق فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ بالبينات فكذبوه قُضِيَ بَيْنَهُم بين الرسول
المكذبين بِالْقِسْطِ بالعدل فانجي الرسول واهلك المكذبون وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وقيل المعنى
لكل امة يوم القيمة رسول ينسب اليه فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان
قضى بينهم بانجاء المومن وعقاب الكفار كقوله تعالى وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم
ثم ذكر شبهة اخرى من شبهاتهم فقال وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ الذي تعدنا يا محمد
استبعادا او استهزاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ انت يا محمد واتباعك قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا
نَفْعًا فكيف املك لكم ما تستعجلون به إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ان املكه او ما شاء الله من ذلك كاين
ثم بين ان احدا لا يموت الا بالقضاء فقال لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ مرة مضروب إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا
يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ لا يتاخرون ولا يتقدمون فلا تستعجلوا فسيحين وقتكم
وينجز وعدكم ثم زيف رايهم في استعجال العذاب مرة اخرى فقال قُلْ أَرَأَيْتُمْ اخبروني إِنْ أَتَاكُمْ
عَذَابُهُ الذي تستعجلون به بَيَاتًا وقت بيات واشتغال بالنوم أَوْ نَهَارًا حين كنتم مشتغلين
بطلب معايشكم تندموا على الاستعجال مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ اي شيء من العذاب يستعجله
المجرمون وضع موضع الضمير للدلالة على انهم لجرمهم ينبغي ان يفزعوا من مجيء العذاب
لا ان يستعجلوه أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ آمَنتُم بِهِ المعنى ان اتاكم عذابه تندموا وتعرفوا الخطا ثم
آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان وما ذا استعجل جملة معترضة ودخول حرف
الاستفهام على ثم لانكار التاخير آلْآنَ على ارادة القول اي قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع
العذاب الآن آمنتم به وَقَدْ كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ تكذيبا واستهزاء ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عطف
على قيل المقدر قبل الآن ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ المولم على الدوام هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ

تَكْسِبُونَ من الكفر والمعاصي ثم بين انهم بعد هذه البيانات استفهموا تارة اخرى عن
تحقق العذاب فقال وَيَسْتَنبِئُونَكَ ويستخبرونك أَحَقٌّ هُوَ احق ما تقول من الوعد وادعاء
النبوة بقوله جد ام باطل تهزل به قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ان العذاب لكاين او ما ادعيه
لثابت واي بمعنى نعم وهو من لوازم القسم فتقال اي والله وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فايتين العذاب
وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ بالشرك او التعدي على الغير مَا فِي الْأَرْضِ من خزاينها واموالها
لَافْتَدَتْ بِهِ لجعلته فدية لها من العذاب من قولهم افتداه بمعنى فداه وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ قال
ابو عبيد معناه اظهروا الندامة لانه ليس ذلك اليوم يوم تصبر وتصنع جعله من قولهم اسر
الشيء واسره اذا اظهره وقد يقال لانهم بهتوا بما عاينوا من فظاعة الامر وهوله فلم يقدروا
ان ينطقوا لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ الاول قضاء بين الانبياء
والمكذبين والثاني مجازاة المشركين على الشرك او الحكومة بين الظالمين والمظلومين ثم
ذكر ان لجميع ما تقدم محكم المالكية والقدرة على الاحياء والامامة والابداء والاعادة فقال
أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ما وعد من الثواب والعقاب
كاين لا خلف فيه وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لانهم لا يعلمون لقصور عقلهم الا ظاهرا من
الحيوة الدنيا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ في الدنيا فهو يقدر عليهما في الاخرى لان القادر لذاته لا تزول
قدرته والمادة القابلة بالذات للحيوة والموت قابلة لهما ابدا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ بالموت او
النشور ثم بعد ما اثبت النبوة بطريق ظهور المعجز بين اوصافا اربعة للمعجز فقال يَا أَيُّهَا
النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ اي قد جاءكم كتاب جامع للحكمة
العلمية الكاشفة عن محاسن الاعمال ومقابحها المرغبة في المحاسن والزاجرة عن المقابح
والحكمة النظرية التي هي شفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد وَهُدًى
الى الحق واليقين وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ نجوا بها من ظلمات الضلال الى نور الايمان ومن طبقات
النيران الى درجات الجنان والتنكير في موعظة وشفاء وهدى ورحمة للتعظيم ثم لما
ارشد الى الطريق الموصل الى السعادات الباقية الروحانية ذكر انها هي التي يجب ان
يكمل الفرح بحصولها فقال قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ قال مجاهد وقتادة فضل الله القرآن
ورحمته ان جعلنا من اهله وقال ابن عمر فضل الله الاسلام ورحمته السنن وقيل فضل الله
الايمان ورحمته الجنة فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ من حطام الدنيا فانها الى الزوال
روى ابن ابي حاتم في تفسير الآية انه لما قدم خراج العراق الى عمر رضي الله عنه قال الحمد لله
وقال مولاه هذا والله من فضل الله ورحمته فقال عمر رضي الله عنه كذبت ليس هذا هو الذي

يقول الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ثم اشار الى
فساد طريقتهم في شرايعهم واحكامهم فقال قُلْ أَرَأَيْتُم اخبروني مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ
جعل الرزق منزلا لان ما في الارض من خير وزرع وضرع فمما انزل من السماء وباسبابه
فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قال الضحاك هو قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام
نصيبا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ في التحريم والتحليل فتقولون بحكمه أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ في ذلك اليه ـ نسبة م
وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ اي شيء ظنهم يَوْمَ الْقِيَامَةِ ايحسبون ان الله لا يواخذهم
ولا يعاقبهم عليه إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ حيث انعم عليهم بالعقل وهداهم بارسال الرسل
وانزال الكتب وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ هذه النعمة ثم لما بين فساد طريقة الكفار في عقايدهم
واحكامهم بين كونه سبحانه وتعالى عالما بعمل كل احد وبما في قلبه من الدواعي والصوارف
والرياء والاخلاص وغير ذلك فقال وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ ولا تكون في امر وَمَا تَتْلُو مِنْهُ
من الله او من القرآن النازل وقد يقال الضمير للشان لان تلاوة القرآن معظم شان الرسول
مِن قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ تعميم بعد تخصيص إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا رقباء مطلعين عليه
إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ اي في العمل والافاضة الاندفاع بكثرة وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ ولا يبعد
عنه ولا يغيب عن علمه مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ الذرة النمل الصغيرة والهباء فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي
السَّمَاءِ اي في الوجود والامكان تعبيرا عن الكل باعظم اجزايه في نظر العامة وتقديم الارض ـ ص
لان الكلام في حال اهلها والمقصود منه البرهان على احاطة علمه بها وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا
أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ اللوح المحفوظ ثم لما بين احاطته بجميع الاشياء وكان في ذلك
تقوية قلوب المطيعين وكسر قلوب المذنبين اتبعها تفصيل حال كل فريق فقال أَلَا إِنَّ
أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ على ما وراءهم في الدنيا قال بعضهم هم الذين ـ فيما يستقبل من اهوال القيمة م
ذكرهم الله تعالى الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ وقال قوم هم المتحابون في الله عن ابي مالك
الاشعري قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم
النبيون والشهداء بقربهم ومقعدهم من الله يوم القيمة قال وفي ناحية المسجد اعرابي
فجثى على ركبتيه ورمى بيديه ثم قال حدثنا يا رسول الله عنهم من هم قال فرايت في وجه
النبي صلى الله عليه وسلم البشر فقال هم عباد من عباد الله من بلدان شتى وقبايل شتى
لم يكن بينهم ارحام يتواصلون بها ولا دنيا يتباذلون بها يتحابون بروح الله يجعل الله في
وجوههم نورا ويجعل لهم منابر من لؤلؤ قدام الرحمن يفزع الناس ولا يفزعون ويخاف الناس
ولا يخافون رواه محيي السنة وابو داود وابن جرير وغيرهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما

انه قال رجل يا رسول الله من اولياء الله قال صلى الله عليه وسلم اذا رأوا ذكر الله رواه
الامام محيي السنة والبزار قال المتكلمون ولي الله من يكون آتيا بالاعتقاد الصحيح المبني
على الدليل ويكون آتيا بالاعمال الصالحة الواردة في الشريعة قال الامام عنوا بذلك قوله تعالى
في وصفهم الذين آمنوا وهو اشارة الى كمال حال القوة النظرية وكانوا يتقون وهو اشارة الى
كمال حال القوة النظرية وكانوا يتقون وهو اشارة الى كمال حال القوة العمليه ثم اخبر الله سبحانه
وتعالى عنهم بان لهم البشرى في الدنيا والآخرة فقال لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا قال الحسن
هي ما بشر الله المومنين في كتابه من جنته وكريم ثوابه كقوله وبشر الذين آمنوا وبشر المومنين
وابشروا بالجنة وعن عبادة ابن الصامت قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى
لهم البشرى في الحيوة الدنيا قال هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له رواه ابن جرير مسندا
ورواه محيي السنة وعن ابي ذر انه قال يا رسول الله الرجل يعمل لنفسه ويحبه الناس قال
ذلك عاجل بشرى المومنين وفي رواية مسلم ويحمده الناس عليه وَفِي الْآخِرَةِ قال عطاء عن
ابن عباس البشرى في الدنيا عند الموت تاتيهم الملائكة بالبشارة وفي الآخرة عند خروج
نفس المومن يعرج بها الى الله تعالى ويبشر برضوان الله وقال الزهري وقتادة هي نزول الملائكة
بالبشارة من الله تعالى عند الموت قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا و
ابشروا بالجنة قال الكاشف لهم في الدنيا مشاهدة البيان وفي الآخرة مشاهدة العيان لهم
في الدنيا مكاشفات وفي الآخرة مشاهدات لهم في الدنيا التجلي وفي الآخرة مقام التدلي لهم في
الدنيا رؤيه الله في المنامات وفي الآخرة عيان المشاهدات لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ لا تبديل
لاقواله ولا اخلاف لمواعيده ذَٰلِكَ اي كونهم مبشرين في الدارين هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ
ثم سلى رسوله عن صنيع الفريق المكذبين فقال وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ اشراكهم وتكذيبهم
وتهديدهم إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا فهو يقهرهم وينصرك عليهم هُوَ السَّمِيعُ لاقوالهم الْعَلِيمُ
بعزماتهم فيكافيهم عليها ثم زاد في التاكيد مع اشارة الى فساد عقيدة المشركين فقال أَلَا إِنَّ
لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ من الملائكة والثقلين واذا كان هولاء الذين هم اشرف
الممكنات عبيدا لا يصلح احد منهم للربوبيه فما لا يعقل منها احق ان لا يكون له ندا او شريكا
وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ اى شئ يتبع الذين يدعون من دون الله
شركاء وقيل وما يتبعون شركاء على الحقيقه لانهم يعبدونها على انهم شركاء يشفعون لنا
وليس على ما يظنون إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ اي انما يتبعون ظنهم انهم شركاء وَإِنْ هُمْ
إِلَّا يَخْرُصُونَ يكذبون او يحزرون ويقدرون انها شركاء تقديرا باطلا ثم ذكر طرفا من

آثار قدرته مع اشارة الى بعض نعمه فقال هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ
مُبْصِرًا مضيئا يبصر فيه كقولهم ليل نائم قال قطرب تقول العرب اظلم الليل واضاء النهار
وابصر اي صار ذا ظلمة وضياء وبصر نبههما على كمال قدرته وعظم نعمته المتوحد هو بها
ليدل لهم على تفرده باستحقاق العباده إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ سمع الاعتبار
والتدبر ثم حكى نوعا آخر من اباطيلهم فقال قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا يعني قال المشركون
الملائكة بنات الله سُبْحَانَهُ تنزيه له عن ذلك وتعجب من كلمتهم الحمقاء هُوَ الْغَنِيُّ علة
لتنزهه فان اتخاذ الولد مسبب عن الحاجه وايضا فان الولد يحصل من نطفة منفصلة
عن مركب ذي اجزاء وهو منزه غني عن الاجزاء لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ خلقا
وملكا وخالق الكل غني عنه فهو تقرير لغناه ويصلح دليلا عليه إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا
تجهيل لهم وتحقيق للبطلان ونفي لمعارض ما اقام من البرهان أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا
تَعْلَمُونَ توبيخ وتقريع على اختلافهم وجهلهم وفيه دليل على ان كل قول لا دليل عليه فهو
جهالة وان العقايد لا بد لها من قاطع وان التقليد فيها غير سائغ ثم اوعدهم على افترائهم فقال
قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ وعيد شديد وتهديد اكيد عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ باتخاذ الولد واضافة
الشريك اليه لَا يُفْلِحُونَ لا ينجون من النار ولا يفوزون بالجنة مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا اي افتراؤهم
متاع في الدنيا يقيمون به رياستهم في الكفر او لهم تمتع في الدنيا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ بالموت
فيلقون الشقاء المؤبد ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ بسبب كفرهم
ثم لما بالغ في تقرير الدلائل والبينات والجواب عن الشبهات شرع في قصص الانبياء المتقدمين
لان نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب اقرب الى انشراح الصدر ودفع الملال مع ان في
ذكرها تسليه للرسول وعبرة للمعتبرين الى غير ذلك من الفوايد فقال وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
نُوحٍ مع قومه إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم عظم عليكم وشق مَّقَامِي اقامتي
بينكم وَتَذْكِيرِي اياكم بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ وثقت به فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ فاعزموا
عليه وَشُرَكَاءَكُمْ اي مع شركائكم ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ في قصدي عَلَيْكُمْ غُمَّةً مستورا و
اجعلوه ظاهرا مكشوفا من غمة اذا ستره ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ ادوا الي ذلك الامر الذي
تريدون بي وَلَا تُنظِرُونِ ولا تمهلون فَإِن تَوَلَّيْتُمْ اعرضتم عن تذكيري فَمَا سَأَلْتُكُم
مِّنْ أَجْرٍ يوجب توليكم لثقله عليكم واتهامكم اياي لاجله او يفوت لي لتوليكم إِنْ أَجْرِيَ
مااثوابي إِلَّا عَلَى اللَّهِ لا تعلق له بكم يثيبني به آمنتم او توليتم وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ المنقادين لحكمه لا اخالف امره ولا ارجو غيره فَكَذَّبُوهُ فاصروا على تكذيبه

بعد ما الزمهم الحجة وبين ان توليهم ليس الا لعنادهم وتمردهم لاجرم حقت عليهم
كلمة العذاب فَنَجَّيْنَاهُ من الغرق وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ قال القاضي وكانوا ثمانين وَجَعَلْنَاهُمْ
خَلَائِفَ من الهالكين وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا بالطوفان فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُنذَرِينَ تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن كذب الرسول وتسليه له ثُمَّ بَعَثْنَا ارسلنا
مِن بَعْدِهِ من بعد نوح رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ كل رسول الى قومه فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ المعجزات الواضحة
المبينة لدعواهم فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ قوم نوح مِن قَبْلُ بسبب تعودهم تكذيب الحق
وتمرنهم عليه قبل بعثة الرسل كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ نختم عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم
من بعد هولاء الرسل مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا بالايات التسع فَاسْتَكْبَرُوا
عن اتباعهما وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ معتادين الاجرام فلذلك تهاونوا برسالة ربهم واجترؤا
على ردها فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا وعرفوا بتظاهر المعجزات قَالُوا من فرط تمردهم
إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ظاهر انه سحر قَالَ مُوسَىٰ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ انه لسحر أَسِحْرٌ
هَٰذَا استيناف على سبيل الانكار وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ من تمام كلام موسى للدلالة على
انه ليس بسحر فانه لو كان سحرا لاضمحل ولان العالم بانه لا يفلح الساحر لا يسحر قَالُوا أَجِئْتَنَا
لِتَلْفِتَنَا لتصرفنا واللفت والفتل اخوان عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا من عبادة الاصنام وَتَكُونَ
لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ الملك فيها سمي بها لاتصاف الملوك بالكبر او التكبر على الناس
باستتباعهم وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ بمصدقين فيما جئتما به وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ
عَلِيمٍ حاذق فيه فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ
مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ اي الذي جئتم به السحر لا ما سماه فرعون وقومه سحرا إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ
سيمحقه او سيظهر بطلانه إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ لا يثبته ولا يقويه وَيُحِقُّ
اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ويثبت الله الحق باوامره وقضاياه وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ قال ابن ابي حاتم
باسناده عن الليث وهو ابن ابي سليم قال بلغني ان هولاء الايات شفاء من السحر باذن
الله تعالى يقرأ في اناء فيه ماء ثم يصب على راس المسحور الاية التي من سورة يونس فلما
القوا قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله
الحق بكلماته ولو كره المجرمون والاية الاخرى فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون الى اخر
اربع آيات وقوله انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث اتى فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ
في مبدا امره إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ قال مجاهد كانوا اولاد الذين ارسل اليهم موسى من
بني اسرائيل هلك الاباء وبقي الابناء وقيل هم قوم نجوا من قبل فرعون وذلك ان فرعون

لما امر بقتل ابناء بني اسرائيل كانت المراة من بني اسرائيل اذا ولدت ابنا وهبته لقبطية خوفا
من القتل فنشاوا عند القبط واسلموا في اليوم الذي غلبت السحرة وقال آخرون الهاء راجعة
الى فرعون وروى عطيه عن ابن عباس قال هم ناس يسير من قوم فرعون آمنوا منهم امراة
ومومن آل فرعون وخازن فرعون وامراة خازنه وماشطته وعن ابن عباس رواية اخرى
انهم سبعون اهل بيت من القبط من آل فرعون وامهاتهم من بني اسرائيل فجعل الرجل يتبع امه
واخواله قال الفراء سموا ذرية لان آباءهم كانوا من القبط وامهاتهم من بني اسرائيل كما يقال
لاولاد اهل فارس الذين سقطوا الى اليمن الابناء لان امهاتهم من غير جنس آبائهم عَلَىٰ
خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ قيل اريد بفرعون آل فرعون في قوله تعالى واسال القرية فلذا
قيل وملائهم وقيل لان الملك اذا ذكر يفهم منه هو واصحابه كما يقال قدم الخليفه يراد هو
ومن معه أَن يَفْتِنَهُمْ ان يعذبهم ولم يقل يفتنوهم لانه اخبر عن فرعون واهل ذكر القوم
لانهم كانوا على ما كان عليه مقهورين تحت حكمه وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ لغالب فيها وَإِنَّهُ
لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ في الكبر والعتو حتى ادعى الربوبيه واسترق اسباط الانبياء وَقَالَ مُوسَىٰ
لما راى تخوف المومنين به يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا فثقوا به واعتمدوا عليه
إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ مستسلمين لقضاء الله مخلصين له فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً
موضع فتنة لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ اي لا تسلطهم علينا فيفتنونا وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ
من كيدهم وشوم مشاهدتهم وفي تقديم التوكل على الدعاء تنبيه على ان الداعي ينبغي ان يتوكل
اولا لتجاب دعوته وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّآ يقال تبوا فلان لنفسه بيتا ومضجعا
اذا اتخذه وبواته اياه اذا اتخذته له لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ تلك البيوت قِبْلَةً مصلى
قال اكثر المفسرين منهم ابن عباس برواية عكرمة كانت بنو اسرائيل لا يصلون الا في كنائسهم
وبيعهم وكانت ظاهرة فلما ارسل موسى امر فرعون بتخريبها ومنعهم من الصلوة فامروا ان
يتخذوا مساجد في بيوتهم ويصلوا فيها خوفا من آل فرعون روي عن ابن عباس انه قال كانت
الكعبه قبلة موسى عليه السلام ومن معه وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ فيها امروا بذلك اول امرهم لئلا
تظهر عليهم الكفرة فيوذوهم ويفتنوهم عن دينهم وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بالنصرة في الدنيا والجنة
في العقبى وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً ما يتزين به من اللباس
والمراكب ونحوهما وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وانواعا من المال رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ
قيل اللام لام كي معناه آتيتهم كي تفتنهم فيضلوا ويضلوا كقوله تعالى لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم
فيه امرهم الضلال كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ

وقيل هي لام العاقبة اي فيكون عاقبة
م

قال اهلكها والطمس المحو وقال اكثر المفسرين امسخها وغيرها عن هيئتها قال
قتادة صارت اموالهم وحروثهم وزرعاتهم وجواهرهم حجارة قال ابن عباس بلغنا
ان الدراهم والدنانير صارت حجارة منقوشة كهيئتها صحاحا وانصافا واثلاثا وارباعا
ودعى عمر بن عبد العزيز بخريطة فيها اشياء من بقايا آل فرعون فاخرج منها البيضة مشقوقة
والجوز مشقوقه وانها لحجر قال السدي مسخ الله اموالهم حجارة والنخيل والثمار و
الاطعمة فكانت احدى الآيات التسع وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ اي اقسها واطبع عليها حتى
لا تلين ولا تنشرح للايمان فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ وهو الغرق قَالَ الله قَدْ
أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا انما نسب الدعاء اليهما والدعاء كان من موسى لانه روي ان موسى
كان يدعو وهرون يؤمن والتأمين دعاء وفي بعض القصص كان بين دعاء موسى
واجابته اربعون سنة فَاسْتَقِيمَا على الرسالة والدعوة وامضيا لامري الى ان ياتيهم العذاب
وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ طريق الجهلة في الاستعجال او عدم الوثوق و
الاطمينان بوعد الله وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ اي جوزناهم في البحر حتى بلغوا
الشط حافظين لهم فَأَتْبَعَهُمْ لحقهم وادركهم يقال اتبعه وتبعه اذا ادركه ولحقه واتّبعه
بالتشديد اذا سار خلفه واقتدى به وقيل هما واحد فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا
اي ظلما واعتداء وكان البحر قد انفلق لموسى وقومه فلما وصل فرعون بجنوده الى البحر
هابوا دخوله فتقدمهم جبرئيل عليه السلام على فرس ودنق وخاض البحر فاقتحمت الخيول
خلفه فلما دخل آخرهم وهم اولهم ان يخرج انطبق عليهم الماء حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ
لحقه قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ آلْآنَ اتؤمن
الآن وقد ايست من نفسك ولم يبق لك اختيار وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ قبل ذلك مدة عمرك
وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ الضالين المضلين عن الايمان فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ نلقيك على نجوة من
الارض وهي المكان المرتفع روي انه لما اخبر موسى قومه بهلاك فرعون وقومه قال
بنو اسرائيل ما مات فرعون فامر الله تعالى البحر فالقى فرعون على الساحل وكان احمر قصيرا
كانه ثور فرآه بنو اسرائيل بِبَدَنِكَ بجسدك عاريا عن الروح وقيل ببدنك بدرعك وكان
له درع مشهور مرصع بالجواهر فراوه في درعه فصدقوا لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً لمن
وراءك علامة وهم بنو اسرائيل اذ كان في نفوسهم من عظمته ما خيل اليهم انه لا يهلك او لمن
ياتي بعدك من القرون اذا سمعوا مآل امرك ممن شاهدك عبرة ونكالا عن الطغيان او حجة
على ان الله تعالى هو القادر الذي ناصية كل دابة بيده وانه لا يقوم لغضبه شي وقرئ

لمن خلقك اي لخالقك آية كسائر الآيات فان افراده اياك بالالقاء الى الساحل دليل على انه
تعمد منه لكشف تزويرك واماطة الشبهة في امرك وذلك دليل على كمال قدرته وعلمه وارادته
في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود
تصوم عاشورا فقالوا هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه
انتم احق بموسى منهم فصوموا وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ لا يتفكرون فيها ولا
يعتبرون بها ثم لما ذكر ما وقع عليه الختم في واقعة فرعون وجنوده اراد ان يذكر ما وقع عليه
الختم في امورهم فقال وَلَقَدْ بَوَّأْنَا انزلنا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ منزلا صالحا وهو الشام
ومصر وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ من اللذائذ فَمَا اخْتَلَفُوا يعني اليهود الذين كانوا في عهد
النبي صلى الله عليه وسلم في تصديقه وانه نبي حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بنعوته ونظام معجزاته
إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ فيميز المحق من المبطل بالانجاء
والاهلاك ثم لما بين كيفية اختلاف اليهود في شان كتابهم او في شان رسوله حقق حقيته وحقية
ما انزل اليه بقوله فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ من القصص على سبيل الفرض والتقدير
وقيل الخطاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره على عادة العرب وانهم يخاطبون
الرجل ويريدون به غيره كقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله خاطب النبي صلى الله عليه وسلم
والمراد به المؤمنون بدليل انه قال ان الله كان بما تعملون خبيرا ولم يقل بما تعمل فَاسْأَلِ الَّذِينَ
يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ فانه ثابت عندهم محقق في كتبهم على نحو ما القينا اليك والمراد تحقيق
ذلك والاستشهاد بما في الكتب المتقدمة لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ واضحا فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ
الْمُمْتَرِينَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ وهذا كله خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد منه غيره ثم لما زجر بين ان له عبادا قضى عليهم بالشقاء
عباد اختم لهم بالحسنى فقال إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ وجبت عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ قال قتادة سخط الله و
قيل لعنته وقيل الكلمة هي قوله هولاء في النار ولا ابالي لَا يُؤْمِنُونَ اذ لا يسمعون قضاءه
وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ فان السبب الاصلي لايمانهم وهو تعلق ارادة الله به مفقود حَتَّى يَرَوُا
الْعَذَابَ الْأَلِيمَ وحينئذ لا ينفعهم كما لم ينتفع فرعون فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا
فهلا كانت قرية آمنت بكمالها من الامم السالفة الذين بعثنا اليهم الرسل بل ما ارسلنا من
قبلك يا محمد من رسول الا كذبه قومه او اكثرهم كما قال تعالى يا حسرة على العباد ما ياتيهم من
رسول الا كانوا به يستهزؤن إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لكن قوم يونس لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ الى آجالهم واختلفوا في انهم هل راوا العذاب عيانا فقال

كل فريق عما ذكر

فقال بعضهم راوا دليل العذاب والاكثرون على انهم راوا العذاب عيانا بدليل قوله كشفنا
عنهم عذاب الخزي والكشف يكون بعد الوقوع او اذا قرب وقصة الآية على ما ذكره عبد الله
بن مسعود وسعيد بن جبير ووهب وغيرهم ان قوم يونس كانوا بارض نينوى من
ارض الموصل فارسل الله تعالى اليهم يونس يدعوهم الى الايمان فدعاهم فابوا فقيل
له ان العذاب مصبحهم الى ثلاث فاخبرهم بذلك فقالوا انا لم نجرب عليه كذبا فانظروا فان
بات فيكم تلك الليلة فليس بشيء وان لم يبت فاعلموا ان العذاب مصبحكم فلما كان في جوف
تلك الليلة خرج يونس من بين اظهرهم فلما اصبحوا يغشاهم العذاب فكان فوق رؤسهم
قدر ميل وقال وهب غامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي
مدينتهم واسودت سطوحهم فلما راوا ذلك ايقنوا بالهلاك فطلبوا يونس بينهم فلم يجدوه
وقذف الله في قلوبهم التوبة فخرجوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا
المسوح واظهروا الايمان والتوبة واخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من
الناس والانعام فحن بعضها الى بعض وعلت اصواتها واختلطت باصواتهم وعجوا وتضرعوا
الى الله عز وجل وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم فاستجاب دعاءهم فكشف عنهم
العذاب بعد ما اظلهم وذلك يوم عاشورا وكان يونس قد خرج فاقام ينتظر العذاب وهلاك
قومه فلم ير شيئا وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل فقال يونس عليه السلام كيف ارجع الى
قومي وقد كذبتهم فانطلق عاتبا على ربه مغاضبا لقومه فاتى البحر فاذا قوم يركبون سفينة
فحملوه بغير اجر فلما دخلها وتوسط بينهم ولجت ووقفت السفينة لا ترجع ولا تتقدم فقال اهل
السفينة ان لسفينتنا لشانا قال يونس قد عرفت شانها ركبها رجل ذو خطية عظيمة قالوا ومن
هو قال انا اقذفوني في البحر قالوا ما كنا لنطرحك من بيننا حتى نعذر في شانك فاستهموا فاقترعوا
ثلث مرات فادحض سهمه والحوت عند رجل السفينة فاغر فاه ينتظر امر ربه فيه وقال
يونس انكم والله لتهلكن جميعا او لتطرحني منها فقذفوه فيه وانطلقوا فاخذه الحوت وعن
ابن عباس انه خرج مغاضبا لقومه فاتى بحر الروم واذا سفينة مشحونة فركبها فلما لججت
تكفأت حتى كادوا ان يغرقوا فقال الملاحون هنا رجل عاص او عبد عاص آبق وهذا
رسم السفينة اذا كان فيها آبق لا تجري ومن رسمنا ان نقترع في مثل هذا فمن وقعت عليه
قرعته القيناه في البحر ولان يغرق واحد خير من ان تغرق السفينة بما فيها فاقترعوا ثلث
مرات فوقعت القرعة في كلها على يونس عليه السلام فقام فقال انا الرجل العاصي والعبد الآبق
فالقى نفسه في الماء فابتلعه الحوت فجاء حوت آخر اكبر وابتلع هذا الحوت واوحى الله تعالى

الى الحوت ان لا تؤذي منه شعرة فاني جعلت بطنك سجنه ولم اجعله طعاما لك قال ابن
مسعود ابتلعه الحوت فهوى به الى قرار الارض السابعة وكان في بطنه اربعين ليلة
فسمع تسبيح الحصى فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
فاجاب الله تعالى له فامر الحوت فنبذه على ساحل البحر وكالفرخ الممعط فانبت عليه شجرة من
يقطين وهو الدباء فجعل يستظل بها ووكل به وعلة يشرب من لبنها فيبست الشجرة فبكى
عليها فاوحى الله تعالى اليه تبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون واردت
ان اهلكهم فخرج يونس فاذا هو بغلام يرعى فقال من انت يا غلام فقال من قوم يونس فقال
اذا رجعت اليهم فاخبرهم اني لقيت يونس فقال الغلام قد تعلم انه ان لم يكن بينة قتلت قال
يونس تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة فقال الغلام فمرهما فقال يونس اذا جاءكما هذا الغلام
فاشهدا له قالتا نعم فرجع الغلام فقال للملك اني لقيت يونس فامر الملك بقتله فقال ان لي بينة
فارسلوا معي فاتى البقعة والشجرة فقال انشدكما هل اشهدكما يونس قالتا نعم فرجع القوم مذعورين
وقالوا للملك شهد له الشجرة والارض فاخذ الملك بيد الغلام واجلسه مجلسه وقال له انت احق
بهذا المكان مني فاقام لهم ذلك الغلام امرهم اربعين سنة ثم بين ان الايمان وضده كلاهما
بمشية الله تعالى وتقديره فقال وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ بحيث لا يشذ منهم
احد جَمِيعًا مجتمعين على الايمان لا يختلفون فيه أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ترتيب
الاكراه على المشية بالفاء وايلاؤها حرف الاستفهام للانكار وتقديم الضمير على الفعل للدلالة
على ان خلاف المشية مستحيل فلا يمكنه تحصيله بالاكراه عليه فضلا عن الحث والتحريص عليه
وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه كان حريصا على ان يؤمن جميع الناس
فاخبر الله تعالى انه لا يؤمن الا من سبق له من الله السعادة ولا يضل الا من سبق له الشقاوة
وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ الا بارادته ومشيته وتوفيقه فلا تجهد نفسك
في هداها فانه الى الله وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ العذاب وهو الرجس او الخذلان فانه سبب العذاب
عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ لا يستعملون عقولهم بالنظر في الحجج والآيات ثم لما بين ان الايمان
لا يحصل الا بمشيته الله تعالى وتقدس امر بالنظر والاستدلال بالدلائل السماوية والارضية حتى
لا يتوهم ان الحق هو الجبر المحض فقال قُلِ انْظُرُوا تفكروا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ من
عجائب صنعه ليدلكم على وحدته وكمال قدرته ففي السموات الشمس والقمر والنجوم وغيرها
وفي الارض الجبال والبحار والمعادن والنباتات والحيوانات وغيرها وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ
وَالنُّذُرُ الرسل عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ في علم الله وحكمه فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ يعني مشركي مكة

ثم مثل ايام الذين خلوا مضوا من قبلهم من مكذبي الامم قال قتادة يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد وثمود والعرب يسمي العذاب والنعم اياما كقوله تعالى وذكرهم بايام الله وكل ما مضى عليك من خير وشر فهو ايام قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين لذلك ثم ننجي عطف على مقدر والتقدير نهلك الامم ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا ننجي بمعنى الماضي الا انه عدل الى المضارع ليكون حكاية عن الحال الماضية كذلك حقا علينا ننجي المؤمنين انجاء كذلك ننجي محمدا وصحبه حين نهلك المشركين وحقا علينا جملة معترضة فعله مقدر قال العارفون ننجي رسلنا من مراد النفس وغلبة الشهوة وغفلة الوقت وسطوع العدو وشباب السر والذين آمنوا بالرسل بجريهم على مناهج الرسل كذلك حقا علينا انجاء من صدق في عبوديته ثم امر رسوله باظهار التباين الصريح بين طريقته وطريقة المشركين فقال قل يا ايها الناس يا اهل مكة ان كنتم في شك من ديني فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله من الاوثان التي لا تضر ولا تنفع ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم اي خالقكم الذي يوجدكم ويتوفاكم لكن خص التوفي بالذكر للتهديد والمعنى هذا خلاصة ديني اعتقادا وعملا فاعرضوها على العقل الصرف وانظروا فيها بعين الانصاف لتعلموا صحتها وامرت ان اكون من المؤمنين وان اقم وجهك للدين قال ابن عباس عملك حنيفا حال من الدين او الوجه قال الكاشف الدين ههنا محبة الله والشوق الى لقائه ومعرفة صفاته اي اقبل بوجهك الى هذه الصفات ثم اقبل بهذه الصفات جميعا وجهك بنعت الاستقامة الى مشاهدة وجهنا الازلي المنزه عن التصاوير حتى ما بقي وصل اليك انوار وجهي الذي لو سلط ذرة منها على جميع الاكوان والحدثان من العرش الى الثرى تضمحل جميعا تحت انوار سلطان بهائي وجلالي قال عليه الصلوة والسلام حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ثم حرمه من الالتفات الى غيره في اقباله فقال ولا تكونن من المشركين قال ابن عطاء صحح معرفتك ولا تكونن من الناظرين الى شيء سوى الحق فيمقتك الله ولا تدع ولا تعبد من دون الله ما لا ينفعك ان اطعته ولا يضرك ان عصيته فان فعلت فعبدت غير الله فانك اذا من الظالمين لانفسهم الواضعين العبادة في غير موضعها ثم صرح انه مبدأ الكائنات ومنتهى الحاجات لا غير فقال وان يمسسك الله بضر اي يصيبك بمشقة وبلاء فلا كاشف له الا هو فلا دافع له الا هو وان يردك بخير فلا راد فلا دافع لفضله الذي اراد ان يصيبك به بالخير من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم تعرضوا لرحمته بالطاعة ولا تيأسوا من غفرانه بالمعصية قال ابن عطاء قطع الحق على عباده طريق الرغبة والرهبة الا اليه باعلامهم انه الضار النافع قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق

من ربكم رسوله والقرآن ولم يبق لكم عذر فمن اهتدى بالايمان والمتابعة فانما يهتدي لنفسه لان نفعه لها ومن ضل بالكفر بهما فانما يضل عليها على نفسه لان وبال الضلال عليها فان ساحة الكبرياء منزهة عن معرفة العارفين وجهل الجاهلين وما انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الي امركم وانما انا بشير ونذير قال ابن عباس نسخها آية القتال واتبع ما يوحى اليك بالامتثال والتبليغ واصبر وتحمل اذيتهم حتى يحكم الله بالنصر او بالامر بالقتال وهو خير الحاكمين اذ لا يمكن الخطأ في حكمه لاطلاعه على السرائر اطلاعه على الظواهر فحكم بقتل المشركين والجزية على اهل الكتاب قال سهل اجرى الله في الخلق احكامه وايدهم على اتباعه بقدرته وفضله ودلهم على رشدهم بقوله واتبع ما يوحى اليك واصبر والصبر الابتلاء وترك تدبير النفس فيه الحياة عاجلا من رعونات النفس واجلا من حلول المخالفة

سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلث وعشرون آيات

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله قد شبت قال صلى الله عليه وسلم شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت وفي رواية هود واخواتها بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب هذا كتاب احكمت آياته قال ابن عباس لم ينسخ بكتاب كما نسخت الكتب والشرائع وان كان المراد آيات السورة فليس فيها منسوخ وقيل احكمت بالحجج والدلائل وقيل جعلت حكيمة منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما لانها مشتملة على امهات الحكم النظرية والعملية ثم فصلت بالفوائد من العقائد والاحكام والمواعظ والاخبار وجعلها سورا او بالانزال نجما نجما او فصل فيها ولخص ما يحتاج اليه من لدن حكيم خبير ان لا تعبدوا الا الله لان لا تعبدوا انني لكم منه اي من الله نذير للعاصين وبشير للمطيعين وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه استغفروا ربكم لما مضى من الشرك وغيره ثم توبوا اليه بالطاعة في المستقبل قال الكاشف استغفروا من خيانات الاسرار وتوبوا اليه لطلب الانوار بترك النظر الى الاغيار يمتعكم متاعا حسنا يعيشكم عيشا في امن وسعة قال بعضهم العيش الحسن هو الرضى بالميسور والصبر على المفقود قال الكاشف المتاع الحسن انوار المواجيد على الدوام وصفاء الاحوال وسناء الاذكار وحلاوة الافكار ونزول حقائق الكواشف وظهور لطائف المعارف والفرح برضوان الله ولين العيش في مشاهدة الله ما احسن هذا المتاع

شعر
مناي من الدنيا لقاءك مرة ... فان نلتها استوفيت كل مناياا

قال سهل المتاع الحسن هو ترك الخلق والاقبال على الحق وقال الجنيد لا شيء احسن على العبيد من ملازمة الحقيقة

وحفظ الشريعة والله وهو تفسير قوله يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى هو آخر اعماركم المقدرة ويؤت كل ذي فضل فضله يعطي كل ذي عمل صالح في الدنيا اجره وثوابه في الآخرة قال ابو العالية من كثرت طاعاته في الدنيا زادت درجاته في الجنة لان الدرجات تكون بالاعمال وقال ابن عباس رضي الله عنهما من زادت حسناته على سيئاته دخل الجنة ومن زادت سيئاته على حسناته دخل النار ومن استوت حسناته وسيئاته كان من اهل الاعراف ثم يدخلون الجنة بعد وقيل ويؤت كل ذي فضل فضله يعني من عمل لله وفقه الله فيما يستقبل على طاعته قال الكاشف يؤت فضل مشاهدته لمن له فضل معرفته ويؤت فضل وصاله لمن له فضل شوق الجمال ويؤت فضل الكرامات لمن له فضل العبادات ويؤت فضل التحقيق لمن له فضل التوفيق ويؤت فضل كفاية الابد لمن له فضل عناية الازل وان تولوا وان تتولوا فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير وهو يوم القيمة الى الله مرجعكم جميعا وهو على كل شيء قدير فيقدر على تعذيبهم اشد عذاب وكانه تقرير لكبر اليوم ثم بعد ما ذكر التولي عن الاوامر ذكر ان التولي باطنا كالتولي ظاهرا فقال الا انهم يثنون صدورهم يثنونها ويصرفونها عن الحق ويحرفون عنه من قولهم ثنى عناني او يعطفونها على الكفر وعداوة النبي ومنه ثني الثوب ليستخفوا منه من الله بسترهم فلا يطلع رسوله والمؤمنين عليه قال ابن عباس نزلت في الاخنس ابن شريق وكان رجلا حلو الكلام حلو المنظر يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يحب ويطوي بقلبه على ما يكره وقيل كان الرجل من الكفار يدخل بيته ويرخي ستره ويغشى بثوبه ويقول هل يعلم الله ما في قلبي الا حين يستغشون ثيابهم ياوون الى فراشهم ويغطون ثيابهم يعلم ما يسرون في قلوبهم وما يعلنون انه عليم بذات الصدور يستوي في علمه سرهم وعلانيتهم فكيف يخفى ما عسى يظهرونه وعن ابن عباس قال اناس كانوا يستحيون ان يتخلوا فيفضوا الى السماء وان يجامعوا نساءهم فيفضوا الى السماء فنزل ذلك فيهم ثم لما ذكر قوله تعالى وتقدس يعلم ما يسرون وما يعلنون ونبه على انه لا فائدة لهم في الاستخفاء لانه تعالى عالم بالسرائر كما انه عالم بالظواهر اكد كونه عالما بكل المعلومات بكونه كافلا لارزاق جميع الحيوانات ضامنا لمصالحها ومهماتها فضلا وامتنانا وكرما واحسانا فقال وما من دابة في الارض الدابة كل حيوان تدب على وجه الارض الا على الله رزقها غذاؤها ومعاشها لتكفله اياه تفضلا واحسانا ورحمة وانما اتى بلفظ الوجوب تحقيقا لوصوله وحملا على التوكل فيه ويعلم مستقرها ومستودعها عن ابن عباس مستقرها المكان الذي تأوي اليه وتستقر فيه ليلا ونهارا ومستودعها الذي تدفن فيه اذا ماتت وعنه برواية عطاء المستقر ارحام الامهات والمستودع الاصلاب الآباء

باقواهم

الجزء ١٣

وقيل المستقر الجنة او النار والمستودع القبر لقوله تعالى في صفة الجنة والنار حسنت مستقرا وساءت مستقرا ومقاما كل في كتاب مبين اي كل مثبت في اللوح المحفوظ قبل ان يخلقها وكانه اريد بالاية بيان كونه عالما بالمعلومات كلها وبما بعدها بيان كونه قادرا على الممكنات باسرها تقريرا للامر بالتوحيد ولما سبق من الوعد والوعيد وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام اي خلقهما وما فيهما كما مر بيانه في الاعراف وكان عرشه على الماء لم يكن بينهما حائل لا انه كان موضوعا على متن الماء عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا قد بشرتنا فاعطنا قال اقبلوا البشرى يا اهل اليمن قالوا قد قبلنا فاخبرنا عن اول هذا الامر كيف كان قال كان الله قبل كل شيء وكان عرشه على الماء وكتب في اللوح المحفوظ ذكر كل شيء قال عمران فاتاني آت فقال يا عمران انحلت ناقتك من عقالها قال فخرجت في اثرها فلا ادري ما كان بعدي رواه الامام احمد وهذا الحديث مخرج في صحيحي البخاري ومسلم بالفاظ كثيرة وعن لقيط بن عامر انه قال قلت يا رسول الله اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه قال صلى الله عليه وسلم كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق العرش بعد ذلك وعن سعيد بن جبير انه قال سئل ابن عباس رضي الله عنه عن قول الله تعالى وكان عرشه على الماء على اي شيء الماء قال على متن الريح واستدل بالاية على ان الماء اول حادث بعد العرش من اجرام هذا العالم ليبلوكم ايكم احسن عملا اي ليختبركم ويعامل معكم معاملة المختبر لاحوالكم كيف تعملون فان جملة ذلك اسباب ومواد لوجودكم ومعاشكم وما تحتاج اليه اعمالكم ودلائل وامارات تستدلون بها وتستنبطون منها والمراد بالعمل ما يعم عمل القلب والجوارح والايتعرض على الترقي وايمان في مراتب العلم والعمل ثم لما كان الابتلاء يتضمن حديث البعث اتبع ذلك قوله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين اي ما البعث او القرآن المتضمن لذكره الا كالسحر في الخديعة والبطلان ولئن اخرنا عنهم العذاب الموعود الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات قليلة ليقولن استهزاء ما يحبسه ما يمنعه من الوقوع الا يوم يأتيهم كيوم بدر ليس مصروفا عنهم ليس مدفوعا عنهم وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزءون اي العذاب الذي كانوا به يستعجلون فوضع يستهزءون موضع يستعجلون لان استعجالهم كان استهزاء ووضع وحاق موضع يحيق مبالغة في التهديد وتحقيق للاحاطة ثم لما ذكر استهزاءهم واستعجالهم للعذاب حكى ضعف حال الانسان في حالتي السراء والضراء فقال ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ولئن اعطيناه نعمة بحيث

بجحد له نعمائم ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة منه انه ليؤس كفور مبالغ في كفران ما سلف له
من النعمة ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته كصحة بعد سقم وغنى بعد عدم ليقولن ذهب
السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح بالنعم مغتر بها فخور على الناس مشغول
عن الشكر والقيام بحقها الا الذين صبروا على الضراء ايمانا بالله واستسلاما لقضائه
وعملوا الصالحات شكرا لآلائه سابقها ولاحقها اولئك لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير
اقله الجنة ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك فلا تبلغه
اياهم وذلك ان كفار مكة لما قالوا ائت بقرآن غير هذا ليس فيه سب آلهتنا هم النبي صلى
الله عليه وسلم ان يدع آلهتهم ظاهرا فانزل الله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك يعني
سب الآلهة وضائق به صدرك اي ولعلك يضيق صدرك بان تتلوه عليهم مخافة ان
يقولوا لولا انزل عليه كنز يعطيه او جاء معه ملك يصدقه قاله عبد الله ابن امية المخزومي
قال الله تعالى انما انت نذير ليس عليك الا البلاغ والله على كل شيء وكيل متوكل عليه فانه
عالم باحوالهم وفاعل بهم جزاء اقوالهم وافعالهم ام يقولون افتراه بل يقولون اختلقه
قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات مختلقات من عند انفسكم ان صح اني اختلقته من
عند نفسي فانكم عرب فصحاء مثلي تقدرون على ما اقدر عليه بل انتم اقدر لتعلمكم القصص
والاشعار وتعودكم القريض والنظم وادعوا من استطعتم من دون الله الى المعاونة
على المعارضة ان كنتم صادقين انه مفترى فان قيل قد قال في سورة يونس فاتوا بسورة
مثله وقد عجزوا عنه فكيف قالوا فاتوا بعشر سور فهو كرجل يقول لآخر اعطني درهما
فيعجز فيقول اعطني عشرة فقيل في الجواب نزلت سورة هود اولا وانكر المبرد هذا وقال
بل سورة يونس اولا وقال معنى قوله في سورة يونس فاتوا بسورة مثله اي مثله في الخبر
عن الغيب وفي الاحكام والوعد والوعيد فعجزوا فقال لهم في سورة هود ان عجزتم عن
الاتيان بسورة مثله في الاخبار والاحكام والوعد والوعيد فاتوا بعشر سور من غير وعد
ولا وعيد وانما هي مجرد البلاغة فان لم يستجيبوا لكم الضمير اما للرسول صلى الله عليه وسلم
وجمعه للتعظيم واما شامل للاصحاب ايضا فانهم كانوا ايضا يتحدونهم وللتنبيه على ان التحدي
مما يوجب رسوخ ايمانهم وقوة يقينهم فلا يغفلون عنه فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بما
لا يعلم الا الله ولا يقدر عليه سواه وان لا اله الا هو واعلموا ان لا اله الا الله لانه العالم
القادر بما لا يعلم ولا يقدر عليه غيره فهل انتم مسلمون داخلون في الاسلام بعد قيام الحجة
القاطعة وفي مثل هذا الاستفهام ايجاب بليغ لما فيه من معنى الطلب والتنبيه على قيام الموجب

وزوال العذر ثم لما رغب في الاسلام وهددهم على تركه اوعد من كان همه مقصورا على
زينة الحيوة الدنيا وكان مائلا عن الدين جهلا او عنادا فقال من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها
نزلت في كل من يعمل عملا يريد به غير الله نوف اليهم اعمالهم فيها اي نوصل اليهم اجور اعمالهم
في الدنيا بسعة الرزق ودفع المكاره وما اشبهها وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون شيئا من
اجورهم اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار في مقابلة اعمالهم لانهم استوفوا ما
تقتضيه صور اعمالهم الحسنة وبقيت لهم اوزار العزائم السيئة وحبط ما صنعوا فيها لانه
لم يبق له ثواب في الآخرة وباطل ما كانوا يعملون لانه لم يعمل على ما ينبغي واختلفوا في المعنى
بهذه الآية قال مجاهد هم اهل الرياء روينا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اخوف
ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الاصغر قال الرياء وقيل هذا في الكفار
واما المؤمن فيريد الدنيا والآخرة وارادته الآخرة غالبة فيجازى بحسناته في الدنيا ويثاب
عليها في الآخرة وروينا عن انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
لا يظلم المؤمن حسنة يثاب عليها الرزق في الدنيا ويجزى بها في الآخرة واما الكافر فيطعم
بحسناته في الدنيا حتى اذا افضى الى الآخرة لم يكن له حسنة يعطى بها خيرا ثم بين ان بين
طالب الدنيا وجدها وبين طالب السعادات الباقية تفاوتا وتباينا فقال افمن كان على بينة
من ربه برهان من الله يدل على الحق والصواب فيما ياتيه ويذره كمن يريد الحيوة الدنيا
وهو حكم يعم كل مؤمن مخلص وقيل المراد به النبي صلى الله عليه وسلم ويتلوه ويتبع ذلك البرهان
الذي هو دليل العقل في صحيح مسلم عن عياض رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يقول الله تعالى اني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت
عليهم ما احللت لهم وفي الصحيحين كل مولود يولد على الفطرة الحديث وفي السنن والمسانيد
كل مولود يولد على هذه الملة شاهد منه من الله يشهد بصحته وهو القرآن ومن قبله
قبل القرآن كتاب موسى اماما كتابا مؤتما به في الدين ورحمة على المنزل عليهم لانه الوصلة
الى الفوز بخير الدارين وقال ابن عباس وجماعة من المفسرين الشاهد جبرئيل وقيل
هو علي ابن ابي طالب رضي الله عنه قال علي ما من رجل من قريش الا وقد نزلت فيه آية
من القرآن فقال له رجل وانت اي شيء نزل فيك قال ويتلوه شاهد منه وقيل هو الانجيل اولئك
اي من كان على بينة يؤمنون به بالقرآن ومن يكفر به من الاحزاب من اهل مكة ومن
تحزب معهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالنار موعده يردها لا محالة فلا تك في مرية منه
من الموعد او القرآن انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم ...

وفكرهم ثم لما ابطل بعض عادات الكفرة من شدة حرصهم على الدنيا وذلك قوله من كان يريد
الحيوة الدنيا ومن انكارهم نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قوله افمن كان على بينة اراد
ان يبطل ما كانوا يعتقدون في اصنامهم من انها تشفع لهم فقال ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا كان اسند اليه ما لم ينزله او نفى عنه ما انزله او زعم ان له ولدا او شريكا
اولئك يعرضون على ربهم في الموقف بان يحبسوا وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد
من الملائكة الذين كانوا يحفظون اعمالهم قاله مجاهد وعن ابن عباس انهم الانبياء والرسل
وقال قتادة الخلائق كلهم روينا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله يدني المؤمن يوم القيمة فيستره من الناس فيقول اي عبدي تعرف ذنب
كذا وكذا فيقول نعم حتى اذا قرره بذنوبه قال فاني سترتها عليك في الدنيا وقد غفرتها لك
اليوم ثم يعطى كتاب حسناته واما الكافر والمنافق فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم الا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله يمنعون عن دين الله
ويبغونها عوجا ويصفونها بالانحراف عن الحق والصواب او يبغون اهلها ان يعوجوا
بالردة وهم بالآخرة هم كافرون اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين
الله في الدنيا ان يعاقبهم وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعونهم من العقاب ولكنه
اخر عقابهم الى هذا اليوم ليكون اشد وادوم يضاعف لهم العذاب يزداد في عذابهم
لاضلالهم الغير واقتداء الاتباع بهم ما كانوا يستطيعون السمع لتصامهم عن الحق وبغضهم له
وما كانوا يبصرون لتعاميهم عن آيات الله قال ابن عباس اخبر الله تعالى انه حال بين
اهل الشرك وبين طاعته في الدنيا والآخرة اما في الدنيا قال ما كانوا يستطيعون السمع واما
في الآخرة قال فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم اولئك الذين خسروا انفسهم باشتراء
عبادة الآلهة بعبادة الله وضل عنهم ما كانوا يفترون من شفاعة الاصنام لا جرم
قال الفراء لا محالة انهم في الآخرة هم الاخسرون لا احد ابين واكثر خسرانا منهم ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم قال مجاهد اطمانوا قال القاضي من
الخبت وهي الارض المطمئنة وقيل خشعوا الى ربهم قال شاه الكرماني علامة الاخبات ثلثة
الاياس مع التوبة لكثرة العود الى الذنوب وخوف الاستدراج في اسبال الستر وتوقع
العقوبة في كل وقت حذرا واسعافا من العدل وقال الاستاذ الاخبات الخشوع للقلب
بدوام الانكسار ومن علامات المخبتين الذبول تحت جريان المقادير بدوام الاستعانة
بالسر اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين الكافر والمؤمن كالاعمى والاصم

والبصير والسميع يجوز ان يحمل على تشبيه الكافر بكل من الاعمى والاصم وعلى تشبيهه بالاعمى
الاصم وتشبيه المؤمن بكل من البصير والسميع او بالبصير السميع هل يستويان هل يستوي
الفريقان مثلا صفة وحالا افلا تذكرون تتعظون بضرب الامثال والتامل فيها ثم لما اورد
على الكفار انواع الدلائل اكدها بالقصص على عادته من التفنن في الكلام والنقل من اسلوب
الى اسلوب في الموعظة فبدء بقصة نوح عليه السلام ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم
باني لكم نذير مبين ابين لكم موجبات العقاب ووجه الخلاص ان لا تعبدوا الا الله بدل
من اني لكم اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مولم وهو في الحقيقة صفة المعذب ووصف
به العذاب مجازا للمبالغة فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا لا مزية
لك علينا تخصك بالنبوة ووجوب الطاعة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا اسافلنا
والرذل الدون من كل شيء والجمع اراذل ثم جمع على اراذل مثل كلب واكلب واكالب و
يجوز ان يكون جمع ارذل كاكابر قال في سورة الشعراء واتبعك الارذلون قال عكرمة الحاكة
والاساكفة بادي الرأي قرأ ابو عمرو بادئ الرأي بالهمز اي اول الرأي يريدون انهم اتبعوك
في اول الرأي من غير روية وتفكر ولو تفكروا لما اتبعوك وقرأ الآخرون بغير همز اي ظاهر
الرأي من قولهم بدا الشيء ظهر معناه اتبعوك ظاهرا من غير ان يتدبروا ويتفكروا باطنا
وما نرى لكم لك ولمتبعيك علينا من فضل نوهلكم لاستحقاق المتابعة بل نظنكم كاذبين
اياك في دعوى النبوة واياهم في دعوى العلم بصدقك قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت
على بينة من ربي حجة شاهدة بصحة دعواي واتاني رحمة من عنده باتياء النبوة او النبيه
فعميت عليكم خفيت عليكم انلزمكموها انلزمكم البينة والرحمة ونضطركم الى معرفتها وانتم
لها كارهون لا تريدونها ولا تتاملون فيها ويا قوم لا اسالكم عليه اي على تبليغ الرسالة
مالا جعلا ان اجري الا على الله فانه المامول منه وما انا بطارد الذين آمنوا دليل على انهم
طلبوا منه طرد المؤمنين انهم ملاقوا ربهم فيخاصمون طاردهم عنده او انهم يلاقونه و
يفوزون بقربه فكيف اطردهم ولكني اريكم قوما تجهلون بلقاء ربكم او باقدارهم ويا
قوم من ينصرني من الله من يمنعني من عذاب الله ان طردتهم افلا تذكرون لتعرفوا
ان التماس طردهم ليس بصواب ولا اقول لكم عندي خزائن الله رزقه وامواله
حتى جحدتم فضلي ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني اعلم الغيب قيل انهم قالوا لنوح ان
الذين آمنوا معك انما اتبعوك في ظاهر ما ترى منهم فقال نوح مجيبا لهم لا اقول لكم عندي
خزائن الله غيوب الله الذي يعلم منها ما يضمر الناس ولا اعلم الغيب ما يسرونه في نفوسهم

فسبيلي قبول ما ظهر من ايمانهم ولا اقول اني ملك هذا جواب قولهم ما نراك الا بشرا
مثلنا ولا اقول للذين تزدري اعينكم اي تحتقر وتستصغر اعينكم يعني المومنين
وذلك انهم قالوا هم اراذلنا وفي اسناد الاحتقار الي الاعين دلالة على انه كان من
غير روية وبدون تامل في معاملتهم وكمالاتهم لن يوتيهم الله خيرا توفيقا وايمانا واجرا الله
اعلم بما في انفسهم من الخير والشر مني اني اذا لمن الظالمين لو قلت هذا قالوا يا نوح قد جادلتنا
خاصمتنا فاكثرت جدالنا فاطلته او اتيت بانواعه فاتنا بما تعدنا من العذاب ان كنت من
الصادقين في الدعوى والوعيد فان مناظرتك لا يوثر فينا قال انما ياتيكم به الله ان
شاء عاجلا او آجلا وما انتم بمعجزين بدفع العذاب او الهرب منه ولا ينفعكم نصحي
نصيحتي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم يضلكم هو ربكم خالقكم
والمتصرف فيكم وفق ارادته واليه ترجعون فيجزيكم باعمالكم ام يقولون افتراه قال
ابن عباس يعني نوحا قل ان افتريته فعلي اجرامي اي وبال جرمي واثمي وانا بريء
مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي واوحي الي نوح انه لن يومن من قومك الا
من قد آمن روى الضحاك عن ابن عباس ان قوم نوح كانوا يضربون نوحا عليه السلام حتى
يسقط فيلفونه في لبد ويلقونه في بيت ويظنون انه قد مات فيخرج اليهم في اليوم الثاني
ويدعوهم الى الله عز وجل وروى ان شيخا منهم جاء متوكا على عصاه ومعه ابنه فقال يا
بني لا يغرك هذا الشيخ المجنون فقال يا ابت امكني من العصا فاخذ العصا من ابيه فضربه
حتى شجه شجة منكرة فاوحى الله تعالى اليه انه لن يومن من قومك الا من قد آمن فلا
تبتئس اي فلا تحزن بما كانوا يفعلون فاني مهلكهم ومنقذك منهم فاقنطه الله من ايمانهم ونهاه
ان يغتم بما فعلوه من التكذيب والايذاء فحينئذ دعا نوح عليه السلام عليهم فقال رب لا
تذر على الارض من الكافرين ديارا وحكى محمد بن اسحق عن عبيد بن عمير الليثي انه
بلغه انهم كانوا يبطشون به فيخنقونه حتى يغشى عليه فاذا افاق قال رب اغفر لقومي فانهم لا
يعلمون حتى اذا تمادوا في المعصية واشتد عليه منهم البلاء وانتظر النسل بعد النسل فلا ياتي
قرن الا كان اخبث من الذي قبله حتى ان كان الآخر منهم ليقول قد كان هذا مع آبائنا واجدادنا
هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيئا فشكا الى الله فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا الى قوله
قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاوحى الله تعالى اليه واصنع الفلك باعيننا
قال ابن عباس بمرأى منا ووحينا اليك كيف تصنعها ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
اي لا تخاطبني في امهال الكفار فاني حكمت باغراقهم في القصة ان جبريل عليه السلام اتى نوحا

ملا

٧

فقال ان ربك يامرك ان تصنع الفلك قال كيف اصنع ولست بنجار قال فان ربك يقول اصنع
فانك بعيني فاخذ القدوم وجعل يصنع ولا يخطي وقيل اوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر
ويصنع الفلك فلما امره الله تعالى ان يصنع الفلك اقبل نوح على عمل الفلك ولهي عن قومه وجعل
يقطع الخشب ويضرب الحديد ويهيئ عدة الفلك من القار وغيره وجعل قومه يمرون به وهو في
عمله ويسخرون منه ويقولون يا نوح قد صرت نجارا بعد النبوة واعقم الله ارحام نسائهم
فلا يولد لهم قال ابن عباس اتخذ نوح السفينة في سنتين فكان طول السفينة ثلثمائة ذراع
وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلثة
بطون فحمل في البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام
وركب هو ومن معه البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وعن الحسن كان طولها الفي
ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة والمعروف الاول وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا
منه كانوا يقولون هذا الذي يزعم انه نبي قد صار نجارا وروى انهم كانوا يقولون له يا نوح ماذا
تصنع فيقول اصنع شيئا يمشي على الماء فيضحكون منه قال القاضي فانه كان يعملها في برية بعيدة
من الماء اوان عزته قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون اذا اخذكم الغرق في الدنيا
والحرق في الآخرة وقيل المراد بالسخرية الاستجهال فالمعنى ان تستجهلوني فاني استجهلكم اذا نزل
العذاب وقيل معناه ان تسخروا منا فسترون عاقبة سخريتكم فسوف تعلمون من ياتيه عذاب
اي ياتيه عذاب يخزيه يهينه يعني الغرق ويحل عليه حلول الدين الذي لا انفكاك له عذاب
مقيم دائم وهو عذاب النار حتى اذا جاء امرنا غاية لقوله ويصنع الفلك وفار التنور
نبع الماء فيه وارتفع كالقدر يفور والفوران الغليان اختلفوا في التنور قال الحسن
ومجاهد والشعبي انه التنور الذي يخبز فيه وهو قول اكثر المفسرين وفي رواية عطية عن ابن
عباس قال الحسن كان تنورا من حجارة كانت حواء تخبز فيه فصار الى نوح فقيل لنوح
اذا رايت الماء يفور من التنور فاركب السفينة انت واصحابك وعن علي رضي الله عنه
قال فار التنور وقت طلع الفجر ونور الصبح وعن عكرمة والزهري هو وجه الارض
وذلك انه قيل لنوح اذا رايت الماء فار على وجه الارض فاركب السفينة واختلفوا في
موضعه قال مجاهد والشعبي كان في ناحية الكوفة وكان الشعبي يحلف بالله ما فار التنور
الا من ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة في جوف مسجد الكوفة وكان التنور على يمين
الداخل مما يلي باب كندة وكان فوران الماء منه علما وقال مقاتل كان ذلك تنور آدم
عليه السلام وكان بالشام بموضع يقال له عين وردة وروي عن ابن عباس انه كان بالهند

قلنا احمل فيها في السفينة من كل قرئ من كل بالتنوين اي من كل نوع من الحيوانات
المنتفع بها زوجين اثنين ذكر وانثى واثنين على هذه القراءة تاكيد وقرئ بالاضافة كل اي بدون
على معنى احمل اثنين من كل زوجين والمراد بالزوجين ههنا الذكر والانثى والزوجان
كل اثنين لا يستغني احدهما عن الآخر يقال لكل منهما زوج يقال زوج خف وزوج نعل
وفي القصة ان نوحا عليه السلام قال يا رب كيف احمل من كل زوجين اثنين فحشر الله تعالى اليه
السباع والطير فجعل يضرب بيديه في كل جنس فيقع الذكر في يده اليمنى والانثى في يده اليسرى
فحملها في السفينة واهلك عطف على زوجين اثنين والمراد امرأته وبنوه ونساؤهم الا
من سبق عليه القول بالهلاك يعني امرأته واعلة وابنه كنعان ومن آمن يعني واحمل
من آمن بك من غيرهم وما آمن معه الا قليل واختلفوا في عددهم قال قتادة وابن جريج
ومحمد بن كعب القرظي لم يكن في السفينة الا ثمانية نفر نوح وامرأته وثلثة بنين له سام و
حام ويافث ونساؤهم وقال مجاهد كانوا ثمانية وسبعين نفرا رجلا وامرأة نوحا وامرأته
وبنيه الثلاثة ونساؤهم فجميعهم ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وعن ابن
عباس كان في سفينة نوح ثمانون رجلا احدهم جرهم وعنه اول ما حمل نوح الذرة
وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار ودخل صدره تعلق ابليس بذنبه فلم يستقل رجلاه
فجعل نوح يقول ويحك ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال نوح ويحك ادخل وان كان
الشيطان معك كلمة زلت عن لسانه فلما قالها خلى الشيطان سبيله فدخل الحمار ودخل
الشيطان معه فقال نوح ما ادخلك علي يا عدو الله فقال الم تقل ادخل وان كان الشيطان معك وكان فيما
يزعمون في ظهر الفلك وروي عن بعضهم ان الحية والعقرب اتيا نوحا فقالتا احملنا فنحن
نضمن لك ان لا نضر احدا ذكرك فمن قرأ حين خاف مضرتهما سلام على نوح في العالمين
ما ضرتاه قال الحسن لم يحمل نوح في السفينة الا ما يلد ويبيض فاما ما يتولد من الطين من
حشرات الارض كالبق والبعوض فلم يحمل منها وقال اركبوا فيها اي قال لهم نوح اركبوا في
السفينة بسم الله مجريها ومرسيها قرئ بفتح الميم من جرت ورست اي بسم الله جريها
ورسوها وهما مصدران وقرئ بضم الميمين من اجريت وارسيت اي بسم الله اجراؤها وارساؤها
ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لفرطاتكم ورحمته اياكم لما انجاكم قال الضحاك كان نوح
اذا اراد ان تجري السفينة قال بسم الله جرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله رست ففيه
التسمية عند ركوب البحر وكذلك عند الركوب على الدابة وابتداء الامور وعن ابن عباس
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال امان امتي من الغرق اذا ركبوا في السفن

ان يقولوا

ان يقولوا بسم الله الملك وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة و
السموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون بسم الله مجريها ومرسيها ان ربي
لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال اي ركبوا وهي تجري بهم في موج كالجبال و
الموج ما ارتفع من الماء اذا اشتدت عليه الريح شبهه بالجبال في عظمه وارتفاعه على الماء
ونادى نوح ابنه كنعان وكان كافرا وكان في معزل عزل فيه نفسه عن ابيه مفعل من
عزل اذا ابعد ولم يركب السفينة يا بني اركب معنا في السفينة ولا تكن مع الكافرين
فتهلك قال ابنه ساوي الى جبل يعصمني من الماء ساصير والتجئ الى جبل يحفظني من الغرق
قال نوح له لا عاصم اليوم من امر الله من عذاب الله الا من رحم قيل من في محل النصب
اي لا معصوم الا من رحمه الله على ان العاصم بمعنى ذي العصمة وحال بينهما الموج بين نوح
وابنه او بين ابنه والجبل فكان فصار من المغرقين روي ان الماء علا على رؤس الجبال
بقدر اربعين ذراعا وقيل خمسة عشر وروى انه لما كثر الماء في السكك خشيت ام صبي
عليه وكانت تحبه حبا شديدا فخرجت الى الجبل حتى بلغت ثلثه فلما بلغها الماء ارتفعت حتى
بلغت ثلثيه فلما بلغها ذهبت حتى استوت على الجبل فلما بلغ الماء رقبتها رفعت الصبي بيديها
وقيل بعد ما تناهى امر الطوفان يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نوديا بما ينادى به اولو
العلم وامرا بما يومرون تمثيلا لكمال قدرته وانقيادهما لما يشاء تكوينه فيهما الآمر المطاع الذي بامره
يامر المنقاد لحكمه المبادر الى امتثال امره بامره مهابة من عظمته وخشيته من اليم عقابه والبلع
النشف والاقلاع الامساك وغيض الماء نقص وقضي الامر وانجز ما وعد من اهلاك
الكافرين وانجاء المومنين واستوت واستقرت السفينة على الجودي جبل بالموصل
وقيل بالشام وقيل بآمل وقيل بعدا للقوم الظالمين هلاكا لهم يقال بعد بعدا وبعدا اذا
بعد بعدا بعيدا بحيث لا يرجى عوده ثم استعير للهلاك روي ان نوحا بعث الغراب لياتيه
بخبر الارض فوقع على جيفة فلم يرجع فبعث الحمامة فجاءت بورق زيتون في منقارها ولطخت
رجليها بالطين فعلم نوح ان الماء قد نضب فقيل انه دعا على الغراب بالخوف فلذلك لا يالف
البيوت وطوق الحمامة الخضرة التي في عنقها ودعا لها بالامان فمن ثم يالف البيوت وروي
ان نوحا ركب السفينة ستة اشهر ومرت بالبيت وطافت به سبعا وقد رفعه الله من
الغرق وبقي موضعه وهبطوا يوم عاشوراء فصام نوح وامر جميع من معه بالصوم شكرا
لله عز وجل وقيل ما نجا من الكفار من الغرق غير عوج ابن عنق كان الماء الى حجزته
وكان سبب نجاته ان نوحا احتاج الى خشب ساج للسفينة فلم يمكنه نقلها فحملها عوج اليه

من الشام فنجاه الله تعالى من الغرق لذلك وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وقد وعدتني ان تنجيني واهلي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ لاخلف فيه وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ لانك اعلمهم واعدلهم او لانك اكثر حكمة من ذوى الحكم على ان الحاكم من الحكمة وهذا سوال استعلام وكشف من نوح عليه السلام من حال ولده الذى غرق قال القاضى ويجوز ان يكون هذا النداء قبل غرقه قَالَ الله تعالى وتقدس يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ لقطع الولاية بين المومن والكافر واشار بقوله إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فانه تعليل لنفى كونه من اهله والاصل انه ذو عمل فاسد فجعل ذاته ذات العمل للمبالغة وبدل الفاسد بغير الصالح تصريحا بالمناقضة بين وصفيهما وانتفاء ما اوجب النجاة لمن نجا من اهله عنه فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ وذلك ان نوحا لم يعلم ان سواله ربه نجاة ولده محظور عليه مع اصراره على الكفر حتى اعلمه الله تعالى ذلك والمعنى فلا تسالنى ماليس لك به علم بجواز مسالته كذا ذكره الواحدى إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ سماه جهلا وزجره عنه لان استثناء من سبق عليه القول من اهله قد دله على الحال واغناه عن السوال لكن اشغله حب الولد عنه حتى اشتبه الامر عليه قَالَ نوح رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ فيما يستقبل مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ مالا علم لى بصحته وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وان لا تغفر لى ما فرط منى من السوال وَتَرْحَمْنِي بالتوبة والتفضل على أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ انزل من السفينه بِسَلَامٍ مِنَّا بسلامة منا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ والبركه ثبوت الخير قيل البركه ههنا هو ان الله تعالى جعل ذريته هم الباقين الى يوم القيمه وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ ناشيه ممن معك وهم المومنون قال محمد بن كعب القرظى دخل فيه كل مومن الى قيام الساعة وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ في الدنيا ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ في الآخرة وهم الكافرون واهل الشقاوه تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ اخبار الغيب نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا من قبل نزول القران فَاصْبِرْ على القيام باوامر الله وتبليغ رسالته وما تلقى من اذى الكفار كما صبر نوح إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ آخر الامر بالسعادة والنصر في الدنيا والفوز في الآخرة للمتقين عن الشرك والمعاصى قال الكاشف اى اركب مركب الصبر معى فى ظهور حقائق وجودى ولطائف آلائى فى ميادين التقوى من غيرى من العرش الى الثرى بالهمة الرفيعه فوق العلى فان العاقبه للمتقين من غيرى فى وصالى والنظر الى جلالى وجمالى قال الجنيد كشف الله لكل نبي طرفا من الغيب وكشف لنبينا صلى الله عليه وسلم ابناء الغيب وهو الغاية فى الكشف فكان مكشوفا له من الغيب ما لا يجوز ان يكون مكشوفا لاحد

من المخلوقين وذلك لعظم امانته وجلال قدره اذ الاسرار لا يكشف الا للامناء فمن كان اعظم امانة كان اعظم كشفا وَإِلَى عَادٍ اى وارسلنا الى عاد أَخَاهُمْ فى النسب لا فى الدين هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ على الله باتخاذ الاوثان شركاء وجعلها شفعاء يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ اى على تبليغ الرسالة جعلا إِنْ أَجْرِيَ ثوابى إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي خلقنى خاطب كل رسول به قومه ان احه للتهمة وتمحيصا للنصيحه فانها لا تنجح ما دامت مشوبه بالمطامع أَفَلَا تَعْقِلُونَ افلا تستعملون عقولكم فتعرفوا المحق من المبطل والصواب من الخطا وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ امنوا به والاستغفار ههنا بمعنى الايمان ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ من عبادة غيره ومن سالف ذنوبكم يُرْسِلِ السَّمَاءَ المطر عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا كثير الدر وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ ويضاعف قوتكم حبس الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين واعقم ارحام نسائهم ولم يلدن فقال لهم هود ان آمنتم ارسل الله عليكم المطر فتزدادون مالا ونعيد ارحام الامهات الى ما كانت فيلدن فتزدادون قوة بالاموال والاولاد وقيل تزدادون قوة فى الدين الى قوة فى البدن وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ولا تعرضوا عما ادعوكم اليه مصرين على اجرامكم قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ بحجة تدل على صحة دعواك وهو لفرط عنادهم وعدم اعتدادهم بما جاءهم من المعجزات وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا بتاركى عبادتهم عَنْ قَوْلِكَ صادرين عن قولك وقيل لقولك وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ بمصدقين وهو اقناط له من الاجابه والتصديق إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ ما نقول الا قولنا اعتراك اى اصابك من عراه يعروه اذا اصابه بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ بجنون وذلك انك سببت الهتنا فاصابتك بالخبل لا نحمل امرك الا على هذا قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ اجاب به عن مقالتهم بان اشهد الله تعالى على براءته من آلهتهم وفراغه عن اضرارهم وامرهم ان يشهدوا به وان يجتمعوا على الكيد فى اهلاكه من غير انظار حتى اذا اجتهدوا فيه ورأوا انهم عجزوا عن آخرهم وهم الاقوياء الاشداء ان يضروه لم يبق لهم شبهة لان آلهتهم التى هى جماد لا يضر ولا ينفع ولا يتمكن من اضراره اصلا وانه فهذا من جملة معجزاته فان مواجهة الواحد الجم الغفير الجبابرة الفتاك العطاش الى اراقة دمه بهذا الكلام ليس الا لثقته بالله وتثبطهم عن اضراره ليس الا بعصمته اياه ولذلك عقبه بقوله إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ واعتمدت عليه ووثقت بكلامه رَبِّي وَرَبِّكُمْ مالكى ومالككم لا تحصل لى ما لم يرده ولا تقدرون على ما لم يقدره ثم برهن عليه بقوله مَا مِنْ دَابَّةٍ

أجري م

إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا اى الا وهو مالك لها قادر عليها يصرفها على ما يريد بها وخص الناصيه بالذكر لان العرب تستعمل ذلك اذا وصفت انسانا بالذلة فتقول ناصية فلان بيد فلان وكانوا اذا اسروا انسانا فارادوا اطلاقه والمن عليه جزوا ناصيته ليعتدوا بذلك فخرا عليه إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ اي انه على الحق والعدل لا يضيع عنده معتصم ولا يفوته ظالم قال الواسطى فى قوله فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون غلب على هود عليه الصلوة والسلام فى ذلك الوقت حال الوصلة والقربة فنطق عن مشاهدة لا يرى سواه فما بالى بشئ ولا احزن به اذ هو فى محل الحضور ومجلس القربه وقال فى قصه لوط حين قال لو ان لى بكم قوة كان نطقه نطقا طبعيا شاهد فى ذلك حاله ووقته واشغاله بهم وقال بعضهم فى قوله تعالى ما من دابه كيف تلون وكيف يكون لك محل وانت بعين مالكك وبقائك لذلك قيل من قال انا فقد نازع العصمه فَإِنْ تَوَلَّوْا فان تتولوا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ فقد اديت فقد اديت ما على من الابلاغ والزام الحجة فلا تفريط منى ولا عذر لكم فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وعيد لهم اى ان اعرضتم يهلككم الله ويستخلف قوما آخرين فى دياركم واموالكم وَلَا تَضُرُّونَهُ بتوليكم شَيْئًا من الضرر إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ رقيب فلا يخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مجازاتكم او حافظ مستول عليه فلا يمكن ان يضره شئ قال الامام حجة الاسلام الحفيظ الحافظ جدا ولن يفهم ذلك الا بفهم معنى الحفظ وهو على وجهين احدهما ادامة وجود الموجودات وابقاءها ويضاده الاعدام والله تعالى هو الحافظ للسموات والارض والملائكة والموجودات التى يطول امد بقائها والذى لا يطول مثل الحيوانات والنباتات وغيرها الثانى وهو اظهر معنى الحفيظ صيانة المتعاديات والمتضادات بعضها عن بعض واعنى بهذا التعادى ما بين الماء والنار فانهما يتعاديان بطباعهما فاما ان يطفئ الماء النار واما ان يحيل النار الماء ان غلبته بخارا ثم هواء والتعادى والتضاد ظاهر بين الحرارة والبرودة اذ يقهر احديهما الاخرى وكذا بين الرطوبة واليبوسة وسائر الاجسام الارضية مركبه من هذه الاصول المتعاديه اذ لا بد للحيوان من حرارة غريزيه لو بطلت بطلت حيوته ولا بد له من رطوبة يكون غذاء لبدنه كالدم وما يجرى مجراه ولا بد له من يبوسة بها تتماسك اعضاؤه وخصوصا ما صلب منها كالعظام ولا بد له من برودة يكسر سورة الحرارة حتى يعتدل ولا يحرق ولا يحلل الرطوبات الباطنيه بسرعه وهذه متعاديات متنازعات وقد جمع الله تعالى بين هذه المتضادات فى اهاب الانسان وبدن الحيوانات والنبات وسائر المركبات ولو لا حفظه اياها لتباعدت تنافرت م

وبطل امتزاجها واضمحل تركيبها وبطل المعنى الذى صارت مستعدة لقبوله بالتركيب والمزاج وحفظ الله تعالى وتقدس اياها بتعديل قواها مرة وبامداد المغلوب منها ثانيا اما التعديل فهو ان يكون مبلغ قوة البارد مثل مبلغ قوة الحار فاذا اجتمعا لم يغلب احدهما الآخر بل يتدافعان اذ ليس احدهما بان يغلب اولى من ان لا يغلب فيتقاومان ويبقى قوام المركب بتقاومهما وتعادلهما وهو الذى نعبر عنه باعتدال المزاج والثانى امداد المغلوب منهما بما يعيد قوته حتى تقاوم الغالب ومثاله ان الحرارة تفنى الرطوبة وتجففها لا محالة فاذا غلبت ضعفت البرودة والرطوبة وغلبت الحرارة واليبوسة ويكون امداد الضعيف بالجسم البارد الرطب وهو الماء ومعنى العطش هو الحاجة الى البارد الرطب فخلق الله سبحانه وتعالى البارد الرطب مددا للبرودة والرطوبه اذا غلبتا وخلق الاطعمه والادويه وسائر الجواهر المتضادة حتى اذا غلب شئ عورض بضده فانقهر وهذا هو الامداد واتمام ذلك بخلق الله الاطعمه والادويه وخلق الآلات المصلحة لها وخلق المعرفه الهادية الى استعمالها وكل ذلك بحفظ ابدان الحيوانات والمركبات من المتضادات وهذه فى الاسباب التى تحفظ الانسان من الهلاك الداخل وهو ايضا متعرض للهلاك من اسباب خارجه كسباع ضارية واعداء منازعة فحفظه عن ذلك بما خلق الله له من الجواسيس المنذرة بقرب العدو وهو طلائع كالعين والاذن وغيرهما ثم خلق الله تعالى اليد الباطشه والاسلحه الدافعة كالدرع والترس والقاطعة كالسيف والرمح والسكين ثم ربما يعجز عن الدفع مع ذلك فامده بآلة الهرب وهى الرجل للحيوان الماشى والجناح للطائر ولذلك شمل حفظه جلت قدرته كل ذرة فى ملكوت السموات والارض حتى الحشيش الذى ينبت من الارض يحفظ لبابه بالقشر الصلب وطراوته بالرطوبه وما لا يحفظ بمجرد القشر يحفظه بالشوك النابت منه ليندفع به بعض الحيوانات المتلفه له فالشوك سلاح للنبات كالقرون والمخالب والانياب للحيوانات بل كل قطرة من ماء فلها حافظ يحفظها عن الهواء المضاد لها فان الماء اذا جعل فى اناء وترك مدة استحال هواء وسلب الهواء صفة المائيه عنه ولو غمست الاصبع فى ماء ورفعتها وبكستها تحلبت منها قطرة ماء تبقى متمسكة لا تنفصل مع ان من شأنها الهوى الى اسفل ولكنها لو انفصلت وهى صغيرة استولى الهوى عليها واحالها ولا تزال تكثر متدليه حتى يجتمع اليها بقية البلل ويكثر القطرة فتستولى على خرق الهواء بسرعة ولا يستولى الهواء على احالتها وليس ذلك منها حفظا لنفسها وانما ذلك حفظه من ملك موكل بها بواسطة معنى متمكن فى ذاتها وقد جاء فى الخبر انه لا ينزل قطرة من المطر الا ومعها ملك يحفظها الى ان تصل الى مستقرها من الارض وذلك حق والمشاهدة الباطنه لارباب البصائر قد دلت عليه

وارشدت اليه فآمنوا بالخبر لا عن التقليد بل عن البصيرة والكلام في حفظ الله السموات
والارض وما بينهما طويل كما في ساير الافعال وبه تعرف معنى هذا الاسم لا بمعرفة الاشتقاق
في اللغة وتوهم معنى الحفظ على الاجمال والحفيظ من العباد من يحفظ جوارحه وقلبه عن
سطوة الغضب وصلابة الشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان فانه على جرف هار
وقد اكتنفه هذه المهلكات المفضية الى البوار وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا عذابنا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ
آمَنُوا مَعَهُ وكانوا اربعة آلاف بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ تكرير لبيان ما نجيهم
عنه وهو السموم الريح التي ما يمر بشيء الا جعلته كالرميم او المراد به تنجيتهم من عذاب الآخرة
ايضا والتعريض بان المهلكين كما عذبوا في الدنيا بالسموم فهم معذبون في الآخرة بالعذاب
الغليظ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ يعني هودا وحده وذكره بلفظ الجمع
لان من كذب رسولا كان كمن كذب جميع الرسل وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ اي واتبع السفلة
اهل الكبر والعناد من كبرائهم والجبار المتكبر والعنيد الذي لا يقبل الحق يقال عند الرجل
يعند عنودا اذا ابى ان يقبل الشيء وان عرفه وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
اي جعلت اللعنة وهي الابعاد والطرد عن الرحمة تابعة لهم في الدارين تكبهم في العذاب ١
أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ دعا عليهم بالهلاك والمراد به الدلالة على انهم كانوا إنّ م
مستوجبين لما نزل عليهم بسبب ما حكى عنهم والبعد معنيان احدهما ضد القرب يقال منه
بَعُدَ يبعُد بُعدا والآخر الهلاك يقال منه بَعِدَ يَبعِد بُعدا وبَعَدًا قَوْمِ هُودٍ عطف بيان
لعاد وفايدته تمييزهم عن عاد الثانية عاد ارم والايماء ان استحقاقهم للبعد بما جرى
بينهم وبين هود وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ في النسب صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ
إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ هو كونكم لا غيره وانه خلق آدم ومواد النطف التي
خلق نسله منها من التراب وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا عمركم فيها واستبقاكم من العمر وقال الضحاك
حتى كان الواحد منهم يعيش ثلثمائة سنة الى الف سنة وكذلك قوم عاد او اقدركم
على عمارتها وامركم بها وقال قتادة اسكنكم فيها فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ
قريب الرحمة مُجِيبٌ لداعيه قال حجة الاسلام الذي يقابل مسألة السايل بالاسعاف المجيب م
ودعاء الداعين بالاجابة وضرورة المضطرين بالكفاية بل ينعم قبل النداء ويتفضل قبل الدعاء
وليس ذلك الا الله تعالى فانه يعلم حاجة المحتاجين قبل سوالهم وقد علمها في الازل فدبر
اسباب كفاية الحاجات بخلق الاطعمة والاقوات وتيسير الاسباب والآلات الموصلة الى
الحج المهمات بنسبه العبد ينبغي ان يكون مجيبا اولا لربه فيما امره به ونهاه عنه وفيما

ندبه اليه ودعاه ثم لعباد الله فيما انعم الله عليه بالاقتدار عليه وفي اسعاف كل سائل بما
سأله ان قدر عليه وفي لطف الجواب ان عجز عنه قال الله تعالى واما السائل فلا تنهر
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت ولو اهدي الي ذراع لقبلت
وكان حضوره الدعوات وقبوله الهدايا غاية الاكرام منه فكم خسيس متكبر يمتنع عن قبول
كل هدية ولا يتبذل في حضور كل دعوة بل يصون كبره وجاهه ولا يبالي بقلب السائل
المستدعي وان تأذى بسببه فلاحظ لمثله في معنى هذا الاسم قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا
مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا لما نرى فيك من مخايل الرشد والسداد ان تكون لنا سيدا او مستشارا في
الامور او ان توافقنا في الدين فلما سمعنا هذا القول منك انقطع رجاؤنا عنك أَتَنْهَانَا
أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ موقع في الريبة قَالَ يَا قَوْمِ
أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي بيان وبصيرة وحرف الشك باعتبار المخاطبين وَ
آتَانِي مِنْهُ رَحْمَةً نبوة فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ فمن يمنعني من عذابه إِنْ عَصَيْتُهُ في تبليغ
الرسالة والمنع عن الاشراك به فَمَا تَزِيدُونَنِي اذن باستتباعكم اياي غَيْرَ تَخْسِيرٍ غير ان
تخسروني بابطال ما منحني الله به والتعرض لعذابه او فما تزيدونني بما تقولون لي غير ان
انسبكم الى الخسران وَإِلَى هذا الوجه اشار ابن عباس رضي الله عنهما وقال معناه غير بصارة
في خسارتكم وبه صرح الحسين بن الفضل وَيَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً وذلك ان
قومه طلبوا منه ان يخرج ناقة عشراء من هذه الصخرة واشاروا الى صخرة فدعا صالح فخرجت
ناقة عشراء وولدت ولدا في الحال مثلها فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ
فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ عاجل لا يتراخى عن مسكم لها بالسوء الا يسيرا فَعَقَرُوهَا فَقَالَ
لهم صالح تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ بدياركم او في داركم الدنيا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ روي انه قال لهم ياتيكم بعد
ثلثة ايام فيصبح اليوم الاول وجوهكم مصفرة وفي اليوم الثاني محمرة وفي اليوم الثالث مسودة
فكان كما قال واتاهم العذاب اليوم الرابع ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ اي غير مكذوب فيه
او على المجاز كان الوعد اذا وفي به فقد صدق ولم يكذب او المكذوب مصدر كالمجلود
اي غير كذب فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ
اي من عذابه وهوانه إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ القادر على كل شيء والغالب عليه
وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ وقد سبق تفسير ذلك في سورة الاعراف قيل اتتهم
صيحة من السماء فيها صوت كل شيء وصوت كل صاعقة في الارض فتقطعت قلوبهم
في صدورهم قال الامام الصيحة التي سمعوها من جانب السماء اما بواسطة جبريل

عليه السلام واما لا بواسطة احد انها في سحاب مع برق شديد محرق وانما تصير الصيحة سببا للهلاك
لان التموج الشديد في الهواء يوجب تأذي صماخ الانسان وقد يمزق غشاء الدماغ بذلك
والاعراض النفسانية ايضا اذا قويت اوجبت الموت فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ صرعى
هلكى كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا لم يقيموا ولم يكونوا فيها أَلَا إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِثَمُودَ
التنوين بالنظر الى انه اسم مذكر مثل الحي او الاب الاكبر وعدم التنوين بالنظر الى انه اسم
القبيلة وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ واختلفوا في عددهم فقال ابن عباس وعطاء كانوا ثلثة
جبريل وميكائيل واسرافيل وقال الضحاك كانوا تسعة وقال مقاتل كانوا اثني عشر وقال محمد بن كعب
كان جبريل ومن معه سبعة وقال السدي كانوا احد عشر ملكا على صورة الغلمان الوضاء وجوههم
بِالْبُشْرَى بالبشارة باسحق ويعقوب وقيل باهلاك قوم لوط قَالُوا سَلَامًا سلمنا عليك سلاما
قَالَ سَلَامٌ اي جوابي سلام دفعه اجابة باحسن من تحيتهم فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ
اي فما ابطأ المجيء به والحنيذ المحنوذ وهو المشوي على الحجارة في خد من الارض وقيل الذي
يقطر ودكه من حنذت الفرس اذا عرقته بالجلال لقوله تعالى بعجل سمين قال قتادة كان
عامة مال ابرهيم عليه السلام البقر فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ اي الى العجل ولا يمدون ايديهم
اليه نَكِرَهُمْ اي انكرهم وَأَوْجَسَ اضمر مِنْهُمْ خِيفَةً خوفا قال مقاتل وقع في قلبه واصل
الوجوس الدخول كان الخوف دخل في قلبه قال قتادة وذلك انهم كانوا اذا نزل بهم ضيف فلم
ياكل من طعامهم ظنوا انه لم يات بخير وانما جاء بشر قَالُوا لَا تَخَفْ يا ابرهيم إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ
لُوطٍ انا ملائكة مرسلة اليهم بالعذاب وانما لم نمد اليه ايدينا لانا لا ناكل وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ
سارة بنت هاران بن ناحور وهي ابنة عم ابرهيم قائمة من وراء الستر تسمع كلامهم وقيل
كانت قائمة تخدم الرسل وابرهيم جالس معهم فَضَحِكَتْ لزوال الخوف عنها وعن ابرهيم
حين قالوا لا تخف وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مجاهد
وعكرمة ضحكت اي حاضت في الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اي حاضت فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ
وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ اي من بعد اسحق يعقوب واراد به ولد الولد فبشرت انها
تعيش حتى ترى ولد الولد قَالَتْ يَا وَيْلَتَى يا عجبا اصله في الشر فاطلق في كل امر فظيع أَأَلِدُ
وَأَنَا عَجُوزٌ قال ابن اسحق كانت ابنة تسعين سنة وقال مجاهد تسعة وتسعين سنة
وَهَذَا بَعْلِي زوجي واصله القائم بالامر شَيْخًا قال مجاهد كان سن ابرهيم عليه السلام مائة
سنة وقال ابن اسحق مائة وعشرين وكان بين البشارة والولادة سنة إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ
يعني الولد من هرمين وهو استعجاب من حيث العادة دون القدرة قَالُوا الملائكة أَتَعْجَبِينَ

مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وخوارق العادات بالنسبة الى اهل بيت
النبوة ومهبط المحراب ليس ببديع عجيب إِنَّهُ حَمِيدٌ فاعل ما يستوجب به الحمد مَجِيدٌ كثير
الاحسان واصل المجد الرفعة فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ الخوف وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى باسحق
ويعقوب بدل الروع يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ يكلمنا لان ابرهيم لا يجادل ربه انما يسأله ويطلب
اليه وقال عامة اهل التفسير معناه يجادل رسلنا وكانت مجادلته انه قال للملائكة ارأيتم لو كان
في مداين لوط خمسون من المؤمنين اتهلكونهم قالوا لا قال اربعون قالوا لا قال او ثلثون قالوا لا
حتى بلغ خمسة قالوا لا قال ارأيتم لو كان فيها واحد مسلم قالوا لا قال ابرهيم عليه السلام عند ذلك ان
فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله الا امرأته كانت من الغابرين إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ
غير عجول على الانتقام من المسيء به أَوَّاهٌ كثير التأوه من الذنوب والتأسف على الناس مُنِيبٌ
راجع الى الله والمقصود من ذلك بيان الحامل له على المجادلة وهو رقة قلبه وفرط رحمته قال
ابن جريج كان في قرى لوط اربعة آلاف الف قال الكاشفي حليم بانه كان لا يدعو على قومه
بل قال فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وتأوهه رقة قلبه مع عبرة
عينيه من الشوق الى جمال ربه وهكذا وصف العاشقين التأوه والزفرات والشهقة
والغليات والصيحة والعبرات منيب حين اناب الى كشف قدمه وقرار حظاير قدسه
وجمال انسه من رؤية شواهد ملكوته حيث قال اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي و
مجادلته كمال الانبساط لم يكن جاهلا ولكن كان مشفقا بارا بما راى من مكانه بنفسه في محل
الخلة والاصطفائية القديمة وهو تعالى يحب غضب العارفين وتغيظ المحبين ومجادلة
الصديقين وانبساط العاشقين حتى يجيبهم على ذلك الا ترى كيف وصف الله تعالى انبساط
كليمه بقوله تعالى ان هي الا فتنتك ولا يجوز الانبساط الا لمن كان على وصفهم يَا إِبْرَاهِيمُ
على ارادة القول اي قالت الملائكة يا ابرهيم أَعْرِضْ عَنْ هَذَا المقال ودع الجدال إِنَّهُ قَدْ
جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ حكمه وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ غير مصروف عنهم بجدال ولا دعاء
ولا غير ذلك وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا يعني هؤلاء الملائكة لُوطًا على صورة غلمان مرد حسان الوجوه
سِيءَ بِهِمْ اي حزن لوط بمجيئهم يقال سؤته فسيء كما يقال سررته فسر وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا
اي قلبا والمعنى ضاق بمكانهم قلبه وكناية عن شدة الانقباض للعجز عن مدافعة المكروه و
الاحتيال فيه وذلك ان لوطا لما نظر الى حسن وجوههم وطيب روائحهم اشفق عليهم من
قومه ان يقصدوهم بالفاحشة وعلم انه سيحتاج المدافعة عنهم وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ
شديد من عصبه اذا شده قال قتادة والسدي خرجت الملائكة من عند ابرهيم عليه السلام

نحو قريه لوط فاتوا لوطاً نصف النهار وهو في ارض له يعمل فيها وقيل انه كان يحتطب وقد
قال الله لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فاستضافوه فانطلق بهم فلما
مضى ساعة قال لهم ما بلغكم من امر هذه القريه قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قريه
في الارض عملاً يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه عليه منزله وقيل انه حمل الحطب وتبعه
الملائكة فمر على جماعة من قومه فغمزوا فيما بينهم فقال لوط ان قومي شر خلق الله ثم مر على قوم
آخرين فغمزوا فقال مثله ثم مر بقوم آخرين ففعلوا مثله فكان كلما قال لوط هذا القول قال جبرئيل
عليه السلام للملائكة حتى اتى قومه وقد روي ان الملائكة جاوا الى بيت لوط عليه السلام فوجدوه في
داره ولم يعلم بذلك احد الا اهل بيت لوط فخرجت امراته فاخبرت قومها وقالت ان في بيت
لوط رجالاً ما رايت مثل وجوههم قط وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون اليه قال ابن عباس
كانهم يدفعون دفعاً لطلب الفاحشة من اضيافه ومن قبل كانوا يعملون السيئات الفواحش
فتمرنوا بها ولم يستحيوا منها حتى جاوا يهرعون لها مجاهرين قال يا قوم هؤلاء بناتي هن
اطهر لكم بالتزويج وفي اضافه بناته وكان في ذلك الوقت تزويج المسلمة من الكافر جايزا
كما زوج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته من عتبه ابن ابي لهب وابي العاص بن الربيع قبل
الوحي وكانا كافرين قال مجاهد وسعيد بن جبير المراد بالبنات النساء واضاف الى نفسه لان
كل نبي ابو امته وفي قراءة ابي بن كعب النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه امهاتهم
وهو اب لهم وقيل ذكر ذلك على سبيل الدفع لا على التحقيق فلم يرضوا هذا فاتقوا الله بترك
الفواحش ولا تخزون في ضيفي ولا تفضحوني في شانهم فان اخزاء ضيف الرجل اخزاؤه اليس
منكم رجل رشيد يهتدي الى الحق ويرعوي عن القبيح قال ابن اسحق رجل يامر بالمعروف
وينهى عن المنكر قالوا لقد علمت يا لوط ما لنا في بناتك من حق ما لنا فيهن من حاجة شهوة
وانك لتعلم ما نريد من اتيان الرجال قال لو ان لي بكم قوة لو قويت بنفسي على دفعكم او اوي
الى ركن شديد اي انضم الى قوي امتنع به عنكم شبهه بركن الجبل في شدته وجواب لو
محذوف اي لقاتلنا كم وحلنا بينكم وبينهم قال ابو هريره رضي الله عنه ما بعث الله بعده نبياً
الا في منعه من عشيرته وفي الصحيح عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للوط
ان كان لياوي الى ركن شديد قال ابن عباس واهل التفسير اغلق لوط بابه والملائكه
معه في الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الجدار فلما راى
الملائكة ما يلقى لوط بسببهم قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك لن يصلوا الى اضرارك
باضرارنا فهون عليك ودعنا واياهم فخلاهم ان يدخلوا فضرب جبرئيل بجناحه وجوههم

فطمس اعينهم واعماهم فخرجوا يقولون النجا النجا فان في بيت لوط سحرة فاسر باهلك
قال الكاشف لما راى لوط عليه السلام نفسه في منازل الابتلاء والامتحان وراى ابواب المكاشفات
والواردات والمشاهدات مسدودة ولم ير نفسه الا في محل الخوف ورقيه المكر وخشية العظمة
قال لو ان لي في هذه الساعة اتصافا بصفة القدرة الازلية كما كان حالي قبل هذا الامتحان لدفعتكم
عن الكفر والمعصية او آوي الى ركن شديد اي لو كشف لي حاشيه من حواشي قوام القدم
ادى الى هلاك واستريح من رؤيتكم او دعوتكم قال ابن عطاء لو ان المعرفة بيدي لاوصلتها
اليكم فاسر باهلك قرئ بقطع الهمزة من الاسراء وقرئ بوصلها من السرى بقطع من الليل
قال ابن عباس رضي الله عنهما بطائفة ولا يلتفت منكم احد لا ينظر الى ورائه او لا يتخلف
الا امراتك استثناء من قوله فاسر باهلك اي فاسر باهلك الا امراتك فلا تسر بها وخلفها في قومها
فان هواها لهم ويدل عليه قراءة ابن مسعود فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك ولا يلتفت
منكم احد هذا على تقدير نصب امراتك واما على قراءة الرفع فهي بدل من احد اي لا يتخلف احد
الا امراتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح كانه علة الامر بالاسراء اي موعد هلاكهم
وقت الصبح قال لوط اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب قال الكاشف كانه سارع
الى مكان التخلص من بين الضلال واراد ان يرجع الى قرب الله ومشاهدته ويستريح من
رؤيته الاضداد لان رؤيته الاضداد لا يحتمل الروح حكي عن السري انه قال قلوب
الابرار لا يحتمل الانتظار فلما جاء امرنا به جعلنا عاليها سافلها وذلك ان جبرئيل عند طلوع
الشمس ادخل جناحه تحتها حتى قلعها وصعدها الى السماء ثم قلبها الى الارض قال محمد بن كعب
القرظي كانت قرى قوم لوط خمسا سدوم وهي العظمى وصنعه وصعوه وعمره ودوما وامطرنا
عليها على المدن بعد قلبها او على مسافريها وشذاذها حجارة من سجيل قال ابن عباس و
سعيد ابن جبير سنك وكل فارسيه معربه وقال قتاده وعكرمه السجيل الطين دليله قوله تعالى
لنرسل عليهم حجارة من طين قال مجاهد اولها حجارة واخرها طين قال الحسن كان اصل الحجارة
طينا منضود قال ابن عباس رضي الله عنهما متتابع يتبع بعضه بعضا من النضد وهو وضع الشي
بعضه فوق بعض مسومة نعت الحجارة ومعناها معلمه قال ابن جريج عليها سيما لا تشاكل
حجارة الارض وقال قتادة وعكرمة عليها خطوط حمر على هيئة الجزع وقال الحسن والسدي
كانت مختومة عليها امثال الخواتيم وقيل مكتوب على كل حجر اسم من رمى به عند ربك في
خزائنه وما هي يعني تلك الحجارة من الظالمين مشركي مكة ببعيد وقال قتادة وعكرمة يعني
ظالمي هذه الامة والله ما اجار الله منها ظالما بعد وفي بعض الاثار ما من ظالم الا وهو بعرض

حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة روي ان الحجر اتبع شذاذهم ومسافريهم اين كانوا
في البلاد ودخل رجل منهم الحرم وكان الحجر معلقا في السماء اربعين يوما حتى خرج فاصابه
واهلكه في السنن عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وذهب الى قتل
اللايط محصنا كان او غير محصن جماعة من العلماء منهم الشافعي في احد قوليه والاصح عنه
ان حكمه حكم الزاني وذهب الامام ابو حنيفه رضي الله عنه الى انه يلقى من شاهق
ويتبع بالحجارة كما فعل الله تعالى بقوم لوط والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب قال محمد بن
الفضل في قوله تعالى وما هي من الظالمين ببعيد ما اصاب قوم لوط ما اصابهم الا بالتهاون
بالامر وقلة المبالاة وارتكاب المحارم بالتاويلات قال الله تعالى وما هي من الظالمين ببعيد
اي ما العذاب ممن عملوا ما عملوا من تخطي الشرع والتهاون بالامر وارتكاب المناهي بالتاويلات
ببعيد والى مدين اي وارسلنا الى اولاد مدين ابن ابرهيم عليه السلام او اهل مدين
وهو بلد بناه فسمي باسمه اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا
المكيال والميزان امرهم بالتوحيد اولا فانه ملاك الامر ثم نهاهم عما اعتادوه من البخس
والتطفيف المنافي للعدل المخل بحكمة التعاوض فانهم كانوا يطففون مع شركهم اني اراكم
بخير قال ابن عباس موسرين في نعمة قال مجاهد في خصب وسعة يحذرهم زوال النعمة
وغلاء الاسعار وحلول النقمة ان لم يتوبوا واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط لا يشذ
منه احد قال بعض العارفين اقرب حال الى الاستدراج ايام الامن والدعة وتواتر
النعم عليك وتواتر الخيرات عندك الا ترى الله تعالى حاكيا عن بعض انبيائه لامته اني
اراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط وقال بعضهم اني اريكم بخير اي بنعمة من
الله واني اخاف عليكم تقصيركم في شكر النعمة ويا قوم اوفوا المكيال والميزان صرح بالامر
بالايفاء بعد النهي عن ضده مبالغة وتنبيها على انه لا يكفيهم الكف عن تعمد التطفيف بل يلزمهم
السعي في الايفاء بالقسط بالعدل ولا تبخسوا ولا تنقصوا الناس اشياءهم تعميم بعد تخصيص
وكذا قوله تعالى ولا تعثوا في الارض مفسدين فان العثو يعم تنقيص الحقوق وغيره من
انواع الفساد وقيل المراد بالبخس المكس كاخذ العشور في المعاملات والعثو السرقه وقطع
الطريق والغارة وفائدة قوله مفسدين اخراج ما يقصد به الاصلاح كما فعله الخضر عليه السلام
وقيل معناه ولا تعثوا في الارض مفسدين امر دينكم ومصالح آخرتكم بقيت الله خير لكم
ان كنتم مومنين قال ابن عباس يعني ما ابقى الله لكم من الحلال بعد ايفاء الكيل والوزن

خير مما ياخذونه بالتطفيف قال مجاهد بقيت الله اي طاعة الله وما انا عليكم بحفيظ
احفظكم عن القبايح وانما انا ناصح مبلغ وقد اعذرت حين انذرت قالوا يا شعيب اصلوتك
تامرك ان نترك اي تامرك بتكليف ان نترك فحذف المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل
غيره ما يعبد اباؤنا من الاصنام اجابوا به امرهم بالتوحيد على الاستهزاء والتهكم بصلوته
والاشعار بان مثله لا يدعو اليه داع عقلي وانما يدعو اليه وسواس من جنس ما يواظب
عليه قال ابن عباس كان شعيب كثير الصلوة لذلك قالوا هذا او ان نفعل في اموالنا ما
نشاء اي او ان نترك ان نفعل في اموالنا ما نشاء من الزيادة والنقصان وقيل كان شعيب
نهاهم عن قطع الدنانير والدراهم وقال انه محرم عليهم فقالوا او ان نفعل في اموالنا
ما نشاء من قطعها انك لانت الحليم الرشيد قال ابن عباس ارادوا السفيه الغوي يعني هو
استعارة تهكمية استعير الضد للضد تهكما وقيل معناه انك يا شعيب فينا حليم رشيد لا يجمل بك
شق عصا قومك ومخالفة دينهم كما قال قوم صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا قال بعض الاعلام
الرشيد هو الذي ساق تدبيراته الى غاياتها على سنن السداد من غير اشارة مشير وتسديد
مسدد وارشاد مرشد وهو الله تعالى ويرشد كل احد بقدر هدايته في تدبيراته الى سبل
الصواب من مصالحه في دينه ودنياه قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي اشارة الى
ما آتاه الله من العلم والنبوة ورزقني منه رزقا حسنا اشارة الى ما آتاه الله من المال الحلال
قيل كان شعيب كثير المال وجواب الشرط محذوف تقديره فهل يسع لي مع هذا الانعام الجامع
للسعادات الروحانيه والجسمانيه ان اخالفه في امره ونهيه واخون في وحيه وهو اعتذار
عما انكروا عليه من تغيير المالوف والنهي عن دين الآباء وما اريد ان اخالفكم الى ما
انهيكم عنه اي وما اريد ان آتي ما انهيكم عنه اي لست انهاكم عن شي وادخل فيه وانما
اختار لكم ما اختار لنفسي يقول خالفني صاحبي الى الماء اي ذهب واراد وانا صادر و
خالفني عنه بعكسه قال ابو عثمان ليس بواعظ من كان واعظا بلسانه دون عمله وتصديقه
الاية ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي
الا بالله التوفيق تسهيل سبيل الخير والطاعة عليه توكلت اعتمدت فانه القادر المتمكن
من كل شي وما عداه عاجز في حد ذاته بل معدوم ساقط عن درجة الاعتبار وفيه اشارة
الى التوحيد الذي هو اقصى مراتب العلم بالمبدا قال الجنيد التوكل ان لا تظهر فيك انزعاج
الى الاسباب مع شدة الفاقة ولا يزول عن حقيقة السكون الى الحق مع وقوفك عليها
واليه انيب ارجع في المعاد فهو اشارة الى معرفة المعاد ويا قوم لا يجرمنكم لا يكسبنكم

ولا يحملنكم شقاقي خلافي و معاداتي ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم
هود من الريح او قوم صالح من الصيحة و الرجفة وما قوم لوط منكم ببعيد وذلك انهم
كانوا جيران قوم لوط وقيل انهم كانوا حدثي بهلاك قوم لوط اي فان لم تعتبروا بمن قبلهم
فاعتبروا بهم او ليسوا ببعيد منكم في الكفر و المساوي فلا يبعد عنكم ما اصابهم واستغفروا
ربكم ثم توبوا اليه عما انتم عليه ان ربي رحيم للتائبين ودود فاعل بهم من اللطف والاحسان
ما يفعل البليغ المودة بمن يوده وهو وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قال محمد بن
الفضل من لم يكن ميراث استغفاره تصحيح توبته كان كاذبا في استغفاره قالوا يا شعيب ما
نفقه كثيرا ما نفهم كثيرا مما تقول من التوحيد والبعث والنشور وذلك لقصور عقلهم
وعدم تفكرهم او لانهم لم يلقوا اليه اذهانهم لشدة نفرتهم عنه وقيل قالوا ذلك استهانة بكلامه
في الخبر ان شعيبا كان خطيب الانبياء عليهم السلام وانا لنريك فينا ضعيفا لا قوة لك فتمتنع
منا ان اردنا بك سوءا وقيل ضعيف البصر قال سعيد بن جبير والثوري كان ضرير البصر
ولولا رهطك قومك وعزتهم عندنا لكونهم على ملتنا لا لخوف من شوكتهم فان الرهط من
الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة لرجمناك لقتلناك بالرجم افظع القتل وما انت علينا بعزيز
فيمنعنا عزك عن الرجم وهذا ديدن السفيه المحجوج يقابل الحجج والايات بالسب والتهديد
قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله ربدا مع عليكم من الله كانه يقول حفظكم اياي
في الله اولى منه في رهطي واتخذتموه وراءكم ظهريا وجعلتموه كالمنسي المنبوذ وراء الظهر
باشراككم به والاهانة برسوله فلا تبقون على الله وتبقون على رهطي والظهري منسوب
الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ان ربي بما تعملون محيط فلا يخفى عليه شيء منها
فيجازي عليها ويا قوم اعملوا على مكانتكم اي على قوتكم وتمكنكم يقال فلان يعمل على
مكانته اذا اعمل على قوته وتمكن اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه
يفضحه ويذله وسبق مثله في سورة الانعام والفاء في فسوف تعلمون ثم للتصريح بان
الاصرار والتمكن فيما عليه سبب لذلك وحذفها هنا لانه جواب سائل قال فماذا يكون بعد
ذلك ومن هو كاذب عطف على من ياتيه والمعنى سوف تعلمون من المعذب والكاذب
مني ومنكم وارتقبوا وانتظروا ما اقول لكم اني معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا
والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة اتتهم صيحة من السماء فاهلكوا
فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين واصل الجثوم اللزوم في المكان كان لم يغنوا فيها
كان لم يقيموا ويكونوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود هلكت ثمود شبههم بهم لان

عذابهم

عذابهم كان ايضا بالصيحة ولقد ارسلنا موسى باياتنا بالتورية او المعجزات وسلطان
مبين هو المعجزات القاهرة فالاية تعم الامارة والدليل القاطع والسلطان تخص القاطع و
المبين تخص بما فيه جلاء الى فرعون وملائه فاتبعوا امر فرعون بالكفر بموسى
وما امر فرعون برشيد ذي رشد وانما هو غي محض وضلال صريح يقدم قومه
يوم القيمة الى النار كما كان يقدمهم في الدنيا الى الضلال يقال قدم بمعنى تقدم فاوردهم
النار ذكر بلفظ الماضي مبالغة في تحقيقه شبه النار بالماء فقيل اوردهم وبئس الورد
المورود المدخل المدخول والاية كالدليل على قوله وما امر فرعون برشيد واتبعوا في هذه
لعنة يعني الغرق ويوم القيمة ولعنة يوم القيمة عذاب جهنم بئس الرفد المرفود
والمخصوص بالذم محذوف اي رفدهم وهو اللعنة بعد اللعنة والرفد العون والمرفود
المعان فاللعنة في الدنيا رفدت باللعنة في الاخرة ذلك النباء من انباء القرى نقصه
عليك منها قائم من تلك القرى قائم عامر باق كالزرع القائم وحصيد ومنها خراب عافي الاثر
كالزرع المحصود وقال مقاتل القائم يرى له اثر وحصيد لا يرى له اثر وما ظلمناهم
بالعذاب والاهلاك ولكن ظلموا انفسهم بالكفر والمعاصي فما اغنت عنهم فما نفعتهم
وما دفعت عنهم الهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك حين جاءهم
عذابه ونقمته وما زادوهم غير تتبيب هلاك وخسار وكذلك وهكذا اخذ ربك
اذا اخذ القرى اي اهلها وقرئ اذ لان المعنى على المضي وهي ظالمة ان اخذه اليم
شديد عن ابي موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليملي للظالم
حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرأ وكذلك اخذ ربك اذا اخذ القرى وهي ظالمة ان
اخذه اليم شديد متفق عليه وفي قوله تعالى وهي ظالمة اشعار بانهم اخذوا لظلمهم و
انذار كل ظالم ظلم نفسه او غيره من وخامة العاقبة قال ابو بكر الوراق اذا سخط الله
على قوم اكثر عليهم نعمه وانساهم شكره ونزع عن قلوبهم التوفيق وتركهم سدى
حتى اغرقوا في المعاصي فاستوجبوا الاخذ اخذهم على غرة قال الله تعالى وكذلك اخذ ربك
اذا اخذ القرى وهي ظالمة قال بعضهم في قوله تعالى وهي ظالمة معرضة عن الحق مقبلة
على الخلق ان في ذلك اي فيما نزل بالامم الهالكة لاية لعبرة لمن خاف عذاب
الاخرة يعتبر به عظمه لعلمه بان ما حاق بهم انموذج مما اعد الله للمجرمين في الاخرة
او ينزجر به عن موجباته لعلمه بانه من اله مختار يعذب من يشاء ويرحم من يشاء ذلك
اي يوم القيمة يوم مجموع له الناس يجمع له الناس للمحاسبة والمجازاة والتعبير عن

جمع الى مجموع للدلالة على ثبات معنى الجمع وان الناس لا ينفكون عنه وذلك يوم
مشهود فيه يشهد البر والفاجر من الجن والانس ويشهده جميع الملائكة والوحوش
والطيور والدواب وما نؤخره اي اليوم الا لاجل معدود معلوم عند الله تعالى
الاجل يطلق على مدة التاجيل كما يقال انتهى الاجل وعلى منتهاها كما يقال حل الاجل والعد
انما هو للمدة لا لمنتهاها فمعنى لاجل معدود لانتهاء مدة معدودة فحذف المضاف قال ابو سعيد
من عاش في حقيقة عين الجمع لم يهوله ما جمعوا له من ذلك المقام ومن كان في كشف المشاهدة
لم يتعجب من شهود ذلك اليوم لانه كان مكشوفا له عن ذلك يوم يات حين ياتي ذلك اليوم
لا تكلم نفس لا تتكلم بما ينفع وينجي من جواب او شفاعة الا باذنه الا باذن الله لقوله لا
يتكلمون الا من اذن له الرحمن وهذا كان مرة في موقف وقوله تعالى هذا يوم لا
ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف اخر او الماذون فيه هي الجوابات الحقة
والممنوع عنه هي الاعذار الباطلة فمنهم شقي وجبت له النار بمقتضى الوعيد وسعيد
وجبت له الجنة بمقتضى الوعد فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق
قال ابن عباس الزفير الصوت الشديد والشهيق الصوت الضعيف قال الضحاك ومقاتل
الزفير اول نهيق الحمار والشهيق اخره اذا ردده في جوفه قال ابو العالية الزفير في
الحلق والشهيق في الصدر والمراد تشبيه صراخهم باصوات الحمير او الدلالة على شدة
غمهم كمن استولت الحرارة على قلبه عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال خرجنا
على جنازة فبينا نحن بالبقيع اذ خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيده مخصرة
فجاء فجلس ثم نكت بها الارض ساعة ثم قال ما من نفس منفوسة الا قد كتب مكانها
من الجنة او النار الا وقد كتبت شقية او سعيدة قال فقال رجل افلا نتكل على كتابنا
يا رسول الله وندع العمل قال لا ولكن اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما اهل الشقاوة
فييسرون لعمل اهل الشقاوة واما اهل السعادة فييسرون لعمل اهل السعادة قال ثم تلا
فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب
بالحسنى فسنيسره للعسرى خالدين فيها ما دامت السموات والارض قال الضحاك ما
دامت سموات الجنة والنار وارضهما وكل ما علاك واظلك فهو سماء وكل ما استقر
عليه قدمك فهو ارض وقال بعضهم هذا عبارة عن التابيد على عادة العرب يقولون
لا اتيك ما دامت السموات والارض ولا يكون كذا ما اختلف الليل والنهار يعنون
ابدا الا ما شاء ربك استثناء من الخلود في النار لان قوما من الموحدين يدخلهم الله تعالى

النار

النار بذنوب اقترفوها ثم يخرجهم منها بشفاعة الشافعين من الملائكة والنبيين والمؤمنين
حين يشفعون في اصحاب الكبائر ثم ياتي رحمة ارحم الراحمين فيخرج من النار من لم يعمل
خيرا قط وقال يوما من الدهر لا اله الا الله كما وردت بذلك الاخبار الصحيحة عن انس ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ليصيبن اقواما سفع من النار بذنوب اصابوها عقوبة
ثم يدخلهم الله تعالى الجنة بفضل رحمته يقال لهم الجهنميون وعن عمران بن حصين عن
النبي صلى الله عليه وسلم فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين قال محيي السنة وعن ابن
مسعود انه قال لياتين على جهنم زمان ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وعن
ابي هريرة مثله ومعناه عند اهل السنة انه لا يبقى فيها احد من اهل الايمان واما مواضع
الكفار فممتلئة ان ربك فعال لما يريد من غير اعتراض واما الذين سعدوا ففي الجنة
خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع
وهو تصريح بان الثواب لا ينقطع وتنبيه على ان المراد من الاستثناء في الثواب ليس الانقطاع
ولما معنى الاستثناء فيه فقال الضحاك والحسن البصري كانوا في النار ثم اخرجوا منها فهو عندهما
يرجع الى مدة لبثهم في النار قبل دخول الجنة وقيل معناه الا ما شاء ربك من تعميرهم في الدنيا
واحتباسهم في البرزخ ما بين الموت والبعث او توقفهم في الموقف للحساب قبل مصيرهم الى
الجنة والنار وقال الفراء هذا استثناء استثناه الله تعالى ولا يفعله لقوله والله لاضربنك
الا ان ارى غير ذلك وعزيمتك ان تضربه وقريب منه ما قال الشيخ ابن الكبير ان معنى الاستثناء
هنا ان دوامهم فيما هم فيه من النعيم ليس امرا واجبا بذاته بل هو موكول الى مشية الله تعالى
فله المنة عليهم دائما ولهذا يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس وقد يقال معناه ان
اهل الجنة ينعمون بما هو اعلى من الجنة كالايصال بجناب القدس والفوز برضوان الله تعالى
ولقائه كما ان اهل النار ينقلون منها الى الزمهرير وغيره من العذاب احيانا في الصحيحين
يؤتى بالموت في صورة كبش املح فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال يا اهل الجنة خلود فلا موت
ويا اهل النار خلود فلا موت وفي الصحيح ايضا يقال يا اهل الجنة ان لكم ان تحيوا فلا تموتوا
ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا وان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تنعموا
فلا تبأسوا ابدا فلا تك في مرية شك بعد ما انزل عليك من مال الناس مما يعبد هؤلاء من
عبادة هؤلاء المشركين في انها ضلال مؤد الى مثل ما حل بمن قبلهم ممن قصصت عليك حالهم ما
يعبدون الا كما يعبد اباؤهم من قبل وقد بلغك ما لحق اباءهم من قبل فسيلحقهم مثله
وانا لموفوهم نصيبهم حظهم من العذاب كابائهم غير منقوص من نصيبهم شيء ولقد اتينا

موسى الكتاب التوريه فاختلف فيه فمن مصدق ومكذب كما فعل قومك بالقران فعزي نبيه
صلي الله عليه وسلم ولولا كلمة سبقت من ربك يعني كلمه الانظار الي يوم القيمه لقضي بينهم
بانزال ما استحقه المبطل من العذاب والاهلاك ليميز به عن المحق وانهم وان كفار قومك لفي
شك منه مريب موقع للريب والتهمه وان كلا من المومن والكافر والبر والفاجر لما
ليوفينهم ربك اعمالهم فرئ لما مخففا والمعني والله ان كلا ليوفينهم ربك وليمنهم
جزاء اعمالهم علي ان ما مزيده للفاصل واللام الاولى لام خبر ان ولام جواب القسم وقرئ
لما مشددا وكل مرفوعا علي ان ان نافيه ولما بمعني الا واما علي قراة نصب كل مع التشديد
فالاصل لمن ما والمعني لمن الذين يوفيهم ربك جزاء اعمالهم وقرئ لما بالتنوين اي جميعا
كقوله اكلا لما انه بما يعملون خبير فلا يفوت شئ منه وان خفي ثم لما بين امر المختلفين
في التوحيد والنبوة واطنب في شرح الوعد والوعيد امر رسوله بالاستقامه فقال فاستقم
كما امرت اي استقامه مثل الاستقامه التي امرت بها وهي شامله للاستقامه في العقايد بحيث
يبقي العقل مصونا عن طرفي الافراط والتفريط وللاستقامه في الاعمال من تبليغ الوحي وبيان
الشرايع كما انزل وللاستقامه في القيام بوظايف العبادات من غير تفريط وافراط مفوت
للحقوق ونحوها ومن تاب معك من الشرك والكفر اي من آمن معك فليستقيموا قال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه الاستقامه ان يستقيم علي الامر والنهي ولا تروغ روغان
الثعلب وخطاب الرسول ومن معه من المومنين بها للتثبت علي الاستقامة التي هي
العدل فان الزوال عنها بالميل الي احد طرفي افراط وتفريط ظلم علي نفسه او غيره بل ظلم
في نفسه عن سفين بن عبد الله الثقفي انه قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام قولا
لا اسال عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم ولا تطغوا ولا تخرجوا عما حد لكم انه
بما تعملون بصير لا يخفي عليه من اعمالكم شئ قال ابن عباس ما نزلت علي رسول الله صلي
الله عليه وسلم آيه هي اشد عليه من هذه الآيه ولذلك قال عليه السلام شيبتني هود واخواتها
عن ابي هريره رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ان الدين يسر ولن يشاد
الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ
من الدلجه قال جعفر الصادق رضي الله عنه في قوله تعالى فاستقم كما امرت افتقر الي الله بصحة
العزم وقال بعضهم من استقام بالحق لا يعوج ومن استقام بباطل فهو غير مستقيم لان الاستقامه
لا يكون الا بالحقيقه وقال بعضهم الاستقامه لا يكون الا باتباع السنه ثم لما كان للقرين السوء
مدخل عظيم في تغيير العقايد وتبديل الاخلاق نهي عن مخالطة من يصنع الشئ في غير

(margin:) عن ابن عباس رضي الله عنهما ما نزلت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم في جميع القران اية كانت اشد ولا اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة واخواتها وروي ان اصحابه قالوا لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت

موعضه

موضعه فقال ولا تركنوا الي الذين ظلموا لا تميلوا اليهم ادني ميل فان الركون هو الميل اليسير
مثل التزيي بزيهم وتعظيم ذكرهم قال ابن عباس هو المحبة والميل بالقلب قال علي بن موسي
الرضا عن ابيه عن جعفر قال لا تركنوا الي نفوسكم فانها ظلمة فتمسكم النار بركونكم اليهم واذا كان
الركون الي من وجد منه ما يسمي ظلما كذلك فما ظنك بالركون الي الظالمين اي الموسومين بالظلم ثم
بالميل اليهم كل الميل ثم بالظلم نفسه والانهماك فيه ولعل الآيه ابلغ ما يتصور في النهي عن الظلم والتهديد
عليه وما لكم من دون الله من اولياء من انصار يمنعون العذاب عنكم ثم لا تنصرون اصلا ثم
منزل منزلة الفاء بمعني الاستبعاد فانه لما بين ان الله معذبهم وان غيره لا يقدر علي نصرهم انتج ذلك
انهم لا ينصرون اصلا ثم خص من انواع الاستقامة اقامة الصلاة تنبيها علي شرفها فقال واقم الصلاة
طرفي النهار قال ابن عباس طرفي النهار الغداة والعشي يعني صلوة الصبح والمغرب وقال مجاهد
طرفا النهار الصبح والعصر وزلفا من الليل المغرب والعشاء قيل نزلت هذه الآيه قبل فرض
الصلوات الخمس ليلة الاسرى فانه انما كان يجب من الصلوة صلاتان صلوة قبل طلوع الشمس و
صلوة قبل غروبها وفي اسحار الليل قيام عليه وعلي الامة ثم نسخ في حق الامة وثبت وجوبه عليه
ثم نسخ عنه ايضا علي القول الاصح ان الحسنات يذهبن السيئات يقول ان فعل الخيرات يكفر الذنوب
السالفه عن الامام احمد واهل السنن عن امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال كنت
اذا سمعت من رسول الله صلي الله عليه وسلم حديثا نفعني الله تعالى بما شاء ان ينفعني منه واذا
حدثني عنه احد استحلفته فاذا حلف لي صدقته وحدثني ابو بكر رضي الله عنه وصدق ابو بكر
انه سمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يذنب ذنبا فيتوضا ويصلي ركعتين الا
غفر له وفي الصحيح عن ابي هريره رضي الله عنه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم لو ان ببابا
احدكم نهرا يغتسل فيه كل يوم خمس مرات هل يبقي من درنه شيا قالوا لا يا رسول الله قال
صلي الله عليه وسلم كذلك الصلوات الخمس يمحو الله تعالى بهن الذنوب والخطايا وفي صحيح
مسلم عنه رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه وسلم كان يقول الصلوات الخمس والجمعه الي
الجمعه ورمضان الي رمضان مكفرات ما بينهن اذا اجتنبت الكباير وعن ابي مالك الاشعري
رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم جعلت الصلوات كفارات ما بينهن
فان الله تعالى قال ان الحسنات يذهبن السيئات رواه الامام احمد وعن ابن مسعود
رضي الله عنه ان رجلا اصاب من امراة قبلة فاتي النبي صلي الله عليه وسلم فاخبره فانزل الله
تعالى اقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات فقال الرجل
يا رسول الله الي هذا قال صلي الله عليه وسلم لجميع امتي كلهم رواه البخاري وعنه رضي الله عنه

انه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان الله تعالى قسم بينكم اخلاقكم كما قسم
بينكم ارزاقكم وان الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الاخرة الا
من احب فمن اعطاه الله الدين فقد احبه والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتي يسلم قلبه
ولسانه ولا يومن حتي يامن جاره بوايقه قال قلنا وما بوايقه يا نبي الله قال صلي الله عليه
وسلم غشه وظلمه ولا يكسب عبد مالا حراما فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق
فيقبل منه ولا يترك خلف ظهره الا كان زاده الي النار ولا يمحو الله السيئ بالسيئ ولكن
يمحو السيئ بالحسن ان الخبيث لا يمحو الخبيث رواه الامام احمد وعن معاذ رضي الله عنه
قال ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال له يا معاذ اتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق
الناس بخلق حسن رواه الامام احمد وعن ابي ذر رضي الله عنه قال ان النبي صلي
الله عليه وسلم قال اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق
حسن رواه الامام احمد وعنه ايضا قال قلت يا رسول الله اوصني قال اذا عملت سيئة
فاتبعها حسنة تمحها قال قلت يا رسول الله امن الحسنات لا اله الا الله قال صلي الله عليه
وسلم هي افضل الحسنات ذلك الذي ذكرنا وقيل اشارة الي القرآن ذكري للذاكرين
عظة للمتعظين ثم امر بالصبر علي التكاليف المذكورة امرا ونهيا ونص علي ان الاتيان
به احسان وان جزاءه سيحصل لا محالة فقال واصبر علي الطاعات وعن المعاصي
فان الله لا يضيع اجر المحسنين ثم عاد الي احوال الامم الخاليه وبين السبب في حلول
عذاب الاستيصال بهم فقال فلولا كان فهلا كان من القرون من قبلكم اولو بقية
من الراي والعقل اولوا فضل وانما سمي بقية لان الرجل يستبقي افضل ما يخرجه ومنه
يقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن
انجينا منهم لكن قليلا منهم انجيناهم لانهم كانوا كذلك في الحديث ان الناس اذا راوا المنكر
فلم يغيروه اوشك ان يعمهم الله تعالى بعقاب ولهذا قال عز وجل فلولا كان من القرون
من قبلكم اولو بقيه ينهون عن الفساد في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا
ما اترفوا فيه ما انعموا فيه من الشهوات واهتموا بتحصيل اسبابها واعرضوا عما وراء ذلك
وكانوا مجرمين كافرين كانه بين ما كان السبب لاستيصال الامم السالفه وهو فشو الظلم
فيهم واتباعهم للهوي وترك النهي عن المنكرات مع الكفر وقوله واتبع عطف علي ما دل عليه
الكلام السابق اذ المعني فلم ينهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا وكانوا مجرمين وما كان
ربك ليهلك القرى بظلم بشرك واهلها مصلحون فيما بينهم يتعاطون الانصاف ولا يظلم بعضهم

بعضا

بعضا وانما يهلكهم وينزل بهم عذاب الاستيصال اذا ظلموا وذلك لفرط رحمته ومسامحته
في حقوقه ومن ذلك قدم الفقهاء حقوق العباد وقيل الملك يبقي مع الشرك ولا يبقي مع الظلم
قال الكاشفي القري قلوب العارفين واهلها الارواح القدسيه الملكوتيه فاذا كانت الارواح
مخالفه لنفوسها الامارات ينزل عليها عساكر انوار تجلي القدس ويكون قلوبها رياض الانس
وان الله سبحانه لا يحيلها علي ايدي الخطرات والنفوس الامارات ولا يجري عليها احكام القهر
ويتورها بانوار المشاهدات والقربات ثم ذكر ان الكل بمشية الله وارادته فقال ولو شاء ربك
لجعل الناس امة واحدة كلهم علي دين واحد ولا يزالون مختلفين علي اديان شتي بعضهم
علي الحق وبعضهم علي الباطل الا من رحم ربك الا اناسا هداهم الله من فضله فاتفقوا
علي ما هو اصول دين الحق والعمدة فيه ولذلك خلقهم قال ابن عباس ومجاهد وقتاده
والضحاك وللرحمة خلقهم يعني الذين رحمهم وقال الحسن وعطاء وللاختلاف خلقهم
قال اشهب سالت مالكا عن هذه الآيه فقال خلقهم ليكون فريق في الجنه وفريق في السعير
وقال الفراء خلق اهل الرحمة للرحمة واهل الاختلاف للاختلاف وتمت كلمة ربك وتم
حكم ربك لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي من عصاتهما اجمعين لامن احدهما
في الصحيحين عن ابي هريره رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم احتجت
الجنه والنار فقالت الجنه مالي لا يدخلني الا ضعفه المسلمين وسقطهم وقالت النار اوثرت
بالمتكبرين والمتجبرين فقال الله عز وجل انت رحمتي ارحم بك من اشاء وقال للنار انت
عذابي انتقم بك من اشاء ولكل واحدة منكما ملاها فاما الجنه فلا يزال فيها فضل حتي ينشي
الله تعالى لها خلقا يسكن فضل الجنه واما النار فلا تزال تقول هل من مزيد حتي يضع عليها
رب العزة قدمه فتقول قط قط وعزتك وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به
فوادك بيان لكلا او بدل منه وفايدته التنبيه علي المقصود من الاقتصاص وهو زيادة
يقينه وطمانينة قلبه وثبات نفسه علي اداء الرساله واحتمال اذي الكفار قال ابو بكر الكتاني
سالت الجنيد عن مجانات الحكايات قال هي جنود من جنود الله في ارضه يقوي بها احوال
المريدين فقلت اله اصل في الكتاب قال نعم وجاءك في هذه الحق الانباء المقتصة عليك وقال
الاكثرون في هذه السورة خص هذه السورة تشريفا وقال الحسن وقتاده في هذه الدنيا
الحق قصص حق من اقاصيص الانبياء وموعظة وذكري للمومنين يتعظون اذا سمعوا
هذه السورة وما نزل بالامم لما كذبوا انبياءهم قال الكاشفي صورة القرآن موعظه لاهل المعاملات
وحقايقه تبصره لاهل المعاينات يعرف الكل من بحار القرآن ما يوافق حاله وفهمه وادراكه

(margin:) وكلا نباء

فالعموم متعلقون بظاهره والخصوص متعلقون بباطنه وخصوص في تجلي الحق وحقيقة
القرآن هو الصفة الازلية فاذا انكشف القرآن باصله فقد انكشف الحق فيه لمن خص
بخصوصية الصفة واخبر بذلك امير المؤمنين علي رضي الله عنه فقال ان الله تجلى
لعباده في القرآن وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ على حالكم إِنَّا عَامِلُونَ على حالنا
تهديد ووعيد وَانْتَظِرُوا بنا الدوائر إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ان ينزل بكم نحو ما نزل على امثالكم
واعلم ان المعارف الالهية لابد لها من قابل وفاعل وقابلها القلب وانه ما لم يكن مستعدا
لم يحصل له الانتفاع بسماع الدلائل وورودها عليه فلهذا السبب تقدم ذكر اصلاح القلب
وعلاجه وهو تثبيت الفؤاد ثم عقبه بذكر المؤثر الفاعل وهو مجيء هذه السورة بل آية
منها وهي قوله فاستقم كما امرت ثم امر بالتهديد لمن لم يؤثر فيهم هذه البيانات فقال وقل للذين
لا يؤمنون اعملوا ثم ختم السورة بانه مشتمله على جميع المطالب من امر المبدء والوسط والمعاد
فقال وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اي ولله خاصة علم ما غاب عن العباد فيهما لا يخفى
عليه خافية فيهما وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فيرجع لا محالة امرهم وامرك فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ
فانه كافيك وفي تقديم الامر بالعبادة على التوكل تنبيه على انه انما ينفع العابد وَمَا رَبُّكَ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ انت وهم فيجازي المحسن باحسانه والمسيء باسائته قال بعض العارفين
اليه مرجع الكل فاعبده واسقط عنك حظوظ نفسك وقف مع الامر بشرط الادب وتوكل
عليه لانه يكفيك ما اهمك مما بدرت اليه وما ربك بغافل عما تعملون كيف يغفل عنك من
قدر عليك عملك وما انت لاقيه الى آخر انفاسك قال ابن جرير عن كعب انه قال خاتمة التوراة
خاتمة هود سورة يوسف عليه السلام وهي مكية وآياتها مائة واحدى عشرة روى
البيهقي في الدلائل ان طائفة من اليهود حين سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو هذه
السورة اسلموا لموافقتها ما عندهم وروى الثعلبي باسناده عن ابي بن كعب رضي الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا ارقاءكم سورة يوسف فانه ايما مسلم تلاها
او علمها اهله او ما ملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما
قال الشيخ ابن الكثير وهذا من هذا الوجه لا يصح لضعف اسناده وهو منكر من سائر طرقه
بسم الله الرحمن الرحيم الر قد تقدم
الكلام على الحروف المقطعة في اول سورة البقرة تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ تلك اشارة الى آيات
السورة وهي المراد بالكتاب اي تلك الآيات آيات السورة الواضحة معانيها او المبينة لمن تدبرها
انها من عند الله إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ اي الكتاب قُرْآنًا عَرَبِيًّا بلغتكم لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ لكي تعلموا معانيه

ونفهموا

ونفهموا ما فيه وتستعملوا فيه عقولكم فتعلموا ان اقتصاصه كذلك ممن لم يتعلم القصص
معجز لا يتصور الا بالوحي نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ الاقتصاص يقال قص اثره
اذا اتبعه والقاص هو الذي يتبع الآثار ويأتي بالخبر على وجهه والمعنى نبين لك اخبار
الامم الماضية احسن البيان وقيل المراد منه قصة يوسف عليه السلام خاصة سماها احسن
القصص لما فيها من العبر والحكم والنكت والفوائد التي تصلح للدين والدنيا من سير الملوك
والمماليك والعلماء ومكر النساء والصبر على اذى الاعداء وحسن التجاوز عنهم بعد الالتقاء
وغير ذلك من الفوائد قال خالد بن معدان سورة يوسف وسورة مريم يتفكه بهما اهل الجنة
في الجنة وقال ابن عطاء لا يسمع سورة يوسف محزون الا استروح اليه بِمَا أَوْحَيْنَا بايحائنا
إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ في الاصل اسم الجنس يقع على الكل والبعض وصار علما بالغلبة قال
الكاشف بين تعالى انها احسن القصص لما فيها من الامثال والعبر والذوق والشوق
والفراق والوصال والبلاء والعناء وقال بعضهم فيه سلوة لما لقي من اهل بيته ما لقي ورأى
ذلك كله من موارد القضاء ومواجب القدر ولما رجعوا اليه قال لا تثريب عليكم اليوم كتب
المقصود به من حيث القضاء والقدر قال علي بن موسى الرضا رضي الله عنه عن ابيه عن
جعفر قال اشتغل العوام بالقصص واشتغل الخواص بالاعتبار فيه لقوله تعالى لقد كان في
قصصهم عبرة لاولي الالباب وقيل لان فيها ذكر الحبيب والمحبوب قال بعضهم لما كان يوسف
عليه السلام مرآة حسن الحق خضع له الحدثان لما عليه من اثر جمال الرحمن وَإِنْ كُنْتَ مِنْ
قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ عن هذه القصة لم يخطر ببالك ولم يقرع سمعك قط وهو تعليل لكونه موحى
قال سعيد بن ابي وقاص انزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاه عليهم زمانا
فقالوا يا رسول الله لو حدثتنا فانزل الله عز وجل الله نزل احسن الحديث فقالوا يا رسول الله
لو قصصت علينا فانزل الله عز وجل نحن نقص عليك احسن القصص فقالوا يا رسول الله
ذكرنا فانزل الله تعالى الم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله إِذْ قَالَ يُوسُفُ اذكر
اذ قال يوسف ويوسف اسم عبري ولو كان عربيا لصرف لِأَبِيهِ يعقوب بن اسحق بن
ابرهيم عن النبي صلى الله عليه وسلم الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف ابن يعقوب ابن
اسحق ابن ابرهيم يَا أَبَتِ اصله يا ابي إِنِّي رَأَيْتُ من الرؤيا لا من الرؤية لقوله لا تقصص رؤياك
ولقوله تعالى هذا تاويل رؤياي أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا نجما من نجوم السماء وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ
لِي سَاجِدِينَ وكان النجوم في التاويل اخوته وكانوا احد عشر رجلا يستضاء بهم كما يستضاء
بالنجوم والشمس ابوه والقمر امه قاله قتادة وقال السدي القمر خالته لان امه راحيل كانت

يعني السورة فالقرآن م

قد ماتت وكان يوسف ابن اثني عشر سنة حين رأى هذه الرؤيا وقيل رآها ليلة الجمعة
ليلة القدر وقد وقع تفسيرها بعد اربعين سنة على قول اكثر المفسرين وهو المنقول عن
ابن عباس رضي الله عنهما وقيل ثمانين سنة وذلك حين رفع ابويه على العرش وهو سرير
واخوته بين يديه وخروا له سجدا وقال يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي
حقا وقد جاء في الحديث تسمية هذه الاحد عشر كوكبا فروى الامام ابو جعفر بن جرير باسناده
عن جابر رضي الله عنه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل من اليهود يقال له بستانة اليهودي
فقال له يا محمد اخبرني عن الكوكب التي رآها يوسف انها ساجدة له ما اسماؤها قال فسكت النبي
صلى الله عليه وسلم فلم يجبه بشيء ونزل عليه جبرئيل فاخبره باسمائها قال فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليه فقال هل انت مؤمن ان اخبرتك باسمائها فقال نعم فقال صلى الله عليه وسلم
جريان والطارق والذيال وذو الكنفات وقابس ووثاب وعمودان والفيلق والمصبح
والضروح وذو الفرع والضياء والنور فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقد رواه البيهقي
في دلائل النبوة وابو يعلى الموصلي وابو بكر البزار في مسنديهما وابن ابي حاتم في تفسيره و
لما قص الرؤيا على ابيه قَالَ يَا بُنَيَّ تصغير ابن صغره للشفقة او لصغر السن لَا تَقْصُصْ
رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا فيحتالوا في اهلاكك لانهم يعلمون تاويلها فيحسدونك
إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ظاهر العداوة يحملهم على الحسد والكيد وسائر القبائح
بعداوته القديمة كما فعل بآدم وحوا ومن هذا يؤخذ الامر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر كما
ورد في الحديث استعينوا على قضاء الحوائج بكتمانها فان كل ذي نعمة محسود عن ابي رزين
العقيلي انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا جزء من اربعين او ستة واربعين
جزءا من النبوة وهي على رجل طائر فاذا حدث بها وقعت فاحسبه قال لا يحدث بها الا حبيبا
او لبيبا وعن ابي سلمة قال كنت ارى الرؤيا تهمني حتى سمعت ابا قتادة يقول كنت ارى الرؤيا
فتمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة من الله فاذا رأى
احدكم ما يحب فلا يحدث به الا من يحب واذا رأى ما يكره فلا يحدث به وليتفل عن يساره
وليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرها فانها لن تضره قال بعض العارفين ان
يعقوب دبر ليوسف عليهما السلام في ذلك خوفا عليه ان يقع من اخوته شيء فوكل الى تدبيره
ووقع به ما وقع ولو ترك التدبير ورجع الى التسليم لحفظ ولذلك قيل ان التفويض والتسليم
خير من ملازمة التدبير وَكَذَلِكَ اي وكما اجتباك بمثل هذه الرؤيا الدالة على شرف وعز
وكمال نفس يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ للنبوة والملك او لامور عظام والاجتباء من جبيت الشيء اذا

حصلته

حصلته لنفسك وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ من تعبير الرؤيا لانها احاديث الملك ان كانت
صادقة واحاديث النفس او الشيطان ان كانت كاذبة او من تاويل غوامض كتب الله وسنن
الانبياء وكلمات الحكماء وهو اسم جمع للحديث كاباطيل اسم جمع للباطل وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ بان
يصل نعمة الدنيا بنعمة الآخرة قال سهل ويتم نعمته عليك في ان عصمك عن ارتكاب ما لا يليق بك
ولا بآبائك وقال الاستاذ من اتمام النعمة توفيق الشكر على النعمة ومن اتمام النعمة ان يصونك
عن شهود النعمة برؤية المنعم وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ يريد به سائر بنيه ولعله استدل على نبوتهم
بضوء الكواكب كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ فجعلهما نبيين إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ بمن
يستحق الاجتباء حَكِيمٌ يفعل الاشياء على ما ينبغي وقيل المراد من اتمام النعمة على ابرهيم الخلة وقيل
انجاؤه من النار وعلى اسحق انجاؤه من الذبح وقيل اخراج يعقوب والاسباط من نسله فلما بلغ
هذه الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضي ان يسجد له اخوته حتى يسجد له ابواه فيقول
يقول الله عز وجل لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ اي في قصتهم قيل اسماء اخوته روبيل وهو الكريم
وشمعون ولاوي ويهوذا وديالون ويشجر وامهم ليا بنت ليان وهي ابنة خال يعقوب
وولد له من سريتين له اسم احدهما زلفه والاخرى بلهمه اربعة اولاد دان ونفتالي
وجاد وآشر ثم توفيت ليا فتزوج يعقوب اختها راحيل فولدت له يوسف وبنيامين
وكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا آيَاتٌ دلائل قدرة الله وحكمته او علامات نبوتك لِلسَّائِلِينَ
لمن سأل عن قصتهم وذلك ان اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف
فوجدوها موافقة لما في التوراة فتعجبوا منه فهذا معنى قوله تعالى آيات للسائلين قال حمدون
القصار للخلق في يوسف آيات وله في نفسه آية عظيمة وهو اعظم الآيات وهو معرفته بمكر
النفس وعذرها قال ان النفس لامارة بالسوء وقال بعضهم ان من الآيات التي في يوسف
انه حجة على كل من حسن الله خلقه وصورته ان لا يدنسه بمعصية إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ
وَأَخُوهُ بنيامين أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ والحال انا جماعة اقوياء احق بالمحبة من
صغيرين لا كفاية فيهما والعصبة جماعة يتعصب بعضها لبعض لا واحد لها من لفظها كالنفر
والرهط وكانوا عشرة قال الفراء العصبة ما بين الواحد الى العشرة وقيل ما بين الثلاثة الى
العشرة وقال مجاهد ما بين العشرة الى خمسة عشر وقيل ما بين العشرة الى الاربعين قال القاضي
العصبة العشرة فصاعدا سموا بذلك لان الامور يعصب بهم إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ اي
خطأ بين في ايثاره يوسف واخاه علينا وليس المراد الضلال عن الدين ولو ارادوه لكفروا
بل المراد منه الخطأ في تدبير امر الدنيا يقولون نحن انفع له في امر الدنيا واصلاح امر معاشه

انما قال يعقوب لانه ... بل استدل ... على عدمها

ودعي موا شبيه فنحن اولى بالمحبة منه فهو مخطي في صرف محبته اليه قال القاضي روي انه
كان احب اليه لما يرى فيه من الجمايل وكان اخوته يحسدونه فلما راى الرؤيا ضاعف له المحبة
بحيث لم يصبر عنه فبالغ حسدهم حتى حملهم على التعرض له اقتلوا يوسف اختلفوا في قايل
هذا القول قال وهب انه شمعون وقال كعب دان او اطرحوه ارضا مجهولة بعيدة من العمران
وهو معنى تنكيرها وابهامها يخل لكم وجه ابيكم يصف لكم وجه ابيكم عن شغله بيوسف وتكونوا
من بعده من بعد قتل يوسف قوما صالحين تايبين اي توبوا بعد ما فعلتم هذا يعف الله عنكم
وقال مقاتل يصلح امركم فيما بينكم وبين ابيكم وقيل يصلح امر دنياكم بحلق وجه ابيكم قال قايل منهم
لا تقتلوا يوسف وهو يهودا وقال قتادة روبيل وكان ابن خالة يوسف وكان اكبرهم واحسنهم
رايا فيه والاول اصح نهاهم عن قتله وقال القتل كبير عظيم والقوه في غيابة الجب اي في
اسفل الجب وظلمته والغيابة كل موضع ستر عنك الشيء وغيبه والجب البير غير المطويه
لانه جب اي قطع وقرئ غيابات كانه لتلك الجب غيابات يلتقطه ياخذه بعض السيارة اي
بعض المسافرين الذين يسيرون في الارض فيذهب به الى ناحية اخرى فتستريحوا منه
ان كنتم فاعلين ان عزمتم على فعلكم قال محمد بن اسحق اشتمل فعلهم على جرايم من قطيعة الرحم
وعقوق الوالد وقلة الرافة بالصغير الذي لا ذنب له والغدر بالامانة وترك العهد والكذب
مع ابيهم وعفا الله عنهم وذلك حتى لا ييأس احد من رحمة الله وقال بعض اهل العلم انهم عزموا
على قتله وعصمهم الله رحمة بهم ولو فعلوا لهلكوا اجمعين وكل ذلك قبل ان نباهم الله عز وجل
فلما اجمعوا على التفريق بينه وبين والده بضرب من الحيل قالوا ليعقوب يا ابانا ما لك لا
تامنا على يوسف لم تخافنا عليه وانا له لناصحون ونحن نشفق عليه ونريد له الخير ارسله
معنا غدا الى الصحراء يرتع ويلعب قرئ بالنون فيهما وقرئ بالياء فيهما وقرئ بالنون في نرتع
والياء في يلعب والرتع هو الاتساع في الملاذ يقال رتع فلان في ماله اذا انفقه في شهواته وانا
له لحافظون ان يناله مكروه قال ابن عطاء لو ارسله معهم وسلم الى القضاء لحفظه لكنه اعتمد
على حفظهم وانا له لحافظون فخانوه ولو ترك تدبيره عليه وحفظهم له لكان محفوظا كما حفظ
الاخر حين قال الله خير حافظا قال بعضهم رجع يعقوب الى نفسه في ثلث مواضع فابتلي فيه
قال ليوسف لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا فكادوا له ولما قالوا ارسله معنا
غدا نرتع قال اخاف ان ياكله الذيب فقالوا اكله الذيب ولما قال لهم لا تدخلوا من باب واحد
اصابهم في ذلك ما حذر عليهم منه قال لهم يعقوب اني ليحزنني ان تذهبوا به اي ذهابكم لشدة
مفارقته علي وقلة صبري عنه واخاف ان ياكله الذيب وذلك ان يعقوب كان راى في المنام

كان ذيبا شد على يوسف فكان يخاف من ذلك فمن ثم قال هذا وقيل لان الارض
كان مذابه وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالرتع واللعب ولقلة اهتمامكم بحفظه قالوا
لئن اكله الذيب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون مستحقون ان يدعى علينا بالخسارة
او عجزة ضعفاء فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب وعزموا على القايه فيها فعلوا
به ما فعلوا واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون يعني اوحينا الى يوسف
لتصدق رؤياك ولتخبرن اخوتك بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بوحي الله واعلامه اياه
بذلك قال مجاهد وقيل معناه وهم لا يشعرون يوم تخبرهم انك يوسف وذلك حين دخلوا
عليه فعرفهم وهم له منكرون ذكر وهب وغيره انهم اخذوا يوسف بغاية الاكرام وجعلوا
يحملونه فلما برزوا الى البرية القوه وجعلوا يضربونه فاذا ضربه واحد استغاث بالاخر فضربه
الاخر فجعل لا يرى منهم رحيما فضربوه حتى كادوا يقتلونه وهو يصيح يا ابتاه الم تعلم ما يصنع
بابنك بنو الاماء فلما كادوا ان يقتلوه قال لهم يهودا اليس قد اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه
فانطلقوا به الى الجب ليطرحوه فيه وكان ابن اثنتي عشر سنه فجاوا به الى بير على غير
الطريق واسع الاسفل ضيق الراس قال مقاتل على ثلثة فراسخ من منزل يعقوب قال كعب
بين مدين ومصر وقال وهب بارض الاردن وقال قتادة هي بير بيت المقدس فجعلوا يدلونه
في البير فتعلق بشفير البير فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي القميص اتوارى به في الجب فقالوا
ادع الشمس والقمر والكوكب تونسك قال اني لم ار شيا فالقوه فيها وقيل جعلوه في دلو وارسلوه
فيها حتى اذا بلغ نصفها القوه ارادوا ان يموت وكان في البير ماء فسقط فيه ثم اوى الى صخرة فيها
فقام عليها وقيل انهم لما القوه فيها جعل يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فجاء فارادوا ان يرضخوه
بصخرة ليقتلوه فمنعهم يهودا وكان يهودا ياتيه بالطعام وبقي فيها ثلث ليال قال ابن عباس ثم انهم
ذبحوا سخلة وجعلوا دمها على قميص يوسف وجاوا اباهم عشاء يبكون قال بعضهم جاوا في
ظلمة العشاء ليكونوا اجرا على الاعتذار بالكذب فروي ان يعقوب سمع صياحهم وعويلهم فقال
ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما اصابكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا
نستبق اي نتراما قال الحسن نشتد على اقدامنا وتركنا يوسف عند متاعنا اي عند ثيابنا
واقمشتنا فاكله الذيب وما انت بمؤمن لنا بمصدق لنا ولو كنا صادقين لسوء ظنك بنا وفرط
محبتك ليوسف وجاوا على قميصه بدم كذب اي ذي كذب مكذوب فيه ويجوز ان يكون
وصفا بالمصدر للمبالغة في القصة انهم لطخوا بالدم ولم يشقوه فقال يعقوب كيف اكله الذيب و
لم يشق قميصه فاتهمهم ولذلك قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي سهلت لكم وهونت في اعينكم

امرا عظيما من السول وهو الاسترخاء فصبر جميل معناه فامري صبر جميل او فعلي صبر
جميل قال الشيخ ابن الكثير روى هشيم باسناده مرسلا انه سئل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن قوله فصبر جميل فقال صبر لا شكوى فيه قال الحسين الصبر الجميل السكون
الى موارد القضاء سرا وعلنا وقال ايضا الصبر الجميل يلقي المحنة بمشاهدة المنة قال الترمذي
الصبر الجميل ان يلقى البلاء بقلب رحيب ووجه مستبشر وقال الحسين بن الفضل
ايضا الصبر الجميل ما يصبر به صاحبه بانه لا يشعر تحت شهود سر مشاهدة المقدر
والمبلي في بلايه وتقديره قال تعالى وما صبرك الا بالله وقال سبحانه وتعالى واصبر لحكم ربك
فانك باعيننا والله المستعان على ما تصفون على الصبر على ما تذكرون وفي القصة
انهم جاوا بذيب وقالوا هذا الذي اكله قال له يعقوب يا ذيب اكلت ولدي وثمرة فوادي
فانطقه الله عز وجل فقال بالله ما رايت وجه ابنك قط قال كيف وقعت بارض كنعان
قال جيت لصلة قرابة فمكث يوسف في البير ثلثة ايام وجاءت سيارة وهم القوم
المسافرون سموا سيارة لانهم يسيرون في الارض كانت رفقة من مدين تريد مصر
خطاوا الطريق فنزلوا قريبا من الجب وكان الجب في قفرة بعيدة من العمران للرعاة
والمارة وكان ماوه ملحا فعذب حين القي يوسف فيه فلما نزلوا ارسلوا رجلا من اهل مدين
يقال له مالك بن دعر لطلب الماء فذلك قوله تعالى فارسلوا واردهم والوارد الذي
يتقدم الرفقة الى الماء فيهيئ الارشية والدلاء ويستقي لهم فادلى دلوه اي ارسلها في
البير يقال ادليت الدلو اذا ارسلتها في البير ودلوتها اذا اخرجتها فتعلق يوسف
بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطي يوسف
شطر الحسن ويقال انه ورث ذلك الجمال من جدته سارة وكانت جدته قد اعطيت
سدس الحسن قال ابن اسحق ذهب يوسف وامه بثلثي الحسن فلما راه مالك بن دعر قال
يا بشراي ذي البشرى بشارة لنفسه او لقومه كانه قال فهذا اوانك وقرا اهل الكوفة يا بشرا
بغير اضافة بين يدي المستقي رجلا من اصحابه اسمه بشرا وروى ابن مجاهد
عن ابيه ان جدران البير كانت تبكي على يوسف حين اخرج منها هذا غلام واسروه
اي الوارد واصحابه من ساير الرفقة بضاعة اي اخفوه متاعا للتجارة وقيل ان اراد
اخوة يوسف اسروا شان يوسف وقالوا هذا عبد لنا والله عليم بما يعملون لم يخف
عليه اسرارهم او صنيع اخوة يوسف بابيهم واخيهم فاتى يهودا يوسف بالطعام فلم يجده
في البير فاخبر بذلك اخوته فطلبوه فاذا هم بمالك بن دعر واصحابه نزول فاتوهم فاذا هم

بيوسف فقالوا هذا عبد ابق منا ويقال انهم هددوا يوسف حتى لم يعرف حاله وقال مثل
قولهم ثم باعوه فذلك قوله عز وجل وشروه بثمن بخس اي باعوه بثمن بخس قال الضحاك
ومقاتل والسدي حرام لان ثمن الحر حرام وسمي الحرام بخسا لانه ممحوق البركة وعن
ابن عباس وابن مسعود بخس اي زيوف وقال عكرمة والشعبي بثمن قليل دراهم
معدودة قليلة فانهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان اقل من اربعين درهما انما كانوا
يعدونها عددا واذا بلغت اوقية وزنوها واختلفوا في عدد تلك الدراهم قال ابن عباس
وابن مسعود وقتادة عشرون درهما فاقتسموها درهمين درهمين وقال مجاهد اثنان و
عشرون درهما وقال عكرمة اربعون درهما وكانوا اخوة يوسف فيه في يوسف من الزاهدين
لانهم لم يعلموا منزلته عند الله عز وجل وقيل كانوا في الثمن من الزاهدين لانه لم يكن قصدهم
تحصيل الثمن وانما كان قصدهم تبعيد يوسف عن ابيه ثم انطلق مالك بن دعر واصحابه
بيوسف وتبعهم اخوته يقولون استوثقوا منه لانه ابق فذهبوا به حتى قدموا مصر وعرضه
مالك على البيع فاشتراه قطفير قاله ابن عباس وقيل اطفير صاحب امر الملك وكان على
خزاين مصر يسمى العزيز وكان الملك لم يمت حتى امن واتبع يوسف على دينه ثم مات ويوسف
حي قال ابن عباس لما دخلوا مصر تلقى قطفير مالك بن دعر فابتاع منه يوسف بعشرين
دينارا وزوج نعل وثوبين ابيضين وقال وهب بن منبه قدمت السيارة بيوسف مصر
فدخلوا به السوق يعرضونه في البيع فترافع الناس في ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا و
وزنه فضة ووزنه مسكا وحريرا وكان وزنه اربع مائة رطل وهو ابن ثلث عشر
سنة وابتاعه قطفير بن مالك بهذا الثمن قال الكاشف لو كان فيهم ما كان في يعقوب
عليه السلام من عشق الله ومحبته وما راى في مراة وجهه من انوار قدس الباري سبحانه
وتعالى ما باعوه بالكونين والعالمين لان ما في وجه يوسف من جمال الظاهر لم يكن في
الكونين الا في امثاله من الانبياء والصديقين وجمال ظاهره كان من جمال باطنه ولو
اطلعوا على جمال باطنه لوقعوا بين يديه صرعى من سكر محبته ولو راوا عجايب الملكوت
والجبروت في ظاهره وباطنه ما باعوه * اضاعوني واي فتى اضاعوا * وباعوني ومثلي لا يباع *
قال جعفر رضي الله عنه باعوا بالبخس من الثمن لجهلهم بما اودع الله فيه من لطايف العلوم
وبدايع الآيات قال ابن عطاء ليس ما باع اخوة يوسف من نفس لا يقع عليها باعجب
من بيع نفسك بادنى شهوة بعد ان بعتها من ربك باوفى الثمن قال الله تعالى ان الله اشترى
من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فبيع ما تقدم بيعه باطل فما باع يوسف

يوميذ بمصر ونواحيها الريان الوليد بن نزوان من العمالقة وقيل ان هذا الملك صح

البيع صح

اعداؤه الذين كانوا يعادونه وانت تبيع نفسك من اعدائك وهي شهواتك وهواك
واعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته اسمها
راعيل وقيل زليخا اكرمي مثواه اي منزله ومقامه والمثوى موضع الاقامة والمعنى احسني
تعهده كما قيل معناه اكرميه في المطعم والملبس والمقام عسى ان ينفعنا اي نبيعه بالربح ان
اردنا او يكفينا اذا بلغ بعض امورنا او نتخذه ولدا نتبناه وكان عقيما قال ابن مسعود
افرس الناس ثلاثة العزيز في يوسف حيث قال لامرأته اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا وابنة
شعيب حيث قالت لابيها في موسى استاجره وابو بكر في عمر حين استخلفه وكذلك مكنا ليوسف
في الارض ليتصرف فيها بالعدل ولنعلمه من تاويل الاحاديث اي كان القصد في انجائه
وتمكينه الى ان يقيم العدل ويدبر امور الناس ويعلم معاني كتب الله واحكامه ويعبر
او تعبير المنامات المنبهة عن الحوادث الكائنة ليستعد لها ويشتغل بتدبيرها قبل ان يحل
كما فعل لسنيه والله غالب على امره لا يرده شيء ولا ينازعه فيما يشاء احد او على امر يوسف
اراد به اخوته شيئا واراد الله غيره فلم يكن الا ما اراده ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان بلغ صح
الامر كله بيده او لطائف صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده منتهى اشتداد جسمه وقوته وهو
وهو سن الوقوف ما بين الثلثين والاربعين فقال السدي ثلثين سنة وقال مجاهد ثلث و
ثلثون سنة وقيل سن الشباب ومبداه بلوغ الحلم سئل مالك عن الاشد فقال هو الحلم وقال
الكلبي الاشد ما بين ثماني عشرة سنة الى ثلثين سنة آتيناه حكما وعلما وهو العلم المؤيد بالعمل
فالفرق بين الحكيم والعالم ان العالم هو الذي يعلم الاشياء والحكيم هو الذي يعمل بما يوجبه العلم
وقيل اصابة في القول وقيل حكما بين الناس وقيل نبوة وعلما الفقه في الدين وقيل علما
بتاويل الرؤيا قال الامام الحكم الحكمة العملية والعلم الحكمة النظرية وانما قدمت العملية لان
لان اصحاب الرياضات والمجاهدات يصلون اولا الى الحكمة العملية ثم الى العلم اللدني بخلاف
اصحاب الافكار والانظار والاول هو طريقة يوسف لانه صبر على البلايا والمحن ففتح عليه ابواب
المكاشفات وقيل الحكم صيرورة نفسه المطمئنة حاكمة على النفس الامارة قاهرة لها وحينئذ
تفيض الانوار القدسية والاضواء الالهية من عالم القدس على جوهر النفس والتحقيق في
هذا الباب ان استكمال النفس الناطقة انما يتيسر بواسطة استعمال الآلات الجسدانية وفي
اوان الصغر تكون الرطوبات مستولية عليها فيضعف تلك الآلات فاذا كبر الانسان واستولت
الحرارة الغريزية على البدن نضجت تلك الرطوبات وقلت واعتدلت فصارت الآلات صالحة
لان يستعملها النفس الانسانية في تحصيل المعارف واكتساب الحقائق فقوله ولما بلغ اشده

اشارة

اشارة الى اعتدال الآلات البدنية وقوله آتيناه حكما وعلما اشارة الى استكمال النفس الناطقة
وقوع لمعان الاضواء القدسية فيها وكذلك نجزي المحسنين قال ابن عباس المؤمنين وعنه
ايضا المهتدين وقال الضحاك الصابرين على النوائب كما صبر يوسف وراودته التي هو في بيتها
يعني امرأة العزيز والمراودة طلب الفعل والمراد هنا ارادته الى نفسها ليواقعها عن نفسه
اي خادعت يوسف شاغلة له عن نفسه قال السدي لما ارادت امرأة العزيز مراودة يوسف
عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها يا يوسف ما احسن شعرك قال
هو اول ما ينتثر من جسدي قالت ما احسن عينيك قال اول ما يسيل على وجهي في قبري
قالت ما احسن وجهك قال هو للتراب ياكله وغلقت الابواب قيل كانت سبعة والتشديد
للتكثير او للمبالغة في الايثاق وقالت هيت لك هيت بمعنى هلم واقبل وتعال ولك في تقدير
الخطاب لك قال لها يوسف عند ذلك معاذ الله اي اعوذ بالله واعتصم به مما دعوتني اليه معاذا
انه ربي يريد ان زوجك قطفير سيدي احسن مثواي اي منزلي هذا قول اكثر المفسرين
وقيل الهاء راجعة الى الله عز وجل يريد ان الله ربي احسن مثواي اي آواني ومن بلاء الجب
عافاني انه لا يفلح الظالمون الجائرون الحسن بالسيء وقيل الزناة فان الزنا ظلم على الزاني والمزني
باهله ولقد همت به وهم بها الهم بالشيء قصده والعزم عليه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم
بشيء امضاه فهمها عزمها على المعصية والزنا واما همه فروي عن ابن عباس انه حل الهميان
قال مجاهد حل سراويله وجعل يعالج ثيابه هذا قول اكثر المتقدمين وقال الضحاك جرى الشيطان
فيما بينهما فضرب بيده الى جيد يوسف وباليد الاخرى الى جيد المراة حتى جمع بينهما قال ابو القاسم
سلام وقد انكر قوم هذا القول والقول ما قاله متقدموا هذه الامة وهم كانوا اعلم بالله من ان
يقولوا في الانبياء عليهم السلام من غير علم قال بعضهم تم الكلام عند قوله تعالى ولقد همت به ثم
ابتدا الخبر عن يوسف فقال وهم بها لولا ان راى برهان ربه على التقديم والتاخير اي لولا ان
راى برهان ربه لهم بها ولكنه راى البرهان فلم يهم بها وانكره النحاة وقالوا ان العرب لا يؤخر
لولا عن الفعل فلا يقول لقد قمت لولا زيد وهو يريد لولا زيد لقمت وقيل همت بيوسف ان يفترشها
وهم بها يوسف اي تمنى ان تكون له زوجة وقيل هذا التاويل وامثاله غير مرضية لمخالفتها
اقاويل العلماء من القدماء الذين يوخذ عنهم الدين والعلم قال بعضهم ان القدر الذي فعله يوسف
كان من الصغائر والصغائر تجوز على الانبياء عليهم السلام وروي ان يوسف لما دخل على
الملك حين خرج من السجن واقرت امراة العزيز قال يوسف ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب
قال له جبرئيل ولا حين هممت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما ابرئ نفسي الاية قال

الحسن البصري رحمه الله ان الله تعالى وتقدس لم يذكر ذنوب الانبياء عليهم السلام في القرآن
لتعييرهم ولكن ذكرها ليبين موضع النعمة عليهم ولئلا ييأس احد من رحمته وقيل انه انما
ابتلاهم بالذنوب ليتفرد بالطهارة والعزة ويلقاه جميع الخلق يوم القيمة على انكسار المعصية
وقيل ليجعلهم ائمة لاهل الذنوب في رجاء الرحمة وترك الاياس من المغفرة والعفو قال
بعضهم الهمة همان هم ثابت وهو اذا كان معه عزم وعقد ورضى مثل هم امراة العزيز فالعبد
ماخوذ به وهم عارض وهو الخطرة وحديث النفس من غير اختيار ولا عزم مثل هم
يوسف فالعبد غير ماخوذ به ما لم يتكلم او يعمل عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اذا تحدث عبدي بان يعمل حسنة فانا اكتبها
حسنة له ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بعشر امثالها واذا تحدث بان يعمل سيئة
فانا اغفرها له ما لم يعملها فاذا عملها فانا اكتبها له بمثلها لولا ان راى برهان ربه اختلفوا
في ذلك البرهان قال قتادة واكثر المفسرين انه راى صورة يعقوب وهو يقول له يا يوسف
تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في الانبياء وقال الحسن وسعيد بن جبير ومجاهد
وعكرمة والضحاك انفرج سقف البيت فراى يعقوب عاضا على اصبعه وقال سعيد بن
جبير عن ابن عباس مثل له يعقوب فضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله
وقال السدي نودي يا يوسف تواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا
يطاق ومثلك ان واقعتها مثله اذا مات ووقع في الارض لا يستطيع ان يدفع عن نفسه شيئا
ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذي لا يطاق ومثلك ان واقعتها مثل الثور الذي
الصعب الذي لا يطاق ومثلك يموت فيدخل النمل في اصل قرنه لا يستطيع ان يدفع عن
نفسه وعن مجاهد عن ابن عباس في قوله وهم بها قال حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل
من امراته اذا بكف قد بدت بينهما ولا عضد مكتوب فيه وان عليكم لحافظين كراما
كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هاربا ثم قامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فظهر
ذلك الكف مكتوب عليه ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت
فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فعاد ذلك الكف مكتوب عليه واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فقال الله عز وجل لجبرئيل
عليه السلام ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبرئيل عاضا على اصبعه
يقول يا يوسف تعمل عمل السفهاء وانت مكتوب عند الله من الانبياء وروي انه مسحه بجناحه
فخرجت شهوته من انامله قال محمد بن الكعب القرظي رفع يوسف راسه الى سقف البيت حين

هم

هم فراى كتابا في حائط البيت لا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا وروى عطية عن
ابن عباس في البرهان انه راى مثال الملك وقال جعفر بن محمد الصادق البرهان النبوة التي
اودع الله صدره حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل وعن علي بن حسين قال كان في
البيت صنم فقامت المراة وسترته فقال لها يوسف لم فعلت هذا قالت استحييت منه ان يراني
على المعصية فقال يوسف اتستحيي ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه فانا احق ان استحيي من ربي
وهرب كذلك الامر مثل ذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء اي صانه السيد وقيل السوء
الشح والفحشاء الزنا والاثم انه من عبادنا المخلصين الذين اخلصهم الله لطاعته قال
تعالى انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وقرئ بالكسر اي الذين اخلصوا دينهم لله واستبقا
الباب اي سابقا الى الباب وذلك ان يوسف لما راى البرهان قام مبادرا الى باب البيت هاربا
وتبعته المراة لتمسك الباب حتى لا يخرج يوسف فسبق يوسف وادركته المراة فتعلقت بقميصه
من خلفه فجذبته اليها حتى لا يخرج وقدت قميصه اي فشقته والقد الشق طولا والقط
الشق عرضا من دبر من خلف والفيا صادفا ووجدا سيدها لدى الباب قالت اي فلما راها
وجدا زوج المراة قطفير عند الباب جالسا وكان معه ابن عم لراعيل فلما راته هابته فقالت
سابقة بالقول لزوجها ما جزاء من اراد باهلك سوءا يعني الزنا ثم خافت عليه ان يقتل
فقالت الا ان يسجن يحبس او عذاب اليم ضرب بالسياط فلما سمع يوسف مقالتها قال هي
راودتني عن نفسي طلبت مني الفاحشة فابيت وفررت وقيل ما كان يريد يوسف ان
يذكره فلما قالت المراة ما جزاء من اراد باهلك سوءا ذكره فقال هي راودتني عن نفسي و
شهد شاهد وحكم حاكم من اهلها اختلفوا في ذلك الشاهد قال سعيد بن جبير عن ابن
عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة ابنة فرعون
وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسى بن مريم عليه السلام وقيل كان ذلك الصبي ابن خال
المراة وقال الحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد لم يكن صبيا ولكنه كان رجلا حكيما ذا راي قال
السدي هو ابن عم راعيل فحكم فقال ان كان قميصه قد من قبل اي من قدام فصدقت وهو
من الكاذبين لانه يكون لما دعاها وابت عليه دفعته في صدره فقدت قميصه من قدام او
انه اسرع خلفها فعثر بذيله فانقد جيبه وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من
الصادقين لانه يدل على انها تبعته وامسكت بقميصه من ورائه لترده اليها فقدت قميصه
من ورائه فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن اي ان قولك ما جزاء من اراد
باهلك سوءا من حيلتكن والخطاب لها ولامثالها او لسائر النساء ان كيدكن عظيم

فان كيد النساء الطف واعلق بالقلب واشد تاثيرا في النفس ولانهن يواجهن به الرجال
والشيطان يوسوس به مسارقة ثم اقبل معتذرا على يوسف فقال يوسف أعرض عن هذا
اى يا يوسف اعرض عن هذا الحديث فلا تذكره لاحد حتى لا يشيع وقيل معناه لاتكترث له فقد
بان عذرك وبراءتك ثم قال لامرأته واستغفري لذنبك اى توبى الى الله انك كنت من الخاطئين
من خطئ اذا اذنب متعمدا حيث راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعصم كذبت
عليه ولم يقل من الخاطيات لانه لم يقصد به الخبر عن النساء وانما قصد الخبر عمن يفعل
ذلك فغلب التذكير على التانيث وقيل هذا من قول الشاهد ليوسف ولراعيل وقال نسوة
في المدينة مدينة مصر وكن خمس نسوة زوجة الحاجب والساقي والخباز والسجان وصاحب
الدواب قاله مقاتل وقيل هن نسوة من اشراف مصر امرأة العزيز العزيز الملك بلسان العرب
تراود فتاها عبدها الكنعاني عن نفسه تطلب منه مواقعتها وتحتال في اغفاله عن نفسه
قد شغفها حبا شق شغاف قلبها وهو حجابه حتى وصل الى فوادها حبا وقرئ شعفها بالعين
غير المعجمة من شعف البعير اذا هناه بالقطران فاحرقه انا لنريها في ضلال مبين اي
خطاء ظاهر فلما سمعت بمكرهن باغتيابهن وانما سماه مكرا لانهن قلن ذلك لتريهن يوسف
وكان يوصف لهن حسنه وجماله او لانها افشت اليهن سرها واستكتمتهن فافشين ذلك
ارسلت اليهن قال وهب اتخذت مادبة ودعت اربعين امراة منهن هولاء اللاتي
عيرنها واعتدت اي اعدت لهن متكأ اى ما يتكأ عليه من الوسائد قال ابن عباس
وسعيد ابن جبير والحسن وقتادة ومجاهد متكأ اى طعاما سماه متكأ لان اهل الطعام اذ
جلسوا يتكئون على الوسائد وقرئ في الشواذ متكا بسكون التاء واختلفوا في معناه
قال ابن عباس هو الاترج وقال عكرمة وغيره كل شئ يقطع بسكين والمتك والبتك القطع
فزينت المراة بيتا بالوان الفواكه والاطعمة ووضعت الوسائد ودعت النسوة وآتت
واعطت كل واحدة منهن سكينا وكن ياكلن اللحم حزا بالسكين وقالت ليوسف اخرج
عليهن وذلك انها كانت اجلسته في مجلس آخر فخرج عليهن يوسف فلما رأينه اكبرنه
اعظمنه قال ابو العاليه هالهن امره وبهتن عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رايت ليلة اسري بي الى السماء يوسف كالقمر ليلة البدر قال اسحق ابن
ابي فروة كان يوسف اذا سار في ازقة مصر يرى تلالؤ وجهه على الجدران وقطعن
ايديهن جرحنها بالسكاكين التى معهن وهن يحسبن انهن يقطعن الاترج ولم يجدن
الالم لشغل قلوبهن بيوسف قال مجاهد ما احسسن الا بالدم وقال وهب ماتت جماعة منهن

وقلن

وقلن حاش لله حاش اصله حاشا فهى حرف الجر معناه التنزيه فنزل منزلة تنزيها والمعنى
والمعنى تنزيه الله من العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير
معهود للبشر ان هذا الا ملك كريم فان الجمع بين الجمال الرائق والكمال الفائق والعصمة البالغة من خواص
الملائكة او لان جماله فوق جمال البشر لا يفوقه فيه الا الملك قالت فذلكن الذي لمتنني فيه اى في حقه
وضع ذلك موضع هو رفعا لمنزلة المشار اليه ثم صرحت بما فعلت فقالت ولقد راودته عن نفسه
فاستعصم فامتنع طالبا للعصمة وانما صرحت به لانها علمت انه لا ملامة عليها منهن وقد اصابهن
ما اصابها من رؤيته ولئن لم يفعل ما آمره اى امر به معناه ولئن لم يطاوعني فيما دعوته اليه
ليسجنن ليعاقبن بالحبس وليكونا كتبت النون الخفيفة التي هي للتاكيد بالالف على حكم الوقف
من الصاغرين من الاذلاء قال رب السجن اى يا رب السجن احب الي مما يدعونني
اليه قيل كان الدعاء منها خاصه ولكن اضاف اليهن خروجا من التصريح الى التعريض وقيل
انهن جميعا دعونه الى انفسهن قال الكاشف اى يا رب البلاء احب الي من لذة الوقت وشهوة
النفس التى تحجبني عنك وعن شهود الروحانى ودونه آثار الربوبيه قيل لو لم يقل السجن احب
الي لم يبتل بالسجن والاولى بالمرء ان يسال الله العافيه والا تصرف وان لم تصرف عني
كيدهن في تحبيب ذلك الي وتحسينه عندي بالتثبيت على العصمة اصب اليهن امل الي
اجابتهن بطبعي ومقتضى شهوتي والصبو والصبوة الميل الى الهوى ومنه الصبا لان النفوس
تستطيبها وتميل اليها واكن من الجاهلين من السفهاء بارتكاب ما تدعونني اليه فان الحكيم
لا يفعل القبيح او من الذين لا يعملون بما يعلمون فانهم والجهال سواء في الصحيحين ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشا في
طاعة الله ورجل قلبه معلق بالمسجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا
عليه وتفرقا عليه ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما انفقت يمينه ورجل ذكر الله
خاليا ففاضت عيناه ورجل دعته امراة ذات جمال ومنصب فقال اني اخاف الله رب العالمين
فاستجاب له ربه فاجاب الله دعاءه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم السميع لدعاء
الملتجئين اليه العليم باحوالهم وما يصلحهم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ثم ظهر للعزيز واهله
من بعد ما راوا الشواهد الداله على براءة يوسف كشهادة الصبي وقد القميص وقطع النساء ايديهن
واستعصامه منهن ليسجننه حتى حين الى مدة يرون فيه رايهم وقال عطاء الى ان ينقطع قالة الناس
قال عكرمة سبع سنين قال الكلبي خمس سنين قال السدي وذلك ان المراة قالت لزوجها ان هذا العبد
العبراني قد فضحني في الناس يخبرهم انى راودته عن نفسه فاما ان تاذن لى اخرج الى الناس

واعتذر الى الناس واما ان تحبسه فحبسه وذكر ان الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيرا ليوسف
من همه بالمراة وقال ابن عباس عثر يوسف ثلث عثرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرني
عند ربك فلبث في السجن بضع سنين وحين قال للاخوة انكم لسارقون فقالوا ان يسرق فقد
سرق اخ له من قبل ودخل معه السجن فتيان وهما غلامان للوليد العمليقى ملك مصر الاكبر
احدهما خبازه صاحب طعامه والآخر ساقيه صاحب شرابه غضب الملك عليهما فحبسهما وكان
السبب فيه ان جماعة من اهل مصر ارادوا المكر بالملك واغتياله فضمنوا لهذين مالا ليسما الملك في
طعامه وشرابه فاجاباهم ثم ان الساقي نكل عنه وقبل الخباز الرشوة فسم الطعام فلما احضر الطعام
قال الساقي لا تاكل ايها الملك فان الطعام مسموم وقال الخباز لا تشرب ايها الملك فان الشراب مسموم
فقال الملك للساقي اشرب فشرب فلم يضره وقال للخباز كل من طعامك فابى فجرب ذلك الطعام
على دابة فاكلته فهلكت فامر الملك بحبسهما وكان يوسف حين دخل السجن جعل ينشر علمه ويقول
اني اعبر الرؤيا فقال احد الفتيين لصاحبه هلم فلنجرب هذا العبد العبراني نتراءى له من غير
ان نكون رأينا شيئا قال ابن مسعود وما رأيا شيئا انما تحالما ليجربا يوسف وقال قوم بل كانا رأيا
حقيقة فرآهما يوسف وهما مهمومان فسألهما عن شأنهما فذكرا انهما صاحبا الملك حبسهما وقد
رأيا رؤيا غمتهما فقال يوسف قصا علي ما رأيتما قال احدهما وهو صاحب الشراب اني اراني
اعصر خمرا سمى العنب باسم ما يؤول اليه يقال نطبخ الآجر انما نطبخ اللبن للآجر وقيل الخمر
العنب بلغة عمان وذلك انه قال اني اراني كاني في بستان واذا باصل حبلة عليها ثلثة عناقيد من
عنب فجنيتها وكان كاس الملك بيدي فعصرتها فيه وسقيت الملك فشربه وقال الآخر وهو
الخباز اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تاكل الطير منه وذلك انه قال اني رايت كان فوق
راسي ثلاث سلال فيها الخبز والوان الاطعمه وسباع الطير تنهس منه نبئنا بتاويله اخبرنا
بتفسيره وتعبيره وما يؤول اليه امر هذه الرؤيا انا نراك من المحسنين اى العالمين والاحسان
بمعنى العلم لانهما راياه في السجن يذكر الناس ويعبر رؤياهم حكى ان الضحاك بن مزاحم سئل
عن قوله انا نراك من المحسنين ما كان احسانه قال كان اذا مرض انسان في السجن عاده وقام
عليه واذا ضاق وسع له واذا احتاج جمع له شيئا وكان مع هذا يجتهد في العباده ويقوم الليل
كله للصلاة وقيل لما دخل السجن وجد قوما اشتد بلاؤهم وانقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل
يسليهم ويقول ابشروا واصبروا توجروا فيقولون بارك الله فيك يا فتى ما احسن وجهك وخلقك
وحديثك لقد بورك لنا في جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب ابن
ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابرهيم فقال له عامل السجن يا فتى والله لو استطعت لخليت

سبيلك

لخليت سبيلك ولكن ساحسن جوارك فكن في اي بيوت السجن شئت وروي ان الفتيين
لما رايا يوسف قالا لقد احببناك حين رايناك فقال لهما يوسف انشدكما بالله ان لا تحباني فوالله
ما احبني احد الا دخل علي من حبه بلاء لقد احبتني عمتي فدخل علي بلاء ثم احبني ابي فالقيت
في الجب واحبتني امراة العزيز فحبست فلما قصا عليه الرؤيا كره يوسف ان يعبرهما ما سالاه
لما علم في ذلك من المكروه على احدهما فاعرض عن سؤالهما واخذ في غيره من اظهار المعجزة
في الدعاء الى التوحيد فاخذ وقال لا ياتيكما طعام ترزقانه قيل اراد به في النوم يقول لا ياتيكما
طعام ترزقانه في نومكما الا نبأتكما بتاويله في اليقظه وقيل اراد به في اليقظه يقول لا ياتيكما طعام
ترزقانه من منازلكما تطعمانه وتاكلانه الا نبأتكما بتاويله قبل ان ياتيكما بقدره ولونه والوقت
الذي يصل اليكما قبل ان يصل اليكما واي طعام اكلتم ومتى اكلتم وهذا معجزة عيسى عليه السلام حيث
قال وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم فقالا هذا فعل العرافين والكهنة فمن اين لك
هذا العلم فقال ما انا بكاهن وانما ذلكما العلم مما علمني ربي بالالهام والوحي اني تركت ملة قوم
لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون تعليل لما قبله اى علمني ذلك لاني تركت ملة اولئك
واتبعت ملة آبائي ابرهيم واسحق ويعقوب لتمهيد الدعوة اظهارا انه من بيت النبوة لتقوى
رغبتهما في الاستماع اليه والوثوق عليه ولذلك جوز للخامل ان يصف نفسه حتى يعرف فيقتبس
منه ما كان لنا ما صح لنا معشر الانبياء ان نشرك بالله من شئ ان الله قد عصمنا من الشرك ذلك
التوحيد من فضل الله علينا بالوحي وعلى الناس وعلى سائر الناس بعثنا لارشادهم و
تنبيههم عليه ولكن اكثر الناس لا يشكرون هذا الفضل معرضون عنه ولا يتنبهون قال
ابو عثمان الجرجاني لحسن النجاة الا من رأى نفسه تحت ظل الفضل والمنه والنعمة لا تحت ظل
عمله وسعيه يا صاحبي السجن يا ساكنى فيه ءارباب متفرقون اى آلهة شتى هذا من ذهب
وهذا من فضه وهذا من حديد وهذا اعلى وهذا اوسط وهذا ادنى خير ام الله الواحد الذي
لا ثاني له القهار الغالب على الكل ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم
ما انزل الله بها من سلطان الا اشياء باعتبار اسامى اطلقتم عليها من غير حجة يدل على
تحقق مسمياتها فيها فكانكم لا تعبدون الا الاسماء المجردة والمعنى انكم سميتم ما لم يدل
على استحقاقه الالهيه عقل ولا نقل آلهة ثم اخذتم تعبدونها باعتبار ما تطلقون عليها ان الحكم
في امر العباده الا لله لانه المستحق لها بالذات من حيث انه الواجب لذاته الموجد للكل والمالك
لامره امر على لسان انبيائه ان لا تعبدوا الا اياه الذى دلت عليه الحجج ذلك الدين القيم
المستقيم وانتم لا تميزون المعوج عن القويم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ثم فسر رؤياهما

فقال يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا وهو صاحب الشراب فَيَسْقِي رَبَّهُ يعنى الملك خَمْرًا
والعناقيد الثلاثة ثلاثة ايام يبقى فى السجن ثم يدعوه الملك بعد ثلثة ايام ويرده الى منزلته
التى كان عليها وَأَمَّا الْآخَرُ يعنى صاحب الطعام فيدعوه الملك بعد ثلثة ايام والسلال
الثلث ثلثة ايام يبقى فى السجن ثم يخرجه فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قال ابن مسعود
لما سمعوا قول يوسف عليه السلام قالا ما رأينا شيئا انما كنا نلعب فقال يوسف قُضِيَ الْأَمْرُ
الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ اى قطع الامر الذى تستفتيان فيه وهو ما يؤول اليه امركما عن
معوية بن حيدة عن النبى صلى الله عليه وسلم الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فاذا عبرت
وقعت رواه الامام احمد وفى مسند ابى يعلى عن انس رضى الله عنه الرؤيا لاول عابر
قالت الحكماء ينبغى ان لا يتصرف فى الرؤيا ولا تعبر عن وجهها فان الفال على ما جرى وَقَالَ
يوسف عند ذلك لِلَّذِي ظَنَّ علم أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا وهو الساقى اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ يعنى سيدك
الملك وقل له ان فى السجن غلاما محبوسا ظلما طال حبسه فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فانسى
الشرابي ان يذكره لربه قال مجاهد السنه قال ابن عباس وعليه الاكثرون انسى الشيطان
يوسف ذكر ربه حين ابتغى الفرج من غيره واستعان بمخلوق وروى ابن جرير عن ابن عباس
مسندا انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولم يقل يعنى يوسف الكلمة التى قال
ما لبث فى السجن طول ما لبث حيث يبتغى الفرج من عند غير الله قال الشيخ ابن الكثير وهذا
الحديث ضعيف جدا لان سفين ابن وكيع ضعيف وابرهيم ابن يزيد هو الجوزى اضعف منه
ايضا ... وقد روى عن الحسن وقتادة مرسلا
عن كل منهما وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو فى غير هذا الموضع قال
بعضهم اخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن ساير الخلق لقلة مبالاته بهم فى
اضعاف ما اتوا به من سوء الادب الامراء كيف يقول ليوسف بقوله اذكرنى عند ربك
قال الكاشف وجرى على سرى ان الشيطان انساه ذكر ربه لا بد انساه الذكر وكلا انساه
المذكور وسر مشاهد وجوده فى جميع انفاسه فذكره ههنا فى محل التوكل والرضا وليس من
سقط عن درجة التوكل سقط عن رؤية الله فان التوكل من اسباب المقامات والعارف يسمى
فى الحالات وليس انه محجوب عن حقيقة التوكل فان حقيقة التوكل العلم بوحدانية الله وانه
قهر على كل ذرة وحاشا ان الانبياء محجوبون عن ذلك ابدا فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ
واختلفوا فى معنى البضع قال مجاهد ما بين الثلاث الى التسع وقال ابن عباس ما دون العشر
واكثر المفسرين على ان البضع فى هذه الآية سبع سنين قال وهب اصاب ايوب البلاء سبع سنين

ومكث يوسف سبع سنين وعذب بخت نصر سبع سنين قال الحسن دخل جبرئيل على يوسف
فى السجن فلما رآه يوسف عرفه فقال يا اخا المنذرين مالى اراك بين الخاطئين فقال له جبرئيل
يا طاهر ابن الطاهرين يقرء عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت منى ان استشفعت
بالادميين فوعزتى لالبثنك فى السجن بضع سنين قال يوسف وهو فى ذلك عنى راض قال نعم
قال اذًا لا ابالى قال القاضى الاستعانة بالعباد فى كشف الشدائد وان كانت محمودة فى الجملة
لكنها لا تليق بمنصب الانبياء قال كعب قال جبرئيل ليوسف ان الله تعالى يقول لك من خلقك
قال الله قال فمن حببك الى ابيك قال الله قال فمن انجاك من كرب البئر قال الله قال فمن علمك
تاويل الرؤيا قال الله قال فمن صرف عنك السوء والفحشاء قال الله قال فكيف استشفعت بآدمى
مثلك فلما انقضت سبع سنين ودنا فرج يوسف راى ملك مصر الاكبر رؤيا عجيبة هالته
كما قال تعالى وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ فابتلعت العجاف
السمان فدخلن فى بطونهن فلم ير منهن شئ ولم يبن على العجاف منها شئ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ
قد انعقد حبها وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ وسبعا اخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على
الخضر حتى غلبن عليها فلم يبق من خضرتها شئ فجمع السحرة والكهنة والمعبرين وقص عليهم
رؤياه وقال يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ عبروها إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ان كنتم عالمين
بعبارة الرؤيا قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ الاضغاث فى الاصل ما جمع من اخلاط النبات وانواع
الحشيش وجعل حزمة فاستعير للرؤيا الكاذبة جمع ضغث والاحلام جمع حلم وهو الرؤيا و
الفعل منه حلم واحتلم بفتح اللام فى الماضى وضمها فى الغابر حلما وحلما مثقل ومخفف وَمَا نَحْنُ
بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ يريدون بالاحلام المنامات الباطل خاصة اى ليس لها تاويل عندنا
وانما التاويل للمنامات الصادقة كانه مقدمة ثانية للعذر فى جهلهم بتاويله وَقَالَ الَّذِي نَجَا
مِنْهُمَا من القتل من صاحبى السجن وهو الساقى وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ وتذكر يوسف بعد جماعة
من الزمان مجتمعة اى مدة طويلة وهى سبع سنين أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ وذلك ان الغلام جثى
بين يدى الملك وقال ان فى السجن رجلا يعبر الرؤيا فَأَرْسِلُونِ الى السجن فارسلوه الى
السجن قال ابن عباس ولم يكن السجن بالمدينة فجاء قال يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ المبالغ
فى الصدق وصفه به لانه جرب احواله وعرف صدقه فى تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه
قال بعضهم الصديق الذى لا يخالف قوله فعله ولا حاله عمله وقال بعضهم الصديق كابى بكر
رضى الله عنه الذى يبذل الكونين فى رؤية الحق كما قال النبى صلى الله عليه وسلم ما ابقيت
لنفسك قال الله ورسوله أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ

خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ اى فى رؤيا ذلك فان الملك راى هذه الرؤيا لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ
اهل مصر لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ تاويل الرؤيا وقيل لعلهم يعلمون منزلتك من العلم قَالَ تَزْرَعُونَ
سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا على عادتكم فى الزراعة والدأب العادة وقيل بجد واجتهاد يقال دَأَبَ فى الامر
اذا دأب دابا ودأبا اذا اجتهدت وقرئ دأبا بفتح الهمزة وهما لغتان فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي
سُنْبُلِهِ امرهم بترك الحنطة فى السنبل لتكون ابقى على الزمان ولا تفسد ولا ياكله السوس
إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ فى تلك السنين ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ سمى السنين المجدبة
شدادا لشدتها على الناس يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ ياكل اهلهن ما ادخرتم فاسند الى السنين
على المجاز إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تُحْصِنُونَ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ اى يمطرون
من الغيث وهو المطر او يغاثون من القحط من الغوث وَفِيهِ يَعْصِرُونَ من العنب خمرا
والزيتون زيتا والسمسم دهنا واراد به كثرة النعم والخير وقال ابو عبيدة يعصرون ينجون
من الكرب والجدب والعصر المنجاة والملجاء ولعله علم ذلك بالوحى او بان السنة الالهية
على ان يوسع على عباده بعد ما ضيق عليهم وَقَالَ الْمَلِكُ بعد ما جاءه الرسول بالتعبير ائْتُونِي
بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ ليخرجه قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ
انما تانى فى الخروج وقدم سؤال النسوة وفحص حاله لتظهر براءة ساحته ويعلم انه سجن
ظلما فلا يقدر الحاسد ان يتوسل به الى تقبيح امره وفيه دليل على انه ينبغى ان يجتهد فى نفى التهم
ويتقى مواضعها فى الصحيحين عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو لبثت فى السجن ما لبث اخى يوسف لاجبت الداعى ولم يتعرض لسيدته امرأة العزيز احتراما
ومراعاة للادب إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ حين قلن لى اطع مولاتك فدعا الملك النسوة وامرأة
العزيز قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ اى قال الملك لهن ما شأنكن والخطب امر يحق ان يخاطب فيه صاحبه
إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ تنزيه له وتعجب من قدرته على خلق عفيف
مثله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ من ذنب قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ ثبت واستقر
من حصحص البعير اذا القى مباركه ليناخ او ظهر من حص شعره اذا استأصله بحيث ظهر
بشرة راسه أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ فى قوله هى راودتنى عن نفسى ذَٰلِكَ
الذى فعلت من رد رسول الملك اليه لِيَعْلَمَ العزيز أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ فى حال غيبته وَأَنَّ
اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ لا يسدده او لا يهدى الخائنين بكيدهم فاوقع الفعل على الكيد
مبالغة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه لما قال يوسف انى لم اخنه بالغيب قال له جبرئيل
عليه السلام ولا حين هممت فقال عند ذلك وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي من الخطاء والزلل ولا ازكيها

الجزء ١٣

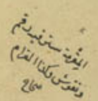
ولا انزههما إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ بالمعصية من حيث انها بالطبع مائلة بالشهوات فتهم
بها وتستعمل القوى والجوارح فى اثرها كل الاوقات إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي الا وقت رحمة ربى
او الا ما رحمه الله من النفوس فعصمه من ذلك وقيل الاستثناء منقطع اى ولكن رحمة
ربى هى التى تصرف الاساءة إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ يغفر هم النفس ويرحم من يشاء بالعصمة
او يغفر للمستغفر لذنبه المعترف على نفسه ويرحمه ما استغفره واسترحمه مما ارتكبه
قال الكاشف النفس هى وجود قهر القدم والقهر صفة ازلية محركة طباع البشر الى
حب الشهوات ولا يطيق احد ان يخرج من تحته الا بلطف الله كما قال الا ما رحم ربى لانه
صفة عالية على جميع الذرات وهو صفة الله سبحانه جاءت جميع الحدثان تحت غلبته ومن
يدعى ان يحد نفسه من سلطان قهره ولما عرف صلى الله عليه وسلم حقائق النفس
استعاذ منها الى الاصل وقال اعوذ برضاك من سخطك واعوذ بمعافاتك من عقوبتك و
اعوذ بك منك قال الواسطى ما ابرئ نفسى بنفسى انما ابرئ نفسى بربى وقال سهل خلق الله
النفس وجعل طبعها الجهل وجعل الهوى اقرب الاشياء منها وجعل الهوى الباب الذى
منه هلاك الخلق وقال ابو حفص النفس ظلمة كلها وسراجها سرها ونور سراجها التوفيق
فمن لم يصحبه توفيق فى سره من ربه كان ظلمة كلها وقال ايضا من لم يتهم نفسه على دوام
الاوقات ولم يخالفها فى جميع الاحوال ولم يجرها الى مكروهها ويخالفها فى ساير ايامه كان مغرورا
ومن نظر اليها باستحسان شئ منها فقد اهلكها وكيف يصح لعاقل رضى عن نفسه والكريم
ابن الكريم ابن الكريم يقول وما ابرئ نفسى ان النفس لامارة بالسوء تحملك على الطاعة و
تصير فيها شرا وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي اجعله خالصا لنفسى روى انه قام
ودعا لاهل السجن وقال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم
الناس فى كل بلد فلما خرج من السجن كتب على باب السجن هذه قبور الاحياء وبيت الاحزان
وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا حسنا
وقصد الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبى ربى من دنياى وحسبى ربى من
خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره ثم دخل الدار فلما دخل على الملك قال اللهم انى اسألك
بخيرك من خيره واعوذ من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له
الملك ما هذا اللسان قال لسان عمى اسمعيل ثم دعى بالعبرانية فقال له الملك ما هذا اللسان قال
لسان آبائى ولم يعرف الملك هذين اللسانين قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا
فكلما كلمه بلسان اجابه يوسف بذلك اللسان وزاد لسان العبرانية والعربية فاعجب الملك ما راى منه

مع حداثة سنه وكان يوسف يومئذ ابن ثلثين سنة فلما كلمه وشاهد منه ما شاهد قال انك
اليوم لدينا مكين ذو مكانة في الجاه امين مؤتمن على كل شئ روى ان الملك قال له انى احب
ان اسمع رؤياي منك شفاها فقال يوسف نعم ايها الملك رايت سبع بقرات شهب غر حسان
كشف لك عنهن النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينا تنظر اليهن و
تعجب حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا يبسه فخرج من حمأته سبع بقرات عجاف شعث
غبر مقلصات البطون ليس لهن ضروع ولا اخلاف ولهن انياب واضراس واكف كاكف
الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فافترسن السمان افتراس السبع فاكلن لحومهن ومزقن
جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينا انت تنظر وتعجب اذا سبع سنابل خضر
وسبع اخر سود في منبت واحد عروقهن في الثرى والماء فبينما انت تقول في نفسك انى
هذا عجب هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء يابسات والمنبت واحد واصولهن في الماء اذ
هبت ريح فذرت الارقان من اليابسات السود على الخضر المثمرات فاشتعلت فيهن النار
فاحرقتهن فصرن سودا فهذا ما رايت ثم انتبهت من نومك مذعورا فقال الملك والله ما شأن
هذه الرؤيا وان كان عجبا باعجب مما سمعت منك فما ترى في رؤياي ايها الصديق فقال يوسف
ارى ان تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا في هذه السنين المخصبة وتجمع الطعام في الخزائن
بقصبه وسنبله ليكون القصب والسنبل علف الدواب وتأمر الناس فيرفعوا من طعامهم الخمس
فيكفيك من الطعام الذي جمعته لاهل مصر ومن حولها ويأتيك الخلق من النواحي للميرة و
يجتمع عندك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك فقال له ومن لي بهذا ومن يجمعه ومن يتبعه
ويكفي الشغل فيه قال يوسف اجعلني على خزائن الارض جمع خزانة واراد خزائن الطعام
والاموال والارض ارض مصر اي خزائن ارضك اني حفيظ للخزائن عمن لا يستحقها
عليم بوجوه التصرف فيها وقيل حفيظ عليم اي كاتب حاسب وقال الكلبي حفيظ بتقديره
في السنين المخصبة عليم بوقت الجوع حين يقع في الارض الجدبة قال القاضي لعله عليه
السلام لما راى انه يستعمله في امره لا محالة آثر ما يعم فوائده ويجل عوائده وفيه دليل على جواز
طلب التولية واظهار انه مستعد لها والتولي من يد الكافر اذا علم انه لا سبيل الى اقامة الحق
وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وعن مجاهد ان الملك اسلم على يديه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني
على خزائن الارض لاستعمله في ساعته ولكنه اخر ذلك سنة فاقام في بيته سنة مع
الملك وعنه ايضا لما انصرمت السنة من يوم سال الامارة دعاه الملك فتوجه ورداه

الارقان آفة تصيب الزرع

الاعطاء

بسيفه



بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وضرب عليه كله من استبرق
وطول السرير ثلاثون ذراعا وعرضه عشرة اذرع عليه ثلاثون فراشا وستون مقرمة
ثم امره ان يخرج فخرج متوجا لونه كالثلج ووجهه كالقمر يرى الناظر وجهه في صفاء لون وجهه
فانطلق حتى جلس على السرير ودانت له الملوك ودخل الملك بيته وفوض اليه امر مصر
وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه قال ابن اسحق قال ابن زيد وكان لملك مصر
خزائن كثيرة فسلم سلطانه كله اليه وجعل امره وقضاءه نافذا قالوا ثم ان قطفير هلك تلك الليالي
فزوج الملك يوسف راعيل امراة قطفير فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما كنت تريدين
قالت ايها الصديق لا تلمني فاني كنت امراة حسناء ناعمة كما ترى في ملك ودنيا وكان صاحبي
لا ياتي النساء وكنت كما جعلك الله في حسنك وهيئتك فغلبتني نفسي فوجدها يوسف عذراء
فاصابها فولدت له رجلين افرائيم بن يوسف وميشا بن يوسف واستوسق ليوسف ملك
مصر فاقام فيهم العدل واحبه الرجال والنساء قال الكاشف اخبر يوسف عن مقام تمكينه
وقدرته على التصرف في ملك الدنيا بانه لا يحتجب في تصرفها عن مشاهدة الله وملك الاخرة
وليس كل من تصرف في الدنيا يستحق التصرف في الاخرة الا من كان على وصف يوسف
عليه الصلوة والسلام ووصف يوسف حفظ الانفاس بالذكر وحفظ القلب بالفكر حفظا نقيا سه
عن الوسواس وحفظ قلبه وفكره عن ذكر غير الله وعلمه بذات الله وصفاته وآياته وكذلك
مكنا ليوسف في الارض ارض مصر يتبوأ منها حيث يشاء ينزل من بلادها حيث يهوى
نصيب برحمتنا من نشاء في الدنيا والاخرة قال الكاشف رحمته كشف مشاهدته للانبياء
والاولياء وتعريف نفسه بكشف الصفات لهم اياهم حتى عرفوه به وسهل عليهم طريق
عرفانه حيث رفع بينه وبينهم علل المجاهدات والرياضات وذلك منه عظيمة ورحمة كافة
اذ كشف عز الربوبية للادميين وما بالى بانهم لا يستحقون شهود مشاهدته واني لهم
محدوثهم المعاد مع القدم الازلي الابدي وتلاشي الالوان والحدثان في اول بديهة
سطوات عزته وظهور مجد جلاله لكن تجاوز عنهم وعن حدوثهم برحمته واراهم ما
لم يكن لغيرهم من الكروبيين والروحانيين لانه تعالى اختارهم في الازل لنفسه ولو صلا
وكشف جماله ووضع اسراره في قلوبهم اي بلغنا يوسف الى هذه المراتب السنية الرفيعة
برحمتنا بعنايتنا وكرمنا هذا مكان العناية التي انقطع عندها الاسباب ولا نضيع اجر
المحسنين بل نوفي اجورهم عاجلا وآجلا قال ابن عباس ووهب يعني الصابرين وقال
مجاهد وغيره لم يزل يدعو الملك الى الاسلام ويتلطف له حتى اسلم الملك وكثير من الناس

قال الكاشف اجر اهل الاحسان كشف جمال مشاهدة الرحمن واحسانهم طلب طلوع
صبح الازل من مشارق الابد بعيون الارواح ودوران بصاير الاسرار الازلي الى
قوله عليه الصلوة والسلام في جواب السائل عن الاحسان الاحسان ان تعبد الله كانك
تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فاحسان يوسف مراقبة الله في بلائه وذلك الاحسان
والمراقبة من عصمة الله ورحمته لان العصمة مقرونة بالاصطفائية وكيف كان معصوما
من لم يسبق له الاصطفائية في الازل وايضا احسان يوسف العفو والكرم للمخطئين
قال بعضهم من يرى جميع ما يجري عليه الاحسان من الحق عليه ولاجر الاخرة ثواب
الاخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون فلما اطمأن يوسف في ملكه دبر في جمع الطعام
احسن التدبير وبنى الحصون والبيوت الكثيرة وجمع فيها الطعام للسنين المجدبة
وانفق بالمعروف حتى خلت السنون المخصبة ودخلت السنون المجدبة بهول لم يعهد
الناس مثله وروي انه كان قد دبر في طعام الملك وحاشيته كل يوم مرة واحدة نصف
النهار فلما دخلت سنة القحط كان اول من اخذه الجوع الملك في نصف الليل فنادى يا يوسف
الجوع الجوع فقال يوسف هذا اوان القحط ففي السنة الاولى من سني الجدب هلك
كل شئ اعدوه في السنين المخصبة فجعل اهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم
اول سنة بالنقود حتى لم يبق لهم دينار ولا درهم الا قبضه وباعهم السنة الثانية بالحلي
والجواهر حتى لم يبق في ايدي الناس منها شئ وباعهم السنة الثالثة بالمواشي والدواب
حتى احتوى عليها اجمع وباعهم السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق في يد احد
عبد ولا امة وباعهم في السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها
وباعهم في السنة السادسة باولادهم حتى استرقهم وباعهم في السنة السابعة برقابهم
حتى لم يبق بمصر حر ولا حرة الا صاروا عبيدا له فقال الناس ما راينا كاليوم ملكا اجل
ولا اعظم من هذا ثم قال يوسف للملك كيف رايت صنع ربي فيما خولني فما ترى فقال الملك
الراي رايك ونحن لك تبع قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن
آخرهم ورددت عليهم املاكهم وروي ان يوسف كان لا يشبع من طعام في تلك الايام
فقيل له اتجوع وبيدك خزائن الارض فقال اخاف ان شبعت نسيت الجائع وامر يوسف
طباخ الملك ان يجعلوا غذاءه نصف النهار واراد بذلك ان يذوق الملك طعم الجوع
فلا ينسى الجائعين فمن ثم جعلوا الملوك غذاءهم نصف النهار قال وقصد الناس مصر
من كل اوب يمتارون فجعل يوسف لا يمكن احدا منهم وان كان عظيما من اكثر من حمل

بعير

بعير تقسطا بين الناس وتزاحم الناس عليه واصاب ارض كنعان وبلاد الشام
ما اصاب ساير البلاد من القحط والشدة ونزل بيعقوب عليه السلام ما نزل بالناس
فارسل بنيه الى مصر للميرة وامسك بنيامين اخا يوسف لامه فذلك قوله تعالى وجاء اخوة
يوسف وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقريات من ارض فلسطين بغور الشام وكانوا اهل
بادية وابل وشاء فدعاهم يعقوب وقال بلغني ان بمصر ملكا صالحا يبيع الطعام فتجهزوا
واذهبوا لتشتروا منه الطعام فارسلهم فقدموا مصر فدخلوا عليه على يوسف فعرفهم
يوسف قال ابن عباس ومجاهد عرفهم باول ما نظر اليهم وقال الحسن لم يعرفهم حتى تعرفوا
اليه وهم له منكرون لا يعرفونه قال ابن عباس كان بين ان قذفوه في البئر وبين ان
دخلوا عليه اربعين سنة فلذلك انكروه وقال عطاء انما لم يعرفوه لانه كان على سرير الملك
وعلى راسه تاج الملك فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني ما انتم وما امركم
فاني انكرت شانكم قالوا قوم من ارض الشام رعاة اصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم
تنظرون عورة بلادي قالوا لا والله ما نحن بجواسيس انما نحن اخوة بنو اب واحد وهو
شيخ صديق يقال له يعقوب نبي من انبياء الله قال وكم انتم قالوا كنا اثني عشر فذهب اخ
لنا معنا الى البرية فهلك فيها وكان احبنا الى ابينا قال فكم انتم ههنا قالوا عشرة قال واين الاخر
قالوا عند ابينا لانه اخو الذي هلك من امه وابونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذي تقولون
حق قالوا يا ايها الملك انا ببلاد لا يعرفنا احد فقال يوسف فأتوني باخيكم الذي من ابيكم ان
كنتم صادقين فانا ارضى بذلك فقالوا ان ابانا يحزن على فراقه وسنراود عنه اباه قال فدعوا
بعضكم عندي رهينة حتى تأتوني باخيكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان احسنهم
رايا في يوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم اي حمل لكل رجل بعيرا
بعدتهم واوقر ركائبهم بما جاؤوا لاجله والجهاز ما يعد من الامتعة للنقلة كعدد المسافر وما
يحمل من بلد الى اخرى وما تزف به المراة الى زوجها وقرئ بجهازهم بالكسر قال ائتوني
باخ لكم من ابيكم يعني بنيامين الا ترون اني اوفي الكيل اي اتمه ولا ابخس الناس شيئا
فاريدكم حمل بعير لاجل اخيكم وانا خير المنزلين اي خير المضيفين وكان قد احسن
ضيافتهم فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي اي ليس لكم طعام اكيله لكم ولا تقربون
داري وبلادي وهو اما نهي او نفي معطوف على الجزاء قالوا سنراود عنه اباه سنجتهد
في طلبه من ابيه وانا لفاعلون ما امرتنا به وقال لفتيانه وقرئ لفتيته وهما لغتان مثل
الصبيان والصبية اجعلوا بضاعتهم ثمن طعامهم في رحالهم وكانت دراهم وقال

الضحاك عن ابن عباس كانت النعال والادم وقيل كانت ثمانيه جرب من سويق المقل
والاولى اصح والرحال الاوعيه جمع رحل لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يعرفون
حق ردها ولكي يعرفوها لعلهم يرجعون لعل معرفتهم ذلك تدعوهم الى الرجوع قال
الكلبي تخوف ان لا يكون عند ابيه من الورق ما يرجعون به مرة اخرى وقيل لانه كان
يعلم ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعه نفيا للغلط ولا يستحلون امساكها وقيل راى لوما اخذ
ثمن الطعام من ابيه واخوته مع حاجتهم اليه فرد عليهم من حيث لا يعلمون تكرما فلما رجعوا
الى ابيهم قالوا يا ابانا منع منا الكيل قالوا يا ابانا قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة
لو كان رجلا من اولاد يعقوب ما اكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا اتيتم ملك مصر فاقرؤوه
مني السلام وقولوا ان ابانا يصلي عليك ويدعو لك بما اوليتنا ثم قال اين شمعون قالوا
ارتهنه ملك مصر واخبروه بالقصه فقال لهم ولم اخبرتموه قالوا انه اخذنا وقال انتم
جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانيه وقصوا عليه القصه وقالوا يا ابانا منع منا الكيل
قال الحسن معناه يمنع منا الكيل ان لم تحمل اخانا معنا والمراد بالكيل الطعام لانه يكال
فارسل معنا اخانا نكتل قرئ بالنون والمعنى نرفع المانع من الكيل ونكتل ما نحتاج اليه
وبالياء على اسناده الى الاخ اي هو يرفع المانع او المعنى يكتل لنفسه فينضم اكتياله الى
اكتيالنا وانا له لحافظون عن ان يناله مكروه قال هل امنكم عليه الا كما امنتكم على
اخيه من قبل وقد قلتم في يوسف وانا له لحافظون فالله خير حافظا فاتوكل عليه
وافوض امري اليه وهو ارحم الراحمين فارجو ان يرحمني بحفظه ولا يجمع علي مصيبتين
ولما فتحوا متاعهم الذي حملوه من مصر وجدوا بضاعتهم ثمن الطعام ردت اليهم قالوا يا
ابانا ما نبغي ماذا نطلب هل مزيد على ذلك هذه بضاعتنا ردت الينا كانوا ذكروا ليعقوب
احسان الملك اليهم وحثوه على ارسال بنيامين معهم فلما فتحوا المتاع ووجدوا البضاعة قالوا
اي شيء نطلب بالكلام فهذا هو العيان من الاحسان والاكرام اوفى لنا الكيل ورد علينا
الثمن ونمير اهلنا اي ردت الينا بضاعتنا فنستظهر بها ونمير اهلنا بالرجوع الى الملك
يقال مار اهله يمير ميرا اذا حمل اليهم الطعام من بلد اخر ومثله امتار يمتار امتيارا
ونحفظ اخانا عن المخاوف في ذهابنا وايابنا ونزداد كيل بعير وسق بعير باسم
اخينا ذلك كيل يسير لا مؤنة فيه ولا مشقة او ذلك شيء قليل لا يضايقنا فيه الملك وقيل
انه من الملك كلام يعقوب ومعناه ان حمل بعير شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد قال مجاهد
البعير هاهنا هو الحمار كل بعير اي حمل حمار وهي لغه يقال للحمار بعير وكانوا اصحاب حمير

قال

قال لن ارسله معكم اذ رايت منكم ما رايت حتى تؤتون تعطوني موثقا ميثاقا وعهدا
من الله والموثق العهد المؤكد بالقسم وقيل المؤكد باشهاد الله على نفسه لتاتنني به ادخل
اللام فيه لان معنى الكلام اليمين اذ المعنى حتى تحلفوا بالله لتاتنني به الا ان يحاط بكم
قال قتادة الا ان تغلبوا حتى لا تطيقوا ذلك وقال مجاهد الا ان تهلكوا جميعا فلما اتوه موثقهم
اعطوه عهودهم قال يعقوب الله على ما نقول وكيل شاهد وقيل حافظ قال كعب لما قال
يعقوب فالله خير حافظا قال الله عز وجل وعزتي وجلالي لاردن عليك كليهما بعد ما توكلت
علي وقال بعد ما ارادوا الخروج من عنده يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من
ابواب متفرقة وذلك انه خاف عليهم العين لانهم كانوا اعطوا جمالا وقوة وامتداد قامة
وكانوا ولد رجل واحد فامرهم ان يتفرقوا في دخولها لئلا يصابوا بالعين فان العين حق
وجاء في الاثر ان العين تدخل الرجل القبر والجمل القدر وما اغني عنكم من الله من شيء
مما قضي عليكم فان الحذر لا ينفع عن القدر والمقدور كائن ان الحكم الا لله ما الحكم
الا لله لا ينفع ذلك ان قضي عليكم سوء عليه توكلت اعتمدت هذا تفويض يعقوب امره
الى الله وعليه فليتوكل المتوكلون متسبب عنه فان فعل الانبياء سبب لان يقتدي بهم
ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم اي من الابواب المتفرقة ما كان يغني عنهم يدفع عنهم
راي يعقوب واتباعهم له من الله من شيء مما قضاه عليهم صدق الله تعالى يعقوب فيما قال
الا حاجة في نفس يعقوب اي ولكن حاجة في يعقوب وهي شفقته عليهم وحرازته من ان
يصابوا بالعين قضاها وصى بها وانه لذو علم لما علمناه بالوحي ونصب الحجج ولذلك قال
وما اغني عنكم من الله من شيء ولم يغتر بتدبيره ولكن اكثر الناس لا يعلمون سر القدر
وانه لا يغني عنه الحذر وقيل لا يعلمون ما يعلم يعقوب لانهم لم يسلكوا طريق اصابة العلم
وقال ابن عباس لا يعلم المشركون ما الهم الله اولياءه ولما دخلوا على يوسف قالوا هذا اخونا
الذي امرتنا ان ناتيك به قد جئناك به فقال احسنتم واصبتم وستجدون جزاء ذلك عندي
ثم انزلهم واكرم منزلهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين وحيدا
فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا اجلسني معه فقال يوسف لقد بقي اخوكم هذا وحيدا
فاجلسه معه على مائدته فجعل يواكله فلما كان الليل امر لهم بمثل فقال لينم كل اخوين منكم
على مثال فبقي بنيامين وحده فقال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه فجعل يوسف
يضمه اليه ويشم ريحه حتى اصبح وجعل روبيل يقول ما راينا مثل هذا فلما اصبح قال لهم
اني ارى هذا الرجل ليس معه ثان فساضمه الي فيكون منزله معي ثم انزلهم منزلا واجرى

عليهم الطعام وانزل اخاه لامه معه فذلك قوله تعالى اوى اليه اخاه ضمه اليه فلما خلا به قال
له ما اسمك قال بنيامين قال ابن الثكل وذلك انه لما ولد هلكت امه قال وما اسم امك قال
وما بنيامين قال
راحيل بنت لاوي قال فهل لك من ولد قال نعم عشرة بنين قال تحب ان اكون اخاك بدل
اخيك الهالك قال بنيامين ومن يجد اخا مثلك ايها الملك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل
فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال اني انا اخوك فلا تبتئس اي لا تحزن افتعال من البؤس
بما كانوا يعملون في حقنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا ولا تعلمهم مما اعلمتك ثم اوفى
يوسف لاخوته الكيل وحمل لهم بعيرا بعيرا ولبنيامين بعيرا باسمه ثم امر بسقاية الملك
فجعلت في رحل بنيامين قال السدي جعلت السقاية في رحل اخيه والاخ لا يشعر وقال
كعب لما قال له يوسف اني انا اخوك قال بنيامين انا لا افارقك فقال له يوسف قد علمت
اغتمام والدي بي واذا حبستك ازداد غمه ولا يمكنني ذلك الا بعد ان اشهرك بامر فظيع
وانسبك الى ما لا يحمل قال لا ابالي فافعل ما بدا لك فاني لا افارقك قال فاني ادس صاعي في
رحلك ثم انادي عليك بالسرقة ليتهيا لي ردك بعد تسريحك قال فافعل فذلك قوله تعالى
فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل اخيه وهي المشربة التي كان يشرب منها قال ابن
عباس كانت من زبرجد قال ابن اسحق كانت من فضة وقيل من ذهب وقال عكرمة كانت
مشربة من فضة مرصعة بالجواهر وجعلها يوسف مكيالا لئلا يكال بغيرها وكان يشرب
فيها والسقاية والصواع واحد جعلت في وعاء طعام اخيه بنيامين ثم ارتحلوا وامهلهم يوسف
حتى انطلقوا وذهبوا منزلا وقيل حتى خرجوا من العمارة ثم بعث خلفهم من استوقفهم وحبسهم
ثم اذن مؤذن نادى مناد ايتها العير العير اسم الابل التي عليها الاحمال لانها تعير اي تتردد
فقيل لاصحابها قال مجاهد كانت العير حميرا فلذا قيل هو جمع عير تجوزا به لقافلة الحمير ثم
استعير لكل قافلة انكم لسارقون قيل قالوه على تاويل انهم سرقوا يوسف من ابيه قالوا
واقبلوا عليهم ماذا تفقدون اي شيء ضاع عنكم والفقد غيبة الشيء من الحس بحيث لا يعرف
مكانه وقرئ تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به
حمل بعير من الطعام جعلا له وانا به زعيم كفيل يقوله المؤذن قالوا يعني اخوة يوسف
تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض لنسرق في ارض مصر فان قيل كيف قالوا لقد علمتم
ومن اين علموا ذلك قيل لانهم ردوا البضاعه التي جعلت في رحالهم قالوا فلو كنا سارقين
ما رددناها وقيل قالوا ذلك لانهم كانوا معروفين بانهم لا يتناولون ما ليس لهم وكانوا اذا دخلوا
مصر كمعوا افواه دوابهم كيلا يتناول شيئا من حروث الناس وما كنا سارقين قالوا يعني

المنادي

المنادي واصحابه فما جزاؤه اي ما جزاء السارق ان كنتم كاذبين في قولكم وما كنا سارقين
قالوا جزاؤه من وجد في رحله اي جزاء سرقته اخذ من وجد في رحله اي ان يسلم السارق برقبته
الى المسروق منه فيسترق سنة فهو جزاؤه تقرير للحكم والزام له وكان ذلك سنة ال يعقوب
في حكم السارق وكان حكم مصر ان يضرب السارق ويغرم ضعفي قيمة المسروق فاراد يوسف
ان يحبس اخاه عنده فرد الحكم اليهم ليمكن من حبسه عنده على حكمهم كذلك نجزي الظالمين
الفاعلين ما ليس لهم فعله من سرقة مال الغير فقال الرسول عند ذلك لا بد من تفتيش امتعتكم
فاخذ في تفتيشها وروي انه ردهم الى يوسف فامر بتفتيش اوعيتهم بين يديه فبدا باوعيتهم
لازالة التهمه قبل وعاء اخيه وكان يفتش اوعيتهم واحدا واحدا قال قتادة ذكر لنا انه كان
لا يفتح متاعا ولا ينظر في وعاء الا استغفر الله تائبا مما قذفهم به حتى اذا لم يبق الا رحل بنيامين
قال ما اظن هذا اخذ قالت اخوته والله لا نترك حتى ننظر في رحله فانه اطيب لنفسك و
انفسنا فلما فتحوا متاعه استخرجوه منه فذلك قوله تعالى فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه بنيامين
ثم استخرجها اي السقاية من وعاء اخيه فلما اخرج الصواع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤوسهم
من الحياء واقبلوا على بنيامين وقالوا بئس الذي صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يا ابني راحيل
لا يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصواع فقال بنيامين بل بنو راحيل لا يزال لهم منكم بلاء
ذهبتم باخي فاهلكتموه في البرية والله وضع هذا الصواع في رحلي الذي وضع البضاعة في رحالكم
فاخذوا بنيامين رقيقا كذلك مثل ذلك الكيد كدنا ليوسف فالكيد هاهنا جزاء الكيد اي كما
فعلوا في الابتداء بيوسف من الكيد فعلنا بهم ما كان لياخذ اخاه في دين الملك اي في حكمه
قاله قتادة وقال ابن عباس في سلطانه الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم حكم الملك يعني
ان يوسف لم يكن ليتمكن من حبس اخيه في حكم الملك لولا ما كدنا له بلطفنا حتى وجد
السبيل الى ذلك وهو ما اجرى على السنة الاخوة ان جزاء السارق الاسترقاق فحصل
مراد يوسف بمشية الله نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجة يوسف على اخوته
وفوق كل ذي علم عليم قال ابن عباس فوق كل عالم عالم الى ان ينتهي العلم الى الله عز وجل
والله فوق كل عالم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل يريدون اخا له من امه يعنون
يوسف واختلفوا في السرقة التي وصفوا بها يوسف عليه السلام فقال سعيد بن جبير
وقتادة كان لجده ابي امه صنم يعبده فاخذه سرا فكسره والقاه في الطريق لئلا يعبد وقال مجاهد
ان يوسف جاءه سائل يوما فاخذ بيضة من البيت فناولها السائل وقال سفين بن عيينة
اخذ دجاجة من الطير التي كانت في بيت يعقوب عليه السلم فاعطاها سائلا وقال وهب

كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وذكر محمد بن اسحق ان يوسف كان عند عمته واحبته
حبا شديدا فلما ترعرع وقعت محبة يعقوب عليه فاتاها وقال يا اختاه سلمي الي يوسف فوالله
ما اقدر على ان يغيب عني ساعة قالت لا والله فقال والله ما انا بتاركه فقالت دعه عندي
اياما انظر اليه لعل ذلك تسليني عنه ففعل ذلك فعمدت الى منطقة لاسحق كانوا يتوارثونها
بالكبر وكانت عندها لانها كانت اكبر ولد اسحق فحزمت المنطقة على يوسف تحت ثيابه وهو صغير
ثم قالت لقد فقدت منطقة اسحق اكشفوا اهل البيت فكشفوا فوجدوها مع يوسف فقالت والله
انه لسلم لي فقال يعقوب ان كان فعل ذلك فهو سلم لك فامسكته حتى ماتت فذلك الذي قال
اخوة يوسف ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فَأَسَرَّهَا اي اضمر يُوسُفُ الكلمة التي هي
جواب تلك المقالة فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ولم يظهرها لهم وهو انه قَالَ في نفسه
أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا اي منزلة في السرقة ممن رميتموه بالسرقة في صنيعكم بيوسف لانه لم يكن من
يوسف سرقة حقيقة وخيانتكم حقيقة وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ هو يعلم ان الامر ليس كما تصفون
ويقولون قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا في القصة انهم غضبوا غضبا شديدا لهذه
الحالة وكانوا بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا وكان روبيل اذا غضب لم يقم لغضبه
شيء واذا صاح القت كل امراة حامل سمعت صوته ولدها وكان مع هذا اذا مسه احد
من آل يعقوب سكن غضبه وقيل كان هذا صفة شمعون من ولد يعقوب وروى انهم
دخلوا على يوسف فقال روبيل ليردن علينا اخانا او لاصيحن صيحة لا يبقى بمصر امراة حامل
الا القت ولدها وقامت كل شعرة في جسد روبيل فخرجت من ثيابه فقال يوسف لابن له صغير
قم الى جنب روبيل فمسه ويروى خذ بيده فاتني به فذهب الغلام فمسه فسكن غضبه فقال
روبيل ان ههنا بذرا من بذر يعقوب فقال يوسف من يعقوب وروى انه غضب ثانيا فقام
اليه يوسف فركضه برجله واخذ بتلابيبه فوقع على الارض وقال انتم يا معشر العبرانيين
تظنون ان لا احد اشد منكم ولما صار امرهم الى هذا وراوا ان لا سبيل لهم الى تخليصه
خضعوا وذلوا وقالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او القدر ذكروا حاله استعطافا
له عليه فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ بدله إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ الينا فاتمم احسانك او من المتعودين
بالاحسان فلا تغير عادتك قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ فان اخذ غيره
ظلم على فتواكم ولم يقل من سرق تحرزا عن الكذب إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ في مذهبكم هذا ومراده
ان الله اذن ان اخذ من وجدنا الصاع في رحله لمصلحته ورضاه عليه فلو اخذت غيره
كنت خاطئا فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ اي يئسوا من يوسف واجابته اياهم وزيادة السين

العزم الشدم

التلابيب الجيب ٢

والتاء للمبالغة خَلَصُوا نَجِيًّا انفردوا واعتزلوا متناجين وانما وحد لانه مصدر كالدوى
على وزنه وهذا كما يقال هم صديق قَالَ كَبِيرُهُمْ في الراي قال ابن عباس والكلبي هو يهودا
وهو اعقلهم او في السن قال قتادة والسدي هو روبيل وكان اكبرهم في السن وهو
الذي نهى الاخوة عن قتل يوسف او في الرياسة قال مجاهد هو شمعون وكان له الرياسة
على اخوته أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ عهدا وثيقا وانما جعل حلفهم
بالله موثقا منه لانه كان باذن منه وتاكيد من جهته وَمِنْ قَبْلُ اي ومن قبل هذا مَا
فَرَّطْتُمْ قصرتم فِي يُوسُفَ في شانه وما مزيدة او مصدرية بالعطف على المفعول فَلَنْ
أَبْرَحَ الْأَرْضَ فلن افارق ارض مصر حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي بالخروج منها ويدعوني أَوْ
يَحْكُمَ اللَّهُ لِي برد اخي الي او خروجي وترك اخي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ لان حكمه لا يكون
الا بالحق ارْجِعُوا إِلَى أَبِيكُمْ يقول الاخ المحتبس بمصر لاخوته ارجعوا الى ابيكم فَقُولُوا يَا أَبَانَا
إِنَّ ابْنَكَ بنيامين سَرَقَ قال ابن عباس والضحاك سُرِّقَ بضم السين وكسر الراء وتشديدها
يعني نسب الى السرقة وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا يعني ما قلنا هذا الا بما علمنا فانا راينا اخراج الصاع
من متاعه وقيل قال لهم يعقوب ما يدريك هذا الرجل ان السارق يوخذ بسرقته الا بقولكم
فقالوا ما شهدنا عند يوسف ان السارق يسترق الا بما علمنا وكان ذلك الحكم عند الانبياء
يعقوب وبنيه وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ قال مجاهد وقتادة ما كنا نعلم ان ابنك سيسرق
ويصير امرنا الى هذا ولو علمنا بذلك ما ذهبنا به وقال عكرمة وما كنا للغيب حافظين فلعلها
دست بالليل في رحله وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ اي اهل القرية الَّتِي كُنَّا فِيهَا وهي مصر والمعنى ارسل
الى اهلها واسالهم عن القصة وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا اي القافلة التي كنا فيها وكان صحبتهم
قوم من كنعان من جيران يعقوب قال ابن عباس عرف الاخ المحتبس بمصر ان اخوته
اهل تهمة عند ابيهم لما كانوا صنعوا في امر يوسف فامرهم ان يقولوا هذا لابيهم وَإِنَّا
لَصَادِقُونَ تاكيد في معنى القسم فان قيل كيف استجاز يوسف ان يعمل هذا بابيه ولم يخبره
بمكانه وحبس اخاه مع علمه بشدة وجد ابيه عليه ففيه معنى العقوق وقطيعة الرحم وقلة
الشفقة قيل انه عمل ذلك بامر الله تعالى امره به ليزيد في بلاء يعقوب ويضاعف له
الاجر ويلحقه في الدرجة بابائه الماضين قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فيه اضمار
والمعنى فرجعوا الى ابيهم وذكروا لابيهم ما قال كبيرهم فقال يعقوب بل سولت زينت وسهلت
لكم انفسكم امرا اردتموه والا فمن ادرى الملك ان السارق يوخذ بسرقته لولا تعليمكم
قال محمد بن اسحق لما جاءوا يعقوب واخبروه بما جرى لهم وظن انها كفعلتهم بيوسف

ع

قال بل سولت لكم انفسكم امرا قال بعضهم امرا اي حمل اخيكم الى مصر لطلب نفع عاجل
اي لما كان صنيعهم هذا مرتبا على فعلهم الاول انسحب حكم الاول عليه فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
اي فامري صبر جميل او فصبر جميل اجمل عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا بيوسف وبنيامين
واخيهم الذي توقف بمصر إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ بحالي وحزني على فقدهم وحالهم ووجدهم على
فقدي الْحَكِيمُ في تدبير خلقه قال الجنيد الصبر الجميل ان يحمل ابتداء انتهاءه لا يبدي
فيه تحيرا ولا تقطعه بدعوى بل يمضي في جميع اوقاته على رؤية من اكرمه بالصبر وَتَوَلَّى
عَنْهُمْ لما بلغ يعقوب خبر بنيامين تتام حزنه وبلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض
عنهم وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ اي يا اسفي تعال فهذا اوانك والاسف اشد الحزن جدد له
حزن الابنين الحزن الاول الذي هو قاعدة المصيبات والاخذ بمجامع قلبه فقال يا اسفي
على يوسف عن سعيد بن جبير انه قال لم يعط احد غير هذه الامة الاسترجاع الا تسمعون
الى قول يعقوب يا اسفي على يوسف قال الكاشف وقال يا اسفي على مراه الله في بلاد
الله بذكر ايام الوصال وظهور انوار الجمال وتاسف بالفراق والانفصال بعد اتصال

شعر

شغى الله ايامنا ولياليا ۰ مضت فجرت من ذكرهن دموع
ما هل لها يوما من الدهر اوبة ۰ وهل لي ارض الحبيب رجوع

وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ لكثرة بكائه من الحزن كانت
محقت سوادها قال مقاتل لم يبصر بها ست سنين وقيل ضعف بصره وفيه دليل على
جواز التاسف والبكاء عند التفجع ولعل امثال ذلك لا يدخل تحت التكليف فانه قل من
يملك نفسه عند الشدائد ولقد بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابرهيم
وقال القلب يجزع والعين يدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا اليك يا ابرهيم لمحزونون
فَهُوَ كَظِيمٌ اي مَكْظُومٌ مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبثه من كظم السقاء اذا شد على ملائه
قال قتادة يردد حزنه في جوفه ولم يقل الا خيرا فاخذ من كظم الغيظ اذا اجترعه و
اصله كظم البعير جرته ردها في جوفه فعلى هذا كظيم بمعنى الكاظم قال تعالى والكاظمين
الغيظ قال الحسن كان بين خروج يوسف من حجر ابيه الى يوم التقى معه ثمانون عاما
لا يجف عينا يعقوب وما على وجه الارض اكرم على الله من يعقوب عليه السلام
قَالُوا يعني اولاد يعقوب تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ اي لا يزال تذكر يوسف لا تفتر عن
حبه يقال ما فتئ يفعل كذا اي ما زال ولا يحذفونه حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا اصل الحرض الفساد
في الجسم والعقل قال ابن عباس دنفا اي دنف الجسم وقال ايضا فاسدا اي لا عقل له قال
مجاهد الحرض ما دون الموت يعني قريبا من الموت وهو في الاصل مصدر ولذلك لا يؤنث

ولا يثنى ولا يجمع والنعت بالكسر كدنف ودنف وقرئ به وبضمتين كجنب أَوْ تَكُونَ
مِنَ الْهَالِكِينَ اي الميتين قال الكاشف لم يعلموا ان العاشق لا يزال ذاكرا لمعشوقه
وكيف يسكن المحب عن ذكر محبوبه وهو مستغرق بجميع وجوده في ذكر محبوبه شعر
فان تمنعوا ليلى وحسن حديثها ۰ فلم تمنعوا مني البكاء والقوافيا ۰ خوفوه بالهلاك والمرض
فكيف يفزع العاشق من هلاكه في عشق محبوبه وهلاكه حيوته قال الله تعالى بل احياء عند
ربهم قال ابو سعيد القرشي كل مشتاق لا يزال يذكر ابنه وحبيبه حتى يعرض الناس على ذلك
واما يموت او يصل الى قربه فذلك قوله تعالى تالله تفتؤ تذكر يوسف قيل الطف الاشارة في الحوى
الهلاك في حكم الهوى فكيف يخوف بالهلاك من كان احب الاشياء اليه الهلاك قَالَ يعقوب
عند ذلك لما راى غلظهم إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي همي الذي لا اقدر الصبر عليه من البث
بمعنى النشر قال الحسن اي حاجتي إِلَى اللَّهِ لا الى احد منكم ومن غيركم فخلوني وشكايتي
روى انه دخل على يعقوب جار له فقال له يا يعقوب ما لي اراك قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ
من السن ما بلغ ابوك قال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله تعالى
اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي فقال يا رب خطيئة اخطاتها فاغفرها لي فقال قد غفرتها
لك وكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكو بثي وحزني الى الله وروى انه قيل له يا يعقوب
ما الذي اذهب بصرك وقوس ظهرك قال اذهب بصري بكائي على يوسف وقوس
ظهري حزني على اخيه فاوحى الله تعالى اليه وعزتي لو كانا ميتين لاخرجتهما لك وانما
وجدت عليكم انكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه منها وان احب خلقي الي
الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر
الليلة عند آل يعقوب كذا اورده محي السنة وروى مثله ابن ابي حاتم باسناده الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الشيخ ابن الكثير هذا حديث غريب فيه نكارة وروى انه
كان بعد ذلك اذا تغذى امر من ينادي من اراد الغداء فليات آل يعقوب فكان يتغدى
ويتعشى مع المساكين وعن وهب ابن منبه قال اوحى الله تعالى الى يعقوب تدري لم عاقبتك و
حبست عنك يوسف ثمانين سنة قال لا يا الهي قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك
واكلت ولم تطعمه وروي ان سبب ابتلاء يعقوب انه ذبح عجلا بين يدي امه وهي
تخور وقال وهب والسدي وغيرهما اتى جبرئيل يوسف في السجن فقال هل تعرفني ايها
الصديق قال ارى صورة طاهرة وريحا طيبة قال اني رسول رب العالمين وانا الروح الامين
قال فما ادخلك مدخل المذنبين وانت اطيب الطيبين وراس المقربين وامين رب العالمين

اوحى م

قال الم تعلم يا يوسف ان الله يطهر البيوت بطهر النبيين وان الارض التي يدخلونها اطهر الارضين وان الله تعالى قد طهر بك السجن وما حوله باطهر الطاهرين وابن الصالحين المخلصين قال كيف لي باسم الصديقين وتعدني في المخلصين الطاهرين وقد ادخلت مدخل المذنبين وسميت باسم الفاسقين قال لانه لم يفتن قلبك ولم تطع سيدتك في معصية ربك لذلك سماك الله في الصديقين وعدك من المخلصين والحقك بآبائك الصالحين قال هل لك علم بيعقوب ايها الروح الامين قال نعم وهب الله له الصبر الجميل وابتلاه بالحزن عليك وهو كظيم قال فما قدر حزنه قال حزن سبعين ثكلى قال فماذا له اجر قال اجر مائة شهيد قال افتراني لاقيه قال نعم فطابت نفس يوسف وقال ما ابالي ما لقيت ان رايته قال الكاشفي كان بث يعقوب وحزنه من الله وكذا شكواه فقال اشكو منه اليه و افرق حزني بين يديه لان مامنه لا يرجع الا اليه ما اطيب شكوى المحب الى حبيبه لان المحب يعلم مداواة حبيبه لا غير الى الله اشكو ما لقيت من الهجر ومن كثرة البلوى ومن قلة الصبر ومن حرق بين الجوانح والحشا لحر العصا لا بل احر من الجمر واعلم من الله ما لا تعلمون من صنعه ورحمته وانه لا يخيب داعيه ولا يدع الملتجئ اليه واعلم من حياة يوسف ما لا تعلمون روي ان ملك الموت زار يعقوب فقال له ايها الملك الطيب ريحه الحسن صورته هل قبضت روح ولدي في الارواح قال لا فسكن يعقوب فطمع في رؤيته وقيل واعلم ان رؤيا يوسف صادقة واني وانتم سنسجد له وقال السدي لما اخبره ولده بسيرة الملك احست نفس يعقوب فطمع وقال لعله يوسف فقال يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه اطلبوا الخبر من يوسف واخيه والتحسس طلب الشيء بالحاسة قالوا التحسس بالحاء والجيم لا يبعد احدهما من الآخر الا ان التحسس بالحاء في الخير والتجسس في الشر روي عن عبد الله بن زيد بن ابي فروة ان يعقوب كتب كتابا الى يوسف عليهما السلام حين حبس بنيامين بسم الله الرحمن الرحيم من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله بن ابرهيم خليل الله الى ملك مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء اما جدي ابرهيم فشدت يداه ورجلاه والقي في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما ابي فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ففداه الله واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم فقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناي ثم كان لي ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به وانك حبسته و زعمت انه سرق وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت

عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرا يوسف الكتاب لم يتمالك البكاء وعيل صبره فاظهر نفسه على ما نذكر ان شاء الله تعالى ولا تيأسوا من روح الله ولا تقنطوا من فرج الله وقرئ من روح الله اي من رحمته التي يحيي بها العباد انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون بالله وصفاته فان العارف لا يقنط في شيء من الاحوال قال الجنيد يحقق رجاء الراجين عند تواتر المحن وتواتر المصائب لان الله تعالى يقول ولا تيأسوا من روح الله يقول افضل العبادة انتظار الفرج فلما دخلوا عليه فيه ايجاز والمعنى فخرجوا راجعين الى مصر حتى رجعوا اليها فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر الشدة والجوع وجئنا ببضاعة مزجاة اي قليلة ترد وتدفع رغبة عنها من ارجيته اذا دفعته ولختلفوا فيها فقال ابن عباس كانت دراهم ردية زيوفا وقيل كانت خلق الغرائر والجبال وقيل كانت من متاع الاعراب من الصوف والاقط قال الكلبي ومقاتل حبة الخضراء وقيل كانت الادم والنعال فاوف لنا الكيل اي اعطنا ما كنت تعطينا قبل بالثمن الجيد الوافي وتصدق علينا اي تفضل علينا بما بين الثمنين الجيد والردي ولا تنقصنا هذا قول اكثر المفسرين وقال ابن جريج والضحاك وتصدق برد اخينا ان الله يجزي المتصدقين احسن الجزاء والتصدق التفضل مطلقا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في قصر الصلوة هذه صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته لكنه اختص عرفا بما يبتغى به ثواب من الله روي ان الحسن سمع رجلا يقول اللهم تصدق علي قال الله لا يتصدق وانما يتصدق من يبتغي الثواب قل اللهم اعطني وتفضل علي وسئل سفيان بن عيينة هل حرمت الصدقة على نبي من الانبياء سوى نبينا عليه الصلوة والسلام قال سفيان الم تسمع قوله وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين يريد ان الصدقة كانت حلالا لهم قال هل علمتم قبح ما فعلتم بيوسف واخيه وفعلهم باخيه افراده عن يوسف واذلاله حتى كان لا يستطيع ان يكلمهم الا بعجز اذ انتم جاهلون قبحه فلذلك اقدمتم عليه او عاقبته وانما قال ذلك نصحا لهم وتحريضا على التوبة وشفقة عليهم لما راى من عجزهم وتمسكنهم لا معاتبة وتثريبا وقيل اعطوه كتاب يعقوب عليه السلام في تخليص بنيامين وذكروا له ما هو فيه من الحزن على فقد يوسف واخيه فقال لهم ذلك وانما نسبهم الى الجهل لان فعلهم هذا كان فعل الجاهلين كما قال بعض السلف كل من عصى الله فهو جاهل وقرا ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم او لانهم كانوا صبيانا طياشين قالوا ائنك لانت يوسف استفهام تقرير ولذلك حقق بان واللام قال

قال عطاء عن ابن عباس ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج وكان له في قرنه علامة تشبه الشامة وكان ليعقوب ولاسحق مثلها ولسارة مثلها فعرفوه وقالوا ائنك لانت يوسف قال الضحاك عن ابن عباس لما قال هذا القول تبسم فراوا ثناياه كاللؤلؤ المنظوم فشبهوه بيوسف فقالوا استفهاما ائنك لانت يوسف وقيل قالوه على التوهم حتى قال انا يوسف وهذا اخي من ابي وابي ذكره تعريفا لنفسه به وتفخيما لشانه وادخالا له في قوله قد من الله علينا بالسلامة والكرامة انه من يتق اي يتق الله ويصبر على البليات او على الطاعات وعن المعاصي قال ابن عباس يتقي الزنا ويصبر على العزوبة قال مجاهد يتق المعصية ويصبر على السجن وقد مر اكثر من مرة ان مرادهم ليس الحصر بل التنبيه على بعض الافراد الذي هو ادخل في الباب والعموم المستفاد من الآية هو المقصود فان الله لا يضيع اجر المحسنين قال ابن عطاء من يتق من ارتكاب المحارم ويصبر على اداء الفرائض فان الله لا يضيع سعي من احسن في هذين المقامين واعتمد على الله ولم يعتمد على سعيه وعمله وقال الكاشفي من يتق في الخلوة عن متابعة الشهوة والوقوع في التهمة ويصبر عن انفاذ هوى النفس فان الله لا يضيع اجر المحسنين قالوا معتذرين تالله لقد آثرك الله علينا اختارك وفضلك علينا بحسن الصورة وكمال السيرة وان كنا لخاطئين والحال ان شاننا انا كنا مذنبين بما فعلنا معك يقال خطئ خطأ اذا تعمد واخطأ اذا كان غير متعمد قال يوسف لا تثريب عليكم لا تانيب ولا تعيير تفعيل من الثرب وهو الشحم الذي يغشى الكرش للازالة كالتجليد فاستعير للتقريع الذي يمزق العرض ويذهب ماء الوجه اليوم متعلق بالتثريب والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته فما ظنكم بسائر الايام او بقوله يغفر الله لكم لانه صفح عن جريمتهم واعترفوا بها حينئذ قال شاه الكرماني رحمه الله من نظر الى الخلق بعين الحق سلم من مخالفاتهم ومن نظر اليهم بعينه افنى ايامه في مخالفاتهم الا ترى ان يوسف لما علم مجاري القضاء كيف عذر اخوته وقال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين فانه يغفر الصغائر والكبائر ويتفضل على التائب قال القاضي ومن كرم يوسف انهم لما عرفوا ارسلوا اليه وقالوا انك تدعونا بالبكرة والعشي الى الطعام ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال ان اهل مصر كانوا ينظرون الي بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت بكم وعظمت في عيونهم حيث علموا انكم اخوتي واني من حفدة ابرهيم ثم لما عرفهم يوسف نفسه سالهم عن ابيه فقال ما فعل ابي بعدي قالوا ذهبت عيناه فاعطاهم قميصه وقال اذهبوا بقميصي هذا

فالقوه على وجه ابي يات بصيرا يرجع بصيرا وقيل ياتني بصيرا لانه كان دعاه قال الحسن لم يعلم انه يعود بصيرا الا بعد ان اعلمه الله تعالى وقال مجاهد امره جبريل عليه السلام ان يرسل اليه قميصه وكان ذلك القميص قميص ابرهيم عليه السلام وذلك انه جرد من ثيابه والقي في النار عريانا فاتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه وكان ذلك عند ابرهيم فلما مات ابرهيم ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك في قصبة وشد راسها وعلقها في عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لا يفارقه فلما القي في البئر عريانا جاء جبريل وعلى يوسف ذلك التعويذ فاخرج القميص منه والبسه ففي ذلك الوقت جاء جبريل وقال ارسل ذلك القميص فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا سقيم الا عوفي فدفع ذلك القميص الى اخوته وقال القوه على وجه ابي يات بصيرا واتوني باهلكم اجمعين اي واتوني انتم وابي باهلكم اجمعين بنسائكم وذراريكم ومواليكم فلما فصلت العير من مصر قال ابوهم اي قال يعقوب لولده ولد ولده اني لاجد ريح يوسف اوجده الله ريح ما عبق بقميصه من ريحه حين اقبل به اليه يهوذا عن ابن عباس من مسيرة ثمان ليال وقال الحسن كان بينهما ثمانون فرسخا لولا ان تفندون تنسبوني الى الفند وهو نقصان عقل يحدث من هرم وجواب لولا محذوف تقديره لصدقتموني قال الكاشفي وجد ريح يوسف لانه كان في كل انفاسه مستنشقا لريح يوسف وهكذا شان كل عاشق يستنشقون نفحات ريح وصال الازل ويستشمون نسائم ورد مشاهدة الابد بقلوب حاضرة وعيون باكية في الفلوات والصحاري والفلوات كانهم ينشدون هذين البيتين في كل وقت شوقا الى تلك المعادن شعر

اياحيلي نعمان بالله خليا … طريق الصبا يخلص الى نسيمها

فان الصبا ريح اذا ما تنسمت … على قلب مهموم تجلت همومها

ولذلك قال عليه الصلوة والسلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لنفحات الرحمن ما اطيب حال المحبين حيث راقبوا لوائح كشف الصفات من معادن الذات وطلبوا عرائس القدم في قميص الالتباس كانهم ينشدون من غاية الشوق الى تلك المعاهد هذين البيتين

سلام على تلك المعاهد انها … شريعة ورد او مهب شمال

فوا ضرب ارضي من سوالي اهلها … محل سرق او نطف خيال

فسبحان هذه القصة الحسنة الالهية ما احسن شمائلها وما الطف لطائفها وما انور لوائحها انظر كيف اخبر سبحانه وتعالى من حسن احوال العاشقين قال نحن نقص عليك احسن القصص قالوا بنو اولاده واولاد اولاده تالله انك لفي ضلالك القديم لفي خطاك القديم من ذكر يوسف لا ينساه والضلال هو الذهاب عن طريق الصواب فان عندهم ان يوسف قد مات فلما

أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ وهو المبشر عن يوسف قال ابن مسعود جاء البشير بين يدى العير قال ابن عباس هو يهوذا قال السدى قال يهوذا انا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فاخبرته انه اكله الذئب فانا اذهب اليوم بالقميص واخبره انه حى فافرحه كما احزنته قال ابن عباس حمله يهوذا وخرج حافيا حاسرا يعدو ومعه سبعة ارغفة لم يستوف اكلها حتى اتاه وقيل ان البشير مالك ابن ذعر أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ طرح البشير القميص على وجه يعقوب او على يعقوب نفسه فَارْتَدَّ بَصِيرًا فعاد بصيرا بعد ما كان عمى وعادت قوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن قال الكاشف الاشارة فيه ان العاشق القائم المنتظر لقاء الحق سبحانه الذاهب عينه من طول البكاء يجئ اليه بشير بجلاله فلقى على وجهه عبهر انسه وورد قدسه فيفوح عنه بنسيم شماله وصاله فاذا رأى الحق بالحق لما وصل قميص الحبيب الى وجه المحب رجع اليه نور عينه لانه وجد لذة نفحة الحق من قميص يوسف محل تجلى الحق وقلبه مهب شمال جلاله وجد منه روح حنان قدسه ومحال ان من وصل اليه شمال جماله بقى عليه ظلمة العمى وحكمة القاء القميص على الوجه ان قميص الحبيب لم يكن له موضع الا وجه العاشق لذلك قال القوه على وجه ابى وفى موضع نضع العشاق تراب اقدامهم على عيونهم كيف لا يضعون قميصهم على وجوههم فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم اذا اتى باكورة قبلها ووضعها على عينيه وقال هذا حديث عهد بربه قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ من حيوة يوسف وان الله يجمع بيننا روى انه قال للبشير كيف يوسف قال انه ملك مصر فقال ما اصنع بالملك على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ قال الكاشف استغفر لنا من تضييع اوقاتنا فى متابعة هوانا واحتجابنا من رؤية ربنا وما الطيب حال الندامة لان منها يتولد احوال الكرامة قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قال اكثر المفسرين اخر الدعاء الى السحر وهو الوقت الذى يقول الله تعالى هل من داع فاستجيب له قال الكاشف ان يعقوب كان عالما باسمه وبصفاته وبالاوقات التى هو تعالى يقبل توبة المذنبين ويغفر ذنوب الخاطئين ويستجيب دعوة المضطرين وهو وقت نصوح مسك نفحات شمال وصلته فى ارواح المقربين وفواد الصادقين وقلوب العارفين واسرار المحبين ونفوس المريدين وهم يعرفون منه مكان قبول التوبة واستجابة الدعوة وعلامتها اقشعرار جلودهم ووجل قلوبهم واضطراب صدورهم وفوران عبراتهم وهيجان اسرارهم ووقوع نور التجلى فى صميم افئدتهم وطيران ارواحهم فى رياض الملكوت وانوار الجبروت واكثر ذلك وقت الاسحار فلما انتهى

الى الموعد قام الى الصلوة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه الى الله عز وجل ثم قال اللهم اغفر لى جزعى على يوسف وقلة صبرى عنه واغفر لاولادى ما اتوا الى اخيهم يوسف فاوحى الله تعالى اليه انى قد غفرت لك ولهم اجمعين وعن عكرمة عن ابن عباس قال سوف استغفر لكم ربى يعنى ليلة الجمعة ورفعه ابن جرير الى النبى صلى الله عليه وسلم قال الشيخ ابن الكثير وفى رفعه نظر وروى ابن جرير ايضا عن محارب ابن دثار انه قال كان عمر رضى الله عنه يأتى المسجد فسمع انسانا يقول اللهم دعوتنى فاجبت وامرتنى فاطعت وهذا السحر فاغفر لى قال فاستمع الصوت فاذا هو من دار عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه فسئل عبد الله عن ذلك فقال ان يعقوب اخر بنيه الى السحر بقوله سوف استغفر لكم ربى قال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة فى نيف وعشرين سنة وقال طاوس اخر الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ليلة عاشوراء وعن الشعبى قال سوف استغفر لكم ربى قال اسأل يوسف ان عفى عنكم استغفر لكم وهذا لان عفو المظلوم شرط المغفرة روى ان يوسف كان بعث مع البشير الى يعقوب مايتى راحلة وجهازا كثيرا ليأتوا يعقوب واهله وولده فتهيأ يعقوب للخروج الى مصر فخرجوا وهم اثنان وسبعون من بين رجل وامرأة قال مسروق كانوا ثلاثة وتسعين فلما دنا من مصر كلم يوسف الملك الذى فوقه فخرج يوسف والملك فى اربعة آلاف من الجند وركب اهل مصر معهما يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشى وهو متوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر قال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدأه بالسلام فقال جبرئيل لا حتى يبدأه يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان وروى انهما نزلا وتعانقا وقال الثورى لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكى فقال يوسف يا ابت بكيت على حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيمة تجمعنا قال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بينى وبينك فذلك قوله فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ ضم اليه اباه وخالته واعتبرهما ابوين لانها منزلة الام بمنزلة العم منزلة الاب كما قال اكثر المفسرين لان امه ماتت فى نفاس بنيامين وقال الحسن هو ابوه وامه وكانت حية وفى بعض التفاسير ان الله تعالى احيى امه حتى جاءت مع يعقوب الى مصر وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ فان قيل فعد ما قال فلما دخلوا على يوسف آوى اليه ابويه فكيف قال ادخلوا مصر بعد ما اخبر انهم دخلوها وما وجه هذا الاستثناء وقد حصل الدخول قيل قيل الاستثناء يرجع الى الامن من الجواز لانهم كانوا لا يدخلون مصر قبله الا بجواز من ملوكهم يقول آمنين

من الجواز ان شاء الله كما قال تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقيل ان ههنا بمعنى اذ يريد اذ شاء الله كقوله تعالى وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين اى اذ كنتم مؤمنين وقيل هذا من المقدم والمؤخر ومعنى الكلام وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وآوى اليه ابويه ورفعهما على العرش وقد رد ابن جرير ذلك ثم اختار ما حكاه عن السدى ان يوسف آوى اليه ابويه لما تلقاهما ثم لما وصلوا باب البلد قال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين قال الشيخ ابن الكثير وفى هذا نظر ايضا لان الايواء انما يكون فى المنزل لقوله تعالى آوى اليه اخاه وفى الحديث من آوى محدثا وما المانع ان يكون قال لهم بعد ما دخلوا عليه وآواه هما اليه ادخلوا مصر وضمنه اسكنوا مصر ان شاء الله آمنين اى مما كنتم فيه من الجهد والقحط قال وتقال والله اعلم ان الله تعالى رفع عن اهل مصر بقية السنين المجدبة ببركة قدوم يعقوب عليهم كما رفع بقية السنين التى دعا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على اهل مكة حين قال اعنى عليهم بسبع كسبع يوسف لما تضرعوا اليه واستشفعوا لديه وارسلوا ابا سفين فى ذلك فدعا لهم فرفع عنهم بقية ذلك ببركة دعائه صلى الله عليه وسلم وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ اى على السرير اجلسهما عليه والرفع هو النقل الى العلو وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا يعنى يعقوب وخالته واخوته وكانت تحية الناس حينئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الارض وانما هو الانحناء والتواضع وقيل وضعوا الجباه وكان ذلك على طريق التحية والتعظيم لا على طريق العبادة وكان ذلك جائزا فى الامم السالفة فنسخت فى هذه الشريعة وروى عن ابن عباس انه قال معناه وخروا لله سجدا بين يدى يوسف والظاهر ان مقصوده ان المعنى خروا لاجله سجدا لله شكرا قال محيى السنة والاول اصح وَقَالَ يوسف عند ذلك يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ رايتها فى ايام الصبى انى رايت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا صدقا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ولم يذكر الجب مع كونه اشد من السجن استعمالا للكرم لكيلا يخجل اخوته بعد ما قال لا تثريب عليكم اليوم وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ من البادية لانهم كانوا اصحاب المواشى مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ افسد من نزغ الشيطان الرائض الدابة اذا نخسها وحملها على الجرى بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي بالحسد إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ لطيف التدبير له اذ ما من صعب الا وتنفذ فيه مشيته ويسهل دونها إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ بوجوه المصالح والتدابير الْحَكِيمُ الذى يفعل كل شئ فى وقت وعلى وجه يقتضى الحكمة قال اهل التاريخ اقام يعقوب عند يوسف اربعة وعشرين سنة فى اغبط حال واهنأ عيش ثم مات بمصر فلما حضرته الوفاة

اوصى الى ابنه يوسف ان يحمل جسده حتى يدفنه عند ابيه اسحق ففعل يوسف ومضى حتى دفنه بالشام ثم مضى الى مصر قال سعيد بن جبير رضى الله عنه نقل يعقوب فى تابوت من ساج الى بيت المقدس فوافق ذلك يوم مات عيص فدفنا فى قبر واحد وكانا ولدا فى بطن واحد وكان عمرهما مائة وسبعة واربعين سنة فلما جمع الله تعالى ليوسف شمله وعلم ان نعيم الدنيا لا يدوم سأل الله تعالى حسن العاقبة فقال رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ بعض الملك وهو ملك مصر والملك اتساع المقدور لمن له سياسة وتدبير وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ الكتب او الرؤيا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مبدعهما أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تتولانى بالنعمة فيهما تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ من آبائى النبيين او بعامة الصالحين فى الرتبة والكرامة قال قتادة لم يسأل نبى من الانبياء الموت الا يوسف وعنه او لنبى دعا بذلك وهذا يحتمل انه اول من سأل الوفاة على الاسلام كما ان نوحا عليه السلام اول من قال رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا ويحتمل انه اول من سأل ايجاب ذلك وهو ظاهر سياق بعض الرواة ولكن هذا لا يجوز فى شريعتنا فى الصحيحين وغيرهما لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل به فان كان ولا بد فليقل اللهم احينى ما كانت الحيوة خيرا لى وتوفنى ان كانت الوفاة خيرا لى وروى الامام احمد وغيره عن محمود بن لبيد انه قال ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اثنتان يكرههما ابن آدم الموت والموت خير للمؤمن من الفتنة ويكره قلة المال وقلة المال اقل للحساب فلهذا قال العلماء وعند حلول الفتنة فى الدين يجوز سؤال الموت ولهذا قال على رضى الله عنه فى اخر امارته لما راى ان الامور لا تجتمع له ولا تزداد الامور الا شدة قال اللهم خذنى اليك فقد سئمتهم وسئمونى وفى الحديث ان الرجل ليتمنى بالقبر اى فى زمان الدجال فيقول يا ليتنى كنت مكانك لما يرى من الفتن قال الحسن القى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وغاب عن ابيه ثمانين وعاش بعد لقاء يعقوب ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة وفى التورية مائة وعشر سنين وولد ليوسف من امرأة العزيز ثلثة اولاد افرائيم ومنشا ورحمة امرأة ايوب عليه السلام وقيل عاش يوسف بعد ابيه ستين سنة وقيل اكثر واختلف الاقاويل فيه وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة ودفن فى النيل فى صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس فيه وطلب اهل

كل محلة ان يدفن في محلتهم رجاء بركته حتى هموا بالقتال فرأوا ان يدفنوه في النيل حتى سفرق الماء بمصر ليجرى الماء عليه وتصل بركته الى جميعهم قال عكرمة دفن في الجانب الايمن من النيل فاخضب ذلك الجانب واجدب الجانب الاخر فنقل الى جانب الايسر فاخصب ذلك الجانب واجدب الاخر فدفنوه في وسطه وقدروا ذلك بسلسلة فاخصب الجانبان الى ان اخرجه موسى فدفنه بقرب آبائه بالشام ذلك الذي ذكر من نبأ يوسف من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم وما كنت يا محمد عند اولاد يعقوب اذ اجمعوا امرهم اى عزموا على القاء يوسف في الجب وهم يمكرون بيوسف وما اكثر الناس يا محمد ولو حرصت على ايمانهم بمؤمنين لعنادهم روى ان اليهود وقريشا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف فلما اخبرهم على موافقة التورية لم يسلموا فحزن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل له انهم لا يؤمنون ولو حرصت على ايمانهم وما تسألهم عليه على الانباء او القرآن من اجر جعل كما تفعله جملة الاخبار ان هو الا ذكر عظة من الله للعالمين عامة وكاين من آية وكم من آية من الآيات الدالة على وجود الصانع وحكمته وكمال قدرته وتوحيده في السموات والارض يمرون عليها على الآيات ويشاهدونها وهم عنها معرضون لا يتفكرون فيها ولا يعتبرون قال الكاشف اخبر سبحانه وتعالى انه بجلال قدرته البس انوار قدرته وهيبته على آيات السموات والارض وجعل كل ذرة من العرش الى الثرى مرآة يتجلى منها لذوى البصائر من العارفين وذوى العقول من الموحدين ولا يرى بها الا لمن كان له بصر منور بنور الايقان والعرفان واعلمنا ان اهل الجهل والعمى محجوبون عنها حيث يرون ظاهرها ولا يرون حقائقها وما يؤمن اكثرهم بالله في اقرارهم بان الله خلقهم وخلق السموات والارض الا وهم مشركون بعبادة غيره او باتخاذ الاحبار اربابا او القول بالنور والظلمة او النظر الى الاسباب ونحو ذلك عن ابن عباس انه قال انها نزلت في تلبية المشركين من العرب كانوا يقولون لبيك اللهم لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك في الحديث من حلف بغير الله فقد اشرك رواه الترمذى وعن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرقى والتمائم والتولة شرك رواه احمد وابو داود وفي لفظ لهما الطيرة شرك وما منا الا ولكن الله تعالى يذهبه بالتوكل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال

صلى الله عليه وسلم الرياء يقول الله تعالى يوم القيمة اذا جزى الناس باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء رواه الامام احمد وغيره وعن عبد الله ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ردته الطيرة من حاجة فقد اشرك قالوا يا رسول الله ما كفارة ذلك قال صلى الله عليه وسلم ان يقول احدكم اللهم لا خير الا خيرك ولا طير الا طيرك ولا اله غيرك رواه الامام احمد وغيره وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الشرك الخفى فيكم من دبيب النمل فقال ابو بكر رضى الله عنه وهل الشرك الا من دعا مع الله الها آخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الخفى فيكم من دبيب النمل ثم قال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على ما يذهب عنك صغير ذلك وكبيره قل اللهم انى اعوذ بك ان اشرك بك وانا اعلم واستغفرك مما لا اعلم رواه الحافظ ابو يعلى الموصلى وغيره وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه يا رسول الله علمنى شيئا اقوله اذا اصبحت واذا امسيت واذا اخذت مضجعى قال قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شئ ومليكه اشهد ان لا اله الا انت اعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه رواه ابو داود والترمذى والنسائى والامام احمد قال الكاشف من نظر في رؤيته للحق الى نفسه او الى غيره من العرش الى الثرى لم يكن موحدا محققا وهذا مذهب الجمهور من العارفين أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله عقوبة تغشيهم وتشملهم أو تأتيهم الساعة بغتة فجاءة من غير سابقة علامة وهم لا يشعرون باتيانها غير مستعدين لها قل هذه سبيلى يعنى الدعوة الى التوحيد والاعداد للمعاد أدعو الى الله على بصيرة بيان وحجة واضحة غير عمياء أنا تاكيد للضمير المستكن في ادعو او الى الله قال ابن زيد حق على من اتبعه ان يدعو الى ما دعى اليه ويذكر بالقرآن هذا على الوجه الاول من الاعراب واما على الوجه الثانى فالمعنى اى على بصيرة وكل من اتبعنى على بصيرة قال ابن عباس يعنى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا على احسن طريقة واقصد هداية معدن العلم وكنز الايمان وجند الرحمن وقال ابن مسعود من كان مستنا فليستن بمن قد مات اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا خير هذه الامة ابرها قلوبا واعمقها علما واقلها تكلفا قوم اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم ونقل شريعته فتشبهوا باخلاقهم فهم كانوا على الهدى المستقيم

وسبحان الله وانزهه تنزيها من الشركاء وعن ادراك المدركين وما أنا من المشركين قال الكاشف اى ما انا من الملتفتين الى غيره بوصف المحبة وما انا من المشركين الذين يظنون ان الله ليس بمدركهم قال بعضهم الداعى الى الله يدعو الخلق اليه به لا يكون لنفسه فيه حظ والداعى الى سبيل الله يدعوهم بنفسه اليه لذلك لم يرث الاجابة الا من يدعو الى سبيله لمشاكلة الطبع وقل من يجيب الداعى الى الحق لان فيه مفارقة الطبع والنفس وما أرسلنا من قبلك الا رجالا رد لقولهم لو شاء ربنا لانزل ملائكة نوحى اليهم كما نوحى اليك ويميزوا بذلك عن غيرهم من أهل القرى يعنى من اهل الامصار دون اهل البوادى لان اهل الامصار اعقل وافضل واعلم واحلم قال الحسن لم يبعث الله نبيا من بدو ولا من الجن ولا من النساء وقيل انما لم يبعث من اهل البادية لغلظهم وجفاهم أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من المكذبين بالرسل والآيات فيحذروا تكذيبك او من المشغوفين بالدنيا المنهمكين عليها فيقلعوا عن حبها ولدار الآخرة وللدار الحيوة الآخرة خير للذين اتقوا الشرك والمعاصى أفلا تعقلون يستعملون عقولهم ليعرفوا انها خير حتى اذا استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اى لا يغررهم تمادى ايامهم فان من قبلهم امهلوا حتى ايس الرسل عن النصر عليهم في الدنيا وظنوا انهم قد كذبوا قرئ بالتخفيف وبناء الفاعل ومعناه حتى اذا ايس الرسل وظن قومهم ان الرسل قد كذبتهم في وعيد العذاب لما تراخى عنهم ولم يروا له اثرا وقرئ بالتشديد وبناء المفعول والمعنى وظن الرسل وايقنوا ان القوم كذبوهم فيما وعدوا واورد عن ابن عباس ان معناه ضعف قلوب الرسل يعنى وظنت الرسل انهم قد كذبوا فيما وعدوا من النصر وكانوا بشرا فضعفوا ويئسوا وظنوا انهم اخلفوا ثم تلى حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله قال القاضى هذا ان صح فقد اراد بالظن ما يهجس في القلب على طريق الوسوسة هذا وان المراد به المبالغة في التراخى والامهال على سبيل التمثيل جاءهم اى الرسل نصرنا فنجى من نشاء وهم المؤمنون المطيعون ولا يرد بأسنا عذابنا عن القوم المجرمين اى المشركين لقد كان في قصصهم قصص الانبياء واممهم او في قصة يوسف واخوته عبرة لاولى الالباب لذوى العقول المبرأة عن شوائب الالف والركون الى الحس قال الكاشف لذوى الاحوال من العارفين والمحبين والصادقين والمتقين والصابرين والعاشقين قال ابن عطاء عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن اتعظ في ان النفس ليس بمحل امن ولا اعتماد

عليها قال الجعفر الصادق لذوى الالباب اولى الاسرار مع الله ما كان حديثا يفترى ما كان القرآن حديثا يختلق ولكن تصديق الذى بين يديه من التورية والانجيل وساير الكتب الالهية وتفصيل كل شئ يحتاج اليه في الدين اذ ما من امر دينى الا وله سند من القرآن بوسط او بغير وسط وهدى من الضلال ورحمة ينال بها خير الدارين لقوم يؤمنون

سورة الرعد اربعون وثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

المر قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة في اول سورة البقرة ثم وان كل سورة تبتدأ بهذه الحروف ففيها الانتصار للقرآن وبيان انه نزل من عند الله حق ولا شك فيه ولا مرية ولا ريب ولهذا قال تعالى تلك آيات الكتاب اى هذه آيات الكتاب وهو القرآن كذا قاله ابن عباس او السورة الكاملة والذى انزل اليك من ربك الحق قال ابن عباس يعنى وهذا القرآن الذى انزل اليك من ربك هو الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لاخلالهم بالنظر والتأمل فيه ولما فيهم من الشقاق والعناد قال مقاتل نزلت في مشركى مكة حين قالوا ان محمدا يقوله من تلقاء نفسه فرد قولهم ثم اخذ في تفصيل الحق فبدأ بالدلالة على صحة المبدأ والمعاد فقال عز من قائل الله الذى رفع السموات بغير عمد اساطين جمع عماد كاهاب واهب او عمود كاديم وادم وقرئ عمد كرسل ترونها صفة لعمد عن ابن عباس رضى الله عنه ومجاهد والحسن وقتادة انهم قالوا لها عمد ولكن لا ترى وقال اياس بن معوية السماء على الارض مثل القبة يعنى بلا عمد او استيناف للاستشهاد برؤيتهم السموات كذلك ثم استوى على العرش علا عليه بالحفظ والتدبير وقد سبق في سورة الاعراف قال الكاشف استوى انوار تجليه على عرش القلوب وسخر الشمس والقمر ذللهما لما اراد منهما كالحركة المستمرة على حد من السرعة ينفع في حدوث الكائنات وبقائها قال الكاشف شمس المعرفة وقمر العلم لجريانها في سموات الارواح وعروش القلوب تزينا للمملكة كواشفها ومعارفها كل يجرى لاجل مسمى قال ابن عباس اراد بالاجل المسمى درجاتها ومنازلهما ينتهيان اليها لا يجاوزانها وقيل الى وقت معلوم وهو فناء الدنيا يدبر الامر امر ملكوته من الايجاد والاعدام والاحياء والاماتة وغير ذلك يفصل الآيات ينزلها ويبينها مفصلة او يحدث الدلائل واحدا بعد واحد لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكى تتفكروا فيها وتحققوا كمال قدرته فتعلموا ان من قدر على خلق هذه الاشياء وتدبيرها قدر على الاعادة ولما ذكر الدلائل السماوية اتبعها الدلائل الارضية فقال وهو الذى مد الارض بسطها طولا وعرضا ليثبت عليه الاقدام وتتقلب عليها الحيوان

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ جبالا ثوابت من رسا الشيء اذا ثبت جمع راسيه والتاء للمبالغه قال ابن عباس رضی الله عنهما جبل ابو قبيس اول جبل وضع علی الارض وَأَنْهَارًا ضمها الی الجبال وعلق بهما فعلا واحدا من حيث ان الجبال اسباب لتولدها وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ متعلق بقوله تعالی جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ای وجعل فيها من جميع انواع الثمرات صنفين كالحلو والحامض والاسود والابيض والصغير والكبير يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يلبس مكان النهار ظلمة الليل ويلبس مكان الليل بضوء النهار إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ فيها فان تكونها وتخصيصها بوجه دون وجه دليل علی وجود صانع حكيم دبر امرها وهيا اسبابها قال الكاشف بسط اراضی قلوب اوليائه ببسط نور المحبه وجعل فيها رواسی المعرفه ليلا يتزلزل بغلبات هيجان المواجيد واجری فيها انهار علوم الحقائق وانبت فيها انواع ازهار الحكم واثمرها ثمرات المقامات والحالات وعين لكل مقام حالا قال بعضهم هو الذی بسط الارض وجعل فيها اوتادا من اوليائه وسادة من عبيده فاليهم الملجا وبهم الغياث قال الحريری كان فی جوار الجنيد انسان فی خربه فلما مات الجنيد وحملنا جنازته حضر الجنازه فلما رجعنا تقدم خطوات وعلا موضعا عاليا من الارض واستقبلنی بوجهه وقال يا ابا محمد ترانی ارجع الی تلك الخربه وقد فقدت ذلك السيد ثم انشا يقول

وا اسفا علی فراق قوم، هم المصابيح والحصون، والمدن والمزن والرواسی، والخير والامن والسكون، لم تتغير لنا الليالی حتی توفتهم المنون، فكل جمر لنا قلوب، وكل ماء لنا عيون،

وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ بعضها طيبه وبعضها سبخه وبعضها رخوه وبعضها صلبه وبعضها يصلح للزرع دون الشجر وبعضها بالعكس ولولا تخصيص قادر موقع لافعاله علی وجه دون وجه لم تكن كذلك لاشتراك تلك القطع فی الطبيعه الارضيه وما يلزمها ويعرض لها بتوسط ما يعرض من الاسباب السماويه من حيث انها متضامه متشاركه فی النسب والاوضاع وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ وبساتين فيها انواع الاشجار والزروع وتوحيد الزرع لانه مصدر فی اصله صِنْوَانٌ جمع صنو وهی النخلات يجمعهن اصل واحد وَغَيْرُ صِنْوَانٍ هی النخلات المنفرده باصلها يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ فی الثمر شكلا وقدرا ورائحة وطعما وذلك ايضا مما يدل علی الصانع الحكيم فان اختلافها مع اتحاد الاصول والاسباب لا يكون الا بتخصيص قادر مختار إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يستعملون عقولهم بالتفكر قال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالی لقلوب بنی آدم كانت الارض طينه واحده فی يد الرحمن فسطحها فصارت قطعا متجاورات فينزل عليها الماء من السماء فيخرج هذه زهرتها

وشجرها وثمرها ونباتها ويخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسقی بماء واحد وكذلك الناس خلقوا من آدم فينزل من السماء تذكره فترق قلوب فتخشع وتقسو قلوب فتلهو قال والله ما جالس القرآن احد الا قام من عنده بزيادة او نقصان قال تعالی وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمه للمومنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا قال الجنيد خلق الله الخلق واظهر آثارها وجعلها قطعا متجاورات فجعلها متفاوتات والوانا متشابهات جمعها فی النظر وفرقها فی المواطن فسقاها بماء واحد وفضل بعضها علی بعض فی الاكل فمحل زينا عن وجل من قادر قاهر جعل ذلك سببا الی معرفته ودلالة لربوبيته ثم عاد الی ذكر المعاد فقال وَإِنْ تَعْجَبْ يا محمد من انكارهم البعث فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ حقيق قولهم بان يتعجب منه فان من قدر علی انشاء ما قص عليك كانت الاعادة ايسر شیء عليه فالايات المعدوده كما هی داله علی وجود المبدا فهی داله علی امكان الاعادة من حيث انها تدل علی كمال قدرته وقبول المواد لانواع تصرفاته وقد تقرر فی العقول ان الاعادة اهون من الابتداء أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بدل من قولهم او مفعول أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ لانهم كفروا بقدرته علی البعث وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ مقيدون بالضلال لا يرجی خلاصهم او يغلون يوم القيمه وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ثم انه صلی الله عليه وسلم كان يهددهم تارة بعذاب الآخرة فكانوا ينكرون البعث لذلك كما تقدم ويخوفهم تارة بعذاب الدنيا فيستعجلونه زعما منهم بانه كلام لا اصل له واليه يشير بقوله تعالی وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ بالعقوبة قبل العافيه وذلك ان مشركی مكه كانوا يطلبون العقوبه بدلا من العافيه استهزاء منهم يقولون اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وقد احسن الله اليهم فی تاخير العقوبه عنهم الی يوم القيمه وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ ای مضت من قبلهم فی الامم التی عصت ربها وكذبت رسلها العقوبات والمثله بفتح الثاء وضمها كالصدقه والصدقه العقوبه لانها مثل المعاقب عليه ومنه المثال للقصاص وامثلت الرجل من صاحبه اذا اقصصته منه وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ مع ظلمهم انفسهم وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ روی ابن ابی حاتم باسناده عن سعيد بن المسيب انه لما نزلت هذه الايه وان ربك لذو مغفرة للناس علی ظلمهم وان ربك لشديد العقاب قال رسول الله صلی الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزه ما هنا احد العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد وروی الحافظ ابن عساكر فی ترجمه الحسن بن عثمان بن حسان الزيادی انه رای رب العزه فی النوم ورسول الله صلی الله عليه وسلم واقف بين يديه يشفع فی رجل من امته

فقال له الم يكفك انی انزلت عليك فی سورة الرعد وان ربك لذو مغفرة للناس علی ظلمهم ثم قال انتبهت قال اهل النظم ان الكفار طعنوا فی نبوته بسبب الطعن فی الحشر والنشور ثم طعنوا فی نبوته بسبب استبطاء نزول العذاب ثم طعنوا فی نبوته بسبب عدم الاعتداد بمعجزاته وذلك قوله وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ تعنتا وعدم اعتداد بالايات المنزله عليه إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مرسل للانذار كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به نبوتك من جنس المعجزات لا بما يقترح عليك وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ نبی مخصوص بمعجزات من جنس ما هو الغالب عليهم يهديهم الی الحق ويدعوهم الی الصواب ثم اردف ذلك بما يدل علی كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره تنبيها علی انه تعالی قادر علی انزال ما اقترحوه وانما لم ينزل لعلمه بان اقتراحهم للعناد دون الاسترشاد وانه قادر علی هدايتهم وانما لم يهدهم لسبق قضائه عليهم بالكفر فقال اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ای حملها من ذكر او انثی سوی الخلق الحسن او ناقص الخلق والجسد قبيح واحدا او اثنين او اكثر شقی او سعيد طويل العمر او قصيره وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ ای وما تنقص وَمَا تَزْدَادُ قال اهل التفسير غيض الارحام بالحيض علی الحمل فاذا حاضت الحامل كان نقصانا فی الولد لان دم الحيض غذاء الولد فی الرحم فاذا اهرقت المراة ينقص الغذاء فينقص الولد واذا لم تحض فيزداد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم وقيل اذا حاضت ينقص الغذاء ويزداد مدة الحمل حتی تستكمل تسعة اشهر طاهرا فان رادت خمسة ايام وما وضعت لتسعة اشهر وخمسة ايام والنقصان فی الغذاء والزيادة فی المدة وقال الحسن غيضها نقصانها عن تسعة اشهر والزيادة زيادتها علی تسعة اشهر وقيل النقصان السقط والزيادة تمام الخلق فی صحيح البخاری عن ابن عمر رضی الله عنهما انه قال قال رسول الله صلی الله عليه وسلم مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله تعالی لا يعلم ما فی الغد الا الله ولا يعلم ما تغيض الارحام الا الله ولا يعلم متی ياتی المطر الا الله ولا تدری نفس بای ارض تموت ولا يعلم متی تقوم الساعة الا الله وفی الصحيحين عن ابن مسعود رضی الله عنهما انه قال قال رسول الله صلی الله عليه وسلم ان خلق احدكم يجمع فی بطن امه اربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث اليه الملك فيومر باربع كلمات يكتب رزقه وعمره وعمله وشقی او سعيد ثم بين كمال علمه وقدرته بقوله وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ بقدر لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شیء خلقناه بقدر فانه تعالی خص كل حادث بوقت وحال معينين وهيا له اسبابا مسوقة اليه تقتضی ذلك قال الامام والمراد بالعندية العلم كما تقال هذه

المسئله عند الشافعی كذا وذلك انه سبحانه وتعالی خصص كل حادث بوقت معين وحال معينه حسب مشيته الازليه وارادته السرمديه وعند حكماء الاسلام وضع اسبابا كليه واودع فيها قوی وخواص وحرك الاجرام بحيث يلزم من حركاتها المقدرة بالمقادير المخصوصه احوال جزئيه معينه ومناسبات معلومه مقدرة ومن جملتها افعال العباد واحوالهم واخلاقهم وخواطرهم ولذلك ختم الايه بقوله تعالی عَالِمُ الْغَيْبِ الغايب عن الحس وَالشَّهَادَةِ الحاضر للحس الْكَبِيرُ العظيم الشان الذی لا يخرج عن علمه شیء قال حجة الاسلام الكبير هو ذو الكبرياء والكبرياء عبارة عن كمال الذات واعنی بكمال الذات كمال الوجود وهو يرجع الی شيئين احدهما دوامه ازلا وابدا وكل موجود مقطوع بعدم سابق او لاحق فهو ناقص ولذلك يقال للانسان اذا طالت مدة وجوده كبير ای طويل مدة البقاء ولا يقال عظيم السن فالدائم الازلی الابدی الذی يستحيل عليه العدم اولی بان يكون كبيرا والثانی ان وجوده هو الذی يصدر وجود كل شیء عنه فان كان الذی تم وجوده فی نفسه كاملا كبيرا فالذی يحصل منه وجود جميع الموجودات اولی بان يكون كاملا كبيرا والكبير من العباد هو الذی لا تقتصر عليه صفات كماله بل تسری الی غيره فلا يجالسه احد الا ويفيض عليه شیء من كماله وكمال العبد فی عقله وورعه وعلمه فالكبير هو العالم التقی المرشد للخلق الصالح لان يكون قدوة يقتبس من انواره وعلومه ولذلك قال عيسی عليه السلام من علم وعمل وعلم فذلك يدعی عظيما فی ملكوت السماء الْمُتَعَالِ المستعلی علی كل شیء بقدرته ثم زاد فی التاكيد فقال سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ فی نفسه وَمَنْ جَهَرَ بِهِ لغيره وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ ای مستتر بظلمة الليل وَسَارِبٌ بارز بِالنَّهَارِ يراه كل احد من سرب سروبا اذا برز قال ابن عباس هو صاحب ريبة مستخف بالليل فاذا خرج بالنهار اری الناس انه بری من الاثم ثم ذكر ما يجری فی الظاهر مجری السبب لاستواء علمه بحال المسر والمعلن فقال لَهُ لمن اسر وجهر واستخفی وسرب مُعَقِّبَاتٌ ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فاذا اصعدت ملائكة النهار جاء فی عقبها ملائكة الليل واذا اصعدت ملائكة الليل جاء فی عقبها ملائكة النهار من عقب مبالغة عقبه اذا جاء علی عقبه كان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون اقواله وافعاله فيكتبونه والتاء للمبالغة او لان المراد بالمعقبات جماعات مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ من جوانبه يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ بامر الله قال عكرمه عن ابن عباس رضی الله عنهما ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فاذا جاء قدر الله خلوا عنه وقال مجاهد ما من عبد الا له ملك موكل يحفظه فی نومه ويقظته من الجن والانس والهوام فما منها شیء ياتيه يريده الا قال وراءه الا شیء باذن الله فيه فيصيبه فی الصحيح عن ابی هريرة رضی الله عنه ان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يتعاقبون فيكم ملايكة بالليل وملايكة بالنهار يجتمعون عند صلاة الفجر
وصلوة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسالهم ربهم وهو اعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون
تركناهم وهم يصلون واتيناهم وهم يصلون قال بعض العارفين المحفوظ بالاسباب محجوب
بالمسبب وامره والعلماء راوا السبب والعارفون راوا المسبب إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ
من العافيه والنعمة حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ من الاحوال الجميله بالاحوال القبيحه قال بعضهم
ان الله لا يحرم عبيده نعمة الا اذا قصروا في شكره او نسوه وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ
فلا رد له وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ يلي امرهم ويدفع العذاب عنهم ثم لما خوف عباده بانزال
ما لا مرد له اتبعه دلايل تشبه اللطف من بعض الوجوه والقهر من بعضها فقال هُوَ الَّذِي
يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا خوفا من الصاعقة وطمعا في نفع المطر وقيل الخوف للمسافر يخاف
منه الاذى والمشقه والطمع للمقيم يرجو منه البركة والمنفعه وقيل الخوف من المطر في غير
مكانه وابانه والطمع اذا كان في مكانه وابانه ومن البلدان ما اذا مطروا قحطوا واذا لم يمطروا
اخصبوا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الغيم المنسحب في الهواء الثِّقَالَ بالمطر وهو جمع ثقيله وانما وصف
به السحاب لانه اسم جنس في معنى الجمع وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ ويسبح سامعوه بحمده ملتبسين
بحمده فيصيحون سبحان الله والحمد لله او يدل الرعد بنفسه على وحدانية الله وكمال قدرته
ملتبسا بالدلالة على فضله ونزول رحمته قال ابن عباس رضي الله عنهما من سمع صوت
الرعد فقال سبحان الله الذي يسبح الرعد بحمده والملايكة من خيفته وهو على كل شيء قدير
فان اصابته صاعقة كان على ديته وروى الطبراني باسناده عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اذا سمعتم الرعد فاذكروا الله فانه لا يصيب ذاكرا وفي بعض الاخبار يقول
الله تعالى لو ان عبادي اطاعوني لسقيتهم المطر بالليل واطلعت عليهم الشمس بالنهار ولما اسمعتهم
صوت الرعد رواه الامام احمد مسندا واورده محيي السنه وروى الامام احمد وغيره
عن ابي سالم انه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الرعد والصواعق قال
اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ اي يسبح
الملايكة من خيفة الله وخشيته وقيل اراد بهولاء الملايكة اعوان الرعد وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ
جمع صاعقه وهي العذاب المهلك ينزل من البرق فيحرق من يصيبه فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ
قال محمد بن علي الباقر الصاعقه تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكر لما بين دلايل العلم
في قوله الله يعلم ودلايل القدرة في هذه الايه قال وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ بما يخاصمون رسوله
فيما يصفه به من كمال العلم والقدرة والتفرد بالالوهية ولعادة الناس ومجادلتهم والجدال

الشدد في الخصومه من الجدل وهو الفتل وانما ذمهم لان انكار المدلول بعد وجود
الدليل جدال باطل وعناد محض والايه نزلت في شان اربد بن ربيعه والقصه
على ما روى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس والحافظ الطبراني باسناده عنه
ايضا ان عامر بن الطفيل واربد بن ربيعه وهو عامر بن اخي لبيد اتيا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد في نفر من اصحابه فدخلا المسجد فاستشرف
الناس لجمال عامر وكان اعور وكان من اجمل الناس فقال رجل يا رسول الله هذا
عامر بن الطفيل قد اقبل نحوك فقال دعه فان الله ان يرد به خيرا يهده فاقبل حتى
قام عليه فقال يا محمد ما لي ان اسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال
تجعل لي الامر بعدك قال ليس ذلك الي انما ذلك الى الله عز وجل يجعله حيث يشاء
قال فتجعلني على الوبر وانت على المدر قال لا قال فماذا تجعل لي قال اجعل لك اعنة
الخيل تغزو قال اوليس ذلك لي اليوم قم معي اكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان اوصى الى اربد بن ربيعه اذا رايتني اكلمه فدر من خلفه واضربه بالسيف
فجعل يخاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه فدار اربد من خلف النبي صلى الله
عليه وسلم ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله تعالى عنه فلم يقدر على سله وجعل
عامر يومي اليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فراى اربد وما يصنع بسيفه
فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فارسل الله على اربد صاعقة في يوم صحو قايظ فاحرقته
وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل اربد والله لاملانها عليك خيلا جردا
وفتيانا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يمنعك الله من ذلك وابناء قيله يعني الاوس
والخزرج فنزل عامر بيت امراة سلوليه فلما اصبح ضم عليه سلاحه وقد تغير لونه فجعل
يركض في الصحراء وقال ابرز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات والعزى لين
اصحر الي محمد وصاحبه يعني ملك الموت لانفذتهما برمحي وارسل الله تعالى ملكا فلطمه
بجناحه فاداره في التراب وخرجت على ركبته في الوقت غدة عظيمه فعاد الى بيت السلوليه
وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلوليه ثم دعا بفرسه فركبه واجراه حتى
مات على ظهره فاجاب الله تعالى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتل عامر بالطعن
واربد بالصاعقه وسيل الحسن عن قوله عز وجل ويرسل الصواعق الايه فقال كان
رجل من طواغيت العرب بعث اليه النبي صلى الله عليه وسلم نفرا يدعونه الى الله ورسوله
فقال لهم اخبروني عن رب محمد هذا الذي يدعوني اليه مم هو ام من ذهب او فضة

او حديد او نحاس فاستعظم القوم مقالته فانصرفوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا
رسول الله ما راينا رجلا اكفر قلبا ولا اعتى على الله منه فقال ارجعوا اليه فرجعوا اليه
فجعل لا يزيدهم على مقالته الاولى وقال اجيب محمدا الى رب لا اراه ولا اعرفه فانصرفوا
وقالوا يا رسول الله ما زادنا على مقالته الاولى واخبث فقال ارجعوا فرجعوا فبينا هم
عنده ينازعونه ويدعونه وهو يقول هذه المقاله اذا ارتفعت سحابة فكانت فوق
رؤسهم فرعدت وبرقت ورمت بصاعقه فاحترق الكافر وهم جلوس فجاوا يسعون
ليخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبلهم قوم من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا احترق صاحبكم فقالوا من اين علمتم فقالوا اوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم
ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ المماحلة المكايده
لاعدايه من محل بفلان اذا كاده وعرضه للهلاك ومنه تمحل اذا تكلف استعمال الحيله وقيل
مفعل من الحول قال ابن عباس في تفسيره شديد الحول وقيل فعال من المحل بمعنى القوة
قال مجاهد شديد القوة عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال تكثر الصواعق عند اقتراب الساعه حتى ياتي الرجل القوم فيقول من صعق فيكم الغداة
فيقول صعق فلان وفلان وفلان ثم اثنى على نفسه بالحقيه وشهد على الاصنام بالبطلان
فقال لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ الدعاء للحق فانه الذي يحق ان يعبد او يدعى الى عبادته دون غيره
قال علي دعوة الحق التوحيد وقال ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله وَالَّذِينَ يَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ والاصنام الذين يدعوهم المشركون لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ لا يجيبونهم بشيء يريدونه
من نفع او دفع إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ الا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه
اليه يشير اليه ويطلب منه ان يبلغ فاه قال علي وعطاء كالعطشان الجالس على شفة
البير يمد يديه الى الماء ولا ينفعه بسط الكف الى الماء ودعاوه وهو لا يبلغ فاه كذلك الذين
يدعون الاصنام لا ينفعهم دعاوها وهي لا تقدر على شيء وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ لانه جماد لا يشعر
بدعاه ولا يقدر على اجابته وقيل شبهوا في قلة جدوى دعايهم لها بمن اراد ان يغرف
الماء ليشربه فبسط كفيه ليشربه وقيل المراد كقابض يده على الماء فانه لا يحكم منه شيء قال الشاعر
فاني واياكم وشوقي اليكم ، كقابض ماء لم تسقه اناملة ، وقال الاخر ، فاصبحت مما كان بيني وبينها
من الود مثل القابض الماء باليد ، وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ خسار وهلاك وبطلان
قال ابن عباس لان اصواتهم محجوبة عن الله عز وجل قال الكاشف دعوة الحق منادات
في الازل بنعت محبته وشوقه الى ارواح المحبين والعارفين فاستجابت باجابة المحبة

والشوق اليه وايضا له دعوة الحق على لسان الصديقين يدعون بها المسترشدين الى مشاهدة
جمال الحق وصفو جلاله وجماله لسد وفي قلوبهم آثار محبته وهذه الدعوة سالمة من معايب الهلاك
وما سواها من الدعوة فهو دعوة النفس والجهل من راس الرياء والسمعة لا تفضي الا الى الحجاب
والعمى عن طريق الصواب قال ابن عطاء اصدق الدواعي دواعي الحق ومن اجاب داعي الحق
بلغه الى الحق ومن اجاب داعي النفس رمى به الى الهلاك ثم زاد الله تعالى في البيان فقال
وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا يعني الملايكة والمومنين وَكَرْهًا يعني المنافقين
الذين اكرهوا على السجود بالسيف وَظِلَالُهُمْ وتسجد ظلال الساجدين طوعا وكرها قال مجاهد
ظل المومن يسجد طوعا وهو طايع وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره وقيل سجود الظل بدليله
لما ارتد له والمراد به انقيادهم لاحداث ما اراده فيهم شاووا او كرهوا وانقاد ظلالهم لتصريفه
اياها بالمد والتقليص بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ظرف ليسجد والمراد بهما الدوام او حال من الظلال
وخص الوقتين لان الظلال انما تعظم وتكثر فيهما والغدو جمع غداة والاصال جمع اصيل
وهو ما بين العصر والمغرب وقيل الغدو مصدر ويوده انه قرى والايصال اي الدخول في
الاصيل ثم امر بالسوال على سبيل التقرير فقال قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ خالقهما ومتولي
امرهما ومدبرهما قُلِ اللَّهُ اجب عنهم بذلك اذ لا جواب لهم سواه روي انه لما قال هذا
للمشركين عطفوا عليه فقالوا اجب انت يا محمد فامره الله تعالى فقال قل الله ولانه البين
الذي لا يمكن المراء فيه قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ثم قل لهم الزاما للحجة انكم مع اقراركم
بان الله خالق السموات والارض اتخذتم من دونه اولياء فعبدتموها يعني الاصنام لَا
يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا فكيف يملكون لكم ثم ضرب لهم مثلا فقال قُلْ هَلْ يَسْتَوِي
الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ المشرك الجاهل بحقيقة العبادة والموجب لها والموحد العالم بذلك أَمْ هَلْ
تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ الشرك والتوحيد قال الاستاد من جملة الظلمات الركون
في اوطان التدبير ومن جملة النور الخروج الى ضياء شهود التقدير قال ابو حفص
الاعمى من يرى الله بالاسباب ولا يرى الاسباب بالله والبصير من يكون نظره من ربه
الى المكونات أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ بل اجعلوا لله شركاء والهمزة للانكار خَلَقُوا كَخَلْقِهِ صفة
لشركاء فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ اشتبه خلق الله وخلقهم عليه فلا يدرون ما خلقه الله وما
خلق الهتهم والمعنى انهم ما اتخذوا لله شركاء خالقين مثله حتى يتشابه عليهم الخلق فيقولوا
خلقوا كخلقه فاستحقوا العبادة كما استحقها ولكنهم اتخذوا شركاء عاجزين لا تقدر على ما يقدر عليه الخالق
قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لا خالق غيره فيشاركه في العبادة جعل الخلق موجب العبادة ولازم استحقاقها

ثم نفاه عمن سواه ليدل على قوله وَهُوَ الْوَاحِدُ اى المتوحد بالالوهيه الْقَهَّارُ الغالب
على كل شى ثم ضرب الله مثلين للحق والباطل فقال جل ذكره أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ من
السحاب او من جانب السماء او من السماء نفسها فان المبادى منه مَاءً مطرا فَسَالَتْ
أَوْدِيَةٌ جمع واد وهو الموضع الذى يسيل الماء فيه بكثرة واسند الفعل الى الاوديه
والسيلان صفه المياه للمبالغه ونكرت لان المطر ياتى على تناوب بين البقاع بِقَدَرِهَا
بمقدارها الذى علم الله انه نافع غير ضار او بمقدارها فى الصغر والكبر فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ
فرفع السيل الذى حدث من ذلك الماء زَبَدًا الزبد الخبيث الذى يظهر على وجه الماء
وكذلك على وجه القدر رَابِيًا عاليا مرتفعا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ كالذهب و
الفضة والحديد والنحاس ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ طلب حلية وزينة أَوْ مَتَاعٍ كالاوانى وآلات
الحرب والمقصود من ذلك بيان منافعها زَبَدٌ مِثْلُهُ اى ومما يوقدون عليه زبد مثل زبد
الماء وهو خبثه كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فالماء الباقى الصافى من هذه الجواهر مثل
الحق والزبد مثل الباطل فانه مثله فى قلة النفع وسرعة الزوال كما بينه تعالى فقال
فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وهو ما رمى به الوادى والفلز يقال جفا الوادى واجفا
اذا القى غثاره واجفات القدر اذا غلت والقت زبدها فاذا سكنت لم يبق فيها شى
فالباطل وان غلا فى وقت فانه يضمحل وقيل جفاء متفرقا يقال جفات الريح الغيم اذا
فرقته وذهبت به وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ كالماء وخلاصة الفلز فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ
ينتفع بها اهلها فالماء بعضه يبقى فى الاوديه فينتفع به الناس انواع الانتفاعات وبعضه
يسلك فى عروق الارض العيون والقنى والآبار والفلز ينتفع به فى موضع للحلى
واتخاذ الامتعه المختلفه ويدوم ذلك مدة متطاولة كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لايضاح المشتبهات قيل هذا تسليه للمومنين يعنى ان امر المشركين كالزبد يرى فى الصورة
شيئا وليس له حقيقه وامر المومنين كالماء المستقر فى مكان له البقاء والثبوت ثم ذكر
احوال السعداء والاشقياء فقال لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لربهم للمومنين الذين اجابوا ربهم فاطاعوه
الْحُسْنَىٰ المثوبة والجنة وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ وهم الكفرة لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ ليدلوا ذلك يوم القيمه افتدا من النار أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ
الْحِسَابِ قال ابرهيم النخعى سوء الحساب ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر له منه
شى قال الحكماء هو ظهور آثار الملكات الرديه والهيآت الذميمة على النفس ولم يكن
له قبل ذلك شعور بها لاشتغاله بعالم الحس وَمَأْوَاهُمْ مرجعهم جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ

لربهم

اى بئس ما مهد لهم وفرش ثم انكر بعد هذه البيانات اى يسوى بين الناظر البصير الجاهل
الضرير فقال أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ فيومن به ويعمل بما فيه كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ
عنه لا يعلمه ولا يعمل به كمن هو اعمى عمى القلب لا يستبصر فيستحب ويعلمه ويعمل به
قيل نزلت فى حمزة وابى جهل وقيل فى عمار وابى جهل إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ذووا
العقول المبراة من متابعة الالف ومعارضة الوهم جعلنا الله منهم بمنه آمين قال
بعض السلف كتب اذا قرات مثلا من القران فلم افهمه بكيت على نفسى لان الله تعالى
يقول وما يعقلها الا العالمون الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ بما امرهم به وفرضه عليهم فلا
يخالفونه وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ بينهم وبين الله وبين العباد وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا
أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ قيل اراد به الايمان بجميع الكتب والرسل ولا يفرقون بينها والاكثرون
على انه اراد به صلة الرحم ولعل مرادهم انها من ذلك فانها تشمل موالاة المومنين والايمان
بجميع الانبياء ومراعاة جميع حقوق الناس والاحاديث الواردة فى صلة الرحم قد سبقت
وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وعيده عموما وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ خصوصا فيحاسبون انفسهم قبل
ان يحاسبوا وَالَّذِينَ صَبَرُوا على ما يكرهه النفس ويخالفه الهوى قال ابن عباس
على امر الله وقال عطاء على المصايب والنوايب وقيل عن الشهوات وقيل عن المعاصى
ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ طلبا لرضاه لا لجوى او سمعة او نحوهما قال ابو عثمان صبر ولم المناهى
لجمع للخوف النار بل بسبب النهى وحرمة عظمة الله وقال الكاشف صبروا عادون
الله بالله ولله ولكشف لقاءه والنظر الى وجهه وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ روى عن ابن عباس قال يدفعون بالصالح
من العمل السيء من العمل وهو معنى قوله ان الحسنات يذهبن السيآت وفى الحديث
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة يمحها
السر بالسر والعلانيه بالعلانيه وقال ابن كيسان معنى الآيه يدفعون الذنب بالتوبة
وقيل لا يكافئون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير وقال القتيبى معناه اذا سفه
عليهم حلموا فالسفه السيئه والحلم الحسنه وقال قتادة ردوا عليهم معروفا نظيره
قوله تعالى وتقدس واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال الحسن اذا حرموا اعطوا
واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله ابن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة الى ثمانية ابواب
الجنه قال الكاشف يدفعون بحسنه مشاهدته ولذة محبته ولذة شوقه معاصى
النفس ومتابعة الهوى قال الاستاذ يعاشرون الناس بحسن الخلق يبذلون

الانصاف ولا يطلبون الانصاف ان عاملهم احد بالجفاء قابلوه بالوفاء وان اذنب
عليهم قوم اعتذروا عنهم وان مرضوا عادوا غيرهم اذا مرضنا آتيناكم نعودكم
وتذنبون فنأتيكم ونعتذر أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ عاقبة الدنيا وما ينبغى ان
يكون مآل اهلها وهى الجنه جَنَّاتُ عَدْنٍ بدل من عقبى الدار يَدْخُلُونَهَا والعدن
الاقامة اى جنات يقيمون فيها وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وان لم يعمل
مثل اعمالهم يلحق بهم كرامة لهم وفى التقييد بالصلاح دلالة على ان مجرد الانساب لا ينفع
قال الواحدى فى تفسيره ومن صلح ومن صدق بما صدقوا به وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ
عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ من ابواب الجنه وقيل من ابواب القصور قائلين سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
بشارة بدوام السلام يقولون سلمكم من الآفات قال مقاتل يدخلون عليهم فى مقدار
يوم وليلة من ايام الدنيا ثلث كرات معهم الهدايا والتحف من الله عز وجل يقولون
سلام عليكم قال الكاشف سلامة دوام الوصال وبركة انوار جمال الحق عليكم ولكم الى
الابد بلا انقطاع بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ عن ابى امامة انه قال ان المومن ليكون
متكئا على اريكته اذا دخل الجنة وعليه سمطان من خدم وعند طرف السماطين باب
مبوب فيقبل الملك من ملائكة الله فيستاذن فيقوم ادنى الخدم الى الباب فاذا هو
بالملك يستاذن فيقول للذى يليه ملك يستاذن ويقول الذى يليه للذى يليه ملك
يستاذن كذلك حتى يبلغ المومن فيقول ائذنوا له فيقول اقربهم الى المومن ائذنوا له
فيقول الذى يليه للذى يليه ائذنوا له كذلك حتى يبلغ اقصاهم عند الباب فيفتح له فيدخل
فيسلم ثم ينصرف وقد جاء فى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور
قبور الشهداء فى راس كل حول فيقول لهم سلام عليكم بما صبرتم وكذا ابو بكر وعمر
وعثمان رضى الله عنهم ثم اتبع احوال السعداء احوال الاشقياء فقال وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ
عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ هذا فى الكفار وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ يومنون
ببعض الانبياء ويكفرون ببعض وقيل يقطعون الرحم وقد سبق بيانه قال ابو القاسم
نقض العهد هو السكون الى غير مسكون اليه والفرح بغير مفروح به وَيُفْسِدُونَ
فِي الْأَرْضِ بالمعاصى والظلم وتهييج الفتن أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ يعنى
النار قال اهل النظر انه تعالى لما بين سوء حال الناقضين كان لقائل ان يقول فما
بالهم قد فتح الله عليهم ابواب الرزق فى الدنيا واجاب بقوله اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ
لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ يوسعه ويضيقه وَفَرِحُوا يعنى مشركى مكة بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا بما بسط لهم

فى الدنيا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ فى جنب الآخرة إِلَّا مَتَاعٌ الا متعة لا يدوم
والمعنى انهم اشروا بما نالوا من الدنيا ولم يصرفوا فيما يستوجبون به النعيم الدائم فى
الآخرة واغتروا بما هو فى جنبه نزر قليل النفع سريع الزوال ثم حكى نوعا آخر من
قبائح الكفرة فقال وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ
مَنْ يَشَاءُ باقتراح الآيات بعد ظهور المعجزات وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ اقبل الى الحق
ورجع عن العناد قال جعفر رضى الله عنه يضل عن ادراكه ووجوده من قصده بنفسه
ويوصل الى حقايقه من طلبه به الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ انسا به واعتمادا
عليه ورجاء منه او بذكر رحمته بعد القلق من خشيته او بكلامه يعنى القران الذى
هو اقوى المعجزات ويشتمل على الدلايل الدالة على وجوده ووحدانيته أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ
الْقُلُوبُ يسكن اليه او يسكن قلوب المومنين ويستقر فيها اليقين والسكون يكون باليقين
والاضطراب يكون بالشك قال ابن عباس هذا فى الحلف يقول اذا حلف المسلم بالله على
شى يسكن قلوب المومنين اليه قيل اليس قد قال الله تعالى انما المومنون الذين اذا
ذكر الله وجلت قلوبهم فكيف يكون الطمانينه والوجل فقيل فى جوابه الوجل عند ذكر الله
الوعيد والعقاب والطمانينه عند ذكر الله الوعد والثواب فالقلوب توجل اذا ذكرت
عدل الله وشدة حسابه وتطمئن اذا ذكرت فضل الله وكرمه قال الامام المحقق فان
الانسان متوسط الرتبه بين عالم الارواح وعالم الاجساد فاذا توجه الى عالم الجسد اشتاق
الى التصرف فيه فيظهر له هناك امور ضروريه فى التعيش فيتوزع فكره ويضطرب احواله
اما اذا توجه الى عالم الروح فانه يزول الاضطراب ويوجد المطلب ويحصل الاستغراق
فى بحر العرفان والاستنارة بنور الايقان ومن وقع فى لجة البحر لا يبالى اين وقع اما العارى
فما حظه من البلل وقيل ان الاكسير اذا وقعت منه ذرة على النحاس انقلب ذهبا باقيا
باقيا على كر الدهور فاكسير جلال الله اذا وقع فى القلب السليم كيف لا تقلبه جوهرا صافيا
نورانيا آمنا من التغير والزوال الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ
مَآبٍ مرجع وطوبى بمعنى الطيب مصدر لطاب كزلفى وبشرى قال العوفى عن ابن عباس
رضى الله عنهما لما خلق الله الجنه وفرغ منها قال الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم
وحسن مآب وذلك حين اعجبه وعن ابى هريرة وابن عباس رضى الله عنهما وغير
واحد من السلف ان طوبى شجرة فى الجنه فى كل دار منها غصن وروى ابن جرير
عن شهر بن حوشب رضى الله عنه انه قال شجرة فى الجنه كل شجر الجنه منه وتعنه

عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال طوبى شجرة في الجنة يقول الله تعالى لها تفتقي لعبدي ما شاء فتفتق له عن الخيل بسرجها ولجمها وعن الابل بازمتها وعما شاء من الكسوة وعن وهب وغيره يخرج من اصلها انهار الخمر واللبن والعسل وفي صحيح البخاري عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى وظل ممدود ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين او مائة سنة هي شجرة طوبى يسير الراكب الجلد كذلك مثل ذلك كما ارسلنا الانبياء اليهم ارسلناك في امة قد خلت مضت من قبلها امم لتتلو عليهم الذي اوحينا اليك لتقرأ عليهم الكتاب الذي اوحيناه اليك وهم يكفرون بالرحمن وحالهم انهم يكفرون بالبليغ الرحمة الذي احاطت بهم نعمته ووسعت كل شيء رحمته فلم يشكروا نعمه وخصوصا ما انعم عليهم بارسالك اليهم وانزال القرآن الذي هو مناط المنافع الدينية والدنيا وبه عليهم وقيل سبب نزولها ان ابا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو يا الله يا رحمن فرجع الى المشركين فقال ان محمدا يدعو الله ويدعو الها اخر يسمى الرحمن ولا نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قال الله تعالى قل لهم يا محمد هو ربي اي الرحمن الذي انكرتم معرفته خالقي ومتولي امري لا اله الا هو لا مستحق للعبادة سواه عليه توكلت اعتمدت في نصرتي عليكم واليه متاب مرجعي ومرجعكم ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى نزلت في نفر من مشركي مكة منهم ابو جهل بن هشام وعبد الله بن ابي امية جلسوا عند الكعبة فارسلوا الى نبي الله صلى الله عليه وسلم فاتاهم فقال له عبد الله بن ابي امية ان سرك ان نتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فاذهبها عنا حتى ينفسح فانها ارض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها عيونا وانهارا لنغرس الاشجار ونزرع ونتخذ البساتين فلست كما زعمت باهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال يسبح معه او سخر لنا الريح فنركبها الى الشام لميرتنا وحوائجنا لنرجع في يومنا فقد سخرت الريح لسليمان كما زعمت ولست باهون على ربك من سليمان واحي لنا جدك قصيا او من شئت من موتانا لنسأله عن امرك احق ما يقول ام باطل فان عيسى كان يحيي الموتى ولست باهون على الله منه فانزل الله عز وجل ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض

اى شققت فجعلت انهارا وعيونا او كلم به الموتى فسمع وتجيب عند قراءته واختلفوا في جواب لو فقال قوم هو لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا لما سبق من علمنا فيهم كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا ويدل عليه قوله تعالى وهم يكفرون بالرحمن وقيل هو لكان هذا القرآن والمراد منه تعظيم شان القرآن لانه الغاية في الاعجاز والنهاية في التذكير والانذار وقيل معنى قطعت به الارض تصدعت من خشية الله عند قراءته بل لله الامر جميعا بل لله القدرة على كل شيء وعلى الاتيان بما اقترحوا من الآيات الا ان ارادته لم تتعلق بذلك وهذا الكلام اضراب عما تضمنه لو من معنى النفي افلم ييأس الذين آمنوا لما سمع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من المشركين طمعوا في ان يجعل الله ما سألوا فيؤمنوا فنزل افلم ييأس الذين آمنوا يعني الصحابة من ايمان هؤلاء مع ما راوا من احوالهم ولم يعلموا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ثم اوعد الكافرين فقال ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من الكفر والمعاصي قارعة داهية ونازلة تقرعهم من انواع البلاء احيانا بالجدب واحيانا بالسلب واحيانا بالقتل والاسر وقال ابن عباس اراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثهم اليه او تحل قريبا من دارهم فيفزعون منها ويتطاير اليهم شررها حتى ياتي وعد الله قيل يوم القيمة وقيل الفتح والنصر وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه ان الله لا يخلف الميعاد لامتناع الكذب في كلامه ولما كان سؤال هذه الاشياء من الكفار على سبيل الاستهزاء انزل الله تعالى تسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم ثم زاد في الوعيد فقال ولقد استهزئ برسل من قبلك كما استهزئ بك فامليت للذين كفروا امهلتهم واطلت لهم المدة ثم اخذتهم عاقبتهم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار فكيف كان عقاب عقابي لهم ثم اورد على المشركين ما يجري مجرى الحجاج والتوبيخ والتعجب من عقولهم فقال افمن هو قائم على كل نفس رقيب عليه بما كسبت من خير او شر لا يخفى عليه شيء من اعمالهم ولا يفوت عنده شيء من جزائهم والخبر محذوف تقديره كمن ليس كذلك قال الجنيد بالله قامت الاشياء وبه فنيت وبتجليه حسنت المحاسن وباستتاره قبحت وسمجت وجعلوا لله شركاء مستانف او عطف على الخبر المقدر المحذوف اى افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه وجعلوا له شركاء وجعل لله موضع له للتنبيه على انه المستحق للعبادة قل سموهم صفوهم فانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويساهلون الشركة ام تنبئونه بل اتنبئونه بما لا يعلم في الارض شركاء يستحقون العبادة

لا يعلمهم وهو العالم بكل شيء ام بظاهر من القول ام تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير حقيقة واعتبار معنى كتسمية الزنجي كافورا وقيل الظاهر بمعنى الباطل كما في قول الشاعر ؎ وعيرني الواشون اني احبها ٭ وتلك شكاة ظاهر عنك عارها اى زائل بل زين للذين كفروا مكرهم موه لهم فتخيلوا اباطيل ثم خالوها وقيل كيدهم للاسلام بشركهم وصدوا عن السبيل عن سبيل الحق ومن يضلل الله يخذله فما له من هاد يوفقه للهدى ثم عاد الى الايعاد فقال تعالى لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وساير المصايب ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من عذابه من واق حافظ ثم عقب الوعيد بالوعد فقال مثل الجنة التي وعد المتقون صفتها التي هي مثل في الغرابة تجري من تحتها الانهار اى صفة الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار اكلها دائم ثمرها لا ينقطع وظلها كذلك لا ينسخ كما ينسخ في الدنيا بالشمس تلك اى الجنة الموصوفة عقبى الذين اتقوا عاقبة الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار عن ثوبان رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل اذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها اخرى رواه الطبراني وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال قال رسول الله يأكل اهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون طعامهم ذلك جشاء كرشح المسك ويلهمون التسبيح والتكبير كما يلهمون النفس رواه مسلم وعن زيد بن ارقم رضي الله عنه قال جاء رجل من اهل الكتاب فقال يا ابا القسم تزعم ان اهل الجنة يأكلون ويشربون قال صلى الله عليه وسلم نعم والذي نفس محمد بيده ليعطى قوة مائة رجل في الاكل والشرب والجماع والشهوة قال فان الذي يأكل ويشرب يكون له حاجة وليس في الجنة اذى قال صلى الله عليه وسلم يكون حاجة احدهم رشحا يفيض من جلودهم كرشح المسك فيضمر بطنه ثم ذكر تعالى وتقدس تفاوت الفرق في شان القرآن المنزل فقال والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك يعني المسلمين من اهل الكتاب كابن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى ومن الاحزاب يعني كفرتهم الذين تحزبوا على رسول الله بالعداوة ككعب ابن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب واشياعهما من ينكر بعضه وهو ما خالف شرايعهم قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به جواب للمنكرين اى قل لهم اني امرت فيما انزل الي بان اعبد الله واوحده وهو العمدة في الدين ولا سبيل لكم الى انكاره واما ما ينكرونه

لما خالف شرايعكم فليس ببدع مخالفة الشرايع والكتب الالهية في جزئيات الاحكام اليه ادعو لا الى غيره واليه مآب واليه مرجعي للجزاء لا الى غيره وهذا هو القدر المتفق عليه من الانبياء واما ما عدا ذلك من التفاريع فمما يختلف بالاعصار والامم فلا معنى لانكاركم المخالفة فيه قال ابو عثمان العبودية اتباع الامر على مشاهدة الآمر وقال ابن عطاء والجنيد لا يرتقي احد في درجات العبودية حتى يحكم فيما بينه وبين الله اوائل البدايات واوائل البدايات هي الفروض الواجبة والاوراد الزكية وعزائم الامر وعطايا الفضل فمن احكم على نفسه هذا من الله عليه بما بعده ثم ذكر بعض فضايل القرآن فقال وكذلك ومثل هذا الانزال المشتمل على اصول الديانات المجمع عليها انزلناه حكما يحكم في القضايا والوقائع بما تقتضيه الحكمة عربيا مترجما بلسان العرب ليسهل لهم فهمه وحفظه ولئن اتبعت اهواءهم التي يدعونك اليها كتقرير دينهم والصلوة قبلتهم بعد ما حولت عنها بعد ما جاءك من العلم بنسخ ذلك ما لك من الله من ولي ولا واق ينصرك ويمنع العقاب عنك وهو حسم لاطماعهم وتهييج للمؤمنين على الثبات في دينهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك روى ان اليهود وقيل المشركين قالوا ان هذا الرجل ليست له همة الا في النساء فانزل الله تعالى ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون وما كان لرسول وما صح له ولم يكن في وسعه ان ياتي باية يقترح عليه ويلتمس منه الا باذن الله لكل اجل كتاب لكل وقت وامد حكم يكتب على العباد على ما يقتضيه استصلاحهم يمحو الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء فلا ينسخه وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت الا الارزاق والآجال والسعادة والشقاوة عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم باربعين يوما او خمسة واربعين ليلة فيقول يا رب اشقي ام سعيد فيكتبان فيقول اى رب اذكر ام انثى فيكتبان فيكتب عمله واثره واجله ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد ولا ينقص وعن عمر وابن مسعود انهما قالا يمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والاجل ويثبت ما يشاء وروى عن عمر انه كان يطوف بالبيت وهو يبكي ويقول اللهم ان كنت كتبتني في اهل السعادة فاثبتني فيها وان كنت كتبت علي الشقاوة فامحني واثبتني في اهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب ومثله عن ابن مسعود وفي بعض الآثار

ان الرجل يكون قد بقي له من عمره ثلثون سنه فيقطع رحمه فيرد الى ثلثه ايام والرجل
يكون قد بقي من عمره ثلثة فيصل رحمه فيرد الى ثلثين سنه وعن ابى الدرداء انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى فى اخر ثلث ساعات بقين من الليل
فينظر فى الساعه الاولى منهن فى ام الكتاب الذى لا ينظر فيه احد غيره فيمحو ما يشاء ويثبت
قال عكرمه عن ابن عباس رضى الله عنهما الكتاب كتابان فكتاب يمحو الله منه ما يشاء و
يثبت وام الكتاب الذى لا يغير منه شئ قال الضحاك والكلبى معنى الايه ان الحفظه يكتبون
جميع اعمال بنى آدم واقوالهم فيمحو الله من ديوان الحفظه ما ليس فيه ثواب ولا عقاب
مثل قوله اكلت وشربت ودخلت وخرجت ونحوهما من كلام هو صادق فيه ويثبت
ما فيه ثواب وعقاب وعن سعيد ابن جبير انه قال يمحو ما يشاء من ذنوب العباد
فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها وقال عكرمه يمحو الله ما يشاء من الذنوب بالتوبه ويثبت
بدل الذنوب حسنات كما قال الله تعالى فاولئك يبدل سياتهم حسنات وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ
اصل الكتب وهو اللوح المحفوظ او ما من كاين الا وهو مكتوب فيه سال ابن عباس
كعبا عن ام الكتاب قال علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون وعن ابن عباس رضى الله
عنهما وعنده ام الكتاب قال الذكر ولما بين كيفيه انطباق الحوادث على اوقاتها قال
وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ وكيف ما دارت الحال اريناك بعض
ما وعدناهم او توفيناك قبله فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ لا غير وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ والجزاء يوم القيمة
فلا تحتفل باعراضهم ولا تستعجل بعذابهم فانا فاعلون له ثم ذكر ان آثار حصول تلك
المواعيد وامارتها قد ظهرت وقربت فقال أَوَلَمْ يَرَوْا يعنى اهل مكه الذين يسالون
محمدا الايات أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نقصد ارض الكفر نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا نفتحها لمحمد صلى الله
عليه وسلم ارضا بعد ارض اى حوالى ارضهم هذا قول ابن عباس وقتادة وجماعه وقال
مجاهد هو خراب الارض وقبض اهلها فالمعنى اولم يروا انا ناتى الارض نخربها ونهلك
اهلها افلا يخافون ان نفعل بهم ذلك وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ لا راد لقضائه ولا ناقض لحكمه
وحقيقته الذى يعقب الشئ بالابطال والمعنى انه حكم للاسلام بالاقبال وعلى الكفر بالادبار
وذلك كاين لا يمكن تغييره وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فيحاسبهم عما قليل فى الاخره بعد ما عذبهم بالقتل
والاجلاء فى الدنيا ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من
قبل مشركى مكه بانبيائهم والمومنين والمكر ايصال المكروه الى الانسان من لا يشعر فَلِلَّهِ
الْمَكْرُ جَمِيعًا يعنى ان مكر الماكرين له اى هو من خلقه فالمكر جميعا مخلوق له ليس يضر

منه شئ الا باذنه وقيل اى عند الله جزاء مكرهم يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ فيعد جزاءها
وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ عاقبه الدار الاخره حين يدخلون النار ويدخلون المومنون
الجنة ثم ذكر حاصل شبهتهم مع الجواب فقال وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ فانه اظهر من الادله على رسالتى ما يغنى عن شاهد يشهد عليها وَمَنْ
عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز او علم اللوح المحفوظ وعليه قتادة
والحسن ويدل عليه قراءة عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما ومن عنده بكسر الميم والدال
ودليل هذه القراءة قوله وعلمناه من لدنا علما وقوله تعالى الرحمن علم القرآن وقال جماعه من المفسرين
هم مومنوا اهل الكتاب يشهدون على ذلك قال قتاده هو عبد الله ابن سلام وانكر الشعبى
هذا وقال السوره مكيه وعبد الله ابن سلام اسلم بالمدينه وقال ابو بشر قلت لسعيد بن جبير
من عنده علم الكتاب اهو عبد الله ابن سلام فقال وكيف يكون عبد الله ابن سلام وهذه السوره
مكيه وروى الحافظ ابو نعيم الاصفهانى باسناده فى كتاب دلايل النبوه وهو كتاب جليل
ان عبد الله ابن سلام قال لاحبار اليهود انى اردت ان احدث بمسجد ابينا ابرهيم واسمعيل
عهدا فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكه فوافاهم وقد انصرفوا من الحج
فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنا والناس حوله فقام مع الناس فلما نظر اليه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال انت عبد الله ابن سلام قلت نعم قال ادن فدنوت منه قال
انشدك بالله يا عبد الله ابن سلام اما تجدنى فى التوريه رسول الله فقلت له انعت لنا ربنا
قال فجاء جبريل عليه السلام حتى وقف بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
له قل هو الله احد الله الصمد الى آخرها فقراءها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ابن سلام اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله ثم انصرف ابن سلام الى المدينه فكتم
اسلامه فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينه وانا فوق نخله لى اجذها فالقيت
نفسى فقالت امى لله انت لو كان موسى ابن عمران ما كان لك ان تلقى نفسك من راس النخله
فقلت والله لانا اسر بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من موسى ابن عمران اذ بعث
قال الشيخ الكبير وهذا حديث غريب جدا

سورة ابرهيم عليه السلام

الا قوله الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا الى قوله فان مصيركم الى النار وهى احدى وخمسون آيه

بسم الله الرحمن الرحيم الر كِتَابٌ هذا كتاب
أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ من انواع الضلالة إِلَى النُّورِ الى الهدى
قال الكاشف من ظلمات الظنون الى نور اليقين وايضا من ظلمات العدم الى نور القدم

ومن ظلمات النفس الاماره الى نور المشاهده ومن ظلمات المجاهده الى نور المكاشفه
قال ابو حفص الظلمه رويته الفضل والنور رويته المفضل قال الاستاد من
ظلمات الجهل الى نور العلم ومن ظلمات التدبير الى فضاء شهود التقدير ومن ظلمات
التفرقه الى انوار الجمع بِإِذْنِ رَبِّهِمْ بتوفيقه وتسهيله مستعار من الاذن
الذى هو تسهيل الحجاب إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ واضافه الصراط الى الله لانه
مقصده وتخصيص الوصفين للتنبيه على انه لا يذل سالكه ولا يخيب سابله قال
الكاشف صراط العزيز الحميد هو طريق العبوديه الذى اصطفاه الحق لعرفان
الربوبيه على قدرهم لا على قدره فانه عزيز ممتنع عن مطالعه الحدث حقايق قدمه
وهو محمود فى افعاله وصفاته وذاته بالسنه احبابه لما اباهم الى عبوديته وهداهم
الى ربوبيته اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ اثنى على نفسه تحقيقا
لحقيقته وبيانا لتنزهه عن العبث وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ وعيد
لمن كفر بالكتاب ولم يخرج به من الظلمات الى النور الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
عَلَى الْآخِرَةِ يختارونها عليها فان المختار للشئ يطلب من نفسه ان يكون احب اليها
من غيره وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ يمنعون الناس عن قبول دين الله وسبيله
وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا اى يحبون ان يكون سبيل الله عوجا مايله وهى مستقيمه فى نفسها
أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ من الحق فى اسخاطهم ذلك وفى ظلمات القهر ثم لما من على
المكلفين بانزال الكتاب وارسال الرسول ذكر ان من كمال تلك النعمة ان يكون
ذلك الكتاب بلسان المرسل اليهم فقال وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ
بلغتهم لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ما امروا به فيفقهوه عنه بيسر وسرعة ثم ينقلوه ويترجموه لغيرهم
فانهم اولى الناس اليه بان يدعوهم واحق بان ينذرهم ولذلك امر النبى صلى الله عليه
وسلم بانذار عشيرته اولا فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ فيخذله عن الايمان وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
بالتوفيق له وَهُوَ الْعَزِيزُ فلا يغلب على مشيته الْحَكِيمُ لا يضل ولا يهدى الا لحكمة
ثم لما بين ان المقصود من بعثة نبينا صلى الله عليه وسلم هو اخراج الناس من الظلمات
الى النور اراد ان يبين ان الغرض من ارسال جميع الانبياء لم يكن الا ذلك وخص
موسى عليه السلام بالذكر لان امته اكثر الامم سوى امة محمد عليه السلام ولكثرة معجزاته
الباهره فقال وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا يعنى اليد والعصا وساير معجزاته أَنْ
أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ قال مقاتل بوقايع الله

فى الامم السالفه يقال فلان عالم بايام العرب اى بوقايعهم قال ابن عباس هى نعمايه
كظلل الغمام وبلايه كاهلاك القرون إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ الصبار الكثير
الصبر والشكور الكثير الشكر والمراد لكل مومن وانما عبر عنهم بذلك تنبيها على ان الصبر
والشكر عنوان المومن فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان امر المومن كله
عجب لا يقضى الله له قضاء الا كان خيرا له ان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له
وان اصابته سراء شكر فكان خيرا له قال قتاده نعم العبد عبد اذا ابتلى صبر واذا
اعطى شكر وَإِذْ اذكر قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ
يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ يتركونهن احياء
قال الفراء العله الجالبة لهذه الواو ان الله تعالى اخبرهم ان آل فرعون كانوا يعذبونهم
بانواع العذاب غير التذبيح وبالتذبيح وحيث طرح الواو فى يذبحون ويقتلون اراد تفسير
العذاب الذى كانوا يسومونهم وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ابتلاء منه وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ
ايضا من كلام موسى وتاذن واذن بمعنى واحد مثل اوعد وتوعد غير ان تفعل ابلغ لما
فيه من معنى التكلف والمبالغه لَئِنْ شَكَرْتُمْ يا بنى اسرائيل ما انعمت عليكم من الانجاء وغيره
بالايمان والعمل الصالح لَأَزِيدَنَّكُمْ نعمة الى نعمه فيل الشكر قيد الموجود وصيد المفقود
قال ابن عطاء لين شكرتم هدايتى لازيدنكم خدمتى ولين شكرتم خدمتى لازيدنكم مشاهدتى
ولين شكرتم مشاهدتى لازيدنكم ولايتى ولين شكرتم ولايتى لازيدنكم رويتى قال بعضهم
من شكر النعمه زاده من النعمه ومن شكر المنعم زاده معرفته به ومحبته وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
لَشَدِيدٌ وقد جاء فى الحديث ان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه وفى الحديث المسند
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به سايل فاعطاه تمرة فسخطها ولم يقبلها ثم مر به آخر
فاعطاه اياها فقبلها وقال تمرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر له باربعين درهما
او كما قال وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا من الثقلين فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ
عن شكركم حَمِيدٌ مستحق للحمد فى ذاته يحمده الملايكه وينطق بنعمه ذرات المخلوقات
فما ضررتم بالكفران الا انفسكم حيث حرمتموها مزيد الانعام وعرضتموها للعذاب الشديد
فى صحيح مسلم عن ابى ذر رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى
عن ربه تعالى انه قال يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب
رجل منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا يا عبادى لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم كانوا
على افجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا يا عبادى لو ان اولكم وآخركم

وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئا يا عبادي
لو ان اولكم وآخركم وانسكم وجنكم قاموا على صعيد واحد فسالوني فاعطيت كل انسان
مسالته ما نقص ذلك من ملكي شيئا الا كما ينقص المخيط ان ادخل في البحر قال الواسطي
ليس الايمان يقرب الى الحق ولا الكفر يبعد عنه ولكن جرى ما جرى به الامر في الازل
بالسعادة والشقاوة وظاهر الكفر والايمان اعلام لاحقايق وللحقايق العصار الذي
سبق الدهور والازمان الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود من
كلام موسى او كلام مبتدا من الله والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله لكثرتهم عن
عبد الله بن عباس قال بين ابرهيم وبين عدنان ثلثون قرنا لا يعلمهم الا الله وكان
مالك بن انس يكره ان ينسب الانسان نفسه ابا ابا الى آدم ولذلك في حق النبي صلى الله
عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود انه قال في قوله تعالى لا يعلمهم الا الله كذب النسابون
جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم قال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل
وردوا ما جاؤا به يقال رددت قول فلان في فيه اى كذبته وقال الكلبي يعني ان
الامم ردوا ايديهم في افواه انفسهم اي وضعوا الايدي على الافواه اشارة الى الرسل
ان اسكتوا وقال مقاتل فردوا ايديهم على افواه الرسل يسكتونهم بذلك وقالوا يعني الامم
للرسل انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه من الايمان مريب
موجب للريبة وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الشيء قالت رسلهم افي الله شك الهمزة
للانكار اى انما ندعوكم الى الله وهو لا يحتمل الشك لكثرة الادلة وظهور دلالتها عليها
فاطر السموات والارض صفة او بدل واشارة الى الدليل يدعوكم الى الايمان ببعثته ايانا
ليغفر لكم من ذنوبكم بعض ذنوبكم وهو ما بينكم وبينه فان الاسلام يجبه دون المظالم
ويؤخركم الى اجل مسمى الى وقت سماه الله وجعله آخر اعماركم ولا يعاجلكم بالعذاب قالوا
ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو شاء الله ان يبعث الى
البشر رسلا لبعث من جنس افضل تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباؤنا بدعوى
فاتونا بسلطان مبين حجة بينة على صحة دعواكم لم يعتبروا ما جاؤا به من البينات والحجج
فاقترحوا عليهم آية اخرى تعنتا ولجاجا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم و
لكن الله يمن على من يشاء من عباده سلموا مشاركتهم في الجنس وجعلوا الموجب
لاختصاصهم بالنبوة فضل الله عليهم وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله اي
ليس الينا الاتيان بالآيات حتى ناتي بما اقترحتم وانما هو امر متعلق بمشية الله فيخص

كل نبي بنوع من الآيات وعلى الله فليتوكل المؤمنون فليتوكل عليه في الصبر على
معاندتكم ومعاداتكم وما لنا الا نتوكل على الله اي عذر لنا في ان لا نتوكل على الله
وقد هدانا سبلنا التي بها نعرفه ونعلم ان الامور كلها بيده ولنصبرن على ما آذيتمونا
جواب قسم محذوف اكدوا به توكلهم وعدم مبالاتهم بما يجري من الكفار عليهم وعلى
الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن
في ملتنا يعنون الا ان ترجعوا الى ديننا فاوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم
الارض من بعدهم من بعد هلاكهم ذلك الوحي به وهو اهلاك الظالمين واسكان
المؤمنين لمن خاف مقامي موقفي وهو الموقف الذي يقيم فيه العباد للحكومة يوم
القيمة كما في قوله ولمن خاف مقام ربه جنتان او قيامي عليه وحفظي لاعماله وقيل المقام
مقحم وخاف وعيد اى وعيدي بالعذاب واستفتحوا سالوا من الله الفتح والنصر
على اعدائهم او القضاء بينهم وبين اعاديهم من الفتاحة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين
قومنا بالحق قال ابن عباس ومقاتل يعني الامم وذلك انهم قالوا اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقال مجاهد وقتادة يعني الرسل
وذلك انهم لما يئسوا من ايمان قومهم استنصروا الله ودعوا على قومهم بالعذاب كما قال
نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وقال موسى ربنا اطمس على اموالهم
وقيل للفريقين فان كلهم سالوا ان ينصر المحق ويهلك المبطل وخاب كل جبار عنيد
اى نفتح الله لهم فافلح المؤمنون وخاب وخسر وقيل هلك كل جبار عنيد والجبار
الذي لا يرى فوقه احدا والجبرية طلب العلو بما لا غاية وراءه وهذا الوصف لا يكون
الا لله وقيل الجبار الذي يجبر الخلق على مراده والعنيد المعاند للحق من ورائه
جهنم اى امامه كقوله تعالى وكان وراءهم ملك اى امامهم قال ابو عبيدة هو من
الاضداد قال الاخفش هو كما يقال هذا الامر من ورائك يريد انه سياتيك وانا من
وراء فلان يعني اصل اليه ويسقى من ماء صديد اى من ماء هو صديد وهو ما يسيل
من ابدان الكفار من القيح والدم وقال محمد بن كعب ما يسيل من فروج الزناة يتجرعه
يشربه جرعة بعد جرعة ولا يكاد يسيغه ولا يقارب ان يسيغه عن ابي امامة عن
النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يسقى من ماء صديد قال يقرب اليه فيكرهه فاذا
دنا منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره
يقول الله عز وجل وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم ويقول وان يستغيثوا يغاثوا

بماء كالمهل يشوي الوجوه رواه الامام احمد ومحيي السنة وابن جرير وابن ابي حاتم
وياتيه الموت اي اسبابه من الشدايد من كل مكان من قدامه ومن خلفه ومن
فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله فيحيط به وقيل من كل مكان من اعضائه قال
ابرهيم التيمي حتى من تحت كل شعرة من جسده وما هو بميت فيستريح ومن ورائه
عذاب غليظ اغلظ من الذي قبله كما قال تعالى عن شجرة الزقوم انها تخرج في اصل
الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالؤن منها البطون ثم ان لهم
عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم فاخبر انهم تارة يكونون في اكل زقوم وتارة
في شرب حميم وتارة يردون الى جحيم عياذا بالله من ذلك الى غير ذلك من الآيات ثم لما
ذكر في الآيات المتقدمة انواع عذاب الكفار اراد ان يبين غاية خسرانهم وبطلان سعيهم
فقال مثل الذين كفروا بربهم صفتهم التي هي مثل في الغرابة فيما يتلى عليكم اعمالهم
كرماد اشتدت به الريح حملته واسرعت الذهاب به في يوم عاصف العصف اشتداد
وصف به زمانه للمبالغة كقوله نهاره صايم وليله قايم شبه صنايعهم من الصدقة وصلة
الرحم واغاثة الملهوف وعتق الرقاب ونحو ذلك من مكارمهم في حبوطها لبنائها على غير
اساس من معرفة الله والتوجه بها اليه برماد طيرته الريح العاصف لا يقدرون يوم
القيمة مما كسبوا من اعمالهم على شيء لحبوطه فلا يرون اثرا من الثواب ذلك اى ضلالهم
مع حسبانهم انهم محسنون هو الضلال البعيد فانه الغاية في البعد عن طريق الحق ثم بين
كمال قدرته واستغنائه عن الظلم والقبايح وعن عمل كل عامل فقال الم تر ان الله خلق
السموات والارض بالحق لم يخلقهما باطلا وانما خلقهما لامر عظيم ان يشا يذهبكم ويات
بخلق جديد بعدمكم ويخلق خلقا آخر مكانكم رتب ذلك على كونه خالقا للسموات والارض
استدلالا به عليه فان من خلق اصولهم وما يتوقف عليه تخلقهم ثم كونهم بتبديل الصور
وتغيير الطبايع قدر ان يبدلهم بخلق آخر ولم يمتنع عليه ذلك كما قال وما ذلك على الله
بعزيز متعذر او متعسر فانه قادر لذاته لا اختصاص له بمقدور دون مقدور ومن
هذا شانه كان حقيقا بان يؤمن به ويعبد رجاء لثوابه وخوفا من عقابه يوم الجزاء
فدلت الآية على انه الحقيق بان يخشى عقابه ويرجى ثوابه فلذلك اتبعها احوال الآخرة
فقال وبرزوا اى ويبرزون من قبورهم يوم القيمة وانما ذكر بلفظ الماضي لتحقق
وقوعه لله لامر الله ومحاسبته جميعا فقال الضعفاء الاتباع جمع ضعيف للذين
استكبروا لرؤسائهم الذين استتبعوهم انا كنا لكم تبعا في تكذيب الرسل والاعراض

عن نصايحهم والتبع جمع تابع كغايب وغيب او مصدر نعت به للمبالغة فهل انتم مغنون
عنا دافعون عنا من عذاب الله من شيء بعض شيء هو بعض عذاب الله قالوا لو هدانا
الله للايمان ووفقنا له لهديناكم فلما اضللنا دعوناكم الى الضلال سواء علينا اجزعنا
ام صبرنا مستويان علينا الجزع والصبر ما لنا من محيص منجا ومهرب قال مقاتل يقولون
في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمس مائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون
خمس مائة عام فلا ينفعهم فحينئذ يقولون سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص
قال محمد بن كعب القرظي بلغني ان اهل النار استغاثوا بالخزنة قال الله تعالى وقال الذين
في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخزنة عليهم اولم تك
تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى فردت الخزنة عليهم ادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال
فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا يا مالك ليقض علينا ربك سالوا الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة
والسنة ستون وثلثمائة يوم واليوم كالف سنة مما تعدون ثم لحظ اليهم بعد الثمانين انكم
ماكثون فلما يئسوا مما قبله قال بعضهم لبعض انكم قد نزل بكم من البلاء ما ترون فهلم فلنصبر
فلعل الصبر ينفعنا كما صبر اهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم فاجمعوا على الصبر فطال صبرهم
ثم جزعوا فنادوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص فقال ابليس عند ذلك
يخطبهم فقال ان الله وعدكم وعد الحق الآية فلما سمعوا مقالته مقتوا انفسهم فنودوا
لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون فنادوا الثانية فارجعنا
نعمل صالحا انا موقنون فرد عليهم ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها الآيات فنادوا الثالثة
ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فردوا اولم تكونوا اقسمتم من
قبل ما لكم من زوال الآيات ثم نادوا الرابعة ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل
فرد عليهم اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير قال فمكث عنهم ما شاء الله
ثم ناداهم الم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون فلما سمعوا ذلك قالوا الآن يرحمنا
فقالوا عند ذلك ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا
فانا ظالمون فقال عند ذلك اخسؤا فيها ولا تكلمون فانقطع بعد ذلك الرجاء والدعاء عنهم
فاقبل بعضهم على بعض ينبح بعضهم في وجوه بعض واطبقت عليهم وقال الشيطان يعني
ابليس لما قضي الامر فرغ منه ودخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار قال مقاتل يوضع
له منبر في النار فيرقا فيجتمع عليه الكفار باللائمة فيقول لهم ان الله وعدكم وعد الحق
وفى لكم ووعدتكم فاخلفتكم قلت لكم لا بعث ولا حساب ولا جنة ولا نار وان كان

فالاصنام يشفع لكم وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ولايه وقيل لم اكن محجة فيما
دعوتكم اليه اِلَّا اَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي اسرعتم اجابتى فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا
اَنْفُسَكُمْ باجابتى ومتابعتى من غير سلطان ولا برهان مَا اَنَا بِمُصْرِخِكُمْ مغيثكم
من العذاب وَمَا اَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ مغيثى اِنِّي كَفَرْتُ بِمَا اَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ اي
كفرت بجعلكم اياي شريكا فى عبادته و برات من ذلك اِنَّ الظَّالِمِينَ الكافرين
لَهُمْ عَذَابٌ اَلِيمٌ وفى حكاية امثال ذلك رحمة للسامعين وايقاظ لهم حتى يحاسبوا
انفسهم ويتدبروا عواقبهم عن عقبه ابن عامر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فى حديث الشفاعة يقول عيسى ادلكم على النبى الامي فياتونى فياذن الله لى
ان اقوم فيثور مجلسى من اطيب ريح شمها احد حتى آتى على ربي فيشفعنى ويجعل
لى نورا من شعر راسى الى ظفر قدمي ثم يقول الكفار قد وجد المومنون من
يشفع لنا فيقولون ما هو غير ابليس هو الذى اضلنا فياتونه فيقولون قد وجد
المومنون من يشفع لهم فقم انت فاشفع لنا فانك اضللتنا فيقوم فيثور مجلسه
من انتن ريح شمها احد ثم يعظم نحيبهم ويقول عند ذلك ان الله وعدكم وعد الحق
الاية ثم شرع فى احوال السعداء فقال وَاُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ
تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْاَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِاِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ يسلم بعضهم بعضا
و يسلم الملائكة عليهم وقيل المحيى بالسلام هو الله عز وجل ثم لما بين احوال السعداء
وكان قد ذكر احوال اضدادهم اراد ان يذكر لكل من الفريقين مثلا فقال
اَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّٰهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ اى جعل كلمة طيبة كشجرة طيبة
وهو تفسير لقوله تعالى ضرب الله مثلا اَصْلُهَا ثَابِتٌ فِي الْاَرْضِ وَفَرْعُهَا اعلاها فِي السَّمَاءِ
ويجوز ان يراد وافنانها فى السماء تُؤْتِي اُكُلَهَا تعطى ثمرها كُلَّ حِينٍ بِاِذْنِ رَبِّهَا بارادة
خالقها وتكوينه عن ابن عباس رضى الله عنهما الكلمة الطيبة شهادة ان لا اله الا الله
والشجرة الطيبة شجرة فى الجنة والمعنى اصل هذه الكلمة راسخ فى قلب المومن بالمعرفة
والتصديق فاذا تكلم بها خرجت ولا تحجب حتى ينتهى الى الله عز وجل قال الله تعالى
اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن ابن مسعود رضى الله عنه وغيره
ان الشجرة هى النخلة قال مجاهد وعكرمة الحين هاهنا سنة كاملة لان النخلة تثمر كل سنة
وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة اشهر من وقت اطلاعها الى صرامها وروى ذلك
عن ابن عباس وقيل اربعة اشهر من حين ظهورها الى ادراكها وقال سعيد بن المسيب

شهران

شهران من حين يوكل الى الصرام وقال الربيع كل حين اي كل غدوة وعشية لان
ثمر النخل يوكل ابدا ليلا ونهارا صيفا وشتاء اما تمرا او رطبا او بسرا كذلك عمل المومن يصعد
اول النهار وآخره وبركة ايمانه لا ينقطع ابدا بل يصل اليه فى كل وقت عن ابن عمر انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل
المسلم فحدثونى ما هى قال عبد الله فوقع الناس فى شجر البوادى ووقع فى نفسى انها
النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله قال هى النخلة قال عبد الله فحدثت
ابى بما وقع فى نفسى فقال لان يكون قلتها احب الي من كذا وكذا قال محمد بن على الشجرة
الطيبة الاعمال اسسها الله فى قلوب اوليائه وجعل ارضه التوفيق وسماها
العنايه ومارها الرعايه واغصانها الكفاية واوراقها الولاية وثمارها الوصلة وظلها
الانس واصلها ثابت فى قلب الولى وفرعها فى السما وثابته بالمزيد من عند الجبار
فالاصل يبنى الفرع بدوام الاشفاق والمراقبه والفرع يهدى الى الاصل بما يجتنيه
من محل المشاهدة والقرب هكذا ابدا قلب المومن وفواده وَيَضْرِبُ اللّٰهُ الْاَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ لان فى ضربها زيادة افهام وتذكير فانه تصوير للمعاني
وادناء لها من الحس وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ كمثل شجرة خَبِيثَةٍ هى الحنظل وقيل
الثوم وقيل هى الكشوث اجْتُثَّتْ استوصلت واخذت جثته بالكلية مِنْ فَوْقِ
الْاَرْضِ لان عروقها قريبة منه مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ استقرار معناه ليس لها اصل ثابت
فى الارض ولا فرع صاعد الى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب
ولا عمل صالح وقال جعفر الشجرة الخبيثة الشهوات وارضها النفوس ومارها الامل و
اوراقها الكسل وثمارها المعاصى وعاقبتها النار ولما شبه حال الفريقين عاقبه بين
ماليهما فقال يُثَبِّتُ اللّٰهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ الذى ثبت بالحجة عندهم
وتمكن فى قلوبهم فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فلا يزالون اذا افتنوا فى دينهم وَفِي الْآخِرَةِ فى
القبر عند السوال وعند البعث وَيُضِلُّ اللّٰهُ الظَّالِمِينَ لا يهدى المشركين الى الجواب
بالصواب فى القبر وَيَفْعَلُ اللّٰهُ مَا يَشَاءُ من توفيق بعض وتثبيته وخذلان
بعض واضلاله من غير اعتراض عليه عن البراء ابن عازب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم المسلم اذا سئل فى القبر يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله فذلك قوله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة
وعن انس ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا وضع

فى قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت
تقول فى هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم فاما المومن فيقول اشهد انه عبد الله و
رسوله فيقال انظر الى مقعدك من النار قد ابدلك الله به مقعدا فى الجنة فيراهما واما
المنافق والكافر فيقال له ما كنت تقول فى هذا الرجل فيقول لا ادرى كنت اقول ما
يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطارق من حديد ضربة يسمعها
غير الثقلين وعن ابي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا قبر
الميت اتاه ملكان اسودان يقال لاحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان ما كنت تقول
فى هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسوله
قد كنا نعلم انك تقول هذا ثم يفتح له فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ثم ينور له
فيه ثم يقال له نم كنومة العروس الذى لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله
وان كان منافقا قال سمعت الناس يقولون فقلت مثله فيقولان كنا نعلم ذلك فيقال
للارض التئمي عليه فتلتئم عليه فتختلف اضلاعه فلا يزال فيها معذبا حتى يبعثه الله تعالى
من مضجعه ذلك ثم عجب من حال ظالمى مكة فقال اَلَمْ تَرَ اِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ
اللّٰهِ كُفْرًا اى شكر نعمته كفرا بان وضعوه مكانه قال ابن عباس هم والله كفار قريش
وقال عمرو هم قريش ومحمد نعمة الله وَاَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ دار الهلاك بحملهم على الكفر
جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ وبئس المقر جهنم قال عمر بن الخطاب هم الافجران من
قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا
الى حين وَجَعَلُوا لِلّٰهِ اَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ الذى هو التوحيد قُلْ تَمَتَّعُوا
بشهواتكم فَاِنَّ مَصِيرَكُمْ اِلَى النَّارِ ولما امر الكافرين بالتمتع بنعيم الدنيا تهديدا امر
نبيه صلى الله عليه وسلم بحث المومنين على خلاف ذلك فقال قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا
خصهم بالاضافة تنويها لهم وتنبيها على انهم المقيمون لحقوق العبودية يُقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ اى قل لهم اقيموا الصلوة وانفقوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم
فيكون ايذانا بانهم لفرط مطاوعتهم الرسول بحيث لا ينفك فعلهم عن امره سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِنْ قَبْلِ اَنْ يَاْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ اى يوم القيمة لا انتفاع فيه بمبايعة او مخالة
ولما ختم احوال المعاد الى المبدا فقال اَللّٰهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْاَرْضَ مبتدا و
خبر وَاَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ
لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِاَمْرِهِ بمشيئته الى حيث توجهم وَسَخَّرَ لَكُمُ الْاَنْهَارَ بجعلها معدة

لانتفاعكم

لانتفاعكم وتصرفكم وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ يدابان ويجريان فيما يعود
الى مصالح العباد لا يفتران قال ابن عباس رضى الله عنهما دوبهما فى طاعة الله عز وجل
وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ يتعاقبان لسباتكم ومعاشكم وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَاَلْتُمُوهُ اي
بعض جميع ما سالتموه يعنى من كل شئ سالتموه شيئا فان الموجود من كل صنف بعض ما
فى قدرة الله تعالى قال بعضهم وآتاكم من كل شئ ما احتجتم اليه وسالتموه بلسان الحال
وَاِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللّٰهِ لَا تُحْصُوهَا لا تطيقوا عد انواعها فضلا من افرادها فانها غير متناهية
قال الامام ومن تامل فى تشريح الابدان وفى اعضاء الحيوان واجزائها من العروق
الدقاق والاوردة والشرايين وفى كل واحد من الاعضاء البسيطة والمركبة ووقف
على منافعها عرف بعض نعم الله تعالى على عباده واذا تجاوز الانفس الى الافاق وسير
فكره فى احوال الاجسام السفلية والعلوية ووقف من بديع صنعها وعظم منفعتها على ما يقضى
منه العجب واذا عبر الملك الى الملكوت تاه فى اودية الحيرة والدهشة وتلاشى عقله عند
ادنى سرادقات العزة والهيبة قال الحكيم اذا اخذت اللقمة الواحدة ليضعها فى الفم
فانظر الى ما قبلها والى ما بعدها اما الذى قبلها فكالخبز والطحن والزرع وغير ذلك
من الالات المعينة والاسباب الفاعلية والقابلية حتى ينتهى الى الافلاك والعناصر
واما الذى بعدها فكالقوى المعينة على الحدث والامساك والهضم والدفع وكالاعضاء
الحاملة لتلك القوى وكسائر الامور النافعة فى ذلك الباب خارجة عن البدن او داخلة
فيه فانها لا تكاد تنحصر واذا كانت نعم الله تعالى فى تناول لقمة واحدة تبلغ هذا المبلغ فكيف
فيما جاوز ذلك اِنَّ الْاِنْسَانَ لَظَلُومٌ يظلم النعمة باغفال شكرها او يظلم نفسه بان يعرضها
للحرمان كَفَّارٌ شديد الكفران وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع
ويمنع وَاِذْ قَالَ اِبْرَاهِيمُ قال العلامة النيسابورى قصة ابرهيم عليه السلام يحتمل ان يكون
مثالا للكلمة الطيبة وان يكون دعاء الى التوحيد وانكار العبادة الاصنام وان يكون
تعديد البعض نعمه على عبيده فان وجود الصالحين ولا سيما الانبياء والمرسلين رحمة
فيما بين العالمين كما قال تعالى لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا رَبِّ اجْعَلْ
هٰذَا الْبَلَدَ بلدة مكة زادها الله تعظيما آمِنًا ذا امن لمن فيها وقد استجاب الله تعالى قال
اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وَاجْنُبْنِي بعدني وَبَنِيَّ اَنْ
نَعْبُدَ الْاَصْنَامَ اما دعاؤه فى شانه فلزيادة العصمة والتثبيت فقد كان معصوما من
عبادة الاصنام وايضا فعصمة الانبياء بتوفيق الله تعالى وحفظه اياهم واما دعاؤه فى بنيه

فقد استجاب الله تعالى فلم يعبد احد من بنيه الصلبية الصنم واللفظ بظاهره لا يتناول احفاده وجميع ذريته وزعم ابن عيينة ان اولاد اسمعيل لم يعبدوا الصنم محتجا به وانما كانت لهم حجارة يدورون بها ويقولون البيت حجر فحيث ما نصبوا حجرا فهو بمنزلته رب انهن اضللن كثيرا من الناس فلذلك سالت منك العصمة واستعذت من اضلالهن واسناد الاضلال اليهن باعتبار السببية كقوله تعالى وغرتهم الحيوة الدنيا فمن تبعني على ديني فانه مني اي بعضي لفرط اختصاصه بي ومن عصاني فانك غفور رحيم تقدر ان يغفر له ويرحمه قال القاضي وفيه دليل على ان كل ذنب فسه ان يغفر حتى الشرك الا ان الوعد فرق بينه وبين غيره قال السدي معناه من عصاني فيما دون الشرك وقيل قال ذلك قبل ان يعلم الله انه لا يغفر الشرك عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قول ابرهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم فرفع يديه ثم قال اللهم امتي اللهم امتي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد وربك اعلم وسله ما يبكيك فاتاه جبريل عليه السلام فسأله فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال فقال الله تعالى اذهب الى محمد فقل انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك ربنا اني اسكنت من ذريتي بعض ذريتي وهم اسمعيل ومن ولد منه بواد غير ذي زرع يعني وادي مكة فانها حجرية لا تنبت عند بيتك المحرم التي حرمت التعرض له والتهاون به او لم يزل معظما ممتنعا يهابه الجبابرة او منع منه الطوفان فلم يستول عليه ولذلك سمي عتيقا اي اعتق منه عن ابن عباس رضي الله عنهما اول ما اتخذ النساء المنطق من قبل ام اسمعيل اتخذت منطقا لتعفي اثرها على سارة ثم جاء بها ابرهيم وبابنها اسمعيل وهي ترضعه حتى وضعها عند البيت عند دوحة فوق زمزم في اعلى المسجد وليس بمكة يومئذ احد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وشنة فيها ماء ثم قفى ابرهيم منطلقا فتبعته ام اسمعيل قالت يا ابرهيم اين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه انس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا وهو لا يلتفت اليها فقالت الله امرك بهذا قال نعم قالت اذا لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق ابرهيم حتى اذا كان عند الثنية حيث لا يرونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال رب اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت ام اسمعيل ترضع اسمعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت

سنظر اليه

تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا اقرب جبل في الارض يليها فقامت اليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى احدا فلم تر احدا وهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها ثم سعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم اتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى احدا فلم تر احدا ففعلت ذلك سبع مرات قال ابن عباس رضي الله عنهما قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعي الناس بينهما فلما اشرفت على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت فقالت قد اسمعت ان كان عندك غواث فاذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه او قال بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا وتقول بيدها هكذا وجعلت تغرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تغرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله ام اسمعيل لو تركت زمزم او قال لو لم تغرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة فان ههنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وابوه وان الله لا يضيع اهله وكانت البيت مرتفعا من الارض كالرابية ياتيه السيل فياخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرهم او اهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في اسفل مكة فنظروا طايرا عايفا فقالوا ان هذا الطاير ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء فارسلوا جريا او جريين فاذا هم بالماء فرجعوا فاخبروهم بالماء فاقبلوا وام اسمعيل عند الماء فقالوا اتاذنين لنا ان ننزل عندك قالت نعم ولكن لا حق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فالفى ذلك ام اسمعيل وهي تحب الانس فنزلوا وارسلوا الى اهليهم فنزلوا معهم حتى اذا كان بها اهل ابيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وانفسهم واعجبهم حين شب الغلام فلما ادرك زوجوه امراة منهم وماتت ام اسمعيل عليه السلام فجاء ابرهيم بعد ما تزوج اسمعيل يطالع تركته وبقية القصة في سورة البقرة ربنا ليقيموا الصلوة اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا لاقامة الصلوة عند بيتك المحرم وتكرير النداء وتوسطه للاشعار بانها المقصودة بالذات من اسكانهم ثمة والمقصود من الدعاء توفيقهم لها فاجعل افئدة من الناس تهوي اليهم الافئدة جمع الفؤاد تهوي اليهم تحن وتسرع اليهم ومن للتبعيض اي افئدة بعض الناس وهم المسلمون قال مجاهد ولو قال افئدة الناس لزاحمكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس وارزقهم من الثمرات مع سكناهم واديا لا نبات فيه لعلهم يشكرون تلك النعمة فاجاب الله دعوته فجعله حرما امنا يجبى اليه

ثمرات كل شيء حتى يوجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن تعلم سرنا وعلننا والمعنى انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة لنا الى الطلب لكنا ندعوك اظهارا للعبودية لك وافتقارا الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك وامتثالا لامرك قال ابن عباس ومقاتل من الوجد باسمعيل وامه حيث اسكنهما بواد غير ذي زرع وتكرير النداء للمبالغة في التضرع واللجاء الى الله وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء لانه العالم بعلم ذاتي يستوي نسبته الى كل معلوم الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل واسحق قال ابن عباس ولد اسمعيل لابرهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد اسحق وهو ابن مائة واثني عشر سنة وقال سعيد ابن جبير بشر ابرهيم باسحق وهو ابن مائة وسبعة عشر سنة ان ربي لسميع الدعاء لمجيبه من قولك سمع الملك الكلام وفيه اشعار بانه دعاه تعالى وسأل منه الولد فاجابه ووهب له سؤله حين ما وقع الناس منه ليكون من اجل النعم واجلاها رب اجعلني مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي واجعل من ذريتي من يقيمون الصلوة والتبعيض لعلمه باعلام الله او استقراء عادته في الامم الماضية انه يكون في ذريته كفار ربنا وتقبل دعاء استجب دعائي ربنا اغفر لي ولوالدي فان قيل كيف استغفر لوالديه وهما غير مؤمنين قيل قد قيل ان امه اسلمت وقيل قال ذلك قبل ان تبين له امر ابيه وقد بين الله عز وجل عذر خليله في استغفاره لابيه في سورة التوبة وللمؤمنين كلهم يوم يقوم الحساب يثبت مستعار من القيام على الرجل كقولهم قامت الحرب على ساق او يقوم اليه اهله فحذف المضاف ثم عاد الى بيان الجزاء والمعاد لان دعاء ابرهيم صلوات الرحمن عليه قد انجر الى ذكر الحساب فقال ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم يؤخر عذابهم ليوم تشخص فيه الابصار ترتفع وتزول عن اماكنها من هول ما ترى مهطعين مسرعين الى الداعي مقنعي رؤسهم اي رافعي رؤسهم قال القتيبي المقنع الذي يرفع راسه ويقبل ببصره على ما بين يديه قال الحسن وجوه الناس يوم القيمة الى السماء لا ينظر احد الى احد لا يرتد اليهم طرفهم لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم قد شغلهم ما بين ايديهم وافئدتهم هواء خلاء اي خالية عن الفهم لفرط الحيرة والدهشة ومنه يقال للاحمق وللجبان قلبه هواء اي لا راي فيه ولا قوة وقيل اي مترددة تمور في اجوافهم ليس لها مكان يستقر فيه وانذر الناس يوم ياتيهم العذاب وهو يوم القيمة او يوم الموت فانه اقل ايام عذابهم فيقول الذين ظلموا اشركوا ربنا اخرنا اخر العذاب عنا اي ردنا الى الدنيا

وامهلنا

وامهلنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل فيقال لهم او لم تكونوا اقسمتم حلفتم من قبل في دار الدنيا ما لكم من زوال اي لا تبعثون وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم بالكفر والعصيان قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم اي عرفتم عقوبتنا اياهم بما تشاهدون في منازلهم من آثار ما نزل بهم وما تواتر عندكم من اخبارهم وضربنا لكم الامثال اي بينا لكم ما اضللنا وفعلنا بالامم المكذبة وصفاتها التي هي في الغرابة كالامثال المضروبة وقد مكروا مكرهم واستفرغوا فيه جهدهم لابطال الحق وتقرير الباطل وعند الله مكرهم مكتوب عنده فعلهم فهو مجازيهم عليه او عنده جزاء مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال اي وان كان مكرهم عظيما معدا لان تزول منه الجبال وقيل ان نافية واللام مؤكدة لها اي محال ان تزول بمكرهم الجبال والجبل مثل لايات الله وشرايعه لانها بمنزلة الجبال تمكنا وثباتا حكي عن علي بن ابي طالب ان الاية نزلت في نمرود الجبار الذي حاج ابرهيم في ربه قال ان كان ما قاله ابرهيم حقا فلا انتهي حتى اصعد السماء فاعلم ما فيها فعمد الى اربعة افرخ من النسور فرباها حتى شبت واتخذ تابوتا وجعل له بابا من اعلى وبابا من اسفل وقعد نمرود مع رجل في التابوت ونصب خشبات في اطراف التابوت وجعل على رؤسها اللحم وربط التابوت بارجل النسور وخلاها فطرن وصعدن طمعا في اللحم حتى مضى يوم وابعدت في الهواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح فنظر فقال ان السماء كهيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل وانظر الى الارض كيف تراها ففعل فقال ارى الارض مثل اللجة والجبال مثل الدخان وطارت النسور يوما اخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لصاحبه افتح الباب ففتح الباب فاذا السماء كهيئتها ففتح الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودي ايها الطاغي اين تريد وكان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب فرمى بسهم فعاد اليه السهم ملطخا بدم طاير اصابه السهم فقال كفيت شغل اله السماء ثم امر صاحبه ان يصوب الخشبات وينكس اللحم ففعل وهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال خفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت ان قد حدث حدث من السماء وان القيمة قد قامت فكادت تزول عن اماكنها فذلك قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال كذا في معالم التنزيل وفي تفسير الشيخ ابن الكثير ذكر مجاهد هذه القصة عن بخت نصر وانه لما انقطع عن الارض واهلها نودي ايها الطاغي اين تريد

ثم سمع الصوت فوقه فصرت الرياح فصرت النسور فوعب الجبال من هدتها وكادت
الجبال ان تزول من حس ذلك فذلك قوله تعالى وان كان مكرهم لتزول منه الجبال
فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله بالنصر لاوليائه واهلاك اعدائه قال انا لننصر رسلنا
كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله عزيز غالب لا يماكر قادر لا يدافع ذو انتقام
لاوليائه من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض بدل من يوم يأتيهم العذاب
او ظرف للانتقام او مقدر باذكر او لا يخلف وعده والسموات غير السموات وبرزوا
اخرجوا من قبورهم لله الواحد القهار الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد عن سهل بن
سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة على ارض بيضاء
عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لاحد عن ابن مسعود رضي الله عنهما في هذه الآية يوم
تبدل الارض بارض كالفضة نقية لم يسفك فيها دم ولم يعمل فيها خطيئة وقال علي ابن
ابي طالب رضي الله عنه الارض من فضة والسماء من ذهب وقيل معنى التبديل جعل
السموات جنانا وجعل الارض نيرانا وقال ابن عباس رضي الله عنهما تبدل الارض تغيرها
من هيئته الى هيئة وهي تسير جبالها وطم انهارها وتسوية اوديتها وقطع اشجارها
وجعلها قاعا صفصفا وتبديل السموات تغير حالها بتكوير شمسها وخسوف قمرها وانتثار
نجومها ولونها مرة كالدهان ومرة كالمهل وعن عائشة رضي الله عنها قالت سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فاين يكون الناس
يومئذ يا رسول الله فقال على الصراط وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم
انه قال كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء حبر من احبار اليهود فقال السلام
يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال لم تدفعني فقلت الا تقول يا رسول الله فقال
اليهودي انما ندعوه باسمه الذي سماه اهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اسمي محمد
الذي سماني به اهلي فقال اليهودي جئت اسألك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اينفعك
شيء ان حدثتك قال اسمع باذني فنكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعود معه فقال سل
فقال اليهودي اين يكون الناس يوم تبدل الارض غير الارض والسموات فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الظلمة دون الجسر قال فمن اول الناس اجازة قال فقراء المهاجرين
قال اليهودي فما تحفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد النون قال فما غداؤهم في اثرها قال
ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه قال من عين تسمى سلسبيلا

قال صدقت

قال صدقت وجئت اسألك عن شيء لا يعلمه احد من اهل الارض الا نبي او رجل او رجلان
رواه مسلم وعن ابي ايوب الانصاري رضي الله عنه قال اتى النبي صلى الله عليه وسلم حبر
من اليهود فقال ارايت اذ يقول الله تعالى في كتابه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات
فاين الخلق عند ذلك فقال اضياف الله تعالى فلن يعجزهم ما لديه وترى المجرمين
يومئذ مقرنين في الاصفاد في القيود والاغلال واحدها صفد وكل من شددته
شدا وثيقا فقد صفدته قيل معناه مقرنة ايديهم وارجلهم الى رقابهم بالقيود ومنه
قيل للحبل قرن وقيل يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة بيانه قوله تعالى احشروا الذين
ظلموا وازواجهم يعني قرناءهم من الشياطين سرابيلهم قمصهم واحدها سربال من
قطران وهو الذي يهنأ به الابل وقرأ عكرمة ويعقوب من قطر آن على كلمتين
منونين والقطر النحاس المذاب والآن الذي انتهى حره قال الله تعالى يطوفون
بينها وبين حميم آن وتغشى وجوههم النار تعلو وتغشاها لانهم لم يتوجهوا بها الى
الحق ولم يستعملوا في تدبر مشاعرهم وحواسهم التي خلقت فيها لاجله كما يطلع على افئدتهم
لانها فارغة عن المعرفة مملوة بالجهالات ليجزي الله يفعل بهم ذلك ليجزي كل نفس مجرمة
ما كسبت او كل نفس مجرمة او مطيعة لانه اذا بين ان المجرمين معاقبون لاجرامهم علم
ان المطيعين يثابون لطاعتهم ان الله سريع الحساب لانه لا يشغله حساب عن حساب
هذا اشارة الى القرآن او ما في السورة من العظة والتذكير بلاغ للناس كفاية لهم
في الموعظة ولينذروا به اي لينصحوا ولينذروا بهذا البلاغ وليعلموا انما هو اله
واحد بالنظر والتأمل فيما فيه من الآيات الدالة عليه او المنبهة على ما يدل عليه وليذكر اولوا
الالباب وليتعظ اولوا العقول سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين الاشارة الى آيات السورة والكتاب هو السورة
وكذلك القرآن والتنكير للتفخيم اي آيات الجامع لكونه كتابا كاملا وقرآنا يبين الرشد من الغي
بيانا غريبا ربما يود يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين فكلمة رب اما للتكثير او المراد
ان شغلهم بالعذاب لا يفرغهم للندامة انما يخطر ببالهم احيانا واختلفوا في الحال التي
يتمنى الكافر فقال السدي عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة رضي الله عنهم
ان الكفار يوم بدر لما عرضوا على النار تمنوا ان لو كانوا مسلمين وقيل المراد ان كل كافر
يود عند احتضاره ان لو كان مؤمنا وقيل هذا اخبار عن يوم القيمة كما في قوله تعالى

ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين
قال محيي السنة والمشهور انه حين يخرج الله المؤمنين من النار روي عن ابي موسى
الاشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا اجتمع اهل النار في النار ومعهم من شاء الله
من اهل القبلة قال الكفار الستم مسلمين قالوا بلى قالوا فما اغنى عنكم اسلامكم وانتم معنا في النار
قالوا كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فغضب الله لهم بفضل رحمته فيأمر بكل من كان من اهل
القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم دعهم
ياكلوا ويتمتعوا بدنياهم ويلههم الامل ويشغلهم توقعهم لطول الاعمار واستقامة
الاحوال عن الاستعداد للمعاد فسوف يعلمون سوء صنيعهم اذا عاينوا جزاءه فقوله
تعالى ذرهم تهديد وقوله تعالى فسوف يعلمون تهديد آخر فمتى يهنأ العيش بين تهديدين
والآية نسختها آية القتال وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مقدر كتب في اللوح
ما تسبق من امة اجلها وما يستأخرون عنه اي لا يتقدم ولا يتأخر العذاب المضروب
وقالوا يعني مشركي مكة يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي القرآن وارادوا به محمدا صلى الله
عليه وسلم انك لمجنون ذكروا تنزيل الذكر على طريق الاستهزاء لو ما هلا تأتينا بالملائكة
شاهدين لك بالصدق على ما يقول ان كنت من الصادقين انك نبي ما ننزل الملائكة
الا بالحق اي بالوجه الذي قدره واقتضته حكمته ولا حكمة في ان يأتيكم بصورة تشاهدونها
فانه لا يزيدكم الا لبسا وفي معاجلتكم بالعقوبة فان منكم ومن ذراريكم من سبقت كلمتنا
له بالايمان وقيل الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اي ولو نزلت الملائكة ما كانوا
منظرين اي ولو نزلت الملائكة ما كانوا منظرين مؤخرين والمعنى انهم لو نزلوا عيانا لزال عن
الكفار الامهال وعذبوا في الحال انا نحن نزلنا الذكر يعني القرآن رد لانكارهم واستهزائهم
ولذلك اكده من وجوه وقرره بقوله وانا له لحافظون من التحريف والزيادة والنقص
وقيل الهاء راجعة الى محمد صلى الله عليه وسلم اي انا لمحمد لحافظون ممن اراده بسوء كما قال
جل ذكره والله يعصمك من الناس ولقد ارسلنا من قبلك اي رسلا في شيع الاولين
في فرقهم والشيعة هم القوم المجتمعة المتفقة كلمتهم وما يأتيهم من رسول الا
كانوا به يستهزءون كما يفعل هؤلاء ذكره تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم كذلك
كما سلكنا الاستهزاء والكفر بالرسل في قلوب شيع الاولين نسلكه ندخله في قلوب
المجرمين مشركي قومك لا يؤمنون به بالذكر والقرآن وقد خلت مضت سنة الاولين
اي وقائع الله بالاهلاك فيمن كذب الرسل من الامم الخالية يخوف اهل مكة ولو فتحنا

عليهم

عليهم على هؤلاء المقترحين الذين يقولون لو ما تأتينا بالملائكة بابا من السماء فظلوا فيه
يعرجون اي فظلت الملائكة يعرجون فيها وهم يرونها عيانا هذا قول الاكثرين وقال
الحسن معناه فظل هؤلاء الكفار يعرجون فيها يصعدون لقالوا من غلوهم في
العناد وتشكيكهم في الحق انما سكرت ابصارنا سدت ابصارنا قال ابن عباس
وقال الحسن سحرت وقال الكلبي عميت وقرأ ابن كثير سكرت بالتخفيف اي حبست
ومنعت النظر كما يسكر النهر لحبس الماء بل نحن قوم مسحورون اي عمل فينا السحر و
سحرنا محمد ولما اجاب عن شبه منكري النبوة بما اجاب وكان القول بالنبوة متفرعا على
القول بالصانع اتبعه دلائل ذلك فقال ولقد جعلنا في السماء بروجا اثني عشر مختلفة
الهيئات والخواص على ما دل عليه الرصد والتجربة مع بساطة السماء وبالجملة ان كانت
اجزاء الفلك مختلفة في الماهية على ما يجوزه المتكلمون او كانت متساوية في تمام الماهية
مختلفة في التأثير كما يقوله الحكيم فعلى التقديرين يكون اختصاص كل جزء بطبيعة معينة
او بتأثير معين مع تساوي الكل في حقيقة الجسمية والاعلى صانع حكيم ومدبر قدير
وزيناها اي السماء بالشمس والقمر والنجوم للناظرين المعتبرين المستدلين بها على
قدرة مبدعها وتوحيد صانعها وحفظناها من كل شيطان رجيم مرجوم قال ابن عباس
كانت الشياطين لا يحجبون عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون باخبارها فيلقون
على الكهنة فلما ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد النبي صلى الله عليه وسلم
منعوا من السموات اجمع فما منهم من احد يريد استراق السمع الا رمي بشهاب فلما منعوا
تلك المقاعد ذكروا ذلك لابليس فقال لقد حدث في الارض حدث قال فبعثهم فوجدوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا والله هذا حدث الا من استرق السمع
واستراق السمع اختلاسه سرا شبه به خطفتهم اليسيرة من قطان السموات لما بينهم من
المناسبة في الجوهر فاتبعه فتبعه ولحقه شهاب مبين ظاهر للمبصرين والشهاب شعلة
من نار ساطعة وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق عن ابي هريرة ان نبي الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر في السماء ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله
كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي
الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ووصف سفيان
بكفه فحرفها وبدد بين اصابعه فيسمع الكلمة فيلقيها الى من تحته ثم يلقيها الآخر الى
من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر او الكاهن فربما ادركه الشهاب قبل ان يلقيها

الذى قال

وربما القاها قبل ان يدركه فيكذب معها مائة كذبة فيقال اليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء وعن عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان الملايكة تنزل من العنان هو السحاب فتذكر الامر قضي في السماء فيسترق الشياطين السمع فيسمعه فيوحيه الى الكهان ويكذبون معها مائة كذبة من عند انفسهم قال ابن قتيبة ان الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة بعد بعثه وبوده ما قيل لم يذكر شاعر من العرب قبل زمانه عليه الصلوة والسلام وانما ظهر في بدو امره وكان ذلك اساسا للنبوة صلى الله عليه وسلم قال يعقوب ابن عتبة ان المغيرة ابن الاخنس ابن شريق ان اول من فزع للرمي بالنجوم هذا الحي من ثقيف قالت الحكماء ان الارض اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها واشتعل لدهنية فيه فيجذب منها انواع النيران من جملتها الشهب فلاريب انها كانت موجودة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم الا انها مسلطة على الشياطين وانما قصد كونها رجوما للشياطين في زمن عيسى ثم في زمن محمد صلى الله عليه وسلم اسولة كيف يجوز ان يشاهد هولاء الجن واحدا او اكثر من جنسهم يسترقون السمع فيحترقون ثم انهم مع ذلك يعودون لمثل صنيعهم والجواب اذا جاء القضا عمي البصر فاذا قضى الله تعالى لطايفة منهم الحرق لطغيانها قدر له من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عندها يقدم على العمل المفضي الى الهلاك والسوال آخر ان الشياطين مخلوقون من نار فكيف يحرق النار النار والجواب ان الاقوى قد يبطل الاضعف وان كان من جنسه آخر ان هذا الرجم لو كان من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بعد وفاته الجواب هذا من المعجزات الباقية والغرض ابطال الكهانة آخر لو كان يمكنهم سل اخبار الملكة الى الكهنة فكيف لم يقدروا على نقل اسرار المومنين الى الكفار واجيب بانه تعالى اقدرهم على شيء واعجزهم عن شيء ولا يسال عما يفعل قال العلامة النيسابوري لعل السبب فيه ان نسبتهم الى الروحانيات اكثر وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا بسطناها وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ جبالا ثوابت وقد كانت الارض تميد الى ان ارساها الله تعالى بالجبال وَأَنْبَتْنَا فِيهَا في الارض مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ مقدر بمقدار معين يقتضيه حكمة او مستحسن متناسب من قولهم كلام موزون او له وزن في ابواب النعمة والمنفعة وقيل يعني في الجبال وهي جواهرها من الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها حتى الزرنيخ والكحل كل ذلك يوزن وزنا قال الاستاد نفوس العابدين ارض العبادة وقلوب العارفين ارض المعرفة وارواح الشايقين

ارض المحبة والخوف والرجاء طهارة وباسي وكما انبت في الارض فنون النبات انبت في القلوب صنوفا من الازهار والاثمار من نور اليقين ونور العرفان ونور الحضور ونور الشهود ونور التوحيد الى غير ذلك من الانوار وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ يعيشون بها جمع معيشة وهي المطاعم والمشارب والملابس وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ عطف على معايش او محل لكم يريد العيال والخدم والمماليك وساير ما يظنون انهم يرزقونهم ظنا كاذبا فان الله يرزقهم واياكم قال الاستاد سبب عيش كل احد مختلف فعيش المريدين بيمن اقباله وعيش العارفين بلطف جماله وعيش الموحدين بكشف جلاله كل مربوط بحاله ولكل نصيب من افضاله والحق منزه عن التجمل بافعاله وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ اي وما من شيء الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه اضعاف ما وجد منه فضرب الخزاين مثلا لاقتداره وَمَا نُنَزِّلُهُ من بقاع القدرة إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ حد الحكمة وتعلقت به المشية قيل كان الجنيد اذا قرا هذه الآية وان من شيء الا عندنا خزاينه قال فاين تذهبون قال بعضهم القلوب خزاين الحق عند الخلق اودع فيها اجل شيء وهو التوحيد وزينها بالمعرفة ونورها باليقين وعمرها بالتوكل وشرحها بالايمان ولم يملكهم من قلوبهم سالانه قايم بالحق منقلب في اوصافه قال النبي صلى الله عليه وسلم قلب ابن آدم بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وجعل آثار انوار القلوب على الجوارح من السارع الى الطاعات والسامع عن المعاصي والمخالفات وقال حمدون قطع اطماع عبيده عن سواه بقوله وان من شيء الا عندنا خزاينه فمن رفع بعد هذا حاجة الى غيره فهو لجهله ولومه قال سهل احصن خزاين الله في الارض قلوب اوليايه التي هي محل معرفته وعنه وعن محل نظره فمن حفظ تلك الخزاين بالذكر الدايم والمراقبة عمر الله قلبه بالرجوع اليه على دوام الاوقات والاعراض عما سواه وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ حوامل شبه الريح التي جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر بالحامل كما شبه ما لا يكون كذلك بالعقيم وقال ابو عبيدة اراد باللواقح ملاقح واحدتها ملقحة لانها تلقح الاشجار وقال عبيد ابن عمير يبعث الله الريح المثيرة فتثير السحاب ثم يبعث المولفة فتولف السحاب بعضه الى بعض فيجعله ركاما ثم يبعث اللواقح فتلقح الشجر وقال ابو بكر ابن عياش لا تقطر قطرة من السماء الا بعد ان تعمل الرياح الاربعة فيه فالصبا تهيجه والشمال تجمعه والجنوب تدره والدبور تفرقه في الخبر ان الله الرياح الجنوب وفي بعض الآثار ما هبت ريح الجنوب الا وانبعث عينا غدقة فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ اي جعلنا المطر لكم سقيا يقال اسقى فلان فلانا اذا جعل له سقيا وسقاه

اذا اعطاه ما يشرب يقول العرب سقيت الرجل ماء ولبنا اذا كان لسقيه فاذا جعل له ماء يشرب ارضه او ماشيته يقال اسقيته وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ قادرين متمكنين من اخراجه يعني المطر في خزايننا لا في خزاينكم نفى عنهم ما اثبته لنفسه قال الكاشف غرس في قلوب اوليايه اشجار المعرفة التي هي من بساتين غيب ملكوته وجبروته ثم ارسل عليها رياح لطفه فكشف جماله بها فلقح بشمال جماله اشجار معرفتهم بمار محبته وشوقه وعشقه ثم سقاها بمطر عنايته من بحر كرمه حتى اثمر كل غصن منها حكما من حكمه وعلما من علومه وخبرا من غيبه وسرا من اسراره وحقيقة من حقايقه بهارها نسيم الانس ونورها لطايف القدس وزهرها من لوايح الصفات ووردها من لوامع الذات وفواكهها حيوة مرض المريدين يشفيهم من داء الفراق ويريهم ترياق الوفاق وكل سالك عارف عاشق محب والمستقاء الحق من مطر لطفه من بحار شوقه الى وصاله فلا العاشق السايق يسكن من شكره ولا من سقي شرابه ولا ينقص بحر وصاله من شرب عاشق جماله وكمال جلاله شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب ولا رويت وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ الباقون اذا مات الخلايق كلها قال الكاشف يحيى الارواح بتجلي بقاياها عن موت فناياها في مشاهدة قدمنا ويفنيها عن حيوتها بمشاهدة البقاء بروية قدم قدمنا وازل ازلنا يحيى اسرار العارفين بجمالنا ويفنيها بحجاب مشاهدة جلالنا عنها ونحن الوارثون ما عليها من احكام الربوبية وما لها من احكام العبودية قال ابو سعيد الخراز يحيي من العباد من بالحق حيوته ويميت منهم من يحركاته بقاوه وقيل يحيي القلوب بالمشاهدة ويميت النفوس بالاستتار وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ قال ابن عباس رضي الله عنهما اراد بالمستقدمين الاموات وبالمستاخرين الاحياء قال الشعبي الاولين والآخرين قال عكرمة المستقدمون من خلق الله والمستاخرون من لم يخلق وقيل المستقدمون القرون الاولى والمستاخرون امة محمد صلى الله عليه وسلم قال الحسن المستقدمون في الطاعة والخير والمستاخرون المبطئون عنها وقيل المستقدمون في الصفوف في الصلوة والمستاخرون فيها وذلك ان النساء كن يخرجن الى الجماعة فيقفن خلف الرجال فربما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتاخر الى اول صف النساء ليقرب من النساء ومن النساء من في قلبها ريبة فيتقدم الى اول صف النساء ليقرب من الرجال فنزلت هذه الآية فقال النبي صلى الله عليه وسلم خير الصفوف اولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها اولها وقال الاوزاعي

اراد المصلون في اول الوقت والموخرون الى آخره وقال مقاتل اراد بالمستقدمين والمستاخرين في صف القتال وقال ابن عيينة اراد من يسلم ومن لا يسلم وبالجملة فالمراد لا يخفى علينا شيء من احوالكم وهو بيان لكمال علمه بعد الاحتجاج على كمال قدرته فان ما يدل على قدرته دليل على علمه وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ على ما علم منهم ليجازيهم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على شيء بعثه الله عليه إِنَّهُ حَكِيمٌ باهر الحكمة متقن في افعاله عَلِيمٌ وسع علمه كل شيء وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ يعني آدم سمي انسانا لظهوره وادراك البصر اياه وقيل من النسيان لانه عهد اليه فنسي قال العلامة النيسابوري اجمع المفسرون على انه آدم عليه السلام ورايت في كتب الشيعة عن محمد بن علي الباقر انه قد انقضى قبل آدم الذي هو ابونا الف الف آدم واكثر وكيف كان فلابد من البيان هو اول الناس مِنْ صَلْصَالٍ وهو الطين اليابس الذي اذا نقرته سمعت صلصلة اي صوتا وقال مجاهد هو الطين المنتن فهو من صل اللحم واصل اذا انتن مِنْ حَمَإٍ والحماء الطين الاسود مَسْنُونٍ اي متغير قال ابن عباس هو التراب المبتل المنتن جعل صلصالا كالفخار وقال ابو عبيدة هو المصبوب يقول العرب سننت الماء اي صببته قال القاضي كانه افرغ الحماء فصور منه تمثال انسان يبس حتى اذا نقر صلصل ثم غير ذلك طورا بعد طور حتى سواه ونفخ فيه من روحه وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ قال ابن عباس هو ابو الجن كما ان آدم ابو البشر وقال قتادة هو ابليس خلق قبل آدم ويقال الجان ابو الجن وابليس ابو الشيطان وفي الجن مسلمون وكافرون ويحيون ويموتون واما الشياطين فليس فيهم مسلمون ويموتون اذا مات ابليس وذكر وهب ان من الجن من هم بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا ياكلون ولا يشربون ومن الجن من يتوالدون وياكلون ويشربون بمنزلة الآدميين مِنْ قَبْلُ من قبل الانسان مِنْ نَارِ السَّمُومِ من نار الحر الشديد النافذ في المسام قال الامام ولا يمتنع خلق الحيوة في الاجرام البسيطة كما لا يمتنع خلقها في الجواهر المجردة فضلا عن الاجساد المولفة التي الغالب فيها الجزء الناري فانها اقبل لها من التي الغالب فيها الجزء الارضي وقوله من نار باعتبار الجزء الغالب كقوله خلقكم قال الكاشف ان الله سبحانه وتعالى كان موصوفا في الازل بالقهر واللطف وللصفتين منه توانيس في تجلاهما من عين القدم الى العدم فتجلى بلطفه من انوار لطفه الى العدم فاظهر بنور لطفه التراب والماء وجعلهما اصلا في مواليد الانسان وتجلى بقهره للعدم فاوجد بتجلاه النار وجعلها مواليد الجن والجان فخلق من الماء والطين آدم وذريته وجميع معايشهم من الماء والطين اللذين

اصلهما من نور لطفه وخلق الجن وابليس من النار التي هي من نار قهره فوقع المخالفة بين الجان والانسان كما وقعت المخالفة بين الماء والطين والنار قال الامام ثم لما استدل بحدوث الانسان الاول على وجود الصانع واختياره ذكر بعده واقعه فقال وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ واذكر وقت قوله لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ عدلت خلقته وهيأته لنفخ الروح فيه وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي حتى جرى آثاره في تجاويف اعضائه فحيي واصل النفخ اجراء الريح في تجويف جسم آخر ولما كان الروح معلقا اولا بالبخار اللطيف المنبعث من القلب وتعيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملا لها في تجاويف الشرايين الى اعماق البدن جعل تعليقه بالبدن نفخا واضافة الروح الى نفسه لما مر في النساء فَقَعُوا لَهُ اسقطوا له سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ قال الخليل وسيبويه انه ذكر ذلك تاكيدا وذكر المبرد ان قوله تعالى فسجد الملائكة كان من المحتمل انه سجد بعضهم فذكر كلهم ليزول هذا الاشكال ثم كان يحتمل انهم سجدوا في اوقات مختلفة فزال الاشكال بقوله تعالى اجمعون وروي عكرمة عن ابن عباس ان الله تعالى قال لجماعة من الملائكة اسجدوا لآدم فلم يفعلوا فارسل عليهم نارا فاحرقتهم ثم قال لجماعة اخرى اسجدوا فسجدوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ لآدم صلى الله عليه وسلم قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وهو اخس العناصر وخلقتني من نار وهي اشرفها استنقص آدم باعتبار النوع والاصل وقد سبق الجواب عنه في سورة الاعراف قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا من السماء او الجنة او من زمرة الملائكة فَإِنَّكَ رَجِيمٌ مردود من الخير والكرامة فان من يطرد يرجم بالحجر او شيطان يرجم بالشهب وهو وعيد يتضمن الجواب عن شبهته وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ الطرد والابعاد إِلَى يَوْمِ الدِّينِ فانه منتهى امد اللعن لانه يناسب ايام التكاليف لان زمان الجزاء ولانه ابعد غاية يضربها الناس قبل ان اهل السماء يلعنون ابليس كما يلعنه اهل الارض فهو ملعون في السماء والارض قال الكاشف رحمه باتحاد القهر من سكان اللطف الى معدنه لانه كان فيه عارية وكان في الازل ملعونا واراد بقوله الى يوم الدين ان اللعن لعنان لعن قديم ولعن جديد فابليس كان موصوفا بهما اللعن القديم سبق ارادة الحق لابعاده عن رحمته وذلك لا يتغير لان القديم هو الباقي واللعن الجديد زيادة القهر حيث اعطي زمام العصاة الى يده حتى يفعل بهم ما يشاء باذن الله تعالى واستكباره عن طاعته وارتكاب معصيته واغواء عباده .

وهو اللعن

وهو اللعن الجديد الذي هو زيادة البعد وذلك منقطع يوم الدين حين ارتفعت العبادة والمعصية ويا ليت كان رجلا من الرجال وطلب الحق في اودية قهره ليري شيئا من عجايب الربوبية ما يرى الرجال في معادن اللطف قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي فاخرني إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ اراد ان يجد فسحة في الاغواء ونجاة عن الموت اذ لا موت بعد وقت البعث فاجابه الى الاول دون الثاني قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ اي الوقت الذي يموت فيه الخلايق وهو النفخة الاولى ويقال ان مدة موت ابليس اربعون سنة وهو ما بين النفختين وقيل لم يكن اجابة الله تعالى له في الامهال اكراما له بل كان زيادة في بلائه وشقائه قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ المعنى اقسم باغوائك اياي لازينن لهم المعاصي في الدنيا التي هي دار الغرور وجنبها وفي انعقاد القسم بافعال الله تعالى خلاف وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ اي ولاحملنهم اجمعين على الغواية إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ الذين اخلصتهم بطاعتك فطهرتهم من الشوائب فلا يعمل فيهم كيدي قال الكاشف افهم يا عاقل ان الله وصف المخلصين من عباده انهم معصومون من شر ابليس بنور اخلاصهم وذلك النور نور التوحيد ونور التوحيد ينكشف حين زند الملعون مقدحة الوسواس في صدورهم لوقوع نيران الرياء والشرك فيغلب نوره على ناره فيذهب النار ويبقى فيهم النور وانقطع سلطنة الملعون عنهم لانهم بعين رعاية الازل محفوظون عن الخطرات قال رجل ليحيى ابن معاذ بماذا اكرم الله عباده المخلصين قال بالايمان بالغيب والمشاهدة قال ذو النون الناس كلهم موتى الا العالمون والعالمون كلهم نيام الا العاملون والعاملون كلهم مغترون الا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم وقال النصرابادي المخلص على خطر من الخلاص قَالَ الله تعالى وتقدس هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ حق ان اراعيه مستقيم فلا انحراف عنه قال الاخفش يعني على الدلالة على الصراط المستقيم إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ قوة قال بعضهم يعني على قلوبهم وسئل سفين ابن عيينة عن هذه الاية قال معناه ليس لك عليهم سلطان تلقيهم في ذنب تضيق عنه عفوي إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ تصديق لابليس فيما استثناه وتغيير النظم لتعظيم المخلصين ولان المقصود بيان عصمتهم وانقطاع مخالب الشيطان عنهم او تكذيب له فيما اوهم ان له سلطانا على من ليس بمخلص من عباده فان منتهى منته التحريض والتدليس كما قال وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم قال جعفر رضي الله عنه من الله بهذه الآية ان ليس للشيطان على عباده المخلصين سبيل وللمخلصين درجات من قبل المجاهدات والمشاهدات من خلص

المنة القوة يقال هو ضعيف المنة صح

في عمله فهو مخلص ومن اخلص بقلبه فهو مخلص ومن اخلص روحه نال الاستقامة بالله والوصول الى قربه وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ لموعد الغاوين أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ قال علي رضي الله عنه تدرون كيف ابواب النار هكذا ووضع احدى يديه على الاخرى اي سبعة ابواب بعضها فوق بعض وان الله تعالى وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض قال ابن جريج النار سبع دركات اولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ اي لكل دركة قوم يسكنونها وقال الضحاك في الدركة الاولى اهل التوحيد الذين ادخلوا يعذبون بقدر ذنوبهم ثم يخرجون وفي الثانية النصارى وفي الثالثة اليهود وفي الرابعة الصابئون وفي الخامسة المجوس وفي السادسة اهل الشرك وفي السابعة المنافقون فذلك قوله تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وروي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجهنم سبعة ابواب باب منها لمن سل السيف على امتي او قال على امة محمد إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ لكل واحد جنة وعين او لكل عدة منها لقوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان ثم قوله تعالى ومن دونهما جنتان ادْخُلُوهَا اي يقال لهم ادخلوا الجنة بِسَلَامٍ بسلامة آمِنِينَ من الموت والخروج والآفات قال الكاشف ان الذين يصونون اسرارهم عن الاكوان والحدثان في جمال الرحمن هم في جنات مشاهدة الذات وعيون الصفات يشربون من سواقيها شراب المحبة وراوق المعرفة يقول حبيبهم ادخلوا بساتين البقاء بسلامة من الانقطاع والامن من الفراق قال بعضهم من اتقى الشرك فهو في بساتين وانهار ومن اتقى بالله فهو في حظيرة القدس عند مليك مقتدر وَنَزَعْنَا في الدنيا بما الف بين قلوبهم او في الجنة بتطييب نفوسهم مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ هي الشحناء والعداوة والحقد والحسد إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ جمع سرير مُتَقَابِلِينَ تقابل بعضهم بعضا لا ينظر احد منهم الى قفا صاحبه وفي بعض الاخبار ان المومن في الجنة اذا ود ان يلقى اخاه المومن سار سرير كل واحد منهما الى صاحبه فيلتقيان فيتحدثان قال الكاشف لا يبعد من قدرة الله وحكمته ان يدخل الغل في صدر ولي من اوليائه ابتلاء وامتحانا لينظر يدفعه ويطهر سره عن ذلك واستعاذ به بالحق من وسواسه ويصل الى معالي الدرجات باستنكاره على نفسه ومحاربته مع شيطانه ولا يكون ذلك منقصة في ولايته الا ترى الى قول اسد الله علي ابن ابي طالب رضي الله عنه كيف قال في هذه الآية ارجو ان اكون انا وطلحة وزبير لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ اي تعب وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ فان تمام النعم بالخلود .

قالوا

قالوا هذه انص آية في القران على الخلود قال الكاشف آواهم الى انوار بقائه ومشاهدة جماله وحرسهم بها عن قهر سلطان كبريا القدم الذي لو بدا عليهم سطوة من سطواته نغصهم عن اللذة وما هم فيه من الجنان كلها ومعنى قوله وما هم منها بمخرجين ان هناك ليس مكان الامتحان والتربية وتدصار في زمان الغضب بوصف الرضا نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ قال ابن عباس يعني لمن تاب منهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه وهم يضحكون فقال اتضحكون وبين ايديكم النار فنزل جبريل عليه السلام بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد لم تقنط عبادي وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ قال قتادة بلغنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لو يعلم العبد قدر عفو الله تعالى لما تورع عن حرام ولو علم قدر عذابه لبخع نفسه قال القاضي وفي توصيف ذاته بالغفران والرحمة دون التعذيب ترجيح الوعد وتاكيده وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فامسك عنده تسعا وتسعين رحمة وارسل في خلقه كلهم رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الرحمة ولو يعلم المومن بكل الذي عند الله من العذاب لم يامن من النار قال ابن عطاء اقام عباد الله بين الخوف والرجاء ليصح لكم سبيل الاستقامة في الايمان فانه من غلب عليه رجاؤه عطله ومن غلب عليه خوفه اقنطه وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ عطف نبئهم على نبئ عبادي ليكون سماع هذه القصص مرغبا في الطاعة الموجبة للفوز بدرجات الاولياء ومحذرا عن المعصية المستتبعة لدركات الاشقياء ولما في قصة لوط من ذكر انجاء المومنين واهلاك الظالمين وكل ذلك يقوي ما ذكر من انه غفور رحيم للمومنين وان عذابه اليم للكافرين والضيف اسم يقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمونث وهم الملائكة الذين ارسلهم الله تعالى ليبشروا ابرهيم بالولد ويهلكوا قوم لوط إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا نسلم عليك سلاما قَالَ ابرهيم إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ خائفون وذلك لانهم دخلوا بغير اذن وبغير وقت ولانهم امتنعوا من الاكل والشرب والوجل اضطراب النفس لتوقع ما يكره قَالُوا لَا تَوْجَلْ لا تخف إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ اي غلام في صغره عليم في كبره وهو اسحق فتعجب ابرهيم في كبره وكبر امرأته وَقَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي بالولد عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ اي حال الكبر قاله على طريق التعجب فَبِمَ تُبَشِّرُونَ فباي اعجوبة تبشروني فان البشارة بما لا يتصور وقوعه عادة بشارة بغير شيء قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ اي بما يكون لا محالة فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ من الآيسين من ذلك فانه تعالى قادر

على كل شئ وكان استعجاب ابرهيم عليه السلام باعتبار العادة دون القدرة ولذلك
قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون اي المخطئون طريق المعرفة فلا يعرفون
سعة رحمة الله وكمال علمه وقدرته كما قال تعالى لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
قال فما خطبكم ايها المرسلون اي فما شانكم الذي ارسلتم لاجله سوى البشارة ولعله
علم ان كمال المقصود ليس البشارة لانهم كانوا عددا والبشارة لا يحتاج الى العدد ولذلك اكتفى
بالواحد في بشارة زكرياء ومريم عليهما السلام قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين مشركين
يعني قوم لوط الا آل لوط استثناء من الضمير في مجرمين انا لمنجوهم اجمعين
اي مما يعذب به القوم الا امراته استثناء من ضميرهم قدرنا انها لمن الغابرين
الباقين مع الكفرة لتهلك معهم فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون
ينكركم نفسي وتنفر عنكم مخافة ان يطرقوني بشر قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون
اي يشكون انه نازل بهم وهو العذاب لانه كان يوعدهم بالعذاب فلا يصدقونه واتيناك
بالحق باليقين من عذابهم وانا لصادقون فيما اخبرناك به فاسر باهلك فاذهب بهم في الليل
بقطع من الليل في آخره واتبع ادبارهم اي كن على اثرهم تذودهم وتسرع بهم وتطلع على
حالهم ولا يلتفت منكم احد حتى لا يرتاعوا من العذاب اذا نزل بقومهم وقيل نهوا
عن الالتفات ليوطنوا نفوسهم على المهاجرة وامضوا حيث تؤمرون الى حيث امركم الله
بالمضي اليه قال ابن عباس يعني الشام وقال مقاتل يعني زغر وقيل الاردن وقضينا اليه
اي واوحينا اليه مقضيا ولذلك عدي بالى ذلك الامر مبهم تفسيره ما بعده ان دابر
هؤلاء مقطوع والمعنى انهم يستاصلون عن آخرهم حتى لا يبقى منهم احد مصبحين
اذا دخلوا في الصبح وجاء اهل المدينة سدوم يستبشرون باضياف لوط طمعا فيهم
قال لوط لقومه ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون بفضيحة ضيفي فان من اسيء الى ضيفه
فقد اسيء اليه واتقوا الله في ركوب الفاحشة ولا تخزون ولا تذلوني بسببهم من الخزي
وهو الهوان او ولا تخجلون فيهم من الخزاية وهي الحياء قالوا اولم ننهك عن العالمين
عن ان تجير منهم احدا او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان لوط
عليه السلام ينهاهم عنه بقدر وسعه او عن ضيافة الناس وانزالهم قال هؤلاء بناتي
يعني نساء القوم فان نبي كل قوم بمنزلة ابيهم وفيه وجوه ذكرت في الهود ان كنتم
فاعلين قضاء الوطر اذ وجهن اياكم فاتوا الحلال وذروا الحرام لعمرك قسم بحيوة

المخاطب وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لوط قالت الملائكة له ذلك انهم لفي سكرتهم
يعمهون لفي غوايتهم يتحيرون فكيف يسمعون نصحك وقيل الضمير لقريش والجملة
معترضة قال جعفر اي بحيوتك يا محمد ان الكل في سكرة الغفلة وحجاب البعد الا من
كنت سبيله ودليله الينا قال القرشي اقسم الله تعالى بحيوة محمد صلى الله عليه وسلم فقال
لعمرك لان حيوته كانت به وهو في قبضة الحق وبساط القرب وشرف الانبساط ومقام
الاتفاق فاقسم بحيوته فقال لعمرك اي بحيوة منك يكون القسم لان الكل زاغوا وما زاغت
وطغوا وما طغت وسالوا وما سالت حتى بداك بالاجابة قبل السؤال فحيوتك التي حيات بها
حيوة الخلائق فلك فرها حيوة الخلق بعدك فانك حي بحيوتنا غير بائن بحال فاخذتهم
الصيحة مشرقين يعني صيحة هائلة مهلكة مشرقين حين اضاءت الشمس كان ابتداء العذاب
حين اصبحوا وتمامه حين اشرقوا فجعلنا عاليها سافلها على المدينة او عالي قراهم سافلها وصارت
منقلبة بهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قد سبق في سورة هود عليه السلام ان في
ذلك لآيات للمتوسمين قال ابن عباس للناظرين وقال مجاهد للمتفرسين وقال قتادة
للمعتبرين عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة
المؤمن فانه ينظر بنور الله رواه ابن جرير قال بعض العارفين المتوسمون هم المتفرسون
على السرائر فاذا اردت ان تعرف مواطنهم في الحقيقة فانظر الى تصاريف اخلاقهم ومواقيت
انسابهم قال محمد بن الخفيف قدس سره الفراسة مقسومة على ثلثة اوجه اصابة المكنونات
من الآفات المسكن في النفوس من الاحوال المستخفية عن حمل عوام الخلق اياها وذلك
مخصوص به الرسل كما كان للنبي صلى الله عليه وسلم في عبد بن زمعة حين قال ان امرها
لبين لولا حكم الله والثاني تجلي ما استودع الحق في النفوس من الاحكام المخفية عليها
على الخلق المنفرد به الحق وكشف ذلك لاهل التخصيص من الصديقين والاولياء بعد
الانبياء كما قال ابو بكر الصديق لعائشة رضي الله عنها انما هما اخواك واختاك والثالث اطلاع
القلوب عند ما انكشف له من الغيب البعيد ما فيه وهذا مقرون بالالهام كما قال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه يا سارية الجبل الجبل وانها يعني قرى لوط لبسبيل مقيم ثابت يسلكه الناس
يرون آثارها ان في ذلك لآية للمؤمنين بالله ورسله وان كان اصحاب الايكة
الغيضة لظالمين لكافرين وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا اصحاب غياض وشجر
ملتف وكان عامة شجرهم الدوم وهو المقل فانتقمنا منهم بالاهلاك روي ان الله تعالى
سلط عليهم الحر سبعة ايام فبعث سحابة فالتجاوا اليها يلتمسون الروح فبعث الله عليهم نارا

نسخة ... (margin note, partly legible)

الغيضة مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر والجمع غياض واغياض (margin note, partly legible)

فاحرقتهم فذلك قوله تعالى فاخذهم عذاب يوم الظلة وانهما يعني مدينة قوم لوط واصحاب
الايكة لبامام مبين لبطريق واضح ولقد كذب اصحاب الحجر وهو مدينة ثمود قوم صالح
وهي بين المدينة والشام المرسلين كذبوا صالحا ومن كذب واحدا من الرسل فكانما
كذب الجميع وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين يعني آيات الكتاب المنزل على نبيهم او
او معجزاته كالناقة وسقبها وشربها ودرها وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين
من الخراب وتخريب الاعداء لوثاقتها فاخذتهم الصيحة مصبحين داخلين في
الصبح فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من استكثار الاموال والعدد وسائر البيوت
الوثيقة في الحديث انه لما مر صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين
ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل ما اصابهم وتقنع بردائه وهو
على الرحل واسرع السير حتى اجاز الوادي وهذا مخرج من القصص قال وما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق بالعدل ليجزي الذين اساؤا بما عملوا و
يجزي الذين احسنوا بالحسنى وان الساعة لآتية يجازي المحسن باحسانه والمسئ
باساءته فاصفح الصفح الجميل فاعرض عنهم وعاملهم معاملة الصفوح الحليم ان
ربك هو الخلاق العليم خالقك وخالقهم فهو حقيق بان تكل اليه ليحكم بينكم او
هو الذي خلقكم وعلم الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح لكم وقد علم ان الصفح
اليوم اصلح قيل منسوخ باية القتال قال الكاشف الصفح الجميل ما يكون مروته
تعديا لا نال بنعت شهوده مقدورا لغيب بوصف السرور والنشاط بالرجوع الى
الحق وسائر امره وشيمه فيما جرى عليه بواسطة الغير روى عمرو بن دينار عن محمد بن
الحنيفة عن علي رضي الله عنه في قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل هو الرضا بلا عتاب ثم
حثه على الصفح والتجاوز بتذكير النعم العظام التي خصه بها فقال ولقد آتيناك سبعا
من المثاني والقرآن العظيم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ام القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم سائر القرآن قال ابن عباس
والحسن وقتادة سميت الفاتحة مثاني لانها تثنى في الصلوة فتقرأ في كل ركعة وقال
الحسن بن الفضيل سميت مثاني لانها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة كل مرة معها
سبعون الف ملك وقال مجاهد لان الله تعالى استثناها وادخرها لهذه الامة فما
اعطاها غيرهم وقال ابو زيد البلخي لانها تثني اهل الشر عن الفسق من قول العرب
ثنيت عناني والاحاديث المتعلقة بالاية سبقت في اول الكتاب روى علي بن موسى الرضا

عن ابيه عن جعفر في هذه الآية انه قال اكرمناك بسبع كرامات اولها الهدى والثاني النبوة
والثالث الرحمة والرابع الشفقة والخامس المودة والالفة والسادس النعيم والسابع
السكينة والقرآن العظيم وفيه اسم الله الاعظم قال الكاشف فيه بيان النعوت والاتصاف
بصفاته القديمة واخلاقه الكريمة لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من
الكفار نهى الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعد تعديد كبار النعم الدينية عن الرغبة في الدنيا
فانها مستحقرة بالاضافة الى ما اوتي فانه كمال مطلوب بالذات مفض الى دوام اللذات وقد
سبق فيما سبق من الاحاديث من اوتي القرآن فرأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل
مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا قال الكاشف اشارة الى سر القطع النفسانية المجبورة
بالشهوة الخفية اي ينبغي ان لا تميل نفسك الى شئ غيرنا فانه موضع خطر المخلصين لانه محل
امتحاننا لا تمدن عينيك في طلب جمالنا الى غيرنا من اوصاف الروحانيات فان حقيقة
المشاهدة ما يكون خاليا من الوسائط فغض عليه الصلاة والسلام بصره عن الوجود لذلك
وصفه بقوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى ولا تحزن عليهم ان لم يؤمنوا واخفض
جناحك للمؤمنين اي تواضع لفقراء المؤمنين وطب نفسا عن ايمان الاغنياء وقل
اني انا النذير المبين انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم ان لم تؤمنوا
كما انزلنا على المقتسمين اما ان يتعلق بقوله ولقد آتيناك اي انزلنا عليك مثل ما انزلنا على
اهل الكتاب الذين قسموا الكتاب الى حق موافق لكتابهم والى باطل مخالف لها واما
ان يتعلق بالنذير اي انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين من اليهود يريد ما جرى
على قريظة والنضير وهو من الاعجاز اذ اخبر بما سيكون وقد كان الذين جعلوا
القرآن عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء
فالذي حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم هم اليهود والنصارى الذين آمنوا
ببعضه وكفروا ببعضه وقيل المقتسمين قوم اقتسموا القرآن فقال بعضهم سحر وقال
بعضهم شعر وقال بعضهم اساطير الاولين وقيل الاقتسام انهم فرقوا القول في رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا شاعر ساحر كاهن وقال مقاتل كانوا ستة عشر رجلا بعثهم
الوليد بن المغيرة ايام الموسم فاقتسموا عقاب مكة وطرقها وقعدوا على انقابها يقولون
لمن جاء من الحجاج لا تغتروا بهذا الخارج الذي يدعي النبوة ما يقول طائفة منهم انه
مجنون وطائفة انه كاهن وطائفة انه شاعر والوليد قاعد على باب المسجد نصبوه حكما
فاذا سئل عنه قال صدق اولئك يعني المقتسمين قال القاضي اهلكهم الله يوم بدر فوربك

لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون قال ابن عباس لا اسالهم هل عملتم لانه اعلم به منهم ولكن نقول لم عملتم كذا قال قطرب السوال ضربان سوال استعلام وسوال توبيخ فقوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان يعني استعلاما وقوله تعالى لنسالنهم اجمعين يعني توبيخا وتقريعا وقال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في الايتين ان يوم القيمة يوم طويل فيه مواقف يسالون في بعض المواقف ولا يسالون في بعضها نظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون وقال في آية اخرى ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون ثم سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فاصدع بما تؤمر قال ابن عباس رضي الله عنهما اظهر ويروى عنه امضه واصله من صدع بالحجة اذا تكلم به جهارا روي عن عبد الله ابن عبيدة قال كان مستخفيا حتى نزلت هذه الآية فخرج هو واصحابه واعرض عن المشركين نسخه آية القتال انا كفيناك المستهزئين وهم خمسة نفر من روساء قريش الوليد ابن المغيرة المخزومي وكان رئيسهم والعاص ابن وائل السهمي والاسود بن المطلب ابن الحرث ابن اسد ابن عبد العزى ابو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم اعم بصره واثكله بولده والاسود ابن عبد يغوث ابن وهب ابن عبد مناف ابن زهرة والحرث ابن قيس ابن الطلاطلة فاتى جبريل محمدا صلى الله عليه وسلم والمستهزؤن يطوفون بالبيت فقام جبريل وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الوليد ابن المغيرة فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا قال بئس عبد الله فقال قد كفيتكه فاومى الى ساق الوليد فمر برجل من خزاعة نبال يريش نبلا وعليه بردمان وهو يجر ازاره فتعلقت شظية من نبل بازاره فمنعه الكبر ان يطامن فينزعها وجعلت تضرب ساقه فخدشته فمرض منها ومات ومر العاص ابن وائل فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بئس عبد الله فاشار جبريل عليه السلم الى اخمص رجله وقال قد كفيتكه فخرج على راحلته ومعه ابنان يتنزه فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ على شبرقة فدخلت منها شوكة في اخمص رجله فقال لدغت لدغت وطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عنق بعير فمات مكانه ومر به الاسود ابن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا قال عبد سوء واشار بيده الى عينيه وقال كفيت فعمي قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب براسه الجدار حتى هلك ومر الاسود ابن عبد يغوث فقال جبريل عليه السلم كيف تجد هذا قال بئس عبد الله على انه خالي فقال قد كفيت واشار الى بطنه فاستسقى بطنه فمات حبنا ومر به الحارث ابن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا قال عبد سوء فاومى براسه وقال قد كفيت

فامتخط

فامتخط قيحا فقتله وقال ابن عباس انه اكل حوتا مالحا فاصابه العطش فلم يزل يشرب عليه من الماء حتى انقد بطنه فمات فذلك قوله تعالى انا كفيناك المستهزئين بك وبالقرآن الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون عاقبة امرهم في الدارين ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء بك فسبح بحمد ربك ما فزع الى الله فيما نابك بالتسبيح والتحميد يكفك ويكشف الغم عنك او فنزهه عما يقولون حامدا لله على ان هداك للحق قال الضحاك قل سبحان الله وبحمده وكن من الساجدين من المصلين روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا احزنه امر فزع الى الصلوة واعبد ربك حتى ياتيك اليقين اي الموت الموقن به عن جبير ابن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين قال ابن عطاء ان الله حكم على اصفيائه واحبائه واخلائه ان لا يخرجهم من الدنيا الا وطوق العبودية في اعناقهم ولباس الخدمة عليهم ولذا قال لحبيبه صلى الله عليه وسلم من بين بريته واعبد ربك حتى ياتيك اليقين قال الواسطي لا تلاحظ غيري في الاوقات حتى ياتيك اليقين فيتحقق عندك انك لا تحس بغير الحق ولا ترى الا الحق ولا تجاذبك الا الحق

سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

اتى امر الله فلا تستعجلوه كانوا يستعجلون ما اوعدهم الرسول استهزاء وتكذيبا كما قال تعالى وتقدس يستعجلونك بالعذاب ولولا اجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين فنزلت والمعنى الامر الموعود بمنزلة الآتي المحقق من حيث انه واجب الوقوع فلا تستعجلوا وقوعه فانه لا خير لكم فيه ولا خلاص لكم عنه والاستعجال طلب الشيء قبل حينه روي انه لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار باصبعيه ان كادت لتسبقني قال ابن عباس كان بعث النبي صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة ولما مر جبريل باهل السموات مبعوثا الى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الله اكبر قامت الساعة وقال قوم المراد ههنا عقوبة المكذبين والعذاب بالسيف وذلك ان النضر ابن الحارث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا وكانوا يقولون ان صح ما يقوله في الاصنام تشفع لنا

وتخلصنا منه فقال تعالى سبحانه وتعالى عما يشركون تنزه وجل عن ان يكون له شريك فيدفع ما اراد بهم وروي عن ابن عباس انه لما انزل الله تعالى اتى امر الله وثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم وظنوا انها قد اتت حقيقة فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا قال بعض العارفين هل يأتيهم امر من الامور الا بامره وهل يأتيهم وجدا وعلما الا به فلا تعجلوا بطلب الفرج فان التصريع الصريح انهم كانهم قالوا سلمنا انه تعالى يقضي على طائفة باللطف وعلى اخرين بالقهر ولكن كيف عرفت واقفا على اسرار الله تعالى في ملكه وملكوته دوننا ومن اين حصل لك هذا الفضل علينا فازال الله تعالى شبهتهم بقوله ينزل الملائكة بالروح بالوحي او القرآن سماه روحا لانه يحيى به القلوب الميتة بالجهل وذكر عقيب قوله تعالى اتى امر الله اشارة الى الطريق الذي علم به الرسول قربه وازاله لاستبعادهم اختصاصه بالعلم من امره بامره ومن اجله على من يشاء من عباده ان انذروا بان انذروا اي اعلموا من نذرت بكذا اذا علمته انه لا اله الا انا فاتقون فخافون ثم لما بين الله سبحانه وتعالى ان روح الارواح وروح الاجساد ان يعرف الحق لذاته على الخير لاجل ان يعمل به اتبعه دلائل التوحيد فقال خلق السموات والارض بالحق اوجدهما على مقدار وشكل وصفات مختلفة قدرها وخصصها بحكمته تعالى عما يشركون عن اشراكهم خلق الانسان من نطفة قال الاطباء ان الغذاء اذا وصل الى المعدة حصل هناك هضم واذا وصل الى الكبد حصل له فيها هضم ثان وفي العروق له هضم ثالث وفي جواهر الاعضاء هضم رابع وحينئذ يصير جزءا من العضو المتغذى شبيها به ثم عند استيلاء الحرارة على البدن وقت هيجان الشهوة يحصل ذوبان لجميع الاعضاء ويجتمع منه النطفة في اوعيتها وعلى هذا يكون النطفة جسما مختلف الاجزاء والطبايع وان كانت يتخيل في الحس انها متشابهة الاجزاء وكيف ما كان فالمقتضي لتولد البدن منها ليس هو الطبيعة الحاصلة لجوهر النطفة ودم الطمث لان الطبيعة تاثيرها بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار والقوة الطبيعية اذا عملت في مادة متشابهة الاجزاء وجب ان يكون فعلها هو الكرة وعلى هذا الحرف عول الحكماء في قولهم البسايط يجب ان يكون اشكالها الطبيعية هي الكرة واذا عملت في مادة مختلفة الاجزاء وكل مركب فانه يحل الى بسائطه فانه يلزم ان يكون الحيوان على شكل كرات مضموم بعضها الى بعض وكلا الامرين غير مطابق للواقع فعلمنا ان حدوث هذه الاعضاء على هذا الترتيب الخاص ليس بالطبيعة وانما هو بتدبير الفاعل المختار وهو الله سبحانه وتعالى وكيف لا والنطفة رطوبة سريعة

الاستحالة

الاستحالة فالاجزاء الموجودة فيها لا تحفظ الوضع والنسبة فالجزء الذي هو مادة الدماغ يمكن حصوله في الاسفل والجزء الذي هو مادة القلب قد يحصل في الفوق فلا يكون حدوث اعضاء الحيوان على هذا الترتيب الخاص دائما ولا اكثريا وحيث كان كذلك علمنا ان حدوثها باحداث مدبر مختار ثم ان تنزلنا عن جميع هذه المراتب فلا خلاف بين الحكيم وبين المتكلم ان الطبيعة ضرورة وانها ليست واجبة الوجود لذاتها فلا بد من الانتهاء الى الصانع الحكيم الخبير فاذا هو خصيم منطيق مجادل مبين مكافح لخالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم نزلت في ابي ابن خلف الجمحي وكان ينكر البعث جاء بعظم رميم فقال اتقول ان الله يحيي هذا بعد ما رم وقيل المعنى فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مبين للحجة بعد ان كان نطفة لا حس به ولا حراك وتقرير ذلك ان النفوس الانسانية في اول الفطرة اقل فهما وذكاء من نفوس ساير الحيوانات الا ترى ان ولد الدجاجة كما يخرج من البيضة يعرف الصديق من العدو فيهرب من الهرة ويلتجي الى الام ويميز بين الغذاء الذي يوافقه والذي لا يوافقه والذي لا يوافقه وحال الطفل بخلاف ذلك فاستعاله من تلك الحالة الخسيسة الى ان تقوى على معرفة الالهيات والفلكيات والعنصريات وعلى ايراد الشكوك والشبهات على الشرايع والمقدمات انما يكون بتدبير اله مختار قدير ينقل الارواح من النقصان الى الكمال ومن الجهالة الى المعرفة ثم اردف تكوين الانسان بتكوين الحيوانات التي ينتفع بها الانسان في ضروراته من الاكل والركوب وجر الاثقال وفي غير الضروريات من الاغراض الصحيحة كالتزين والجمال فقال والانعام الابل والبقر والغنم منصوب بمضمر يفسرها خلقها لكم فيها دفء ما يدفأ به يعني من اوبارها واشعارها واصوافها ملابس ولحفا تستدفئون بها ومنافع بالنسل والدر والركوب والحمل وغيرها ومنها تاكلون لحومها وشحومها ولكم فيها جمال زينة حين تريحون تردونها بالعشي من مراعيها الى مباركها التي تاوي اليها وحين تسرحون اي تخرجونها بالغداة من مراحها الى مسارحها وقدم الرواح لان المنافع يوجد منها بعد الرواح ومالكها يكون اعجب بها اذا راحت وتحمل اثقالكم احمالكم الى بلد قال عكرمة البلد مكة لم تكونوا بالغيه لو لم يخلق الابل فضلا من ان تحملوها اليه الا بشق الانفس الا بمشقة وكلفة وقرا جعفر بشق الانفس بفتح الشين وهما لغتان مثل بطل وبطل وقيل المفتوح مصدر شق الامر عليه واصل الصدع والمكسور بمعنى النصف كانه يذهب نصف قوته لما ناله من الجهد ان ربكم لرؤف رحيم حيث رحمكم بخلقها لانتفاعكم وتيسير الامر عليكم والخيل

والبغال والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة اي لتركبوها ولتتزينوا بها زينة ويخلق ما لا تعلمون من الخلائق فان مركبات العالم السفلي وغرايب العالم العلوي لا يعلمها الا موجدها وقيل يعني ما اعد في الجنة لاهلها وفي النار لاهلها ما لم تره عين ولا سمعته اذن ولا خطر على قلب بشر ولما ذكر بعض دلايل التوحيد بين انه انما ذكرها ازاحة للعذر وازالة للشبهة ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فقال تعالى وعلى الله قصد السبيل القصد والقاصد السبيل المستقيم كانه يقصد الوجه الذي يقصده السالك والمعنى على الله بيان مستقيم الطريق للوصول الى الحق وعليه قصد السبيل يصل اليه من يسلكه لا محالة ومنها جائر مائل عن القصد او عن الله وتغيير الاسلوب لان المقصود بيان سبيله وتقسيم السبيل الى القصد والجائر انما جاء بالعرض قال عبد الله ابن المبارك وسهل ابن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر البدع والاهواء ولو شاء لهديكم اجمعين نظيره قوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها ولما استدل على وجود الصانع الحكيم بعجايب احوال الحيوانات اراد ان يذكر الاستدلال على المطلوب بغرايب احوال النبات فقال هو الذي انزل من السماء من السحاب او من جانب السماء ماء لكم منه شراب تشربونه ومنه شجر يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وقيل كل ما نبت على الارض شجر فيه تسيمون ترعون مواشيكم ينبت لكم به بالماء الذي انزل الزرع والزيتون والنخيل والاعناب الزرع هو الغذاء الاصلي والزيتون فاكهة من وجه وغذاء من وجه لكثرة ما فيه من الدهن والنخيل والاعناب اشرف الفواكه ثم لما احال الحيوانات التي لم يذكرها بقوله تعالى ويخلق ما لا تعلمون اشار الى ساير الثمرات فقال ومن كل الثمرات قال ومن كل على التبعيض لان كل الثمرات لا يكون الا في الجنة وهذه بعضها للتذكر قال القاضي ولعل تقديم ما يسام فيه على ما يؤكل منه لانه سيصير غذاء حيوانا هو اشرف الاغذية ومن هنا تقديم الزرع والتصريح بالاجناس الثلاثة وترتيبها ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون على وجود الصانع وحكمته فان من تامل ان الحبة تقع في الارض ويصل اليها نداوة تنفذ فيها فينشق اعلاها ويخرج منه ساق الشجرة وينشق اسفلها فيخرج منها عروقها ثم ينمو ويخرج منها الاوراق والازهار والاكمام والثمار ويشتمل كل منها على الاجسام المختلفة الاشكال والطبايع مع اتحاد المواد ونسبة الطبايع السفلية والتاثيرات الفلكية الى الكل علم ان ذلك ليس الا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الاضداد والانداد وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم بان هياها لمنافعكم مسخرات بامره حال كونها مسخرات

اسيم

لله

سه خلقها ودبرها كيف شاء ان في ذلك لايات لقوم يعقلون جمع الاية وذكر العقل لانها تدل على انواع من الدلالة ظاهرة لذوي العقول السليمة غير محوجة الى استيفاء فكر كاحوال النبات وما ذرا لكم في الارض اي وسخر لكم ما خلق لكم من حيوان او نبات مختلفا الوانه اصنافه فانها تخالف باللون غالبا ان في ذلك لاية لقوم يذكرون ان اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس الا بصنع صانع حكيم وهو الذي سخر البحر جعله بحيث تتمكنون من الانتفاع به بالركوب والاصطياد والغوص لتاكلوا منه لحما طريا هو السمك ووصفه بالطراوة لاظهار قدرته في خلقه عذبا طريا في ماء زعاق وتستخرجوا منه حلية تلبسونها كاللؤلؤ والمرجان اي تلبس نساؤكم فاسندها اليهم لانهن من جملتهم ولانهن يتزين بها لاجلهم وترى الفلك السفن مواخر فيه جواري فيه تشقه بجيزومها من مخر وهو شق الماء وقيل صوت جري الفلك ولتبتغوا من فضله من سعة رزقه بركوبها للتجارة ولعلكم تشكرون اي تعرفون نعمة الله فتقومون بحقها ولعل تخصيصه بعقب الشكر لانه اقوى في باب الانعام من حيث انه جعل المهالك سببا للانتفاع وتحصيل المعاش والقى في الارض رواسي جبالا رواسي ان تميد بكم كراهة ان تميل بكم وتضطرب وذلك لان الارض قبل ان يخلق فيها الجبال كانت كرة حقيقية بسيطة الطبع وكان من حقها ان يتحرك بالاستدارة كالافلاك وان يتحرك بادنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالاوتاد التي تمنعها عن الحركة عن وهب انه قال لما خلق الله تعالى الارض جعلت تمور فقالت الملائكة ان هذه غير مقرة احدا على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال وانهارا وجعل فيها انهارا وسبلا وطرقا مختلفة لعلكم تهتدون لمقاصدكم او الى معرفة الله تعالى وعلامات معالم يستدل بها السابلة من جبل ومنهل وريح ونحوها وبالنجم هم يهتدون بالليل في البراري والبحار والمراد بالنجم الجنس قال السدي اراد بالنجوم الثريا وبنات نعش والفرقدين والجدي يهتدى بها الى الطرق والقبلة قال القاضي وغيره ولعل الضمير لقريش لانهم كانوا كثيري الاسفار للتجارة مشهورين بالاهتداء في مسايرهم بالنجوم واخراج الكلام عن سنن الخطاب وتقديم النجم واقحام الضمير للتخصيص كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء يهتدون فالاعتبار بذلك والشكر عليه الزم لهم واوجب عليهم ثم لما عدد الايات الدالة على الصانع ووحدانيته واتصافه بجميع صفات الكمال اراد ان يوبخ اهل الشرك

والعناد فقال افمن يخلق كمن لا يخلق يعني الاوثان وانما قال من لانهم جعلوها كاولي العلم في تسميتها الهة او للمشاكلة مع من يخلق او للمبالغة والمراد ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم له وكان حق الالزام افمن لا يخلق كمن يخلق اذ جعلوا غير الخالق لكن لما سووا بينهما في العبادة والتسمية انكر عليهم التسوية قال القاضي عكس تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه من جنس المخلوقات العجزة شبيها بها افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك فانه لجلائه كالحاصل للعقل الذي يحضر عنده بادنى تذكر والتفات وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها لا تضبطوا عددها فضلا ان تطيقوا القيام بشكرها اتبع ذلك تعداد النعم والزام الحجة على تفرده باستحقاق العبادة تنبيها على ان وراء ما عدد نعما لا تنحصر وان حق عبادته غير مقدور وقد مر بعض البسط في سورة ابرهيم عليه السلام قال العقلاء ان كل جزء من اجزاء البدن الانساني لو ظهر فيه ادنى خلل لبغض العمر على الانسان وتمنى ان ينفق الدنيا لو كانت في ملكها حتى يزول عنه ذلك ثم انه سبحانه وتعالى يدبر احوال بدن الانسان على الوجه الملايم له غالبا مع ان الانسان لا علم له بوجود ذلك الجزء ولا بمصالحه ومفاسده فليكن هذا المثال حاضرا في ذهنك وقس عليه ساير نعمه تعالى حتى تعرف تقصيرك وقصورك عن شكر ادنى نعمه فضلا عن جميعها ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم في اداء شكرها رحيم لا يقطعها لتفريطكم فيه ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها والله يعلم ما تسرون وما تعلنون من عقايدكم واعمالكم وعيد ثم زاد في التوبيخ فقال والذين يدعون من دون الله اي الالهة الذين تعبدونهم من دونه لا يخلقون شيئا وهم يخلقون لما نفى الشركة بين من يخلق وبين من لا يخلق بين انها لا تخلق شيئا لينتج انهم لا تشاركونه ثم اكد ذلك بان اثبت لهم صفات تنافي الالوهية فقال وهم يخلقون لانها ذوات ممكنة مفتقرة الوجود الى التخليق والاله ينبغي ان يكون واجب الوجود اموات غير احياء اي هم اموات لا تعتريهم الحيوة او اموات حالا او مالا وما يشعرون ايان يبعثون ولا يعلمون وقت بعثهم او بعث عبدتهم فكيف يكون لهم وقت جزاء على عبادتهم والاله ينبغي ان يكون عالما بالغيوب مقدرا للثواب والعقاب ولما زيف طريقة عبدة الاصنام صرح بما هو الحق في نفس الامر فقال الهكم اله واحد فهو تكرير للمدعى بعد اقامة الحجة فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة جاحدة وهم مستكبرون بيان لما اقتضى اصرارهم بعد وضوح الحق وذلك عدم ايمانهم بالاخرة فان المؤمن بها يكون طالبا للدلايل متاملا فيما يسمع فينتفع به والكافر بها يكون حاله بالعكس وانكار قلوبهم

ما لا يعرف

ما لا يعرف الا بالبرهان اتباعا للاسلاف وركونا الى المالوف فانه ينافي النظر والاستكبار عن اتباع الرسول وتصديقه والالتفات الى قوله والاول هو العمدة في الباب فلذلك رتب عليه ثبوت الاخرين لا جرم حقا ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فيجازيهم انه لا يحب المستكبرين فضلا عن الذين استكبروا عن توحيده او اتباع رسوله عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار مثقال ذرة من ايمان فقال رجل يا رسول الله ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا قال ان الله جميل يحب الجمال الكبر من بطر الحق وغمص الناس ثم لما بالغ في تقرير دلايل التوحيد اراد ان يذكر شبهات منكري النبوة مع اجوبتها فقال واذا قيل لهم لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالاخرة وهم مشركو مكة الذين اقتسموا عقابها او سال عنهم الحاج ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله فهو اساطير الاولين لا تحقيق فيه ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم اي قالوا ذلك اضلالا للناس فحملوا اوزارهم ضلالهم كاملة فان اضلالهم نتيجة رسوخهم في الضلال وبعض اوزار من يضلونهم وهو حصة التسبب بغير علم اي يضلون من لا يعلم انهم ضلال وفايدتها الدلالة على ان جهلهم لا يعذرهم اذ كان عليهم ان يبحثوا ويميزوا بين المحق والمبطل قال الامام وغيره اقتصر سبحانه وتعالى في جواب شبهتهم على محض الوعيد لانه قد ثبت التحدي مرارا فكان طعنهم فيه بعد ذلك بمجرد المكابرة والعناد فلم يستحقوا في الجواب الا التهديد والوعيد فاوعدهم ثم زاد في التهديد فقال الا ساء ما يزرون بئس ما يحملون عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعى الى هدى كان له من الاجر مثل اجور من تبعه لا ينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعى الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل اثام من تبعه لا ينقص ذلك من اثامهم شيئا ثم حكى حال اضرابهم من المتقدمين فقال قد مكر الذين من قبلهم سووا منصوبات ليمكروا بها رسل الله منهم نمرود ابن كنعان بنى الصرح ببابل ليصعد السماء قال ابن عباس رضي الله عنهما ووهب كان طول الصرح في السماء خمسة الاف ذراع فاتى الله بنيانهم من القواعد فاتاها امره من جهة العمد التي بنوا عليها بان ضعضعت فخر عليهم السقف من فوقهم فصار سبب هلاكهم واتاهم العذاب من حيث لا يشعرون لا يحتسبون ولا يتوقعون قال بعضهم اهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا وقال الواحدي خلق الزلزلة فيها حتى تحركت بالبناء فهدمته قال صاحب الكشاف وهو تمثيل لانهم سووا حيلا ليمكروا بها فاهلكهم الله تعالى بها فهو كمن عمد اساطين فضعضعت فسقط عليهم السقف

وهلكوا من حفر بيرا لاخيه وقع فيه ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ يذلهم او يعذبهم بالنار
كقوله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ اضاف الى نفسه
استهزاء او حكاية لاضافتهم زيادة في توبيخهم الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ تعادون المومنين
في شانهم ما لهم لا يحضرونكم فيدفعوا عنكم العذاب قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ اى الانبياء
والعلماء الذين كانوا يدعونهم الى التوحيد فيشاقونهم وينكرون عليهم او الملائكة
إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ اى الذل والعذاب على الكافرين وفايده
قولهم اظهار الشماتة وزيادة الاهانة وحكايته لان يكون لطفا لمن سمعه الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ
الْمَلَائِكَةُ تقبض ارواحهم ملك الموت واعوانه ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ بالكفر وتعريضها للعذاب المخلد
فَأَلْقَوُا السَّلَمَ اى استسلموا وانقادوا وقالوا مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ شرك بَلَى اى فيجيبهم
الملائكة بلى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فهو يجازيكم عليه فَادْخُلُوا اي تقال لهم ادخلوا
أَبْوَابَ جَهَنَّمَ كل صنف بابها المعد له وقيل ابواب جهنم اصناف عذابها خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ
مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ جهنم ثم اتبع اوصاف الاشقياء احوال السعداء فقال وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا
يعني المومنين مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا اى انزل خيرا روي ان احيار العرب كانوا
يبعثون ايام الموسم من ياتيهم بخبر النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاء سال الذين قعدوا على
الطرق عنه فيقولون ساحر شاعر كاهن كذاب مجنون ولو لم تلقه خير لك فيقول السائل
انا شر وافد ان رجعت الى قومي دون ان ادخل مكة والقاه فيدخل مكة فيرى اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبي مبعوث فذلك قوله تعالى وقيل للذين
اتقوا ماذا انزل ربكم قالوا خيرا ثم ابتدا تعالى فقال لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ
قال ابن عباس رضي الله عنهما هو تضعيف الاجر الى العشر وقال الضحاك هي النصر والفتح وقال
مجاهد هي الرزق الحسن وَلَدَارُ الْآخِرَةِ ولثواب دار الاخرة خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ
قال الحسن هي الدنيا لان اهل التقوى يتزودون فيها للاخرة وقال اكثر المفسرين هي الجنة
جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ من انواع المشتهيات
وفي تقديم الظرف تنبيه على ان الانسان لا يجد جميع ما يريده الا في الجنة كَذَلِكَ يَجْزِي
اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصي
او طيبين تقبض ارواحهم لتوجه نفوسهم بالكلية الى حضرة القدس يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
لا يحيقكم بعد مكروه ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ حين يبعثون فانها معدة لكم على اعمالكم
والاحاديث الواردة في قبض روح المومن وروح الكافر سبقت عند قوله تعالى يثبت الله

الذين آمنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة الاية هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ
الْمَلَائِكَةُ لقبض ارواحهم أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ العذاب المستاصل كَذَلِكَ مثل ذلك الفعل
من الشرك والتكذيب فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فاصابهم ما اصابهم وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ بتدميره
اياهم وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ بكفرهم ومعاصيهم المودية اليه فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا
عَمِلُوا اي جزاء سيئات اعمالهم وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ واحاط بهم جزاءه والحيق
لا يستعمل الا في الشر ثم اشار الى شبهة اخرى وجوابها فقال وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ
اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ يعني البحيرة
والسائبة والوصيلة والحامي فلولا ان الله رضيها لنا لغير ذلك وهدانا الى غيرها وانما قالوا
ذلك استهزاء او منعا للبعثة والتكليف متمسكين بان ما شاء الله يجب وما لم يشا يمتنع فما
الفايدة فيهما او انكار القبح ما انكر عليهم من الشرك وتحريم البحاير ونحوها محتجين بانها لو كانت
مستقبحة لما شاء الله صدورها عنهم ولشاء خلافه ملجيا اليه لا اعتذارا اذ لم يعتقدوا قبح
اعمالهم وفيما بعده تنبيه على الجواب من الشبهة كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فاشركوا بالله و
حرموا حلاله وردوا رسله فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ الا الابلاغ الموضح للحق وهو وان
لم يوثر في هدى من شاء الله لكنه مودي اليه على سبيل التوسط وما شاء الله وقوعه انما يجب
وقوعه لا مطلقا بل باسباب قدرها ثم بين ان البعثة امر جرت به السنة الالهية في الامم
كلها سببا لهدى من اراد اهتداءه وزيادة الضلال من اراد ضلاله كالغذاء الصالح فانه
ينفع المزاج السوي ويقويه ويضر المنحرف ويفنيه بقوله وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا
أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ بعبادة الله هو كل معبود من دون الله فَمِنْهُمْ مَنْ
هَدَى اللَّهُ وفقهم للايمان بارشادهم وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ اذ لم يوفقهم ولم
يرد هداهم فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ يا معشر قريش فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ
من عاد وثمود وغيرهم لعلكم تعتبرون إِنْ تَحْرِصْ يا محمد عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا
يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ من يريد ضلاله وهو المعنى عن حقت عليه الضلالة وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ
من ينصرهم بدفع العذاب عنهم ثم اشار الى شبهة اخرى لهم وهو قدحهم في الحشر والنشر
ليلزم ابطال النبوة فقال وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ عطف على
وقال الذين اشركوا ايذانا بانهم كما انكروا التوحيد انكروا البعث مقسمين عليه وقد رد الله
عليهم ابلغ رد فقال بَلَى يبعثهم وَعْدًا مصدر موكد لنبعث فان يبعث موعد
من الله عَلَيْهِ انجازه لامتناع الخلف في وعده او لان البعث مقتضى حكمته حَقًّا صفة اخرى

للوعد وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ انهم يبعثون اما لعدم علمهم بما به من مواجب الحكمة
التي جرت عادته بمراعاتها واما لقصور نظرهم بالمالوف فيتوهمون امتناعه ثم انه تعالى
بين الامرين فقال لِيُبَيِّنَ لَهُمُ اي يبعثهم ليبين لهم الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وهو الحق
وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ فيما كانوا يزعمون وهو اشارة الى السبب الداعي
الى البعث المقتضي له من حيث الحكمة وهو التمييز بين الحق والباطل والمحق والمبطل بالثواب
والعقاب ثم قال إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ قولنا مبتدا وان
نقول خبره وكن من كان التامة اى نقول احدث فيحدث عقيبه وتقريره ان تكوين
الاشياء بمحض قدرته ومشيته لا يوقف له على سبق المواد والمدد وكما امكن له تكوين
الاشياء ابتداء بلا سبق مادة ومثال امكن له تكوينها اعادة بعده عن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل كذبني عبدي ولم يكن ذلك له
وشتمني ولم يكن ذلك له اما تكذيبه اياي فان يقول لن يعيدنا كما بدانا واما شتمه اياي
ان يقول اتخذ الله ولدا وانا الصمد لم الد ولم اولد ولم يكن لي كفوا احد ولما حكى الله
سبحانه وتعالى من الكفار ما حكى من انكار البعث والجزاء لم يبعد منهم والحال هذه ايذاء
المسلمين وانزال الضرر والهوان بهم وحينئذ يلزمهم ان يهاجروا تلك الديار فذكر ثواب
المهاجرين فقال وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ في حقه ولوجهه مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا نزلت في بلال
وصهيب وخباب وعمار وعابس وجبر وابي جندل ابن سهيل اخذهم المشركون بمكة فعذبوهم
وقال قتادة هم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ظلمهم اهل مكة فاخرجوهم من ديارهم حتى لحق طائفة
منهم بالحبشة ومن اشرافهم عثمان ابن عفان رضي الله عنه ومعه زوجته رقية بنت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وجعفر ابن ابي طالب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو سلمة ابن
عبد الاسد في جماعة رضي الله عنهم قريب من ثمانين ما بين رجل وامراة ثم بوا الله لهم
المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة وجعل لهم انصارا من المومنين لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا
حَسَنَةً مبوءة حسنة وهو انه انزلهم المدينة وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ روي ان عمر ابن
الخطاب رضي الله عنه كان اذا اعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول خذ بارك الله لك
فيه هذا ما وعدك الله في الدنيا وما ادخر لك في الاخرة افضل ثم تلا هذه الاية لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
الضمير للكفار اي لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المهاجرين خير الدارين لوافقوهم او للمهاجرين
اي لو علموا ذلك لزادوا في اجتهادهم وصبرهم الَّذِينَ صَبَرُوا على الشدائد كاذى الكفرة
ومفارقة الوطن ومحله النصب او الرفع على المدح وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ منقطعين

الى الله تعالى مفوضين اليه الامر كله ثم اشار الى جواب شبهة اخرى لهم وهي قولهم
ان الله اعلى واجل من ان يكون رسوله بشرا فقال وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا
نُوحِي إِلَيْهِمْ نزلت في مشركي مكة حيث انكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله
اعظم من ان يكون رسوله بشرا فهلا بعث الينا ملكا فرد الله عليهم بقوله وما ارسلنا الاية
اي جرت السنة الالهية بان لا يبعث للدعوة العامة الا بشرا يوحي اليه على السنة الملائكة
والحكمة في ذلك قد ذكرت في سورة الانعام فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ اهل الكتاب
او علماء الاخبار ليعلموكم إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وفي الاية دليل على انه تعالى لم يرسل امراة ولا
ملكا للدعوة العامة واما قوله تعالى جاعل الملائكة رسلا معناه رسلا الى الملائكة او الى الانبياء
وعلى وجوب المراجعة الى العلماء فيما لا يعلم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ اى ارسلناهم بالبينات والزبر
اى المعجزات والكتب ثم بين الغاية المترتبة على الانزال فقال وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ اي
القرآن لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ في هذا الكتاب من الامر والنهي والوعد والوعيد وغيرها
وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ وارادة ان يتاملوا فيه فيتنبهوا للحقايق ثم لما ذكر شبهات المنكرين
مع اجوبتها شرع في التهديد والوعيد والانذار والتنبيه فقال أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا
السَّيِّئَاتِ المكرات السيئات كاهل مكة مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وراموا صد
اصحابه عن الايمان أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ كما خسف بقارون أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ
مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ بغتة من جانب السماء كما فعل بقوم لوط أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ
في حال تقلبهم للسفر والتجارة وكان كذلك لانهم اهلكوا يوم بدر فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ
عَلَى تَخَوُّفٍ والتخوف التنقص اي ينقص من اطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك
جميعهم يقال تخوفه الدهر اذا نقصه واخذ ماله وحشمه ويقال هذا لغة بني هذيل وقال
الكلبي والضحاك اي على مخافة بان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فياتيهم العذاب وهم متخوفون
فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ حيث لا يعاجلكم بالعقوبة كما ثبت في الصحيحين لا احد اصبر على
اذى سمعه من الله تعالى انهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم ثم لما خوف الماكرين
بما خوف اتبعه ذكر ما يدل على كمال قدرته في تدبير احوال العالم العلوي والسفلي وسكانها
فقال أَوَلَمْ يَرَوْا استفهام انكار اى ما لهم لم يتفكروا في امثال هذه الصنائع ليظهر لهم كمال قدرته
وقهره فيخافوا منه ولم ينظروا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ من كل شيء له ظل يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ
يتميل ظلاله بارتفاع الشمس وانحدارها او باختلاف مشارقها ومغاربها بتقدير الله تعالى عَنِ
الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ في اول النهار عن اليمين وفي آخره عن الشمائل اذا كنت متوجها الى القبلة

قال الكلبي قبل طلوع الشمس عن يمينك وعن شمالك وقدامك وخلفك ولذلك اذا غابت
فاذا طلعت كان قدامك واذا ارتفعت كان عن يمينك ثم بعده كان خلفك واذا كان قبل
ان يغرب الشمس كان على يسارك فهذا تفيؤ وتقلبه وهو سجوده. سُجَّدًا لِلّٰهِ منقاد لما
قدر لها من التفيؤ. وَهُمْ دَاخِرُونَ والاجرام في انفسها ايضا داخرة صاغرة والجمع
بالواو والنون لان الدخور من صفات العقلاء اولان فيها من يعقل فغلب قال القاضي
وغيره ولعل توحيد اليمين وجمع الشمائل لاعتبار اللفظ والمعنى كتوحيد الضمير في ظلاله
وجمعه في قوله تعالى سجدا لله وهم داخرون وَلِلّٰهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْاَرْضِ
اي ينقاد انقيادا يعم الانقياد لارادته وتاثيره طبعا والانقياد لتكليفه وامره طوعا ليصح
اسناده الى عامة اهل السموات والارض مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلٰئِكَةُ بيان لما في السموات وما في
الارض على ان في السماء ايضا خلقا يدبون او لما في الارض وحده وما في السموات الملائكة
وكررهم تخصيصا لانهم اعبد الخلق واطوعهم او يراد بما في السموات ملائكة السموات وبالملائكة
ملائكة الارض وقيل المراد ولله يسجد ما في السموات من الملائكة وما في الارض من دابة
قال القاضي وما لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان اولى
وقيل لغلبة ما لا يعقل على من يعقل في العدد والحكم للاغلب وقد تعالى تغليب غير العقلاء على
العقلاء للاشارة الى ان انقياد العقلاء وان كان بارادتهم في حكم انقياد غير العقلاء نظرا
الى ارادته وغلبتها وقهرها وَهُمْ اي الملائكة لَا يَسْتَكْبِرُونَ عن عبادته يَخَافُونَ رَبَّهُمْ
مِنْ فَوْقِهِمْ عاليا قاهرا عليهم وَيَفْعَلُوْنَ مَا يُؤْمَرُوْنَ من الطاعة والتدبير وفيه دليل
على ان الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء عن ابي ذر قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تاط والذي
نفسي بيده ما فيها موضع اصبع الا وملك ساجد لله ولو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولصعدتم الى الصعدات تجأرون الى الله قال
ابو ذر يا ليتني كنت شجرة تعضد ولما بين ان كل ما سواه في عالمي الارواح والاجسام
فانه منقاد خاضع لجلاله وكبريائه اتبعه النهي عن الشرك فقال وَقَالَ اللّٰهُ لَا تَتَّخِذُوا اِلٰهَيْنِ
اثْنَيْنِ ذكر العدد مع ان المعدود يدل عليه دلالة على ان مساق النهي اليه او ايماء بان
الاثنينية تنافي الالوهية كما ذكر الواحد في قوله تعالى اِنَّمَا هُوَ اِلٰهٌ وَاحِدٌ للدلالة
على ان المقصود اثبات الوحدانية دون الالهية او التنبيه على ان الوحدة من لوازم
الالهية فَاِيَّايَ فَارْهَبُوْنِ نقل من الغيبة الى التكلم مبالغة في الترهيب وتصريحا بالمقصود

كانه قال فانا ذلك الاله الواحد فاياي فارهبون لا غير ثم لما قرر وحدته وانه يجب ان يخص
بالرهبة منه والرغبة اليه ذكر ان الكل له وملكه فقال وَلَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ
خلقا وملكا وَلَهُ الدِّيْنُ الطاعة وَاصِبًا لازما لما تقرر من انه الاله وحده والحقيق بان
يرهب منه اَفَغَيْرَ اللّٰهِ تَتَّقُوْنَ تخافون استفهام انكار ثم من عليهم بقوله وَمَا بِكُمْ مِنْ
نِعْمَةٍ اي اي شيء حل بكم من صحة جسم او سعة رزق او امتاع بولد ومال وغيرهما فَمِنَ اللّٰهِ
ثم بين تلون حال الانسان بعد استغراقه في بحار نعم الله تعالى فقال ثُمَّ اِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَاِلَيْهِ
تَجْئَرُوْنَ فما ترفعون اصواتكم بالدعاء والاستغاثة الا اليه ثُمَّ اِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ
اِذَا فَرِيْقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُوْنَ بالكفر وبعبادة غيره لِيَكْفُرُوْا بِمَا اٰتَيْنٰهُمْ من نعمة الكشف عنهم كانهم
قصدوا بشركهم كفران النعمة او انكار كونها من الله وقيل اللام لام العاقبة فَتَمَتَّعُوْا امر تهديد
فَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ اغلظ وعيد ثم حكى نوعا اخر من قبائح اعمال بني ادم فقال وَيَجْعَلُوْنَ لِمَا
لَا يَعْلَمُوْنَ اي لالهتهم التي لا علم لها لانها جماد نَصِيْبًا مِمَّا رَزَقْنٰهُمْ من الزرع والانعام يعني
كما ذكر في قوله تعالى فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا تَاللّٰهِ لَتُسْئَلُنَّ يوم القيمة عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُوْنَ
من انها الهة يتقرب اليها وَيَجْعَلُوْنَ لِلّٰهِ الْبَنٰتِ نوع اخر من قبائحهم وكانت خزاعة وكنانة
يقولون الملائكة بنات الله سُبْحٰنَهٗ تنزيه له من قولهم او تعجب منه وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُوْنَ
يعني البنين وَاِذَا بُشِّرَ اَحَدُهُمْ بِالْاُنْثٰى اخبر بولادة بنت ظَلَّ وَجْهُهٗ صار او دام النهار
كله مُسْوَدًّا من الكآبة والحياء من الناس واسوداد الوجه كناية عن الاغتمام وَهُوَ كَظِيْمٌ
مملوء غيظا من المراة يَتَوَارٰى مِنَ الْقَوْمِ يستخفي منهم مِنْ سُوْٓءِ مَا بُشِّرَ بِهٖ من سوء المبشر به
مقدرا امره اَيُمْسِكُهٗ عَلٰى هُوْنٍ ذل اَمْ يَدُسُّهٗ فِي التُّرَابِ ام يخفيه فيه وذلك ان
مضر وخزاعة وتميما كانوا يدفنون البنات احياء خوفا من الفقر عليهن وطمع الاكفاء
فيهن وكان الرجل من العرب اذا ولدت له بنت واراد ان يستحييها البسها جبة صوف
او شعر ترعى له الابل والغنم في البادية واذا اراد ان يقتلها تركها حتى اذا صارت
سداسية قال لامها زينيها حتى اذهب بها الى احمائها وحفر لها بئرا في الصحراء فاذا بلغ
بها البئر قال لها انظري الى هذه البئر فيدفعها من خلفها في البئر ثم يهيل على راسها التراب
حتى يستوي البئر بالارض فذلك قوله عز وجل ايمسكه على هون ام يدسه في التراب
وكان صعصعة عم الفرزدق اذا احس بشيء من ذلك وجه الى والد البنت ابلا يحييها
بذلك فقال الفرزدق يفتخر به وعمي الذي منع الوائدات فاحيى الوئيد فلم يوأد اَلَا سَآءَ
مَا يَحْكُمُوْنَ حيث يجعلون لمن تعالى عن الولد ما هذا محله عندهم لِلَّذِيْنَ لَا يُؤْمِنُوْنَ

بِالْاٰخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ صفة السوء وهي الحاجة الى الولد المنادية بالموت واستبقاء
الذكور استظهارا بهم وكراهة الاناث ووادهن خشية الاملاق وَلِلّٰهِ الْمَثَلُ الْاَعْلٰى
وهو الوجوب الذاتي والغنى المطلق والوجود الفائق والنزاهة عن صفات المخلوقين
وَهُوَ الْعَزِيْزُ الْحَكِيْمُ المنفرد بكمال القدرة والحكمة ثم لما حكى عن القوم عظيم كفرهم وقطع
قولهم بين غاية كرمه وسعة رحمته جلت انه لا يعاجلهم بالعقوبة فقال وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّٰهُ
النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ بكفرهم ومعاصيهم مَا تَرَكَ عَلَيْهَا على الارض مِنْ دَآبَّةٍ قط بشوم
ظلمهم قال قتادة قد فعل الله ذلك في زمن نوح فاهلك من على الارض الا من كان
في سفينة نوح عليه السلام وروي ان ابا هريرة سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه
فقال بئس ما قلت ان الحبارى لتموت هزلا من ظلم الظالم وقال ابن مسعود ان الجعل ليعذب
في جحرها بذنب ابن ادم وقيل لو اهلك الاباء بكفرهم لم يكن الابناء وَلٰكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ اِلٰى
اَجَلٍ مُسَمًّى سماه لاعمارهم او لعذابهم كي يتوالدوا فَاِذَا جَآءَ اَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُوْنَ سَاعَةً
وَّلَا يَسْتَقْدِمُوْنَ بل هلكوا حينئذ لا محالة عن ابي الدرداء رضي الله عنه قال
ذكرنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تعالى لا يؤخر شيئا اذا جاء اجله وانما
زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها الله تعالى العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم
في قبره فذلك زيادة العمر رواه ابن جرير وَيَجْعَلُوْنَ لِلّٰهِ مَا يَكْرَهُوْنَ اي ما يكرهون لانفسهم
من البنات والشركاء في الرياسة والاستخفاف برسله ومن جعل ارذل الاموال لله واكرمها
للاصنام وَتَصِفُ اَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ مع ذلك وهو اَنَّ لَهُمُ الْحُسْنٰى اي عند الله لقوله تعالى
ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى لَا جَرَمَ حقا اَنَّ لَهُمُ النَّارَ رد لكلامهم واثبات
لضده وَاَنَّهُمْ مُفْرَطُوْنَ قرئ بفتح الراء وتخفيفها ومعناه مقدمون الى النار من افرطته
في طلب الماء اذا قدمته وقرئ بالتشديد مفتوحا من فرطته في طلب الماء ومكسورا
من التفريط في الطاعات ثم بين سبحانه وتعالى ان مثل صنيع قريش قد صدر عن سائر
الامم فقال تَاللّٰهِ لَقَدْ اَرْسَلْنَا اِلٰى اُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطٰنُ اَعْمَالَهُمْ فاصروا
على قبائحها وكفروا بالمرسلين فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ اي في الدنيا ويجوز ان يكون الضمير
لقريش اي زين الشيطان للكفرة المتقدمين اعمالهم وهو ولي هؤلاء اليوم يغويهم
ويغويهم وَلَهُمْ عَذَابٌ اَلِيْمٌ في القيمة ثم ذكر سبحانه وتعالى انه ما اهلك من هلك الا بعد
اقامة الحجة وازاحة العلة فقال وَمَا اَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتٰبَ اِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمْ للناس
الَّذِي اخْتَلَفُوْا فِيْهِ من التوحيد والقدر واحوال المعاد واحكام الافعال وَهُدًى وَّرَحْمَةً

لِقَوْمٍ يُّؤْمِنُوْنَ معطوفان على محل لتبين وَاللّٰهُ اَنْزَلَ مِنَ السَّمَآءِ مَآءً فَاَحْيَا بِهِ الْاَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا انبت فيها انواع النبات بعد يبسها اِنَّ فِيْ ذٰلِكَ لَاٰيَةً لِّقَوْمٍ يَّسْمَعُوْنَ سماع تدبر
وانصاف يريدان في ذلك دلالة على البعث ثم استدل بعجائب احوال الحيوانات فقال
وَاِنَّ لَكُمْ فِي الْاَنْعَامِ لَعِبْرَةً دلالة على قدرة الله تعالى يعبر بها من الجهل الى العلم نُسْقِيْكُمْ
مِمَّا فِيْ بُطُوْنِهٖ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وهو ما في الكرش من الثفل فاذا خرج منه لا يسمى فرثا
وَّدَمٍ لَّبَنًا فانه يخلق من بعض اجزاء الدم المتولد من الاجزاء اللطيفة التي في الفرث
فان الكبد يجذب صفاوة الطعام المنهضم في الكرش ويبقى ثفله وهو الفرث ثم يمسكها
ريثما يهضمها هضما ثانيا فيحدث الاخلاط وهي الدم والبلغم والصفراء والسوداء ومعها
مائية فتميز القوة المميزة تلك المائية بما زاد على قدر الحاجة فيدفعها الى الكلية وتدفعها
الكلية الى المثانة وتدفع منها من طريق البول ويجري من المرة الصفراء ما لا يحتاج اليه
فيدفعها الى المرارة ويجري من مرة السوداء ما لا يحتاج اليه فيدفعها الى الطحال ثم يوزع
الباقي على الاعضاء بحسبها فيجري الى كل عضو ما يليق به فان كان العضو لطيفا كالرية
يصحب الدم الجاري اليه قدر من الصفراء فانها لطيفة تناسب الغذاء المعدي وان
كان العضو كثيفا صلبا كالعظام يصحب الدم الجاري اليه قدر من السوداء فانها كثيفة
لا بد منها في غذاء الكثيف وان كان العضو لينا كالدماغ والاعصاب يصحبه قدر من
البلغم ليصير الدم معه غذاء مناسبا للعضو اللين ثم ان كان الحيوان انثى زاد اخلاطها طها
على قدر غذائها لاستيلاء البرد والرطوبة على مزاجها فيندفع الزائد اولا الى الرحم لاجل
الجنين واذا انفصل انصب ذلك الزائد او بعضه الى الضروع فيبيض بمجاورة لحومها
الغددية البيض فيصير لبنا ومن تدبر صنع الله في احداث الاخلاط والالبان
واعداد مقارها ومجاريها والاسباب المولدة لها والقوى المتصرفة فيها كل وقت على
ما يليق به فيسري كل الى موطنه بعد النضج فيسري الدم مع ما لا بد منه في تغذية بعض
الاعضاء الى العروق ويجري من العروق الى الاعضاء الى كل مع ما يناسب ذلك العضو
من الصفراء والبلغم والسوداء ويجري اللبن الى الضروع والبول الى المثانة والروث
الى المخرج والسوداء الى الطحال ليكون معدة فيها فاذا احتاج الانسان الى الغذاء ليكون
بدل ما يتحلل منه انصب جزء منها الى فم المعدة فيسدغه بعفوصتها ويدغدغه ويحرصها
حتى يشتهي الغذاء والصفراء الى المرارة لتغذيتها وليكون معدة فيها فاذا انصب
فضلات الغذاء من المعدة الى الامعاء واخرج منها الامعاء ما يصلح لغذاء البدن ويحتاج

الى دفعها انصب جزء من الصفراء الى الامعاء فغسلها وتدفع الفضلات من
المحرج وكل من هذه الاشياء لا تشوب الاخر ولا تمازجه بعد انفصاله عنه ولا تغيره
اصطرالى الافراد بكمال حكمته وبناهى رحمته خالصا لا تستصحبه لون الدم ولا رايحة
الفرث سايغا للشاربين سهل المرور فى حلقهم لم يغص احد باللبن قط ومن عجايب
حال اللبن اجتماعه من اجسام مختلفة الطبايع مع انها واحدة فى الحس فمنها
الدهن وهو حار رطب ومنها الاجزاء المائية وهى باردة رطبة ومنها الجبن وهو
بارد يابس وكلها حاصلة من عشب واحد ثم انه تعالى الهم الصغير مص الثدي
عند انفصاله من الام فكل ذلك دليل على عناية كاملة ورحمة شاملة وعلم تام وقدرة
باهرة قال المحققون فى تقلب العشب فى هذه الاطوار الى ان يصير لبنا خالصا سايغا
دليل على انه تعالى قادر على تقليب الانسان فى اطواره الى ان يصير مستغرقا مستعدا
للبقاء الابدى واللقاء السرمدى وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ اى ونسقيكم ونريكم
من ثمرات النخيل والاعناب تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا قال قوم السكر الخمر قالوا وهذا قبل تحريم
الخمر والى هذا ذهب ابن مسعود وابن عمر وسعيد وجبير والحسن ومجاهد وروى
العوفى عن ابن عباس ان السكر هو الخل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر هو النبيذ
المسكر وهو نقيع التمر والزبيب واذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك
والنخعى ومن يبيح شرب النبيذ وَرِزْقًا حَسَنًا كالتمر والزبيب والدبس والخل وروى
عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما حل
قال القاضى الآية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها والا فجامعة بين
العتاب والمنة إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ يستعملون عقولهم بالنظر والتامل فى
الآيات ومن اعجب احوال الحيوان حال النحل المناسب عسلها اللبن فى موافقة اللذة و
فى الخروج من البطن فلذلك افردها بالذكر عقيب ذلك قائلا وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ
اى الهمها وقذف فى قلبها عن انس رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
عمر الذباب اربعون يوما والذباب كله فى النار الا النحل أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ
بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ وقد جرت العادة ان اهلها يبنون لها الاماكن فهى
تاوى اليها وذكر بحرف التبعيض لانها لا تبنى فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش من كرم
او سقف ولا فى كل مكان منها وانما سمى ما تبنيه لتعسل فيه بيتا تشبيها ببناء الانسان
لما فيه من حسن الصنعة التى لا تقوى عليها حذاق المهندسين الا بالآلات وانظار

دقيقة فاختارت من الاشكال المسدسات لا المدورات ولا ساير المضلعات من
المثلثات والمربعات والمخمسات وغيرها لان المسدس مضلع قريب الى المدور و
المدور اوسع من المضلع على ما بين فى موضعه ولم يختر المدور وان كان اوسع لان
المدورات اذا اتصل بعضها ببعض بقى بينها فرج ولم يتصل بعضها ببعض اتصال المسدسات
ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ من كل ثمرة تشتهيها مرها وحلوها فَاسْلُكِي ما اكلت سُبُلَ رَبِّكِ فى
مسالكه التى يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من اجوافك او فاسلكى الطرق التى
الهمك فى عمل العسل او فاسلكى راجعة الى بيوتك سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تلتبس
ذُلُلًا جمع ذلول وهى حال من السبل اى مذللة ذللها الله وسهلها لك او من الضمير
فى اسلكى اى وانت ذلل منقادة لما امرت به يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا عدل به عن خطاب
النحل الى خطاب الناس لانه محل الانعام عليهم والمقصود من خلق النحل والهامه لاجلهم
شَرَابٌ يعنى العسل لانه مما يشرب واحتج به من زعم ان النحل ياكل الازهار والاوراق
العطرة فيستحيل فى بطنها عسلا ثم يلقى ادخارا للشتاء ومن زعم انها تلتقط بافواهها
اجزاء طليه حلوة صغيرة متفرقة على الاوراق والازهار فاكلها وتغذى بها فاذا
شبعت التقطت مرة اخرى فيذهب بها وتضعها فى بيوتها ادخارا فاذا اجتمع فى بيوتها
كثير منها كان العسل فالبطون بالافواه وما صح عند الاطباء ان الله تعالى دبر هذا العالم
على وجه يحدث فى الهواء طل لطيف فى الليالى ويقع على اوراق الاشجار فقد يكون كثيرا
يجتمع منها اجزاء محسوسة وهى الترنجبين ونحوه وقد يكون قليلا متفرقا على الاوراق
والازهار وهو الذى الهم الله تعالى هذا النحل فيلتقطه قالوا ولا يبعد ان يحصل لتلك الاجزاء
فى افواهها نوع هضم وتغير ونضج لخاصية فيها فلذلك قال يخرج من بطونها اى من افواهها
وقالوا هذا القول اقرب الى التجربة والقياس فان طبيعة الترنجبين قريبة من العسل فى الطعم
والشكل ولا شك انه طل يحدث فى الهواء ويقع على اطراف الاشجار والازهار فكذا العسل
وايضا النحل انما تتغذى بالعسل ولهذا يترك منه بقية فى بيوتها بعد الاشتيار ولكن قوله
تعالى يخرج من بطونها شراب اى ما يشرب يعضد القول الآخر مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ ابيض
واصفر واحمر واسود بسبب اختلاف سن النحل والفصل او البلد فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ
اما بنفسه كما فى الامراض البلغمية او مع غيره كما فى ساير الامراض اذ قلما يكون معجون
الا والعسل جزء منه مع ان التنكير فيه مشعر بالتبعيض ويجوز ان يكون للتعظيم عن ابى
سعيد الخدرى انه قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال ان اخى استطلق بطنه

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اسقه عسلا فسقاه ثم جاء فقال انى اسقيته
فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له ثلث مرات ثم جاء الرابعة
فقال اسقه عسلا فقال لقد سقيته فلم يزده الا استطلاقا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم صدق الله وكذب بطن اخيك فسقاه فبرا قال بعض العلماء بالطب كان هذا الرجل
عنده فضلات فلما سقاه عسلا وهو حار تحللت فاسرعت فى الاندفاع فزاد اسهاله فاعتقد
الاعرابى ان هذا مضر وهو مصلحة لاخيه ثم سقاه فازداد التحليل والدفع ثم سقاه فلذلك
فلما اندفع الفضلات الفاسدة المضرة بالبدن استمسك بطنه وصلح مزاجه واندفعت
الاسقام والالام ببركة اشارته عليه من ربه افضل الصلوات واكمل التحيات وفى الصحيحين
عن عروة رضى الله عنه انه قال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلواء والعسل
وفى صحيح البخارى عن على ابن عباس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفاء
فى ثلثة فى شرطة محجم او شربة عسل او كية بنار وانهى امتى عن الكى وعن ابن مسعود رضى الله عنه
انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالشفائين العسل والقرآن رواه ابن ماجة
وعنه ايضا العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور وعن امير المومنين
على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال اذا اراد احدكم الشفاء فليكتب آية من كتاب الله تعالى
فى صحيفة وليغسلها بماء السماء وليأخذ من امرأته درهما عن طيب نفس منها فليشتر به عسلا
فليشربه لذلك فانه شفاء اى من وجوه قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين وقال تبارك وتعالى وانزلنا من السماء ماء مباركا وقال عز وجل فان طبن لكم عن شئ
منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا وقال تعالى فى العسل فيه شفاء للناس وعن ابى ابن ام حرام
انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عليكم بالسنا والسنوت فان فيهما شفاء
من كل داء الا السام قيل يا رسول الله وما السام قال الموت والعمر وقال ابن ابى عبلة
السنوت الشبت وقال آخرون بل هو العسل الذى فى زقاق السمن وهو قول الشاعر
هم السمن بالسنوت لا السن فيهم　وهم يمنعون الجار ان يتفردا رواه ابن ماجة
لا السن فيهم اى لا خلط وقوله يمنعون الجار ان يتفردا اى يظلم إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
يَتَفَكَّرُونَ فان من تدبر اختصاص النحل بتلك العلوم الدقيقة والافعال العجيبة حق التدبر
علم قطعا انه لا بد له من قادر حكيم يلهمها ذلك ويحملها عليه ومن غرايب امرها ان لها
رئيسا هو اعظم جثة من الباقين وهم يخدمونه ويحملونه ويسعون تبعه وامره ومنها
انها اذا نفرت عن وكرها ذهبت مع الجمعية الى موضع آخر فاذا ارادوا اعودها الى وكرها

ضربوا الطبول والملاهى والآلات الموسيقى وبواسطة تلك الالحان يقدرون على ردها
الى اوكارها وبالجملة فان غرايب هذا الحيوان اكثر من ان يحصى واشهر من ان يخفى
ولما ذكر بعض عجايب احوال الحيوان اتبعه عجيب خلق الانسان فقال وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ من
العدم ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ صبيانا او شبانا او كهولا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ اى ارداه
قال مقاتل يعنى الهرم قال قتادة ارذل العمر تسعون سنة وروى عن على رضى الله عنه
انه قال ارذل العمر خمسة وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة قال زهير سئمت تكاليف الحيوة
ومن يعش ثمانين عاما لا ابا لك يسام رايت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطى
يعمر فيهرم روى البخارى عند تفسير هذه الآية عن انس ابن مالك رضى الله عنه انه قال
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو اعوذ بك من البخل والكسل وارذل العمر وعذاب
القبر وفتنة الدجال وفتنة المحيا والممات لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا ليصير الى حالة شبيهة
بحال الطفولية فى النسيان وسوء الفهم قال الواحدى قالوا وهذا لا يكون للمومن لان
المومن لا ينزع عنه علمه وان كبر واعلم ان العقلاء ضبطوا مراتب عمر الانسان فى اربع اولها
سن النشو وثانيها سن الوقوف وهو سن الشباب وثالثها سن الانحطاط الخفى اليسير
وهو سن الكهولة ورابعها سن الانحطاط الظاهر وهو سن الشيخوخة وذكر الاطباء
ان بدن الانسان مخلوق من المنى ومن دم الطمث وهما جوهران حاران رطبان والحرارة
اذا عملت فى الجسم الرطب قلت رطوبته فلا يزال ما فى هذين الجوهرين من قوة الحرارة تقلل
ما فى العضو من الرطوبة حتى يصلب ويظهر العظم والغضروف والعصب والوتر والرباط
وساير الاعضاء فاذا تم تكوين البدن وكمل فعند ذلك ينفصل الجنين من رحم الام ويكون
رطوبة البدن بعد زايدة على حرارته فتكون الاعضاء قابلة للتمدد والازدياد والنماء وهو
سن النشو وغايته الى ثلثين او الى خمس وثلثين ثم يصير رطوبات البدن اقل ويكون
وافية بحفظ الحرارة الغريزية الاصلية الا انها لا يكون زايدة على هذا القدر وهو سن الوقوف
والشباب وغايته خمس سنين ونهايتها الاربعون ثم تقل الرطوبات بحيث لا يكون وافية بحفظ
الحرارة الغريزية وحينئذ يظهر النقصان قليلا الى ستين سنة هى سن الكهولة ثم يظهر جدا
الى تمام مائة وعشرين سنة وتكلم بعض المتكلمين على هذا الكلام بوجوه منها ان الحرارة الحاصلة
فى بدن الانسان الكامل الغريزى اما ان يكون هى عين ما كان حاصلا فى جوهر النطفة او
صارت ازيد مما كانت والاول باطل لان الحار الغريزى الحاصل فى جوهر النطفة كان بمقدار
جرم النطفة فاذا كبر البدن وجب ان لا يظهر منه فى هذا البدن تاثير اصلا واما الثانى

نعيمه نسلم ان الحرارة تتزايد بحسب تزايد الجثه ولاريب ان تزايدها يوجب تزايد القوة
والصحة ساعة فساعة فيلزم ان لاينهدم البدن الحيواني ابدا وليس كذلك قال الامام الرازي
ان القوة الغاذيه انما تعجز عن هذا الايراد اذا كانت الحرارة الغريزيه ضعيفة وانما يكون
الحرارة الغريزيه ضعيفة ان لو قلت الرطوبة الغريزيه وانما يحصل هذه العلة اذا عجزت العاديه
عن ايراد البدل وهذا دور محال فثبت ان اسناد هذه الاحوال الى الطبايع والقوى غير
ممكن متعين اسنادها الى القادر المختار الحكيم ولهذا ختم الاية بقوله تعالى ان الله عليم قدير
يعلم المصالح والمفاسد ويقدر على تحصيلها كما يريد واما الطبيعة فجاهلة عاجزة قال العلامة النيسابوري
لاشك ان نسبة هذه الامور الى مجرد الطبيعة كفر وجهل لانها ليست واجبة الوجود بالاتفاق
ولكن انكار القوى والطبايع بعيد عن الانصاف والحق انها وسايط والات لما فوقها من
المبادى والعلل الى ان ينتهي الامر الى مسبب الاسباب ومبدأ الكل إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بمقادير
اعمارهم قَدِيرٌ يميت الشاب النشط ويبقي الهرم الفاني وفيه تنبيه على ان تفاوت
آجال الناس ليس الا بتدبير قادر حكيم ركب ابنيتهم وعدل امزجتهم على قدر معلوم
ولو كان ذلك مقتضى الطباع لم يبلغ التفاوت هذا المبلغ ثم لما بين خلق الانسان وتعلقه
في اطوار مراتب العمر اراد ان يذكر طرفا من ساير احواله لعله يتذكر فقال وَاللَّهُ فَضَّلَ
بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فمنكم غني ومنكم فقير ومنكم موالي يتولون رزقهم ورزق
غيرهم ومنكم مماليك حالهم على خلاف ذلك فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ بمعطي
رزقهم عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ على مماليكهم فان ما يردون عليهم رزقهم الذي جعله الله
في ايديهم قال العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما يقول لم يكونوا ليشركوا عبيدهم في اموالهم
ونساءهم فكيف تشركون عبيدي معي في سلطاني فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ فالموالي والمماليك سواء
في ان الله تعالى رزقهم فهي مقررة لما سبق وعلى قول ابن عباس رضي الله عنه معناه فما
الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فيستووا في الرزق فهو رد وانكار على
المشركين فانهم يشركون بالله بعض مخلوقاته في الالوهيه ولا يرضون ان تشاركهم
عبيدهم فيما انعم عليهم فيساووهم فيه أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ حيث يتخذون له شركاء
فانه يقتضي ان يضاف اليهم بعض ما انعم الله عليهم ويجحد وانه من عند الله اوحيث
انكروا امثال هذه الحجج بعد ما انعم الله عليهم بما يصلحها وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
من جنسكم لتانسوا بها ولتكون اولادكم مثلكم وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً
عن مجاهد وسعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما انهم ولد الولد روى العوفي عنه

انهم

انهم بنو امراة الرجل ليسوا وعن ابن مسعود انه الاختان والاصهار فيكون معنى
على هذا القول وجعل لكم من ازواجكم بنين وبنات يزوجونهم فيحصل بسببهم الاختان
والاصهار قال مجاهد هم الاعوان من اعانك فقد حفدك قال الكلبي ومقاتل البنين
الصغار والحفدة كبار الاولاد الذين يعينونه على عمله قال ابن جرير وهذه الاقوال كلها
داخلة في معنى الحفدة وهو الخدمة الذي منه قوله في القنوت واليك نسعى ونحفد ثم ذكر
انعامه عليهم بالمطعومات الكلية لان لذة المنكوح لا تتم الا بعد الفراغ من لذة المطعوم او بعد
الفراغ من تحصيل اسبابها وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ من اللذايذ او الحلالات ومن للتبعيض
فان المرزوق في الدنيا انموذج منها أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وهو ان الاصنام تنفعهم او ان
من الطيبات ما يحرم عليهم كالبحاير والسوايب وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ حيث اضافوا نعمة
الى الاصنام او حرموا ما احل الله لهم ولما عدد بعض الايات الدالة على الاقرار بالتوحيد
انكر صنيع اهل الشرك عليهم قايلا وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ شَيْئًا من مطر ونبات او لا قليلا ولا كثيرا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ان يملكوه اذ لا استطاعة
لهم وتوحيد الضمير في لا يملك لان ما مفرد في معنى الالهة ويجوز ان يعود الى الكفار اي ولا
يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون شيئا من ذلك فكيف بالجماد فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ
فلا تجعلوا له مثلا تشركون به او تقيسونه عليه فان ضرب المثل تشبيه ذات بذات او وصف
بوصف إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كنه الاشياء وفساد ما تعولون عليه من القياس على ان عبادة عبيد
الملك ادخل في التعظيم من عبادته وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ولو علمتموه لما اجترأتم عليه فهو تعليل للنهي او انهم لا يعلمون كنه الاشياء فلا تقيسوا وعواقبكم دون نصه ثم علمهم كيف
يضرب الامثال فقال ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا
حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ اي يستوي الاحرار والعبيد مثل ما اشرك
به بالمملوك العاجز عن التصرف راسا ومثل نفسه بالحر المالك الذي رزقه الله مالا كثيرا
فهو يتصرف منه وينفق منه كيف يشاء واحتج بامتناع الاشتراك والتسوية بينهما مع تشاركهما
في الجنسية والمخلوقية على امتناع التسوية بين الاصنام التي هي اعجز المخلوقات وبين الله
الغني القادر على الاطلاق الْحَمْدُ لِلَّهِ كل الحمد لا يستحقه غيره فضلا عن العبادة لانه مولى
النعم كلها بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ فيضيفون نعمه الى غيره وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا
أَبْكَمُ ولد اخرس لا يفهم ولا يفهم لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ من الصنايع والتدبيرات لنقصان
عقله وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ عيال وثقل على من يلي امره أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ حيثما يرسله مولاه
في امر لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ بنجح وكفاية مهم هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ومن هو فهم

منطق ذو كفاية ورشد ينفع الناس بحثهم على العدل الشامل لجامع الفضائل وَهُوَ
عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وهو في نفسه على طريق مستقيم لا يتوجه الى مطلب الا ويبلغه
باقرب سعي وهذا تمثيل ثان ضربه الله لنفسه وللاصنام لابطال المشاركة بينها وبينه
او للمؤمن والكافر وبه عطية عن ابن عباس وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
مختص به علمه لا يعلمه غيره وهو ما غاب فيهما عن العباد بان لم يكن محسوسا ولم يدل
عليه محسوس وقيل يوم القيمة فان علمه غائب عن اهل السموات والارض وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ
وما امر قيام القيمة في سرعته وسهولته إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ الا كرجع الطرف من اعلى الحدقة
الى اسفلها أَوْ هُوَ أَقْرَبُ بل امرها اقرب فانه تعالى يحيي الخلائق دفعة وما يوجد دفعة
كان في آن ويجوز ان يكون او للتخيير وقيل معناه ان قيام الساعة وان تراخى فهو عند
الله كالشيء الذي تقولون فيه هو كلمح البصر او هو اقرب مبالغة في استقرابه إِنَّ اللَّهَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فيقدر ان يحيي الخلائق دفعة كما قدر ان احياهم متدرجا نزلت في الكفار
الذين استعجلوا القيامة استهزاء ثم زاد في التاكيد بذكر حالة اخرى للانسان دالة على
غاية قدرته ونهاية رافته فقال وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ دل به على قدرته
تعالى حال كونهم لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا جهالا مستصحبين جهل الجمادية وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ
وَالْأَفْئِدَةَ ادوات تعلمون بها فتحسون بحواسكم جزئيات الاشياء فتدركونها ثم تتنبهون
بقلوبكم لمشاركات ومباينات بتكرر الاحساس حتى يحصل لكم العلوم البديهية وتتمكنوا
من تحصيل المعالم الكسبية بالنظر فيها لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ كي تعرفوا ما انعم عليكم طورا بعد
طور فتشكروه ثم ذكر دليلا اخر على كمال قدرته فقال أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ
مذللات للطيران بما خلق لها من الاجنحة وساير الاسباب المؤاتية لذلك كرقة قوام الهواء
والهامهن بسط الجناح وقبضه فيه كعمل السابح في الماء فِي جَوِّ السَّمَاءِ في الهواء المتباعد
من الارض عن كعب الاحبار ان الطير يرتفع اثني عشر ميلا مَا يُمْسِكُهُنَّ فيه إِلَّا اللَّهُ فان
ثقل جسدها يقتضي سقوطها ولا علاقة فوقها ولا دعامة تحتها تمسكها إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
تسخير الطير للطيران بان خلقها خلقة يمكن معها الطيران وخلق الجو بحيث يمكن الطيران
فيها وامساكها في الهواء على خلاف طبعها لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ لانهم هم المنتفعون بها ثم ذكر بعضا
اخر من احوال الانسان فقال وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ التي هي من الحجر والمدر سَكَنًا
موضعا تسكنون فيه وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا يعني الخيام والقباب والاخبية
والفساطيط من الادم تَسْتَخِفُّونَهَا تجدونها خفيفة يخف عليكم حملها ونقلها يَوْمَ ظَعْنِكُمْ

وقت رحلتكم وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وقت النزول او وقت الحضر وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا
وَأَشْعَارِهَا يعني اصواف الضان واوبار الابل واشعار المعز والكنايات راجعة الى
الانعام لان كلا منها من جملتها أَثَاثًا قال ابن عباس رضي الله عنهما مالا قال القتيبي الاثاث المال
اجمع من الابل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره هو متاع البيت من الفرش والاكسية
وَمَتَاعًا بلاغا تتمتعون وتنتفعون بها إِلَى حِينٍ الى مدة من الزمان فانها لصلابتها تبقى
مدة مديدة او الى مماتكم وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ من الشجر والجبل والابنية وغيرها ظِلَالًا
تستظلون بها من حر الشمس وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا مواضع تسكنون بها
من الكهوف والبيوت المجوفة فيها جمع كن وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ ثيابا من الصوف
والكتان والقطن وغيرها تَقِيكُمُ الْحَرَّ خصه بالذكر اكتفاء باحد الضدين او لان
وقاية الحر كان اهم عندهم وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ يعني الدروع والجواشن والسربال
يعم كل ما يلبس كَذَلِكَ كاتمام هذه النعم التي تقدمت يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ اي تنظرون
في نعمه فتؤمنون به او تنقادون لحكمه قال عطاء الخراساني انما نزل القرآن على قدر معرفتهم
فقال وجعل لكم من الجبال اكنانا وما جعل لهم من السهول اعظم واكثر ولكنهم كانوا اصحاب
جبال كما قال تعالى ومن اصوافها واوبارها لانهم كانوا اصحاب وبر وشعر وكما قال تعالى
وينزل من السماء من جبال فيها من برد وما انزل من الثلج اكثر لكنهم كانوا لا يعرفون
الثلج وقال تعالى تقيكم الحر وما تقي من البرد اكثر لكنهم كانوا اصحاب حر فَإِنْ تَوَلَّوْا اعرضوا
فلا يلحقك منه ذلك عتب ولا سمة تقصير فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ
اي يعرف المشركون نعم الله التي عدد عليهم وغيرها حيث يعترفون بها وبانها من الله ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا
بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم انها بشفاعة آلهتنا او بسبب كذا قال عون ابن عبد الله هو قول
الرجل لولا فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا او باعراضهم عن اداء حقوقها قال السدي
نعمة الله نبوة محمد صلى الله عليه وسلم يعني انهم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها عنادا ومعنى
ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ الجاحدون عنادا وذكر الاكثر
اما لان بعضهم لم يعرف الحق لنقصان العقل او التفريط في النظر او لم تقم عليه الحجة لانه
لم يبلغ حد التكليف واما لان الاكثر بمعنى الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون عن مجاهد
ان اعرابيا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله جعل لكم من بيوتكم سكنا قال الاعرابي نعم وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها
يوم ظعنكم ويوم اقامتكم قال الاعرابي نعم ثم قرأ صلى الله عليه وسلم عليه كل ذلك يقول الاعرابي نعم

حق بلغ كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون نزلت في الاعرابي فانزل الله تعالى يعرفون
نعمة الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون ثم لما بين من حال القوم انهم عرفوا نعمة الله
ثم انكروها وان اكثرهم كافرون اتبعه اصناف وعيد يوم القيمة فقال واذكر
يوم نبعث من كل امة شهيدا يعني رسولها يشهد لهم وعليهم بالايمان والكفر
ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار اذ لا عذر لهم وفيه الرجوع الى الدنيا وثم
لزيادة ما يحيق بهم من شدة المنع عن الاعتذار لما فيه من الاقناط الكلي ولا هم
يستعتبون ولا هم يسترضون من العتبى وهي الرضا واذكر اذا رأى الذين
ظلموا العذاب اي عذاب جهنم فلا يخفف عنهم اي العذاب ولا هم ينظرون يمهلون
واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم اوثانهم التي دعوها شركاء او الشياطين
الذين شاركوهم في الكفر بالحمل عليه قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من
دونك نعبدهم او نطيعهم وهو اعتراف بانهم كانوا مخطئين في ذلك او التماس
بان نشطر عذابهم فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون اي اجابوهم بالتكذيب في انهم
شركاء الله او انهم عبدوهم حقيقة وانما عبدوا اهواءهم ولا يمتنع انطاق الاصنام به
حينئذ والقوا والقى الذين ظلموا الى الله يومئذ السلم الاستسلام لحكمه بعد الاستكبار
في الدنيا وضل عنهم وضاع عنهم وبطل ما كانوا يفترون من انها تشفع لهم الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله منعوا الناس من طريق الحق زدناهم عذابا
فوق العذاب المستحق بكفرهم بما كانوا يفسدون بكونهم مفسدين بصدهم
قال عبد الله عقارب لها انياب مثل النخل الطوال وقال سعيد ابن جبير حيات امثال
البخت وعقارب امثال البغال يلسع احدهن اللسعة يجد صاحبها حمتها اربعين
خريفا وقال ابن عباس ومقاتل يعني خمسة انهار من صفر مذاب كالنار يعذبون
بها يعذبون بعضها في الليل وبعضها في النهار وقيل انهم يخرجون من حر النار الى
الزمهرير فيتبادرون من شدة الزمهرير الى النار مستغيثين بها ثم اعاد حكاية بعث
الشهداء لما ينط بها من زيادة الفائدة فقال ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم
يعني نبيا من انفسهم لان الانبياء كانت تبعث الى الامم منها ثم شرف نبينا صلى الله
عليه وسلم بقوله وجئنا بك يا محمد شهيدا على هؤلاء الذين بعثت اليهم ثم بين انه
ازاح عليهم فيما كانوا فيه فلا حجة لهم ولا معذرة فقال ونزلنا فعوله ونزلنا حال باضمار
قد اي وقد نزلنا عليك الكتاب تبيانا بيانا بليغا لكل شيء من امور الدين وبيان الطريق

الى الحق بالنص على بعضها واحالة الباقي الى السنة والاجماع والقياس وغيرها
وللجميع مستندة بالاخرة الى الكتاب وهدى ورحمة للجميع وانما حرمان المحروم
من تفريطه وبشرى للمسلمين خاصة ولما ذكر ان في القرآن تبيان كل شيء ذكر عقيبه
آية جامعة لاصول التكاليف كلها تصديقا لذلك فقال ان الله يأمر بالعدل بالتوسط
في الامور اعتقادا كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك وعملا كالتعبد باداء الواجبات
المتوسط بين البطالة والترهب وخلقا كالجود المتوسط بين البخل والتبذير والاحسان
احسان الطاعات وهو اما بحسب الكمية كالاتيان بالنوافل والمستحبات او بحسب الكيفية
كما قال صلى الله عليه وسلم الاحسان ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك
قال قتادة ليس من خلق حسن الا امر الله تعالى به وليس من خلق سيئ الا نهى الله عنه
وفي الحديث ان الله تعالى يحب معالي الاخلاق ويبغض سفسافها عن عكرمة قال بلغ اكثم
ابن صيفي مخرج النبي صلى الله عليه وسلم فاراد ان يأتيه فأبى قومه ان يدعوه قالوا انت
كبيرنا لم تكن لتخف اليه قال فليأت من يبلغه عني ويبلغني عنه فانتدب رجلان فاتيا
النبي صلى الله عليه وسلم فقالا نحن رسل اكثم ابن صيفي وهو يسألك من انت وما
جئت به فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما من انا فانا محمد ابن عبد الله واما ما انا فانا عبد الله
ورسوله قال ثم تلا عليهم هذه الآية ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى
وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون قالوا اردد علينا هذا القول
فردده عليهم حتى حفظوه فاتيا اكثم فقالا ابى ان يرفع نسبه فسألنا عن نسبه فوجدناه
زاكي النسب واسطا في مضر وقد رمى الينا بكلمات قد سمعناها فلما سمعهن اكثم قال
اني اراه يأمر بمكارم الاخلاق وينهى عن ملائمها فكونوا في هذا الامر رؤسا ولا تكونوا
فيه اذنابا عن ابن عباس رضي الله عنهما العدل التوحيد والاحسان الاخلاص في
التوحيد وهذا اشارة الى ان رأس العدل التوحيد ورأس الاحسان الاخلاص
والا فالعدل يشمل جميع الواجبات اعمالا واخلاقا والاحسان يشمل جميع المستحبات اعمالا
واخلاقا وايتاء ذي القربى واعطاء الاقارب ما يحتاجون اليه وهو تخصيص بعد تعميم
للمبالغة وينهى عن الفحشاء عن الافراط في متابعة القوة الشهوية كالزنا فانه اقبح
احوال الانسان واشنعها والمنكر ما ينكر على متعاطيه في اثارة القوة الغضبية والبغي
والاستعلاء والاستيلاء على الناس والتجبر عليهم فانها الشيطنة التي هي مقتضى
القوة الوهمية ولا يوجد من الانسان شر الا وهو مندرج في هذه الاقسام صادر

صادر بتوسط احدى هذه الاقسام القوى الثلث ولذلك قال ابن مسعود هي
اجمع آية في القرآن للخير والشر وصارت سبب اسلام عثمان بن مظعون ولو لم يكن في
القرآن غير هذه الآية لصدق عليه انه تبيان لكل شئ وهدى ورحمة للعالمين قال القاضي
ولعل ايرادها عقيب قوله ونزلنا عليك الكتاب للتنبيه عليه وقد ذكرنا هنا في وجه الربط
للائق بالمقام يَعِظُكُمْ بالامر والنهي والتمييز بين الخير والشر لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ تتعظون
عن عكرمة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد ان الله يأمر بالعدل الى آخر
الآية فقال له يا ابن اخي اعد فاعاد عليه فقال ان له والله لحلاوة وان عليه لطلاوة وان
اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وما هو بقول البشر ثم خص من جملة المامورات الوفاء بالعهد
فقال وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
امرهم بالوفاء بها فالمراد بالعهد البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام لقوله
تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل المراد به النذر وقيل الايمان بالله
وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ ايمان البيعة او مطلق الايمان بَعْدَ تَوْكِيدِهَا توثيقها ولا يحملكم
قلة اصحاب محمد وكثرة المشركين ان تنقضوا البيعة على الاسلام وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ
كَفِيلًا شاهدا بتلك البيعة فان الكفيل مراع لحال المكفول به رقيب عليه إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
مَا تَفْعَلُونَ تهديد ووعيد لمن نقض الايمان ولا تعارض بين هذه الآية وبين قوله تعالى
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس وبين قوله صلى الله
عليه وسلم بما ثبت عنه في الصحيحين اني والله ان شاء الله لا احلف على يمين فأرى
غيرها خيرا منها الا اتيت الذي هو خير وتحللتها وفي رواية وكفرت عن يميني لان هذه
الايمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق لا الايمان التي هي واردة على حث او منع
ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها يعني الحلف اي حلف
الجاهلية ويؤيده ما رواه مسلم عن ابن ابي شيبة واحمد عن جبير بن مطعم انه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حلف في الاسلام وايما حلف كان في الجاهلية لم
يزده الاسلام الا شدة ومعناه ان الاسلام لا يحتاج معه الى الحلف الذي كان اهل
الجاهلية يفعلونه فان في التمسك بالاسلام كفاية عما كانوا فيه ثم ضرب الله تعالى مثلا لنقض
العهد فقال وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا ما غزلته مصدر بمعنى المفعول مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ
من بعد ابرام واحكام أَنْكَاثًا طاقات واحدها نكث وهو ما ينقض بعد الفتل غزلا
كان او حبلا قال الكلبي ومقاتل نزلت في امراة خرقاء حمقاء من قريش يقال لها

ريطة بنت عمرو بن سعد بن كعب بن زيد بن مناة بن تميم وكانت بها وسوسة
كانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر وتأمر جواريها بذلك فكن يغزلن
من الغداة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار امرتهن بنقض جميع ما غزلن فهذا
كان دأبها تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ حال من الضمير في ولا تكونوا اي لا تكونوا
متشبهين بامراة هذا شأنها متخذي ايمانكم دخلا بينكم ومفسدة وخيانة وخديعة
والدخل ما يدخل في الشئ للفساد أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ بان تكون جماعة
ازيد عددا واوفر مالا من جماعة قال مجاهد كانوا يحالفون الحلفاء فاذا وجدوا
قوما اكثر منهم واعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الاكثر إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ انما يختبركم
الله بامره اياكم بالوفاء بالعهد او بكونهم اربى اي ينظر أتتمسكون بحبل الوفاء والبيعة
ام تغترون بكثرة قريش وقوتهم وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
اذا جازاكم على اعمالكم بالثواب والعقاب وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً متفقة
على الاسلام وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بخذلانه اياهم عدلا منه وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
بتوفيقه اياهم فضلا منه وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ يوم القيامة سؤال تبكيت ومجازاة
وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ تصريح بالنهي عنه بعد التضمين تأكيدا ومبالغة في قبح
المنهي عنه فَتَزِلَّ قَدَمٌ عن محجة الاسلام بَعْدَ ثُبُوتِهَا عليها والمراد فتزل اقدامهم وانما
وحد ونكر للدلالة على ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وَتَذُوقُوا
السُّوءَ العذاب في الدنيا بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بصدودكم عن الوفاء او صدكم
غيركم عنه فان من نقض البيعة جعل ذلك سنة لغيره وسهل طريق نقض العهد
وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ في الآخرة وَلَا تَشْتَرُوا ولا تستبدلوا بِعَهْدِ اللَّهِ وبيعة رسوله
ثَمَنًا قَلِيلًا عوضا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدون لضعاف المسلمين ويشرطون لهم
على الارتداد إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ من النصرة في الدنيا والثواب في الآخرة هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ مما
يعدونكم إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ان كنتم من اهل العلم والتمييز ثم ذكر دليلا قاطعا على
ان ما عند الله خير فقال تعالى مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ اي الدنيا وما فيها يفنى وَمَا عِنْدَ اللَّهِ
من خزائن رحمته بَاقٍ لا ينفد وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا على الوفاء في السراء والضراء
أَجْرَهُمْ على الفاقة واذى الكفار او مشاق التكاليف بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ بما يرجح
فعله من اعمالهم كالواجبات والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم عن ابي موسى
الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب دنياه اضر باخرته ومن احب

آخرته أَضَرَّ بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ
اذ لا اعتداد باعمال الكفرة فى استحقاق الثواب وانما المتوقع عليها تخفيف العقاب
فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً فى الدنيا يعيش عيشا طيبا فانه ان كان موسرا فظاهر وان
كان معسرا كان يطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة وتوقع الاجر العظيم فى الآخرة
بخلاف الكافر فانه ان كان معسرا فظاهر وان كان موسرا لم يدع الحرص وخوف الفوات
ان تعيش طيبا قال مجاهد وقتادة هى الجنة ورواه عوف عن الحسن وقال لا تطيب
الحيوة لاحد الا فى الجنة قال جعفر يعيش مع الخلق بالنفس وقلبه معلق بمشاهدة الله تعالى
وقال ابن عطاء اسقاط الكونين عن سره حتى يبقى مع ربه وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ من الطاعة ثم ذكر الاستعاذة التى هى من جملة الاعمال الصالحة وبها
تخلص الاعمال عن الوساوس فقال فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ اردت قراءة القرآن فَاسْتَعِذْ
بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فاسأل الله ان يعيذك من وساوسه لئلا يوسوسك فى القراءة
والجمهور على ان الاستعاذة سنة عند قراءة القرآن وعن ابى هريرة انها سنة بعدها
وقد سبقت الاحاديث الواردة فى الباب فى اول الكتاب إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ تسلط
وولاية عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ قال سفيان ليس له سلطان على ان
يحملهم على ذنب لا يغفر إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ يحبونه ويطيعونه قال بعضهم
من اتبع هواه فقد تولى الشيطان ومن ركن الى الدنيا فقد اتبعها ومن احب الرياسة
فقد اتبعها ومن خالف ظاهر العلم فقد تولاه ومن خان المسلمين فقد جعل للشيطان عليه
سبيلا ومن ركن شيئا من المخالفات ظاهرا وباطنا فقد اهلك نفسه ومن تولى الشيطان
فقد تبرأ من الحق وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ بالله او بسبب الشيطان مُشْرِكُونَ ثم شرع فى
حكاية شبهات منكرى النبوة فقال وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ بالنسخ فجعلنا الآية الناسخة
مكان المنسوخة وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ من المصالح فلعل ما يكون مصلحة فى وقت يصير
مفسدة بعده فينسخه وما لا يكون مصلحة حينئذ يكون مصلحة الان فيثبته مكانه قَالُوا
إِنَّمَا أَنْتَ يا محمد مُفْتَرٍ مختلق وذلك ان المشركين قالوا ان محمدا يسخر باصحابه يامرهم اليوم
بامر وينهاهم عنه غدا ما هو الا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ حكمة
الاحكام ولا يميزون الخطأ من الصواب قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ يعنى جبريل عليه السلام
واضافة الروح الى القدس كقولهم حاتم الجود مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ بالحكمة لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ
آمَنُوا على الايمان بانه كلامه فانهم اذا سمعوا الناسخ وتدبروا ما فيه من رعاية الصلاح

والحكمة رسخت عقايدهم واطمانت قلوبهم وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ المنقادين لحكمه
وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ آدمى وما هو من عند الله قال ابن عباس
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانيا اعجمى اللسان
فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج فكانوا يقولون
انما يعلمه بلعام وقال عبد الله ابن مسلم الحضرمى كان لنا عبدان من اهل عين التمر
الشمس هما يسار ويكنى ابا فكيهة وجبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن
التوراة والانجيل فربما مر بهما النبى صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك
وكان عليه السلام اذا اذاه الكفار يقصد اليهما ويستروح بكلامهما فقالت المشركون انما يتعلم
محمد منهما فنزلت هذه الآية قال الله تعالى تكذيبا لهم لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ
اى لغة الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة اليه ماخوذ من لحد القبر اعجمى لا افصح وَ
هَذَا الْقُرْآنُ لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ذو بيان وفصاحة فالاعجمى الذى لا يفصح وان كان نزل
بالبادية والعجمى منسوب الى العجم وان كان فصيحا والعربى منسوب الى العرب وان لم يكن
فصيحا والاعرابى البدوى وروى ان الرجل الذى كان يشيرون اليه اسلم وحسن اسلامه
إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لا يصدقون انها من عند الله لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ الى الحق
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فى الآخرة وهددهم على كفرهم بالقرآن بعد ما اماط شبهتهم ثم قلب الامر
عليهم فقال إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لانهم لا يخافون عقابا يردعهم
عنه وَأُولَئِكَ اشارة الى الذين كفروا او الى قريش هُمُ الْكَاذِبُونَ فان قيل
قد قال انما يفترى الكذب فما معنى قوله واولئك هم الكاذبون قيل انما يفترى الكذب
اخبار عن فعلهم وهم الكاذبون نعت لازم لهم لا ينصرفهم عنه دين ولا مروة كقول الرجل
لغيره كذبت وانت كاذب اى كذبت فى هذا القول ومن عادتك الكذب عن عبد الله ابن
جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزنى قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال
قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون
بآيات الله ثم انه سبحانه وتعالى من كمال عنايته اراد ان يفرق بين الكفر اللسانى المنضم اليه
القلبى فقال مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ مبتدأ وخبره محذوف دل عليه قوله تعالى فعليهم
غضب او بدل من اولئك او من الكاذبون إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ على الافتراء او كلمة الكفر
وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ لم يتغير عقيدته وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا طاب به
نفسا واعتقده فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ اذ لا اعظم من جرمه

قال ابن عباس رضى الله عنهما نزلت هذه الآية فى عمار وذلك ان المشركين اخذوه واباه
ياسر وامه سمية وصهيبا وبلالا وخبابا وسالما فعذبوهم فاما سمية فانها ربطت
بين بعيرين ووجئ قبلها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما اول قتيلين فى الاسلام
رضى الله عنهما واما عمار فانه اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرها قال قتادة اخذ بنو المغيرة
عمارا وغطوه فى بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فاخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم بان عمارا كفر فقال كلا ان عمارا ملئ ايمانا من قرنه الى قدمه واختلط
الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكى فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما وراءك قال شر يا رسول الله نلت منك وذكرت آلهتهم بخير قال كيف وجدت
قلبك قال مطمئنا بالايمان فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ان عادوا لك
فعد بما قلت فنزلت هذه الآية وقال مجاهد نزلت فى ناس من اهل مكة آمنوا فكتب اليهم
بعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هاجروا فانا لا نراكم منا حتى تهاجروا
الينا فخرجوا يريدون المدينة فادركهم قريش فى الطريق ففتنوا فكفروا كارهين وقال
مقاتل نزلت فى جبر مولى عامر ابن الحضرمى اكرهه سيده على الكفر فكفر مكرها
وقلبه مطمئن بالايمان ثم اسلم مولى جبر وحسن اسلامهما وهاجر جبر مع سيده واجمع
العلماء على ان من اكره على كلمة الكفر يجوز له ان يقول بلسانه واذا قال بلسانه غير
معتقد لا يكون كفرا وان ابى ان يقوله حتى يقتل كان افضل ذَلِكَ اشارة الى الكفر
بعد الايمان او الوعيد بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ بسبب انهم آثروها عليها
وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ فى علمه أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ فابت عن ادراك الحق والتامل فيه وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ
الكاملون فى الغفلة اذ اغفلتهم الحالة الراهنة عن تدبر العواقب لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ
هُمُ الْخَاسِرُونَ اذ ضيعوا اعمارهم وصرفوها فيما افضى بهم الى العذاب المخلد ولما
ذكر حال من اكره اتبعه حال من هاجر من بعد ما فتن فقال ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا
مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا اى عذبوا كعمار ومولى جبر وثم لتباعد حال هؤلاء عن حال اولئك
ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا على الجهاد وما اصابهم من المشاق إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا
من بعد الهجرة والجهاد والصبر لَغَفُورٌ لما فعلوا قبل رَحِيمٌ منعم عليهم مجازاة على
ما صنعوا بعد نزلت فى عباس ابن ابى ربيعة اخى ابى جهل من الرضاعة وفى ابى
جندل ابن سهل ابن عمرو والوليد ابن الوليد ابن المغيرة وسلمة ابن هشام وعبد الله ابن

اسيد الثقفى فتنهم المشركون فاعطوهم بعض ما ارادوا ليسلموا من شرهم ثم انهم هاجروا
بعد ذلك وجاهدوا يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ منصوب برحيم او باذكر تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا
تجادل عن ذاتها وتسعى فى خلاصها لا يهمها شان غيرها فتقول نفسى نفسى وَتُوَفَّى كُلُّ
نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ جزاء ما عملت وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ روى ان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه
قال لكعب الاحبار رضى الله عنه خوفنا قال يا امير المؤمنين والذى نفسى بيده لو وافيت
القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك تارات وانت لا يهمك الا نفسك وان لجهنم زفرة
لا يبقى ملك مقرب ولا نبى منتجب الا وقع جاثيا على ركبتيه حتى ابراهيم خليل الرحمن يقول
يا رب لا اسالك الا نفسى وان تصديق ذلك الذى انزل الله عليكم يوم تاتى كل نفس تجادل
عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس فى هذه الآية قال ما تزال الخصومة بين الناس
يوم القيمة حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح يا رب لم يكن لى يد ابطش بها ولا رجل
امشى بها ولا عين ابصر بها ويقول الجسد خلقتنى كالخشب ليست لى يد ابطش بها ولا عين
ابصر بها فجاء هذا كشعاع النور فيه نطق لسانى وابصرت عيناى ومشت رجلى فيضرب
الله لهما مثل اعمى ومقعد دخلا حايطا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يناله فحمل الاعمى
المقعد فاصابا من الثمار فعليهما العذاب ثم اوعد الكفار بآفات الدنيا ايضا فقال وَضَرَبَ
اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً اى جعل الله القرية الموصوفة مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فكفروا
فانزل بهم نقمته كمكة كَانَتْ آمِنَةً لا يهاج اهلها ولا يغار عليه مُطْمَئِنَّةً قارة باهلها لا
يحتاجون الى الانتقال للانتجاع كما يحتاج اليه ساير العرب يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا واسعا
مِنْ كُلِّ مَكَانٍ يحمل اليها من البر والبحر نظيره يجبى اليه ثمرات كل شئ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ
جمع نعمة فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ ابتلاهم بالجوع سبع سنين وقطعت عنهم العرب الميرة
بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فاكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب
الميتة والعلهز وهو الوبر يعالج بالدم حتى كان احدهم ينظر الى السماء فيرى شبه الدخان
من الجوع ثم ان رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا هذا عاديت الرجال
فما بال النساء والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل الطعام اليهم وَالْخَوْفِ
بعوث النبى صلى الله عليه وسلم وسراياه التى كانت تطيف بهم بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ
بصنعهم قال الكاشف القرية المطمئنة قلب العارف الصادق المطمئن بذكر الله تعالى
بل باسط انيته حيث شاهد بكشف جماله وجلاله له امن بلطف الله عن قهر الله ورعايته
عن طوارق الوسواس وسوارق الهواجس ياتى عليه رزق المعرفة والمحبة وبرد الانس

والمشاهدة من كشف الذات وجميع الصفات دوّارا رغدا بحيث لا كدر فيه ولا كدورة
عليه من قيام الهجران وظلمة الحرمان فاذا اراد الحق سبحانه وتعالى انعام النعمة عليه رفع عنه
الخطا والنسيان والظن والحسبان حتى يملا اسراره ومداركه لطايف انواره واذا
اراد به الامتحان وضع عليه النسيان واغلق عليه ابواب فتوح المشاهدة حتى يذوق
طعم وبال الهجران ويسقط في ورطة الحرمان ويكون خايفا بعد ان يكون آمنا وفاقدا
بعد ان يكون ساكنا قوله تعالى فكفرت بانعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما
كانوا يصنعون قال الاستاد فراغ القلب عن الاشتغال نعمة عظيمة اذا كفر عبد هذه النعمة
بان فتح على نفسه باب الهوى والشهوات شوش الله تعالى عليه نعمة قلبه وسلبه ما كان
يجده من صفاء وقته فان طوارق النفس توجب غروب سوانح القلب ثم لما ذكر المثل
قال وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ يعني محمدا صلوات وسلامه عليه والضمير لاهل مكة عاد الى
ذكرهم بعد ما ذكر مثلهم فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا
طَيِّبًا امرهم باكل ما احل الله لهم وشكر ما انعم عليهم بعد ما زجرهم عن الكفر وهددهم على
ما ذكر من التمثيل والعذاب الذي حل بهم صدا عن صنيع الجاهلية ومذاهبها الفاسدة وَاشْكُرُوا
نِعْمَةَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ان صح زعمكم انكم تقصدون بعبادة الالهة عبادته
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ
وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ امرهم بتناول ما احل لهم وعدد عليهم محرماته ليعلم ان
ما عداها حل لهم وتفسير الاية سبق في سورة البقرة ثم نهى عن التحريم والتحليل بهواهم
فقال وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ اي ولا تقولوا هذا حلال
وهذا حرام لوصف السنتكم الكذب اي لا تحرموا ولا تحللوا لمجرد قول تنطق به السنتكم
من غير دليل ووصف السنتكم الكذب مبالغة في وصف كلامهم بالكذب كان حقيقة الكذب
كانت مجهولة والسنتهم تصفها وتعرفها بكلامهم هذا كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف
السحر لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ بسبب ذلك التحريم والتحليل اليه إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ لما كان المفتري يفتري لتحصيل مطلوب نفى عنهم الفلاح وبينه بقوله
مَتَاعٌ قَلِيلٌ اي ما يفترون لاجله متاع قليل اي ما يفترون لاجله متاع قليل في الدنيا وَلَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ اي في سورة الانعام
في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ بالتحريم وَلَكِنْ كَانُوا
أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ حيث فعلوا ما عوقبوا به عليه وفيه تنبيه على الفرق بينهم وبين غيرهم

في التحريم


٨٥١

